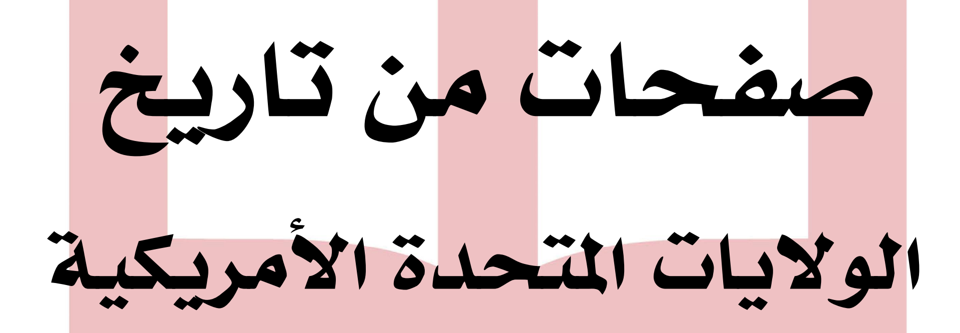


صفحات من تاريخ
الولايات المتحدة الأمريكية

الجزء الأول

(١٩١٨- ١٩٤٥)


المشروع الوطني للترجمة
العلوم الإنسانية



صفحات من تاريخ

الولايات المتحدة الأمريكية

الجزء الأول

(١٩١٨- ١٩٤٥)

تأليف: مجموعة من الباحثين الروس

ترجمة: يونس صالح

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٣م

العنوان الأصلي للكتاب:

Страницы из истории Соединенных Штатов Америки (том 1)

الكاتب: Редакцинная коллегия тома: В.Л.М ЕЛЬНИКОВ, А. А. БЕССМЕРТНЫХ, В.П.ЗОЛОТУХИН, А. Е. КУНИНА, Б.Е. МАРУШКИН, Ю. М. МЕЛЬНИКОВ

الناشر: Издательство « НАУКА» Москва 1987

المترجم: يونس صالح

صفحات من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية: ١٩١٨ -١٩٤٥/ تأليف مجموعة من الباحثين الروس؛ ترجمة: يونس صالح . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٣م.- ج١ (١٢٤٨ص): ص ٢٥سم.

(المشروع الوطني للترجمة: العلوم الإنسانية؛).

١ - ٩٧٣ ص ا ل ص ٢ - العنوان ٣ - صالح ٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

يشمل الجزء الأول من **(**تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية**)** مرحلة ليست كبيرة نسبياً – من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية – ولقد كانت هذه السنوات حافلة بالأحداث التاريخية الضخمة، التي تأثرت إلى حد كبير بأحداث أكتوبر العظيم. فقد بشّرت الثورة البروليتارية المنتصرة في روسيا بحلول عصر جديد في تاريخ البشرية، كان بداية لإعادة تنظيم وتجديد العالم، وانتقاله من الرأسمالية إلى الاشتراكية. فالتناقض الحاد بين منظومتين اجتماعيتين قد أحدث تغيّراتٍ في توضع القوى في العالم، وطابع الصراع فيما بينها. كل هذه الحقائق مارست تأثيراً على الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى اقتصادها، وسياستها، وإيديولوجيتها.

فقد تميز العصر المعني بالتعقيد، والتوتر، والمواجهة، وامتلأ بالاضطرابات والصدامات الاجتماعية. وكان تطور اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية الذي عانى آنذاك حالة نهوض وهبوط، وأزمات اقتصادية حادة، يسير سيراً غيرَ متناسقٍ. وتُعَدُّ الأزمة الاقتصادية العالمية في أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ الأزمة الأكثر عمقاً، والأكثر طولاً وتدميراً بالمقارنة مع الأزمات الأخرى. إذ كشفت كل عيوب الرأسمالية، وحملت للجماهير الشعبية الحرمان والمعاناة غير المحدودين. وفقد ملايين الناس وظائفهم، ووجدوا أنفسهم في الشارع، وغير ضروريين للمجتمع. وأثارت مسيرات العاطلين عن العمل، الجياع، التي أخذت مقاييس وطنية، قلق البلاد. لقد ولّدت العطالة الواسعة عن العمل تشاؤماً عميقاً، وفقداناً للثقة، وشعوراً باستحالة المعالجة، وبالخوف من

المستقبل، وفقدان الأمل، وعدم الإيمان بالمؤسسات الاجتماعية والحكومة، والغضب والحقد تجاه النظام القائم.

إن التباين الاجتماعي الكبير للغاية بين الغنى والفقر، والوفرة من جهة، والضعف الشديد في القوة الشرائية من جهة أخرى، وعدم ثقة الأكثرية الساحقة من الشغيلة الأمريكان في غيرهم، وحرمان الكثير منهم من حقهم في العمل وظروف الحياة الإنسانية الطبيعية دفعت ت. درايزر لكتابة كتاب مملوء بالغضب والسخط، سماه بدقة: (أمريكا المأساوية).

لقد أعلنت حكومة ف. د. روزفلت، في محاولة منها لإنعاش الاقتصاد وإضعاف حدَّة التناقضات الاجتماعية، عن (النهج الجديد)، وشرعت بإجراء إصلاحات واسعة. بيد أنه كان واضحاً أن الكثير من المسائل كانت آنذاك مستعصية الحل. فالدولة كانت عاجزة عن إزالة ما هو رئيسي - التناقض بين العمل والرأسمال. وقد أثار استياء الجماهير الشعبية الواسعة نهوضاً عاصفاً في الحركة العمالية والنقابية والديمقراطية العامة، وأدى إلى تغييرات جدية وتطورات في أمزجة الأمريكيين البسطاء. ولذلك فإن هذه الأعوام غالباً ما تسمى بأعوام الثلاثينيات (العاصفة) و(الراعدة) و(الحمراء). ويطلق بعض المؤرخين على هذه الفترة من الزمن اسم (السنوات العشر العصيبة).

أما في مجال السياسة الخارجية فقد كانت تلك الفترة حافلة بالأحداث الضخمة. إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى تمارس تأثيراً أكثر نشاطاً في المسرح الدولي، وازداد توسع الرأسمال الأمريكي في مختلف أصقاع العالم - في أمريكا اللاتينية، وآسيا، وأوروبا. واكتسب الصراع من أجل أسواق تصريف البضائع، ومصادر المواد الخام ومجالات توظيف

الرساميل طابعاً أكثر توتراً. وأدى صدام المصالح الإمبريالية وسعي مجموعة محددة من البلدان للاقتسام الإقليمي للعالم في بداية الثلاثينيات إلى ظهور بؤرتي حرب - في أوروبا الشرقية والشرق الأوسط -.

لقد نهجت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء التحضيرات للحرب العالمية الثانية وإشعالها من قبل التكتل الإمبريالي الرجعي (ألمانيا، وإيطاليا، واليابان) سياسة الحياد، التي ساعدت بصورة موضوعية هذه البلدان على تحقيق مخططاتها التوسعية. إن نهج واشنطن غير الحازم الذي شجع المعتدين أكثر، قد انتهى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية إلى مأساة بيرل- هاربر. لقد دفع تطور الأحداث العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية للدخول في الحرب إلى جانب التحالف المعادي للهتلرية، وأن تكون واحدة من المشاركين الناشطين فيها. كما تميزت سنوات الحرب العالمية الثانية بانتعاش الاقتصاد في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة واسعة، وبتغييرات جدّية في بنيته، وبتقوية النزعات الداعمة لرأسمالية الدولة الاحتكارية، التي كان من نتائجها أن حققت الشركات الاحتكارية أرباحاً طائلة، و زاد تكثيف العمل.

وقد لعبت الطبقة العاملة دوراً مهماً في تطور الإنتاج الحربي للبلاد، على الرغم من أن العمال في سنوات الحرب، كان عليهم وهم يدافعون عن حقوقهم أن يلجؤوا إلى الإضرابات، ومع ذلك يمكن اعتبار أن العلاقات بين العمل والرأسمال في مجال الصناعة قد مرّت بمرحلة سلمية نسبياً آنذاك.

إن التاريخ الأمريكي في هذه السنوات غني بالأحداث ذات الطابع الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، وكذلك العسكري، التي مارست تأثيراً

محدداً على الحياة الروحية للمجتمع، وعلى تطور العلوم، والثقافة، والفن، وعلى مزاج الجماهير.

وكان للمؤرخين الروس والأمريكان النصيب الجدي الأكبر في الإضاءة على جميع نواحي تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة. وقد عَمِل علماء التاريخ التقدميين في الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً مهماً، ولا سيما في مجال الكشف عن النزعات الأساسية لتطور الرأسمالية الأمريكية.

ومن جهة أخرى احتوت أدبيات المؤرخين البورجوازيين الأمريكان الغزيرة والمتنوعة، على مادة وثائقية حقيقية غير قليلة. بيد أن نظرات وتصورات أغلب هؤلاء المؤلفين كانت وحيدة الجانب وذات نزعة متحيزة.

لقد سعى مؤلفو الكتاب، بالاعتماد على منجزات علماء التاريخ السوفييت والأمريكان التقدميين، إلى دراسة المواد الأرشيفية، ونشرات الوثائق الرسمية، وغيرها من المصادر، وعملوا على إعادة رسم لوحة عامة لتطور البلاد، وبحث المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في وحدة متكاملة، والحياة الروحية للمجتمع الأمريكي، وإظهار النزعات والملامح الأكثر تميزاً في تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، والكشف عن المحتوى الطبقي للدولة البرجوازية، وتبيان مكان ودور منظومة الحزبين في الآلية السياسية في البلاد وفي سياسة الصفوة الحاكمة، ورصد التأثير المتزايد للاحتكارات على السياسة الخارجية والداخلية للولايات المتحدة الأمريكية.

وأوضح المؤلفون، في سياق تحليلهم لهذه المسائل، أسباب الحالة غير المستقرة للاقتصاد في سنوات ما بين الحربين، وطابع وخصائص الأزمات،

التي كان لها مكان في هذه المرحلة. كما خُصِّص جانب مهمٌّ لبحث التطور الاقتصادي الاحتكاري، ونمو الصناعة والتجارة الرأسمالية، وارتفاع الأسعار... وغيرها في أعوام العشرينيات، وحدوث الانهيار المالي الذي لم يكن له مثيل في السابق، والذي أعقبته أزمة صناعية حادة، مترافقة مع أزمة زراعية مزمنة. لقد ترك هذا الانهيار أثراً لا يمحى في التاريخ الوطني.

كما بحث المؤلفون المناهج والطرق والوسائل التي لجأت إليها البرجوازية برئاسة رئيس الجمهورية ف. د. روزفلت من أجل إنعاش الاقتصاد والخروج من الأزمة، التي عطلت الحياة العملية في البلاد. ومن هنا يأتي سبب الاهتمام بموضوع سياسة «النهج الجديد» وأهدافها ومهماتها، وعواقبها الاقتصادية والاجتماعية.

لقد تمَّ الاهتمام بشكل كبير بمسائل الكشف عن البنية الطبقية للمجتمع الأمريكي، وبيان حالة الطبقات الاجتماعية ودورها -البرجوازية، والطبقة العاملة، والمزارعين، والتغييرات التي طرأت عليها، وكانت دراسة وضع الطبقة العاملة ونضالها التحرري، وكذلك كشف تلك النواحي المرتبطة بصورة وثيقة بإيضاح المسائل التي تتعلق بقيام الجبهة المعادية للاحتكارات، وتنظيم الائتلاف الديمقراطي في أعوام «النهج الجديد»بالإضافة إلى رصد الحراك المميز ضد الفاشية والحرب في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك واحدة من المسائل المركزية.

كانت مساعي العلماء موجهة إلى البحث في الأسباب التي قادت بعد «الكساد العظيم» إلى تغيرات نوعية جدية في الحركة النقابية، الأمر الذي وجد انعكاساً له لا في نمو التريديونينية وزيادة نشاطها، فقط، وإنما في تفاقم

الصراع داخل النقابات، الذي أدى إلى أزمة في التريديونينية والهومبرسية[1]، وتطور حركة عمالية واسعة من أجل إنشاء نقابات حسب المبادئ الإنتاجية. ولقد كان الدليل على ذلك هو نداء كونغرس النقابات الإنتاجية.

تمَّ الاهتمام أيضاً في هذا الجزء - بشكل مبرر - بمسائل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ودبلوماسيتها. إذ يتناول الكتاب مشاركتها في إنشاء منظومة فرساي - واشنطن، والكشف عن المحتوى الطبقي وعن تطور المذهب الانعزالي الأمريكي كتيار في الصراع السياسي الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين الحربين، وتفسير حالة التغني بسياسة الحياد، وتحليل العلاقات الأمريكية السوفييتية على خلفية تطور الأحداث الدولية، وبصورة خاصة في سنوات التحضير للحرب العالمية الثانية وإشعالها.

وكان لتحليل مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، ولا سيَّما مرحلة إعادة بناء الاقتصاد الأمريكي على أسس حربية، وتطور رأسمالية الدولة الاحتكارية وموقف الشعب تجاه الحرب، حيِّزٌ مهم. ويرصد الكتاب أيضاً تاريخ فتح الجبهة الثانية في أوروبا وموقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه المسألة، وبيان دور القوات المسلحة الأمريكية على مختلف مسارح العمليات الحربية، في المحيط الهادئ، وشمال إفريقيا، وأوروبا، وكذلك إعداد مخططات الحرب من قبل واشنطن، وتحديد أهدافها السياسية، وبحث دور الولايات المتحدة الأمريكية في العلاقات ما بين الحلفاء، وموقفها في مؤتمر رؤساء الحكومات في طهران، ويالطا وبوتسدام.

---

(١) هومبرس – رئيس اتحاد أمريكا للعمال من عام ١٨٨٢ – إصلاحي.

وبالطبع، فإن اهتماماً خاصاً قد سُلط على تطور العلاقات الأمريكية- السوفييتية في أطر التحالف المعادي للهتلرية: إذ تمَّ تتبع التطور في العلاقات المتبادلة بين الحلفاء، وبالدرجة الأولى بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى.

ومما لا شك فيه أن الكثير من المهمات المعقدة قد اعترضت مجموعة المؤلفين لدى تأليفهم هذا العمل من إذ: تحديد وإبراز النزعات الأساسية في التطور الاقتصادي- الاجتماعي والسياسي والثقافي للبلاد، وبيان مكانتها في سرعة تبدل الأحداث، والحقائق والظواهر، وإبراز القوى الاجتماعية التي وقفت خلف هذه النزعات وكيف تشكّل المنطق الموضوعي للعملية التاريخية وقوانينها.

لقد تمَّت مناقشة مخطوطة هذا الجزء في اجتماعات قسم تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وكندا في معهد التاريخ العام التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي من قبل دائرة واسعة من الاختصاصيين. وأسهم فيها كل من ر. ش. غانيلين (فرع لينينغراد لمعهد تاريخ الاتحاد السوفييتي)، وي. ي. إيفانوف (معهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي)، والمدرسون في جامعة موسكو الحكومية المسماة باسم م. ف. لومونوسوف ا. س. مانيكينو يو. ن. روغوليف، والعاملون في معهد التاريخ العام التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي غ. ا. آغافونوفا، وس. م. إسكولدوفا، وي. ا. بيليافسكايا، وا. ي. بولشاكوفا، ون. ن. بولخوفيتينوف، وغ. ب. موروبياتييك، و او. ا. رجيشيفسكي، واو. ي. توغاغوفا.

وأخيراً تشكر هيئة التحرير ومجموعة المؤلفين كل الذين أدلوا بالملاحظات والتوصيات والنصائح.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية

وسياستها في أعوام العشرينيات



الفصل الأول

القضايا الاجتماعية- الاقتصادية

(١٩١٨-١٩٢٣)

نتائج الحرب العالمية الأولى[١]:

سياسة حكومة ويلسون:

أعطت الحرب العالمية الأولى دفعة قوية لتطور الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً، لتظهر في تلك السنوات بصورة استثنائية منسجمة مع دورها آنذاك. فالأعمال الحربية شملت جميع البلدان الأوروبية تقريباً، لكنها لم تمس مطلقاً القارة الأمريكية. ولم تعرف الولايات المتحدة قطُّ ذلك التدمير الشامل للقوى المنتجة الذي كان يحدث في أوروبا كل يوم على امتداد أربع سنوات. و مشاركة الجيش الأمريكي في الأعمال الحربية بدأت منذ صيف عام ١٩١٨ فقط، أي في المرحلة الختامية من الحرب. لذلك فإن الخسائر البشرية لقوات الولايات المتحدة الأمريكية الحربية بالمقارنة مع الخسائر المليونية للدول العظمى الأخرى المتحاربة كانت غير كبيرة: ٥٠ ألف قتيل تقريباً، ونحو ٢٣٠ ألف جريح.

استغلت الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح الحالة الناشئة لتحقيق ثرائها المطَّرد، إذ لعبت دور المورِّد الرئيسي للمعدات العسكرية والمواد

(١) Encyclopedia of American History / Ed by R. Morris, J. Morris N. Y., 1982, p. 392.

الغذائية، والخامات لبلدان أوروبا المتحاربة. وقد ارتفعت قيمة التصدير الأمريكي خلال أعوام الحرب إلى أكثر من ثلاث مرات (من ٢,٤ مليار دولار في عام ١٩١٤ حتى ٧,٩ مليار في عام ١٩١٩)، وزادت حصة الصادرات في الناتج الوطني الإجمالي للبلاد خلال هذه الفترة من ٦,٢ حتى ٩,٤%[١]. لقد حققت برجوازية الولايات المتحدة الأمريكية أرباحاً هائلة من الإمدادات العسكرية. فمثلاً حصلت «تروست الفولاذ» لمورغان خلال أعوام الحرب العالمية الأولى على أكثر من ٧٠٠ مليون دولار من الأرباح، وبلغ صافي الأرباح العامة خلال أعوام ١٩١٤-١٩١٩ لجميع الاحتكارات الأمريكية ٣٣,٦ مليار دولار[٢].

لقد أمَّنت الوسائل العملاقة التي كانت تحت تصرف الشركات الاحتكارية، استثمارات جديدة ضخمة في الاقتصاد الأمريكي. ولقد رفع النهوض الصناعي الذي بدأ على هذه القاعدة بصورة أكبر أيضاً الثقل النوعي للولايات المتحدة في الإنتاج الصناعي العالمي، في الوقت نفسه الذي انخفضت فيه حصة المنافسين الإمبرياليين الأوروبيين لأمريكا بصورة ملموسة. وبحلول بداية العشرينيات كان حجم انتاج الولايات المتحدة الأمريكية نحو نصف الإنتاج العالمي من الفحم الحجري، و٣/٥ من الإنتاج العالمي من الحديد الفولاذ والحديد الصُّلب، و٢/٣ من استخراج النفط في العالم، و ٨٥% من الإنتاج العالمي للسيارات[٣].

---

(١) Historical statistics of the United States. Colonial Times to 1970. Wash. 1975, p224.

(٢) كلود أ. : إلى أين تسير الإمبريالية الأمريكية- موسكو – ١٩٥١ ، ص٤١ .

(٣) Production Trend in the United States since 1870 N. Y., 1934, p.147.

ومن ثَمَّ كانت النتيجة المهمة لتطور الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩١٤-١٩١٨ إذن هي الزيادة المطَّردة لجبروتها الاقتصادي، والتعاظم الجديد لمواقعها في الاقتصاد العالمي، وتعزيز وضعها الأكثر جبروتاً في العلاقات الاقتصادية لبلدان العالم.

والأهم من كل ذلك هو أن النظام المالي الأساسي الدولي للولايات المتحدة قد تغير بصورة جذرية نتيجة الحرب العالمية الأولى. كانت الولايات المتحدة قبل الحرب متخلفة كثيراً عن الدول الإمبريالية الأخرى من إذ حجم تصدير الرأسمال. وحسب معطيات عام ١٩١٣، بلغ استثمار الولايات المتحدة الأمريكية في الخراج ٢,٦ مليار دولار[١]، أي تقريباً أقل بعشر مرات من استثمارات إنكلترا الخارجية، وست مرات من رساميل فرنسا الأجنبية المستثمرة، و٤,٥ أقل من رساميل ألمانيا الموظفة في الخارج. وفي الوقت نفسه وصلت استثمارات البلدان الأوروبية في الولايات المتحدة الأمريكية بحلول عام ١٩١٤ إلى ٧,٢ مليارات دولار، وهو ما يفوق بصورة ملموسة مقدار الاستثمارات الأمريكية الأجنبية.

إن الزيادة الهائلة في الطلب على المنتجات العسكرية، المتوفرة في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل بلدان التحالف، أدت إلى تقليص حاد للاستثمارات الأوروبية في هذه البلاد. لقد تقلصت بحلول عام ١٩١٩ إلى ٣,٣ مليارات دولار، وفي الوقت نفسه فإن الحاجة إلى ذلك بسبب الحرب صارت بمنزلة حافز لزيادة كبيرة في تصدير الرأسمال الأمريكي، وأصبحت القروض الموجهة للبلدان الأوروبية من أجل تلبية الحاجات العسكرية تأخذ هذا الطابع. لقد

---

(١) الحالة المالية لأوروبا وأمريكا بعد الحرب: فيكس غ. موسكو ١٩٢٦، ص ٣٥٢.

وصل حجمها العام في بداية عام ١٩٢٠ إلى ١١,١ مليار دولار. وبالإضافة لذلك ارتفعت كذلك بصورة حادة خلال الحرب استثمارات الرأسماليين الأمريكان خارج الحدود: بلغت في بداية العشرينيات نحو ٧ مليارات دولار[١]. وهكذا أصبحت النتيجة المهمة الثانية للحرب هي تحول الولايات المتحدة إلى دائن أساسي. ولهذا بالذات أصبحت نيويورك آنذاك المركز المالي الدولي.

لقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة التطور الاقتصادي العاصف في سنوات الحرب مرحلة جديدة من تطورها الصناعي، وتحولت في بداية عام ١٩٢٠ إلى بلاد صناعية عالية التطور. ومع بلوغ العدد العام لسكان الولايات المتحدة الأمريكية ١٠٥,٧ ملايين نسمة، حسب إحصاء عام ١٩٢٠، فإن عدد سكان المدن في البلاد (٥٤,٢ مليون نسمة) قد تجاوز لأول مرة في تاريخ البلاد عدد السكان الزراعيين (٥١,٥ مليون نسمة). ومن أصل ٤٢ مليون نسمة من السكان القادرين على العمل في الولايات المتحدة الأمريكية كان هناك ٢٥ مليون عامل تقريباً (نحو ٦٠%) يعملون في الصناعة، والنقل، والزراعة وفي مجال الخدمات[٢].

لقد سيطرت الاتحادات الاحتكارية الكبيرة في مرحلة الإمبريالية على اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية بصورة متينة. وقد سرَّعت النهضة الاقتصادية الناتجة عن متطلبات الحرب عملية تمركز الإنتاج والرأسمال في الولايات المتحدة بصورة أكبر.

---

(١) التوسع الخارجي للرأسمال: التاريخ والمعاصرة: غريمكو أ. أ. – موسكو ١٩٨٢، ص ٦٠، ٨٤، ٩٩.

(٢) Historical statistics of the United States, p.11, 139-140.

فإذا كانت حصة عدة آلاف من المؤسسات الضخمة التي تبلغ قيمة إنتاجها السنوي أكثر من مليون دولار لكل واحدة، من جميع العمال العاملين في الصناعة التحويلية عام ١٩١٤ نحو ٣٥% ، فإنها وصلت عام ١٩١٩ إلى ٥٧%. لقد ازداد الثقل النوعي لهذه الاتحادات الإنتاجية العملاقة في إنتاج الصناعة التحويلية خلال الحرب العالمية الأولى من ٤٨,٥ حتى ٦٨%[١]. وبعبارة أخرى، إن أكثر من نصف عمال الصناعة وأكثر من ٢/٣ الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية قد تركز في أيدي الاحتكارات الضخمة. وخلال الحرب العالمية الأولى، وفي ظل النهضة الصناعية، انخفض عدد العاطلين عن العمل، وقلَّ العمل الإضافي اليومي، مما رفع بصورة ملحوظة الأجرة الاسمية في أهم مجالات الصناعة والنقل في الولايات المتحدة الأمريكية. إن نمو الأجرة الاسمية خلال بعض الوقت استمر بعد انتهاء الحرب أيضاً. ووفقاً للبيانات الرسمية بلغ المتوسط السنوي لأجور العامل الأمريكي ١٤٠٧ دولارات في عام ١٩٢٠، وزاد بالمقارنة مع مستوى ما قبل الحرب إلى أكثر من مرتين. بيد أن مقاييس ارتفاع الأجرة الواقعية كانت أقل بكثير، وقد تمَّ تسجيل تكلفة الحياة في سنوات الحرب العالمية الأولى وبعد انتهائها بسبب الزيادة المستمرة. وكانت النتيجة حسب المعطيات الإحصائية الحكومية، أن تكلفة المعيشة في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩١٤-١٩٢٠ تضاعفت مرتين[٢]، ومن ثَمَّ فإن ارتفاع الأجرة الاسمية قد انتهى إلى لا شيء.

أما ما يمس حجومها المطلقة، فإنها بقيت لدى الأغلبية الساحقة من عمال الصناعة والنقل، دون التكلم عن العاملين في الزراعة، غير كافية تماماً، لأجل

---

(١) Historical of the fourteenth census of the Unites States. P. 168, 212.

(٢) Historical satistics of the United States, p. 168 – 212.

تأمين الظروف الطبيعية للحياة. ووفقاً لوزارة العمل فإن الحد الأدنى لمعيشة أسرة مؤلفة من خمسة أشخاص في ١٠ من المدن الأكبر في الولايات المتحدة الأمريكية قد تأرجح حتى بداية العشرينيات من ٢ - ٢,٥ ألف دولا في العام. إن دخول أكثر من ٩٠% من الأسر العمالية الأمريكية لم تبلغ هذه المقادير(١).

لقد عانت جماهير واسعة من البرجوازية الصغيرة في المدن والريف صعوباتٍ اقتصاديةً غير قليلة. ورغم ذلك بقي ثقلها النوعي بالنسبة لسكان الولايات المتحدة الأمريكية لا يستهان به، فحسب إحصاء عام ١٩٢٠ تراوح عدد رجال الأعمال الصغار، والتجار، والمزارعين، وأصحاب المهن الحرة الصغار وغيرهم من فئات البرجوازية الصغيرة، ما بين ١٤ - ١٥ مليون نسمة تقريباً، أي لا يقل عن ثلث السكان القادرين على العمل في البلاد(٢)، وكانت دخول أكثرية ممثلي هذه الفئات المتوسطة من السكان غير كافية على الإطلاق. ومن ناحية أخرى فحسب بيانات أحد استطلاعات الرأي الذي أجري في بداية العشرينيات فإن أكثر من نصف الاقتصادات الزراعية قد حصل على دخل سنوي أقل من ١٥٠٠ دولار(٣). أي أقل من الحد الأدنى الضروري للمعيشة بصورة محسوسة. لم يكن وضع الفئات الوسطى من سكان المدن، الذين أفلسوا بسبب الصراع التنافسي الحاد مع التروستات والاتحادات الاحتكارية بأفضل حالاً، فقد تم تسجيل نحو ٨٣ ألف حالة إفلاس تجاري في الولايات المتحدة حتى في سنوات الحرب العالمية الأولى، في ظروفٍ كانت فيها حالة الأسواق الاقتصادية ملائمة نسبياً(٤).

---

(١) Faulkner H. American Politica and Social History N. Y. 1938, p. 650.

(٢) Historical statistics of the United States, p. 129-140.

(٣) Kirkpatrick E. L., the farmer’s standard of living wash, 1926, p. 56.

(٤) Historical statistics of the United States, p. 912.

لقد عمّقت كل هذه العمليات الاقتصادية حالة عدم المساواة في توزيع الدخل القومي بشكل كبير، وهي السمة التي تميِّز المجتمع الرأسمالي. إذ بلغت حصة الأفراد الذين يقومون بالعمل المأجور، حسب المعطيات الرسمية، أي الجزء الأكبر من سكان الولايات المتحدة الأمريكية حتى بداية أعوام العشرينيات ٢ ,٥٣% من الدخل القومي، و ٨ ,٤٨ للبقية، أي نحو نصف الدخل القومي للبلاد، حازت جزءَها الأساسي الفئات البرجوازية من السكان[1].

كانت السيطرة الاقتصادية للرأسمال الاحتكاري قد تعززت من خلال كل جبروت الدولة البرجوازية. وقد عززت هذه السيطرة بدورها في أعوام الحرب العالمية الأولى التدخل المباشر في عملية إعادة الإنتاج الرأسمالي بشكل غير مسبوق. فبهدف التعبئة السريعة لموارد البلاد الاقتصادية لتأمين الاحتياجات العسكرية في الولايات المتحدة في عامي ١٩١٧-١٩١٨ تمّ تشكيل إدارة للصناعة العسكرية برئاسة المليونير ب. باروهوم وعدد من الإدارات الحربية-الاقتصادية الفرعية.

ولقد كان من وظائفها توزيع الطلبيات العسكرية، وتزويد المؤسسات الصناعية بالمواد الأولية، والطاقة، ووسائل النقل والقوى العاملة، وفي كانون الأول عام ١٩١٧ اتخذت حكومة ويلسون قراراً حول وضع كل السكك الحديدية تحت إدارة الدولة المؤقتة.

وأخيراً، تم تعزيز دور المنظومة الاحتياطية الفدرالية بصورة ملموسة من خلال عملية «مركزة» البنوك التي جعلت في أيدي الطغمة المالية والجهاز الحكومي المرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، أداة مهمة للإشراف على الحياة الاقتصادية للمجتمع الأمريكي.

---

(١) المصدر السابق نفسه: ص ٢٣٦.

ولكن من جانب آخر أدى التوسع الاقتصادي- العسكري للدولة البرجوازية في أعوام الحرب إلى زيادة في نفقات الحكومة الفدرالية، ففي عام ١٩١٦، وقبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، بلغت النفقات ٧١٣ مليون دولار، أما في عام ١٩١٨، فبلغت ١٢,٧ ملياراً، أي إنها نمت خلال سنتين فقط نحو ١٨ مرة[١].

اشتدّ كذلك تدخّل الدولة في العلاقات الاجتماعية، ولا سيما فيما يتعلق بالعلاقات بين العمل ورأس المال. لقد رأى رئيس الجمهورية آنذاك ويلسون أن المهام الأساسية للسياسة الاجتماعية للإدارة التي يقودها تكمن في تأمين استمرارية عملية الإنتاج، ومنع الإضرابات، وإقامة «تعاون» بين العمل ورأس المال بهدف تحقيق «السلم الصناعي» في البلاد. وكان على النقابات أن تلعب دوراً لا بأس به في تحقيق هذه الأهداف، حسب رأي رئيس الجمهورية.

وليس من باب المصادفة أن يقوم ويلسون في تشرين الثاني عام ١٩١٧ بإلقاء خطاب كبير في المؤتمر الدوري للاتحاد الأمريكي للعمل (AFL) دعا فيه رئيس البيت الأبيض العمال لرفض النضال الإضرابي، وتركيز جهودهم على المفاوضات حول التعاون مع رجال الأعمال بوساطة هيئات الدولة الاتحادية[٢].

ومن أجل تحقيق هذا النهج السياسي في بداية ١٩١٨، أُنشئت إدارة حربية عام ١٩١٨ للعمل جمعت ممثلين عن أرباب العمل والنقابات. وقد

---

(١) المصدر نفسه: ص ١١٠٤.

(٢) The public papers of Woodrow. War & Peace Presidential Messages Addresses and Public Papers (1917-1924): vol. 1.2 / Ed by R Baker. W. Dodd N.Y.I 1927, vol. 1, p. 121-124.

تضمنت «مبادئ إدارة العلاقات بين العمال وأرباب عمل الصناعة الحربية» المعدّة من قبل هذه الإدارة اعترافاً صريحاً بحقوق العمال بالتنظيم النقابي وبعقد اتفاق مشترك. ومع ذلك، وفي إثر إعلان هذه الحقوق، عرقلت الإدارة الحربية للعمل وبصورة واضحة عملية التطبيق الفعلي لهذه المبادئ من قبل العمال المنظمين، من خلال فرض الالتزام بعدم اللجوء إلى الإضرابات وغيرها من الفعاليات النشطة الأخرى «التي تهدف لمنع العمال الآخرين من الانتساب إلى تنظيمهم، أو إجبارهم على عقد اتفاقيات معهم»[1].

أما فيما يتعلق بأرباب العمل، فإنهم لم يترددوا في دعواتهم المستمرة للرئيس ويلسون كي يظهر ضبط النفس تجاه رفع الأسعار، وعدم السماح بالزيادة اللاحقة لتكلفة المعيشة.

بيد أن النهج الليبرالي الإصلاحي العام لسياسة حكومة ويلسون الاجتماعية أثناء الحرب العالمية الأولى، في ظلِّ الاهتمام الخاص لأرباب العمل والدولة البرجوازية بضمان استمرار عملية الإنتاج، قد خلق وضعاً ملائماً بشكل نسبي لنضال العمال الأمريكيين من أجل تحسين ظروف الحياة والعمل.

إن الانتقال إلى التنظيم الحكومي المباشر للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، الذي جرى في مرحلة الحرب العالمية الأولى، قد شهد أن الرأسمالية الاحتكارية قد تحولت بوتائر سريعة إلى رأسمالية الدولة الاحتكارية.

وقد استمر هذا النهج لرأسمالية الدولة الاحتكارية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. وعلى الرغم من أن حكومة ويلسون قد بدأت مع انتهاء الأعمال

---

(١) اقتباس من بيريلمانز: تاريخ الحركة التريدنيونية في الولايات المتحدة. م ز ل، ١٩٢٧، ص١٦١.

العسكرية تقليصاً تدريجياً لهيئات التنظيم العسكري الفدرالي، فإن الإشراف الحكومي في عدد من الفروع المهمة للصناعة والنقل في الولايات المتحدة الأمريكية، بقي موجوداً، أما حجم نفقات الحكومة الفدرالية فلم تنخفض قط، بل ازدادت. لقد بلغت في عام ١٩١٩ (١٨,٥) مليار دولار، بزيادة ٤٥% مقارنة مع المستوى الأعلى لأعوام الحرب. فقط، في عام ١٩٢٠، وبعد تسريح أعداد كبيرة من الجيش وتقليص الإنتاج الحربي في الولايات المتحدة بدأ التقليص المحسوس للنفقات الحكومية، ولكنها رغم ذلك بقيت من إذ حجمها أكبر بمقدار ١٠ مرات مقارنة مع مستوى نفقات الحكومة الفدرالية بمستواها الأعلى في مرحلة ما قبل الحرب(١).

لقد ترافق تشكل رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية بالتطور المطَّرد للأشكال المتوافقة مع الإيديولوجية البرجوازية.

حاولت حكومة ويلسون في السنوات الأولى بعد الحرب أن تسترشد في سياستها الاجتماعية الاقتصادية - كما في السابق - بإيديولوجيا النيوليبرالية المسلّم بها، التي كانت قد ظهرت في بداية القرن العشرين، في مرحلة «العصر التقدمي» والتي قضت بتدخل الدولة النشط في الاقتصاد، والقيام بإصلاحات ليبرالية جزئية في المجال الاجتماعي. وفي ظلّ تصاعد الصراع الطبقي، الذي أثارته الحلول المطروحة لمعالجة الأزمة العامة للرأسمالية، والتأثير العميق لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، كانت السياسة البرجوازية الإصلاحية مسألة ضرورية بصورة خاصة من أجل تعزيز هيمنة الرأسمال الكبير. وقد فهم الرئيس ويلسون كمؤدلج - بعيد النظر وواقعي - للبرجوازية الاحتكارية في

---

(١) Historical statistics of the United States, p.1104 . 1114.

الولايات المتحدة الأمريكية، أهمية المناورة الاجتماعية البارعة بصورة جيدة، (لقد أعلن في ٢ كانون الأول عام ١٩١٩ في الرسالة السنوية إلى الكونغرس حول حالة البلاد أن الهزات الكبيرة في العالم، التي تتطلب النظر العاجل في الصعوبات المتعلقة بالعلاقات المتبادلة بين العمل ورأس المال تجبرنا على إقامة النظام في بيتنا. وبصراحة، لا يمكن لأي تنظيم دائم ومستقر للعلاقات بين العمل ورأس المال أن يتحقق ما لم يتم الاعتراف بالحقوق الأساسية التي يناضل العمال من أجلها منذ فترة طويلة[1].

ووفقاً لذلك توجه رئيس الإدارة الديمقراطية إلى الكونغرس أكثر من مرة باقتراحات لتعزيز حق العمال بالتنظيم وبعقد الاتفاق الجماعي، وعدم السماح بتأويل التشريع المعادي للتروستات ذاك، الذي ينتقص من مصالح النقابات والاعتراف «بالحق الراسخ» للعمال بالإضراب، ويمكن حينذاك فقط، حسب كلمات ويلسون أن نأمل بإقامة «تعاون طبقي» وثيق بين العمال وأرباب العمل، وضمان بأَلَّا يكون «العمل والرأسمال متناحرين، بل شريكان متساويان في الحقوق»[2].

مع ذلك، تمَّ التعبير بوضوح في كلمات الرئيس ويلسون عن المحتوى الطبقي الحقيقي لهذه الدولة النيوليبرالية، الموجه قبل أي شيء لتعزيز النظام الرأسمالي. لقد أعلن رئيس البيت الأبيض بلا مواربة، أن أية إصلاحاتٍ اجتماعية اقتصادية في ظروف «المجتمع الديمقراطي» يجب أن تتم «بواسطة العملية المنظمة لأداء الحكومة ذات التمثيل» فقط، وأن من يحاول العمل

(١) The state of the Union Messages of the presidents, 1700-1966: vol. 1, 3/Ed by E. Israel N.Y- 1966-1969, vol. 3, p. 2605.

(٢) The public papers of Woodrow. War & Peace, vol. 1, p. 487.

خارج هذه الأطر ويطرح طرقاً ثورية للنضال، يجب أن يُنظر إليه كعدو لأمريكا، ويُعتبر قمعه من أولى واجبات الحكومة[1]. إن الفكرة الرئيسية لجميع كلمات ويلسون المنشورة في عام ١٩١٩ تقريباً، كانت عبارة عن تحذير من خطورة «المثال الروسي» والدعوات للنضال من دون هوادة ضد «رسل لينين بين الأمريكان»[2].

لقد سارت حكومة ويلسون حتى في سنوات الحرب وبصورة خاصة بعد انتصار ثورة أكتوبر في روسيا، مسترشدة بالفلسفة السياسية الاجتماعية تلك، على طريق اضطهاد كل «الراديكاليين الخطرين» في صفوف المشاركين في الحركة العمالية والاشتراكية. وعلى أساس قوانين زمن الحرب الطارئة، التي اتخذها الكونغرس وتشريعات الكثير من مجالس الولايات، إذ تمَّ في عام ١٩١٧ -١٩١٨ اعتقال يوجين ديبس وبعض الشخصيات البارزة الأخرى في الحزب الاشتراكي في أمريكا (CMA)، وكذلك كل قيادة الاتحاد النقابي اليساري «عمال العالم الصناعيين» (UPM) برئاسة وليام هيفورد، وحكم عليهم بالسجن لمدد طويلة.

وقد أصبحت مقاييس «صيد الحمر» هذه بعد انتهاء الحرب أكبر أيضاً. إذ قامت هيئات الحكومة الفدرالية وسلطات الولايات، وقد انتابها «الخوف العظيم الأحمر» بملاحقة جميع من هم معروفون بقناعاتهم الراديكالية، وبصورة خاصة كل من اشتبه بتعاطفه مع روسيا الثورية أو بمحاولته لنقل مبادئ «البلشفية» المكروهة من البرجوازية إلى الولايات المتحدة. علاوة على ذلك، فقد تعرضت حتى الشخصيات الإصلاحية من الحزب الاشتراكي في

---

(١)The state of the Union Messages of the presidents, vol. 3, p. 2608.

(٢)The public papers of Woodrow Wilson war & peace, vol. 2, p. 108.

الولايات المتحدة الأمريكية للملاحقة. وهكذا، تم في كانون الثاني عام ١٩١٩ تجريد زعيم الجناح اليميني للحزب الاشتراكي فيكتور بيرغر من عضويته في الكونغرس. وفي كانون الثاني عام ١٩٢٠ طرد المجلس التشريعي لولاية نيويورك من عضويته خمسة اشتراكيين، منتخبين قبل ذلك العام بفترة قصيرة في الجمعية العمومية للولاية من قبل سكان نيويورك. وقد بلغت ردود الأفعال تجاه حالة «الخطر الأحمر» المزعوم ذروتها في مطلع ١٩١٩-١٩٢٠. إذ قامت الشرطة وبأوامر من وزير العدل في الولايات المتحدة الأمريكية م. بالمير بمطاردة واسعة لـ «الراديكاليين» في جميع أنحاء البلاد، وتمَّ إلقاء القبض على نحو ١٠ آلاف شخص من العمال وممثلي المثقفين التقدميين، وزجهم في السجون، أو نفيهم إلى خارج البلاد أثناء ما عرف بـ «حملات بالمير».

لقد عملت الجماعات والاتحادات الشوفينية والعنصرية خلال حملة «صيد الحمر» تلك على توسيع نشاطها التخريبي، ولعب «الفيلق الأمريكي» - جمعية المحاربين القدماء، المؤسسة عام ١٩١٩، بمبادرة من الضباط الرجعيين، دوراً خاصاً آنذاك. إذ تمَّ توظيف فروع الفيلق التي انتشرت في جميع أنحاء البلاد أكثر من مرة من أجل التنكيل بأعضاء منظمات العمال الراديكالية. وهكذا هاجمت، في كانون الثاني عام ١٩١٩، مجموعة كبيرة من الفيلق مقر المنظمة المحلية «عمال العالم الصناعيين» في بلدة سينترليل غير الكبيرة في (ولاية واشنطن)، وخطفت مجموعة من العمال الذين كانوا موجودين هناك، وأقاموا محكمة ليتش لمحاكمة او. إيفيرست وهو أحد الأعضاء النشطين في فرع «عمال العالم الصناعيين» الذي تجرأ على إبداء مقاومة لإساءات أعضاء الفيلق. إن مقتل إيفيرست كان إشارة لتحطيم منظمة «عمال العالم الصناعيين» في جميع أنحاء الولاية. إن «بطولات» أعضاء الفيلق في سينترليل أصبحت مثلاً بالنسبة للكثير من منظمات «الفيلق الأمريكي»

الأخرى، الذي كان يعتبر في تلك السنوات الأداة المهمة لمجموعات الرأسمال الكبير الرجعية في النضال ضد قوى الحركة العمالية اليسارية.

لقد خلق منهج الرجعية الاحتكارية الموجه لقمع أي مظهر من مظاهر الراديكالية وضعاً ملائماً لانبعاث فرق كوكلوس - كلان الإرهابية. التي بدأت نشاطها في إطار المرحلة الجديدة في عامي ١٩١٩-١٩٢٠ بالذات، أي في مرحلة احتدام النضال ضد «الخطر الأحمر» المزعوم نفسه. إذ وسع أعضاء كوكلوس - كلان آنذاك من هجماتهم التخريبية لتشمل عدداً من الولايات الشمالية، من دون أن تكون محصورة فقط على الولايات الجنوبية، حاملين معهم موجة من الإرهاب الدموي ليس فقط ضد الزنوج، وإنما ضد جميع «الأجانب» و«الراديكاليين» عموماً. لقد وُجد في صفوف كوكلوكس - كلان لغاية عام ١٩٢٠ مئات الآلاف من الأعضاء[١].

إن هجوم المجموعات الرجعية الأكثر تطرفاً على مواقع القوى الديمقراطية في البلاد جرى تحت شعارات «الدفاع عن الأمركة» الوطنية. ومن منصات الكونغرس والمجالس التشريعية في الولايات، والمنابر الكنسية وصفحات الجرائد والمجلات، ومن يوم إلى يوم كانت تدوي النداءات الهستيرية لـ «إنقاذ» أمريكا من البلشفية وغيرها من «التأثيرات الأجنبية الهدّامة». إن أي انحراف مهما كان قليلاً عن العقيدة الرسمية أو رفض الإطراءات التقليدية لـ «نمط الحياة الأمريكية» كان ينتمي إلى طائفة الأعمال «المعادية للوطن». وحسب كلمات أحد غلاة الدعاة لـ «الأمركة»: (كان من الجيد لأجل النضال ضدها استخدام أية وسائل حتى تلك، التي كان يمكن «اقتناؤها من أقرب مخزن للسلاح»[٢]).

---

(١) إينانوف ب. ف. وليسنيفسكي اي. ف. كو-كلوس-كلان ، موسكو، ١٩٨١، ص٤٨.

(٢) Aleen F. only yesterday N.Y, 1959, p.41.

لقد تحدث عضو مجلس الممثلين الاشتراكي ماير لندن في خطابه في الكونغرس شباط عام ١٩١٩: (إن أسوأ شيء هو أنه سرعان ما يتم إلصاق بطاقة البلشفية على أية حركة جديدة أو فكرة مبتكرة، أو رأي حديث، أو أي اقتراح غير عادي. لا تجب الآن المناقشة مع الإنسان الذي يطرح فكرة جديدة، ولأجل رفضها يكفي القول: «إنها بلشفية»[١].

إن حملة الرجعية الاحتكارية ضد جميع قوى التقدم قد دعمتها بصورة نشيطة الأوساطُ المحافظةُ في الكنيسة البروتستانتية. ففي عام ١٩١٩ وحدت هذه الأوساط جهودها في المؤتمر الذي عقد في فيلادلفيا، وشكلت الجمعية المسيحية العالمية للبروتستانتيين المحافظين[٢]. إن أتباع هذه التعاليم الدينية، وبصورة خاصة الأعداد الغفيرة في المناطق الزراعية المتخلفة في الجنوب والغرب كانوا من أنصار التفسير الأرثوذكسي (الجاحد) لجميع العقائد الإنجيلية. وفي مقابل تعاليم المسيحية الاجتماعية، التي وقفت بنشاط آنذاك كوجه ديني آخر فريد من نوعه لليبرالية البرجوازية الإصلاحية، كانت البروتستانتية المحافظة تدافع عن فكرة ثبات النظام الاجتماعي الديمقراطي القائم للولايات المتحدة، وتوجيه اللعنة لكل الليبراليين والراديكاليين، والأخص المبادئ الاشتراكية.

كان أحد أهم شعارات المدافعين المتحمسين لـ «الأمركة» هو المطالبة بإقرار «القانون الجاف». كانت المنظمات العديدة المناهضة لتعاطي الكحول والمتواجدة في البلاد منذ زمن طويل، التي كانت تبشر بالعقيدة البروتستانتية حول الضرورة والرغبة في رفع المستوى الأخلاقي للحياة لجماهير السكان الواسعة عن طريق

(١) Congressioal Record, vol. 57, p. 3230.

(٢) نيكيتين ف. أ. النضال داخل الكنيسة البروتستانتية في الولايات المتحدة وحركة البروتستانتيين الأكثر يمينية - في كتاب: الحولية السنوية عام ١٩٧٩.

الأعمال الاجتماعية الهادفة لمنع أو على الأقل الحد من استهلاك الكحول، كانت هي الأكثر نشاطاً في هذه الحملة الدعائية. إنَّ الدعاية لمنع إنتاج واستهلاك المشروبات الروحية قد دعمها من قسم مهم من دوائر الأعمال، الذين أعطوها طابع «الحركة الوطنية»، وذلك في ظروف الحرب، عندما زاد تصدير القمح بصورة ملموسة، وعندما كان الرأسمال الكبير مهتماً بصورة خاصة بسير الإنتاج من دون توقف، وبالزيادة الكبيرة لإنتاجية عمل العمال.

لقد أقر الكونغرس في كانون الثاني عام ١٩١٧ «القانون الجاف» بمنزلة التعديل (١٨) في دستور الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مرحلة تصديق هذا التعديل من قبل الولايات، وبعد أن أصبح نافذاً في كانون الثاني عام ١٩٢٠ صار هذا القانون الجاف بصورة متعمدة مركز النضال السياسي في البلاد . أما أكثر هذه التعديلات حربية فإنها كانت تظهر خصوم هذه الوثيقة التشريعية كـ «بلاشفة» و «هدّامين للحضارة».

إن اشتداد النزعات التنكيلية التي ارتسمت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في السياسة الداخلية، وتنشيط قوى الرجعية الاحتكارية، والظرف العام من عربدة الشوفينية والتعصب تجاه كل مظاهر الراديكالية ، انعكس كل ذلك بصورة غير مؤاتية كثيراً على آفاق القوانين الاجتماعية وعلى حالة علاقات العمل.كان نهج حكومة ويلسون الهادف لبعض التوسيع في حقوق العمال، وللاعتراف بالحقوق البسيطة المتعلقة بتنظيم النقابات، وعقد الاتفاقات الجماعية والقيام بالإضرابات، قد رفض بصورة قاطعة من قبل أرباب العمل.

إن المجموعات الأساسية من البرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعززت، وازدادت قوة أكثر فأكثر في سنوات الحرب، والواثقة

من قوتها تماماً، كانت مبنية بصورة لا تقبل المهادنة. كانت مستعدة للهجوم الحازم على الطبقة العاملة، لأجل نزع جميع المكتسبات التي حصلت عليها منذ فترة غير بعيدة. ليس من المدهش أن البيانات الليبرالية للرئيس ويلسون حول مناقشة «أية أشكال للقمع»، وحول التوصل إلى «شراكة متكافئة» بين العمل ورأس المال، وحول الاعتراف بأبسط حقوق العمال في هذه الظروف، قد تمت ملاقاتها من قبل التجمعات الأكثر أهمية للبرجوازية بتأفف معلن.

كانت المقاومة الشرسة للرأسمال الكبير السبب الرئيسي لفشل المؤتمر الصناعي الوطني، الذي دعا لانعقاده الرئيس ويلسون في تشرين الأول عام ١٩١٩ بهدف تحقيق نواياه بإضعاف التوتر الاجتماعي في البلاد، وإقامة «السلم والانسجام في الصناعة».

لقد سعى الائتلاف المتماسك لممثلي اتحادات أرباب العمل بكل ما لديه من جهد لإيقاف إقرار اقتراحات مندوبي النقابات حول حقوق العمال بالتنظيم والاتفاقيات الجماعية، وبعد مناقشات غير مثمرة استمرت أسبوعين، أوقف المؤتمر عمله، دون اتخاذ أي قرار. ولم تكن محصلة المؤتمر الصناعي الثاني الذي تم انعقاده في كانون الأول عام ١٩١٩ - كانون الثاني عام ١٩٢١ تصب في مصلحة العمال أيضاً. لقد تجنب القائمون على المؤتمر بحث المسألة الأكثر أهمية وهي الاعتراف بالنقابات، وتمَّت الاستعاضة عن ذلك بتقديم ما عُدَّ بمنزلة الطرح الإيجابي الوحيد حول توسيع ما يسمى «التمثيل العمالي» أي برنامج بناء تابع بشكل كُلِّي لاتحاد أرباب العمل[1].

---

(١) سيفاتشيف ن. ف. الولايات المتحدة: الدولة والطبقة العاملة (منذ نشوء الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية) عام ١٩٨٢ . ص من ٩٥-٩٩ ومن ١٠٨ – ١١٠.

قُوبلت تصريحات الرئيس ويلسون التي صبت في مصلحة التشريع الاجتماعي الليبرالي بصورة عدائية في الكونغرس، إذ حصل الجمهوريون على أكثرية كبيرة في الانتخابات الفرعية عام ١٩١٨. وطالب التكتل الجمهوري في الكونغرس الذي كان يعكس وجهة نظر المجموعات القيادية للبرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، بتقييد صلاحيات الرئيس، والقضاء بأسرع ما يمكن على المراقبة الحكومية في جميع فروع الاقتصاد وعدم السماح في المستقبل لتطبيق أية «تجارب بروح الحرية الجديدة»[١].

لقد اتخذ ويلسون في وجه هذه الدعوة الصريحة من قبل الجمهوريين موقفاً غير منطقي، مقيداً فقط عدداً من الأعمال الليبرالية، دون أن يقف في وجه النهج الرجعي للحزب الجمهوري، أو يقدم أي برنامج ملموس للإصلاحات الاجتماعية، أضف إلى ذلك أن المرض الذي أصاب الرئيس في خريف عام ١٩١٩ لعدة أشهر حرمه من إمكانية ممارسة دوره بصورة فعّالة، وقد تزامن ذلك مع تصاعد النزعة المحافظة في السياسة الداخلية لمكتبه بصورة أكبر. ولذلك فإن التدبير المتخذ من قبل إدارة ويلسون بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى الذي يكاد يكون وحيداً في التشريع الليبرالي كان إجراء تعديلات في دستور الولايات المتحدة الأميركية حول إعطاء الحقوق الانتخابية للنساء عبر الكونغرس الذي دخل حيز التطبيق في آب عام ١٩٢٠، بعد التصديق عليه في ٣/٤ الولايات.

لقد حدث تحرك إلى اليمين في سياسة حكومة ويلسون الاجتماعية- الاقتصادية في عام ١٩١٩-١٩٢٠ بصورة عامة، وتجلى ذلك بشكل واضح في

(١) Murray K. the politics of normalcy N.Y. 1973, p. 39.

القانون الجديد لسكك الحديد عام ١٩٢٠، الذي أنهى الإدارة الحكومية للسكك الحديدية، وأعادها إلى ملكية مالكيها السابقين الخاصة، و أمّن لشركات السكك الحديدية مستوى عالياً من الأرباح(١). ومع أنه قد تم الاعتراف في نص القانون الجديد بعقد الاتفاقات الجماعية، كان هذا الاعتراف إعلامياً فقط، أما أجهزة التحكيم الحكومية التي أُنشئت بشروط قانون عام ١٩٢٠، وبروح الصدام مع العمال فقد أخذت تدعم أكثر فأكثر مالكي السكك الحديدية في صراعهم مع العمال. لذلك لم يكن مصادفةً أنْ قيَّمت الهيئات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية القانون الجديد المتخذ والمتعلق بالسكك الحديدية على أنه أحد المظاهر للنزعات الرجعية الشديدة في حياة البلاد السياسية(٢).

إن تحول المجموعات الأساسية للبرجوازية الاحتكارية نحو النهج السياسي الرجعي، ورفض الأكثرية الجمهورية في الكونغرس إجراء أية إصلاحات ليبرالية مهما كانت، والتراجع التدريجي لإدارة الديمقراطيين عن سياسة البرجوازية الإصلاحية - إن كل هذا قد أدى إلى تغيرات ملموسة في الوضع السياسي في البلاد، ظهرت بكل وضوح في سير الحملة الانتخابية عام ١٩٢٠.

٢ - الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٠-١٩٢١

الجمهوريون في السلطة

في صيف عام ١٩٢٠ حلَّت الأزمة الاقتصادية محل النهضة التي نشأت في أعوام الحرب وما بعدها. وأظهرت مشكلة فائض الإنتاج الأولى بعد

---

(١) Documents of American History, vol. I, 2/Ed by H Commager Englewood Cliffs (Nj), 1973, vol. 2, p. 165-167.

(٢) Nation, 1920, Mar, 6, p. 284.

الحرب التي تفجرّت على قاعدة الأزمة العامة للرأسمالية، التناقض الحاد بين الجهاز الإنتاجي للصناعة الأمريكية المتضخم على قاعدة الطلبيات الحربية، وسوق التصريف الضيق نسبياً، المحكوم في نهاية المطاف بالقدرة الشرائية المنخفضة للكتلة الأساسية من السكان.

لقد أحدثت الأزمة الاقتصادية عامي ١٩٢٠-١٩٢١ انهياراً في جميع مجالات الحياة الاقتصادية للبلاد. إذ تقلص حجم الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نيسان عام ١٩٢١ بالمقارنة مع تموز عام ١٩٢٠ إلى ٣٢% بالمتوسط[١]. وفي فروع الصناعات الثقيلة الأكثر أهمية فإن تقلص الإنتاج كان أكبر أيضاً. وهكذا فقد تراجع الإنتاج السنوي للفولاذ إلى أكثر من نصف مستوى الإنتاج ما قبل الأزمة (من ٤٦,٢ مليون طن إلى ٢١,٧ مليون طن) في عام ١٩٢١، وتقلص إنتاج الآلات بحدود مرتين تقريباً، وانخفض استخراج الفحم الحجري بصورة حادة.

وبدأت الصناعة الأميركية انطلاقاً من ربيع عام ١٩٢١ بالخروج تدريجياً من الأزمة القائمة، ولكن لم تصل معدلات الإنتاج إلى المستوى الأقصى لما قبل الأزمة إلا في نهاية عام ١٩٢٢ فقط. ولقد جرى تدهور حاد لوضع الطبقة العاملة في ظروف الأزمة الاقتصادية، وازداد عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة من ١,٢ مليون إلى ٩,٤ ملايين، أي بمقدار الضعف، أما حصة العاطلين عن العمل من إجمالي عدد القوى العاملة المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ارتفعت خلال تلك المرحلة من ٢,٥ حتى ١١,٧%.

(١) الأزمات الاقتصادية العالمية، ١٨٤٨-١٩٣٥، الأجزاء ١-٣، موسكو، عام ١٩٣٧-١٩٣٩الجزء الأول، ص ٣٥٣.

لقد جرَّ التقلص المحسوس لمتوسط أجور العمال الأمريكان السنوي (حسب المعطيات الرسمية تقلصت الأجور من ١٤٠٧ حتى ١٢٣٣ دولاراً) وراءه انخفاضاً واضحاً في مستوى حياة الطبقة العاملة. وخلقت الأزمة الاقتصادية ظروفاً بالغة الصعوبة هددت وجود بورجوازية المدينة الصغيرة والمتوسطة. إذ تسارعت عملية إفلاس الفئات المتوسطة في المدينة بصورة ملموسة: خلال ثلاث سنوات فقط، من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٢ حدثت نحو ٥٢ ألف حالة إفلاس تجارية[١].

وقد تزامنت أزمة فائض الإنتاج في الصناعة مع أزمة زراعية عميقة ومدمرة. إذ انخفضت أسعار البضائع الزراعية الأساسية بحلول ربيع عام ١٩٢١ بالمقارنة مع صيف عام ١٩٢٠ بمقدار ١/٢-١/٣[٢]، وقلص الهبوط العاصف في الأسعار من مداخيل المزارعين: فقد بلغ إجمالي الدخل الزراعي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٩ وقبل حلول الأزمة الزراعية ٩, ١٧ مليار دولار، أما في عام ١٩٢١، فقد هبط إلى ٦, ١٠ مليارات، أي بمعدل انخفاض أكثر من ٤٠%.

إن أزمة فائض الإنتاج في الزراعة أخذ طابعاً متواصلاً. لقد استمر بالتناقص حتى بعد أن دخلت صناعة الولايات المتحدة في مرحلة النهوض الدوري. ويُفسر ذلك الأمر بالتخلف التاريخي للزراعة، وازدياد استغلال المزارعين المتواصل من قبل الاحتكارات، الأمر الذي أدى إلى صرف النظر عن توظيف الرساميل المالية الكبيرة في المجالات الإنتاجية وأعاق لفترة طويلة عملية التغلب على الأزمة الزراعية. وفي عام ١٩٢٢-١٩٢٣ ارتفع

(١) Historical Statistics of the United States, p. 138, 589, 693, 701, 912.
(٢) Agriculture Yearbook, 1925, wash. 1926, p. 764, 962.

إجمالي دخل المزارع الأمريكية حتى ١١-١٢ مليار دولار فقط، وبقي منخفضاً بصورة ملموسة عن مستوى ما قبل الأزمة[١].

إن الهبوط الحاد في أسعار السلع الزراعية، وانهيار ربحية الاقتصادات الزراعية، جعل من مسألة تعويض النفقات الإنتاجية البسيطة بالنسبة للكثير من المزارعين أمراً صعباً بصورة استثنائية، هذا من دون الحديث عن السداد المنتظم للديون والضرائب. وأصبحت الخسائر المتزايدة للكثير من المزارع الصغيرة والمتوسطة سبباً لموجة جديدة من الإفلاسات والبيع القسري للملكيات الزراعية. الأمر أكسب عملية إفلاس الإنتاج الصغير في الزراعة طابعاً جماعياً: في بداية أعوام العشرينيات، وفي مرحلة التفاقم الأشد للأزمة الزراعية، أفلس، وفقد الحق في ملكية مزرعته نحو ٤٥٠ ألف مزارع أمريكي. الأمر الذي تسبب في انتقال أعداد كبيرة من السكان العاملين في الزراعة إلى المدن: خلال أعوام ١٩٢١-١٩٢٣ تجاوزت الخسارة الصافية للسكان المزارعين في الولايات المتحدة الـ ٢ مليار دولار[٢].

وهكذا، فإن الأزمة الاقتصادية في عامي ١٩٢٠-١٩٢١ قد فاقمت الأوضاع المعاشية لأوساط واسعة من الكادحين. إذ انخفض المستوى الحياتي لملايين العمال والمزارعين بصورة حادة. وأصبح كل ما حققوه خلال مسيرة نضالهم الدؤوب لأعوام طويلة، تحت الخطر. وكانت نتيجة هذه التغيرات غير المواتية في الحالة الاقتصادية وفي وضع الكتلة الأساسية من سكان الولايات المتحدة هي ازدياد حالة التردي المتواصل للوضع السياسي في البلاد.

---

(١) Historical Statistics of the United States, p. 483.

(٢) Hicks J. D. Republican Ascendancy, 1921-1933, N.Y., 1963, p. 199. Historical Statistics of the United States, p. 96.

وقد ظهر استياء الفئات الواسعة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية خلال حملة الانتخابات الدورية عام ١٩٢٠. غير أن أكثرية العمال والمزارعين لم تخرج هذه المرة أيضاً في نشاطاتها السياسية خارج إطار منظومة الحزبين التقليديين. إذ انصب غضب الجماهير على الحزب الموجود في السلطة. والحق يقال، إن الخطة الانتخابية للحزب الديمقراطي في عام ١٩٢٠ احتوت على عبارات اصطلاحية من «العصر التقدمي». كانت تشدد على دور تنظيم الدولة في التعبئة الفعالة لجهود البلاد الحربية، وكانت تمجّد السياسة الاجتماعية الاقتصادية للديمقراطيين، وبصورة خاصة إنشاء النظام الاحتياطي الفدرالي كأداة مهمة، الأمر الذي يضمن من وجهة نظرها الاستقرار الاقتصادي والمالي(١). بيد أن التحرك الواضح إلى اليمين في النهج السياسي لحكومة ويلسون بعد نهاية الحرب قد خلّف وراءه انهياراً لسمعة الرئيس والحزب الذي يقوده في أعين الناخبين. وأصبح وضع الديمقراطيين ميؤوساً منه تماماً مع حلول الأزمة الاقتصادية في صيف عام ١٩٢٠، التي حملت للكادحين كوارث جديدة، وقد استثمر الجمهوريون ذلك باقتدار.

ومما لا شك فيه أن أحد العناصر المهمّة التي لعبت دوراً مهماً في تحديد نتائج الحملة الانتخابية عام ١٩٢٠، أن تقاليد النزعة الفردية في الولايات المتحدة ظلت قوية جداً، وتكرر بصورة ملموسة في بداية العشرينيات مشهد الوقوف إلى جانب الحد من تدخل الدولة في حياة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية. لقد قام الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية أو. تافت، الذي كان يشغل مكاناً بارزاً بين شخصيات الجناح المحافظ في الحزب

(١) National Party Platforms, 1840-1972/compl by O. Johnson, K. Parterurbana (111).

الجمهوري بإدانة حادة لـ «مرض النشاط التشريعي المفرط» معبراً بذلك عن هذه الأمزجة(١).

لقد عُدَّ تنظيم الدولة الذي لجأت إليه حكومة ويلسون في ظروف الحرب الاستثنائية، انحرافاً آنياً عن مسار التطور الطبيعي. وهذا هو السبب الذي جعل شعار الحزب الجمهوري «إلى الوراء نحو النظام الطبيعي» في عام ١٩٢٠ يلقى صدىً واسعاً بين الناخبين، الذين استقبلوا بمعظمهم باستحسان بيان مرشح الحزب الجمهوري لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وورين هاردينغ حول ضرورة العودة السريعة إلى «النظام الطبيعي والمستقر للأشياء»، والذي يلغي أي «تجاوزات» في نشاط الحكومة الفدرالية، كانت مُميِّزة لمرحلة الإدارة الويلسنية حسب رأي الجمهوريين.

في هذا الوضع أحرز الحزب الجمهوري انتصاراً حاسماً في انتخابات عام ١٩٢٠. لقد جمع و. هاردينغ ١٦١٤٣ صوتاً وحقق لنفسه ٤,٤ نقاط اقتراعية، في الوقت الذي حصل فيه مرشح الديمقراطيين ج. كوكس على ٩١٣٠ صوتاً فقط، و ١٢٧ نقطة اقتراعية لا غير(٢).

لقد احتل الجمهوريون أكثرية صلبة في كل من غرفتي الكونغرس. وعاد الحزب الجمهوري إلى السلطة بعد انقطاع دام ثماني سنوات. ودخل في عداد الحكومة المشكَّلة من قبل و. هاردينغ ممثلو المجموعات المحافظة من الحزب الجمهوري بصورة أساسية. ولعب الدور الأكثر أهمية من بين

(١) Taft W. Liberty under law. An interpretation of the principle of our constitution of government. New Haven (conn) 1921, p. 40

(٢) Historical Statistics of the United States, p. 1073.

أعضائها كل من وزير المالية ي. ميللون، الذي كان رئيس واحدة من أكثر المجموعات الاحتكارية الجبارة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك وزير التجارة غ. هوفر، وهو رجل أعمال وسياسي معروف، مرتبط بصورة وثيقة مع الأوساط النافذة للرأسمال الكبير. لذلك ليس بمستغرب أن يكون النهج السياسي للإدارة الجديدة محافظاً جداً. لقد أخذت الحكومة الفدرالية مع مجيء الجمهوريين إلى السلطة، دور الأداة المطيعة في أيدي الطغمة المالية العليا. وحسب الملاحظة العادلة للمؤرخ الأمريكي البارز أو. ليكسيبرغ تطابقت «المصالح الخاصة لرجال الأعمال بصورة واضحة»[١].

لقد وقفت حكومة هاردينغ منذ البداية وبصورة حازمة ضد سياسة تنظيم الدولة، فمنذ الخطوات الرسمية الأول دعا الرئيس الجديد إلى تقليص محسوس للنفقات الحكومية. وأعلن نهجه هذا بحيوية في كانون الأول عام ١٩٢١ في رسالته السنوية إلى الكونغرس حول حالة البلاد.

لقد صرح هاردينغ وبصورة واضحة عن عدم القبول بـ «تركيز القوة المفرطة للسلطة في أيدي الحكومة الفدرالية»[٢]. وتحت شعار العودة إلى «النظام الطبيعي» طالب الرئيس نفسه، والشخصيات الأخرى أيضاً في الإدارة الجمهورية بالاستعادة السريعة لتلك «المبادئ الأمريكية الحقيقية» مثل مبادئ «النزعة الفردية الراسخة» وعدم تدخل الدولة في شؤون المجتمع الاقتصادية والاجتماعية. وعبّر عن هذه الأفكار بوضوح متناه أحد أبرز قادة الحزب الجمهوري - عضو مجلس الشيوخ هنري كابوت لودج. الذي أعلن في خطابه

---

(١) Leaching W. the perils of prosperity, 1914-1932, Chicago, 1958, p. 245.

(٢) The State of Union Messages of the Presidents, vol. 3, p. 2617.

أمام الكونغرس في تموز عام ١٩٢١ ما يلي: «بمقدار ما تتدخل حكومة الولايات المتحدة بصورة أقل من الآن فصاعداً في شؤون عالم الأعمال، بمقدار ما يكون ذلك أفضل»[١].

وقام وزير التجارة هـ هوفر في كرّاسه «النزعة الفردية الأمريكية» الذي صدر في عام ١٩٢٢ باستعراض أسس نظرية وممارسة النزعة الفردية البرجوازية. مؤكداً فيه أن تحقيق المبادئ الفردية يعني تحقيق «تساوي الإمكانيات» من أجل أن يلعب كل مواطن الدور «الذي يتوافق مع تعليمه، وقدرته، وإمكانياته وطموحاته»[٢].

و اختصر هوفر مهمات الدولة في الدفاع عن مسألة «تكافؤ الفرص» البرجوازية هذه لا غير، نافياً بصورة قطعية حقّ الحكومة الفدرالية بالتدخل المباشر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع. ولقد تابع يقول: إن «دعم المبادرات والإمكانيات الإبداعية للأمريكان ووضع حدٍّ لكل تلك القوى التي تقود إلى انتهاك تكافؤ الفرص - هو الهدف المزدوج، الذي يجب أن تسعى إليه الحكومة[٣]».

لقد لعبت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية دوراً كبيراً في الاتجاه الجديد لسياسة الحكومة الفدرالية الاقتصادية - الاجتماعية في بداية العشرينيات، إذ استطاعت إدارة هاردينغ خلال فترة قصيرة من نشاطها أن تعين أربعة أعضاء جدد ضمن تشكيلتها اتضح كما كان متوقعاً، أنهم رجعيون راسخو العقيدة. كان من بينهم الرئيس الجديد للمحكمة العليا - الرئيس السابق للولايات المتحدة و. تافت.

---

(١) Congressional Record, vol. 61, p. 4156.

(٢) Hoover H. , American Individualism, N.Y., 1922, p. 48.

(٣) Ibid, p. 54.

وقد عارض أغلبية أعضاء هذا المرجع القضائي العالي في الولايات المتحدة أي نزعة ليبرالية مهما كانت، وتحولت إلى «طائفة محافظة متحجرة»[١]. استرشدت المحكمة العليا في قراراتها بصورة دائمة في تلك السنوات بالمبادئ القانونية لـ «حرية التعاقد» و«المراسيم التشريعية الملائمة» مع رفض أي تطاولات على «المبادئ المقدسة للملكية الخاصة». وقدمت الشريحة الأكبر من أعضاء المحكمة العليا وقد اعتمدت على هذه المبادئ القانونية تفسيراً ضعيفاً من إذ الأساس الشرعي لدستور الولايات المتحدة الأمريكية، ودافعت عن مبادئ تقليص صلاحيات الحكومة الفدرالية بالحدود العليا، وحاصرت أية محاولات لنشاط اجتماعي إيجابي للدولة البرجوازية.

لقد حققت حكومة هاردينغ في فترة زمنية قصيرة، وبالتوافق مع الأهداف العامة لإيديولوجية «النزعة الفردية الراسخة»، ما بدأته إدارة ويلسون في تصفية هيئات تنظيم الدولة العسكرية. إذ ألغيت أغلبية المؤسسات الفدرالية التي كانت تقوم بالإشراف الحكومي على عدد من مجالات الاقتصاد المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الحرب وبعد انتهائها بقليل. وتسارعت بعد ذلك عملية بيع أسطول السفن التجارية، الذي بُني في فترة الحرب على حساب التمويل الفدرالي المباشر، بأسعار بخسة. ففي آب عام ١٩٢١ تم بيع أكثر من ٢٠٠ سفينة بمبلغ ٤٣٠ ألف دولار، أي بمبلغ أقل من كلفة بناء كل منها[٢]. لقد ترافقت أفعال الإدارة الجمهورية هذه مع حملة دعائية مكثفة لصالح «العمل الرأسمالي الحر».

---

(١) Murray R. Harding Ema, Warren G. Harding and his administration Minneapolis.

(٢)Trani E. Wilson D. , the presidency of Warren G. Harding. Lawtence (kan), 1977, p. 75.

وترافق مجيء الجمهوريين إلى السلطة بتصاعد النزعات الرجعية في السياسة الحكومية تجاه الطبقة العاملة. ونتيجة لذلك أيّدت هيئات الحكومة الفدرالية بصورة فعالة الحملة المعادية للنقابات من قبل رجال الأعمال. ولم تتخذ إدارة هاردينغ أية إجراءات واقعية مهما كانت لحل مشاكل البطالة عن العمل، التي تفاقمت بصورة ملموسة في ظروف الأزمة الاقتصادية عامي ١٩٢٠-١٩٢١. لقد رفض المؤتمر الخاص حول البطالة الذي عقد في أيلول عام ١٩٢١ بصورة قاطعة مبدأ التمويل الفدرالي بهدف مساعدة العاطلين عن العمل، مكتفياً بالنداءات الموجهة إلى منظماتهم وإلى قدرة رجال الأعمال والسلطات المحلية[١].

لم يكن هناك إمكانية بالطبع للحديث عن أي عملية تفكيك كاملة لرأسمالية الدولة الاحتكارية، لأنه، وحسب التعبير المجازي للمؤرخ الأمريكي الكبير ج. هيكس، «كان من المستحيل إرجاع عقارب ساعة التاريخ إلى الوراء»[٢]. وليس من قبيل المصادفة أن الإدارة الجمهورية فككت كاملاً الهيئات الاستثنائية للتنظيم الحربي فقط، لكنها وضعت تحت الحصانة العتلات الحيوية لرأسمالية الدولة الاحتكارية، مثل المنظومة الاحتياطية الفدرالية التي مارست الرقابة الفعّالة على البنوك، أو اللجنة التجارية الفدرالية التي أنشئت في عام ١٩١٤ بهدف تنظيم الاتحادات، العاملة في التجارة ما بين الولايات.

لقد أجبرت متطلبات تطور الاقتصاد المالي المتشابك في البلاد حكومة هاردينغ الذهاب إلى إنشاء بعض الآليات الجديدة لتنظيم الدولة الاحتكاري. وهكذا، أصدر الكونغرس في حزيران عام ١٩٢١، انطلاقاً من تصور الحكومة

---

(١) سيفاتشيف ن. ف: الولايات المتحدة الأمريكية: الدولة والطبقة العاملة، صفحة ١٤٢-١٤٣.

(٢) Hicks J. D. : The American nation, A history of the United States from 1865 to the present. Cambridge (Mass), 1955, p. 466.

وثيقة مالية خاصة تمَّ النظر بمقتضاها في إحداث عدة مناصب مثل منصب المفتش العام للمالية ومدير مكتب الموازنة. وقد كان كل ذلك مؤشراً واضحاً على النوايا بعدم التراجع فيما يتعلق بتطور الدولة الاحتكاري.

بيد أنه، ومع مجيء الإدارة الجمهورية للسلطة، أصبح واضحاً أن من سيطر في جميع مجالات الحياة الاجتماعية في البلاد ليست مبادئ الدولة الاحتكارية، وإنما مبادئ الاحتكارات الخاصة. ومع أن العملية الموضوعية لجعل العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية لها طابع مؤسساتي، قد استمرت، فإن الليبرالية الجديدة التي ظهرت في فترة «العصر التقدمي» كشكل للدولة الاحتكارية المنبثقة من الإيديولوجية البرجوازية. لم تحصل في بداية أعوام العشرينيات على تطورها المتواصل، وقد أزاحتها النزعة الفردية المحافظة والتقليدية.

لقد أدى رفض حكومة هاردينغ تنظيم الدولة المباشر للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية إلى تقلص حاد في النفقات الحكومية. ففي عام ١٩٢٢، وبعد عام من مجيء الإدارة الجمهورية إلى السلطة، بلغت نفقات الحكومة الفدرالية ٣,٣ مليارات دولار، أي إنها انخفضت بالمقارنة مع عام ١٩٢٠ بمقدار النصف تقريباً(١). صحيح أنها من إذ حجمها قد فاقت بنحو ٤ -٥ مرات الحد الأعلى لمستواها قبل الحرب، الأمر الذي كان يعكس مستوى أعلى لتدخل الدولة في الاقتصاد عما كان عليه في أعوام ما قبل الحرب. ولكن ابتعاد الجمهوريين عن سياسة التنظيم المباشر للدولة وما يرتبط به من تقليص شديد لنفقات الحكومة الفدرالية، كل ذلك كان يشهد على أنه قد جرى تقليص

---

(١) Historical Statistics of the United States, p.1104.

ملموس لنزعات الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة بداية العشرينيات بالمقارنة مع فترة الحرب العالمية الأولى. لقد كان لهذا النهج في السياسة الداخلية عواقب وخيمة جداً على العمال والمزارعين، لأنه حرمهم من أي آمال في المساعدة الحكومية. أما بالنسبة للاحتكاريين الكبار، فعلى الرغم من التضييق الملموس لوظائف الدولة الرأسمالية الاجتماعية - الاقتصادية، فإنهم حافظوا على إمكانياتهم غير المحدودة للحصول على الإعانات الحكومية المختلفة.

كان قانون الضرائب، الذي تمَّ إقراره في تشرين الثاني عام ١٩٢١ أحد الهدايا الكريمة المقدمة من حكومة هاردينغ إلى الاحتكارات. فقد ألغى القانون الجديد الضريبة المفروضة على الربح الفائض للاحتكارات في فترة الحرب، وخفضَّ من الحد الأعلى لمعدل الضريبة على الأشخاص ذوي الدخل العالي من ٦٥ إلى ٥٠%. لقد أكد وزير المالية ي. ميللون وهو يبرر هذه التدابير، أن الحفاظ على «فرض الضرائب الباهظة على الرأسماليين الكبار ليس مفيداً للبلاد، على حد زعمه»، لأنه «يجبر دافعي الضرائب على سحب رؤوس أموالهم من المجال الإنتاجي» و«يشجع الأشكال غير الإنتاجية لاستثمار الرساميل»[١].

وبناء على هذه الأسس العامة اتبعت الإدارة الجمهورية نهجاً لتخفيض الضرائب الفدرالية على أصحاب الملايين بصورة مستمرة. وتمَّ استناداً إلى ذلك إصدار قانون فوردني- ماكامبير للتعريفات الذي كان يصب في مصلحة الاحتكارات، ودخل حيِّز التنفيذ في أيلول عام ١٩٢٢. وقد استندت العملية التعريفية الجديدة إلى مبادئ حماية جمركية شديدة الصرامة أدت إلى زيادة حادة في الضرائب على استيراد البضائع الصناعية المهمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) Mellon A. Fundamental principles of annals of America, Chicago, 1968, vol. 14, p. 446-447.

أدّت إجراءات رفع التسعيرة على التعريفات إلى ارتفاع كبير وسريع في الأسعار في السوق الداخلية. وقد قفزت أرباح الاحتكارات مباشرة إلى الأعلى، وعززت زيادة موارد الشركات الكبرى بصورة ملموسة مواقعها في الصراع التنافسي. وكانت عملية إزاحة الإنتاج الصغير من قبل التروستات والاتحادات الاحتكارية تسير في تلك السنوات بسرعة كبيرة، بحيث أنها ضربت رقماً قياسياً حتى في ظروف الولايات المتحدة الأمريكية. لم يكن هناك ما يمكن خشيته من خلال الاستناد إلى الاتحادات الاحتكارية: فالقوانين المناهضة للتروستات، التي لم تكن أبداً فعّالة، قد تمَّ التوقف عن العمل بها تماماً في بداية العشرينيات، أما «المؤسسات الناظمة، التي أنشأتها الإدارة السابقة، فقد أخذت تمتلئ الواحدة تلو الأخرى بأصدقاء عالم الأعمال نفسه، الذين كان يجب عليهم حسب التوقعات أن يقوموا بضبطها[1]».

لم يقتصر صراع مختلف فئات الاحتكاريين من أجل مضاعفة ثرواتهم على استخدام الوسائل المشروعة وحدها فقط، فمن خلال رجالهم النافذين في جهاز الدولة حصلوا على مختلف الامتيازات من دون أن تكون هناك أية مخالفة قانونية ضدهم.

لقد قدمت إدارة هاردينغ الخاضعة كاملاً للاحتكارات والمصابة بالفساد، لقادة الشركات الكبرى إمكانيات غير محددة للإثراء على حساب سرقة موارد الدولة. فالصناعيان الكبيران العاملان في مجال النفط ي. دوغيني وغ. سينكلير مثلاً استأجرا في أواخر عام ١٩٢١ بعد رشوتهم لوزير الداخلية أ. فول، وبصورة غير شرعية مناطق واسعة من حقول النفط في كاليفورنيا ووايومينغ، والتي كانت

---

(١) Hicks J. D. the American Nation, p. 494.

تدخل في الملاك الاحتياطي للدولة. وكان مثال «بنما النفطية» مثيراً للاهتمام، وعلى طريق الصفقات الاحتيالية مع الاحتكارات انخرط النائب العام غ. دوهرتي، ورئيس المكتب الفدرالي لمساعدة المحاربين القدامى تش. فوريس وغيرهما من الشخصيات الرفيعة في الإدارة الجمهورية. وأصبحت واشنطن مسرحاً للحفلات التهتكية المطلقة العنان من الرشاوى والاختلاسات لأموال الدولة الأمر الذي لم تكن قد شهدته بهذا الشكل منذ فترة طويلة.

كان رئيس الجمهورية نفسه أداة مطواعة في أيدي الاحتكاريين، وشخصية سياسية محدودة، ولم يتميز بأية قيمة فكرية أو رأي مستقل أو شكيمة قوية. لذا لم يكن على الرأسمال الكبير أن يخشى أية أفعال مستقلة للحكومة الفدرالية بعد الآن، كما كان يحدث أحياناً في فترة نشاط ت. روزفلت أو و. ويلسون. لقد تحول رئيس البيت الأبيض إلى شخص ينتظر النصيحة والمساعدة من أرباب العمل الكبار في الحزب الجمهوري. وليس بغريب أن هاردينغ قد تحول منذ البداية إلى بيدق في أيدي الأوساط الاحتكارية المؤثرة، التي كانت تستعمله كما تريد. إن غياب القيادة القوية من جانب الرئيس قد خلق ظروفاً ملائمة بصورة أكبر من أجل ازدهار الفساد. واكتسبت ممارسات بعض أعضاء الإدارة الجمهورية، المشهورين بقربهم من هاردينغ، طابعاً فاضحاً إلى درجة، أصبحت تسيء إلى سمعة الرئيس نفسه. وإن الوفاة المفاجئة لهاردينغ التي أعقبت الثاني من آب عام ١٩٢٣ هي من أنقذته فقط من عار الفضائح المتلاحقة.

احتل منصب الرئيس نائبه كافين كوليدج. كان سيد البيت الأبيض الجديد بدون لون أيضاً، وشخصية سياسية عادية، لكنه وخلافاً لسابقه لم يكن يملك روابط مشبوهة مع الأشخاص المتورطين بالألاعيب الإجرامية،

وظلت سمعته نظيفة. ولذلك فإن ترشيح ك. كوليدج إلى المنصب الحكومي الرفيع كان في محله تماماً بالنسبة لزعماء الجمهوريين، لأنه ساعدهم إلى درجة كبيرة باستعادة السمعة المهتزة للحزب الحاكم في أعين الناخبين.

ولكن بقي الاتجاه العام للسياسة الداخلية للإدارة الجمهورية كما في السابق. لقد رفض رأس البيت الأبيض الجديد بصورة قطعية لا تقل عن سابقه نظرية تنظيم الدولة المباشر للعلاقات الاجتماعية- الاقتصادية. وفي رسالته السنوية الأولى إلى الكونغرس حول حالة البلاد، التي تقدم بها الرئيس في كانون الأول عام ١٩٢٣، انبرى كوليدج بصورة حازمة للدفاع عن مبدأ «المسؤولية الفردية» لكل أمريكي عن نتائج أعماله. فمهمة الحكومة التي تتبع «سياسة أمريكية حقيقية» تنحصر فقط في أن «تدعم الظروف، التي يمكن بواسطتها وبصورة أفضل من أي شيء أن يبرز، وأن يحصل على المكافأة كل إنسان انطلاقاً من إمكانياته»[(١)].

إن ممارسة هذا النهج الفردي- الرجعي في السياسة الاجتماعية- الاقتصادية لحكومة كوليدج قد اقترنت بالدفاع الجنوني عن الاحتكارات.

إن «قضية أمريكا - هي عالم الأعمال» هكذا عبّر الرئيس الجديد عن مبدئه الأساسي الذي يهتدي به. بعد أن أعلن في أحد خطاباته «أن صحة وحكمة السياسة الضريبية، وبصورة عامة السياسة الاقتصادية بأسرها، - لا تتلخص في إعاقة من حقق الازدهار والنجاح، وإنما في خلق الظروف التي يمكن بواسطتها لأي شخص أن يملك حظوظاً متساوية لتحقيق هذه الأهداف»[(٢)].

---

(١) The start of the Union Messages of the Presidents, vol. 3, p. 2650.

(٢) A History of the United States from 1865 to the present, Meridian- Damascus, American History / Ed by F. Elingberg Cleveland New York, 1962, p. 355.

لقد رأت حكومة كوليدج أن المعنى الأساسي لنشاطها يكمن في خدمة مصالح عالم الأعمال، وفي التنفيذ المطلق لكل رغباته. وهكذا، فإن كل السياسة الداخلية للإدارة الأمريكية في بداية العشرينيات كانت تُملى وبصورة واضحة من قبل مصالح الرأسمال الاحتكاري. لم تُأخذ قطُّ بعين الاعتبار حاجات وأمنيات الطبقة العاملة، والمزارعين الكادحين، وبرجوازية المدينة الصغيرة. لقد تحدثت إحدى مقالات مجلة «الأمة» أن الحزب الموجود في السلطة الآن، مخلص بروحه وجسده لفكرة الدفاع عن مصالح عالم الأعمال. أما بالنسبة للناخبين البسطاء، ولتلك الملايين، التي تؤلف أمريكا كما يقولون لنا غالباً، ومهما جرى الحديث في هذا المجال، فإن الإدارة الجديدة لم تحسب لهم أي حساب»[١].

لقد استقبلت جماهير الشعب الأمريكي البسطاء النهج الرجعي للحكومة الجمهورية باستنكار. ففي صيف عام ١٩٢١، كتب أحد سكان شيكاغو إلى الرئيس هاردينغ: «حتى لو أقسم ميللون وهوفر بالإنجيل أنهم يخدمون خير الشعب. فإنني لن أصدق ذلك. أتعلم بأن مجلسكم يفقد ثقة الناخبين؟.. لا تعتبروا ذلك تهديداً فارغاً. إذا لم يتوقف عالم الأعمال الكبير عن التحكم بأعمال الحكومة، فعليكم أن تجنوا العاقبة من شعب أمريكا»[٢].

إن مثل هذا المزاج المشابه قد انتشر آنذاك انتشاراً واسعاً، وهذا ما يفسر بالضبط أن الحركة الجماهيرية الشعبية التي شملت الولايات المتحدة، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، قد استمرت في بداية العشرينيات كذلك أيضاً.

---

(١) Hation, 1921, Sept. 21, p. 315.

(٢) N. Crosby to Warren Harding, July 6, 1921- National Archives, Washington (??. G), Records of the office of the secretary of Agriculture Record Group N 16.

الفصل الثاني

نهوض الحركة العمالية والديمقراطية

أ- النقابات والنضال الإضرابي:

التحركات في الدفاع عن روسيا السوفييتية:

دخلت الحركة العمالية والديمقراطية في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى في فترة نهوض. كان الأساس الموضوعي لهذه المرحلة الجديدة في تطور الحركة الشعبية الجماهيرية يكمن في تفاقم التناقض الطبقي المتواصل في البلاد في ظل نمو نزاعات الدولة الاحتكارية وحلول عصر الأزمة العامة للرأسمالية. وقد لعبت التغيرات في حياة البلاد السياسية دوراً مهماً: اشتداد قوة الرجعية، ورفض الرأسمال الكبير القيام بأية إصلاحات ليبرالية مهما كانت، والتراجع التدريجي لإدارة ويلسون عن سياسة الإصلاح البرجوازية، والانعطاف الحاد إلى اليمين، نحو النهج الفردي الرجعي في السياسة الداخلية للحكومة الفدرالية بعد مجيء الجمهوريين إلى السلطة.

يضاف إلى هذه العوامل الداخلية عامل آخر هو التأثير الفكري- السياسي لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى. وعلى الرغم من أن الأوساط البرجوازية قامت بحملة نشطة من الأكاذيب ضد الجمهورية السوفييتية الفتية، أصبحت الحقيقة عن الأحداث في روسيا تدريجياً ملكاً للطبقة العاملة

والأوساط الديمقراطية. لقد شعر كادحو أمريكا بصورة عفوية أن «الانتصار العظيم في روسيا كان انتصاراً لهم أيضاً»[1]. وكان لكتب وكراسات ومقالات شهود العيان والصحفيين والشخصيات الأمريكية التقدمية مثل جون ريد، وألبرت ر. ولیامس، ولويزا برايان، وكذلك الصحافة الاشتراكية اليسارية، التي كانت قد نشرت على صفحاتها في عام ١٩١٨ أولى مراسيم السلطة السوفييتية، وعدداً من مقالات ف. اي. لينين، بما في ذلك «رسالته إلى العمال الأمريكان»، دوراً كبيراً في تعريف كادحي الولايات المتحدة الأمريكية على القصة الحقيقية للثورة الروسية.

لقد ساعدت التطورات الكبيرة في الحياة الاجتماعية- الاقتصادية والسياسية للمجتمع الأمريكي، وتأثيرات أفكار أكتوبر العظيم على تزايد الوعي السياسي للطبقة العاملة، وللقوى الديمقراطية الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يكن لكل ذلك إلا أن ينعكس على الوضع السياسي الداخلي في البلاد، ويولد ظروفاً مواتية لنهوض حركة شعبية واسعة. ولقد تجلّى شكلها الرئيسي في النضال الإضرابي للطبقة العاملة. وبالمقارنة مع المرحلة السابقة فقد ارتفع هذا النضال الإضرابي للطبقة العاملة إلى درجة جديدة أكثر شموخاً، فإذا كان قد شارك في إضرابات عام ١٩١٧، وفي كل البلاد ١٢٢٧ ألف عامل، فقد وصل عدد المضربين في عام ١٩١٨ - إلى ١٢٤٠ ألف عامل. وفي عام ١٩١٩ بلغ عدد المضربين مستوى قياسياً - نحو ٤١٦٠ ألف عامل[2]. لقد بدأ مجال النضال الإضرابي للطبقة العاملة الأمريكية يأخذ شكلاً عظيماً لم

(١) Foster W. Z.: History of the communist party of the United States, N.Y. 1952, p. 147.

(٢) Strike in the United States, 1880-1936, U.S. department of labor , bureau of la bar statistics bulletin N 651, wash, 1983, p. 39.

يرتقِ إليه سابقاً. فقد حدثت تغيرات مهمة في طبيعة الحركة الإضرابية نفسها. لم ينادِ العمال منذ بداية الحركات الإضرابية الجماهيرية لعام ١٩١٨-١٩١٩ بالمطالب الاقتصادية والسياسية فقط، والتي أصبحت تقليدية بالنسبة لبروليتاريا البلدان الرأسمالية المتطورة (إقرار ٨ ساعات عمل في اليوم، وزيادة أجور العمل، والاعتراف بحق العمال بالتنظيم في النقابات، وبعقد الاتفاقيات الجماعية)، وإنما رفعوا شعارات راديكالية أيضاً تطالب بتأميم عدد من فروع الصناعة والنقل.

وقد حصل مخطط تأميم الطرقات الحديدية، الذي أعدّه المستشار الحقوقي لأخويات السكك الحديدية غ. بلامب على انتشار أوسع في صفوف العمال. وكانت تناقش في أوساط النشطاء النقابيين بصورة حيوية كذلك الاقتراحات حول تأميم مناجم الفحم ومؤسسات الطاقة المائية، وخطوط التلغراف والتلفون وغيرها من فروع الخدمات الاجتماعية. ولم يستطع حتى اتحاد العمل الأمريكي أن يبقى بعيداً عن هذا البرنامج الكفاحي للنشاط. ولقد وافق الكونغرس الدوري لاتحاد العمل الأمريكي في عام ١٩١٩ على خطة بلامب، وتمت الموافقة بأكثرية الأصوات على قرار المطالبة بإقرار «ملكية الدولة للطرقات الحديدية أو إشراف الدولة عليها»[1].

لقد ظهر تنامي الوعي السياسي والتضامن الطبقي للبروليتاريا الأمريكية في أولى الفعاليات الإضرابية الضخمة في مرحلة ما بعد الحرب. وكان الإضراب العام في سياتل في شباط عام ١٩١٩ واحداً من تلك الأحداث المهمة في تاريخ الصراع

---

(١) ليستيكوف س. ف: النقابات والنضال الفكري- السياسي حول خطة بلامب– في كتاب: النشرة السنوية الأمريكية، ١٩٨٠م. ١٩٨١، صفحة ١٠٨.

الطبقي في تلك الأعوام. إذ أضرب نحو ٦٠ ألف عامل في هذه المدينة ذات الميناء الضخم والواقعة على شاطئ المحيط الهادئ في الولايات المتحدة الأمريكية، تحت شعار التضامن مع عمال بناء السفن، وقد كان نتيجة هذا النضال أن حققوا زيادة في الأجور وتخفيضاً في أيام العمل. وكان من بين المشاركين في هذا الإضراب العام أعضاء من اتحاد العمل الأمريكي أيضاً (AFL) وممثلون عن الاتحادات الراديكالية لعمال العالم الصناعيين (IRM)، وعمال غير منظمين أيضاً. لقد دعت اللجنة الإضرابية المؤلفة من مندوبين من مختلف النقابات العمال في سياتل للنضال ليس فقط لتأييد المطالب الاقتصادية لعمال بناء السفن، وإنما من أجل «نشر الاشتراكية» في عدد من المؤسسات. وبقيت المدينة أربعة أيام تحت إشراف اللجنة الإضرابية.

أدّت الأحداث في سياتل إلى إثارة قلق السلطات المحلية. إذ أطلق عمدة المدينة أو. هينسون في تصريح رسمي له على المشاركين في الإضراب العام لقب البلاشفة والثوريين. ولذلك تمَّ حشد كل قوى «القانون والنظام» ضد العمال المضربين التي كانت مستعدة عند أول إشارة للانقضاض على مثيري القلاقل. وبحجة النضال ضد «الخطر الأحمر» تمَّ الإعلان عن النية بإدخال القوات الفدرالية إلى المدينة. و أصبح قادة الإضراب العام موضوعاً للأكاذيب والضغط الفظ. وانضم إلى هذه الحملة المعادية للعمال الزعماء المحافظون لاتحاد العمل الأمريكي. لقد هددت اللجنة التنفيذية لاتحاد العمل الأمريكي أعضاء لجنة الإضراب باستبعادهم عن المناصب القيادية في النقابات أو حتى طردهم منها. إن كل ذلك أدى إلى إضعاف الإضراب، وكان العمال مضطرين للعودة إلى المعامل، هكذا من دون تلبية مطالبهم»[1].

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في الزمن المعاصر: في جزأين، موسكو ١٩٧٠-١٩٧١ الجزء الأول، ص ٢٩-٣٠.

لم يكن الإضراب العام في سياتل سوى بداية لموجة قوية من الحركات الإضرابية للعمال الأمريكان بعد الحرب. لقد شكلت الأحداث التي تطورت في خريف عام ١٩١٩ نقطة الذروة. وتصدّر عمال صب الفولاذ طليعة النضال الإضرابي. إذ بدؤوا إضرابهم في ٢٢ أيلول عام ١٩١٩، وشمل عشر ولايات، أما عدد المشاركين فيه فبلغ ٣٦٥ ألفاً.

طالب المضربون بإقرار ٨ ساعات عمل في اليوم، وإدراج سلم ثابت للأجور، والاعتراف بالنقابات وبعقد الاتفاق الجماعي. وقد طرح كثيرٌ منهم دون أن يكتفوا بالمطالب السابقة أسئلة حول ضرورة إحداث إصلاحات جذرية في البناء الاجتماعي - الاقتصادي للمجتمع. فـ «العمال لا يخوضون النضال من أجل الديمقراطية في الحياة السياسية فقط، وإنما في الصناعة كذلك»، هكذا صرح أحد النشطاء النقابيين[١].

كانت اللجنة الوطنية لتنظيم عمال صناعة صب الفولاذ، التي تأسست عام ١٩٨٨ بمبادرة من وليام ز. فوستر وجون فيتسباتريك وغيرهما من الشخصيات النشطة في الجناح اليساري للحركة النقابية على رأس الإضراب. وفي سير النضال الإضرابي توصلت اللجنة إلى إنشاء نقابة إنتاجية لعمال صب الفولاذ. ولقد استطاعت أن تجذب إليها حتى بداية عام ١٩٢٠ أكثر من ٢٠٠ ألف شخص، أي نحو ٦٠% من العمال، الذين يعملون في صناعة صب الفولاذ[٢].

رفض قادة «تروست الفولاذ» وغيرهم من الشركات والمعامل الذين شملهم الإضراب المفاوضات مع العمال المضربين بصورة قطعية. إذ أعلن

---

(١) Brody D. : Steelworkers in America. The Nonunion Era N.Y. 1960, p. 234.

(٢) Foster W. Z. : The Great Steel Strike and Its Lessons N. Y. 1920, p. 65.

رئيس مجلس مديري «تروست الفولاذ» اي. هيري، أن قادة الإضراب «لا يمثلون أمزجة أغلبية العمال، كما زعم، أن الإضرابات بين عمال صب الفولاذ - هي من صنع أيدي دعاة محترفين مستوردين»[1]. وبغطاء من حملة التخويف من «الخطر الأحمر» بدأ أرباب العمل بتجنيد مجموعات كبيرة من كاسري الإضرابات، وبإرسال عشرات الآلاف من العمال غير المؤهلين فنياً إلى المناطق الإضرابية، وبصورة رئيسية الزنوج غير المنتسبين إلى الحركة النقابية. وتم زّج القوات المسلحة والبوليس في وجه أغلبية الإضرابات.

لقد صمد المضربون بثبات في هذه الظروف الصعبة لأكثر من ثلاثة أشهر، ولكنهم وفي كانون الثاني عام ١٩٢٠ بعد أن أُنهكت قواهم، مع غياب الدعم الكافي من جانب عمال باقي فروع الصناعة، اضطروا لإيقاف المقاومة. وسرعان ما تفككت نقابة عمال صب الفولاذ التي أُنشئت في فترة سير الإضرابات. لكن نضال العمال لم يذهب هدراً: إذ رفعت الأجور عام ١٩٢٠ في مصانع «تروست الفولاذ» بنحو ١٠% ، وبعد فترة من ذلك وافق أرباب العمل على تخفيض عدد ساعات العمل في الأسبوع بعض الشيء.

وبنفس الوقت تقريباً، مع إضراب عمال صب الفولاذ، هبّ عمال صناعة الفحم على طريق النضال الإضرابي النشيط. فقد طالب مؤتمر اتحاد عمال المناجم الموحد في أيلول عام ١٩١٩ بزيادة الأجور ٦٠%، وإقرار ٣٠ ساعة عمل أسبوعياً في المناجم، ورفع أجور العمل الإضافي، ومنع الغرامات. وبحماسة كبيرة تمت الموافقة على القرار الذي يطالب بتأميم مناجم الفحم»[2].

---

(١) من اقتباس.Brody D. Op. cit, p. 240

(٢) كوركوف ن. ف: نضال عمال المناجم الأمريكيين، ١٩٢٩-١٩٣٩، موسكو، ١٩٧١، ص ٣٠٩.

لقد توقف أكثر من ٤٠٠ ألف عامل منجم عن العمل في تشرين الثاني عام ١٩١٩، بعد أن رفض أرباب العمل تلبية مطالبهم. وكان عليهم أن يخوضوا النضال ليس فقط ضد القوى الموحدة لمالكي المناجم، وإنما ضد كل جهاز الدولة البرجوازي. ففي ٢٥ تشرين الأول عام ١٩١٩ ظهر إعلان رسمي للرئيس ويلسون، وذلك قبل أسبوع من بداية الإضراب، تحدث فيه أن الإضراب عن العمل في صناعة الفحم هو أمر فاسد ومخالف للقانون، لأنه «لا يزيد سوءاً وضع الأغنياء فقط، وإنما الفقراء أيضاً..» و«يحرم عدداً كبيراً من العمال من فرص العمل». ولهذا السبب، أعلن الرئيس أن الحكومة عازمة على أن تأخذ على عاتقها «الحفاظ على القانون» و«إيجاد الوسائل اللازمة للدفاع عن مصالح الأمة»[1]. وبالتوافق مع ذلك وبإلحاح من المدعي العام م. بالمير، تم إصدار أمر قضائي بمنع الإضراب.

لقد دعت قيادة اتحاد عمال المناجم إلى الخضوع لأوامر السلطات، لكن الكثير من المضربين رفضوا استئناف العمل. واستمروا بالإضراب لعدة أشهر، إلى أن تم في نهاية المطاف، في آذار عام ١٩٢٠ الوصول إلى اتفاقية تسوية حول زيادة الأجور لعمال مناجم الفحم القاري بنسبة ٢٧% وسطياً.

وهكذا، حقق العمال الأمريكان خلال المعارك الإضرابية الضخمة عام ١٩١٩-١٩٢٠ ، بعض النجاحات. وعلى الرغم من المقاومة الضارية من قبل أرباب العمل، الذين ساعدتهم بشكل أساسي السلطات المحلية، وأحياناً هيئات الحكومة الفدرالية، فإن قسماً مهماً من الانتفاضات الإضرابية في الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأولى بعد الحرب قد انتهت بانتصارات كاملة أو جزئية

(١) The Public Papers of Woodrow Wilson: War and Peace Presidential Messages, Addresses and Public Papers (1919-1924) vol. 1, 2 /Ed R. Baker W. Dodd N.Y.L. 1927, vol. 3, p. 421-422.

للمضربين. وساعد ذلك العمال بعض الشيء على تحسين ظروف الحياة والعمل. ومكّنهم إلى حد ما من إعاقة نمو النزاعات المحافظة التي ظهرت بعد الحرب في حياة البلاد الداخلية.

تعزز كذلك بصورة واضحة في السنوات الأولى بعد الحرب دور الحركة النقابية في الولايات المتحدة. فإذا كان عدد العمال في جميع النقابات التي تدخل في إطار الاتحاد الأمريكي للعمل عام ١٩١٨ قد بلغ ٢٧٢٦ ألف شخص، فإن عددهم حتى عام ١٩٢٠ قد وصل إلى ٤٠٧٩ ألفاً، أي إنه ازداد بنسبة ٥٠% خلال عامين فقط. أضف إلى أنه كان في عضوية مختلف النقابات غير الداخلة في تركيب فدرالية العمل ٩٥٥ ألف عضو، أي إن الحركة النقابية وحتى بداية العشرينيات ضمت في صفوفها ما مجموعه ٥٠٣٤ ألف عامل(١).

غير أن الأمر الواضح في سير الانتفاضات العمالية الجماهيرية كان الضعف الفكري والتنظيمي للبروليتاريا الأمريكية. إذ بقي معظم العمال تحت تأثير قوي للإيديولوجيا الإصلاحية. واستمر قادة الاتحاد الأمريكي للعمل - الذين كانوا يعبرون عن مصالح الأرستقراطية العمالية والبيروقراطية، وفئة غير كبيرة نسبياً من العمال الذين يتلقون رواتب عالية، ويتمتعون بامتيازات كبيرة بالمقارنة مع الكتلة الأساسية من البروليتاريا - بلعب دور القائد في الحركة النقابية.

لقد تعززت المواقع الاقتصادية للأرستقراطية العمالية في سنوات الحرب العالمية الأولى بصورة واضحة على حساب العطاءات التي تلقتها من البرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تحصل على أرباح فاحشة وضخمة.

(١) Historical Statistics of the United States Colonial Times to 1970. Wash, 1975, p. 177.

وفي سياق الحفاظ على المواقع المميزة للأرستقراطية العمالية، دافع الزعماء الإصلاحيون للحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة رئيس الاتحاد الأمريكي للعمل س. هومبرس (Homberis) بشكل حازم عن الرأسمالية، وكانوا خصوماً ألداء للاشتراكية. لقد وقفوا بصورة ثابتة ضد الصراع الطبقي، من خلال التبشير بضرورة «التعاون الطبقي» بين البروليتاريا والبرجوازية كـ «شركاء متساوين» في الإنتاج الرأسمالي. إن إيديولوجيا «النيونية العملية» التي غَرَسَها أنصار هومبرس اختصرت نشاط النقابات بالنضال من أجل تحسين ظروف استئجار القوة العاملة، وأدانت مشاركة العمال في النضال السياسي ورفضت بصورة قاطعة فكرة إنشاء حزب عمالي مستقل.

لقد حدّت سيطرة التوجهات الإصلاحية في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة ملموسة من قدراتها حتى في فترة النهوض الجماهيري ما بعد الحرب. إذ سعت قيادة الاتحاد الأمريكي للعمل لإبقاء العمال في إطار النضال الاقتصادي فقط، وذلك في جميع الانتفاضات الإضرابية في تلك السنوات. لقد وقف زعماء النقابات الإصلاحيون ضد استخدام فرق الحراسة الإضرابية وغيرها من وسائل النضال الفعالة، في محاولة منهم لإفشال المضربين أمام وجه الجبهة الموحدة لأرباب العمل: وعلاوة على ذلك فإنهم قاموا أكثر من مرة بصفقات مباشرة مع الرأسماليين، محققين بذلك أفضل الظروف للعمل من أجل الفئات العليا من العمال المهرة، وترك جمهور المضربين البسطاء إلى مصيرهم المظلم.

إضافة إلى ذلك فقد أعاق واقع أغلب النقابات التي لم تكن مبنية على أساس إنتاجي، وإنما على شكل ورشات بشكل واضح استثمار الإمكانيات الكامنة داخل

الحركة العمالية بصورة فعّالة. إذ كانت كل نقابة تضمّ بطريقة ما الناس الذين يعملون في مهنة ضيقة. وأدى بناء الحركة النقابية على أساس الورشة إلى تشتيت قوى العمال المنظمين، وأعاق محاولاتهم التضامنية، وخلق صعوبات جمَّة في وجه نضال البروليتاريا.لقد وجد ملايين العمال غير المهرة، أو ذوي المهارة القليلة، الذين لم يجتازوا تعليماً مهنياً خاصاً، أنفسهم خارج إطار الحركة النقابية.إذ بلغت نسبة العمال غير المتسبين إلى النقابات العمالية أكثر من ٨٠% ، حتى في أعوام ما بعد الحرب، في فترة النمو العاصف للاتحاد الأمريكي للعمل وغيره من التنظيمات النقابية.

إن هذا الضعف الفكري والتنظيمي للبروليتاريا الأمريكية، الذي ظهر في سير المعارك الإضرابية الضخمة لأعوام ما بعد الحرب، كانت له عواقب سيئة على الوضع السياسي والاقتصادي الذي تغيَّر في بداية العشرينيات. كان على العمال في هذه المرحلة النضال في ظروف أصعب بكثير، من ظروف أعوام الحرب، وبعد انتهائها مباشرة. لقد انتقلت البرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية أزمة ١٩٢٠-١٩٢١، إلى الهجوم الحاسم على الطبقة العاملة، ساعية في ذلك ليس فقط إلى نزع كل مكتسباتها غير البعيدة، وإنما لتحقيق خفض للأجور في كل مكان، وزيادة عدد ساعات العمل، ورفع شدة العمل. إذ شنّت الرابطة الوطنية للصناعيين وغيرها من اتحادات أرباب العمل حملة نشطة ضد العمال والنقابات من أجل تحقيق هذه الأهداف. وأعلنت غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمرها عام ١٩٢١ وبكل وضوح عن إدانة الإضرابات وغيرها من نشاطات العمال، «الذين يقلصون إنتاج البضائع أو يعيقون توزيعها»[١]. وقد لاقت مواقف ممثلي الأوساط الاحتكارية صداها بصورة

(١) Summary of the Ninth Annual Mecting of the chamber of commerce of the United States Atlantic City, April 26 to 29, 1929, p. 3 – U.S. Ehaber of commerce Library.

دقيقة وواضحة في نيسان عام ١٩٢١، في كلمة رئيس مجلس مديري «تروست الفولاذ» اي. هيري، الذي صرح، أنه، وحسب رأيه لا توجد «أية حاجة بعد الآن للنقابات» في أمريكا، وأن وجودها اللاحق هو أمر ضار على الأقل في بلادنا بالنسبة للعمال، ولأرباب العمل وبالنسبة للمجتمع بأسره»[١].

إن وضع الأزمة الاقتصادية نفسها قد حرم البروليتاريا بالطبع من إمكانية الدفاع عن حقوقها بنفس الفعالية السابقة، ودرء هجمات أرباب العمل المتزايدة. و لكن الذي زاد من حالتها سوءاً وبشكل كبير، اتخاذ هيئات الحكومة الفدرالية بأسرها موقفاً معادياً تجاه الحركة العمالية، مع مجيء الجمهوريين إلى السلطة. إذ أعلن الرئيس هاردينغ في الرسالة الأولى إلى الكونغرس عن حالة البلاد: «في المجتمع الصناعي، ومهما كانت الأوضاع في بلادنا، فإن الإضرابات، والتسريحات التعسفية والمقاطعات أمر غير مقبول. إنها تعود بنتائج هدامة، مثل الحرب أو الثورة المسلحة»[٢].

أجهضت قرارات محكمة الولايات المتحدة الأمريكية العليا، وغيرها من القرارات الأخرى الإصلاحات التي تم تحقيقها في فترة «العصر التقدمي» في مجال التشريع العمالي. وبدأت من جديد مرحلة ملاحقة النقابات، وتكررت حوادث التدخل المباشر في الهيئات القضائية وفي نزاعات العمل. وكان إجراء أي إضراب في هذه الظروف يتطلب من العمال جهوداً بطولية في الحقيقة. ومع ذلك، فإن النزاعات الطبقية الكبيرة في أهم المناطق الصناعية استمرت الواحدة

---

(١) Bimba A. : The History of the American working class. Moscow, Leningrad, 1933, p. 296.

(٢) The State of the Union Messages of the presidents, 1790-1966 : vol. 1-3 / Ed by F. Israel H. Y., 1966-1967, vol. 3, p.2625.

تلو الأخرى. وكان العدد العام للمشاركين في الإضرابات في الولايات المتحدة الأمريكية عظيماً بما فيه الكفاية كما في السابق: فقد بلغ عدد المضربين في عام ١٩٢٠ نحو ١٤٦٣ ألف، وفي عام ١٩٢١، عام الأزمة انخفض حتى ١٠٩٩ ألف، أما في عام ١٩٢٢، ومع مجيء النهضة الصناعية، فقد ازداد عدد المشاركين في الإضرابات من جديد ليصل إلى ١٦١٣ ألف شخص[١].

وبلغت هذه الموجة الجديدة للحركة الإضرابية قوتها الكبرى في صيف عام ١٩٢٢، عندما انتشرت المعارك الطبقية الضخمة، وبصورة خاصة تقريباً في المناطق تمركز الصناعات النسيجية في إنكلترا الجديدة، وصناعة الفحم ومواصلات السكك الحديدية. ولقد أظهر العمال شجاعة وصموداً في النضال من أجل تحقيق الأهداف الموضوعة أمامهم.

كان الإضراب الوطني لعمال صناعة الفحم هو ما تميز من بين الإضرابات التي حدثت في القطاعات الصناعية الأخرى بصورة خاصة. ولقد كان الدافع بالنسبة لتحرك عمال المناجم الجديد هو رفض مالكي المناجم تمديد الاتفاقية الجماعية مع اتحاد عمال المناجم المتحدين. لقد أراد مالكو المناجم الاستعاضة عن الاتفاقية السابقة بمنظومة اتفاقيات منفردة مع عمال مختلف مناطق إنتاج الفحم. وكانت هذه الاتفاقيات تنص على تخفيض أجور عمال المناجم بحدود ٢٥-٣٥%. أثار هجوم أرباب العمل هذا ردود أفعال لدى العمال. ففي ١ نيسان عام ١٩٢٢ وبناء على نداء اتحاد عمال المناجم المتحدين لصناعة الفحم في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ العمال إضراباً عاماً. طالب المشاركون فيه باستعادة وتعميم الاتفاق الجماعي السابق على كل عمال المناجم،

(١) Strikes in the United States, 1880-1936, p. 39.

والذي كانت شروط العمل التي تم الحصول عليها بنتيجة إضراب عام ١٩١٩ قد ثُبتت فيه. وخلال عدة أسابيع، انتشر الإضراب في كل المناطق التي تنتج الفحم. ولم يشمل فقط أعضاء اتحاد عمال المناجم، وإنما عشرات الآلاف من العمال غير المنظمين. إذ زاد العدد العام للعمال المضربين على ٦٠٠ ألف: لم تعرف صناعة الفحم قطّ من قبل مثل ذلك الإضراب الضخم.

اصطدم العمال منذ البداية بمقاومة عنيدة. وحاولت شركات الفحم استخدام كاسري الإضراب من أجل العمل في المناجم. وعندما باءت جهود المالكين بالفشل، قامت السلطات المحلية بمساعدتهم. إذ تمَّ الإعلان عن الأحكام العرفية في عدد من المناطق (أوهايو، وبنسلفانيا)، وقامت قطعات من الحرس الوطني بالانتشار في مناطق مناجم الفحم. وقد تدخّل الرئيس هاردينغ في النزاع بشكل مباشر في تموز عام ١٩٢٢، إذ طالب بفتح المناجم من دون بطء، وصرّح بأن الحكومة الفدرالية ستقدم مساعدة إلى السلطات المحلية في قضية وقف الإضراب[١].

لم تكن جهود عمال صناعة الفحم وحدها كافية من أجل تحقيق النصر. فقد أخذت موارد المضربين تنضب، و لم يحصل عمال المناجم على مساعدة ملموسة من جانب فصائل الطبقة العاملة الأخرى. وفي هذه الظروف، اضطرت قيادة اتحاد عمال المناجم المتحدين إلى تجميد الإضراب. لقد أظهر رئيس النقابة في سير المفاوضات مع ممثلي مالكي المناجم ج. لويس تنازلاً مفرطاً، إذ تخلى عن مطلب العقد الجماعي الواحد بالنسبة لجميع فروع صناعة الفحم. وحسب شروط الاتفاقية المعقودة في آب عام ١٩٢٢ بين قيادة اتحاد عمال المناجم المتحدين ومالكي المناجم، فإن شركات الفحم أعادت الرواتب السابقة لعمال

(١) Hicks J. D. : Republican Ascendancy, 1921-1933 N.Y. 1963, p. 70-71.

صناعة القار. لكن هذه الاتفاقية لم تسرِ على عمال مناجم فحم الانتراسيت، الذين كان عليهم أن يحصلوا على عقود منفردة مع أرباب العمل. ولم يكن وضع العمال غير المنظمين بحال أحسن. فقد ألقى الزعماء الإصلاحيون عمال المناجم إلى ظلم المقادير، ومن ثمَّ حكموا على نضالهم بالهزيمة.

شهد نزاعٌ عماليٌّ ضخمٌ آخرُ في بداية العشرينيات مصيراً أسوأَ منْ مصير إضراب عمال المناجم - إذ انتهت إضرابات عمال نقل السكك الحديدية بهزيمة ساحقة للعاملين في هذا المجال. وربما أثرت هنا بدرجة كبيرة العواقب الوخيمة لتفتت التنظيم القائم على أساس الورشة في الحركة العمالية الأمريكية.

بدأ إضراب عمال السكك الحديدية في تموز عام ١٩٢٢، وخاض نحو ٤٠٠ ألف عامل ولمدة تزيد على الشهرين، نضالاً عنيداً ضد التقليص الدوري للأجور. بيد أن قوى العمال كانت مبعثرة، ولم يقم كل عمال السكك الحديدية بالإضراب، وإنما عمال الورش فقط المتحدون في النقابات الستّ لما يسمى قسم السكك الحديدية في الاتحاد الأمريكي للعمل. أما الاتحادات الأخرى في هذا القسم، التي شملت بصورة رئيسية عمال خدمة الطرقات، وكذلك أربع أخويات مستقلة لعمال السكك الحديدية، التي كانت تضم في تركيبتها عمال خدمة الحركة، فقد ظلوا على الحياد بالنسبة للنزاع ولم يقدموا أية مساعدة معنوية أو مادية للمضربين. وقد صب هذا التشتت في صفوف عمال السكك الحديدية في مصلحة أعداء الإضراب.

إن «عدم قدرة العمال على الوقوف جنباً إلى جنب أثناء الإضراب - هكذا كتبت إحدى مقالات صحيفة «وول ستريت» في تشرين الأول عام ١٩٢٢ - شكل العامل الأكثر أهمية في مساعدة الدولة ومالكي السكك الحديدية»[١].

(١) استشهاد من Bimba A. Op Cit, p. 306.

إن غياب وحدة عمال السكك الحديدية وعدم كفاية فعالية إضراباتهم قد سمحا لقادة شركات السكك الحديدية اتخاذ موقف لا يقبل الاتفاق بصورة مطلقة مع المضربين. إذ أنفقت الشركات من أجل قمع الإضراب نحو ١٠ ملايين دولار. و تم إعلان الأحكام العرفية في جميع مراكز السكك الحديدية الضخمة.

وقد أمّن البوليس وقوات الحرس الوطني بأنفسهم العمل المستمر للنقل في السكك الحديدية. وأخيراً دعم مالكي السكك الحديدية وبصورة نشطة هيئات الحكومة الفدرالية، وأدان الرئيس هاردينغ بصورة حاسمة العمال المضربين، وأعلن، أنهم لا يملكون حسب رأيه أية أساس من أجل استمرار النضال[1]. وفي أيلول عام ١٩٢٢، وبطلب من المدعي العام هـ. دوجيرتي تم إصدار أمر قضائي حول وقف الإضراب على الفور.

لم يستطع عمال ورش السكك الحديدية من دون مساعدة من الخارج الصمود أمام تلك الهجمات الكثيفة ضدهم. كان على أغلبية المضربين أن يعودوا إلى العمل مع تخفيض الأجر. واستمر نحو ٢٠٠ ألف عامل بالإضراب، ولكن وبعد عدة أشهر كانوا مضطرين أيضاً للاستسلام.

وهكذا، وبالمقارنة مع ١٩١٨-١٩١٩ كانت الحركة الإضرابية للبروليتاريا الأمريكية في بداية العشرينيات أقل نجاحاً بكثير. لقد أمكن في الواقع وبفضل الجهود الكبيرة لبعض المجموعات من العمال المنظمين مواجهة هجوم أرباب العمل على مواقع الحركة النقابية. بيد أن مصير النضال بصورة عامة لم يكن في مصلحة الطبقة العاملة. لقد أدت هزيمة عدد من الإضرابات الضخمة إلى

---

(١)The State of the Union Messages of the Presidents, vol. 3, p. 2629.

فقدان الكثير من مكتسبات السنوات الأولى بعد الحرب، وبنتيجة ذلك فإن ظروف حياة وعمل البروليتاريا الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أكثر سوءاً. وتكبدت الحركة خسارة جدية: ضم الاتحاد الأمريكي للعمل في صفوفه حتى عام ١٩٢٣ نحو ٢٩٢٦ ألف عضو. وقد بلغ العدد العام للبروليتاريا المنظمة في الولايات المتحدة الأمريكية مع أعضاء النقابات المستقلة في عام ١٩٢٣ بحدود ٣٦٢٩ ألف شخص. وخلال ثلاث سنوات فقط تراجع العدد بنسبة ٢٨%.(١)

كان السبب الرئيسي لجميع هذه الخسائر الجسيمة للبروليتاريا الأمريكية في بداية أعوام العشرينيات، يكمن في أن البرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي زادت بصورة ملموسة من جبروتها الاقتصادي والسياسي خلال الحرب العالمية الأولى، قد انتقلت إلى الهجوم الحاسم على مواقع الطبقة العاملة. لقد سيطرت من جديد النزعة الرجعية بصورة مكشوفة في السياسة الداخلية للحكومة بعد مجيء الجمهوريين إلى السلطة. ولعب دوراً مهماً في هزائم العمال سيطرة النزعات الإصلاحية أيضاً. إذ لم يتخلَّ الزعماء اليمينيون للاتحاد الأمريكي للعمل عن فكرتهم المحبوبة بـ «التعاون» بين العمل والرأسمال، حتى في الظروف السيئة بداية العشرينيات. كان النشاط الفعال للطبقة العاملة يحد من الآثار السلبية لكل من حالة التشتت والتنظيم القائم على أساس الورشة في الحركة النقابية. ولذلك فإن النضال الناجح للعمال الأمريكان ضد هجوم الجبهة الموحدة للاحتكارات كان عملياً غير ممكن في مثل تلك الظروف: لقد تطلب التطور اللاحق للحركة العمالية وبصورة ملحة التغلب على ضعفها الفكري والتنظيمي.

---

(١) Historical Statistics of the United States, p. 177.

كان الاتجاه المهم لنضال الجماهير الكادحة بعد الحرب يكمن في حركة التضامن مع روسيا السوفييتية. وقد تابع العمال الطليعيون، والمزارعون، وممثلو فئات المثقفين التقدميين، بتعاطف حار نضال شعوب روسيا الثورية البطولي، وأظهروا من ثمَّ التضامن العالمي للكادحين، وإن كان الكثيرون منهم، بما في ذلك أغلبية العمال، بعيدين جداً عن فهم الجوهر الحقيقي لتلك الأحداث العظيمة، التي حدثت في روسيا. غير أن الشعور الطبقي الغريزي كان يدفعهم إلى الوقوف إلى جانب معسكر الأنصار الحقيقيين للجمهورية السوفييتية الفتية. «وعلى الرغم من أن العمال الأمريكيين - كما كتب جون ريد عام ١٩٢٠ - كانوا يملكون في الواقع تصوراً ضعيفاً جداً عن جوهر الثورة، ولم يفهموا عملياً أفكار البلشفية أو تنظيم السوفييتات، ولكنهم كانوا يشعرون وبصورة غريزية أن روسيا السوفييتية هي جمهورية عمالية[١]، ولذلك بالذات، وفي الشهور الأولى بعد إعلان السلطة السوفييتية في روسيا، وعلى الأخص بعد أن بدأ رأسماليو بلدان التحالف التدخل المسلح المكشوف ضد الجمهورية السوفييتية الفتية، تطورت في الولايات المتحدة حركة واسعة تحت شعار «ارفعوا أيديكم عن روسيا السوفييتية». لقد طالب الممثلون الطليعيون لأمريكا في سياق الاجتماعات الجماهيرية والمظاهرات التي تمت في عام ١٩١٨-١٩١٩، في مختلف مناطق البلاد، بخروج جميع القوات الأجنبية العاجل من روسيا، والاعتراف بالحكومة السوفييتية وإقامة علاقات صداقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلاد السوفييتات[٢].

---

(١) الأممية الشيوعية، ١٩٢٠، رقم ٩، ص ١٢٨٢.

(٢) مالكوف ف. ل.: أكتوبر العظيمة والحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٧-١٩٢٢) - في كتاب الحولية الأمريكية، عام ١٩٧٨، موسكو، ١٩٧٨، ص ٣٢-٣٥.

لقد كان لرفض العمال شحن المواد الحربية إلى الجيوش البيضاء وقوات التحالف الذين ينشطون على أراضي روسيا السوفييتية أهمية كبرى، ففي خريف عام ١٩١٩ قام عمال ميناء سياتل، بإيقاف مجموعة من الشحنات العسكرية المعدة للإرسال إلى روسيا. وشملت الحركة بعد ذلك عمال مرافئ بورتلند، وبالتيمور وفيلادلفيا. وكان لرابطة أصدقاء روسيا السوفييتية، التي أنشئت في الولايات المتحدة الأمريكية في تموز عام ١٩١٩، أثرٌ كبيرٌ في تطور حركة التضامن مع الجمهورية السوفييتية.

عبر ممثل الحكومة السوفييتية في نيويورك ل. ك. مارتيني في أيام الاحتفال بالذكرى الثانية لثورة أكتوبر، عن اعترافه الحار بجميل عمال الولايات المتحدة الطليعيين الذين أظهروا التضامن مع الجمهورية السوفييتية الفتية، ونضالهم الشجاع ضد التدخل المعادي للسوفييت. «باسم السوفييتات - هكذا أعلن - أريد أن أشكر العمال الأمريكان، رجالاً ونساء على ما أظهروه من تعاطف ومساعدة في احتجاجهم ضد الهجمات على روسيا السوفييتية. إنني واثق، أنه كلما تعرّف العمال الأمريكان بصورة أكبر على حقيقة جمهورية العمال الروس، كانت أواصر التعاطف والتضامن أشد»[1].

لقد أصبحت الأعمال النشيطة للكادحين ضد التدخل المسلح المعادي للسوفييت واحدة من العوامل المهمة، التي أجبرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على اتخاذ قرار بانسحاب القوات الأمريكية من روسيا، ورغم ذلك استمرت حركة التضامن مع روسيا السوفييتية بالتصاعد، حتى بعد أن تمَّ صد

---

(١) استشهاد من فونيرف. تأثير ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى على الحركة العمالية الأمريكية – التاريخ الجديد والمعاصر، ١٩٦٧، رقم ٣، ص ١٢.

الهجوم المسلح من قبل الإمبريالية العالمية على جمهورية السوفييتات الفتية. إذ خاضت القوى التقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية بداية العشرينيات نضالاً عنيداً ضد سياسة الحصار الاقتصادي والعزلة الدبلوماسية لروسيا السوفييتية، ومن أجل الاعتراف الدبلوماسي السريع ببلاد السوفييتات. لقد بدأت حملة لجمع التبرعات لمصلحة صندوق مساعدة عمال وفلاحي روسيا الجائعين في صيف عام ١٩٢١. وفي منتصف عام ١٩٢٢ جمعت المنظمات العمالية إلى صندوق المساعدة نحو ٤,٥ مليون دولار[١]. وأصبحت حركة تقديم المساعدة للجمهورية السوفييتية الفتية صورة مهمة من صور التضامن مع عمال وفلاحي روسيا الثورية في إعادة بناء الاقتصاد الوطني المهدم بسبب الحرب. ولهذا السبب تمَّ إنشاء جمعية المساعدة التكنيكية لروسيا السوفييتية التي أرسلت إلى الجمهورية السوفييتية كمية كبيرة من المعدات الصناعية، والآلات والأدوات الزراعية. وكذلك وصلت إلى روسيا السوفييتية عدة مجموعات من العمال المهنيين المهرة، الذين ساهموا مساهمة نشيطة في إعادة بناء المؤسسات الصناعية. ولقد لعبت دوراً كبيراً بصورة خاصة «المستعمرة الصناعية المستقلة في كوزباس» التي نظمها المخضرمان في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية دبليو هيوود، والمهندس الشيوعي س. روتغرس، وبالإضافة لذلك فقد عملت على أراضي روسيا السوفييتية وبنجاح في منتصف العشرينيات ١٤ كومونة زراعية، أنشأها من قبل عمال ومزارعو الولايات المتحدة الطليعيون[٢]. إن الحجم العام للمساعدة المادية - الفنية المقدمة في تلك الفترة لبلاد السوفييتات من قبل كادحي

(١) ستاشيفسكي د. ن. :القوى التقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية في النضال من أجل الاعتراف بالدولة السوفييتية، ١٩١٧-١٩٣٣، كييف، ١٩٦٩، ص ١١٠.

(٢) فورايف ف. ك. العلاقة السوفييتية الأمريكية، ١٩١٧-١٩٣٩، موسكو، ١٩٦٤، ص ١١٤.

أمريكا، وصل إلى ٢ مليون دولار. وهكذا، فإن الولايات المتحدة دخلت بعد الحرب العالمية الأولى في مرحلة نهوض الحركة الجماهيرية للكادحين، ولعب العمال الطليعيون المنضوون تحت لواء الجناح اليساري في الاتحاد الأمريكي للعمل دوراً متقدماً في هذه الحركة. لقد نما الوعي السياسي للمجموعات اليسارية في سير المعارك الطبقية الكبرى على الرغم من أن تأثير النزعة الإصلاحية في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية كان شديداً جداً. ولكن الممثلين الطليعيين للطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى أساس التجربة العملية للصراع الطبقي، وكذلك تحت التأثير الفكري الشديد لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تغلبوا تدريجياً على أوهامهم الإصلاحية، وانتقلوا إلى موقع الماركسية. وكان السبب في ذلك يعود للتطورات العميقة التي حدثت في البلاد فيما يتعلق بتطوير الحركة الاشتراكية.

٢- تشكل الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية

خطا التعزيز الفكري والتنظيمي للقوى اليسارية في الحركة الاشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية خطوة كبيرة إلى الأمام حتى في أعوام الحرب العالمية الأولى. ففي عام ١٩١٥ ، وبمبادرة من مجموعة من الأمميين اليساريين تمَّ إنشاء رابطة الدعاية الاشتراكية، التي أصبحت مركزاً لجذب كل العناصر الثورية في صفوف الحزب الاشتراكي الأمريكي. ولاقت وجهات نظر الجناح اليساري الناشئة صدىً واسعاً أكثر فأكثر من قبل أعضاء القاعدة الجماهيرية في الحزب، وقد أنعكس ذلك أحياناً حتى في الوثائق الحزبية الرسمية. ففي نيسان عام ١٩١٧ مثلاً، وخلال المؤتمر الاستثنائي للحزب الاشتراكي الأمريكي تم التصويت وبغالبية عظمى على قرار إدانة انخراط الولايات المتحدة الأمريكية

في الحرب الإمبريالية، والدعوة للنضال ضد التدخل الأمريكي. وتحت تأثير الجناح اليساري تلقّى الكثير من أعضاء الحزب الاشتراكي بحماسة أخبار انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا. وفي ١ شباط عام ١٩١٨ حيَّت اللجنة التنفيذية للحزب بحرارة العمال الروس، الذين استلموا زمام السلطة. وكانت القيادة الإصلاحية للحزب الاشتراكي الأمريكي برئاسة فيكتور بيرغر وموريس هيلكوين قلقة من تنامي سمعة الجناح اليساري.

لقد حاولت القيادة تفسير القرارات المتخذة من قبل الهيئات المركزية للحزب المتعلقة بمبادرة الاشتراكيين اليساريين، بروح انتهازية. لم تخرج مواقف الزعماء الإصلاحيين للحزب المعادية للحرب خارج أطر المسالمة البرجوازية. وزد على ذلك أن الكثير منهم، ممن صوتوا إلى جانب القرار المعادي للحرب الذي اتخذه المؤتمر الاستثنائي للحزب، دعموا عملياً الحرب الإمبريالية[١].

أما بالنسبة للتصريحات المتكررة للاشتراكيين اليمينيين وأنصار مذهب المركزية حول التضامن مع عمال روسيا الثوريين، فإنها كانت تترافق في كل مرة بشروط حول «الطابع الروسي» لثورة أكتوبر بصفة خاصة وعدم إمكانية تطبيق اللينينية نظرياً وعملياً في الولايات المتحدة.

بيد أن مناورات الإصلاحيين لم تتكلل بالنجاح، فتحت تأثير ثورة أكتوبر تطورت عملية النمو الفكري للعناصر الثورية في الحركة الاشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية بقوة جديدة. لقد أصدرت منظمة نيويورك للأمميين الاشتراكيين في ١ شباط عام ١٩١٩ بياناً دعت فيه العمال الأمريكان للسير على

---

(١) معالم التاريخ النضالي: ٦٠ عاماً من حياة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو ، ١٩٨٣، ص ٢٧.

الطريق الذي سارت عليه البروليتاريا الروسية في عام ١٩١٧. وبمنزلة مهمة إستراتيجية رئيسية طرحت برنامجاً للنضال من أجل إقامة دكتاتورية البروليتاريا وإعادة البناء الاشتراكي للمجتمع. ولأجل مناقشة هذا البرنامج اعتبر ممثلو الجناح اليساري أنه من الضروري وبصورة عاجلة الدعوة إلى عقد مؤتمر استثنائي للحزب الاشتراكي الأمريكي. وطالبوا بأن يتخذ المؤتمر قراراً حول خروج الحزب من الأممية الثانية وانضمامه إلى الأممية الشيوعية[١].

ظهرت الشعبية الواسعة لبرنامج الاشتراكيين اليساريين في الانتخابات الدورية لهيئات الحزب القيادية في ربيع عام ١٩١٩. فإلى جانب مرشحي الجناح اليساري صوّت نحو ٨٠% من المجموع العام للأصوات لصالح الحزب. وشغل اليساريون في تركيب اللجنة الوطنية المنتخبة من جديد للحزب الاشتراكي نحو ١٢ مقعداً من أصل ١٥. ومن أجل عرقلة استلامهم لرئاسة الحزب، خالفت القيادة القديمة بشكل صريح الأسس الديمقراطية داخل الحزب، وفسخت نتائج الانتخابات في أيار عام ١٩١٩ وطردت معظم منظمات الجناح اليساري من الحزب. وهكذا وجد نحو ٥٥ ألفاً من أكثر أعضاء الحزب الاشتراكي الأمريكي نشاطاً، أي أكثر من نصف عدد أعضائه، الذين بلغوا في ذلك الوقت ١٠٥ آلاف شخص، أنفسهم مطرودين بصورة غير قانونية من صفوفه[٢].

---

(١) بتروف ب. س: قيام الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية ونضاله من أجل الشرعية. موسكو ، ١٩٧٠، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) Foster W. Z. : History of the Communist Party of the United States, p. 162-163.

تمَّ في عام ١٩١٩، في نيويورك عقد الاجتماع الوطني العام لجميع المنظمات اليسارية في الحزب الاشتراكي. بيد أن خلافات جدية متعلقة بالخطط اللاحقة للعمل ظهرت. واقترح قسم من المندوبين الذين كانوا يمثلون منظمة ولاية ميتشيغان وعدداً من الاتحادات الوطنية مقاطعة الحزب الاشتراكي فوراً والدعوة لمؤتمر أمريكي عام للجناح اليساري بهدف تشكيل الحزب الشيوعي. أيدت أغلبية مندوبي الاجتماع، بما في ذلك الزعماء الاشتراكيون اليساريون الأكثر تأثيراً مثل جون ريد، وتشارلز روتينبورغ، وألفريد فاغينكنيخت وجهة نظر أخرى، واعتبروا أنه من غير الصحيح الإسراع بالخروج من الحزب الاشتراكي، وإنما يجب على العكس اتباع نهج هادف للمحافظة على مكتسبات أغلبية أعضائه إلى جانب الاشتراكية الثورية، وتحويله إلى حزب كفاحي للبروليتاريا. إن مثل وجهة النظر تلك كانت «دون شك أكثر مرونة وأكثر صحة»[١]. بيد أن الخلافات بين مجموعتي الجناح اليساري لم يتم التغلب عليها، وأصبحت كل مجموعة تعمل بصورة مستقلة عن الأخرى.

في ٣٠ آب عام ١٩١٩، عُقد في شيكاغو الكونغرس الاستثنائي للحزب الاشتراكي. وحاول قسم من ممثلي الجناح اليساري برئاسة جون ريد واي فاغينكنيخت الذين شاركوا في المؤتمر ، التأثير على مجرى النقاش. غير أن لجنة الطعون لم تعترف بتفويض مندوبي الجناح اليساري، واقترحت عليهم الاعتزال. لكنهم رفضوا الخضوع لهذا التصرف غير الشرعي، عند ذاك قام قادة الاشتراكيين اليمينيين بطردهم من المؤتمر بواسطة عناصر من الشرطة.

وبعد أن تمَّ الاقتناع بأن محاولة كسب الحزب الاشتراكي إلى جانب الماركسية الثورية لم تتكلل بالنجاح، قررت مجموعة ريد- فاغينكنيخت،

(١) Ibid, p. 164.

التي أعلنت عن «مؤتمر بكامل الصلاحية للحزب الاشتراكي»[1]، الاتحاد مع المجموعة الأخرى من الجناح اليساري بهدف تشكيل الحزب الشيوعي بصورة مشتركة. بيد أن ذلك كان غير ممكن في تلك الفترة. وفي ١ أيلول عندما تمَّ افتتاح المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي في شيكاغو، شارك فيه فقط ممثلو منظمة شيكاغو، ومندوبو عدة اتحادات وطنية، من أولئك الذين انتقلوا إلى صفوفهم في تلك الفترة، (كان من بينهم أيضاً تش. روتينبرغ).

لقد رفض أغلب مندوبي المؤتمر تأييد اقتراح مجموعة ريد- فاغينكنيخت حول توحيد التيارين اليساريين، ونصحوا أعضاء هذه المجموعة بأن ينتسبوا إلى الحزب بصورة فردية كل على حدة. وفي اليوم نفسه اتخذ المؤتمر قراراً بإنشاء الحزب الشيوعي الأمريكي. وانتخب تش. روتينبرغ سكرتيراً مسؤولاً للحزب.

رفضت مجموعة ريد- فاغينكنيخت الشروط التي وضعت من قبل المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي الأمريكي، وفي اليوم التالي في ٢ أيلول عام ١٩١٩ ، عقدت مؤتمرها الخاص، الذي أعلن عن تشكيل منظمة شيوعية موازية، اتخذت اسم حزب العمال الشيوعي الأمريكي، وشغل منصب سكرتيره المسؤول اي. فاغينكنيخت .

وهكذا، وفي عام ١٩١٩، وعلى قاعدة الجناح اليساري للحزب الاشتراكي ظهر وفي آن واحد منظمتان شيوعيتان مستقلتان، يبلغ عدد أعضاء كل واحدة منهما ٣٠ ألف عضو[2]. لم يكن هناك بينهما أية اختلافات في البرامج، إلا أنهما اختلف بعضهما عن بعض من حيث التركيب الوطني، وهذا الأمر

---

(١) بتروف ب. س: مشار إليه سابقاً، ص ١٨٩.

(٢) في المصدر السابق.

أوجب بعض الخصائص المتعلقة بطابعهما وبنائهما التنظيميين. لقد توحد في صفوف الحزب الشيوعي الأمريكي بصورة رئيسية المهاجرون الاشتراكيون. وكما في السابق، كانوا منتسبين إلى مختلف الاتحادات الوطنية، التي كانت تحافظ بدرجة معلومة على استقلال ذاتي. أما حزب العمال الشيوعي الأمريكي فكان يتألف على العكس وبصورة غالبة من الأمريكيين الأصليين.

وتأسس كلا الحزبين على مبادئ المركزية الصارمة، إلا أن الحزب الشيوعي الأمريكي اختلف عن نظيره بالوعي النظري الكبير، وفي الوقت نفسه كان في عضوية حزب العمال الشيوعي الأمريكي أشخاص عمليون، مرتبطون بصورة وثيقة مع النقابات، ومن ثم فإن الحزبين الشيوعيين اللذين ظهرا في عام ١٩١٩ في الولايات المتحدة الأمريكية وكانا يمثلان جانبين مختلفين للحركة الشيوعية في البلاد، كان عليهما لأجل نجاح القضية أن يتحدا.

غير أن عملية تراص الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية بدت ضعيفة وصعبة وطويلة الأمد. إن النقاشات الحادة بين قيادتي الحزب الشيوعي الأمريكي وحزب العمال الشيوعي الأمريكي حول العديد من المسائل السياسية والتنظيمية، وقبل أي شيء حول المسألة المتعلقة بالنظام الأساسي للاتحادات الوطنية، أعاق توحيد الحزبين. وبعد عدة أشهر فقط تمَّ التوصل إلى اتفاقية بين اللجنة الوطنية لحزب العمال الشيوعي الأمريكي وقسم من أعضاء اللجنة الوطنية للحزب الشيوعي الأمريكي برئاسة تش. روتينبرغ، تشكل على أساسها في أيار عام ١٩٢٠ الحزب الشيوعي الأمريكي الموحد. غير أن الانقسام في الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية لم يتم

التغلب عليه، بما أن أنصار الاستقلال الذاتي للاتحادات الوطنية رفضوا المشاركة في المفاوضات حول التوحيد، واستمروا في العمل بصفة الحزب الشيوعي الأمريكي المستقل.

إن ظهور المنظمات الشيوعية وعملية توحيد جميع المجموعات، التي انتقلت إلى مواقع الماركسية، شكلتا خطوة كبيرة إلى الأمام في تطور الحركة العمالية والاشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية. وأصبحت مهمتا ربط هذه الطليعة الثورية مع جماهير العمال والمزارعين، وتقديم برنامجٍ أساسيٍّ ملموسٍ وعمليٍّ للنضال أمراً ضرورياً وملحّاً. وقد واجه الشيوعيون الأمريكان من أجل تحقيق هذا الهدف صعوباتٍ جمّةً، ففي نهاية عام ١٩١٩ وبداية ١٩٢٠ أيضاً، وفي سير الهجمات البوليسية الواسعة على الراديكاليين، تعرّض كلا الحزبين الشيوعيين، ودون أن ينجحا في تعزيز صفوفهما، لقمع قاس وكانا مضطرين إلى الانتقال إلى العمل السريّ. لقد ساهمت هذا الظروف الصعبة للعمل، والروابط غير المتينة للشيوعيين مع الجماهير، إلى ازدياد ضعفهم. أما تعداد أعضاء الحزبين فتقلص بصورة حادة: فإذا كان العدد عند تأسيسهما يبلغ ٦٠ ألف عضو، فقد بقي منهم ١٢ ألفاً فقط.

وقد أضيفت إلى هذه الصعوبات الموضوعية العواقب غير الملائمة إلى حد كبير للجمود والتعصب، اللذين كانت تتصف بهما الحركة الشيوعية الفتية في الولايات المتحدة الأمريكية. إذ ارتكب الشيوعيون أخطاءً جديّةً، عندما حاولوا تطبيق المبادئ الأساسية للماركسية اللينينية في تحليل الواقع الأمريكي الحقيقي. إن كلا الحزبين، ودون أن يأخذا بعين الاعتبار الحالة التاريخية الملموسة الفريدة، ودون أن يقيّما تقييماً صحيحاً الإمكانيات الثورية للبروليتاريا

الأمريكية، وضعا نصب أعينهما مهمة إقامة دكتاتورية البروليتاريا، ونفيا ضرورة النضال من أجل الإصلاحات الجزئية. وبالتوافق مع ذلك رفضا دعم الحركات الديمقراطية التي لا تحمل طابعاً معادياً للرأسمالية. لقد جاء على سبيل المثال في برنامج الحزب الشيوعي الأمريكي ما يلي: «لا يجب على الحزب الشيوعي لا في الحملات الانتخابية ولا في أي مجال من مجالات نشاطه أن يتعاون بأي شكل من الأشكال مع تلك المجموعات والأحزاب التي لا تعترف بالنضال الطبقي الثوري»[1].

كانت النتيجة الحتمية لذلك الموقف عزلة طليعة البروليتاريا عن الكتلة الأساسية من العمال والمزارعين، الأمر الذي انعكس بصورة غير ملائمة على تطور الحركة العمالية والديمقراطية. وهذا هو السبب في أن قضية التغلب على التعصب وإقامة روابط وثيقة للشيوعيين مع الجماهير قد أصبحت حتى بداية أعوام العشرينيات المهمة الرئيسية لهم.

كان يجب من أجل ذلك تحقيق الوحدة الفكرية والتنظيمية لطليعة البروليتاريا الأمريكية. وأخيراً تمَّ في أيار عام ١٩٢١، وبوساطة من الأممية الشيوعية التوصل إلى اتفاقية حول إنشاء حزب شيوعي أمريكي وحيد. وتم انتخاب تش. روتينبرغ لمنصب السكرتير المسؤول.

لقد خلق تلاحم قوى الحركة الشيوعية ظروفاً مواتية لانتقال جميع شخصيات الحركة الاشتراكية والنقابية الأكثر وعياً وإخلاصاً لمصالح الطبقة العاملة إلى صفوف الحزب الشيوعي. وفي صيف عام ١٩٢١ انتسب إلى صفوف الحزب الشيوعي او. ز. فوستر ومجموعة من العمال المجربين والنقابيين

(١)The American Labor Year Book: 1919-1920 N.Y. 1920, p. 418.

ذوي السمعة الطيبة، والذين خاضوا نضالاً نشيطاً من أجل تعزيز الجناح اليساري في اتحادات الفيدرالية الأمريكية للعمال. وانضم أيضاً في ذلك الوقت الكثير من شخصيات «عمال العالم الصناعيين» الطليعيين بقيادة او. هيوود، وأصبحوا أعضاءً في الحزب. لقد أمّن التعزيز التنظيمي للحركة الشيوعية قاعدة للنمو الفكري أيضاً. ففي بداية عام ١٩٢٠ سار الشيوعيون الأمريكان على طريق التغلب التدريجي على الجمود والتعصب. وقد وجد هذا الأمر تعبيراً له في البرنامج الجديد، المتخذ في أيار عام ١٩٢١ من المؤتمر التوحيدي للحزب الشيوعي الأمريكي والحزب الشيوعي الأمريكي الموحد. إذ أعلن الحزب الشيوعي الأمريكي بعد أن تخلّص من النظرات المتطرفة السابقة بأنه لن يقتصر بدعايته اللاحقة على الأهداف النهائية للحركة العمالية فقط، وإنما «سيقوم بمشاركة قيادية نشطة في نضال العمال من أجل تلبية حاجاتهم اليومية»[١].

خلقت ظروف العمل السري التي كان على الشيوعيين الأمريكان أن يمارسوا نشاطهم في ظلها بداية أعوام العشرينيات، صعوبات كبيرة أعاقت عملية التواصل مع فئات الجماهير الواسعة. كان من الضروري إيجاد الإمكانيات لتطوير العمل العلني للحزب. ولهذا الهدف، تمَّ إنشاء منظمة شيوعية علنية موازية باسم اتحاد العمال الأمريكيين في تموز عام ١٩٢١ بمبادرة من قبل الحزب. وسوية مع ما يسمى المجلس العمالي، ومجموعة من الاشتراكيين اليساريين، الذين انشقوا عام ١٩٢١ عن الحزب الاشتراكي بدأت المنظمة الشيوعية الجديدة حملة نشيطة من أجل توحيد عمال الولايات المتحدة الأمريكية الطليعيين في حزب ثوري وطني عام، يشاطر الحزب

(١) Bimba A. Op eit, p. 290.

الشيوعي الأمريكي المبادئ الأكثر أهمية، لكنه وخلافاً عنه كان يستطيع أن يمارس نشاطه بصورة علنية. تمَّ تنفيذ هذه المهمة في كانون الأول عام ١٩٢١، حين أعلن مؤتمر المجموعات اليسارية في نيويورك عن إنشاء حزب عمالي علني في أمريكا.

ولأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية جرت محاولة في برنامج حزب العمال في أمريكا لا تطرح فقط برنامج الحد الأعلى، وإنما برنامج الحد الأدنى أيضاً للحركة العمالية، وتوجيه الشيوعيين على طريق اقتران الدعاية الاشتراكية بالنضال من أجل تلبية الحاجات اليومية للشعب. نهج الحزب العمالي وبالتوافق مع ذلك نهجاً موجهاً لإقامة روابط وثيقة مع منظمات الكادحين الجماهيرية. إن أهمية ومعنى هذا الانعطاف المهم في نشاط الشيوعيين قد تم تقييمه كاملاً بعد أعوام طويلة. ففي عام ١٩٦٩ ، وفي إحدى مقالات المجلة النظرية الماركسية «بوليتيكال آفيرس» المكرسة للذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، جرى الحديث حول أن الشيوعيين الأمريكان قاموا في بداية أعوام العشرينيات ولأول مرة بمحاولات «للبدء في بناء ما تم تسميته فيما بعد بالتحالف المعادي للاحتكارات»[١].

بدأ حزب العمال في أمريكا، وبعد أن تغلب على النزعات اليسارية المتطرفة فيما يتعلق بالاستخفاف بالعمل مع النقابات الإصلاحية، بإقامة صلات وثيقة مع رابطة الدعاية النقابية، ومع رابطة العناصر الثورية التريديونيونية في فيدرالية العمل الأمريكية، التي تمَّ تأسيسها في تشرين الثاني عام ١٩٢٠، ومع الشخصيات

(١) Foley T. The La PolletteCompaign of 1924 – Political Affairs, 1969, Sept – Oct, p. 39.

الطليعية في الحركة النقابية برئاسة او. ز. فوستر. وقام الشيوعيون بالتعاون مع رابطة الدعاية النقابية في ربيع عام ١٩٢٢ بتطوير الدعاية من أجل تحويل التنظيمات التريديونيونية المبعثرة في فدرالية العمل الأمريكية إلى نقابات إنتاجية جبارة، بهدف جذب جماهير العمال غير الفنيين إليها. وقد لاقت هذه الحملة من أجل إعادة بناء الهيكل التنظيمي للحركة النقابية صدىً واسعاً في منظمات فدرالية العمل الأمريكية، دعمها آلاف الاتحادات المحلية في ١٧ ولاية. ولعب الحزب الشيوعي دوراً مهماً في تطوير حركة التضامن مع روسيا السوفييتية أيضاً. لقد أصبح الشيوعيون يعملون بصورة أكثر حيوية بعد أن حصل الحزب الشيوعي على إمكانية الخروج من العمل السري. وفي نيسان عام ١٩٢٣، وفي مؤتمره الدوري تم اتخاذ قرار بإلغاء المنظمات غير العلنية للحزب وتوحيد كل قوى الحركة الشيوعية في صفوف حزب عمالي واحد لأمريكا. وبلغ عدد أعضائه في نهاية عام ١٩٢٣ نحو ٢٥ ألف عضو.

لقد خلقت عملية النمو الفكري واكتمال البناء التنظيمي للحزب الشيوعي ظروفاً مواتية بصورة أكبر للنضال من أجل إقامة روابط وثيقة للجناح اليساري في الحركة العمالية مع المشاركين في الحركات الديمقراطية المعادية للاحتكارات، التي اتسعت في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك المرحلة.

٣- الحركة الديمقراطية العامة

ساعدت الحرب العالمية وعواقبها الاجتماعية والاقتصادية على تطور نضال الشعب الأمريكي المعادي للاحتكارات. وجاء هذا الأمر كردّ على اشتداد الجبروت الاقتصادي والسياسي للاحتكارات الضخمة الذي تم نتيجة الحرب، وكذلك تعزز الدولة البرجوازية بكل قواها. وبمقدار ما كانت تظهر أنانية الرأسمال

الكبير بصورة أشدّ، وبمقدار ما كان تحالف الدولة البرجوازية والاتحادات الاحتكارية يصبح أكثر متانة، بمقدار ما كانت الجماهير الشعبية تعبر عن استيائها بصورة حادة، وبمقدار ما كان نضالها يتصاعد ضد السلطة المطلقة للاحتكارات.

شكلت الحركة الزنجية واحدة من الاتجاهات المهمة لهذا النضال. وكان الأساس المادي للمرحلة الجديدة ، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، يكمن في التطور الجدي في البناء الاجتماعي والحالة الاقتصادية لسكان الولايات المتحدة الأمريكية الزنوج. إن التطور السريع للصناعة عبَّر عن الزيادة الحادة في الطلب على القوة العاملة، وكان المنبع المهم للقوة العاملة الرخيصة بالنسبة للمراكز الصناعية الضخمة في الشمال هو زنوج الولايات الجنوبية. لقد انتقل مئات الآلاف من الأمريكان السود إلى الشمال في بداية العشرينيات. وبدأ نمو جامح في أعداد البروليتاريا الزنجية. وقد انعكست الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٠ - ١٩٢١ على وجه الخصوص وبصورة مرهقة على الزنوج. إذ وُجِدَتْ أعدادٌ كبيرة من العمال الزنوج غير الفنيين، الذين لم يدخلوا في النقابات، نفسها ضحية سهلة للأزمة والبطالة. وانخفض المستوى الحياتي للبروليتاريا الزنجية إلى الحدود الدنيا، وألفى ملايين المستأجرين والعاملين بالحصة في الولايات الجنوبية أنفسهم في حالة من الفقر الشديد. وترافق هجوم أرباب العمل بالتزايد الجديد للإرهاب المعادي للزنوج. كانت العصابات المسلحة للكوكلوكس - كلان تعيث خراباً في جميع الولايات الجنوبية، وتقوم بالتنكيل الدموي. وفي أعوام ١٩١٩ - ١٩٢٢ قتل في البلاد من دون محاكمة القتلة ٢٣٩ زنجياً. لقد أصبحت كوكلوكس - كلان قوة سياسية كبيرة كذلك في عدد من ولايات الشمال الصناعية، فقد ذهب ضحية «الاضطرابات العنصرية» التي كانت تتم إثارتها في الكثير من مدن الشمال مئات الزنوج.

أدّت الحالة الاقتصادية الصعبة، واشتداد استغلال الاحتكارات، والتمييز العنصري القاسي، وإرهاب كوكلوكس - كلان إلى تنامي مقاومة السكان الزنوج. وهكذا دخل «الزنجي الجديد» إلى مسرح الحياة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان يطالب حسب كلمات الصحف الراديكالية في تلك الفترة بـ «المساواة الاجتماعية الكاملة، والحق في التعليم، والحق في الدفاع عن النفس بما في ذلك استخدام القوة الجسدية، وحرية الكلمة، والصحافة والاجتماع»(١). وتعززت أيضاً المنظمات الزنجية. إذ بلغ في عام ١٩٢٠ عدد المنتسبين إلى صفوف المنظمة الأكبر - الرابطة الوطنية لتقدم السكان الملونين - نحو ١٠٠ ألف شخص. وكان أحد قادتها العالم الزنجي البارز والكاتب والشخصية الاجتماعية او. دوبوا . وقامت منظمة أخرى بعمل كبير فيما يتعلق بتنظيم المساعدة الاقتصادية للزنوج، وهي الرابطة الوطنية المدنية التي تأسست في عام ١٩١١ .

انضوى نضال الزنوج بعد الحرب تحت راية الحركة القومية البرجوازية ، برئاسة مؤدلج البرجوازية الزنجية الصغيرة ماركوس هارفي، وكانت الحركة تحظى في البداية بدعم من فئات واسعة من الزنوج الأمريكان. ويُعزى السبب في ذلك إلى أن برنامج هارفي كان يعبِّر عن طموح الجماهير الزنجية. إذ دعا م. هارفي الزنوج إلى عدم الخجل من لون بشرتهم السوداء، وإنما الافتخار بها. لقد علّمهم الفخر بالتاريخ المجيد لنضال الزنوج البطولي من أجل الحرية، ودعاهم إلى الاستمرار في هذا النضال والإنجاز الناجح له: «إن شعوب العالم تعرف الآن أن زنجي

---

(١) استشهاد من فوستر و. ز الشعب الزنجي في تاريخ أمريكا، موسكو، ١٩٥٥، ص ٢٨٢.

البارحة خرج من مسرح النشاط الإنساني، وأن الزنجي الجديد الذي يقف بثبات على قدميه، يعي حقوقه الإنسانية وكله عزم على تحقيقها والحفاظ عليها بأي ثمن، هو من شغل مكانه»[1].

تمَّ في آب ١٩٢٠، وبمبادرة من هارفي عقد مؤتمر الزنوج في نيويورك، وحضره ممثلو السكان في الولايات المتحدة الأمريكية، وجنوبي ووسط أمريكا وحتى إفريقيا. أصدر المؤتمر إعلاناً حول حقوق الشعوب الزنجية في العالم، طالب فيه بتصفية كل أشكال الاضطهاد العنصري، ونادى بحق الزنوج بالمساواة الكاملة، وبتحقيق مصيرهم بأنفسهم. زادت شعبية الهارفية بعد المؤتمر في نيويورك بسرعة. وفي بداية العشرينيات انجذب إلى مدار تأثيرها ملايين الزنوج.

بيد أن نشاط م. هارفي والمنظمة التي يقودها دخل عملياً في تناقض مع الأهداف التي أعلنتها. لقد رفض أنصار هارفي أي مشاركة في النضال السياسي، ووقفوا ضد إقامة روابط مع الحركة العمالية. وفي المرحلة الأولى من نشاط م. هارفي وأنصاره، نظموا على غرار النهج الذي بدأه بوكر ت. واشنطن في نهاية القرن التاسع عشر، عدة مؤسسات تجارية زنجية، بما في ذلك شركة ملاحة زنجية، وبعد ذلك رفعوا شعار انتقال الزنوج إلى إفريقيا في برنامجهم ونشاطهم العملي. وأقامت الشركة الملاحية عدة رحلات إلى إفريقيا، لكنها أفلست بسرعة كبيرة. وتدريجياً بدأت الجماهير الواسعة للسكان السود بالابتعاد عن الهارفية. إذ أدرك الكثير منهم، أن الطريق لحل المسألة الزنجية لا

---

(١) استشهاد من كرونون د. ي.: Black Moses, The Story of Marcus Garvey and the Universal Negro Improvement Association, Madison (Wis), 1969, p. 71.

يكمن في محاولات تحقيق الشعار الطوباوي - الرجعي «إلى الوراء إلى إفريقيا»، وإنما في النضال من أجل تحسين أوضاع الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وفي المشاركة الفعالة في نضال الجماهير الشعبة العام ضد اضطهاد الاحتكارات. «أعلنت إحدى المجلات الزنجية الراديكالية، في إحدى مقالاتها الموجهة إلى الزنوج في أيلول عام ١٩٢٢: إن أفضل ما يمكن أن تقوموا به، هو البقاء في أمريكا، والقتال هنا من أجل تحرركم»[١].

ساهم المزارعون مساهمة نشيطة في الحركة الديمقراطية المعادية للاحتكارات في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى. ففي ظل ظروف الأزمة الزراعية التي أحدثت انخفاضاً شديداً في المداخيل الزراعية، لم ينخرط في النضال جماهير المزارعين الصغار والمتوسطين فقط، وإنما البرجوازية الزراعية كذلك. لقد كانت المنظمات الزراعية الضخمة - مثل الفدرالية الأمريكية للمكاتب الزراعية، وأخوية المشاركين في حركة المزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الوطني للمزارعين - تدافع عن مصالح مختلف فئات السكان المزارعين، وإذا كانت المنظمتان الأولى والثانية محافظتين فقد كان يظهر في نشاط الاتحاد الوطني للمزارعين غالباً تأثير محدد لمجموعات المزارعين الراديكالية، التي كانت تعكس إلى حد ما مزاج المزارعين الصغار والوسط.

أصبح الشكل المهم لحركة المزارعين بعد الحرب هو النضال من أجل إنشاء منظومة مركزية تسويقية للتعاونيات الزراعية بهدف تقويض أو على الأقل الحد من مواقع الشركات الاحتكارية وسماسرة البضائع. وفي خريف عام ١٩٢٠، وفي عدد

---

(١) Ibid, p. 186.

من ولايات الغرب الأوسط والجنوب حدثت إضرابات عدة للمزارعين الذين رفضوا بيع منتوجاتهم الزراعية، وقاطعوا صوامع الحبوب، والمسالخ، ومصانع التبغ، وغيرها من مؤسسات الشركات الوسيطة. غير أن التعاون الزراعي شمل كما في السابق أقلية ضعيفة فقط من الاقتصادات الزراعية (نحو ١٥%)[١]. لقد بقي حجم تصريف المنتوجات المهمة للزراعة وللمواشي غير كبير نسبياً.

إن عدم رضا المزارعين بنتائج الحركة التعاونية أجبرهم على التوجه إلى فكرة مساعدة الدولة للزراعة. وفي أيار عام ١٩٢١ توحدت مجموعة من الشيوخ وأعضاء مجلس ممثلي الكونغرس الفدرالي عن ولايات الغرب والجنوب الزراعية فيما سمي بتكتل المزارعين. واستلم رئاسة الاتحاد الجديد عضو مجلس الشيوخ والجمهوري عن ولاية ايوفا وليام كينيون، أما في تركيبه فقد دخلت شخصيات سياسية بارزة في الولايات المتحدة الأمريكية مثل: أعضاء مجلس الشيوخ روبرت لافولليت، وجورج هوريس، وتشارلز ماكنيري، وأرتور كيبير وغيرهم. حقق التكتل الزراعي، بعد أن نظم نفسه كجماعة برلمانية تمارس نشاطها بصورة منتظمة خلال أعوام ١٩٢١ - ١٩٢٣ بعض النجاحات في مجال التشريع الزراعي، وبصورة رئيسية في مسألة تحسين نظام القرض الزراعي، وفي النضال من أجل إعطاء الشرعية للنظام الأساسي للتعاون الزراعي وفي تنظيم مساعدة الدولة لمزارعي التعاونيات.

كان النضال من أجل النشاط السياسي المستقل للكادحين أحد الأشكال المهمة أيضاً للحركة الديمقراطية في الولايات المتحدة بعد الحرب، وكان الاتجاه السائد فيه معادياً بشكل واضح للاحتكارات. ويعود السبب في ذلك إلى الاستياء

(١) U.S. Census of Agriculture, 1923. Wash, 1927, vol. 1, p. 74.

المتعاظم للجماهير الشعبية من تسلط الاحتكارات، الذي عبر عن خيبة أمل الكادحين العميقة من سياسة الأحزاب البرجوازية، وأحياناً عن سعيهم أيضاً للخروج من إطار نظام الحزبين التقليدي.

أظهرت الأوساط النقابية اليسارية التي تجمعت حول فدرالية شيكاغو للعمل، والتي أصبحت مركزاً فريداً آنذاك للحركة العمالية التقدمية، نشاطاً كبيراً في نضال القوى الديمقراطية من أجل الممارسة السياسية المستقلة. وقد توجه رئيس هذه الفدرالية ج. فيتسباتريك في تشرين الأول عام ١٩١٨ إلى العمال الأمريكان بنداء لإنشاء حزب عمالي جماهيري. وصاغت قيادة الفدرالية أسس المتعلقة بمخططها المقبل، الذي وضع نصب عينه سلفاً إجراء عدد من الإصلاحات الاجتماعية الاقتصادية المهمة بهدف الحد من سيطرة الاحتكارات. احتلت مطالب تأميم السكك الحديدية، وشركات الملاحة ومؤسسات الطاقة المائية، والخطوط التلغرافية والتلفونية، وصوامع الحبوب والأراضي غير المستعملة، المكان الرئيس فيه. ولقد تمَّ في المخطط كذلك طرح مطالب جعل يوم العمل ٨ ساعات و٤٤ ساعة في الأسبوع، وإصدار قانون الحد الأدنى للأجور، والاعتراف بحقوق العمال في الاتحاد في نقابات وعقود العمل الجماعية، وإقامة نظام حكومي للتأمين الاجتماعي، وزيادة الضرائب على الرأسمال الكبير، ودمقرطة البناء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وإلغاء أي حد من حرية الكلمة، والصحافة، والاجتماع. وأخيراً وبمواجهة شعار ويلسون حول رابطة الأمم فإن برنامج فدرالية شيكاغو للعمل تقدمت باقتراح إنشاء رابطة عمال جميع الأمم، من أجل «تحقيق القضاء على الأحكام الاستبدادية المطلقة والروح العسكرية» و «تحقيق نزع السلاح العام»[١].

(١) The American Labor Year Book, 1919 – 1920, p. 200-201.

تطورت على أساس هذا البرنامج الديمقراطي المعادي للاحتكارات في الولايات المتحدة الأمريكية حركة تهدف لتنظيم الأحزاب العمالية في البداية في بعض الولايات، ومن ثم على النطاق الوطني العام. وفي تشرين الثاني عام ١٩١٩، وخلال المؤتمر المنعقد في شيكاغو تمَّ إنشاء حزب العمال الوطني. وشكلت خطة الحزب الجديد- إعلان المبادئ - تطوراً لاحقاً في برنامج فدرالية شيكاغو للعمل. وتناول الحديث في إعلان المبادئ ضرورة تأميم الفروع الأساسية في الصناعة، والمواصلات، والمنظومة البنكية، وتحقيق الإدارة الديمقراطية فيها، وتمَّ توسيع المطالب السياسية أيضاً، وأدخلت بصورة خاصة مجموعة نقاط حول إيقاف التدخل ضد روسيا السوفييتية، ومنح الحقوق المتساوية لسكان الولايات المتحدة الأمريكية الزنوج(١).

لقد شكلت فدرالية شيكاغو للعمل والأحزاب العمالية المتشكلة في ١٩١٨ – ١٩١٩، من إذ التأثير الجناح اليساري في الحركة الديمقراطية. ولكن إلى جانب هذا الجناح الذي كان يعبر عن موقف النشطاء النقابيين الطليعيين، كان يوجد تيار آخر أكثر اعتدالاً. وعلى الرغم من أن مؤدلجيه وقفوا أيضاً ضد عسف الاحتكارات، وطرحوا برنامجاً للإصلاحات التقدمية، وسعوا إلى الممارسة السياسية المستقلة، غير أنهم كانوا يفضلون إجراء كل ذلك في أطر الأحزاب البرجوازية القائمة. لقد وجهوا جهودهم لإدراج مرشحيهم المستقلين الخاصين على قوائم الحزبين الجمهوري أو الديمقراطي مستخدمين في ذلك نظام الانتخابات، وتأمين وصولهم إلى الكونغرس وإلى هيئات السلطة المحلية، «تكلم أحد زعماء نقابات السكك الحديدية اي. تيتينغ: يوجد لدينا في أمريكا ما لا يوجد في أي بلد من بلدان

(١) Ibid, p. 438 – 439.

العالم - نظام الانتخابات المحلية... إننا، إذ نملك ذلك النظام لا نحتاج إلى حزب ثالث، لأنه إذا أراد الشعب لا أكثر ولا أقل أن يجدد هذا الحزب أو ذاك من الأحزاب القديمة، فإنه يستطيع ذلك في أية لحظة من خلال تأثيره بصورة مناسبة على الانتخابات المحلية»(١).

لقد لعبت الدور الرئيسي في الجناح المعتدل في الحركة الديمقراطية نقابات عمال مواصلات السكك الحديدية، وسار خلفها قسم من المزارعين وبرجوازية المدينة الصغيرة والمتوسطة، وكذلك المثقفون التقدميون. بالطبع، كان الخط التكتيكي المتخذ من قبلهم، شكلاً بسيطاً غاية البساطة للنشاط السياسي المستقل. لكن وبالمقارنة مع المتابعة السلبية للمرشحين الرسميين للحزبين البرجوازيين وهي ما كان يميز أغلبية نقابات الفدرالية الأمريكية للعمل، كان ذلك خطوة ملموسة إلى الأمام.

إن تعزيز فاعلية طرق النضال التكتيكية المحددة تلك ساهم بتقوية نشاط الرابطة غير الحزبية، ومنظمة المزارعين الراديكاليين، التي تم إنشاؤها في عام ١٩١٥ في شمال داكوتا من قبل المزارع المحلي أرتور تاونلي. وقد حققت الرابطة في الانتخابات عام ١٩١٨ انتصارا كبيراً، وحصلت على جميع المناصب الإدارية الأساسية في شمال داكوتا، بما في ذلك منصب الحاكم، وذلك بعد أن نجحت في تقديم مرشحيها الخاصين في القوائم الانتخابية، وحققت لنفسها الأكثرية المطلقة في كلتا غرفتي المجلس التشريعي والمحلي.

---

(١) استشهاد من : Fine N. Labor and Farmer Parties in the United States, 1828 – 1928 N. Y. 1961, p. 371

وفي عامي ١٩١٩ -١٩٢٠، وتحت قيادة الرابطة غير الحزبية في شمال داكوتا تمَّ تحقيق الكثير من الإصلاحات الديمقراطية المهمة، وبدأت السلطات المحلية ببناء صوامع ومطاحن عامة، وكان عليها أن تزيح مصانع الشركات الاحتكارية الوسيطة، وذلك بالاعتماد على أموال بنك داكوتا الشمالية الذي تمَّ إنشاؤه لهذا الغرض بالذات. وعلى أراضي الولاية فُرضت ضريبة داخل تصاعدية، وتمَّ تخفيض تسعيرات السكك الحديدية ونسبة الفوائد على الديون، وإقامة نظام لتعويضات العمال في حالة فقدانهم القدرة على العمل. وأخيراً، تمَّ تأسيس جمعية لبناء البيوت السكنية في الولاية، والتي بدأت بتقديم القروض التسهيلية للعمال والمزارعين بهدف مساعدتهم على شراء بيوت سكنية مجهزة بالمرافق الحيوية أو بنائها[١].

جابهت النشاطات الحيوية للرابطة غير الحزبية مقاومة ضارية من الرأسمال الاحتكاري. إذ رفض أصحاب البنوك توزيع السندات، التي أصدرتْها سلطات الولاية، وعرقلت الشركات الكبيرة بناء الصوامع العامة، والأبنية السكنية العمالية. وأقدمت الصحافة الرجعية على بثّ الرعب بين المزارعين من «الخطر الأحمر»، من خلال تسميتهم لقادة الرابطة بـ «أنصار لينين الاشتراكيين الراديكاليين»[٢]. بيد أن النضال من أجل التحقيق العملي للإصلاحات استمر. وكان للنجاحات التي حققتها منظمات الرابطة غير الحزبية ما في ذلك تلك النجاحات الجزئية منها أهمية كبيرة ليس فقط بالنسبة لداكوتا الشمالية، وإنما بالنسبة للبلاد بأسرها. إذ إنها أظهرت للعمال والمزارعين، بأنه يمكن تقليص

(١) The New Day in North Dakota some of the Principal laws Enacted by the Sixteenth Legisiative Assembly, 1919 Bismarck (N.D), 1919.

(٢) Fi.

سيطرة الاحتكارات بشكل كبير، بشرط اتحادها. وليس من باب المصادفة أن شعبية الرابطة غير الحزبية انتشرت بعيداً خارج نطاق داكوتا الشمالية. وحتى بداية عام ١٩٢٠ وجدت فروعها في ١٥ ولاية في الغرب، وبلغ عدد أعضائها ٤٥٠ ألف عضو منتظم، أما العدد العام للمزارعين الواقعين تحت التأثير الفكري للرابطة غير الحزبية فوصل إلى المليون[١].

لقد انضم إلى الجناح المعتدل في الحركة الديمقراطية كذلك مجموعات برجوازية صغيرة مختلفة، عُرفت باسم التقدميين. ولعبت الدور الأكبر والأكثر نشاطاً من بين هذه المجموعات، مجموعة «اللجنة - ٤٨» - التي كانت المجموعة الأكبر من بينها والتي ضمت في صفوفها ممثلي فئة المثقفين البرجوازية الصغيرة، والأعضاء السابقين في الحزب التقدمي الذي كان منقسماً في ذلك الوقت، والذي تشكَّل في عام ١٩١٢، والمجلات الراديكالية «نيشن» و«نيو ريبابليك»، وكذلك مجموعة من الجمهوريين اليساريين برئاسة عضو مجلس الشيوخ ر. لافولليت. قامت هذه التيارات التقدمية البرجوازية الصغيرة الأكثر أو الأقل ثباتاً بالدعاية لبرنامج الإصلاحات الديمقراطية المعادية للاحتكارات، والذي شكلت آراء الاقتصادي الأمريكي الشهير ت. فيبلين الأساس النظري له. ووقف التقدميون كذلك موقف إدانة تجاه سياسة الحكومة الأمريكية تجاه روسيا السوفييتية، واشتركوا مشاركة فعّالة في النضال من أجل وقف التدخل المعادي للسوفييت وخروج جميع القوات الأجنبية من روسيا.

لقد عبرَّت المجموعات الإصلاحية والتيارات التقدمية البرجوازية الصغيرة عن مصالح الفئات الوسطى من المجتمع الرأسمالي، والتي كان

(١) Nonpartisan Leader, 1919, Sept. 22, p. 3.

ثقلها النوعي بالنسبة لسكان الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، كما رأينا كبيراً بما يكفي. إن وضع الفئات الاجتماعية البرجوازية الصغيرة، التي أفلست في الصراع التنافسي مع التروستات والاتحادات الاحتكارية، جعلها بصورة حتمية في معارضة الاحتكارات. وبالطبع، فإن هذه المجموعات الممثلة للفئات الوسطى في المجتمع أدخلت إلى الحركة الديمقراطية الكثير من الأوهام والخرافات. ولكن، وعلى الرغم من الخلافات مع العمال الطليعيين، فإن التجمعات التقدمية البرجوازية الصغيرة كانت متضامنة معهم فيما هو رئيس - في السعي للجم الاحتكارات.

وكان ذلك يعني، أنه بدأت تنشأ في الولايات المتحدة الأمريكية وبصورة تدريجية المقدمات من أجل توحيد كل القوى المناهضة للاحتكارات، وكان الرواد الرئيسيون في النضال من أجل وحدة القوى الديمقراطية هم العناصر الطليعية في الحركة النقابية. وفي حزيران عام ١٩٢٠، وفي المؤتمر الثاني لحزب العمال الوطني تمَّ اتخاذ قرار بتحويله إلى حزب العمال والمزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد دخل في تركيبه فيدرالية شيكاغو للعمل وغيرها من النقابات اليسارية، وكذلك عدد من مجموعات المزارعين الراديكاليين المحليين والأغلبية من الأعضاء الأساسيين في «لجنة - ٤٨». و أقرّ المؤتمر خطة سياسية، وُضعت في أساس إعلان حزب العمال الوطني لمبادئه.

وجدت النزعات الراديكالية المتزايدة في أوساط العمال والمزارعين انعكاساً لها في نتائج انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٢٠، إذ حصل مرشح الحزب الاشتراكي في أمريكا بو. ديبس، الذي طرح في هذه الانتخابات برنامجاً معادية للرأسمالية، على ٩٢٠ ألف صوت، أما بالنسبة لمرشح حزب العمال

والمزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية ب. كريستينسين، الذي كان يروج لبرنامج واسع معاد لمطالب الاحتكارات، فحصل على ٢٥٠ ألف صوت[١]. وهكذا فإن أكثر من مليون ناخب لم يكتفوا بالتعبير عن عدم رضاهم فقط من سيطرة الرأسمال الكبير، وإنما ذهبوا إلى القطيعة المباشرة مع نظام الحزبين التقليدي. إن تجربة النضال السياسي أظهرت للعمال الطليعيين والمزارعين ضرورة الانتقال إلى أشكال أكثر راديكالية للممارسة السياسية المستقلة، وإلى إنشاء حزب ثالث وطني عام.

جرت محاولة في بداية العشرينيات لتوحيد جميع القوى المعادية للاحتكارات على نطاق البلاد، على أساس توسيع قاعدة الحركة الديمقراطية واشتداد النزعة نحو العمل السياسي المستقل للكادحين. وهكذا تأسست في شيكاغو ، وفي مؤتمر ممثلي مختلف المنظمات التقدمية، الذي عُقد في شباط ١٩٢٢ فدرالية وطنية عامة لتيارات الحركة الديمقراطية المهمة، والتي تمت تسميتها بمؤتمر العمل السياسي التقدمي. وكان على رأس هذا الاتحاد الجديد زعماء نقابات السكك الحديدية، الذين سعوا إلى تقليص تأثيره في دعم بعض المرشحين التقدميين في مؤتمر الحزبين الجمهوري والديمقراطي. غير أنه وإلى جانب ممثلي الجناح المعتدل في الحركة الديمقراطية، دخل في تركيب مؤتمر العمل السياسي التقدمي مجموعات راديكالية كذلك مرتبطة مع الأوساط اليسارية في النقابات، وكان حزب العمال والمزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية يعبر عن تطلعاتهم، وكذلك بعض أقسامه في مختلف الولايات، التي استمرت في النضال من أجل إنشاء حزب جماهيري مستقل للكادحين.

(١) Historical Statistics of the United States, p. 1073.

نظر برنامج مؤتمر العمل السياسي التقدمي في عدد من الإصلاحات، الموجهة لتقليص سلطة الاحتكارات ودمقرطة النظام السياسي في البلاد. ومن بين التدابير المقترحة من قبله، تأميم السكك الحديدية، وإقامة رقابة اجتماعية على مناجم الفحم ومؤسسات الطاقة المائية، ورفع الضرائب على المداخيل العالية، وجعل انتخابات الرئاسة مباشرة، وتقليص الصلاحيات المطلقة للمحكمة العليا وغيرها. إن البرنامج من دون شك كان يمكن أن يصبح أساساً أولياً لتلاحم كل القوى الديمقراطية. وقد استغلت قيادة حزب العمال الأمريكي ذلك، عندما اتخذت قراراً في أيار عام ١٩٢٢ بتوقيع وثيقة مع حزب العمال والمزارعين الأمريكي، من أجل القيام بدعاية نشطة معه ضمن إطار مؤتمر العمل السياسي التقدمي، لإنشاء حزب وطني جماهيري عام للكادحين.

لقد وقف ممثلو حزب العمال والمزارعين، وكذلك مندوبي فدرالية العمل في شيكاغو، واتحاد الخياطين الموحد وغيرها من النقابات اليسارية، في الجلسة الثانية لمؤتمر العمل السياسي التقدمي، إلى جانب إنشاء حزب وطني عام ثالث، واقترحوا قراراً يدعون فيه مؤتمر العمل السياسي التقدمي أن يدلي برأيه في هذا الموضوع، كي «تتحقق النشاطات السياسية المستقلة للعمال والمزارعين من الآن فصاعداً عبر حزبهم الخاص». بيد أن المؤتمر بأكثرية الأصوات رفض اقتراحات مندوبي الجناح اليساري، وحافظ على الخط التكتيكي لزعماء أخوية السكك الحديدية، الذين استسلموا لأفضلية القيام بنشاطات في أطر نظام الحزبين[1].

عبّر نشطاء النقابات الطليعيون المنضمون إلى فدرالية العمل في شيكاغو، وحزب العمال والمزارعين عن عدم رضاهم عن تلك النتيجة، التي كانت حسب

(١) The American Labor Year Book, 1923-1924, N.Y.,1924, p. 50.

رأيهم عبارة عن «تأييد للسياسة الهوبيرية الهادفة لتشجيع الأصدقاء ومعاقبة أعداد الحركة العمالية في الحزبين البرجوازيين من إذ الجوهر»[1]، ولذلك قاطعت شخصيات الجناح اليساري مؤتمر العمل السياسي التقدمي، وخرجوا من عضويته، وحاولوا العمل بصورة مستقلة. ولقد تمَّ عقد مؤتمر وطني عام للمجموعات اليسارية في الحركة الديمقراطية في شيكاغو، في تموز عام ١٩٢٣، وكانت مساهمة الشيوعيين فيه فعالة. اتخذ المؤتمر قراراً بتنظيم حزب سياسي جديد للكادحين تحت اسم - الحزب الفدرالي للعمال والمزارعين.

بيد أنه ظهر في المؤتمر نفسه وعلى الأخص بعد انتهائه، أن الكثير من منظمات العمال والمزارعين، المنضمين إلى الجناح اليساري، بدأت بالابتعاد عن الحزب فور إنشائه. لم يتمكن الحزب الفدرالي للعمال والمزارعين من كسب جماهير العمال والمزارعين، وكان السبب المهم لهزيمة القوى اليسارية يعود إلى أن الكتلة الأساسية من المشاركين في الحركة الديمقراطية لم تكن مستعدة للقطيعة الكاملة مع نظام الحزبين.

إن أكثريتها سارت وراء شخصيات الجناح المعتدل في مؤتمر العمل السياسي التقدمي الذين كانوا يقودونه، وقد عزمت على أن تقدم مرشحيها إلى قوائم الحزبين السياسيين الأساسيين. وحتى في صفوف الجناح اليساري كانت هناك نزعة قوية لصالح تأييد الشخصيات التقدمية على غرار عضو مجلس الشيوخ ب. لافولليت.

٤ - الحملة الانتخابية عام ١٩٢٤

تطورت الحملة الانتخابية عام ١٩٢٤ في هذا الجو، وكانت تتميز بالصراع السياسي الحاد. قوتان أساسيتان وقفتا بمجابهة بعضهما بعضاً: قوى الرجعية التي

(١) Popper J. Fot a Labor Party Recent Revolutionary Chages in American Politics Chicago, 1923, p. 68.

يشرف عليها بدرجة متساوية كلا الحزبين البرجوازيين، والقوى الديمقراطية في البلاد، التي كانت مستاءة من النهج الممالئ للاحتكارات في سياسة الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تسعى إلى إحداث تحولات سياسية اجتماعية عميقة.

لقد تجاهل كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي تجاهلاً كاملاً في مؤتمرهما الانتخابيين الحركة الديمقراطية التي تتسع في البلاد، كان مزاج شخصيات الحزب الجمهوري الحاكم معادياً بصورة خاصة، وانقضى مؤتمر هذا الحزب الذي انعقد في حزيران عام ١٩٢٤ في كليفلاند، بسيطرة مطلقة لمنظمة «الحرس القديم» الجمهوريين الرجعية. وكان البرنامج، الذي أثمر عنه المؤتمر، يدافع بصورة واضحة عن النهج السياسي الفردي الرجعي الممالئ للاحتكارات. لقد وقف الحزب الجمهوري بصورة صلبة إلى جانب «الاقتصاد الحازم على طريق تقليص النفقات الحكومية»، وجرى الحديث في برنامج الحزب أن «ازدهار الأمة الأمريكية سيصمد بالاعتماد على قوة المبادرة الخاصة، التي تنمي روح الاستقلال والثقة بقوتها. إن الحزب الجمهوري كما هو دائماً، يقف ضد أي محاولات لتدخل الحكومة في عمل البزنس»[1]. وتمّ التطرق في البرنامج أيضاً إلى ضرورة الرفع اللاحق للضرائب الجمركية، وتقليص الضرائب على دخول الاحتكارات الكبيرة.. الخ، وكان المرشح إلى منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن الجمهوريين هوك كوليدج.

حاول الديمقراطيون كسب الرأسمال السياسي إليهم من خلال الفضح الصاخب للفساد الحكومي في فترة إدارة هاردينغ الجمهورية، بيد أن الحزب الديمقراطي لم يقدم أية أفكار جديدة، وكانت خطته الانتخابية مشابهة لخطة

---

(١) National Party Platforms, 184-1972 Gompl, by D dohnsom1k .porter Urbana (III), 1973, p. 258-263.

الجمهوريين. وبالإضافة لذلك، لم يكن الديمقراطيون يملكون زعيماً معترفاً به على النطاق الوطني، ولقد «تفرق الديمقراطيون إلى جماعات صغيرة» بعد رحيل ف. ويلسون عن المسرح السياسي، و«حلَّت منظومة توزيع المسؤوليات والوظائف مكان شعارات ويلسون الواسعة»(١) في أيديولوجية الحزب. ولم يسعى زعماء هذه الجماعات إلى صياغة خيار بناء في مواجهة نهج الجمهوريين، وإنما إلى تحقيق حلول وسطية غير مبدئية من أجل الانتصار في الصراع الحزبي الداخلي، لذلك استمر المؤتمر الانتخابي للحزب الديمقراطي الذي افتتح في حزيران عام ١٩٢٤ في مدينة نيويورك بالعمل لمدة طويلة بصورة استثنائية، وعلى مدى أسبوعين جرى صراع حاد فيهما بين مختلف الجماعات، فمندوبو الولايات الصناعية في الشمال الشرقي من البلاد دافعوا عن ترشيح حاكم ولاية نيويورك أ. سميث ، أما ممثلو المناطق الزراعية في الجنوب والغرب، فدافعوا عن ترشيح الشخصية البارزة في إدارة ويلسون او. ماكادور. لم يحصل لا هذا ولا ذاك على الأكثرية، وفي نهاية المطاف استقر أرباب العمل الحزبيون على ترشيحهم ل. ج. ديفيس الشخصية السياسية المحافظة، والسفير الأمريكي السابق في إنكلترا والمستشار الحقوقي لبنك «بيت آل مورغان». وفي الجولة ١٠٣ تمَّ إقرار ترشيح ج. ديفيس لمنصب رئيس الجمهورية عن الحزب الديمقراطي.

لم تحقق المؤتمرات الانتخابية للجمهوريين والديمقراطيين آمال زعماء مؤتمر العمل السياسي التقدمي، واتضح أن الخطتين الانتخابيتين لكلا الحزبين كانتا رجعيتين. غير أنه حتى في هذه الظروف وقفت قيادة مؤتمر العمل السياسي التقدمي ضد إنشاء حزب ثالث. لقد اتخذ المؤتمر الانتخابي لمؤتمر

---

(١) Burner D. The Politics of Provincialism the Democratic Party in Transition, 1918-1932 N.Y. , 1968, p. 50, 168.

العمل السياسي التقدمي المنعقد في تموز عام ١٩٢٤ في كليفلاند قراراً بترشيح عضو مجلس الشيوخ لافولليت إلى منصب رئيس الجمهورية، الذي كان ينوي أن يقوم بحملة انتخابية كمرشح مستقل على أساس برنامج عمل خاص به.

«كان برنامج عضو مجلس الشيوخ لافولليت في انتخابات عام ١٩٢٤ عبارة عن وثيقة تقدمية، أعلنت هدفاً رئيسياً يتمثل في الحد من جبروت الاحتكارين الاقتصادي والسياسي، وتصفية رقابة الاحتكارات على الحكومة واقتصاد البلاد. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف كان يجب إجراء تلك التدابير مثل تأميم السكك الحديدية ومؤسسات الطاقة المائية، وإجراء رقابة اجتماعية على الموارد الطبيعية، ورفع الضرائب على الرأسمال الكبير. ولقد تمَّ إيلاء أهمية كبيرة في مشروع ر. لافولليت لمطالب العمال والمزارعين، إذ جرت الإشارة فيه إلى ضرورة الاعتراف بحقوق العمال في التنظيم وعقد الاتفاق الجماعي، ومنع تدخل القضاء في نزاعات العمل، وتنظيم الأعمال الاجتماعية من أجل العاطلين عن العمل، وتقديم القرض التسهيلي للمزارعين. وأخيراً طالب بدمقرطة واسعة للنظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية»[١].

لم يحتو برنامج عضو مجلس الشيوخ ر. لافولليت كممثل سياسي للبرجوازية الصغيرة في داخله على أفكار راديكالية فقط، وإنما على أفكار محافظة أيضاً. كان فيه الكثير من الأوهام الإصلاحية، وتجلى ذلك في عدم طرح مسالة إنشاء حزب ثالث. ولكن البرنامج، ورغم كل محدوديته البرجوازية الصغيرة لعب دوراً تقدمياً لأن نجح في توجيه الاستياء المبهم لملايين الكادحين ليصب في مجرى النضال الديمقراطي العام المناهض للاحتكارات.

---

(١) National Party Platforms, p. 252-253.

لقد لقي ترشيح ر. لافولليت تأييداً واسعاً بين الناخبين، ووجد هذا انعكاساً له في الرسائل الكثيرة لممثلي مختلف الفئات الاجتماعية، المستائين من تسلط الاحتكارات وغير راضين من نهج سياسة الأحزاب البرجوازية الرجعية[1]. ولدعم ر. لافولليت قامت أغلب منظمات العمال والمزارعين، وعلى وجه الخصوص مؤتمر الحزب الاشتراكي وعدد من النقابات الكبيرة. ولأول مرة خلال وجود الفدرالية الأمريكية للعمل بتأييد ترشيح مستقل إلى منصب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية، ودعمت ترشيح ر. لافولليت، على الرغم من أنها قامت بوضع شرط خاص يؤكد بأن ذلك لا يعني رفضاً للسياسة «غير الحزبية» ولا الموافقة على الحركة من أجل العمل السياسي المستقل أو الحزب الثالث[2].

وهكذا، ظهر في سير الحملة الانتخابية عام ١٩٢٤ تحالف واسع للقوى الديمقراطية، على الرغم من أنه مؤسس بصورة ضعيفة من الناحية التنظيمية، أطلق عليه اسم «حركة لافولليت». كان هذا التحالف حسب تقدير او. ز. فوستر عبارة عن اتحاد بين العمال والبرجوازية الصغيرة والمزارعين للنضال ضد الرأسمال الاحتكاري تحت قيادة البرجوازية الصغيرة والزعماء النقابيين[3]. لقد توصّل قادة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن حللوا نتائج موقف الشيوعيين في حملة عام ١٩٢٤ إلى استنتاج مفاده أنه كان عليه أن يلعب في تلك الفترة دور الجناح يساري في «حركة لافولليت» وأن يقدم الدعم الضروري له، ولكنهم في الوقت نفسه تناولوا الضعف في خطته الانتخابية بالنقد. بيد أنه ظهرت

---

(١) C. A. Brother to W Johnston, July 20, 1924, L. F. Post to R. luEollette, Augost 3, 1924 : M. Parsons to M. Rawlingh, August 27, 1924- Library of Congress, Washington (D C), Division of Mannscripts, Roberet M. La Follette, st, papers.

(٢)The American Federationist, 1924, Sept., p. 708.

(٣) Foster W.Z. : History of the Communist Party of the United States, p. 220.

في الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٤ مؤشرات ذاك المرض «اليساري» نفسه، الذي كان قد أشار إليه ف. اي. لينين أيضاً في عام ١٩٢٠ والذي كانت إحدى تجلياته الملموسة تكمن في أخطاء التعصب، التي ارتكبها حزب أمريكا العمالي، عندما قدّم مرشحه الخاص لمنصب رئيس الجمهورية بعد رفضه فكرة دعم ر. لافولليت بأي شكل من الأشكال كشخصية سياسية «تقف ضد النظام الرأسمالي»[١]. لم يطرح حزب العمال الأمريكي في خطته الانتخابية مهام النضال الديمقراطي الناضجة، التي كان يمكن أن توصل الطبقة العاملة إلى فهم رسالتها التاريخية بصورة تدريجية، وإنما شعارات سابقة لأوانها في ظروف ذلك الوقت وهي «القضاء على الرأسمالية وإقامة حكومة للعمال والمزارعين كهيئة لديكتاتورية البروليتاريا»[٢]. كان مثل هذا الخط التكتيكي خاطئاً، كما أشار إلى ذلك فيما بعد شخصيات الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية[٣]. أقلقت الحملة الانتخابية لـ ر. لافولليت ممثلي الرأسمال الكبير، وانقض الجمهوريون والديمقراطيون على الخصم السياسي العام. لقد شوهوا آراء لافولليت، وسموه «راديكالي خطر»، و«أحمر» و«مؤسسة أمريكية هدامة». لم يتم الاكتفاء بذلك بالطبع دون الصراخ حول «يد موسكو» المزعومة، وأن ر. لافولليت يخوض حملته الانتخابية كما لو أنها بأموال حصل عليها من الاتحاد السوفييتي[٤]. ودون أن يحدّوا من طرائق التأثير الإيديولوجي لجأت الأوساط الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الضغط الفظ على الناخبين، مهددة

(١) Labor Herald, 1924, July, p. 150.

(٢) National Party Platforms, p. 268.

(٣) Foley T. The la FolletteCompaign of 1924, p. 31, 38-39.

(٤) New York Times, 1924, Oct. 16.

إياهم بالعقوبات المتنوعة التي قد تصل إلى الفصل من العمل أو مصادرة الأملاك بسبب الديون لأولئك الذين ينوون دعم مرشح التقدميين.

وعلى الرغم من الحملة المعادية الضارية لـ لافولليت، ونقاط الضعف التنظيمي في حركته نفسها والنقص في الوسائل المالية لدى المرشح المستقل للتقدميين ر. لافولليت فإنه حصل على ٤٨٣١ ألف صوت عام ١٩٢٤، أي ١٦,٥% من المجموع العام لأصوات الناخبين، الذين أدلوا بأصواتهم في الانتخابات. بيد أنه استطاع أن يحرز النصر فقط في ولاية واحدة هي ويسكونسين، الأمر الذي أعطاه ١٣ نقطة انتخابية فقط. لقد لعب دوراً كبيراً في خسارة ر. لافولليت تحسن الحالة الاقتصادية، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الاستقرار الرأسمالي النسبي، والمديح العالي المتزامن من قبل الجمهوريين والديمقراطيين فيما يتعلق بـ «الازدهار» الأمريكي.

وفي هذا الجو أحرز الحزب الجمهوري الانتصار في الانتخابات، وتم انتخاب ك. كوليدج رئيساً للجمهورية، وقد حصل على ١٠٧١٨ ألف صوت، وأمن لنفسه ٣٨٢ نقطة انتخابية، أما مرشح الديمقراطيين ج. ديفيس فقد حصل على ٨٣٨٥ ألف صوت و ١٣٦ نقطة انتخابية[١]. لقد شغل الجمهوريون الأكثرية في كلا مجلسي الكونغرس. إن خسارة القوى الديمقراطية في انتخابات عام ١٩٢٤، وبدء النهوض الاقتصادي، كل ذلك كان يشهد على أن الولايات المتحدة دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها.

---

(١) Historical Statistics of the United States, p. 1073.

الفصل الثالث

الولايات المتحدة الأمريكية و«نظام فرساي»

أ- «النقاط الـ ١٤» لويلسون

استمرت عملية تقسيم العالم في مؤتمر باريس الذي شاركت فيه ٢٧ دولة، وبمشاركة فعالة من الولايات المتحدة الأمريكية من ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٩ حتى ٢١ كانون الثاني عام ١٩٢٠. لقد دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في عداد الدول الخمس الكبرى اللواتي اعترف المؤتمر بهن كدول «عظمى» (الولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وفرنسا، وإيطاليا، واليابان)، بعد أن وجدت نفسها في معسكر المنتصرين، ومعتمدة في ذلك على قدرتها الاقتصادية والمالية المتنامية، وتقدمت ببرنامج يهدف لتأمين الزعامة العالمية لأمريكا.

شكل ذلك مرحلة جديدة بالمقارنة مع سياسة ما قبل الحرب، وعلى الرغم من أن السياسة الجديدة كانت ذات طابع إمبريالي توسعي، كانت مهتمة حتى ذلك الوقت بالتوسع في أمريكا اللاتينية والشرق الأقصى.

لقد سعت الجمهورية الواقعة وراء المحيط للمطالبة بالعالمية في تلك اللحظة، التي انقسم فيها العالم إلى منظومتين. لقد خلق انتصار ثورة أكتوبر في روسيا مركزاً جاذباً بالنسبة للشعوب، التي كانت تعاني الحرب، وتسعى للتحرر من الظلم الإمبريالي. إذ انتشرت أفكار لينين حول إنهاء الحرب مباشرة، وإسقاط الحكومات الرأسمالية، وأفكار الاشتراكية في جميع القارات.

أصبحت أكتوبر وتأثيراتها العالمية عقبة رئيسية أمام سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية. إن الزعامة العالمية في تلك الظروف كانت تتطلب أساساً فكرياً، وهذا ما حاول الرئيس ف. ويلسون القيام به.

لقد كُرست لدور ف. ويلسون في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إنشاء منظومة فرساي بصورة عامة، الكثير من الأدبيات الأمريكية، بصورة خاصة، وكانت تعبيراً عن الأهمية الكبيرة للصفات الشخصية للرئيس. فخصوم ويلسون كانوا يعلنون أنه متجبّر، لا يريد أن يأخذ بعين الاعتبار آراء الآخرين، وسياسي غير كفء، وعالم نظري، أما مؤيدوه - فمثالي، تحركه المثل العليا للديمقراطية والسلم، وواعظ، وقديس.

إن الاهتمام المتزايد بشخصية ويلسون كان موجهاً لتفسير الانعطاف باتجاه الزعامة العالمية في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية، وبصورة خاصة هزيمة هذه السياسة في أعوام ١٩١٨-١٩٢٠. إن شخصية الرئيس بصورة خاصة: في المحاولة الأولى غير الناجحة للزعامة العالمية أظهرت ويلسون مذنباً وحده، بمعزلٍ الأوساط الحاكمة العليا بصورة عامة. إن هذا التفسير يندرج تحت إطار الاتجاه التحليلي النفسي الحديث[١].

إن السمات الشخصية للرئيس - عدم تسامحه الديني تقريباً، وعدم مرونته، وميله إلى الإملاء - لعبت دون شك دوراً محدداً، ففي سياسته كان ينطلق على الأرجح من العقائد الجامدة، لا من البراغماتية التي اتصف بها

(١) George A. George J. : Woodrow Wilson and colonel House N.Y., 1956, Tucker R.C.. The George's Wilson RecxaminedAn Essay on psychobiography- The American Political Seience Review, 1977, Jun, weinstein E, Anderson J, link O. Woodrow Wilson Political Personality- Political Seience Quarterly, 1978-179 winter.

الأمريكيون. لكن ما هو رئيسي كان يكمن في أنه، وبسبب مشيئة الظروف ظهر كرئيس في فترة انعطافية حرجة من التاريخ، حين انقسم العالم إلى منظومتين، وحين أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية التي ازدادت قوة بنتيجة الحرب العالمية الأولى تطمح إلى دور البلد الرأسمالي القائد.

إن تحليل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأولى لما بعد الحرب تبدو أكثر إقناعاً، لو أن الحديث لم يجرِ عن شخصية ف. ويلسون وحدها، وعن «الواعظ قبل أوانه» وعن «الرسول غير المفهوم» إلخ، بمقدار ما تم الحديث عن العامل الأكثر واقعية ووزناً - الويلسنية. إن الويلسنية - وجه أمريكي لظاهرة معروفة بصورة واسعة هي الليبرالية - الوطنية البرجوازية، والتي يكمن جوهرها في - الجمع بين العدوان والإصلاح - وكانت تحوز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى دعماً ملموساً في أوساط الولايات المتحدة الأمريكية الحاكمة. لقد أدخلت الليبرالية - الوطنية البرجوازية في أيديولوجيتها في ذلك الزمن مسألة النضال ضد أكتوبر، وضد تأثيرها العالمي. وأصبح العداء للسوفييتية هو الاتجاه الأكثر أهمية في سياسة ويلسون، وشكَّل نزعة طويلة الأمد ودائمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت الوثيقة الرئيسية التي جسدت برنامج الولايات المتحدة الأمريكية ما بعد الحرب، هي «النقاط الـ ١٤» التي تمت صياغتها على شكل رسالة من الرئيس إلى الكونغرس في ٨ كانون الثاني عام ١٩١٨. لقد أقرّ ويلسون في تشرين الأول عام ١٩١٨ التفسير المعدّ من قبل الإدارة الحكومية لـ «النقاط الـ ١٤» الذي كان جافاً وملموساً بخلاف الوثيقة الأساسية التي كانت قد أعلنت بعبارات غامضة عن المبادئ العليا، وشكل دليلاً عملياً بالنسبة للدبلوماسيين الأمريكان في فرساي. إن مقارنة كلتا الوثيقتين تظهر أن الولايات المتحدة

الأمريكية كانت تسعى لقيادة العالم، من خلال تعزيز مواقعها المسيطرة في كل اتجاهات السياسة الدولية، وذلك من خلال وضعها الديمقراطية البرجوازية بمواجهة المطالب الثورية للشعوب.

إن إعلان «المعاهدات العلنية حول السلام، التي تمَّ تحقيقها بطريقة مكشوفة» ومنع الدبلوماسية السرية (النقطة رقم ١)، والحرية في البحار (النقطة الثانية)، والمساواة في الشروط بالنسبة للتجارة مع جميع الدول، أي، تحقيق مذهب «الأبواب المفتوحة» الأمريكي، من إذ الجوهر (النقطة الثالثة)، وتقليص التسلح (النقطة الرابعة)، و«الحل المنصف لكل مسائل المستعمرات» (النقطة الخامسة)، كلها كانت موجهة ضد معاهدات إنكلترا وفرنسا واليابان السرية (التي لم تشارك فيها الولايات المتحدة الأمريكية، التي دخلت الحرب فقط في عام ١٩١٧)، وضد سيطرتهم في البحار، وفي مجالات التأثير في المستعمرات، والمجال العسكري. وفي الوقت نفسه فإن هذه المبادئ، التي لم تكن قد توضحت تفسيراتها بعد والتي ظهرت لاحقاً ولم تكن مشهورة ومعروفة، بدت كمبادئ عادلة وديمقراطية، وكانت جواباً فريداً على الشعبية الواسعة التي اكتسبتها الممارسة السوفييتية - مرسوم السلم، ونشر المعاهدات السرية، والمطالبة بالسلم دون شروط أو تعويضات، وتحرير المستعمرات.

يتناول البند السادس المكرس لروسيا مسألة «التعاطف العقلاني وغير المغرض تجاهها»، وعن «استقبالها بحفاوة» في محفل الأمم «بسبب ذلك النمط من الإدارة الذي اختارته لنفسها»[1]. ولكن تبين أنه لم يبق في سياق تفسير البند السادس على هذا النحو من «الاستقبال بحفاوة» أي أثر. لقد أُعلن عن

---

(١) أرشيف العقيد هاوز: الجزء ١-٤، موسكو، ١٩٣٧-١٩٤٤، الجزء ٤، ص ١٥١.

«ضرورة، فصل بولونيا وفنلندا، وكذلك أستونيا، ولتوانيا، وأوكرانيا، أما القفقاس، فمن الممكن النظر إليه كجزء من مشاكل الإمبراطورية التركية»، وفي آسيا الوسطى «يجب منح انتداب محدود لأي دولة عظمى على أساس الحماية».

كانت تلك خطة لتقسيم روسيا إلى عدد من التكوينات الصغيرة التابعة، وحتى في روسيا العظيمة وسيبيريا فقد نُظر في إنشاء حكومات «ذات تمثيل كاف»، الأمر الذي دلّ على عدم الاعتراف بالسلطة السوفييتية، التي تمَّ الإعلان عنها مرات عديدة بأنها «غير تمثيلية». وفي بعض بنود الوثيقة تمَّ طرح مطالب الدفاع عن ألمانيا ضد دعاوى فرنسا بـ «التعويضات، والسار»، وردع طموحات إيطاليا، وتقليص مواقع مملكة الصرب، والكاربات والسلوفينيين (يوغسلافيا المقبلة) في البلقان (اقتراح تشكيل «المدن الحرة» بالنسبة لمدينة تريستا وفيومي)، والحماية الممكنة لألبانيا من قبل إيطاليا، وإنشاء «كونفدرالية في جنوب شرق أوروبا» عوضاً عن إمبراطورية النمسا - المجر المنهارة، وانضمام النمسا إلى ألمانيا. وقد تمَّ التخطيط في هذه البنود أيضاً للقيام بإشراف دولي على المضائق التركية، وفرض الحماية من دولة عظمى على أرمينيا، وتقاسم سورية وفلسطين وبلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية بن فرنسا وإنكلترا، ولكن بشرط مراعاة «الأبواب المفتوحة» هناك، وجعل الطرق الحديدية أممية. ولقد بدا واضحاً هنا أن نهج الولايات المتحدة الأمريكية قد نظر في مسألة بعث الإمبريالية الألمانية من أجل مواجهتها لفرنسا، وكذلك الموافقة الفعلية على خلق حالة من التبعية بالنسبة لشعوب البلقان وتفكيك الإمبراطورية العثمانية عند نشوء الظروف المناسبة لتوسع الرأسمال الأمريكي في هذه المناطق.

كان البند ١٤ هو البند المحبب لـ ويلسون، لأنه كلل بناء الزعامة الأمريكية من خلال الإعلان عن تشكل عصبة الأمم بمهمة رسمية هي الحفاظ على السلم والسعي بصورة غير رسمية إلى وضع أداة في يد الولايات المتحدة الأمريكية للتدخل في الشؤون الدولية.

لقد خلقت السياسة الأمريكية في سعيها لصرف أنظار الجماهير عن الثورة، وزرع أوهام حول إمكانية الحل الديمقراطي لكل مشاكل ما بعد الحرب بمساعدة «أمريكا الإنسانية»، دعاية واسعة جداً لـ «النقاط الـ ١٤».

«الإنجيل الجديد» و«الميثاق الجديد بالنسبة للبشرية بأسرها»، و«البديل المظفر عن البلشفية» - تانت هي الخطوات التي صاحبت انتشار البرنامج الأمريكي في كل أنحاء العالم.

لقد كتب العقيد هاوز أن جميع ليبراليي العالم يجدون في «النقاط الـ ١٤» «دعماً لا يقدر بثمن ضد الفتن الداخلية[١]». والتقطت التيارات البرجوازية المسالمة، والديمقراطيون الاجتماعيون، والليبراليون هذه الدعاية، وأخذوا يمجدون ويلسون كـ «رسول للنظام السياسي الجديد» ويستقبلونه حين ظهر في أوروبا عام ١٩١٩ استقبال المنتصرين بقرع الأجراس، والتحيات بالمدافع، وبصفوف الفتيات اللواتي يرتدين أثواباً بألوان العلم الأمريكي، ويرمين الأزهار على أقدام الرئيس[٢].

اكتشف ف. ي. لينين المغزى الحقيقي لـ «النقاط الـ ١٤» كبرنامج للسيطرة الأمريكية والنضال ضد الثورة إذ كتب يقول: «إن ويلسون هو

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) لاب ف. ي. الولايات المتحدة الأمريكية، من الحرب العالمية الأولى إلى الثانية، موسكو، ١٩٧٦، ص ٥٦-٥٨.

صنم، ذو نزعة برجوازية صغيرة، ومهادن مثل كينز وعدد من أبطال الأممية الثانية.. الذين كانوا يصلّون لـ «النقاط الـ ١٤».. وهم يعتقدون أن ويلسون سينقذ «السلم الاجتماعي»، ويوفق بين المستثمِرين والمستثمَرين...[١]». وفي الواقع فإن «خطاب ويلسون هو كذب واضح ورياء[٢]».

لقد كتب ف. ي. لينين: «إن جمهورية ويلسون الديمقراطية المتخيلة كانت في الحقيقة شكلاً من أشكال الإمبريالية المسعورة، الساعية لاضطهاد وخنق الشعوب الضعيفة والصغيرة من دون خجل»[٣].

وافقت الحكومة السوفييتية، على بدء المفاوضات حول السلم على أساس «النقاط الـ ١٤» مع التنويه في مذكرة تشيتشيرين المؤرخة بتاريخ ٢٤ تشرين الأول عام ١٩١٨، أنه يجب إيصال المبادئ المعلن عنها بصورة متلاحقة إلى النهاية، وعلى سبيل المثال منح الاستقلال لا لبلجيكا، وبولونيا وغيرهما فقط، وإنما لإيرلندا، ومصر، والهند، والفلبين، ومن أجل استعادة اقتصاد أوروبا يجب الإعلان عن رفض الولايات المتحدة الأمريكية مطالبها بالديون الحربية... إلخ[٤].

لقد أكد اختيار وفد الولايات المتحدة الأمريكية إلى المؤتمر في فرساي وتوسيع نشاط الدبلوماسية الأمريكية حتى قبل المؤتمر، الطابع التوسعي

---

(١) لينين ف. ي: المؤلفات المختارة، الجزء ٤١، ص ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، الجزء ٣٠، ص ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، الجزء ٣٧، ص ١٩٢-١٩٣.

(٤) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: مجموعة وثائق/ وضعها أ. ي. تيسمينيتس، موسكو، ١٩٤٤، ص ١٤٧.

والمعادي للديمقراطية لتلك المهام السياسية الخارجية، التي كانت واشنطن تسعى إلى حلها بالارتباط مع إعادة تقسيم العالم. إن القائمة الأولى للوفد الأمريكي، المقترحة من قبل هاوز كانت تشمل ممثلي الجيش والأسطول، والطيران، والتجارة، وصناعة السفن، وصناعة الطاقة، والاتصالات، والنقابات، والصحافة... إلخ.

بيد أنه وبهدف الفاعلية الكبيرة، وبعد مفاوضات مع الدول الأخرى أُقرَّ تقليص تمثيل خمس دول عظمى إلى خمسة مندوبين لكل منها.. وهكذا، أصبح المندوبون المفوضون للولايات المتحدة الأمريكية هم: الرئيس ويلسون، ووزير الخارجية لانسينغ، والعقيد هاوز، والجنرال بليس، والسفير السابق في فرنسا وإيطاليا غ. وايت - الممثل الوحيد للحزب الجمهوري، ورافق الوفد ملاك ضخم مؤلف من ١٣٠٠ شخص. لقد تمَّ تعيين أولئك الذين كانوا في عداد القائمة الأولية، كخبراء، ومستشارين، وأعضاء مختلف لجان المؤتمر. وهكذا، تمَّ الحفاظ على تمثيل الاحتكارات وتأمين الإحاطة بكل نواحي جهاز ما بعد الحرب. وفي الوقت نفسه قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال بعثات إلى جميع الاتجاهات (خلال الأشهر الثلاثة والأربعة من العمل في باريس أرسل الوفد الأمريكي ١٤ بعثة - إلى ألمانيا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبولونيا، والبلدان الواقعة على بحر البلطيق، وأرمينيا، وسورية وغيرها)، لم تكن هذه البعثات تهدف إلى جمع المعلومات عن الحركة الثورية، والتجمعات السياسية، والحالة الاقتصادية الموجودة في كل بلد من هذه البلدان فحسب، بل إلى إقامة علاقات مع الأوساط الصناعية، وأعطت نصائح متعلقة بقمع المنظمات الثورية، واعدة بتقديم المساعدة الأمريكية للعناصر المعادية للثورة[1].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

مثل ويلسون ولانسينغ الولايات المتحدة الأمريكية في هيئة مؤتمر باريس القيادية - مجلس العشرة، إذ دخل كذلك مندوبو بريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيطاليا، واليابان (مندوبان لكل دولة من هذه الدول). لقد شكل ويلسون ومعه د. لويد جورج و ج. كليمانصو «الثلاثة الكبار» - «الحكومة العليا» في فرساي، وأصبحت «النقاط الـ ١٤» الأساس الذي استسلمت على أرضيته ألمانيا في ١١ كانون الأول عام ١٩١٨، التي كان يتم الاستناد إليها دائماً في سير المؤتمر. لقد بدا وكأن كل شيء يعد بنجاح المخططات الأمريكية. بيد أنه وفي الشهور الأولى من عمل المؤتمر، مني برنامج الحد الأعلى الأمريكي بهزيمة في معظم اتجاهاته. كيف ولماذا حدث ذلك؟

إن أحد العناصر الأكثر أهمية في هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية كان يعود إلى فشل التدخل المسلح في روسيا السوفييتية.

٢ - هزيمة التدخل المسلح ضد روسيا السوفييتية

تمَّ الكشف عن أهداف ودوافع التدخل الأمريكي في شؤون روسيا السوفييتية قبل التدخل المسلح.

لقد اعترفت إدارة ويلسون وبسرعة بالغة بالحكومة المؤقتة، وبدأت بإقامة صلات وثيقة معها عبر سفيرها د. فرنسيس، والسفير الروسي في واشنطن ب. أ. باخميتيف، والبعثات الخاصة (البعثة السياسية برئاسة الشخصية البارزة في الحزب الجمهوري، ووزير الخارجية السابق إي.روت، وبعثة الطرق الحديدية - برئاسة المهندس ج. ستيفنسون، وبعثة الصليب الأحمر وغيرها من البعثات)،

وقدمت من خلالها عدداً من القروض[1]»، ونشرت الدعايات لمصلحتها، أي إنها قامت بكل ما يلزم لتعزيز النظام البرجوازي في البلاد، وعدم السماح بتحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى اشتراكية.

وبرر الخطاب الرسمي لواشنطن النشاط المفاجئ للأمريكيين في روسيا بالسعي للحفاظ على الحليف الروسي في الحرب[2]. بيد أنه، وبمقدار ما كانت تتأكد هزيمة ألمانيا، بمقدار ما كان يصبح واضحاً، أن هذا الهدف يأتي في المقام الثاني بالنسبة لها: إن نشاط الولايات المتحدة الأمريكية لم يتناقص البتة، وإنما ازداد ضراوة وتصميماً (طالب السفير فرنسيس بتقديم ف. ي. لينين إلى المحكمة، ومناقشة آفاق إنشاء دكتاتورية «الشخص الحديدي» - كيرينسكي، وسافينكوف وكورنيلوف... إلخ).

عندما دوى انتصار أكتوبر اكتسب النهج «الإيديولوجي» والطبقي البحت للنضال الثوري خطاً أكثر وضوحاً. وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ الأيام الأولى للثورة الاشتراكية، حسب تعبير غ. ف. تشيتشيرين بشنِّ «حربٍ خفية» ضد الدولة السوفييتية الفتية، مشجعة عصيان كيرنيسكي، ودوخونين، وكاليدين، وناشرة الدعايات المغرضة («وثائق سيسّون» حول البلاشفة كـ «عملاء ألمان»)، ومؤيدة معارضة سلام برست في لحظة حرجة من نضال البلاشفة من أجل إبرامها - (برقية الرئيس ويلسون إلى مؤتمر مجموع

---

(١) حول قروض الولايات المتحدة الأمريكية للحكومة المؤقتة، انظر: غروميكو أ. أ. التوسع الخارجي للرأسمال: التاريخ والمعاصرة، موسكو، ١٩٨٢.

(٢) انظر نقد هذه الموضوعة في مؤلف: تروفيمنكو غ. أ. دروس التعايش السلمي، أسئلة التاريخ، ١٩٨٣، رقم ١١.

روسيا الـ ١٧ للسوفييتات في آذار عام ١٩١٨). ولقد تمَّ استقبال جميع اقتراحات الحكومة السوفييتية حول إقامة العلاقات الدبلوماسية والتجارية، بمؤامرة من الصمت، وانقطعت أية نداءات لأولئك الأمريكان، مثل ممثل الصليب الأحمر ر. روبينس، الذين كانوا يدعون إلى تقييم الثورة التي تحدث في روسيا تقييماً واقعياً، وترك الأوهام حول عدم متانة السلطة السوفييتية، وجعل العلاقات السوفييتية- الأمريكية طبيعية. لكن العداء الأعمى للبلشفية كان يقف حائلاً أمام الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية لفهم عظمة الأحداث الثورية التي لا تقهر.

وبعد الهزيمة في «الحرب الخفية» انتقلت إنكلترا وفرنسا ومعهما اليابان وأمريكا إلى التدخل المكشوف، ففي النضال ضد السلطة السوفييتية اتبعت حكومة ويلسون نهج التدخل العسكري المباشر من جهة، ومن جهة أخرى شد شعوب روسيا إلى الديمقراطية البرجوازية بالطرق السياسية، والدبلوماسية والاقتصادية. كان كلا الاتجاهين في هذا النهج مرتبطاً بعضهما ببعضٍ ارتباطاً وثيقاً[1].

---

(١) إن مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل العسكري بصورة مباشرة، قد تم تبيانها بصورة واسعة في الأدبيات السوفييتية، وفي الأبحاث الكثيرة للأكاديمي ي. ي. مينتس، وفي تلك الأعمال الجماعية، مثل (العلاقات الدولية في الشرق الأقصى) و«تاريخ الدبلوماسية»، و«تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي». إن الأبحاث ذات الطابع الأكثر خصوصية مثل: نعوموف ف. ب: سفر النضال البطولي: علم التدوين التاريخي السوفييتي عن الحرب الأهلية والتدخل الإمبريالي في الاتحاد السوفييتي أعوام ١٩١٨-١٩٢٢، موسكو، ١٩٧٢. وفورايف ف. ك: علم التدوين التاريخي السوفييتي حول العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، وفي كتاب: الحولية السنوية الأمريكية، ١٩٧٢، موسكو، صفحة ١٥٦. وبوليكانوف ف. د: المرحلة الأولى من الحرب الأهلية: تاريخ البحث،=

في ١٠ تموز عام ١٩١٨، أنزلت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها في مورمانسك، إذ كان التدخل الإنكليزي- الفرنسي قد بدأ في ٩ آذار. وفي فلاديفوستوك كان بسط اليابانيون نفوذهم عليها بدءاً من ٥ نيسان. وقد ظهرت القوات المسلحة الأمريكية هناك في ١٦ آب عام ١٩١٨، واستمر التدخل الأمريكي نحو عامين: في الشمال حتى تموز عام ١٩١٩، وفي الشرق الأقصى وسيبيريا حتى نيسان – أيار عام ١٩٢٠ (إذ بقي كادر أمريكي غير كبير في جزيرة روسية مع محطة لاسلكية حتى كانون الثاني عام ١٩٢٢).

وأرسلت واشنطن نحو ١٦ ألف جندي من أجل أهداف التدخل: أكثر من ٩ آلاف إلى الشرق الأدنى، وخمسة آلاف إلى منطقة مورمانسك وأرخانفلسك[1].

=موسكو، ١٩٨٠. مواد جديدة وجوانب جديدة في المسألة المطروحة في إصدارات السنوات الأخيرة. انظر: غفيشياني ل. أ: فهرس المؤلف غوسيف ك. ف. حزب الاشتراكيين الثوريين: من الثورة البرجوازية الصغيرة إلى الصورة المضادة، موسكو، ١٩٧٥. سبيرين ل. م: هزيمة الأحزاب الملكية والبرجوازية في روسيا، موسكو، ١٩٧٧. دوموفا ن. غ.: الثورة المضادة للكاديت ودحرها، موسكو، ١٩٨٢. ايوفي غ. ز: المغامرة الكولتشاكية وفشلها، موسكو، ١٩٨٣. سفيتوتشيف م. ي: التدخل الإمبريالي في سيبيريا والشرق الأقصى. نوفوسيبيرسك، ١٩٨٣، وغيرها.

(١) إن هذا العدد المحدود تم تفسيره بالبعد، والنقص الحرج في عدد السفن، المنشغلة بنشاطاتها في أوروبا، إذ إن الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد انخراطها في الحرب في نيسان عام ١٩١٧ زجت هناك بمليوني جندي. ويملك أهمية ذلك الواقع، أنه وخلافاً لأنصار التدخل دون قيد أو شرط – كليمانصو، وفونغا، وتشرشل – فإن ويلسون مثله مثل لويد جورج، عبر عن شكوكه في إمكانية إسقاط السلطة السوفييتية بمساعدة الحراب، مع أنه بقي خصماً لدوداً للسلطة السوفييتية (الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي، تحت إشراف ن. ن. أزوفتسيف، موسكو، ١٩٨٠، ص ٢٨١.

لكن الأمر، لا ينحصر بعدد القوات، إذ لعبت الولايات المتحدة حيوياً ومسؤولاً إلى جانب إنكلترا، وفرنسا، واليابان، في تنظيم الصراع مع السلطة السوفييتية. إذ تشهد الوثائق أن التدخل أصبح ممكناً بصورة عامة فقط نتيجة مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا، فإن اجتماع التحالف المنعقد في آذار عام ١٩١٨، والذي اعترف بالتدخل «كوسيلة وحيدة» وأعلن في قراره أنه: «لا يمكن أن يتم اتخاذ أي خطوة فيما يتعلق بتنفيذ هذا البرنامج دون دعم فعّال من قبل الولايات المتحدة. الذي لولاه لكان من غير المفيد التوجه إلى الحكومة اليابانية»[(١)].

لقد احتلت القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية مع القطعات الحربية للدول العظمى الحليفة الطريق الحديد السيبيري، وسيطرت على لجنة السكك الحديدية لعموم روسيا، محققة في ذلك تزويد كولتشاك بالأسلحة والتجهيزات، وحماية مؤخرته من الأنصار. وساعدت واشنطن كذلك التمرد التشيكوسلوفاكي، من خلال تقديمها على وجه الخصوص ومن أجل هذا الهدف بالذات قرضاً بلغت قيمته ١٢ مليون دولار[(٢)]. وشارك الأمريكان في الهجوم الحاسم في الشمال - في احتلال شينكورسك (وفقاً لخطة توحيد قوى الثورة المضادة في الشمال وسيبيريا) التي تمَّ رغم كل شيء تحطيمها في كانون الثاني عام ١٩١٩.

لم ينحصر تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في مناطق إنزال القوات.

إذ تمَّ إرسال البعثات الأمريكية إلى دينيكين، وفرانغيل، ورابطت السفن الحربية الأمريكية في البحر الأسود، وعند فلادفوستوك، وفيما بعد تم إرسال

---

(١) من تاريخ الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي، مجموعة وثائق ومواد، أعوام ١٩١٨-١٩٢٢ في ثلاثة أجزاء، موسكو، ١٩٦٠-١٩٦١، الجزء الأول، ص ١١.

(٢) الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي: ص ١٥٥.

«بيتسبورغ» إلى دانتسيغ لمساعدة البولون البيض. وكانت إقامة مراقبة دولية على طرق سيبيريا والشرق الأقصى، بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية وقيادتها، هي التعبير المفضوح لصراعها مع السلطة السوفييتية - إنشاء لجنة مشتركة من الحلفاء للسكك الحديدية، التي قامت بنشاطها العملي من خلال المجلس التكتيكي برئاسة المهندس الأمريكي ج. ستيفنسون الذي انتقل إلى هذه الوظيفة من منصبه كرئيس للبعثة الأمريكية فيما يتعلق بالسكك الحديدية.

سعت الولايات المتحدة الأمريكية دون أن تقلص من نشاط قواتها المسلحة، إلى استخدام تفوقها الاقتصادي والمالي. إذ كانت «الخطة المؤقتة للمساعدة الاقتصادية لروسيا» المقرة من قبل ويلسون في تشرين الثاني عام ١٩١٨، تشترط الرقابة على مالية البلاد. في مفاوضات الدبلوماسي الأمريكي (السفير في طوكيو) ر. موريس مع أنصار كولتشاك في تموز - آب عام ١٩١٨، تمَّ إعداد «خطة شاملة لإعادة بناء سيبيريا، ولاحقاً إعادة بناء روسيا الأوروبية بمساعدة، وتحت رقابة الرساميل الأمريكية[1]. بلغت القروض الأمريكية لكولتشاك ١٨٧ مليون دولار. وفي صيف عام ١٩٢٠، جرت مفاوضات بهدف منح قروض لفرانغل بمقدار ١٠ ملايين، وتم تأمينها من جميع موارد القرم[2]. وإذا كانت الأراضي الروسية قد

---

(١) لقد أنشئ لأجل هذا الهدف المكتب الروسي التابع للإدارة العسكرية- التجارية للولايات المتحدة الأمريكية، وكان قد حصل مرتين على ٥ ملايين دولار في كل مرة من الصندوق الخاص لرئاسة الجمهورية. إلا أن التحقيق الواقعي للخطة غير ممكن، فالنقود تم صرفها على مساعدة التشيكيين البيض، وكذلك على التدخل في شمال جمهورية روسيا الفدرالية السوفييتية الاشتراكية. انظر:

Thompson G. M. Russia, Bolshevism and the vasaille peace Princeton, 1966.

(٢) Papers of the Foreign Relations of the United States (1931 – Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers), 1920 : vol. 1-3. Wash, 1935-1936, vol. 3, p. 164 (FRUS لاحقاً.

خضعت لحصار قاسٍ[1]، فإن الإدارة الأمريكية أرسلت بهدف المساعدة إلى مناطق بحر البلطيق وما وراء القفقاس المنتوجات الأمريكية وغيرها من البضائع، وتمَّ افتتاح فروع للبنوك والشركات الأمريكية في فلاديفوستوك وبلاغوفيشينسك («نيويورك - سيتي بنك»، «انترنشينيل هارفستر» - وشركة الحصادات التي يرأسها ماككورميك، وغيرهم).

لقد أصبحت واشنطن النصير الرئيسي لتيار عدم الاعتراف بالدولة السوفييتية. وعلى الرغم من اقتراحات الحكومة السوفييتية الكثيرة المقدمة سواء إلى الدول العظمى الحليفة بصورة عامة، أو إلى الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص حول السلام، وتطوير العلاقات التجارية، وتعيين القناصل، وإرسال البعثات من أجل التفاوض.. إلخ[2]، إلا أن حكومة ويلسون اتبعت بثبات «مؤامرة الصمت»: لم تجب واشنطن على النداءات السوفييتية، وكانت التعليمات للدبلوماسيين الأمريكان واضحة «لا لأية اتصالات» - لم تكن هناك أي مبادرة كان يمكن أن يتم تفسيرها على أنها خطوة باتجاه الاعتراف بالسوفييت.

بقي «السفير» ب. أ. باخميتيف، الذي كان قد عيَّنَتْهُ سابقاً الحكومةُ المؤقتةُ المستشار الأقرب إلى وزير الخارجية، واستمرت واشنطن بالاعتراف به حتى ٣٠ حزيران عام ١٩٢٢.

---

(١) ن ويلسن، الذي لم ينضم إلى إعلان الحصار رسمياً في ١٠ تشرين الأول عام ١٩١٩، والذي صرح، أنه لا يمكن «الحديث عن الحصار بأي شكل» دون حالة الحرب، شأنه شأن قادة الدول العظمي الآخرين صادق عليه عملياً في كانون الأول عام ١٩١٧، على شكل منع إعطاء الرخص، وجوازات السفر، والقروض، وإغلاق وسائل الاتصال، ومنع البنوك من قبول الذهب الروسي وغيرها من التعابير. انظر:
FRUS. 1918, Russia: vol. 1-3. Wash, 1931-1932, vol. 3, p. 103-118, 170-182.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: الجزء ١ – موسكو، ١٩٥٧، الجزء الأول (وآخره: وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي).

كان الدليل على السياسة الواضحة بعدم الاعتراف مثبت في المذكرة المقتبسة من وزير الخارجية كولبي في ١٠ آب عام ١٩٢٠، التي حصلت على شهرة مدوية، وكانت تحتوي على كل الحجج المقبولة، المطلقة في سياق هجرة الحرس الأبيض (وضع مشروع المذكرة باخميتيف) والمتدخلين: «تصدير الثورة»، و«عدم تمثيل» الحكومة السوفييتية، وتصفية الملكية الخاصة، كل ذلك يجعل التجارة غير ممكنة كما تمَّ الزعم. لقد أصبحت مذكرة كولبي ليس فقط مصدراً، وأساساً بالنسبة لكل الدعاية المناهضة للسوفييت، وإنما حددت أيضاً ولأعوام طويلة أيضاً مذهب علم تدوين التاريخ الرجعي لـ الولايات المتحدة الأمريكية، المكرس لتلك المرحلة.

كان الأمر المميز بالنسبة لموقف إدارة ويلسون هو علاقتها بنشاط ل. ك. مارتينس في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي فوضته الحكومة السوفييتية في كانون الثاني عام ١٩١٩ للعمل من أجل تحقيق الاعتراف بجمهورية روسيا الفدرالية الاشتراكية السوفييتية وتطوير العلاقات التجارية. لقد استطاع ل. ك. مارتينس خلال عامين، من كانون الثاني عام ١٩١٩ حتى نيسان عام ١٩٢١، أن ينشئ المكتب الروسي في نيويورك، وأن يصدر مجلة «روسيا السوفييتية»، وأن يقيم صلات مع الكثير من المنظمات الاجتماعية وعالم الأعمال. ولقد وقعت الشركات الأمريكية اتفاقيات تنص على إرسال آلات زراعية، ومطابع، ومعدات للسكك الحديدية وغيرها من البضائع إلى جمهورية روسيا الفدرالية الاشتراكية السوفييتية. جرت المفاوضات مع ٩٤١ شركة من ٣٢ ولاية. إلا أن هذا النشاط تمت مواجهته بحملة من الأكاذيب، والمحظورات، وتنظيم الغارات البوليسية على المكتب الروسي، والتحقيق «بقضية مارتينس» في مجلس الشيوخ، والتي انتهت بإبعاده من البلاد.

أظهرت «البالميرية» التي سبقت المكارثية، والتي عصفت بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٩-١٩٢٠ بوضوح الرابطة بين السياستين الخارجية والداخلية: فتحت شعار النضال ضد «الخطر الأحمر» وجَّه وزير العدلية بالمير ضرباته القمعية ضد القوى التقدمية في البلاد. وبمواجهة ذلك طورت المجموعات الأكثر ديمقراطية من سكان الولايات المتحدة الأمريكية حركة سياسية هدفها الوقوف ضد التدخل، والاعتراف بالدولة السوفييتية[1].

إن تحديد مجال النشاط الداخلي للقوى، أكد، أن مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل لم تكن حادثة عرضية، أو توسعاً غير مهم ولفترة محدودة، أو خطوة متخذة، حسب تأكيد علم التدوين التاريخي البرجوازي الأمريكي «من أجل النضال ضد الألمان» (الأسرى الألمان في سيبيريا!)، و«من أجل مساعدة التشيكوسلوفاكيين»، و«نزولاً عند رغبات الحلفاء»... إلخ.

مهدت الولايات المتحدة الأمريكية مع بلدان التحالف واليابان السبيل لأن تأخذ الحرب الأهلية في روسيا السوفييتية طابع الاستمرار، أما قوات الحرس الأبيض فقد تمكنت وقتياً من احتلال ٣/٤ البلاد - المناطق الصناعية الأكثر أهمية وذات الموارد الخام، وكان من نتيجة ذلك المجاعة، والخراب، والإرهاب، والقمع، والأعداد الكبيرة من ضحايا الشعب الذي هب للدفاع عن الثورة.

---

(١) دودوف ب. ي. – ف. ي. لينين والأمريكان – الولايات المتحدة الأمريكية – الاقتصاد، والسياسة، والإيديولوجيا، ١٩٧٠، رقم ١١. نادجاخوف د. غ. : المنابع التاريخية للاختصاص بالاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية: الأدب الأمريكي عن ف. ي. لينين والسياسة السوفييتية الخارجية (١٩١٧-١٩٢٠) – في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧١. موسكو، ١٩٧١. كراينوف ي. م. الاتحاد السوفييتي في عيون الأمريكان ١٩١٧-١٩٧٧، موسكو ١٩٧٩. مالكوف ف. ل. الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل إلى الاعتراف بالاتحاد السوفييتي –التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٨٤ رقم ١ –ص ١٢٥-١٢٦.

لقد دفع فضح ليبرالية فرساي في نهاية المطاف الولايات المتحدة الأمريكية إلى الانتقال إلى الأسلوب الثاني في سياستها - ربط النظام البرجوازي بالوسائل السياسية. ومع لحظة افتتاح مؤتمر باريس كان الجيش الأحمر يصد أول هجوم للبيض المعادين للثورة. وبفضل الجهد الكبير للقوى، تم تحقيق الانتصار في الفولغا (الدفاع عن تساريتسينا)، وفي الشمال (إحباط هجوم القوى المعادية للثورة في كوتلاس وفولوغدا)، وفي الجنوب (طردهم من الدون)، واستقرت السلطة السوفييتية في بيلاروسيا، و أجزاء كبيرة من أوكرانيا، واشتعلت الثورة في ألمانيا، والنمسا، والمجر، وتوسعت في بلدان أوروبا الأخرى الحركة التحررية، وظهرت الأحزاب الشيوعية. إن كل ذلك قد ولد شكوكاً جدية في نجاح التدخل، وأجبر زعماء فرساي أن يضعوا «المسألة الروسية» قيد المناقشة، مع أن روسيا لم تكن ممثلة في المؤتمر.

لقد تقدم لويد جورج وويلسون، بعد أن أصبح واضحاً بالنسبة لهما، فشل قوات المتدخلين، وشعرا بتنامي شعبية البلاشفة في مؤخرة دول التحالف، باقتراح لعقد مؤتمر في جزر البرنيتسيف. وكان النداء الذي كتبه ويلسون وتمّ الإجماع بموجبه، والموجه إلى «جميع المجموعات المنظمة» في روسيا، قد أقرّه مجلس العشرة في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩١٩. إذ اقترح على هذه المجموعات إرسال ثلاثة مندوبين عن كل منظمة إلى مؤتمر ممثلي الدول العظمى المتحالفة، الذي عقد في ١٥ شباط عام ١٩١٩. وكان الهدف من استئناف الدعوة إلى «جميع المجموعات» تأمين قيام «حكومة» جنرالات. وحكومة قومية - برجوازية في أوكرايينا، إذ يمكن في هذه الحالة بوجود قوى التحالف تعزيز مواقعها في ظروف فترة الراحة العالمية. ومع أن النداء قد تضمّن تصريحاً واضحاً من الدول العظمى «بالاعتراف بالثورة»، إلا أنه لم يتم التطرق هناك إلى مسألة خروج القوات الأجنبية المسلحة. وكمقدمة للمؤتمر تمَّ تحديد هدنة فقط على جميع الجبهات.

لقد أجابت الحكومة السوفييتية في مذكرتها المعنونة بتاريخ ٤ شباط بالموافقة فوراً على بدء المفاوضات والوصول إلى اتفاقية حول السلم «حتى بثمن تنازلات جدية» في مجال دفع الديون، وتقديم تصورات... إلخ[١]. ولكن الحكومة كانت قد انطلقت أيضاً من ضرورة أن تجري المفاوضات ضمن شروط خروج القوات الأجنبية وإيقاف أي دعم للحرس الأبيض المعادي للثورة. على اعتبار أن أية حكومة جنرالات وأية قوى قومية بورجوازية لم تكن لتستطيع الحفاظ على السلطة في الأراضي الخاضعة لها دون الدعم الأجنبي.

إن الاقتراح المتعلق بالمؤتمر في جزر البرينتسيف قد أُحبط، بسبب رفض «حكومات» الحرس الأبيض، وسيبيريا، وارخاغلسك، وجنوب روسيا، وبتلورا، ومجموعات البلطيق... إلخ، لقد ألهم الرفض أنصار الهجوم الجبهوي في فرنسا وغيرها من الدول العظمى.

لم يلح ويلسون ولا لويد جورج على ذلك الاقتراح: لم تكن ترضيهما إمكانية حرمان القوى البيضاء المعادية للثورة من المساعدة الأجنبية، ولا ترك شعوب روسيا تقرر مصيرها بأيديها. وفي منتصف شباط عام ١٩١٩ أمر الرئيس ويلسون بإرسال بعثة إلى موسكو برئاسة بولليت، وتمَّ التحضير لها في دائرة ضيقة، تضم المساعدين القريبين من الرئيس بصورة أساسية: إدوارد وهاوز ، وبمشاركة الدبلوماسي الإنكليزي د. م. كير ، وبالكتمان عن الدول العظمى الأخرى. كان وليام بولليت يعدّ آنذاك في عداد النشطاء الليبراليين[٢]، أما الصحفي ل. ستيفنس الذي رافقه، والذي كان في الماضي من

---

(١) حكومة الشرق الأقصى السوفييتية، الجزء ٢، ص من ٥٤-٥٥ ، ٥٧-٦٠.

(٢) بولليت فيما بعد –سفيراً في الاتحاد السوفييتي (١٩٣٣-١٩٣٦) وفي فرنسا (١٩٣٦-١٩٤٠) – لقد أظهر نفسه كنصير محارب ضد السياسة المعادية للسوفييت.

الذين كشفوا عيوب الرأسمالية، ومعروفاً كـ راديكالي، فقد كان مناسباً لأجل إقامة صلات مع الحكومة السوفييتية.

تباحث بولليت الذي وصل إلى بتروغراد مع م. م. ليتفيتوف وغ. ف. تشيتشيرين، واستقبل بعد ذلك في موسكو من قبل ف. ي. لينين. الذي قدم إلى بولليت مشروع مطابق أقره مجلس مفوضي الشعب في ١٤ آذار عام ١٩١٩. وتحدث ف. ي. لينين أثناء الاجتماع مشيراً إلى أن الحكومة السوفييتية ليست هي من يضع العراقيل: «...إننا وخلال عدة ساعات عقدنا اتفاقية مبدئية حول السلم[1]». كان المشروع يتضمن: هدنة على جميع الجبهات، وعقد مؤتمر بعد ذلك، خلال أسبوعين حول التسوية السلمية على أساس الاعتراف بكل الحكومات الموجودة فعلياً، وإخراج كل القوات الأجنبية من الأراضي السوفييتية، وإيقاف كل أشكال الدعم العسكري الخارجي، ورفع حصار الدول العظمى الحليفة، وإعادة التجارة، والاتفاق على دفع الديون بشرط توزيعها بين كل «الحكومات الروسية». لقد أشار ف. ي. لينين إلى أن مشروع المعاهدة كان «صالحاً بصورة استثنائية لهم، وغير مفيد لنا بصورة غير طبيعية» لكن الحكومة السوفييتية كانت تعتمد على أن «حكومة الحرس الأبيض لن تتمكن من البقاء»[2]، في ظروف السلم، أي دون الدعم العسكري من دول التحالف والولايات المتحدة الأمريكية.

حصلت بعثة بولليت على خاتمة مثالية جداً ومفاجئة بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية. عاد بولليت إلى باريس في ٢٥ آذار عام ١٩١٩،

---

(١) لينين ف. ي: المؤلفات الكاملة، الجزء الـ ٤٩، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) المصدر السابق نفسه: الجزء ٤١، ص ١٤٠-١٤١.

والأمل يحدوه بالنجاح، واستطاع أن يؤثر بحماسة على العقيد هاوز. بيد أن ويلسون، الذي اطلع على تقرير بولليت المكتوب، رفض إقرار ما جاء به مبعوثه. وقد أعلن لويد جورج وبوضوح ، أثناء فطور مع بولليت، أنه كان يجب إرسال شخص إلى المفاوضات أكثر محافظة. وفي ١٦ نيسان وتحت وابل من هجمات المحافظين في البرلمان، نفى عملياً مشاركته في إرسال بعثة، معلناً، أن «أحد الأمريكان الشباب أتى من روسيا بخبر»، ولكن الرئيس ويلسون لم يعط ذلك أهمية، ولم يضع المسألة قيد المناقشة في فرساي. إن بولليت المستاء سرعان ما قدّم استقالته. كان السبب في «السلوك الغامض» لـ ويلسون و لويد جورج يكمن بالطبع، في تلك التعديلات والإضافات العادلة التي قدمتها الحكومة السوفييتية إلى جانب المطالب وحيدة الجانب التي جاء بها بولليت. وقبل أي شيء التعديلات المتعلقة وبصورة مبدئية بإضافة خروج القوات الأجنبية وإيقاف المساعدة العسكرية من جانب الدول العظمى المتدخلة.

وكان الموقف الذي اتخذته الدول العظمى الحليفة، التي لم ترغب بإقرار هذا المطلب الموضوعي البسيط، أن بدأت بنشر تأويلات كاذبة تزعم بأن البلاشفة لا يرغبون بإيقاف الأعمال العسكرية.

أما السبب الآخر فكان على ما يبدو هو انبعاث الآمال في إمكانية انتصار الحرس الأبيض. ففي ربيع عام ١٩١٩، وكما هو معلوم، قام دينيكين وكولتشاك ويودينيتش بشن هجوم مباشر، وفي بداية نيسان استولى جيش كولتشاك على الأورال، وتحرك إلى وسط الفولغا. وفي هذه الظروف كانت آفاق هذا النهج الهادف إلى تقويض السلطة السوفييتية تدريجياً بمساعدة الأحزاب التوفيقية والضغط الاقتصادي تبدو أقل حظاً، وعلى

الأخص، أن تقديم بولليت لحالة روسيا السوفييتية الداخلية وضعت تحت الشك الحسابات المبنية على ضعفها.

كتب بولليت: «إن التقرير حول ظرف داخلي فظيع هنا مبالغ فيه إلى حد السخافة... لم أسمع قطّ ضحكاً أكثر صدقاً ومرحاً، من تلك اللحظة، عندما قلت للينين وتشيتشيرن وليتفينوف، أن جزءاً مهماً من العالم بات على يقين من أنه تمَّ تأميم النساء في (روسيا)» وأشار إلى أن السير في شوارع بتروغراد وموسكو هو آمن كذلك كما في باريس ونيويورك، ويتابع فيقول: إن المسارح والمدارس تعمل هناك، وقطعات الحرس الأحمر منضبطة بصورة جيدة ومشبعة بالحيوية بصورة استثنائية، وإن العمال تغمرهم الحماسة، ولا يوجد أي إرهاب البتة، وإن الناس يتمسكون بكرامتهم. ولقد أكد بولليت وهو يشير إلى الحالة الاقتصادية الصعبة جداً، بأنها ليست نتيجة النظام السوفييتي، وإنما نتيجة الحصار والتدخل. وقد خلص إلى استنتاج مفاده: «إن الحكومة السوفييتية متينة، وإن الحزب الشيوعي قوي.. إن جميع من تكلمت معهم، مقتنعون، وأنا نفسي مقتنع، أن الحكومة السوفيتية تعدّ في الوقت الحالي القوة البناءة الوحيدة في روسيا» إن إسقاط الحكومة السوفييتية يمكن فقط بتهديم البلاد بصورة نهائية، والسير «عبر جثث الناس الروس البسطاء»، وحتى بعد ذلك، فإن أي حكومة أخرى لا يمكن أن تصمد في البلاد إلا بالاعتماد على الحراب الأجنبية فقط[١].

مبادرة أخرى أيضاً لم تتكلل بالنجاح، ولدت أثناء مؤتمر باريس – المفاوضات مع الحكومة السوفييتية حول تقديم المساعدة الغذائية للجائعين،

---

(١) FRUS, 1919, Russia Wash, 1937, p. 76-81, 85-88, 91-99.

المنظمة بإيعاز من ويلسون (٢٧ آذار عام ١٩١٩) من قبل هاوز وغ. هوفر من خلال النروجي المعروف – الباحث في منطقة القطب ف. نانسين والقائمة على فكرة أن «المعدة الممتلئة تعني زوال البلشفية» (لانسينغ)، وأن «البلشفية لا يمكن إيقافها بالقوة، ولكن يمكن بالغذاء» (ويلسون)[1].

تم قطع المفاوضات في أيار عام ١٩١٩، ما إن عبرت الحكومة السوفييتية بعد أن عزلت موقف نانسين الملهم بالأهداف الإنسانية الحقيقية عن مواقف «صانعي السلام» في فرساي، عن الموافقة على قبول مساعدة ذات طابع غير سياسي بشرط إيقاف الحرب من كلا الطرفين بما في ذلك المتدخلين[2].

وهكذا دخل ويلسون و لويد جورج ثلاث مرات في مفاوضات مع الحكومة السوفييتية، وفي المرات الثلاث تخلت الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا عن محادثاتها الخاصة، بعد أن استلمتا رداً إيجابياً من موسكو. إن عدم نجاح هذه البدايات لم يحدث فقط بسبب معارضة فرنسا والمحافظين الإنكليز والمهاجرين البيض، كما يجري التأكيد في الصحافة الغربية، بل بسبب عدم واقعية الهدف نفسه الذي يكمن في أساسها.

إن عناصر الحرس الأبيض الذين أراد ويلسون مساعدتهم، والذين وجد فيهم قاعدة من أجل إعادة النظام الرأسمالي إلى روسيا، لم يكن لديهم أي سند جماهيري في البلاد، أما الحكومة السوفييتية فكان من المستحيل إجبارها

---

(١) (استند المؤلف إلى أرشيف ويلسون وغيره من المصادر)

Thompson G. M. Op. Cit., p. 222-224, 216.

(٢) حكومة الشرق الأقصى السوفييتية: الجزء ٢٠، ص ١٥٤-١٦٠

FRUS, 1919, Russia, p101-102/.

على الاستسلام، لأنها كانت تستند على الدعم الشعبي العام الذي لم يستطع لا الجوع ولا الخراب تقويضه.

تجلى الجانب الآخر من نشاط الولايات المتحدة آنذاك، الذي كان له هدف استبدال النظام السوفييتي بآخر بديل عنه في محاولات المساعدة على إنشاء حكومات «برلمانية» و«ذات تمثيل» في روسيا بصورة عامة، حتى لو كان ذلك في سيبيريا.

كان الرهان في البداية معقوداً على «إشاعة الليبرالية» بالنسبة لـ «حكومات» الجنرالات والأدميرالات، وبصورة خاصة لحكومة كولتشاك. وكانت المطالب الملائمة مُتَضَمَّنة في مذكرة مؤتمر باريس إلى كولتشاك بتاريخ ٢٦ أيار عام ١٩١٩، التي كانت تعد بالاعتراف بالأدميرال بمنزلة «حاكم عام لعموم روسيا». إن المطالب بإيقاف القمع، الإعدامات دون محاكمة، والملاحقات، ولجم الفساد، وإعطاء حكومة أومسك طابع «لائق» بصورة أكبر عن طريق جذب ممثلي مجالس الريف إليها، وكذلك التعاونيات وغيرهما من «التجمعات المعتدلة» قد تمَّ تقديمها إلى كولتشاك الذي وصل إلى أومسك في تموز عام ١٩١٩، من قبل مبعوث واشنطن ر. موريس (السفير في اليابان)[١]. إن الآمال بدمقرطة نظام كولتشاك كانت وهمية بالطبع، ووجهت الهزيمة النهائية لجيشه المتفسخ (استسلام أومسك في ١٤ تشرين الثاني عام ١٩١٩) ضربة ساحقة للحسابات الموجهة إلى إقامة نظام برجوازي في روسيا بمساعدته.

بيد أن المحاولات لإقامة حكومة «ذات تمثيل» بعد ذلك لم تُوقفْها واشنطن. وسيصبح الاشتراكيون الثوريون اليمينيون والمناشفة أكثر فأكثر

---

(١) FRUS, 1919, Russia, p. 19-25, 38.

الرهان الأساسي والأمل للحكومة الأمريكية، وسوف يتم صب الاهتمام عليهم. وعلى ذلك أن تلك الحسابات بنيت على أن البنية الاقتصادية المتشعبة واقعة تحت إشرافهم في شخص المجالس المحلية المنتخبة والتعاونيات التي تشمل في سيبيريا والشرق الأقصى جزءاً مهماً من السكان (مئات الآلاف الأعضاء في أسواق البيع والشراء في اتحاد صناعة الألبان وغيرها).

كان القادة الاشتراكيون الثوريون في هذه المنظمات - مرتبطين بـ (القناصل الروس) في نيويورك وسان فرانسيسكو وغيرهما من المدن. وفي تموز عام ١٩١٩وقَّعت وزارة الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية مع القيادة البورجوازية للاتحاد المركزي حول بيع البضائع من خلال قرض طويل الأمد بقيمة ٢٥ مليون دولار، مع تعهد بتصريف هذه البضائع في الأراضي التي يسيطر عليها كولتشاك فقط وبمراقبة المندوب الأمريكي في فلاديفوستوك ا.هيد. وبعد سقوط أومسك حصلت خطة إنشاء دولة انفصالية في سيبيريا على دعم في الأوساط الدبلوماسية الأمريكية، قادرة على أن تتخلق بسلطة كولتشاك، مع أقل ما يمكن من الهزات ومن اختلال النظام، وإدخال النظام البرلماني إليها تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هذه الفكرة كانت قد جربت للمرة الأولى في سير الانتفاضة التي قامت في فلاديفوستوك من قبل التشيكوسلوفاكيين بقيادة الجنرال غ. ر. هايد بتاريخ ١٧-١٨ تشرين الثاني عام ١٩١٩ ضد الحاكم الموالي لليابان ونصيد كولتشاك س. ن. روزا نوف، التي شارك فيها أيضاً المنظمات الاشتراكية الثورية المحلية. إن البعثة الأمريكية في فلاديفوستوك أيدت هايدا، وعندما تم قمع الانتفاضة، فر هايدا ومعاونوه بواسطة سيارات أمريكية مقدمة لهم إلى هيئة الأركان التشيكوسلوفاكية، وفيما بعد رحلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

المحاولة الثانية تم اتخاذها في إيركوتسك بمعرفة ودعم مكشوف من الأمريكيين، إذ كانت قد أقيمت سلطة (المركز السياسي) نتيجة الانتفاضة الموجهة ضد كولتشاك بتاريخ ٢٤ كانون الأول عام ١٩١٩-٥ كانون الثاني عام ١٩٢٠، وهذا المركز هو هيئة سلطة الاشتراكيين الثوريين والمناشفة، المنتخبة من قبل اجتماع عموم سيبيريا للمجالس المحلية المنتخبة وللمدن. ولم تستمر إدارة المركز السياسي طويلاً: تبين بسرعة كبيرة أن السكان لا يؤيدون الإدارة الاشتراكية الثورية- المنشفية، وإنما السلطة السوفييتية والجيش الأحمر المنتصر الذي كان يقترب من المدينة. وفي المحصلة أصبح المركز السياسي في ٢ كانون الثاني عام ١٩٢٠ سلطة للجنة العسكرية الثورية التي يرأسها البلاشفة.

إن مساعدة (المركز السياسي) أقام القنصل الأمريكي أي. ل. هاريس، الارتباط معه، وفي خلال تقاريره هناك ظهر أنه كانت هناك خطة تطورت إلى إنشاء حكومة اشتراكيين ثوريين تشكل حاجزاً أدت إلى تفاقم جدي لاحق للعلاقات الأمريكية اليابانية في سيبيريا. حاولت اليابان تحريك قواتها وقوات (زعيم للقوقازيين) سيمونوف لدعم إدارة كولتشاك في إيركوتسك، إلا أن التشيك وجنود الفوج الأمريكي الذين نزعوا سلاح ٤٥٠٠ من أنصار سيمونوف كانوا يقطعون الطريق عليهم، وعند ذلك وصل الأمر إلى حد الاشتباكات المسلحة، وفي كانون الثاني - نيسان عام ١٩٢٠ حاولت الولايات المتحدة الأمريكية استخدام حظها الأخير - دعم انتفاضة المجالس المحلية والاشتراكيين الثوريين في فلاديفوستوك، وكان من نتيجة ذلك أن فر روز انوف إلى اليابانيين وتم إنشاء (حكومة مؤقتة) بلدية ساحلية للمجالس المحلية برئاسة الاشتراكي الثوري ا. ميدفيديف، وقد حشد الجنرال او. س. غريفس القوات الأمريكية تجاه فلاديفوستوك، لكن الحسابات هنا على سيطرة عناصر

الاشتراكيين الثوريين والمناشفة لم تتحقق. كان البلاشفة الأسياد الحقيقيين في الساحل كما في سيبيريا، الذين كانوا يقيمون روابط وثيقة مع الجماهير، والذين كانوا يقودون فصائل الأنصار. إن شعار المجلس التأسيسي كان قد سقط في الاجتماعات الجماهيرية، إذ كان البلاشفة، على العكس يمضون لنجاحات راسخة. إن القنصل هاريس اشتكى بأن من الصعوبة منع حكومة مدفيديف من الميلان نحو اليسار، والاستعداد للاندماج مع البلاشفة. إن هزيمة المدافعين الفكريين الأخيريين عن الرأسمالية الاشتراكيين الثوريين والمناشفة كما ساهم ف. ي. لينين كانت تعني الهزيمة الكاملة لنهج الديمقراطية الولسنية المواجهة للبلشفية، وعلى بعد ١٠ آلاف كيلو متر عن موسكو، وبعيداً عن تخوم البايكال، إذ توقف الجيش الأحمر تم رفض الوصفات المقدمة من الليبرالية البورجوازية من أغلبية الشعب الساحقة.

كانت الولايات المتحدة مرغمة على جلاء قواتها من سيبيريا والشرق الأقصى في ربيع عام ١٩٢٠ بسبب الهزيمة الشاملة لتدخل دول التحالف.

إن العوامل الرئيسية في هزية التدخل كانت تكمن في الدعم الشامل من قبل الشعب للبلاشفة، الذي حدد نجاح الأعمال العسكرية للجيش الأحمر والأنصار، والنهوض الثوري في بلاد الغرب والشرق، وتفاقم التناقضات بين الدول الإمبريالية العظمى. إن التناقض الأمريكي - الياباني الذي تطور على أرضية النضال من أجل احتلال مواقع اقتصادية ومن أجل النفوذ في الأراضي الروسية، والتنافس في مسألة طرائق التدخل قد لعب دوراً كبيراً في ذلك. لقد نظمت اليابان في ٤-٥ نيسان عام ١٩٢٠ منتهزة جلاء القوات الأمريكية، انقلاباً رجعياً في فلاديفوستوك، وضع بداية لمرحلة جديدة من مراحل التدخل من طرف اليابان وحدها.

إن كل ذلك مارس تأثيراً ملموساً على مواقع الولايات المتحدة الأمريكية المرتبطة بسلم فرساي والعملية اللاحقة المتعلقة بتصديقه.

تقسيم العالم

إذا كان فشل سياسة ويلسون تجاه روسيا اعتبر حقيقة معترفاً بها، ولا نقاش حولها، فإن مسألة هزيمتها في فرساي تثير في علماء التاريخ الأمريكان آراء مختلفة وكثيراً ما هي متناقضة، تعتبر أكثرية التاريخيين، أن ديلسون لم يستطع ولو جزئياً أن ينفذ برنامجه في مؤتمر باريس للسلم.. إلا أنه خلال العشر سنوات، التي مضت، ظهرت أعمال ولأكثر من مرة تزكي مواقف ويلسون، وتقيم إنجازاته في باريس، كإنجازات ملموسة، وتعلن بأن الهزيمة تكمن فقط في رفض معاهدة فرساي في مجلس شيوخ الولايات المتحدة الأمريكية من قبل مجموعة غير كبيرة من الناس ذوي النوايا السيئة.

إن مقارنة مطالب الوفد الأمريكي في جميع المسائل الأساسية المتعلقة بترتيب الأوضاع بعد الحرب مع قرارات المؤتمر تظهر، أن دعاوى الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بـ قيادة العالم لم يتم تحقيقها، إلا أن ويلسون تمكن من الحفاظ على بعض المواقع، وحمل عدداً من مقررات فرساي بصمة المطالب الأمريكية.

إن الوفد الأمريكي وعند حل المسألة الرئيسية - الألمانية، اتبع نهجاً موجهاً نحو تخفيف شروط السلام، ونحو بعث ألمانيا بسرعة، آخد بعين الاعتبار إحلال توازن قوى في أوروبا لإنشاء ثقل موازن لفرنسا وإنكلترا، وكذلك لاستخدام السوق الألمانية من قبل الاحتكارات الأمريكية.

لقد حدد هذا المسلك سعي الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً إلى إيقاف العملية الثورية، التي كانت تتطور بسرعة في ألمانيا بدءاً من خريف عام ١٩١٨، وفي خطة السياسة بعيدة الهدف - استخدام العسكريتاريا الألمانية ضد روسيا الثورية، لذلك طلبت الولايات المتحدة الأمريكية الحفاظ على جميع أراضي ألمانيا في أوروبا (باستثناء قسم من سيليزيا الشمالية، الذي تم الاتفاق على إعطائه لبولونيا، ومنطقة الإلزاس - لوتارينغيا - ملكية لانقاش فيها لفرنسا) وضم النمسا ومنطقة السوديت التشيكية ذات الأغلبية الألمانية الملموسة إليها، والسماح لألمانيا بأن تملك قوات مسلحة مهمة) تم ذكر رقم ٢٠٠ ألف شخص مع تعليل يقول بضرورة الأخذ بعين الاعتبار لـ (الخطر الخارجي من قبل البلاشفة) (٣٠) وصناعة حربية، وتم اقتراح بتحديد مبلغ يصل إلى مستوى ٢٥ مليار دولار كتعويضات) وكذلك اقتراحات بأن تصل التوريدات الأمريكية إلى ٣-٥ مليارات (وتقديم قروض لألمانيا بنفس الوقت لأجل تجديد اقتصادها.

إلا أن هذا البرنامج لم يرض فرنسا، التي عانت مرتين من الاعتداءات الألمانية، لم تطالب فرنسا بعودة الألزاس واللوتارينغيا، وإنما بالإشراف أيضاً على السار، وكذلك فصل منطقة الرين وضم سيليزيا إلى بولونيا، وإقرار تعويضات بمبلغ فلكي ٢٠٠مليار دولار. ولقد اندلعت على هذا الأساس نزاعات حادة بين ويلسون وكليمانصو حاد الطبع (٣٢)، وتقدمت إنكلترا باعتراضها أيضاً بعدم تسمية مبلغ التعويضات بدقة، مادامت تستعر الانتفاضات الشعبية في ألمانيا.

لقد تحدث لويد جورج أن تحديدها الآن، ينطبق عليه المثل الذي يقول إنَّ الرجل الذي سقط في شلال نياجارا، لا فرق بالنسبة له إذا تم بيع حصانه بأي مبلغ (٣٣).

وفي المحصلة فإن توقيع معاهدة فرساي ٢٨ حزيران عام ١٩١٩ مع ألمانيا، على الرغم من أنها جسدت سعي الدول العظمى، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية إلى دعم البرجوازية والعسكرتياريا الألمانية ضعف ضمانات نزع التسلح، ورفض العقوبات على مجرمي الحرب، والاعتراف ببولونيا المستقلة دون تحديد دقيق لحدودها الشرقية، الأمر الذي فتح الإمكانية لاحتلال الأراضي الروسية من قبل البولونيين البيض، وبنفس الوقت لم تؤمن التحقيق الكامل لبرنامج الولايات المتحدة الأمريكية، وتم إعطاء فرنسا مناجم الفحم في حوض السار لمدة ١٥سنة، والنظر في اختلال منطقة الرين تم تحقيق ذلك بصورة أساسية من قبل القوات الفرنسية، وتم منع ضم النمسا، وحصلت لبولونيا على قسم من سيليزيا العليا، أما منطقة السوديت فضمت إلى تشيكوسلوفاكيا. لقد تم تحديد تعداد القوات المسلحة الألمانية بـ ١٠٠ألف شخص، وحرم عليها امتلاك الطيران، وأسطول مهمّ، ومدفعية ثقيلة إن لم يُقرَّ مبلغ التعويضات، وتم اقتراح حل هذه المسألة حتى ١ أيار عام ١٩٢١، في لجنة التعويضات الدولية، إذ كانت فرنسا وإنكلترا تملكان نفوذاً غالباً.

وفيما يتعلق بتقسيم إرث النمسا - المجر، فقد تمت تلبية مطالب الولايات المتحدة الأمريكية بحدودها الدنيا فقط .إن سقوط عائلة هابوسبورغ وتفكك الإمبراطورية ترافق بنمو النزعة القومية ووصول المجموعات الليبرالية البورجوازية إلى السلطة على خلفية النمو الهائل للحركات الجماهيرية. كانت الإضرابات والاجتماعات وانتفاضات الجنود تجري تحت تأثير ثورة أكتوبر، وكانت ترفع شعارات السلم العادل، والديمقراطي، وإعادة البناء الاجتماعي.

إن تحول الثورات الديمقراطية البورجوازية إلى ثورات اشتراكية لم يصبح ممكناً فقط، وإنما واقعاً عملياً في بعض المناطق إعلان سلطة السوفييتات في المجر في آذار عام ١٩١٩، وفي سلوفاكيا في حزيران - تموز عام ١٩١٩ مدعماً بظهور الأحزاب الشيوعية، وإقامة سوفييتات العمال والجنود، وبحركات الدفاع عن روسيا السوفييتية.

لقد انخرطت حكومة ويلسون بنشاط في النضال ضد هذه النزعات الرهيبة .لم تقتصر البعثات الأمريكية الموجهة إلى الدول البورجوازية التي نشأت على أنقاض النمسا - المجر، على جمع المعلومات، وهو ما كان هدف نشاطها الرسمي، وإنما كان أعضاؤها يظهرون كمستشارين للحكومات الجديدة، يحثونها على قمع الحركة البروليتارية... كانت الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد الحصار على المجر السوفييتية، وظهر ذلك من خلال التصريح الشفهي لـ غ. هوفر، أن البلاد ستحصل على مساعدة غذائية ما إن تسقط الحكومة الشيوعية في بودابست. على الرغم من أن واشنطن عارضت احتلال الأراضي المجرية من قبل قوات التحالف، وأقرت تدخل رومانيا. إن الوفد الأمريكي في باريس وقف ضد المفاوضات مع بيل كون وبمساعدة بعثة الجنرال بندهولتس، وكذلك العقيد الأمريكي ابيتي المنصّب على رئاسة البولي في بودابست، ساعدت على إقامة دكتاتورية هورتي من خلال موجة الإرهاب المضادة للثورة (٣٥). نزلت القوات الأمريكية في موانئ دالماتسيا شيبينيك، وسبليت، ودوبروفنيك وكوتدر (في تشرين الثاني عام ١٩١٨)، وبعد ذلك في فيوم، الأمر الذي ساعد على تعزيز الحكومة الرجعية في بلدان أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية.

إن إدارة المواد الغذائية التي يرأسها هوفبر استغل الإمدادات لمساعدة الأوساط الرجعية في المجر ورومانيا وبلغاريا وغيرها.

إن هوفر وغيره من ممثلي الإدارة الأمريكية للمساعدة وأعضاء الوفد الأمريكي غ. وايت، ور. لا نسينغ قد أكدوا جميعهم في تصريحاتهم ورسائلهم أكثر من مرة، أن التزويد بالمواد الغذائية يجب أن يكون موجهاً إلى تلافي الفوضى ويعتبر الأمل الوحيد في نجاح المحاولات لإيقاف مد البلشفية (٣٦).

إن تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية المطاف وتدخل إنكلترا وفرنسا وإيطاليا ورومانيا بدرجة أكبر أيضاً حقق الأهداف: تم قمع الجمهورية السوفييتية المجرية، وكسر حركات الجماهير الراديكالية، وترسخت في الدول التي ظهرت على أنقاش النمسا - المجر حكومات بورجوازية. ولقد أقامت الولايات المتحدة الأمريكية الصلات مع الكثير من شخصيات الحركات القومية البورجوازية مع ي. بادير يفسكي، واي. بينش، ت. ماساريك وغيرهم، بعد أن رأت فيهم سنداً لنهج ويلسون الهادف لتوجيه الديمقراطية البورجوازية ضد النزعات الاشتراكية.

وإذا كانت البلدان المنتصرة موحدة في النضال ضد الحركات الثورية، فإن تناقضات إمبريالية حادة ظهرت في حل المسائل الإقليمية.

لم يخطط في البداية لا ديلسون ولا لويد جورج ولا كليمانصو للقضاء على الإمبراطورية النمسوية - المجرية -جرى الحديث من حكم ذاتي فقط لبعض أجزائها القومية فقط... وبمقدار تطور الحركات التحررية للشعوب السلافية، وكذلك حركات كادحي النمسا والمجر ورومانيا، كانت تبرز فكرة تشكيل فيدراليات قطرية، إذ كان يمكن الاعتماد فيها على الأوساط

الكاثوليكية والاشتراكيين الديمقراطيين اليمنيين. لقد طرح الوفد الأمريكي في مؤتمر باريس مشروع إنشاء فيدرالية الدوناي، والدولة النمسوية البافارية - الكارباتية، وكونفدرالية جنوب شرق أوروبا. سارت المفاوضات حول إعطاء عصبة الأمم انتداب بعض أقاليم البلقان، إلا أن إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وقفوا ضد هذه الخطط، وقد طرحت إيطاليا بالاستناد إلى معاهدة لندن عام ١٩١٥، التي وعدتها بـ دالمالسيا وإيستريا مطلباً إضافياً. إيستريا بما في ذلك فيوم، أثارت هذه الدعاوى سلسلة في الصدامات الحادة وعدم أزمات في المؤتمر.

إن علاقات ديلسون مع الوفد الإيطالي بلغت توتراً خاصاً كان مرفأ فيومي الذي لعب دوراً مهماً في البلقان هو مركز النقاش. لقد اقترح ويلسون الذي وقف كموفق في صدام مملكة العرب والكاربات والسلوفينين، وفرنسا من جهة، وإيطاليا من جهة أخرى، وكذلك تحت حجة حق تقرير المصير للشعوب اقترح جعل فيومي أممية.

إن رئيس الوزراء ف .اي .أورلندو الذي كان يمثل إيطاليا، أعلن أنه لن يوقع المعاهدة دون فيومي. توجه ويلسون حينذاك إلى الإيطاليين من خلال الرأس أورلندو، طالباً منه التخلي عن فيومي. بيد أن ردود الفعل لم تكن كما كان ينتظر.

لقد غادر أورلندو المستاء المؤتمر، وفي إيطاليا هبت حملة عاصفة ضد ويلسون.

وفي نهاية المطاف تم الوصول إلى تسوية كانت بعيدة عن تجسيد البرنامج الأمريكي الواسع، تم الإعلان عن فيومي مدينة حرة لم يتم نشر المنظومة الانتدابية على البلقان، وعلى أنقاض النمسا - المجر لم تظهر فيدراليات، وإنما دول وطنية تسترشد بإنكلترا وفرنسا، اللتين وخلافاً للولايات الأمريكية

المتحدة كانتا تملكان روابط سياسية واقتصادية ومالية قديمة في مناطق أوروبا الوسطى ودول البلقان ونتيجة مقاومة إنكلترا وفرنسا بقيت مسألة التعويضات غير متفق عليها، وتمت إحالتها إلى لجنة للتعويضات تم إنشاؤها بصورة خاصة إن شعار الأبواب المفتوحة لم يجد تجسيداً له في المفاوضات. إن مطالب ومشاريع الإدارة الأمريكية للمساعدة التي زاوجت شعارات إنقاذ الجائعين وإعادة بناء الاقتصاد المخرب في أوروبا مع تغلغل الرأسمال الأمريكي في اقتصاد عدد من البلدان، اصطدمت بالطموحات المشابهة لإنكلترا وفرنسا وإيطاليا. إن المقاومة المتماسكة لهذه البلدان أدى إلى وضع إنكليزي وإيطالي برئاسة هيئات المراقبة على استخراج وتوزيع القمم في بعض البلدان.

لقد شكل إنشاء لجنة مشتركة للسكك الحديدة من قبل الدول العظمى، وعلى الرغم من ترؤس أمريكي لها، كان معظم أعضائها من الممثلين الأوربيين، وفي لجنة الدوناي المشتركة كان إنكليزي يترأسها.

إن الخبير الأمريكي ج. ف دالس أثبت أن الفرنسيين والإنكليزي استحوذوا على مكان الصدارة (٣٧). لقد تم تجميد نشاط الإدارة الأمريكية للمساعدة في أوروبا بنتيجة العمل النشط لمنافسي الولايات المتحدة الأمريكية الأوروبيين (٣٨).

لم يتم تنفيذ برنامج الحد الأعلى في مسألة الابن المحبب لويلسوف أيضاً، عصبة الأمم المدعوة للحفاظ على النظام العالمي الجديد وأن تكون أداة أمريكية أساسية لقيادة العالم، وكذلك المسألة المرتبطة بالعصبة والمتعلقة بمصير المستعمرات الألمانية وممتلكات الإمبراطورية العثمانية السابقة.

إن فكرة إنشاء منظمة عالمية للدول كانت قد ولدت عام ١٩١٥ أيضاً، عندما تم إنشاء عصبة لتحقيق السلام برئاسة الرئيس السابق تافت... العضو

المؤثر في الحزب الجمهوري، والتي طورت في السنوات الأخيرة حملة واسعة لأجل توحيد الأمم تحت القيادة الأمريكية. إن الأمر المميز هو أن جميع تكتلات وتيارات البورجوازية الأمريكية هي من اقترح ذلك - من المجالس الكنسية إلى المجالس الداعية للسلم إلى الأساتذة الليبراليين إلى غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أصحاب الرساميل الكبار مثل أي. كاينعي واو. شتراوس، والمبشرين بالتوسع من الحزب الجمهوري مثل غ. ك. لودج.

لقد تم الحديث في سير الحملة عن ضرورة كتابة ميثاق للعصبة على نموذج بنود الفيدرالية وإنشاء مرتكز لها على شكل الجيش والأسطول الأمريكيين القويين، وإعطائها صفة المحكمة العسكرية، التي تملك الحق في استخدام العقوبات المالية والتجارية ضد البلدان التي لا تخضع لها، وكذلك استخدام القوة **(٣٩)**.

كان هذا الأمر عبارة عن برنامج للزعامة تستر بصورة جدية بالشعارات المسالمة والإنسانية عن أخوة الشعوب، وخزانة السلم، ومسؤولية الولايات المتحدة الأمريكية عن مصير الإنسانية، بحيث إن الكثير من ملهمي هذه الفكرة صدقوا هم أنفسهم بهذه المثالية.

وبعد أن تمت الموافقة من حيث المبدأ على إنشاء عصبة الأمم وإقرار الميثاق المعد من قبل ف. ويلسن أساساً للمنظمة، سعت بريطانيا العظمى وفرنسا واليابان لجعل المشروع بصورة ملموسة، لأجل استبدال القيادة المركزية وجعلها جماعية على الأقل، وحتى أوروبية على الأصح. وبعد نضال متوتر تم إدخال تدقيقات على الميثاق، غيرت بصورة ملموسة خطة الولايات المتحدة الأمريكية، فحسب المشروع المدقق امتلكت الولايات المتحدة الأمريكية صوتاً واحداً في عصبة الأمم، أما الإمبراطورية البريطانية فمثلت أصوات **(التمثيل المنفرد للسيادات)**،

وقد سيطر مبدأ الإجماع سواء في مجلس العصبة أو جمعيتها، الأمر الذي كان من نتيجته أن الدول الصغيرة التي تقع بأكثريتها تحت تأثير إنكلترا وفرنسا كان يمكن استخدامها ضد الولايات المتحدة الأمريكية. إن المادة المتعلقة بـ حرية التجارة قد تم حذفها بإلحاح من فرنسا. لم يشترطوا في الميثاق العقوبات الاقتصادية فقط، وإنما التدخل المسلح للعصبة على أساسيْ تقديم الدول الأعضاء القطعات العسكرية لها، ومع التفوق العسكري للدول العظمى الحليفة لا يبقى هناك أمل في الدور القائد للولايات المتحدة الأمريكية.

كان تقسيم المستعمرات الذي تم من خلال عصبة الأمم مخيباً للأمل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وفي ظروف اتساع حركة التحرر الوطني في بلدان الشرق، الذي نهض في عام ١٩١٩، كذلك في سعي ويلسون أيضاً لتقويض احتكار الدول الاستعمارية القديمة إنكلترا وفرنسا واليابان دعم إدرا نظام الانتداب، أي نقل ملكيات البلدان المنتصرة إلى عصبة الأمم، التي ستوزع وثائق الانتداب لإدارة مؤقتة على هذه أو تلك من الدول العظمى مادامت هذه البلدان التي وقع عليها الانتداب لم تنضج لإدارة نفسها. إن النظام الجديد كان مدعواً لتهدئة الشعوب، التي كانت تطالب بالاستقلال وإلغاء الاتفاقيات السرية لدول الائتلاف، وفتح منفذ للرأسمال الأمريكي إلى أراض استعمارية واسعة. تم إقرار نظام الانتداب في ١٣-١٤أيار عام ١٩١٩، ووافقت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال إعلان ويلسون في مجلس الأربعة على انتداب أرمينيا والقسطنطينية التي تضم أراضي كل منطقة المضائق تقريباً، وتوحيد أرمينيا التريكية والفارسية والروسية من البحر الأسود حتى البحر الأبيض المتوسط (٤٠).

بيد أن مخطط إنشاء دولة القسطنطينية وأرمينيا العظمى برعاية الولايات المتحدة الأمريكية لقي الفشل بسرعة كبيرة، لأن الثورة الكمالية في تركيا النضال من أجل السلطة السوفييتية في أرمينيا جعلت منه عديم الجدوى لا آفاق له، اصطدمت طموحات الولايات المتحدة الأمريكية الأخرى التي تتعلق بإزاحة اليابان عن المجموعات الثلاث من الجزر في المحيط الهادي التي استولت عليها من ألمانيا جزر مارشال، وجزر ماريان وكارولين، وكذلك من الأراضي التي استأجرتها ألمانيا في الصين واحتلت من قبلها وهي تزياوتشجد مع مرفأ تسينداو في مقاطعة شاندونغ بالمقاومة المتماسكة لليابان، وإنكلترا وفرنسا بقيت الأراضي المحتلة من قبل القوات اليابانية لليابان. وقد دخلت العلاقات الأمريكية اليابانية في مرحلة توتر حاد، أما فشل الأوهام فيما يتعلق يويلسون تضامن للحلول الديمقراطية فشكل دفعة إلى نهوض النضال التحرري للشعب الصيني.

وهكذا هل تكبدت الولايات المتحدة الأمريكية هزيمة في فرساي؟ شيء ما ربحته واشنطن في هذه المرحلة الأولية من سياستها الهادفة للهيمنة. لقد حدت الولايات المتحدة الأمريكية مع إنكلترا من طموحات فرنسا بالأراضي الألمانية وقدمت مساعدة للبورجوازية الألمانية، تاركة لها إمكانيات الانبعاث العسكري والاقتصادي، وتم ظفرها ببعض رؤوس الجسور لأجل ممارسة سياسة الأبواب المفتوحة: نظام عالمي لأنهار الألب، والدوناي، وفلتافا وغيرها ومدن حرة كـ فيومي ودانستيغ. إن حقيقة نشوء عصبة الأمم وعلى الرغم من كل التدقيقات الإنكليزية - الفرنسية - اليابانية - لميثاقها خلق لها إمكانيات محددة لأجل المشاركة المضطردة في الشؤون الأوروبية والعالمية.

بيد أن برنامج الحد الأعلى وزعامة الولايات المتحدة العالمية لم يتم تحقيقها وأظهر النضال في فرساي وحوله، أن العامل الحاسم في المعركة بين الدول الإمبريالية العظمى كان يكمن في تناسب القوى. ففي صدام الولايات المتحدة الأمريكية مع إنكلترا في عصبة الأمم، والمستعمرات ومع فرنسا للهيمنة في أوربا، والمسألة الألمانية، وسورية ومع إيطاليا فيومى، ومع اليابان ممتلكات الجزر في المحيط الهادي، والطرق الحديدية في منشوريا وشاندونغ، والتدخل في سيبيريا، تبين أن التفوق الاقتصادي الأمريكي لم يحل بعد كل المشاكل. كانت الولايات المتحدة الأمريكية أضعف من منافسيها فيما يتعلق بالجانب العسكري، وبمشاركتها في الحرب في نهايتها فقط، لم تستطع احتلال هذه أو تلك من الأراضي، كما فعلت اليابان، وإنكلترا وفرنسا، الذين وثقوا حتى ذلك الوقت احتلالهم باتفاقيات سرية. كان الاحتلال الذي تم تحقيقه على سبيل المثال في شاندونغ وبالاستناد إلى قدسية المعاهدات وكذلك الاهتمام المشترك للدول الاستعمارية العظمى القديمة ووحدتها في هذه المسألة، كانت كلها دلائل لها ثقلها في المؤتمر، مما ترك الولايات المتحدة الأمريكية منعزلة غالباً. لم تستطع الولايات المتحدة الأمريكية الاستناد إلى دعم الدومينيونات، مثل إنكلترا أو عدد من البلدان نصف التابعة، أو مثل فرنسا أنها لم تكن لم تملك أملاك استعمارية وقواعد في كل أنحاء العالم، مثل هاتين الدولتين العظميين، ولم تملك علاقات منظمة مع تكتلات بورجوازية محددة في البلدان الأخرى.

لقد تم تقويض مواقع ويلسون كزعيم سياسي وأخلاقي للعالم الرأسمالي.

إن انهيار الأوهام التي استطاع ويسلون بمساعدتها أن يجذب إليه فئات مهمة من السكان في عدد من البلدان، لعب دوره كذلك في هزيمة البرنامج التوسعي للولايات المتحدة الأمريكية. كتب ف. ي. لينين في كانون الثاني عام ١٩١٩ أن الجمل المنافقة لويلسن والويلسنيون حول الديمقراطية واتحاد الشعوب، تفضح سريعاً وبصورة مدهشة، عندما نرى احتلال الضفة اليسارية من نهر الرين من قبل البورجوازية الفرنسية، واحتلال تركيا سورية وبلاد ما بين النهرين وأجزاء من روسيا: سيبيريا وارخانغبلسك وباكو وكراسنافودسك، وعشق آباد وغيرها ٩ من قبل الرأسماليين الفرنسيين والإنكليز والأمريكان **(٤١)...**

وأشار ف. ي لينين في كانون الأول عام ١٩٢١ إلى أن أحداث السنوات الأخيرة فضحت كل كذب وكل خداع الأيديوجية الداعية للمسالمة والويلسنية **(٤٢).**

وهكذا، فإن العوامل الأساسية التي كانت تميز الوضع الدولي في لحظة طرح الولايات المتحدة لطموحاتها بالزعامة العالمية قبل أي شيء التناقض بين نظامين، وبعد ذلك التناقض أيضاً بين الدول الإمبريالية، لم تتشكل ي صالح المخطط الأمريكي الواسع، وبالذات ولهذه الأسباب لأسباب تسلط أوروبا في منطقة فرساي وخيبة الأمل في كل مكان بالويلسنية، التي كانت تعد بالحلول الليبرالية والديمقراطية للمشاكل العالمية، توزعت تلك المعارضة في البلاد التي قيمت معاهدة السلم في فرساي كهزيمة، وطالبت برفض تصديقها.

٤ - رفض التصديق على معاهدة فرساي

إن الصراع في البلاد حول مسألة فيما إذا كان يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن توافق على سلم فرساي، قد بدأ حتى في ربيع عام ١٩١٩، حين

وصلت أولى الأنباء حول أسس المعاهدة. إن المناقشات الكثيفة سرعان ما شملت الحزبيين، والنقابات وغيرهم من المنظمات الاجتماعية، والجامعات والكليات، لكنها شملت قبل الجميع كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية. كان مسرح الصراع الأساسي هو مجلس الشيوخ، لأنه الموافقة على المعاهدة حسب الدستور كانت بيده. إن البراهين التي قُدمت في مجلس الشيوخ قد أعطت أجوبة واضحة على أهداف أنصار ويلسون التي تختلف عن النهج السياسي الخارجي الذي كانت تدافع عنه المعارضة.

وإلى جانب ويلسون، أي إلى جانب معاهدة فرساي، وما يتمخض عن ذلك من الدخول إلى عصبة الأمم بهدف الاستمرار في التدخل بالشؤون الأوروبية، وقف قسم مهم سواءً من الأوساط الحاكمة، أو من «الرأي العام». كان يوجد في هذا المعسكر الوزراء ر. لانسينغ وج. دانييل، والجنرالين ت. هـ. بليس وج. ج. بيرشينغ، والعقيد أي. م. هاوز، والقيادة العليا للحزب برئاسة ميرفي «وهو رب عمل»، ومجموعة كبيرة من أعضاء مجلس الشيوخ (لا تقتصر على الديمقراطيين فقط، وإنما على بعض الجمهوريين أيضاً) برئاسة ج. هيتشكوك، والكثير من ممثلي الصحافة (رئيس اتحاد الناشرين في الولايات المتحدة الأمريكية ا. وايت، او. ليبمان)، والتنظيم النقابي الرئيسي في الولايات المتحدة الأمريكية - الفدرالية الأمريكية للعمل مع رئيسها ذي النفوذ س. هومبرس.

وقد كان يدعم موقف ويلسون أولئك الزعماء البارزون في عالم الأعمال مثل ب. باروخ، واو. شتراوس، واو. ماكادو، ود. ديفيس، ووقف إلى جانبه كذلك ج. ب. مورغان، أي شركات «يونايتد ستيتس ستل»، و«تلفون ايند تلغراف»، و«جنرال الكتريك» (إن بنك ورغان كان المزود الرئيسي بالقروض

لدول الائتلاف في سنوات الحرب، وكان يتعاون مع الدول الأوروبية، وبشكل خاص مع إنكلترا).

كان الدفاع عن معاهدة فرساي يتركز حول البرهنة على المنافع التي تحصل عليها الولايات المتحدة بإنشاء عصبة الأمم. ولقد تحدث أعضاء مجلس الشيوخ هيتشكوك، وكيللوغ، وويزن وغيرهم، أن الولايات المتحدة الأمريكية ستستطيع بمساعدة العصبة ومعاهدة فرساي أن تعمل على تجديد أوروبا، وتسويق بضائعها بصورة واسعة هناك، ما يؤدي إلى تحسين الآفاق الاقتصادية بالنسبة للبلاد لأعوام طويلة لاحقة. إن نظام الانتداب سيفتح إمكانية الدخول إلى المستعمرات، وإلى المضائق التركية، وإلى نفط الشرق الأدنى وغيره من المواد الخام (ج. هيتشكوك، واو. كينغ، وت. عورو)[١].

لكن براهين أنصار نظام فرساي بقي برهاناً يتحدث على أن الولايات المتحدة الأمريكية ستستطيع من خلال عصبة الأمم أن تحتل موقع الدول العظمى المسيطرة على العالم. لقد برهن السناتور أوين في سياق النقاشات، أن عصبة الأمم تملك ترسانة كاملة من وسائل - الضغط الدبلوماسي، والتحكيم والمحكمة الدولية، والمقاطعة، والحصار، واستخدام القوات المسلحة المشتركة - وبمساعدة كل ذلك يمكنه تقرير مصير أي خلاف دولي. إن انضمام الولايات المتحدة الأمريكية إلى العصبة، كما كان يؤكد أنصار ويلسون، سيساعد على «التغلب على الاضطراب الاجتماعي في أوروبا»، وإيقاف نمو قوى الاشتراكية. هذا وقد أكد كلٌّ من لانسينغ، وبليس، والصحافة الأمريكية ولأكثر من مرة أن النضال ضد الحركات الثورية العالمية يدخل من ضمن

(١) Congressional Record. Vol. 59, Pt. 2, p. 606- 1612, Pt. 3, p. 2292, Pt. 4, p. 3739- 3794- 3795- 3803- 3804- 3850- 3852.

مهمات عصبة الأمم. ولقد أعلن الرئيس نفسه أثناء جولته في البلاد في أيلول عام ١٩١٩، وهو يقوم بالدعاية للعصبة، أنها ستكون سلاحاً في النضال ضد البلشفية، ودعا في مؤتمر باريس إلى «تطبيب العالم الذي يقصف به روح الانتفاضة ضد الرأسمالية الكبيرة بمساعدة العصبة[1]».

حصلت المعارضة لويلسون على تشجيع المعارضة الانعزالية، مع أنها لم تعترف هي نفسها بهذه التسمية، إن مصطلح «الانعزالية»، على الرغم من كل شرطية (إنه عنى في الواقع الدعوة لانعزال أمريكا)، إلا أنه كان يملك محتوى دائماً: رفض التحالفات السياسية، وعلى الأخص العسكرية مع أوروبا، التي كان قد أوصى بها ج. واشنطن عام ١٧٩٦[2]. وتحت شعار الانعزالية كانت تقف مختلف الفئات الطبقية، ولقد بقي بصورة عامة تيارات: تيار أُطلق عليه اسم انعزالية الجماهير (الذي مثله قسم من العمال، والمزارعين، والفئات الوسطى) الذين وقفوا إلى جانب عدم التدخل في «المشاحنات الأوروبية» انطلاقاً من سعيهم لتجنب الحرب والحصول على مداخيل ووسائل كبيرة موجهة للحاجات الداخلية وانعزالية قسم مهمّ من الأوساط الحاكمية، والاحتكارات الذين كانوا يريدون الحفاظ في السياسة الخارجية على «اليد الحرة» وعدم ربط أنفسهم بالتزامات مشتركة متعلقة بأعمال مشتركة مع أوروبا، لأنهم لم يكونوا واثقين بإمكانية الحصول على دور طليعي للولايات المتحدة الأمريكية. شكل التيار الأول في مجلس الشيوخ حلف باسم «عدم المهادنين» (بعدد يتراوح بين ١٢ إلى ٣٦ شخصاً

---

(١) FRUS, PPC, Vol. 3, p. 583- 584.

(٢) انظر بالتفصيل حول الانعزالية في أعوام العشرينيات: لوبوف، ي. أي، الولايات المتحدة الأمريكية: الصراع حول مسائل السياسة الخارجية ١٩١٩ - ١٩٢٤، موسكو، عام ١٩٦٦.

من أصل ٩٦ عضواً في مجلس الشيوخ)، يترأسه وليام بورا، وهو واحد من أكثر قادة المعارضة له مزاج انتقادي. لقد هاجم بورا، ولافوليت، وهوريس وغيرهم من أعضاء مجلس الشيوخ في هذه المجموعة، عصبة الأمم، معتبرين إياها كأداة لجر الولايات المتحدة الأمريكية إلى حروب لا تخصهم، وإلى الدفاع عن مصالح أجنبية، ولقد كانوا يستنكرون التدخل المعادي للسوفييت، إذ تحدث بورا قائلاً: «أنا لا أعلم من حقاً يستفيد في إبقاء جيشنا في روسيا، سوى أصحاب البنوك العالميين، الذين يملكون هناك استثمارات مليونية، والذين يطالبون من خلال العصبة تأمين الإمكانية كي تستطيع الشبيبة الأمريكية التوجه لاستعادة النظام في أي مكان يمكن أن تتعرض فيه هذه الاستثمارات للخطر»[١].

كان «عدم المهادنين» يطرحون كذلك فكرة نزع السلاح، من خلال تقدمهم بتدقيقات ومخططات تجاه معاهدة فرساي، مثل القضاء على الخدمة العسكرية العامة في جميع الدول، وتقليص جيوش وأساطيل الدول العظمى، وكذلك الميزانيات العسكرية، وتوقيع التزامات بعدم اللجوء إلى الحرب دون استفتاء مسبق وغيرها. كانوا ينتقدون بصورة لاذعة اقتسام المستعمرات الألمانية والتركية والصينية (من قبل الأوروبيين)، ويتحدثون عن «حفلات النهب والاغتصاب الإمبريالي» والذين تعاملوا مع الناس «كقطيع» وغيرها[٢].

ولأسباب أخرى اتخذ بعض الانعزاليين موقفاً معادياً للويلسينية، الذين كانوا يمثلون القيادة العليا للحزب الجمهوري برئاسة السناتور غ. ك. لودج،

---

(١) Congressional Record, Vol. 59, Pt. 8, p.7942- 7948.

(٢) bid Vol. 58, p.7545- 7547- 7947- 8192- 8271- 8272, Pt. 9, p. 8720- 8729, Vol. 59, Pt. 4, p.3004- 3564- 3578- 3796- 3803.

والصحافة الأكثر يمينية التابعة لهيرست وماكورميك - باترسون، والاحتكارات الجديدة في الغرب الأقصى والأوسط، التي كانت تتناقض مع إمبراطورية مورغان والتي كوَّن بعضها مع بعضٍ ما يشبه جبهة موحدة ضدها بقيادة روكفلير (إن هذه الاحتكارات لم تقتصر على تصدير الرساميل إلى أوروبا مثل مورغان، بمقدار ما كانت تنافس الاتحادات الاحتكارية الأوربية فيما يتعلق بالاستحواذ على الأسواق، والمواد الخام، وغيرها). إن الاتجاه المعادي للإنكليز في مواقف هؤلاء الانعزاليين كان يتميز في الخطوات العدائية ضد استحواذ إنكلترا على نفط أقاليم العالم بدءاً من الشرق الأوسط حتى المكسيك. ولقد وضعوا أمريكا اللاتينية وآسيا بمنزلة المجال الحيوي للمصالح الأمريكية في المقام الأول.

وبمواجهة الويلسونية طالب أنصار لودج بعدم خضوع الولايات المتحدة الأمريكية لعصبة الأمم المتحدة بالدرجة الأولى، وقاموا بالهجوم على المادة ١٠ من نظام العصبة حول التدابير المشتركة في حال حدوث عدوان، مطلقين عليها اسم الالتزام بالارتباط، والاعتداء على استقلال أمريكا، وتحكم إنكلترا وفرنسا بذلك، وتهديد مذهب موزو (بما أن العصبة «تستطيع أن تتدخل» في شؤون النصف الغربي من الكرة الأرضية). إن مطلب «حرية الأيدي» كانت تتمّ تغطيته بصورة ديماغوجية حول عدم الانجذاب في حروب غريبة، ورفض إرسال شبيبة أمريكا «للحوت من أجل بعض البلدان مثل الحجاز أو فيوم، وهما من أكثر الأسماء الغريبة على الأذن الأمريكية». ونتيجة للقناعة، بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست قوية بصورة كافية كي تفرض إدارتها على الدول الأوربية، فإنهم كانوا يعتبرون الضجة حول خطر «أوربة أمريكا» وخضوعها لأوامر «الرجال المهذبين

السبع» (أي مجلس العصبة)، ويثيرون الشوفينية، من خلال وصفهم للمستقبل، حين سيكون «العم القديم سام» مضطراً من أول أمر أن يحصر بإذعان إلى «عاصمتنا الجديدة» - جنيف أو لندن وقبعته في يده[1]. لقد اقترح أنصار لودج لخلق تفوق عسكري حاسم للولايات المتحدة الأمريكية أنهم من إذ الجوهر لم يرفضوا فكرة الزعامة العالمية، لكنهم كانوا يعتبرون أن المطالبة الجديدة بذلك ممكنة بعد تحقيق «موقع القوة» فقط.

كان مطلب «امتلاك القارة» أي إقامة سيطرة كاملة في أمريكا اللاتينية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية / وكذلك مطلب حرمان اليابان من الأراضي الصينية التي أُعطيت لها في فرساي (شاندونغ)، وكذلك المحيط الهادي، وإعادة النظر في منظومة الانتداب، كان كل ذلك يحتل مكاناً كبيراً في برنامج لودج الانعزالي. إن هذه الادعاءات الإمبريالية قد تم طرحها وكأنها ادعاءات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية موجهة «ضد الاستعمار» وضد السياسة الاغتصابية لإنكلترا وفرنسا واليابان.

وعلى الرغم من الفوارق بين التيارين الانعزاليين، فقد تكون عام ١٩١٩ حلفاً بين أنصار لودج ومجموعة «عدم المهادنيين». إن التناقضات بينهما قد ظلت. وفي سياق تشكل هذا الحلف تمت الإشارة في لقاءات لودج وبور نهاية شهر نيسان عام ١٩١٩، إلى أن الأهداف النهائية لكلتا المجموعتين لا تتطابق. كان لودج لا يستثني الموافقة على معاهدة فرساي بشرط إحداث تغيير فيها لصالح الولايات المتحدة الأميركية، أمّا بور فإنه

(١) Ibid Vol. 59, Pt. 9, p. 2184- 2352- 2360, Pt. 4, p.3620- 3950- 3954- 4124- 4125- 4262- 4288.

أعلن، أنه سيصوت في كل الظروف ضد المعاهدة وعصبة الأمم. بيد أنه، وعلى الرغم من عدم تطابق الأهداف فإن الحلف صمد بصورة تضامنية خلال فترة النضال الطويل بأسرها حول فرساي، وساعد أنصار لودج في نهاية المطاف على إحراز الانتصار.

قدم ويلسون معاهدة فرساي بصورة رسمية في ١٠ تموز عام ١٩١٩، للتصديق في مجلس الشيوخ. امتد النقاش المتوتر حولها أكثر من ثمانية أشهر. كانت التعديلات الـ ٤٨، والتحفظات الأربعة التي وضعتها لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية تعني تغييرات من طرف واحد للمعاهدة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وبالطبع لم يكن ذلك الأمر واقعياً بالطبع. وبعد رفض مجلس الشيوخ لهذه التغييرات، ظهر ١٥ تحفظ لها الهدف نفسه، وسُميت بـ «تحفظات لودج». لقد جرى التصويت على هذه التحفظات مرتين في مجلس الشيوخ (١٩ تشرين الثاني عام ١٩١٩) وتم فشله، إذ لم تحصل على ثلثي الأصوات («إلى جانب» التحفظات - ٣٩ سيناتور و«ضدها» - ٥٦)[١].

وعند ذلك، وبناءً على مبادرة من لودج تمّ إنشاء لجنة من الحزبيين، لإعادة النظر بالتعديلات بهدف إيجاد تسوية، وفي ٩ شباط عام ١٩٢٠، صوتت الدورة الجديدة لمجلس الشيوخ إلى جانب إعادة التصويت للمرة الثالثة على صيغة المعاهدة. وبعد بحث جديد طويل استمر لشهر، جرت فيه نقاشات مستمرة لكل تعديل وكل صياغة تم التصويت بصورة نهائية في ١٩ آذار عام ١٩٢٠. إذ رفض القرار حول التصديق على كل التعديلات.

(١) Congressional Record, Vol. 58, Pt. 9, p.8767- 8804. Lodge H. C., p. 191.

إن «النزاع الدستوري» عام ١٩١٩- ١٩٢٠ كان أحد الأمثلة غير المتكررة في التاريخ الأمريكي على انتصار الكونغرس على الرئيس، أي، التراجع في عملية تعزيز السلطة الرئاسية. أكد في الوقت نفسه السمةَ القانونيةَ في: الانعطافات الجديدة في السياسة، وفي السياسة الخارجية خاصةً، المترافقة مع النزاع في الولايات المتحدة الأمريكية «بين الكونغرس - والرئيس».

تحدد النهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية في سير الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني عام ١٩٢٠، إذ لم يرفض الشعب فرساي فيها، عن طريق «استفتاء احتفالي»، كما كان يؤكد ذلك قادة الانعزاليين، إنما تلاحم قسم كبير من الأوساط الحاكمة والاحتكارات، الذين استوعبوا دروس هزيمة الولسينة على المسرح الدولي، حول برنامج سياسي خارجي جديد، استطاع بمساعدة حملة دعائية واسعة أن يجذب إليه الرأي العام في البلاد.

كان أنصار ويلسون لا يزالون يعقدون الرجاء على الانتصار. ففي أيلول عام ١٩١٩ قام الرئيس بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية على أمل، أن الصلات المباشرة مع الناخبين ستؤمن له الانتصار. بيد أن الجهد المفرط في القوى كان بالنسبة له كبيراً: كان من نتيجة الشلل، الذي كان يعني نهاية مستقبله السياسي. (جاءت وفاته الحقيقية بعد أربع سنوات).

اعتمدت دعاية الانعزالية على المشاعر القومية المتشددة، وكانت فعالة. وجرى تحويل سخي جداً لحملة المرشح الجمهوري او. هاردينغ. السيناتور من ولاية أوهايو - مملكة «ستاندارد اويل»، والاحتكارات النفطية وغيرها من الاتحادات الاحتكارية الصناعية. وفي المحصلة حقق الجمهوريون النصر.

إن هزيمة ويلسون وحزبه لا تعني تغييرات أساسية: لقد بقيت السلطة كما في السابق الأوساط الإمبريالية دون تغييرات إستراتيجية مبدئية، مع أن النهج التكتيكي والأهداف القريبة ومن خلال انعكاس دروس فرساي قد اختلف بعض الشيء. إن هذه التغييرات قد ظهرت عند إنشاء منظومة واشنطن المرتبطة بفرساي بصورة وثيقة.



الفصل الرابع

مؤتمر واشنطن

١ - تقليص التسلح

كان مؤتمر واشنطن الذي انعقد بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية، استمراراً لمؤتمر فرساي بمعنى التقاسم المتواصل للعالم وعلاج المسائل المتعلقة بتكوينه بعد الحرب. وليس مصادفةً أنه قد تعزز في علم التاريخ السوفييتي مصطلح «نظام فرساي - واشنطن» الذي لا يتميز فقط بمجموعة من المعاهدات. التي تمَّ تحقيقها في هذين المؤتمرين، وإنما الذي تحدد على أساسهما النظام العالمي، الذي بقي إلى أن بدأت ألمانيا الهتلرية واليابان العسكرية بكسره في منتصف الثلاثينيات.

كان مؤتمر واشنطن بمعنى محدد استمراراً لنهج الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الخارجية أيضاً في أعوام ١٩١٨-١٩٢٠.

لقد وضعت الولايات المتحدة الأمريكية أمامها بالدعوة لانعقاده مهمة الثأر بسبب الهزيمة في فرساي، واستئناف محاولتها لقيادة العالم. ولكنها طرحت أهدافها الرامية للهيمنة هذه المرة بصورة حذرة جداً، مقتنعة بنجاحات جزئية، من خلال ذهابها إلى التسويات.

لقد عكس المؤتمر الطابع الانتقالي لفترة عام ١٩٢١-١٩٢٢، وجسَّد محاولة الولايات المتحدة الأمريكية إحياء فكرة الزعامة الأمريكية على

العالم، لكن وفي الوقت نفسه تمَّ التأكيد على عدم إمكانية تلك الزعامة نتيجة التناقضات الإمبريالية، وتعزز القوى الثورية في العالم. أصبح المؤتمر نقطة انطلاق لتشكيل النهج الانعزالي للسنوات اللاحقة، الذي اتسم بحالة عدم الاعتراف بالدولة السوفيتية التي استمرت حتى عام ١٩٣٣، وبالاهتمام الخاص بطرق التوسع الاقتصادي، وبالسياسة في الأقاليم الأخرى غير الأوربية، وبتعزيز القوة العسكرية البحرية للولايات المتحدة الأمريكية ونموها.

وقد اتضحت فكرة إحياء الزعامة العالمية في ١٦ تشرين الأول عام ١٩٢٠ في بيان المحافظين البارزين (٣١ شخص)، الذي أكدوا فيه أن الحزب سيؤمن إنشاء «اتحاد حقيقي للأمم». وفي أول اجتماع للرئيس هاردينغ مع زعماء الحزب وأعضاء مجلس الشيوخ تمَّ الوصول إلى استنتاج، أن هذا الهدف يجب أن يكمن في أساس السياسة الخارجية للإدارة الجديدة. لقد أعلن رئيس الدولة في حديث له مع الصحافة في كانون الثاني عام ١٩٢١، وكذلك في خطاب الرئاسة الافتتاحي في ٤ آذار وفي الرسالة إلى الكونغرس بتاريخ ١٢ نيسان، وبعد أن رفض فكرة «الحكومة العالمية» المتمثلة في عصبة الأمم «أعلن أن توحيد الأمم هو «التزام الضروري» بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية سمة من «سماتها العالية» و«واجب ملقى على عاتقها من الدرجة الأولى»[١] وعلى هذا الأساس ظهرت فكرة عقد مؤتمر دولي في واشنطن[٢] واقترحت حكومة هاردينغ في البداية مناقشة مجموعة واسعة من المسائل في المؤتمر: الحد

(١) Papers Relating to the foreign Relations of the Uniteol states (c 1931- Foreign Relations of the United stares. Diplomatic PAPERS), 1921: VOL. 1, 2 wash, 1936, vol l, p. xvll- xlx. (FRUS)

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1921, vol. l, p. 18- 82, Vinson Ch. The parchmewt peace Atlanta, 1955.

من التسلح، إعادة النظر في وثائق الانتداب، وممارسة سياسة «الأبواب المفتوحة» في الصين، والبحث في «المسألة الروسية»، وصياغة مبادئ العلاقات الدولية. غير أن إنكلترا تمكَّنت بإلحاحها من حصر المؤتمر بمسائل الشرق الأقصى فقط، وبين ثلاث دول عظمى فقط - الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا، واليابان. حاولت فرنسا أن تُدخل في جدول الأعمال مسألة الديون. وكتبت الصحافة الفرنسية باستياء، أنه من المستحيل السماح بأن ينشئ كل رئيس جديد في الولايات المتحدة الأمريكية منظمته الدولية. وطالبت اليابان بصورة قطعية استثناء أي طرح لإعادة النظر في «الأحداث التي تحققت» أي ما تم احتلاله في إقليم الشرق الأقصى.

وفي سياق النقاشات اتخذت الندوة اسم «مؤتمر حول الحد من التسلح، ومسائل المحيط الهادئ، والشرق الأقصى». وفيما يتعلق بتعداد المشاركين الواسع (١٤بلداً - الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى مع ممثل منفرد عن أربعة دومينيونات والهند، والصين، واليابان، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا والبرتغال) فقد تمَّ تلافي إنشاء تكتل أمريكي واحد.

لم تتم دعوة الدولة السوفييتية إلى المؤتمر. صرح وزير الخارجية في ١٧ أيلول عام ١٩٢١، أنه «لا يوجد في روسيا حكومة موحدة» وأنه سيتم إبداء «موقف عادل» تجاهها. وفي المذكرة السوفييتية الجوابية تمت الإشارة إلى أن مصالح روسيا «تتولاها وترعاها نفس تلك الحكومات التي أراقت دماءها، والتي أرسلت ضدها جنرالات النظام القيصري، وخنقوها بحلقة مميتة من الحصار»[1]

---

(١) وثائق سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية: الجزء ١ - موسكو، ١٩٥٧ - الجزء ٤ الصفحة ٤٧٢ (إلى آخر وثائق سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية).

خلال ثلاثة أشهر غير كاملة من العمل صاغ مؤتمر واشنطن الذي عُقد في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٢١ واستمر حتى ٦ شباط عام ١٩٢٢، ٢٨ اتفاقية، وقرار، وإعلان، وبيان، وتمركزت جميعها حول المسائل الأساسية التالية: الحد من التسلح، إنشاء «ائتلاف الشرق الأقصى»، النضال من أجل النفوذ في الصين. ووفقاً لذلك احتلت معاهدات الدول الكبرى الخمس، والأربع والتسع الحيز الأوسع.

تم توقيت افتتاح المؤتمر مع الذكرى الثالثة لهدنة كومبين، ورافقته ضجة إعلامية تدعو للسلام. إن التاريخ الأمريكي يستمر بالتأكيد، على أن هذا المؤتمر كان المؤتمر الوحيد في تاريخ العلاقات الدولية بأسره، الذي تحقق فيه بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية عمليات نزع للسلاح، ولو بصورة جزئية. وتحت ضجيج الحملات حول نزع السلاح سعت الولايات المتحدة الأمريكية لتحتل المكان الأول في المجال العسكري، والإشراف عن طريق الانعقاد الدوري لمؤتمرات «نزع السلاح» على القوى الحربية للمنافسين. لقد برزت بصورة واضحة في عام ١٩٢١ حالة الحذر بصورة أكبر من الويلسينية، والطريق إلى الزعامة العالمية والتجسيد الجزئي للفكرة المتعلقة بـ «جمعية الأمم».

لقد صوّرت الصحافة الأمريكية مخطط نزع السلاح، المقترح من قبل رئيس الوفد الأمريكي وزير الخارجية تش. هيوز في اليوم الأول من عمل المؤتمر كـ «تضحية مثالية لا نظير لها» و «تضحية مدوية بالنفس من قبل أمريكا» وغير ذلك[١]، احتوى هذا المخطط على اقتراح بالحد من التسلح في البر، وفي البحر. إلا أن هذا الاقتراح قد تبين أنه كان يحمل طابعاً تظاهرياً من إذ الجوهر.

(١) Weale p. An Indiscreet chronicle from pacific N.Y. 1922, P.160.

إذ تذرعت فرنسا التي تملك أكبر قوة برية في سياق النقاشات القصيرة بدورها في «حراسة النظام». أما اليابان - فـ «بالظرف الخاص في الشرق الأقصى». لقد وصل المشاركون في نهاية المطاف إلى نتيجة مفادها، أن نزع السلاح غير ممكن إلى الآن لا في البر ولا في الجو. كان هذا الأمر يوافق هيوز، بما أن حرب الولايات المتحدة الأمريكية الممكنة هي مع الخصمين الأكثر احتمالاً - إنكلترا واليابان - وكان يجب فيما لو اندلعت أن تنطلق بصورة حتمية من البحر. أما بالنسبة للطيران - السلاح الجديد المهمّ، فإن الأمريكان تقدموا بالبراهين حول «عدم عقلانية» الحد منه، لأن ذلك كان يعني «إيقاف التقدم التقني»[١]، كانت النتيجة الملموسة الوحيدة للنقاشات هي إنشاء لجنة فرعية من خمس دول عظمى (الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، واليابان، وفرنسا وإيطاليا) من أجل النظر في مسألة استخدام الوسائل الكيميائية في الحروب. لم تصل اللجنة الفرعية إلى رأي واحد، واستطاع المؤتمر في الميثاق الإضافي للخمس إجراء مناقشة عامة لوسائل الحرب الكيميائية فقط. وهكذا، فإن المسألة انحصرت في «نزع التسلح» في البحر فقط.

قدمت حكومة هاردينغ ملاحظة جدية فيما يتعلق بالحد من التسلح البحري. ففي كلمة هيوز جرى اقتراح تحقيق تناسب دائم لأساطيل الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا واليابان الخطية بنسبة ٥:٥:٣ (بحمولة إجمالية ٥٠٠ ألف طن للبلدين الأولين و٣٠٠ ألف طن - لليابان).

---

(١) Confer ence on a the Limitation of Arm ament. Washington, November 12, 1921- February 6. 1922 Wash, 1923, p.774. 1

إلى آخر المؤتمر.

إن حالة الابتهاج التي انتابت الدعاية الأمريكية حول النجاح الباهر لـ هيوز الذي استطاع «خلال عدة دقائق إغراق سفن أكثر من جميع الأدميرالات خلال مئة عام» لم تكن تمتلك أية أرضية واقعية. فعملية التناسب - وهي الأمر الرئيسي في البرنامج الأمريكي - قد ساوت بين الأسطول الأمريكي والأسطول البريطاني الذي كان يسيطر سابقاً سيطرة مطلقة على البحار، متيحةً بذلك للولايات المتحدة الأمريكية اللحاق بإنكلترا وبنفس الوقت إزاحة اليابان إلى المرتبة الثاني. اقترح هيوز أيضاً الحد من أعداد بعض السفن الخطية بحمولة ٣٥ ألف طن، بحجة خطر السفن الكبيرة، ولكن في الواقع كان الأمر مرتبطاً بأن السفن ذات الحمولة الكبيرة لا تمر عبر قناة باناما المتقادمة، ومن ثمَّ سيصبح من الصعب نقل الأسطول من المحيط الهادي إلى الأطلنطي وبالعكس.

كانت الأمور تأخذ طابعاً دراماتيكياً أحياناً في سياق النقاشات المحتدمة - مع التهديدات بالعزل، والحملات العنيفة في الصحافة وغيرها، وتحولت مسألة «نزع الأسلحة» أكثر فأكثر إلى تخطيط لسباق تسلح لاحق لمصلحة الدول البحرية الكبرى الرئيسية. وهكذا، وفي مسألة التناسب المتعلقة بالبوارج، فإن الإقرار الذي حصل عليه هيوز بصعوبة بالغة كان يحمل تعديلات الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا واليابان حول الحق في إبدال السفن القديمة، التي كانت حمولتها تزيد على الحمولة العامة لأسطول هذه الدول الكبرى. (حتى ٥٢٥ ألف طن للولايات المتحدة وإنكلترا، ٣١٥ ألف طن لليابان. لم تستطع فرنسا وإيطاليا من رفع معدلهما أكثر من ١٧٥ ألف طن). وبصورة عامة كان التناسب يعني بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وجود أفق لبناء المزيد من السفن الأكثر ضخامة، على اعتبار أن الأسطول الأمريكي الفعلي كان لا يزال بعيداً عن المعدل المعتمد مقارنة مع الدول

الكبرى الأخرى. ومن جهة أخرى أدى الجدال الحاد بين إنكلترا وفرنسا إلى إفشال قرار الحد من الطرادات والغواصات. لم يستطيع المؤتمر أن يُقرّ الحدود القصوى بالنسبة لحاملات الطائرات، بعد أن رُفضت المشاريع التي تمت الدعاية لها بصورة واسعة في هذا المجال.

لقد تميز الوفد الأمريكي بأنه سعى بسهولة إلى هذا الرفض، ولا سيَّما حين كان الحديث يجري عن الأسلحة المتقدمة المعترف بها، التي تحمل بعداً إستراتيجياً، مثل حاملات الطائرات وأسطول الغواصات، وبنفس الوقت حمّلت الذنب بفشل تخفيض الأسلحة كل من «فرنسا العسكرية» وإلى «إنكلترا غير المتنازلة».

لم يكن نجاح الولايات المتحدة الأمريكية كاملاً، وكان عليها أن تقدم بعض التنازلات. كالالتزام بعدم إنشاء قواعد عسكرية على المشارف القريبة من اليابان، الأمر الذي أدى إلى تراجع هذه القواعد حتى بيرل هاربر وسينغافورا، والتخلي عن مخطط تحويل المؤتمر إلى هيئة دورية فريدة من نوعها تخالف كل المخالفة عصبة الأمم، وتشكل مجالاً للنشاط الذي يشمل المسائل الاقتصادية والمالية. أظهرت مناقشة معاهدة الخمس، أن الدول الأوروبية الكبرى مع اليابان لا تقبل النزعة الأمريكية للقيادة، وحتى فيما يخص بعض الاتجاهات. وقد نجح هيوز في إدراج قرارين فقط ضمن أحكام مؤتمر واشنطن حول ضرورة استمرار النقاش حول مسائل «نزع السلاح» وحول التزام المشاركين بعقد المؤتمر من جديد بعد ثماني سنوات بهدف تأكيد الحد الأقصى لحمولة الأسطول (٥: ٥: ٣: ١؛ ٧٥: ١؛ ٧٥). كان الهدف من هذه الشروط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وضع التسليح البحري للدول الكبرى تحت إشرافها واستلام المبادرة بعقد المؤتمرات اللاحقة المتعلقة بنزع التسلح.

تمَّ وضع ملخص عن نتائج الناقشات حول مسألة الحد من التسلح في واشنطن خلال الاجتماعات التي تمت في مجلس شيوخ الولايات المتحدة الأمريكية. وقد اتهم النقاد اليمينيين الحكومة بتقديم تنازلات مفرطة، من إذ «الإذعان لهستريا السلام» (عضو مجلس الشيوخ فرانس)، وصولاً إلى اقتراف «الانتحار الوطني» (عضو مجلس الشيوخ بو.نيديكستر). وأكد عضو مجلس الشيوخ ج. ريد أن المفاوضات «أظهرتنا وكأننا نتلقى إحساناً من الإنكليز». وبنفس نغمة ريد خطب عضو مجلس الشيوخ ج.ك شيلدس منتقداً التنازلات التي تمت لصالح اليابان: «... ليست الولايات المتحدة الأمريكية من يسيطر في المحيط الهادي، وإنما اليابان - في مياه الشرق الأقصى تلك، إذ يجب أن نسيطر نحن، إذا كانت لدينا الرغبة بتطبيق مذهب «الأبواب المفتوحة» بصورة فعالة. إن التخلي عن بناء القواعد قرب اليابان- هو نتيجة «الجهل وعدم المسؤولية[1]» لقد استخدم سياسيُّو اليمين المناظرات من أجل تقديم المطالب حول زيادة المخصصات للاستعداد الحربي، والوساطات حول الطلبيات الخاصة باتحادات الفولاذ، وبناء السفن وغيرها[2]، أما النقاد اليساريون - أعضاء مجلس الشيوخ بورا، وويليام، وكينغ وغيرهم فقد نوهوا بأهمية نزع التسلح، الذي شمل القوات البرية، دون أن يمس تلك «الأسلحة البربرية، وغير الإنسانية، والقاتلة»، مثل الغازات السامة. وصنّف بورا عملية التخلي عن تدعيم القواعد في المحيط الهادي، كصفقة لتقاسم مجالات النفوذ في البحر: إن الولايات المتحدة الأمريكية في رفضها لتدعيم الفيليبين وغوام، حصلت على فضاء يمتد حتى

---

(١) Congressional Record, vol 57, p. 3619, 4076, 4706.

(٢) Ibid, p. 2426- 2477, 2431- 2433.

جزر هاواي. أما إنكلترا واليابان - فقد حصلا على القسم الغربي من المحيط الهادي. الأمر الذي لن يجعل من أساطيل كل الدول الكبرى أقل، وإنما سيزيدها قوة، وسترتفع النفقات فقط، وسترتفع وتائر السباق في بناء البوارج، والغواصات والطائرات بصورة أسرع.

لدى التصويت على المعاهدة الأساسية للخمس وقف ضدها صوت واحد فقط، ولدى التصويت على المعاهدة الإضافية - لم يعترض أحد. (امتنع ٢٤ عضواً في مجلس الشيوخ، وهم بشكل رئيسي أولئك الذين كانوا مرتبطين مع الشركات الكيميائية - دوبون، وودسفورت، ورينسديل وغيرهم[١]).

اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بأن نتائج مؤتمر واشنطن بصورة عامة في مسألة الحد من التسلح ملائمة بالنسبة لها، الأمر الذي كان يطابق الواقع. إذ أصبح بإمكانها زيادة قدرتها العسكرية بصورة متواصلة. وعلى الجانب الآخر لم توقف الدول الكبرى الأخرى أيضاً عمليات العسكرة الخاصة بها. ومما له دلاله بالغة، أن الحد الوهمي من التسلح، الذي كان يميز مؤتمر واشنطن. قد واجهته الدولة السوفيتية ببرنامج واسع لنزع السلاح الشامل - في مؤتمر جنوا الذي جرى في نيسان عام ١٩٢٢ وفي مؤتمر موسكو في كانون الأول عام[٢] ١٩٢٢.

---

(١) Ibid, p. 4725- 4730.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٥، الصفحة ١٩٣ - ١٩٤. خايتسمان. ف. م. الاتحاد السوفييتي ومشكلات نزع السلاح. موسكو عام ١٩٥٩، ص ٣٥- ١٠٨. مايسكي. أي. م. المؤتمر الأول نزع السلاح: من المذكرات - التاريخ الحديث والمعاصر ١٩٦٣. رقم ٣.

٢ - معاهدة الدول الكبرى الأربع

العلاقات السوفييتية - الأمريكية.

احتوت معاهدة الدول الكبرى الأربع - الولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وفرنسا، واليابان، الموقعة في ١٣ كانون الأول عام ١٩٢١، على أربع مواد فقط: الاحترام المتبادل لحقوق كل منهم «على ملكيته للجزر التابعة له، وعلى الأراضي التابعة له في الجزر» في إقليم المحيط الهادي، واتخاذ «تدابير فعالة» مشتركة في حال تهديد هذه الأراضي من قبل أيّ كان من الدول الكبرى، التي تقف خارج دائرة الدول الأربع المتعاهدة، وتحديد مدة المعاهدة بـ ١٠ سنوات مع إمكانية التمديد الآلي، واعتبار التحالف الإنكليزي - الياباني الذي تأسس في عام ١٩٠٢ باطل، بما أن معاهدة الأربع قد حلَّت محلَّه.

أعلنت الإدارة الأمريكية ومن بعدها المؤرخون أن أهمية المعاهدة كانت تأتي في الدرجة الثانية، معترفين بأهمية المادة الرابعة فقط. غير أن الصيغة الموجز والعامة لهذه المعاهد كان تخفي خلفها في الواقع محاولة الولايات المتحدة الأمريكية لجمع تكتل الدول الكبرى الأربعة بـ«ائتلاف في الشرق الأقصى». وبهذا المعنى فإن المعاهدة عكست بصورة جزئية مخطط «اتحاد الأمم»، وحازت لذلك أهمية مبدئية - و ليس من باب المصادفة أن التوقيع على هذه المعاهدة كان أول ما تمَّ في المؤتمر.

كانت المادة ٤ حول تصفية التحالف الإنكليزي الياباني العسكري انجازاً مهماً لواشنطن، على اعتبار أنها نجحت في تفريق منافسي الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى، وحرمت اليابان الدعم، الذي حققت على قاعدته

عدة احتلالات[1]، وكانت تعني انعطاف إنكلترا نحو «علاقات خاصة» مع الولايات المتحدة الأمريكية. بيد أن المادة رقم ١ التي لم تكن أقل أهمية، كانت تعني مهادنة الولايات المتحدة الأمريكية لما هو قائم في عصبة الأمم من توزيع لمواثيق الانتداب في المحيط الهادي، ولحقوق اليابان في بينهوليداو، وتايوان، وساخالين الجنوبية، وكذلك المادة الثانية، إذ كان يمكن. لـ «التدابير الفعّالة» المشتركة أن تعني كل شيء، بما في ذلك العمل الحربي، لقد منحت تلك البنود الدول الأربع الكبرى الإمكانية للقيام بالأعمال العسكرية ضد الصين، وروسيا السوفييتية في حال حاولا تحرير تلك الجزر المعنية من المحتلين.

إن أهمية المادتين الأولى والثانية قد عززت النقاشات الطويلة والعاصفة في مجلس الشيوخ. فعلى امتداد ١٥ جلسة كان عضو مجلس الشيوخ لودج وغيره من ممثلي التكتل الحكومي يبرهنون، أن الحديث يجري فقط عن شعاب مرجانية نائية، مبعثرة في المحيط الواسع، «على غرار باقة من الزنبق» و«لا تكاد ترتفع فوق سطح الماء». ومن جانب آخر أكّد الانعزاليون المتشددون، أن معاهدة الأربع تعطي شكلاً عسكرياً للتحالف الذي يملك أسطولاً ضخماً بهدف السيطرة على المحيط الهادي باستخدام القوة[2]. وقد تشارك هذا الرأي، في تقييم المعاهدة كأول محاولة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء حلف عسكري، قسم مهم من الصحافة، ولا سيما الأوروبية منها، وكذلك عدد من الشخصيات السياسية. وجاءت الوثائق المنشورة من قبل وزارة الخارجية عام ١٩٣٨ لتصب في مصلحة تأكيد هذا التقييم.

---

(١) الحرب الروسية اليابانية في عام ١٩١٤، واحتلال الأراضي المستأجرة من قبل الألمان في الصين (عمليا كل مقاطعة شاندون)، وكذلك جزر مارشال وماريان وجزر كارولين.

(٢) Congeessional Record, vol 27, p 3550- 3557.

وإلى جانب النزعة المعادية للسوفييت، التي ظهرت في معاهدة الأربع، فقد انعكست في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الفترة مسألة الصراع حول الاعتراف بالدولة السوفييتية[1]. هذا الصراع الذي امتدَّ ليشغل إلى حد ما أوساطاً واسعة من الرأي العام الأمريكي، ووجد انعكاساً له في مؤتمرات الحزبين الشيوعي والاشتراكي، وفي قرارات عدد من النقابات المحلية، وفي الحركة من أجل المساعدة التقنية لروسيا السوفييتية. وفي مطالب التقارب مع روسيا التي غالباً ما كانت منظمات المزارعين وغيرها من المنظمات الأخرى تتقدم بها. أما على صعيد الاهتمام بالأعمال التجارية والامتيازات فمع تطبيق سياسة النيب في الاتحاد السوفيتي بدأت الآمال في أوساط الأعمال بـ «تطور النظام» تزداد. إذ بدأت بالفعل مجموعة من الشركات الأمريكية بإجراء مفاوضات مع المبعوثين السوفييت حول امتيازات ذات نطاق كبير. وتمَّ توقيع مشروع معاهدة مع ف. فاندرليب وهو رجل أعمال من كاليفورنيا في تشرين الأول عام ١٩٢٠، تتعلق بحقول النفط، ومناجم الفحم، والصناعات السمكية في كامتشانكا. ورغم أن المشروع لم يتحقق، حقق كسباً سياسياً مزدوجاً، من خلال إعاقته لتواطؤ اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وتحفيز الاهتمام بإقامة الروابط الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي.

وفي تشرين الأول عام ١٩٢١ تمَّ عقد اتفاق مع «الشركة الأمريكية المتحدة لمستحضرات الأدوية والمستحضرات الكيميائية» حول توريد البضائع إلى روسيا،

---

(١) انظر بالتفصيل: فورايف. ف. ك. العلاقات السوفييتية- الأمريكية، ١٩١٧- ١٩١٩. موسكو، ١٩٦٤، وتسفيتكوف. غ. ن. ١٦ عاماً من عدم الاعتراف: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الدولة السوفييتية في أعوام ١٩١٧- ١٩٣٣. كيف ١٩١٧.

وفي كانون الأول عام ١٩٢١ - اتفاقية امتياز مع أرماند هامير حول تعمير مكامن الأسبستوس (الحرير الصخري) في الأورال، وفي كانون الثاني عام ١٩٢٢ وقعت جمهورية الشرق الأقصى اتفاقية مع الشركة النفطية الضخمة «سينكلير أويل» حول استثمار الثروات النفطية في شمال ساخالين، زد على ذلك أنه كان يوجد هنا أيضاً، كما في الاتفاقية مع فاندرليب شرط الاعتراف الدبلوماسي - في هذه الحالة - بجمهورية الشرق الأقصى. ولقد كانت شركات «سينكلير أويل كوربوريشين» و«سينكلير اكسبلوريشين ك» و«ستاندارد أويل ك أوف كاليفورنيا» تطالب بإلحاح وزارة الخارجية القيام بالضغط على اليابان كيلا تضع عقبات أو تقوم بإرسال بعثات تنقيب إلى ساخالين»[١].

قام ل. كراسين المقيم في لندن بمفاوضات مع وكلاء «ستاندارد أويل» حول شراء شركة الإنتاج النفطية هذه في باكو، ومع «فاونديشين ك» حول بناء خط أنابيب للنفط يمتد من جورجيا إلى البحر الأسود. وقد تواصل كراسين مع موسكو حول أهمية هذه المفاوضات كـ «أول تواصل عملي وجدي مع أوساط أمريكية ذات نفوذ قوي»[٢].

لم تبصر النور الكثير من هذه الاتفاقيات. إذ إن النزعة نحو ترتيب الروابط الاقتصادية والتجارية بين الدولتين لم تحظَ بتأييد واسع في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية. استمرت الأوساط الرسمية في البلاد باتباع نهج عدم الاعتراف. وقد أعلنت وزارة الخارجية مكررة حجج «سفير» الحرس الأبيض

---

(١) وثائق السياسة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي. الجزء ٢، ص ٥٥٢، الجزء الرابع، الصفحات: ٤٣٢ - ٤٣٣، ٤٤٢ - ٤٤٥ - ٤٦٥ ٤٧١. الجزء ٥، ص ٧٢٢ - ٧٢٣ أو.
FRUS, Diplomatic papers, 1923: vol. 1. 2. Wash, 1938, vol. 2, p. 798- 815

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي. الجزء الرابع، الصفحة ٤٣٣.

باخمينتين، أن لا شيء عندنا للتجارة مع روسيا، فقدرتها الشرائية تصل إلى الصفر، وهي تشكل «فراغاً اقتصادياً عملاقاً» وليس هناك أية توقعات للمساهمة بإعادة البناء، ما دام هناك نظام سوفييتي[1]. وقد اعتبرت أوساط أمريكية محددة في الولايات المتحدة، أن سياسة النيب قد تتيح المجال للمساعدة في إسقاط السلطة السوفييتية. ومن هنا ظهرت محاولات لمساعدة تمرد كرونشتاد، وانعاش فكرة عقد المجلس التأسيسي. لقد كتب ف.ي. لينين: «يفكرون في أمريكا أن البلاشفه هم عبارة عن مجموعة صغيرة من الناس سيئي النية، الذين يسيطرون بصورة استبدادية على مجموعة من الناس المثقفين، الذين كان يمكن أن يؤلفوا حكومة رائعة، في حال تغيّر النظام السوفييتي. إن هذا الرأي كاذب تماماً. ليس بإمكان أي أحد أن يحلّ محلّ البلاشفة....»[2].

كانت الحالة الخاصة لتلك الفترة تكمن في أن الاحتلال استمر من قبل اليابان والتابعين لها من قوى الحرس الأبيض لأراضي ما وراء البايكال والمنطقة الساحلية البحرية. وقد اضطرت الحكومة السوفييتية الساعية إلى إيقاف الأعمال العسكرية بأسرع وقت والانتقال إلى إعادة بناء البلاد إلى الموافقة على إنشاء «دولة» في هذا الإقليم - جمهورية الشرق الأقصى. وكانت قد أعلنت من قبل مؤتمر الكادحين والأنصار في أودينسك العليا (أولان أودي) في ٦ نيسان عام ١٩٢٠. وقد اعترفت جمهورية روسيا السوفييتية الفدرالية الاشتراكية بجمهورية الشرق الأقصى في ١٤ أيار من العام نفسه[3].

---

(١) FRUS, Diplomatic papers, 1921, vol 2, p. 760- 762. 769- 773.

(٢) لينين. ف. ي المؤلفات الكاملة، الجزء ٤٣، ص ٢٩.

(٣) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، ١٩١٧- ١٩٧٥ في جزأين موسكو ١٩٧٦ - ١٩٧٧. الجزء الأول

شغلت مسألة جمهورية الشرق الأقصى مكاناً مهماً في مؤتمر واشنطن، كونها تنتمي من حيث المحتوى، إلى مسألة العلاقات السوفييتية - الأمريكية بصورة عامة.

لقد بدأت وقبل فترة غير طويلة من افتتاح المؤتمر مفاوضات بين اليابان وجمهورية الشرق الأقصى في دايرن، إذ أعلن اليابانيون عن ادّعاءاتهم التوسعية بأرض مهمة من الشرق الأقصى الروسي، ودعوا على وجه الخصوص لتثبيت احتلال شمالي ساخالين حقوقياً. لم يكن تعاظم موقع اليابان يتوافق مع مصالح واشنطن، وقد اتخذت الدبلوماسية الأمريكية الخطوات الفعالة في ذلك الأمر. فبعد الاتصالات التمهيدية بين رئيس البعثة السوفييتية في الصين ي. ل. يورين ومبعوث الولايات المتحدة الأمريكية في الصين ش. ك. كرين تمَّ توجيه العاملين في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في طوكيو أو. ديفيس و ج. أبوت إلى تشيتا. وبنتيجة المفاوضات مع ممثلي جمهورية الشرق الأقصى خرجا باستنتاج حول صلابة مواقع حكومة جمهورية الشرق الأقصى و«الإمكانيات الجيدة لتطوير الاستثمارات». وفي كانون الثاني عام ١٩٢١ أرسل هيوز إلى تشيتا القنصل ج. ك. كولديل بعد أن أمره بإجراء «اتصالات غير رسمية مع السلطة المحلية» كانت الغاية منها عدم السماح بحدوث «أية تغييرات إقليمية أو إدارية للوضع في سيبريا الشرقية»(١) أي عدم تحقيق الادعاءات اليابانية، وجعل جمهورية الشرق الأقصى سوفيتية.

وهكذا، وفي سياق حملة الاتصالات التي بدأت في واشنطن برزت مسألة متعلقة بإمكانية دعوة جمهورية الشرق الأقصى إلى مؤتمر واشنطن. وفي ٣ كانون الأول عام ١٩٢١ وصل إلى واشنطن وفد جمهورية الشرق الأقصى، بعضوية أ. أ.

---

(١) FRUS. Diplomatie Papers, 1921, vol. 2, p,745- 746.

بازيكوف، وب. ن.كارافايف وب. بي. سكفيرسكي. وقد تمَّ استقبالهم في القسم الروسي في وزارة الخارجية. لم يتم خلال اللقاءات التطرق لمناقشة المسائل التجارية، بمقدار ما تم التركيز على المسائل السياسية - حول تطبيع العلاقات بين الولايات المتحدة وجمهورية الشرق الأقصى، والمساعدة في إخراج القوات اليابانية وغيرها. لم تنجح المحاولات المتكررة من قبل الوفد للحصول على مشاركة مباشرة في مؤتمر واشنطن، إلا أن لقاءات جرت بين أعضاء وفد جمهورية الشرق الأقصى والخبراء - المشاركين في المؤتمر، ولا سيَّما لقاء يازيكوف مع ستيفنسون حول النظام الأساسي للجنة الطرق الحديدية لعموم روسيا وكذلك مناقشة المسألة المتعلقة بالامتيازات في ساخالين وغيرها من المسائل.

تمكن ممثلو جمهورية الشرق الأقصى من إقامة صلات مع أوساط العمل في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لنشر الوثائق التي تفضح الادعاءات المفرطة لليابان، ومخططها لتعزيز موقعها في ساخالين أهمية كبيرة. إذ أثارت هذه الوثائق ضجة كبيرة. وقد استشهد بها أعضاء مجلس الشيوخ في مناقشاتهم، وكان لها تأثير محدد في زيادة الاستنكار ضد التدخل الياباني المستمر.

وبالنتيجة تمت مناقشة «المسألة السيبيرية» في لجنة الشرق الأقصى لمؤتمر واشنطن. وأدت هذه المناقشة إلى تبني بيانين في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٢٢. برّر البارون سيديهارا في البيان الأول التدخل العسكري، ولكنه وعد بخروج القوات اليابانية (دون تحديد موعد). وقدم هيوز البيان الثاني الذي طرح فيه مبدأ «تساوي الإمكانيات» ورفض المنافع من طرف واحد في الشرق الأقصى الروسي، وأكد ضرورة إيقاف التدخل الياباني من طرف واحد أيضاً[1].

---

(١) مؤتمر واشنطن حول الحد من التسلح ومسائل المحيط الهادئ والشرق الأقصى. ١٩٢١- ١٩٢٢ / الترجمة السياسية للمحاضر والوثائق. أ. ف. سابانين. موسكو. ١٩٢٤.

حدث التحرير الحقيقي للمنطقة الساحلية البحرية بعد «الانقضاض الليلي على سباسك وأيام فولوتشايف». إذ حطم الهجوم الذي شنّه الجيش الشعبي الثوري لجمهورية الشرق الأقصى بالإضافة إلى الأنصار، في شباط عام ١٩٢٢ حطم المحتلين اليابانيين، وفي ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٢٢ تمَّ الدخول إلى فلادفوستوك بصورة احتفالية. إن انتصار القوى الثورية كان قد دَعَمه بالإجماع السكانُ، ورحب به آلاف الناس.

لقد حل هذا الانتصار دفعة واحدة تلك المسائل المرتبطة بالتدخل، التي لم يستطيع مؤتمر واشنطن، الذي كانت الجهة الراعية له تلعب دور الداعي إلى المصالحة في الشرق الأقصى، تسويتها. وتمت تصفية اللجنة المشتركة للطرق الحديدية، وتنظيف الجزر الروسية من آخر فصيل للمحتلين، والتوقف عن الاعتراف بـ «سفير» الحرس الأبيض باخميتيف في واشنطن (اعتباراً من ٣٠ حزيران عام ١٩٢٢). وفي ١٥ كانون الأول تمَّ التأكد بصورة رسمية على توحيد جمهورية الشرق الأقصى مع جمهورية روسيا السوفييتية الفدرالية الاشتراكية، الأمر الذي كان يجسد سعي الشعب بأسره نحو النظام الاشتراكي وإلى وحدة البلاد.

إن نهج الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء دولة بورجوازية تشكل «حاجزاً» بداية في غرب سيبيريا، وبعد ذلك في شرقها مع أن الصراع في المنطقة الساحلية البحرية لقي هزيمة نهائية في تشرين الثاني عام ١٩٢٢.

٣- الصراع الإمبريالي على الصين

على خلفية بعض التطور الطفيف الذي طرأ على العلاقات السوفييتية الأمريكية، وتحت تأثير النجاحات العامة للسياسة السوفييتية السلمية تمّت مناقشة عقد اتفاقية حول الصين في مؤتمر واشنطن.

لقد أصبح العامل الأساسي في هذا الإقليم حتى لحظة افتتاح المؤتمر هو تفاقم التناقضات الأمريكية اليابانية. إذ بدأت اليابان، منذ أعوام الحرب العالمية الأولى، زحفها العسكري، والاقتصادي والسياسي الواسع على الصين. وقامت باحتلال أراضي تسزياوتشجو، ومرفأ تشينداو، وعملياً كل مقاطعة شاندونغ، وفرضت على حكومة بكين «٢١ مطلباً» (عام ١٩١٥)، كان الهدف منها فرض السيطرة على منشوريا وتحقيق عدد من الامتيازات الخاصة بالنسبة لليابان في الصين، وفرضت أيضاً معاهدتين حربية وبحرية (أيار عام ١٩١٨)، دخلت على أساسها القوات اليابانية إلى الأراضي الصينية، و«قروض نيساهارا» الجائرة (١٩١٨). ساعدت اليابان في تفكيك الصين إلى ضياع عسكرية، وأشرفت بمساعدة عسكريي- دوتسزيون (المحافظين العسكريين) تشان تسزولين، ودوان تسيجوا وغيرهما على المناطق الشمالية- الشرقية من البلاد، بما في ذلك الطرق الحديدية في منشوريا.

ومن جهة أخرى زادت الولايات المتحدة الأمريكية كذلك من تغلغلها في الصين، بيد أن ذلك لم يتم من خلال ضغوطها العسكرية، بمقدار ما كان يتم بطرائق مرنة تبعاً لإمكانياتها ومواردها. فقد امتلكت عدة احتكارات أمريكية فروعاً لها في الصين، مثل«ستاندارد أويل» و اتحاد دوبون الاحتكاري «بيتليهيم ستايل»، و«ويستيرن الكتريك»، و«وايشا ديفيلوبمينت»، و«ناشنال سيتي بنك» وغيرها. وبعد مفاوضات طويلة، بدأت بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية، تمَّ إنشاء اتحاد بنكي احتكاري دولي، كانت مهمته حصر كل القروض المقدمة إلى الصين والمتعلقة ببناء السكك الحديدية في يديه، وإنشاء مؤسسات صناعية، وتحقيق إصلاح إداري، وبعبارة أخرى كانت الغاية من هذا الاتحاد أن يتحول نوعاً ما إلى «حكومة» ظل فاعلة في البلاد.

وانطلاقاً من آذار عام ١٩١٩ تمَّ البدء بتطبيق اتفاقية السكة الحديدية (التي تم عقدها بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية)، التي كانت تقضي بإشراف ست دول أجنبية كبرى على طرقات منشوريا ومنطقة الشرق الأقصى السيبيرية الروسية. كما أعارت الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً خاصاً لطرائق التأثير الأيديولوجي: تعليم الطلاب الصينيين في الجامعات الأمريكية، وتقديم المساعدات للمؤسسات التعليمية في الصين نفسها (قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مساعدات مباشرة إلى ٨ جامعات صينية من أصل ١٦، وإلى ثلاث جامعات أخرى بصورة مشتركة مع إنكلترا وكندا)، وتطوير النشاط التبشيري والمبادرات الخيرية لصندوق روكفلر، وترويج الصحافة الأمريكية والمنشورات الدعائية.

طرحت الولايات المتحدة الأمريكية مطالبها الأساسية في الصين، مستندة في ذلك إلى الفئة الليبرالية المثقفة ذات الأصول البورجوازية، والإقطاعية، دون أن تقطع صلاتها بنفس الوقت مع الحكام العسكريين المحليين، الذين كانوا يحارب بعضهم بعضاً دون انقطاع، والذين ساعدوا على تفكيك البلاد إلى إقطاعات عسكرية يتحكمون بها: التطبيق الحقيقي لمبدأ «الأبواب المفتوحة» الذي يعطي الرأسمال الأمريكي أفضلية على غيره.

كانت هذه السياسة موجهه للقضاء على مجالات التأثير اليابانية، وكذلك الإنكليزية والفرنسية. وكانت النتيجة المنطقية لهذه المطالب هي الرهان على «توحيد الصين» من خلال سلطة ذات حكومة مركزية خاضعة للنفوذ الأمريكي وذات شرعية بالحد الأدنى أيضاً، وإيقاف الحروب وإبطال كل «منظومة الحكام العسكريين»، التي لا تسمح بإنشاء المؤسسات الصناعية، ولا بتقديم القروض، ولا بشق الطرق الحديدية.

كان الحد من التوسع الياباني يعدّ أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر واشنطن. وكان الهدف الآخر هو إضعاف الحركة الثورية في الصين بكل الوسائل، هذه الحركة التي تطورت بصورة عاصفة تحت التأثير المباشر لأفكار أكتوبر. إذ شهدت الصين آنذاك تحركات ضخمة للطبقة العاملة، وظهر الحزب الشيوعي، وتشكلت حكومة ديمقراطية في كانتون برئاسة صن ياتصين، التي حيَّت في برقية لها إلى ف.ي. لينين. نشاط السلطة السوفييتية.

كانت نقطة البداية بالنسبة للنهوض الجماهيري في الصين «حركة ٤ أيار»، (عام ١٩١٩) التي أثارها قرار مؤتمر باريس حول ربط شاندونغ باليابان. وقد أجبرت حالة الغضب في أوساط العمال، والطلاب، والمثقفين، والبرجوازية حكومة بكين على أن ترفض التوقيع على معاهدة فرساي. كانت مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الظروف تكمن في دعم اليابان، كبلد وحيد، يملك في يديه قدرات كافية، لتنفيذ مهام الدركي في الصين. وكانت إنكلترا وفرنسا تسترشدان كذلك بنفس التصورات.

لقد تحدد موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الصين في مؤتمر واشنطن استناداً إلى الخطط البعيدة المدى لممثلي الرأسمال الكبير، وقبل أي شيء، بالأحداث السياسية، التي كانت تجري في هذه البلاد. وقد خشيت الولايات المتحدة الأمريكية بوقوفها ضد البلدان الاستعمارية الكبرى، من نهوض الحركة الثورية والديمقراطية المعادية للإمبريالية. وكانت تستعد في الوقت نفسه لزيادة نفوذها وخلق ظروف تسمح لها بالسيطرة على الصين.

أدخل وفد الصين إلى مؤتمر واشنطن في عداده ثلاث شخصيات خاضعة للنفوذ الأمريكي وذات ميول بورجوازية، وزد على ذلك أن مستشاري الوفد

ومساعديه المقربين كانوا أمريكان. وفي الوقت نفسه تمَّ رفض تمثيل حكومة كانتون الديمقراطية في المؤتمر. كان البند الرئيسي في المطالب الصينية هو المسألة المتعلقة بشاندونغ. التي تمركزت حولها المشاعر الوطنية للشبيبة، والمثقفين، والطبقة العاملة، والبورجوازية الوطنية، والتي انصبت كلها في مقاطعة جماهيرية ضد اليابان وغيرها من حركات الاحتجاج. ألحّت اليابان على عدم إجراء أية مفاوضات حول هذه المسألة في المؤتمر، وفضّلت أن تكون بصورة ثنائية، منطلقة في ذلك من فهمها أن الحفاظ على شاندونغ في الظروف الناشئة لن ينجح بأية حال من الأحوال.

أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، اللتان لم تكن لديهما ثقة كبيرة باليابان، مراقبين لهما إلى هذه المفاوضات. لقد شغلت مسألة شاندونغ ٣٦ جلسة، تمت فيها النقاشات مع الدبلوماسيين اليابانيين الذين بذلوا الجهود للحصول على تنازلات وامتيازات، وذلك في أجواء من الصراع المتوتر والمقاومة الضارية من قبلهم. طرحت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا اللتين ظهرتا بمظهر «المهادنين» خطة لإعطاء طرق الحديد في شاندونغ إلى الاتحاد الاحتكاري، وتحويل تشينداو إلى مرفأ مفتوح. كان الهدف من تلك الخطة شراء الأملاك التي احتلتها اليابان بصورة غير شرعية من اليابان نفسها، ووضع مقاطعة شاندونغ تحت إشراف الرأسمال الإنكليزي الأمريكي.

وفي نهاية المطاف، وبعد التهديد والضغط على الطرفين المتفاوضين (وقبل كل شيء على الصين) تمّ الوصول إلى حل وسط تجسد في التوقيع على معاهدة بين اليابان والصين في ٤ شباط عام ١٩٢٢. أعيدت بموجبها شاندونغ إلى الصين، ولكن أمنت اليابان لنفسها آجالاً طويلة لجلاء قواتها، وحصلت على

الطريق الحديدي الرئيسي في مقاطعة تشينداو - تسيزنان كفدية، ومناجم الفحم لشركات مختلطة يابانية- صينية مع الحق بتعيين موظفين يابانيين في جمارك تشينداو. وقد تمَّ الوصول إلى تحقيق شروط بالغة الأهمية بالنسبة لليابان بصورة خفية، تنص على أنه لن يتم طرح معاهدات عام ١٩١٥ («٢١ مطلباً» كان يعني سيطرة اليابانيين في منشوريا ومنغوليا الداخلية) على المؤتمر. وبالنسبة للاتحاد الاحتكاري فقد اشترط اعطاءه امتياز فرعين من الخط الحديدي الأساسي. وفي الوقت نفسه أعلنت إنكلترا عن إعادة الأراضي المستأجرة في فيخايفي إلى الصين(وكذلك في شاندونغ)، أما فرنسا- فأعادت أراضي غوانتشوفان (مقاطعة غواندونغ) مع الحفاظ هناك على حقوق خاصة».

قادت «الوساطة السلمية» التي بادرت بها الولايات المتحدة الأمريكية، الأمور هناك إلى حل وسط تم التوصل إليه على حساب الصين، أما كل ما هو إيجابي بالنسبة لهذه البلد، وتضمنته هذه المعاهدة- الاستعادة الرسمية للسيادة الصينية في مقاطعة شاندونغ- فقد تم تحقيقه نتيجة السخط الشعبي الجماهيري.

برزت الوثيقة المركزية للمؤتمر حول «المسألة الصينية» في معاهدة الدول التسع الكبرى- الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، وفرنسا واليابان، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندة، والبرتغال والصين (الموقعة في ٦ شباط عام ١٩٢٢)، وفيها تم تثبيت المبادئ الأساسية للسياسة الأمريكية في الصين، وكان يختفي وراء الصيغ الديمقراطية سعي الولايات المتحدة الأمريكية لتدعيم التكتل، الذي كان يسيطر في بكين، في توجهاته لإفشال الثورة وتحقيق إزاحة الدول الكبرى المنافسة: «عدم تجزئة» البلاد، و«توحيد الصين» تحت سلطة «حكومة قابلة للحياة ومستقرة»، والمساواة في الإمكانيات «بالنسبة للتجارة والصناعة لكل الأمم»، والامتناع عن حصول أية امة على حقوق

وأفضليات خاصة. بيد أن صيغة المعاهدة حملت طابعاً مبهماً، وغلبت فيها التمنيات، والجمل العامة. كانت تلك نتيجة لضغوط إنكلترا واليابان المهتمتين بالحفاظ على مواقعها في الصين.

أُلحقت بمعاهدة الدول الكبرى التسع أربع وثائق للمؤتمر حول العلاقات القانونية مع الصين، والتي كانت عبارة عن محاولة لإعادة النظر بعض الشيء بالنظام الأساسي لشبه المستعمرات الموجود في المعاهدة، وكذلك الأشكال القديمة للتبعية تجاه إنكلترا، وفرنسا، وجزئياً تجاه اليابان. إذ سمحت معاهدة التعريفات الجمركية للصين برفع الرسوم على البضائع الداخلة إلى البلاد حتى «٥% فعلياً»، أي إيصالها ومطابقتها مع الأسعار التي ازدادت بصورة ملموسة خلال الفترة الماضية منذ عام ١٨٤٣ (التي ارتفعت بعد أربع سنوات - حتى ٥ , ٧%). غير أن الصين على الرغم من ذلك لم تحصل قط على الحق بالتصرف في رسومها بصورة مستقلة، ولم تستطيع أن ترفعها حتى ٥ , ١٢% كما كان يطالب الوفد الصيني. وافق مؤتمر واشنطن كذلك على قرار الدول الكبرى التسع حول رغبتها في المستقبل غير المحدد بإخراج تلك القوى المسلحة من الصين، التي توجد هناك (بدون الاستناد إلى أي معاهدة أو اتفاقية). الأمر الذي مس وبصورة رئيسية الحاميات اليابانية الكثيرة العدد. وأخيراً، تم اتخاذ قرار حول إنشاء لجنة من ٨ دول من أجل دراسة المسألة المتعلقة بإبطال حقوق التمتع بالحصانة، أي خروج الأجانب عن اختصاص المحكمة الصينية - الأمر النموذجي بالنسبة للمؤسسة الاستعمارية، التي كانت دارجة في القرن التاسع عشر أيضاً (معاهدات ١٨٤٤ و ١٨٥٨). إن مطالب الصينيين بإبطال تمتع الأجانب بالحصانة قوبلت بمقاومة ضاربة لا من اليابان فقط، وإنما من إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية.

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة إنشاء هيئة إشراف دولية، كان يجب عليها إدارة الطريق الحديدي الشرقي الصيني حسب مبدأ الصوت الفاصل لتلك الدول الكبرى التي تقدم أموالاً أكثر، بيد أن الوفد الصيني أبدى مقاومة صلبة إلى درجة ما في هذه المسألة، والتي ظهرت خلال المفاوضات مع البعثة الروسية التي فتحت آفاقاً للتسوية العادلة والمعادية للاستعمار في المسألة المتعلقة بالطريق الحديدي الشرقي الصيني. وفي المذكرة المرسلة في ٨ كانون الأول عام ١٩٢١ إلى وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية احتج غ. ف. تشيتشيرين على مناقشة مسألة الطريق الحديدي الصيني في مؤتمر واشنطن، التي تخص الصين وروسيا فقط[١].

أثارت اتفاقيات واشنطن حول الصين في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية انتقادات مهمة. لقد أشار أعضاء مجلس الشيوخ بورا، وسبينسر، ووولش وكينغ وغيرهم إلى فكرة استمرار استعباد الصين من قبل اليابان وإنكلترا، وعدم الحصول على أسس ملموسة بصورة كافية تسمح بتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في حال مخالفة أسس «الأبواب المفتوحة» و«الحكومة المستقرة» المعلنة من قبل المؤتمر، وأن عودة شاندونغ إلى الصين هي مسألة شكلية، ولكنها من الناحية العملية تعدّ «إقراراً أخلاقياً للنهب». صوت إلى جانب معاهدة التسع ٦٦ شخصاً، أما ضدها فلم يصوت أحد، وامتنع عن التصويت ٣٠ عضواً. كان من الصعب الحصول على الأصوات الضرورية وهي ٤٣ صوتاً للموافقة على المعاهدة المتعلقة بالتعريفة الجمركية[٢].

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي. الجزء ٤. ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) Congressional Re cord, vol. 62. P. 3551- 3552, 3712, 4076- 4167, 4766, 4781- 4784.

وهكذا، لم يقدم مؤتمر واشنطن أية حلول لمشاكل الشرق الأقصى، وبقي الشعب الصيني عرضة للصفقات والمنافسة. كان المؤتمر بصورة عامة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أكثر نجاحاً، من مؤتمر باريس، وأعطى عدد من قراراته، وقبل أي شيء معاهدة الدول الخمس الكبرى تلبية محددة لغطرسة واشنطن. ولقد تمَّ نقض التحالف الإنكليزي الياباني، وساعدت الاتفاقية المتعلقة بشاندونغ على تقوية المواقع الأمريكية في الصين.

بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت مضطرة للتراجع عن خطط إنشاء «عصبة الأمم» التي تمَّ طرحها في البداية. وكما في فرساي، ظهرت في مؤتمر واشنطن محدودية إمكانيات الولايات المتحدة الأمريكية، وحدة التناقضات الإمبريالية، وقبل كل شيء التناقضات الأمريكية الداخلية، وكذلك الأمريكية - الإنكليزية.

وتعرضت خطط الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بروسيا السوفييتية أيضاً للهزيمة. وكانت واشنطن مضطرة للانتقال إلى ما تسمى السياسة الانعزالية.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الخامس

«الازدهار» الأمريكي

١ - التطور الاقتصادي.

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٤، شأنها شأن بلدان العالم الرأسمالي الأخرى، في مرحلة الاستقرار السوقي والجزئي للرأسمالية. كانت المؤشرات المهمة لهذه المرحلة هي النهوض الاقتصادي، ونمو الإنتاج الصناعي والتجارة، وإعادة التجهيز التقني للمصانع، وتعزيز سلطة البورجوازية، وضعف الحركة العمالية والديمقراطية. إن جميع مظاهر الاستقرار الرأسمالي الجزئي بدت في الولايات المتحدة الأمريكية بقوة وجلاء أكبر منها في بلدان أوربا الغربية.

نجحت الولايات المتحدة بصورة كبيرة في أن تتغلب بسرعة قبل أي شيء على الهزات الاقتصادية، التي استدعتها عواقب الحرب العالمية الأولى وأزمة عام ١٩٢٠ - ١٩٢١، ودخلت بعد أن توصلت إلى مستوى ما قبل الأزمة في الإنتاج الصناعي، في مرحلة النهوض الصناعي في الوقت الذي تم فيه تحقيق استقرار نسبي للاقتصاد في إنكلترا وفرنسا وألمانيا عام ١٩٢٤ فقط.

استمر النهوض الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية نحو سبع سنوات، حتى منتصف عام ١٩٢٩، وكان هذا النهوض ملموساً جداً: إذ ازداد الحجم العام للإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ عن

مستوى ما قبل أزمة ١٩٢٠ بحدود ٣٢%[1] على الرغم أن التطور المتزايد للاقتصاد الأمريكي في فترة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات لم يحمل طابعاً مستمراً. لقد تعرّض مرتين في عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٧ لتدهور جزئي، لكنه كان تدهوراً آنياً، وغير عميق نسبياً، وفي كل مرة كان النهوض الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية يستأنف سيرة بصورة أقوى.

يمكن تفسير النهوض الاقتصادي المكثف في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام العشرينيات بالجهود الهائلة للإمبريالية الأمريكية في فترة الحرب العالمية، وتحول هذه البلد إلى واحد من أقوى الدول الرأسمالية الكبرى. إذ سمح تحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى مركز الاستثمار المالي في العالم للبورجوازية الاحتكارية الحصول على أرباح عملاقة. ومنذ عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩ بلغت هذه الأرباح، بما في ذلك الأرباح الصافية للاحتكارات الأمريكية، ما مجموعه ٥٠,٤ مليار دولار[2]، أي مرة ونصف أكبر مما كانت عليه في سنوات الحرب العالمية الأولى.

أجرت الاحتكارات الأمريكية، التي امتلكت وسائل ضخمة تجديداً واسعاً في رأسمالها الأساسي، وزودته بمؤسسات مجهزة بالتقنيات الحديثة، وقامت ببناء المصانع والورش، وعلى هذه الأرضية تمَّ السير بخطوات كبيرة في مجال تطوير فروع الصناعة الثقيلة المهمة. وخلال أعوام ١٩٢٣ - ١٩٢٩ زاد

---

(١) الأزمات الاقتصادية العالمية، ١٨٤٨ - ١٩٣٥. الجزء ١ - ٣ موسكو، ١٩٣٧ - ١٩٣٩. الجزء ٣.

(٢) دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر للولايات المتحدة الأمريكية: في جزأين. موسكو، ١٩٦٠. الجزء ٢ ص ٧٨.

صهر الفولاذ في الولايات المتحدة الأمريكية من ٤٩ مليون طن إلى ٦١,٧ مليون طن واستخراج النفط - من ٧٣٢ مليون إلى ١٠٠٧ مليون برميل، وإنتاج الطاقة الكهربائية - من ٧١,٤ مليار إلى ١١٦,٧ مليار كيلو واط ساعي[١]. لقد زاد الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكي بصورة عامة في نهاية أعوام العشرينيات بمقدار ٧٢% مقارنة مع مستوى ما قبل الحرب.

أعطت وتائر التطور الاقتصادي السريعة في البلاد أعوام الاستقرار الرأسمالي النسبي للبورجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية أفضليات كبيرة أمام بورجوازيات البلدان الأخرى. كان اقتصاد بريطانيا العظمى يعاني في أعوام العشرينيات ركوداً واضحاً، وكانت فرنسا متخلفة في وتائر تطور اقتصادها عن الولايات المتحدة بصورة ملموسة، أما ألمانيا، فكانت قد بدأت السير للتو على طريق الاستعادة المتسارعة لقدرتها الاقتصادية، التي أضعفتها الخسارة في الحرب العالمية الأولى بصورة حادة. إن الوضع الملائم الذي نشأ آنذاك بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، أدى إلى زيادة حادة في ثقلها النوعي في الاقتصاد العالمي. لقد أعطت الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية أعوام العشرينيات ٤٨% من الإنتاج الصناعي في العالم الرأسمالي، وأنتجت من البضائع الصناعية أكثر بـ ١٠% من بريطانيا العظمى، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان، مجتمعين[٢].

لقد تطورت فروع جديدة من الصناعة بصورة سريعة، وجُهِّزت بآخر منجزات العلم والتقنيات، وأبرز مثال على ذلك النمو العاصف لصناعة

---

(١) Historical Statistics of the Uniteol states. Colonial Times to 1970. Wash 1975, p. 593, 693, 821.

(٢) التغيرات المعاصر في اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية. م. ل. ١٩٣٠ الجزء ١. ص ١٣٢.

السيارات. كانت مصانع السيارات الضخمة قد بنيت في الولايات المتحدة الأمريكية سابقاً في بداية القرن العشرين، ولكن صناعة السيارات الأمريكية أصبحت فعلاً على سكة الإنتاج الواسع في أعوام العشرينيات فقط. إن إنتاج السيارات في البلاد وصل إلى ٥٣٣٧ ألف سيارة في عام ١٩٢٩، بحيث إنه فاق مستوى ما قبل الحرب بـ ١١ مرة[١]. وأعطت الطاقة الإنتاجية لصناعة السيارات في نهاية العشرينيات إمكانية لزيادة أكبر في حجم الإنتاج: إذ وصل حجم إنتاج السيارات في بعض أيام ربيع عام ١٩٢٩، ومن كلّ خطوط التجميع في مصانع السيارات الأمريكية حتى ٢٥ ألف سيارة.

إن تغلغل السيارات في الحياة الأمريكية كان نتيجةً لوتائر التطور السريعة في صناعتها. فحتى نهاية العشرينيات استثمر في الولايات المتحدة ما مجموعه العام ٢٦,٧ مليون سيارة، بما في ذلك ٢٣,١ مليون سيارة خفيفة. كان هذا العدد أكبر بكثير من جميع بلدان العالم الأخرى. ساعد الإنتاج الواسع والتخفيض التدريجي لأسعار السيارات في انتشارها بين فئات واسعة من السكان إلى حد ما: فمن أصل كل ١٠٠٠ ساكن من سكان الولايات المتحدة امتلك ١٨٩ شخصاً سيارة خفيفة. لقد أصبحت السيارة في أعوام العشرينيات في الحقيقة رمزاً لـ «الازدهار» الأمريكي.

ارتبط تطور صناعات السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى باسم هنري فورد، المصمم الكبير والمنظّم الذي أصبح في القرن العشرين مالكاً لإحدى أضخم «إمبراطوريات» السيارات العملاقة. وفي عام ١٩١٨، وفي مصانع فورد بدأ إنتاج «نموذج ت» المشهور، الذي حصل بعد ذلك على

(١) Historieal Statistics of the United states. P. 716.

شهرة واسعة في كل أنحاء العالم تحت اسم «فورد». وخلال ٢٠ عاماً اعتباراً من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩٢٧، أُنتج نحو ١٥ مليون سيارة من هذا النموذج، ثم انتقلت مصانع فورد بعد ذلك إلى إنتاج نماذج أخرى أكثر راحة.

وفي أعوام العشرينيات أيضاً بدأت شركتان كبيرتان غير شركة فورد بإنتاج السيارات بصورة واسعة وهما شركة - «جنرال موتورز» و«كرايسلر». ولقد شكّل إنتاج هذا «الثلاثي الكبير» في عام ١٩٢٩، ٨٣% من إنتاج السيارات في الولايات المتحدة[١].

إن الزيادة الجامحة في إنتاج السيارات في مصانع فورد، والشركات الأخرى التي دخلت في المنافسة فيما بعد، قد تمَّ تحقيقها بسبب التنظيم العلمي الشديد للإنتاج. الذي اشتمل من جهة، على إعادة تجهيز المصانع بالمعدات التقنية، وزيادة مدها بالطاقة، ومكننة العمليات الإنتاجية، ومن جهة أخرى - على تعميم المعايرة، والإنتاج الواسع للقطع النموذجية والتجميع السريع اللاحق على خطوط التجميع. لقد ساهمت كلٌّ من عملية رفع إنتاجية العمل، وكذلك التكثيف الشديد للعمل، في تحقيق زيادة مهمة في كمية الإنتاج بالنسبة لكل عامل. وقد نمت هذه النسبة في أعوام ١٩٢٣ - ١٩٢٩ بحدود ٤٣%[٢] بصورة متوسطة، الأمر الذي سمح للرأسماليين بتخفيض عدد العمال، وإبقاء أكثرهم قوة واحتمالاً فقط على الخطوط التجميعية، والدفع لهم حسب الإنتاجية، مع رفع الأجرة بصورة أكبر قليلاً، حسب العمل الأكثر شدة، ورغم ذلك كان هناك توفير على حساب التقليص الحاد في العدد العام

(١) Linu A. American Epoch. A. History of the Uniteol states since 1870 vol 1- 4 N. Y, 1967, VOL. 2. P. 262.

(٢) Historial Statistics of the Uniteol states, p. 451.

للشغيلة. وهكذا فإن التنظيم الرأسمالي العلمي للإنتاج شدد الاستثمار بالنسبة لقسم من العمال، وألقى بقسم آخر منهم إلى الشارع. وفي هذه الحالة أو تلك فإنه، وفي كل الأحوال كان موجهاً ضد البروليتاريا.

وبنفس المقدار كانت تتطور بسرعة الفروع الأخرى من الصناعة الأمريكية أيضاً: الكهربائية، والكيميائية، وإنتاج المواد البلاستيكية، والصناعة اللاسلكية. وقد خلق نمو القدرة الطاقية وتعميم التقنيات الجديدة أساساً من أجل تحقيق زيادة ملموسة في الإنتاج في بعض فروع الاقتصاد الأخرى أيضاً. وفي نهاية أعوام العشرينيات تمّ في الولايات المتحدة الأمريكية تأمين التغذية الكهربائية لنحو ٧٠% من الآلات الصناعية. وكما في صناعة السيارات، فإن وتائر النمو العالية للإنتاج في عدد من فروع الصناعة الثقيلة في سنوات الاستقرار الرأسمالي حققت تشديداً متزايداً في استغلال عمل العمال.

لقد تسارعت عملية زيادة دور المدن في تطوير المجتمع، والتصنيع في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة أكبر في أعوام الاستقرار الرأسمالي النسبي أيضاً، وزاد العدد العام لسكان البلاد ما بين ١٩٢٠- ١٩٣٠ حسب المعطيات الرسمية من ١٠٥,٧ مليون حتى ١٢٢,٨ مليون، أي بمقدار ١٦% زد على ذلك أن سكان المدن زادوا خلال عشرة أعوام من ٥٤,٢ مليون حتى ٦٩ مليون نسمة (بمقدار ٢٧%)، وفي الوقت نفسه فإن نسبة زيادة سكان الريف سار قياساً بصورة بطيئة: إن عدد سكان الريف زاد من ٥١,٦ مليون إلى ٥٣,٨ مليون نسمة أي بمقدار ٤,٥% فقط. وبالنتيجة فإن عدم التطابق الحاد ذاك في وتائر الزيادة أدى إلى أن الوزن النوعي لسكان المدن

خلال أعوام ١٩٢٠ - ١٩٣٠ زاد من ٣, ٥١ إلى ٢, ٥٦%، وفي الوقت نفسه انخفض الوزن النوعي لسكان الريف من ٤٨,٧ إلى ٨, ٤٣%[١].

وقد نما بسرعة خاصة سكان المناطق الصناعية المهمة. وفي كل عام كان يزداد عدد التحسينات في المدن الكبرى، التي تحيط بها الضواحي، التي كانت تندمج عملياً مع المدن التابعة. وكان يوجد في عام ١٩٢٠ في الولايات المتحدة ٥٨ منطقة محسنة في المدن الرئيسية، استقر فيها نحو ٣٦ مليون نسمة، أي ثلث سكان البلاد، إن عدد هذه المدن المحسنة قد وصل في عام ١٩٣٠ إلى ٩٧، أما مجموع السكان فقد وصل إلى ٥٥ مليون نسمة، مشكلاً نحو ٤٥% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

إن النمو المتزايد لمستوى دور المدن في تطوير المجتمع والتصنيع في الولايات المتحدة على امتداد أعوام العشرينيات وجد انعكاساً له في تغير بنية سكان البلاد ذوي المبادرات الذاتية إذ زاد تعدادهم ما بين أعوام ١٩٢٠ - ١٩٣٠، من ٢, ٤٢ مليون حتى ٤٨,٧ مليون نسمة. لقد تمت هذه الزيادة قبل كل شيء على حساب الزيادة السريعة لعدد العمال، العاملين في الصناعة، والبناء، والمواصلات (من ١٧ مليون حتى ١٩,٣ مليون)، وكذلك أعداد الأشخاص، العاملين في المؤسسات التجارية والمالية وفي مجال الخدمات (من ٨,٨ مليون حتى ١٤ مليون)، وفي الوقت نفسه تقلص عدد السكان العاملين في الزراعة (من ١, ١١ مليون حتى ٥, ١٠ مليون)[٣].

---

(١) Ibid. p. 8, 11.

(٢) Change and continuity in Twentieth Century Ameriea: the 1920 S/Ed- by J Bracman, R. Bremner, D, Brody. N. Y. 1969, P. 403.

(٣) Historical Statistics of the United states, p. 138- 139.

إن الدعاية البورجوازية، المتحكمة بالمعطيات عن النهوض الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية، والموحى لها من قبل واشنطن الرسمية، روجت بصورة قوية لموضوعة متانة الاستقرار ورسوخه. وفي الرسالة السنوية للرئيس كوليدج إلى الكونغرس في كانون الأول عام ١٩٢٥ عن حالة البلاد، تمَّ الإعلان بأن أمريكا دخلت «في عصر الازدهار الطويل والعام»[١] إن كيل المديح «للازدهار» بلغ الذروة في نهاية أعوام العشرينيات. كانت الشخصيات البارزة في كلا الحزبين، ولا سيما زعماء الحزب الجمهوري الحاكم يكررون الكلام بتوافق كامل عن حلول «الازدهار الأبدي» وعن «القضاء على الأزمات»، وعن النجاحات في مسألة «استئصال الفقر». لقد ادعى غ. هوفر بصورة مهيبة في أحد الخطابات الانتخابية في آب عام ١٩٢٨، أن: «أمريكا قريبة الآن من الانتصار الكامل على الفقر، أكثر من أي بلد آخر في التاريخ... إننا لم نحقق هذا الهدف الآن، ولكن إذا كانت لدينا الإمكانية في أن نستمر لاحقاً أيضاً في السياسة نفسها، التي اتُّبعت خلال السنوات الثماني الأخيرة، فإننا بمساعدة من الله سنقترب من ذلك اليوم، الذي سينتفي فيه الفقر من بلادنا إلى الأبد»[٢].

كان تقييم صورة الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية أعوام العشرينيات يتحدد، من وجهة نظر سطحية، من خلال الزيادة الجديدة للدخل القومي للولايات المتحدة الأمريكية. الذي نما خلال أعوام

---

(١)The: State of the Union messages of the Presiolents, 1790- 1966: vol. 1- 3/ Ed F Israel N. Y. 1966- 1967, vol, 3, p, 2689

(٢)A History of the Uniteg states from 1865 to the present meridian Documents of American History/ Ed. By F. Ceingberg Ceereland, New- York, 1962, p. 371

١٩٢٣ - ١٩٢٩ من ٣,٧٤ مليار إلى ٨,٨٦ مليار دولار، أي إنه زاد بمقدار ١٧%[١]. غير أن توزيعه كان غير متساو. إذ استحوذ على حصة الأسد حفنة غير كبيرة من الاحتكاريين. ففي عام ١٩٢٩ كانت حصة البورجوازية الكبيرة، التي لم تشكل إلا نحو ١% من السكان القادرين على الإنتاج تبلغ ١٤,٥% من دخل البلاد القومي[٢]. وكان ٥١٣ مليونير يحصلون على دخل يساوي مجموع الأجر السنوي لمليون عامل. ولكنَّ قليلاً من الدخل أصاب حصة البورجوازية الصغيرة والفئات العليا من الطبقة العاملة أيضاً. إن زيادة المداخيل والانتشار الواسع لمنظومة البيع بالتقسيط قد خلقت بالنسبة لهذه الفئات من السكان إمكانيات مهمة لدرجة ما بالنسبة لابتياع سيارات، وأجهزة الراديو، والبرادات، والمكانس الكهربائية، والغسالات وغيرها من الأدوات العامة إما بالدفع النقدي، وغالباً من خلال قرض.

سجلت أعوام العشرينيات كذلك ارتفاعاً هائلاً في قيمة الأسهم. إذ زادت قيمة الأسهم التي تمَّ التداول بها خلال خمس سنوات، من كانون الأول عام ١٩٢٤ إلى تشرين الأول عام ١٩٢٩. في بورصة نيويورك من ٢٧ مليار إلى ٨٧ مليار دولار، أي أكثر بثلاث مرات. ولم يكن انتشار حالات الاستهتار في سوق الأوراق المالية في البلاد حتى نهاية أعوام العشرينيات أمراً يثير الدهشة. لقد انجذب إليه ملايين الأمريكان الذين استثمروا مدخراتهم لشراء أسهم الأوراق المالية، على أمل أن نمو قيمة الأسهم المتواصل في ظروف «الازدهار الأبدي» سيجعل منهم أغنياء. وقد سعى زعماء عالم الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال نفوذهم

---

(١) Historical statistics of the united states, p. 224.

(٢) Ibid, p. 302.

إلى تعزيز هذه الآمال الوهمية. وهكذا، فإن رئيس اللجنة المالية لشركة «جنرال موتورز» ج. ريسكوب أكد بجدية تامة في عام ١٩٢٩، أنه إذا وفر كل عامل ومستخدم ١٥دولاراً كل أسبوع، وابتاع بصورة منتظمة بهذه الأموال الأسهم الأكثر رسوخاً، فإنه سيملك بعد ٢٠ عاماً رأسمالاً يبلغ مقداره ٨٠ ألف دولار. «حسب اعتقادي - اختتم ج. ريسكوب - إن كل شخص عندنا في البلاد لا يستطيع فقط، بل هو ملزم بأن يصبح غنياً»[١]. إن الكثير من الأمريكيين البسطاء، الحالمين بآفاق الثراء السهل، كانوا ميالين إلى تصديق كل ما كان يتم الحديث عنه في هذه السنوات عن «المستقبل الرائع» للرأسمالية الأمريكية.

لكن الوضع في البلاد لم يؤكد مطلقاً هذه التنبؤات المتفائلة. إن استقرار الرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، مثله في ذلك مثل باقي البلدان الرأسمالية الأخرى، كان يجري في ظروف الأزمة العامة للرأسمالية ولذلك كان وقتياً، وجزئياً، وغير مستقر. وكان الدليل على ذلك قبل أي شيء عدم التساوي الاستثنائي في تطور مختلف فروع الصناعة. فعلى الرغم من النمو السريع لعدد من فروع الصناعة الثقيلة، كان يُلاحظ آلات ركود، وأحياناً تدهور، بالإنتاج أيضاً في تلك الفروع التقليدية للاقتصاد، مثل استخراج الفحم، وبناء السفن ومعظم فروع الصناعة الخفيفة. إن زيادة الإنتاج الصناعي في الفروع التي تنتج المواد الضرورية (الصناعات: النسيجية، والأحذية، والغذائية...إلخ)، كانت حتى في أفضل أعوام «الازدهار» أكبر بقليل من زيادة السكان. وفي النصف الثاني من أعوام العشرينيات لوحظ تقلص ملموس في بناء المساكن. وكانت الحالة في صناعة استخراج الفحم غير ملائمة بصورة

(١) Shannon 8. Twentieth Century Ameriea: vol. 1- 3. N. Y. 1974, VOL 2, P 72.

أكبر. لقد تقلص استخراج الفحم في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين ١٩٢٣ - ١٩٢٩ من ٦٥٨ مليون إلى ٦٠٩ مليون طن، أي إنه تقلص بحدود ٨%، أما عدد العمال العاملين في مناجم الفحم، فقد انخفض من ٨٦٤ ألف إلى ٦٥٤ ألف أو ٢٣%[١].

لكن الأعراض الأكثر إثارة للقلق، التي ظهرت في نهاية أعوام العشرينيات، كانت تكمن في تقليص مجالات تجديد الرأسمال الأساسي.

فإذا كانت النفقات على البناء الأساسي الجديد في عام ١٩٢٤ قد بلغت ٧٦% من كل التوظيفات الرأسمالية الخاصة، فإن حصتها تقلصت حتى عام ١٩٢٩ إلى ٣٥%[٢].

كان كل ذلك يعني، أن مؤشرات الإفراط في الإنتاج في الكثير من الفروع الصناعية التقليدية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبصورة خاصة، في تلك التي كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بمقتضيات الطلب قد تأثرت سابقاً بصورة ملموسة وأكثر شدة من فروع الاقتصاد الجديدة المتقدمة بسرعة.

إن المؤشرات المهمة على عدم متانة الاستقرار الرأسمالي في أعوام العشرينيات كانت تكمن كذلك في عدم قدرة القطاعات الإنتاجية على العمل بطاقتها الفعلية والعطالة الواسعة المزمنة. وحتى في نهاية أعوام العشرينيات وفي الفترة الأكثر ملاءمة لـ «الازدهار» لم يتم استخدام سوى ٨٠% تقريباً من الطاقة الإنتاجية للصناعة[٣]، أما في بعض الفروع الأخرى فلم تبلغ الطاقة الإنتاجية

---

(١) Historical Statistics of the United states, p. 589, 591, 592.

(٢) Shannon D. OP. CH, vol. 2, p. 71.

(٣) Nourse- E. Americois Capucity to produce, Wash, 1934, p. 303, 415- 416.

المستعملة أكثر من ٢٥ - ٣٠%. وقد تأرجح عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة الأمريكية في أفضل التقييمات المتواضعة على امتداد السنوات من ١٩٢٤ - ١٩٢٩ من ١.٥ إلى ٢ مليون عاطل[١].

أخيراً، فإن المؤشر على عدم متانة الاستقرار الرأسمالي في الولايات المتحدة كان يكمن أيضاً في الوضع غير الملائم للزراعة. التي دخلت في مرحلة جديدة من مراحل تطورها الرأسمالي بعد الحرب العالمية الأولى، الذي كان النمو السريع للإنتاج الزراعي في نهاية القرن التاسع عشر - وبداية العشرين، نتيجة انتصار طريق التطور الرأسمالي في زراعة الولايات المتحدة الأمريكية، قد هيأ لها ذلك. إن الإنجاز النهائي لمرحلة توزيع الأراضي الحكومية الطويلة نتيجة إعطاء الحق لكل أمريكي بالحصول على قطعة أرض تنتقل مع الزمن إلى ملكيته، والاستثمار الكامل لموارد «الأراضي الحرة» في الغرب، الصالحة للإسكان والحراثة - إن كل ذلك ساعد المزارعين الأمريكيين على الانتقال من الأشكال الأفقية للزراعة الرأسمالية إلى الطرائق الشاقولية في إدارة المزارع، وإلى استخدام الآلات، والأسمدة الصناعية، والأساليب الهندسية الزراعية الحديثة. ففي عام ١٩٢٠ استخدم في زراعة الولايات المتحدة الأمريكية ٢٤٦ ألف تراكتور و٤ آلاف حاصدة دراسة[٢].

إن عملية التطور الأفقية التي خاضتها الرأسمالية سابقاً، والتي استمرت لفترة طويلة، وكانت تشكل السمة المميزة لارتقاء الزراعة الأمريكية انقلبت إلى تطور رأسمالي شاقولي.

---

(١) Historical Ctatictics of the United states, p. 135.

(٢) Ibid, p. 469.

بيد أن الأزمة الزراعية، التي بدأت في عام ١٩٢٠، ولم يتم التغلب عليها خلال كل فترة العشرينيات خرقت الشروط الطبيعية لإعادة الإنتاج في الزراعة. وعلى الرغم من المرحلة الأكثر حدة في الأزمة الزراعية، التي تميزت بها أعوام ١٩٢٠ - ١٩٢٣، فقد تحولت في أعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٨ إلى مرحلة أخف حدة بعض الشيء، لكن الأسعار الزراعية، ودخول المزارعين لم تصل إلى مستوى ما قبل الأزمة. إن إجمالي دخل المزارعين الأمريكان على امتداد النصف الثاني من أعوام العشرينيات ظل ثابتاً بحدود ١٣ - ١٤ مليار دولار، في حين كان في عام ١٩١٩، وقبل بداية الأزمة الزراعية الطويلة بحدود ٩ , ١٧ مليار دولار[١].

إن انهيار الأسعار قد انعكس بصورة أكثر ثقلاً على أحوال المزارعين الصغار والمتوسطين، إذ أصبحت مزارعهم خاسرة بصورة مزمنة، ولذلك فإن إفلاس الإنتاج الصغير في الزراعة وإخراجه من المنافسة سار في فترة الاستقرار الرأسمالي الجزئي بسرعة غير معروفة سابقاً.

ففي أعوام ١٩٢٥ - ١٩٢٩ تم بصورة إجبارية بيع ٥٤٧ ألف مزرعة بالمزاد العلني بسبب عدم دفع الديون والضرائب (٧ , ٨% من المجموع العام)[٢].

إن هروب المزارعين إلى المدن قد اكتسب أبعاداً كبيرة في أعوام العشرينيات.

وبما أن الصناعة الأمريكية كانت تمر في ذلك الحين بنهوض مهم، فإن قسم من هؤلاء النازحين أمكنه الحصول على عمل. بيد أن أغلبيتهم لم يستطيعوا إيجاد أعمال لهم.

---

(١) Ibid, p. 483.

(٢) The Farm Real Estate Situation, 1930- 31. Wash, 1931, p. 45.

ولذلك، فإن الكثير منهم، بعد أن استهلك وسائله الشحيحة كان مضطراً للعودة إلى المكان الذي أتى منه. إلا أن هروب المزارعين إلى المدن كان يجري بوتائر أسرع من عودتهم إلى المناطق الزراعية، والذي كان من نتيجته أن النقص الصافي في المناطق الزراعية في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ في أعوام ١٩٢٠- ١٩٣٠، ٦,٣ مليون شخص. إن إفلاس المزارع الصغيرة والمتوسطة سار حينذاك بتلك السرعة، بحيث إن الإحصاء الدوري قد سجل في نهاية أعوام العشرينيات، ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، تناقصاً مطلقاً في الأعداد العامة للسكان العاملين في الزراعة (من ٣٢ مليون في عام ١٩٢٠، إلى ٥ ,٣٠ مليون في عام ١٩٣٠) وفي عدد المزارع في البلاد (من ٦٤٤٨ ألف إلى ٦٢٨٩ ألف)[١].

زادت الأزمة الزراعية من أوضاع الفئات الرأسمالية من المزارعين سوءاً بصورة ملموسة أيضاً. لقد قلل الهبوط الحاد في الأسعار من ربحية مزارعهم. إن ضرورة التكيف مع الظروف غير الملائمة للسوق الزراعية كان يتطلب تخفيضاً حاداً في التكلفة الأساسية للإنتاج عن طريق إعادة تجهيز الزراعة بالتقنيات بصورة جذرية. لكن ذلك تمَّ فقط بالنسبة لعدد محدود من فئات البورجوازية الزراعية. ففي نهاية أعوام العشرينيات بلغ عدد التجهيزات المستخدمة في الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية ٩٢٠ ألف جرار و٦١ ألف حاصدة دارسة[٢]، وكان ذلك يشهد على النمو الملموس في تجهيزها التقني، بيد أن نحو ٥ ,١٣% من المزارع كانت مجهزة في

---

(١)Abstract of the 15th Census of the Uniteal Wash. 1933. P. 19. 501

(٢)Historical Statistics of the uniteol States, p. 469

ذلك الوقت بالجرارات نحو ١% فقط- بالحصادات- الدراسات، وذلك حسب معطيات الإحصاءات الزراعية(١).

كانت عملية تصنيع الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت في أعوام العشرينات، وانتقالها من مرحلة المانيفاكتورة إلى مرحلة الإنتاج الآلي، تجري في ظروف أقل ملاءمة بكثير من الصناعة. إن التخلف التاريخي العام في الزراعة، الذي اشتد بصورة أكبر مع دخول البلاد في مرحلة الإمبريالية، واشتداد استغلال المزارعين الجديد من قبل الاحتكارات- إن كل ذلك قد خلق الظروف المحددة لطابع الأزمة العميق بصورة استثنائية، والطويلة المتعلقة بزيادة الإنتاج في الزراعة. لقد وقع على عاتق المزارعين الصغار والمتوسطين ظلم الرأسمال المالي في ظروف الأزمة الزراعية، وعبؤه الثقيل بصورة خاصة. لكن سيطرة الاحتكارات أثر بصورة محسوسة على وضع البورجوازية الزراعية كذلك. إن الإتاوات الضخمة التي كانت تجبى من جميع المزارعين، من قبل هذه الاحتكارات، بما في ذلك الملاكون الزراعيون الكبار، كانت تقلص من إمكانيات التراكم الرأسمالي وتصرف النظر عن الاستخدام الإنتاجي للوسائل المالية الكبيرة، وجعلت خلال أعوام طويلة من عملية التغلب على الأزمة الزراعية مسألة صعبة جداً.

وهكذا فقد تأثرت ظاهرة الإفراط بالإنتاج في عدد من فروع الاقتصاد الأمريكي في النصف الثاني من أعوام العشرينات بصورة أكثر وضوحاً. لقد خلخل ذلك دعائم «الازدهار» الأمريكي بصورة تدريجية. وبالمقارنة مع بلدان أوربا الغربية، فإن مؤشرات عدم متانة استقرار الرأسمالية في الولايات المتحدة

---

(١)Ab stract of the 15th Census of the united states, p. 526, 598, 908.

الأمريكية قد انعكست بصورة أضعف وبشكل محسوس. غير أن ما كان مميزاً بالنسبة لهذه البلاد الرأسمالية الكبيرة، والأكثر غنىً هو التناقضات الصارخة بين الإمكانيات الإنتاجية المتنامية للاقتصاد والقدرة الشرائية المنخفضة نسبياً لجماهير واسعة من السكان. لقد جرى ارتفاع معين لأجور العمال في أعوام الاستقرار الرأسمالي الجزئي، لكنه كان غير كبير نسبياً. إن متوسط الأجرة السنوية الأسمية للعمال، الذين يعملون في الصناعة التحويلية، والبناء والمواصلات قد زادت مابين ١٩٢٤ - ١٩٢٩ من ١٥١٩ إلى ١٦٢٠ دولار، أي بحدود ٦,٥% فقط، أما أجرة عمال الصناعات الاستخراجية فقد تقلَّصت من ١٧٠٣ إلى ١٥٢٦ دولار[١]، بينما وحسب تقديرات الاقتصاديين الأمريكان كان يجب أن يكون دخل عائلة مؤلفة من أربعة أشخاص بالحد الأدنى نحو ٢٠٠٠ دولار في العام من أجل تلبية متطلباتها الأساسية فقط حسب مستوى الأسعار آنذاك. وليس عبثاً أن الرئيس كوليدج كان مضطراً في إحدى رسائله إلى الكونغرس عام ١٩٢٦ بأن يعترف، أن «أكثرية العمال لا يتقاسمون ثمرات الرفاهية»[٢]. لكن لم يتقاسم هذه الثمرات أيضاً الكثير من فئات السكان الكادحين في المدن والريف، فحسب التقديرات المعتدلة كثيراً، حتى في عام ١٩٢٩، وفي أعلى ذروة «الازدهار»، كانت مداخيل ٦٠% من العائلات الأمريكية دون الحد الأدنى للمعيشة[٣]. إن ذلك يشهد بصورة مؤكدة عدم متانة الاستقرار الرأسمالي في أعوام العشرينيات.

---

(١) Historical Statistics of the united states, p. 166.

(٢) The state of the Union Messages of the Presidents, vol, 3, p. 2700.

(٣) Leven Af, Moulton H. Wardurion C. America`s Capacity to consume. Wash. 1934, p. 55-56.

٢ - الوضع السياسي الداخلي.

عزز النهوض الصناعي والاستقرار الاقتصادي العام في الولايات المتحدة وبصورة ملموسة وضع الرأسمال الكبير حتى منتصف أعوام العشرينيات.

إن البورجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، الملأى بالثقة في قواها، والمتحمسة بأن أعمالها تسير بصورة جيدة، ومن خلال زيادة جبروتها الاقتصادي بشكل ملموس، قامت بالدعاية بصورة حيوية لفضائل الملكية الخاصة الإيديولوجية التقليدية («مذهب الانعزالية المتين») الذي يقف بحزم ضد تدخل الدولة في شؤون عالم الأعمال.

كانت الإيديولوجية الانعزالية معتمدة في أساس السياسة الداخلية للحكومة الجمهورية. وقد سعت حكومة كوليدج، التي استمرت في اتباع نهج إدارة هاردينغ، المتخذ في عام ١٩٢١، لاختزال جمع الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للدولة البرجوازية إلى الحد الأدنى. لقد أعلن رئيس الجمهورية في الرسالة الدورية إلى الكونغرس عن حالة البلاد (كانون الأول عام ١٩٢٤) بصراحة، أن الإدارة التي يقودها تنوي السير نحو تحقيق «العدالة الاقتصادية والاجتماعية» معتمدة في ذلك بصورة استثنائية على «طرائق الارتقاء الطبيعي»، وأن المبادئ المهمة في نشاطها ستكون «الاقتصاد في النفقات الحكومية بصورة صارمة[١]».

وبعد عامين، وفي كانون الأول عام ١٩٢٦ أدلى برأي في هذا المجال أكثر تحديداً: «إن محتوى نظامنا في الإدارة يكمن في أنه يستند إلى مبادئ حرية واستقلال الأفراد، وكل واحد منهم متعلق بنفسه فقط في سياق نشاطه. لذلك

---

(١)The State of the Union Messages of the presidents, vol. 3, p. 2656, 2664.

لا يمكن أن يكونوا محرومين من ثمرات عملهم.... وما يتم توفيره نتيجة جهودهم الشخصية، لا يجب أن يصبح مصدراً للتبذير الحكومي»[1].

لقد سعى الرئيس كوليدج، ووزير المالية ميللون بالتوافق مع زعماء «الحرس القديم» الرجعيين من المحافظين الذين يتقاسمون الرأي معهما، إلى تقليص وظائف الحكومة الفدرالية عن طريق خلق ظروف ملائمة بحدها الأعلى من أجل عدم مراقبة تدابير عالم الأعمال، والرفض القطعي لأية محاولات حكومية لضبط نشاطه. وفي اتباعهم لهذا النهج كانوا «أكثر ثباتاً حتى من الداروينيين الاشتراكيين الأكاديميين[2]».

وهكذا فإن رئيس البيت الأبيض كان يؤكد من خلال طرحه لمبدأ رئاسته الأساسي أن «الحكومة الفدرالية حتى لو اختفت، فإن الناس البسطاء لن يلاحظوا أيه تغيرات في أعمالهم اليومية خلال مدة طويلة جداً من الزمن[3]».

أما عضو مجلس الشيوخ د. ريد وهو واحد من أكثر ممثلي «الحرس القديم» الجمهوري بلادةً فقد أعلن وهو يدقق ويحدد الفكرة التي عبر عنها كوليدج بما عنده من استقامة: «لو كنت دكتاتوراً، لألغيت لجنة التجارة الفدرالية اليوم صباحاً، وإدارة الأسطول التجاري - في المساء ولجنة التجارة ما بين الولايات في الغد.... لقد أصبحت حكومتنا لجوجة بصورة مفرطة. لدينا الكثير جداً من اللجان التي ليس لها وظيفة سوى التنظيم»[4].

---

(١) Idib. P. 2691.

(٢) History of the U. S. Political Parties: vol. 1- 4/ Ed byA. Schlesinger, Jr. N. Y. 1973, VOL 3, P. 2112.

(٣) Schlesinger A. J,. The Age of Roosevelt: vol. 1- 3. Loston, 1957- 1960, vol. l. The crisis of old order, 1919- 1933, p. 37.

(٤) الاستشهاد بـ: كيرتمان. غ. ل. صراع التيارات في الحزب الجمهوري (١٩٢٤ - ١٩٢٨) - في كتاب: الأحزاب السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر. موسكو. ١٩٨٢، ص ٤٩.

وقد تحولت هذه البلاغة الفردية في نهاية أعوام العشرينيات إلى التزام إلزامي لكل سياسي جمهوري. إذ امتدح غ هوفر مدح في كلمته الانتخابية ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٢٨، كمرشح لرئاسة الجمهورية عن الجمهوريين، وبجميع الوسائل نهج «مذهب الفردية المتينة» وأعلن أنه يعتبر أن المأثرة المهمة للحزب الجمهوري الحاكم تكمن في أنه «أعاد الحكومة إلى مكانها الطبيعي كوسيط، وليس كمشارك في اللعبة الاقتصادية». لقد سمى هوفر تدخل الدولة في النشاط التجاري لعالم الأعمال بـ «الليبرالية المزيفة». ومقابل ذلك طرح مبدأ «الليبرالية الحقيقية»، التي تقضي حسب رأيه بتقليص النشاط الحكومي ضمن إطار الدفاع عن فكرة «تساوي الإمكانيات» البورجوازية[١].

كانت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة أو. تافت. تسترشد بنشاطها بالمبادئ الفردية الرجعية كما في السابق. وقد حاصرت الأغلبية الرجعية من أعضاء المحكمة بصورة دائمة أية محاولة لتوسيع نشاط الدولة البورجوازية، مستندة في ذلك إلى النظريات الشرعية والقانونية بدقة. وكما لاحظ الحقوقي الأمريكي البارز ف. فرانكفوتر، وهو من ذوي الاتجاهات الليبرالية، في عام ١٩٢٩، أن أو. تافت وأنصاره «بعثوا إلى الحياة وجهات النظر تلك، التي كانت قد اندثرت قبل ٢٥ عاماً[٢]».

(١) Documents of Amepiea Hicmory: vol. 1, 2/ Ed. B. H. Commager Englewood Cliffs (N. J), 1973, VOL 2, P. 223- 224.

(٢) استشهاد من:
Bates J. L. The United states, 1898- 1928. Progressivism and a society in Transition. N. Y, 1976, P. 278

أظهرت السياسة المالية - الاقتصادية لحكومة كوليدج المحتوى الطبقي الحقيقي لإيديولوجية «المذهب الفردي المتين». إذ حقق زعماء الإدارة الجمهورية قبل أي شيء تخفيضاً متواصلاً للضرائب على الرأسمال الكبير.

وفي رسالة الرئيس كوليدج إلى الكونغرس في كانون الأول عام ١٩٢٤ تمَّ التأكد، أن الشرط اللازم لدخول البلاد إلى «عصر الازدهار الذي لا سابق له» يكمن في «تحرير قطاع الأعمال من فرض الضرائب الباهظة على أرباحه»[١]. وبنفس الروح أولى وزير المالية أي ميللون برأيه، الذي تأسف فيه بنفاق من «المفعول الهدام للضرائب المفروضة بصورة مفرطة، والضاغطة على مبادرة رجال الأعمال»[٢].

وأصدرت حكومة كوليدج في عام ١٩٢٤ قانوناً جديداً، من خلال الكونغرس، تمَّ بموجبه تقليص الضرائب الزائدة المفروضة على الأشخاص ذوي الدخول العليا من ٥٠ إلى ٤٠% وقد خفض قانون ١٩٢٦ هذا الحد الأعلى إلى ٢٠%، كما أنه خفض أيضاً إلى ذلك المستوى الضريبة على الإرث وبصورة عامة ألغى الضريبة على الهبات[٣]. وفي عام ١٩٢٨، وبمبادرة من الإدارة الجمهورية تم تحقيق التقليصات (حتى ١٢%) على الضرائب المفروضة على أرباح الاتحادات الاحتكارية. وهكذا أصبحت الزيادة غير المحدودة للموارد المالية في أعوام العشرينيات تشكل الاهتمام الأول للحكومة الجمهورية.

---

(١) The Stateof the Messages of the Presidents, vol. 3, p. 2657.

(٢) Selested Readings in American History: vol. 1. 2/ Ed by. J. De Novo. N. Y. 1969, vol. 2, p- 306.

(٣) بيرغمان. ت، ل: الصراع في الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية حول مسألة السياسة الضريبية أعوام (١٩٢٥ - ١٩٢٨) - جامعة موسكو - عام ١٩٨٠. رقم ٥. ص. ٤٣ - ٤٥ - ٥١ - ٥٢.

ولكن حكومة كوليدج سعت وهي تطبق هذه السياسة إلى التوقف عن الإنفاقات الحكومية الكبيرة، ونجحت في المحافظة على ميزانية متوازنة. لقد حافظت الإدارة الجمهورية بصورة ثابتة بعد أن حققت في عام ١٩٢٤ تقليصاً متواصلاً في نفقات الحكومة الفدرالية لتصل حتى ٢,٩ مليار دولار، على هذا المستوى المنخفض نسبياً فيها. وأعطى الرصيد الفعال للميزانية الفدرالية هذه الإدارة إمكانية في أن تقلص بصورة ملموسة الدين الحكومي (من ٢٢,٣ مليار دولار في عام ١٩٢٣ حتى ١٦,٩ مليار في عام ١٩٢٩[١]).

غير أنه حتى في ظروف سيطرة المبادئ الفردية البورجوازية لم يحدث في سياسة الإدارة الجمهورية في سنوات الاستقرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وما كان بالإمكان أن يحدث، تفكك في بنية رأسمال الدولة الاحتكاري. إن عملية جعل العلاقات الاقتصادية الإجمالية تابعة للدولة، كانت هي ما ميزت كل مرحلة الأزمة العامة للرأسمالية بهذه الدرجة أو تلك، واستمرت ببطء أو بصورة خفية، ولكن باستمرار.

لقد نمت درجة تركيز وتمركز الرأسمال بصورة ملموسة وقبل أي شيء في أعوام العشرينيات كأساس لتطور الدولة الاحتكارية. إذ ازداد إجمالي موجودات ٢٠٠ اتحاد احتكاري ضخم حسب التقييمات من ٤٣,٧ مليار دولار في عام ١٩١٩، إلى ٨١ مليار دولار في عام ١٩٢٩، أي بمقدار الضعف تقريباً، وقد كان من نصيب ٢٠٠ عملاق احتكاري من قطاع الأعمال، الذين يشكلون ٠,٠٥% فقط من العدد العام للاتحادات نحو النصف (٤٩%) من مجمل الثروة المتمركزة وذلك في نهاية أعوام العشرينيات، و٤٣% من إجمالي

---

(١) Historical statistics of the Uniteol states, p. 1104.

الدخول[1]. وإذا تم أخذ ٥% من مجموع الشركات الاحتكارية الضخمة فإن نصيبها من المجموع العام لأرباح الاتحادات الأمريكية زاد خلال هذه الأعوام من ٠٧ , ٦٧ حتى ٣ , ٨٤ %[2].

إن إحدى خصائص تركز وتمركز رأس المال في تلك الفترة كان يكمن في إنشاء الكثير من الشركات القابضة، أي الشركات المنظمة غالباً من أجل عمليات التداول في سوق الأوراق المالية بهدف الاستيلاء على رزمة الأسهم المشرفة على الاحتكارات المتنافسة. كانت منظومة الشركات القابضة الضخمة والمتشعبة التي أنشأها المليونير س. اينسول هي الأكثر شهرة. ولكن الكثير من الأهرامات المتعددة الطوابق للشركات القابضة بُنيت على هذا الأساس. لقد أصبحت هذه الشركات كما أُشير في أحد تقارير مجلس الشيوخ «جهازاً تستطيع بمساعدته مجموعة من الناس ومن خلال استخدامها للنقود الاجتماعية الإشراف على الصناعة، ومؤسسات الخدمات الاجتماعية وأهم ثروات الشعب[3]».

لقد تزايد تنظيم الرأسمال الكبير على قاعدة التعاظم في مستوى تركزه وتمركزه. وبمساعدة فعالة من الجمعية الوطنية للصناعيين وغرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية تمّ إنشاء، وبوتائر سريعة، جمعيات فرعية لعالم الأعمال، تضم ممثلي الشركات الاحتكارية في الصناعة والتجارة وفي الشأن المالي والمصرفي. وبهدف إضعاف التنافس وتحقيق ظروف إنتاج وتصريف أكثر ملاءمة للاحتكارات، كانت هذه الجمعيات تجمع وتنشر المعلومات

---

(١) Linu A. Op. CH. Vol. 2, p. 266.

(٢) Historical Statistics of the United states, p. 915.

(٣) استشهاد لان. ف. أي. الولايات المتحدة عن الحرب العالمية الأولى إلى الثانية. موسكو. ١٩٧٦، الصفحة ٢٠٣.

عن مستوى الأسعار القائم، وطرق تقليص نفقات الإنتاج، والنقل وتسويق المنتجات. وإمكانيات الحصول على قروض بخسة وغيرها، بطريقة ممركزة. وبالإضافة لذلك قامت جمعيات عالم الأعمال بنشاط ضاغط فعال، واستطاعت من خلاله تحقيق التشريعات الضرورية للرأسمال الكبير، متابعة بانتباه عدم اتخاذ أية إجراءات تخالف مصالحه.

كان نشاط الجمعيات الفرعية كثيراً ما يتناقض بصورة مباشرة مع التشريع المضاد للاحتكار. فحسب الملاحظة الدقيقة ل ا. شليزينغر - الأصغر بدت هذه الجمعيات كما لو أنها «واجهةٌ كان رجال الأعمال يحوكون من خلفها المؤامرات من أجل تجنب القوانين المعادية للاحتكارات»[١].

بيد أن المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. التي كانت تقف بثبات على حراسة مصالح الرأسمال الكبير، اعترفت في حزيران عام ١٩٢٥ بشرعية عمليات الجمعيات الفرعية تماماً. جاء في قرار المحكمة، أن جمعيات عالم الأعمال وبسبب جمعها ونشرها للأنباء عن ظروف الإنتاج والتصريف القائمة «لا يمكن اتهامها بمؤامرة غير قانونية بهدف تقليص التجارة فقط على أساس أن النتيجة النهائية لجهودها في هذا المجال يمكن أن يكون استقرار للأسعار أو تقليص للإنتاج على حساب الفهم الأفضل للقوانين الاقتصادية والقدرة على التكيف مع تأثيراتها. إن قانون شيرمان لا يلغي مفعول هذه القوانين، ولا يمنع جمع ونشر المعلومات الاقتصادية»[٢].

إن ازدياد تنظيم الرأسمال الكبير والمحاولات الأولى لإنشاء منظومة هوائية من الاحتكارات المنظمة ذاتياً ترافقت مع انتشار أفكار «المسؤولية

---

(١) Schlesinger A. Jr. eit, p. 65.

(٢) Selecteol Readings in American History, vol. 2. P. 310- 311.

الاجتماعية لقطاع الأعمال». إذ بدأ بعض ممثلي البورجوازية في الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الفترة بممارسة فعالة لسياسة الأبوية الاجتماعية، من خلال التبشير بهذا المذهب، ومن خلال طرح مخططات بناء «الرأسمالية التي توفر الرخاء العام» و«الديمقراطية الصناعية».

لقد وجدت هذه السياسة، التي أصبحت حالة عامة غالباً ما كان يلجأ إليها الاحتكاريون «المستنيرون» في أعوام العشرينيات، تجسيداً ملموساً لها في انتشار الأسهم بين العمال، وإنشاء صناديق تقاعد خاصة، وإقامة أنظمة لتقديم المساعدات الخيرية في حدود هذه الشركة أو تلك...إلخ[1].

إن كل هذه التدابير كانت تهدف للبرهنة على أن «الاتحادات الاحتكارية قد تشبعت بشعور المسؤولية والإخلاص للواجب الاجتماعي»[2]، بحيث ظهر وكأنه قد تم العثور على الطريق المؤدي إلى إقامة «العدالة الاجتماعية»، وأن ذلك يعني أنه لا ضرورة بعد الآن للنضال الطبقي والتنظيم الحكومي المباشر. لقد فكر قسم من مؤدلجي الرأسمال الكبير في إنشاء منظومة من الجمعيات الفرعية لقطاع الأعمال، وفي تطبيق سياسة الأبوية الاجتماعية كأكثر خيار مقبول في ظروف الاستقرار الرأسمالي لأعوام العشرينيات وطرحها كبديل عن طرائق الدولة الاحتكارية في التنظيم. بدت هذه الطرائق في تلك الفترة بالنسبة لغالبية ممثلي البرجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية غير مقبولة مطلقاً وغريبة عن الرأسمالية، وتحمل بصمات تأثير الأفكار الاشتراكية. ولكن

---

(١) Change and comtinuity in Twentieth Century America, D. 154- 155.

(٢) سيليغمين. ب. أقوياء العالم: قطاع الأعمال ورجال الأعمال في التاريخ الأمريكي، موسكو، ١٩٧٦، ص ٣٣٧.

ومن جهة أخرى، فإن الشعبية المتنامية لمذهب «المسؤولية الاجتماعية لقطاع الأعمال» كانت تشهد على أن العودة الكاملة إلى نظريات الداروينية الاجتماعية التي كانت تسيطر في نهاية القرن التاسع عشر أمر غير ممكن، وقد اعتبر في أعوام العشرينيات جزء محدد من البورجوازية الاحتكارية أنَّ التفسير التقليدي للآراء الفردية حول إيديولوجية «دعه يعمل»، والمبدأ القائل (كل يجب أن يهتم بنفسه، وليذهبِ الفاشلون إلى الشيطان أمرٌ ميؤوسٌ منه، وفات أوانه، ويتطلب تغييراً ملموساً.

لقد تمَّ دعم الحركة من أجل إنشاء منظومة لتنظيم قطاع الأعمال الكبير ذاتياً على مبدأ «المسؤولية الاجتماعية» من قبل بعض الشخصيات البارزة في الإدارة الجمهورية. ولقد كان وزير التجارة غ. هوفر داعية متحمساً لهذه الأفكار. ففي كراسه حول «الفردية الأمريكية»، المنشور في عام ١٩٢٢، الذي عارض فيه بصورة حازمة التنظيم الحكومي المباشر، أعلن في نفس الوقت عن ضرورة «استخدام وسائل جديدة من أجل التقدم الاجتماعي، والاقتصادي المتعقل» ولإزالة «الخسائر الضخمة، التي تحدث نتيجة المنافسة عديمة الجدوى (الفاشلة) في مجال الإنتاج والتوزيع»[١].

ومن أجل التخلص من نقاط الضعف هذه تمَّ توجيه دعاية هوفر إلى «النظام الأمريكي» الذي كان يقضي بالأعمال المشتركة التعاونية بين مختلف المجموعات الاقتصادية. إن هوفر، وخلافاً عن كوليدج وميللون ومناصرتهما للعقيدة الفردية التقلدية ومذهب الإدارة المتطرف، والانحناء أمام عفوية التطور الاقتصادي، قد أكد أكثر من مرة أن إيديولوجية «دعه يعمل»، قد شاخت منذ

(١)Hoover H. American individualism N. Y. 1922, p. 44, 46.

زمن طويل، وأن الولايات المتحدة تعيش «تحولاً اقتصادياً حاسماً» يكمن محتواه في «الانتقال من مرحلة الفردية المتطرفة إلى مرحلة الأعمال المترابطة»[1].

كانت هذه المبادئ هي التي استرشد بها غ. هوفر في نشاطه العملي خلال توليه منصب وزير التجارة. لقد صاغت الوزارة التي يرأسها «قوانين فلسفة وممارسة قطاع الأعمال» لمختلف فروع الصناعة، وقدمت لرؤساء الشركات المعلومات الاقتصادية، وساعدتهم في تحقيق المواصفات المطلوبة للإنتاج، وفي تسويق البضائع الأمريكية في الخارج. وبكلمة فإن وزارة التجارة تحولت في أعوام العشرينيات إلى سمسار ممتاز لقطاع الأعمال الأمريكي»[2]. لقد غذّى هوفر فكرة إنشاء جمعيات فرعية للصناعيين وتنظيمات لأصحاب البنوك، وغرف للتجارة، واتحادات تعاونية للمزارعين، الذين كانوا تحت رقابة الدولة «كحكم غير متحيز».

كان يجب على هذه المؤسسات حسب رأيه نشر ما أصبح ضرورياً في الظروف الجديدة وهي «روح المسؤولية الجماعية لقطاع الأعمال». إن انتشار أفكار الجماعية البورجوازية في أعوام العشرينيات خلق أسساً موضوعياً لاشتداد نزعات الدولة الاحتكارية.

بيد أن وفي الوقت نفسه لم تخرج هذه المذاهب الجماعية ، خارج أطر التمنيات لصالح تنسيق الأعمال المشتركة لأرباب العمل وغيرهم من المجموعات الاقتصادية، لقد برزت في المقابل كمبادئ تقليدية «لدعه يعمل»، وكذلك

---

(١) Hoover H. Moral standards in industrial Era- The Annal of America Chicago, 1968, vol, 14, p. 430

(٢) سيليغمن. ب. المؤلفات المشار إليها. ص. ٣٣٧

كمنظومة متشعبة للتنظيم الحكومي في فترة الحرب العالمية الأولى. لذلك فإن ما كان يميز أعوام العشرينيات، حسب رأي الاقتصاديين السوفييت هو «ضعف درجة تدخل الدولة في الاقتصاد بصورة محسوسة بالمقارنة مع مرحلة الحرب، ولكن بمستوى أكثر ارتفاعاً مما قبل الحرب»[1]. وحول الضرورة الموضوعية الناضجة للانتقال إلى درجة أعلى من الجماعية البورجوازية - إلى طرائق الدولة الاحتكارية في حل المسائل الاجتماعية الاقتصادية - كان النضال حول مسألة الدعم الحكومي لفروع الاقتصاد الأمريكي الراكدة بصورة مزمنة يشهد تطوراً - النقل بالسكك الحديدية، وصناعة الفحم، والزراعة على وجه الخصوص.

لقد تميز النضال حول الطرق المتعلقة بحل المسألة الزراعية بالحدة والضراوة. إذ خلقت الأزمة الزراعية المتواصلة في أعوام العشرينيات حركة قوية من أجل الدعم الحكومي للزراعة. وكانت البرجوازية الزراعية في رئاسة الحركة، التي كانت مواقعها قد ضعفت بسبب الأزمة. إن الرأسمال المستثمر من قبلها في الزراعة، قد جلب لها ربحاً أقل مما في فروع الاقتصاد الأخرى. لذلك فإن مؤدلجي البرجوازية الزراعية حتى في بداية أعوام العشرينيات رفعوا شعار «مساواة الزراعة في الحقوق». لقد طالبوا بأن تساعد الحكومة الفدرالية المزارعين من أجل رفع أسعار منتوجاتهم. ولتحقيق هذا الهدف، تمَّ في عام ١٩٢٤ صياغة مشروع قانون ماكينيرى - هوغين وقُدم إلى الكونغرس، وتضمن إنشاء منظمة مركزية حكومية من أجل الشراء المنتظم وبأسعار مرتفعة «للفائض» من المنتوجات الزراعية داخل البلاد.

---

(١) رأسمالية الدولة الاحتكارية: سمات وخصائص عامة. موسكو ١٩٧٥، ص ٢١.

كانت هذه الاحتياطيات تقضي بالحفاظ عليها لوقت محدد خارج السوق، وبعد ذلك يمكن تصريفها بصورة ملائمة.

لقد كان على الاتحاد الحكومي أن يبيع ذلك الجزء من «الفوائض» التي كان من المستحيل تصريفها في السوق الداخلية، خارج الحدود بأسعار أخفض من أسعار السوق العالمية. وبما أن الاتحاد الحكومي سيمنى بخسارة حتمية في هذه العمليات، لذلك ومن أجل تعويضها كان الأمر يقتضي فرض «ضريبة التساوي» غير الكبيرة، والتي كان يفترض جبايتها من البضائع الزراعية التي تذهب إلى السوق الداخلية. إن المدافعين عن مشروع القانون اعتبروا أن العمليات النشيطة للوزارة الحكومية ستحث الشركات الخاصة أيضاً التي تعمل في شراء وتصنيع المتوجات النباتية والحيوانية، على دفع أسعار أعلى للمزارعين، وبنتيجة ذلك فإن المستوى العام للأسعار الزراعية في البلاد سيرتفع[١].

لقيت خطة ماكنيري- هوغين تأييداً من قبل معظم المزارعين. لكن حكومة كوليدج التي كانت تقف على حراسة مصالح الاحتكارات الصناعية- المالية وقفت بإصرار ضد إقرارها، رافضة بذلك مزاعم البورجوازية الزراعية حول «المساواة الزراعية». لقد أكدت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حفاظها على نظام الاستغلال الاحتكاري وبصورة ديماغوجية، أنه يجب على المزارعين ألَّا يعتمدوا على ممارسة المؤسسات الحكومية، وإنما على العملية الطبيعية المتعلقة بتحسين حالة السوق الزراعية[٢].

---

(١) يازكوف. ي. ف. حركة المزارعين في الولايات المتحدة في أعوام **(١٩١٨- ١٩٢٩)**. موسكو، ١٩٧٤، ص٢٧٢- ٢٧٣.

(٢). The State of the Union Massages of the Presiolents, vol, 3, p. 2658

لقد قدمت نسخ مختلفة لمشروع القرار خمس مرات إلى الكونغرس للمناقشة خلال أعوام ١٩٢٤- ١٩٢٨، وفي شباط عام ١٩٢٧ وأيار عام ١٩٢٨ تمت الموافقة على المشروع من كلتا غرفتي الكونغرس، ولكن وفي كل مرة كان الرئيس كوليدج يستخدم حق النقض معتبراً إياه مخالفاً لمبدأ عدم تدخل الدولة في الاقتصاد والتوجه نحو «تثبيت الأسعار الحكومية الذي يتنافى مع التقاليد الأمريكية، وفلسفة منظومتنا في الإدارة وروح مؤسساتنا»[1].

لقد باءت بالفشل محاولات أنصار مشروع ماكنيري- هوغين لتحقيق إقراره في أيار عام ١٩٢٨، على الرغم من الفيتو الرئاسي: كان من الضروري في تلك الحالات الحصول على أكثرية من الأصوات المؤهلة، ولكن ذلك لم يحدث[2].

وبمقابل مخططات التنظيم الحكومي للأسعار الزراعية، طرحت شخصيات الإدارة الجمهورية، وبصورة خاصة وزير التجارة غ. هوفر ووزير الزراعة و. جارداين، فكرة التشجيع الحكومي للجمعيات التسويقية. لقد أكدت هذه الشخصيات أن على المزارعين ألَّا يسعوا إلى استبدال الآلية التسويقية الموجودة من قبل الهيئات الحكومية، وإنما إلى تطويرها وتحسين منظومة التسويق بمساعدة الدور التنظيمي للتعاونيات.

إن مبدأ التشجيع الحكومي للتعاونيات الزراعية والإشراف الحكومي العام على أعمالها خلافاً لفكرة التنظيم الحكومي للسوق الزراعية بقي حتى نهاية أعوام العشرينيات محوراً لسياسة الإدارة الجمهورية الزراعية.

---

(١) Documents of American History, vol. 2. P. 214.

(٢) Congressional Recorol, vol. 69. P. 9879- 9880.

كان يجب على حكومة الجمهوريين أن تسير أبعد على طريق إشاعة مبادئ التعاون البرجوازي في مجال النقل بالسكك الحديدية. تلك الإشاعة التي كانت خطوة إجبارية. ولا سيما أن التوظيف الطبيعي للاقتصاد الرأسمالي كان يتعلق بالعمل الفعال والمتواصل للطرق الحديدية إلى حد بعيد، أما الإضرابات الكبيرة لعمال الطرق الحديدية فقد أظهرت بصورة جلية العيب الواضح في الطرق التقليدية للإدارة الاحتكارية الخاصة، التي عاد إليها النقل الحديدي من جديد إثر تصفية الإشراف الحكومي في عام ١٩٢١. لذلك أقر الكونغرس في أيار عام ١٩٢٦ قانوناً جديداً للطرق الحديدية أكد حق عمال السكك الحديدية بالتنظيم وبعقد اتفاقيات الشراكة وفرض منظومة تحكيم حكومية لفض نزاعات العمل في هذا الفرع من الاقتصاد[1].

وبالرغم من سيطرة الإيديولوجية الفردية، فإن الإدارة الجمهورية لم تعر اهتماماً كبيراً فقط لفروع الاقتصاد الكاسدة ، وإنما لبعض المجالات الجديدة من قطاع الأعمال التي تتطور بسرعة. وهكذا شاركت الدولة بصورة نشطة في تمويل بناء طرق المواصلات، دافعة بذلك عجلة تطور النقل بالسيارات إلى الأمام وبوتائر سريعة. واتبعت وزارة التجارة وبمبادرة من هوفر نهجاً يرمي إلى تشجيع عمليات الطيران التجاري. ولقد نشب صراع ضارٍ ومتواصل في أعوام العشرينيات حول أفكار ملكية الدولة لموارد الطاقة المائية. وباقتراح من مجموعة الجمهوريين التقدميين برئاسة ج. نوريس قُدِّمت إلى الكونغرس عدة مرات مشاريع قوانين حول بناء مشروعات للطاقة المائية تابعة للدولة في وادي نهر تينسي. وقد رُفضتْ هذه الخطط بصورة قطعية حكومةُ كوليدج، التي

(١) سيفاتشيف. ن.ف. الولايات المتحدة الأمريكية: الدولة والطبقة العاملة (من نشوء الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية). موسكو. ١٩٨٢. ص ١٥٨ - ١٦٠.

أعاقت إقرار مشروع قانون نوريس بتلك الحجة، أن التدخل المباشر للحكومة الفدرالية في إنتاج وتوزيع الطاقة الكهربائية غير مقبول بصورة مطلقة. ولقد حاول زعماء الإدارة الجمهورية بدورهم الحصول على الموافقة من الكونغرس بنقل بناء منشآت الطاقة المائية في وادي نهر تينسي إلى الاحتكارات الخاصة، وقبل كل شيء إلى اتحاد غ. فورد الاحتكاري، ولكن وبفضل مقاومة الرأي العام التقدمي والحملة النشطة لعضو مجلس الشيوخ نوريس وأنصاره تمت إعاقة تحقيق هذه الخطط.

وهكذا أجبرت المتطلبات الموضوعية للإنتاج الرأسمالي من وقت لآخر إدارة كوليدج على الرغم من ترويجها للمبادئ الفردية، إلى الذهاب في بعض فروع الاقتصاد إلى إحداث مجالات أوسع لتدخل الدولة. ولكن مرحلة الاستقرار الرأسمالي في أعوام العشرينيات بصورة عامة كانت تتصف بـ «السيطرة الواضحة لا للدولة، وإنما لمبادي الاحتكارات الخاصة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية»[1]. وحسب رأي أكثرية مؤدلجي الرأسمال الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك فإن قطاع الأعمال الحر والمبادرة الخاصة المحميَّيْن من الدولة، كانا قادريْن على حل كل المشاكل الاجتماعية. وعلى الرغم من أن العملية الموضوعية لإشاعة ملكية الدولة قد استمرت احتلَّت ايديولوجية النيوليبرالية كشكل من أشكال الإيديولوجية البورجوازية للدولة الاحتكارية، التي ظهرت في مرحلة «العصر التقدمي»، في أعوام العشرينيات، المكانَ الثانيَ تحتَ ضغطِ التوجهات التقليدية الفردية المحافظة.

---

(١) سيفاتشيف. ن.ف. رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية - مسائل التاريخ، ١٩٧٧، رقم ٧، ص ٨٣.

صاحبت عملية تطبيق النهج الفردي الرجعي لسياسة الإدارة الجمهورية الاقتصادية الاجتماعية تغيرات غير مواتية للغاية في الحالة الفكرية السياسية في البلاد. كان هجوم الرأسمال الكبير مستمراً على مواقع الكادحين، وعلى تلك الحقوق التي كان قد تمَّ الحصول عليها من قبلهم سابقاً. إن الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلال انتهاكها لأبسط الحريات الديمقراطية، كانت تقمع بقسوة الشخصيات الراديكالية في الحركة العمالية. وقد أصبحت قضية ن. ساكو وب. فانزيتي العاملين المهاجرين من الجنسية الإيطالية، اللذين اعتُقلا في عام ١٩٢٠ بسبب مشاركتهما النشطة في الحركة الثورية، واللذين حكم عليهما بالإعدام بتهمة ملفقة متعلقة بسلب وقتل أمين صندوق لمعمل أحذية، أصبحت مثالاً صارخاً على مثل تلك الأعمال. إذ أُثبت براءة المتهمين بالوثائق. وعمت الولايات المتحدة الأمريكية، وخارجها حملة واسعة للدفاع عن ساكو وفانزيتي. وحتى الفدرالية الأمريكية للعمل وقفت باستنكار قوي ضد الحكم غير العادل، مسمية المتهمين بـ «ضحايا الخرافات العنصرية والقومية والكراهية الطبقية»[1].

لكن الرجعية الأمريكية التي ضربت بعرض الحائط بنداءات الرأي العام العالمي قررت التنكيل بالراديكاليين المكروهين من قبلها. وفي ليل ٢٣ آب عام ١٩٢٧ تمَّ تنفيذ حكم الإعدام بكل من ساكو وفانزيتي بالكرسي الكهربائي.

اشتد الهجوم على الحركة النقابية بصورة واضحة في أعوام الاستقرار. لقد دعا رئيس رابطة الصناعيين ج. إيدجيرتون عام ١٩٢٥ أعضاء المنظمة التي يقودها إلى تطوير حملة واسعة ضد النقابات، لأن نشاطها كان يعيق كما زعم الأداء الطبيعي لوظيفة المجتمع، القائم على مبادئ المبادرة الخاصة والتنافس

(١) جاووكين. غ، ومورنمان. ي: إرث ساكو وفانزيتي. موسكو ١٩٥٩. ص ٢٧٦.

الحر. وقد تمَّ التمهيد لهذه الحملة المعادية للنقابات بصورة واضحة من خلال عدد من قرارات المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تمَّ التأكيد فيها أن الموافقة على قانون كليتون في عام ١٩١٤ لا يعني استثناء النقابات من مجال تطبيق التشريع المعادي للتروستات وإيقاف التدخل القضائي في النزاعات العمالية. لقد اكتسبت الملاحقات القضائية للنقابات والإضرابات مدىً واسعاً في أعوام العشرينيات، واتخذ قادة الإدارة الجمهورية أكثر من مرة مواقف تدين بشكل مباشر الإضرابات، وعلى الرغم من أن غ. هوفو ووزير العمل ج. ديفيز الذي يشاطره وجهة نظره، خلافاً لكوليدج أو ميللون، اللذين اتخذا كقاعدة موقفاً مكشوفاً معادياً للطبقة العاملة، كانا يعترفان حسب مبادئ الأعمال التعاونية للمجموعات الاقتصادية الأساسية في المجتمع بحق العمال بالتوحد في نقابات وبعقد اتفاقيات مشتركة. إلا أنه تم التأكيد هنا «أنه لا يجب أن يكون هناك أي إجبار فيما يتعلق بالانتساب إلى هذه المنظمات»، وأن «مبدأ الحرية الفردية يتطلب ورشاً مفتوحة».

إن مثل ذلك التأويل فتح مجالاً واسعاً للأعمال المعادية للنقابات من قبل أرباب العمل. وفي مقابل الاتحادات المهنية تمَّ إنشاء «اتحادات مدجنة» تابعة بشكل كامل لأرباب العمل، الذين إلى الإيحاء للعمال بفكرة كاذبة حول وحدة مصالح العمل والرأسمال. وقد بلغ عدد أعضاء هذه النقابات المزورة حتى نهاية أعوام العشرينيات أكثر من ٥ , ١ مليون عضو[1]. وكانوا في أحيان كثيرة يجبرون العمال على توقيع تعهدات بعدم الدخول إلى النقابات وعدم المشاركة في النضال

---

(١) استشهاد من: الولايات المتحدة الأمريكية: الفكر الاقتصادي والتاريخ. موسكو ١٩٧٦، ص ٤٤٦.

الإضرابي. إن مثل تلك الاتفاقيات المعروفة باسم «اتفاقيات الكلب الأصفر» حصلت على انتشار واسع وشملت حتى عام ١٩٢٩ نحو مليون عامل(١).

بقيت المجموعات والروابط الشوفينية والعنصرية الأداة المهمة للرجعية الاحتكارية في حربها ضد الحركة العمالية والديمقراطية، واستمرت كوكلوكس كلان من بينها بلعب الدور الأهم في هذا المجال. إذ قامت شخصيات كوكلوكس كلان بحملة صاخبة أوسع مدىً وأكثر قوةً منها في الأعوام الأولى بعد الحرب، وذلك دفاعاً عن «النزعة الأمريكية» وضد التأثيرات الأجنبية «الهدامة» المتنوعة. فقد صرح «الساحر الإمبراطوري» لهذه المنظمة هـ. إيفانز في عام ١٩٢٦، أنهم يدعون إلى تحقيق «وضعٍ قيادي في الحركة بهدف تحقيق مُثُل النزعة الأمريكية(٢).

لقد أعلن قادة كوكلوكس كلان أن هدفهم الرئيسي هو النضال من أجل الحفاظ على دعائم أمريكا التقليدية البيضاء، والزراعية والبروتستانتية، والأنغلوساكسونية، وقاموا بدعاية جامحة ومخربة ضد الزنوج، واليهود، والكاثوليك، والمهاجرين وجميع القوى الأخرى، التي كانت تقوض دعائم أمريكا «البطريركية» حسب رأيهم. لقد وصلت كوكلوكس كلان حتى منتصف أعوام العشرينيات إلى ذروة قوتها وتأثيرها. وتراوح عدد أعضاء هذه المنظمة، حسب التقديرات المختلفة في عام ١٩٢٥ من ٤ إلى ٥ ملايين عضو. وباستثناء ولايات الجنوب «العميق»، فإن منظمات كبيرة للأخوية

---

(١) سيفاتشيف. ن. ف. التنظيم الحقوقي لعلاقات العمل في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو عام ١٩٧٢، ص ٢٣- ٢٤.

(٢) E vans H.The Kean`s fight for Americanism- The Annals of Ameriur, Chicago, 196. Vol. 14, p. 506

ظهرت في الجنوب الغربي (ولايتي تكساس، وأوكلاهوما)،وفي الغرب المتوسط (ولايات ايندیانا، واوهايو، وإيلينوي)، وفي ولايات ساحل المحيط الهادي، (أوريغون، وكاليفورنيا).

أصبحت كوكلوكس كلان في هذه المناطق قوة سياسية مؤثرة تشرف على الجهاز الحزبي وهيئات السلطة المحلية. وهكذا ففي إيندیانا كان الحاكم، والمجلس التشريعي المحلي وأكثرية أعضاء مجلس ممثلي الكونغرس الفدرالي في هذه الولاية تحت إشراف الأخوية في عام ١٩٢٤- ١٩٢٥. وعندما جرت محاولة من قبل حاكم أوكلاهوما ج. وولتون للوقوف ضد منظمة كوكلوكس كلان غير الشرعية في نهاية عام ١٩٢٣ بدعم من النقابات والمنظمات الزراعية الراديكالية، اتهمه المجلس التشريعي المحلي بـ «بالنزعات الدكتاتورية» ومن خلال استخدامهم لهذا الاتهام تمَّ عزله من منصبه[١].

كان شعار الحد من الهجرة أحد المطالب الأساسية لقادة الكوكلوكس كلان وغيرهم من الدعاة المغالين بـ «النزعة الأمريكية». وقد استطاعوا انتزاع الموافقة على قوانين جديدة فيما يخص الهجرة، حددت بصورة صارمة عملية السماح بدخول المهاجرين من البلدان الأخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقلصت بنفس الوقت من أعداد المهاجرين. وكان الكونغرس قد وافق حتى في عام ١٩٢١ على وثيقة نصت على حصص سنوية للهجرة من البلدان الأوربية بمقدار ٣٥٠ ألف شخص. بإذ لا تزداد أعداد المهاجرين في كل عام من كل بلد من هذه البلدان عن ٣% من عدد المهاجرين العام لتلك القومية

---

(١) Burbunk G. Agrarian Radicals and Their opponents: political Conflict in Southern oklahoma- gournal of American History, 1971, june, p. ls- 16.

الذين استقروا في الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩١٠. غير أن قانون عام ١٩٢١ لم يُلبِّ مطالب الأنصار الأكثر مغالاةً في مسألة تحديد الهجرة، لأنه وحسب رأيهم، لم يكن يخلق حواجز صلبة ضد فيضان «الأجانب غير المرغوبين» من بلدان أوربا الوسطى، والجنوبية الشرقية، الذين استطاعوا أن يجلبوا معهم أفكاراً متعلقة بإعادة البناء الثوري للمجتمع تشكل خطراً على الرأسمالية. إن الاقتراحات المتعلقة بالتقسيم اللاحق لمنظومة الحصص قد تم دعمها من قبل البيت الأبيض في رسالته إلى الكونغرس (كانون الأول عام ١٩٢٣) أعلن الرئيس كوليدج: «إن أمريكا يجب أن تظل بلاداً للأمريكيين. لذلك من الضروري الاستمرار بسياسة تحديد الهجرة»[١]. وقد تم إقرار قانون جديد للهجرة بعد عدة أشهر، في أيار عام ١٩٢٤، إذ خُفضِّت الحصة السنوية للهجرة من بلدان أوروبا حتى ١٦٤ ألف شخص وقلِّص المعدل السنوي للمهاجرين من هذه البلدان حتى ٢% من العدد العام للمهاجرين لهذه القومية أو تلك التي عاشت في الولايات في عام ١٨٩٠ أي قبل الهجرة الجماعية من بلدان أوربا الجنوبية والشرقية.

إن قوانين الهجرة عام ١٩٢١ و ١٩٢٤ قلصت بصورة حادة حجوم الهجرة الأوربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرت بصورة محسوسة تركيبها القومي. وإذا كان قد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩٠٧ – ١٩١٤ في فترة الهجرة الأكثر كثافة ما قبل الحرب، من جميع بلدان أوروبا ١,٧ مليون شخص، ففي أعوام ١٩٢٢ - ١٩٢٩، بلغ عدد المهاجرين الأوربيين ١,٧ مليون.

(١)The State of the Union Messages of the Presidents, vol. 3, p. 2651.

وهذا يعني، أن حجم الهجرة قد انخفض إلى أقل من الربع. بيد أن النقص كان أكبر في أعداد المهاجرين من بلدان أوربا الجنوبية والشرقية: إذ بلغ عدد المهاجرين من هذه البلدان في أعوام ١٩٠٧ - ١٩١٤، ٥.٦ مليون، أما في أعوام ١٩٢٢ - ١٩٢٩ - فبلغ ٦٣٠ ألف فقط ٠٠ أي بـ أقل من التسع[1]. لقد حقّق المتعصبون لـ «النزعة الأمريكية» الهدف الذي تم وضعه: إن المهاجرين من تلك البلدان الأوربية الذين صنّف الشوفينيون الأمريكان ممثليهم ضمن فئة «المهاجرين غير المرغوب بهم»، قد بلغت نسبتهم نحو ٨٠% من المهاجرين الأوروبيون إلى الولايات المتحدة، أما في أعوام العشرينيات فقد انخفضت حصتهم إلى ٣٨%. واحتلت مسألة مراعاة القانون «الجاف» مكاناً كبيراً في دعاية المدافعين المغالين عن «النزعة الأمريكية». ولكن سرعان ما أفلست الآمال المعقودة لمؤيدي هذا القانون على تأثير تلك التعديلات المنيرة XVIII على دستور الولايات المتحدة الأمريكية، التي حرَّمت إنتاج واستيراد وبيع المشروبات الروحية. ووقف جزء مهمٌّ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية وبصورة خاصة سكان المدن الكبرى، الذين ابتعدوا منذ أمد بعيد عن المثل التقليدية لأمريكا الزراعية البوريتانية، ومنذ البداية ضد القانون «الجاف».

تعقدت المسألة منذ السنوات الأولى لتنفيذ قانون فولستيد المقر في عام ١٩١٩ بهدف إدخال تعديلات XVIII العملية على الدستور، إذ حصل الإنتاج غير الشرعي للمشروبات الروحية، وتهريبها وتسويقها على انتشار واسع في البلاد. وقد عمل على ذلك الكثير من المنظمات السرية لتجارة المشروبات الروحية التي حققت أرباحاً طائلة تعد بملايين الدولارات. كانت النتيجة

---

(١) Historical Statistics of the United states, p. 105.

لعمليات هذه المنظمات هي الانغماس غير المسبوق في الفساد والرشوة والغانغستيرية. وليس من المستغرب أن أعداد أنصار «القانون الجاف» كان ينخفض في كل عام وبصورة خاصة بين سكان المدن.

وحسب معطيات واحدة من الإحصاءات التي أجريت في عام ١٩٦٢، فإن ثلث من تم توجيه أسئلة إليهم حول هذا الموضوع عبروا عن وقوفهم إلى جانب التغيير الكامل لوثيقة فولستيد، والنصف وقف إلى جانب تعديلها بهدف السماح للمشروبات الخفيفة، والجعة، والخمس فقط وقف إلى جانب الحفاظ على «القانون الجاف» في حالته السابقة[١]. بيد أن أنصار تحريم المشروبات الروحية تابعوا حتى في تلك الظروف بعناد متعصب الحملة من أجل المراعاة التامة لـ «القانون الجاف». لقد أصبح السؤال المطروح، في أعوام العشرينيات حول العلاقة تجاه تعديلات XVIII على الدستور، مثله في ذلك مثل قضية الكولوكس كلان والمخططات اللاحقة للحد من الهجرة، مادة للنقاش السياسي الضاري. إن دعاية المدافعين المتحمسين عن كل ظواهر «الأمريكانية الحقيقية» تلك قد وجدوا أصداء حية بين سكان البلدات الريفية الصغيرة. والمناطق الزراعية في الغرب والجنوب التي حافظت بدرجات أكبر على القيم الأخلاقية التقليدية القديمة وعلى أمريكا الزراعية الملتزمة بالعبادات التي تابعت بعداء صريح الخطوة المستمرة للمدينة الرأسمالية الكبيرة.

إن العملية العاصفة للتصنيع ولزيادة دور المدن في تطوير المجتمع الذي كانت تعيشها الولايات المتحدة قد جرت وراءها بصورة حتمية تعاظم ظلم الرأسمال الكبير. وإفقار وإفلاس ملايين المالكين الصغار.

---

(١) Shannon D. Op. Cit, vol. 2, p. 135.

إلا أن هذا النزاع الاجتماعي اكتسب في السيكلوجيا الجماعية لفئات البورجوازية الصغيرة لوناً أخلاقياً خاصاً. لقد تم فهمه كصدام منظومتين متناقضتين بالقيم، تمثلان أمريكا الزراعية الأبوية من جهة، ومن جهة ثانية المدينة الرأسمالية.

إن السياسات الرجعية قد استخدمت ببراعة الآراء الباطلة لسكان الريف الأمريكي، ووجهت سخط جماهير البورجوازية الصغيرة ليس ضد العدو الحقيقي - الرأسمال الاحتكاري وإنما ضد نيويورك وشيكاغو، وبصورة عامة ضد المدينة الكبيرة بتبايناتها الصارخة من الغنى والفقر، وبمستوطنيها من «الغرباء - المهاجرين، وبفسادها وغانغستريتها وسكرها وبمخالفتها للوقار البوريتاني من خلال الموضات الجديدة للألبسة النسائية والقواعد الأخلاقية والأدبية».

وهذا قد أدى بصورة حتمية إلى تناء مختلف فئات السكان الكادحة في البلاد وإلى إضعاف نضالها المعادي للاحتكارات. لقد لعب دوراً مهماً في الحملة الوعظية لإيديولوجيي «النزعة الأمريكية» ضد شرور حضارة المدينة التيار البروتستنتي الديني المحافظ كذلك إن اتباع هذه العقيدة الدينية كانوا من أنصار التأويل الحرفي الجامد للإنجيل. لقد ناضلوا لأجل بعث البروتستنتينية المحاربة ولأجل الالتزام الثابت بـ «القانون الجاف». وأعلنوا اللعنة على المسيحية الاجتماعية، ووقفوا إلى جانب التأويلات الدغمائية للدستور، ودافعوا عن فكرة رسوخ النظام الاجتماعي - الاقتصادي الموجود في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد انعكست في مواعظ تيار المحافظين البروتستنتيين بصورة دقيقة مزاج جماهير واسعة من ضيقي الأفق، المفتونين بوعود «الازدهار الأبدي»، والجاهلين، وغير المتسامحين تجاه أي انحراف مهما كان صغيراً عن معايير «النزعة الأمريكية مئة بالمئة».

لقد كتب الناشر او. ليبمان في عام ١٩٢٧ يقول إن «القانون الجاف والكوكلوكس - كلان، والتيار البروتستني المحافظ، وفرض الخوف - إن ذلك كله هو تعبير متطرف لكنه حقيقي عن الآراء السياسية والاجتماعية والدينية لبناء الحضارة الأمريكية الريفية، الذي يقاوم كل ما يظن أنه غريبٌ وكل ما هو أمريكا الجديدة في الواقع التي تنبثق من امريكا القديمة»[1].

كانت جهود المحافظين في أعوام العشرينيات موجهة للنضال ضد نظرية التطور لداروين، التي كانت تنسف الأسس للعقيدة المسيحية نفسها حول خلق العالم والإنسان. وبمبادرة من المحافظين في الولايات الجنوبية انتشرت حركة تتطالب باتخاذ قوانين تحرم تدريس نظرية التطور في المدارس والمعاهد العليا. لقد وقف في الصفوف الأولى لهذه الحملة أو. ج. برايان. وهذا الأمر لم يكن مصادفة ببساطة: إن آراءه شبكت طوال الوقت بصورة غير مألوفة بواعث النضال ضد الاحتكارات والأحكام السياسية والدينية المحافظة لسكان «العمق الزراعي» الأمريكي. وحسب تقديرات مؤلف أحد الأبحاث الكبيرة في تاريخ البروتستنتينية الأمريكية و. ميللر، فإن برايان لا يعتبر «رمزاً لأمريكا البروتستنتينية الزراعية فقط، وإنما كان هو هذه الأمريكا نفسها. فخلال ٣٠ عاماً كان برايان يجسد كل ما هو حسن وكل ما هو فاسد في الولايات الجنوبية والغربية الوسطى»[2].

---

(١) استشهاد من: كيسلوفا. أ. أ. المسيحية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية: من تاريخ الفكر الاجتماعي، الأعوام التسعينيات من القرن التاسع عشر - وأعوام الثلاثينيات من القرن العشرين. موسكو. ١٩٧٤، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) استشهاد من نيكيتين ف. أ. النضال ضد الكنائس البروتستينية في الولايات المتحدة الأمريكية وتطور أقصى اليمين في الحركة البروتستينتية المحافظة. في كتاب: النشرة الحولية الأمريكية، ١٩٧٩. موسكو. ١٩٧٩، ص ٤٤.

وتحت ضغط المحافظين البروتستنت وافق المجلس التشريعي في تينيسي عام ١٩٢٥ على القانون الأول المناهض للتطور، الذي ينص على تحريم تعليم «أي نظرية تنفي القصة الإنجيلية عن الخلق الإلهي للإنسان»(١) في جميع المؤسسات التعليمية في الولاية. وسرعان ما تم إقرار قوانين مماثلة في ميسيسيبي واركانزاس أما في بعض الولايات الجنوبية الأخرى فقد تم منع تدريس نظرية التطور بأوامر إدارية من قبل السلطات المحلية.

وفي عام ١٩٢٥ وفي بلدة دايتون الصغيرة في ولاية تينيسي تم تنظيم عار باسم الحكمة «القردية» ضد معلم مدرسة شاب اسمه جون سكوبس تجرأ على التعبير عن شكه في دستورية القانون المعادي للتطور المقر في الولاية. ولقد لعب برايان نفسه دور المدعي العام في المحكمة وترأس الدفاع عن ج. سكوبس المحامي التقدمي البارز ك. داروب الذي أظهر في خطبه إلى أي مستنقع من الجهل والرجعية الدينية المتطرفة يدفع المحافظون البروتستنت البلاد.

لكن لا شيء، كان يمكن أن يهز ضيق عقل القضاة وبلادتهم المغرورة.

وعلى الرغم من مهزلة الاتهام المضحكة فإنهم أعلنوا سكوبس مذنباً. وحسب كلمات ب. شو، فإن محاكمه ديتون «القردية» جعلت من أميركا أضحوكة في أعين العالم بأسره.

إن «الرفاهية» فرضت بصماتها كذلك على طابع النضال الحزبي - السياسي في الشطر الثاني من أعوام العشرينيات. لقد وقف كلا الحزبين البورجوازيين الأساسيين في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة صلبة آنذاك مواقف الدفاع عن الحالة الراهنة، وهما يتسابقان فيما بينهما في مديح خيرات «الازدهار»

(١)A. history of tge United states from 1865 to the present, p. 361

الأمريكي بصورة خاصة. إن الحزب الجمهوري الحاكم الذي كان يقع في تلك الفترة تحت الإشراف المطلق من قبل «الحرس القديم» الرجعي وغيره من شخصيات الجناح الموالي للاحتكارات في الحزب» كان يشعر بالثقة بالنفس.

وعلى أعتاب الانتخابات الجمهورية الدورية عام ١٩٢٨ سار تحت الرايات الواسعة للنزعة الفردية التي كما كان السياسيون الجمهوريون يؤكدون بفخر قد حققت لأمريكا «الازدهار اللانهائي». «لقد كان الجمهوريون يعلنون بصورة احتفالية في خطتهم الانتخابية أن كلماتهم هي - في أعمالهم وأنهم لا يقدمون وعوداً، وإنما يحققون إنجازات». إن زعماء الحزب الجمهوري قضوا أن يمارسوا نفس النهج السياسي الاجتماعي - الاقتصادي السابق في المستقبل كذلك. لقد وقفوا إلى جانب «التوفير الصارم بالنفقات الحكومية»، وإجراء «إصلاح ضريبي تقدمي يسمح في نهاية المطاف بزيادة الاحتياطات المالية الخاصة لأجل الاستثمارات الرأسمالية». لقد دافع الجمهوريون بالإضافة لذلك عن الحد اللاحق من الهجرة، وكأن هذا الأمر كما زعموا هو ضروري لأجل الحفاظ على «مستوى الحياة الأمريكية»، والمراعاة الصارمة للقانون «الجاف»[١]. لقد قوبل نهج قيادة الحزب الموالي للاحتكارات وسياسة حكومة كوليدج علناً وكما في السابق بمقاومة من جانب فئة من الجمهوريين التقدميين، وكما في السابق وجهت هذه الفئة جهودها الأساسية نحو الحد من سيطرة الاحتكارات وإقامة إشراف اجتماعي فعّال على عملياتها.

وبعد وفاة. لافوليت (حزيران عام ١٩٢٥)، فإن السيناتور ج. نوريس غالبا ما كان يرأس نشاط هذه الفئة. إن تياراً معارضاً آخر في الحزب - جماعة

(١)National party peatforms, 1840- 1972/ Compl, by,o. Johnson, K. Porter. Urbana (111), 19/ 3, p, 280- 284, 288.

المحافظين الزراعيين، التي تمثل مصالح البورجوازية الزراعية في الغرب- قد اختلفت مع الزعماء الجمهوريين وبصورة رئيسية حول مسألة السياسة الزرعية، بيد أن مواقع هاتين الفئتين قد أصابها الضعف بصورة ملموسة في مرحلة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات، وعلى الأخص مجموعة الجمهوريين اليساريين سواء في الحزب والبلاد.

لقد طرح هربيرت هوفر كمرشح للحزب الجمهوري إلى منصب رئيس الجمهورية في الحملة الانتخابية لعام ١٩٢٨ وهو واحد من الممثلين البارزين للجناح الموالي للاحتكارات في الحزب ومن المدافعين النشطاء عن نظرية «الأعمال المشتركة» و«المسؤولية الاجتماعية لقطاع الأعمال».

إن زعماء عالم الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية وافقوا بحماس على هذا الاختيار. «كتب المؤرخ ج. هيكس، أن قادة الأوساط الصناعية والمالية لم يسبق أن رضوا سابقاً كما رضوا الآن بأن يكون على رأس البيت الأبيض سياسي قدّم لهم كل ما يمكن أن يقدم لقد كانوا يرغبون في أن يكون رئيساً للجمهورية هو نفسه رجل أعمال، يفهم بصورة غريزية كل أهوائهم. كان هوفر يمثل بالنسبة لهم المرشح المثالي، وقد مولوا بكرم حملته»(١) لم يقدم الحزب الديمقراطي كذلك أي خيار واقعي آخر لنهج الجمهوريين. إنه كما في السابق كان يتمزق بالصراعات الانقسامية الحادة بين مجموعتين قطريتين أساسيتين. أحدهما كانت تشكل جناحاً زراعياً مؤثراً في الحزب على رأسه كان يقف الملاكون الزراعيون في الجنوب والبورجوازية الزراعية في الغرب، والذين كانوا يعتمدون على جماهير المزارعين الواسعة في هاتين المنطقتين في البلاد. وقد استمر في البقاء أو. ماكادو و او.ج. برايان كأكثر زعيمين نافذين لهذه المجموعة. إن المجموعة الأخرى التي كانت

(١) Hicks J0 D. Repubeican Ascendancy, 1921- 1933. N. Y. 1963, A. 202.

تملك قاعدتها أيضاً هي المنظمات الحزبية في الولايات الشمالية الشرقية، التي كانت تمارس نشاطها بقيادة الأوساط الصناعية المالية الاحتكارية في نيويورك، وبوسطون، وتشيكاغو وغيرها من المراكز الصناعية. وقد شكلت الفئات البورجوازية الصغيرة من السكان في المدن الكبيرة في الشمال والشمال الشرقي من البلاد وكذلك قسم من الطبقة العاملة، وقبل أي شيء، من أوساط المهاجرين الأساس الجماهيري لها. ولقد برز دور حاكم ولاية نيريورك ا. سميت كزعيم لمجموعة الذين يعملون على زيادة دور المدن في تطوير المجتمع في الحزب في أعوام العشرينيات. إن الانقسام التنظيمي في الحزب الديمقراطي، وغياب وحدة الرؤى عند زعمائه، والمشاحنات المستمرة بين أنصار ماكادو من جهة ومناصري سميت في تركيب اللجنة الوطنية للحزب، إن كل ذلك قد عطل نشاطه عملياً بصورة كاملة تقريباً في أواسط أعوام العشرينيات. لم يكن ا. سميث بعيداً عن الحقيقة، عندما لاحظ أن هناك قاعدة فيما يتعلق بالحزب الديمقراطي «تتكرر خلال ستة أشهر فقط كل أربع سنوات»[1] إن هذه الحالة كانت تثير قلقاً غير قليل لدى الكثير من الديمقراطيين. بعد المحاولات المتخذة في عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ من قبل ف. روزفلت، وك. هيل وغيرهما من الشخصيات بعيدة النظر في الحزب لتدعيم تنظيمه اصطدمت بمقاومة عنيدة من أجهزة الحزب المحلية، والتي كان أكثر ما تهتم به هي منافعها الخاصة. وعلى امتداد أعوام العشرينيات حدثت تغيرات محددة في تركيب الحزب الديمقراطي. لقد عزز الديمقراطيون بصورة ملموسة مواقعهم في الولايات الصناعية، وتوسعت بصورة فعلية قاعدتهم الاجتماعية على حساب

---

(١) استشهاد من:

Burner D. The Politics of provincia lism.

The Democratie party in transition, 1918- 1932. N. Y. 1968, P. 144.

جماهير المهاجرين التي كانت قد استوطنت في أمريكا قبل سنوات الحرب، واستقرت بصورة رئيسية في المدن الكبيرة في شمال وشرق البلاد. وقد جرَّ هذا الأمر وراءه ارتفاع دور الحزب الديمقراطي في المدن، وازدياد نفوذ مجموعته الشمالية - الشرقية برئاسة ا. سميث. وحسب ملاحظة د. بيرنير الصحيحة مؤلف الكتاب الشيق عن تاريخ الحزب الديمقراطي في تلك الفترة «إن الهجرة الواسعة في أعوام ١٩٠٠ - ١٩١٤، قد حملت بصورة واضحة فوائد بالنسبة لانتخابات عام ١٩٢٨»[١]. بيد أن هذه النزعة لتغيير الواقع الانتخابي للحزب الديمقراطي لم يجد في ذلك الوقت صدىً مماثلاً في إيديولوجيته وسياسته.

إن الزعماء الديمقراطيين حتى نهاية أعوام العشرينيات لم يخرجوا خارج حدود شعارات النزعات الفردية ولم يقوموا بأية محاولات لتحديث الأسس الفكرية للحزب، وتحريرها بما يتطابق مع المتطلبات الناضجة للتطور الاجتماعي.

لقد كانت صياغة بديل بناء في هذه الحالة لنهج الحكومة الجمهورية السياسي غير ممكنة. وليس مصادفة أن الصراع بين الديمقراطيين والجمهوريين قد اشتد في النصف الثاني من أعوام العشرينيات، وقبل أي شيء ليس في السياسة الاقتصادية الاجتماعية، وإنما في الثقافة الأثنية والمسائل الدينية والأخلاقية. لكن ذلك لم يكن مفيداً بصورة كبيرة بالنسبة للديمقراطيين، لأن مسائل تشريع الهجرة، والقانون «الجاف» ومسألة تحول النزعة البروتستنتينية الدينية إلى العسكرة، كان كل ذلك مادة للخلاف الحاد والنقاش بين المجموعات الزراعية والمدنية في الحزب. ولم يساعد ذلك على التلاحم، ومن ثمَّ استكمال وحدة صفوفه.

(١) Ibid. p. 229.

إن الأزمة الفكرية والانقسام التنظيمي في الحزب الديمقراطي قد أضعفا بصورة ملموسة مواقعة في سير الحملة الانتخابية عام ١٩٢٨. لقد أدت السيطرة المتزايدة للمجموعة المدنية وضعف الجناح الزراعي في الحزب، إلى ترشيح ا. سميت لمنصب رئيس الجمهورية على الرغم من أنه منحدر من أصول مهاجرة، وكاثوليكي وخصم للقانون «الجاف». لقد انتقد سميت في خطبة وفي عدد من الحالات وبصورة حادة النهج السياسي الرجعي للجمهوريين وفي الخطة الانتخابية للحزب الديمقراطي تمت الإشارة وبحق إلى أن السياسة المالية الاقتصادية لإدارة كوليدج كانت موجهة نحو «تدعيم مواقع أصحاب الملايين الكبار على حساب دافعي الضرائب البسطاء»[١].

بيد أن الخطة التي أقرت في عام ١٩٢٨ من قبل الحزب الديمقراطي، كانت مراوغة إلى حد بعيد، وغامضة، ولا تختلف بشيء عن خطة الجمهوريين وذلك من خلال التقييم الاجتماعي للصحافة الأمريكية: كم كانت صائبة عندما لاحظت إحدى جرائد بالتيمور، إن الخيارات التي اقترحها. آنذاك كلا الحزبين الرئيسيين متشابهة - «الخيار بين محافظين، يعلنون أن كل شيء على التمام بصورة مطلقة، ومحافظين، يؤكدون أن كل شيء جيد لكن من الضروري بعض التغيرات غير الكبيرة»[٢] لقد سعى ا. سميت وغيره من شخصيات الحزب الديمقراطي خلال الحملة الانتخابية بأسرها، أن يبرهن، أنهم ليسوا أسوأ من الجمهوريين وأنهم يستطيعون أن يخدموا مصالح أوساط العمل. وليس من المصادفة أن رئيس اللجنة الوطنية للحزب ج. ريسكوف أصبح عام ١٩٢٨ واحداً من قادة حملة «جنرال موتورز». وفي أولى كلماته أكد لرجال

---

(١)National party peatforms, p. 272.

(٢)The literary Digest, 1928, Juey/ 2 p. 6.

الأعمال النية الخيرة لمرشح الديمقراطيين. «لا يجب على عالم الأعمال سواء كان كبيراً أم صغيراً أن يخشى الحكومة الديمقراطية» هكذا صرح على أعتاب الانتخابات. ومن الواضح أن مثل تلك التأكيدات لم تكن تساعد مطلقاً على زيادة شعبية آ. سميت لدى أكثرية الأمريكيين البسطاء.

وهكذا فإن الحملة الانتخابية عام ١٩٢٨ كانت تظهر بكل وضوح الأزمة الناضجة لمنظومة الحزبين في الولايات المتحدة الأمريكية، طالما أن الخيار في الخطط وفي الأعمال الملموسة للجمهوريين والديمقراطيين، كان غائباً فعلياً، وكانا متفقين على المسائل الأكثر أهمية في مجال الاقتصاد والسياسة. كان ع. هوبر وا. سميت يتجنبان كذلك كقاعدة مناقشة المسائل الاقتصادية الاجتماعية «الملحة» التي كانت تظهر من خلالها نسبية وهشاشة الاستقرار الرأسمالي(١).لقد اقتصر الصراع بين الحزبين عام ١٩٢٨ بالنقاش حول القانون «الجاف» والانتماء الديني لمرشح الديمقراطيين. كان الجمهوريون في أكثر الأحيان يوجهون المجادلات الانتخابية وبوعي في مجرى نقاشات المسائل الدينية، لأن ذلك كان يشق صفوف أنصار الحزب الديمقراطي، ويضعف مواقعه بصورة أكبر في الانتخابات.

إن حظوظ الجمهوريين كانت بالطبع أفضل بكثير في ظروف «مجتمع الرفاهية». لقد حقق هوبر انتصاراً كبيراً في انتخابات عام ١٩٢٨، وحصل على ٢١٣٩٢ ألف صوت وعلى ٤٤٤ مندوباً. أما بالنسبة لسميت، فصوت إلى جانبه ١٥٠١٦ ألف ناخب و ٨٧ مندوباً.

وطّد الجمهوريون مواقعهم في مجلس الكونغرس: أصبحوا يمتلكون ٥٦ مقعداً في مجلس الشيوخ و٢٦٧ في مجلس النواب. أما بالنسبة

---

(١) Sundguist/ Dynamics of the party System. Wash, 1973, p. 181.

للديمقراطيين فقد بقي لهم ٣٩ و١٦٧ مكاناً[١]. لقد حقق الديمقراطيون في الحقيقة انتصاراً في عدد من المدن الكبيرة التي تقطن فيها أعداد كبيرة من السكان المهاجرين، ولأول مرة في انتخابات عام ١٩٢٨ لكن ذلك لم يكن يكفي لتغيير سيطرة الجمهوريين.

كان زعماء الحزب الجمهوري بعد أن انتصروا في الانتخابات ممتلئين تفاؤلاً وثقة. لقد أعلن الرئيس كوليدج في كانون الأول عام ١٩٢٨ في الرسالة الأخيرة إلى الكونغرس عن حالة البلاد، والذي كان يستعد لتسليم مقاليد الإدارة لخليفته وبصورة احتفالية «إن البلاد يمكن أن تنظر إلى الحاضر بارتياح، وإلى المستقبل بتفاؤل»[٢].

لم يمض عام إلا وأمريكا قد انقضت عليها وبكل قوة أزمة اقتصادية، مزقت دون رحمة كل الأوهام المتعلقة بـ «الازدهار اللانهائي».

٣- ضعف الحركة العمالية والديمقراطية

نجحت البورجوازية الأمريكية في ظروف استقرار الوضع الاقتصادي في البلاد حتى منتصف أعوام العشرينيات في إضعاف الحركة العمالية والديمقراطية بصورة ملموسة. وقد وجد ذلك تعبيراً له قبل أي شيء في التراجع الطويل للنضال الإضرابي للطبقة العاملة- فبعد النهوض العارم في أعوام ١٩١٨- ١٩٢٢، حين عمت البلاد إضرابات ضمت الملايين من العمال، أخذت أعداد المضربين تتراجع عاماً بعد عام: انخفضت في عام ١٩٢٤ إلى ٦٥٥ ألف وفي عام ١٩٢٦- إلى ٣٣٠. أما في عام ١٩٢٩ فبلغت

---

(١) Historical statistics of the United states, p. 1073, 1083.

(٢) The state of the Union Messages of the Presidents, vol 3, p. 2727.

٢٨٩ ألف فقط. وبصورة عامة فقد أضرب في الولايات المتحدة خلال أعوام ١٩٢٤- ١٩٢٩ نحو ٢,٣ مليون عامل، أي أقل بـ ٤,٥ مرات من الفترة السابقة التي امتدت من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٣[1]. لقد تغير كذلك طابع الحركة الإضرابية: كان النضال ينحصر في معظم الحالات بالمطالب الاقتصادية فقط. وغابت بشكل شبه كامل الشعارات السياسية الراديكالية التي اتصفت بها إضرابات السنوات الأولى بعد الحرب. لم يكن يعني ذلك بالطبع، أنه لم تكن هناك في الولايات المتحدة نزاعات طبقية كبيرة. على العكس من ذلك ففي عدد من الفروع التقليدية القديمة للصناعة الأمريكية التي لم تشهد أي نهوض، وإنما وجدت نفسها في حالة من الركود الطويل، بل في حالة من التقهقر أيضاً، كان وضع العمال أسوأ بكثير من فروع الإنتاج الجديدة التي كانت تنمو بسرعة في أعوام الاستقرار الرأسمالي، في هذه الفروع جرت عدة إضرابات جماهيرية.

إن مثل هذه الحالة برزت على سبيل المثال في صناعة استخراج الفحم- ففي عام ١٩٢٤ في مدينة جيكسونفيلل (ولاية فلوريدا) عُقدت اتفاقية بين شركات الفحم واتحاد عمال المناجم الموحد بشرط أن يلتزم مالكو المناجم خلال ثلاث سنوات بالحفاظ على مستوى الأجور القائم وتمتنع نقابات عمال المناجم عن الإضرابات. لكن الكثير من شركات الفحم ذهبت بعد أن نقضت اتفاقية جيكسونفيلل إلى تخفيض ملموس لأجور عمال المناجم، وبقرار من اتحاد عمال المناجم الموحد بدأ عمال مناجم فحم الإنتراسيت إضراباً في أيلول عام ١٩٢٥ شمل نحو ١٥٠ ألف شخص. بيد أن قوى العمال كانت غير كافية لتحقيق

(١) Strikes in the United States, 1880- 1936. U.S. Department of labor, Bureau of labor Statistics, Bulletin N651. Wash. 1938, p. 39.

النصر. إن مقاومة أرباب العمل والموقف المتناقض لقيادة اتحاد عمال المناجم بقيادة ج. لويس، أجبرتا العمال بعد عدة أشهر، وفي شباط عام ١٩٢٦ إلى التوقف عن النضال، دون أن يحصلوا على أية تنازلات من مالكي المناجم. ولقد جرى صدام طبقي كبير آخر في صناعة استخراج الفحم ولكن في ظروف غير مؤاتية بصورة أكبر - إضراب عمال مناجم فحم القار، المعلن في ١ نيسان عام ١٩٢٧، كرد على تخفيض الأجور بصورة حادة. شمل الإضراب ١٧٥ ألف عامل منجم، صمدوا بصورة ثابتة أكثر من ١٥ شهراً. بيد أن إرهاب أرباب العمل، ونفاذ وسائل عيش المضربين وأيضاً ذلك الظرف الذي لم يسمح للإضراب أن يمتد ليشمل كل مناطق مناجم فحم القار، كل ذلك أجبر العمال في هذه المرة أيضاً إلى التراجع. وفي أيلول عام ١٩٢٨ امتنعت قيادة اتحاد عمال المناجم عن متابعة النضال من أجل استئناف العمل باتفاقية جيكسونفيلل، واقترحت على الفروع المحلية للنقابة في مختلف مناطق البلاد الاتفاق بأنفسهم مع مالكي المناجم.

انتشرت المعارك الطبقية المتوترة في هذه المرحلة كذلك في صناعة النسيج. لقد اتبع عمال النسيج في باسييك (ولاية نيويورك) سياسة أنجح، ففي كانون الثاني عام ١٩٢٦ بدؤوا إضراباً، طالبوا فيه من أرباب العمل بزيادة الأجور والاعتراف بالنقابة، وعقد اتفاقية شراكة. ولعبت رابطة الدعاية النقابية التي يقودها الشيوعيون دوراً فعّالاً في إضراب عمال باسييك الأمر الذي أدى إلى نجاح الإضراب بدرجة غير قليلة، فبعد ١٣ شهراً من النضال العنيد والمنظم حقق العمال النصر.

لعبت رابطة الدعاية النقابية دوراً مهماً كذلك في جذب عمال النسيج في الجنوب إلى النضال، والذين لم يكونوا أعضاءً بعد في النقابات. ولقد حاز

إضراب عمال النسيج في غاستونيا (ولاية كارولينا الشمالية) شهرة واسعة بصورة خاصة بين تحركات عمال الجنوب، التي جرت في ربيع عام ١٩٢٩. ومن أجل قمع الإضراب تم إرسال فصائل الحرس الوطني و«الفيلق الأمريكي». وقد افتعلت الشرطة صدامات مسلحة مع المضربين، الأمر الذي استخدم كذريعة للتنكيل القضائي بقيادات الإضراب، ولتحطيمه. لكن الأحداث في غاستونيا كان لها أهمية كبيرة كواحدة من محاولات الحركة النقابية الأولى للتغلغل إلى الجنوب، إلى حصن «الطائفة المكشوف» هذا.

إن الحركات الإضرابية الكبيرة لعمال المناجم وعمال الصناعة النسيجية التي حدثت في ذروة «الازدهار» نفسها كانت برهاناً آخر أيضاً على محدودية وهشاشة الاستقرار الرأسمالي. لقد برهنت أن النضال الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية، مهما نفى ذلك المدافعون عن «الازدهار» الأمريكي لم ينقطع في النصف الثاني من أعوام العشرينيات أيضاً. و تشهد على ذلك تلك الظواهر للتضامن البروليتاري العالمي، مثل حركة الدفاع عن سايكو وفانزيتي ورسالة الوفود النقابية إلى الاتحاد السوفييتي من أجل التعرف على حياة أول دولة اشتراكية في العالم. كان الشيوعيون أول المبادرين بهذه الخطوة الهامة، ولكن كان في عداد الوفود العمالية الأمريكية التي زارت الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٧ كذلك أولئك الذين وقفوا بحيوية فيما بعد إلى جانب الاعتراف الدبلوماسي السريع بالاتحاد السوفييتي، وكذلك أعضاء في فيدرالية العمل الأمريكية.

كانت المأثرة الكبيرة للحزب الشيوعي تكمن في أنه هب للدفاع عن حقوق الكادحين الزنوج. إذ طرح الشيوعيون بعد أن تغلبوا على الأخطاء المتزمتة للقوى اليسارية في الحركة العمالية المسألة الزنجية كمسألة مستقلة في برنامجهم، وكإحدى القضايا المهمة للواقع الأمريكي. وفي عام ١٩٢٥. وفي

شيكاغو، وبمبادرة من الحزب الشيوعي تمَّ تنظيم المؤتمر الأمريكي للعمال الزنوج، الذي وضع أمامه مهمة المشاركة الفعالة في نضال الكادحين الزنوج ضد الإرهاب، والاقتصاص العرقي، وضد كل أشكال التمييز العنصري، ومن أجل الأجور المتساوية للزنوج والبيض، وجذب العمال الزنوج إلى الحركة النقابية، وعلى الرغم من الأخطاء المتزمتة الكثيرة في نشاط المؤتمر الأمريكي للعمال الزنوج، التي لم تكن شعاراته دائماً تتفق مع الظرف التاريخي الملموس، بحكم أنه كان منعزلاً عن الجماهير الأساسية للسكان الزنوج. إلا إن الشيوعيين الذين كانوا يقودون نشاط المؤتمر الأمريكي للعمال الزنوج، قاموا بأولى الخطوات في صياغة خط صحيح في المسألة الزنجية، بيد أن مجال الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة عامة، بالمقارنة مع الفترة السابقة تناقص بصورة ملموسة.

حتى تلك الإضرابات التي قادتها النقابات، والتي كانت تتبع إلى رابطة الدعاية النقابية، غالباً كانت تنحصر في إطار النضال الاقتصادي. أما بالنسبة لأكثرية اتحادات الفدرالية الأمريكية للعمل، فإنها كانت تحاول بصورة عامة أن تمتنع عن الإضرابات.

لقد تبين كذلك أن الظرف السياسي العام في البلاد لعب دوراً سلبياً كبيراً في التأثير على تطور الحركة العمالية. فالنهج السياسي الداخلي الرجعي لحكومة كوليدج، وحملة أرباب العمل النشطة المعادية للنقابات، وتقوية «الوحشية المنفتحة»، وإنشاء اتحادات للأنس والتخالط بالجملة - إن كل ذلك أضعف فعالية التحركات النقابية، وقاد إلى انهيار حاد لسمعة النقابات، وأعاق نمو تعدادها.

لقد بقي عدد أعضاء الاتحادات المهنية الأمريكية خلال كل فترة الاستقرار الرأسمالي في أعوام العشرينيات دون تغيير: في عام ١٩٢٣ بلغ ٣٦٢٩ ألف (من بينهم ٢٩٢٦ ألف منتسب إلى الفدرالية الأمريكية للعمل). أما في عام ١٩٢٩ فقد بلغ ٣٦٢٥ ألف. (من بينهم ٢٩٣٤ ألف منتسب إلى الفدرالية الأمريكية للعمل).

أدّت ظروف النمو السريع للسكان المؤهلين للقيان بنشاط فعّال، إلى تقلص مستمر لأعضاء النقابات بالقياس إلى العدد العام للقوى العاملة الأهلية: كانت تعادل ١٢% في عام ١٩٢٠، وفي عام ١٩٢٣ هبطت إلى ٣,٨% أما في عام ١٩٢٩، فقد انخفضت إلى ٥,٧%[١].

بقي مستوى التنظيم المهني للقوة العاملة المأجورة في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية أعوام العشرينيات منخفضاً بصورة كبيرة في جميع مجالات الاقتصاد. ولقد تخطى الـ ٢٠% فقط في صناعة الاستخراج والسكك الحديدية، أما في جميع الفروع الأخرى فكان أقل من ذلك بصورة ملموسة، وبلغ ١٢,٢% في الصناعة التحويلية، و٥,٤%- في العمل الإداري، و٣%- في مجال الخدمات، و٣% فقط في التجارة[٢].

كان غياب التنظيمات المهنية بصورة كاملة أو شبه كاملة في تلك الفروع الأكثر طليعية للإنتاج المادي التي كانت تنمو بسرعة تقنيّاً، مثل صناعة صب الفولاذ، والسيارات والصناعات الكهربائية، والأجهزة والآلات، والصناعة

---

(١) Historical statisics of the United states, p. 126, 177.

(٢) كوركوف. ن. ف. الفدرالية الأمريكية للعمل في أعوام «الازدهار»: الإيديولوجيا، والسياسة، والتكتيك، في كتاب الحولية الأمريكية، ١٩٧٣. موسكو. ١٩٧٣، ص ٨٠.

الكيميائية وغيرها من فروع الصناعة التحويلية الرئيسية. يشكل ظاهرة مثيرة للقلق. إذ كانت تجري هنا بالذات، في مرحلة الاستقرار الرأسمالي في أعوام العشرينيات عملية مكننة الإنتاج وتوحيد معاييره بصورة مكثفة جداً، وكانت تعمم بصورة واسعة خطوط التجميع. إن تطور الإنتاج الواسع في فروع الصناعة الثقيلة حمل معه تغيرات محسوسة في بنية الطبقة العاملة، إذ زاد بصورة ملموسة عدد وثقل العمال غير المهرة، وبصورة خاصة شبه المهرة الذين يخدمون على خطوط التجميع في المصانع والمعامل الكبيرة.

إن كل هذه الفئات الجديدة من البروليتاريا الصناعية الحديثة التي كانت تنمو بسرعة ظلت خارج الحركة النقابية، وتَجَاهلَها عملياً معظم اتحادات الفيدرالية الأمريكية للعمل، التي كانت مُشكَّلة حسب المبدأ المهني، وكانت تضم في صفوفها بصورة رئيسية العمال ذوي المهارات العالية الذين يعملون في مؤسسات صغيرة نسبياً مجهزة تقنياً بصورة أكثر ضعفاً. لقد نشأت فئات جديدة من العمال المهرة بصورة عالية في فروع الصناعة الطليعية تقنياً (ميكانيكون، ومركبو خطوط التجميع).

إن انعزال النقابات عن جمهور البروليتاريا التي تعمل في المعامل الصناعية الضخمة التي أصبحت القوة الرئيسية في الإنتاج الرأسمالي الحديث قد كانت له عواقب غير ملائمة، لأنه ساعد في إضعاف الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة كبيرة.

فشلت الحركة من أجل النشاط السياسي المستقل في منتصف أعوام العشرينيات. وتمَّ استغلال هزيمة السيناتور لافولليت في انتخابات عام ١٩٢٤ من قبل زعماء الفيدرالية الأمريكية للعمل من أجل تعزيز الحملة لصالح فكرة هومبرس حول «عدم حزبية» العمال.

لقد أدان المؤتمر الدوري للفيدرالية الأمريكية للعمل المنعقد في تشرين الثاني عام ١٩٢٤ بصورة حازمة كل أشكال النشاط السياسي المستقل، ولا سيما محاولات إنشاء حزب ثالث. وتناول الحديث في قرارات المؤتمر أنه من «الواضح أن الحركة من أجل حزب ثالث هي خطوة غير نافعة ومضيعة للجهد. وتعيق انتخاب المرشحين المتعاطفين مع العمال.... ومن ثم فإن التجربة قد أظهرت، أن العمال إذا أرادوا تحقيق النصر في المجال السياسي يجب عليهم أن يمارسوا في المستقبل كذلك تلك السياسة غير الحزبية نفسها التي اتبعوها في الماضي»[١].

إلى هذا الخط نفسه كانت تميل قيادات أخويات الطرق الحديدية الذين كانوا على رأس مؤتمر العمل السياسي التقدمي. وعندما تمَّ عقد الدورة العادية لمؤتمر العمل السياسي التقدمي، اقترح زعماء أخويات الطرق الحديدية اتخاذ قرار بـ«اتباع سياسة غير حزبية من الآن فصاعداً»[٢].

لقد حاول ممثلو الحزب الاشتراكي والمجموعات الراديكالية للمزارعين والفئة المثقفة البورجوازية الصغيرة، الذين كانوا حاضرين في دورة مؤتمر العمل السياسي التقدمي أن يدافعوا عن فكرة الحزب الثالث. لكن نداءاتهم لم تؤثر على زعماء أخويات الطرق الحديدية. لم تساعد كذلك كلمة العامل القديم في الحركة الاشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية يوجين ديبس، التي حاول فيها إقناع المجتمعين بضرورة تشكيل حزب ثالث.

إن كل ذلك قد أثر على اتخاذ قرار من الدورة حول إيقاف نشاط مؤتمر العمل السياسي التقدمي لأجلٍ غيرِ مسمّىً. وقد وجه ذلك ضربة قاتلة لحركة

(١) Ameri can Federationist, 1923, Jan, p. 55.

(٢) New york Times, 1925.

العمل السياسي المستقل. صحيح أن الاشتراكيين وممثلي المجموعات التقدمية الراديكالية حاولوا الاستمرار في النضال من أجل إنشاء حزب ثالث. إلا أن محاولاتهم هذه بقيت كأمنيات خَيِّرَة. فبدون النقابات لم تكن هناك إمكانية للتفكير بتأسيس حزب ثالث وطني شامل. أما ما يتعلق بالأحزاب العمالية- الزراعية في مختلف الولايات التي نشأت في أعوام النهوض الجماهيري بعد الحرب، فإنها أخذت تضعف الواحد تلو الآخر وسرعان ما لم يبق لها أي وجود. بقي حزب العمال- الزراعي في مينيسوتي الاستثناء الوحيد، الذي استمر في النشاط حتى النصف الثاني من أعوام العشرينيات.

ولقد تمَّ تفسير ذلك بأن حزب العمال- الزراعي في مينيسوتي تحوَّل إلى تنظيم دائم ينتسب إليه أعضاء بصفة شخصية وله خلايا إقليمية محليه- ونوادي حزبية. لقد كان كما في السابق يشارك في الحملات الانتخابية. لكن هذا الحزب أيضاً أصبح تنظيماً محلياً فقط، ولم يكن يلعب أي دور ملحوظ على نطاق البلاد.

وهكذا، وفي منتصف أعوام العشرينيات ابتعدت الكتلة الأساسية من العمال والمزارعين عن الحركة الديمقراطية. استمرت مجموعة غير كبيرة من التقدميين المنبثقين من أوساط المثقفين لبعض الوقت في توظيف نشاطها. لكنه كان يضعف من شهر لشهر وبصورة خاصة بعد وفاة السيناتور.ر. لافولليت، إلى إن توقف تماماً.

لقد خرجت الحركة من أجل العمل السياسي المستقل من المسرح السياسي في نهاية عام ١٩٢٦. كان انحسار الحركة الديمقراطية في الولايات المتحدة في فترة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات يعكس التغيرات العميقة

في المناخ السياسي - الفكري والاجتماعي - والنفسي للمجتمع الأمريكي. فلأول مرة خلال عدة عشرات من السنين حدث ضعف محسوس في الأمزجة المعادية للاحتكارات لدى فئات واسعة من السكان. علاوة على ذلك، وربما كان ولأول مرة في تاريخ البلاد يمكن رصد دفاع الاحتكارات المكشوف وغير المستتر بأي شيء عن تقديس عالم الأعمال والتغني بالرأسماليين الكبار كـ «قباطنة الصناعة» و «خالقي الرفاهية». وحسب تعبير الاقتصادي المعروف س. تشيز، فإن رجل الأعمال أصبح في ذلك الوقت هو صاحب «السمعة العالية بين الأمريكيين في مسائل السلوك الأخلاقي»[1]. ولعبت الصحافة البورجوازية والدعاية والسينما والراديو كلها دوراً كبيراً في خلق هذه الصورة الخيالية والمتطرفة للرأسمال الكبير[2]. وقد انخرطت الكنيسية البروتستنتينية أيضاً وبصورة فعالة في قضية تمجيد عالم الأعمال. كانت تقوم بالدعاية لـ (إنجيل عالم الأعمال)، الذي دعا إلى شعار «بيع الدين - عالم الأعمال الرئيسي للكنيسة». ولقد حاز الكتاب المنشور عام ١٩٢٥ من قبل أحدى وكالات الدعاية الرئيسية في تلك الفترة لـ ب. بارتون «الإنسان الذي لا يعرفه أحد: سيرة يسوع»، والذي أعلن أن المسيح هو «مؤسس عالم الأعمال المعاصر»، حاز شعبية كبيرة[3].

لقد استمر تطور الفكر الليبرالي، والفكر السياسي الراديكالي في الولايات المتحدة الأمريكية في ظروف غير ملائمة له في النصف الثاني من أعوام العشرينيات. وكان الفيلسوف جون ديو والاقتصادي تورستين فيبلين أبرز ممثلي

---

(١) استشهاد من: Allen F. Only Yesterday. N. Y. 1959, P. 113.

(٢) غاجييف. ك. س. الولايات المتحدة: تطور الوعي البورجوازي. موسكو عام ١٩٨١ صفحة ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) Barton B. The man Nobody knows:A Biography of jesus. N. Y. 1923, P. 138.

تيارات هذا الفكر الاجتماعي، اللذين لعبا دوراً كبيراً في إعداد القاعدة الفكرية للنزعة الإصلاحية البورجوازية الليبرالية في أعوام الثلاثينيات.

لقد احتل الاتجاه الاقتصادي مع اهتمامه المرهف تجاه مشاكل الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية وتجاه نضال مختلف المجموعات الاقتصادية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية مكاناً رئيسياً في علم التاريخ الأمريكي. وكان أهم ممثليه - تش. بريد، وا. شليزينغير - الأكبر، وج. جيمسون - الذين تقدموا بعدد من الأعمال المهمة الجديدة. ولقد تمَّ الحفاظ على تقاليد النقد الاجتماعي المعادي للاحتكارات الذي عبر عنه بقوة خاصة المؤرخ الكبير ف.ل. بارينغتون، الذي أصدر في نهاية أعوام العشرينيات عمله الأساسي «الاتجاهات الأساسية في الفكر الأمريكي». كما نشر الكاتب المشهور والناقد هنري.ل. مينكين على صفحات مجلته «أمريكان - ميركيري» التي بدأ بإصدارها منذ عام ١٩٢٤ مقالات لاذعة تندد ببلاهة نفاق وضيق أفق وغرور البورجوازية الأمريكية. وقد لقيت هذه المقالات المكتوبة من منطلق فردي - مستهتر ومستنير و فريد نجاحاً كبيراً في أوساط فئة المثقفين الليبرالية.

وأخيراً، وفي أعوام العشرينيات بالذات ظهرت تلك التحف في الأدب الأمريكي ذي النزعة الواقعية النقدية، مثل «الطريق الرئيسي» و«بيبيت» لـ س. لويس، و «التراجيديا الأمريكية» لـ ت. درايزير، وقصص ش. آندرسون القصيره، وقصائد وأشعار ك. سيندبيرغ، ومسرحيات يو. أونيل. وفي عداد هؤلاء الذي فضحوا دون رحمة تشوهات المدينة البورجوازية دخلت آنذاك مجموعة الكتاب الشباب الموهوبين المسماة باسم «الجيل الضائع» - أ.همنغواي، او. فولكنر، و ج. دوس. باسوس، وف.سكوت. فيتزجيرالد.

بيد أن ما كان يميز فترة «الازدهار» هو الفجوة الكبيرة بين التطور المستمر للفكر الليبرالي والفكر السياسي الراديكالي في الأوساط المثقفة وبين اشتداد النزعة المحافظة وعدم الاهتمام بالسياسة في الوعي الجماعي لأغلبية الأمريكيين. وحسب الملاحظة الدقيقة للمؤرخ د.شينون كان هناك مقابل كل شخص يعتبر أن سينكلير لويس وت. س. إيليوت هما بطلان، أشخاص آخرون قرؤوا بارتون ومذهبه المتعلق بعالم الأعمال»[١].

كان هذا الأمر إلى حد كبير نتيجة تأثير وسائل الإعلام و«الثقافة الجماهيرية». وعلى الرغم من أنهما ساعدا إلى حد ما في رفع المستوى الثقافي للكادحين، كانا في ذات الوقت أداتين فعالتين في أيدي البورجوازية تتحكم من خلالها بالعقول، ووسيلتين لتخدير وعي الشعب، وتعزيز النزعة الفردية لديه، والخضوع، وتقديس النجاح والاحترام تجاه «قوة هذا العالم».

إن أسباب تقهقر الحركة العمالية والديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الاستقرار الرأسمالي لأعوام العشرينيات كانت معقدة وكثيرة التنوع. وقد تمَّ تفسير هذا الأمر إلى حدٍّ ما بالظرف السياسي في البلاد، وبهجوم أرباب العمل، ورفض الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية لتلك التنازلات، التي كان الشعب الأمريكي قد اكتسبها في فترة «العصر الذهبي».

لكن السبب الرئيسي لتقهقر الحركة الجماهيرية كان متأصلاً فيها بصورة عميقة. ومرتبطاً بخصائص التطور الاقتصادي في البلاد بعد الحرب العالمية الأولى. إذ إن تحول الولايات المتحدة إلى مركز الاستثمار المالي في العالم حقّقَ للبورجوازية الاحتكارية أرباحاً فاحشة. وأعطاها ذلك إمكانية تحقيق رشوات

(١) Shonnon D. Op. Cit. vol. 2, p. 110.

للفئات العليا من الطبقة العاملة بصورة خاصة وعلى نطاق واسع. وأصبح ازدياد قوة أرستقراطية العمال القناة الأساسية لنشر الإيديولوجية البرجوازية في جماهير البروليتاريا الأمريكية. كان الوزن النوعي لهذه الفئة البرقراطية من الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية أعلى مما هو في بلدان أوروبا الغربية الرأسمالية. كان عدد العمال ذوي المهارات العالية، الذين يزيد مستوى أجورهم عن ٢ ألف دولار في العام، يبلغ نحو ٣ ملايين، أي نحو ١٠% من مجموع العمال العاملين في الصناعة والمواصلات والزراعة في البلاد في ذلك الوقت[١].إن التأثير الإيديولوجي للبورجوازية في فترة «الرفاهية» على العمال كانت فعالة جداً.

وقد تمَّ تفسير هذا الأمر ببعض التحسن الذي طرأ على وضع الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية، والزيادة غير الكبيرة نسبياً في متوسط الأجرة بسبب ظرف النهوض الصناعي المديد في أعوام العشرينيات.

لكن هذا التحسن لم يمس كل فئات العمال. الكثير منهم (الزنوج، والمهاجرون، والعمال الزراعيون) كان يعيش حياة بائسة كما في السابق. أجل، إن قسماً من الأمريكيين البيض الأصليين لم يتسنَّ له أن يسد حاجاته بشكل دائم. وحسب تقدير المؤرخ ي. بيرنشتاين، فإن «المستوى الحياتي للعمال بقي منخفضاً إلى حد كبير حتى في أحسن سنوات «الرفاهية»»[٢]. بيد أن بعض التحسن في وضع الكادحين ساعد على الانتشار الواسع لمختلف الأصناف من النظريات البرجوازية بين الجماهير.

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في الزمن الحديث: في جزأين موسكو، ١٩٧٠ - ١٩٧١، الجزء ١، الصفحة ١٣٦.

(٢) Bernstein L. The lean Years: A History of the Ameriean WIRKER. 1920- 1933. N. Y. 1960, P. 65.

لقد تمَّ الترويج بشكل نشط لنظرية «الاستثنائية الأمريكية» ولا سيما في أعوام العشرينيات. إن أنصار هذه النظرية كانوا يؤكدون من خلال جعلها نظرية مطلقة، أن البلاد دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها، لا ينطبق عليها الآن عمل القوانين التي تتحكم بسير الإنتاج الرأسمالي في بلدان العالم الأخرى.

وعلى هذا الأساس أخذوا يستنتجون، أن الحركة الدورية للاقتصاد أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، مسألة ماضٍ، وأنه لن تكون هناك بعد الآن أزمات اقتصادية لأن نمو الإنتاج الصناعي يولد بصورة آلية كما زعموا توسعاً في السوق. وبما أن آفاق «الازدهار الأبدي» بدأت تلوح في الأفق، فإن الصراع الطبقي يجب أن يترك المكان «للتعاون الطبقي»، لأن الاقتصاد بمقدار ما يتطور، وبمقدار ما تصبح المؤسسات الرأسمالية رابحة، بمقدار ما تكون دخول الرأسماليين أكبر وأجور العمال أفضل.

تابع الزعماء الإصلاحيون للفدرالية الأمريكية للعمل تلك الدعاية لضرورة «الانسجام الطبقي» بصورة حيوية. وأعلن مؤتمرها الدوري المنعقد في عام ١٩٢٥، أن الحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية يجب ألَّا تدفع بالنضال الإضرابي إلى المقام الأول، وإنما «إستراتيجية عليا للعمل»، وشعار «الديمقراطية الصناعية»، أي أن تطرح التعاون الطبقي بين العمال والرأسماليين، وقد أعلن الرئيس الجديد للفيدرالية الأمريكية للعمل غرين، الذي احتل هذا المنصب في كانون الأول عام ١٩٢٤ بعد وفاة س. هومبرس، في إحدى كلماته الرسمية الأولى، أن التريديونيونية المعاصرة ستسعى إلى «التعاونيات الصناعية»، وأن نزاعات العمل تبرز نتيجة تجاهل أو نفي الحقوق الأولية سواء لأرباب العمل

أو للعمال[1]، ولقد صرح عضو المجلس التنفيذي للفدرالية الأمريكية للعمل م. وول في محاولته لتوضيح المحتوى النظري لـ «الإستراتيجية العليا للعمل»، والمرحلة الجديدة في تطور النزعة الهوبرسية، بأن «التريديونيونيين سعوا في المرحلة المبكرة من نضالهم إلى عرقلة الإنتاج والحد منه، وإحداث مختلف العوائق أمام تطوره، من أجل تحقيق أهدافهم. إنهم الآن يحصلون على الاعتراف، وهم بالذات حملة ذلك النظام الاقتصادي والصناعي والاجتماعي، والمدافعون عنه، من خلاله سيعيش في بحبوبه العمال وأرباب العمل والمجتمع بأسره»[2].

كان زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل يوجهون جهودهم الرئيسية في فترة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات إلى التعاون الشامل مع أرباب العمل في مسألة التنظيم العلمي للإنتاج وزيادة كمية ونوعية المنتوجات. وكانت «خطة بالتيمور - أوهايو» المتخذة منذ عام ١٩٢٣، بموجب الاتفاقية المعقودة بين نقابات عمال الخطوط الحديدية ومالكي هذه الخطوط هي التجسيد الوضح لهذا النهج السياسي لقيادة التردیونیونیون عملياً.

وبموجب هذه الخطة، التي تمت الموافقة عليها بصورة رسمية من قبل مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل المنعقد عام ١٩٢٥، تمَّ الاعتراف بحق العمال في عقد اتفاق مشترك بشرط التزامهم بمساعدة أرباب العمل بشتى الوسائل في إدخال التحسينات التكنولوجية وفي زيادة شدة العمل، أي في التنظيم الرأسمالي العلمي للإنتاج، والأخذ بعين الاعتبار أن نمو الإنتاج الصناعي يؤدي بصورة آلية إلى ارتفاع الأجور. لقد أصبحت «خطة

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. الجزء ١، ص ١٥٩.

(٢) استشهاد من: كوركوف. ن. ف. الفدرالية الأمريكية للعمل في سنوات "الرفاهية" ص ١٠٣.

بالتيمور-أوهايو» نموذجاً بالنسبة لبعض الاتفاقيات الأخرى في النصف الثاني من أعوام العشرينيات، وبصورة رئيسية بالنسبة لمواصلات الخطوط الحديدية وعدد من فروع الصناعة الخفيفة.

كان زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل ومن خلال اعتقادهم بفلسفة مذهب الإرادة، يرفضون بصورة قطعية في تلك الفترة فكرة تدخل الدولة في الاقتصاد وفي العلاقات الاجتماعية. واعتقدوا أنه ليس من الممكن تحقيق تحسين شروط العمل فحسب، بل حل كل مشاكل المجتمع بواسطة الاتفاقيات الطوعية بين العمال والرأسماليين.

لذلك فإن الزعماء النقابيين الإصلاحيين كانوا يستقبلون كقاعدة كل تدابير النزعة الأبوية الاجتماعية التي كانت تتقدم بها بعض الشركات في أعوام العشرينيات بالاستحسان.وقد اعتبر رؤساء النقابات خطط مساهمة العمال في إرباح المؤسسات الصناعية، ومحاولات إنشاء «بنوك عمالية» خاصة، ودوائر صناديق التقاعد الخاصة وغيرها من التدابير المشابهة، كخطوة مهمة على طريق إنشاء «رأسمالية البحبوحة العامة»، التي ستعمل من خلالها كما زعموا كل الطبقات والفئات الاجتماعية لهدف «الخير العام». وكما لاحظ بحق المؤرخ الأمريكي أو. ميللر، أن الدعاية لهذا النوع من الأفكار لم تكن موجهه فقط نحو زيادة رفاه العمال بمقدار ما كانت موجهة إلى إضعاف نضالهم[١]. وكانت هذه الجهود لممثلي الرأسمال الكبير والزعماء النقابيين الإصلاحيين كثيراً ما تتكلل بالنجاح. لقد كتب أو. ز. فوستر وهو يقيم الوضع، الذي تشكل في الحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية

(١)Miller W. A New History of the United Ctates. N. Y., 1975, P. 359.

في فترة الاستقرار الرأسمالي، يقول: لقد غرقت بشكل شبه تام في «مستنقع التعاون الطبقي» وأن «روحها النضالية قد تقوضت»[1].

حظيت نظرية «دمقرطة الرأسمال» بانتشار واسع في أعوام «الازدهار». وأصبح الأستاذ في جامعة هارفرد ت. كارفير، الذي أصدر في عام ١٩٢٦ كتاباً بعنوان «الثورة الاقتصادية الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية»، واحداً من أكثر دعاة هذه النظرية شهرةً. وفي هذا الكتاب وغيره من الإصدارات المماثلة تمَّ التأكيد، على أن تطور الأشكال الاتحادية للرأسمال والنمو السريع لأعداد المساهمين، بما في ذلك بين العمال، سيقود حتماً إلى «ثورة اقتصادية» حقيقية كما زعموا، وسيصبح العمال شركاء في المؤسسات، وذلك يعني، إن الفرق بينهم وبين الرأسماليين سيزول، والرأسمالية تغير طابعها[2].

لقد استقبلت الدعاية البرجوازية في الولايات المتحدة الأمريكية وزعماء الفدرالية الأمريكية للعمل، أحاديث كارفير وأنصاره حول «الثورة الاقتصادية» و«دمقرطة الرأسمال» بحماس منقطع النظير.

لم تكن هذه الحملة الدعائية تملك بالطبع أي أساس واقعي. فامتلاك بعض الأسهم لم يكن ليحمل أي تغييرات محسوسة في وضع العمال، ولم يكن ليجعل منهم شركاء في ملكية المؤسسات الصناعية. ولعل أفضل ما يشهد على ضلال تشدقات الدعاية البورجوازية بصدد «إعادة التوزيع السلمي للثروات» التي كانت تحدث آنذاك في أمريكا كما زعمت، هو تلك الحقيقة، أن كل ما كان في أيدي الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية هو نحو ١% فقط من قيمة الأسهم حتى نهاية أعوام العشرينيات.

(١) فوستر. أو. ز: دراسة للتاريخ السياسي لأمريكا. موسكو. ١٩٥٣، الصفحة ٥٠٨.

(٢) Carver T. The Present Economie Revolution in the United States, Bocton, 1926, p. 9.

بيد أن نظرية «دمقرطة الرأسمال» بدت أداة مهمة في التأثير الإيديولوجي للبرجوازية على الطبقة العاملة في المجال السياسي. فالعامل بامتلاكه أسهم في هذه المؤسسة الصناعية أو تلك وأمله في الحصول على فائدة، أصبح بإرادته أو غير إرادته معنيّاً باستمرار إيقاع الإنتاج، ومن ثمَّ بعدم حدوث إضرابات. وحسب الملاحظة العادلة للمؤرخ الأمريكي غ. فولكنر، فإن «التأثير النفسي لامتلاك الأسهم في مسألة تقويض الوعي الطبقي للعمال كان كبيراً دون شك»[١].

كانت شعبية مختلف النظريات البرجوازية الدفاعية بين أوساط جماهير البروليتاريا الأمريكية تشهد على تأخرها الفكري والسياسي الجدي. ويكمن في ذلك بالذات السبب الرئيسي في تقهقر الحركة العمالية في الولايات المتحدة في فترة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات.

لقد كان التخلف الفكري- السياسي للبروليتاريا الأمريكية يشترط ضعف المجموعات اليسارية كذلك في الحركة العمالية. إن الحزب الاشتراكي الأمريكي، الذي كان يخضع لقيادة الإصلاحيين في بداية أعوام العشرينيات دخل في مرحلة الانحطاط، على الرغم من أنه لعب دوراً نشيطاً إلى حد ما حتى عام ١٩٢٤ في الحركة من أجل النشاط السياسي المستقل. ولكن وبعد أن انحدرت هذه الحركة، تحول الحزب الاشتراكي إلى طائفة قليلة العدد، منفصلة عن الطبقة العاملة، وتدعو إلى اشتراكية بديلة ما هي عبارة عن خليط من الأفكار الفابية والمسيحية الاجتماعية والإصلاحية الليبرالية البورجوازية. وحتى نهاية أعوام العشرينيات كان قد بقي في صفوف الحزب ٧ آلاف عضو فقط. وقد بدا الانخفاض الحاد في تأثير الاشتراكيين في الجماهير واضحاً في سير الحملات الانتخابية.

(١) Faulkner H. American Political and social History. N. Y., 1938, p. 674

فإذا كان قد صوت لصالح مرشح الحزب الاشتراكي لمنصب رئيس الجمهورية للولايات المتحدة الأمريكية يوجين ديوس عام ١٩٢٠ - ٩٢٠ ألف ناخب، فإن فورمان توماس مرشح نفس الحزب حصل على ٢٦٨ ألف ناخب فقط في عام ١٩٢٨...أي أقل من ١% من عدد الناخبين العام[١].

لقد بقي الحزب الشيوعي أيضاً قليل العدد في تلك السنوات: بلغ عدد أعضائه في عام ١٩٢٥ – ١٦,٣ ألف عضو، أما في عام ١٩٢٩ فبلغ ٩,٦ ألف عضو[٢]. كان التأثير القوي للجمود العقائدي والتعصب يبدو واضحاً في نشاط الحزب الشيوعي العملي. وقد عانى عمل الشيوعيين في النقابات مشاكل جدية. فعندما سارت القيادة الإصلاحية للفدرالية الأمريكية للعمل على طريق معاقبة القوى اليسارية وطردها من صفوف الفدرالية في نهاية أعوام العشرينيات، ساعدت شخصيات رابطة الدعاية النقابية على إنشاء اتحادات إنتاجية تقدمية مستقلة في عدد من فروع الصناعة المهمة (الفحمية، والنسيجية، والخياطة) وعلى تشديد العمل باتجاه جذب العمال غير المنظمين إليهم.

كان الوضع الجديد يتطلب من الشيوعيين إعادة بناء نشاطهم النقابي. لذلك، وفي أيلول عام ١٩٢٩ تم اتخاذ قرار بتحويل رابطة الدعاية النقابية إلى رابطة الوحدة النقابية، التي كان يجب عليها أن تصبح مركزاً تنسيقياً للنقابات التقدمية المستقلة ومجموعات الأقليات اليسارية في الاتحادات الإصلاحية للفدرالية الأمريكية للعمل. بيد أن الحزب الشيوعي غالباً ما كان يضع ركيزة لا مبرر لها لإنشاء نقابات ثورية خاصة، أما العمل داخل اتحادات الفدرالية

---

(١) Historical statistics of the United, p. 1073.

(٢) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث، الجزء ١، ص ١٨٠.

الأمريكية للعمل إذ كانت تتمركز هناك الكادرات الأساسية المنظمة للبروليتاريا فقد تراجع إلى المقام الأخير(١).

إن كل ذلك أعاق إقامة روابط وثيقة للشيوعيين مع الجماهير.

ولقد ظهرت نزعات خاطئة أيضاً في عمل الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية بين الزنوج. إذ أخضع الشيوعيون للشك المسألة المتعلقة بالسكان الزنوج التي طرحت من قبلهم سابقاً، كجزء لا يتجزأ من الأمة الأمريكية. لقد أخذوا أكثر فأكثر يتنازلون عنها باتجاه اعتبار الزنوج الأمريكان أمة خاصة، متجاهلين بصورة تامة عملية التفكك التقدمي لمنظومة المزارع الكبيرة في الجنوب. وعلى هذا الأساس طرح شعار حقوق زنوج الولايات المتحدة الأمريكية في تقرير المصير وفي إنشاء دولة زنجية مستقلة في مناطق ما يسمى بـ«الحزام الأسود». وفي عام ١٩٢٨ وبموافقة المؤتمر السادس للكومنتيرن دخل هذا الشعار ولفترة طويلة في الوثائق البرنامجية للحزب الشيوعي. إن ذلك المسلك تجاه حل المسألة الزنجية كان غير صحيح، لأنه كان يعيق توحيد جهود الكادحين السود والبيض في النضال ضد العدو المشترك.

لقد أصبح وضع الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر تعقيداً بسبب نشوب صراع تكتلي حاد في صفوفه، اكتسب في أكثر من مرة طابعاً ضارياً. لقد تشكل وضع صعب في الحزب الشيوعي الأمريكي أواخر أعوام العشرينيات. وبرزت تحت تأثير الإيديولوجية البرجوازية مجموعة انتهازية يمينية قوية في صفوف الحزب بقيادة ج. لوفستون، الذي احتل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية في آذار عام

---

(١) Foster W. Z. History of the Communist party of the United states. N. Y., 1952, p. 257- 258

١٩٢٧ بعد وفاة تش. روتينبيرغ. إن المبالغة في قوة الرأسمالية الأمريكية وعدم رؤية عوامل الهشاشة للاستقرار الرأسمالي أدى إلى وقوف لوفستون وأنصاره كدعاة نشطاء للنظرية المدافعة عن «الاستثنائية الأمريكية». وأكدوا غرار القيادة الإصلاحية للفدرالية الأمريكية للعمل أن الولايات المتحدة الأمريكية حققت الاستقرار الكامل، وإن الأزمة الاقتصادية لا تشكل تهديداً بعد الآن المر الذي يعني أنه لا توجد أية آفاق لتزايد الصراع الطبقي في البلاد.

فحسب «نظرية» لوفستون استمرّت الرأسمالية الأمريكية بالتطور في القرن العشرين أيضاً بخط صاعد، بحيث أدى ذلك إلى تحسن مستمر في وضع الكادحين وتخفيف التناقضات الطبقية من وجهة نظر الانتهازيين[1].

قوبلت انتهازية لوفستون وأنصاره بالصد من جانب أنصار النواة الماركسية اللينينبة للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية الذين توحدوا حول او. ز. فوستر. لكن مجموعة لوفستون شكلت الأغلبية في الهيئات القيادية للحزب حتى عام ١٩٢٩. لقد تمَّ التغلب على الأزمة الجدية التي عاشها آنذاك الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الأممية الشيوعية فقط. وحقق الشيوعيون الأمريكان بدعم من اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية هزيمة فكرية للانتهازيين اليمينيين وطردوا لوفستون وأنصاره من صفوفهم في تموز عام ١٩٢٩. تطابقت هذه الأحداث مع بداية الأزمة الاقتصادية العميقة، التي بعثرت في إدراج الرياح نظرية «الاستثنائية الأمريكية» وغيرها من البنى اللوفستونية «العلمية» على السواء.

---

(١) غريتشوخين. أز أ: نضال الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل وحدة صفوفه. (١٩٢٧ - ١٩٧٢). موسكو، ١٩٧٥، ص ٣٦، ٣٨.

الفصل السادس

السياسة الخارجية (١٩٢٤- ١٩٢٩)

خطط داوس ويونغ

ميثاق بريان - كيللوغ

لقد عززت الولايات المتحدة الأمريكية مواقعها كدائن دولي في سنوات استقرار الرأسمالية النسبي، وانجذبت بصورة أوسع وأعمق إلى منظومة العلاقات الاقتصادية العالمية. إذ حققت الاتحادات الاحتكارية الأمريكية أرباحاً خيالية في سنوات ١٩٢٤- ١٩٣٠ زادت قيمتها على ٥٣ مليار دولار (قبل حسم الضرائب)، ونمت كذلك بعد أعوام الحرب نتيجة توريد البضائع والقروض إلى أوروبا المهدمة بسبب الحرب. وبلغ مقدار ديون الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدول الأجنبية حتى عام ١٩٢٣ ٦, ١٠ مليار دولار، ومع حساب فوائد الديون ٨, ١١ مليار. كانت إنكلترا هي المدينة الرئيسية لها- ٤٦٠٠ مليون دولار، وتأتي فرنسا بعدها- ٣٩٩٩ مليون ثم إيطاليا- ٢٠١٥ مليون(١).

سعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كمعبرة عن إرادة الأوساط الاحتكارية المالية أن لا تربط نفسها بأي اتحادات اقتصادية أو سياسية مع رابطة الأمم ومع بعض الدول. لقد اندفع الرأسمال المالي الاحتكاري في الولايات

---

(١) Flsk h.The inter- Atty Debts; An Analysis of War and post- War. Public Finance, 1914- 1923. N. Y. P. 1924, D. 3, 7.

المتحدة الأمريكية بحمايةٍ من الحكومة إلى كل أنحاء العالم، وإلى كل القارات وبصورة خاصة إلى أوروبا المفلسة بسبب الحرب، وذلك بعد أن خلق لنفسه قوة دولارية لم يسبق لها مثيل. كأن النشاط السياسي الخارجي لوزارتي المالية والتجارة والحربية وكذلك وزارات الدولة خاضع بأسره لمصالح الاحتكارات. لقد ضيقت الولايات المتحدة الأمريكية المجال على منافسيها في الأسواق العالمية منتهزة في ذلك ضعف مواقعهم. اشتكت الصحيفة الإنكليزية «ديلي نيوز» بأن مصالحنا تقدم في كل مكان كضحية للولايات المتحدة...»[١] فإذا كانت إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية تمتلكان ثقلاً متساوياً في الاستيراد من اليابان عام ١٩١٤، ففي عام ١٩٢٧ انخفضت حصة إنكلترا حتى ٧%، أما حصة الولايات المتحدة الأمريكية فقد زادت حتى ٣٠%. وفي عام ١٩١٣ بلغت حصة إنكلترا في الاستيراد الصيني ١٦,٣%، والولايات المتحدة الأمريكية- ٦%، أما في عام ١٩٢٦ وفقاً للترتيب السابق ١٠,٢ و ١٦,٤%. كانت نجاحات الولايات المتحدة الأمريكية أكثر وضوحاً في أمريكا اللاتينية، فمنذ عام ١٩١٣ حتى عام ١٩٢٧ زادت حصة الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لاستيراد ٢٠ جمهورية في أمريكا الوسطى والجنوبية من ٢٤ حتى ٣٨%، أما حصة إنكلترا فقد انخفضت من ٢٥ إلى ١٦%[٢]. يجب الإشارة إلى أن السوق الأوربية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية استمر بالبقاء رئيسياً. إن بلدان أوروبا قد امتصت تقريباً ٥١% من التصدير الأمريكي العام آنذاك، أما استيراد الولايات المتحدة الأمريكية من أوروبا بالنسبة إلى استيرادها العام فبلغ ٣٠% فقط.

---

(١) Daily News. 1924, Ape. 3.

(٢) كلود. أ. إلى أين تسير الإمبريالية الأمريكية. موسكو. عام ١٩٥١، ص. ٢٠- ٢١.

ولقد نمت بنفس الوقت توظيفات الرأسمال الأمريكي في البلدان الأجنبية. إذ تمَّ توظيف الرأسمال «الزائد» هناك على شكل قروض حكومية خارجية، وديون للاتحادات الاحتكارية واستثمارات خاصة للأفراد. بلغ حجم الاستثمارات الأمريكية في الخارج دون الأخذ بالاعتبار القروض الحربية التي وصلت إلى ١٢ مليار دولار، مبلغ ٩٥٢٢ مليون دولار[1]. احتلت التوظيفات المباشرة مكاناً خاصاً: شراء كميات من الأسهم تعطي لها السيطرة على المؤسسات الأجنبية، وفتح فروع أو مشاريع تابعة لمؤسسات الاحتكارات الأمريكية. وليس من النادر أن استطاعت فروع البنوك والشركات الصناعية الأمريكية ابتلاع بعض الشركات الأوروبية. ففي فرنسا تم الاستحواذ بصورة رئيسية على المواقع المتعلقة بإنتاج المعدات الكهربائية والهاتفية والسينما كذلك. وأصبح إنتاج الحديد، والفولاذ، والطاقة الكهربائية، واستخراج الفحم في بولونيا، تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية.

لم تكن احتكارات الولايات المتحدة الأمريكية تفضل أن تعطي البلدان الأوربية استثمارات تابعة للدولة، وإنما استثمارات مباشرة- لإنشاء فروع للمؤسسات الأمريكية. لقد حازت الصناعة التحويلية على اهتمام خاص (بناء الآلات، والكيمياء). وحسب المعطيات الرسمية لوزارة التجارة كان يوجد عام ١٩٢٩ في ألمانيا ١٨٦ مؤسسة أمريكية برأسمال قدره ٢١٦ مليون دولار، وفي فرنسا - ٢٠٣ برأسمال قدره ١٤٥ مليون دولار، وفي إنكلترا- ١٦٩ مؤسسة بحصة للرأسمال الأمريكي بلغت أكثر من ٢٥%[2]. كانت الاتحادات الاحتكارية

---

(١) Congressional Recorol, vol. 68, pt 2. P. 1879.

(٢) زاخماغوفا. م. ر: توسع الرأسمال الخاص للولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا الغربية- موسكو ١٩٦٠.

الأمريكية تنظر إلى إنشاء مؤسسات في بلدان أوروبا وغيرها من القارات، كوسيلة هامة للتغلب على حواجز التعريفات، والحصول على أرباح الحد الأقصى، والصراع من أجل أسواق التصريف، والإشراف في مجالي الاقتصاد والسياسة.

وقد أظهر الرأسمال الأمريكي اهتماماً بالغاً تجاه مناطق وجود الخامات كذلك. إذ قدمت حكومة كوليدج المساعدة الفعالة للاتحادات الاحتكارية في صراعها من أجل النفاذ إلى الخارج، إلى مناطق وجود المواد الخام، وقبل أي شيء إلى النفط، والكاوتشوك، الضروري جداً من أجل صناعة السيارات المتطورة. كانت وزارات الدولة تساعد أرباب العمل على التغلغل في مناطق استخراج النفط. إذ تمكنت شركتي «ستاندارد اويل» و«غالف» وغيرهما من الشركات النفطية في الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الحكومة من شراء أسهم في الشركات الإنكليزية، والفرنسية، والهولندية للإنتاج والإشراف على المصادر النفطية في إيران، وكولومبيا، وفنزويلا، والمكسيك - ولقد تمت ممارسة سياسة مشابهة كذلك بالنسبة للكاوتشوك والنحاس، وغيرها من المواد الخام المهمة. إذ حصلت شركات النحاس الأمريكية في أعوام العشرينيات على امتياز الإشراف على ٩٥% من الإنتاج الرأسمالي العالمي للنحاس، وتحكمت بالأسعار في السوق الرأسمالية العالمية.

وقد شجع هاردينغ، وكوليدج، وهوفر على إنشاء كارتيلات ضخمة متعددة الجنسية. وكانت وزارة التجارة تتصرف كمندوب تجاري متجول يسوّق للبضائع الأمريكية[1].

---

(١) Posenberg E.S. Spreading the American Dream, American Economic anol eulturul Expansion, 1890- 1945. N. y., 1982, p 134- 135, 140

إذ سلكت حكومة كوليدج في بياناتها سلوكاً مشابهاً للبنوك الخاصة الكبيرة بأنها روّجت لفكرة تقديم القروض لأوروبا المنكوبة بسبب الحرب بهدف الإسراع في إعادة بناء اقتصادها. أما بطبيعة الحال فقد كانت تسعى للإثراء على حساب الديون الأوروبية والفوائد عليها. كانت الإدارة الأمريكية مهتمة بصورة خاصة بأن تستطيع ألمانيا المستعيدة لاقتصادها دفع التعويضات الحربية.

وقد أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على نفسها بهذه المناسبة المبادرة في الإعداد لخطة متعلقة بمسألة التعويضات، التي أصبحت حسب رأي الأمريكيين عقبة جدية على طريق إنعاش الرأسمالية الأوربية العالمية. إذ تمَّ إنشاء لجنة عالمية من الخبراء لحل مسألة التعويضات، وقد دخل في عضويتها ممثلو الدول الخمس المنتصرة في الحرب: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا. صاغت هذه اللجنة برئاسة المصرفي الأمريكي تشارلز داوس خطة عام ١٩٢٤، للنظر في التعويضات المطلوبة من ألمانيا. وأصبحت معروفة في الأدبيات بـ «خطة داوس». اعتبر مؤلفو هذه الخطة أن إنعاش ألمانيا سيتم بدقة كاملة من خلال دفع التعويضات الحربية لفرنسا وإنكلترا، وهاتان الأخيرتان بدورهما ستدفعان الديون الحكومية للولايات المتحدة.

قدَّم مصرفيو الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى حسب «خطة داوس» قروضاً بقيمة ٨٠٠ مليون مارك (٢٠٠ مليون دولار) إلى ألمانيا، ذهب نصفها إلى «بيت آل مورغان» المصرفي.

وأُلزمت ألمانيا دفع مليار مارك من التعويضات (٢٥٠ مليون دولار) في السنة الأولى ثم زيادة الدفع بعد ذلك حتى ٢,٤ مليار مارك في العام. وحتى

عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ لم يتم تحديد المبلغ العام للتعويضات من ألمانيا بصورة نهائية. ومع إقرار «خطة داوس» في كونفرانس لندن في آب عام ١٩٢٤، فتحت إمكانيات جديدة بالنسبة للرأسمال في الولايات المتحدة الأمريكية للتغلغل في اقتصاد ألمانيا. وفي الفترة الواقعة بين أعوام ١٩٢٤- ١٩٢٩ حصل الأمريكيون على ٨٠% من الرأسمال الذي ذهب كقروض للمؤسسات الألمانية المستدينة، و٧٥%من القروض الممنوحة للحكومات المحلية، أي الأرض الألمانية، و٥٠%- من الاتحادات الاحتكارية الألمانية الكبيرة[١]. تمَّ تطبيق «خطة داوس» بضغط من المصرفيين الأمريكان وحكومة كوليدج، وكانت الغاية منها تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى ومن ثم ألمانيا. لقد أكد المستشار السابق لألمانيا فيرت في إحدى كلماته في شيكاغو أن «مساعدتكم ساعدت بلادي كثيراً لتجنب الكارثة الاجتماعية»[٢]. إن تقديم المساعدة لاستقرار الصناعة الألمانية في تلك المرحلة ساعد بصورة عامة المنظومة الاقتصادية والاجتماعية للرأسمالية في أوروبا أيضاً. ومع ذلك فإن هذه المساعدة في بعث الإمبريالية الألمانية أخفت داخلها خطراً كبيراً لا على الشعب الألماني فقط، وإنما على شعوب البلدان الأخرى أيضاً.

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن توقع اتفاقية مع حكومات بريطانيا العظمى، وبلجيكا، وتشيكوسلوفاكيا حول تسديد بعض أقساط ديونها الحربية، الأمر الذي أدى إلى تخفيف وقتي للتناقضات بين الدول الرأسمالية.

لقد صور المؤرخون والناشرون البورجوازيون الأمريكان «خطة داوس» كشاهد على «سياسة السلم». بيد أن الواقع شهد سعياً واضحاً من

---

(١) Ibid. p. 151.

(٢) Workers Monthly, Chicago, 1925, Nov. p. 7.

حكومة كوليدج، والوول- ستريت لتحويل ألمانيا إلى «شريك مأمول» واستخدامها بمنزلة ثقل موازن لإنكلترا وفرنسا في أوروبا، وإعاقة تنظيم علاقات طبيعية بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي، وعدم السماح بنمو الحركة الثورية في أوروبا. وبدورها أخذت تبرز المسألة المتعلقة بتسوية العلاقات السياسية لألمانيا مع بلدان الائتلاف، وانضمامها إلى عصبة الأمم.

وبعد الموافقة على «خطة داوس» أيدت الدبلوماسية في الولايات المتحدة الأمريكية إنكلترا التي بدأت وتحت غطاء المحادثات حول «ضمانات الأمن الأوروبي» بتنظيم تحالف سياسي بين بلدان أوروبا الغربية (بمشاركة ألمانيا)، ضد الاتحاد السوفييتي. ولتحقيق هذه الخطة تمَّ عقد مؤتمر بحضور ممثلين عن كل من بريطانيا العظمى، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا، وكذلك بولونيا وتشيكوسلوفاكيا، في البلدة الاصطيافية السويدية لوكارنو عام ١٩٢٥. وفي ختام المؤتمر الذي امتد من ٥ إلى ١٦ تشرين الأول تمَّ توقيع ٨ اتفاقيات، كان أهمها ميثاق ضمان الرين، الذي أكد ثبات حدود ألمانيا في الغرب- مع فرنسا وبلجيكا، المقررة في معاهدة فرساي للسلام. وقد أخذت بريطانيا العظمى وإيطاليا على عاتقهما «ضمان» ذلك. ودخل ميثاق الضمان حيز التنفيذ بعد قبول ألمانيا في عصبة الأمم- ١٤ أيلول عام ١٩٢٦[1]، وإلى جانب ذلك انتهت العزلة الدبلوماسية لألمانيا من جانب بلدان الغرب.

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تشارك شكلياً في مفاوضات لوكارنو أو في صياغة اتفاقياتها، مارست تأثيرا قوياً على سير المفاوضات ونتائجها. «لقد لاحظ أرنست تيلمان في كلمته التي ألقاها في

---

(١) انظر بالتفاصيل: مؤتمر لوكارنو عام ١٩٢٥: وثائق. عام ١٩٥٩.

الرايخستاغ ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٢٥، أن الرأسمال المالي الأمريكي، الذي كان ينظر إلى أوربا كمستعمرة كبيرة، والذي يستطيع أن يستخلص منها مكاسب كبيرة- عمل كثيراً وبحماس على عقد معاهدة لوكارنو»[١]. لقد رأت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المعاهدة ضمانة بالنسبة لرساميلها في أوروبا، وكذلك إمكانية تشكيل تكتل معادٍ للسوفيت في أوروبا. وفي الرسالة السنوية للرئيس كوليدج إلى الكونغرس في كانون الأول عام ١٩٢٥، اعترف بحقيقة ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية التأثير في مسألة صياغة اتفاقيات لوكارنو والموافقة عليها، والتي كان ينظر إليها كضمانة واضحة بالنسبة لاستثمارات الرأسمال الأمريكي وقروضه في أوروبا، وكذلك كوسيلة لتحقيق تلك الاتحادات السياسية للدول في أوروبا، والتي ستسمح لواشنطن بأن تشغل دور الزعيم والحكم. وقد صور كيللوغ سكرتير الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية اتفاق الإمبرياليين في لوكارنو «كإنجاز بارز»[٢].

أخذ اقتصاد ألمانيا يتطور بسرعة بمساعدة الرساميل الأمريكية. وفي عام ١٩٢٧، لم تصل ألمانيا فقط إلى مستوى ما قبل الحرب من إذ التطور الاقتصادي، وإنما تفوقت عليه في عدد من المجالات، واستعادت البلاد قدرتها الصناعية.

وفي عام ١٩٢٨ طرحت ألمانيا على بساط البحث مسألة جلاء قوات الحلفاء عن أراضي منطقة الرين، الموجودة هناك كضامنة لتنفيذ ألمانيا لمعاهدة فرساي للسلام.

---

(١) تيلمان. أي: مقالات وخطب مختارة: نحو تاريخ الحركة العمالية الألمانية. الجزء ١- ٢ موسكو ١٩٥٧- ١٩٥٨، الجزء الأول، ص ١٩٦- ١٩٧

(٢) Congressional Recopd, vol. 67, p. 906- 907.

وفي نهاية عام ١٩٢٨ والنصف الأول من عام ١٩٢٩تمَّ طرح مسألة التعويضات من جديد في جدول الأعمال. وشاركت الولايات المتحدة الأمريكية في لجنة الخبراء الماليين حول مسألة التعويضات، التي أُنشئت من قبل فرنسا، وبريطانيا العظمى، وإيطاليا، واليابان، وبلجيكا وألمانيا، والتي ترأسها الخبير الأمريكي غير الرسمي أو. يونغ، وهو أحد الذين وضعوا «خطة داوس»، والمصرفي ج. ب. مورغان. وفي ١٢ شباط عام ١٩٢٩ صرَّح ممثل ألمانيا في لجنة الخبراء، أن بلاده ليست قادرة على دفع ٢,٥ مليار مارك كل عام. وقد جرت مناقشات طويلة في اللجنة حول دفع التعويضات السنوية من قبل ألمانيا، واقترح يونغ مشروعه المتعلق بالدفع من جانب ألمانيا، وتمت الموافقة على هذه الخطة في ٧ حزيران عام ١٩٢٩. وفيما بعد تمَّ وضع «خطة يونغ» للمناقشة في المؤتمر الدولي لـ ١٢ دولة الذي افتتح أعماله في ٦ آب عام ١٩٢٩ في غاغا، وحضرت الولايات المتحدة فيه كـ «حكم». وحسب «خطة يونغ» تمَّ إقرار المقدار العام للتعويضات المستحقة الدفع من قبل ألمانيا بمبلغ ١١٣,٩ مليار مارك يتم تسديدها خلال عدة عشرات من السنين. وتمَّ إلغاء إشراف الحلفاء على اقتصاد ألمانيا وماليتها[1].

لم تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق سيطرة مالية قوية في ألمانيا. ومع ذلك كانت «خطة يونغ» تفتح إمكانيات جديدة لبعث القدرة الاقتصادية والحربية لألمانيا .وهكذا سرّعت سياسة داوس المتعلقة بألمانيا من اقتراب الحرب الثانية. لقد حصلت ألمانيا على قروض أمريكية خاصة في الفترة

---

(١) انظر التفصيلات في: تاريخ الدبلوماسية: الأجزاء من ١- ٥، عام ١٩٥٩- ١٩٧٩، الجزء الثالث ص ٣٦٦- ٣٧٧.

الممتدة بين ١٩٢٤ - ١٩٣٠ بلغت تقريباً ٢,٥ مليار دولار، ودفعت تعويضات حسب «خطة داوس» نحو ٢ مليار دولار، أما الحلفاء السابقون فقد دفعوا ديوناً عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بمقدار ٢٦٠٦ مليون دولار، أي أكثر من القروض المقدمة من قبل البنوك الأمريكية إلى ألمانيا[1].

لقد حققت ألمانيا عام ١٩٢٩ زيادة في الإنتاج الصناعي بلغت ١٣% عما كانت عليه قبل الحرب، وشغلت المكان الثاني في العالم الرأسمالي بإنتاج وتصدير الآلات، والمكان الأول في إنتاج المحروقات التركيبية والكاتشوك الصناعي، ونمت حصة ألمانيا بالنسبة للتصدير العالمي من ٧,٥% عام ١٩٢٤ حتى ٩,١٠% في عام ١٩٢٩ (بلغت حصة الولايات المتحدة ٥,١٧% عام ١٩٢٩، وإنكلترا- ١,١٢% في نفس العام[2]). كانت «خطة داوس» تعزز مواقع الاحتكارات في ألمانيا، لكنها لم تحسن من أوضاع الكادحين. لقد اتبعت إدارة كوليدج والأوساط المالية في الولايات المتحدة الأمريكية سياسة قاسية تجاه البلدان الأوروبية- المستدينة. إذ رفضت أي فكرة متعلقة بإلغاء الديون الحربية، محققة بمثابرة استعادة الديون مع الفوائد. اتخذت الحكومة الفرنسية في نهاية عام ١٩٢٥ عدداً من الخطوات الدبلوماسية في محاولة منها للحصول على تأجيل في دفع الديون لمدة ١٠ سنوات، لكنها جوبهت من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بردود فعل سلبية.

---

(١) Wells, S. The Time for Decision N. Y. 1944, p. 321

(٢) البلدان الرأسمالية في عام ١٩١٣، وأعوام ١٩٢٠ - ١٩٣٦. المجموعة الإحصائية- موسكو ١٩٣٧، الجزء ٢، ص ٣٠٨- ٣٠٩. وابنوزيمتسيف. ن، الامبريالية الأمريكية والمسألة الألمانية (١٩٤٥- ١٩٥٤) موسكو ١٩٥٤، ص ٢٥.

لقد فرضت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على حكومة فرنسا اتفاقية مسبقة مهينة (ميللون - بيريندج)، ألزمت فرنسا من خلالها أن تدفع للولايات المتحدة الأمريكية من قروضها العسكرية العامة البالغة ٤٢١١ مليون دولار مبلغ ٢٠٠٨ مليون دولار بالذات، وهو أقل بقليل من ٥٠% من حجم ديونها للولايات المتحدة. لقد تمَّ تثبيت مدة دفع القرض - بـ ٦٢ سنة بمتوسط فائدة قدرها ١,٥، الأمر الذي يؤدي إلى أن تدفع فرنسا للولايات المتحدة الأمريكية خلال هذه المدة مبلغ ٦٨٤٨مليون دولار. لم يتم تصديق هذه الاتفاقية من قبل فرنسا، وأثارت فيها ردود فعل عاصفة معادية لأمريكا. قاومت فرنسا «العم شيلوك» (هكذا سمت البلدان الأوروبية المستدينة الولايات المتحدة الأمريكية الدائنة)، بصورة أكثر حزماً من إنكلترا التي كانت أول من وافق في عام ١٩٢٣ على دفع الديون التي بلغ مقدارها ٤١٠٠ مليون دولار خلال ٦٢ عاماً، وبإذ بلغت مع فوائدها ١١,١ مليار دولار. كتبت الصحيفة اللندنية «ديلي ميل» في عام ١٩٢٦: «إن بريطانيا تحولت إلى محصل للقروض الواجب دفعها إلى الولايات المتحدة، لكننا وخلافاً لأغلبية محصلي الديون نحصل فقط على الكراهية ودون أية منافع[1]».

كانت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر تساهل تجاه إيطاليا الفاشية، فقد كانت تستعيد منها ٠.٠٤% من القروض، وتم تخفيض ديون إيطاليا لأكثر من ٨٠%.[2].

---

(١) استشهد من: Workers Monthly, Chicago, 1926, Oct., p. 531

(٢) يا كوفليف. ن. ن. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، ١٩١٧ - ١٩٦٠. موسكو - ١٩٦١، ص ١٠٤.

لقد وجه وزير الخارجية ف. كيللر مذكرتين إلى الحكومة الرومانية في آذار ونيسان من عام ١٩٢٥ تحتويان على تدابير لا تقبل التأجيل لحل مسألة القروض. وكذلك تم توجيه مذكرات مماثلة إلى حكومات بلجيكا، وتشيكوسلوفاكيا. وقد بلغ عدد البلدان المستدينة ١٧ بلداً[١].

أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تبدي اهتماماً خاصاً تجاه بولونيا، بعدما حدث انقلاب هناك، ووصلت إلى السلطة حكومة بيلسودسكي. إذ أسرع وزير الخارجية ومعه الأوساط المالية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال مستشاريهم الماليين وغيرهم من المستشارين الآخرين من أجل تقديم «المساعدة» لبولونيا، وكذلك بهدف جمع المعلومات حول إمكانيات توسيع الاستثمارات الأمريكية.

أما بالنسبة للمجر التي تشكلت في عام ١٩١٨ فقد كان النهج السياسي الخارجي لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية موجهاً نحو خنق الثورة الاشتراكية. إذ نظمت حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من بلدان الائتلاف تدخلاً من قبل القوات العسكرية لكل من فرنسا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا في أراضي المجر الثورية، معتمدين في ذلك على القوى الرجعية في المجر نفسها. وأعلنوا «حصار الجوع» عليها. وفي مجرى الصراع غير المتكافئ سقطت الجمهورية السوفييتية المجرية، بعد أن عاشت ١٣٣ يوماً فقط. وأقيمت دكتاتورية فاشية في البلاد من قبل البورجوازية الكبيرة والإقطاعيين برئاسة هورتي، وحلَّ الإرهاب إذ قتل ما يقارب ٢٠ ألف عامل

---

(١) سدد المستدينون الحربيون إلى الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٣٦، عندما توقف التسديد نهائيا، كمبالغ على القروض ما يبلغ ٢,٧ مليار دولار. المصدر السابق.

طليعي وثوري . وأسرعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مساعدة هذا النظام، مقدمة له وفرة من المواد الغذائية والقروض.

وقد ساعد استقرار النظام المضاد للثورة في المجر إدارتي رئيسي الولايات المتحدة الأمريكية هاردينغ وكوليدج بصورة كبيرة. إذ أخذ المصرفيون الأمريكان يوظفون رساميلهم عن طيب خاطر في اقتصاد المجر، واضعين تحت حمايتهم نظام هورتي. وقد لعب دوراً كبيراً في ذلك «بيت شبيير» المصرفي النيويوركي. وفي عام ١٩٢٥ حصلت المجر على قرض أمريكي مقداره ٩ مليون دولار. فرض التزامات اقتصادية وسياسية ثقيلة أفقدت بصورة محسوسة سيادة الدولة. وفي ٢٤ حزيران عام ١٩٢٥ وقعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة مع مجر الدكتاتور هورتي حول الصداقة، والتجارة، وكذلك اتفاقية متعلقة بالمسائل القنصلية[١].

ولم تكن علاقات صداقة الولايات المتحدة بأقل تجاه الدكتاتورية العسكرية الفاشية للجنرال بريمو دي ريفيرا في أسبانيا، إذ قدمت له الدعم. وبعد إسقاط الملكية وإعلان الجمهورية في إسبانيا عام ١٩٣١ نتيجة الثورة البورجوازية الديمقراطية، لم تهمل الولايات المتحدة الأمريكية الإمكانيات المتاحة للتأثير عليها. لم تكن الروابط التجارية- الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا تتطور على نحو مستقر، وبدون نزاعات. فقانون تحريم تجارة المشروبات الروحية (التعديل على دستور الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الثامن عشر) أحدث ضرراً لإسبانيا التي كانت تورّد الخمر

---

(١) بالتفصيل يمكن مراجعة: العلاقات الأمريكية- المجرية لأعوام ١٩١٨- ١٩٦٠. بودابست، ١٩٦١ ص ١٦- ٢٦.

بكميات كبيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقوضت قيمة العملة الوطنية الإسبانية (البيزيت) في حركة السوق العالمية. وبنفس الوقت سعى الرأسمال الأمريكي ما أمكنه أن يتغلغل بصورة أعمق في اقتصاد إسبانيا الضعيف. وقد فاق التصدير من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسبانيا الاستيراد منها بأكثر من مرتين[1].

وهكذا فإن الحكومة الأمريكية كانت تدعم الروابط مع البلدان التي ترسخت فيها دكتاتوريات فاشية أو ملكية عسكرية. واستطاعت الاحتكارات الأمريكية في أعوام العشرينيات أن تتوغل بصورة واسعة في اقتصاد عدد من البلدان الأوروبية الرأسمالية.

مارست الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، التوسع الاقتصادي، متسترة بالشعارات الانعزالية. لقد أشار السناتور هـ. جونسون في سياق وصفه لسياسة حكومة كوليدج الخارجية إلى «أننا لسنا منعزلين عن أوروبا لا في روابط العمل، ولا في العلاقات المالية والتجارية»[2]. وفي هذه الأعوام تمَّ إعطاء أهمية كبيرة في واشنطن لبناء الأسطول البحري الحربي، لتأمين سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية في البحر. لقد اتخذ كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية قراراً في نهاية عام ١٩٢٤ لبناء ثماني بوارج مسلحة بمدافع من عيار ٨ بوصات (بحمولة ١٠ آلاف طن)[3]. وباندفاع كذلك نما الأسطول التجاري أيضاً.

---

(١) Cortada j.w. Two Nations over Time Spain and the United ctates, 1776- 1977. West- port (conn); longon, 1978, p. 175.

(٢) Congressional Record, vol. 65, pt 4, p. 3147.

(٣) Ellis L.E. Republican Foreign Policy, 1921- 1933. New Brunswisk (N.G), 1968, p. 140.

تكلم كوليدج في رسالته السنوية إلى الكونغرس في كانون الأول عام ١٩٢٦، أن الولايات المتحدة الأمريكية تحافظ في البلاد، وفي البحر وفي الخارج على جيش احتياطي قوامه ٦١٠ ألف شخص تقريباً، وعلى إنفاق عسكري بلغ رصيده ٦٨٠ مليون دولار في عام ١٩٢٦.كانت هذه الأرقام في تلك الأوقات لا يستهان بها. «لقد صرح الرئيس يقول: إننا أقوياء بما فيه الكفاية، إذ لا يستطيع أحد بأن يتهمنا بأننا ضعفاء إذا لم نغضب مباشرة»(١).

أعدت الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية كانون الأول عام ١٩٢٦ مشروع قانون حول بناء ١٠ بوارج. وعبّر كوليدج ، في الرسالة الموجهة إلى الكونغرس والمنوه عنها، عن الاستعداد للترويج للصيغة الأمريكية ٥: ٥: ٣ (بريطانيا العظمى، والولايات المتحدة الأمريكية واليابان) لبناء أنواع أخرى من السفن. وفي آب عام ١٩٢٧ عُقد في جنيف مؤتمر لممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى واليابان حول المسائل الحربية البحرية. وتمت مناقشة مسألة تقوية الأسطول في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية وعلى صفحات الصحافة. (تحدث الرئيس كوليدج في عام ١٩٢٧: إنني إلى جانب الاستعداد العسكري. إن هذا الأمر يحوز على الاهتمام نفسه الذي كنت أعطيه لقضية المخصصات المالية التي ذكرتها في رسائلي إلى الكونغرس)(٢).

لقد اصطدمت نظرية «الحاجات المطلقة» البريطانية في الأسطول بالمطلب الأمريكي حول «الحرية الكاملة بتسليح السفن»(٣).

---

(١) Congressional Recrd, vol. 68, pt, p. 34.

(٢) Ibid, pt 3, p. 3056.

(٣) Ellis L. E. Repubeican Foreign policy, p. 144- 149.

لم يتم التوصل إلى اتفاق وفشل المؤتمر[1]. وفي كانون الثاني عام ١٩٢٨ أعلن وزير البحرية ك. ويلبورغ وهو يتحدث دفاعاً عن مشروع القانون الدوري المقدم إلى الكونغرس حول اعتماد ٧٢٥ مليون دولار لبناء ٢٥ بارجة كبيرة، وخمس حاملات للطائرات، وتسع مدمرات و٣٢ غواصة، أن وزارته غير معنية بأن تأخذ بعين الاعتبار البرامج البحرية للدول الكبرى الأخرى. وبمنزلة دليل على ذلك تذرع بضرورة «الدفاع عن التجارة»: «يجب على تجَّارنا وأصحاب مصانعنا أن يمتلكوا إمكانية الحفاظ على الأسواق الأجنبية التي يمكن أن نتحكم فيها، وبمقدار ما يصبح الوضع في أوروبا طبيعياً، بمقدار ما يجب علينا التفتيش عن أسواق جديدة أيضاً من أجل منتجاتنا. إن تحدي العلم يحفز بصورة ملموسة نضال أرباب عملنا من أجل البحث عن أسواق تصريف جديدة، أما النجاح في هذا النضال فإنه متعلق إلى حد كبير بالسمعة التي يخلقونها لدولة البارجة»[2]. من المميز أن وزير الحربية د. ديفس طلب من الرئيس كوليدج أن يقدم أكثر من نصف مليار دولار بصورة إضافية من أجل تحسين إمداد العتاد العسكري[3]. وجرت استعدادات أخرى متعلقة بسلاح الجو والأسلحة الكيميائية.

رفض كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية المصادقة على البرتوكول المقر في جنيف في ١٧ حزيران عام ١٩٢٥، والموقع من قبل ممثلي الولايات

---

(١) راجع بالتفصيل: سولونتسوف ز. م. نضال الولايات المتحدة الأمريكية الدبلوماسي لأجل السيطرة على البحر وتناقض الدول الإمبريالية الكبرى. (أعوام ١٩١٨ - ١٩٤٥). موسكو. ١٩٦٢، ص (٥٤ - ١٢٧)، وايفانوف. ل، وسميرنوف. ب التنافس البحري الأمريكي الإنكليزي. موسكو. عام ١٩٣٣.

(٢) استشهاد بصحيفة البراندا، ١٩٢٨، ١٣ كانون الثاني.

(٣) المصدر نفسه.

المتحدة الأمريكية والكثير من البلدان الأخرى حول تحريم استخدام المواد السامة والأسلحة الجرثومية أثناء الحرب. وصرَّح بعض أعضاء مجلس الشيوخ أنه «من غير المعقول رفض» استخدام هذه الأسلحة في الحروب[1].

أقنعت إدارة كوليدج الرأي العام من خلال سعيها لتحقيق السيطرة على البحر، أن سياستها الخارجية كانت موجهه لتحقيق السلم العام. ورُسِّخ ذلك في العقول، وكأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تبحث عن منافع خاصة لنفسها، وإنما تريد «إمكانيات متساوية» فقط بالنسبة لجميع البلدان. إن رفض الدخول في عضوية عصبة الأمم، كان يُفَسر بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا ترغب بأن تكون منجذبة إلى النزاعات الأوروبية كما تزعم، ساعية من خلال ذلك أن تحتفظ بحرية في خطِّ سياساتها وإمكانية التأثير في تطور الأحداث في العالم.

ولأجل ذلك استخدمت الدبلوماسية الأمريكية بنجاح خطوة فرنسا السياسية. وفي الجواب على النداء الذي أدلى به وزير خارجية فرنسا ا. بريان في ٦ نيسان عام ١٩٢٧ لعقد اتفاقية ثنائية بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية حول تحريم الحرب، اقترح كيللوغ عقد معاهدة متعددة الأطراف، ودعوة كل الدول الكبيرة للتوقيع على بيان بهذا الخصوص. قرر كيللوغ استخدام مبادرة فرنسا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية - تأمين دور الحكم الدولي للولايات المتحدة الأمريكية وتوجيه ضربة إلى عصبة الأمم، وإلى سياسة دولها القيادية، وإضعاف تأثير المقترحات السوفيتية حول نزع السلاح الشامل. ولذلك، ليس من المصادفة أن المشروع السوفييتي حول نزع السلاح رَفَضَه مندوبو الولايات

(١) Eighth Annual National Convention of American Legion.

المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى وفرنسا وغيرها من البلدان في مؤتمر جنيف الذي عقد في آذار عام ١٩٢٧.

لقد وزعت حكومة الولايات المتحدة نص المعاهدة حول رفض الحرب إلى ألمانيا، وإنكلترا، وإيطاليا، وبولونيا، وفرنسا، وتشيكوسلوفاكيا، وبلجيكا، واليابان، وغيرها من الدول. وخلال عدة أشهر جرت مناقشات في برلمانات وصحافة الكثير من البلدان حول تلك المسألة. وكان واضحاً السعي لإبعاد الاتحاد السوفييتي عن المفاوضات في هذا الموضوع، الأمر الذي كشف الخطط الحقيقية للأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تسعى لعزل الاتحاد السوفييتي على المسرح الدولي. لقد استجاب مفوض الشؤون الخارجية للاتحاد السوفييتي في حينه لهذه الخطط، وأجبر حكومات الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا وبريطانيا العظمى على أن تعلن أن الاتحاد السوفيتي سيدعى لتوقيع هذه المعاهدة.

وفي ٢٧ آب عام ١٩٢٨ وقع ممثلو ١٥ دولة، في باريس معاهدة حول رفض الحرب كوسيلة للسياسة الوطنية، التي أخذت اسم معاهدة بريان-كيللوغ. انضمت بقية البلدان بما في ذلك الاتحاد السوفييتي إلى المعاهدة فيما بعد. لقد أعلن الاتحاد السوفييتي في بيان له عن انضمامه إلى معاهدة باريس في ٦ أيلول عام [1]١٩٢٨.

كانت المعاهدة تحتوي على معايير قانونية دولية مهمة، موجهه ضد الحرب العدوانية، على الرغم من أنها لم تتناول الضمانات من أجل تجسيدها في الحياة.

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: الجزء ١ - موسكو عام ١٩٥٧ -، والجزء ١١، ص ٥٠٣- ٥٠٦.

٢ - التوسع في أمريكا اللاتينية وكندا

كانت السياسة التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية عالمية ممتدة إلى جميع القارات. فإلى جانب الوسائل العسكرية، تطورت على خط التجارة، والاقتصاد، والمالية.

وقد مارس الرأسمال الأمريكي سياسة في نصف الكرة الأرضية الغربي تحت شعارات مذهب مونرو ووحدة القارة الأمريكية. وتحت ستار «الشراكة» كان يختبئُ السعي الدؤوب لرأسمال الولايات المتحدة الأمريكية الاحتكاري الذي كان يمتلك القوة الاقتصادية والمالية والعسكرية لإملاء إرادته على الدول ذات السيادة في أمريكا اللّاتينية.

سعى الرأسمال الأمريكي بمساعده ودعم الحكومة لتأمين وضع سيادي له في أمريكا اللاتينية وكندا، وإزاحة المنافسين والمزاحمين. وهكذا وفي عام ١٩١٣ بلغ حجم استثمارات الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الوسطى والجنوبية مبلغ - ٤٩٨٤ مليون دولار. وحتى عام ١٩٢٩ تغيرت هذه النسبة، فوصلت إلى ٥٥٨٧ مليون دولار، ثم إلى ٥٨٩١ مليون دولار[1].

لقد ذهب الرأسمال الأمريكي قبل الحرب العالمية الأولى إلى المكسيك وكوبا بالدرجة الأولى على شكل استثمارات مباشرة في الفروع التي يملكها الأمريكان أو الواقعة تحت إشرافهم. وفي أعوام العشرينيات أخذ رأسمال الولايات المتحدة الأمريكية يتغلغل بنشاط في بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية أيضاً. وبلغت الاستثمارات والتوظيفات في صورة أوراق مالية في أمريكا

---

(١) سليوزكين ل. يو. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الجنوبية أعوام (١٩٢٩ - ١٩٣٣). موسكو، ١٩٥٦، ص ٢٢.

اللاتينية ثلث جمع الاستثمارات الأمريكية في الخارج، ووصلت إلى ٥ - ٥ ,٥ مليار دولار تقريباً. وبلغت الفوائد التي أخذها المصرفيون الأمريكان من بلدان أمريكا اللاتينية نسبة عالية (٧-٨%) وهي أكبر من تلك التي أخذوها من بلدان أوروبا وكندا (٥%)، معللين ذلك بعدم الاستقرار السياسي في هذه المنطقة من العالم[1]. وفي كل الأحوال - فإنهم استفادوا من تخلفها وتبعيتها.

كانت الاستثمارات الأمريكية الأساسية موجهه إلى الصناعة الاستخراجية والزراعة، التي تعمل على التصدير. وقد وُظفت أكبر كمية من الرساميل في الصناعة النفطية. وفي عام ١٩٢٩ توزعت الاستثمارات المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية على الشكل التالي: الزراعة - ٨١٧ مليون دولار، والصناعة النفطية - ٦١٧ مليون دولار، وإنتاج المعادن - ٧٣٢ مليون دولار، وفي الفروع التي كانت تنتج المواد الخام تمَّ استثمار ما مجموعة ٢ ,٢ مليار دولار. أما في مؤسسات المرافق ذات الاستخدام المدني والمواصلات فبلغ حجم التوظيفات أقل بمرتين ونصف[2]. كانت الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بالحصول على الأرباح العالية، وليس في خلق ظروف مؤاتية لتطور متناسق في اقتصاد البلدان النامية الضعيفة. بلغت حصة أمريكا اللاتينية من المجموع العام لاستثمارات الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج والبالغ حجمها ٥ ,٩ مليار دولار - ٤٤%، وحصة كندا - ٢٧% أي ٧١% في نصف الكرة الأرضية الغربي، أي ما يزيد على مرتين على حجم الاستثمار في بلدان أوروبا، و٥ ,٥ مرة على حجم الاستثمار في آسيا وأوقيانوسيا[3].

---

(١) Wilson J. H. American Business and Foreign poliey, 1920- 1933.

(٢) يانتشوك. أي. أي. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية، ١٩١٨-١٩٢٨ موسكو، ١٩٨٢، ص ١٦٠.

(٣) Congressionul Record, vol. 68, pt 2, p. 1878, 2204.

إن أكثرية الاستثمارات المباشرة كانت من حصة الأرجنتين، وتشيلي، والبرازيل، والمكسيك، وكوبا. وقد بلغت حتى عام ١٩٢٩ في تشيلي ٣٣٢ مليون دولار، وبالدرجة الأولى في إنتاج النحاس. وفي الأرجنتين لنفس العام وصلت إلى ٣٣٢ مليون دولار، استثمر ٨٢ مليون دولار من أصلها في صناعة اللحوم. أما في البرازيل فقد ذهبت الاستثمارات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية قبل أي شيء إلى استخراج النفط وتكريره - ١٩٤ مليون دولار، وإلى المرافق المدنية والمواصلات - ٩٧ مليون دولار. لكن الاستثمارات المباشرة الأكبر ذهبت إلى كوبا والمكسيك. ولقد بلغ المجموع العام لاستثمارات الولايات المتحدة الأمريكية في اقتصاد كوبا ٩١٩ مليون دولار، ذهب منها مبلغ ٥٧٥ مليون دولار إلى الزراعة، وبالدرجة الأولى لإنتاج السكر. وللمرافق المدنية والمواصلات مبلغ - ٢١٥ مليون دولار. أما في المكسيك فإن الاستثمارات الأمريكية المباشرة وصلت إلى ٦٨٣ مليون دولار، وُظف مبلغ ٢٣٠ مليون دولار من أصلها في التعدين، و٢٠٦ مليون دولار - في استخراج النفط. و ١٦٤ مليون دولار - في المرافق المدنية[1]. لم تصبح البلدان التي حصلت على الديون والقروض الأمريكية أغنى من الناحية الاقتصادية مطلقاً. إذ إن القسم الأكبر من هذه الأموال ذهب إلى المجال غير الإنتاجي، وإلى شراء البضائع الصناعية الأمريكية، والأمر الرئيسي أنه - كان من الضروري دفع فوائد كبيرة من أجل هذه القروض، تراوحت في أحيان كثيرة بين ١٠% إلى ٣٠%.

كان الدائن يسعى للإمساك بالمستدين وجعله في حالة من التبعية الاقتصادية، من خلال التدخل في شؤونه الداخلية. لم يكن عملاء الولايات

---

(١) يانتشوك. أي. أي. – المصدر السابق، ص ١٧ - ١٨.

المتحدة الأمريكية في بلدان أمريكا اللاتينية، يتمتعون بالنزاهة ونظافة اليد، وكانت يتلقون الرشاوي منها.

أولت الولايات المتحدة الأمريكية مكاناً بارزاً للتجارة الخارجية في سياستها التوسعية في بلدان أمريكا اللاتينية، وأدت هذه التجارة إلى خلق أساس غير متكافئ. إذ كانت الولايات المتحدة التي تملك قوة اقتصادية ضخمة، وصناعة متطورة تفرض على البلدان ضعيفة التطور معاهدات عبودية. إذ عملت الولايات المتحدة على تصدير سيارات، وطائرات، ومعدات نفطية ونقل، وأجهزة راديو، وتلفون وغيرها من المنتوجات الصناعية إلى أمريكا اللاتينية وبأسعار مرتفعة، تدفعها كقاعدة من القروض والسلف المقدمة لها لقاء المواد الخام المستوردة مثل (النفط، والنحاس، والرصاص، والسكر، والقهوة، والقطن، والجلود، والفواكه... إلخ، والتي كانت تحوزها الولايات المتحدة بأسعار بخسة).إن نظام التعريفة في الولايات المتحدة الأمريكية كان يلبي المصالح المغرضة للرأسمال الأمريكي، ويقوي الوضع العبودي للشركاء في أمريكا اللاتينية. ولقد لعبت وزارة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة غ. هوفر، وكذلك غرفة التجارة والرابطة الوطنية للصناعيين، دوراً كبيراً في زيادة التوسع التجاري الخارجي، في مرحلة «الرفاهية».

لقد تحدث غ. هوبير قائلاً إن «تطور التوسع يعدّ جزءاً مهماً وأساسياً في تقدمنا الداخلي سواء في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي»[1].

أما الرئيس كوليدج الذي كان يتحدث كثيراً عن «العدالة». فقد كان يتصرف في الواقع بنشاط كإمبريالي توسعي - كخادم مخلص لـ الوول يستريت.

---

(١) Hoover H. The Fulure of our Foreign Trabe. Wash. 1926, p. 3.

إن الهدف الأساسي هو- مساعدة الأنظمة الرجعية في مسألة قمع الحركة الثورية، الموجهة ضد المستثمرين الداخليين والخارجيين، وإقرار إشراف على الاقتصاد والسياسة في هذه البلدان وتأمين أرباح عالية للرأسمال الأمريكي الكبير، إن الرسالة الإعلامية الموجهة من قبل وزير الخارجية ف. كيللوغ في ٥ آذار عام ١٩٢٩، إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الجديد غ هوفر، جرى التأكيد فيها، أن الولايات المتحدة الأمريكية قد اختارت في عام ١٩٢٣ نهجاً عاماً متعلقاً بجميع بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية، يتضمن رفض الاعتراف بالحكومات الثورية، ومقاومة حركة التحرر هناك[١].

بذلت الولايات المتحدة الأمريكية كل الجهود كي تخنق الثورة في نيكاراغوا وغيرها من بلدان نصف الكرة الغربي. إن موقف حكومة كوليدج تجاه نيكاراغوا له دلالة كبيرة من وجهة نظر السياسة الأمريكية في بلدان أمريكا اللاتينية. لقد نزلت القوات الأمريكية في ماناغوا منذ عام ١٩١٢، وبعد ذلك احتلت عدداً من المدن الأخرى، وأقدمت على قمع مراكز المقاومة الشعبية، وبقيت هناك في نيكاراغوا خلال ١٢ عاماً. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتزم مد قناة جديدة بين المحيطين عبر أراضي نيكاراغوا، وإنشاء عدد من القواعد العسكرية البحرية فيها، وتحويل نيكاراغوا إلى مركز إستراتيجي لسياستها العدوانية.

أثار وصول قوات المشاة البحرية للولايات المتحدة الأمريكية إلى نيكاراغوا نمواً عاصفاً للأمزجة المعادية لأمريكا. وفي عام ١٩٢٤، وصل إلى

---

(١) Frank B. Kellogg, The Secretary of Ctate, March, 5, 1929, to Mr. Presiolent H. Hoover- Herbert Hoover Presiolential Library, Presiolential Pares- Stute Dept.- Latin Am. Affairs, Box E/37.

السلطة في نيكاراغوا صنيعة الولايات المتحدة الأمريكية وأُنشيء «الحرس الوطني» هناك - قوى بوليسية، ملائمة لواشنطن. وأصبح ماناغوا كارلوس سولورسانو رئيساً لجمهورية نيكاراغوا. بيد أن ساكاسا زعيم الليبراليين انتخب لمنصب نائب رئيس الجمهورية، وهذا الترشيح لم يعجب لا الأمريكان ولا الرجعية النيكاراغوانية. لم تعش الحكومة الائتلافية المشكَّلة بعد الانتخابات طويلاً، إذ تمَّ طرد الليبراليين منها. عند ذلك فقط، وفي أول آب عام ١٩٢٥ - قررت واشنطن إخراج قواتها من نيكاراغوا.

إن شعب نيكاراغوا بأغلبيته كان ضد الحاكم المفروض عليه، واستمر نضاله بصورة أكثر فعالية ضد حكومة سولورسانو والسارقين الأمريكان بعد خروج قوات مشاتهم. وفي بداية عام ١٩٢٦، اضطر سولورسانو أن يذهب في «إجازة دائمة بسبب المرض». لم يستطيع أي. تشامورو الذي أصبح يؤدي مهمة رئيس الدولة أن «يحقق النظام في البلاد»» وقد راهنت الرجعية في نيكاراغوا وواشنطن في بحثهما عن «شخصية قوية» على أدولفو دياس، المستخدم السابق في شركة أمريكية محلية، والذي «تمَّ انتخابه» لمنصب رئيس جمهورية نيكاراغوا في ١١ تشرين الثاني عام ١٩٢٦، به مباشرة حكومةُ كوليدج. قابل شعب نيكاراغوا بقيادة الليبراليين هذه الخديعة بانتفاضة.

في ١ كانون الأول عام ١٩٢٦ نزل نائب الرئيس السابق خوان ساكاسا بكتيبته المسلحة في بويرتو - كابيساس (في شمال - شرق البلاد)، وأعلن نفسه رئيساً لجمهورية نيكاراغوا. ولقد خاض هذا الفصيل القتال بنجاح ضد أرتال جيش دياس، وكبدها خسائر جدية. وفي القتال ضد قوات دياس تميز الفصيل المسلح لأوغوستو سيسار ساندينو الذي تكون بصورة أساسية من عمال المناجم.

توجه الرئيس دياس إلى الولايات المتحدة الأمريكية بطلب أن تأخذ حكومته تحت «حمايتها العسكرية».

في ٢٣ كانون الأول عام ١٩٢٦ وبأمر من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كوليدج نزلت قوات المشاة البحرية إلى أراضي نيكاراغوا في ريو غراند وبورتو- كابيساس، بهدف نزع سلاح جيش ساكاسا. وتحت تهديد المدافع الأمريكية أعطى ساكاسا أمراً لفصائله بتسليم السلاح.

زجت الولايات المتحدة الأمريكية ضد المتفضين في نيكاراغوا بـ ٦ بوارج وتسع مدمرات، وكاسحة ألغام، وسفينة لإعادة تجهيز المواصلات و٥٦٥ جندياً من مشاة البحرية، و٢١٥ ضابطاً بحرياً و٣٩٠٠ بحار من الأسطول الحربي البحري، وحُوصر كلا شاطئي نيكاراغوا، وإلى ماناغوا تم توجيه ملاك من مشاة البحرية من أجل دعم دياس[١].

ولتبرير أفعال الولايات المتحدة الأمريكية، لجأت حكومة كوليدج إلى نشر وثيقة مزورة «المسائل البلشفية والسياسية في المكسيك وأمريكا اللاتينية» محاولة بذلك إقناع الرأي العام الأمريكي والعالمي بـ «ظهور شبح الهيمنة البلشفية الذي نشأ من المكسيك» في المنطقة الواقعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وقناة بنما[٢].

لقد فضح السكرتير العام لحزب العمال (الشيوعي) في الولايات المتحدة الأمريكية تش. روتينبرغ الخط التدخلي لكوليدج كسياسة إمبريالية من قبل وول-ستريت، موجهة للدفاع عن الاستثمارات وعن أرباح الرأسماليين

(١) Congressional Record, vol. 68, pt 2 p. 1471.
(٢) Ibid., pt, p, 1160.

الأمريكان[١]. إن وثيقة وزارة الخارجية المزورة التي كانت مفلسة إلى ذلك الحد، بحيث إن كونغرس الولايات المتحدة نفسه قيمها كدعاية منخفضة المستوى[٢].

أثار التدخل الأمريكي في نيكاراغوا موجة من السخط في جميع أنحاء العالم. وقد كتبت صحيفة «بوسطن ديلي غلوب»: «تصاعدت موجة الإدانة في صحافة العالم بأسره، ضد أفعالنا في نيكاراغوا. وتتصاعد موجة أخرى من النقد في صحافتنا، فخلال فترة خمسة أسابيع قصيرة نسفت خطوات وزارة الخارجية في المسألة النيكاراغوانية نتائج جهود العشرين سنة الأخيرة الموجهة إلى تحسين العلاقات مع جيراننا الجنوبيين. إن صحافة البرازيل، والأرجنتين، وتشيلي، والبيرو، والسلفادوور، والأورغواي، وكوستاريكا، وبوليفيا، والأوكوادور مليئة كلها بالتعليقات التي تعبر عن المرارة، والتهكم والارتياب...

وفي نفس الوقت، حين تملك هذه الأصداء مكاناً، فإن بلادنا توصم بالعار في أوروبا من البلطيق حتى مضيق جبل طارق.. »[٣].

وقف عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب في الكونغرس ضد تدخل الولايات المتحدة الأمريكية العسكري. وصرح عضو مجلس ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية عن ولاية ميسوري لوزي في ١٨ كانون الثاني عام ١٩٢٧ في الكونغرس، «أن رئيس الجمهورية قام بصورة مكشوفة بالدفاع عن مصالح الشركات النفطية الأمريكية في المكسيك، وكذلك عن شركات التعدين والأراضي في نيكاراغوا»[٤]. ومن أجل تهدئة الرأي العام أرسل كوليدج العقيد

---

(١) Daiey Worker, 1927, Jan. 12.
(٢) ongressional Record. Vol, 68, pt 2. P. 1651.
(٣) Ibid. p. 1470- 1471.
(٤) Ibid. p. 1883.

غ. ستمسون إلى نيكاراغوا الذي كان عليه أن يقنع أنصار ساكاسا بالتخلي عن النضال ضد حكومة دياس. وخلال عملية تبادل الآراء جرت الوعود بإجراء انتخابات رئاسية «عادلة» تحت رقابة مشاة البحرية الأمريكان. واقترح ستمسون على دياس أن يُدخل ممثلي المعارضة إلى مجلسه. وقد استطاع مبعوث كوليدج أن يستميل قائد جيش المتفضين خوسي مونكادو - أحد قادة المعارضة - لقبول الاتفاق مع دياس والقيام بنزع السلاح.

بيد أنه لم يستطيع إقناع قائد الحركة الشعبية أوغوستو سيسارو ساندينو بالتخلي عن النضال ضد حكومة دياس. لم يكن ساندينو يرغب بأن يكون في تركيبة الحكومة مع الطاغية دياس، وذهب مع فصيله إلى الشمال إلى الجبال، إذ أسس هناك قاعدة لحرب الأنصار ضد المتدخلين الأمريكان.

وعلى الرغم من استسلام قوات الليبراليين بقيادة مونكادو فإن الحركة الوطنية - التحررية استمرت في نيكاراغوا، وأصبح قائد هذا النضال آنذاك جنرال من الشعب، هو ساندينو، وقد استمر سبع سنوات تحت شعار «الوطن والحرية»، وعملت واشنطن كل ما بوسعها لقمع هذه الحركة المعادية للأمريكان.

أنزل البنتاغون في نيكاراغوا خلال هذه الأعوام أكثر من ٥٠ ألفاً من جنوده، وكانت توجد في الوقت نفسه على أراضي نيكاراغوا نحو سبعة آلاف محتل[(١)].

في عام ١٩٢٨، جرت «انتخابات» جديدة في نيكاراغوا تمت هذه المرة بضغط من المحتلين الأمريكان، وشغل بنتيجتها مونكادو منصب رئيس جمهورية البلاد.

---

(١) التراث الفكري لساندينو: (مختارات من الوثائق والموارد). موسكو ١٩٨٢، ص ١٨.

إن الهستيريا الدعائية المتصاعدة من قبل حكومة كوليدج، وإنزال قوات الولايات المتحدة الأمريكية في نيكاراغوا وحشد القوات الأمريكية على حدود المكسيك، كل ذلك أقلق الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية. لم يجسر كوليدج على بدء الحرب العسكرية ضد المكسيك، لكن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت بممارسة الضغط عليها، حتى توافق حكومة المكسيك على تلبية مطامع الاتحادات الأمريكية الاحتكارية.

كانت حكومة كوليدج تفتش طوال الوقت عن الحجج، كي تبدأ التدخل المسلح ضد المكسيك. وفي ١٢ كانون الثاني أخبرت واشنطن أن قوات أمريكية بتعداد ١٥ ألف شخص، محتشدة على الحدود مع المكسيك[١].

وقد تباحث كيللوغ مرتين في آب وأيلول عام ١٩٢٧ مع ممثلي الشركات النفطية، وناقش معهم الوضع الناشئ بمناسبة رفض المكسيك السماح لاحتكارات الولايات المتحدة الأمريكية بحفر آبار نفطية. حاولت الشركات تصوير هذا الرفض كأنه «تأميم» لممتلكاتها، وطالبت الحكومة القيام بتدابير حازمة.

استدعي سفير الولايات المتحدة الأمريكية ج. شيلفد من المكسيك، وعين مكانه رجل الأعمال د. موروي في تشرين الأول عام ١٩٢٧، الذي وقع على عاتقه المحافظة على سياسة معتدلة بصورة أكبر تجاه المكسيك.

ذهب رئيس جمهورية المكسيك ب. كاليس، الذي قرر عدم الاعتماد على دعم الجماهير الشعبية في ظرف التهديدات الخارجية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، ذهب إلى التنازل أمام الأمريكان، وتمّ إيجاد حل للنقاش حول الأراضي النفطية على أساس حل وسطي، ولكنه كان لصالح الولايات

---

(١) Duily Worker, 1927, Jan. 14.

المتحدة الأمريكية بصورة أكبر. لقد تمّ إدخال تعديلات على بعض مواد قانون ١٩٢٥ الذي كان يتعلق بمصالح الاحتكارات الأمريكية، وتمت الموافقة عليها من قبل الكونغرس الأمريكي في ٢٧ كانون الأول عام ١٩٢٧، وتم تثبيتها بتوقيع رئيس المكسيك كاليس في ٣ كانون الثاني عام ١٩٢٨. وبنتيجة ذلك احتفظت الاحتكارات في الولايات المتحدة الأمريكية عملياً بجميع الحقوق المتعلقة باستثمار المناطق النفطية، التي كانت تستخدمها قبل الأول من أيار عام ١٩١٧، أي قبل انتصار الثورة في المكسيك. اتبعت الحكومة المكسيكية نهجاً أكثر رجعية في الشؤون الداخلية، وبدأت بملاحقة النقابات، والحزب الشيوعي، وكان هناك تباطؤ في تجسيد دستور عام ١٩١٧ في الحياة، والإصلاح الزراعي.

تدفقت الاستثمارات الجديدة والأسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى المكسيك. وأعربت الشركات النفطية الأمريكية، وأصحاب المصارف عن ارتياحهم الكبير بسبب حل النزاع. أدت سياسة «العصا الغليظة» مهمتها. هذا ومارست واشنطن السياسة التدخلية في أعوام العشرينيات تجاه بلدان الحوض الكاريبي أيضاً. وتحت حجة تطبيق معاهدة الدول الخمس «حول السلم والصداقة»، (عام ١٩٢٣) أعادت مشاة البحرية الأمريكية «النظام» في هوندوراس عام ١٩٢٤، وتمت الانتخابات الرئاسية تحت إشرافها. وفي جمهورية الدومينيكان قامت قوات الولايات المتحدة الأمريكية المحتلة بدور رجال البوليس لصالح هيئات السلطة الحكومية أثناء الانتخابات في عام ١٩٢٤، واستمر احتلال هاييتي منذ عام ١٩١٥ وأخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها إدارة البلاد. كانت القوات الأمريكية تقمع دون رحمة حركة الأنصار في هاييتي تحت حجة إقامة «النظام». وفي عام ١٩٢٢، وبمساعدة

وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية والاحتكارات الأمريكية تمَّ تنصب ل. بورنو رئيساً لهاييتي. وقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك قرضاً لهاييتي بمقدار ٢٣,٦٥ مليون دولار. ولقاء ذلك تمَّ السماح للاحتكارات الأمريكية ولأصحاب البنوك بشراء الأراضي بالجملة، ومنح الامتيازات لزراعة المزروعات على مساحات واسعة ولمدد كبيرة جداً. لقد أصبح اقتصاد هاييتي وسلطتها السياسية تحت إشراف واشنطن. كان التصريح الذي أدلى به السناتور س. كينغ في الكونغرس ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٢٧، المتعلق بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه هاييتي يستحق الاعتبار كثيراً: «إن مشاة بحريتنا يتمركزون الآن على أرض هاييتي، ويعتبر الجنرال الأمريكي راسيل دكتاتور هاييتي وشعبها عملياً. إنه- السلطة الفعلية. يتراءى خلف ظهره ظل بورنو- الرئيس الصوري لهاييتي.... تدير الولايات المتحدة هاييتي بمساعدة الحراب، أما الشعب الهاييتي، فإنه خاضع لإدارتنا العسكرية. لقد ربطناه بدستور يسمح للأجانب بامتلاك الأرض، وأصبحت آلاف الأكرات «الفدادين الإنكليزية ومساحتها ٤٠٤٧م) من أراضي هاييتي تحت إشراف الاتحادات الأمريكية الاحتكارية»[١].

لم تغادر الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً منطقة قناة بنما. فحسب المعاهدات بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية بنما التي تمَّ عقدها على التوالي في ١٨ كانون الأول عام ١٩٠٣، و١٢ أيلول عام ١٩١٤، و١٨ كانون الأول عام ١٩٢٣، و٢٨ تموز عام ١٩٢٦، عززت الولايات المتحدة الأمريكية «حقوقها» في منطقة بنما، متدخلة بصورة فظة ومستمرة في شؤون الجمهورية الداخلية، وصلت في أحيان كثيرة إلى حد استخدام القوى العسكرية.

---

(١) Congressional Record, vol. 68, pt 2, p. 2230- 2231.

احتفظت حكومة كوليدج ببورتو - ريكو من خلال الأحذية العسكرية لحاكمها، منتهكة حقوق البورتوريكيين بالاستقلال والحكم الذاتي.

كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه كوبا غير مسالمة وقاسية كذلك. «أصبحت كوبا مثالاً كلاسيكياً على التوفيق بين وسائل التدخل والدبلوماسية الوقائية بهدف تحقيق المصالح الاقتصادية للاحتكارات في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا تمَّ سحب القوات الأمريكية عام ١٩٢٢، بعد أن استلم زمام الإدارة صنيعة واشنطن الجنرال اي. كراودر. إن إشاعة ما جرى في كوبا على كل منطقة الكاريبي كانت تعدّ هدفاً لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة»[١].

أما بالنسبة لكولومبيا، فقد مارست وزارة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية «دبلوماسية نفطية» ساعدت من خلالها احتكارات «ستاندارد أويل» وغيرها من الشركات على أن تضخ من باطن أرض البلاد عشرات الملايين من براميل النفط والحصول على أرباح طائلة. كان الاهتمام المتزايد للإمبريالية الأمريكية ينصب أيضاً على الأرجنتين، التي شكلت مشروعاً من مشاريع استثمارات الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا البلد، وبسبب سوق التصريف اصطدمت مصالح الرأسمال الأمريكي والإنكليزي. كانت وزارة الخارجية الأمريكية تتدخل باستمرار في الشؤون الداخلية للأرجنتين.

وهكذا خلال سبع سنوات، من عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩، كانت السياسة الأمريكية في أمريكا اللاتينية توسعية من كل نواحيها، مع استخدامها غير النادر لقوى التدخل العسكري للولايات المتحدة الأمريكية. وقد سعت حكومة

---

(١) يانتشوك. أي. أي. بالاستناد إلى المؤلفات الكاملة، ص ٣٢٣.

كوليدج أن ليس فقط لرعاية الرأسمال الاحتكاري الأمريكي في بلدان الحوض الكاريبي وجميع بلدان أمريكا اللاتينية فقط، وإنما لتأمين الحراسة المسلحة للأنظمة الرجعية والقمع القاسي بالسلاح، وحصار الجوع لانتفاضات الجماهير الشعبية.

مارست الإمبريالية الأمريكية سياسة توسعية تجاه كندا أيضاً، ولكن بتحفظ أكبر مما كان عليه الحال في بلدان أمريكا اللاتينية. إذ تم تبادل البعثات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا في عام ١٩٢٧. وكان الهدف الإستراتيجي الأساسي لحكام الولايات المتحدة الأمريكية تجاه كندا في تلك الأعوام يكمن في كيفية الربط الوثيق لاقتصاد كندا باقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية. كان رئيس وزراء كندا م. كينغ مضطراً للاعتراف في المؤتمر الإمبراطوري عام ١٩٢٦ بحقيقة ازدياد التأثير الأمريكي في كندا[١].

إذ بلغ تصدير الولايات المتحدة الأمريكية إلى كندا عام ١٩٢٩ مقدار ٨٦٨ مليون دولار أو ٦٨,٨% من مجمل استيراد كندا، أما استيراد الولايات المتحدة الأمريكية فقد وصل إلى ٥٠٠ مليون دولار، أي ما شكل ٣٦% من مجمل التصدير الكندي. وهكذا كانت هذه التجارة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية مربحة، بميزان تجاري إيجابي. لقد تجاوز الحجم العام للاستثمارات الأمريكية في كندا في أول كانون الثاني عام ١٩٢٨ مبلغ ٣٠٦٩ مليون دولار. أما حجم الاستثمارات الرأسمالية الكندية في اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية في الأول من كانون الثاني عام ١٩٣٠ فبلغت مليار دولار أو أكثر بقليل[٢].

---

(١) كندا، ١٩١٨ - ١٩٤٥: نبذة تاريخية. موسكو، عام ١٩٧٦، ص ١٨٢.

(٢) Herbert Hoover Presidential Library. Presidlential Papers- State Dept- visa Division, Box E/38, Canada, p. 1. 2.

لم يمارس الرأسمال الأمريكي تأثيراً قوياً على إقامة إشراف اقتصادي فقط في كندا، وإنما على أنواع أخرى أيضاً فيها. كانت هناك تناقضات جدية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا بسبب كندا - العضو في الدمنيون البريطاني. كان الأمريكيون يزاحمون الرأسمال الإنكليزي. ففي عام ١٩٢٨ تناقصت حصة بريطانيا العظمى من الاستيراد الكندي العام، ووصلت إلى ١٥%[١]. وعبر كندا كانت البضائع الأمريكية تتغلغل إلى بقية بلدان الإمبراطورية البريطانية. ولقد تمَّ فتح أكثر من ٧٠٠ فرع للاتحادات الصناعية الاحتكارية الأمريكية في كندا. وبالإضافة لذلك فإن الكثير من المؤسسات الكندية كانت خاضعة لإشراف الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تملك حتى ذلك الوقت ثلث الورشات والصناعة التعدينية في كندا[٢].

٣- مشاكل الشرق الأقصى.

سعت كل من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وأوساط العمل لتفعيل نشاطاتها الدبلوماسية والمالية- التجارية في الشرق الأقصى، وعلى الأخص في الصين. وفي هذه المنطقة، إذ كانت تتضارب مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، واليابان، بدأت المواقع الاقتصادية الأمريكية تتعزز، على الرغم من أنها لا تزال تقل عن تأثير انكلترا واليابان اللتين تأصلت جذورها هناك منذ القدم. خلق مؤتمر واشنطن (كانون الأول عام ١٩٢١ - وشباط عام ١٩٢١) ومعاهدة الدول الكبرى التسع إمكانيات

---

(١) كندا، ١٩١٨- ١٩٤٥. ص ١١٣.

(٢) دان. ف. أيي. الولايات المتحدة الأمريكية: من الحرب العالمية الأولى إلى الثانية. موسكو عام ١٩٧٦ ص ٢٧٠٢.

ملائمة لتغلغل الرأسمال الأمريكي المكثف في الصين وتوسيع التجارة معها. ولقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية مبدأ «الأبواب المفتوحة» تجاه الصين، آملة في ذلك وبصورة متقنة إزاحة إنكلترا واليابان من السوق الصينية ومن الروابط الاقتصادية مع الصين.

كانت الدبلوماسية الأمريكية تحاول توجيه غضب الشعب المتراكم ضد إنكلترا واليابان. وبمقدار تزايد الأحداث الثورية في الصين فإن الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تفهم، بأن الدول العظمى إذا لم تحقق مطالب الصين فيما يتعلق بإلغاء المعاهدات غير المتكافئة، فإن الأخيرة ستقوم بهذا الفعل بنفسها من طرف واحد. ولقد وقفت دبلوماسية الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب توحيد الصين، لكن بشرط أن تلتف الصين المنقسمة حول مركز محدد- حكومة مقبولة بالنسبة لواشنطن. وعلى الرغم من المساعدة العسكرية الإنكليزية- الأمريكية المقدمة إلى تكتل «تشجي لي العسكري» فقد مُنِيَ بهزيمة في شمال مقاطعة غاوندونغ من قوات الحكومة الجنوبية، التي يرأسها صون ياتصين.

لم يتباطأ كوليدج بإعطاء الأوامر لإدخال ٢٧ سفينة حربية إلى منطقة يانتسزي وكذلك ٦ زوارق طوربيدية تحت حجة «الدفاع عن المواطنين الأمريكان ومصالحهم»[١]. وفيما بعد تم إنزال فصائل البحارة من السفن البحرية الأمريكية واستعراضها ضد حكومة صن ياتصين، وذلك في تشرين الأول عام ١٩٢٤. وهكذا أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل بصورة مكشوفة في الشؤون الداخلية للصين.

---

(١) الأزقسيتا، ١٩٢٤، ٥ تموز.

أخذ الاستياء الشعبي والنضال المعادي للإقطاعية والإمبريالية يتزايدان. وفي ٣٠ أيار عام ١٩٢٥ أخذ الجنود اليابانيون والإنكليز والأمريكان والشرطة التي يقودها الأمريكان يطلقون الرصاص على المتظاهرين الصينيين في شوارع الحي الدولي في شنغهاي، الذين خرجوا استنكاراً لمقتل العمال على أيدي المتدخلين اليابانيين في تشينداو. أثار إطلاق النار هذا ثورةً من الغضب لدى الشعب الصيني، الذي هبَّ للنضال ضد الرجعية الداخلية والمتدخلين الأجانب. وفي أول حزيران خرج أهالي شانغهاي من جديد إلى الشوارع وتعرضوا مرة ثانية لإطلاق الرصاص بصورة غزيرة. وقد روى الأمريكي لوري، الذي شارك في قمع المتظاهرين في رسالة إلى صديق له أن الأرصفة كانت ملأى بالدم أثناء إطلاق الرصاص على عمال وطلاب شانغهاي[١]. طلب وزير الخارجية كيللوغ في برقية أرسلها إلى القنصل العام للولايات المتحدة الأمريكية، في ٤ حزيران عام ١٩٢٥ مستحسناً عملية القمع ضد أهالي شانغهاي، طلب اتخاذ «كل التدابير الضرورية من أجل منع الانتشار اللاحق لـ «الفوضى»»[٢]. وفي الرد على تنامي الحركة الثورية - التحررية شكَّلت الدول الإمبريالية، وسلحت مختلف القوات العسكرية الصينية لما يسمَّى «جيش الدولة الموحد لإقرار الهدوء» («أنغوتسزيون») بقيادة تشان تسولين. وقد بلغ عدد السفن الأمريكية، واليابانية، والإنكليزية، والفرنسية الحربية في المياه الصينية، في النصف الثاني من عام ١٩٢٦ - ٩٧ سفينة، تمركزت القوات الأمريكية منها في شانغهاي وفي الجزر الفليبينية. وفي شباط عام ١٩٢٧ شنت قوات الجيش

---

(١) Dolsen J. The Awakening of china. Chicago, 1926, p. 241- 243.

(٢) Uniteol states of American Department of states, prpers, 1925, vol 1 p, 651.

الوطني الثوري الصينية هجوماً واسعاً ضد قوات العسكري سون تشان فان، العميل المباشر للإنكليز والأمريكان من أجل تحرير شانغهاي ونانكين، المركزين الاقتصاديين الأكثر أهمية في الصين، وذلك بالاعتماد على الحركة الإضرابية. إن تشان كاي تشي الذي كان قائداً في ذلك الوقت لقوات الجيش الوطني الثوري، خشي من مدى الثورة وقام بانعطافة حادة إلى اليمين وذهب إلى الخيانة، معرقلاً في ذلك الهجوم على شانغهاي، ومن ثمَّ أعطى الإمكانية لسون تشان فان وللجنود الأمريكان والإنكليز لقمع انتفاضة عدة آلاف من عمال شانغهاي، والبحارة الثوريين.

وفي ٢١ آذار عام ١٩٢٧ هب عمال شانغهاي للمرة الثالثة، واندمجت انطلاقتهم مع الإضراب العام، الذي شمل نحو ٦٠٠ ألف شخص. وأصبحت المدينة في أيدي العمال. وفي اليوم التالي دخلت قطعات الجيش الوطني الثوري بقيادة الجنرال تشان كاي تشي إلى شنغهاي. وفي ٢٣ آذار احتلت نانكين.

كان ذلك نجاحاً كبيراً للثورة الصينية. لكن ممثلي الدول الغربية لم يتمهلوا في الانتقال إلى الهجوم المعاكس، معلنين حالة الطوارئ في الحي الدولي في شانغهاي. وفي ٢٤ آذار قامت مشاة البحرية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ولبريطانيا العظمى وغيرهما من الدول الأخرى بالقمع المسلح لعمال وسكان نانكين. ونتيجة القصف الكثيف لنيران المدفعية من السفن (كانت الحجة في ذلك مقتل عدد من الأجانب خلال احتلال ناكين من قبل قطعات الجيش الوطني الثوري) تم قتل وجرح ٧ آلاف شخص[1].

---

(١) برافدا، ١٩٢٧، ٢٧ آذار.

لقد أراد الإمبرياليون بهذه العملية مساعدة الرجعية الصينية في قمع الثورة، وإلى جانب ذلك إظهار الاستعداد للدفاع عن «مصالحهم» بقوة السلاح، وفي ٢٦ آذار وصل تشان كاي شي الذي كان يفكر منذ فترة طويلة بالتخلي عن الثورة، وإيقافها، إلى شانغهاي ودخل في مفاوضات مباشرة مع السلطات الأمريكية والإنكليزية. إذ وعدهم بالدفاع عن الحي الدولي وقمع الحركة العمالية، وإعادة تنظيم الفصائل العسكرية المحلية، التي يدعمها الشيوعيون. وبالمقابل وعد ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا بمساعدته في قمع فصائل العمال المتطوعين[1]. كتبت اللجنة التنفيذية للكومنترن في بيانها الصادر في ٢٧ آذار عام ١٩٢٧ وهي تفضح السياسة الأمريكية - الإنكليزية في الصين: «إن الولايات المتحدة التي كانت تتملق الحركة الوطنية، وتغازل الثورة الصينية قد رفعت في لحظة واحدة عنها الستار الوردي، وكشفت عن زعامتها العسكرية في مسألة القتل الجماعي. والتدمير والسلب للمدن الصينية[2].

قام تشان كاي شي من خلال تآمره مع الإمبرياليين والعسكريين، واعتماده على دعمها العسكري بانقلاب معاد للثورة في شانغهاي. وفي أول عشرة أيام من نيسان عام ١٩٢٧ تمَّ حشد ١٧١ سفينة حربية إلى شانغهاي (إلى جانب ٣٠ سفينة احتياط)، وارتفع عدد القوات الأجنبية إلى ٢٠ ألف، وفي ١١ نيسان عام ١٩٢٧ تم توجيه إنذار نهائي للسلطات الثورية في أوخان وشانغهاي من قبل بريطانيا العظمى، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وفرنسا وإيطاليا، تطالب فيه هذه الدول بمعاقبة «المذنبين» في حادثة نانكين،

(١) سلادكوفسكي. م. أي. الصين وانكلترا، موسكو. ١٩٨٠، ص ١٦٥.

(٢) برافدا، ١٩٢٧، ٢٧ آذار: العلاقات الدولية في الشرق الأقصى، ١٨٤٩ - ١٩٤٩. موسكو. ١٩٥٦، ص ٤٠٥.

والكف عن الانتفاضة المعادية للأجانب» وتقديم الاعتذار، ودفع التعويضات. كان هذا الإنذار إشارة لقيام تشان كاي بانقلابه المعادي للثورة.

أما في شانغهاي فقد قامت سلطات الدول الكبرى باعتقال أكثر من ألف شيوعي وعامل متعاطف مع الثورة، وتمَّ تسليمهم جميعاً إلى رجال تشان كاي تشي. وفي المدينة بدأ تحطيم العمال والمنظمات الثورية، وفي ١٢ نيسان حصل الانقلاب بقيادة تشان كاي تشي، وقامت الطعنة العسكرية الرجعية بنفس الوقت بانقلاب في مقاطعات غواندونغ، وفوتزيان، وتشيتسزيان، وآنخوا، وشكل تشان كاي شي في نانكين ١٨ نيسان عام ١٩٢٧ «حكومة وطنية» من أعضاء الكومنتانغ اليمينيين (بمقابل الحكومة الوطنية الثورية في أوخان بقيادة وان تسزينغى).

وحصلت الحكومة الجديدة فوراً على دعم ذي شأن من أصحاب المصارف في شانغهاي - قرض بمبلغ ٣٠ مليون دولار[١].

رحبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بوصول تشان كاي تشي إلى السلطة. وفي تموز عام ١٩٢٧ ناقشت وزارة الخارجية مسألة إمكانية إقامة علاقات مع حكومة تشان كاي تشي على أساس فعلي[٢].

حاولت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تضع كل مسؤولية الجرائم الدموية التي ارتكبتها في الصين على عاتق الشيوعيين الصينيين، الذين استفزوا الأمريكان والإنكليز بلجوئهم إلى السلاح كما زعموا[٣].

---

(١) Young A.H. China S Nation- Buieoling Effort, 1927- 1937. The Financial and Econo m. ic Record stanforol 1971, p. 11.

(٢) Ellis. L. E. Frank. B. Keleog and American Foreign Relations 1925- 1929. New Bruns Wisk (NJ) 1961. P. 146.

(٣) Young A.. N. Op. Cit. p. 10.

لم تكن تلك الحجج لتصمد أمام الانتقاد. فقد لاحظ عضو الكونغرس رينكين في خطابه في مجلس الممثلين، وبسخرية: «إن الموافقة من هذا الكونغرس أو الكونغرس السابق على عملية التجارة مع الصين، والتي بموجبها رفعنا علم الولايات المتحدة في مركز الصين من أجل أن تستطيع شركاتٍ محددة في الولايات المتحدة التوجه إلى هناك واستغلال الشعب دون عقبات، كانت مساهمتنا الأخيرة في الفوضى الحالية في الصين»[1].

لم يكن المركز الثوري الديمقراطي في أوخان يملك ما يكفي من القوى المسلحة، وبالإضافة لذلك، لم يكن متحداً في صفوفه. ولقد حاصرت قوات الولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، والرجعية الصينية أوخان، وفي تموز عام ١٩٢٧ ذهب أنصار الكومينتاغ في أوخان للقطيعة مع الحزب الشيوعي في الصين، وتحولوا إلى جانب تشان كاي تشي. وهكذا، فإن الثورة الصينية في أعوام ١٩٢٥ - ١٩٢٧ لحقتها الهزيمة. ولعبت الإمبريالية الأمريكية - الإنكليزية دوراً كبيراً في هذه العملية[2].

مارست إدارة الولايات المتحدة الأمريكية منذ النصف الثاني من عام ١٩٢٧ نشاطاً فعالاً بهدف التقارب مع حكومة تشان كاي تشي. واعترف الأمريكيون به، وأبرموا معاهدة معه في عام ١٩٢٨ حول التعريفة، وانفتحت الإمكانية بالنسبة للرأسمال الأمريكي لزيادة توسعه في الصين.

سعت الولايات المتحدة الأمريكية تحت راية مذهب «الأبواب المفتوحة» وبالاعتماد على جبروتها الاقتصادي إلى إزاحة إنكلترا واليابان من الصين

---

(١) Congressional Record, vol. 68, pt 2, p. 2325.

(٢) انظر بالتفصيل: سلادوفسكي م. أي. المؤلفات الكاملة، وتينفينسكي سزلز تاريخ الصين والعصر الحالي. موسكو، ١٩٧٦، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

وربطها باقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية كملحق يؤمن لها المواد الخام، وكسوق تصريف كبير للبضائع. كما حاول ممثلو أمريكا وإنكلترا في الصين دفع الرجعية الصينية للقيام بأعمال استفزازية معادية للسوفييت: الغارة البوليسية من قبل أنصار الكومنتانغ على القنصلية السوفيتية في شانغهاي نهاية عام ١٩٢٧، ومنع التجار الصنيين من إقامة علاقات مع الممثلية التجارية للاتحاد السوفييتي، والهجوم على القنصلية السوفييتية في خاربين في أيار عام ١٩٢٩ وإلقاء القبض على لجنة السكك الحديدية لعموم الاتحاد السوفيتي في تموز عام ١٩٢٩ وتنظيم الصدامات على الحدود السوفييتية الصينية.

كانت العلاقات الأمريكية- اليابانية بعد مؤتمر واشنطن معقدة بما فيه الكفاية. لم تتهادن اليابان مع قرارات مؤتمر واشنطن، التي حرمتها من عدد من الامتيازات في الصين وفي البحر. إن الموافقة على القانون الذي منع الهجرة من اليابان في ١٦ نيسان ١٩٢٤ واستئناف الحملة في الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة «الخطر الأصفر»، كل ذلك أثار في اليابان عاصفة من الاستنكار. كان اليابانيون غاضبين، لأن هذا القانون اعتبرهم كأشخاص، «غير صالحين للمواطنة» في الولايات المتحدة الأمريكية. إن الحملة المعادية لليابان في الولايات المتحدة الأمريكية أدت إلى تدهور العلاقات مع طوكيو.

بيد أن اليابان التي عانت من الهزة الأرضية عام ١٩٢٣، وضعفت بسبب الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٧، كانت تحتاج إلى حد بعيد للقروض الأمريكية، لذلك سعت للامتناع عن التوتير الجدي للعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. كان التوسع الياباني في القارة الآسيوية يمس بصورة فعلية مصالح الإمبريالية الأمريكية. وكانت احتكارات الولايات المتحدة الأمريكية وفي سعيها لتحقيق الأرباح الفاحشة تحقق توسعها في اليابان. لقد

صدَّرت الاتحادات الاحتكارية «بتليهم ستيل» و«الأخوة غوغينغيم»، و«جون. ب. مورغان»، و«ستاندارد اويل»، و««جنرال موتورز»، و«بيل تلفون» وغيرها إلى اليابان الرساميل الكبيرة وكميات كبيرة من البضائع أيضاً. ونشر روكفلير وكارنيغي وغيرهما على شكل صناديق خيرية «الأسلوب الأمريكي» في اليابان. كان هذا الرأسمال الكبير الخيري «مرتبطاً بصورة وثيقة بالأهداف الحكومية: تصريف الفائض الزراعي، وتثبيت الروابط الاقتصادية والسياسية بصورة قوية، وإجراء إصلاح في الخارج حسب النمط الأمريكي»[1]. وهذا وشجعت الولايات المتحدة الأمريكية القروض الخاصة. فقد قدم احتكار مورغان مع «ناشينال سيتي بنك» في عام ١٩٢٧ إلى اليابان قرضاً كبيراً، ساعد في تعزيز مواقع اليابان في منشوريا المحتلة. وكانت حكومة بكين مضطرة للاحتجاج على هذه العملية العدائية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية[2].

كما عززت الولايات المتحدة الأمريكية قواعدها العسكرية الإستراتيجية في جزر الفيلبين وهاواي، ونما جبروت الأسطول البحري الحربي للولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي.

وهكذا استطاعت إمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية أن تزيح منافسيها في الشرق الأقصى بصورة ملموسة في أعوام العشرينيات - بريطانيا العظمى، واليابان، وأن تعزز وتوسع نفوذها في الصين بصورة خاصة. إن سياسة «الأبواب المفتوحة»، «ودبلوماسية الدولار»، و«سياسة البوارج»- إن كل ذلك تم استخدامه وتجريبه في سياق التوسع في الشرق الأقصى.

---

(١) Rosenberg E.S. Op. cit, p. 118, 120, 147.

(٢) Feis H. The Diplomaey of the Dollar: First Era, 1919- 1932. Baltimore, 1950, p. 37.

٤ - العلاقات مع الاتحاد السوفييتي

كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تمارس على امتداد أعوام العشرينيات سياسة تعيق إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي.

وقد علل وزير الخارجية هيوز عام ١٩٢٣ وبصورة تفصيلية الموقف مستنداً في ذلك، إلى أن الحكومة السوفيتية ألغت قروضها الخارجية والتزاماتها المتعلقة بالديون، وصادرت الملكيات الأجنبية الخاصة، وأنها تمارس نشاطاً دعائياً هداماً من أجل «إسقاط الحكومات القائمة في سائر أنحاء العالم»[١]. وقد تضمنت الرسالة السنوية لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية كوليدج إلى الكونغرس في ٦ كانون الأول عام ١٩٢٣، تلك الحجج أيضاً للتذرع برفض الاعتراف، وتم الحديث فيها على أن إعادة النظر من قبل الحكومة السوفييتية بموقفها من هذه النقاط فقط يمكن أن تخلق الظروف لتغيير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

لقد أرسل غ. ف. تشيتشيرين برقية إلى كوليدج ١٦ كانون الثاني عام ١٩٢٣، تمَّ التعبير فيها عن استعداد الحكومة السوفييتية لبدء المفاوضات من أجل حل كل المسائل الخلافية بين الجانبين على أساس المساواة المتبادلة، بما في ذلك المسألة المتعلقة بالادعاءات المالية. بيد أن هيوز أدلى بتصريح في مجلس شيوخ الولايات المتحدة الأمريكية في ١٨ كانون الثاني عام ١٩٢٣ أعطي في اليوم الذي تلاه إلى المفوض السوفييتي في أستونيا من قبل القنصل الأمريكي في تالين.

---

(١) Foreign Relations of the United sates, Diplomatic papers, 1923: vol. 1,2. Wash. 1938, vol. 2, p. 758- 764.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٦، ص ٦٢٨ - ٦٢٩.

كان ذلك إنذاراً نهائياً من إذ الجوهر برفض أية مفاوضات، ومطالبة الاتحاد السوفييتي بالتخلي من جانب واحد عن المبادئ الأساسية لسياسته الداخلية والخارجية[1]. ومن ثمَّ فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بمسألة الاعتراف الحقوقي بالاتحاد السوفييتي اتخذت موقفاً رافضاً لأية مصالحة بالكامل، ومختلف تماماً بصورة ملموسة حتى عن خط عدد من الدول الرأسمالية الكبيرة، التي سارت في عام ١٩٢٤-١٩٢٥ على طريق إقامة العلاقات الدبلوماسية معه.

لقد ظهرت بعض الآمال المتعلقة بتغيير سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاعتراف بالاتحاد السوفييتي. بعد إقالة هيوز من منصب وزير الخارجية في آذار عام ١٩٢٥. بيد أن موقف الحكومة بقي كما في السابق. وسرعان ما أكدت وزارة الخارجية ورئيسها الجديد- الوزير ف. كيللوغ على ذلك.

لقد كانت الحكومة السوفييتية تصرح باستمرار عن استعدادها للبدء دون إبطاء بالمفاوضات مع ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية حول تسوية مسائل الخلاف، وكانت تجس نبض موقف الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مسائل تطبيع الروابط بين البلدين وشروطها، وذلك بمختلف الأساليب[2].

لكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت كل المبادرات السوفييتية في هذا الاتجاه. وفي كانون الأول عام ١٩٢٦ أكد غ. ف. تشتشيرين في برقية

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٤٧- ٥٤٨.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٩، ص ١٢٠- ١٢١، ٥٠٨- ٥٢٧. أرمينيا ١٩٢٦، ٢٧ نيسان.

أرسلها من برلين إلى مفوضية الشعب للشؤون الخارجية أن «مسألة استئناف العلاقات الدبلوماسية مع أمريكيا لا أمل فيها، ولم تتم أية خطوة في هذا المجال إلى الأمام»[1].

وبعد عام وفي حديث مع الممثل غير الرسمي للاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية ب. ي. سكفيرسك صرح رئيس قسم أوروبا الشرقية في وزارة الخارجية ر. ف. كيللي، أن «وزارة الخارجية تقف ضد مؤتمر أمريكي سوفييتي لسبب أنه لا يوجد أي حل وسط في هذه المسألة ولا يمكن أن يكون. إن الحكومة الأمريكية تنتظر تطور الأحداث في الاتحاد السوفييتي بالاتجاه الملائم...»[2].

ولقد تم تكرار تلك المطالب الإنذارية نفسها تجاه الاتحاد السوفييتي المشبعة بالعداء الصريح تجاه السوفييت، في تصريح وزير الخارجية كيللوغ ١٤ نيسان عام ١٩٢٨، إذ اعتبر أن تحقيق هذه المطالب هو ثمن للاعتراف، كما كان الأمر نفسه في تصريح هيوز ١٨ كانون الأول عام ١٩٢٣. وبالإضافة لذلك رفض رفضاً كاملاً أي تجربة إيجابية تمت من قبل عدد من البلدان الأوروبية في مجال تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدولة السوفييتية، وتمت إشاعة فكرة حول عدم وجود آفاق لأية مفاوضات أو حتى مناقشات معها لأجل تسوية المسائل الخلافية[3].

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٩، ص ٥٦٤.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١١، ص ١٩-٢٠.

(٣) العلاقات السوفييتية - الأمريكية ١٩١٩-١٩٣٣: مجموعة وثائق حول السياسة الدولية والحقوق الدولية. موسكو. ١٩٣٤، ص ٦٢- ٦٤.

لقد لوحظ بعض التطور في سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي. ففي البداية استخفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانيات السلطة السوفيتية في مسألة استرجاع الاقتصاد الوطني في البلاد وفي تحقيق النمو، ولم تر المنافع الكامنة في تطوير الروابط الصناعية والتجارية معها. وحسب كلمات غ. ف. تشير تشيرين (كانون الثاني عام ١٩٢٥) إن الحجة الرئيسية لهيوز (خلال زمن طويل كانت تكمن في تأكيده، بأن الجمهورية السوفييتية تبدو في المجال الاقتصادي وكأنها مكانٌ فارغٌ، ولا يمكن لها أن تستورد وأن تصدر)[1]. لم يستطع هيوز لفترة طويلة لحد ما أن يتحرر من تصوراته حول الإمكانيات الاقتصادية لروسيا السوفييتية، التي تكونت في بداية أعوام العشرينيات، وينطبق ذلك على غ. هوفر أيضاً الذي كان يكرر نفس الموضوعة حول «الفراغ الاقتصادي»[2].

لقد أشار المؤرخ الأمريكي أي. ساتون إلى أن «محتوى السياسة الأساسية لوزارة الخارجية في مجال التجارة، كان يكمن في أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا يجب عليها أن تدعم العلاقات الخاصة والروابط العملية في مجال التجارة مع الاتحاد السوفييتي، ولا أن تتدخل فيها»[3].

بيد أن سياسة (عدم تدخل) الحكومة في مجال العلاقات التجارية للرعايا الأمريكان مع الدولة السوفييتية لم تمارس قطّ بصورة صرفه.

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٨. ص ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٩. ص ٢٦.

(٣) Sutton. A.C: Western Technology, and soviet Ewnomic lopoment 1917 to 1930: stan ford (GAL), 1968, p. 246

وفي خريف عام ١٩٢٥ تقريباً، وعندما حققت إعادة بناء الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي نجاحات ملهمة كثيراً، وتم استقرار منظومته المالية، ونمت دورة تجارته الخارجية، بدأت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة النظر في تقييماتها السلبية السابقة للإمكانيات الاقتصادية للدولة السوفييتية كشريك في مجال الروابط التجارية. وساعد ذلك في التحرك الواقعي الملموس للعلاقات التجارية بين الدولتين: إن حجم الدورة التجارية بين البلدين وكذلك استيراد الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة الأمريكية قد زاد في العام الاقتصادي ١٩٢٤/١٩٢٥ عما سبقه ١٩٢٣/١٩٢٤ بـ ٤ مرات تقريباً[١].

ولقد حظيت الولايات المتحدة الأمريكية بالمركز الأول في هذا العام فيما يتعلق بكل استيراد الاتحاد السوفييتي[٢].

ويعتبر تسجيل محادثات رئيس ممثلية شركة النسيج الاحتكارية لعموم روسيا في الولايات المتحدة الأمريكية أ. س. هومبارغ مع وزير التجارة الأمريكي غ. هوفر شهادة تستحق الاعتبار فيما يتعلق بإعادة تقييم الآراء حول «الفراغ الاقتصادي» في الاتحاد السوفييتي.

وفي الرسالة حول هذه المحادثة إلى ممثل الاحتكار النسيجي لعموم روسيا في ٢٢ أيلول عام ١٩٢٥ أخبر هومبارغ ما يلي: (إن معرفتي بـ س. هوفر قديمة. لقد تحادثنا أكثر من مرة فيما يتعلق بالاتحاد السوفييتي).

---

(١) التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي: المجموعة الإحصائية. ١٩١٨- ١٩٦٦. موسكو ١٩٦٧، صفحة ٨.

(٢) الاتحاد السوفييتي خلال ١٥ عاماً: مواد إحصائية حول الاقتصاد الوطني. موسكو، ١٩٣٢.

كان السؤال الأول الذي طرحه علي «حسناً كيف وجدتم روسيا؟» ليس لديه أي شك مطلقاً فيما يتعلق ببعث الاقتصاد، وعلى الرغم من أنه لازال يغمغم بصدد الطرق الشيوعية، فإنه يعترف أن الاتحاد السوفييتي قام بخطوة اقتصادية ضخمة إلى الأمام، وأن الاتحاد السوفييتي يعتبر حالياً عاملاً جدياً في السوق الاقتصادي العالمي. ولم يعد يتحدث عن «الفراغ الاقتصادي»... لقد قدمت له أرقام الإحصاء الحديث للتطور الاقتصادي. لم يعارض بشيء، وإنما دمدم فقط، بأن لديهم ما شابه ذلك من المعطيات[1]. أصبحت الحكومة في الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين الرضا بصورة أكبر عموماً تجاه مبادرة مختلف الشركات والجمعيات الأمريكية التي عقدت صفقات كثيرة مع الإدارات الاقتصادية السوفييتية.

إلا أن سياسة عدم الاعتراف كانت تؤثر سلباً كما في السابق على تطور الروابط الاقتصادية بين البلدين. وكان ذلك يظهر بصورة خاصة في خط وزارة الخارجية المتعلق بمسألة إقراض المشتريات السوفييتية في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الموقف الرسمي بعدم الاعتراف تجسد بصورة قبيحة في الموقف تجاه تقديم القروض إلى منظمات التجارة الخارجية السوفييتية، التي كانت لو تحققت ستزيد من مشتريات الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثمَّ كانت ستجلب ربحاً إضافياً لأرباب العمل الأمريكان.

لقد جاء في تقرير رئيس قسم شرق أوروبا في وزارة الخارجية أو. كيستل في تموز عام ١٩٢٥، حول موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه

---

(١) الأرشيف الحكومي المركزي للاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي.

الاتحاد السوفييتي بعد الحجج المعتادة لصالح سياسة عدم الاعتراف ما يلي «لو أن أياً كان من البيوت المصرفية الأمريكية استفسر من وزارة الخارجية حول مسألة تسليف الحكومة السوفييتية، فإن الجواب سيكون دون أدنى شك سلبياً. إن تقديم قروض إلى الحكومة السوفييتية يتناقض في الواقع مع الحظ العام لسياستنا»(١). إن وزارة التجارة وقعت على ذلك. وفي رسالة ب. ي. سكفيرسك إلى مفوضية الشعب للشؤون الخارجية المؤرخة بتاريخ ١٣ كانون الثاني عام ١٩٢٦ يقول فيها: «أثير اهتمامكم إلى مذكرة... القروض الأجنبية المقدمة إلى الاتحاد السوفييتي». إن النزعة في هذه المذكرة الرسمية لوزارة التجارة واضحة تماماً: تحذير أوساط الأعمال الأمريكيين من تقديم قروض طويلة الأمد أو قصيرة الأمد كبيرة إلى الاتحاد السوفييتي»(٢).

لم تتشكل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الروابط الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي فقط بتأثير تلك الأهداف التي سارت على هداها تلك الإدارات الحكومية، وقبل أي شيء، وزارتا الخارجية والتجارة.

كان موقف الأوساط المالية والتجارية - الصناعية مهماً في هذه المسألة. ومع أن عالم العمل في الولايات المتحدة الأمريكية أظهر وحدة جلية بعض الشيء في تقييم إمكانية التعاون الاقتصادي السوفييتي - الأمريكي، فإنه دون شك كان يولي انتباهاً واهتماماً متزايدين بذلك التعاون، بمقدار ما كان الاقتصاد الوطني للدولة السوفييتية ينمو ويتجدد، وتتطور الروابط التجارية مع منظمات التجارة الخارجية التابعة له.

---

(١) Archiv federilnigo Ministersra Zahanicnich veci prahs pz Washington, 1925. N10.7 . 11; N11, 10.11

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي. الجزء ٩، ص ٢٦ - ٢٧.

توسعت التجارة الخارجية بين البلدين عام ١٩٢٥. ولقد كتبت الصحافة الأمريكية برضا عن الشراء الواسع للمعدات الصناعية، التي تنتجها «آم تورغ»، والتي تم تنظيفها في أيار عام ١٩٢٤، وعن عقد اتفاقية ملزمة مع أ. هاريمان لإعداد منجم لاستخراج المنغنيز في جورجيا السوفييتية، والتي عُدت كـ «برهان جديد لاستعداد السوفييت لإقامة روابط عمل مع الرأسمالية تقوم على مبادئ رأسمالية صارمة، وكإحدى الصفحات الأكثر إثارة في تاريخ مساعي الحكومة السوفييتية لإقامة روابط مع الرأسمال الأجنبي»[1]. «إن التنامي المستمر لشراء القطن من قبل فرع الجمعية النسيجية لعموم روسيا قد أثار انطباعاً محدداً في عالم العمل. فخلال عامين من نشاط فرع الجمعية النسيجية لعموم روسيا في نيويورك تم تصدير القطن والمواد الصباغية، والآلات والمعدات النسيجية بمقدار ٩٢ مليون دولار[2].

أصبحت زيادة القروض القصيرة الأمد وبصورة رئيسية بهدف توسيع الاستيراد السوفيتي عاملاً مهماً في تطوير العلاقات التجارية في تلك المرحلة. وقد ساعد هذا الأمر بصورة غير قليلة نشاط المؤسسات البنكية مثل «تشيز نيشينل بانك» و«إيكونتيبل تراست كومباني» وعدد آخر غيرهما. لقد فتحوا اعتمادات عالية لـ «آم تورغ» وغيرها من المنظمات السوفييتية، لكنها مهمة إلى حد ما من إذ مقادير القروض المتعلقة بالاستيراد. وفي عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ تم تأمين نحو ٧٠% من الاستيراد السوفييتي من الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة القروض قصيرة الأجل من البنوك والشركات،

---

(١) New York Tumes, 1925 Apr. 18; Financial News, 1925, June 15; World, 1925.

(٢) الازفستيا، ١٦٢٥، ١٦ كانون الأول.

الأمر الذي كان يشهد على الثقة المتزايدة من قبل أوساط الأعمال في البلاد تجاه الدولة السوفييتية(١).

يمكن اعتبار عام ١٩٢٥ منعطفاً من وجهة نظر تغير موقف أوساط رجال الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي.

«إن تأثير الانعطاف المحدد باتجاه التقارب معنا» تحت تأثير تعزز العلاقات الاقتصادية بين البلدين قد تم وصفه في ملاحظات مفوض الشعب للتجارة الخارجية في الاتحاد السوفييتي ل.ب. كراسين في تموز عام ١٩٢٥ «اعتباراً من الآن، توجد لدينا روابط مع الأمريكان«، - ولقد تحدث غ.ف. تشيتشرين في كانون الأول عام ١٩٢٥، محللاً عوامل تطور الروابط الاقتصادية مع ممثلي التجارة والصناعة في الولايات المتحدة الأمريكية عن «تبدل الجبهة لقسم من عالم العمل تجاه الاتحاد السوفييتي» وألقى ب.ي. سكفيرسكي تقريراً في مفوضية الشعب للشؤون الخارجية حول تطور صلات الصداقة والتعاون التجاري المتبادل معهم»(٢).

وفيما بعد، وبمقدار نمو الروابط الاقتصادية بين البلدين، كان يُلحظ سعيٌ واضحٌ في عالم العمل في الولايات المتحدة الأمريكية لتطبيع العلاقات الاقتصادية والسياسية مع الاتحاد السوفييتي وزيادة تدريجية في ضغطه على الحكومة.

وكمثال ساطع على ذلك نشاط المطبوعة ذات التأثير لرجال الأعمال «مجلة التجارة» ومحررها ب. ويللز اللذان أظهرا رأيهما إلى جانب الاعتراف

---

(١) الأزفستيا، ١٩٢٥، ٨ آب;Ctatist, 1925, Sept, 5

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ٨، ص ٤٦٠، ٧٢٣، الجزء التاسع، ص ٢٦.

بالاتحاد السوفييتي وإلى جانب تحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية من خلال العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي[1]. وفي مجالات الأعمال والمفاوضات مع المنظمات السوفييتية كانت تنخرط أكثر فأكثر شركات أمريكية، بما في ذلك تلك الاتحادات الاحتكارية الضخمة مثل روكفلر، وفورد، وشركات «بيتلكسيم ستيل»، و«بولدوين لوكوموتيف»، و«جنرال الكتريك»، ومؤسسات مالية. ولقد بلغ عدد موردي المعدات الصناعية إلى الاتحاد السوفييتي لغاية أعوام العشرينيات نحو ٨٠٠ شركة أمريكية، أما العدد العام للشركات والمؤسسات الذي أقامت معهم (آمتورغ) صلات حول طلبيات المنظمات السوفيتية فقد بلغ الألفين[2].

من المستحيل القول إن عالم العمل في الولايات المتحدة الأمريكية كان يملك موقفاً موحداً فيما يتعلق بمسألة الطابع السياسي والاقتصادي للعلاقات مع الاتحاد السوفييتي. فإلى جانب أنصار تطبيع العلاقات معه، هناك أوساط لا يستهان بها، ومؤثرة كانت تدعم سياسة الحكومة أو سلكت خطاً مزدوجاً. ففي ٨ كانون الثاني عام ١٩٢٦ اتخذت غرفة تجارة نيويورك قراراً ضد الاعتراف بالحكومة السوفيتية «ما دام الحزب الشيوعي يحتفظ بالسلطة العليا في روسيا[3]». إن النظرات الرجعية كانت تميز كذلك غرفة تجارة الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تضم الماليين والصناعيين الكبار. إن الازدواجية، والتأرجح في السياسة تجاه الاتحاد السوفييتي من

---

(١) Jour nal of Commerce, 1926, Jan. 6. Mars, 25, Apr, 12, 13.

(٢) فورايف. ف. ك. حول العلاقات التجارية والاقتصادية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٩ في كتاب: مسائل تاريخ العلاقات الدولية. لينينفرار.

(٣) الأزمستيا، ١٩٢٦، ١٠ كانون الثاني.

قبل ممثلي الرأسمال الصناعي والمالي الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية قد ظهر حتى بصورة منظمة بحتة. وهكذا، فإن التروست النفطي العملاق لآل روكفلر، الراسخ العقيدة في عدائه للنظام السوفييتي، لكنه كان يقف في «المسألة الروسية» وكأن له وجهين في الوقت نفسه. إن إحدى شركاته «ستاندارد أويل ك أوف نيوجرسي» برئاسة أو. تيجل، التي اشترت عام ١٩٢٠ أسهم شركة نوبيل، قد أظهرت عداوة وفقدانَ صبرٍ في كل ما يتعلق بالسلطة السوفييتية وعلاقات العمل المتكافئة مع ممثليها. مقابل ذلك، فإن شركتين أخريين تابعتين لآل روكنلز - «ستانداردأويل ك أو ف نيويورك» و«فاكوم أويل ك» انخرطا انطلاقاً من تصوراتهما التجارية البحتة في صلات دائمة مع المنظمات السوفييتية، وصارا ينتجان للاتحاد السوفييتي الطلبيات الكبيرة من المصنوعات النفطية. إن رئيس التروست لم يسعَ مطلقاً إلى توحيد عام لمخارج نشاط كلتا شركتيه[1].

كان المركز الذي يتجمع حوله ممثلو عالم العمل في الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان يعي أكثر فأكثر الفائدة الحقيقية بالنسبة له من تطبيع العلاقات الاقتصادية والسياسية مع الاتحاد السوفييتي هو غرفة التجارة الأمريكية الروسية التي أعيد تنظيمها عام ١٩٢٦. ولقد أصبح رئيساً للغرفة عام ١٩٢٦ ر. شلي، نائب رئيس «تشيزنشنل بنك». ونائب الرئيس - أ. ووردويل، الشريك في شركة محاماة ضخمة، والعامل السابق في الصليب الأحمر الأمريكي في روسيا، أما السكرتير فهو- تشي.غ. سميت، الذي كان عضواً في لجنة السكك الحديدية للحلفاء في سيبيريا. إن ١٧ مديراً

(١) فورسينكو. ١. ١. السلالة الملكية لعائلة روكفلر. لينينفرار، عام ١٩٧٠، ص ١٣٠ - ١٥٤.

للغرفة كانوا يمثلون مؤسسات مالية وتأمينية، وشركات صناعية ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

أما أعضاء الغرفة من الجانب السوفييتي فكانا «آم تورغ» وفرع الجمعية النسيجية لعموم روسيا في نيويورك.

اتخذت غرفة التجارة الأمريكية الروسية في نهاية عام ١٩٢٦ قراراً بإرسال مبعوثها الخاص إلى موسكو «لأجل فتح دائرة فيها والحصول على معلومات يمكن أن تكون مفيدة لأعضاء الغرفة»[١].

وفي كانون الثاني عام ١٩٢٧، وصل إلى موسكو، ولهذا الهدف السكرتير، ثم نائب رئيس غرفة التجارة الأمريكية الروسية تس.غ. سميت.

ولقد استقبله نائب مفوض الشعب للشؤون الصناعية م.م. ليتفينوف، ومفوض الشعب للشؤون المالية لم.ي. فرومكين، وتعرف عمل البنك الحكومي، وعمل رئيس لجنة الامتيازات، وغيرها من المصالح الاقتصادية، وأنشأ ممثلية دائمة للغرفة في الاتحاد السوفييتي. إن نشاط الغرفة التجارية الأمريكية الروسية امتلك أهمية ملموسة سواء لأجل تنسيق جهود القسم الأكثر بعد نظر والأكثر تبصر من عالم العمل في الولايات المتحدة الأمريكية لصالح تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي ولأجل توسيع الروابط التجارية الاقتصادية بين البنوك والشركات الأمريكية والمنظمات الاقتصادية السوفييتية. ومما كان له دلاله بالغة، أن الاتفاقيات المالية والتجارية الكبيرة عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ مع الهيئات الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي قد عقدها بالذات أعضاء غرفة التجارة الأمريكية الروسية.

---

(١) الأزفستيا، ١٩٢٦، ٩ تشرين الثاني؛ Sutton. A. C. OP. Cit, p. 289.

وبمقدار تطور روابط الدولتين في مجال التجارة ومجالات الأعمال والعلم، والتكنيك، وانخراط قسم لا يستهان به من أوساط رجال الأعمال بنشاط لأجل التقارب الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي، بمقدار ما كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تجد صعوبة أكبر في البرهان على ملاءمة وشرعية سياسة عدم الاعتراف.

لذلك تبدلت نسبياً تعليلات وزارة الخارجية بالنسبة لسياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في مجال العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي. فبدءاً من عام ١٩٢٥ تم طرح نظرية «تجارة دون اعتراف». يتلخص محتواها في أن سياسة عدم الاعتراف بالاتحاد السوفييتي لا يؤثر بأي شكل من الأشكال كما تزعم على تطور الروابط الاقتصادية بين البلدين.

كان ممثلو الحكومة يؤكدون في تصريحاتهم الرسمية، أن خط الولايات المتحدة الأمريكية في مجال العلاقات الاقتصادية بين الدولتين المبنى على أساس النظرية التي تمت الإشارة إليها هي وجهة نظر أكثر عملية من سياسة الدول الأوروبية.

ويمكن أخذ مثال يفيد في هذا المجال هو تصريح وزير الخارجية كيللوغ ١٤ نيسان عام ١٩٢٨ حول سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا السوفييتية[1].

إن سياسة عدم الاعتراف قادت بصورة موضوعية في كل الأحوال إلى انخفاض مصطنع للدورة البضاعية بين البلدين بما في ذلك التصدير الأمريكي إلى الاتحاد السوفيتي. إن هذه السياسة في مختلف مراحل الروابط الاقتصادية

(١) العلاقات السوفييتية - الأمريكية، ١٩١٩ - ١٩٣٣، ص ٦٣ - ٦٤.

السوفييتية الأمريكية أعوام العشرينيات قد ألقت بـ «أحجارها» الجديدة المعيقة على طريق تطورها.

وهكذا، سجلت الإحصاءات انخفاضاً حاداً إلى درجة ما في التصدير الأمريكي إلى الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ بالمقارنة مع عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ (٩٤ مليون روبل مقابل ١٥٨ مليون روبل)[1].

إن تفسير هذا الأمر يشير إلى أن التطور اللاحق لنشاط المنظمات التجارية السوفييتية في الولايات المتحدة الأمريكية كان يتعلق إلى حد بعيد بتمويل البنوك والشركات لمشترياتها، وبالانتقال إلى القروض قصيرة الأمد، والقروض طويلة الأمد المتعلقة بالاستيراد.

لقد أشار ممثلو «آم تورغ» أكثر من مرة، إلى أن القروض قصيرة الأمد لا تسمح بزيادة حجم المشتريات السوفييتية في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن بعض التراخيص التي تم تقديمها لتوزيعها في السوق الأمريكية، توجب نقلها إلى ألمانيا في عامي ١٩٢٥ - ١٩٢٧ إذ تم الحصول على قروض طويلة الأمد بصورة أكبر.

ومنذ النصف الثاني من عام ١٩٢٧ عندما رفعت وزارتا الخارجية والتجارة بعض القيود في مجال القروض المتعلقة بالمشتريات السوفييتية، ونمت

---

(١) أخذت هذه الإحصائيات من: التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي: المجموعة الإحصائية، ١٩١٨ - ١٩٦٦، الصفحة ٨ - ٩. والعلاقات السوفييتية الأمريكية، ١٩١٩ - ١٩٣٣، ص ٩٨ - ٩٩، ووثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٠، ص ٣٣٣ - ٣٣٥، والجزء ١١، ص ٥٥٦، ٧٤٥. والتجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي، المجموعة الإحصائية لعام ١٩١٨ - ١٩٦٦ ص ٨ - ٩.

الدورة البضاعية، فإن سياسة عدم الاعتراف استمرت ومن ثمَّ تؤثر سلباً على تطور الروابط الاقتصادية بين الدولتين.

إن نمو الروابط الاقتصادية الأمريكية السوفييتية، وضغط أوساط الأعمال على الإدارة لصالح إنشاء ظروف لتوسيعها، دفعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ للتخلي عن عدد من القيود على العلاقات التجارية الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي.

ولقد ظهر ذلك قبل أي شيء في مسألة تمويل التصدير الأمريكي إلى الاتحاد السوفييتي. ففي تشرين الأول عام ١٩٢٨ عقدت «آم تورغ» اتفاقية مع شركة «جنرال الكتريك» حول تقديم قرض طويل الأمد لمدة خمس سنوات لأجل شراء معدات كهربائية في الولايات المتحدة الأمريكية بمبلغ ٢٦ مليون دولار وتصديرها إلى الاتحاد السوفييتي.

إن عقد اتفاقية مع «جنرال الكتريك» قد ساعد على تنشيط المفاوضات مع شركات ضخمة أخرى - «فورد موتورك» و«جنرال موتورز». أجريت المفاوضات مع فورد في ٣١ أيار عام ١٩٢٩ لعقد اتفاقية ضخمة من أجل إرسال سيارات وقطع غيار إلى الاتحاد السوفيتي، وتقديم مساعدة تقنية من قبل الشركة في بناء معمل غوركي للسيارات. لقد نما التصدير الأمريكي إلى الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٧ -١٩٢٨، وأصبح الاتحاد السوفييتي مستورداً كبيراً لبعض منتجات صناعة بناء الآلات المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد استورد جرارات في عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ بلغت نسبتها ما بين

١, ١٠ إلى ٧, ٢٣% من جميع مستورداته من الولايات المتحدة الأمريكية، ومخارط لمعالجة المعادن ما بين ٩, ٦ إلى ٥, ١٠ % ومعدات نفطية ما بين ٩, ٨ إلى ١, ١٠% - حفارات، معدات كهربائية ما بين ٦, ١ إلى ٣, ٢%(١).

لقد حققت روابط الدولتين تطوراً مهماً على أساس الاتفاقيات الامتيازية والمعاهدات الخاصة حول المساعدة التقنية المعقودة من قبل المنظمات السوفييتية مع الشركات الأمريكية. ففي تشرين الأول عام ١٩٢٨ كان هناك ٩ امتيازات أمريكية في الاتحاد السوفييتي وست معاهدات تقدم المساعدة التقنية من قبل الشركات في الولايات المتحدة الأمريكية(٢).

وهكذا، ومع نهاية أعوام العشرينات فإن مؤشرات تطور الروابط الاقتصادية السوفييتية الأمريكية المتعلقة بالأشكال الأساسية للتعاون الاقتصادي إما بقيت متساوية مع المؤشرات المشابهة للعلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفييتي وإنكلترا وألمانيا، أو تفوقت عليها.

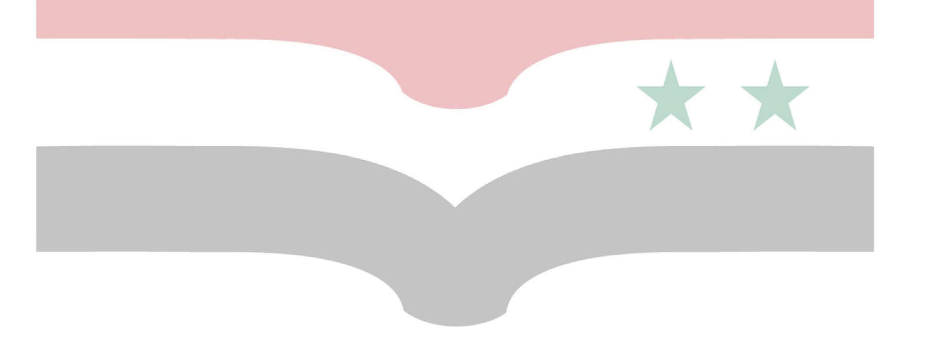
ومع ذلك، لم يكن من الصحيح تقييم المستوى الذي تم تحقيقه للعلاقات بين البلدين في المجال الاقتصادي كحالة مستقرة تزيد أو تنقص، وسياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كسياسة راسخة وارتقائية باتجاه واحد. ففي رسالة ممثل الإتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي - الجزء ١٠ من ص ٣٣٣- ٣٣٥، والجزء ١١ ص ٥٥٦، ٧٤٥، والتجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي - المجموعة الإحصائية ١٩١٨- ١٩٦٦، ص ٨- ٩.

(٢) فورايف. ف. ك. العلاقات السوفييتية - الأمريكية، ١٩١٧- ١٩٣٩. موسكو، ١٩٦٤، ص ١٥٢- ١٥٣.

ب.ي. سكفيرسكي إلى مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٢٨تم الحديث فيها، على أنه وبالرغم من بعض التحسنات في العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، لا تزال هناك قوى مؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية تخلق العقبات أمام تطورها الطبيعي. إن هذا الأمر كان مرتبطاً إلى درجة ملموسة بغياب العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين.



الفصل السابع

«الكساد العظيم»

وتفاقم التناقضات الاجتماعية

١ - الأزمة ووضع الكادحين

كانت الأزمة الاقتصادية في أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ هي أكثر أزمات فائض الإنتاج عمقاً خلال كل تاريخ الرأسمالية. فقد عانى اقتصاد البلدان الرأسمالية تقريباً من الفوضى الكاملة. لكن الأزمة هزت بشكل حاد على وجه الخصوص البلاد الرئيسية في العالم الرأسمالي - الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الصدمات الأولى للأزمة انفجرت في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٢٩، عندما دبَّ حالة من الذعر في البورصة الذي لم يسبق لها مثيل في الولايات المتحدة الأمريكية.

إذ تم في ذلك اليوم بيع ١٢,٨ مليون سهم في بورصة نيويورك، أي أكثر من ١,٥ مرة في أي وقت مضى. وبعد عدة أيام، في ٢٩ تشرين الأول وصل الهرج والمرج في المضاربة إلى ذروة جديدة، عندما انتقل من يد إلى يد أخرى ١٦,٤ ملايين سهم[1]، وبدأ سعر العملات الصعبة في بورصة نيويورك ينخفض بحدة.

---

(١) لان. ف. ي. الولايات المتحدة الأمريكية: من الحرب العالمية الأولى إلى الثانية. موسكو عام ١٩٧٦ ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

فإذا كانت قيمة الأسهم التي تمَّ تداولها في وول ستريت قد بلغت ٨٧ مليار دولار في ١ تشرين الأول عام ١٩٢٩، فإنها، وخلال شهر واحد فقط، حتى ١ تشرين الثاني انخفضت إلى ٥٥ مليار دولار، أي إلى ٣٧%.

لكن ذلك كان عبارة عن البداية فقط. إن انهيار سعر الأسهم استمر تقريباً وبدون توقف أكثر من ثلاث سنوات. لقد بلغت القيمة العامة لها حتى آذار عام ١٩٣٣ نحو ١٩ مليار فقط، أي إنها انخفضت بالمقارنة مع عام ١٩٢٩ بنحو ٥,٤ مرة تقريباً(١).

كان انهيار البورصة عام ١٩٢٩ واحدة من الظاهرات الخارجية الأولى فقط لعمليات الأزمة العميقة التي كانت تحدث في اقتصاد العالم الرأسمالي. فمنذ صيف عام ١٩٢٩ أصبحت تظهر في الولايات المتحدة الأمريكية مؤشرات أزمة فائض الإنتاج، التي شملت بصورة سريعة الصناعة، والزراعة، والمنظومة المالية وغيرها من فروع الاقتصاد. وحدثت هزات كبيرة في كل الحياة الاقتصادية للبلاد.

تجلت القوة الهدامة العملاقة للأزمة الاقتصادية في البداية بانخفاض الإنتاج الصناعي الحاد. إذ بلغ الحجم العام لإنتاج الصناعة الأمريكية عام ١٩٣٠، بالمقارنة مع مستوى ما قبل الأزمة عام ١٩٢٩ - ٨٠%، وفي عام ١٩٣١ - ٦٨,١%، أما في عام ١٩٣٢ فبلغ ٥٣.٨% فقط(٢). وأصبحت المرحلة الممتدة من صيف عام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ هي زمن الاشتداد الأعمق

---

(١) Hicks J.D. The Ameri can Nation. A History of the United states from 1865 to the present. Cambridge (Mdss)k 1955k p. 519.

(٢) لياشنكو. ى: تاريخ الاقتصاد الوطني: الجزء ١-٣. موسكو. ١٩٥٢ - ١٩٦٥، الجزء ٣، ص ٢٦٣.

للأزمة، وأخذ مستوى الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية يرتفع تدريجياً في ربيع عام ١٩٣٣ فقط، وشكل دلالة على بداية انتقال الاقتصاد من الأزمة إلى الركود. إن الهبوط الأكثر حدة في الإنتاج في أعوام الأزمة الاقتصادية قد احتل مكاناً في فروع الصناعة الثقيلة. وكان هذا الأمر يعني، أن مواقع الاحتكارات كانت متينة هناك بصورة خاصة، وأن تقليص الإنتاج لم يكن سوى عبارة عن وسيلة في يدها حاولت من خلالها عدم السماح بحدوث انخفاض كبير في الأسعار والحفاظ على مستوى عالٍ من أرباحها. وفي الحصيلة، فإن استخراج الفحم على سبيل المثال انخفض في الولايات المتحدة الأمريكية خلال أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٢ من ٥٣٥ مليون طن إلى ٣١٠ مليون طن أو إلى ٤٢%، أما إنتاج الفولاذ فقد انخفض خلال هذه السنوات من ٦١,٧ مليون حتى ١٥,١ مليون طن، أي أقل من الربع[1]. وفي صيف عام ١٩٣٢ انخفضت صناعة سبك الفولاذ إلى مستوى عام ١٩٠١، أما إنتاج الحديد الصب فقد انخفض كذلك إلى مستوى عام ١٨٩٦[2]. ومن أصل ٢٨٥ فرن صهر عالي في البلاد، بقي يفي الخدمة ٤٦ فرن فقط. إن نقص الحمولة في الجهاز الإنتاجي المستخدم في ظروف أزمة الرأسمالية العامة ذات الطابع المزمن، وصل في بداية أعوام الثلاثينيات إلى أبعاد كبيرة. وحسب معطيات دراسة خاصة أجرتها مجموعة من الاقتصاديين الأمريكان، فإن الصناعة كانت تستطيع في حالة الاستخدام الكامل للمعدات الموجودة والقوة العاملة خلال فترة الأزمة أن تعطي

---

(١) Historical statistics of the United states. Colonial Times to 1970 Wash. 1975, p. 589.

(٢) الأزمات الاقتصادية العالمية، ١٨٤٨ - ١٩٣٥: بأجزاء ثلاثة. موسكو. ١٩٣٧ - ١٩٣٩، الجزء ١، ص ٩٠.

منتوجات بصورة إضافية تبلغ قيمتها ٢٨٧ مليار دولار[١]. إن هذا المقدار يزيد بـ ثلاث مرات تقريباً عن مقاييس إجمالي الناتج الوطني للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٢٩.

لقد حصلت في أعوام الأزمة حالات كبيرة جداً من الخراب والإفلاسات في المؤسسات والشركات الصناعية والتجارية والمالية. فحسب المعطيات الرسمية جرت في أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ نحو ١٣٠ ألف عملية إفلاس تجاري[٢].

لقد ضربت الأزمة بقوة كبيرة المنظومة البنكية في البلاد أيضاً فخلال أربع سنوات من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٢ زال عن الوجود ٥٧٦٠ بنك، أي خمس البنوك جميعها في الولايات المتحدة الأمريكية، بمجموع عام للودائع يصل إلى أكثر من ٣,٥ مليار دولار[٣]. وكانت العواقب الاجتماعية للأزمة ثقيلة بصورة غير معقولة. وهبط الدخل القومي للبلاد الذي بلغ عام ١٩٢٩ - ٨٦,٨ مليار دولار، إلى ٤٠,٣ مليار دولار في عام ١٩٣٣، أي أقل مرتين. لم تسلم حتى الاتحادات الاحتكارية من الإحساس بضربات الأزمة بهذه الدرجة أو تلك. ففي عام ١٩٣١ أقدمت الاتحادات الاحتكارية على رصد حسابها بخسارة وصلت إلى ٤٨٧ مليون دولار، ولقد زادت هذه الخسائر في عام ١٩٣٢ إلى ٣٥١١ مليون دولار[٤]. كانت هذه الحصيلة كارثة حقيقية بالنسبة لعالم الأعمال. لم ترحم الأزمة حتى بعض الاحتكارات الضخمة، وأصبح مثالاً جلياً على الإفلاس المالي في تلك

---

(١) المناورات «المنهاجية» في البلدان الرأسمالية: مجموعة مواد. موسكو، ١٩٣٦، ص ١٧٠.
(٢) Historical Statistics of the united states, p. 912.
(٣) Ibid., p. 1019, 1038.
(٤) Ibid., p. 235, 926.

السنوات هو ما حصل ربيع عام ١٩٣٢ من إفلاس للمليونير الكبير صموئيل اينسول. إن كارثة المنظومة المتشعبة للشركات القابضة، التي أنشأها اينسول في فترة «الرفاه» أظهرت بجلاء هشاشة بنية الكثير من الاتحادات الاحتكارية .

ولكن ومهما كانت ضربات الأزمة قاسية بالنسبة للفئات البورجوازية من السكان، فإنها لا تقارن ولا بأي شكل مع المصائب التي حملتها الأزمة الاقتصادية للطبقة العاملة وغيرها من فئات السكان الكادحة في البلاد. لقد ألقى الرأسماليون عليهم بالذات العبء الرئيسي للهزة الكارثية.

إن الهبوط الحاد للإنتاج الصناعي، وإغلاق عشرات الآلاف من المعامل، والمصانع، والمناجم، ونقص الحمولة الكبير في الجهاز الإنتاجي- إن كل ذلك أدى إلى نمو هائل للعطالة عن العمل. إن جيش العاطلين عن العمل، الذي كان كبيراً بصورة ملموسة في فترة الاستقرار الرأسمالي أعوام العشرينيات، زاد الآن بمرات عديدة.

فحسب الإحصاءات الحكومية، بلغ عدد العاطلين عن العمل بصورة كاملة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٣، ١٢٨٣٠ ألف عاطل، وبلغت نسبة العاطلين بالمقارنة مع المجموع العام للقوة العاملة ٢٤,٩%[١].

بيد أن الرأي العام التقدمي في الولايات المتحدة الأمريكية قيَّم هذه المعطيات الرسمية كمعطيات منخفضة بصورة ملموسة. وهكذا وحسب تقديرات المنظمة التقدمية للاقتصاديين الأمريكان- الجمعية المختصة بدراسة قضايا العمل، فإن عدد العاطلين في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ حتى بداية عام ١٩٣٣، نحو ١٦,٩ مليون عاطل[٢].

---

(١) Ibid., p. 135.

(٢) Labor fact Book. N.Y., 1934, vol. 2, p. 73.

كان هذا الأمر يعني أن كل واحد من أصل ثلاثة عمال كان عاطلاً عن العمل في فترة التفاقم الشديد للأزمة الاقتصادية.

وقد نالت البطالة الجزئية انتشاراً واسعاً ، فحسب معطيات الفدرالية الأمريكية للعمل، كانت نسبة من العاملين بدوام كامل ١٠% من مجموع العمال[١]. وحسب تعبير أحد المعاصرين أصبحت «العطالة عن العمل في بداية أعوام الثلاثينيات سمة دائمة في الحياة الأمريكية[٢]». لقد حرمت جماهير العاطلين عن العمل وأعضاء أسرهم من كل وسائل العيش أعوام الأزمة. ولم يترك غياب نظام التأمينات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، أي أمل بالمساعدة من قبل الدولة.

وتحول مئات الآلاف من الكادحين إلى متشردين معدمين لا يملكون منازل، ويطوفون في البلاد بحثاً عن المعيشة، وذلك بعد أشهر طويلة من البحث الذي لا طائل له عن العمل، وبعد استنفاذ كل مدخراتهم، وبعد فقدانهم ممتلكاتهم وطردهم خارج شققهم نتيجة عدم دفع أجرتها. ووجد الكثير منهم أنفسهم أمام خطر الموت من الجوع بصورة فعلية. وفي نيويورك فقط تم تسجيل حوالي ألفي حادثة موت من الجوع عام ١٩٣١. ولقد زاد سوءاً وضع أولئك الذين كانوا محظوظين باحتفاظهم بالعمل. كانوا يعانون بصورة دائمة من الشعور المرهق بعدم الثقة في الغد. ومنذ بداية الأزمة، وبصورة خاصة من النصف الثاني من عام ١٩٣١ كان يتم في جميع فروع الصناعة تخفيض الأجور. وحتى حسب المعطيات الإحصائية الرسمية فإن

---

(١) مالكوف. ف. ل. الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ - ١٩٣٣. موسكو، ١٩٦١، ص ٥٤٠.

(٢).Hation, 1930. Dec. 10, p. 641

متوسط أجر العامل السنوي في الصناعة التحويلة تقلص عام ١٩٣٣ بالمقارنة مع عام ١٩٢٩ بحدود ٣٠% (من ١٥٤٣ إلى ١٠٨٦ دولاراً)(١). وتقلص الصندوق العام لأجور العمال الأمريكان خلال أعوام الأزمة على حساب الانخفاض المنتظم للرواتب، وعدم العمل الكامل بحدود ٦٠%(٢).

كان ذلك يعني أن عملية الإفقار المطلق للبروليتاريا التي كانت قد توقفت وقتياً في فترة الاستقرار الرأسمالي النسبي تجددت مع حلول الأزمة الاقتصادية واكتسبت أبعاداً غير مسبوقة. فحسب إحصاءات الفدرالية الأمريكية للعمل انخفضت الأجرة الفعلية للعمال خلال أعوام ١٩٢٩- ١٩٣٢, ٣٥% بصورة وسطية.

لم يكن مصير المزارعين بأفضل، فحتى في أفضل السنوات، بقي جمهور واسع من المزارعين الكادحين على الهامش في فترة «الرفاهية»، والآن مع حلول الأزمة الصناعية ، والتفاقم الجديد والأكثر قوة لفائض الإنتاج في الزراعة، أصبح أغلب المزارعين على حافة الخراب الكامل. إذ انخفضت الأسعار على المنتوجات الزراعية والحيوانية الأساسية في عام ١٩٣٢ إلى مرتين أو ثلاث مرات بالمقارنة مع عام ١٩٢٩.

وبمقتضى ذلك فإن الدخول النقدية للمزارعين تقلصت خلال هذه الأعوام من ١١٣١٢ مليون إلى ٤٧٤٨ مليون دولار أي ٥٨%(٣).

ازدادت أوضاع المزارعين تهقيداً أيضاً بسبب أن الأسعار بضائع الصناعة المحتكرة انخفضت في أعوام الأزمة أقل من أسعار منتوجات الزراعة المشتتة. إن

(١) Historical Statistics of the United states, p. 166.

(٢) Labor fact Book, vol. 2, p. 80.

(٣) Historical Statistics of the United states,p. 483, 511. 517.

التناسب غير الملائم، حتى سابقاً، للأسعار على البضائع المباعة والمشتراة من قبل المزارعين وصل إلى مستوى منخفض لم يسبق له مثيل - من ٩٢% في عام ١٩٢٩ حتى ٥٨% في عام ١٩٣٢. لذلك فإن الرقم القياسي الشرائي للبضائع الزراعية انخفض بصورة ملموسة أكثر بكثير من المستوى المطلق للأسعار الزراعية. كان المستوى في صيف عام ١٩٣٢، في فترة التعمق الكبير للأزمة الزراعية أقل بـ ٨- ١٠ مرات مما في عام ١٩٢٩، في هذه الظروف الصعبة أصبح الدفع المنتظم لما يسمى نفقات الإنتاج المثبتة بالنسبة لأكثرية المزارعين صعباً للغاية: إيجار الأرض، وفوائد الديون والضرائب (كانت تبتلع حتى ٤٠% من الدخل الزراعي العام في عام ١٩٣٢)[١]. إن كل ذلك أدى إلى خراب شامل للمزارعين. فخلال أربعة أعوام من آذار عام ١٩٢٩ إلى آذار عام ١٩٣٣، تم بيع ٨٩٧ ألف مزرعة بالمزاد العلني بصورة إجبارية بسبب عدم دفع القروض والضرائب، أي ١٤,٣ % من عدد المزارع العام في البلاد[٢]. إن المزارعين الذين أفلسوا إما ظلوا في مكانهم السابق بمنزلة مستأجرين، وانتقلوا إلى اقتصاد استهلاكي نصف طبيعي، أو انضموا مع أعضاء أسرهم بعد أن هجروا مزارعهم إلى جيش المتشردين الضخم، الذي كان يجول في البلاد بحثاً عن العمل دون جدوى.

إن تعمق الأزمة المالية الصناعية والزراعية بدءاً من خريف عام ١٩٣١ أدى إلى حلول مرحلة جديدة من الأزمة المالية. ولقد بلغت حدها الأقصى في شباط - آذار عام ١٩٣٣، عندما وصل النظام البنكي بأسره في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الانهيار التام. تدحرجت في البلاد موجة جديدة من الانهيارات البنكية هي الأكثر قوة. وساءت حالة الملايين من المودعين

---

(١) Labor fact Book, vol. 2, p. 151.

(٢) The farm Real Estate Situation, 1930- 31. Wash., 1931, p. 45: 1931- 32. Wash., 1932, p. 37: 1932- 33. Wash, 1933, p. 42; 1935- 36. Wash, 1936, p. 26!.

الصغار - العمال، والمزارعين وممثلي الفئات الوسطى في المدينة بصورة حادة من الصدمات الأولى للأزمة، وفقدوا آخر مدخراتهم، وتحولوا إلى معدمين.

بيد أن أثقل ضربات الأزمة انهالت على الزنوج. إن الغيتويات الزنجية التي تمكنت حتى ذلك الوقت أن تتشكل في عدد من المدن الكبيرة، تحولت إلى حشود من العاطلين عن العمل، في بؤر الفقر الدائم. وفي المناطق الزراعية في الجنوب كان يجري طرد المستأجرين وجامعي المحاصيل الزنوج من الأرض بصورة جماعية في بداية أعوام الثلاثينيات. كانت مئات الآلاف من الزنوج تنضم إلى جيش العاطلين عن العمل، الذين لا مأوى لهم، الذي يضم الملايين. اشتدت العنصرية في البلاد بصورة حادة، وعمت موجة جديدة من التنكيل الجسدي للزنوج: وقد تعرض للقتل العرقي ٦٩ زنجياً خلال أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ حسب المعطيات الرسمية فقط بيد أن الكثير من حالات الحكم بالقتل دون محاكمة تمت دون أن يتم تسجيلها.

إن الوضع التراجيدي الذي وجد عشرات الملايين من الكادحين أنفسهم فيه، قد تمَّ تشخيصه بقوة مؤثرة في تلك التحف من الأدب الأمريكي في أعوام الثلاثينيات، مثل «أمريكا التراجيدية» لـ ت. درايزر و«عناقيد الغضب» لـ ج. شتاينبك.

كتب أو. ز. فوستر فيما بعد وهو يصف الوضع في البلاد في بداية أعوام الثلاثينيات: «إن الولايات المتحدة التي كانت في الماضي بلاداً رأسمالية مزدهرة، ويُكال لها الثناء، أصبحت بلاداً يسيطر عليها كابوس الجوع، والمرض والبؤس والإفقار». لم تهز أزمة أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ القواعد الاقتصادية - الاجتماعية

الرأسمالية الأمريكية فقط. ولكنها مارست تأثيراً نفسياً هائلاً على ملايين الأمريكيين، مسببة تغيرات جذرية في الوعي الجمعي. لقد هزت بصورة حاسمة عبادة عالم الأعمال، الذي أُنشىء خلال عشرات السنين من سيطرة الاحتكارات، والذي كاد يصبح رمزاً لإيمان الأمريكي البسيط في فترة «الازدهار» الرأسمالي أعوام العشرينيات. أما الآن فقد أصبحت النفسية الجمعية تحمّل إثم الهزة الاقتصادية التدميرية لـ «قباطنة الصناعة» أنفسهم الذين كان يتم تبجيلهم حتى الأمس القريب. لقد أظهرت الأزمة بأم العين الإفلاس الكامل لأفكار القدرة المطلقة لفردية أصحاب المشاريع الخاصة والدور الخلاق لعالم العمل الكبير.

وبدأ الشك يخامر جزءاً مهماً من الأمريكيين حول عدالة ومعقولية النظام الرأسمالي نفسه في فترة تفاقم الأزمة الأكثر حدّةً. لقد جاء على سبيل المثال في إحدى اجتماعات الطوائف الكنسية المحلية في ولاية أوهايو في أيلول عام ١٩٣٢ أن «الرأسمالية تتعرض الآن للامتحان، وهي لن تصمد أمامه... إن النظام الاقتصادي الذي يقود فيه اللهاث وراء الربح إلى خراب رخاء الشعب، يجب إما أن يتم التخلص منه كاملاً، وإما تغييره بصورة أساسية». بالطبع، لم يعبّر الأمريكيون الذين خاب أملهم إلا في حالات قليلة فقط عن عدم رضاهم تجاه النظام القائم بمثل هذا الشكل الدقيق والواضح. كان مزاجهم المعادي للرأسمالية مبهماً كثيراً وغير محدد بصورة أكثر. بيد أن ما ميز مرحلة «الرفاهية» من قناعة شاملة تقريباً في تفوق «نمط الحياة الأمريكية» حلَّت محلها الشكوك وعدم الثقة، وأحياناً وعي عدم عدالة النظام الرأسمالي،

وأظهر كل ذلك استثنائية الحالة السياسية التي تكونت في البلاد في بداية أعوام الثلاثينيات.

٢- سياسة إدارة هوفر

وضعت أزمة عام ١٩٢٩- ١٩٣٣ الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية أمام مشاكل اقتصادية- اجتماعية وسياسية وإيديولوجية. إن الاختلال الكامل للآلية الاقتصادية في البلاد، والعطالة الهائلة عن العمل، والخراب الجماعي للمزارعين، وبؤس ومعاناة ملايين الأمريكيين، ودلائل التغيرات الجذرية في وعيهم الجمعي المقلق بالنسبة للبرجوازية- إن كل ذلك كان يتطلب بإلحاح حشد جميع موارد الرأسمالية للنضال ضد الأزمة وعواقبها. بيد أنه وبمقدار ما كانت الولايات المتحدة تغوص بصورة أعمق في الأزمة الاقتصادية غير المستقرة، بمقدار ما كانت التناقضات بين ضرورة القيام بإجراءات مباشرة لتدخل الدولة في جميع مجالات حياة المجتمع وبين حالة التشبث بالإيديولوجية القديمة لـ «مذهب الفردية الصلب» التي كانت تقف ضد تدخل الدولة في الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، تؤثر بصورة أكثر قوة.

كانت حدة التناقضات مرتبطة بأن البورجوازية الاحتكارية للولايات المتحدة الأمريكية حصلت على الكثير في الأعوام العشرة التي سبقت الأزمة تحت شعار مذهب الفردية، الذي جعل ممارستها المبنية على الكسب غير المشروع تتجذر أكثر في البلاد بحيث كان من الصعب عليها التخلي عن تلك الفردية المألوفة. لذلك فإن أغلب أصحاب الرأسمال الكبير حافظت بصلابة على مواقفها السابقة، ووجدت البقية نفسها في حالة من الارتباك، وقد انتابها الذعر، ولم تعرف بصورة عامة ماذا تفعل لاحقاً.

قاسمت الشخصيات الرئيسية في الإدارة الجمهورية الولاء كاملاً لمبادئ «مذهب الفردية الصلب» أيضاً. وعارض الرئيس غ. هوفر وأعضاء مجلس وزرائه بصورة حاسمة استخدام الدولة من أجل التنظيم المباشر للعمليات الاقتصادية الاجتماعية خلال كل فترة الأزمة، وتمسكوا بوجهة النظر التي تقول إنَّ الآلية الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية صحية، وإن القوة السحرية للهمة العملية لعالم رجال العمل الأمريكي ستعيد بنفسها حالة «الرفاهيه» السابقة، إلى البلاد دون تدخُّل من الخارج، في حين أن إدخال «الاشتراكية» بصورة عاجلة، أي إدخال تدابير الدولة الاحتكارية ستظهر كثمن كبير وغير ضروري بسبب الذعر. وقد نفى هوفر وغيره من الشخصيات الحكومة الجمهورية لمدة طويلة من الزمن وجود أي أزمة اقتصادية في البلاد ولو بصورة يسيرة، وكانوا يؤكدون للأمريكان في تصريحاتهم الرسمية شهراً بعد شهر، أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعيش أزمة، وإنما تعاني عثرات آنية، وأن الصعوبات التي تمر بها البلاد ليست نتيجة أسباب داخلية، وإنما بتأثير أوروبا، وأن «أي شك في مستقبل اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية وفي قوة عالم الأعمال الأمريكي يعتبر أمراً غير مقبول»[1].

وفي تشرين الأول عام ١٩٣٠، عندما كان القليل من الناس يشك في أن العالم الرأسمالي دخل في مرحلة أزمة اقتصادية عميقة جداً، استمر هوفر في خطابه أمام جمعية أصحاب البنوك الأمريكان بتكراره العنيد، بأن كل ما يحدث منذ عام ١٩٢٩ في الولايات المتحدة- ما هو إلا فترة انقطاع قصيرة في ازدهار الأمة العظيمة.

(١) The state Papers and Other Writings of Herbert Ho over: vol, 1.2\ Ed. By W. Myers N.Y. 1934, vol, 1, p. 133.

لكن حتى عندما أجبر الواقع القاسي رئيس الجمهورية وزملاءه بأن يعترفوا بخطورة الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن غ. هوفر وغيره من أعضاء الإدارة الأمريكية وبالتطابق مع قواعد الإيديولوجية الفردية كانوا يؤكدون باستمرار، بأن ظواهر الأزمة في الاقتصاد يمكن، ويجب أن يتم التغلب عليها ليس عن طريق نشاط الحكومة الفدرالية، وإنما بجهود عالم الرأسمال وغيره من المجموعات الاقتصادية. إن «الركود الاقتصادي لا يمكن أن يتم القضاء عليه عن طريق الهيئات الشرعية أو بأمر المؤسسات الإدارية، كما تحدث على سبيل المثال الرئيس في رسالته السنوية إلى الكونغرس عن حالة البلاد في كانون الأول عام ١٩٣٠ - إن الجروح الاقتصادية تلتئم عن طريق نشاط خلايا الجسد الاقتصادي - من خلال المنتجين والمستهلكين بأنفسهم. ولتجديد الاقتصاد ومن الضروري اجتماع الجهود المشتركة للطرفين». إن «المساهمة الأفضل للحكومة» كما أكد الرئيس تكمن في حل المشاكل المدرجة على جدول الأعمال، وهي «تشجيع هذا التعاون الطوعي على الأرض»(١).

لقد تمسك غ. هوفر بهذه الفلسفة ذات النزعة الفردية حتى نهاية وجوده في موقع رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية. وإليكم كيف حدد عقيدته في رسالته الأخيرة إلى الكونغرس حول حالة البلاد في كانون الأول عام ١٩٣٢: «لقد أنشأنا نظاماً لمذهب الفردية الذي لا يجب أن يتم استبداله بأفعال الحكومة، لأنه حمل إلى بلادنا انجازات كبيرة أكثر من انجازات أية حكومة أخرى خلال التاريخ بأسره. إن مبادئ النظام الأمريكي وعوامل تقدمه تكمن في أننا يجب أن نفسح المجال للعبة القوى الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) The state of the union messages of the presidents, 1790- 1966: vol, 1- 3/ Ed. By F, usrael, N.Y., 1966- 1967, vol. 3, p. 2773- 2774.

الحرة وبنفس الوقت لمبادرة ومراس المواطنين. إن الحكومة الفدرالية في تأييدها لذلك الميزان لا تعطي امتيازاً لأي شخص بمفرده ولا لأية فئة اجتماعية. يجب أن تقوم بعملها كمنسق لجميع تلك الجهود، وليس كمشارك في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع»[١].

كيف تجلت هذه الإعلانات الفردية في الممارسة الملموسة للإدارة الجمهورية؟.

لقد أجرى سلسلة من المشاورات مع زعماء عالم الأعمال، عند أول مؤشرات التدهور الملموس لحالة الأسواق الاقتصادية، انطلاقاً من نهج تشجيع التنسيق الطوعي للمجموعات الاقتصادية»، داعياً إياها للتعاون الطوعي والدعم المتبادل، وواعداً بتقديم المساعدات المختلفة إليها من قبل الحكومة الفدرالية. أقنع الرئيس ممثلي عالم الأعمال الكبير بعدم اللجوء إلى التدابير الضيقة، وعدم تقليص الإنتاج، وعدم تسريح العمال والحفاظ على المستوى السابق للأجرة[٢].

وبهدف تحفيز الاستثمارات الخاصة وإنعاش النشاط العملي اتخذت الإدارة الجمهورية تدابير سريعة لتنشيط عمل النظام الفدرالي الاحتياطي والترخيص للقروض، وأجرت تخفيضاً دورياً للضرائب على دخول الاتحادات الاحتكارية من خلال الكونغرس في كانون الأول عام ١٩٢٩. ولقد أصبح نافذ المفعول قانون هويلي - سموت في حزيران عام ١٩٣٠، الذي كان في الحقيقة ذروة مذهب الحماية الجمركية.

---

(١) Ibid, p. 2803.

(٢) The state papers and other public Writings of Herbert Hoover, vol, I. P. 134- 136.

وهكذا فإن السياسة الاقتصادية لحكومة هوفر كانت في الأشهر الأولى بعد حلول الأزمة بعيدة جداً عن متطلبات «دعه يعمل» «laissez fair» وقواعد الداروينية الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك ظهر هوفر كالرئيس الأكثر نشاطاً بكثير أثناء الأزمة من غيره من الرؤساء الذين سبقوه في هذا المنصب، بيد أن الأزمة الاقتصادية في أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ لم تعرف الولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها أزمة مشابهة وحتى الأفعال الحيوية للإدارة الجمهورية الموجهة إلى تشجيع جهود عالم الأعمال وغيره من الفئات الاجتماعية، ظهرت بسرعة أنها لا تتطابق مع المتطلبات الواقعية للحظة الراهنة، أما ما يتعلق بممثلي الرأسمال الكبير أنفسهم، فإنهم حسب الملاحظة العادلة لمجلة «نيشين»، «لم يكن لدى قباطنة الصناعة لا أمنٌ كاف، ولا مخطط، ولا برنامج لإخراج البلاد من الأزمة»[١].

أظهر زعماء البورجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد حصلوا على كل المنافع الممكنة من تدابير إدارة هوفر المتعلقة بتحفيز النشاط العملي، حماساً كبيراً تجاه نداءات الرئيس لدعم المستوى السابق للعمالة ولأجور العمل. إن هذا الأمر مفهوم أيضاً: لأنهم كانوا في نشاطهم يهتدون كما في السابق باستخلاص الأرباح. لذلك وعلى الرغم من الموافقة الشكلية لاقتراحات غ. هوفر، التي أُعطيت إلى ممثلي أوساط الأعمال في سير اجتماعات تشرين الثاني عام ١٩٢٩، فإن تقليص الإنتاج، والتسريح، وتخفيض أجور عمل العمال كان يتم بصورة دورية في ذلك الفرع أو غيره من فروع الصناعة. وعندما بدأ في خريف ١٩٣١ تعمق جديد للأزمة الاقتصادية، أعلن «تروست الفولاذ» وغيره من عمالقة عالم الأعمال الاحتكاري بصورة رسمية عن عزمهم

(١) Hation, 1932, May 25, p. 586.

على تقليص الأجور، ولم يتمهل بقية الرأسماليين عن اللحاق بهم في هذا الأمر. لقد أعلنت هيئة أوساط رجال الأعمال في أيلول عام ١٩٣١، وهي تلخص حصيلة نهج «التعاون الطوعي» لعالم الأعمال، أن هذه «التجربة قد انتهت بإخفاق تام»[١].

لقد ظهر في ظروف الأزمة بقوة أكبر أيضاً محتوى إيديولوجية «مذهب الفردية الصلب» الداعم للاحتكارات والمعادي للشعب، والتي مارسها زعماء الحزب الجمهوري. ولقد قام الرئيس هوفر وأولئك الأعضاء البارزون في مكتبه الوزاري ممثلو النخبة الاحتكارية المباشرون، مثل وزير المالية ي. ميللون ووزير التجارة ر. لامونت، بمحاولات نشطة لتحفيز مبادرة القطاع الخاص وتنسيق عمل قطاع الأعمال لأجل مساعدته في التخفيف بأكثر ما يمكن من الخسائر التي حملتها الأوقات الصعبة، ورفضوا بنفس الوقت وبصورة قطعية أية اقتراحات حول مساعدة الدولة للعاطلين وبصورة خاصة لإدخال نظام التأمينات الاجتماعية الفدرالي.

كانت شخصيات الإدارة الجمهورية توافق في أفضل الحالات على إمكانية استخدام جزئي لوسائل البلديات والولايات لتقديم المساعدة للعاطلين في ظروف الأزمة الخارقة للعادة.

كانوا يضعون هذه المهمة عادة وبصورة استثنائية على عاتق الأعمال الخيرية الخاصة. وقد جاء في تصريح هوفر على سبيل المثال في شباط عام ١٩٣١ أن «أساس الأعمال الناجحة لتخفيف عواقب الكارثة الوطنية هو حشد جهود فروع مؤسسات المساعدة الذاتية على المستوى المحلي.

---

(١)The Commercial and Financial Chronicle, 1931, sepi, 26, p. 1963.

ذلك هو الطريق الأمريكي للنضال ضد الحرمان وسط الشعب، وإن البلاد تحل الآن المشاكل الواقفة أمامها بهذا الطريق الأمريكي بالذات»[1] كانت أحاديث الرئيس عن «عدم جدوى» تقديم المساعدة المباشرة للعاطلين من جانب الحكومة الفدرالية تفوح بالسخرية المباشرة على معاناة الشعب، بما أنها «ستضرب ثقة السكان بالقوى الخاصة» و«ستضعف رسوخ الطابع الفردي للأمريكيين»[2] وانطلاقاً من المبادئ العامة لتقليص مهام الحكومة الفدرالية في تنسيق نشاطات مختلف الفئات الاجتماعية، أنشأ الرئيس هوفر في عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ لجنتين استشاريتين على التوالي حول مسائل العمالة.

لكن لم يتم وضع أية مهام ملموسة أمام هاتين اللجنتين حول النضال الواقعي ضد البطالة عن العمل.

كانتا تستطيعان فقط أن تتوجها إلى أرباب العمل، ومنظمات الأعمال الخيرية والسلطات المحلية بنداءات لتنشيط التدابير المتعلقة بمساعدة العاطلين. لم تعط هذه النداءات بالطبع أية نتائج إيجابية.

لم يطرح قادة الحزب الديمقراطي أيضاً أية خيارات بديلة لنهج الجمهوريين، الذين عززوا مواقفهم بصورة ملموسة في كلتا غرفتي الكونغرس نتيجة الانتخابات الجزئية التي جرت عام ١٩٣٠. على العكس من ذلك إن مجموعة الشخصيات الرئيسية في الحزب الديمقراطي أسرعت مرة أخرى لتؤكد للرئيس هوفر الولاء في أنهم يدعمون كاملاً النهج السياسي للحكومة الجمهورية[3].

(١) The ctate papers and other Public Writings of Herbert Hoover, vol. I, P. 497.

(٢) Ibid., P. 504- 579.

(٣)New York Times. 1930, Dec. 10.

لقد انحصر كل النشاط العملي لحكومة هوفر في مجال مساعدة العاطلين عن العمل في تنظيم الأعمال الاجتماعية على نطاق غير كبير، وكذلك في تشجيع خطة «تجزئة العمل» التي برزت بصورة عفوية، أي إشاعة نظام العمالة الجزئية على جميع العمال الذين دخلوا في السجل قبل حلول الأزمة في هذا الفرع من الصناعة أو ذاك.

إن أكثر الخطط المتعلقة بالمساعدة الحكومية للعاطلين عن العمل شجاعة، التي طرحتها في الكونغرس أكثر من مرة مجموعة الجمهوريين التقدميين وبعض الديمقراطيين اليساريين كانت ترفض بصورة منتظمة. وحتى في شباط ١٩٣٢، في فترة تفاقم الأزمة الشديد، رفض الكونغرس مشروعَ قانونٍ مقدماً من السيناتور. ر. لافولليت الأصغر وأي. كوستيفان حول تخصيص ٣٧٥ مليون دولار من قبل الحكومة الفدرالية، وصرف هذه الأموال لمعونات نقدية مباشرة على العاطلين عن العمل[١]. وفي تموز عام ١٩٣٢ فقط، وفي ظرف الحملة الانتخابية تم أخيراً إقرار قانون كان يقضي بتخصيص ٣٠٠ مليون دولار من الأموال الفدرالية لسلطات الولايات لأجل تقديم المساعدة النقدية المباشرة للعاطلين عن العمل. أعطى الكونغرس أيضاً اعتماداً لصرف ٣٢٢ مليون دولار كقروض للولايات لأهداف تنظيم الأعمال الاجتماعية[٢].

لقد اعترف الرئيس هوفر بعد التوقيع على هذه الوثيقة إلى درجة محدده بفشل نهجه المتعلق بحل مشكلة العاطلين عن العمل عن طريق القطاع الخاص والأعمال البلدية والخيرية.

---

(١) Congressional Record, vol. 75, p. 4052.

(٢) Ibid., p. 13128.

بيد أن مقادير المخصصات التي قضى بها قانون تموز عام ١٩٣٢ لمساعدة العاطلين عن العمل، كانت غير كافية تماماً ولو بمقدار قليل للمحاولات الجدية للتغلب على الكارثة الاجتماعية الرهيبة.

زد على ذلك فإن الإدارة الأمريكية لم تستعجل في تحقيق حتى هذه الوسائل المتواضعة، إذ خصصت لذلك الهدف حتى نهاية عام ١٩٣٢ نحو ٣٠ مليون دولار فقط(١). كان ذلك عبارة عن قطرة في بحر بالمعنى الحرفي للكلمة.

لم تلبِّ متطلبات المرحلة أيضاً السياسة الزراعية لحكومة هوفر. الحق يقال إن دورة الكونغرس الخاصة كانت قد وافقت على قانون حول تصريف البضائع الزراعية في حزيران عام ١٩٢٩ تحت ضغط المزارعين. وعلى أساس هذا القانون تم إنشاء مؤسسة حكومية خاصة- الإدارة الزراعية الفدرالية التي وضعت نصب عينيها مهمة مساعدة المزارعين في تحقيق استقرار السوق الزراعية. ولأجل تحقيق هذه الأهداف تم تخصيص ٥٠٠ مليون دولار(٢). لقد حاولت الإدارة الزراعية أن يقتصر نشاطها في الأشهر الأولى على تشجيع التعاون الزراعي فقط انطلاقاً من النهج الرسمي للإدارة الجمهورية الهادف لتنسيق الجهود الاجتماعية لذوي المصلحة: مساعدة المزارعين على إنشاء مراكز تعاونية فرعية وتقديم القروض لتلك التعاونيات الزراعية التي قبلت بعدم طرح الاحتياطات من المنتوجات الموجودة لديها في السوق وقتياً، لأجل عدم السماح بالانخفاض الموسمي للأسعار بصورة شديدة(٣).

---

(١) Chandler. L. Americas Greatest Depression, 1929- 1941. N.Y., 1970, P. 51.

(٢) Farm Relief and Agricu ltural Adjustment Acts/ Compl by E.A. Lewis. Wash., 1930, p. 1- 10.

(٣)The First Annual Report of the Federal Farm Boaed, Wash., 1930, p. 27.

إن التعمق الجديد للأزمة الزراعية، المرتبطة بكساد الإنتاج الصناعي الذي بدأ، أجبر الإدارة الزراعية على أن تنتقل إلى الأعمال الأكثر حزماً والبدء بالشراء المباشر للبضائع الزراعية. ولأجل هذا الهدف تم إنشاء الاتحاد الاحتكاري المستقر للقمح في شباط عام ١٩٣٠، وفي حزيران من نفس العام الاتحاد الاحتكاري للقطن. استمرت العمليات النشطة للإدارة والاتحادات الاحتكارية المستقرة المرتبطة بها أكثر من عام- حتى منتصف عام ١٩٣١. وقد تراكمت في أثناء ذلك احتياطيات ضخمة في المستودعات الحكومية: ٢٥٧ مليون بوشيل «البوشيل- أداة قياس بريطانية وأمريكية للأحجام الجافة، ويبلغ وزن البوشيل الواحد- ٢٧,٢١٨٨كغ من القمح». من القمح و٣,١ مليون[1] بالة من[2] القطن[3]. لقد جلبت الإدارة الزراعية الفدرالية من خلال صرفها لجميع الوسائل المالية المخصصة لها منافع غير قليلة للأوساط العليا من المزارعين ولشركات السمسرة الاحتكارية التي ركزت في أيديها القسم الأكبر من منتوجات الزراعة البضاعية. إلا أن تنفيذ المهمة الرئيسية- وهي تحقيق ارتفاع الأسعار- فإنها لم تنجح في ذلك. بل على العكس، إن تمركز احتياطات بضاعية كبيرة في مستودعات الإدارة كانت تمارس طوال الوقت تأثيراً شديداً مقوضاً للعزيمة في السوق الزراعية. وعندما توقفت الإدارة الزراعية عن الشراء في النصف الثاني من عام ١٩٣١، متحملة بذلك خسائر هائلة، بدأت عملية بيع واسعة للبضائع المتراكمة لديها، وأدى ذلك إلى فوضى كاملة في السوق الزراعية، ومن ثمَّ، إلى تردٍّ كبير أيضاً لأحوال الكتلة الأساسية من المزارعين.

---

(١) Husuell E. Stabiliz ation ????? of the Federal Farm Board, N. Y., 1933, p. 15, 25.

(٢) Romasco A. The poverty of Abunolance, Hoover, the Nation, the Depression. N. Y., 1956, p. ?.

(٣) Morison S. The Oxford Hisury of the American people. N. Y., 1965, p, 946.

لم تتخذ حكومة هوفر خلال فترة طويلة أية تدابير متعلقة بالتنظيم الحكومي في تلك الفروع عالية التطور للاقتصاد الأمريكي، مثل الصناعة والنظام البنكي - المالي. لقد استمرت من خلال نهجها المتبع في خريف عام ١٩٢٩ بتشجيع المبادرات الخاصة، دون أن تعتبر أن إجراء الإصلاحات التي تخرج خارج اطر الفلسفة الفردية هو أمر ضروري.

بيد أنه هناك، إذ يجري الحديث عن مصالح الرأسمال الكبير، فان ع. هوفر وغيره من قادة الحزب الجمهوري كانوا يقدمون شروحات واسعة لعقائد «مذهب الفردية الصلب»، أكثر مما في السياسة المتعلقة بالطبقة العاملة على سبيل المثال، إذ كانوا يرفضون أية مطالب متعلقة بالمساعدة الحكومية للعاطلين عن العمل مباشرة. إن الحكومة اتخذت عدداً من التدابير الحيوية لتحفيز النشاط العملي وبصورة خاصة لتحقيق برنامج البناء الأساسي مباشرة بعد اجتماع تشرين الثاني عام ١٩٢٩، وذلك بالتعاون الوثيق مع عالم رجال الأعمال. وقد بلغ المبلغ العام للاتفاقيات المتعلقة بالبناء في عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ نحو ٥, ٧ مليار دولار، تعود ثلاثة مليارات دولار من أصلها إلى حصة مختلف المؤسسات الحكومية المحلية أو على نطاق المستوى الفدرالي.

في خريف عام ١٩٣١ حلت مرحلة جديدة في السياسة الاقتصادية المالية للإدارة الجمهورية. إن التردي الحاد في حالة الأسواق الاقتصادية والتعمق الجديد للأزمة الإقراضية - المالية، الذي سرع بإفلاس بنوك كبيرة - أجبر كل ذلك حكومة هوفر على التراجع عن قواعد «مذهب الفردية الصلب» والانتقال إلى الإعانة المباشرة للاحتكارات. وفي تشرين الأول عام ١٩٣١ أعلن غ. هوفر عن مبادرة لإنشاء اتحاد احتكاري اقتراضي برأسمال قدره ٥٠٠ مليون دولار، كان من

المفترض جمعه من خلال الأقساط الطوعية للمجموعات البنكية. بيد أن مالكي البنوك لم يكونوا عاقدي النية البتة على صرف هذا المبلغ لمساعدة زملائهم، الذين وجدوا أنفسهم في حالة صعبة. عند ذلك تم تخصيص صناديق حكومية ضخمة لإنقاذ المؤسسات المالية الاحتكارية التي كان يتهددها الإفلاس.

وفي كانون الثاني عام ١٩٣٢ وافق الكونغرس على قانون حول تأسيس اتحاد احتكاري مالي لإعادة البناء برأسمال أولي يبلغ ٢ مليار دولار، سيزيد فيما بعد عدة مرات على حساب الاعتمادات المخصصة من الميزانيات. لقد وزع الاتحاد الاحتكاري المالي لإعادة البناء إعانات وقروض بمبلغ ١,٢ مليار دولار، وذلك قبل آذار عام ١٩٣٣، أي قبل انقضاء مدة تفويض إدارة هوفر. إن ثلثي هنا المبلغ ذهب إلى أيدي شركات التأمين والرهن العقاري، وإلى شركات السكك الحديدية وغيرها من المؤسسات المالية - الإقراضية الاحتكارية.

ولقد بقيت فتات زهيدة فقط من نصيب ملايين العمال والمزارعين. وحسب الملاحظة العادلة للمؤرخ الأمريكي س. موريسون فان «الاتحاد المالي الاحتكاري لإعادة البناء قد أعطى القليل لمن كان يحتاج للمساعدة أكثر من الجميع».

كانت بعض التدابير في السياسة الاجتماعية الاقتصادية لحكومة هوفر وبصورة خاصة نشاط الاتحاد المالي الاحتكاري لإعادة البناء شاهداً جلياً على أنه بدأت تشتد من جديد نزعات الدولة الاحتكارية في فترة الأزمة الاقتصادية لأعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣. كانت الأزمة عاملاً محفزاً مهماً جداً لتسريع تحول الرأسمالية الاحتكارية إلى رأسمالية الدولة الاحتكارية. بيد أن الإدارة الجمهورية التي تميزت بفلسفة المذهب الفردي ما دامت توجد في

السلطة، فإن هذه النزعات كانت تتجلى فقط بصورة استعراضية، وتظهر قبل أي شيء على شكل إعانات حكومية للاحتكارات، وليس على شكل التنظيم الاقتصادي المباشر. زد على ذلك أنَّ هذه النزعات لم تنتشر في مجال العلاقات الاجتماعية.

إن حكومة هوفر، لم تستطيع من ثمَّ أن ترتقي إلى فهم ضرورة القطيعة الكاملة مع الإيديولوجية الفردية والانتقال إلى مبادئ الدولة الاحتكارية في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. ولكن هذا بالذات ما كان يتطلبه السير الموضوعي للتطور الاجتماعي الاقتصادي للولايات المتحدة في عصر الأزمة العامة للرأسمالية، وتحديد الظرف في البلاد في بداية أعوام الثلاثينيات، الذي كان يضع أمام الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية مهمة ملحة هي إنقاذ وتدعيم الأركان الرأسمالية، المهتزة حتى الأساس نتيجة ضربات «الأزمة العظيمة».

٣- الحركة الاجتماعية

لقد شكلت ضربات الأزمة الاقتصادية الثقيلة جداً، التي انهالت على البلاد خلال عدة سنوات، والتفاقم غير المسبوق للعوز والكوارث التي وقعت على كاهل ملايين الكادحين والنهج المعادي للشعب والموالي للاحتكارات في سياسة الحكومة البرجوازية- الأساس الموضوعي الذي ظهرت فيه الموجه الجديدة للحركة الجماهيرية العمالية والديمقراطية في الولايات المتحدة.

كانت الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية في الحقيقة متفاجئة ومصدومة. وكان ذلك أمراً موضوعياً تماماً.

إن درجة تنظيمها المهني كان منخفضاً بصورة استثنائية، إذ لم تبلغ نسبة الأعضاء في النقابات حتى نهاية أعوام العشرينيات إلا نحو ١٠%(١). وكانت تسيطر في فروع الصناعة كما في السابق منظومة «الورشة المفتوحة» تماماً. كذلك فإن التريديونيونات، كهيئات للدفاع عن المصالح المادية للكادحين كانت تعاني الصعوبات الجدية في أعوام العشرينات، وكانت أعدادها تتناقص أكثر فأكثر، فإذا بلغ عدد أعضاء النقابات في البلاد في عام ١٩٢٠ - ٥٠٣٤ ألف عضواً، فقد تقلص هذا العدد حتى عام ١٩٢٩ إلى ٣٦٢٥ ألف، وانخفض عدد العمال المنظمين مهنياً في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الأزمة بصورة أكبر أيضاً، وبلغ عام ١٩٣٣ - ٢٨٥٧ ألف فقط(٢).

لقد انخفضت قدرات الحركة العمالية المنظمة في الولايات المتحدة بصورة محسوسة، وبسبب أن القيادة النقابية، التي كانت خاضعة لشرك إيديولوجية هومبرس النيونيونية «العملية» فإنها لم تكن قادرة على طرح برنامج للنضال من أجل المصالح الاجتماعية للطبقة العاملة يلبي متطلبات الزمن.

لم يستطع زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل أن يقدموا أية اقتراحات من أجل الوقوف في وجه هجوم الاحتكارات وإعاقة وضع كل أثقال الأزمة على كاهل الكادحين. لم يقترحوا حتى المطالب البسيطة جداً، التي كان يطرحها العمال البسطاء. كانت قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل ترفض وبصورة منتظمة التأمينات الحكومية المتعلقة بالبطالة حتى عام ١٩٣٢. وليس من المدهش أن النقابات التي تدخل في عضوية الفدرالية الأمريكية للعمل، قد فقدت عشرات

---

(١) تاريخ الحركة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر في جزأين. موسكو. ١٩٧٠ - ١٩٧١، الجزء الأول، ص ٢١٠.

(٢) Historical statistics of the United states, p. 177.

ومئات الأعضاء الجدد، أما عدد أعضاء النقابات المستقلة فبقيت في الوقت نفسه مستقرة، تتأرجح أثناء سنوات الأزمة في مستوى ٧٠٠ ألف عضو تقريباً، أما أعضاء الفدرالية الأمريكية العمل فقد تقلص كثيراً خلال أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣، من ٢٩٣٤ ألف إلى ٢١٦٧ألف، أي بحدود ٢٨%.

إن الحركة الإضرابية في ظروف التنظيم النقابي المنخفض للبروليتاريا الأمريكية، وعدم اهتمام الحركة النقابية وارتباكها، وكذلك في ظروف الصفقة المباشرة لزعماء الفدرالية الأمريكية للعمل مع الحكومة التي أجبرت النقابات بنتيجتها على الالتزام بالامتناع عن الإضرابات، لم تتميز بمدى كبير، وأصابها الضعف قبل حلول الأزمة أيضاً، وبصورة أكبر بعد الضربات الأولى التي تلقتها. وحسب معطيات الإحصاء الرسمي، أضرب عام ١٩٣٠ في البلاد ١٨٣ ألف عامل فقط. وبالمقارنة مع عام ١٩٢٩. انخفض عدد المضربين في الولايات المتحدة الأمريكية لأكثر من ١٠٠ ألف، أي إلى ٣٧%(١).

لم تصل الحركة الإضرابية للعمال الأمريكان إلى هذا المستوى المنخفض منذ مدة طويلة.

بيد أن مئات آلاف العمال مع ذلك استمروا في النضال، حتى في ظرف الأزمة الاقتصادية غير المواتي بصورة استثنائية، وحين كان القيام بإضراب صعباً، لأقصى حد، وعندما كان كل إضراب يتطلب من المشاركين فيه ثباتاً كبيراً جداً، وشجاعة. ونكران ذات. وبعد عدة أشهر على الصدمة، والارتباك، اللتين أحدثتهما ضربات الأزمة الفجائية، أخذ العمال يبدون مقاومة نشيطة أكبر لهجوم أرباب العمل. لقد زاد عدد المضربين في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣١ إلى ٣٤٢ ألف.

(١) Idib., p. 179.

وبقي بنفس المستوى (٣٢٤ ألف) في عام ١٩٣٢.

إن أكبر التحركات العمالية النضالية الضخمة في تلك السنوات قد حدثت في صيف عام ١٩٣١، في مناطق الفحم في بنسلفانيا، وأوهايو، وفرجينيا الغربية. لقد خاض أكثر من أربعين ألف عامل منجم في هذه المناطق وخلال شهرين ونصف نضالاً عنيداً ضد تخفيض الأجور، والتسريح الجماعي والإرهاب ضد النقابات الذي أطلقه أصحاب المناجم. ترأس الاتحاد الوطني التقدمي لعمال المناجم الذي كان يدخل في عضوية رابطة الوحدة النقابية التي يقودها الشيوعيون هذه الحركات[1] لكن الكثير من الأعضاء الرئيسيين في الفدرالية الأمريكية للعمل، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار نداءات الزعماء الإصلاحيين بالامتناع عن الإضرابات، كانوا يسيرون أكثر فأكثر على طريق النضال الإضرابي الفعّال.

وقد قام عمال مناجم كينتوكي وايلينوي، وعمال النسيج في ماساتشوسيتس، وعمال الخياطة في نيويورك بتحركات ضخمة في عام ١٩٣١ - ١٩٣٢.

وهكذا، وبعد مرحلة طويلة من ركود النضال الإضرابي، الذي بدأ في سنوات الاستقرار الرأسمالي، الذي تعمق بصورة أكبر في الأشهر الأولى من الأزمة الاقتصادية. بدأ ترتسم المؤشرات الأولى لانتعاش الحركة الإضرابية. كان ذلك يخلق بصورة تدريجية الأساس لنهوض جديد للنضال الإضرابي، الذي بدأ في المنتصف الثاني من عام ١٩٣٣.

---

(١) كوركوف. ن. ف. نضال عمال المناجم الأمريكيين أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٩. موسكو، ١٩٧١، ص ٦٠ - ٦٦.

ولقد تطورت بصورة أشد حركة العاطلين عن العمل، وأصبحت في فترة الأزمة الشكل الرئيسي لنضال الطبقة العاملة، التي مسَّت البطالة قسماً كبيراً منها بهذه الدرجة أو تلك.

إن ملايين العاطلين عن العمل سابقاً ساروا بصورة أكثر حيوية من فئات الكادحين الأخرى على طريق النضال من أجل تلبية الحاجات الملحة للشعب.

كانت الحركة الإضرابية، التي انطلقت في بداية أعوام الثلاثينات أولى الفعاليات الجماهيرية للبروليتاريا الأمريكية، والتي لعب الشيوعيون فيها دوراً قيادياً. ففي كانون الأول عام ١٩٢٩، أي بعد حلول الأزمة الاقتصادية مباشرة، صاغ الحزب الشيوعي برنامجاً ملموساً لنضال العاطلين عن العمل، دعاهم فيه للنضال من أجل إدخال نظام التأمينات الاجتماعية الحكومية بما في ذلك التأمينات المتعلقة بالبطالة، ومن أجل تقديم المساعدة العاجلة للعاطلين من جانب الحكومة، وسلطات الولايات وبلديات المدن ومن أجل تنظيم شبكة واسعة للأعمال الاجتماعية مع أجر عادل للعمل.

وتحت قيادة الحزب الشيوعي جرت مظاهرات جماهيرية استنكارية ضد البطالة في ٦ آذار عام ١٩٣٠. خرجت مئات الآلاف من العمال إلى شوارع نيويورك، وشيكاغور، وديترويت، وبطرسبورغ، وفيلادلفيا وغيرها من المراكز الصناعية. وتظاهر في هذا اليوم ما يقارب ١٢٥٠ ألف عامل.

كان ذلك هو أضخم تحرك للعاطلين عن العمل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد بدأ من مبادرة وقيادة الشيوعيين في الأشهر الأولى من الأزمة في مختلف مناطق البلاد إنشاء شبكة محلية من مجالس العاطلين عن العمل، شاركت بنشاط في جميع التحركات في أحياء المدن العمالية، وخاضت النضال

ضد طرد العاطلين عن العمل وأعضاء أسرهم من المساكن بسبب عدم الوفاء بدفع أجرة السكن، وطالبت السلطات المحلية باتخاذ إجراءات عاجلة لمساعدة المواطنين الذين فقدوا العمل. وفي تموز عام ١٩٣٠ عقد في شيكاغو أول مؤتمر وطني عام للعاطلين عن العمل، وقد أيد مندوبو المؤتمر الذين أتوا من مختلف أنحاء البلاد وبالإجماع برنامج النضال الذي طرحه الشيوعيون من أجل تقديم المساعدة السريعة للعمال الذين فقدوا العمل، وإدخال المنظومة الفدرالية للتأمينات الاجتماعية.

أنشأ المؤتمر مجلس وطني للعاطلين عن العمل تحول إلى هيئة مسموعة الكلمة في كل الحركة. وفي صيف عام ١٩٣٠، وبعد مدة قليلة على مؤتمر شيكاغو للعاطلين عن العمل، صاغ الحزب الشيوعي مشروع قرار حول التأمينات الاجتماعية، حصل فيما بعد على اسم «مشروع القانون العمالي».

لقد نص مشروع القرار على دفع معونة للبطالة، والشيخوخة والمرض بمقدار متوسط الأجرة للعامل الصناعي، وزد على ذلك أن أي تمييز مهما كان في مؤشرات الجنس، والعرق والقناعات الدينية السياسية يجب أن يتم منعه. كان من المفروض إنشاء صندوق التأمينات الاجتماعية عن طريق فرض ضرائب إضافية على الرأسمال الكبير، وكذلك على حساب تقليص الاعتمادات للأغراض العسكرية. وأن يخضع عمل المؤسسات الفدرالية للتأمينات الاجتماعية لمراقبة دائمة من قبل ممثلي المنظمات العمالية[1].

وجد اقتراح الشيوعيين بالإدخال السريع لمنظومة التأمينات الاجتماعية صدىً واسعاً بين الكادحين. ففي الكثير من الرسائل الموجهة إلى أعضاء

---

(١) شكون- دين. م. ز. باتجاه تاريخ السياسة الاجتماعية للدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٢٤- ١٩٣٩). موسكو. ١٩٨٠، ص ٤٢.

مجلس الشيوخ وغيرهم من الشخصيات السياسية كانت تحوي الكثير من الاقتراحات حول زيادة فرض الضرائب على الرأسمال الكبير لأجل إنشاء قاعدة مالية صلبة بقدر كاف للتأمينات الاجتماعية. جاء في رسالة أحد سكان ميليوكي إلى ف. لافولليت، المعنونه بتاريخ أيلول عام ١٩٣٠ على سبيل المثال «لماذا لا تجبرون أصحاب المداخل الكبيرة أن يتحملوا قسطاً عادلاً من الأعباء»؟.

إن زيادة فرض الضرائب على الدخول العالية يمكن أن يصبح وسيلة لإنشاء الصندوق الذي يمكن أن يتم من خلاله دفع الرواتب التقاعدية الضرورية إلى كبار السن، والمعونات إلى العاطلين عن العمل. من أجل ذلك يجب ضمان اتخاذ التشريعات الضرورية لذلك»[١].

نال البرنامج المعروض في «مشروع القانون العمالي» دعم الكثير من مظاهرات ومسيرات الجوع من قبل العاطلين عن العمل في مختلف مناطق البلاد. وجرت إحدى أولى مسيرات الجوع الضخمة في تشرين الأول عام ١٩٣٠ في نيويورك، وتبعتها مسيرات أخرى للعاطلين عن العمل في شيكاغو، وديترويت، وساكرامنتو وغيرها من المدن الأخرى. وبدءاً من شباط- آذار عام ١٩٣١، وبمشاركة نشطة من الحزب الشيوعي تمَّ البدء بإجراء مسيرات جوع جماهرية تتجه إلى عواصم الولايات. وتهافتت جموع كبيرة تم تنظيمها في ١١ ولاية حتى أواخر العام.

لقد تم بمبادرة وقيادة الحزب الشيوعي على أرضية موجة هذا النهوض للحركة العمالية في تشرين الثاني- كانون الأول عام ١٩٣١ أول مسير وطني

---

(١) J. L. Bitker to philip la Fallette, September 30, 1930,- Wisconsin state Historical society, manuscript librany, Nadison (Wis), philip. E. Lafollette papers, Box. I, Fold. 6.

للجوع من قبل العاطلين عن العمل في واشنطن. وفي ٧ كانون الأول عام ١٩٣١، وفي يوم افتتاح الجلسة الدورية للكونغرس، جالت مجموعة من المشاركين في مسيرة الجوع في شوارع العاصمة الأمريكية مطالبة الكونغرس والرئيس بإجراءات سريعة لمساعدة العاطلين، وعلى الأخص إقرار قانون إدراج المنظومة الفدرالية للتأمينات الاجتماعية. لم تسمح السلطات لوفد العاطلين بالدخول لا إلى بناء الكونغرس، ولا إلى البيت الأبيض. ولكن ثبات وانتظام المشاركين في مسيرة الجوع الوطنية أحدثت تأثيراً واسعاً في البلاد. أما الحدث المهم الآخر للنضال الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي سجل واحدة من أكثر الصفحات سطوعاً في سفر العواصف الاجتماعية لفترة الأزمة، فكان مسيرة المحاربين القدماء في الحرب العالمية الأولى في واشنطن صيف عام ١٩٣٢. كان تركيب المشاركين في المسير مختلطاً جداً. فإلى جانب العمال كان هناك الكثير من المزارعين الذين أفلسوا، والتجار وأرباب العمل الصغار، والمستخدمين وغيرهم من مختلف الناس المحترمين. لقد كان لمجموعة الزعماء البورجوازيين الصغار بقيادة أو. ووترس وهو مدير سابق لمصنع للمعلبات في بورتليند (ولاية أوريغون). دوراً قيادياً في حركة المحاربين القدماء هذه، التي كان في صفوفها الكثير من أعضاء الفيلق الأمريكي. جنود قدماء، بيض وزنوج، مع أسرهم توجهوا إلى واشنطن وإلى الرئيس نفسه كي يطالبوا الحكومة بدفع ما يسمى البونوس أي التعويض عن الخدمة في الجيش أثناء الحرب العالمية الأولى. كان هذا التعويض قد أعطي صيغة شرعية من قبل الكونغرس في عام ١٩٢٤، إلا أن دفع هذا التعويض حسب شروط القانون كان يجب أن يبدأ في عام ١٩٤٥ فقط. لقد طالب المحاربون القدماء دفع مبالغ تعويضية سريعة بسبب ظروف الأزمة التي جلبت لملايين الأمريكان البطالة

والفقر والجوع. بدأت الفصائل الأولى للمشاركين في المسير بالوصول إلى واشنطن في نهاية أيار عام ١٩٣٢، واجتمع في عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٢٤ ألف شخص حتى منتصف تموز[1]، الذين رابطوا في معسكر مؤقت على ضفة نهر بوتوماك. لم يكن بالإمكان التغاضي عن وجود جيش كبير جداً من الناس الجائعين والغاضبين، من قبل الكثيرين من أعضاء الكونغرس. لذلك قرر المجلس النيابي تلبية مطالب المحاربين القدماء بأكثرية الأصوات. إلا أن مجلس الشيوخ بإلحاح من الرئيس هوفر رفض مشروع القانون حول الدفع السريع للبونوس، الذي أُقر من المجلس، أثار هذا الرفض استياءً عاماً من قبل المحاربين القدماء، الذين قرروا الاستمرار بالنضال. حتى إن قائد المسير أو. ووترس، المحافظ من إذ اعتقاداته السياسية صرح في أحد الاجتماعات الجماهيرية: «إن رفض الكونغرس لدفع بونوس سريع لن يؤدي إلى ارتباك في صفوفنا. سنبقى هنا إلى تحقيق الهدف الذي أتينا لأجله»[2].

إن حركة المحاربين القدماء، وتحت تأثير كل هذه الأحداث، ارتقت إلى درجة أعلى: لم يعد المشاركون في المسير يطالبون بدفع البونوس فقط، وإنما في إدراج منظومة التأمينات الاجتماعية، وأصبحت حركة حراسة الكابيتول على امتداد اليوم، والمظاهرات الجماهرية، والإسكان الإجباري في الأبنية الحكومية الفارغة، وتبديل القيادة المحافظة بلجان منتخبة من قبل المحاربين القدماء، أصبح كل ذلك هو الشكل الأكثر فعالية - إن كل ذلك كان يشهد على الأمزجة الراديكالية، وعلى ارتفاع منسوب الوعي والتنظيم لدى المشاركين في المسير.

---

(١) New York Times, 1932, July 21.

(٢) Ibid., July 15.

قررت الحكومة عند ذاك أن تمارس عملها، ففي ٢٨ تموز عام ١٩٣٢، وبأمر من هوفر، وبقيادة رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي الجنرال د. ماكارتور، تم زج القوات المسلحة النظامية ضد المحاربين القدماء.

استمر القمع لفترة قصيرة، لكنه كان قاسياً: تمت ملاحقة المشاركين في المسير، أما بالنسبة للمعسكر المؤقت، إذ كانوا يعيشون مع أسرهم فتم إحراقه. ولقد تم إبعاد جميع المحاربين القدماء بالقوة من واشنطن. هكذا كان رد الإدارة الجمهورية على الحركة السلمية للجماهير الشعبية التي كانت تسعى ولو إلى تحسين غير كبير في أوضاعها. إلا أن القمع الذي جوبه به المحاربون القدماء لم يرعب الكادحين.

تطورت حركة العاطلين عن العمل بقوة جديدة. ففي كانون الأول عام ١٩٣٢ كان سكان واشنطن يستقبلون على شوارع المدينة المشاركين في المسير الوطني الثاني للجوع، الذين طالبوا باسم ملايين العاطلين عن العمل من الكونغرس اتخاذ إجراءات استثنائية لمساعدة العمال والمزارعين.

ولقد أخذ ينخرط في حركة العاطلين عن العمل هذه، بالإضافة إلى الشيوعيين الحزب الاشتراكي والمجموعة اليسارية المعارضة في الفدرالية الأمريكية للعمل المرتبطة به، والتي اتخذ تنظيمها شكلاً نهائياً تحت اسم الكونغرس لأجل النشاط العمالي التقدمي.

بدأ الاشتراكيون ومجموعة الشخصيات النقابية الجديدة المعارضة بإنشاء روابط عمالية متحدة للمواطنين العاطلين عن العمل وغيرها من جمعيات العاطلين في الأماكن المحلية، كانت توجه جهودها في كثير من الأحيان في مجرى حركة المساعدة الذاتية، أي توحيد مختلف المجموعات النقابية للعاطلين

عن العمل بهدف الإنتاج المشترك لمواد الضروريات الأولى وللتبادل الطبيعي فيما بينهم. لقد ضمت تنظيمات المساعدة الذاتية حتى نهاية ١٩٣٢ نصف مليون عاطل على الأقل في جميع أنحاء البلاد. إلا أنه وبمقدار تفاقم الأزمة، كانت الاتحادات العمالية وروابط المواطنين العاطلين عن العمل تخرج أكثر فأكثر خارج هذه الأطر الضيقة، وتتحول في أحيان كثيرة إلى أدوات مهمة في نضال الطبقة العاملة. ولقد أقامت صلات مباشرة في عدد من الأحيان مع مجالس العاطلين عن العمل التي كان يقودها الشيوعيون.

إن المشاركة النشطة للحزب الشيوعي الأمريكي في جميع هذه الفعّاليات المهمّة للبروليتاريا الأمريكية وبصورة خاصة، مبادرته في تنظيم حركة جماهيرية للعاطلين عن العمل، زادت بصورة ملموسة من تأثيره بين الكادحين. ولقد نما كذلك الوزن السياسي الواقعي للقوى اليسارية في الحركة النقابية. بلغ تعداد لرابطة الوحدة النقابية، التي تعمل تحت قيادة الشيوعيين في عام ١٩٣٣ نحو ١٠٠ ألف عضواً. وكسبت الاتحادات التقدمية رابطة الوحدة النقابية والمعارضة الراديكالية داخل الفدرالية الأمريكية للعمل مئات آلاف الأعضاء القاعديين في النقابات الإصلاحية، والذين لم يعودوا يرغبون بأن يبقوا ضحايا سلبيين للأزمة وأظهروا استياءهم من السياسة الاستسلامية لقادتهم.

بيد أن أخطاءً ذات طابع متعصب كانت لا تزال تؤثر أيضاً في نشاط الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك السنوات. ففي دعايتهم بين العمال كان الشيوعيون يقدمون في أحيان كثيرة إلى مركز الصدارة الأهداف النهائية للنضال، وبرنامج «الخروج الثوري من الأزمة»، دون أن يعيروا دائماً الاهتمام الكافي للحاجات الملموسة اليومية للعمال. لقد خولوا لأنفسهم في رابطة الوحدة النقابية كما يظهر أن يجنحوا باتجاه النيونيونية «الموازية»، وأصروا على

إنشاء اتحادات تقدمية مستقلة، حتى عندما كانت الحياة تتطلب اتباع نهج نشط بهدف تعزيز المعارضة اليسارية في النقابات الإصلاحية التابعة للفدرالية الأمريكية للعمل(١). إن نجاحات الشيوعيين في تنظيم حركة واسعة للعاطلين عن العمل أظهرت بصورة راهنة الضرورة الحادة والأهمية البالغة لعملية التخلص من أية ظواهر للجمود العقائدي والتعصب.

لم تشمل حركات الاحتجاج الاجتماعي الجماهيرية ملايين العمال فقط. لقد خرجت فئات واسعة من المزارعين الذين كان هناك شعور باستيائهم حتى في أعوام الاستقرار، كمشاركين نشطين في الحركة الديمقراطية المعادية للاحتكارات. وعندما بدأ تفاقم الأزمة الزراعية الجديدة عام ١٩٢٩، وعندما أخذت الأسعار على المنتوجات النباتية والحيوانية الأكثر أهمية تنحدر بسرعة لا يمكن إيقافها، وعندما انتهت محاولات الإدارة الزراعية الفدرالية لتحقيق استقرار السوق بفشل كامل، فإن استياء المزارعين وصل إلى الحد الأقصى. ولقد انتقلت حتى منظمات الرأسمال الكبير في الزراعة - الفدرالية الأمريكية لمكتب المزارعين وأخوية المشاركين في حركة المزارعين - إلى معارضة سياسة الإدارة الجمهورية في بداية أعوام الثلاثينيات. لكن المركز الرئيسي للاستياء في المناطق الزراعية أصبح اتحاد المزارعين، الذي كان يتميز من منظمات المزارعين الأخرى، بأنه لم يكن يدافع فقط عن مصالح البورجوازية الزراعية، وإنما عن مصالح الزراعة الصغيرة أيضاً بمقدار معلوم. في عام ١٩٣٠ تم انتخاب أحد زعماء الجناح الراديكالي في الحركة الزراعية - جون سيمبسون كرئيس للاتحاد الزراعي(٢).

---

(١) Foster W.Z. History of the Communist party of the united states, p. 285, 292.

(٢) Saloutos T. Hisks J. D. Agricultural Discontent in the midol le west, 1900- 1939. Madison (Wis), p. 430- 431, 443.

بدأت أولى انتفاضات المزارعين الكبيرة في ربيع عام ١٩٣١، في آيوف إذ انطلقت حملة احتجاج واسعة ضد التفتيش القسري للقطيع الحلوب بسبب ظهور أبقار مريضة بالسل، وذلك في المناطق التي تربي الحيوانات الحلوبة. وفي سير هذه «الحرب البقرية» الفريدة من نوعها، التي استمرت مع فترات انقطاع عدة أشهر، حتى أيلول عام ١٩٣١، حدثت صدامات مسلحة بين المزارعين من جهة والشرطة والحرس الوطني من جهة ثانية.

كان المشاركون في هذه الحركة مستاءين بصورة خاصة أن لحم الحيوانات المذبوحة كانت تباع بأسعار منخفضة من قبل شركات صناعة اللحم الكبيرة وبعد معالجته كان يطرح للبيع بالمفرق[١].

إن «حرب الأبقار» في آيوف كانت مظهراً من المظاهر العفوية لاستياء المزارعين الناضج، وشكلاً فريداً من أشكال نضال المزارعين ضد الشركات الوسيطة الاحتكارية.

لقد بدأت مرحلة جديدة في حركة المزارعين صيف عام ١٩٣٢، في فترة التعمق الأكبر للأزمة الاقتصادية. انتقلت انتفاضات المزارعين المتفرقة والمتشتتة إلى النضال الجماهيري المنظم ضد مختلف أشكال استغلال الاحتكارات، وذلك انطلاقاً من سعيها لتحقيق تحسين في وضعها الكارثي، وكانت حركة مقاطعة المزارعين وسيلة مهمة جداً في هذا النضال. ففي أيار عام ١٩٣٢، في دي - موين (ولاية آيوف)، وباقتراح من مجموعة من شخصيات اتحاد المزارعين الراديكاليين تم عقد كونرانس توجه إلى جميع مزارعي البلاد بنداء لإيقاف بيع المنتوجات

---

(١) Kramer D. The Wild Jackasses. The American farmer in Revolt. N. Y., 1456, P. 209- 210.

الزراعية إلى أن يتم الوصول إلى أعلى مستوى للأسعار. ولأجل قيادة حركة المقاطعة تلك أُنشئت منظمة خاصة- الجمعية الإضرابية للمزارعين- برئاسة الشخصية البارزة في اتحاد المزارعين ميلو رينو.

وفي آب عام ١٩٣٢، وحسب الخطة المعدة من قبل الجمعية بدأ إضراب مزارعي وبائعي الألبان في آيوف... وانتشرت حركة المقاطعة بعد ذلك بسرعة في مينيسوتد وداكوتا الجنوبية والشمالية، ونيبراسكا، وفيسكونسين وفي بعض ولايات الغرب المتوسط- هذه المنطقة الزراعية الأساسية في البلاد. لقد تحدث إحدى الشخصيات المحلية بقلق في تلك الأيام، بأن إضراب المزارعين «يهدد بأن يشمل كل غرب وسط البلاد مثل النار في الهشيم»[1] لم تشارك في هذا النضال جماهير الكادحين من المزارعين فقط، وإنما جزء مهمٌّ من البرجوازية الزراعية أيضاً.

فعلى الطرقات التي تؤدي إلى المدن ظهرت مراكز للحراسة. سد المزارعون الطرقات بجذوع الأشجار، والأحجار، والمركبات القديمة لإعاقة عربات النقل والصهاريج وسيارات الشحن التي كانت تنقل المتوجات الزراعية إلى مراكز البيع، التي تعود ملكيتها للشركات الوسيطة.

لقد حشدت السلطات قوات بوليسية كبيرة ضد المضربين. لكن ذلك صب الزيت في النار فقط، وخرجت حركة المقاطعة عن اطر حملة الرفض السلمية لبيع البضائع الزراعية. فعلى مشارف بعض مدن آيوفا ونيبراسكا حدثت صدمات مسلحة للمزارعين مع الشرطة وفرق حفظ النظام التي أنشأتها قيادة الشركات الوسيطة.

---

(١) Shover J. Cornbelt Rebeltion. The Farmers Holiday Association. Urbana (111), 1965, p. 45.

استمر النضال أكثر من شهرين. وعن طريق القوة، والتهديدات والوعود من قبل السلطات أمكن إضعاف إضراب المزارعين تدريجياً وتحقيق إيقافه في نهاية تشرين الأول عام ١٩٣٢[١].

بيد أن تطور حركة المزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية لم يتوقف، ففي نهاية عام ١٩٣٢ - وبداية ١٩٣٣ تكررت حالات المقاومة لبيع المزارعين القسري لأملاكهم بسبب عدم دفع الديون والضرائب في مختلف مناطق البلاد. إن فئة كبيرة من المزارعين ممن كانوا في المناقصات لم تسمح لأي واحد منهم بالمشاركة في المزادات العلنية تحت التهديد باستخدام القوة.

إن ما سمي بـ «البيع بأثمان بخسة» أصبح شكلاً من أشكال المشاركة في المقاومة. ولأجل هذا الهدف، عادة ما كان يتم فرز عدة أشخاص تتم مشاركتهم في المزاد العلني، يقترحون أثماناً رخيصة جداً للمتاع المعروض للبيع، ولم يسمح لأحد بعد ذلك من المشاركة في المزاد.

كان المزارعون يجبرون المدينين على المشاركة في تسديد الدين بعدة دولارات تلقى في المزايدة، أما المتاع الذي اشتُريَ عن ذلك الطريق فتتم عودته إلى مالكه الأولي.

سرعان ما أصبحت أشكال النضال المشابهة ظاهرة يومية. وحسب إحصاء المؤرخ الأمريكي ـ ح. شووفير جرت في كانون الثاني- شباط عام ١٩٣٣ على أقل تقدير ٧٦ حالة من حالات «البيع البخس» في مختلف مناطق البلاد[٢].كان العدد العام للأعمال المناهضة للبيع الإجباري للملكية الزراعية كبيراً جداً. ولقد بلغ حسب شهادة مجلة «نشين» في بعض الأيام في النصف

---

(١) زولوتوحين ف. ب. المزارعون وواشنطن. موسكو. ١٩٦٨، ص ٤٨ - ٥٣.

(٢) Shover J. Op. Cit., P. 77.

الأول من كانون الثاني عام ١٩٣٣ ما بين ١٠ - ٢٠ حالة من حالات إحباط المزايدات العلنية من قبل المزارعين(١).

لقد شاركت رابطة المزارعين الموحدة التي يقودها الشيوعيون، الذين كانوا يقومون بالدعاية بين الجماهير لفكرة وحدة العمال والمزارعين في النضال ضد الاحتكارات، شاركت بحيوية في الكثير من انتفاضات المزارعين في أعوام ١٩٣٢-١٩٣٣ وبصورة خاصة في مقاومة البيع الإجباري للمزارع. إن هذا الشعار كان في مركز اهتمام مندوبي الكونغرس الوطني للمزارعين، الذي تم عقده في واشنطن، في كانون الأول عام ١٩٣٢، بمبادرة وقيادة الشيوعيين. طالب الكونغرس بإنشاء صندوق حكومي بسرعة لمساعدة المزارعين المحتاجين بمقدار ٥٠٠ مليون دولار، وتأجيل دفع الديون والضرائب، وتشريع يمنع بيع المزارع الإجباري(٢). ولأجل مساعدة المزارعين في النضال من أجل تحقيق هذا البرنامج تم إنشاء لجنة عمل وطنية للمزارعين، أصبحت مركزاً تنسيقياً للقوى اليسارية في حركة المزارعين.

إن نضال المزارعين الأمريكان وصل إلى أعلى مداه في نهاية ربيع عام ١٩٣٣. لقد حازت فكرة إجراء إضراب وطني عام للمزارعين بهدف إجبار الحكومة على تقديم المساعدة الضرورية للمزارعين، شعبيةً كبيرةً في صفوف المشاركين النشطين في الحركة. وبعد أن وافق مؤتمر الجمعية الإضرابية بصورة رسمية على هذه الفكرة. دخل التحضير لإضراب المزارعين الوطني في مرحلة التنفيذ العملي. وصار الزنوج الأمريكان ينجذبون تدريجياً إلى حركة الاحتجاج الاجتماعية أيضاً.

(١) Nation, 1933, mar. 8, p. 255.
(٢) Daily Worker, 1932, Dec. 12.

إن الكثير من السكان السود المنتشرين في غيتو مدن الشمال الكبيرة ساروا مع العمال البيض في طوابير المظاهرات، ومسيرات الجوع، وأنشؤوا شبكة متشعبة من المجالس المحلية للعاطلين، ونهضوا تلبية لندائها للنضال ضد طرد العائلات العمالية بسبب عدم دفع أجور الشقق، لكن وفي الجنوب أيضاً، إذ كان وضع الزنوج في ظروف الأزمة رهيباً بصورة خاصة، إذ الفقر والجوع وصلا إلى قياسات غير مسبوقة فقد تم تسجيل الحالات الأولى النشيطة لانتفاضات الزنوج في بداية أعوام الثلاثينيات، التي لم تشمل فقط عمال المدن، بل شملت جزءاً من المستأجرين والعاملين بالحصة.

إن الحزب الشيوعي لعب الدور الأول في دفع هذه الفئات المحرومة جداً من السكان السود في الجنوب للنضال الفعّال. ففي ربيع عام ١٩٣١، وفي عدة كونتيات في ألاباما، وبمبادرة من الشيوعيين، تم إنشاء اتحاد المستأجرين الذين يعملون بالحصة. وتحت قيادته بدأ النضال في مناطق «الجنوب العميق»، التي تسود فيها المزارع الكبيرة التابعة لكبار الملاكين بصورة مطلقة. من أجل إيقاف طرد المستأجرين بالحصة من الأرض، ومن أجل إبطال ديونهم وإعطائهم الحق في بيع القطن الذي يزرعونه.

لقد حاول المالكون الكبار أكثر من مرة سحق المنظمة الكفاحية للمستأجرين. ففي كانون الأول عام ١٩٣٢، وبالقرب من كيمبكسيل (ولاية ألاباما) تم استفزاز المستأجرين الزنوج للصدام المسلح مع الشرطة ومنظمة كوكلوكسكلان، وكان من نتيجة ذلك سقوط عدد من القتلى والجرحى بصورة خطرة بين الزنوج[١].

---

(١) Ibid., 1932, Dec. 21.

أثار هذا القمع القاسي موجة جديدة من الاستياء لدى السكان السود في الجنوب، وزاد بصورة أكبر من مقاومة المستأجرين الزنوج. ولقد جرت في برمنغهايم وغيرها من مناطق آلاباما الأخرى اجتماعات جماهيرية للتضامن مع الاتحاد النضالي للمستأجرين بالحصة[1].

إن عدد أعضاء هذا الاتحاد بلغ في ربيع عام ١٩٣٣ نحو ٣ ألف عضو[2].

كمنت المأثرة الكبيرة للحزب الشيوعي أيضاً في تنظيم حملة جماهيرية للدفاع عن تسعة فتيان زنوج، تم الحكم عليهم بالإعدام في آذار عام ١٩٣١، في مدينة سكوتسبورو (ولاية آلاباما) بتهمة ملفقة متعلقة باغتصاب نساء بيض. وانطلاقاً من نداء الشيوعيين جرت في عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ موجة من اجتماعات الاحتجاج ضد القمع الحاصل على ضحايا الإرهاب العنصري وعلى الأبرياء، وأصبحت المطالبة بتحرير سجناء سكوتسبورو دون إبطاء، واحدة من الشعارات المركزية لمظاهرات ومسيرات الجوع للعاطلين عن العمل.

إن المقاومة الحازمة للرأي العام الديمقراطي أوقفت يد الجلادين في آلاباما، وأنقذت حياة الفتيان الزنوج. ولقد لعب دوراً طليعياً في هذه الحركة الديمقراطية الواسعة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نفوذه بين الجماهير الزنجية.

إن التطور العاصف في الحركات الاجتماعية الجماهيرية خلق في البلاد ظرفاً سياسياً متوتراً للغاية. «أصبحت مظاهرات العاطلين عن العمل، والإضرابات ومسيرات المحاربين القدماء ظاهرة يومية آنذاك - هكذا كتب

---

(١) Ibid, 1933, Jan. 9.

(٢) Jamieson. S. labor unionism in American Agriculture. Wash., 1945, p. 296.

فيما بعد حول ذلك الزمن أو.ز.فوستر- كانت تلوح أمام البلاد آفاق تفاقم الصراع الطبقي المقبل... لم يجد الرأسماليون الأمريكان أنفسهم أبداً في حالة من الارتباك والذعر، كما في تلك الأعوام»[1].

إن تخوف البورجوازية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية على مصير سيطرتها الطبقية كان يحمل في طياته أساساً جدياً للغاية. لقد رأى ملايين العمال والمزارعين، وممثلي الفئات الوسطى لسكان المدينة بأم أعينهم العدو الرئيسي- الاحتكارات.

أصبح الرأسمال الكبير موضوع نقد حاد من جديد. وعلاوة على ذلك فإن الأزمة المدمرة التي انهالت بكل ثقلها على كاهل الكادحين، أثارت لدى الكثيرين منهم الشكوك في عدالة النظام الرأسمالي نفسه. إن المزاج المعادي للرأسمالية وجد تعبيراً عنه في شعبية مثل التعاون، وفي نمو الاهتمام بالاتحاد السوفييتي، وفي دعم أفكار التخطيط الوطني للاقتصاد.

لقد أخذ ينتشر في وسط الأنتلجنسيا الراديكالية، وفي المجموعات اليسارية في الحركة الاجتماعية المسيحية، وبعد ذلك في جماهير العمال والمزارعين أيضاً، الاعتقاد بضرورة استبدال المجتمع المبني على استخلاص الأرباح، بآخر جديد، بما يسمى «المجتمع التعاوني» القائم على تحقيق «الخير العام». وهكذا بدأت في الحركة الديمقراطية الجماهيرية أعوام الثلاثينيات تتشابك بصورة خاصة الأفكار التقليدية المعادية الاحتكارات مع الرغبات الاشتراكية التي لا تزال غامضة إلى حد بعيد.

(١) Foster. W. Z. History of the Communist party of the united ststes, p. 293.

كان المؤشر المهم الذي اشترط المرحلة الجديدة للحركة الديمقراطية يكمن في خيبة أمل الشعب العميقة في نشاط الحزبين البورجوازيين الأساسيين. إن السياسة الاقتصادية الاجتماعية الرجعية لحكومة هوفر أضاعت هيبة الجمهوريين بصورة كاملة في عيون الكادحين. لكن الديمقراطيين أيضاً لم يقدموا أي خيار آخر بناء في بداية أعوام الثلاثينيات لهذا النهج السياسي المفلس. لذلك حصلت أفكار العمل السياسي المستقل، وحتى إنشاء حزب ثالث مستقل على شعبية من جديد في الأوساط الراديكالية للمجتمع الأمريكي.

لقد كانت الرابطة من أجل العمل السياسي المستقل، التي تم تأسيسها في أيلول عام ١٩٢٩ من قبل ممثلي فئة المثقفين البورجوازية الصغيرة الراديكالية الواقعة تحت تأثير الحزب الاشتراكي، هي الداعية الأكثر نشاطاً لفكرة إنشاء حزب تقدمي ثالث في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية أعوام الثلاثينيات. وقد دخل في قيادة التنظيم الجديد الفيلسوف البارز جون ديو، وأستاذ الاقتصاد في جامعة شيكاغو بول دوغلاس، والمحرر في مجلة «نيشين» أوسفالد هاريسون ويللارد، وإحدى شخصيات الحركة المسيحية الاجتماعية - هوارد ويليامز وغيرهم.

إن السبب الرئيسي للحالة البائسة للشعب حسب رأي قادة الرابطة كان يعود لسيطرة الطغمة المالية، التي كانت تمسك في يدها وسائل الإنتاج الأكثر أهمية والسلطة السياسية. إن المسألة الأساسية التي كانت تقف أمام البلاد في ظروف الأزمة بالغة العمق تكمن حسب كلمات ج. ديو في «هل يجب على الشعب أن يراقب الحكومة، ويستخدمها لأجل دعم السلام والرخاء للمجتمع، أم إن هذه المراقبة ستبقى كما في السابق في أيدي مجموعة

قليلة لكنها ذات جبروت تستخدم وسائل السلطات الإدارية والتشريعية لمصالح الكسب الشخصي»[١].

لقد أعلنت شخصيات الرابطة إن الهدف النهائي بالنسبة لهم يكمن في إنشاء مجتمع تعاوني يكون فيه الإنتاج والتوزيع موجَّهاً نحو تلبية متطلبات جميع الأمريكان.

وكانت الشروط الإلزامية لتحقيق هذا البرنامج الواسع لإعادة البناء تكمن في أن يحصل الشعب على السلطة السياسية. إلا أن زعماء التنظيم الجديد كانوا يرفضون الطرائق الثورية في النضال. إن انتقال السلطة إلى أيدي الشعب يجب أن يتم بصورة سلمية وليس عن طريق القوة كما كانوا يطرحون، وإنما بواسطة الحصول التدريجي على حزب جديد ثالث يعكس مصالح الجماهير الشعبية وكسب الأكثرية في الكونغرس.

إن دعاية الرابطة من أجل العمل السياسي المستقل وغيرها من المجموعات الراديكالية حظيت بصدى متعاطف جداً بين الأمريكان البسطاء، وكانت الرسائل الكثيرة من المناطق تشهد، على أن فكرة إنشاء حزب تقدمي ثالث تكتسب تدريجياً شعبية متزايدة.

لقد جاء في إحدى الرسائل على سبيل المثال إلى ف. لافولليت من ويسكونسين، «للأسف الشديد، أن أية محاولة جدية لتشكيل الحزب الجديد لم تتم بعد. إن الزمن لتحقيق ذلك قد حل حسب رأيي، وإن الشعب مستعد لتأييد ذلك الحزب بحماس»[٢].

---

(١) Pells R. Raducoil visions and American Dreams. Culture and social thought in the Depression Years. N. Y., 1973.p. 51.

(٢) Sara S. Bornemann to Philip La Follette, May 13, 1931.— Wisconsin State Histori-cal Society, Manuscript Library, Philip F. La Follette Papers, Box 9, fold. 2. См. также:=

كان لشعار العمل السياسي المستقل عدد غير قليل من الأنصار في صفوف الحركة النقابية. ففي عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ وقفت فروع محلية كثيرة تابعة الفدرالية الأمريكية للعمل إلى جانب إنشاء حزب عمالي مستقل. ولم يقتصر الأمر على الدعاية فقط، وإنما سارت الأوساط الراديكالية في المجتمع الأمريكي في بداية أعوام الثلاثينيات على طريق تحقيق العمل السياسي المستقل للكادحين. ولقد لعب نشاط حزب العمال والمزارعين في مينيسوتي دوراً مهماً في هذا المجال. كانت هذه المنظمة تتمتع بتأثير محسوس في الولاية حتى في بداية أعوام العشرينيات، كانت تقوم بدعاية دائمة بين الجماهير لبرنامجها الراديكالي المناهض للاحتكارات. جاء في مقدمة النظام الداخلي لحزب العمال والمزارعين في مينيسوتي أن «هدف حزب العمال والمزارعين يكمن في انتزاع الحكومة من إشراف زمرة غير كبيرة من المالكين واستخدامها لأجل تلبية حاجات الشعب، ولأجل ذلك يجب القضاء على كل أشكال الاحتكارات، وتحقيق الملكية الاجتماعية، وتأمين الإمكانيات لكل شخص أن يعمل وأن يحصل على ثمرات عمله»[١].

بدأت مرحلة جديدة في نشاط حزب العمال والمزارعين في مينيسوتي في أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣. أن استياء الكادحين من سياسة الأحزاب البورجوازية جعله في مقدمة الحياة السياسية في المقاطعة. ولقد حقق هذا الحزب في انتخابات عام ١٩٣٠ انتصاراً كبيراً، وانتخب زعيم الحزب ف. أولسون حاكماً

=William A. Devine to Philip La Follette, March 12, 1931.—Ibid., Box 6, fold. 6; Daniel Carrick to Philip La Follette, December 15, 1931.—Ibid., Box 14, fold. 1; Remington Rogers to George W. Norris, January 12, 1932.—Library of Con-gress, Wash. (D. C), Division of Manuscripts, George W. Norris Papers.

(١)Farmer-Labor Leader, 1930, Jan. 15.

للولاية. وقد صوت له ٤٩٣ ألف شخص، أو أكثر من ٦٠% من عدد الناخبين العام، الذين ساهموا في الانتخابات[١].

أعلنت الإدارة الجديدة عن عزمها على النضال بحيوية لأجل تحقيق البرنامج الراديكالي المقترح من قبل حزب العمال والمزارعين. وبعد أن تمّ التغلب على مقاومة الجمهوريين الذين كانوا يحتفظون بأغلبية المقاعد في المجلس التشريعي للولاية. اتُّخذَ عددٌ من التدابير الملموسة لصالح الكادحين. وهكذا، وفي عام ١٩٣١، أمكنها تحقيق الحد الأدنى للأجور بالنسبة لبعض فئات العمال، والبدء بتحقيق برنامج العمل الاجتماعي، وتحقيق مساواة في أسعار التعريفات على نقل المنتجات الزراعية. وفي بداية عام ١٩٣٣ تمّ إقرار قانون في مينيسوتي حول زيادة الضرائب على الدخول الكبيرة وحول تأجيل الدفع بالنسبة لديون المزارعين. كانت أعمال حاكم الولاية ف. أولسون وإدارة الولايات التي يقودها على نقيض حاد من نهج حكومة غ. هوفر الجمهورية. لقد برز حزب العمال والمزارعين في مينيسوتي بسرعة على المسرح الوطني العام للنضال السياسي. وعلى غرار مينيسوتي تمّ إنشاء أحزاب عمالية أو عمالية زراعية في بداية أعوام الثلاثينيات في عدة ولايات (أوريجون، وأوهايو، وماساتوسيش، ونيوجيرسي).

ولقد استمرت مجموعة الجمهوريين التقدمين بلعب دور مهم في الحركة الديمقراطية بداية أعوام الثلاثينيات، كذلك، كما في الأعوام السابقة من تطورها. فبعد وفاة ر. لافولليت، أصبح السيناتور ج. هوريس هو الشخصية الأكثر تأثيراً في هذه المجموعة، ولقد أيدته شخصيات بارزة في الجناح اليساري

(١) Mayer G. The Political Career of Floyd B. Olson. Minneapolis, 1951, p. 56.

للحزب الجمهوري بصورة أكبر أو أقل، مثل السيناتور أو. بور، ور. لافولليت - الأصغر، وج. ناي، وب. كايتنغ، وعضو غرفة الممثلين ف. لاغارديا وغيرهم. إن الجمهوريين التقدميين الذين وجهوا النقد للنهج الرجعي للسياسة الاقتصادية الاجتماعية لحكومة هوفر، حاولوا صياغة بديل بناء وراديكالي لسياسة كلا الحزبين البورجوازيين.

ولهذه الغاية تمّ عقد مؤتمر للتقدميين في آذار عام ١٩٣١ في واشنطن، وشارك في عمله مجموعة الجمهوريين التقدميين وممثلو الجناح اليساري في الحزب الديمقراطي (ي. كوستيفان، وب. ويلير)، وزعماء الفدرالية الأمريكية للعمل (و. غرين، وس. هيللمي)، وعدد من العلماء ذوي النزعة الراديكالية أو الليبرالية اليسارية (ج. ديو، وس. تشير، وج. سوول، وتش. بيرد) وآخرون. تحدث المشاركون في المؤتمر عن ضرورة تخطيط الاقتصاد المركزي للاعتمادات المخصصة لمساعدة العاطلين عن العمل، وتوسيع حقوق النقابات وتحقيق خطوات مهمة أخرى في السياسة الاقتصادية - الاجتماعية. بيد أنه، وبسبب الخلافات الجادة بين مختلف المجموعات، الممثلة في المؤتمر، فإن الموافقة على برنامج اقتصادي - اجتماعي كانت غير ممكنة في تلك الفترة، لذلك اقتصر المؤتمر على إنشاء عدة لجان فقط لأجل الصياغة المقبلة لخطط النشاط التشريعي للتقدميين[١].

لكن، وفي عامي ١٩٣١ - ١٩٣٢، وبمبادرة من مجموعة الجمهوريين التقدميين تمّت صياغة عدد من مشاريع قوانين قُدمت إلى الكونغرس، ومثلت أولى الخطط الراديكالية البديلة لنهج الإدارة الجمهورية. وكان مشروع القانون حول الحد من التدخل القضائي في نزاعات العمل المقدم من قبل ج. هوريس

---

(١) Romasco A. Op. cit., p. 218—219.

وف. لاغارديا في آذار عام ١٩٣٢، والذي تمّت الموافقة عليه من قبل الكونغرس تحت ضغط الحركة العمالية المنظمة، هو أحد تلك المشاريع(١).

إن غ. هوفر الذي كان يقف طوال الوقت ضد إقرار مشروع قانون هوريس- لاغارديا، كان مضطراً في الظرف السياسي المتوتر مع اقتراب الحملة الانتخابية أن يذهب إلى توقيعه.

إن النضال لأجل تحقيق مخططات بناء محطة حكومية للطاقة المائية في وادي نهر تينيس التي كان قد تمّ طرحها من قبل السيناتور نوريس حتى في أعوام العشرينيات، شكل إحدى التوجهات المهمة الأخرى في نشاط الجمهوريين اليساريين في الكونغرس. ولقد تمّت الموافقة على هذه الخطط من قبل الكونغرس في عام ١٩٣١، لكن الرئيس هوفر وضع فيتو عليها دون إبطاء. وأخيراً تقدم الجمهوريون التقدميون باقتراح أشد حزماً حول تقديم المساعدة العاجلة للعاطلين عن العمل. وفي بداية عام ١٩٣٢ تقدم السيناتور ر. لافولليت بمشروع قانون إلى الكونغرس حول تخصيص مبلغ ٥,٥ مليار دولار لأجل تنفيذ برنامج واسع للأعمال الاجتماعية. رفض الكونغرس مشروع القانون هذا، لكنه حاز تأييد جماهير العاطلين عن العمل. لك يستطع في تلك الحالة حتى الكثير من الأعضاء المحافظين في الكونغرس أن يقفوا بعد ذلك ضد فكرة مساعدة الحكومة الفدرالية نفسها في تنظيم الأعمال الاجتماعية. لقد وقفوا فقط ضد المبلغ الكبير جداً حسب رأيهم للمخصصات الفدرالية لهذه الأهداف. إن تطور الحركة الجمهورية للعاطلين عن العمل كان يخلق ظروفاً مواتيةً بصورة أكبر أيضاً لأجل الدعاية لمصلحة إدراج منظومة

(١) Documents of American History: Vol. 1, 2/Ed. by H. Commager. Englewood Cliffs (N. J.), 1973, vol. 2, p. 235-237.

التأمينات فيما يتعلق بالعطالة عن العمل. وقد توصل الجمهوريون التقدميون في ويسكونسين برئاسة فيليب لافولليت، المنتخب عام ١٩٣٠ حاكماً للولاية في شباط عان ١٩٣٢ لإقرار قانون متعلق بالتأمين على البطالة من قبل السلطة التشريعية المحلية لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية[١].

إن الأعمال النشطة لمجموعة الجمهوريين اليساريين لأجل توسيع التشريعات الاجتماعية أدت إلى تغييرات جدية في عقائدهم. لقد أعلن السيناتور ر. لافولليت في إحدى خطبه أن «الحق بالحياة، والحرية، والسعادة، لا يمكن أن يكون مضموناً في العالم المعاصر دون الحق بالعمل، وأن واجب الحكومة يكمن في ضمان الأمن الاقتصادي لكل عائلة والحق في الحصول على ثمار عملها»[٢].

لكن ارتقاء هذه النظرة المبدئية الجديدة إلى وظائف الدولة وضع أمام الجمهوريين التقدميين وبصورة حتمية إحدى المشاكل المهمة أيضاً، وعبر عنها بجلاء كبير حاكم ويسكونسين ف. لافولليت. لقد أعلن وهو يخطب أمام الناخبين في نيسان عام ١٩٣٢، أن مساءلة القضاء على عدم المساواة الاجتماعية الصارخة وزيادة رخاء الشعب تتقدم كل مهام الساعة، وأنه من الضروري لأجل حل هذه المسألة الاسترشاد بمبدأ دعه يعمل، وبمبدأ التدخل الفعال للحكومة في حياة المجتمع. ويتابع ف. لافولليت فيقول إن «المسألة تكمن في أي حكومة تستحق ذلك التدخل»[٣].

---

(١) Miller J. Governor Philip F. La Follette, the Wisconsin Progressives and the New Deal, 1930—1939: Ph. D. Univ. of Wisconsin, 1973, p. 40.

(٢) مانيكين. أ. س.، تاريخ نظام الحزبيين في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو ١٩٨١، ص. ١٤٦.

(٣) استشهد بـ: Miller J. Op. Cit., P. 29

إن حل هذه المشكلة بدا بالنسبة للجمهوريين اليساريين مسألة صعبة. إنهم، وإذ فهموا، أن تغييرات أساسية جداً في النهج السياسي للحكومة الفدرالية غير ممكنة ما دام يقف على رأس السلطة الزعماء المحافظون للحزب الجمهوري أو الديمقراطي، فإن أكثرية الجمهوريين التقدميين لم تكن على استعداد في بداية أعوام الثلاثينيات للقطيعة مع نظام الحزبيين. وتقاعده، كانوا يتمسكون كما في السابق بالنهج المبني على العمل السياسي المستقل في أطر نظام الحزبيين، محاولين استخدام مؤسسة الانتخابات الأولية وتقديم المرشحين إلى هيئات السلطة المحلية والمركزية بقوائم الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي. ولكن، وبمقدار تفاقم الوضع السياسي في البلاد فإن الكثير من المشاركين في الحركة الديمقراطية، بما في ذلك جزء من الجمهوريين اليساريين صار يعي قصور ذلك النهج وضرورة الانتقال إلى أشكال أكثر راديكالية من العمل السياسي المستقل - إلى النضال من أجل إنشاء حزب تقدمي ثالث.

٤ - وصول الديمقراطيين إلى السلطة.

بدأت الحملة الانتخابية في عام ١٩٣٢، في ظرف متوتر للغاية، يتميز بتفاقم الأزمة الاقتصادية إلى الحدود القصوى، وبالصعود العاصف لحركة الاجتياح الاجتماعية، والتعاظم الاستثنائي للمزاج المناهض للاحتكارات في أوساط الجماهير الأمريكية البسيطة. كان يمتلك البورجوازية الأمريكية وممثليها السياسيين شعور عميق بالقلق. كانت ترى أن الاستياء الجماهيري من الواقع القائم يتنامى في البلاد، وأن الشعب يطمح للتغيير، ويطالب الحكومة بتدابير حازمة للنضال ضد الأزمة وعواقبها. في هذه الظروف كان وضع خطط انتخابية للأحزاب البورجوازية مرتبطة بصعوبات خاصة.

كان الحزب الجمهوري يعيش وضعاً صعباً للغاية في عام ١٩٣٢، لقد حملته الأوساط واسعة من الناخبين بالذات مسؤولية كل الكوارث التي انهالت على البلاد مع قدوم الأزمة. لكن أكثر ما أبعد الجماهير عن الجمهوريين كان يكمن في رفض حكومة هوفر لمساعدة العاطلين عن العمل الحقيقية. إن أحاديث هوفر حول ضرورة المراعاة للصارمة «للمبادئ الأمريكية بصورة فعلية «مذهب الفردية الصلب» كانت تدوي كتجديف حقيقي، ولا سيما، أن العقائد الفردية لم تكن تعيق الاعتمادات المنتظمة للاحتكارات الضخمة عبر الاتحاد الاحتكاري المالي لإعادة البناء. وكما لاحظ بحق زعيم حزب العمل والمزارعين في مينيسوتي ف. أولسون في إحدى خطبه، إن «مذهب الفردية الصلبة» الذي اتبعه هوفر أصبح عملياً «سياسة فردية مناهضة للفقراء، ونهجاً لحماية الامتيازات الخاصة بالنسبة للفقراء»[١]، ولقد أثار كل ذلك الاستياء في البلاد.

أظهرت الخطة الانتخابية للحزب الجمهوري المقرة في حزيران عام ١٩٣٢، في المؤتمر الذي عُقد في شيكاغو، أن الزعماء الجمهوريين ليسوا عازمين على إدخال أيِّ تغييرات ملموسة في سياستهم. لم يكن في خططهم أي شيء، وإن كان بسيطاً جداً يمكن أن يخفف من الحالة الكارثية للعمال والمزارعين. إن حل المشكلة المتفاقمة المتعلقة بالبطالة وضعت كما في المسابقة وبصورة استثنائية على «عاتق الولايات والبلديات»[٢]. لم يتمّ التحدث بأي كلمة عن إدراج التأمينات الاجتماعية، وعن تخفيف الأعباء التي لا تطاق المتعلقة بديون المزارعين، ولكن على العكس، فقد أكد الجمهوريون في نداءاتهم من أجل توفير الأموال

(١) Third Party Footprints. An Anthology from Writings and Speeches of Midwest Radicals / Ed. by J. Youngdale. Minneapolis, 1966, p. 246.

(٢) National Party Platforms, 1840—1972 / Compl. by D. Johnson, K. Porter Urbana (111.), 1973, p. 341.

الحكومية، ودعم ميزانيته دون عجز، موقفهم السلبي تجاه المطالب التي تنادي بزيادة النفقات الاجتماعية من قبل الحكومة الفدرالية.

ومن حيث الجوهر، فإن حملتهم الانتخابية اقتصرت على مديح «خدمات» الرئيس هوفر والدعاية لإعادة انتخابه. ولم يكن من المستغرب أن ذلك خلق مناخاً نفسياً غير ملائم البتة بالنسبة للحزب الحاكم. وحين انتشرت في تموز عام ١٩٣٢ الأخبار في كل البلاد حول القمع الذي لحق بالمحاربين القدماء بأمر شخصي من الرئيس، فإن مواقع الجمهوريين في سياق الصراع الانتخابي أصبحت ضعيفة لا أمل فيها، وأصبحت أوساط العمل النافذة تُعرض عن هوفر، بعد أن اقتنعت في عدم قدرة الرئيس على إيجاد الطرق للتغلب على المصاعب الاقتصادية، وإعادة الاستقرار للوضع السياسي في البلاد.

ولقد وصل عدد من قادة عالم الأعمال في تلك الفترة إلى استنتاج حول ضرورة وفائدة التنظيم الحكومي للاقتصاد. وكان رئيس الاتحاد الاحتكاري «جنرال الكتريك» ج. سفووب، وهو أحد كبار الرأسماليين الماليين قد طرح أيضاً في أيلول عام ١٩٣١ خطة لإعادة تنظيم الصناعة الأمريكية. كانت «خطة سفووب» تقتضي برفض القوانين المناهضة للاحتكار وإدراج الاحتكارات في تنظيم الأسعار وكل عملية إنتاجية وتسويق المنتوجات الصناعية في أطر مقررات عامة حكومية خاصة بهذا الأمر. وفي كانون الأول عام ١٩٣١، تمت الموافقة على هذه الاقتراحات في سياق الاستفتاء الذي أقامته غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية بين أعضائها[1].

---

(١) كريديرا. أ. أ. البورجوازية الأمريكية الاحتكار والأزمة الاقتصادية **(١٩٢٩- آذار ١٩٣٣)-** في كتاب: من تاريخ الصراع السياسي الداخلي والحياة الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية. كويبشيف ١٩٨١، ص ١٢٣.

نها في أوساط الرأسمال الكبير الاهتمام بضرورة الإصلاحات المبدئية، التي جاءت في «خطة سفووب». لقد نص بيان إحدى لجان غرفة التجارة على ما يأتي «إننا نترك وراءنا مرحلة الفردية الاستثنائية»[١].

كان ظهور مثل تلك الأمزجة في أوساط رجال الأعمال يشير إلى أن مقدمات انتقال الولايات المتحدة على طريق تطور الدولة الاحتكارية خلال الأزمة الاقتصادية لأعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ لم تصبح أقوى في المجال المادي فقط، وإنما في المجال النفسي والفكري.

لقد وقف الرئيس هوفر ضد هذه الأفكار معلناً أن «التخطيط الاقتصادي» سيقود إلى «إنشاء الاحتكارات» وإلى «الفاشية» وإلى «الاشتراكية»[٢]. إن هذا التعليل لا يدل أبداً على الفهم العميق من قبل زعماء الجمهوريين للمحتوى الحقيقي للعمليات الاقتصادية الاجتماعية التي كانت تحدث في العالم الرأسمالي.

لقد كانت تُظهر متانة العقائد الفردية عند الرئيس فقط. بيد أن قسماً من الزعماء البارزين للرأسمال الكبير كان يتحدث بإلحاح أكبر عن ضرورة التنظيم الحكومي للاقتصاد. ففي أيلول عام ١٩٣٢، وفي ذروة الحملة الانتخابية أعلن رئيس غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية غ. هاريمان وبصورة مباشرة للرئيس هوفر أنه وفي حالة رفضه لدعم «خطة سفووب» فإن أوساط عالم رجال الأعمال النافذة سوف تنفك عن الجمهوريين ولن تقدم الدعم لهم

(١)Hofstadter R. The American Political Tradition and the Men Who Made It. N. Y., 1948, p. 331.

(٢)The Memoirs of Herbert Hoover: Vol. 1—3. N. Y., 1952, vol. 3. The Great Depression, 1929—1941, p. 335.

في الانتخابات. كان هذا التهديد واقعياً تماماً، على الرغم من أن قسماً مهماً من البورجوازية الاحتكارية دعم الجمهوريين أيضاً في عام ١٩٣٢، ودعم نهجهم السياسي، رغم أن تعمق الأزمة كان يثير لديه حماساً أقل.

إن وضع الحزب الديمقراطي في سير الحملة الانتخابية عام ١٩٣٢، كان مواتياً بصورة أفضل. استطاع الزعماء الديمقراطيون وهم بحالة المعارضة أن يلقوا المسؤولية كلها على عاتق الحزب الجمهوري الحاكم فيما يتعلق بالأزمة المدمرة التي لحقت بالبلاد، والتي سببت الفقر للشعب. ولقد استخدموا بنجاح هذه الوسيلة. لكن الاقتصار على انتقاد تراخي الإدارة الجمهورية لم يكن ليجذب إلى جانب الديمقراطيين جماهير واسعة من الناخبين، ولا سيما أن الحزب الديمقراطي عزز مواقعه بعد الانتخابات النصفية التي جرت عام ١٩٣٠ في الكونغرس، وحصل على الأكثرية في غرفة الممثلين (النواب)، وهذا يعني أيضاً أنه يتحمل المسؤولية إلى حد ما عن الأوضاع في البلاد.

كان على الديمقراطيين من أجل تثبيت ابتعاد أكثرية الناخبين عن الجمهوريين، وتوسيع قاعدتهم الاجتماعية، أن يصيغوا بديلاً سياسياً بناءً لنهج الحزب الجمهوري. وكان هذا الأمر يتطلب رفض المبادئ الفردية والاعتراف بضرورة التنظيم الحكومي النشط. كان يمكن التغلب على هذه الأزمة العميقة التي كان يعانيها ففي بداية أعوام الثلاثينيات نظام الحزبين في الولايات المتحدة الأمريكية، على قاعدة إعادة التجمع الحزبي الجدي فقط، وعلى قاعدة إعادة التوجه الفكري للحزبين البورجوازيين باتجاه تعزيز دور الدولة.

بيد أن الإيديولوجية الفردية التي تجسدت بصورة متينة في وعي البورجوازية الأمريكية، وكان التغلب عليها حتى في ظروف الكارثة الاقتصادية

التي لا سابقة لها أعوام ١٩٢٩ - ١٩٣٣ مرتبطاً بصعوبات كبيرة. إن القيادة المحافظة للحزب الديمقراطي لم تتنازل للزعماء الجمهوريين فيما يتعلق بولائها للقوانين العامة العادية لمذهب الفردية، وأظهرت تحفظاً لا حدود له في فهم أفكار التنظيم الحكومي. لذلك لم تختلف الخطة الانتخابية المقرة من قبل الديمقراطيين في المؤتمر المنعقد في شيكاغو نهاية حزيران عام ١٩٣٢ إلا قليلاً عن برنامج انتخاب الجمهوريين. ذلك أن كل وعود الديمقراطيين كانت ترافقها وفرة من التحفظات. وهكذا فإن الحزب الديمقراطي عبر في عام ١٩٣٢ عن وقوفه إلى جانب «التغييرات الحاسمة في سياسة الدولة الاقتصادية» و«تخطيط الأعمال الاجتماعية في الوقت الملائم» وتقديم المساعدة للعمال والمزارعين المحتاجين، بيد أن خطة الديمقراطيين تحدثت فيما بعد عن ضرورة الحفاظ على الميزانية المتوازنة، و«التقليص الحاسم من النفقات الحكومية»، إن الديمقراطيين الذين وافقوا من إذ المبدأ على فكرة التأمينات المتعلقة بالبطالة، أعلنوا أن تحقيقها يجب أن يتم «حسب تشريع الولايات« فقط، وليس على النطاق الوطني. لقد كانت إحدى المقولات الرئيسية في خطتهم الانتخابية مشبعة تماماً بروح المذهب الفردي الذي اتبعه هوفر: «إيقاف تدخل الحكومة في جميع مجالات القطاع الخاص، ما عدا تلك الفروع، إذ من الضروري تحقيق الأعمال الاجتماعية أو استثمار الموارد للمصالح العامة[١]».

وهكذا، فإن الخطة الرسمية للحزب الديمقراطي في انتخابات عام ١٩٣٢ كانت مبهمة جداً، وأحياناً باتفاق يثير الدهشة مع البيانات الانتخابية للجمهوريين. إن رفض الديمقراطيين لتقديم بديل بناء لسياسة إدارة غوفير، لم يكن ممكناً إلا أن يضعف مواقعهم في الصراع الانتخابي. كانت الشخصيات

(١) National Party Platforms, p. 331—332.

ذات الرؤية الأكثر بعداً في الحزب الديمقراطي وبالدرجة الأولى مرشحه إلى منصب الرئيس حاكم ولاية نيويورك فرانكلين ديلانو روزفلت تفهم ضرورة صياغة نهج سياسي أكثر مرونة، لأجل كسب تعاطف الجماهير الانتخابية الواسعة وتحقيق الانتصار في الانتخاب. ولقد خدم هذا الهدف شعار «النهج الجديد» الذي طرحه ف. د. روزفلت. كان مرشح الديمقراطيين يعد في خطبه الانتخابية بإجراء إصلاحات ليبرالية لمصلحة ملايين «الأمريكان المنسيين». وكان يسير أبعد من ذلك في بعض الأحيان. لقد أعلن ف. روزفلت في خطابه في سان فرانسيسكو ٢٣ أيلول عام ١٩٣٢ عن ضرورة «التخطيط الاقتصادي» بهدف «التوزيع الأكثر عدلاً للثروات والبضائع وتكييف المنظمة الاقتصادية الموجودة مع حاجات الشعب»(١).

إن المتتبع لتوصيات خطة الحزب الرسمية، من الضروري أن يرى أنها كانت تضع مرشح الديمقراطيين في وضع صعب، وكانت تُعطي لخطبه طابعاً يتعارض مع الواقع ومتناقضاً معه. وبالإضافة لذلك، لم يكن لدى ر. ف. روزفلت نفسه عام ١٩٣٢ برنامجٌ مصوغٌ بوضوح لـ «النهج الجديد». بيد أن مرشح الديمقراطيين وخلافاً لـ غ. هوفر الذي كان يؤكد بإلحاح رسوخ القوانين العامة للفردية، كان يدعو إلى رفض التقاليد المتأصلة وإلى «التجارب الاجتماعية». لقد (كلمة غير مفهومة) إن «البلاد لا تحتاج إلى التغيير، وإذا كنت أفهم بصورة صحيحة مزاجها، فيجب بإصرار إجراء تجارب شجاعة. إن الفكر السليم يملي بضرورة اختيار أسلوب ما وتجربته. فإذا ظهر أنه غير ناضج، يجب الاعتراف بذلك بصدق، والقيام بتجريب طريق آخر: لكن الأمر

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933 vol.— 1945 vol. / Ed. by S. I. Rosenman. N. Y., 1938—1950, vol. 1, p. 752.

الرئيسي - يجب العمل. إن ملايين المحتاجين لن يصبروا إلى الأبد، عندما لا يكون كل ما هو ضروري لأجل تلبية احتياجاتهم موجوداً[١].

لقد ساعدت الحملة الانتخابية النشيطة لـ ف. د. روزفلت إلى حدٍ كبير في أن جماهير واسعة من الناخبين استطاعوا في سير في الصراع الانتخابي أن يجروا مقارنة بين مبدأ الإخلاص للتقاليد الفردية المتبعة من قبل الجمهوريين ونهج الديمقراطيين الهادف لتقوية دور الدولة، على الرغم من أن الخطط الرسمية لكلا الحزبيين في عام ١٩٣٢ لا يختلف بعضها عن بعضٍ كثيراً إذا ما قُورِن بينها. إن خطوط الاختلاف بين الجمهوريين والديمقراطيين قد أشار إليها أكثر من مرة غ. هوفر في خطبه. إن مرشح الجمهوريين صاغ بجلاء إلى درجة ما في الخطاب الذي ألقاه في المرحلة الختامية من الحملة الانتخابية في ٣١ تشرين الأول عام ١٩٣٢، المحتوى العميق للصراع الناضج. لقد أعلن غ. هوفر أن «هذه لحملة، ليست نقاشاً ببساطة بين شخصين، وليست خلافاً ببساطة بين حزبين، إنها ببساطة بين فلسفتين إدارتين»[٢].

لم تشارك البورجوازية بنشاط في الحملة الانتخابية لعام ١٩٣٢ فقط، وإنما الطبقة العاملة أيضاً- الاشتراكيون والشيوعيون. إن البرنامج المناهض للرأسمالية للأحزاب اليسارية لقي عدداً غير قليل من المناصرين بين الناخبين. لقد حصل مرشح الاشتراكيين إلى منصب الرئيس نورمان توماس، الذي رشح نفسه على أساس الخطة الإصلاحية التقليدية للحزب الاشتراكي، حصل عام ١٩٣٢ على ٨٨٢ ألف صوت، أي أكثر بثلاث مرات من عام ١٩٢٨.

---

(١) Ibid, p. 646.

(٢) Annals of American, Chicago, 1968, Vol. 13, p. 188.

كما أن الحزب الشيوعي الذي تقدم ببرنامج ثوري لإعادة بناء المجتمع الرأسمالي حقق نجاحاً ملموساً في انتخابات عام ١٩٣٢، فلقد صوت لمرشح الشيوعيين وليام زفوستر ١٠٣ ألف شخص.

لكن الصراع الأساسي في عام ١٩٣٢ كان يتطور بين مرشحي الحزبين البورجوازيين. إن التكتيك المرن لمرشح الديمقراطيين، وتورطه الأقل بالقيود الفردية، ووعوده بالإصلاحات الليبرالية، وكذلك الوضع الأكثر ملاءمة بكثير للحزب الديمقراطي كحزب معارضة - كل ذلك أمن لـ ف. د. روزفلت انتصاراً ساحقاً في الانتخابات. لقد صوت لصالحه في عام ١٩٣٢ نحو ٢٢٨١٠ ألف ناخبٍ، ما أعطاه ٤٧٢ نقطة، في الوقت الذي حصل فيه غ. هوفر على ١٥٧٥٩ ألف صوت و٥٩ نقطة فقط[١]. بالإضافة لذلك، فإن الديمقراطيين حصلوا على الأكثرية المطلقة في غرفتي الكونغرس.

بقي لاستلام الرئيس الجديد منصبه نحو أربعة أشهر عندما كانت الأزمة الاقتصادية تعصف بقوة لا يتنابها الضعف، ولم يكن هناك أي وضوح مرتبط بانتهائها. وبقي الوضع السياسي متوتراً للغاية. كان ملايين الأمريكان ينتظرون بجزعٍ، تغيير الإدارة، بأمل أن ف. د. روزفلت سيقوم بأعمال حيوية بالنسبة للنضال ضد الأزمة وسيحقق ما وعده لهم «النهج الجديد».

(١)Historical Statistics of the United States, p. 1073.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثامن

تأثير الأزمة على الوضع العالمي للولايات المتحدة الأمريكية

١ - حكومة هوفر وأمريكا اللاتينية

أثرت الأزمة تأثيراً كبيراً على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وكان من نتائجها الانخفاض الحاد في التجارة العالمية، واشتداد الصراع على أسواق تصريف البضائع، وتفاقمت التناقضات بين الدول الامبريالية. وانتشرت الحرب التجارية والجمركية الحقيقية في عالم الرأسمال. وكان من عواقب الأزمة أيضاً هبوط قيمة العملة، وانتهاك الروابط المالية الدولية، وإفلاس البنوك، ونشوء حلف الجنيه الإسترليني برعاية بريطانيا العظمى، ووصل الصراع بين الدول البرجوازية إلى وضع متوتر للغاية. وفي هذا الوضع المعقد كانت حكومة هوفر تسعى لممارسة سياسة خارجية تخدم مصالح احتكارات الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال تحقيق تأثير أمريكي متزايد في العالم.

وقد شغلت أمريكا اللاتينية مكاناً مهماً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الأزمة. إذ سعت الاحتكارات الأمريكية إلى نقل جزء من أعباء الأزمة إلى شعوب هذا الإقليم، وتمكنت الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٢٩ من السيطرة على مراكز مهمة. وجرى تقييم حجم استثماراتها في أمريكا اللاتينية بمقدار ٥٥٨٧ مليون دولار. وبلغ حجم

توظيفات الولايات المتحدة الأمريكية في بلدان الحوض الكاريبي ٣٧١٥ مليون دولار - أكبر بمرتين من استثمارات بريطانيا العظمى. وفي عام ١٩٣٠ أصبح أكثر من ثلثي التجارة مع بلدان الحوض في يد الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الإشراف على الموارد الاقتصادية الأساسية(١).

حصلت الشركات الأمريكية على وضع مسيطر في عدد من بلدان أمريكا الجنوبية. ففي كولومبيا حازت وضعاً رائداً سواء في مجال التجارة والاستثمارات وعلى نصف النفط المستخرج في فنزويللا، و٨٠% في البيرو، و٨٠% من القصدير المستخرج في بوليغيا، و٩٧% من استخراج النحاس و٥٠% من إنتاج نترات البوتاسيوم في تشيلي. كل ذلك كان من نصيب الشركات الأمريكية(٢).

لقد أبحر هوفر مستلهماً نجاحاته في الانتخابات الرئاسية في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٢٨ من كاليفورنيا على متن الباخرة «ميرلاند» متوجهاً إلى بلدان أمريكا الجنوبية في بعثة «الإرادة الخيِّرة». كان الهدف منها التعرف بصورة شخصية على الوضع في دول الإقليم، والسعي لإضعاف التناقضات بين واشنطن وبينها. زار عشرة بلدان. وكان في عداد الدول التي زارها على سبيل المثال (تشيلي وسلفادور) إذ استقبله السكان بمظاهرات الاحتجاج. وطالب أهالي نيكاراغوا بإيقاف تدخل الولايات المتحدة الأمريكية(٣). وجرت محاولة لاغتياله في الأرجنتين.

(١) زوبوك د.ي. السياسة الامبريالية للولايات المتحدة الأمريكية في بلدان الحوض الكاريبي، أعوام ١٩٠٠-١٩٣٩، موسكو ل.، ١٩٤٨، ص ٣٥.

(٢) Olson R., Hickman C. Pan-American Economics. N.Y., 1943, p. 420-421.

(٣) Honde A. de. Herbert's Latin American nolicy. Stanford, 1951, p. 16.

لم تحقق بعثة «الإرادة الخيرة» النتائج المرجوة. وأدت الأزمة إلى تفاقم التناقضات وتعمقها بصورة أكبر بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية. لقد حاول هوفر تحت تأثير رحلته والتحركات الواسعة للأمريكان اللاتين ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أن يتخذ بعض الخطوات «السلمية». ففي رسالته السنوية إلى الكونغرس بتاريخ ٣ كانون الأول عام ١٩٢٩ أعلن نيته الامتناع عن التدخل في شؤون الدول الأمريكية اللاتينية. إن الأحداث الأخيرة أظهرت الثمن الحقيقي لهذه الوعود.

لقد انعكست الأزمة الاقتصادية بصورة ثقيلة على الوضع في بلدان أمريكا اللاتينية. نمت البطالة وزاد التضخم، وانهارت الأسعار على البضائع الزراعية والخامات، وتقلصت التجارة الخارجية إلى الثلث. وتفاقمت أيضاً التناقضات الاجتماعية. وأصبح الوضع السياسي للحكومات أقل متانة نتيجة الصراع على السلطة بين فئات الطبقات المسيطرة. لقد جرت انقلابات في عدد من الدول، لعب فيها التنافس الأمريكي - الإنكليزي دوراً كبيراً.

لقد تطورت الأحداث في أمريكا الوسطى بصورة متوترة على وجه الخصوص. تقلص إنتاج السكر بصورة حادة في كوبا، في ظروف الأزمة. وتناقص تصدير السكر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحدود ٢,٥ مرة. وتصاحب تعمق الصعوبات الاقتصادية بازدياد استياء الشعب، الذي أسفر عن المظاهرات والإضرابات الكثيرة. كانت أوساط رجال الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية قلقة على مصير استثماراتها، التي بلغت أكثر من مليار دولار[1]. لقد كتب السيناتور أو. كينغ الذي زار كوبا في تشرين الأول

---

(١) نيتوبورغ ي.ل. سياسة الإمبريالية الأمريكية في كوبا، ١٩١٨-١٩٣٩، موسكو، ١٩٨٥، ص ٩٧-٩٨، ١٠٢.

عام ١٩٣٠ في المذكرة التي أرسلها إلى الرئيس هوفر ووزير الخارجية غ. ستيمسون: «إن الثورة في كوبا ستشكل كارثة كبيرة فيما لو حدثت»[١]. كان سفير الولايات المتحدة الأمريكية في كوبا المليونير غ. هوغنهايم يلح على إدارة البيت الأبيض بأن تتخذ «تدابير صارمة» لوضع حدٍّ «للفوضى الشيوعية»[٢]. وكان نظام ماشادو يأكله الفساد. وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية وهي تقدم له العون إلى إنقاذ الحكومة من السخط الشعبي. إذ وجهت الولايات المتحدة الأمريكية بوارجها الحربية إلى كوبا خشية تعمق الثورة. بيد أن المقاومة الفعالة للشعب الكوبي الذي كان يعتمد على مساعدة الرأي العام العالمي، أحبط محاولة التدخل الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية. وفي آب عم ١٩٣٣ تم إسقاط حكومة ماشادو، وفرّ الديكتاتور نفسه مع المقرّبين منه إلى ميامي.

وفي نيكاراغوا، وبقيادة اوغوستو.س.سادندينو اندلعت الحركة التحررية التي بدأت عام ١٩٢٧. ودخل نضال الوطنيين في صيف عام ١٩٣٠ مرحلة جديدة، بسبب التدخل المسلح للولايات المتحدة الأمريكية، وقاموا بعدة غارات ضد القوات الحكومية وفصائل مشاة البحرية الأمريكان. وفي مدينة غراسياس- آديوس أقدموا على تحطيم مقرات الشركات الأجنبية. ردّت واشنطن على هذه الأعمال بزيادة القمع، وقام مشاة سلاح البحرية الأمريكان والحرس الوطني المحلي بعدة حملات تأديبية[٣].

---

(١) Congressional Record, vol. 77, nt 2, p. 2139-2140.

(٢) Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers, 1991: vol. 1-3, Wash., 1946, vol. 2, p. 41, 45, 52

(٣) سليوزكين ل. يو. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في جنوبي أمريكا، ص ١٩٦.

وفي ١٧ نيسان من العام نفسه أيَّد هوفر وستيمسون بعد مناقشتهما للوضع السياسي في نيكاراغوا قمع الحركة التحررية(١). وفي كانون الأول عام ١٩٣٢، تمَّ انتخاب زعيم الحكومة «الدستورية» خوان ب. ساكاسا رئيساً للبلاد، المعروف بارتباطه الوثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، إذ كان على امتداد عدة سنوات مبعوثاً هناك. بدأ ساكاسا مفاوضات مع ساندينو، الذي وافق على ذلك بشرط أن يتم انسحاب جميع القوات الأمريكية من أراضي البلاد، وأن ترفض الحكومة عقد اتفاقيات مع الدول الأجنبية تنتقص من سيادة نيكاراغوا.

لكن المفاوضات كانت غير ناجحة، واستمرت الحركة التحررية بالاتساع. وفي ٢ كانون الثاني عام ١٩٣٣ اضطرت القوات الأمريكية إلى مغادرة نيكاراغوا، بيد أن قوات الحرس التي أنشأها الأمريكيون، التي كان يقودها ا. سوموزا بقيت في البلاد. وفي ٢١ شباط عام ١٩٣٤ نظَّم سوموزا وبالتآمر مع سفارة الولايات المتحدة الأمريكية عملية اغتيال غادرة لساندينو، وجرى التنكيل بأنصاره.

خاض شعب هاييتي أيضاً نضالاً تحررياً ضد الاحتلال الأمريكي(٢). إذ انتفض الفلاحون في عام ١٩٢٩ وأعلن المستخدمون الحكوميون والطلاب الإضراب. وفي ٧ شباط عام ١٩٣٠ أنشأ لجنةً هوميز برئاسة الحاكم السابق للفيليبين كـ. فوربس لدراسة الحالة في هاييتي. وفي بورتوبرينس استقبلوا هذه اللجنة بالمطالبة بـ «إيقاف الاحتلال». لقد وصل فوربس إلى خلاصة أن الوضع

---

(١) ليونوف ن.س. مقالات من التاريخ الجديد والمعاصر لأمريكا الوسطى. موسكو، ١٩٧٥، ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) بالتفصيل انظر: لوتسكوف ن.د. احتلال هاييتي من قبل الولايات المتحدة أعوام ١٩١٥-١٩٣٤. موسكو، ١٩٨١، ص ١٥١-١٥٨.

في هاييتي «عصيب»، وأن الشعب غير راضٍ البتّة عن نظام بورنو، واقترح إجراء انتخابات سريعة لرئيس الجمهورية وللمجلس الوطني. وافقت واشنطن على هذه الاقتراحات لكن الانتخابات لم تخفف من وهج النضال السياسي. كان الشعب يطالب بإخراج قوات الولايات المتحدة الأمريكية من البلاد. وتمكنت حكومة هاييتي من إلغاء الإشراف الأمريكي على مداخيل الحكومة. رفضت إدارة هوفر بصورة حازمة هذه المطالب، وأعطى ستيمسون تعاليمه للبعثة الأمريكية في بورتوبرينس بعدم إضعاف الإشراف المالي على هاييتي(١).

كانت إنكلترا المنافس الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية في جنوبي أمريكا، إذ كانت تملك مواقع متينة في الأرجنتين والبرازيل، وبارغواي وأورغواي. وقد جرى صراع ضارٍ في هذا الإقليم بين الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا في أعوام الأزمة لتحقيق السيطرة عليه. وفي عام ١٩٢٩ توصلت البعثة الاقتصادية لبريطانيا العظمى إلى اتفاق مع الأرجنتين حول تقديم قرض بريطاني لها بقيمة ١٠٠ مليون بيزو، وتسهيلات جمركية متبادلة. وحسب هذا الاتفاق كان على الحكومة الأرجتينية أن تلتزم بتخفيض التعريفات على منتوجات الحرير الصناعي المستوردة من إنكلترا بنسبة ٥٠%، وسرعان ما تقدمت بطلب لاستيراد تجهيزات للسكك الحديدية بمقدار ١,٢٥ مليون دولار. أخذت تجارة الأرجنتين مع إنكلترا تنمو، في الوقت الذي بدأت تتراجع فيه مع الولايات المتحدة. استغلت المعارضة اليمينية المدعومة من الإمبريالية الأمريكية تفاقم الوضع الاقتصادي ونمو سخط الجماهير الكادحة. ففي ١٦ أيلول عام ١٩٣٠ حدث انقلاب في البلاد، وأُجبر الرئيس ي. إيريغوين على الاستقالة، ووصل إلى السلطة خوسي أوريبور، الذي حصل مباشرة على دعم واعتراف رسمي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. أعلن أوريبور في

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1931, vol. 2, p 427.

أول مؤتمر صحفي له عن استعداده للتقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية، ورفض تأييد الاتفاقية الإنكليزية - الأرجنتينية التجارية. وتمَّ تعيين سوروندو المستشار القانوني لشركة «ستاندارد أويل» وزيراً للداخلية في الحكومة الجديدة. أما لمنصب وزير الزراعة فتمَّ تعيين فاريلا، وهو المستشار الحقوقي للفرع الأرجنتيني لـ «ناشنال سيتي بنك» التابع لمورغان، وأصبح وزير الشؤون الاجتماعية بيكو، وهو مدير «الشركة النفطية آندي» (فرع من فروع شركة «ستاندارد اويل»). واعتُقل مدير الصناعات النفطية الحكومية الأرجنتينية موسكوني الذي كان يقف ضد الاحتكارات النفطية الأمريكية. وقامت وول ستريت بتقديم قرض قصير الأمد بمقدار ٥٠ مليون دولار إلى حكومة أوريبور. لتكتبت «نيويورك تايمز» بعد ذلك وبارتياح: «إننا ربحنا في الأرجنتين»[١].

أما في البرازيل فقد حدثت في عام ١٩٣٠ ثورة برجوازية («ليبرالية»). ساهمت الأزمة الاقتصادية في تسريع حدوثها، وأدَّت إلى انخفاض حاد بالإنتاج الصناعي، وهبط تصدير البن، وكذلك انخفضت أسعاره، ونما التضخم. وبلغ عدد العاطلين عن العمل مليوني شخص، أي أكثر من الأرجنتين، والمكسيك، وتشيلي، وكوبا، وأورغواي مجتمعين[٢].

وفي ١ آذار عام ١٩٣٠، جرت في البلاد انتخابات رئاسية. رشحت الأوساط الحكومية إلى منصب الرئيس حاكم ولاية سان - باولو جوليو بريستيس. أما قوى المعارضة فرشّحت جيتوليو فارغاس زعيم «الاتحاد الليبرالي» الذي مثل الحلف السياسي للبرجوازية الكبيرة والمتوسطة المعادي لباولو الموالي للملاكين.

---

(١) New York Times, 1930, Sept., 12.

(٢) كاليكوف ن.ب. دكتاتورية فارغاس والطبقة العاملة البرازيلية: السياسة العمالية للحكومة البرازيلية في أعوام ١٩٣٠-١٩٤٥. موسكو، عام ١٩٨١، ص ٤٢٠.

توجه جوليو بريستيس مباشرة بعد تحقيقه النصر إلى لندن. غير أن حكومته كانت عاجزة عن حل المشاكل الاقتصادية. وازداد استياء الجماهير الشعبية. وفي آب اشتعل إضراب عمال النسيج في سان باولو. ولجأت الحكومة إلى قمعه بالقوة، الأمر الذي حفّز على نشوء تحركات في مختلف فئات المجتمع. استغلت المعارضة برئاسة فارغاس تصاعد الأزمة السياسية في البلاد، وانتقلت في ٣ تشرين الأول إلى الأعمال الحازمة. حدثت صدامات عسكرية بين القوات الحكومية والمتفضين. وفي ٢٤ تشرين الأول سيطرت على ريو دي جانيرو طغمة عسكرية قامت بنقل السلطة إلى فارغاس بعد عشرة أيام، بعد أن أعلنته رئيساً مؤقتاً للبلاد، أعلن الإنكليز أثناء هذه الأحداث العاصفة دعمهم لحكومة جوليو بريستيس، في حين أيَّد الأمريكان «الاتحاد الليبرالي»، معتمدين في ذلك على دور فارغاس في خلق ظروفٍ أكثر ملاءمة لتغلغل رأس مال الولايات المتحدة الأمريكية في الاقتصاد البرازيلي. هبت إنكلترا لمساعدة حكومة بريستيس، وقامت بإرسال طرادين. وبدورها وجّهت الولايات المتحدة الأمريكية طراداً إلى ريو دي جانيرو، وبدأت بإرسال الأسلحة إلى أنصار فارغاس. وفي ٣٠ تشرين الأول وعدت إدارة هوفر فارغاس بتقديم قرض، وفي كانون الأول استلم السفير الأمريكي في البرازيل تعليمات لإقامة علاقات صداقة مع الحكومة الجديدة.

دفعت الأحداث في الأرجنتين والبرازيل إنكلترا على الانتقال إلى الهجوم المعاكس بهدف استعادة المواقع التي فقدتها. ففي خريف عام ١٩٣٠ وصلت إلى الأرجنتين لجنة صناعيين من شيفيلد. وزارت البرازيل وتشيلي والأورغواي وبيرو بعد ذلك. وبتكليف من روتشيلد وصل إلى البرازيل بعد

انقلاب فارغاس الخبير المالي البريطاني أو. نيمير. استطاع الرأسمال البريطاني بصورة وقتية أن ينحّي المنافس الأمريكي، إذ زادت حصة بريطانيا العظمى بعض الشيء في تجارة بدان أمريكا الجنوبية، أما الولايات المتحدة الأمريكية فتناقصت حصتها[1]. بقي تناسب الاستثمارات لهاتين الدولتين كما هو تقريباً دون أي تغيير.

اختطفت الاحتكارات الأمريكية في تشيلي وبمساعدة الدكتاتور العسكري إيبانيس كل إنتاج نترات البوتاسيوم تقريباً. إذ عقدت الحكومة صفقة جائرة مع الولايات المتحدة الأمريكية: تم إنشاء شركة مساهمة مختلطة - تشيلية - أمريكية - في آذار عام ١٩٣١ حصلت الولايات المتحدة الأمريكية فيها على ٤٩% من الأسهم. وفي تموز عم ١٩٣١ سقطت دكتاتورية ايبانيس، وتمَّ إعلان الإضراب العام لعمال المواصلات في ٢٤ آب، وبعد أسبوع قام بحارة الأسطول الحربي بانتفاضة. وقد انضم إلى المنتفضين بحارة مرفأ تالكاوانو وجنود القطعات العسكرية في فالبارايسو وقواعد الطيران في كينتيرو. بيد أن الانتفاضة تمَّ قمعها بسرعة من قبل الحكومة، ولكن الوضع السياسي بقي متوتراً في البلاد. أثار نشاط الجماهير وانتفاضاتهم ضد الشركات الأمريكية قلقاً متزايداً في واشنطن.

وفي صيف عام ١٩٣٢ اندلعت الاضطرابات في تشيلي من جديد، وقد استفاد منها ك. دافيلا إسبينوزا المرتبط بصورة وثيقة مع الأوساط الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، وم. غروفي، الذي كان يعكس مصالح مختلف فئات السكان المستاءين من سياسة الحكومة. واستطاعا

(١) سليوزكين ل. يو. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في جنوبي أمريكا، ص ١٧٣.

القيام بانقلاب. وبعد أن وصل دافيلا إسبينوزا إلى السلطة أخبر السفير الأمريكي: «أكدوا لأصدقائي الأمريكان، ألّا يخشوا شيئاً». أما غرافي فأعلن جِهاراً: «إننا قمعنا بيد من حديد النشاط الشيوعي»[1]. بيد أنه جرى نزاع داخلي في صفوف الطغمة التي وصلت إلى السلطة. وبعد وصول دافيلا اسبينوزا إلى السلطة في ١٦ حزيران تم إعلان حالة الحصار في البلاد، واعتبار الشيوعيين خارجين عن القانون، وتدحرجت في البلاد موجة من الإرهاب. ولقد أكد دافيلا إسبينوزا أن مصالح الأجانب ستكون مضمونة. وسرعان ما وصلت إلى المياه التشيلية إلى جانب الطراد البريطاني المرابط هناك السفن الحربية ومشاة البحرية في الولايات المتحدة الأمريكية.

في أيلول عام ١٩٣٢ تم إسقاط دافيلا، الذي لم يستطع قمع الحركة العمالية. وفي تشرين الأول وصل إلى السلطة صنيعة بريطانيا العظمى ونصير نظام أرتورو اليساندري الدستوري.

نشأت في البيرو وفي أعوام ١٩٢٩-١٩٣٢ حالة مشابهة للوضع في تشيلي. إذ انتفض الأسطول في أيار عام ١٩٣٢، وقام عمال السكك الحديدية بإضراب عام ، وبدأت انتفاضة في تروخيليو شمالي البلاد في تموز. تمَّ قمع هذه الحركة بمشاركة الطيارين الأمريكان. وقامت حكومة س. سيرو بالبحث عن مخرج من الحالة المتوترة التي نشأت. رأى البعض أن المخرج يكمن في إشعال حرب. وبالفعل اشتعلت الحرب بين بيرو وكولومبيا بسبب أراضي ليتيسيا الحدودية. قام الأمريكان بتأييد كولومبيا، وطلب وزير الخارجية من بيرو التوقف عن المقاومة. لكن الصدامات المسلحة توسعت. وقد حصدت

(١) New York Times, 1932, June, 12.

الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا واليابان من هذا الصدام أرباحاً طائلة، من خلال مدِّ المتحاربين بالسلاح. وقد لعبت دبلوماسية واشنطن دوراً كبيراً في الحرب الكولومبية - البيروانية عام ١٩٣٤.

وفي صيف عام ١٩٣٢ نشبت حرب بين بوليفيا والباراغواي بإيعاز من الاحتكارات النفطية في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية، بسبب الخلاف على منطقة تشاكو الغنية بالنفط. كانت الشركات النفطية الأمريكية مهتمة بصورة خاصة بمنطقة تشاكو، وبالتحديد «ستاندارد أويل». رفضت باراغواي ادعاءات بوليفيا. ونشب نزاع مسلح بين هاتين الدولتين. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تشارك في بناء الطرقات إلى تشاكو، وكانت تمد الجيش البوليفي بكل ما يلزمه. أما باراغواي فكانت تؤيدها كل من إنكلترا والأرجنتين.

استمرت الحرب حتى منتصف ١٩٣٥، وانتهت بتقسيم تشاكو وانتصار باراغواي، التي استفادت من ثمرات احتكارات الولايات المتحدة الأمريكية، التي استطاعت إزاحة الاحتكارات الإنكليزية والحصول على امتيازات كبيرة في القسم الذي انضم إلى أراضي باراغواي.

وهكذا، فقد تميزت سنوات الأزمة باحتدام التنافس الإنكليزي- الأمريكي، وبتعمّق التناقضات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية. فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل بشتى الوسائل (بما في ذلك طريق التدخل المسلح الذي لم يكن نادر الحدوث) في الشؤون الداخلية لهذه الدول، وتشارك في إسقاط الحكومات غير الموالية لها، وتقمع الانتفاضات التحررية المعادية للإمبريالية. وكانت عاقبة ذلك انهيار التأثير الأمريكي، وتفاقم التوتر، ونمو الاستياء من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في بلدان أمريكا اللاتينية.

وبسبب ذلك، أخذوا في واشنطن يمعنون التفكير بضرورة تغيير الأشكال والتكتيك في العلاقات المتبادلة مع بلدان أمريكا اللاتينية.

٢ - الولايات المتحدة الأمريكية وظهور بؤرة الحرب في الشرق الأقصى

أظهرت الدبلوماسية الأمريكية اهتماماً متزايداً في سنوات الأزمة تجاه الأحداث في الشرق الأقصى. فالقارة الآسيوية كانت تعتبر سوقاً مهماً لتصريف البضائع، ومصدراً للمواد الخام ومجالاً لاستثمار رأس المال. وقد بلغ حجم الاستثمارات الأجنبية في بلدان آسيا عام ١٩٣٠ مليار دولار. وبلغ نصيب اليابان من هذه الاستثمارات ٤٤٥ مليون دولار - نحو ٥٠% من مجموعها[١]. أما حجم استثمارات الولايات المتحدة الأمريكية في الصين فبلغ تقريباً ٢٥٠ مليون دولار، وكانت ضئيلة بالمقارنة بشكل خاص مع الاستثمارات البريطانية التي وصلت إلى ١٢٥٠ مليون دولار. كان حجم الاستثمارات الأمريكية في الصين أقل بـ ٦ مرات من استثماراتها في بلدان أمريكا اللاتينية، و٥ مرات - في أوروبا، و٤,٥ مرة في كندا. وبلغ حجم استيراد الولايات المتحدة الأمريكية من بلدان آسيا والأوقيانوس ٢٥-٢٧% أما التصدير فمن ١٥-١٩% من مجمل حجم تجارتها[٢].

ومع حلول الأزمة الاقتصادية، فإن الصراع على أسواق التصريف ومصادر الخامات في آسيا بين الدول الإمبريالية العظمى تفاقم، وكان صدام

---

(١) لان ف.ي. الولايات المتحدة الأمريكية: من الحرب العالمية الأولى إلى الثانية. موسكو، ١٩٧٦، ص ٢٧٠. وFozeign investments in China. N.Y., 1933, p. 308

(٢) تيرينتيف ن. وكانتوروفيتش ا. يا. المواقع الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية في الصين، - الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية، ١٩٣٣، ١٢/١١، ص ٨٨.

المصالح متوتراً بصفة خاصة في الصين. ولقد أبدت اليابان نشاطاً كبيراً للغاية في هذا السياق. ففي ٤ آب عام ١٩٣١، وفي اجتماع قادة الفرق دعا وزير الحربية مينامي إلى احتلال منشوريا الغنية بالموارد الطبيعية(١). ترافق التحضير للاحتلال باشتداد الدعاية المعادية للسوفييت. وفي ٧ تموز عام ١٩٣١ أعلن الجنرال كويسو، وهو أحد قادة وزارة الحربية، في اجتماع مجلس الوزراء، أن «المسألة المنغولية المنشورية تتطلب حلاً سريعاً وفعالاً»(٢). لقد تمَّ التعامل مع النداءات الحربية للعسكريين اليابانيين بعين الرضا في واشنطن، ولندن، وباريس، وبرلين. كان الكثير من السياسيين الغربيين ينتظرون بآمال كبيرة تعقد العلاقات اليابانية- السوفييتية، بما في ذلك إمكانية الصدام المسلح.

في النصف الأول من عام ١٩٣١ زار الجنرال الياباني هارادا عدداً من البلدان الأوروبية. وفي طريق العودة سنحت له الفرصة بإجراء محادثة مع السفر هيروتا في موسكو ومع الملحق العسكري كاساهارا أيضاً. أعلن السفير أن اليابان يجب أن تمارس سياسة حازمة تجاه الاتحاد السوفييتي بهدف الاستيلاء على سيبيريا الشرقية(٣). لقد كتب كاساهارا إلى هيئة الأركان في ٢٩ آذار عام ١٩٣١ أن اليابان يجب أن تتقدم على أقل تقدير حتى بحيرة البايكال. وفي آذار قام العقيد سوزوكي برحلة في شمال شرق الصين، ووصل إلى كوريا. بهدف دراسة إمكانية استخدام

---

(١) تاريخ الحرب في المحيط الهادئ: بخمسة أجزاء. موسكو، ١٩٥٧-١٩٥٨، الجزء ١، ص ١٨٥.

(٢) تاريخ الدبلوماسية: الجزء ١-٥، موسكو، ١٩٥٩-١٩٧٩، الجزء الثالث، ص ٥٤٠.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً، موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢ الجزء ١، ص ٩٠.

هذه المنطقة للهجوم على الاتحاد السوفييتي[1]. وفي ١٨ أيلول، في الساعة ٢٢ قام العملاء اليابانيون في ليوتياوهوو بأعمال تخريبية على الطريق الحديدي جنوبي منشوريا. وبعد ساعة من الانفجار، هاجمت القطعات اليابانية ثكنات القوات الصينية في تشينيان (موكدين)، وبعد ذلك وفي نفس الليلة في مدن منشوريا الأخرى. وبعد ثلاثة أيام دخلت فرقة يابانية قادمة من كوريا إلى منشوريا. وصل العدد العام للقوات اليابانية المسلحة إلى ١٤ ألف شخص، وكان جيش حاكم منشوريا تشان سيوإيليليان يبلغ ١٠٠ ألف شخص، وكان يستطيع المقاومة، لكن حكومة الكومنتانغ لم تقم بذلك. إذ أجرى تشان كاي تشي اتصالا بـ تشان سيوإيليليان بعد أن حصل على معلومات حول الهجوم الياباني طلب منه «تجنب توسيع الحادث، وعدم السماح بالمقاومة بصورة صارمة»[2]. أعطى تشان سيويليان الأمر بعدم استخدام الأسلحة. وتوجهت حكومة الكومنتانغ إلى عصبة الأمم بطلب اتخاذ إجراءات لإيقاف العمليات العسكرية.

راقبت واشنطن تطور الأحداث في منشوريا، وكانت المخبرات الأمريكية تمتلك في آذار عام ١٩٣١ معلومات عن الاستعدادات في اليابان للاعتداء على شمال شرق الصين[3]. تواردت كذلك أنباء مقلقة إلى وزارة الخارجية من مبعوثها في نانكين ن. جونسون[4]، وقناصلها (في موكدين، وهاربين، وداليان) ومن

---

(١) سيوستانوف غ. ن. الدور الفعال للولايات المتحدة الأمريكية في تشكيل بؤرة الحرب في الشرق الأقصى (١٩٣١-١٩٣٣)، موسكو، ١٩٥٣، ص ٧٣٠.

(٢) ليو- دا- نيان: تاريخ العدوان الأمريكي في الصين. موسكو، ١٩٥١، ص ١٠٧.

(٣) تاريخ الدبلوماسية، الجزء ٣، ص ٥٤١.

(٤) Papers Retaling to the Foreign Relations of the United States, Japan, 1931-1941; vol. 1-2. Wash., 1943, vol. 1, p. 5-6.

الملحقين العسكريين والبحريين، الذين كانوا يراقبون سير الأعمال الحربية وتطور الأحداث السياسية في الشرق الأوسط. لقد كتب وزير الخارجية غ. ستيمسون في ٩ أيلول إلى أحد أصدقائه، إن منشوريا تعتبر «نقطة خطرة بصورة حياتية في آسيا»(١). بينما تطرق سفير الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان فوربس أثناء محادثته مع وزير الخارجية سيدهارا في ١٧ أيلول إلى الوضع في منشوريا. أكد الوزير للسفير أنه لا يوجد أساس للقلق. وفي الوقت نفسه قام السفير ديبوتسي بزيارة إلى ستيمسون بمناسبة سفره في إجازة. أكد كلا المتحادثين وبصورة موحدة علاقات الصداقة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية. بيد أن الحياة دحضت بصورة حازمة تلك الآراء.

حذّر رئيس قسم الشرق الأقصى في وزارة الخارجية س. هورنبك رئيس إدارة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية بأن الأحداث في منشوريا هي تشكل خطراً أكبر بكثير مما تحاول أن تصوره الدبلوماسية اليابانية. كما اتصل المبعوث جونسون من بكين إلى وزارة الخارجية متحدثاً بأن: الاحتلال القسري لمنشوريا يعتبر عملاً عدوانياً تمَّ التخطيط له بوضوح خلال مدة طويلة(٢). حاول ستيمسون أن يجذب اهتمام أعضاء المجلس الوزاري تجاه الأحداث في منشوريا. لكن هوفر لم يرغب في مناقشته متذرعاً بضرورة اتخاذ تدابير سريعة من أجل التغلب على الأزمة المالية(٣).

---

(١) American Civil- Military DescionsL Ed. By Stain. Birmingham (Ala), 1963, p. 29.

(٢) Ibid., p. 30.

(٣) Ferrel R. American Diplomacy in the Great Depression Hoover- stimson Foreign Policy, 1929-1933. New- Haven, 1957, p. 132.

وصلت برقية من جنيف في اليوم التالي. أخبر قنصل الولايات المتحدة الأمريكية هناك ب. جيلبرت، أن عصبة الأمم تضع آمالاً كبيرة على مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في تسوية النزاع في الشرق الأقصى. وتوجه مجلس عصبة الأمم برسالة إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الخصوص. كان موقف الولايات المتحدة يملك أهمية حاسمة بالنسبة لأعضاء العصبة، كما كتب فيما بعد هـ. ويلسون، المبعوث الأمريكي آنذاك في جنيف في مذكراته[١]. أخبر ستيمسون الدبلوماسيين الأمريكان أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنوي المشاركة في نقاش النزاع الياباني الصيني في عصبة الأمم، ولتتفق اليابان والصين بعضهما مع بعضٍ[٢].

كان موقف واشنطن حسب اعتراف وزير الخارجية ستيمسون يكمن في المحافظة الحذرة على عدم اللجوء «إلى أي شيء يمكن أن يذكر بالتهديد ولو بصورة بعيدة أو بالنقد المكشوف لـ (عمليات اليابان) من جانب أمريكا»[٣].

كانت الدبلوماسية اليابانية تسعى لخلق انطباع بأن العمليات العسكرية في منشوريا تحمل طابعاً محلياً، وأن الحادث كان نتيجة أعمال المتطرفين. وتمَّ تسليم برقية مشابهة لوزارة الخارجية في ٢٢ أيلول من القائم بالأعمال في طوكيو ل. نيفيل[٤]. أقنع الممثل الياباني ايوسيدزافا بحرارة أعضاء مجلس عصبة الأمم في اجتماعه، بأن الأحداث في منشوريا تحمل طابعاً محلياً، وأن النزاع

---

(١) Wilson H. Diplomat between wars. N.Y., 1941, p. 260.

(٢) FRUS. Diplomatic Papers, 1931, vol. 3, p. 49.

(٣) الأزمة في الشرق الأقصى. موسكو، ١٩٣٦، ص ٢١-٢٢.

(٤) Papers Relating to the Foreign Relations of the United States Japan, 1931-1941, vol. 1, p.4.

يمكن تسويته عن طريق المفاوضات بين اليابان والصين. لم يتخذ المجلس أي قرار. أرسل سكرتير المجلس دروموند برقية إلى طوكيو ونانكين يقترح فيها عدم السماح بتوسيع النزاع وسحب القوات إلى المواقع التي كانت موجودة فيها سابقاً.

وفي ٣٠ أيلول عام ١٩٣١ اتخذ مجلس عصبة الأمم قراراً، داعياً كلا الطرفين بالسعي لتحقيق هدنة بينهما. تمَّ هذا القرار بموافقة الممثل الأمريكي - قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في جنيف جيلبرت، الذي كان يشارك في عمل مجلس عصبة الأمم. وافقت واشنطن الرسمية على قرار عصبة الأمم، وأقرته. إن هذا الموقف كان يلائم تماماً طوكيو، وأصبحت الطُّغمة العسكرية اليابانية تمارس نشاطها بشجاعة. وحزم أكبر من السابق. ففي ٨ تشرين الأول تعرضت مدينة تسزيتتشوا الصينية إلى قصف الطيران الياباني، وتوسعت منطقة الاحتلال. وبدأ اليابانيون يتحركون إلى الشمال، باتجاه الحدود السوفييتية. وفي ٩ تشرين الثاني عام ١٩٣١، اقترح ستيمسون في اجتماع المجلس الوزاري مناقشة مسألة الوضع في الشرق الأقصى مرة ثانية. بيد أن الرئيس أشار من جديد، إلى أن الاهتمام يجب أن ينصب باتجاه حل المشاكل الداخلية، ويجب ألّا يتم السماح لأحد وبأي شكل من الأشكال أن يجر الولايات المتحدة الأمريكية إلى النزاع في الشرق الأقصى(١). وبعد أربعة أيام التقى ستيمسون ونائبه أو. كيستل مع رئيس قسم العمليات العسكرية - البحرية الأدميرال أو. برات ونصحاه بتوجيه قسم من الغواصات إلى شنغهاي. وفي ١٥ تشرين الأول زار الأدميرال م. بريستول - رئيس القسم العام في الوزارة للأسطول العسكري - البحري، وزارة الخارجية من أجل مناقشة المسائل العسكرية والسياسية للشرق

(١)American Civil-Military Decisions, p. 30-31.

الأقصى مع ستيمسون. بيد أن وزارة الخارجية رفضت اقتراح الأدميرال حول العمل المشترك المتفق عليه بين الوزارتين[1].

لقد اعتبر برات ورئيس أركان الجيش الجنرال ج. ماك. أرتور أن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع إحراز النصر في الحرب ضد اليابان، ولكن الأمر يحتاج إلى خمس سنوات من التحضير وإلى أربع إلى ست سنوات من الصراع. وإذا شارك الأسطول البريطاني في الحرب إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية فإن مدة الأعمال العسكرية يمكن أن تُختصر حتى العامين[2]. وضع ستيمسون أمام الرئيس مسألة استخدام العقوبات الاقتصادية تجاه اليابان، فطلب هوفر معرفة موقف بريطانيا العظمى. ولقد وصل الرد من من لندن سلبياً، الأمر الذي توافق مع موقف الرئيس، الذي امتلك الآن الحجة لكي يرفض الاقتراح المتعلق بالعقوبات الاقتصادية تجاه اليابان[3]. وفي النصف الثاني من تشرين الأول، وفي جلسة مجلس الوزراء عرض هوفر بتفصيل أكبر موقفه. لقد اعترف بشرعية التعليلات اليابانية التي كانت تنطلق من الاستناد إلى «الفوضى» في الصين، و«الخطر الشيوعي» القادم من روسيا. وأشار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى أنه من الصعب على الولايات المتحدة أن تعارض حجج اليابانيين، ولذلك فإن واشنطن لن تتخذ أية عقوبات عسكرية أو اقتصادية ضد اليابان[4]. وتمَّ عرض هذا الموقف فيما بعد في مذكرة الرئيس.

بدأ مجلس عصبة الأمم، في هذا الوضع، بمناقشة النزاع الياباني - الصيني في باريس في ١٥ تشرين الثاني. اقترحت الحكومة الصينية القيام بعقوبات

---

(١) Ibid, p. 30, 32.

(٢) The Memoirs of Herbert Hoover; vol. 1-3. N.Y., 1952, vol. 2, p. 367-368.

(٣) American Civil-Military Decisions, p. 31.

(٤) The Memoirs of Herbert Hoover, vol. 1, p. 369-370.

اقتصادية تجاه اليابان، وتوجهت عصبة الأمم إلى الولايات المتحدة الأمريكية بطلب المشاركة في عمل المجلس. كان ثلث التجارة الخارجية لليابان مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الولايات المتحدة تمد اليابان بالمواد التي تنقصها، والخامات الإستراتيجية، والمعدات العسكرية. وقد ناقش هوفر وستيمسون في ٧ تشرين الثاني عام ١٩٣١ مسألة الشرق الأقصى، ولكنهما لم يتوصلا إلى أي قرار. أنذر وزير الخارجية الرئيس بأن الحظر يمكن أن يؤدي إلى الحرب. وفي ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٣١ أشار وزير الحربية ب. هيرلي إلى أن القوة فقط يمكن أن توقف اليابان، وإذا لم تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية إليها، سترتكب خطأً، لأن الاحتلال الياباني لمنشوريا سيقود إلى فقدان الولايات المتحدة الأمريكية لسمعتها في آسيا(١).

لكن الرئيس وأعضاء المجلس الآخرين، لم يكونوا عازمين على اتخاذ أية خطوة ضد العدوان الياباني. وفي نهاية المطاف عينت إدارة هوفر ممثلها في دورة مجلس عصبة الأمم - السفير في بريطانيا العظمى تش. داوس، لكن وبنفس الوقت تمَّ الإيعاز له بألّا يشارك في اجتماعات المجلس.

بدأ السفير بإجراء مباحثات مع السفير الياباني في لندن ماتسودايرا ووزير الخارجية البريطاني ج. سايمون. ولقد تم الاتفاق فيما بينهم وذلك قبل افتتاح دورة المجلس بألّا يتم الإلحاح على تحديد زمن لجلاء القوات اليابانية من منشوريا والرغبة بتحقيق إيقاف الأعمال العسكرية عن طريق الهدنة. وانضم لهذا الاتفاق برايان أيضاً(٢).

---

(١) American Civil- Military Decisions, p. 72.

(٢) Dawes Ch. Journal as Ambassador to Great Britain. N.Y., 1939, p. 421-416.

نصح داوس الممثل الصيني بألّا يصر على العقوبات، واستمرت النقاشات في اجتماعات مجلس عصبة الأمم أكثر من ثلاثة أسابيع، لكن داوس لم يظهر فيها، ولقد حافظ بصرامة على التعليمات، التي كان يكمن جوهرها في رفض استخدام أية عقوبات تجاه المعتدي[١].

كان مدى العدوان الياباني قد توسع حتى ذلك الوقت. ففي ١٩ تشرين الثاني تم اتخاذ قرار بالهجوم على مدينة تسيتسيكار - المركز الإستراتيجي في شمالي منشوريا. وفي الصحافة الغربية ظهرت تنبؤات حول حتمية النزاع المسلح الياباني - السوفييتي. وفي محاولة لاستثمار الوقت اقترح الوفد الياباني على المجلس إنشاء لجنة لدراسة الوضع على أرض الواقع. إن وصول برقية إلى واشنطن حول إقرار الاقتراح الياباني من قبل المجلس أثار فيها شعوراً بالارتياح.

ترأس اللجنة اللورد ليتون الإنكليزي، ودخل في عضويتها عن الولايات المتحدة الأمريكية الجنرال ماكوي، وعن فرنسا - الجنرال كلوديل، وعن إيطاليا - الدورفاندي - ماريسكوني، وعن ألمانيا - دكتور شنييه. بدأت اللجنة عملها في ربيع عام ١٩٣٢ فقط. توجهت في البداية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد ذلك إلى اليابان، وبعد ذلك فقط توجهت إلى الصين. استغرق وضع التقرير زمناً طويلاً، وتم نشره في تشرين الأول عام ١٩٣٢ فقط. وخلال هذه الفترة احتل اليابانيون منشوريا، وأخذوا يتحركون باتجاه الجنوب، الأمر الذي كان يمس بمصالح الدول الغربية بما في ذلك مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. إذ كان يعمل في الصين ثمانية بنوك أمريكية، وشركة الطيران الأمريكية، التي كانت تستثمر خطوط الطيران بين شانغهاي

---

(١) Myres W.S. The Foreign Policies of Herbert Hoover (1929-1933), N.Y., 1979, p. 168: Current R. Secretary Sitmson, A Study in Ctatecraft. New Brunswick 1954, p. 83.

وهانوي، وبين نانكين وبيبين (بكين) وشانغهاي وكانتشجوو (كانتون). وفي منشوريا كان قد بدأ «نيشنل سيتي بنك» عام ١٩٢٩ بإنشاء فروع له هناك.

أرسل ستيمسون في ٧ كانون الثاني عام ١٩٣٢ مذكرتين متشابهتين إلى حكومتي اليابان والصين. ولقد تمت الإشارة فيهما إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تعترف باحتلال منشوريا ولا بالاتفاقيات المنبثقة عن ذلك أو التي تنتج عن تلك الأوضاع «التي يمكن أن تلحق الضرر بمعاهدات وحقوق الولايات المتحدة الأمريكية». وقفت الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحفاظ على سياسة «الأبواب المفتوحة» تجاه الصين[1]. وفيما بعد أصبح هذا الإعلان معروفاً باسم مذهب ستيمسون[2]. إن هذه الخطوة الدبلوماسية لم تكن تهدف البتة إلى إعاقة التوسع الياباني. كانت مجرد تحذير من الإدارة الأمريكية لليابان فقط، بأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست عازمة على التخلي عن مواقعها التي احتلتها في الصين، بما في ذلك في منشوريا. وفي السعي لإيقاف تحرك القوات اليابانية في الاتجاه الجنوبي، اعتمدوا في واشنطن على تطور العدوان في الاتجاه الشمالي، الأمر الذي كان يجب أن يؤدي إلى تفاقم العلاقات اليابانية السوفييتية، ويمكن أن يقود إلى صدام مسلح. بيد أن هذه الآمال لم تتحقق.

اتخذت الحكومة السوفييتية تدابيرها كيلا تعطي الإمبرياليين إمكانية جذب بلادنا إلى الحرب. لقد أدانت أعمال اليابان العدوانية، وعبَّرت عن الاستعداد لدعم كل الأعمال الموجهة لإقامة سلام عادل في الشرق الأقصى، واقترحت على اليابان والصين عقد مواثيق مع الاتحاد السوفييتي حول عدم

---

(١) Papers Relating to, the Foreign Relations of the United States, Japan, 1931-1941, vol. I, p. 76.

(٢) Current R. Op. cit., p. 92-106.

الاعتداء. جاء رد اليابان برفض ذلك[1]. كان على حكومة الاتحاد السوفييتي أن تقوم بعدد من الإجراءات لتدعيم قدرتها الدفاعية على حدود في الشرق الأقصى. وأثَّر ذلك تأثيراً محدداً على الأوساط الحكومية في اليابان.

لم تؤيد إنكلترا وفرنسا مذكرة ستيمسون. وأقدم اليابانيون على توسيع مجالات أعمالهم العسكرية في الصين، مستغلين التناقضات بين الدول الغربية العظمى، وصعوباتها الاقتصادية، والأمر الرئيسي - اتباع هذه الدول لسياسة التغاضي عن العدوان.

وفي ٢٨ كانون الثاني أغاروا على منطقة شانغهاي - تشابي، الأمر الذي لم يعقِّد فقط بصورة جدية الوضع في الصين، وإنما خلق تهديداً واقعياً لمصالح الدول الغربية العظمى. حاول الأمريكان في هذه الظروف أن يقوموا بدور الوسيط، ففي ٢ شباط اقترح وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية مشروع «تسوية» النزاع في شانغهاي. وتمَّ اقتراح إيقاف الأعمال العسكرية، وإنشاء «منطقة حيادية» والبدء بمفاوضات الهدنة بمشاركة «مراقبين حياديين». لكن الحكومة اليابانية رفضت في ٦ شباط الاقتراح الأمريكي حول الوساطة.

ظهرت لدى ستيمسون مخاوف، من أن تحاصر اليابان جميع الموانئ الصينية. وكان قد اقترح قبل هجوم اليابانيين على شانغهاي في ٢٥ كانون الثاني على هوفر أن يعلن استنكاره الحازم لليابان، وأن بوجه قسم من الأسطول الأمريكي من مانيللا إلى شانغهاي. واقترح ستيمسون بنفس الوقت بأن تتخذ بريطانيا خطوات مشابهة[2]. وفي ٢٦ كانون الثاني جرى اجتماع مجلس الوزراء،

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: الجزء ١٠، موسكو / ١٩٥٧، الجزء ١٥٠، ص ٦٨٣ (لاحقاً: وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي).

(٢) American Civil- Military Decisions, p. 33.

وتمت فيه مناقشة الوضع في شانغهاي. أكد وزير الحربية هيرلي من جديد، أنه من المستحيل على اليابان أن توقف قواها الصغيرة، وأن أية إجراءات دبلوماسية لن تعطي أية نتائج، وأن جهود ستيمسون ستضيع هباء. وبدوره وافق وزير الخارجية على آراء هيرلي، إلا أنه أبدى ملاحظة على أن قواعد الأسطول الأمريكي بعيدة. ولقد عبّر هوفر عن تفهمه للأعمال اليابانية في الصين وأعلن، أنه لا توجد ضرورة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية بأن تنجر إلى الحرب مع اليابان من أجل الصين.

أخذت الأعمال العسكرية في شانغهاي تأخذ أبعاداً أكبر. وقد ناقش وزير الخارجية مع ممثلي وزارتي الحربية والبحرية الحربية إمكانية إرسال سفن عسكرية إضافية إلى شانغهاي.

وعلى الرغم من آمال طوكيو فإن الجنود الصينيين وسكان شانغهاي أبدوا مقاومة منظمة للعدوان الياباني. كما قامت الحكومة الأمريكية بتوجيه الطراد «هيوستون» و٦ مدمرات وكذلك الفوج الـ ٣١ المؤلف من ١٠٠٠ جندي و٤٠٠ بحار إلى شانغهاي[١]. وقد بلغت أعداد القوات الأمريكية في مناطق السكن الخاصة بالأجانب ٢٨٠٠ شخص. وفي ٢٣ شباط وجه ستيمسون رسالة مفتوحة إلى السيناتور أو. بور عبَّر فيها عن قلقه بصدد الأحداث في شانغهاي ودعا إلى الدفاع عن سياسة «الأبواب المفتوحة» في الصين[٢]أثارت هذه الدعوة انتباه الرأي العام في البلاد. وكان بعض ممثلي الأوساط العسكرية يُلحُّون على استخدام الأعمال الحازمة ضد اليابان، لكن ذلك لم يكن يدخل في مخططات

---

(١) Ibid., p. 34.

(٢) ستيمسون غ. المختارات المشار إليها، ص ١١٩.

إدارة هوفر. لقد أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بأنه مشغول بالمسائل الداخلية، ولا يعتزم الاشتغال بقضايا الشرق الأقصى.

لقد أحبط النضال النشط للجيش الصيني الـ ١٩ خطط القيادة اليابانية. ففي ٣ آذار عام ١٩٣٢، وفي يوم افتتاح دورة الجمعية العمومية لعصبة الأمم، توقفت العمليات العسكرية في شانغهاي. استغلت الدبلوماسية اليابانية الوقت من أجل ما يسمى «إعطاء شكل حقوقي» لاحتلال الأراضي في شمال شرقي الصين. ولقد تمَّ إعلان «استقلال» منشوريا في ١٨ شباط، وفي ٩ آذار تم إنشاء دولة مانشوا - غو المزيفة.

بدأت لجنة ليتون بدراسة الوضع في شمال - شرق الصين في نيسان فقط. جاء في تقرير اللجنة (الذي شارك في وضعه بصورة فعالة الجنرال ماكوي) الاعتراف بأن منشوريا هي أحد الأجزاء المكونة للصين، ولكن تمت الإشارة في الوقت نفسه إلى وجود «مصالح خاصة» لليابان على أراضيها، و إلى مخالفة القوات اليابانية لنظام عصبة الأمم، وميثاق بريان - كيللوغ، ومعاهدة الدول التسع، وتمَّ التعبير فيه أيضاً عن القلق من نمو حركة التحرر الوطني في الصين.

كانت استنتاجات واقتراحات اللجنة موجهة لتحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، وفرنسا. وتحدث التقرير عن ضرورة تطوير تعاون الدول الغربية العظمى واليابان في قضية إعادة البناء الوطني للصين، واقتُرح إنشاء فيلق خاص من الشرطة بمشاركة مدربين أجانب «مستشارين» لمراقبة الحياة المالية، والاقتصادية في الصين، والمحافظة على معاهدة الدول العظمى التسع التي تمَّ الإعلان فيها عن مبادئ سياسة «الأبواب المفتوحة» في التجارة والصناعة[١].

---

(١) Report of the Commission of Jnouiry, (Litton Commission). League of Nations. Geneva, 1932, p. 125

لدى مناقشة تقرير لجنة ليتون في عصبة الأمم أعلن ممثل اليابان ماتسوكا، بعد أن رفض كل اقتراحات التقرير، أن قضية منشوريا - «هي مسألة حياة أو موت» بالنسبة لبلاده. وقد عبر وزير الخارجية البريطاني ج. سايمون عن ارتياحه الكبير من ماتسوكا[1]، ومن إذ الجوهر، كان موقفه، موقف الدفاع من اليابان. وفي ٩ كانون الأول عام ١٩٣٢، تم إعطاء التقرير للنظر فيه إلى «لجنة الـ ١٩» التي أنشأتها الجمعية العمومية للعصبة، والتي وضعت أمامها مهمة إعداد الاقتراحات المتعلقة بتسوية النزاع. أثارت المفاوضات التي دارت خلف الكواليس حول المشكلة المنشورية قلقاً محدداً في واشنطن، إذ كانوا يخشون، من أن إنكلترا وفرنسا، اللتين كانتا تشغلان مكاناً متقدماً في عصبة الأمم، ستتجاهلان مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الصين. لذلك أعلن السفيران الأمريكيان في لندن وباريس في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٣٣، أن الولايات المتحدة الأمريكية تُلح على إقرار استنتاجات لجنة ليتون، كيلا يتم وضع عصبة الأمم في وضع صعب، على اعتبار أنه لا يمكن تجاهل الخطوات الدبلوماسية لواشنطن وتوسع العدوان الياباني واحتلال اليابان لمنطقة شانغهاي - البوابة إلى وسط الصين.

تم التأكيد في القرار المتخذ من الجمعية العمومية على سيادة الصين على منشوريا، والإعلان بأن احتلالها من قبل اليابان غير شرعي، وتم الاقتراح في القرار على جلاء قواتها من أراضي منشوريا، والتوصية إلى أعضاء عصبة الأمم بعدم الاعتراف بـ مانشو - غو. وأشار القرار بنفس الوقت إلى وجود «حقوق ومصالح خاصة» لليابان في المقاطعات الشمالية الشرقية للصين. وتعبيراً عن الاستنكار غادر الوفد الياباني برئاسة ماتسوكا اجتماعات الهيئة العامة. وفي ٢٧ آذار أعلنت اليابان عن انسحابها من عصبة الأمم.

(١) Survey of International Affairs for 1932. L., 1933, p. 493.

واستمراراً لتوسيع مجال الأعمال العسكرية في الصين أغارت القوات اليابانية على مناطق جيخبي، وبعد ذلك اندفعت إلى مقاطعة خيباي. مني جيش الكومنتانغ الـ ٢٩ بهزيمة، واقتربت القطعات اليابانية لغاية أيار عام ١٩٣٣ من بكين و تيانتسزين. ودخلت حكومة تشان كاي تشي المفاوضات مع اليابان، وفي ٣١ أيار وفي بلدة تانغو بالقرب من تيانتسزين ، تم التوقيع على اتفاقية حول الهدنة. اعترفت السلطات الصينية بموجبها بإشراف اليابانيين على المقاطعات الشمالية الشرقية وجزء من شمالي الصين. وهكذا انتهت المرحلة الأولى من التوسع الياباني في القارة الآسيوية. لقد احتلت اليابان مساحة واسعة، وهي تنهض على طريق تقسيم العالم، وأنشأت جسراً بهدف توسيع عدوانها اللاحق. إن التغاضي من جانب عصبة الأمم والولايات المتحدة الأمريكية أدى إلى ظهور بؤرة حرب عالمية في الشرق الأقصى أشعلها لهب بيرل هاربر.

٣- واشنطن وأوروبا

احتلت أوروبا مكاناً مهماً في السياسة الخارجية لإدارة هوفر، ففيها تم استثمار رساميل أمريكية ضخمة. وأصبحت بلدان أوروبا بلداناً مديونة للولايات المتحدة الأمريكية. وقد بلغ المجموع العام للديون بعد الحرب العالمية الأولى ما مقداره ١٠ مليارات دولار. كما أن أغلب القروض الأمريكية قُدمت لعدد من الدول الأوروبية بعد أعوام الحرب. كذلك فإن المصالح التجارية أيضاً كانت ملموسة، لأن البلدان الأوروبية كانت تعتبر من البلدان المستهلكة الأساسية للبضائع الأمريكية. وبالإضافة لذلك، فبين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أوروبا الغربية كان يجري صراع في كل مكان من أجل أسواق تصريف البضائع، ومجالات توظيف الرساميل. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ بعين الاعتبار ذلك التأثير المعروف الذي تمارسه أوروبا على تطور العلاقات الدولية في كل أنحاء العالم.

لقد اكتسبت مسألة الديون والتعويضات في أعوام الأزمة الاقتصادية حدة خاصة. كانت واشنطن تطلب من الدول التي تعاني أزمة مالية عميقة تسديد القروض والفوائد. بيد أن تحقيق ذلك لم يكن ممكناً. لم تكن ألمانيا في وضعٍ يمكِنها من دفع التعويضات، أما بريطانيا العظمى وفرنسا فقد أعلنتا أنهما لن تدفعا لواشنطن الديون العسكرية بهذا السبب.

كان البيت الأبيض يلح على أن القروض العسكرية والتعويضات غير مرتبطين بعضهما ببعضٍ. لقد قدمت البنوك الأمريكية إلى ألمانيا قروضاً جديدة، ولكن سرعان ما بدت منظومتها المالية على حافة الإفلاس. وحول ذلك أعلن بصورة صريحة رئيس الحكومة الألمانية غ. بريونينغ. أن الأزمة المالية مشحونة بازدياد استياء الجماهير الكادحة واشتداد الفوضى الاجتماعية.

أعلن هوفر في ٢٠ حزيران عام ١٩٣١ عن السماح لألمانيا بتأجيل دفع التعويضات والقروض الدولية لعام واحد. كانت الروابط بين الاحتكارات الأمريكية والألمانية تؤثر على موقف واشنطن بدرجة محددة. إذ شكلت حصة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٤٠% من مجموع الرأسمال الأجنبي في ألمانيا[١]. كما قدم أصحاب البنوك الأمريكان للاحتكارات المالية والصناعية الألمانية في أعوام العشرينيات قروضاً بمجموع قدره ٢٢٠٠ مليون دولار. وكانت بنوك مورغان، وهاريمان، وديللون، وكون- ديب وغيرها من البنوك عبارة عن وسطاء فيما يتعلق بإصدار القروض الألمانية. وأقام كونسرن دوبون صلات مع التروست الألماني «ايغ فاربينين دوستريا». ولقد بلغ حجم

---

(١) مقتطفات من التاريخ الحديث والمعاصر الولايات المتحدة الأمريكية: في جزأين، موسكو، ١٩٦٠، الجزء ٢، ص ١٣٦.

استثمارات الولايات المتحدة المباشرة في الصناعة الألمانية عام ١٩٣٠م ٢١٦,٥ مليون دولار[١]. وفي ألمانيا تم إقامة نحو ٦٠ فرعاً للشركات الأمريكية.

ومع التعمق الجديد للأزمة ازداد قلق الاحتكارات الأمريكية على مصير استثماراتها في ألمانيا، وعلى استقرار سلطة البرجوازية.

وقد أشار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في رسالته السنوية إلى الكونغرس بتاريخ ٨ كانون الأول عام ١٩٣١ في مجال تعرضه للأسباب التي دفعته للإعلان عن تأجيل دفع التعويضات إلى أنه «قد حدثت خلال عامين ثورات أو اختلالات حادة بالنظام في ١٩ بلداً»[٢]. لاقى تصريح هوفر بتأجيل دفع التعويضات ترحيباً كبيراً من قبل البلدان الأوروبية. وصرّح موسوليني: إن الأحداث الأخيرة كانت تتطلب ذلك التدبير بصورة عاجلة، لأننا دون شك كنا نقف أمام كارثة»[٣]. وفي آب عام ١٩٣١ ولأجل دعم الجنيه الإسترليني قدمت الولايات المتحدة الأمريكية قرضاً إلى بريطانيا العظمى بمبلغ ٦٥٠ مليون دولار، بيد أن الأمر أدى بعد ذلك إلى عدم توقف نزوح الذهب من هذه البلاد. وفي ٢١ أيلول تم تغيير العيار الذهبي للجنيه الإسترليني. وعلى إثر إنكلترا رفضت ١٩ دولة هذا المعيار الذهبي. وتصاعد التوتر في أوروبا الغربية.

لقد أجبر خطر انهيار المنظومة المالية في خريف عام ١٩٣١ الأوساط الحكومية وأوساط رجال الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية على العمل

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء الأول، ص ١٨٣.

(٢). New York Times, 1931, Dec. 9

(٣) استشهاد من: خطة يونغ ومؤتمر غاغا ١٩٢٩-١٩٣٠ وثائق ومواد. موسكو، لينيغراد، ١٩٣١، ص ١٨.

بسرعة وحزم أكبر. وجرت عدة اجتماعات للصناعيين وأصحاب البنوك في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي أحد هذه اللقاءات صرح هوفر: «إن الأمر لا يتعلق بإنقاذ ألمانيا أو بريطانيا فقط، وإنما بإنقاذ أنفسنا»[1].

كانت ألمانيا في مركز الأحداث الأوروبية، إذ وصلت حدة الصراع بين الأحزاب والطبقات إلى توتر عالٍ. وأعطى الناخبون في الانتخابات إلى الرايخستاغ ٦ ملايين صوت للحزب الشيوعي. وقد أثار ذلك قلقاً عميقاً في الأوساط الألمانية الحاكمة. وفي هذه الأيام المضطربة من تشرين الثاني عام ١٩٣٢، حين بدأ الحزب النازي بفقدان تأثيره في الجماهير وأصوات الناخبين، أبلغ سفير الولايات المتحدة الأمريكية في برلين وزارة الخارجية: «... إن عدد الشيوعيين في ألمانيا ازداد بقوة كبيرة، بحيث أصبح من الواضح كم هو ضروري في هذه اللحظة الراهنة وجود حكومة مركزية قوية ذات طابع عسكري بصورة أكبر أو أقل»[2].

شارفت مدة تأجيل دفع التعويضات على النهاية، واعترف البنك الدولي وفق حساباته أن ألمانيا عاجزة عن الدفع. وفي حزيران عام ١٩٣٢ وبمبادرة من إنكلترا تمَّ عقد مؤتمر متعلق بالتعويضات في لوزان، دون مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية. قرر المؤتمر تخفيض التعويضات المفروضة على ألمانيا، واقترح عليها أن تقوم بدفع القسط الأخير بمقدار ٤،٢ مليار مارك، وفي الوقت نفسه طلب المستدينون الأوربيون من الولايات المتحدة الأمريكية إلغاء الديون العسكرية. لكن إدارة هوفر

---

(١) ياكوفليف ن.ن. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٠٧-١٩٦٠، موسكو، ١٩٦١، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1932: vol. 1-5. Wash., 1948, vol. 2, p. 318.

أعلنت بصلابة من جديد: من الضروري دفع الديون من كل بد، لا توجد أية رابطة بين التعويضات والديون. عندما انتهت مدة الموراتوريوم رفضت ست دول أوروبية دفع الديون العسكرية. وسرعان ما نهج ١٤ بلداً أوروبياً هذا النهج. لم يستهجنوا ذلك في واشنطن، لكن احتجاجات هوفر لم يسر مفعولها، وتوترت العلاقات بشدة بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية. انعكست الأزمة الاقتصادية بصورة ثقيلة على تجارة الولايات المتحدة الأمريكية مع أوروبا. كانت الدول الأوروبية ترفض شراء الكثير من البضائع الأمريكية. لقد خفضت إنكلترا في الشهور الست الأولى من عام ١٩٣٠ فقط استيراد البضائع من الولايات المتحدة الأمريكية بمقدار ١٥,٨%، وألمانيا بمقدار ٢٦,٢% وفرنسا بمقدار ٩,٦%[١]. وهكذا فإن العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أوروبا الغربية كانت تحمل طابعاً متوتراً. ووجد هذا الأمر انعكاساً له أيضاً في حل عدد من مسائل السياسة العالمية التي كانت تناقش في المؤتمرات.

٤ - المشاركة في المؤتمرات البحرية والمتعلقة بنزع السلاح

تمَّ في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في لندن وبمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية افتتاح مؤتمر الدول البحرية العظمى الخمس: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيطاليا، واليابان. فعلى إثر مؤتمر جنيف عام ١٩٢٧ الذي مُنِيَ كما هو معلوم بالفشل بسبب التناقضات الجدية بين المشاركين فيه. قام هوفر بمحاولة جديدة للاتفاق مع الدول الأخرى حول تناسب القوى العسكرية - البحرية. سعت الولايات المتحدة الأمريكية في سير

(١) Soviet Unoin Review, 1930, Nov., p. 156.

التحضير للمؤتمر أن تتفق مع بريطانيا العظمى حول التعاون في مجال القوى العسكرية - البحرية، لكن إنكلترا وقفت ضد التساوي في القدرة العسكرية - البحرية بين الدولتين العظميين. عند ذلك أعلن ستيمسون أن الولايات المتحدة الأمريكية عازمة بصورة أكيدة على تحقيق التكافؤ العسكري البحري. وفي تشرين الأول عام ١٩٢٩، أثناء محادثات رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد مع هوفر تم الوصول إلى اتفاق هو تحقيق المساواة فيما يتعلق بالأساطيل العسكرية - البحرية. كان القبول بهذا الشرط يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تطور برنامجاً واسعاً لبناء سفن جديدة، كذلك عزمت إنكلترا على أن تحيل السفن القديمة إلى الاحتياط، وأن تبني عوضاً عنها سفناً أكثر حداثة. وهكذا لم يكن الحديث يجري من إذ المحتوى عن تقليص التسلح البحري، وإنما عن زيادته سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أم في إنكلترا أيضاً.

لقد حصل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بإصرار من ماكدونالد على موافقته بالحفاظ على مبدأ «حرية البحار» في حالة الحرب. كان هذا يعني أنه كان على بريطانيا العظمى أن «تفتح» كل الطرقات البحرية للسفن الأمريكية بهدف تطوير تجارة الولايات المتحدة الأمريكية. لم يكن ذلك يلبي بأي شكل من الأشكال مصالح الإمبراطورية البريطانية. رفض ماكدونالد دعوة الولايات المتحدة الأمريكية وأبدى رأيه بإيقاف المفاوضات حول هذه المسألة المعقدة جداً. اقترح هوفر بعد ذلك أن تمتنع بريطانيا العظمى عن بناء قواعد عسكرية جديدة وتدعيمها في نصف الكرة الأرضية الغربي. وبعد أن حصل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على الموافقة سار أبعد من ذلك أيضاً، معبراً عن رغبته بتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ: يتم تخصيص النصف الغربي من الكرة الأرضية للولايات المتحدة الأمريكية، والنصف الشرقي

لإنكلترا[1]. لقد تمَّ الاتفاق أثناء اللقاء الإنكليزي - الأمريكي على إجراء مؤتمر متعلق بالمسائل البحرية، وتمَّ توجيه دعوات سريعة بهذا الخصوص إلى كل من فرنسا، وإيطاليا واليابان.

أرسلت واشنطن إلى المؤتمر المنعقد في لندن وفداً كبيراً برئاسة وزير الخارجية، أما قادة وفود بريطانيا وفرنسا واليابان فتمثلوا برؤساء الوزراء ماكدونالد، وتاردييه وماكوتسوكي. وقد تكونت لدى الولايات المتحدة الأمريكية حتى قبل افتتاح المؤتمر القناعة بعمق الخلافات بين الدول العظمى البحرية. وأثناء افتتاح المؤتمر روّج رؤساء الوفود وبشكل مقنع أمام الرأي العام لرغبتهم العميقة في السلام، وسعيهم لتحقيق «السلم وتقليص التسلح»، و«نزع السلاح وإزالة خطر الحرب»[2]. وأظهرت المناظرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر، أن هذه الدعوة الاصطلاحية للمسالمة لا تمتلك أي شيء مشترك مع واقع مساعي الدول العظمى، وانكشفت بنفس الوقت التناقضات بين المشاركين في المؤتمر.

أعلن ماكدونالد عن «الحق» بأن تكون بريطانيا العظمى أقوى دولة بحرية، ودعا ستيمسون إلى تحقيق «مساواة حسابية» للأساطيل، ورفض تاردييه صيغة ستيمسون وألح على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار «المتطلبات المطلقة» لكل بلد، وبصورة خاصة تلك التي لديها مستعمرات. أما وفدا إيطاليا واليابان فقد

---

(١) Documents on British Foreign Policy, 1919-1959, Second Series: vol. 1-19 L., 1940-1982, vol. 1, p. 121.

(٢) بالتفصيل حول المؤتمر انظر: سولوفتسوف ز.م. الصراع الدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية لأجل السيطرة على البحر وتناقضات الدول الإمبريالية العظمى (١٩١٨-١٩٤٥)، موسكو.

تكلما بصورة مباشرة عن عدم رضاهما بتناسب الأساطيل ذاك، الذي وضعه مؤتمر واشنطن.

كفل الإنكليز لأنفسهم في مسألة الطرادات دعم فرنسا وإيطاليا واليابان، وكان على الأمريكان أن يذهبوا إلى التنازل، وأن يوافقوا على مطالب الإنكليز. وطرح الوفد البريطاني بعد ذلك مناقشة المسألة المتعلقة بتقليص عدد السفن الخطية مثل تلك التي أصبحت قديمة. رفض ستيمسون بصورة قطعية هذا الاقتراح. أخذت اليابان تطالب بأن يشكل أسطولها من إذ استطاعته ٧٠% من استطاعة الأسطول الأمريكي (قبل ذلك كان يشكل ٦٠%). طالبت فرنسا كذلك بزيادة أسطولها، الذي لا يجب أن يكون حسب رأي قادتها أضعف من الإنكليزي. وطالبت إيطاليا بالمساواة مع فرنسا. وفي ١١ شباط في الاجتماع المكتمل للوفود ظهرت خلافات بين الدول المشاركة كذلك في موضوع الغواصات. وقد أظهرت المناظرات التي جرت سعي كل مشارك في المؤتمر لتقوية قدرته البحرية. وأعلن ستيمسون لممثلي الصحافة أن المؤتمر حسب رأيه يمكن أن يختتم بزيادة حجم الأسطول البحري للدول لا بتقليصه[1]. إن المؤتمر دخل ورطة من إذ المحتوى.

في هذا الوقت تعرضت فرنسا لأزمة سياسية دورية. استقالت حكومة تارديبه، وتم استدعاء الوفد الفرنسي. وحلت فترة انقطاع في عمل المؤتمر. قرر الوفد الأمريكي أن يستغل ذلك لمصالحه، وأن يحاول الاتفاق مع الإنكليز واليابانيين دون مشاركة الفرنسيين. بيد أن هذه المحاولات لم تحظ بالنجاح.

بعد استئناف أعمال المؤتمر استمر بريان كرئيس للوفد الفرنسي يدافع كما في السابق عن البرنامج الواسع لبناء أسطول من الطرادات (٦٠% من حجم الأسطول

---

(١) Times, 1930, Mar. 6.

الإنكليزي)، وطالب بالتفوق في مجال الغواصات. ولقد تم التأكيد بثبات على أن فرنسا مستعدة للموافقة على الاقتراحات الإنكليزي - الأمريكية إذا وقعت الدول العظمى «ميثاق سياسي» يضمن أمنها. أرسل هوفر برقية إلى لندن يعلن فيها أن إدارة الولايات المتحدة الأمريكية لن توافق أبداً ولا بأي شكل من الأشكال على هذه الخطوة. وحسب رأي واشنطن، فإن ميثاق كيللوغ كان يعطي مثل تلك الضمانات. عند ذلك، تقدمت الدبلوماسية الفرنسية بمشروع ميثاق البحر الأبيض المتوسط، الذي يقضي بإعطاء فرنسا ضمانة لأمنها. لكن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى رفضتا اقتراحات بريان دون أن تبديا أي رغبة في ربط أنفسهما بأي حلف عسكري مع فرنسا. ولقد أثار ذلك الاستياء في فرنسا. وفي محاولة منها لتخفيف التناقضات الإنكليزية - الفرنسية، تقدمت الدبلوماسية البريطانية بفكرة توقيع «ميثاق استشاري». وقد رفضت فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية هذا المشروع. عند ذلك حاول الإنكليز بمساعدة إيطاليا ممارسة ضغط على فرنسا، مما أدى إلى تفاقم الخلافات الفرنسية - الإيطالية.

غادر رئيس الوفد الفرنسي لندن، ودخل المؤتمر في ورطة من جديد، ونشأ وضع حرج.

لقد أعلن رئيس الوفد الأمريكي وهو في حالة توجس من فشل المؤتمر، أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون مستعدة للمشاركة في البحث عن الشكل «المقبول» بالنسبة لـ «الميثاق التشاوري»، وكان واضحاً أنه ليس في نية واشنطن أن تأخذ على عاتقها الالتزام بتقديم المساعدة العسكرية لغيرها من البلدان. لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية في البداية لتسوية المسائل المختلف عليها والمتعلقة بالتسلح البحري، وبعد ذلك مناقشة مسائل الاتفاقية السياسية بين الدول الخمس، آملة في أن

يشكل مبدأ ميثاق كيللوغ أساساً لها. لكن هذه المناورة الدبلوماسية كُشفت سواء في باريس أم لندن. استمر بريان بالمطالبة بالحصول على ضمانات لأمن فرنسا، أما ماكدونالد- فبمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في «الميثاق التشاوري». بيد أن واشنطن كانت ثابتة في موقفها. ولم تحقق محاولات الدبلوماسيين البريطانيين والفرنسيين لإيجاد شروط مقبولة دون الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لـ «الميثاق التشاوري» النجاح، رغم أنه تمَّ وضع ٢٢ صيغة مختلفة له(١).

توجه الوفد الأمريكي من جديد للبحث في اتفاقية بين ثلاث دول- الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، واليابان(٢). رفضت طوكيو بعناد مختلف الطروحات الأمريكية لتناسب الطرادات والغواصات. وقد صرح سفير الولايات المتحدة الأمريكية في طوكيو او. كيستل أنه إذا كانت حكومة سيديهارا ستقاوم لاحقاً، ولن توافق على الاقتراحات الأمريكية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستستأنف وبحجوم أكبر بناء الأسلحة البحرية، وستبدأ بتشييد تحصينات في القواعد البحرية في المحيط الهادئ. مارس هذا التصريح تأثيراً على الأوساط الحكومية والعسكرية في اليابان. وأصبحت أكثر انصياعاً. وفي ٣ نيسان جرت محادثات مشتركة بين وفود أمريكا وبريطانيا واليابان تمت فيها من إذ المبدأ الموافقة على مشروع اتفاقية بحرية للأطراف الثلاثة. و«تمت تسوية المسائل المختلف عليها تقريباً»، - وأوصل ستيمسون ذلك برضا إلى واشنطن.

---

(١) سولونتسوف ز.م. المؤلفات التي تم الإشارة إليها، ص ٢٦٧.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1930: vol. 1-3. Wash., 1945, vol. 1, p. 58.

أنهى المؤتمر عمله في ٢٢ نيسان. قرر الجزء الأول من الاتفاق عدد البوارج وحاملات الطائرات وتناسبه بالنسبة لثلاث دول عظمى، تناول الجزء الثاني - موضوعة السفن غير الخاضعة للتقليص، وعيار المدافع بالنسبة للغواصات، أما الجزء الثالث فكان يتعرض لبناء أنواع جديدة من السفن: طرادات، ومدمرات، وغواصات، والتناسب الكمي بين الدول الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى واليابان. رفضت إيطاليا وفرنسا التوقيع: لم تكن لديهما الرغبة في أن تأخذا على عاتقهما الالتزام بهذا الجزء من الاتفاق، ورفضتا لاحقاً المصادقة عليه بصورة عامة.

كانت الحصيلة الأساسية للمؤتمر هي الاعتراف بالمساواة بين أسطولي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. لقد وجهت ضربة جدية لتفوق بريطانيا في البحار. أما ما يتعلق بتناسب القوى في البحر بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان فقد تغير أيضاً لصالح واشنطن. استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحد بعض الشيء من التسلح البحري لمنافسيها. كتبت «نيويورك تايمز»: لقد استقبل الاتفاق في الولايات المتحدة الأمريكية بارتياح كبير... لأنه وضع أسطول الدول العظمى الأخرى في أطر محددة»[١]. لقد تم تسجيل مبدأ المساواة بين الأسطولين الخطيين لإنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية. أما ما يتعلق بتناسب أسطولي الولايات المتحدة الأمريكية واليابان فقد استقر على الشكل التالي: بالنسبة للسفن الخطية، وحاملات الطائرات والطرادات الثقيلة - ١٠ على ٢٦. وبالنسبة للطرادات الخفيفة، والسفن المساعدة والأكثر صغراً - ١٠ على ٧، أما بالنسبة للغواصات - فبالتساوي. لقد تمَّت مناقشة اتفاق لندن في الكونغرس

(١) New York Times, 1930, Apr. 18.

لمدة ثلاثة أشهر. وعبر ٢٣ أدميرالاً وعدد كبير من أعضاء الكونغرس عن عدم الرضا بسبب أن ستيمسون وافق على ١٨ طراداً ثقيلاً بدلاً من ٢٣ تم طرحها قيد البحث في البداية. صادق أعضاء الكونغرس على اتفاقية لندن في ٢١ تموز فقط. لقد شهد عمل المؤتمر ونتائجه على حدة الصراع بين الدول الإمبريالية من أجل السيطرة على البحر، وعلى احتدام وعمق التناقضات بينها. كانت إنكلترا كدولة قديرة مضطرة في هذا التنافس أن تتخلى عن مواقفها بصورة تدريجية للولايات المتحدة الأمريكية. وبدأت تحدث عملية إعادة توزيع للقوة العسكرية البحرية للدول العظمى حسب قدراتها الاقتصادية. لم ينجح مؤتمر لندن البحري في إيجاد حلٍّ للتناقضات بين المشاركين فيه. وإنما على العكس من ذلك، فبعد انتهاء أعمال المؤتمر ازداد سباق التسلح العسكري - البحري، أما التناقضات بين الدول الإمبريالية فقد تفاقمت أكثر فأكثر، الأمر الذي وجد انعكاس له في المؤتمر الذي عُقد حول نزع السلاح في جنيف، والذي افتتح في ٢ شباط عام ١٩٣٢. وشاركت فيه ٥٩ دولة، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً. بدأ التحضير للمؤتمر منذ عام ١٩٢٦. وأجرت اللجنة التحضيرية ست دورات، برز فيها عمق وحدّة الخلافات بين المشاركين فيها. وخلال هذه المدة نمت الميزانيات العسكرية للدول المتقدمة ٢٧%[١].

بدأ المؤتمر عمله في وضع دولي متوتر، وتوسع العدوان الياباني في الصين. ولقد وصل الوفد الأمريكي، وكان يتألف من غ. ستيمسون، ون. ديفيز، وك. سفينسون، وهـ. ويلسون، وهـ. غيبسون، وا. داليس وغيرهم: وفي عصبة الأمم في الوقت نفسه وحسب كلمات ستيمسون «كان يسيطر جو كئيب»[٢].

---

(١) تاريخ الدبلوماسية، الجزء ٢٣، ص ٥٥٧.

(٢) ستيمسون غ. المصدر السابق، ص ١٣٧.

تم إلقاء كلمات كثيرة في المؤتمر تدعو للمسالمة. وتحدث جميع رؤساء الوفود عن ضرورة نزع السلاح. بيد أن كلماتهم كانت تنطوي على تناقضات جدية. لقد وقف ممثل الوفد الفرنسي رئيس الوزراء تارديبه إلى جانب إنشاء جيش دولي بقيادة عصبة الأمم. وكان الهدف من تلك الخطة يكمن في زيادة تأثير فرنسا على الشؤون الأوروبية بمساعدة عصبة الأمم. وطالبت ألمانيا «بالمساواة» في التسلح، أما الوفد الإنكليزي فدعم المطالب الألمانية خشية من ازدياد قوة فرنسا، واقترح التمسك بمشروع الاتفاقية المصوغة من قبل اللجنة التحضيرية عند المناقشة.

انضم وفد الولايات المتحدة الأمريكية بدرجة ملموسة إلى اقتراحات إنكلترا. وتقدم باقتراح «نزع السلاح النوعي»، وتقليص عمل الدبابات والمدفعية.

وقد دعت الولايات المتحدة الأمريكية، سعياً منها للحفاظ على تسلحها البحري بالدرجة الأولى، فرنسا وإيطاليا للانضمام إلى اتفاقية لندن عام ١٩٣٠. واقترح ماتسو دايرا تقليص حمولة البوارج، وإلغاء جزء من حاملات الطائرات، الأمر الذي لا يتفق مع مصالح إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية.

عرض رئيس الوفد السوفييتي م.م. ليتفينوف برنامجاً حقيقياً لتدعيم السلم العام، يكمن محتواه في وضع مبدأ لنزع السلاح الكامل والشامل والسريع، يدخل في أساس عمل المؤتمر. وتم التعبير فيه عن الاستعداد لمناقشة أية اقتراحات موجهة بصورة فعلية إلى تقليص التسلح وإنشاء أمن متماثل بالنسبة لكل الدول[1]. بيد أن معظم الوفود وقفت ضد الاقتراحات السوفييتية. واقترح الوفد الأمريكي في

---

(١) ليتفينوف م.م. السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: خطب وتصريحات، ١٩٢٧-١٩٣٧. موسكو، ١٩٣٧، ص ٢٨٩-٣٠٨.

سياق المناقشات الموسعة في ٢٢ حزيران اتخاذ تدابير تقليص الجيوش البرية إلى الثلث، وتصفية الدبابات، والمدفعية الثقيلة، وقاذفات القنابل، وتقليص عدد وحمولة البارجات إلى الثلث، وحمولة حاملات الطائرات، والطرادات، والمدمرات إلى الربع، هذه التدابير المقترحة جاءت حسب اتفاقيتي واشنطن ولندن، وكذلك حمولة الغواصات إلى الثلث[1] إن مقترحات الولايات المتحدة الأمريكية كانت تحمل طابعاً جذرياً من النظرة الأولى. لكنها مع ذلك كانت موجهة في الواقع لإضعاف مواقع فرنسا وبريطانيا العظمى، واليابان وعدد من الدول الأوروبية، ولزيادة القدرة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تملك قوى بريّة غير مهمة. لذلك، وقفت معظم الدول وعددها ٣٠ عند التصويت ضد المقترحات الأمريكية، وامتنعت ١٨ دولة عن التصويت. لم يستدع هذا الأمر أسفاً كبيراً في واشنطن؛ لأن تقديم ذلك المشروع المغري من قبل هوفر لم يكن سوى عبارة عن مناورة انتخابية فقط[2].

وفي ٢٣ تموز، وبعد ستة أشهر، أنهى المؤتمر المرحلة الأولى من عمله. وأظهر السياق العام له الحجم الكبير للخلافات بين مواقف مشاركيه الرئيسيين، وسعي عدد من الدول للفوز بشروط مواتية لها بصورة أكبر على حساب الدول الأخرى. وتمت الموافقة على قرار اي. بينش الذي لم يكن يحتوي من إذ المضمون على اقتراحات ملموسة حول تقليص الأسلحة، وإنما كان يتحدث عن أنسنة الحرب.

شارك في تحضير هذا القرار مشاركة نشطة ا. داليس، وهـ. غيبسون الذي سمي إقراره بـ«الإنجاز العظيم». أما في الواقع، فلم يكن الأمر كذلك، بالطبع.

---

(١) بالتفصيل راجع: خايتسمان ف.م. الاتحاد السوفييتي وقضية نزع السلاح (بين الحربين العالميتين الأولى والثانية). موسكو، ١٩٥٩، ص ٣١٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣١٦.

ظهر الموقف العدواني لألمانيا في المؤتمر بصورة واضحة، من خلال مطالبتها بإلحاح بـ «التساوي» في التسلح. وفي ٢٦ تموز انتقد وزير الحربية الألماني شليخر في خطاب له في الإذاعة سياسة فرنسا، وأعلن عن عزم ألمانيا لتحقيق الاعتراف بالتساوي في مجال التسلح. وفي اليوم التالي تم تأكيد هذا المطلب من المستشار فون بابن. وفي ٢٨ آب اقترح وزير الخارجية او. فون نيرات على السفير الفرنسي في برلين ف. بونسي البدء بمفاوضات سرية «حول التساوي في التسلح»[١]. رفضت الحكومة الفرنسية هذا الاقتراح، وأيدت إنكلترا موقف فرنسا، بينما عبر الوزير البريطاني ج. سايمون بعد عدة أيام في ٢٣ أيلول، في محادثة مع المندوب الأمريكي هـ. ويلسون عن فكرة مفادها أن ألمانيا يمكن أن تكون في المستقبل «متساوية الحقوق» تماماً في مجال التسلح[٢]. وفي محاولة منها لممارسة ضغط على المشاركين في المؤتمر رفضت ألمانيا المشاركة في اجتماعات مكتبه، الذي افتتح أعماله في ٢١ أيلول. اقترحت وزارة الخارجية لوفد الولايات المتحدة الأمريكية بأن لا يقوم بأية تصريحات بهذا الصدد[٣]. استمرت ألمانيا على امتداد الخريف بأسره تطالب بإلحاح بالتساوي في مجال التسلح. ولقد دعمت إيطاليا مطالب ألمانيا. وفي ٢ كانون الأول عام ١٩٣٢ أيد رئيس وفد الولايات المتحدة الأمريكية أثناء لقائه مع رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد ووزير خارجيتها سايمون إعطاء ألمانيا الحق بهذه المنظومة العسكرية كغيرها من البلدان القارية الأخرى[٤]. وذهبت

---

(١) مجموعة الوثائق حول السياسة الدولية والحقوق الدولية: الإصدار ١-٧، موسكو، ١٩٣٢-١٩٣٤، الإصدار ٤٠، ص ١٠٤.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1932, vol. 1, p. 444-445.

(٣) Ibid, p. 439.

(٤) Documents on British Foreign Policy, 1919-1939, Second Series, vol. 4, p. 309.

فرنسا إلى التنازل خوفاً من العزلة. وفي ١١ كانون الأول عام ١٩٣٢، تم منح الحق المتساوي لألمانيا في التسلح أثناء الاجتماع الذي جرى بين ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا. لم يوافق ذلك فرنسا التي طرحت خطة جديدة لتنظيم العالم تضمنت فكرة الحفاظ على الحالة الراهنة في أوروبا مع تحقيق الزعامة لفرنسا.

وفي نيسان عام ١٩٣٣ زار رئيس وفد الولايات المتحدة الأمريكية ن. ديفيز برفقة ا. داليس ألمانيا، إذ استقبلها هتلر. وتمت مناقشة المسألة المتعلقة بقبول «خطة ماكدونالد» التي تقرّ عدداً من التقليصات للقوات العسكرية البرية. لقد نصح ديفيز هتلر ألّا يشدد كثيراً على عزم ألمانيا إعادة تسلحها(١). وفي ١٦ أيار توجه الرئيس روزفلت إلى رؤساء الـ ٥٣ حكومة بدعوة للمساعدة على قبول اقتراحات ماكدونالد. وفي اليوم التالي أعلن هتلر في تصريح له عن موافقة ألمانيا بأن تحافظ خلال خمس سنوات على التقليصات المحددة في فرساي، أما الممثل الألماني فإنه تناول التعديلات على «خطة ماكدونالد» بصورة معاكسة والتي رآها صالحة، كما أكد على أن تكون في أساس الاتفاقية المقبلة. في ٨ حزيران تمت الموافقة على «خطة ماكدونالد» من قبل اللجنة العامة للمؤتمر، وفي ٢٩ حزيران أعلن المؤتمر التوقف عن عمله لأجل تسوية الخلافات بين الحكومات.

بدأت ألمانيا في الخريف بإنشاء الفيرماخت (اسم القوات المسلحة في ألمانيا النازية) وطالبت بزيادة الجيش حتى ٣٠٠ ألف عنصر. وفي تشرين الأول غادرت المؤتمر وخرجت من عصبة الأمم. نشبت أزمة في المؤتمر. لقد

---

(١) Ibid., vol. 1, p. 88; vol. 5, p. 150.

أعلن م.م. ليتفينوف في ٢٤ تشرين الأول أن: «المؤتمر حول نزع السلاح ينازع، وجنيف - ميتة، وإذا لم يوضع محضر الموت، فالسبب في ذلك يعود إلى أن الأطباء يخافون الإنصات إلى القلب الذي توقفت نبضاته»[١].

بدأت في الأشهر اللاحقة مفاوضات منفردة بين ألمانيا، وبريطانيا العظمى وفرنسا حول ألمانيا قبل التسلح. وفي نهاية شهر أيار عام ١٩٣٤ تم افتتاح دورة اللجنة العامة لمؤتمر نزع السلاح اقترح فيها ج. سايمون تلبية المطالب الألمانية حول التسلح. وبعد مناقشة قصيرة أوقف المؤتمر عمله، دون أن يحل أية مسألة. كان المشاركون فيه منشغلين بالتسلح والتحضير للحرب، والخطر الذي أخذَ بالتزايد. لقد تشكلت بؤر للحرب في الشرق الأقصى، وفي أوروبا - تكاثرت الغيوم بسرعة فوق العالم. ازداد دور الاتحاد السوفييتي في الشؤون العالمية في تلك الظروف.

٥ - إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية

كان الاعتراف بالاتحاد السوفييتي من قبل الولايات المتحدة مشروطاً بمجموعة كاملة من العوامل ذات الطابع السياسي والاقتصادي والتجاري والدبلوماسي والدولي.

إن الأسباب الاقتصادية كانت تملك أهمية بالغة في تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي - اهتمام أوساط رجال الأعمال بالتجارة مع الاتحاد السوفييتي. وقد قوّت الأزمة الاقتصادية في أعوام ١٩٢٩ -١٩٣٣ بصورة موضوعية هذه النزعة، ولا سيما بعد الانخفاض الحاد في التجارة الخارجية الأمريكية.

---

(١) ليتفينوف م.م. المصدر السابق، ص ٣٥٧.

إذ انخفضت الدورة البضاعية للولايات المتحدة الأمريكية مع الدول الغربية كما تشهد الإحصاءات، أما مشتريات الاتحاد السوفييتي للبضائع الأمريكية فقد نمت. إذ اشترى الاتحاد السوفييتي، وعلى وجه الخصوص في عام ١٩٣١ ما مقداره ٧٧,٣% من الجرارات الأمريكية المصدرة، و٥٣,٣% من المخارط القاطعة للمعادن، واعتبر مستورداً ضخماً لمعدات التعدين والنفط[١]. إن الطلبيات السوفيتية تم تنفيذها عام ١٩٢٩-١٩٣٠ في المصانع الموجودة في ٣٦ ولاية[٢].

لقد وصلت الدورة البضاعية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية إلى ذروتها في عام ١٩٣١. وكان يمكن أن تنمو في السنوات اللاحقة أيضاً. بيد أن إدارة هوفر كانت تعرقل تطور التجارة البينية، من خلال استخدامها للتحديدات الجمركية والنقدية والضرائب المرتفعة، ووضعها لمنظمات الشراء السوفييتية في ظروف غير ملائمة. كانت الولايات المتحدة تقدم القروض بفوائد مرتفعة ولمدد قصيرة، ولم تملك المنظمات السوفييتية وضعاً قانونياً في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا، بالإضافة إلى أن الأوساط الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية أقدمت على نشر حملة واسعة معادية للاتحاد السوفييتي.

إن سياسة مقاطعة التجارة مع الاتحاد السوفييتي، التي مارستها إدارة هوفر أجبرت الحكومة السوفييتية على إيصال طلبياتها إلى الحدود الدنيا. تقلصت التجارة بين البلدين بصورة حادة، وفي الوقت نفسه تمت الطلبيات السوفيتية

---

(١) العلاقات السوفييتية – الأمريكية، ١٩١٩-١٩٣٣: مجموعة وثائق حول السياسة الدولية والحقوق الدولية، موسكو، ١٩٣٤، ص ٩٨-٩٩.

(٢) فوراييف ف.ك. العلاقات السوفييتية –الأمريكية، ١٩١٧-١٩٣٩. موسكو، ١٩٦٤، ص ٢٠٥.

بصورة واضحة في ألمانيا، وإنكلترا وإيطاليا. وسرعان ما تم الانتباه لهذه التغيرات بسرعة من قبل الشركات الأمريكية، وقيموها كفرص ضائعة. لقد أخذت تقوي في أوساط رجال الأعمال الحركة التي تطالب بالاعتراف بالاتحاد السوفييتي.

أصدرت غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٤ حزيران عام ١٩٣٢ مذكرة اقترحت فيها تغيير السياسة تجاه الاتحاد السوفييتي. ولقد عبر رئيس أوساط رجال الأعمال ت. مورغان عن عدم رضاه لغياب السفير الأمريكي والملحق التجاري في موسكو، الأمر الذي يؤثر سلباً على المعلومات حول إمكانيات السوق السوفييتية. وفي نفس الشهر، وفي اجتماع الـ ٢٠٠ صناعي وصاحب بنك تم التعبير من قبل اللجنة التجارية الأمريكية- الروسية عن الرغبة في النظر السريع بمسألة إقامة علاقات طبيعية مع الاتحاد السوفييتي واستخدام السوق الروسية لأجل البضائع الأمريكية[1]. إن الكثير من الصناعيين في نيويورك، وكاليفورنيا وبوسطن، وسان فرانسيسكو وغيرها من المدن وقفوا إلى جانب توسيع التجارة مع الاتحاد السوفييتي. لقد أعلنت ٤٥ شركة من أصل ٥٠ تم استنطاقها، أن الاتحاد السوفييتي - هو شريك تجاري موثوق ينفذ التزاماته بنزاهة. وأدلت ٢٢ شركة برأيها إلى جانب الاعتراف السريع بالاتحاد السوفييتي[2]. ومع وصول فرانكلين ديلانو روزفلت إلى البيت الأبيض بدأت أوساط رجال الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية تلح بصورة أكبر على تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي. دعت الغرفة التجارية الأمريكية- الروسية في ٢١ آذار عام ١٩٣٣ وزير الخارجية ك. هيل لإعادة النظر في السياسة

---

(١) Economic Review of the Soviet Union, 1932, Apt. I. p. 158-159; 1937, Apt. 15. P. 175.

(٢) فورافييف ف.ك. المصدر السابق، ص ٢١١.

المتعلقة بالعلاقة مع البلاد السوفييتية، وخلق إمكانيات ملائمة بصورة أكبر من أجل تطوير التجارة معها[١].

أحدث تصريح م.م. ليتفينوف في المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي عقد في لندن ١٤ حزيران عام ١٩٣٣، حول استعداد الحكومة السوفييتية لتوزيع طلبيات في الخارج بمقدار مليار دولار على أساس الحصول على قروض طويلة الأمد، تأثيراً كبيراً على المصدرين الأمريكان. واستجابت الغرفة التجارية الأمريكية - الروسية التي دخل في عداد أعضائها تلك الشركات الضخمة مثل «جنرال الكتريك» و«جنرال موتورز»، و«أمريكان لوكوموتيف»، و«توماس أديسون»، و«كرايسلر»، لذلك التصريح بإصدارها في ١٢ تموز نشرة خاصة، تم الإشارة فيها إلى أن «مؤتمر لندن أظهر من جديد عدم فائدة سياسة عدم الاعتراف». على الولايات المتحدة «أن تعمل بسرعة وبتبصر بهدف تطوير العلاقات الدبلوماسية والتجارية»[٢].

إن تصريح م.م. ليتفينوف في المؤتمر الاقتصادي دفع رئيس الوفد الأمريكي ك. هيلل للقيام بخطوة دبلوماسية. إذ التقى هو وأعضاء وفد الولايات المتحدة الأمريكية غ. مورغين تاو، واو. بولليت، وب. مولي مع م.م. ليتفينوف بصورة سرية. و أرست هذه المحادثة حسب كلمات وزير الخارجية قاعدة من أجل مناقشة مسألة الاعتراف[٣]. كانت مسألة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي قد أثارت جدلاً واسعاً في الكونغرس بداية أعوام الثلاثينيات.

---

(١). Williams W.A. American- Russian Relations, 1681-1947. N.Y., 1952, p. 236.

(٢) الأزفستيا، ١٩٣٣، ٤ تموز.

(٣) The Memoirs of Gordell Hull: vol. 1-2. N.Y. 1948, vol., p.293-294; Franklin D., Roosevelt and Foreign Affairs; vol. 1-3/Ed. By E. Nixon Cambridge (Mass.). 1969, vol. 1, p. 293-294.

وكان السيناتور بور مشاركاً نشطاً فيها بصفة خاصة. لقد صرح أكثر من مرة عن أهمية تطبيع العلاقات السوفييتية- الأمريكية وتطوير التجارة بين الدولتين. وكتب السيناتور الديمقراطي ب. ويلير الذي زار الاتحاد السوفييتي مجموعة من المقالات عن حياة الناس السوفييت وأهمية السوق الروسية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

ودعا أعضاء مجلس الشيوخ في الكونغرس بيركلي وكاتينغ، اللذان زارا الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٠ إلى تطبيع العلاقات السوفييتية - الأمريكية. وفي ٢٢ نيسان عام ١٩٣٢ قام عضو غرفة النواب الديمقراطي ا. سيبيت بتقديم اقتراح قرار إلى لجنة الشؤون الخارجية يطالب فيه بإقامة العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة السوفييتية. كما أدلى زعماء ديمقراطيون في مجلس الشيوخ وفي غرفة النواب د. روبينسون (ولاية آركانزاس) و غ. ريني (ولاية ايللينوس)، وشخصيات بارزة من الحزب الديمقراطي وأعضاء مجلس الشيوخ ك. سفينيون وب. فاغنر بأصواتهم إلى جانب الاعتراف.

كتب غ. ريني: «إن كل بلدان العالم تقريباً اعترفت بالجمهورية السوفييتية وتعمل كلها، من أجل أن تحصل على التجارة مع روسيا. إننا نجلس ونحن نثني أيدينا، في الوقت الذي تتوقف فيه مصانعنا، ويبقى شعبنا دون عمل، إن هذا أمر غبي[١]».

وأشار الحاكم الأسبق لولاية نيويورك ا. سميث إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد لا تستحسن النظام السوفييتي، لكنها لا تملك «أي حق بفرض أشكال الحكم على أية أمة أخرى».

(١) Nation, 1932, May 18, p. 567.

واقترح سميث إرسال لجنة إلى موسكو من أجل المفاوضات بهدف إقامة علاقات دبلوماسية «على شروط ملائمة لكلا البلدين[1]».

في كانون الأول عام ١٩٣٢ أدلى تسعة أعضاء في لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية بآرائهم إلى جانب الاعتراف، وخمسة أعضاء ضد، وسبعة امتنعوا عن اتخاذ موقف محدد. في ٨ كانون الثاني عام ١٩٣٣، ومن أصل ٥٢ عضواً مستنطقاً في مجلس الشيوخ ، وقف ٢٣ منهم إلى جانب تطبيع العلاقات السوفييتية - الأمريكية، و٤ ضد، و٢٠ امتنعوا عن الإدلاء بآرائهم. وفي ١٠ آذار قدم السيناتور بيرتون (ولاية نيو مكسيكو» عريضة مقرة من مجلس شيوخ الولاية، تقترح الاعتراف بالاتحاد السوفييتي. وفي نفس اليوم أدلى السيناتور بور للمرة السابعة برأيه إلى جانب الاعتراف بالاتحاد السوفييتي[2]. وأعلن حاكم ولاية بنسلفانيا ج. بينتشوت في كانون الثاني عام ١٩٣٣: «من غير المعقول إلى حد كبير السماح للبلدان الأوروبية أن تحتل مكان الولايات المتحدة الأمريكية في الأسواق الروسية، لمجرد أن القنوات الدبلوماسية مغلقة فقط[3]».

بيد أنه لا يجب تضخيم أهمية وقوة أنصار سياسة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي داخل الكونغرس الأمريكي، وخارجه أيضاً، إذ إن الخصوم الذين كانوا يقفون موقفاً لا يقبل المصالحة كانوا أكبر بكثير. لقد وقف أعضاء مجلس الشيوخ ا. روبنسون، وا. فاندنبيرغ، واو. كينغ، وأعضاء المجلس النيابي غ. فيش، وم. دايس، وغيرهم ضد تطبيع العلاقات السوفييتية - الأمريكية بصورة نشيطة جداً. وسعوا للانتقاص من سياسة الحكومة السوفييتية، والتشهير بنشاط «امتورغ»، والافتراء

---

(١) Congressional Record, vol. 77. Ptz, p. 1545-1546.

(٢) Ibid, pti, p. 113, 125

(٣) الأزفستيا، ١٩٨٣، ٢٥ كانون الثاني.

على الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد قدمت اللجنة التي أنشأتها غرفة النواب بصورة خاصة برئاسة غ. فيش من أجل «التحري عن نشاط الاتحاد السوفييتي» تقريراً تضمّن الكثير من الافتراءات والتخرصات المعادية للسوفييت. تحدث هذا التقرير عن «الإغراق بالبضائع السوفييتية» وعن «العمل القسري»، المستخدم في الاتحاد السوفييتي كما زعموا. كما تم الاقتراح في التقرير بإغلاق «إمتورغ» وطرد العاملين السوفييت من الولايات المتحدة الأمريكية، وإقامة حظر على استيراد المنغنيز من الاتحاد السوفييتي، وإدخال قوانين جديدة متعلقة بالهجرة وعدم السماح للشيوعيين الأجانب بالدخول إلى البلاد. وقد اعترفت حتى بعض الصحف الأمريكية بأن تقرير فيش غير موضوعي، ومتحيز، و«هستيري» ووجدته مجلة «آوت لوك» «غبياً وخطراً»[١].

استغلت الصحافة الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية مواد لجنة فيش من أجل تشديد الهستيريا المعادية للسوفييت في البلاد. وفي سعيها لاستمالة الرأي العام ضد الاتحاد السوفييتي طورت حملة من الافتراءات بصدد الملاحقات الدينية المختلفة في الاتحاد السوفييتي. وفي غرفة النواب، تم اقتراح قرار خاص بهذا الموضوع المتعلق بلجنة فيش.

لم تكن لدى الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في خططهما في الحملة الانتخابية الرئاسية عام ١٩٣٢ أي مكان أو اهتمام بالعلاقة مع الاتحاد السوفييتي. إن مسائل السياسة الخارجية لم يتم تناولها بصورة عامة إلا قليلاً. تركز الاهتمام الأساسي على القضايا المرتبطة بالأزمة الاقتصادية وعواقبها. بيد أن المواقف بالنسبة للعلاقة مع الاتحاد السوفييتي لكلا الحزبين كانت مختلفة. إذ

(١) Outlook, 1931, N 157, p. 127.

كانت مواقف إدارة هوفر الجمهورية مترادفة ومعبرة بجلاء عن - عدم الاعتراف. ولقد عبرت أكثر من مرة عن ذلك. ففي ١٦ نيسان عام ١٩٢٩ أخبر وزير الخارجية غ. ستيمسون الفدرالية الأمريكية للعمل بأنه لن يكون هناك أية تغييرات في سياسة الحكومة بالنسبة للاعتراف بروسيا السوفييتية[١]. وفي ٢٥ آب عام ١٩٣٠ أخبر نائب وزير الخارجية او. كيستل المالي بيرتران بصورة سرية، أن الحكومة الأمريكية ليست عازمة على الاعتراف بالدولة السوفييتية ولن توقع معها اتفاقية تجارية[٢]. وفي كانون الأول قام ستيمسون بإجراء تصريح رسمي للصحافة، أعلن فيه أن: الاعتراف بالحكومة السوفييتية غير وارد، إذا لم توافق على «الشروط المسبقة» لوزارة الخارجية[٣]. وفي ٩ حزيران عام ١٩٣٢، أعلم وزير الخارجية بصورة سرية الممثليات الدبلوماسية في الخارج أن حكومة هوفر تدعم موقفاً صلباً بعدم الاعتراف بروسيا السوفييتية[٤].

وجه ستيمسون في ٨ أيلول عام ١٩٣٢ أثناء الحملة الانتخابية رسالة إلى السيناتور بور أبلغه فيها: أن ليس في نية وزارة الخارجية أن تقوم بأي تغيير بالنسبة لسياسة عدم الاعتراف بالاتحاد السوفييتي[٥].

لقد فهم ف. روزفلت كرجل دولة واسع الأفق عدم طبيعة غياب العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين دولتين كبيرتين، مثل الولايات المتحدة

---

(١) New York Times, 1929, Apr. 30.

(٢) Browder R. P. The Origins of the Soviet- American Diplomacy. Princeton, 1953, p. 40.

(٣) New York Times, 1930. Dec. 7.

(٤) سفيتسكوف غ.ن. ١٦ عاماً من عدم الاعتراف: سياسة الولايات المتحدة تجاه الدولة السوفييتية في أعوام ١٩١٧-١٩٣٣ – كييف ١٩٧١، ص ١٣٨.

(٥) FRUS, Diplomatic Papers, 1933, vol. 1-5, Wash., 1949-1952, vol. 2, p. 778-779.

الأمريكية والاتحاد السوفييتي، لكنه لم يظهر الاستعجال، وكان يمتنع عن التصريحات العامة التي ليست في أوانها، ودون أن يربط نفسه بأية التزامات أثناء الحملة الانتخابية كان يراقب وضع القوى السياسية، ويدرس مختلف الآراء، بيد أنه يمكن القول بثقة أن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كانت تثير لديه في ذلك الوقت اهتماماً محدداً.

أجرى روزفلت محادثة مع مراسل «نيويورك تايمز» في موسكو أو. ديورانتي في ٢٧ تموز عام ١٩٣٧، وحسب كلمات المراسل فإنه أظهر «اهتماماً متعدد الجوانب ومعرفة عميقة في الشؤون السوفييتية[١]».

التقى روزفلت في غمرة الحملة الانتخابية، في أيلول عام ١٩٣٢ مع المهندس ا. هيرش، الذي كان يعمل في ذلك الوقت مستشاراً رئيسياً في الصناعة الكيميائية في الاتحاد السوفييتي. واستفسر منه بصورة تفصيلية عن تطور الاقتصاد السوفييتي. وقال روزفلت آنذاك «بصراحة، إن روسيا تهمه كثيراً»، وحسب رأيه يمكن أن تصبح سوقاً كبيرة للبضائع الأمريكية، ومن المرغوب فيه عقد اتفاقية تجارية معها. وفي حال تم انتخابه لرئاسة الجمهورية «سيبدأ بإجراء مفاوضات مع السوفييتات، كي يتم الاتفاق على إقامة روابط، وعلى الاعتراف.. إلخ[٢]».

وبعد أن أصبح في البيت الأبيض، انشغل روزفلت بصورة نشيطة قبل أي شيء بالمسائل الداخلية، معلناً عن «نهجه الجديد». لم يكن موضوع

---

(١) Burdnty W. I. Write as I please l, 1935, p. 298.

(٢) حول إقامة روابط بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة: (وثائق صادرة). – الأرشيف التاريخي، ١٩٦٠، رقم ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

الاعتراف بالاتحاد السوفييتي في عداد المسائل الملحة، بيد أنه كان يشغل اهتمام الكثير من أعضاء مجلسه الوزاري، وحتى روزفلت نفسه، الذي كان يفهم أكثر من أي شخص آخر عدم طبيعية الحالة التي تكونت.

في ربيع عام ١٩٣٣ قام العقيد ر. روبينس رئيس البعثة الأمريكية للصليب الأحمر في روسيا، والشخصية الاجتماعية البارزة في الولايات المتحدة الأمريكية، بزيارة إلى موسكو، وحظي بلقاء مع مفوض الشعب للشؤون الخارجية م.م. ليتفينوف ونائب المفوض ل.ي. كاراخانوف، واستقبله ي.ف. ستالين.و تكونت لدى روبينس من خلال لقاءاته معهم انطباعات، أن المبادرة الأمريكية بالاعتراف بالاتحاد السوفييتي ستحظى بالموافقة والفهم من الجانب السوفييتي. وعند عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية أقنع روبينس أعضاء إدارة روزفلت، والعاملين عنده بالرغبة في تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي[1].

توجه الرئيس في ١٦ أيار عام ١٩٣٣ إلى رؤساء ٥٣ دولة برسائل متعلقة بمسألة نزع السلاح وحول عقد مؤتمر اقتصادي دولي. وكان من بين الدول التي تمَّ توجيه رسالة إليها الاتحاد السوفييتي أيضاً.

وجاء الرد من موسكو دون تمهل. أيد رئيس الدولة السوفييتية م.ي. كالينين مبادرة الرئيس. وقد قيمت الصحافة الأمريكية والرأي العام هذه الخطوة كأول بادرة للتقارب بين الدولتين. ولكن وزارة الخارجية طورت آنذاك نشاطاً سلبياً.إذ وقف الكثير من العاملين فيها ضد تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي.

---

(١) مالكوف ف.ل. الولايات المتحدة الأمريكية: من التدخل إلى الاعتراف بالاتحاد السوفييتي، (١٩١٧-١٩٣٣)، - التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٨٤، رقم ١، ص ١٤٤.

في ٢٧ تموز عام ١٩٣٣ قدم نائب وزير الخارجية أو. فيلليس مذكرة كتابية إلى روزفلت معدة من قبل رئيس قسم أوروبا الشرقية ر. كيللي، تمَّ فيها عرض شروط مسبقة للاعتراف بالاتحاد السوفييتي. ومن هذه الشروط: تخلي الحكومة السوفييتية عن «الأهداف الثورية العالمية»، واعترافها بديون الحكومات القيصرية والمؤقتة، ودفع قيمة الملكيات الخاصة، التي تعود للأمريكان، وكذلك... «التغلب على الاختلافات بين البناء الاقتصادي والاجتماعي في الولايات المتحدة وروسيا». وجرى التأكيد في المذكرة على أن «احتكار التجارة الخارجية في الاتحاد السوفييتي» و«الطابع الطبقي» للدولة السوفييتية، والتشريع السوفييتي و«النظام القضائي بعلاقته مع المواطنين الأجانب»، كان كل ذلك كما زعموا يعرقل تطبيع العلاقات[١]. كان الهدف من هذه الوثيقة السعي من إذ المحتوى لإقناع روزفلت بعدم إمكانية تطبيع العلاقات السوفييتية - الأمريكية. وكانت الأحداث في غضون ذلك تتطور لصالح الاعتراف. فبتكليف من روزفلت أقام رئيس لجنة الإقراض الزراعية غ. مورغين تاو روابط شخصية مع ممثلي «آمتورغ»، وأظهر اهتماماً بالطلبيات السوفييتية، وقد تم إخباره باستعداد الاتحاد السوفيتي لشراء الخامات من أمريكا بقيمة ٧٥ مليون دولار بشرط الحصول على قرض طويل الأمد[٢].

وفي تموز عام ١٩٣٣، اتخذ الاتحاد الاحتكاري المالي لإعادة البناء قراراً بتقديم قرض للمصدِّرين الأمريكان من أجل تمويل شراء ٦٠-٨٠ ألف بالة قطن للاتحاد السوفييتي. إن توجه «آمتورغ» إلى الاتحاد الاحتكاري المالي باقتراح لتمويل المشتريات السوفييتية حصل على دعم مستشار الرئيس ر. مولي وغ. مورغنتاو. قوبل هذا الاقتراح في وزارة الخارجية بتحفظ بدرجة

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1933, vol. 2, p. 782-788.

(٢) Blim J.M. From «The Morgenthau Diaries»: vol. 1-3, Boston, 1959-1967, vol. 1, p. 55.

معينة. وفي ٢١ أيلول وجه هيلل مذكرة إلى روزفلت، ذكّره فيها من جديد بالصعوبات الكبيرة التي تقف على طرق الاعتراف بالاتحاد السوفييتي، وعلى وجه الخصوص بمسألة الديون، وملكيات الشركات الأمريكية المؤممة[١]. وبعد عدة أيام نصح قسم أوروبا الشرقية في وزارة الخارجية نائب وزي الخارجية أو. فيلليبس أن يمارس ضغطاً على الحكومة السوفييتية بكل الوسائل لأجل أن توافق على «الشروط المسبقة» قبل المفاوضات حول الاعتراف. وفي ٥ تشرين الأول قدم هيلل إلى روزفلت المذكرة الكتابية لمعاونيه - أو. مور ، وأو. بولليت، التي تلح على التوصل إلى اتفاقية مع الحكومة السوفييتية حول الديون قبل بدء المفاوضات حول الاعتراف[٢].

بيد أن الرئيس روزفلت كان يقف بصورة مغايرة فيما يتعلق بتقويم الوضع وحل مسألة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي، وكان يتطلع إلى تطور الأحداث سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية أم على المسرح الدولي من منظور أكثر اتساعاً. لقد دفع الدور الاقتصادي والسياسي المتزايد للاتحاد السوفييتي، ونمو سمعته الدولية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة النظر في سياسة عدم الاعتراف. كان من المستحيل عدم أخذ الواقع بعين الاعتبار. وبنفس الوقت، فإن الرئيس كشخصية أكثر بعد نظر من بقية الذين يحيطون به، وكسياسي كان يفهم أن سمعة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم خلال أعوام الأزمة انخفضت بصورة ملموسة، وأن التناقضات بين الدول الرأسمالية تفاقمت للغاية. احتلت اليابان قسماً مهماً من أراضي الصين، وانتهكت عدداً من المعاهدات والاتفاقيات الدولية، ووجهت ضربة جدية لسياسة «الأبواب

(١)The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 294.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1933, vol. 2, p. 791-794.

المفتوحة» في الصين، وأضعف ذلك من مواقع الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى، وأدى إلى تفاقم العلاقات اليابانية - الأمريكية.

كان بعض العاملين في وزارة الخارجية يفترض أن الاعتراف بالاتحاد السوفييتي يبدو وكأنه عامل معيق بصورة محددة على طريق العدوان الياباني. إن مثل ذلك الرأي كان يعود بصورة خاصة إلى رئيس قسم الشرق الأقصى في وزارة الخارجية س. هوبنبك، الذي أشار في المذكرة المقدمة يوم ١٤ آذار عام ١٩٣٣ إلى أنه في حالة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي فإن اليابان ستكون أكثر تحفظاً في أعمالها في الشرق الأقصى(١).

لقد أخذت تظهر في صحافة الولايات المتحدة الأمريكية مقالات حول ضرورة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي بهدف تدعيم الوضع المهتز للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى. كان موقف مجلتي «نيشن» و«نيو ريبابليك» هو الأكثر نشاطاً في هذا الاتجاه. إن الكثير من أعضاء الكونغرس اعترفوا أن موقف هوفر تجاه العلاقة مع روسيا السوفييتية أضر بالولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى، واقترحوا تقييم دور عامل الشرق الأقصى في مسألة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي. أصبحت أهميته جلية أكثر أيضاً بمناسبة إعلان اليابان في ٢٧ آذار عام ١٩٣٣ عن خروجها من عصبة الأمم.

لم يستطيعوا في واشنطن في الوقت نفسه إلا أن يأخذوا بعين الاعتبار تطور الأحداث في أوروبا كذلك، إذ وقف الاتحاد السوفييتي بثبات ونشاط إلى جانب نزع الأسلحة، وضمان السلم، ودافع في المنتديات الدولية عن مبادئ الأمن

(١) Farns Worth B. William C. Billit and the Soviet Union.- Bloomington; London, 1967, p. 208.

الشامل. وتعود إلى الاتحاد السوفييتي المبادرة المتعلقة بصياغة مشروع اتفاقية حول تعريف العدوان. ولقد انضمت الحكومة السوفييتية إلى ميثاق كيللوغ لمصلحة السلام، وعقدت مواثيق مشتركة حول عدم الاعتداء والحياد مع عدد من الدول الأوربية: فنلندا، ودول البلطيق، وبولونيا، وفرنسا، وإيطاليا.

دعت الحكومة السوفييتية لتوحيد جهود البلدان، التي تقف ضد توسع اليابان في الشرق الأقصى وتسلح الفيرماخت. إن الاستعدادات في برلين لتغيير الخارطة السياسية بصورة جذرية في أوروبا مع مجيء هتلر إلى السلطة زاد من خطر حرب عالمية. في ١٤ تشرين الأول انسحبت ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح، وبعد خمسة أيام - من عصبة الأمم. إن الصحافة الأمريكية والرأي العام أخذا يقفان بصورة أكثر نشاطاً إلى جانب الاعتراف بالاتحاد السوفييتي في هذا الظرف. ودوت الأصوات بصورة أعلى حول أهمية نضال الاتحاد السوفييتي كدولة عظمى في سبيل السلام والأمن في الشرق الأقصى وفي أوروبا.

لقد توصل روزفلت في الظروف الناشئة، وهو يقيم دور الاتحاد السوفييتي في تطور الأحداث الدولية، وفي توزيع القوى في العالم، إلى استنتاج مفاده بأن من غير الممكن لاحقاً عدم الأخذ بعين الاعتبار دولة كبيرة مثل الاتحاد السوفييتي. إن هذه الأسباب دفعت روزفلت مرة أخرى لمناقشة مسألة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي مع هيلل. ولقد غير وزير الخارجية نظرته أيضاً. لذلك عندما عبّر الرئيس عن الرغبة في تطبيع العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، فإن رئيس إدارة السياسة الخارجية أيد روزفلت وهو يصرح بمعنى خفي: «إن روسيا بصورة عامة - بلد محب للسلم. إن السلام يدخل في مرحلة خطيرة سواء في أوروبا أا في آسيا. إن روسيا يمكن أن تقدم مساعدة مهمة مع الزمن في استقرار الأوضاع، بمقدار ما يكون العالم تحت الخطر بصورة أكبر».

ولقد أضاف الرئيس الذي وافق بصورة كاملة على هذا التقييم: «إن دولتين عظميين - الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا - يجب أن تدعما العلاقات الطبيعية. إن إقامة علاقات دبلوماسية هي أمر مفيد لكلا الطرفين[1]».

مارس مزاج الرأي العام الأمريكي تأثيره على الرئيس في الوقت نفسه، وهو كقائد مسؤول للبلاد، لم يكن يستطيع إلا أن يصغي لذلك، ولقد نمت في الأوساط السياسية والاجتماعية الأمزجة لصالح الاعتراف بالاتحاد السوفييتي. إن جمعية أصدقاء الاتحاد السوفييتي برئاسة الكاتب الاجتماعي المشهور ك. لامونت شاركت مشاركة نشيطة في تنظيم حملة الاعتراف بالاتحاد السوفييتي. نشر أعضاء الجمعية الكتب والكراسات عن حياة الشعب السوفييتي، وعن البناء الاشتراكي، وعن التنفيذ الناجح لأول خطة خمسية. وبدأت الجمعية انطلاقاً من شباط عام ١٩٣٢ بإصدار مجلّة «سوفيت رانغا تودي» (روسيا السوفييتية اليوم). تحثّ قراؤها على أن البطالة في الاتحاد السوفييتي تم تصفيتها، وأن أعمال البناء تعاني بشدة نقصاً في العمّال المهرة.

إن الكثير من الكادحين الأمريكان توجهوا إلى «آمتورغ» وإلى المجتمع بطلب إعطائهم إمكانية السفر إلى الاتحاد السوفييتي والمشاركة المباشرة في بناء الورشات والمصانع. وفي عام ١٩٣١ مارس العمل في صناعة البناء السوفييتية نحو ٢٥٠٠ عامل من الولايات المتحدة الأمريكية. وفي تموز عام ١٩٣٢، وبمبادرة من جمعية أصدقاء الاتحاد السوفييتي تم تنظيم مكتب تكنيكي في نيويورك، وبلغ عدد أعضائه ٣٥٠ مهندساً وفنياً، وأصبح لهذا المكتب فروع في عدد من المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية، قدمت مساعدات للمنظمات السوفييتية في حل

(١) The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 297.

المسائل التكنيكية، وأرسلت أدبيات خاصة إلى الاتحاد السوفييتي[1]. ووزعت في هذا السياق ١٠٠ ألف نسخة من المنشورات، و٢٠ ألف كراس مكرس لبلاد السوفييت، وأصبحت فروع الجمعية موجودة في ٢٠ ولاية حتّى شباط ١٩٣٣. وفي شباط عام ١٩٣٣، وبمبادرة من هذه الفروع تطورت جملة لجمع مليون توقيع في عريضة تطالب بالاعتراف بالاتحاد السوفييتي[2].

وفي كانون الثاني عام ١٩٣٣ توجه ٨٠٠ أستاذ ومدرس في ٢٦٨ كلية وجامعة في ٤٥ ولاية إلى روزفلت بعريضة تلح على الاعتراف بالاتحاد السوفييتي[3]. وفي نفس الشهر تم إنشاء لجنة مستقلة للحركة من أجل الاعتراف بروسيا السوفييتية، ولقد ترأسها المحامي في نيويورك ل. ليندس. وفي ٥ آذار اقترحت اللجنة في قرار خاص متخذ منها على رئيس الجمهورية القيام بخطوات ملموسة - الدخول في مفاوضات مع الحكومة السوفييتية حول شروط الاعتراف بها[4]. وفي آذار عام ١٩٣٣ طالب مؤتمر النشاط العمالي التقدمي الذي يضم عدداً من النقابات بالاعتراف بالاتحاد السوفيتي، وفي أيار وتحت ضغط القوى التقدمية وقف إلى جانب الاعتراف المؤتمر القاري، الذي شارك في عمله ممثلو الحزب الاشتراكي، ورابطة الشبيبة الاشتراكية ونقابات ومزارعين، وتم إنشاء لجنة نسائية لصالح الاعتراف بروسيا السوفييتية. وإلى جانب الاعتراف

---

(١) Soviet Russia Today, 1933, Map., p. 18; 1933, Aug., p. 12; وفورايف ف.ك. المؤلف المشار إليه، ص ٢٢٨٠.

(٢) تسفيتكوف غ.ن. المصدر المشار إليه، ص ٢٠٣.

(٣) البرافدا، ١٩٣٣، ١ كانون الثاني.

(٤) نفس المصدر السابق، ٢ شباط؛ ٨ آذار.

بالاتحاد السوفييتي وقفت رابطة الوحدة النقابية، ومؤتمر النشاط العمالي التقدمي، وفدرالية العمل في مختلف الولايات، والكثير من النقابات الفرعية والمنظمات النسائية والطلابية، والمعهد الأمريكي - الروسي للعلاقات الثقافية.

وجه الرئيس روزفلت رسالة إلى رئيس اللجنة التنفيذية المركزية في الاتحاد السوفييتي م. ي. كالينين، في ١٠ تشرين الأول عام ١٩٣٣ آخذاً بعين الاعتبار العوامل الاقتصادية والسياسية في وجه وحدة موحدة، والطابع الدولي وكذلك مزاج الرأي العام في البلاد. ولقد تم التأكيد فيها على الاستعداد لإنهاء الوضع غير الطبيعي، حين تجد دولتان عظيمتان نفسيهما خلال مدة طويلة جداً من الزمن دون علاقات رسمية مباشرة. اقترح الرئيس إرسال ممثل للحكومة السوفييتية إلى واشنطن لأجل التفاوض معه بصورة شخصية[1].

تم قبول مبادرة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بارتياح من قبل قادة الدولة السوفييتية. وفي جواب م.ي. كالينين تم لفت الانتباه إلى أن غياب العلاقات الطبيعية بين البلدين انعكس بصورة غير ملائمة على الوضع الدولي، وعقّد مسألة تحقيق السلام، وشجع القوى التي تسعى إلى انتهاكه[2].

أثار تبادل الرسائل بين ف. د. روزفلت وم. ي. كالينين أصداء حارة. قابلت القوى الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية بشعور الرضا العميق النبأ حول الاعتراف المقبل بالاتحاد السوفييتي. لقد حيا أعضاء مجلس الشيوخ بور، ونوريس، ورينولد، وآدمز، بحرارة نشاط الرئيس. وأبدت صحافة الولايات المتحدة الأمريكية الموافقة على عمل الرئيس. نشرت صحيفة

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٦، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٦٥.

«نيويورك وورلد تيليغرام» في ٢١ تشرين الأول مقالة افتتاحية تحت اسم «أمريكا وروسيا صديقان». عند ذاك نشرت «جيرالد تريبيون» القريبة من الحزب الجمهوري مقالة تحت عنوان «أصحاب البنوك في وول - ستريت إلى جانب الاعتراف السريع بالاتحاد السوفييتي كحافز للتجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية»[١]. إن الكثير من الصحف أيدت عمل واشنطن آخذة بعين الاعتبار تطور الأحداث الدولية.

في ٧ كانون الأول ١٩٣٣ وصل مفوض الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي م.م. ليتفينوف إلى واشنطن لأجل المفاوضات. وقد لفت انتباه ممثلي الصحافة الأمريكية في تصريحه إلى وجود قاعدة متينة لأجل التعاون الاقتصادي، والعلمي والتقاني لصالح كلتا الدولتين، اللتين «يوحدهما السعي العام إلى السلام»[٢]. بدأت المفاوضات في كانون الأول، واستمرت عشرة أيام، وتم التحضير للقاء مع الممثل السوفييتي في وزارة الخارجية بصورة دقيقة. إن العاملين في قسم أوروبا الشرقية وضعوا ٢٠ مشروع اتفاقية. وكان كل مشروع يناقش في الاجتماعات بمشاركة ف. روزفلت، نك. هيل، وأو. ميلليبس، وغ. مورغنتاو، وأو. بولليت. لم تكن قليلة المواقف المطروحة، التي كانت تشترط الاعتراف بالاتحاد السوفييتي بعدد من التحفظات[٣].

ترأس المفاوضات هيل عن الجانب الأمريكي في البداية. وفي كانون الأول عام ١٩٣٣، وأثناء اللقاء مع م.م. ليتفينوف أدار ك. هيل الحديث حول

---

(١) Herald Tribune, 1933, Oct. 21.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٦، ص ٦٠٥.

(٣) The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 299-301.

العلاقة مع المؤمنين. أجاب ليتفينوف أن الأنباء حول الدين التي تمتلكها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية - هي ثمرة تضليل الدعاية وحيدة الجانب. أكد ليتفينوف أن التشريع حول الدين هو - مسألة داخلية لكل دولة. وعندما طلب هيل ضمانة للحرية الدينية في الاتحاد السوفييتي بالنسبة للأمريكان، معلناً أنه من غير الممكن إقامة علاقات دبلوماسية في الحالة المضادة، فإن ليتفينوف أفهم بصورة واضحة أن الحكومة السوفييتية ليس في نيتها أن تقدم أية أوضاع مميزة بالنسبة للأمريكان في المسائل الدينية[1].

إن مطالب هيلل حول الوضع القانوني الخاص للأمريكان قوبل بالرفض كذلك. وبعد ذلك وضع رئيس إدارة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية مسألة الادعاءات النقدية. فطرح الممثل السوفييتي ادعاءات مضادة بسبب الضرر الذي سببه الأمريكيون أثناء تدخل الولايات المتحدة الأمريكية ضد روسيا السوفييتية. إن النقاشات الطويلة التي امتدت حول الديون انتهت دون نتيجة. وكذلك تم رفض تصريحات وزير الخارجية حول «دعاية الكومنترن» لأنها تفتقد لأي أساس.

تمت متابعة المفاوضات في البيت الأبيض. وقد شارك فيها الرئيس، ولامست بصورة أساسية مسائل السياسة الدولية. إن المشاركين في المحادثة اعترفوا بوجود منبعين للخطر العسكري هما: اليابان وألمانيا، اللذان يسعيان من خلال القرارات المشتركة لـ «احتلال أراضي الآخرين». وبعد أن انتقل روزفلت إلى موضوع الديون، لاحظ ليتفينوف أن هذه المسألة ليست مهمة بالمقارنة مع إقامة العلاقات الدبلوماسية بين بلدين كبيرين مثل الاتحاد

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٦، ص ٦٠٨.

السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. وفي حديثه عن بدء المفاوضات لاحظ ليتفينوف في برقيته إلى موسكو «اختلاف الطرفين في جميع المسائل»[1].

لم يعط اليوم الثاني كذلك أية نتائج. تمسك الجانب الأمريكي بمواقف صلبة، من خلال طرحه لمقولة: تسوية المشاكل في البداية، وبعد ذلك - الاعتراف.

وبمناسبة سفر هيل لحضور مؤتمر دولي في مونتفيديو ١١ كانون الأول ترأس المفاوضات روزفلت بنفسه، الأمر الذي امتلك أهمية كبيرة. إن محادثاته مع م.م. ليتفينوف أظهرت استعداد الرئيس لصياغة حلول مقبولة من الطرفين. ولقد تم الوصول إلى اتفاق في سياق المفاوضات حول تطبيع العلاقات الدبلوماسية، وتوقيع وثائق مهمة في شكل تبادل المذكرات والرسائل، وكذلك المذكرات المشتركة. لكن الأكثر أهمية بين هذه المذكرات هما المذكّرتان المتبادلتان بينهما، واللتان تلزمان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية على احترام سيادة كلتا الدولتين، و«الامتناع عن التدخل بأي شكل من الأشكال في الشؤون الداخلية» لكل منهما، وعدم تشجيع التدخل المسلح من قبل أحدهما ضد الآخر، وكذلك الدعاية والتحريض بهدف انتهاك وحدة أراضي الدولة، أو تغيير نظامها السياسي والاجتماعي بالقوة.

امتلكت هذه الوثائق أهمية مبدئية بالغة في مجال العلاقات المتبادلة بين الدولتين. وعند تبادل المذكرات بين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومفوض الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي تم التعبير عن الثقة في أن كلتا الدولتين «ستنجحان في التعاون لأجل منافعهما المتبادلة ولأجل صيانة السلم العام».

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦١٠.

وبإلحاح من الرئيس وافق الجانب الروسي على التبادل المسبق للآراء حول الادعاءات المادية المتبادلة. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تلح على دفع كل الديون الناشئة عن القروض التي قدمتها في وقته إلى الحكومات القيصرية والحكومة المؤقتة، وكذلك على التعويضات المتعلقة بتأميم الملكيات التي تعود لمالكين أمريكان. وفي هذا السياق أعلنت الحكومة السوفييتية أنها لا تتحمل أية مسؤولية عن قروض الحكومات المعادية للشعب.

بيد أنها مستعدة لتلبية بعض الادعاءات المادية الأمريكية بشرط تقديم قرض نقدي إلى الاتحاد السوفييتي والاعتراف بالادعاءات السوفييتية. وبالإضافة لذلك فإن الحكومة السوفييتية تتخلى عن مطالبها تجاه الجانب الأمريكي فيما يتعلق بالتعويض عن الأضرار التي سببتها قوات الولايات المتحدة الأمريكية أثناء تدخلها في سيبيريا[1]. وفي البيان المشترك الموقع بالأحرف الأولى بين م.م. ليتفينوف وف. د. روزفلت تم تثبيت استعداد الحكومة السوفييتية لدفع مبلغ ٧٥ مليون دولار إلى الولايات المتحدة الأمريكية على شكل فوائد إضافية للقرض الذي ستقدمه الولايات المتحدة الأمريكية. وعد الرئيس بإقناع الكونغرس بتحديد مقدار الادعاءات الأمريكية بـ ١٥٠ مليون دولار. كانت توجد خلافات جدية في عدد من المسائل الأخرى، لكن أكثريتها تم حله بنجاح. كان هذا الأمر ممكناً بفضل أن كلا الطرفين أظهرا اهتمامهما بإقامة العلاقات الدبلوماسية.

امتلك ذلك المناخ الذي كان سائداً أهمية بالغة، إذ أظهر المشاركون في المفاوضات واقعية ومرونة في حل المسائل، ورحابة الآراء، وفهماً عميقاً

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٤١، ٦٤٢-٦٤٤، ٦٥٤.

للنزعات الأساسية في تطور العلاقات الدولية. إن توتر الوضع كان يتطلب بصورة آمرة تقارب الدولتين العظميين - الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. إن هذا الأمر دفع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لإنهاء السياسة الحمقاء المتعلقة بعدم الاعتراف بالاتحاد السوفييتي.

استقبل الرأي العام الأمريكي بارتياح كبير تطبيع العلاقات السوفييتية - الأمريكية، وجرت اجتماعات جماهيرية ولقاءات في عدد من المدن الأمريكية - نيويورك، وشيكاغو، وسان فرانسيسكو، وبوسطن، وكليفليند - وقد استلم روزفلت الكثير من برقيات ورسائل التحية. لقد كتب السناتور بور في برقية موجهة باسم الرئيس: «أهنئكم، كانت هذه الخطوة حكيمة وشجاعة من المنظور الدولتي»، وأعلن السناتور توماس: «إن ذلك هو خطوة إلى الأمام دون شك»[1]. وعندما كان الرئيس في يورم-سبرينغ لحضور يوبيل عيد ولاية جورجيا وجد في انتظاره هناك أكثر من ٣٠٠ برقية ورسالة تؤيد عملية اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية ببلاد السوفييت[2].

وبمناسبة الاختتام الناجح للمفاوضات والاعتراف بالاتحاد السوفييتي من قبل الولايات المتحدة تم تنظيم حفل استقبال كبير في ٢٤ كانون الأول في نيويورك بمبادرة من غرفة التجارة الأمريكية- الروسية حضره نحو ألفي شخص. كانت القاعة مزينة بالأعلام السوفييتية والأمريكية، ودوى بصورة مهيبة لحن «الأممية».

---

(١) New York Times, 1933, Nov. 18

(٢) الأزفيستيا، ١٩٣٣، ٢٢، ٢٦ كانون الأول.

إن نبأ الاعتراف الدبلوماسي بالاتحاد السوفييتي من قبل الولايات المتحدة تم استقباله بصورة مختلفة في عواصم العالم. فقد عبروا في برلين بجلاء عن الاستياء من التقارب الذي برز بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. وفي طوكيو كانوا قلقين: أن الكثير من القادة اليابانيين لم يكونوا ينتظرون تلك الخطوة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، وإن الخبر الذي وصل عن ذلك كان مباغتاً. إن الاعتراف ببلاد السوفييت من قبل الولايات المتحدة كان يستجيب للمتطلبات الناضجة، ولمصالح ورغبات كلتا الدولتين والشعبين. خلق هذا الاعتراف أساساً لأجل تطور العلاقات الطبيعية بين دولتين عظيمتين في العصر الحديث - في الحياة الدولية أعوام الثلاثينيات، وساعد على خلق تحالف معاد لهتلر في أعوام الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فإن دبلوماسية الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الأزمة كان عليها أن تعمل في ظرف معقد ومتوتر. إن هوفر الذي وصل إلى السلطة، لم يقيم بصورة خاطئة جداً الوضع الداخلي فقط، وإنما الوضع الدولي للولايات المتحدة الأمريكية أيضاً. لكن الواقع القاسي دحض تقييماته وتنبؤاته. عندما نشبت الأزمة صار الرئيس يعلق آمالاً كبيرة بلا أساس على التوسع الاقتصادي، وعلى التفوق المالي والصناعي للولايات المتحدة الأمريكية. كانت إدارة الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتخفيف الأزمة الاقتصادية على حساب كادحي بلادها وعلى توسع الدولار الأمريكي، وخاضت صراعاً نشيطاً في سبيل أسواق التصريف ومجالات استثمار الرأسمال في أمريكا اللاتينية، وآسيا، وأوروبا.

إن الاتجاه الرئيسي في النهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية كان يكمن في تلافي العواقب الاجتماعية للأزمة، وفي تدعيم مواقع الرأسمالية.

كانت تستند تلك الأوساط؟ في واشنطن إلى حل التناقضات بين الدول الإمبريالية على حساب الاتحاد السوفييتي وشعوب الدول المستعمرة والتابعة. إن السياسة المتبعة من حكومة هوفر ساعدت على ظهور بؤرة حرب في الشرق الأقصى وتعاظم الخطر الحربي في أوروبا، الذي أصبح واقعياً وبصورة خاصة بعد مجيء الفاشية إلى السلطة في ألمانيا. لقد توصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إضعاف منافسيها وزيادة قدرتها الخاصة، وبالدرجة الأولى تحقيق تفوقها في البحر، متسترة بالحملة الواسعة للمسالمة البرجوازية والحد من التسلح.

بيد أن النشاط السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية كان ضئيلاً. وعلاوة على ذلك فإن مواقع الولايات المتحدة الأمريكية في المسرح الدولي خلال سنوات الأزمة ضعفت بصورة جلية. لقد مس ذلك بصورة خاصة الاستثمارات الأمريكية، والتجارة الخارجية. لم تتمكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق نجاحات جدية في أي مؤتمر من المؤتمرات.

إن التناقضات في العالم الرأسمالي، وبالدرجة الأولى التناقضات الإنكليزية- الأمريكية كانت تتفاقم. اتخذ الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا طابعاً عولمياً، وشمل المجالات النقدية- المالية، والسياسية والدبلوماسية. إن الصراع لأجل أسواق التصريف، ومجالات استثمار الرأسمال، وحول المسألة المتعلقة بالديون والتعويضات المشتركة، ومسألة التسلح، أدى إلى تفاقم التناقضات بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية. وبالنتيجة برزت نزعات هادفة لإعادة تجميع القوى في العالم. وظهر ذلك في السنوات اللاحقة .



الفصل التاسع

إصلاحات إدارة روزفلت

١ - تشكيل برنامج الإصلاحات

حصل الديمقراطيون على البيت الأبيض في الانتخابات التي جرت في ٨ كانون الأول عام ١٩٣٢ برئاسة فرانكلين د. روزفلت، وحققوا لأنفسهم الأغلبية في كلتا غرفتي الكونغرس. بيد أن غ. هوفر بقي رئيساً مفلساً ومقهوراً حتى ٤ آذار عام ١٩٣٣. أما التركيب الجديد للجسد التشريعي فكان يمكن أن يجتمع في الدورة المنتظمة التي تأخرت أيضاً - إلى كانون الأول عام ١٩٣٣ فقط. وقد تغيَّر هذا الإجراء بسبب إدخال ٢٠ تعديلاً على الدستور، وتمت المصادقة عليه في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٣٣، وفقاً لهذا التغيير فإن بدأ الكونغرس المنتخب من جديد العمل بعد شهرين - اعتباراً من كانون الثاني، أما تاريخ بدء عمل الرئيس الجديد بتنفيذ واجباته فقد انزاح إلى ٢٠ كانون الثاني. من ثمَّ اختصرت مدة «استلام المنصب» إلى النصف تقريباً. واستمرت القاعدة الدستورية القديمة تعمل في عام ١٩٣٢-١٩٣٣، الأمر الذي زاد تعقيداً الوضع الاجتماعي - السياسي العصيب الذي كان معقداً بالأصل بمعزل عن هذه الإجراءات.

لقد اعتبرت الصحافة الأمريكية انتصار ف. روزفلت عبارة عن مجيء أنصار رئيس حاكم «قوي» و«نشيط» إلى السلطة. كانت الصحف الرئيسية في

تصريحاتها تلك تعبر عن الأمل في أن يقدم هوفر كل المساعدة إلى الرئيس الجديد في صياغة العلاج للتغلب على الأزمة، وكان اسم الحاكم ف. روزفلت حتى قبل انتقاله إلى البيت الأبيض مقروناً باسم «المهندس العظيم»، وإن كلا الرئيسين أخيراً سيضعان برنامجاً فعالاً لخروج البلاد من الكارثة التي طالت بصورة غير معقولة. لكن المحادثات حول «الجبهة الموحدة» أظهرت بسرعة شديدة عدم وجود تربة لها. فما هي الاختلافات بين مذهبي هوفر وروزفلت فيما يتعلق بالمدخل إلى حل مشاكل الأزمة ؟

أولاً، إن مبدعي «النهج الجديد» رفضوا صيغة هوفر التي تفسر الهزات الاقتصادية - الاجتماعية، التي وقعت على الأمريكيين بأسباب «دولية».

لم يكن ف. روزفلت يسترشد بأية تصورات نظرية ما ، وإنما ببراغماتية سياسية بسيطة.و كان محيطه يشدد على ضرورة إجراء بعض الإصلاحات في بناء المؤسسات الاجتماعية - الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً، إن ف. روزفلت وبمقدار اقتراب اليوم الذي يستلم فيه المسؤولية الحكومية التي ستقع على عاتقه، كان يبتعد أكثر فأكثر عن العقائد الجامدة لمذهب الفردية التقليدي، ويميل إلى التوسيع الحقي لوظائف الدولة الفدرالية. أما ما يتعلق بـ غ. هوفر، فإنه على العكس، تراجع حتى إلى الوراء بعض الشيء في هذا المجال في ختام مدة رئاسته.

ثالثاً، إذا كان الرئيس الجمهورية قد بقي أصمَّ تجاه صوت الاحتجاج الجماهيري ونصائح أولئك الممثلين البرجوازيين الذين مالوا إلى الإصلاح الاجتماعي، فإن ف. روزفلت أنصت إلى ما كان يقوله أولئك الارتيابيُّون تجاه قيم «النظام القديم» لرجال الأعمال، وإلى ما كان يدوي في شوارع المراكز الصناعية وإلى الغضب الملتهب في سهوب أمريكا.

إن دورة الكونغرس، الذي لم يعكس تركيبه بعدما اتضح في كانون الأول عام ١٩٣٢ تناسباً في القوى، لم تتخذ أي قانون له أهميته قطُّ. إذ لم يملك الجمهوريون قوى سياسية - معنوية لتنفيذ الاستحقاقات المطلوبة، أما الديمقراطيون، الذين حازوا الأكثرية في غرفة النواب فقط، فإنهم لم يعرفوا بمن يسترشدون - على الزعماء الاسميين للكتل أم على الزعيم الحقيقي الذي لم يبدأ رئاسته بعد؟ لقد تمَّ العمل في تلك الظروف وفق القاعدة السياسية العادية - إفشال كل التدابير التي كانت تنطلق من الحزب الآخر.

لقد تصرف ف.د. روزفلت بحذر شديد فيما يتعلق بالجناح المحافظ في حزبه. وحسب رأي كاتب سيرة حياته الموثوق فإنه كان يبالغ في التمثيل بهذا الخصوص، لأنه بثقته الاستعراضية تجاههم كان «يحول دون مخاوفهم، لكنه كان يخاطر بفقدان ثقة البلاد»[١].

وصلت الأزمة في ذلك الوقت إلى أوجها. وكان من الضروري بالنسبة إلى الرأسمال الكبير آنذاك وجود حكومة نشيطة أكثر من أي وقت مضى، قادرة على إيقاف التدهور اللاحق، وبث القوى في النظام الرأسمالي كيلا تتطور حركات الاحتجاج الجماهيرية على الطريق الثوري. لم يكن زعماء عالم الأعمال يأملون بتقديم تلك الخطط التي كان من الممكن أن تحظى بالدعم الاجتماعي بدون مساعدة الدولة.

إن الانهيار البنكي الذي حلّ في الأسابيع والأيام الأخيرة من حكم الجمهوريين كان نتيجة مباشرة للهزة التي أصابت القطاع الإنتاجي والتي أدت إلى استنفاد مدخرات المودعين. وكانت آثارها مضاعفة نتيجة للطابع

(١)Freidel F. Franklin D. Roosevelt, Launching the New Deal. Boston, 1973, p. 50.

المضارب لنشاط البنوك، الذي كان يلقي إلى الأسواق كتلاً كبيرة من الأوراق المالية دون تغطية ذات قيمة. ولقد ساعد في انهيار النظام البنكي عدم الثقة الشاملة تجاه هذه المؤسسة والخشية من أن تقوم الحكومة الجديدة بتخفيض قيمة الدولار.

كان المودعون يفضلون سحب الذهب والدولار والحفاظ عليهما في المنازل، وبدؤوا بـ «إغارات» على البنوك. أخذ أصحاب البنوك يطالبون سلطات الولايات بإصدار مراسيم حول الإيقاف المؤقت لأداء وظيفة البنوك. وقد أعلن حاكم ميتشيغان في ١٤ شباط عام ١٩٣٣ عن إيقاف عمل البنوك لمدة ثمانية أيام، وقام بذلك «بتأييد أصحاب بنوك ديترويت»(١).

بدأت حركة إغلاق واسعة للبنوك. ولقد قدم شريك مورغان ن. لامونت في ٢٧ شباط إلى ف. روزفلت تقييم ج.ب. مورغان نفسه للوضع المصرفي: «لا يوجد أسوأ من هذا الوضع»(٢). وفي سياق تعبيرها عن وجهة نظر أصحاب البنوك صرَّحت «نيويورك تايمز» بأن إقرار التشريع المصرفي الفدرالي «ضرورة صارخة»(٣). إذ تم سحب ٥٠٠ مليون دولار من البنوك خلال يومين من ٢-٣ آذار عام(٤) ١٩٣٣.

لقد أغلقت خلال عدة ساعات، وقبل تبديل الحرس في البيت الأبيض بنوك محافظات نيويورك وايلينوي - الولايات التي توجد فيها

---

(١) New York Times, 1933, Feb. 16.

(٢) استشهاد بـ: Schlesinger A.M., Jr. The Age of Roosevelt: vol. 1-3. Boston, 1957-1960. Vol. 2, p. 478.

(٣) New York Times, 1933, Feb. 28.

(٤) Warren H. Herbert Hoover and the Great Depression. N.Y., 1967. P. 291.

مراكز الجبروت المالي للولايات المتحدة الأمريكية. أصبح من الواضح أن اتخاذ خطوات متعلقة بإصلاح النظام المصرفي يكمن في عداد التدابير الأولى التي يجب أن يتقدم بها الرئيس الـ ٣٢.

كان خط الحكومة الجديدة غير واضحٍ في كل مجالات الحياة الاقتصادية - الاجتماعية الأخرى - والصناعة والزراعة، وعلاقات العمل وغيرها. لقد وقفت أمام مشكلة تفعيل عمل المؤسسات الصناعية وحل مسألة البطالة بأي وسيلةٍ. وكانت الدائرة الروزفلتية قد توصلت إلى استنتاج بأنه يجب تحقيق الاقتراحات التي تم التعبير عنها من قبل رئيس الغرفة التجارية غ. هاريمان، وكذلك الرأسماليان الاحتكاريان ج. سفوب وأو. يانغ، اللذان تقدمَّا بمشروع من أجل التوحد الإجباري في كارتيل وضبط عمليات المنافسة(١).

كما تخيّل الليبراليون (ب. ناجفيل، و ب. واغنر، وكذلك الخبيران في المسائل الاجتماعية غ. هوبكينز و ف. بيركينز اللذان اشتغلا على قضايا البطالة في إدارة حاكم ولاية نيويورك ف. روزفلت) «نهجاً جديداً» يحتوي في إطاره على الاعتراف الضروري بحقوق العمال في الاتفاقيات الجماعية، والتدابير المتعلقة بتحسين شروط العمل والمساعدة السريعة للجيش المليوني من العاطلين عن العمل.

بيد أنه لم يكن صحيحاً اعتبار أن الرئيس الـ ٣٢ قد وصل إلى البيت الأبيض دون أن يعرف مطلقاً ماذا يجب عليه أن يفعل. لقد نظر الأمريكيون إلى ف. روزفلت في ٤ آذار عام ١٩٣٣ كرجل الأعمال المستعد لاقتحام سلطة

(١) FDR. His Personal Letters, 1928-1943: vol. 1-2/Ed. By E. Roosevelt. J.P. Lash. N.Y., 1950, vol.1, p. 324-325; Tugwell R. Roosevelt's Revolution. The First Year, A Personal Perspective, N.Y., 1977, p. 80.

الدولة في تلك المجالات، التي كانوا يعتبرونها من مدة طويلة ساحة حصرية للمبادرة الفردية وأرباب العمل. كانوا ينتظرونه في العاصمة كما ينتظرون المخلص المعترف به، الذي سينقذ البلاد من النكبات التي كانت سائدة خلال سنوات طويلة. كان الشعب يرغب برؤية الرئيس الجديد كرجل واثق من نفسه ومتفائل وحيوي.

وفي هذه الظروف وصل في ٤ آذار إلى مراسيم تنصيبه في مركزه.

إن جملته: «إن ما يجب أن نخاف منه قبل أي شيء - هو الخوف نفسه» دخلت مباشرة في كلاسيكيات البلاغة الأمريكية[١].

لقد دعا المواطنين إلى «الوحدة الوطنية»، وكانت تلك الدعوة وسيلة معنوية- سياسية لتعبئة الجماهير للنضال ضد الأزمة تحت قيادة حكومة البرجوازية الكبيرة، ودعوة لعدم الإصغاء لأية وصفة جاهزة فيما يتعلق بحلِّ المشاكل الملحَّة. احتوى الخطاب أيضاً على اقتراحات سياسية ملموسة. تضمَّن أحدها عقد دورة استثنائية للكونغرس الجديد، وتضمن اقتراحاً آخر - العزم على «الطلب من الكونغرس منح آخر ما تبقى من وسائل النضال ضد الأزمة - الصلاحيات الواسعة للسلطة التنفيذية بهدف القيام بالحرب ضد الكارثة، كتلك الصلاحيات الكبيرة التي تعطى لي في حال حدوث اعتداء حقيقي من قبل عدو خارجي على بلادنا»[٢].

---

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933 vol-1945 vol./Ed., by S. L. Rosenman. N.Y., 1938-1950, 1934 vol., p. 4 (FDR. Public Papers) ولاحقاً:

(٢) Ibid., p. 15.

٢ - تنظيم الدولة للاقتصاد

تطورت السياسة الاقتصادية لـ «النهج الجديد» بطريقين رئيسيين: الإصلاحات المؤسساتية العميقة وتمويل العجز. تشابك هذان الخطان الرئيسيان بعضهما مع بعضٍ تشابكاً وثيقاً، محولين في وقت قصير تاريخياً المبادئ الاحتكارية الخاصة إلى منحى احتكار الدولة.

كان يجب على الإدارة الجديدة والكونغرس في عقده الـ ٧٣ أن ينصرفا قبل أي شيء إلى حل المشاكل المصرفية - المالية، لأن البنوك كمؤسسات توقفت عن أداء وظيفتها في بداية آذار عام ١٩٣٣. وفي ٦ آذار، ودون انتظار افتتاح الدورة الاستثنائية للكونغرس للتنصيب في ٩ آذار، أعلن الرئيس حالة الطوارئ وأغلق جميع البنوك. وأقرّ الكونغرس في الساعات الأولى من عمله القانون المصرفي الاستثنائي، وصادق على التدابير المتخذة بعد ٤ آذار، وكذلك منح رئيس السلطة التنفيذية الصلاحية بالإشراف على الصفقات المالية الدولية.

وفي اليوم الثاني، ١٠ آذار أصدر ف. روزفلت أمراً تنفيذياً، كان الخطوة الأولى لإقامة إشراف حكومي كامل على الذهب، الذي كان يوجد سابقاً في التداول سواء في الداخل أم في السوق الدولية. الأمر الذي حدَّ من تسرب الذهب إلى خارج البلاد وتراكمه في الأيدي الخاصة بهدف النشاط في مجال المضاربات. وحصلت الحكومة على إمكانية مادية لتحقيق تغطية ذهبية للدولار قطفت ثمارها فيما بعد. وسَّعت هذه الأعمال بصورة راديكالية تدخل الدولة في المجال المصرفي وضعت نظاماً لإعادة نشاط البنوك بعد «عُطَلٍ» قسرية. ومن أجل طمأنة الجمهور، قررت الحكومة البدء بعملية الإنعاش اعتباراً من ١٣ آذار. ففي هذا اليوم تمَّ فتح المصارف في ١٢ مدينة، كانت

توجد فيها مراكز ١٢ دائرة للمنظومة الاحتياطية الفدرالية. وفي الصباح تمَّ الاعتراف «بتعافي» البنوك في ٢٥٠ مدينة أيضاً، وفي ١٥ آذار بدأت بالعمل بقية المؤسسات المصرفية، التي اعترف بـ«تعافيها».

بلغ عدد البنوك الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٢ كلها ٦١٤٥ بنكاً برصيد إجمالي للودائع يقدر بـ ٢٢,٣ مليار دولار. وبعد عام أصبح العدد أقل بصورة ملموسة - ٤٨٩٧ برصيد مقداره ٢٠,٨ مليار دولار. نجحت التدابير في التأثير على «تنقيتها». فحسب المعطيات كان يعمل في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٩ ما مجموعه ٥٢٠٣ بنوك وطنية برأسمال مقداره ٣٣,١ مليار دولار. ولدى تقليص عدد البنوك في أعوام ١٩٣٣-١٩٣٩ بحدود ١٠% فإن حجم نشاطها زاد بمقدار ٣٧%. لقد لعب الاتحاد الاحتكاري المالي لإعادة البناء دوراً كبيراً في التنظيم المؤقت للبنوك، الذي أقرضها من ٤ آذار عام ١٩٣٣ حتى ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٣٧ ما مقداره ٧,٣٥ مليارات دولار، ذهب القسم الأكبر من هذا المبلغ مباشرة لتدعيم المؤسسة المصرفية[١].

وتوضحت ملامح التشريع المصرفي عام ١٩٣٣ مع قانون غلاس-ستيغال المقر في ١٦ حزيران، في اليوم الختامي للدورة الاستثنائية.

وقد استفادت بنوك الودائع والاستثمارات من هذا النظام الأساسي، ومن ثمَّ تمَّ وضع حاجز متين أمام عمليات المضاربة. وكان إدخال التأمينات على الودائع البنكية بحدود ٢٥٠٠ دولار يعكس بمحتواه هذا الاستحداث الجديد. وحسب قانون ١٩٣٤، ارتفع مبلغ الأقساط التي

(١) FDR. Public Papers, 1934, vol. p. 403-404.

تخضع للتأمينات إلى ٥٠٠٠ دولار. وشملت تدابير التأمينات هذه في النصف الثاني من عام ١٩٣٥ نحو ١٤٢١٩ بنكاً وطنياً أو بنكاً خاصاً في الولايات. بحجم إيداعات ٤٥ مليار دولار.

لقد أصلح تشريع أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥ منظومة الاحتياط الفدرالية(١). وحسب القانون المصرفي عام ١٩٣٥، حصل مجلس الإداريين المُعيَّن من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، على صلاحية تحديد مبالغ الاحتياط التي يجب أن تبقى في البنوك الأعضاء في منظومة الاحتياط الفدرالية. كان ذلك يعني عملياً أن هذا مجلس يتحكم بعملية تخفيض أو رفع مستوى الاحتياط الضروري الأمر الذي يمكن أن يخفض أو يصعّب إمكانية الحصول على القروض، ومن ثمَّ يمكن بمساعدة حركة التحكم هذه التأثير على النشاط العملي. ولا تقع أهمية أن تلك المسألة الملحة في عمل البنوك تم وضعها تحت إشراف الدولة.

كان القانون المتعلق بمساعدة الزراعة، المقر في ١٢ أيار عام ١٩٣٣، يعطي الرئيس الحق (دون إجباره) على إصدار مبلغ كبير من الأوراق المالية غير المغطاة، واللجوء إلى سك القطع النقدية الفضية أو إنقاص التغطية الذهبية للدولار. وكان البيت الأبيض يفضل إنقاص التغطية. لقد أصدر روزفلت في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٣٤ إعلاناً قلَّص فيه التغطية الذهبية للدولار من ٢٥ ٥/ ٤ إلى ١٥ ٢١/ ٥ قمحة (وحدة وزن)، وثبَّت فيه السعر الرسمي للذهب بمستوى ٣٥٠ دولاراً للأونصة، وكل ذلك بعد أن ضمَّ إلى ملكية الدولة (عن

(١) بوبراكوف يو. ن. الولايات المتحدة الأمريكية: المنظومة الاحتياطية الفدرالية والتسوية الاقتصادية. موسكو، ١٩٧١.

طريق الشراء حسب السعر المحدد من الرئيس) كل الذهب معتمداً في ذلك على قانون الاحتياط الذهبي، المقر في كانون الثاني عام ١٩٣٤. وبكلمات أخرى، تمَّ تخفيض قيمة الدولار بـ ١٤%[١]، الأمر الذي أخاف غ. هوفر وجميع أنصاره من الأرثوذكسيين المحافظين. لقد حوَّل المضاربون الجدد «حركة التحكم بالنقد إلى أداة مكشوفة ومعتمدة في سياسة الدولة»[٢].

ساعد إجراءا تخفيض قيمة العملة وتسهيل عمليات الإقراض، اللذان رأت فيه الحكومة وسيلة مهمة للخروج من الأزمة، على رفع الأسعار. الأمر الذي خلق إمكانيات مؤاتية من أجل حصول الدولة على قروض من أصحاب البنوك. إذ انخفضت قيمة الفائدة التي كانت تدفعها على السندات من ٣,٧٦ في عام ١٩٣٢ إلى ٢,٣٩ عام ١٩٤٠.

كان على أصحاب البنوك التصريح عن معدل الفائدة، عن العمليات الخاصة. وأخذت الاتحادات الاحتكارية تدفع لقاء القروض بصورة متوسطة ٢,٩% عوضاً عن ٤,٢٥%[٣].

إن تخفيض قيمة الدولار وسحب العملة الذهبية من الأيدي الخاصة، ومنع التبادل الحر بين الأوراق المالية والذهب، والتسهيلات التي تمت تحت ضغط الحكومة بالنسبة للحصول على القروض. كل ذلك خلق آلية للتطور المتضخم للاقتصاد الأمريكي، الذي لم يتجلَّ تأثيره على أكمل وجه إلا بعد الحرب العالمية الثانية فقط. وبالارتباط الوثيق مع التدابير المصرفية - النقدية

---

(١) Documents of American History: vol. 1-2/Ed., H. Commanger Engleewood Cliffs. (H.J.). 1973, vol. 2, p. 425-426

(٢) EDR. Public Papers., 1933. Vol., p. 64-76.

(٣) Blim J.M. from «The Morgenthau Diaries»: vol. 1-3. Boston, 1959-1967, vol. 1. Years of Crisis, 1928-1938, p. 353.

تمَّ إصدار تشريع حول تنظيم العمليات في بورصة الأوراق المالية. كانت عواقب المضاربة في البورصة تحمل طابعاً دراماتيكياً بصورة كبيرة، ولكي تستطيع وول-ستريت ضبط سيل الاقتراحات المتعلقة بتصويب النظام ولو بصورة بسيطة في تجارة الأسهم، تمَّ إقرار قانونين في عام ١٩٣٣-١٩٣٤ حول تنظيم نشاط البورصة. اهتمت لجنة التجارة بالأسهم بهذا الأمر، وكان أول رئيس لها هو المليونير الكبير جوزيف كنيدي. وحتى تشرين الأول عام ١٩٣٧ تقدمت ٣٥٠٠ شركة إلى اللجنة بطلب تسجيل أسهمها بمبلغ عام مقداره ١٣ مليار دولار. كانت اللجنة ترى أن من الضروري بين الفينة والفينة التوجه إلى القضاء، لمنع هذه المؤسسة أو تلك أو هذا الشخص أو ذاك من إصدار أسهم.

كما فُرضت حسب قانون عام ١٩٣٥ تدابير قاسية إلى حد ما لتنظيم الشركات القابضة. وكان عضو الكونغرس عن تكساس الديمقراطي س. ريبيرن المبادر إلى وضع ثلاثة أنظمة أساسية بهذا الخصوص.

صبت الخطوات والمحاولات المتعلقة بإعادة بناء الآلية الصناعية باتجاه احتكار الدولة. وكانتا مرتبطتين بصورة أساسية بالقانون المتخذ في ١٦ حزيران عام ١٩٣٣ حول تجديد الصناعة (National Industrial recovery Act).

وكان عالم الأعمال بحاجة إلى اتخاذ تدابير عاجلة من حكومة الديمقراطيين. فقد أصدرت هيئة أوساط الأعمال في ١٠ أيار عام ١٩٣٣ مقالة محررة جاء فيها: «إن رجل الأعمال الأمريكي متعب ومنهك بصورة تامة من الصراع التنافسي. يكفي ذلك... إنه... مستعد لدفع جزء من حريته في سبيل تحقيق ولو جزءاً بسيطاً من الاستقرار». وركزت المجلة على «الموافقة الشاملة لرجال الأعمال الرئيسيين» لإجراء تدابير ضابطة في مجال الإنتاج، والتسويق

وعلاقات العمل. «لتكوِّن الصناعة قوانين خاصة بنشاطها»، - هكذا دعت المجلة، مقترحة على الحكومة «الإشراف» على هذه القوانين. «حددوا ذلك، إذا أردتم عن طريق حالة الطوارئ»، - هكذا تم اختتام صوت الاحتكارات.

وكان ذلك ما تمَّ القيام به فعلاً، إذ سمح قانون تجديد الصناعة لاتحادات أرباب العمل بتكوين «قوانين المنافسة الخاصة». وللرئيس - بالمصادقة عليها. من خلال تحويلها إلى قاعدة حقوقية يستحق من يخالفها عقوبات صارمة من قبل لجنة التجارة الفدرالية.

أقرت القوانين حجم الإنتاج، والأسعار وغيرها من قواعد التسويق، وكذلك فرضت شروط العمل. لقد تمَّ في فترة سريان مفعول القوانين المحددة بمدة عامين تجميد استخدام حالات التشريع المعادي للاحتكارات تجاه الفروع التي تعمل في ظل تلك القوانين. إن الإيقاف الرسمي للتدابير المعادية للاحتكارات أملاه اهتمام الدولة بتركيز الإنتاج والرأسمال. وكان عملاً هادفاً للإسراع في تشكيل اتحادات للكارتيلات في مجال الصناعة. وضع القانون الأوساط العليا للاتحادات الاحتكارية في موقع رابح، إذ صبّت هذه القوانين التي تم سنُّها في مصلحتهم، ودخلت حيز التنفيذ تحت قيادة عامة من قبل الإدارة الوطنية لتجديد البناء، ترأسها عميل الرأسمال الكبير الجنرال هيو جونسون. وخلال مدة قصيرة تم وضع ٥٥٧ قانوناً أساسياً و١٨٩ قانوناً إضافياً في الفروع التي شملت ٩٥% من جميع العمال الصناعيين. لقد نشأت في موجة التشريعات نحو ٥٠٠ جمعية جديدة لأرباب العمل.

لاقى القانون المتعلق بتجديد الصناعة دعماً شاملاً في البداية. كانت الدوافع التي دفعت عالم الأعمال للترحيب بهذا التدبير واضحة، وحظيت

الصناعة الأمريكية بعلامة النسر الأزرق كشاهد على المشاركة في هذا البرنامج الاحتكاري للدولة. ووافق الكادحون على القانون، معتقدين في ذلك، بأنه سيلهم القوى الصناعية المصابة بسبب الأزمة، وسيساعد في القضاء على البطالة، وسيحسن كذلك شروط العمل ويحقق الاعتراف بالنقابات.

قطعت السياسة الزراعية لـ «النهج الجديد» عدة مراحل في تطورها. وقد عقد وزير الزراعة هنري ووليس في ١٠ آذار عام ١٩٣٣ اجتماعاً مع زعماء المزارع الكبيرة، تمَّ التأكيد فيه على التقدم بمطالب المزارعين مسبقاً، والموافقة بالإجماع على مشروع قانون حول دعم الزراعة.

كان توقيع ف. روزفلت على مشروع قانون دعم المزارعين في ١٢ أيار عام ١٩٣٣ عملية تشريعية معقدة. إن قسمه الأساسي المعروف بالقانون حول تسوية أوضاع الزراعة (Agreculural Adjustment Act-AAA)، وضع هدفاً له برفع مستوى الأسعار إلى ذلك المقدار بحيث يتم فيه استعادة ذلك التكافؤ أو التناسب بين ما يبيعه ويشتريه المزارعون من منتوجات، الذي كان موجوداً في مرحلة سابقة. واعتبرت المرحلة الممتدة من آب عام ١٩٠٤ حتى تموز عام ١٩١٤ كقاعدة لذلك.

أعطى القانون لوزير الزراعة نوعين من الصلاحيات. أولاً، كان يستطيع أن يلجأ إلى دفع جوائز نقدية إلى أولئك المزارعين الذين كانوا يوافقون بصورة طوعية على تقليص حجم الإنتاج، وكانت النقود اللازمة ذلك تأتي من الصندوق الذي تمَّ إنشاؤه من الضريبة التي فُرضت على التصنيع الأولي للمنتوج الزراعي، بموجب ذلك القانون. لقد أوجدت الإدارة المشكلة لتسوية أوضاع الزراعة، والتي كان رئيسها الأول ج. بيك، وهو مثل هـ.

جونسون كان صنيعة للمالي ب. باروخ، أوجدت هذا الجزء من البرنامج. ثانياً، كان الوزير يملك الحق في أن يدخل في اتفاقيات سوقية أو تسويقية مع أرباب العمل الذين يشتغلون بتصنيع المنتوج الزراعي ومع الجمعيات الزراعية من أجل تحقيق ظروف أكثر ملاءمة للأسعار والمزارعين.

تم تصوير عمليات تقليص المساحات الزراعية وإتلاف المنتوجات، كذراعين مفتاحيتين لتحقيق البرنامج المتعلق بتسوية الأوضاع الزراعية. وبالارتباط مع ذلك تم حرث ١٠,٥ مليون فدان من القطن، والقضاء على نحو ٦,٥ مليون خنزير، وكذلك جرت تصفية الكثير من المنتوجات الأخرى[1]. تم القيام بذلك، في الوقت الذي كانت تعاني فيه عشرات الملايين من الجوع، وكانوا حفاةً عراةً.

خلق قانون مساعدة المزارعين آلية لإعادة جدولة قروض المزارعين، وتخفيض الفائدة عن الديون الزراعية، وتطويل مدة إيفاء القرض. وانطلاقاً من أيار عام ١٩٣٣ إلى تشرين الأول عام ١٩٣٧ دفعت البنوك الزراعية الفدرالية إلى ٥٤٠ ألف مزارع قروضاً بمقدار ٢٢٠٠ مليون دولار. ولقد أخذت هذه البنوك على عاتقها تغطية ٣٧% من كل التزامات المزارعين بالقروض.

لكن كان على ٩٠% من المزارعين الذين حصلوا على هذه المبالغ أن يدفعوها لتسديد القروض، وليس للحاجات الإنتاجية، الأمر الذي يظهر بصورة جلية الاهتمام الكبير من قبل أصحاب البنوك بهذه العملية.

بالطبع، ساعدت أيضاً في تخفيف وضع المزارعين، لأنها عرقلت عملية خرابهم، وأنقصت حجم المدفوعات التي يجب دفعها نتيجة القروض بنحو ٧٠

---

(١) زولوتوخين ف.ب. المزارعون وواشنطن. موسكو، ١٩٦٨، ص ٨٠.

مليون دولار في العام[1]. وقد حصل المزارعون الأغنياء بنفس الوقت على جوائز نقدية كمكافأة على تقليص الأراضي الزراعية (في عامي ١٩٣٣-١٩٣٥ بمقدار ٩٦٦ مليون دولار)[2]، وحسّن هذا الأمر وضع المزارعين، لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن هذه الإعانات الحكومية استفاد منها مالكو المزارع الكبيرة بدرجة أكبر بكثير من مالكي المزارع المتوسطة والصغيرة، الذين لم يكونوا في وضع يسمح لهم باللجوء إلى المناورات الاقتصادية. ومع توقيع قانون الحفاظ على خصوبة التربة في ١ آذار عام ١٩٣٦ وحصة السوق الداخلية، افتتحت المرحلة الثانية للسياسة الزراعية في «النهج الجديد». بقي هدف الحكومة كالسابق - رفع أسعار منتوجات المزارع الكبيرة التي تذهب إلى السوق، بيد أن طريقة تحقيق ذلك قد تغيرت. خلق القانون الجديد ظروفاً للحصول على جوائز نقدية كمكافآت للمالكين، الذين وافقوا على سحب الأراضي التي استهلكت في الزراعة، واتخذوا إجراءات بتحسين التربة.

ولقد تم تجميع الأموال المخصصة للدفع لا عن طريق ضريبة خاصة، وإنما عن طريق مخصصات من الميزانية العامة. ولأجل ذلك تم صرف مبلغ ٥٠٠ مليون دولار. وبدءاً من عام ١٩٣٥ اشتد بعض الشيء العنصر الديمقراطي في السياسة الزراعية التي وضعت في تشريع عام ١٩٣٣، الأمر الذي وجد انعكاساً له في عدد من التدابير المتعلقة بتقديم المساعدة إلى الفئات الدنيا من المزارعين. لكن الخط الأساسي - دعم المزارع الكبيرة وتدخل الدولة في العلاقات الزراعية - استمر بالتطور في النصف الثاني من السنوات العشر. كان ذلك الأمر مثبتاً في قانون تنظيم الوضع الزراعي الذي

(١) FDR. Public Papers, 1934, vol., p. 182-183.

(٢) زولوتوخين ف.ب. المرجع السابق، ص ١٣٠.

تم توقيعه في ١٦ شباط عام ١٩٣٨، والذي فتح مرحلة مكتملة من مراحل السياسة الزراعية لـ «النهج الجديد».

لقد حقق قانون ١٩٣٨، خطوة كبيرة باتجاه تقوية الإرشادات الحكومية المُنَظِّمة لتوريد المنتوجات الزراعية الأساسية إلى السوق من خلال حفاظه على فكرة تحسين خصوبة الأرض. وقد أدخل قانون ١٩٣٨ نظرية «مخازن الحبوب الممتلئة دائماً» (Ever-Normal Granary)، التي وصل بموجبها دعم الأسعار خلافاً لمبادئ عام ١٩٣٣ ليس عن طريق إتلاف الفائض من المنتوج، وإنما بالمساعدة على الاحتفاظ به الذي كان يترافق مع مدفوعات للمزارعين لقاء بضائع لم تنتج بعد.

ساعدت عملية إضعاف أعباء الديون والإجراءات المتعلقة بدعم الأسعار في عملية عرقلة انهيار المزارع. وهبطت وتيرة الإفلاس في عام ١٩٣٩ بالمقارنة مع عام ١٩٣٢ بحدود ٧١%، وانخفضت الديون العقارية بحدود ٢ مليار دولار، ونمت المداخيل النقدية للمزارعين، بما في ذلك الجوائز المالية من الدولة التي زادت أيضاً من ٤,٧ مليار دولار عام ١٩٣٢، إلى ٨,٥ مليار دولار في عام ١٩٣٩. لكن تكافؤ الأسعار بقي بعيداً جداً عن مستوى ١٩٠٩-١٩١٤. لقد ارتفع في عام ١٩٣٦-١٩٣٧ إلى ٩٢-٩٣%، أما في عام ١٩٣٨-١٩٣٩، فقد انخفض من جديد إلى ٧٨% وإلى ٧٧%. ومن ثَمَّ لم يتم التغلب على الأزمة الزراعية.

وهكذا، فإن الحصيلة الرئيسية لتدابير «النهج الجديد» كانت موجهة نحو تدعيم مواقع المزارعين الأغنياء الكبار، ونحو تغلغل الرأسمال المالي اللاحق في الاقتصاد الزراعي، وتشكيل مبادئ الدولة الاحتكارية في توظيف هذا المجال المهم من المجالات الاقتصادية.

اقتنع الديمقراطيون، بعد أن استلموا مقاليد الإدارة في أيديهم، بصعوبة تنفيذ وعودهم الانتخابية حول تقليص النفقات الحكومية وموازنة الخزينة الفدرالية. وقد أقروا في آذار عام ١٩٣٣ قانوناً متعلقاً بدعم اعتماد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، المشهور بصورة أكبر، كقانون حول التوفير. بيد أن هذا العمل الرمزي تنافر بصورة حادة مع الأسس الثابتة لسياسة «النهج الجديد» الاقتصادية، المسترشدة بمبدأ «تزويد المضخة بالوقود»، أي الهادفة لتوسيع النفقات الحكومية في سبيل تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية محددة. لقد وجدت الحكومة والاقتصاديون الذين يدعمونها صيغة تعليلية، والتي بموجبها ستكون الميزانية الفدرالية «طبيعية» و«منتظمة» وبحالة متوازنة، إذا لم يظهر وضع مأزوم بصورة غير عادية، ويتطلب رفع للنفقات.

كانت السياسة الاقتصادية لـ «النهج الجديد» تتميز بالتناقض بين الممارسة الواقعية للعجز وميل المستثمرين الجدد لقوانين الميزانية المتوازنة. في المرحلة الأولى من «النهج الجديد» - في عام ١٩٣٣ -١٩٣٤، كان أنصار الميزانية الواقعة في حالة عجز قلائل بصورة عامة. وقد نظر ر. مدلي، وا. بيرلي، وهـ. جونسون، وغ. ووليس، وغ. جنتاو، ور. تاكفيل، وغ. مينز، إلى العجز بصورة سلبية، ومع ذلك فإن نظراتهم السياسية كانت تختلف بصورة جادة بعضها عن بعض. لكن الأزمة أثرت على موقفهم تجاه هذه المسألة. وفي المرحلة الثانية لـ «النهج الجديد»، الذي بدأ في عام ١٩٣٥، ارتفع ثقل أنصار العجز في الدائرة المحيطة بـ روزفلت، وكان رئيس المجلس الإداري في منظمة الاحتياط الفدرالية م. اكليس ومستشارو الرئيس ب. كورين، ول. كيري، ول. هندرسون هم السبّاقين في ذلك. ولقد تلقوا دعماً له وزن من جانب الاقتصادي الإنكليزي الشهير جون م. كينز، الذي ارتفعت سمعته كثيراً في أعين البرجوازية العالمية.

وضع الاقتصاد السياسي الكينزي الذي كان يعكس اشتداد النزعة الاحتكارية للدولة في تطور الرأسمالية في العصر الحديث، في المكان الأول مسألة تدخل الدولة في الاقتصاد، أما العجز في الميزانية فقد نظر إليه كحافز للنمو. ولقد اتبعت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية هذا النهج بدرجة كبيرة منذ عام ١٩٣٣، على الرغم من أن نشاط هذه الأوساط لم يكن مرتبطاً بالضرورة قطّ بدراسة الكينزية، وبالأخص، أن العمل الأساسي لكينز صدر في عام ١٩٣٦ فقط[١].

كانت المصالح السياسية الآنية للمستثمرين الجدد هي التي تقودهم. أما ما يتعلق بفكرة ازدياد دور الدولة في الاقتصاد، فإنها حتى دون تأثير ج. كينز حصلت على انتشار واسع في الولايات المتحدة الأمريكية تحت ضربات الأزمة.

لكن إذا كانت الولايات المتحدة استوعبت مبادئ تنظيم الدولة للاقتصاد دون كينز، فإن نظرية عجز التمويل، قد ملكت ولو بصعوبة عقول الاقتصاديين الأمريكان والشخصيات السياسية بتأثيره المباشر.

وعلى الرغم من انتشار الآراء الكينزية في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الثلاثينيات[٢]، فإن مدرسة الفكر الاقتصادي هذه احتلت موقفاً متيناً في البلاد بعد الحرب العالمية الثانية فقط. ويعود الدور الأبرز لتعميم الكينزية في النظرية الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أي. هانسين، الملقب بـ «كينز الأمريكي».

---

(١) كينز ج.م. النظرية العامة للمشغولية، والفائدة والنقود. موسكو، ١٩٧٨.

(٢) كريدر ا. ا. كينز والبرجوازية الأمريكية. الفكر الاقتصادي في أعوام الثلاثينيات من القرن العشرين – في كتاب: التاريخ الحديث والمعاصر. ساراتوف، ١٩٧٧، الإصدار ٣.

إن كينز وأمريكا الرأسمالية ربطا مصيرهما بصورة وثيقة. ففي أيار عام ١٩٣٤، وبعد حصوله على لقب العالم الفخري في جامعة كولومبيا، زار الاقتصادي الإنكليزي الرئيس ف. روزفلت، ونشرت صحيفة الـ «نيويورك تايمز» مقالة كينز حول «النهج الجديد»، ويتلخص محتواها بالدعوة لزيادة النفقات الحكومية بصورة شجاعة، مع التحرر من الهلع تجاه العجز، لأن «النظام القديم أصبح من الماضي»[١].

وعندما حلت أزمة جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٧، وجه كينز رسالة إلى ف. روزفلت في ١ شباط عام ١٩٣٨ يقترح فيها زيادة واسعة في نفقات الدولة تكون بمنزلة إجراء أكثر واقعية مضاد للأزمة. ودون أن يخجل من تعابيره، وجه ج. م. كينز نقداً حاداً لسياسة الإدارة «الفاسدة»، التي أظهرت تذبذباً في هذه المسائل. أمر روزفلت بالرد عليه بصورة جافة، الأمر الذي قام به وزير المالية غ. مورغين تاو برضاً كبير[٢].

بيد أنه سرعان ما تبين، أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تعاني عائقاً في الإنتاج فقط، وإنما كانت تعاني أزمة اقتصادية حقيقية. إذ انخفض رقم الإنتاج الصناعي في عام ١٩٣٨ بـ ١٤ نقطة بالنسبة لمستوى العام السابق. ولدى ذلك فإن أزمة ١٩٣٧-١٩٣٨ أصابت الاقتصاد الذي لم يكن يعيش نهوضاً بعد الهزة العميقة لأعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، والذي ظل في حالة كساد متواصل، زد على ذلك أن الأزمة حلت بصورة مفاجئة، بالنسبة للأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تعتقد وتؤمن بالقوة العجيبة لتنظيم اقتصاد «دون أزمات».

---

(١) New York Times, 1934, June 10.

(٢) Blum J. Op, vol. cit., vol. 1, p. 402-403.

عندما أعطت البورصة إشارات متتالية بصوت عال حول الكارثة ذهب الرئيس لاتخاذ تلك التدابير، التي تطابقت بصورة مدهشة مع وصفة تمويل العجز. لقد اقترح البيت الأبيض في توصياته المهمة إلى الكونغرس والتي صاغها في ١٤ نيسان عام ١٩٣٨، زيادة الاعتمادات لمساعدة العاطلين عن العمل، وتسهيل إمكانية الحصول على قروض وتحقيق زيادة عامة في النفقات الحكومية. وحتى في «محادثة عند المدفأة» تلت ذلك أعلن ف. روزفلت أن التقليص المتهور للاعتمادات الحكومية الهادفة للنضال ضد عواقب الأزمة، الذي اتبع في عام ١٩٣٦-١٩٣٧، شكل أحد الأسباب الأساسية للتهور الاقتصادي في عام ١٩٣٧-١٩٣٨.

٣- السياسة الاجتماعية

إن تكون نزعات الدولة الاحتكارية في الاقتصاد، شكل جانباً واحداً فقط من جوانب «النهج الجديد». كانت تكمن ميزته الأخرى في موقف الدولة تجاه حل المشاكل الاجتماعية. لقد حمل النظر للدولة كأساس في التطور الاجتماعي بهذا الإطار طابعاً ليبرالياً بشكل معبر أكثر مما هو في الاقتصاد، يقتضي مناورات اجتماعية واسعة وعميقة، مع الأخذ بالحسبان عدد من مطالب الجماهير الشعبية الملحة.

إن ما كان يقلق الحكومة أكثر من أي شيء هي مشكلة البطالة. فحسب المعطيات الرسمية في عام ١٩٣٣ كان عدد العاطلين عن العمل ١٣ مليون شخص. إن عدد العاطلين عن العمل الذي انخفض في عام ١٩٣٧ إلى ٧,٧ ملايين، قفز من جديد في عام ١٩٣٨، وأصبح تعداد من هم خارج العمل يصل إلى ١٠,٤ ملايين.

وبجميع الأحوال، فإن عدد العاطلين عن العمل في جميع هذه السنوات كان أكبر بصورة ملموسة[1]. لم تقم حكومة روزفلت بحل هذه المشكلة، ولكنها عملت عملاً كبيراً من أجل إنشاء مؤسسات حكومية فاعلة بصورة دائمة، هادفة بصورة وظيفية واجتماعية لحلها. كانت سرعة تبدل التدابير المشوشة في هذا المجال تشمل برنامج تنظيم الاقتصاد كوسيلة أساسية للتغلب على البطالة، وكمساعدة مباشرة للعاطلين عن العمل، على شكل إعانات نقدية، وتنظيم الأعمال الاجتماعية الممولة من الدولة، وإدخال منظومة التأمينات الاجتماعية المتعلقة بالبطالة والتقاعد.

وافقت إدارة روزفلت في ١٢ أيار عام ١٩٣٣ على قانون حول اعتماد ٥٠٠ مليون دولار لتقديم المساعدة للعاطلين عن العمل. عُيِّنَ هـ. هوبكينز رئيساً للإدارة الفدرالية المختصة بتقديم المساعدة الطارئة. كان عليه أن يلعب دوراً مهماً في تحقيق البرنامج الاجتماعي لـ «النهج الجديد». وبالجملة فإن الحكومة أنفقت على مساعدة العاطلين عن العمل أكثر من ٤ مليارات دولار[2].

بيد أن العاطلين عن العمل لم يعطوا الأفضلية بالصدقات النقدية في العمل الاجتماعي. لقد اختارت الحكومة الشبيبة كموضوع أولي لتقديم تلك المساعدة، مفترضة دون أساس أن في هذه الفئة من السكان بالذات يكمن خطر التفجر. وبدءاً من نيسان عام ١٩٣٣ أنشئت منظومة المعسكرات الغابية لأجل العاطلين عن العمل من الشبيبة، إذ كانوا يتكفلون بنفقاتهم كاملة خلال

---

(١) اعتبرت وزيرة العمل ف. بيركينز أن عدد العاطلين في عام ١٩٣٣ على سبيل المثال كان يتأرجح بين ١٣،٣ ملايين و ١٧،٩ مليون.

(٢) مالكوف ف. ل. هاري هوبكينز – صفحات من السيرة الذاتية – التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٧٩، الرقم ٢-٤.

ستة أشهر، مع تقديم مبلغ ٣٠ دولاراً في الشهر لكل شاب، على أن يلتزم كل منهم إرسال ٢٥ دولاراً منها إلى أسرته.

وخلال أعوام ١٩٣٣-١٩٣٩ شارك في هذه المعسكرات مليونا شخص تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة[١].

إن تنظيم الأعمال الاجتماعية اتخذ بعداً واسعاً، بعد توقيع القانون حول تجديد الصناعة، الذي تمَّ بموجبه اعتماد ٣٣٠٠ مليون دولار لهذه الأهداف[٢]. وشُكلت لهذا الغرض إدارة خاصة تشرف على أعمال البناء. وقد ترأسها وزير الداخلية غ. إيكس. لم تكن هذه الإدارة الخاصة ملزمة بتجنيد القوة العاملة من أعداد العاطلين فقط. ومن ثمَّ أُكِّدَ على أنها مكلَّفة بتحقيق نهج «تزويد المضخة بالوقود». لقد عملت على بناء مشاريع ضخمة إلى درجة محددة، وهذا الأمر جعلها متثاقلة في مجال تقديم المساعدة العاجلة للعاطلين عن العمل. وقد سعى غ. إيكس للبرهنة على أن النقود المودعة لديه لن تصرف عبثاً، وذلك استجابة لهجمات اليمين. لكن ظروف الأزمة، واستمرار المستوى العالي للبطالة، كل ذلك كان يملي التوجه نحو تدابير أكبر متعلقة بـ «النفقات».

كان على الحكومة أن تباشر في شتاء عام ١٩٣٣-١٩٣٤ بالقيام بأعمال اجتماعية، لا تتطلب نفقات رساميل كبيرة، ويمكن تنظيمها في أي مكان، وذلك كله تحت تأثير الأوضاع الطارئة.

كان الهدف من هذه الأعمال يكمن في إشغال العاطلين بشيء ما وإضعاف التوتر الاجتماعي. أنشأ ف. روزفلت إدارة الأعمال المدنية

---

(١) Grossman J. The Department of Labor, N.Y., 1973, p. 33.

(٢) EDR. Public Papers, 1934, vol. 1, p. 250.

(Civil Works Administration – CBA) ووضعها تحت قيادة هـ. هوبكينز. التي أنفقت خلال ٤,٥ شهراً من وجودها ٩٣٣ مليون دولار. وفي منتصف كانون الثاني عام ١٩٣٤ كان يعمل في مشاريعها ٤,٣ مليون شخص[١]. وفي عام ١٩٣٥ تمَّ إنشاء منظمة (Works Progress Administration)، ورُصد لها مبلغ ٤,٩ مليار دولار. وفي عام ١٩٣٦-١٩٣٧، وبعد أن استوثق البيت الأبيض والكابيتول من حالة الأسواق أقدما على تخفيض النفقات الاجتماعية. بيد أنهما وتحت ضربات الأزمة الاقتصادية كان عليهما في عام ١٩٣٧-١٩٣٨ أن يذهبا إلى زيادتها من جديد. وبصورة عامة جُند خلال سنوات أداء هذه المنظمة للعمل في مشاريعها ٨.٥ ملايين شخص. وقد بلغت الذروة العليا من العمالة في هذه المنظمة في تشرين الثاني عام ١٩٣٨، إذ كان يعمل تحت رعايتها ٣٣٣٥ ألف عامل. وقد أنفقت هذه المنظمة خلال وجودها مبلغ ١٠,٨ مليارات دولار[٢]. كان أحد أهم الأعمال في السياسة الداخلية لـ «النهج الجديد» هو إنشاء منظومة الضمان الاجتماعي، التي حظيت بتطور لاحق فيما بعد. وقد نظر القانون الذي صدر في آب عام ١٩٣٥[٣] في نوعين من التأمينات - تأمينات الشيخوخة والعطالة عن العمل.

إن الميزات العامة لكلا النوعين من التأمينات كانت تكمن في إلغاء مفعول القانون المتعلق بفئات كبرى من الكادحين (العمال الزراعيين، وخدم المنازل، والمستخدمين الحكوميين وغيرهم)، والمستوى المنخفض لمبالغ التأمين، والكثير من الشروط المفروضة على حق الحصول على المساعدة. لكن هناك

---

(١) Ibid., p. 456-459.

(٢) F. Holmes to D. Delman, Sept. 2, 1944 – R. Wagner Papers, Box 326. New Deal Agencies, p. 1.

(٣) Documents of American History, vol. 2, p. 505-514.

فوارق مهمة أيضاً. إن تأمينات التقاعد كانت مغطاة بالكامل من البرنامج الفدرالي. لقد تمَّ إنشاء الصناديق على حساب الضرائب وأرباب العمل، وكذلك العمال والمستخدمين بحدود ١% من الأجرة بدءاً من عام ١٩٣٧ وإيصالها إلى ٣% حتى بداية عام ١٩٤٩ [1]. وفي أعوام ١٩٣٧-١٩٥٠ شملت هذه الضريبة جزءاً من أجرة كل عامل (الـ ٣٠٠٠ دولار الأولى في العام) وطبقاً لذلك كانت تجبى من كل مستأجر للقوة العاملة حصة مماثلة لصندوق الأجرة العام. ومن هذه الأموال تمَّ إنشاء صندوق التقاعد المستقل ذاتياً. ولقد حدد القانون الحد الأقصى للتقاعد - لا يزيد على ٨٥ دولاراً في الشهر. واشتُرط على مستحقي هذه المعونة أن يكونوا مواطنين خاضعين للتأمينات، وأن يكونوا قد بلغوا سن الـ ٦٥ عاماً، ولكن قبل ١ كانون الثاني عام ١٩٤٢.

بنيت تأمينات البطالة على المستوى الفدرالي - والولايات. إذ قضى القانون بفرض الضرائب العامة التي شملت أرباب العمل، الذين كانوا يستخدمون ٨ عمال وأكثر.

وحُددت الضريبة بمستوى ١% في عام ١٩٣٦، مع زيادة تصل إلى ٣% بدءاً من عام ١٩٣٨. ولقد دفعها أرباب العمل - عن الـ ٣٠٠٠ دولار الأولى من الأجرة السنوية لكل عامل فقط. إن هذه الأموال كانت تذهب إلى صندوق خاص يتم حفظه في وزارة المالية. وبذلك فإن القسم الفدرالي من آلية التأمينات المتعلقة بالبطالة قد تم إقفاله. لقد تمَّ تحديد دائرة المستحقين، ومبالغ ومواعيد الدفع من قبل تشريع الولايات. إذ أقرّت كل الولايات القوانين اللازمة لذلك

---

(١) الضريبة الفعلية بقيت حتى عام ١٩٥٠ بمستوى ١% لأن العمالة المرتفعة في أعوام الأربعينيات سمحت بعدم زيادتها.

لغاية ٣٠ حزيران عام ١٩٣٧[1]، وأصبحت القوانين المتعلقة بالبطالة في العام الذي تلا سارية المفعول في كل مكان. وكان يتم تسديد المعونة بصورة متوسطة كل ٩,٤ أسبوع وتصل إلى ١١ دولار، بحيث تشكل ٣٦,٦% من الأجرة.

وتحت ضربات الأزمة في عام ١٩٣٧-١٩٣٨ جرت تعديلات على قانون ١٩٣٥. وتمَّ نقل تاريخ بدء المدفوعات التقاعدية إلى ١ كانون الثاني عام ١٩٤٠ وعمموا حق الحصول عليها على المعالين أيضاً في حال موت المتقاعد. وفي عام ١٩٤٠ خطت إدارة التأمينات الاجتماعية الشيكات الأولى لـ ١٤ ألف متقاعد. وبلغ مقدار المعونة المقدمة بصورة وسطية ٢٢,١ دولار في الشهر.

أرست إصلاحات «النهج الجديد» قاعدة تنظيم الدولة الحديث لظروف العمل والعلاقات المتبادلة بين العمال المنظمين وأرباب العمل. والتي جُسِّدت في البداية في المادة السابعة من القانون المتعلق بتجديد الصناعة، وبعد ذلك صيغت بصورة محكمة ومفصلة في عدد من القوانين الخاصة. كانت المادة السابعة من قانون تجديد الصناعة تنص بصيغة عامة على حق العمال بإنشاء النقابات، وألزمت أرباب العمل بـ «مراعاة ديمومة مدة العمل بالحد الأقصى، وبالحد الأدنى من الأجر، وغير ذلك من شروط العمل المقرة أو الموقع عليها من قبل الرئيس». وثُبِّت كل ذلك في «قوانين المنافسة النزيهة». كان تنظيم شروط العمل يتم من قبل «الاتفاقية الرئاسية حول استعادة العمالة» النموذجية المنشورة في ٢٧ تموز عام ١٩٣٣. إذ تنص الاتفاقية على أن أسبوع العمل يجب أن لا يزيد على ٣٥ ساعة، لكنهم وضعوا استثناء اقتُرح فيه دفع ٤٠ سنت في الساعة، بشرط أن أجرة العامل

(١) Us. Department of Labor. Growth of Labor Law in the United States, Wash., 1967, p. 276.

إياه في ١٥ تموز عام ١٩٢٩ كانت لا تقل عن هذا المستوى. وبالنسبة للحد الأدنى للأجرة تم ذكر ٣٠ سنت. لقد وقع هذه الاتفاقية أرباب العمل الذين يستخدمون ١٦,٣ مليون عامل.

أقر روزفلت أول قانون دائم في ٩ تموز عام ١٩٣٣. حدد فيه مقاييس العمل في صناعة النسيج، بعد أن حل مسألة الأجرة الأكثر انخفاضاً في الجنوب. لم يأخذ أرباب العمل بالقوانين اللاحقة كمرتكز لهم «الاتفاقية الرئاسية»، وإنما المعايير الأقل ملاءمةً للعمال، والموثقة في قانون - النسيج - الأول. شملت هذه القوانين بصورة عامة ما مقداره ٢٢,٥ مليون عامل. لم يتخط أسبوع العمل في ١٣ قانون فقط، من القوانين التي أوصى بها الرئيس ٣٥ ساعة. لقد حددت القوانين أجور عمل منخفضة في ولايات الجنوب. ولم يكن العمال يملكون كقاعدة أي صوت عند وضع القوانين، كذلك فإن تلك الأوضاع التي بدت أنها ملائمة للكادحين، لم تكن تتحقق غالباً، لأنه لم تكن هناك وسائل فعالة من أجل تجسيدها في الحياة. إن تصفية قانون تجديد الصناعة في أيار عام ١٩٣٥، أوقفت العملية المباشرة لتنظيم شروط العمل من قبل الحكومة الفدرالية. ولكن تمت الموافقة عام ١٩٣٦ على قانون وولش - هيل حول إقرار الحد الأعلى لطول أسبوع العمل، والحد الأدنى للأجرة بالنسبة للعمال، الذين يعملون في المصانع، والذين ينفذون طلبات الحكومة الفدرالية. ومن ذلك الوقت فصاعداً كانت كل العقود التي تزيد على ١٠ آلاف دولار تحتوي على نقاط متعلقة بموافقة المتعهد على التمسك بمستوى الأجر، المحدد من قبل وزارة العمل، ودفع أجرة ساعة ونصف عن كل ساعة عمل فوق النصاب المحدد، أي ٤٠ ساعة في الأسبوع، وعدم استخدام المراهقين الذين يقل عمرهم عن ١٦ عاماً، والنساء عن ١٨ عاماً، وكذلك عدم استخدام عمل المعتقلين.

وفي عام ١٩٣٧ انتشرت الدعاية من أجل إقرار قانون مماثل يعمم على جميع المؤسسات الخاصة المرتبطة بالتجارة الدولية.

ولقد وقع ف. روزفلت في حزيران عام ١٩٣٨ قانوناً حول ظروف العمل العادلة، تمَّ فيه إقرار الحد الأدنى للأجر بمقدار: ٢٥ سنت في الساعة، وإيصاله إلى ٤٠ سنت في عام ١٩٤٥. لم يفرض القانون بصورة صارمة الحد الأعلى لطول مدة العمل في الأسبوع، وإنما اكتفى بإدراج قيمة ساعة ونصف عن كل ساعة عمل تتخطى الـ ٤٤ ساعة في الأسبوع، وفيما بعد ٤٢ ساعة، وبدءاً من تشرين الأول عام ١٩٤٠ – ٤٠ ساعة في الأسبوع. وتم تنظيم استخدام عمل الأطفال أيضاً. كما تمت الإشارة في أن «توضيحات قانون ١٩٣٨ حول الشروط العادلة للعمل» الرسمية، وتحت تأثير أحكامه. لم تشمل العمال الزراعيين، والبحارة، وعمال النقل، وقسم من عمال الطباعة، والعمال والمستخدمين في تجارة التجزئة، وصناعة المعلبات الغذائية، وصيادي السمك وعدد آخر من فئات الشغيلة. وفي التقرير المقدم في كانون الأول عام ١٩٣٨ من قبل الواضع الأول للقانون المتعلق بالظروف العادلة للعمل، تمت الإشارة إلى أن القانون يطبق فقط على ١١ مليون عامل ومستخدم.

نصَّت المادة السابعة من قانون تجديد الصناعة على بعض الحقوق النقابية، لكن هذا الإعلان لم يتم دعمه بأية إجراءات إدارية، وإنما على العكس، فقد أعلن الجنرال هـ. جونسون في ١٩ حزيران عام ١٩٣٣ أن شروط العمل المقرَّة في القوانين، لم يكن من الواجب وضعها عن طريق الاتفاق الجماعي. وتمت الإشارة إلى أن المادة السابعة من قانون تجديد الصناعة لا يمنع حتماً نشاط الاتحادات التعاونية، إذا انتسب إليها العمال «دون أي إجبار من طرف المالكين،

ويحق للطرف الأخير أن يعقد اتفاقات فردية مع العمال»[1]. لقد مارس إقرار قانون تجديد الصناعة تأثيراً معروفاً فيما يتعلق بالتحول إلى اليونيونية «حركة عمالية اقتصر نشاطها على المطالب الاقتصادية»، ولكن الاتحادات التعاونية ازدادت قوة في الوقت نفسه أيضاً. إذ بلغ عدد الأعضاء في الاتحادات التعاونية ٢٦٠٠ ألف شخص في زمن هذا القانون. وطالب العمال بتدابير صارمة في الدفاع عن الحق في التنظيم والاتفاق الجماعي، ورفض مماثلة النقابات مع الاتحادات التعاونية. وقد تمكن العمال من الحصول على صبغة شرعية لـ «قاعدة الأكثرية» التي تمتلك بمقتضاها المنظمة المعترف بأنها تضم أكثرية العمال، في وحدة ما، الحق في أن تمثل جميع من يعمل في حدودها.

تم تثبيت ذلك في قانون علاقات العمل المعروف باسم قانون فاغنر، الذي وقعه ف. روزلفت في ٥ تموز عام ١٩٣٥[2]. ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية يتم الإعلان عن الحقوق النقابية ويدافع عنها من قبل الهيئة الحكومية، التي تملك السلطة الفعلية.

إن الفكرة المحورية في هذا القانون هي سعي زعماء «النهج الجديد» للتضييق على أساس النزاعات الطبقية، من خلال الاعتراف بمبدأ تنظيم الدولة للاتفاقيات الجماعية بأفضل نموذج من نماذج علاقات العمل، ومن خلال التأكيد على عدم الرغبة في حدوث الإضرابات، على الرغم من أن المادة ١٣ تنص على أن القانون لا يقلل أبداً من الحق في الإضراب. كانت الحقوق

(١) Gross J. The Making of the National Labor Relation Board (1933-1937). Athany, 1974, p. 13-14.

(٢) نص القانون: Cases and Materials on Labor Law/Ed. By M. Handler, p. Hays st. Paul, 1944. P. 719-729.

النقابية مذكورة بصورة خاصة في المادة السابعة. وفي المادة الثامنة تمت تسمية خمسة أنواع من «الممارسات غير العادلة تجاه العمال» من قبل أرباب العمل. لقد مُنع أرباب العمل من التدخل في ممارسة العمال لحقوقهم المذكورة في المادة السابعة، بأي شكل من الأشكال، بما في ذلك التمويل، والمشاركة في إنشاء المنظمات العمالية والإشراف عليها (منع الاتحادات الجماعية)، واتخاذ تدابير تمييزية ضد أعضاء النقابات (بالرغم من إقرار ممارسة «الورشة المغلقة»، إذ كان المستأجر يُلزم بأخذ أعضاء النقابات فقط إلى العمل)، وطرد أو اضطهاد العامل بسبب أنه قدم شكوى أو أعطى شهادة حسب ما جاء في هذا القانون، ويمنع رب العمل من قيادة المفاوضات الجماعية مع ممثلي العمال المنتخبين كما هو متبع. ومن أجل التحقيق في شكاوى النقابات والعمال تجاه «الممارسة غير العادلة تجاههم» من قبل أرباب العمل ووضع حد لها، تم إنشاء إدارة وطنية مختصة بعلاقات العمل، لها الحق في إصدار أوامر يجب تنفيذها، دون الأخذ بعين الاعتبار القرارات السلبية التي كان يمكن أن تتخذها محكمة الاستئناف في المقاطعة بالنسبة للإدارة الوطنية المختصة بعلاقات العمل المقرة من قبل المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا، اعتبرت الإدارة الوطنية المختصة بعلاقات العمل هيئة قضائية، غير خاضعة للقوانين التي يمكن أن تصدر العقوبات.

الوظيفة الأساسية الثانية للإدارة الوطنية المختصة بعلاقات العمل تمثلت في إجراء الانتخابات لممثلي العمال، من أجل المفاوضات الجماعية. كانت تصدق بصورة رسمية على الممثل المنتخب من قبل الأكثرية، أي النقابات، «كممثل استثنائي لجميع العمال»، ومن ثمَّ من خلال إدخال مبدأ الانتخابات في ممارسة علاقات العمل، الذي ناضلت النقابات في سبيله.

اعتبر إقرار قانون فاغنر هو نتيجة لنهوض الحركة العمالية في أواسط الثلاثينيات. لقد غير بصورة ملموسة المظهر الحقوقي لعلاقات العمل باتجاه الدمقرطة. إن التوسيع الراديكالي لاعتمادات الأعمال الاجتماعية، وإدخال التأمينات الاجتماعية كل ذلك كان يشهد على أنه جرى تحرك نحو اليسار في الممارسة الاجتماعية لـ «النهج الجديد».

لم تشمل السياسة الاجتماعية لـ «النهج الجديد» بتأثيرها العمال والمزارعين فقط، بل إنها ذهبت لملاقاة الفئات الوسطى في المدينة، وكذلك فئة المثقفين، هادفة في ذلك إلى الحفاظ على هذه الفئات من السكان في أطر القيم التقليدية المحددة بعض الشيء، والحيلولة دون انجذابها إلى الأفكار الثورية.

لم يفض «النهج الجديد» إلى تغييرات إيجابية ملحوظة في وضع الزنوج، وكم كان عادلاً المؤرخ ب. برنشتاين، عندما لاحظ أن «النهج الجديد» قد أبقى العلاقات العرقية في أمريكا محصنة[1]. فإذا كان تعداد الزنوج المسجلين في قوائم الذين يحصلون على إعانة في تشرين الأول عام ١٩٣٣ نحو ٢١١٧ ألف زنجي (١٧,٨% من السكان الزنوج)، فإنه في بداية عام ١٩٣٥ بلغ ٣٥٠٠ ألف (٢٩%)[2]. تتحدث هذه الأرقام أيضاً عن درجة إصابات الزنوج بالفقر، وعن أن حكومة روزفلت كانت تسعى عن طريق الأعمال الخيرية لجذبهم إلى جانب الحزب الديمقراطي.

---

(١) Towards a New Past. Dissenting Essays in American History/Ed. By B. Bernstein. N.Y., 1969, p. 279.

(٢) A Documentary History of the Negro People in the United States: vol. 1-3/Ed. By H. Aptheuer. N.Y., 1951-1974, vol. 3, p. 168.

لقد ظهر ضعف «النهج الجديد» في القضية الزنجية بصورة جلية في المسألة المتعلقة بالقوانين ضد القصاص العرقي (القتل دون محاكمة). إذ ازداد عدد حالات «الأحكام العرقية» في سنوات «النهج الجديد».

صاغت الجمعية الوطنية لدعم تقدم السكان الملونين في نهاية عام ١٩٣٣ مشروع قانون حول معاقبة الأشخاص المسؤولين، الذين لا يأخذون التدابير المناسبة لوضع حد للاقتصاص العرقي وتحميل مرتكبيه المسؤولية. تم تقديم هذا المشروع إلى مجلس الشيوخ من قبل ر. فاغنر، واي. كوستيفان. واستمرت ملحمة مشروع القانون حتى عام ١٩٤٠. وتم إقراره في ١٠ كانون الثاني من قبل غرفة النواب، بيد أن مجلس الشيوخ قام برفضه.

لم يفصح ف. روزفلت عن رأيه خلال هذه المدة من الزمن حول «دعمه» مستنداً في الأحاديث غير الرسمية إلى ضرورة المحافظة على الجناح الجنوبي للحزب في الجبهة العامة لـ «النهج الجديد»، وعلى تمكين «الوحدة الوطنية» لصالح النضال ضد الفاشية العالمية بعد ذلك. لقد وجد الليبراليون الروزفلتيون بسهولة مدهشة الحجج لتبرئة خمولهم في المسألة العرقية أخلاقياً وسياسياً. كان يمنعهم دائماً شيء ما من الوقوف ضد التمييز. كان هذا «الشيء الـ ما» يعبر عن الجوهر البرجوازي الطبقي لهم، وعن خشيتهم من تهديد العنصرية المتجذرة عميقاً. لم تكن حكومة ف. روزفلت ترى أية مشكلة زنجية بصورة عامة في الشمال، أما في الجنوب فإنها اتكلت على التحسن الآلي في أوضاع الزنوج نتيجة التحولات الاقتصادية في هذا الإقليم، وكذلك في المنشآت الحكومية المائية بعد إنشاء إدارة مشاريع البناء في وادي نهر تينيسي.

وفي حزيران عام ١٩٣٨ عُقد مؤتمر تمَّ في ندائه تسمية الجنوب بـ «المشكلة الاقتصادية رقم ١». عبرت لجنة دراسة الجنوب عن تأييدها لحل هذه المشكلة المعقدة بمشاركة الحكومة الفدرالية. لم تعقب التقرير تدابير مباشرة حول الوضع في الجنوب.

٤ - الصراع الحزبي - السياسي

دعت إصلاحات «النهج الجديد» إلى تغييرات في الأداء الوظيفي لمؤسسات السلطة الحكومية ونظام الحزبين. وتمَّت التغيرات في سياق عملية الصراع الطبقي والسياسي الحاد.

لذلك شكل «النهج الجديد» أحد المراحل العاصفة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. لقد اتُّخذت القوانين بسرعة، ودون مناقشة في الكثير من الأحيان في الـ «مئة يوم» العصيبة من عمل الدورة الطارئة الـ ٧٣ للكونغرس (٩ آذار - ١٦ حزيران عام ١٩٣٣). في غضون ذلك سرعان ما برزت التناقضات وعدم الفاعلية، حسب رأي عدد من ممثلي أوساط العمل، والوسط الإصلاحي الاقتصادي والاجتماعي في إدارة روزفلت. لذلك بدأت تتصاعد مقاومة التقليديين الذي كانوا مضطرين للمهادنة مع الأفعال المستعجلة لـ «الأيام المئة». وقد شكل نهوض الحركة العمالية والديمقراطية، الذي كان عاملاً مهماً في تحرك «النهج الجديد» إلى اليسار، عنصراً مهماً لعب دوراً كبيراً مسرِّعاً وفعالاً في عملية الصراع الفكري - السياسي داخل الطبقة المسيطرة، التي ازدادت لديها القناعة، أن المضاربين «يتغاضون عن السود». وقد أعاق ذلك العلاقة السلبية لجزء مهم من عالم الأعمال تجاه التدابير المنظمة في مجال الاقتصاد. إذ أعلنت أوساط رجال الأعمال بصوت عال أنها تنوء بثقل الانتقاص في صلاحيات أرباب العمل.

إلا أن انتخابات عام ١٩٣٤ أظهرت أن قسماً مهماً من المجتمع الأمريكي قد اعترف ببرنامج «النهج الجديد». وأيد الناخبون إصلاحات إدارة روزفلت. وزاد عدد الديمقراطيين في مجلس الشيوخ من ٦٠ إلى ٦٩، وفي غرفة النواب - من ٣٠٩ إلى ٣٢٢. إن تناسب القوى المتحسن لصالح الديمقراطيين في الهيئة التشريعية العليا قوض آمال خصوم «النهج الجديد» في إمكانية إيقاف خطوة الإصلاحات بمساعدة الناخبين.

جمع مرشح الجمهوريين حاكم ولاية كانزاس ا. ليندون في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٣٦، ١٦,٨ مليون صوت، أما ف. د. روزفلت فبلغ عدد أصواته ٢٧,٧ مليون صوت. تراجعت كتلة الجمهوريين في غرفة النواب وفي مجلس الشيوخ، وتغير تناسب القوى بين الحزبين في الكونغرس.

احتلت مركز الصدارة في نظام هيئات السلطة الحكومية منذ بداية «النهج الجديد» الجوانب التنفيذية والتشريعية، وذلك من خلال إبعاد مزاحمة السلك القضائي (ولا سيما بفضل عدم إحداث أي تغيير في سلك القضاء) الذي كانت تسيطر فيه العقائد الرجعية لمذهب الفردية على مسألة التناسب بين المبادئ الحكومية والخاصة في كل بنية المجتمع الأمريكي. كان الميول في المحكمة العليا تصب في صالح الأربعة الرجعيين - أو. فان ديفانتر، و د. ماكرينولدز، وب. باتلر ود. روبيرتز، وكان ينضم إليهم غالباً أو. روبيرت ورئيس المحكمة تش. هيوز. ولقد بقي الليبراليان ل. برانديز وهـ. ستون أقلية بصورة ثابتة، في أية محاولة للبحث الحازم المتعلق بالدستور. وفيما يتعلق بعلاقة المحكمة العليا تجاه تشريع «النهج الجديد» يمكن تمييز ثلاث مراحل: عام ١٩٣٣-١٩٣٤ - عام التريث، عام ١٩٣٥-١٩٣٦ - النشاط المحموم وإلغاء عدد من القوانين المهمة، ومن عام ١٩٣٧ - المصادقة القسرية على التشريع الاجتماعي الأساسي.

لقد بقي موقف المحكمة العليا لغزاً حتى نهاية عام ١٩٣٤. كانت سلبيته تُفسَّر أيضاً بغموض علاقة القضاة التسعة بإصلاحات «النهج الجديد». لقد تمَّ طرح أول قرار إدانة معلن للمحكمة العليا موجه لـ «النهج الجديد» في ٧ كانون الثاني عام ١٩٣٥. وتمَّ فيه الإعلان بعدم دستورية المادة السابعة من القانون المتعلق بتجديد الصناعة، الذي يحظر نقل النفط بين الولايات، والحصول على حصص أكثر مما هو مقرر. إن القرار البسيط من وجهة النظر الاقتصادية كان هاماً كظاهرة حقوقية. ولقد فهم البيت الأبيض ذلك. في عام ١٠٣٥-١٩٣٦ أبطلت المحكمة العليا ١٢ قانوناً من قوانين «النهج الجديد». وكان الأهم من بين هذه السلسلة هو مرسوم إبطال قانونين مفتاحيين صدرا في فترة «المئة يوم». إن المراسيم القضائية تلك كانت موجهة لوضع حد لتدخل الدولة النشط في العلاقات الاقتصادية الاجتماعية ولعدم السماح بالتنازل للكادحين. بيد أن ذلك لم يؤد إلى القضاء على إصلاحات «النهج الجديد». أصبحت مواقع المستثمرين الجدد في أواسط أعوام الثلاثينيات متينة إلى درجة ما بفضل الدعم الجماهيري الواسع، وبالإضافة لذلك وعي أوساط محددة من البرجوازية بمنطقية وفائدة تلك الخطوات التي اتخذتها الإدارة بالنسبة لمصالحها، التي ذهبت لملاقاة مطالب الفئات الدنيا من المجتمع. لم يخف ف. روزفلت من أن يتجه إلى «يسار الوسط قليلاً»[1] لأنه كان يفهم بأن ذلك سيخدم في نهاية المطاف تعزيز مواقع «عالم الأقوياء ذاك» الذي انقض عليه بأكثريته إما بسبب عدم الفهم، وإما بسبب تصورات التكتيك السياسي.

(١) Perkins F. Op. cit., p. 333.

في ٥ شباط عام ١٩٣٧ تقدم ف.د. روزفلت بخطة للإصلاح القضائي. وأدت اقتراحاته من الناحية الشكلية إلى امتلاك الرئيس الحق بأن يوسع ملاك الجسد القضائي الفدرالي بتعيين قضاة جدد في تلك الحالات، التي يصل فيها القضاة إلى سن الـ ٧٠، والذين بلغت مدة عملهم في مناصبهم ١٠ سنوات أو أكثر، ولا يرغبون بأن يتقاعدوا. بشرط ألّا يتجاوز ملاك المحكمة العليا لدى ذلك الـ ١٥ عضواً بأي حال من الأحوال. أكد الرئيس ضرورة الإصلاح القضائي بسبب تقدم عدد من القضاة بالعمر وازدياد أعبائهم. لقد غطى بإحكام السبب الحقيقي – السعي لتغيير سلك الهيئات القضائية، وبصورة خاصة المحكمة العليا، من خلال تعيين أنصاره فيها، القادرين على تأويل الدستور بصورة حازمة ومطابقة لخط «النهج الجديد». أشار ف. روزفلت فيما بعد إلى أن المعنى الحقيقي للإصلاح يكمن في ضرورة تغيير سياسة المحكمة العليا. لم يستطع ف. روزفلت الحصول على إقرار بتطبيق القانون المتعلق بالإصلاح القضائي. ولكن تغير خط المحكمة العليا نفسها أيضاً والذي أضعف قوة الشحنة الموجهة ضده امتلك أهمية كبيرة. ولعبت دوراً مهماً في ذلك، حركات الجماهير في سبيل التشريع الاجتماعي، واستعداد الكادحين لمختلف أشكال النضال الحازم من أجل التقدم الاجتماعي. صادقت المحكمة العليا أثناء الحملات الجماهيرية من أجل الإصلاح القضائي على قانون فاغنر وقانون التأمينات الاجتماعية، واعترفت بدستورية قوانين الولايات حول تنظيم شروط عمل العمال. كان النضال حول الإصلاح القضائي واحداً من أكثر الحملات السياسية حدة وصخباً في سنوات «النهج الجديد».

تغير الوضع في تلك الفترة في كلا الحزبين البرجوازيين. وحدثت إعادة تجمع حزبية. وأثّرت التغيرات في القاعدة الاجتماعية في الحزب الديمقراطي، وجعلته أكثر قابلية للتكيف باتجاه استيعاب أيديولوجية الليبرالية الجديدة.

وبدءاً من منتصف الثلاثينيات تغير وضع الحزب الديمقراطي كأقلية، والذي كان قائماً منذ الحرب الأهلية، وتحول إلى حزب يحوز على الأكثرية، وانتقلت إلى جانبه الأكثرية الساحقة من العمال ولا سيَّما الداخلين في عضوية النقابات، والمزارعين، والناخبين من الفئات الوسطى والمثقفين. ولقد ابتعدت عن الحزب الجمهوري فصائل مهمة من الناخبين بما في ذلك الطائفة الزنجية. أخذ الجمهوريون يبتعدون ببطء عن أفكار «مذهب الفردية الصلب»، ويتحولون إلى مواقع المذهب المحافظ الجديد كشكل من أشكال أيديولوجية الدولة الاحتكارية.

٥ - المعارضة اليمينية

وقفت البرجوازية بصورة غير موحدة من «النهج الجديد». إذ أيد قسم منها إصلاحات الرئيس روزفلت، ولكن وبمقدار خروج البلاد من الأزمة بدأ رجال الأعمال ذوو الأمزجة الأكثر محافظة، الذين أعطوا الثقة في البداية للحكومة، بالوقوف ضد سياسة «النهج الجديد». لقد عارض الإصلاحات ممثلو الجمعية الوطنية للصناعة، وغرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرهم من اتحادات أرباب الأعمال القطرية والفرعية، وقيادة الحزب الجمهوري، والأعضاء الرجعيون في الكونغرس، والمحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية وقسم مؤثر من الصحافة الأمريكية. وأصبحت هذه النزعة حتى منتصف الثلاثينيات هي الغالبة في عالم الأعمال.

كان هناك بالطبع داخل فئات الطبقة الحاكمة عدد غير قليل من المؤيدين لسياسة روزفلت. لقد استمر بعض الزعماء ذوي النفوذ الكبير في عالم الأعمال الذين كانوا أعضاء في المجلس الاستشاري لعالم الأعمال التابع لوزارة التجارة، بدعم الخط العام للحكومة مع تحفظات أكبر أو أقل. وكان من بينهم - الرئيس السابق لغرفة التجارة غ. هاريمان، ورئيس «أميركان تيلفون اند تيلغراف ك» او. جيفورد، ورئيس «جنرال الكتريك» جـ. سووب، وغيرهم من الشخصيات الأخرى.

لقد تشكلت على قاعدة الاستياء من سياسة «النهج الجديد»، التي شملت الأوساط المحافظة، منظمات ذات محتوى معادٍ للإصلاحات، ممولة من الرأسمال الضخم. وكانت منظمة «الرابطة الأمريكية للحرية» هي المنظمة الأكثر شهرة، وقد تأسست في ١٥ آب عام ١٩٣٤ بمبادرة من ديوبون وقيادة «جنرال موتورز». وكانت الرابطة تشرف على موجودات بمقدار ٣٧ مليار دولار، وامتلكت فروعاً لها في ٢٠ ولاية، وكذلك عدة فروع قطرية، وذلك حتى عام ١٩٣٦[١]. لقد شنت هذه الرابطة هجوماً عنيفاً على أي إصلاح من إصلاحات الـ «النهج الجديد»، كان يلاقي مطالب الكادحين أو يحد من نشاطات الاتحادات الاحتكارية. شكل الصناعيون معارضة جدية لـ «النهج الجديد» - عنصريو الجنوب الذين أنشؤوا في عام ١٩٣٤ مجلس صناعيي الولايات الجنوبية للنضال ضد «النهج الجديد» (المقر العام في مدينة ناشفيل، ولاية تينيسي). ولقد شكّلت اللجنة الجنوبية لدعم الدستور، التي يتزعمها مؤسس صناعة النفط - والأخشاب من تكساس د. كيربي، الذي انضم إليه

---

(١) Congressional Record. Vol. 79. Pt L. p. 478; Wolfskill G. The Revolt of the Conservatives, Boston, 1962, p. 61.

حاكم جورجيا يو. تولميج ومالكو الأراضي الزراعية الكبار، مركزاً آخر لمعارضة حكومة روزفلت. وفي بداية عام ١٩٣٦، وفي سبيل «إنقاذ» البلاد اجتمعت القوى المعارضة داخل الحزب الحاكم، والتي أطلقت على نفسها اسم «ديمقراطيي جفرسون» بقيادة تولميج وكيربي في ماكون (ولاية جورجيا)، واتخذت موقفاً ضد إصلاحات روزفلت[1]. وكان الجمهوريون قد نظموا سابقاً، في عام ١٩٣٥ مثل ذلك الاجتماع في سبرينغفلد «ولاية إيللينويس»، وحضره أكثر من ٨ آلاف شخص، يمثلون ١٠ ولايات في وسط غرب الولايات المتحدة. انتقد المشاركون تدخل الحكومة في شؤون الاتحادات الاحتكارية الصناعية، و«التبذير الفدرالي»، الذين قصدوا منه الإنفاق على الحاجات الاجتماعية. لقد واجه الزعماء الجمهوريون لعالم الأعمال الخاص الذي ينتمي إلى مقولة «المبادئ الأبدية للحريات والحقوق الإنسانية»[2] «النهج الجديد»، من خلال مماثلته بصورة ديماغوجية من الاشتراكية. وفي بداية أيار عام ١٩٣٥، خلال المؤتمر السنوي لغرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية، أكد رئيسها هـ. سيبلي، أن الأوقات الصعبة، التي تعيشها البلاد، قد تغيرت، ولذلك من الضروري إعادة النظر بكل التدابير الطارئة، التي اتُّخذت من قبل الإدارة. وقد أعلنت الغرفة أن «الحكومة يجب أن تتخلى عن كل الأعمال، التي تتناقض مع مصالح عالم الأعمال الخاص»[3].

أصبح التشريع الضريبي وقانون الشركات الضامنة موضوعاً لهجمات اليمينيين الملحة. ولقد اقترح روزفلت في رسالته إلى الكونغرس ١٢ آذار

---

(١) Congressional Record. Vol. 80, pt1, p. 1171; pt6, p. 5984.

(٢) Ibid, vol. 79, pt 8. P. 9239,9240; pt 9, p. 9538, 9539, 9894.

(٣) Ibid., pt 6, p. 6898.

عام ١٩٣٥ إقرار تشريع خاص بهدف الحد من التعسف في مجال المرافق الصناعية والدفاع عن مصالح الموظفين الصغار.

وفي هذا السياق تقدم كل من ب. ويلير إلى مجلس الشيوخ، وريبيرن إلى غرفة النواب بمشروع قانون مماثل.

أثار مشروع القانون حول الشركات القابضة عاصفة من الاستياء في عالم الأعمال. واستلم الكونغرس الكثير من الرسائل والبرقيات المعبرة عن الاحتجاج. كان الهجوم من اليمين قوياً إلى تلك الدرجة، بحيث إن مجلس الشيوخ ألَّف لجنة برئاسة بليك من أجل متابعة نشاط لوبيات الشركات القابضة، إذ قررت، أن هذه الشركات أوعزت لمستخدميها وموظفيها بإرسال برقيات إلى الكونغرس بلغ تعدادها ٢٥٠ ألف برقية، ورسائل وصلت إلى ٥ ملايين رسالة، تمَّ فيها التعبير عن الاحتجاج ضد التدابير المقترحة. وقد وصل حجم الإنفاق على هذه الحملة إلى مبلغ لا يقل عن ٥ ملايين دولار. وكان الهدف من ذلك خلق انطباع عن حدوث انفجار عفوي من الاستياء الجماهيري للأمريكان بسبب تقديم مشروع قانون ويلير - ريبيرن إلى الكونغرس[١].

كانت مناقشة وإقرار مشروع القانون هذا أول امتحان جدي لمتانة الائتلاف في الكونغرس، الذي كان يعدّ دعامة «النهج الجديد». لقد صوت ١٦٦ ديمقراطي أثناء مناقشة مشروع القرار حول الشركات القابضة ضد التدابير المقترحة من حكومتهم، وكانوا سابقاً من المؤيدين لروزفلت[٢]. وفي حزيران عام ١٩٣٥، وفي سياق المناقشات في الكونغرس، المرتبطة بالإصلاح الضريبي، كانت

---

(١) Ibid., pt 7, p. 3464; pt 5, p. 4905; pt 11, p. 11823; pt 12, p. 12770- 12771.

(٢) Patterson J.T. Congressional Conservatism and the New Deal. L., 1967, p. 17, 39, 71.

المعارضة للحكومة لا تتشكل فقط من الجمهوريين و«ديمقراطيي جفرسون»، وإنما أيضاً من أعضاء كانوا يعتبرون سابقاً أنصاراً صُلْبين.

ازدادت الأمزجة المحافظة في أوساط رجال الأعمال بمقدار اشتداد النزعات الإصلاحية في سياسة «النهج الجديد». كان النمو المطرد لقوى المعارضة اليمينية مرتبط بصورة مباشرة بإقرار قانون فاغنر وبنشاط الإدارة الوطنية التي أُنشئت بالتوافق معه، والمتعلقة بعلاقات العمل.

قوبل تطبيق القانون بمقاومة نشيطة من قبل الرابطة الأمريكية للحرية، وغرفة التجارة، وغيرهما من منظمات أرباب العمل. ولقد سعوا جميعاً في عام ١٩٣٤-١٩٣٥ لعدم إقرار هذا القانون. وبعد فشل هذه المحاولات، حاولوا إثبات عدم دستورية القانون ودعوا أرباب العمل لتجاهله.

وبدءاً من عام ١٩٣٧ اعترفت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية بقانون فاغنر، وكان على الجمعيات الصناعية أن تغير تكتيكها، فأخذت تضيف تعديلات على القانون. لقد اقترحت غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية في قرارها المتخذ في ٢٩ نيسان إقامة الإشراف الحكومي على نشاط النقابات. وفي أيار تقدمت الجمعية الوطنية للصناعيين أيضاً باقتراحات حول «تعديلات» على قانون فاغنر، ودعت إلى الانطلاق من مبادئ الاتفاقيات الفردية في العلاقات بين أرباب العمل وألحت على أن العامل يجب أن يكون «متحرراً من الانضمام القسري» إلى النقابات(١).

كانت هذه الاقتراحات وغيرها من اقتراحات عالم الأعمال الكبير عبارة عن محاولة مكشوفة لحرمان العمال من حقهم في التنظيم وعقد الاتفاقيات

---

(١) Millis H.A. Brown E.C. from the Wagner Act to Taft – Hartlev. Chicago, 1950. P. 282-283.

الجماعية. لقد تمَّت مقاومة الصناعيين للنقابات بتلك الوسائل، التي دفعت مجلس الشيوخ في النهاية لإنشاء لجنة فرعية خاصة برئاسة ر. لافولليت من أجل ملاحقة مالكي المصانع المخالفين لبنود هذا القانون. وأبرزت المراجعات في اللجنة الفرعية تعسف أرباب العمل: اضطهاد، وضرب النقابيين النشطاء، وإرهاب الأعضاء الأساسيين. وإنشاء إدارات مقادة من مجموعات مؤلفة من فنيين ومراقبين كانت وظيفتهم مراقبة العمال. وقد أقدمت الإدارة في بالتيمور بمساعدة لجنة «المستخدمين الموالين في جنرال موتورز» على كشف جميع المستائين من شروط العمل وطردتهم دون إبطاء. إذ وزع «المستخدمون الموالون» عريضة بين العمال حاولوا، أن يظهروا فيها أن العمال «راضون عن كل شروط العمل، ولا يرغبون من أجل الحفاظ على العمل الدخول في أية منظمات». تمَّ طرد جميع من رفض التوقيع على العريضة. كما وضعت اللجنة كذلك نص رسالة إلى أعضاء مجلس الشيوخ عن ولاية ميريليند، جرى الاقتراح فيها إدراج مشروع قرار حول منع «الإضرابات الجالسة» التي صنفت كـ «استيلاء غير قانوني على الملكية» وذلك لمصلحة الشركات[١].

حملت العلاقة مع النقابات في مصانع «جنرال موتورز» الأخرى نفس الطابع. ففي توليدو على سبيل المثال، ظهرت لجنة محلية برعاية النقابة التشاركية قوامها من «المستخدمين الموالين»، ساعدت على تغلغل عملاء الشركة إلى قيادة النقابات، بهدف تفسيخها من الداخل والتشهير بالقادة الأكثر إخلاصاً لقضية العمال. إن النشاط التخريبي للشركة ضد اتحاد العمال الفدرالي في فلينت، أدى إلى بقاء ١٢٢ عاملاً عضواً في صفوف النقابات فقط من أصل ٢٦ ألف عضو[٢].

---

(١) Us Congress, Senate, Hearings before a Subcommittee of the Committee on Education and Labor. Wash. 1937, pt 7, p. 2243-2285, 2516-2517.

(٢) Ibid., p. 2305-2307, 2318-2320, 2524.

كانت الحالة مشابهة أيضاً في معامل فورد. إذ كان رئيس الشركة خصماً مبدئياً للنقابات. لقد أدان «النهج الجديد»، ولا سيما المادة ٧ من قانون إعادة تجديد الصناعة. وقد استعان فورد بهدف النضال ضد النقابات وضد تحركات العمال بقوات بوليسية خاصة بلغ تعدادها ٣,٥ ألف شخص. وتمَّ طرد جميع الأفراد الذين كانوا عرضة للشبهات في إدارة فورد من المعامل.

قام أصحاب المزارع الرأسمالية الكبيرة والمعامل أيضاً بمقاومة ضارية لنضال العمال الزراعيين المنظم حول إعادة تصنيع المنتوجات الزراعية في كاليفورنيا. وكانت الأداة الرئيسية للنضال ضد إضرابات العمال الزراعيين والنقابات في الولاية هي المنظمات العسكرية للمزارعين والرأسماليين الكبار - «المزارعون المتحدون في كاليفورنيا» - التي أُنشئت بمبادرة من الأوساط المحلية المالية والصناعية والتجارية.

كانت المنظمة تملك خلايا محلية، مسلحة، وقد استخدمت ضد العمال المضربين تكتيك «الممارسات المباشرة». ففي ربيع عام ١٩٣٤، وأثناء الإضراب في ناحية كونترا-كوستا - طردت المجموعة المحلية لـ «المزارعين المتحدين» فرق الحراسة العمالية واعتقلت قادتها. وفي ربيع عام ١٩٣٦ أقدمت نفس المنظمة على قمع إضراب المكسيكيين - جامعي البرتقال. وفي منطقة لوس أنجلوس أخذت على عاتقها حماية كاسري الإضرابات. في نيسان عام ١٩٣٧ ساعد فصيل «المزارعين المتحدين» المؤلف من ١٢٠٠ شخص مسلح بالبنادق والمسدسات والعصي على كسر الإضراب في مصانع المعلبات الغذائية في ستوكتون. وأنشأت المنظمة وكالة خاصة من أجل تسجيل القوى العمالية، وأقرت مستوى واحداً للأجرة بالنسبة للأعمال الزراعية[1].

(١) Chabers C.A. California Farm Organizations. Berkely; Los Angelos, 1952, p. 46, 70-72.

لكن بمقدار ما كان «النهج الجديد» يكتسب شعبية أكثر فأكثر بين جماهير الناس البسطاء بمقدار ما كانت الأوساط الاحتكارية الرجعية تشعر بالكراهية تجاهه. وهنا في أولمب عالم الأعمال كانوا يعتبرون، أن الحكومة قد تخطت في تجاربها الاقتصادية - الاجتماعية الحدود المسموح بها.

كانت الحكومة تنطلق في سياستها من التقييم السليم للحالة الناشئة، خلافاً لأكثرية الممثلين البارزين لعالم الأعمال، التي كانت تدافع عن مصالحها، كانت تعي أن موقف زعماء الصناعة الأمريكية المحافظين الذي يتصف بالطمع سيقود إلى جعل الجماهير أكثر راديكالية. لم يندم روزفلت على استخدامه أشد العبارات قوة في وصف هذا المسلك الأناني الخطر جداً على البرجوازية نفسها.

كانت المرحلة الجديدة في نضال المعارضة المحافظة ضد «النهج الجديد» مرتبطة مع محاولة الحكومة إصلاح المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. إذ هزت اقتراحات الرئيس كل البلاد. وظهر أن خصوم إصلاح المحكمة العليا لا يقتصرون فقط على الأوساط المحافظة. إذ وقف بعض الجمهوريين التقدميين ضد روزفلت في مجلس الشيوخ. وفي الحزب الديمقراطي، انتقل إلى معسكر خصوم الحكومة الكثير من الليبراليين البارزين. وقد لعب الدور الأكثر فعالية من بينهم ب. ويلير الذي كان ناقداً للاحتكارات في الماضي القريب. كانت المقاومة لروزفلت في الكونغرس قوية إلى تلك الدرجة، بحيث إن إصلاح المحكمة العليا كان محاصراً.

شكلت أزمة ١٩٣٧ دافعاً إضافياً لتنشيط خصوم «النهج الجديد». لقد تصورت الأوساط المحافظة في كلا الحزبين أن بإمكانها تحميل حكومة روزفلت مسؤولية الأزمة والتصريح بإفلاس «النهج الجديد» وتشديد الحملة من أجل

إبطاله. إن التذمر المبهم من السياسة العمالية ومن الكثير من التدابير الاجتماعية - الاقتصادية للحكومة بين المحافظين قد وجد تعبيراً له في المسير الذي قاموا به ضد «إضرابات الجالسين». إذ طالب الصناعيون الحكومة بالتدخل السريع والحازم للجم النقابات.

لقد اندلع نضال حاد في الكونغرس عام ١٩٣٧ حول تلك المسائل، مثل تنشيط الأعمال الاجتماعية اللاحق، ومشرع ڤان بليك - كونئيري حول شروط العمل العادلة، والتشريع ضد أحكام القتل دون محاكمة. واستطاعت الإدارة على الرغم من مقاومة المعارضة المحافظة أن تدافع عن برنامج الأعمال الاجتماعية الذي رُسم لعام ١٩٣٧، كانت مضطرة للتنازل أمام ضغط العنصريين من خلال عدم الإصرار على اتخاذ قانون ضد أحكام القتل دون محاكمة. نجحت المعارضة أيضاً بإفشال مناقشة مشروع بليك - كونئيري. وفي تشرين الثاني عام ١٩٣٧ أفشل المحافظون دورة الكونغرس الخاصة، المعقودة لحل الشؤون العاجلة [١]. استطاعت الإدارة أن تكسر المقاومة في عام ١٩٣٨ فقط، وأن تقر القانون حول الشروط العادلة للعمل.

سمحت انتخابات عام ١٩٣٨ للجمهوريين بأن يزيدوا عدد أعضائهم في مجلس الشيوخ وفي غرفة النواب. ولقد قوّى ذلك من مواقعهم الشيوخ بخصوص ملاحقة نشاط الإدارة الوطنية حول علاقات العمل. وتم إنشاء لجنة فرعية. اتهم أعضاؤها الإدارة بمخالفة «إرادة الكونغرس»، و«حرية الكلمة والصحافة»، و«عدم احترام القانون والنظام»، وبزيادة التوتر في العلاقات بين

---

(١) كريدير ا. ا. البرجوازية الأمريكية الاحتكارية و«النهج الجديد» لـ ف. د. روزفلت – في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧٩. موسكو، ١٩٧٩، ص ١٤٠.

الصناعيين والعمال، وأخيراً بـ «التشهير بقانون علاقات العمل»[1]. ولقد اتخذت إجراءات مماثلة متأخرة بعض الشيء في غرفة النواب.

انهالت اللجنة المنشأة لمتابعة نشاط الإدارة الوطنية المختصة بعلاقات العمل برئاسة الخصم اللدود للنقابات غ. سميث على الإدارة بسيل من الاتهامات الكاذبة، وطالبت بإسقاط قانون فاغنر من خلال تغييرات راديكالية. وأصبحت اللجنة الخاصة لمتابعة النشاط المعادي لأمريكا، التي ظهرت في ذروة النضال المعادي للفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية، برئاسة الديمقراطي عن ولاية تكساس م. دايس، في غرفة النواب، مركزاً بارزاً لمعارضة «النهج الجديد» في الكونغرس، في نهاية الثلاثينيات. لقد دعم الليبراليون والمنظمات الديمقراطية، وبعض الشخصيات، الذين كانوا يظنون أن اللجنة ستوجه جهودها نحو الحد من النشاط التخريبي للعملاء الفاشيين في الولايات المتحدة الأمريكية القرار المقترح من قبل دايس حول ملاحقة النشاط التخريبي[2].

يجب الملاحظة أن هذه اللجنة كانت مضطرة بين وقت وآخر أن تعمل على هذه المسألة. إلا أنها تحولت بصورة كاملة إلى بوق للعناصر المحافظة للغاية، واتخذت موقفاً صلباً معادياً للإصلاح ولروزفلت. ووضعت هدفاً لهجومها كل النقابات واتحادات المزارعين والمجموعات المعادية للفاشية والديمقراطية والداعية للسلم والجمعيات الرياضية والشبابية. إذ سُرِّح كل الشخصيات التي ذُكرت أسماؤها في قوائم اللجنة السوداء من العمل[3].

---

(١) Investigation of the National Labor Relations Board. Hearings… Wash., 1938, p. 3.

(٢) Goodman W. The Committee. The Extraordinary Career of the House Committee on Un-American Activities. N.Y., 1968, p. 19.

(٣) Darman M. Witch Hunt, N.Y., 1976, p. 21.

ولقد تعرض لهجمات اللجنة الكثير من الإدارات الحكومية. ففي تشرين الأول عام ١٩٣٨ قدمت وزارة العدل قوائماً ضمت أسماء ١١٢١ مستخدماً، وتمَّ اتهامهم بأعمال تخريبية[١]. وفي ندائه بالإذاعة ففي ١٤ تشرين الأول عام ١٩٣٨ ربط عضو اللجنة توماس «النهج الجديد» ببرنامج الحزب الشيوعي. كما استخدمت المحاكمة التي جرت بحق إضرابات «الجالسين» في إيلينوي كحجة لاتهام حاكم هذه الولاية ف. ميرفي القريب من روزفلت بالأعمال الخيانية[٢]. لقد أكد دايس أن الشيوعيين من لجنة النقابات الإنتاجية وجدوا مساعدين مخلصين لهم في الإدارة الوطنية الخاصة بعلاقات العمل. وطالبت لجنة دايس باستقالة وزير الداخلية غ. إيكس ووزير العمل ف. بيركينز والمستشار الخاص للرئيس غ. هوبكينز[٣].

لقد اعتمد الخصوم السياسيون لروزفلت ولـ «النهج الجديد» على المنظمات والمجموعات «الوطنية» المتعددة، ولا سيما على فروع «التجمع الأمريكي». فقد أنشأت المجموعة المحلية للتجمع عام ١٩٣٤ لجنة لدراسة الراديكالية. وخلال عدة سنوات قامت بالتجسس على الشيوعيين وعلى زعماء النقابات الكفاحية، وحركة أي. سينكلير وبعض المنظمات الأخرى[٤]. كان تنامي تأثير المنظمات الرجعية القديمة وظهور مجموعات يمينية أخرى في تلك السنوات يشهد على سعي الرأسمال الكبير لخلق قاعدة جماهيرية للحركة المحافظة المعادية للإصلاح.

---

(١) Ogden A.R. The Dies Committee. Wash., 1945, p. 22-23, 30, 35-39.

(٢) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1939, vol., p. 559.

(٣) Ogden A.R. Op. cit., p. 77, 78, 93, 107.

(٤) Us Congress, House, Hearings before a Special Committee on Un-American Activities, vol. 3, p. 1719, 1747-1751, 2030-2034.

في النصف الثاني من الثلاثينيات، وبسبب الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣٧ خصوصاً، جرت محاولة لتوحيد جميع القوى المعادية لروزفلت في ائتلاف محافظ واحد بهدف وضع نهاية للتجارب الاجتماعية المتواصلة. وفي كانون الأول عام ١٩٣٧، وباسم مجموعة المبادرة قام الديمقراطي الجنوبي السيناتور عن كارولينا الشمالية د. أو. بيلي بـ «الإعلان عن المبادئ والأهداف». وباسم النضال ضد الأزمة اقترح المحافظون تقليص النفقات على الحاجات الاجتماعية بصورة حادة، وجعل الميزانية متوازنة، وتخفيض الضرائب على الأرباح وتحفيز الاستثمارات الخاصة بمساعدة الأذرع المالية. كانت المعارضة تنطلق في مسائل السياسة الاجتماعية من أولوية حقوق الولايات وهيئات الإدارة الذاتية. ومن فكرة أن تدخل الدولة في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية قد تم الاعتراف به في حينه في ظروف عام ١٩٣٣-١٩٣٤ ولا يصلح في الوقت الحالي. وجاء في الوثيقة: «إننا ندعو المواطنين، بصرف النظر عن انتمائهم الحزبي، للانضمام إلينا ودعم المبادئ المعروضة كأمل وحيد للانتعاش الطويل والتقدم المطرد». وبعد أن أنهى بيلي خطابه في مجلس الشيوخ هتف بحماس: «أعطوا أرباب العمل الفرصة، وأنا أضمن لأمريكا السعادة والازدهار»[١]. بيد أن إعطاء شكل تنظيمي نهائي للائتلاف المحافظ لم يتم تحقيقه. إذ اعتبر الكثير من الديمقراطيين الذين تعاطفوا مع أفكار الوثيقة أن القطيعة الكاملة مع الإدارة سابقة لأوانها. وبدورهم، تبنى الجمهوريون في نهاية المطاف بما في ذلك من وقف إلى جانب الائتلاف مع الديمقراطيين المحافظين، الرأي الذي يقول: «إن مواقع روزفلت مقوضة إلى تلك الدرجة، بحيث إنهم أصبحوا قادرين على المواجهة الناجحة ضد سياسة الحكومة». بيد أن غياب اتفاق شكلي حول الوحدة لم يعرقل

(١)Congressional Recarol, vol. 82, pt 2, p. 1936-1940

المحافظين الجمهوريين والديمقراطيين أن يقفوا في كل مرة كجبهة موحدة ضد التدابير الحكومية الليبرالية.

احتلت الحركات البرجوازية الصغيرة المختلفة مكاناً خاصاً في النضال السياسي، إذ حاول زعماؤها استخدامها ضد «النهج الجديد» لروزفلت. وبسبب الاختلاط الذي لا يستهان به في الوضع الاجتماعي للكثير من فئات البرجوازية الصغيرة في الولايات المتحدة الأمريكية والطبيعة المزدوجة لإيديولوجيتها لم تخضع الراديكالية البرجوازية الصغيرة لأي تقييم ذي مدلول واحد. إذ تجاورت فيها في أعوام الثلاثينيات النزعات الديمقراطية والتقدمية مع مختلف أصناف التصورات الطوباوية، والمطالب ذات المحتوى الرجعي غالباً. كان يحدث في سير النضال السياسي تحديد تدريجي لمجالات نشاط القوى داخل المعسكر البرجوازي الصغير. أيّد جزء «النهج الجديد»، وسارت أجزاء أخرى إلى اليمين.

وفي ظروف البطالة الواسعة وتصاعد استياء الجماهير الكادحة، ولمّا لم يعط النهج الليبرالي- الإصلاحي لحكومة روزفلت نتائج سريعة وملموسة، أصبحت جماهير الناس سريعة التأثر تجاه مختلف برامج الإنعاش السريع والجذري للمجتمع المدعومة بنصيب لا يستهان به من البلاغة المعادية للاحتكارات.لقد استخدم الديماغوجيون البرجوازيون الصغار، الذين تقدموا بهذه الوصفات، تأثيرهم على الجماهير، وأصبحوا قوة سياسية فعلية.

أبدى حاكم لويزيانا هيو لونغ نشاطاً خاصاً في هذه السنوات. لقد حقق نصراً عام ١٩٢٨ في الانتخابات إلى منصب الحاكم، مظهراً نفسه كخصم للاحتكارات ومدافع عن الناس البسطاء. وقد أكسبته مجموعة التدابير التي

اتخذها في مجال التعليم والصحة، والإنشاءات المعدنية والطرق، مثلها مثل نضاله ضد بعض الاتحادات الاحتكارية الكبيرة شعبية بين الناس البسطاء، لكنها لم تغير إلا القليل من وضعه نحو الأفضل. إن برنامج لونغ كما لاحظ بحق أحد كتاب سيرة حياته قد عكّر دم أكثر من مليونير، ولكنه كان غير صالح تماماً لشفاء النظام واستئصال الشر[١]. في عام ١٩٣٠ تم انتخاب لونغ إلى مجلس شيوخ الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٣٢ دعم روزفلت، ولكنه سرعان ما أعلن أن خطواته الإصلاحية غير كافية، وطرح في المقابل برنامج للنضال من أجل «تقسيم الثروات» الذي أصبح فيما بعد وسيلة لتعبئة الجماهير إلى جانبه في نضاله من أجل مقعد الرئاسة في البلاد. في ربيع عام ١٩٣٤ تقدم إلى مجلس الشيوخ بقرار حول مصادرة المداخيل التي تزيد على المليون دولار، والملكيات فوق الـ ٥ ملايين دولار. وقد قضت مطالب لونغ الأخرى بـ: تأمين حد أدنى من المعيشة بمقدار ٥ آلاف دولار في العام لكل عائلة، وتقديم ما يلزمها من الضروريات الحياتية، بما في ذلك المسكن، والسيارة، والراديو، وشراء الفوائض الزراعية من قبل الحكومة الفدرالية، والحد من ساعات العمل، وإدخال التقاعد بالنسبة للطاعنين فيبالسن، وتوسيع المعونات للمحاربين القدماء، والتعليم العام على مستوى المدرسة، وتطوير الإنشاءات الطرقية، وتوسيع شبكة المؤسسات التعليمية والصحية[٢]. من المستبعد أن يكون هو نفسه مؤمناً بواقعية وإمكانية تنفيذ هذه المقترحات. لكن الربح السياسي كان ملموساً. إذ تخطت شعبيته حدود الولاية، وسرعان ما شملت حركة لونغ الجنوب، والغرب الأوسط، وبلغت حتى شاطئ المحيط

---

(١) Beals C. The Story of Huey P. Long Philadelphia; London, 1935, p. 20, 25.

(٢) Congressional Record, vol. 78, pt 4 p. 3889.

الهادئ. وظهرت في البلاد نوادٍ لأنصار لونغ. وحسب بعض المعطيات بلغ عددها ١٠٠ ألف بعضوية ما بين ٦-٧ مليون شخص[١]. لقد استخدم لونغ ثقة الناس البسطاء من أجل إزالة منافسيه السياسيين وإقامة دكتاتورية سلطته غير المحدودة في ولاية لويزيانا. ودون أن يهمل أية وسائل، ومن خلال تحكمه بصورة ذكية بدعم الجماهير أنشأ لونغ جهازاً سياسياً تابعاً لإدارته بصورة كاملة. كان يشرف على حكومة لويزيانا وعلى الهيئات التشريعية المحلية ولجانها، والجهاز الإداري للولاية والبلديات والجامعة ونظام التعليم المدرسي. وحسب إرشادات لونغ كان أنصاره يخطفون الناس، ويقومون بملاحقات سرية لنشاط خصومه. لقد خلق للأصدقاء ظروفاً ملائمة لازدهار «البزنس»، وكان بإمكانه أن يوصل إلى الإفلاس كل من يعترض طريقه. «إن دستور لويزيانا - هو أنا» كان يرددها دون أن يرتبك.

إن كل من درس نشاط لونغ يتفق بالرأي تقريباً على أن إدارته كانت وجهاً من الوجوه الممكنة للفاشية التي استطاع إقامتها على الأرض الأمريكية. كانت لويزيانا في ظله ولاية بإدارة استبدادية. إذ انخفضت صلاحيات الهيئات الديمقراطية ذات التمثيل حتى وصلت إلى وضع رضخت فيه لإرادة شخص واحد - الدكتاتور.

تتوافق فترة الثلاثينيات مع النشاط السياسي الفعال للغاية للقس الكاثوليكي الأب كوفلين. الذي تمَّ تعيينه عام ١٩٢٦ في أبرشية رويال - أوكس في ضاحية فقيرة من ضواحي ديترويت، يقطنها العمال الكاثوليك. خاضت المنظمة المحلية للكوكلوكس-كلان صراعاً ضارياً ضد السكان

---

(١) Kane H.T. Louisiana Hayride. The American Rehearsal for Dictatorship, 1928-1940.N., 1941, p. 6.

الكاثوليك. كان كوفلين يفكر بمواجهة هذه الحملة من خلال مواعظه في الراديو. في ١٧ تشرين الأول عام ١٩٢٦ قدّم كوفلين أول كلمة له، وبدأت تصل إليه الرسائل مع المقترحات والتبرعات النقدية. لقد أذيعت مواعظ كوفلين في عدد من المحطات الإذاعية في شيكاغو وتستنسيناتا لغاية عام ١٩٢٩. وفي أعوام الأزمة الاقتصادية العالمية اكتسبت المواضيع الاجتماعية - الاقتصادية في كلماته أهمية كبيرة. أعلن كوفلين أن الرأسمالية وطبيعة السوق الحر قد استهلكتا إمكانياتهما، ولذلك يجب على الملكية الخاصة أن تكون مكملة للملكية الاجتماعية والإشراف الاجتماعي[١]. كانت هجماته النقدية الحادة وجهة ضد «الثروات المركزة»، الأمر الذي كان يعطي لكلماته طابعاً معادياً للاحتكارات. كان يؤكد أن «إنجيل الطمع يطرد تدريجياً إنجيل المسيح، وأن الذهب والفضة قد تحولا إلى إلهين»[٢].

لقد أوحى كوفلين لأنصاره بأن تركز الثروات في أيدي عدد قليل من الناس هو أمر غير مقبول، وأن النظام الذي يولّد البطالة المزمنة يجب أن يتم إصلاحه، أما السياسة التي لا تؤمن المتطلبات الضرورية بالحد الأدنى، وإمكانية كل من يرغب في أن يعمل - فهي باطلة. كان كوفلين يعلن أن جذر الشر يكمن في تسلط أصحاب البنوك الكبار في وول-ستريت، التي سماها مونت كارلو «الأمريكية».

يجب أن تدافع الدولة عن البشرية قبل أي شيء، وليس عن الحقوق المالية[٣].

---

(١) Betten N. Catholic Activis and the Industrial Worker. Dainesville. 1976, p. 93.
(٢) Father Coughlin’s Ragio Discourses, 1931-1932. Royal Oak (mich), 1932, p. 7.
(٣) Ibid., p. 22, 83, 182, 206.

أيد كوفلين في البداية بعض التدابير المهمة في المرحلة الأولى من «النهج الجديد»، مثل قانون تجديد الصناعة، وبرنامج الأعمال الاجتماعية. لقد أعلن كوفلين شعار «روزفلت أو الفشل». إلا أن قطيعة حدثت بين كوفلين وروزفلت عام ١٩٣٤، عندما رفض الرئيس تحقيق مطالب كوفلين في مجال المالية. أنشأ كوفلين الاتحاد الوطني من أجل العدالة الاجتماعية» وبدأ النضال ضد الحكومة وتدابيرها. قال: «إنني أخطأت، وعلى الرغم من الوعود، فإن الصيارفة الماليين لم يتم طردهم من المعبد... إن شعار «روزفلت أو الفشل» يجب تغييره الآن إلى «روزفلت والفشل»[١].

أدرك كوفلين أنه في نضاله ضد روزفلت يمكن أن يجذب انتباه الجماهير في حالة واحدة فقط، إذا طرح برنامجاً أكثر جذرية. لذلك فقد اعتبر كوفلين في برنامجه أن القيم المادية يجب أن تنشأ من خلال «اتحاد رأس المال مع العمل». ويجب أن يحصل كل عامل شارك في خلقها على «حصته العادلة» بمساعدة الحكومة. وهذا يؤدي حسب كلماته إلى إقامة نظام «العدالة الاجتماعية»[٢].

وقف كوفلين في تلك السنوات إلى جانب يوم العمل القصير دون تقليص الأجر الأسبوعي، وكان يدين الفدرالية الأمريكية للعمل على ضيقها، ويقف إلى جانب توحيد العمال الفنيين مع غير الفنيين. بيد أن الهدف الرئيسي للفدرالية الأمريكية للعمل حسب رأي كوفلين يجب أن يكمن في الحصول على شراكة اجتماعية مع أصحاب المعامل عند توزيع

---

(١) Bennett D.H. Demagogues In the Depression. New Brunswiek, 1969, p. 99.

(٢) Coughlin Ch. E. Now Long can Democracy and Capitalism Last, - Antidemocratic-Trends in Twemtieth Century America/Ed. By R.L., Delorme, R.G. Meinnis. Reding, 1969, p. 153-154.

الأرباح. كان متنبهاً جداً في موقفه تجاه الإضرابات من أجل رفع الأجور وحمّل الحكومة مسؤولية تنظيم مستوى أجور العمل(١).

كان الجانب الطائفي واضحاً في برنامج كوفلين في هذه المرحلة، التي أصبحت متقدمة في نشاطه اللاحق. إن الحلقة الرئيسية التي كان كوفلين بمساعدتها ينوي إعادة تنظيم الرأسمالية تجلّت في مجال الدورة النقدية. إذ طالب كوفلين بإنشاء بنك حكومي واحد يحل محل النظام الاحتياطي الفدرالي، ويملك حقاً استثنائياً بإصدار النقود. إن ذلك سيسمح حسب كلماته، بتحرير المزارعين من جور وول- ستريت، ويؤمن للمحاربين القدماء استحقاقاتهم من التعويضات، ويرفع أجور العمل ويقلص يوم العمل في الإنتاج(٢).

أعلن برنامج «الاتحاد الوطني لأجل العدالة الاجتماعية» أيضاً عن حق كل إنسان بالعمل، وحق العمال بإنشاء النقابات والدفاع عنها من عسف أرباب العمل، وتأميم وسائل الإنتاج الأكثر أهمية، وتخفيف الأعباء الضريبية عن الكادحين وزيادة الضرائب على الثروات مع الحفاظ على حقوق الملكية الخاصة.

لقد وجدت دعوات كوفلين صدى بين الجماهير. وفي كانون الثاني عام ١٩٣٦ كانت نوادي «الاتحاد الوطني» تؤدي وظيفتها في ٢٦ ولاية و٣٠٢ دائرة (من أصل ٤٣٥). وأكد كوفلين في آب عام ١٩٣٦، أن عدد أعضاء منظمته يبلغ ٦ , ١ مليون عضو نشيط، و٦ ملايين متعاطف(٣). كان ينظر إلى كوفلين في النصف الأول من الثلاثينيات كـ«تقدمي ونصير للنقابات»(٤).

---

(١) Betten N. On. Cit, p. 91-93.

(٢) Bennett D.H. Op cit., p. 50-52.

(٣) Ibid, p. 69-71.

(٤) American Thought. N.Y. 1947, p. 366-367.

إن المواقف العامة لكوفلين كانت تتوافق إلى حد كبير مع المطالب الاجتماعية للإصلاحيين. ولا سيما أن سينكلير في نضاله لأجل منصب الحاكم في كاليفورنيا كان يحاول الاستناد إلى دعمه.

وعلى عتبة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٣٦ أخذت ترتسم نزعة موجهة نحو انصهار حركتي كوفلين ولونغ. ففي شباط عام ١٩٣٥ تمت عدة لقاءات بينهما. ولقد ذهب لونغ وكوفلين في بحثهما عن حلفاء إلى التقارب مع أو. ليومكي، أحد زعماء الرابطة غير الحزبية. كان ليومكي مثله مثل كوفلين يلح على الإشراف الحكومي الصارم على الدورة النقدية، والنظام المصرفي والموارد الوطنية كي يستطيع المزارع أنه يستخدم بحرية خدمات السوق الحر. وكان السيناتور ليومكي أيضاً صاحب عدة مشاريع قوانين حول إنشاء بنك حكومي وتحسين أوضاع المزارعين. بيد أن أكثرية هذه المشاريع تم دفنها في لجان الكونغرس بمشاركة حكومة روزفلت[١]. كان لونغ من جانبه يؤيد الكثير من اقتراحات ليومكي، وكان يصر على إقرارها[٢]. أما العضو الآخر الذي برز في الحلف فقد كان زعيم حركة الطاعنين في السن من أجل تأمين المعونة المالية ف. تاونسيند. وهو طبيب من إذ تعليمه، وقد اقترح أن تدفع معونة بمقدار (٢٠٠ دولار في الشهر) لجميع الأشخاص الذين وصلوا إلى سن ٦٠ عاماً، وأن يكون المصدر لتمويل هذا البرنامج ضريبة بمقدار ٢% يتم فرضها على جميع الصفقات التي تتم في البلاد. وحسب رأيه فإن دفع مبلغ ٢٠ مليار دولار للطاعنين في السن خلال عام يمكن له أن يساعد في تحفيز نمو الإنتاج، وتأمين العمالة، ورفع الطلب على البضائع والخدمات وخلق الظروف للخروج السريع من الأزمة.

---

(١) The Roosevelt Letters, 1928-1943. I etc. 1952, p. 124-125.

(٢) Cogressional Record, vol. 79, pt I, p. 411.

لقد حققت حركة الطاعنين في السن انتشاراً في الغرب الأوسط والغرب وبلغ عدد المؤيدين أكثر من ٥,٣ مليون شخص[١]. وحسب خطة تاونسيند تم تقديم مشروع قانون إلى الكونغرس مدعوم من عدد من الولايات الغربية. ومن أجل دعمه جمع أنصار الدكتور الطاعن في السن أكثر من ٢٠ مليون توقيع. غير أن الكونغرس أفشل هذا الاقتراح بمشاركة الحكومة.

كان الداعية ج.ل.ك. سميث خصماً نشيطاً لتدابير روزفلت - واعتبر حلقة وصل بين الفاشيين الأمريكان وبعض ممثلي المعارضة البرجوازية الصغيرة لـ «النهج الجديد». وكان على علاقة وثيقة مع كوكلوكس-كلان في إينديانا، وانضم عام ١٩٣٣ إلى المنظمة الفاشية «القمصان الفضية»، وانتقل متأخراً بعض الشيء إلى الخدمة عند لونغ. إذ كان سميث يضع له نصوص كلماته، وكان القيم الرئيسي على حملته الوطنية العامة من أجل «تقسيم الثروة». وبعد مقتل لونغ تقارب سميث مع تاونسيند، وكوفلين وليمكي.

وفي عام ١٩٣٦ أنشأ كوفلين، وليومكي، وتاونسيند وسميث ائتلافاً معادياً لروزفلت في إطار حزب اتحادي، على أمل أن يساعد ذلك في توحيد ما لا يقل عن ٢٠ مليون ناخب وتحقيق الانتصار في انتخابات عام ١٩٣٦. طرح زعماء الحزب الاتحادي عدداً من الشعارات الشعبية لجذب الناخبين: استقرار وضع المزارعين، وتحسين مستوى حياة العمال غير الفنيين، والتقاعد بالنسبة لكبار السن، والدفاع عن الإنتاج الخاص الصغير، ومؤسسة الإشراف الحكومي على نشاط الاحتكارات ولا مركزيتها[٢].

---

(١) Bennett D.H. Op. cit., p. 170-193.

(٢) Congressional Record, vol. 80, pt 10, p. 10370.

بيد أنه لم تكن هناك وحدة داخلية في الائتلاف. كان لأنصار تاونسيند وهم أناس كبار في السن وذوي أمزجة محافظة، ومن منشأ أنغلوسكسوني موقف مسبق من ممثلي السكان الكاثوليك في مدن الغرب الأوسط والشرق الذين يشكلون دعامة كوفلين. وبدورهم فإن بروتستنتيو الجنوب لم يكونوا يثقون بالكاثوليك. زد على ذلك كانت هناك تباينات جدية بين الزعماء. لم يكن كوفلين وليومكي يؤيدان كاملاً خطط تاونسيند. كل منهم كان يطمح لدور الزعيم الأوحد، وكان يسعى لهدفه الخاص.

وقد حدث انقسام في حركة تاونسيند حتى قبل الانتخابات، ظهرت بنتيجة ذلك مجموعة جديدة، اتخذت مواقف بصورة مستقلة عن الحزب الاتحادي. وجاءت الضربة الأكبر التي لحقت بسمعة الحزب الاتحادي بفعل الانتقال المكشوف لبعض زعمائه إلى مواقع الفاشية. تحدث كوفلين في أحد أحاديثه الصحفية في تشرين الأول عام ١٩٣٦ أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف على مفترق طرق بين الشيوعية والفاشية. «إنني أختار الفاشية» هكذا صرح كوفلين.

أعلن سميث في نهاية تشرين الأول عام ١٩٣٦ عن إنشاء «جبهة قومية متعصبة موالية للفاشية ضد الشيوعية». أصبحت بلاغة كوفلين وسميث في سير الحملة الانتخابية المعادية لروزفلت تنصهر مع النقاد اليمينيين والفاشيين للإدارة. إن تهجمات زعماء الحزب الاتحادي على الحكومة، ومغازلة بعض ممثليه للفاشية أفزع الكثير من الحلفاء المحتملين. أخذ الأنصار الليبراليون يبتعدون عن كوفلين، وانفرد تاونسيند عن سميث[١]. أصبح المرشح للرئاسة عن الحزب الاتحادي ليومكي عندما جاءت الانتخابات معزولاً عن الأحزاب الزراعية -

(١) Bennett D.H. Op. cit., p. 230-231.

العمالية في مختلف الولايات وعن الكتلة الأساسية من السكان الزراعيين. سبب كل ذلك هزيمة ساحقة للحزب الاتحادي في الانتخابات. لقد حصل على ٨٩٢ ألف صوت ضد ٨,٢٧ مليون مصوت لروزفلت، ولم يعد موجوداً عملياً.

إن التطور السياسي لكوفلين باتجاه الفاشية اكتمل بصورة نهائية بعد الهزيمة في انتخابات عام ١٩٣٦. كانت الجريدة التي أصدرها تنشر بصورة منتظمة خطب الزعماء النازيين وغيرها من المواد الدعائية للرايخ الألماني. أيد كوفلين دون تحفظات العدوان الفاشي في أوروبا وتوسع العسكريين اليابانيين في آسيا، بحيث إنه نال عطف الوكالات الدعائية الفاشية.

أنشأ كوفلين في آب عام ١٩٣٨ منظمة فاشية نموذجية - «الجبهة المسيحية ضد الشيوعية»، التي كانت تقلد النازيين الألمان. وفي آذار عام ١٩٣٨ دعا كوفلين أيضاً إلى إنشاء دولة طائفية في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد صرح أن جميع النقاط الـ ١٦ في برنامجه «العدالة الاجتماعية» يتجسد في الحياة بنجاح في ألمانيا وإيطاليا[١].

إن الدعاية المعادية للسامية والتحالف مع النازية فتحت بصورة نهائية أعين الكثير من أنصار كوفلين من الليبراليين. كان المزاج المعادي للعمال يزداد أكثر فأكثر في خطب كوفلين. لقد أدان العمالَ المضربينَ في معامل «جنرال موتورز» عام ١٩٣٧، وفي عام ١٩٣٨ وقف ضد قانون التأمينات الاجتماعية. كان يهاجم اللجنة الفرعية برئاسة لافولليت، التي كانت تفضح جواسيس وإرهاب الاحتكارات الكبرى ضد العمال[٢]. وهكذا، وتحت علم النضال ضد «النهج الجديد» ظهر بوضوح إلى درجة ما نزعه نحو تقارب موقف الأوساط

---

(١) Father Coughlin, Fscist Demagogue. N.Y., S. d., p. 17, 18.

(٢) Ibid, p. 11, p. 22, 23.

الاحتكارية الأكثر رجعية مع الحركات البرجوازية الصغيرة لكوفلين ولونغ. إن الحركة الديمقراطية العامة الواسعة في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تعدّ العامل الحاسم في الحياة الأمريكية الداخلية أصبحت العقبة الرئيسية على طريق الالتحام التنظيمي لكلا تياري الرجعية الأمريكيين. تضاعف الخطر من اليمين في الولايات المتحدة الأمريكية بتطور النزعات الموالية للفاشية. شكلت أفكار تفوق العرق الأنغلو - ساكسوني العنصرية والمعادية للسامية مسبقاً والقومية المتعصبة، والتي انتظرت طويلاً عقيدة «أمريكا الصافية مئة بالمئة» تربة مباركة لانتشار الإيديولوجية الناشئة.

كان شذوذ السلوك السياسي لبعض ممثلي الأوساط المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة يتلخص في أنهم وهم يدافعون عن المذهب التقليدي «دعه يعمل» وجدوا إمكانية للتوفيق بينها وبين نظرية وممارسة الفاشية اللتين تختلفان عن النظرات الفردية لليمينيين المتعلقة بدور الدولة في مجال العلاقات الاجتماعية - الاقتصادية. كان في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الثلاثينيات الكثير من المنظمات اليمينية التي أعجبت بأنظمة ألمانيا الفاشية في سياق وقوفها ضد الأساليب «الدكتاتورية» لقيادة روزفلت. إن رئيس «جنرال موتورز» أو. نادسين الذي زار ألمانيا في تشرين الأول عام ١٩٣٣ أعلن بإعجاب لمندوب «نيويورك تايمز» الصحفي، أن الرايخ - هو «أعجوبة القرن العشرين»[١]. لقد أكد السيناتور رينولدز لدى عودته من ألمانيا التي قام بزيارة رسمية إليها، أنه كان شاهداً على النمو الهائل والتقدم الحاصل هناك بعد عام ١٩٣٣[٢].

---

(١) Seldes G., Facts and Fascism N.Y., 1943, p. 77, 96.

(٢) Congressional Record, vol. 84, pt f, p. 746-747.

كان ذلك الامتزاج والمهادنة للنظرات الفردية حول دور الدولة وممارسة الفاشية عبارة عن رد فعل جزء من الطبقة الحاكمة على سياسة الإصلاحات الاجتماعية التي طابقها الخصوم المحافظون لسياسة روزفلت بعناد مع الاشتراكية.

خلق التطور السريع لرأسمالية الدولة الاحتكارية علاقات جديدة بصورة مبدئية بين الحكومة والقطاع الخاص. تحولت الدولة إلى عامل نشيط في السياسة الاقتصادية - الاجتماعية في أعوام الثلاثينيات. ولقد سعى بعض الزعماء الماليين والصناعيين لاستخدام هذه القوة المتنامية للدولة البرجوازية لأجل تحقيق الزيادة المطردة في الأرباح وضد القوة المتصاعدة للحركة العمالية والديمقراطية.

إن الأوساط الأكثر رجعية للرأسمال الاحتكاري في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أكثر اللحظات حدة من النضال السياسي حول «النهج الجديد» كانت مستعدة للقيام بخيار لصالح الفاشية، التي كانت تمر في الولايات المتحدة الأمريكية بمراحل تطورها الأولى. أقيمت في هذه المرحلة روابط بين بعض ممثلي الرأسمال الكبير والمجموعات الفاشية. وحسب التحقيقات المقدمة من الكونغرس، فإن ل. ديوبون و ا. ب. سلون كانا يقدمان العون للمنظمات الفاشية. إن رئيس «سان اويل ك» غ. بيو وعائلة المليونير بيتكيرن قدما كذلك الوسائل المالية المهمة إلى صندوق هذه المنظمات[1].

كان ديوبون وركفللر يملكان اتفاقات سرية مع الاتحاد الاحتكاري الكيميائي النازي «إيغ فاربينين دوستري» تبادلا الرخص لإنتاج الكاوتشوك الصناعي على أساسها. وحتى بعد إعلان ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية، فإن «ستاندارد اويل» رفضت إعطاء التراخيص الألمانية إلى حكومة

(١) Seldes G. Op, cit, p. 75, 76, 80, 86, 95-97

الولايات المتحدة الأمريكية. لقد تم وسم قادة التروست النفطي وغيره من الاتحادات الاحتكارية أثناء إحدى جلسات الاستماع حول هذا الموضوع في مجلس الشيوخ كخونة. إن صحافة ر. هوفارد، وأو. هيرست عملت كل ما بوسعها كي ترد الاعتبار في أعين الرأي العام لاحتكارات الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال التعريض للشك روابطها مع الرايخ الألماني[١]. إن ما كان يميز أعوام الثلاثينيات هو تقارب مواقف المنظمات المحافظة والمجموعات ذات المحتوى الفاشي البحت. كانت هناك صلات دائمة في أعوام العشرينيات والثلاثينيات بين قادة «الفيلق الأمريكي» والفاشيين الطليان. وفي مؤتمرات الفيلق، وبمنزلة ضيوف شرف قام ممثلون شخصيون لموسوليني بإلقاء كلمات أكثر من مرة، وحتى أعلن بعض الزعماء أن الفيلق مستعد للدفاع عن «المؤسسات والمثل الأمريكية» بنفس الأساليب والطرق، التي اتبعها الفاشيون في إيطاليا[٢]. لا يجب بالطبع تعميم الميول الفاشية لبعض قادة الفيلق على كل أعضائه القاعديين، بيد أن أنصار الفاشية داخل الفيلق سعوا لتحويلهم إلى منفذين منصاعين لمآربهم.

في أعوام الثلاثينيات ظهرت في البلاد مجموعات فاشية، كانت الأهم من بينها تلك المجموعات مثل «القمصان الفضية»، و«حراس الجمهورية»، و«القوميون الأمريكان»، و«الحزب القومي الأمريكي»، و«المسيحيون المجندون»، و«فرسان الكاميليا البيضاء»... إلخ. قامت هذه الجموعات وغيرها ممن لم نذكر بالدعاية لأفكار الفاشية من خلال منشوراتها الدورية. إن مصلحة الأخبار النازية العالمية كانت تمدها بصورة دائمة بالمعلومات الضرورية، وتدعو الأمريكان لدعم هذه المنشورات، إذا أردوا إنقاذ أمريكا من

(١) Ibid., p. 76, 95.

(٢) Duffield M. King Legion. N.Y., 1931, p. 168.

الشيوعية[1]. كانت المجموعات الفاشية تستر عملها التخريبي بشعارات «الأمريكانية مئة بالمئة» و«أمريكا للأمريكان». إن ما تسمى الحفلات الخطابية «الوطنية» لهذه «الأمريكانية مئة بالمئة» كانت تؤجج أكثر غرائز التعصب القومي خساسة. وكانت تزرع عدم الثقة تجاه المؤسسات الديمقراطية. كانت تتعالى منها الدعوات إلى القضاء على الديمقراطية على طريقة هتلر و«إقامة النظام بيد حديدية»[2]. كانت المجموعات الفاشية وثيقة الارتباط بعملاء ألمانيا وإيطاليا. وكانت أكثر المنظمات تأثيراً، والتي تم إنشاؤها من قبل عملاء موسوليني هي «الرابطة الفاشية لشمال أمريكا» و«الفيلق الأمريكي - الإيطالي للقمصان السود». إن مراكز الفيلق كانت متوزعة في الكثير من المدن الكبرى في البلاد، وكانت تضم من ١٠-١٥ ألف عضو. وبلغ العدد العام للمنظمات الفاشية المرتبطة بإيطاليا نحو ٢٠٠ منظمة[3]. كانت سبع صحف إيطالية يومية ونحو ١٠٠ إصدار دوري آخر و٤ محطات إذاعية تنشر الدعاية الفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية دون أية موانع من جانب الحكومة. وكانت تصدر كتباً في البلاد تمجّد الدوتشي[4].

يعود إلى بداية العشرينيات ظهور أولى المجموعات النازية في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي عام ١٩٢٣، وبعد فشل «تمرد الجعة» في ميونيخ، جاء عملاء نازيون من ألمانيا بهدف إنشاء تنظيم فاشيّ باسم «نغتونيا» (اسم لشعوب

---

(١) Carlson J.R. Under Cover, My Four Years in Underworld of America, N.Y., 1943, p. 132-133.

(٢) Ibid, p. 38, 39, 77.

(٣) Us Congress, House, Hearing before a Special Committee on Un-American Activities Wash., 1939, vol. 2, p. 1182, 1193.

(٤) Ibid, p. 1193-1995, 1197-1198.

ألمانيا كان يستخدم أحياناً - المترجم). وفي صيف عام ١٩٣٣ تشكلت جمعية «أصدقاء ألمانيا الجديدة». كان ٥-٦ ملايين من الألمان الذين يحتفظون بروابط مع وطنهم يشكلون اهتماماً خاصاً بالنسبة لهذه المنظمة. إن نشاط الأشخاص الرسميين للرايخ الفاشي في الولايات المتحدة الأمريكية و«أصدقاء ألمانيا الجديدة» الهادف لجذب الأمريكيين من أصول ألمانية إلى مدار تأثيرهم كان فاضحاً إلى تلك الدرجة بإذ أثار استياءً عاماً في البلاد.

كشفت لجنة ماكورماك عام ١٩٣٤ النقاب عن قيام سفارة وقنصلية الرايخ، وكذلك المكتب الألماني للسكك الحديدية، ومكتب السياحة الألماني، والشركة الملاحية «نورس جرمان لويد» وغيرها من الوكالات، بنشر الدعاية النازية في البلاد. إن الحكومة الهتلرية منعت المواطنين الألمان بأن يكونوا أعضاءً في جمعية «أصدقاء ألمانيا الجديدة» بسبب عدم رغبتها في تلك الفترة بتفاقم العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكما كتب رئيس المنظمة الأجنبية للحزب النازي غ. إي. بولي في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٣٤ إلى ر. هيس أن «النشاط المكشوف في الولايات المتحدة الأمريكية باسم ألمانيا الجديدة لا يملك معنى في الوقت الحاضر»(١). في عام ١٩٣٦، وحسب الأوامر الصادرة من برلين، تم حل جمعية «أصدقاء ألمانيا الجديدة»، وعلى قاعدتها تم إنشاء «البوند الألماني-الأمريكي». يعود لهذه المنظمة الدور الرئيسي من بين المجموعات، والروابط والجمعيات الكثيرة، التي كانت تختبئ تحت أسماء منظمات أمريكية وطنية، والتي كانت تنتهج في الواقع خط ألمانيا النازية في منتصف الثلاثينيات. كانت قيادة البوند ترى مهمتها تكمن في تلاحم كل الألمان في الولايات المتحدة

(١) Documents on German Foreign Policy, 1918-1945, Series – C. Wash., 1959, vol. 3, p. 1118-1120.

الأمريكية في تكتل عنصري قادر على أن يلعب دور «الطابور الخامس» في المستقبل، وأن يترأس المجموعات الفاشية المحلية، وأن يغرس الأنظمة النازية في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد تم إنشاء تشكيلات شبابية خاصة في قوام البوند باسمي «يوجند شافت» و«ميدخينشافت». كان أعضاء هذه المنظمات يتعرضون لمعالجة أيديولوجية كثيفة. وكانت الفصائل الهجومية المسلحة تتشكل من الشباب الأكثر إخلاصاً للرايخ.

في عام ١٩٣٤ قامت أوساط مؤثرة في عالم الأعمال الأمريكي، كانت تمثل الرابطة الأمريكية للحرية، و«بيت آل مورغان» المصرفي، و«بيتليهيم سيتل» و«آناكوندا كوبير» وغيرهم، ممّن تدعمهم من قيادة «الفيلق الأمريكي» بمؤامرة بهدف إجراء انقلاب فاشي. ولقد عُهد إلى الجنرال باتلر بقيادة زحف أعضاء الفيلق إلى واشنطن. رفض باتلر الاقتراح وقام بفضح نوايا المتآمرين في لجنة ماكورماك التي كانت تحقق بنشاط المجموعات الفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية.

في عام ١٩٣٧ -١٩٣٨ نشبت في الولايات المتحدة الأمريكية أزمة اقتصادية جديدة، وجرت محاولة جديدة أيضاً لتوحيد القوى الفاشية المشتتة. وحسب معطيات ممثل اللجنة المتعلقة بالتحقيق في النشاط المعادي لأمريكا د. ميكالف كانت عدة مئات من هذه المنظمات والمجموعات مستعدة لذلك الاندماج.

لقد تحدث أحد زعماء الحركة الفاشية قائلاً: «إن أمريكا تحتاج لهتلر، كي تستيقظ من سباتها»[١]. في آب عام ١٩٣٧، وفي كينزاس سيتي تم تشكيل «المؤتمر القومي الأمريكي» في مؤتمر المجموعات الفاشية والمرتبطة معها، وكان

---

(١) Us Congress, House Hearings before a Special Committee on Un-American Activities, vol. 2, p. 11, 17, 1208, 1209.

شعاره الصليب المعقوف(١). ترأس الحركة الجنرال ف. هـ. هوسلي، وكان مرتبطاً بالمنظمات الفاشية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وألقى خطباً معادية للسامية وللحكومة.

كان الجنرال يخطب تحت شعار «إنقاذ الجمهورية»، وكان يطالب بفرض الأحكام العرفية، و«تطهير البلاد من جميع الحمر وأنصارهم، وتحقيق «القانون والنظام لأمريكا» بالاستناد إلى الجيش والحرس الوطني(٢).

كانت الدعاية لمواقف موسلي تجري بين أعضاء «الفيلق الأمريكي» و«محاربي الحروب الخارجية القدماء» و«الجمعية الوطنية للضباط - الاحتياطيين».

كان أنصار موسلي يخططون لتوحيد جهود الكثير من المجموعات الفاشية المشتتة، وتحقيق إشراف على البلاد بالاعتماد على القوة العسكرية(٣).

شكل اللقاء السري بين قناصل الرايخ ذوي المنبت الألماني في الولايات المتحدة الأمريكية وبين الشخصيات المختلصة لـ«عالم الأعمال الكبير» الأمريكي - ممثلي أسرة ديوبون والاتحاد الاحتكاري «جنرال موتورز»، الذي تم حسب معطيات صحيفة «ني فالت». في تشرين الثاني عام ١٩٣٧ في بوسطن، المرحلة التحضيرية المهمة على الطريق نحو الانقلاب الفاشي. وفي هذا اللقاء جرت مناقشة مسألة استعداد الرايخ للتعاون مع «جميع القوى القومية المتعصبة والتقليدية»، ودعم وإعانة المنظمات الوطنية الأمريكية لأجل تأمين اندماجها وتحقيق الأهداف المشتركة.

---

(١) Ibid, vol. 3, p. 2386-2388.

(٢) Ibid, vol. 5, p. 3622-3624, 3628-3633.

(٣) Ibid, p. 2377-2379, 3300, 3302, 3303, 3349.

كان يفترض توقيت الانقلاب في اللحظة التي يتعرض فيها النهج الحكومي لفشل كارثي[1].

إن الحقائق المشار إليها أعلاه تؤكد عدالة كلمات غ. ديمتروف، التي قيلت في الكونغرس VII لكومنترن عام ١٩٣٥: «يجب أن تكون تصوراتنا بسيطة كيلا نرى أن أكثر الأوساط رجعية للرأسمال المالي الأمريكي التي تهاجم روزفلت هي بالضبط وقبل أي شيء تلك القوة التي تحفّز وتنظم الحركة الفاشية في الولايات المتحدة. من لا يرى ما وراء الجمل المرائية لتلك الأوساط حول (الدفاع عن الحقوق الديمقراطية للمواطنين الأمريكان) الفاشية الحقيقية المتولدة في الولايات المتحدة - فإن ذلك يعني إرباك الطبقة العاملة في النضال ضد عدوها اللدود»[2].

كانت الحركة الديمقراطية الواسعة في البلاد هي العامل المهم في عرقلة تحقيق المتآمرين الفاشيين لخططهم. كتب او. ز. فوستر ، وهو يصف حالة البلاد في تلك السنوات: «كانت المقاومة النشيطة للطبقة العاملة وكل القوى الديمقراطية للنزعات الفاشية هي العقبة الرئيسية على طريق الفاشية. شكلت أعوام ١٩٣٣ - ١٩٤١ مرحلة من مراحل النضال النشيط والناجح للقوى الديمقراطية»[3].

٦ - نتائج «النهج الجديد»

كان المستثمرون الجدد يسترشدون في سياق تحقيق الإصلاحات الاقتصادية بالتصورات البراغماتية. إلا أنه كانت ترتسم في أعمالهم شرعية

---

(١) Soldes G. cit, p. 72-74.

(٢) ديمتروف غ. المؤلفات المختارة، موسكو عام ١٩٥٧، الجزء الأول، ص ٤٥٨.

(٣) فوستر او. ز. دراسة في التاريخ السياسي لأمريكا. موسكو، ١٩٥٣، ص ٥٩٠-٥٩١.

تاريخية موضوعية محددة: كانوا يدفعون بخفة ويسرّعون النزعات الاحتكارية للدولة في تطوير الرأسمالية الأمريكية.

إن درجة فعالية التدابير الاقتصادية - المالية لـ «النهج الجديد» كوسيلة لإخراج الاقتصاد من الأزمة، وكحائل ضد التدهور كانت غير متطابقة مع تقديرات المبادرين لهذه التدابير. إن نشوب الأزمة الاقتصادية الجديدة في عام ١٩٣٧ المفاجئة بالنسبة للمستثمرين الجدد - هو أفضل برهان على ذلك. ومع ذلك أصبحت إصلاحات «النهج الجديد» أداة في تشديد طابع الدولة الاحتكاري للرأسمالية الأمريكية.

لقد زاد رقم الإنتاج الصناعي القياسي في عام ١٩٣٩ عن مستوى عام ١٩٣٢ بمقدار ٩٠%. أما ما يتعلق بنفقات الحكومة الفدرالية، فإنها ارتفعت في أعوام ١٩٣٢-١٩٤٠ من ٤٢٦٦ مليون إلى ١٠٠٦١ مليون دولار. إن النفقات الحكومية هي - واحدة من المؤسسات الأكثر أهمية لرأسمالية الدولة الاحتكارية.

إن زيادتها الحادة والمستقرة خلال فترة قصيرة نسبياً من الزمن هي إحدى البراهين على تحول الرأسمالية الاحتكارية الأمريكية إلى رأسمالية الدولة الاحتكارية. لقد كانت التدابير الاجتماعية للمستثمرين الجدد أيضاً نتيجة موضوعية لنشاطهم المديد. فإلى جانب وظيفة التنظيم الاقتصادي تشكلت وظيفة منفصلة لنشاط الدولة الاجتماعية.

تغيرت بصورة واضحة المبادئ الإيديولوجية - السياسية لنظام الحزبين في سنوات «النهج الجديد». أصبح الحزب الديمقراطي ملاذاً للنيوليبرالية. وبرزت الخطوات الأولى في إعادة توجه الجمهوريين في الاتجاه المحافظ الجديد. إن أزمة أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ و«النهج الجديد» حدثاً في ذلك الوقت عندما تم القيام

بخطوات لتطوير رأسمالية الدولة الاحتكارية اللاحق. فإذا تم النظر إلى «النهج الجديد» كوحدة لخطين: فمن جهة، تطوير التنظيم الدولتي الاحتكاري، ومن جهة أخرى - إجراء الإصلاحات الاقتصادية مع الأخذ بعين الاعتبار مطالب الجماهير، فيمكن اعتبار أن هذه الصفحة طويت في عام ١٩٣٩. إن «النهج الجديد» لم يتقدم بعد انتصار المستثمرين الجدد في انتخابات عام ١٩٣٦ في مجال الإصلاح الاجتماعي إلا قليلاً. يمكن ذكر الموافقة على قانون تنظيم شروط العمل عام ١٩٣٨ وتوسيع المعونات لمساعدة العاطلين عن العمل في نشاطه فقط.

كانت مواقع المستثمرين الجدد مقوضة تماماً بسبب أزمة ١٩٣٧-١٩٣٨. فإذا كان الديمقراطيون يسمون انهيار أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ بـ «ركود هوفر»، فإن الجمهوريين، الذين اتبعوا في ذلك مبادئ التلاعب السياسي المتكونة عمّدوا الأزمة الدورية بـ «التراجع الروزفلتي». نسفت الأزمة الجديدة الإيمان بفاعلية الإصلاحات. وأخذ المستثمرون الجدد يفقدون المبادرة أكثر فأكثر.

ظهر الوسط الروزفلتي بعد انتخابات عام ١٩٣٨ في «حالة من الارتباك بالنسبة للمرحلة التالية من النهج الجديد». كان الرئيس يميل للتحرك بحذر في علاقاته المتبادلة مع الكونغرس، وكان يظهر «الاعتدال». لقد صرّح رئيس غرفة النواب الديمقراطي الآلابامي أو. بينكهيد، أن الأهداف الرئيسية لـ «النهج الجديد» «تحققت عملياً»، وأن الضرورة لإصلاحات لاحقة زالت(١). وفي الرسالة السنوية حول حالة البلاد، التي أرسلها ف. روزفلت في كانون الثاني عام ١٩٣٩، لم يتم طرح أية إصلاحات. أعلن الرئيس بصورة رسمية نهاية «فترة

(١) New York Herald Tribune, 1939, Jan, 8.

النزاعات الداخلية، المرتبطة ببرنامج الإصلاحات»[1]. إن ف. روزفلت الذي دعا إلى البيت الأبيض في ٦ آذار عام ١٩٣٩ نائب رئيس الجمهورية د. غارنر، وزعيم الديمقراطيين في مجلس الشيوخ أو. باركلي، ورئيس غرفة النواب أو. بينكهيد وزعيم الأكثرية الديمقراطية في الغرفة س. ريبيرن أكد لرؤساء الكابتول هؤلاء، أنه لن تكون هناك أية إصلاحات لاحقة لديه[2].

وهكذا، انتهت مرحلة الإصلاحات الاجتماعية، لكن تنظيم الدولة للاقتصاد استمر، وأصبح محتوى الدولة الاحتكاري لـ «النهج الجديد» ظاهرة لا عودة عنها. كانت هناك نتيجة مهمة أيضاً لـ «النهج الجديد» كمنت في أنه رمز إلى التحرك الجدي في مجال التطور الاجتماعي للبلاد.



(١) The State of the Union Messages of the – Presidents, 1790-1966: vol. 1-3/Ed. By F. Israel. N.Y., 1966-1967, vol. 3, p. 284.

(٢) New York Times, 1939, Mar, 7.

الفصل العاشر

الحركات الاجتماعية

١ - وضع الكادحين في أعوام «النهج الجديد»

إذا كانت إصلاحات «النهج الجديد» في مجال التشريع الاجتماعي وشروط العمل قد أدت إلى تغيرات إيجابية محددة، فإن منجزات الإدارة في خطة حل المشاكل المتفاقمة لأعوام الأزمة العشرة - مشاكل العمالة - كانت متواضعة جداً. ويتحدث الكثير من الباحثين حتى عن فشل برنامج النضال ضد البطالة المنفذ تحت رعاية مختلف الإدارات الحكومية بدءاً من عام ١٩٣٣. لقد اتضح أن الهدف الرئيسي في جميع الأحوال لكل الإستراتيجية الاجتماعية لإدارة الديمقراطيين - تأمين العمالة الكاملة أو حتى إيصال البطالة إلى مستوى ما قبل الأزمة - لم يتحقق.

بلغ مستوى البطالة عام ١٩٣٩ ١٧،٤% أي زاد ٦ مرات عن مستوى عام ١٩٢٩[١]. وبكلمات أخرى كان عدد العاطلين عن العمل في البلاد عام ١٩٣٩ أكبر مما كان عليه في عام ١٩٣١، أي في مرحلة الأزمة الاقتصادية العالمية وفي لحظة النشاط العملي المنخفض بصورة استثنائية والطرد الجماعي للعمال. لقد أنقذت الحرب عملياً الاقتصاد الرأسمالي في الولايات المتحدة الأمريكية من أزمة اقتصادية دورية كان من الممكن أن تكون أكثر عمقاً والبطالة الجماهيرية فيها أكبر.

(١) Historical Statistics of the United States. Colonial Times to 1970. Wash., 1975, p. 135.

كتب س. لينس: «عندما بدأ روزفلت أوديسيته (نسبة إلى أوديسة هوميروس - من المترجم) قال له الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز، أنه يملك فرصة نادرة كي يستخدم «لصالح السلم والازدهار» تلك الطريقة (إنفاق وسائل حكومية كبيرة - المؤلف)، التي كانت تُستخدم حتى الآن لأهداف الحرب والدمار فقط». ولكن الحرب والدمار بالذات ساعدا في نهاية المطاف على امتصاص البطالة وأخرجا الأمة إلى حالة الازدهار التقليدي، الذي يستحم «النهج الجديد» بفضله، وبصورة موجهة إلى الماضي، في بريق مجده»[1].

كانت النتائج المباشرة لسياسة روزفلت في قضية تقديم المساعدة للعاطلين عن العمل وحل مشكلة العمالة، تشهد على أن عملية إفقار وإملاق كتلة واسعة من السكان كانت مستمرة. إن عدد من كان يحصل على المساعدة المادية المباشرة المتعلقة بالبطالة بلغ في شتاء عام ١٩٣٤ أكثر من ٢٠ مليوناً. لكن حجومها لم تتخط ١٦ دولاراً في الشهر لكل أسرة تتألف من أربعة أفراد. لقد تم رفع هذه المعونة عام ١٩٣٧ بعض الشيء بسبب غلاء المعيشة (حتى ٢٠ دولاراً). لكن هذا المبلغ لم يكن يغطي أيضاً الحد الأدنى من النفقات على الطعام، دون الحديث عن البنود الأخرى المستقرة لميزانية العائلة[2]. إن آمال جزء من المستثمرين الجدد بأن يصبح نظام الأعمال الاجتماعية مع الزمن وسيلة عامة لحل مشكلة العمالة لم تتحقق أيضاً. لقد التفت الحكومة في عام ١٩٣٤ إلى برنامج منظمة العمل المدني من خلال تنازلها أمام الرجعية[3]. كان إنشاء منظمة الاعتمادات المالية برئاسة غ.

---

(١) يعني س. الفقر والتناقض الظاهري المتأصّل لأمريكا. موسكو، ١٩٧٦، ص ٣٣٩.

(٢) Piven F.F. Coloward A. Poor People’s Movement. N.Y., 1977.

(٣) انظر بالتفصيل: مالكوف ف.ل. غاري هوبكينز: صفحات من السيرة السياسية الذاتية، التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٧٩، الجزء ٢.

هوبكينز يحمل طابع الحل الوسط، الذي تم التوصل إليه من خلال صفقة سياسية بين الليبراليين والمحافظين في أوساط الولايات المتحدة الأمريكية الحاكمة: غير أن مبادئ وظيفتها تمَّ عرقلتها منذ البداية كي تصبح أداة فعالة بصورة كافية للتأثير على الوضع في مجال العمالة. لقد شملت مواضيع منظمة الاعتمادات المالية في أحسن الأحوال ما لا يقل عن ٣,٣ مليون عاطل، بما يشكل نحو ربع مجموع العاطلين عن العمل.

كانت الأجور ضئيلة لا تتجاوز ٥٠ دولاراً في الشهر[1] أما الإعاشة وظروف العمل - فكانتا مضنيتين وصعبتين بصورة غير معقولة.

انتقد الشيوعيون وغيرهم من الشخصيات التقدمية، إدارة روزفلت في سياق إشارتهم إلى الأهمية الإيجابية لإنشاء نظام العمل الاجتماعي الفدرالي، وذلك بسبب، وقبل أي شيء، عدم ثباتها وتنازلها أمام الرجعية، وميلها إلى أنصاف الحلول، وأكدوا الطابع المؤقت لكل النشاط المتعلق بتقديم المساعدة إلى العاطلين. كتبت مجلة «نيو ريبابليك»: إن «اليساريين يعبرون عن الاستياء، وهذا الأمر شرعي من وجهة نظرنا، لأن الكثير من العاطلين عن العمل يعيشون على الطوى، وأن الكثير من المواضيع في أطر الأعمال الاجتماعية يتم توظيفها بصورة سيئة نتيجة التنظيم غير المدروس، أما الأهمية الاجتماعية للمواضيع الأخرى فهي تافهة، وبعض أشكال النشاط المهمة بصورة خاصة - مثل بناء المساكن المنزلية، يتم تجاهلها بسبب المبالغة بالمخاوف من وضع المنافسة في يد القطاع الخاص... تنهال من جميع الجهات الأخبار المنذرة بالسوء عن المحسوبيات، واستخدام الأعمال

(١) التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٧٩، الجزء ٢. Peoptes Press, 1937, Apr. 24.

الاجتماعية في المصالح الحزبية الضيقة، والرشوة في الهيئات الإدارية القيادية لمنظمة الاعتمادات المالية...»[1].

ظهرت مؤشرات تصاعد الأزمة في نظام منظمة المساعدة للعاطلين عن العمل، الذي تمَّ إنشاؤها من قبل إدارة «النهج الجديد»، بصورة محسوسة تماماً في منتصف عام ١٩٣٧. كانت الأوضاع السيئة تظهر بقوة كبيرة في الولايات الصناعية الكبيرة - أوهايو، وبينسلفانيا، وايلينويس وغيرها. وتخلت السلطات في نيوجيرسي عن كل من يحتاج إلى مساعدة، من خلال تقديم بديل هو عبارة عن رُخَص لجمع الصدقات. وكان حاكم أوهايو مضطراً لإعطاء أمر بتنظيم عملية إطعام لمرة واحدة لآلاف الجائعين بمساعدة مطابخ متنقلة تابعة لقطعات الحرس الوطني. وفي جورجيا وعدد من الولايات الأخرى تمَّ تخفيض حجوم المساعدات المقدمة للعاطلين عن العمل حتى وصلت إلى مبالغ رمزية.. دولار واحد في الشهر، لا يكاد يكفي غداء أسرة لمرة واحدة.

لقد أكدت عمليات الرصد التي تم إجراؤها أن ظاهرة الفقر المدقع، الناتجة عن الهجرة الشديدة إلى المدن، والتي وعد الديمقراطيون بإنهائها حتى في عام ١٩٣٢ وبصورة احتفالية، استمرت في البقاء كواقع محزن. لقد استمر المجتمع الأمريكي بصورة عامة بدفع ضريبة ثقيلة مخصصة للبطالة الواسعة والأسر المفككة، والمصائر المشوهة للشبيبة، وانخفاض المعنويات، وتزايد الجريمة وأمراض الجوع ومقومات الحياة البائسة. إن الحدود القاصرة للإصلاح البرجوازي أظهرت نفسها في هذه الوقائع بذلك المقدار من الوضوح، بحيث ساد التشاؤم والاعتقاد حتى بين الكثير من الأنصار السياسيين بعدم جدوى

---

(١) New-Republic, 1963, Apt, 29, p. 335.

المحاولات الهادفة لتغيير الوضع نحو الأفضل. وبعد الهزائم في أربعة انتخابات جزئية في الكونغرس في عام ١٩٣٨ ذهب روزفلت إلى لقاء الرجعية من أجل إنعاش تكتل متين موالٍ للحكومة، ووافق على المطالب حول تقليص الأعمال الاجتماعية(١). أدى تنازل الرئيس إلى أن الكونغرس خفّض بصورة شديدة المخصصات لمنظمة الاعتمادات المالية في صيف عام ١٩٣٩، وكان من نتيجة ذلك أن عدد أمكنة العمل في مشاريع البناء انخفضت بصورة حادة. كانت الحكومة تؤمن العمل لما لا يقل عن ٢ مليون شخص حتى عام ١٩٣٩، زد على ذلك أن التوظيف كان محاطاً بمختلف أنواع الشروط والاختبارات المهينة. وحسب القواعد الجديدة على سبيل المثال، المقرة من قبل الكونغرس، فإن الأفراد الذين اشتغلوا في الأعمال الاجتماعية أكثر من ١٨ شهراً كانوا يطردون كـ «من أساء استخدام نظام المساعدة»، وتوقف الكثير من البرامج، أما إمكانية الحصول على العمل - نفسها - فإنها طالت فقط المواطنين من ذوي أصول الولايات المتحدة الأمريكية فقط، والذين اجتازوا امتحان الثقة السياسية(٢).

إن انتعاش الاقتصاد وتشريع العمل من قبل «النهج الجديد» بالتطابق مع المؤشر الرئيسي - النضال الحازم للطبقة العاملة - أثارا تغيّرات ملحوظة بصورة أكبر نحو الأفضل في وضع عمالة جزء من السكان الكادحين. إذ تمَّ تقليص (وفي عدد من الحالات بصورة محسوسة) ساعات العمل في الأسبوع، ورفع الحد الأدنى من الأجرة بالنسبة لفئات العاملين ذوي الأجور المنخفضة، ومنع عمل الأطفال، وتحسين ظروف عمل العمال. أما من ناحية أجور العمال، فقد بقيت الزيادات هزيلة لا تستحق الاعتبار (أثر في ذلك وجود بطالة عالية

(١) Ibid., 1939, Apr. 26, p. 334.
(٢) Ibid., June 28, p. 199,200.

جداً). وبالنتيجة فإن ارتفاع مستوى الحياة الذي بدأ في النصف الثاني من الثلاثينيات انتهى إلى لا شيء في كثير من الحالات.

كتب المؤرخ الأمريكي المشهور ب. بولينبرغ: «في عام ١٩٣٩، ودون الأخذ بعين الاعتبار ٢,٥ مليون من الناس المشتغلين في الأعمال الاجتماعية، فإن ٥٨,٥% من الرجال الذين يعملون و ٧٨,٣% من النساء اللاتي تعملن كانوا يحصلون على أجر أقل من ١٠٠٠ دولار في السنة. ولفهم ماذا يختبئ وراء المعطيات الإحصائية تلك، يكفي إلقاء نظرة على وضع أسرة محاصص في ولاية ميسيسيبي، إذ الدخل السنوي المتوسط له لا يتجاوز الـ ٢٦ دولار. «في كوخ بائس مؤلف من ثلاث حجرات كان يقطن ١٢ شخصاً، يتدثرون ليلاً بملاءات مخيطة من (الجنفيص)، ويحضرون الطعام على صحيفة من نفايات المعادن. في تلك العائلات لم تكن الأمهات تنتزع الأطفال عن صدورها، لأن تلك كانت الطريقة الأفضل لإطعامهم»[١]. وإذا أُخذ بعين الاعتبار أن الحد الأدنى للمعيشة بالنسبة لعائلة مؤلفة من أربعة أشخاص في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية الثلاثينيات بلغ حسب المعطيات الرسمية نحو ٢٥٠٠ دولار، فإنه سيصبح واضحاً أن الدخول الواقعية لأكثرية الكادحين بقيت بمستوى منخفض كثيراً، ولا تسد حاجاتهم إلا بصعوبة. كانت عملية الإملاق والإفقار المطلقة لكتلة مهمة من السكان مستمرة، وأصبح التباين بين الفقراء والأغنياء ملحوظاً بصورة أكبر.

مارس التشريع الزراعي لـ «النهج الجديد» تأثيراً متناقضاً على أوضاع السكان العاملين في مجال الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي نفس

(١) Polenberg R. One Nation Divisible. Class, Race, and Ethnicity in the United States since 1938. N.Y., 1980, p. 18,19

الوقت الذي كان يحصل فيه المزارعون الكبار وجزء من المزارعين المتوسطين على جوائز حكومية وحصص من الأراضي يؤخذ ثمنها من الإنتاج، والذين حولوا هذه الجوائز إلى مزارع ذات محصول، واستطاعوا أن يستخلصوا منها مكاسب كثيرة، بقي وضع المزارعين الصغار، وعلى وجه الخصوص المستأجرين، والمحاصصين والعمال الزراعيين صعباً كما في السابق، ويمكن القول إنه ازداد سوءاً في كثير من الحالات، بسبب أن برنامج تقليص الإنتاج كان يعني بالنسبة لهم الإفلاس والطرد القسري من الأرض، أو البطالة.

إن تفاقم الصراع الطبقي في «منطقة القطن» أجبر الحكومة على أن تهتم بمشكلة «المزارعين المنسيين». ففي نيسان عام ١٩٣٥ أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن إنشاء إدارة متعلقة بالهجرة، والتي حلت محلها إدارة حماية اقتصاد المزارعين عام ١٩٣٧. وبنفس الوقت تم إقرار تشريع حول مخصصات بمقدار ٨٠ مليون دولار لتقديمها كقروض للمزارعين المستأجرين لشراء مزارع خاصة.

كان يجب حسب نظرية هذا البرنامج أن يحدث تحسن في الوضع المادي للمجموعات ذات الدخل المنخفض بين السكان الزراعيين. ولكن، وفي ضوء الممارسة الفعلية، وبسبب عنف السلطات المحلية، الخاضعة للملاك المؤَجِرين الكبار، الذين تُقدَّم لهم التسهيلات، استطاعت أقلية ضئيلة من المستأجرين الاستفادة من ذلك. وحسب معطيات مكتب الكفاءات بلغ عدد المستأجرين في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٥ نحو ٣ ملايين مستأجر، بحيث شكل ذلك ٤٢,١% من العدد العام للمزارعين. ولقد وزعت إدارة حماية المزارعين قروضاً إلى ٢٠٧٤٨ مستأجراً فقط من أجل شراء مزارع حتى نهاية عام ١٩٤١. وفي أركانزاس

إذ بلغ عدد المستأجرين نحو ١٥٢ ألف مستأجر عام ١٩٣٥، تمَّ تقديم القروض خلال هذه الفترة إلى ١٤٠٠ مستأجر سعيد فقط.

وهكذا فإن البرنامج الحكومي للمساعدة لم يخرج عملياً خارج أطر «الاختبار»[١]، إن الحرب فقط وحركة التطور الاقتصادي للجنوب بسبب حالة سوق الصناعة الحربية أوقفا لبعض الوقت الانهيار اللاحق في مزارع المستأجرين الصغار في الجنوب وتجمعاتهم في مناطق البلاد الأخرى.

كتب الباحث الأمريكي البارز ر. كيركيندول: «إن فقر المزارعين في نهاية الثلاثينيات بقي تلك المشكلة السائدة في الحياة، كما كان في بداية السنوات العشر نفسها. فإذا استطاع النهج الجديد أن ينقذ المزارعين من الإفلاس، والانهيار بسبب الأزمة، فإنه لم يستطع أن يحسِّن بصورة ملموسة وضع أولئك السكان الزراعيين، إذ كان مستوى الحياة بائساً حتى قبل نشوب الأزمة»[٢]. إن الاستمرار بحالة مماثلة كثيراً ما جرى تفسيره بأنه لم يتم التغلب على الأزمة الزراعية أبداً على أعتاب الحرب العالمية الثانية، وإنما تفاقمت من جديد.إذ ازدادت الاحتياطيات الواردة من المنتوجات الزراعية ثلاث مرات، وكنتيجة لذلك تدهورت الأسعار من جديد على البضائع الزراعية، وتدهورت بعد ذلك القدرة الشرائية للمزارعين. استمر إفلاس المزارع بوتائر متسارعة. ومنذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٠ اختفت من الوجود ٧١٦ ألف مزرعة في الولايات المتحدة الأمريكية أي ما يعادل (٥ ,١٠% من مجموع المزارع العام).

---

(١) كولودي ا. ف. «النهج الجديد» والمزارعون الصغار. – في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧١، موسكو، ١٩٧١، ص ٢٥٥.

(٢) Kirkendall R.S. The New Deal and Agriculture. – In: The New Deal. The National Leveled. By J. Breman, R.H. Bremnen, D. Brody. Columbus. 1975, p. 105

وبلغت ديون المزارعين عام ١٩٤٠ أرقاماً ضخمة - ١٠ مليارات دولار[١]. تلك هي الحصيلة المدفوعة لجهود سبع سنوات مستمرة من المحاولات لتخليص زراعة البلاد من المرض الذي انتابها!

لم تؤثر نتائج «النهج الجديد» على وضع أي فئة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية الكادحين ولو بشكل زهيد، وأكبر دليل على ذلك ما حصل مع ١٢ مليون من الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية. إذ وعد روزفلت أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٣٢ بأن يتعامل بتفهم كامل وبتجرد مع مسألة دمج الأمريكان ذوي البشرة السوداء في دائرة التأثير للتدابير الاستثنائية لمساعدة «الشخص المنسي»[٢]. وفي مقتضى الأحوال مُنحت لإدارة «النهج الجديد» فرصة رائعة لإظهار النزاهة، والإنسانية والإخلاص للكلمة. بيد أن كل شيء تم بصورة معاكسة في الممارسة. إن التقدم في وضع السكان السود في أمريكا كان سطحياً. ولم يتحسن وضع العمال السود في الجنوب من إذ الجوهر، الذين كانوا يشكلون الأغلبية في القطاع الصناعي. إن العبودية المزدوجة لعمال الجنوب استمرت بالبقاء بمباركة الحكومة، على اعتبار أنها أقرت الحفاظ على الفوارق في أجور العمل في الجنوب والشمال. وقد جاء في كتاب تاريخ الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية الذي أصدرته قيادته، أن «النهج الجديد» - لم يكن جديداً كثيراً، لقد حافظ على الجنوب القديم بعنصريته، وعلى تطبيقه هناك للتفرقة في الأجر وشروط العمل، التي كانت تمس كل العمال»[٣]. إذ كان يعيش

---

(١) زولو توخين ف. ب. المزارعون وواشنطن. موسكو، عام ١٩٦٨، ص ١٤٥، ١٤٧.

(٢) Wolters R. The New Deal and the Negro. – In: The New Deal. The National Level, p. 170.

(٣) مراحل التاريخ النضالي: ٦٠ عاماً من حياة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٨٣، ص ٨٥.

أكثر من نصف السكان الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات في المناطق الزراعية، وبصورة رئيسية في ولايات القطن الجنوبية، لكن ٢٠% فقط من المزارعين السود كانوا يملكون أرضاً يزرعونها. أما البقية الباقية فكانت تعمل لدى مالكي الأراضي الزراعية الكبار كمستأجرين وعمال زراعيين. إن منظومة المحاصصة والاستئجار، ونكبة الأزمة الزراعية في أعوام العشرينيات زائد الكارثة الاقتصادية في أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ جعلت كلها من وضع هذا الجزء من السكان الزراعيين في الولايات المتحدة الأمريكية الغارق بالفقر غير قابل للإصلاح. بيد أن النتائج الأولى لتطبيق قانون تجديد الزراعة أظهرت أن التدابير المتعلقة بتقليص الإنتاج الزراعي وإخراج جزء من الأراضي المحروثة من المعالجة جعلت هذه الفئة نفسها من السكان الزراعيين في الولايات المتحدة الأمريكية المحتاجة تعاني الكثير. وهذا الأمر ليس مدهشاً، لأنها لم تستطع أن تقدم أية منافع إلى من كان يملك قطعة أرض ضئيلة، أو لا يملك شيئاً بصورة عامة، بسبب جشع ونزوات مالكي الأراضي الزراعية الكبار الممتلئين بالكره تجاه السود ورغبتهم بعدم السماح بتحسين وضعهم المادي.

لم يمتلك المزارعون، والمستأجرون، والعمال الزراعيون السود عملياً أية إمكانيات لتحقيق تحسينات في أوضاعهم من خلال استخدام آلية اللجان التحكيمية. كان ممثلو مالكي الأراضي الزراعية البيض يتجاهلون شكاوي المستأجرين والمحاصصين السود المتعلقة بتحقيق وظائف المراقبة الفعالة. وكانوا، بغية عدم السماح بإضعاف تبعية المستأجرين لمالكي المزارع الكبيرة، يفشلون أية محاولات لإيضاح التشريع الزراعي لـ «النهج الجديد» على أساس عادل. سعى الموظفون الفدراليون بدورهم لأن يتمسكوا بـ «الحياد» لتأمين تعاون المالكين الكبار في تنفيذ البرنامج. لم يسمح مالكو المزارع الكبيرة، بإجراء

صياغة للتوصيات وللإشراف على توزيع المساعدة الحكومية لممثلي المستأجرين السود، مؤمنين من خلال ذلك كل المنافع والتسهيلات المنبثقة من القوانين المقرة. لم تلبث أن ظهرت النتائج. لقد بيّنت الصلاحيات المعطاة أن عدد المستأجرين السود في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠ أقل بـ ٢٠٠ ألف من عددهم عام ١٩٣٠. إذ انتقل الأمريكان السود من الجنوب إلى الشمال، وإلى المراكز الصناعية بشكل جماعي، واستقروا في أحياء الـ «غيتو» الفقيرة، وملؤوا جيش العاطلين عن العمل.

إن إصلاحات «النهج الجديد»، بدءاً من قانون تجديد الصناعة، حملت تغييرات معروفة إلى الأفضل في وضع سكان المدن السود. وقد بلغ عدد السود المسجلين في قوائم الذين يحصلون على مساعدة مادية حتى عام ١٩٣٥ نحو ٣,٥ ملايين شخص، وكان هناك ٢٠٠ ألف يشتغلون في مشاريع منظمة الاعتمادات المالية. بيد أن المساعدة في الكثير من الأمكنة «وعلى الأخص في الجنوب» لم تكن تغطي ولو قسطاً صغيراً من نفقات العائلة الزنجية على الطعام، وغيره من المواد الضرورية والمأوى، أما في الأعمال الاجتماعية فكان العمال السود يتعرضون بلا انقطاع للمعاملة المهينة وللتمييز ولمختلف أنواع الانتقاص من الحقوق.

كان الرفض الشكلي للإدارة الوطنية للتجديد لإدخال المبادئ التي لا تعترف بالمساواة في الحقوق بين العمال السود والبيض في مسألة الأجرة، في «قوانين المنافسة الشريفة» خطوة إلى الأمام. وكان التنظيم الحكومي لشروط الاستئجار يفرض قيوداً أخلاقية واضحة على الممارسة التمييزية من قبل أرباب العمل في المؤسسات الصناعية الكبرى، وفي النقل وفي فروع الصناعة التعدينية.

لكن أرباب العمل كانوا يجدون آلاف المنافذ كي يحيدوا عن تعميم البند الذي يتحدث عن الحد الأدنى لأجور السود. وبالإضافة لذلك فإن عدداً كبيراً من العمال السود كانوا يعملون في المؤسسات الصغيرة ذات التجهيزات القديمة، والقدرة التنافسية الضعيفة التي كانت النفقات على الرأسمال المتغير مرتبطة بها.

إن غلاء القوى العاملة بسبب إدخال قواعد جديدة للمقاييس وأجرة العمل، كانت تجبر أرباب العمل إما على تحديث مؤسساتهم، أو تقليص الإنتاج. وفي كلتا الحالتين أصبح العمال السود، الذين يملؤون صفوف العاطلين عن العمل هم الضحية الأولى للتعسف الاقتصادي. وهكذا، كانت نتائج التنظيم الحكومي لعلاقات العمل بالنسبة للكثير من فئات العمال سواء البيض منهم أم السود ثقيلة جداً.

لم تمس التغييرات الإيجابية التي تمت بسبب إقرار تشريع «النهج الجديد» معظم الشغيلة السود، لأن أغلبيتهم كانوا يعملون في الزراعة، وفي فروع الخدمات وغيرها من مجالات الاقتصاد، ولم يسر عليهم مفعوله. وكان قانون التأمينات الاجتماعية الذي قضى بإنشاء نظام الضمان التقاعدي المتعلق بالشيخوخة والتأمينات المتعلقة بالبطالة، قابل للتطبيق فقط على ١٠% من المجموع العام للسود في تركيب القوى العاملة. لم يُؤخذ بعين الاعتبار الزراعيون، والخدم، وعمال المهن الموسمية وغيرهم، لدى تحديد تلك الفئات من الكادحين، الذين كان يمكن أن يحصلوا على المساعدة والتقاعد في حالات مشروطة بالقانون بصورة خاصة. لقد كانت مسألة المحافظة على ولاء ديموقراطيي الجنوب كيلا يعطوا العنصريين حجة للهجمات الحادة على «النهج الجديد» أكثر أهمية بالنسبة لروزفلت من المواقف الصُّلْبة في المسائل المبدئية للسياسة الاجتماعية.

وعلى الرغم من ذلك كان يمكن النظر إلى أقل التنازلات التي تمت في أعوام «النهج الجديد»، على خلفية الوضع التراجيدي للأمريكيين ذوي البشرة السوداء في فترة حكم إدارة هوفر الجمهورية، كشعاع ضعيف من الأمل بالنسبة للسود في نهاية النفق المعتم والطويل. ولعل ذلك هو ما يفسر تحرك السكان الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب دعم الديمقراطيين الذين كان حزبهم خلال فترة طويلة حصناً للعنصرية.

لقد أثرت إصلاحات «النهج الجديد» على وضع الفئات الوسطى في المدينة بصورة بناءة، بيد أنها أحدثت علاقة مزدوجة. فمن جهة، بدأت مختلف فئات المثقفين، والشبيبة التي تتعلم، والمستخدمين، والأفراد ذوي المهن الحرة...إلخ، وبعد عدة سنوات من الوجود على حافة الهاوية، تشعر أخيراً بأمان أكبر نسبياً بفضل تحقيق البرامج الحكومية الخاصة للمساعدة. ومن جهة أخرى - فإن قسماً من الفئات الوسطى المرتبط بالبزنس الصغير، الذي آمن في البداية بوعد واشنطن بإعادة حقوق «أرباب العمل المستقلين» و«المنافسة الشريفة» عن طريق الحد من تعسف الرأسمال الكبير، سرعان ما اقتنع، بأن الحكومة ليست عاجزة فقط عن إيقاف عملية مركزة القدرة الاقتصادية، وإنما هي غير ميالة بصورة عامة للقيام بذلك. كان استياء وتحول هذا القسم من فئات المدينة الوسطى، المرتبطة اقتصادياً وإيديولوجياً بالبزنس الصغير يشهد على أن عملية تدهور وضعها الاقتصادي مستمر، ومجال النزاعات الاجتماعية في البلاد هو في تصاعد. كان ذلك يفترض بدوره إعادة تجميع جديدة للقوى السياسية، وظهور صدوع عميقة جديدة في العلاقات المتبادلة بين سواد الناس والأوساط الحاكمة التي كان تكوينها معرقلاً لـ «النهج الجديد». إن الاعتراف بضغط ثقل المشاكل غير المحلولة،

وعدم تناسق التدابير المتخذة مع حجم الكوارث، كل ذلك ظهر في كل جملة من جمل الخطاب المشهور لروزفلت الذي ألقاه في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧، بمناسبة تنصيبه للمرة الثانية رئيساً للجمهورية. لقد قال: «إنني أرى في هذه البلاد عشرات الملايين من مواطنيها - قسماً مهماً من سكانها الذين هم محرومون في نفس هذه اللحظة إلى حد كبير من الحد الأدنى في مستوى الحياة الضروري في الوقت الحاضر. إنني أرى ملايين العائلات التي تحاول العيش بدخول زهيدة جداً، بحيث تهددها كل يوم كارثة عائلية. إنني أرى ملايين الناس؛ إذ حياتهم العادية في المدن وفي المزارع تجري في ظروف معترف بأنها غير لائقة بالنسبة لمجتمع متحضر قبل نصف قرن. إنني أرى ملايين الناس، محرومين من التعليم والراحة، وتغيير مصيرهم ومصير أطفالهم نحو الأفضل. إنني أرى ملايين الناس محرومين من الوسائل لشراء منتوجات المزارع والمصانع، والذين يحرمون ببؤسهم ملايين كثيرة من أناس آخرين من إمكانية العمل بصورة مثمرة. إنني أرى أن ثلث الأمة يعيش في منازل سيئة، وبثياب سيئة، ويتغذون بصورة سيئة»[١].

أظهرت الإحصاءات والبحوث المختصة أن الأمر كان أسوأ مما تصوره الرئيس. فقد بيّنت الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٣٧-١٩٣٨ من جديد كم كانت متواضعة تلك المنجزات العملية لـ «النهج الجديد» وكم كانت الفجوة عظيمة بين الطوباوية النيوليبرالية والحالة الحقيقية للأشياء، وقبل كل شيء في مجال الوضع المادي لجماهير الكادحين. لم يخفِ المستثمرون الجدد في نهاية السنوات العشر من الأزمة تشاؤمهم فيما يتعلق بإمكانية تلافي

---

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin. D. Roosevelt: 1933 vol-1945 vol/Ed. By S. I. Rosenman. N.Y., 1938-1950, 1937 vol., p. 4-5.

تعرض مستوى حياة الأمريكان البسطاء للبؤس من جديد، ومن ثم وضع نهاية للعواقب القاتلة لفوضى الإنتاج الرأسمالي المستمرة.

٢ - الطبقة العاملة إلى جانب تعميق التحولات الاجتماعية

تجلّت العوامل بالغة الأهمية التي أجبرت إدارة روزفلت منذ الشهور الأولى لوصولها إلى السلطة، على اللجوء إلى المناورات الاجتماعية ، في نهوض النضال الجماهيري للكادحين الذي كان من إذ مداه وأهميته بارزاً في تاريخ الصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت جميع مخططات الحكومة مصوبة باتجاه تجنب الانفجار العفوي للاستياء العام الذي كان يمكن أن يأخذ شكل عمل ثوري ضد مبادئ النظام القائم. صادقت الطبقة الحاكمة - البرجوازية الأمريكية - على نهج الإصلاحات. إن برنامج «النهج الجديد» الغامض، والمعتدل في البداية كان مثله مثل البلاغة الليبرالية للمستثمرين الجدد انعكاساً لقوة وقدرة الحركة الشعبية الواسعة المتصاعدة من أجل التجديد الاجتماعي، والتي كانت الطبقة العاملة لأمريكا موجودة في قلبها.

اعتقدت حكومة روزفلت أن تشريع «المئة يوم الأولى» بالتطابق مع الوعود باستمرار التجربة في المستقبل، سيؤدي إلى إضعاف التناحرات الطبقية، وتخفيض حدة الصراع بين العمل ورأس المال، والأوساط الحاكمة وسواد الناس، من خلال فتح الأفق للعلاقات المنسجمة بينهما. وعلى الرغم من أن روزفلت لم يستطع تحقيق الهدف الموضوع كاملاً فإن زيادة النفقات على مساعدة العاطلين عن العمل، وإنشاء نظام الأعمال الاجتماعية، وتدابير مساعدة المزارعين، كل ذلك أدى إلى بعض الهبوط في الحركة الجماهيرية للعاطلين عن العمل في كثير من المراكز الصناعية، وإلى توقف تحركات المزارعين ذات الطابع الوطني العام والتمردات العفوية للشبيبة. بيد

أن فترة الراحة المرغوبة لم تحصل، بل على العكس فإن الحركة العمالية استمرت بصورة عامة في التطور بخط صاعد، زد على ذلك أن مركز النشاط انتقل إلى المؤسسات الفعالة، وإلى الفروع الرئيسية للصناعة. وأصبحت إضرابات وفعاليات العمال في الدفاع عن الحق في تنظيم النقابات الشكل الرئيسي للحركة. وتحول هذا النضال الذي لا حلولَ وسطاً فيه ولم ينقطع طيلة مدة أعوام الثلاثينيات العشر، والذي اتسم بالدراماتيكية، والعزيمة الشجاعة والتوهج الفكري العالي، إلى عامل مهم للغاية في التغيرات الاجتماعية.

لقد أضرب أكثر من مليون عامل أمريكي في عام ١٩٣٣، وهم يدافعون عن الظروف الأساسية للوجود وعن حق التنظيم في النقابات. لكن تلك كانت البداية فقط. إذ سارت الحركة الإضرابية المتعرجة بصورة مستمرة وصارمة إلى الأعلى. وتجاوز عدد المشاركين في الحركة الإضرابية عام ١٩٣٤ عتبة ١,٥ مليون مشارك. وانخرط في النضال عشرات الآلاف من عمال صناعة السيارات، والنسيج والمناجم، والمرافئ الصغيرة في السواحل الغربية، وعمال البناء ومعامل الألمنيوم، وسائقي السيارات الصغيرة في فيلادلفيا، وخياطي نيويورك، وشيكاغو وبوسطن وسان- لويس وكليفلاند، وعمال المناجم، وعمال أحذية لين (ولاية ماساتشوسيتس)... إلخ. شملت البلاد في صيف عام ١٩٣٤ سلسلة متتالية الواحدة تلو الأخرى من الإضرابات العامة - في توليدو، ومينيابوليس، وسان فرانسيسكو، وعمال صناعة النسيج. وعلى خلفية الاستياء العام في القواعد العمالية، وأزمة الثقة تجاه سياسة «السلم الطبقي» التي يمارسها زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل، واشتداد تأثير القوى اليسارية، بدت هذه الانتفاضات لأمريكا العمالية بصورة تنذر وتهدد بالتغييرات المهمة في تناسب القوى الطبقية في البلاد.

كانت الميزة التي تستحق الاعتبار بصورة أكبر لهذا النهوض تكمن في أن العمال لم يقتصروا على المطالب الاقتصادية فقط، وإنما توصلوا إلى التثبيت القانوني لتلك الحقوق الأساسية بالدفاع الجماعي ضد الاستثمار الرأسمالي الشديد، التي كان يكفلها بصورة شكلية قانون تجديد الصناعة. لقد كان قانون تجديد الصناعة من خلال التحفظات ومختلف أنواع الغموض الموجودة في فقراته العمالية، ملعباً لمراوغات الحكومة وأرباب العمل، بهدف تأييد نظام «الورشة المفتوحة»، والحؤول دون إنشاء نقابات جماهيرية في الفروع القديمة والجديدة. مستخدمين في ذلك ترسانة كاملة من الوسائل، بما في ذلك استخدام التشكيلات الخاصة المسلحة والمختصة، من أجل القمع الإرهابي للمبادرة العمالية، وإرهال النشطاء وتصفيتهم جسدياً. لكن الدروس التي اكتسبها عمال الولايات المتحدة الأمريكية من تجربة النضال في أعوام الأزمة لم تذهب عبثاً. وقد تجلّى الدرس الرئيسي منها في وعي القوة الحيوية العظمى للتضامن العمالي، وضرورة العمل بصورة مشتركة، ومنظمة.

عززت حركة العاطلين عن العمل هذا الدرس. فهناك، إذ كان يوجد تنظيم للعاطلين عن العمل، كان يمكن القيام بشيء ما من أجل العائلات المحتاجة، وهذا «الشيء الـ ما» كان غالباً ما يعتبر الفرصة الوحيدة، والأخيرة في ظروف الأزمة للنجاة من الموت جوعاً، ولإيجاد مأوى يبعد شبح التشرد عن تلك العائلات. كان من الممكن أن تكون الأعباء، التي اضطر العمال أن يتحملوها في نضالهم ضد البرجوازية الأنانية، المهتمة فقط في رفاهيتها الخاصة، وضد إرادة حكومتها، أقل وطأة، لولا الانقسام والفوضى في صفوفهم. وقد جعلت ثلاثة أعوام قاسية هذا الاستنتاج واضحاً بحد ذاته، ومارست تأثيراً كبيراً على توجهات اهتمامات الطبقة العاملة. وشكل هذا المزاج الجديد

للبروليتاريا عاملاً مهماً عجّل بالنهوض في الحركة من أجل تنظيم العمال في النقابات، الذي بدأ منذ عام ١٩٣٣.

وخلال مدة قصيرة من الزمن توقفت عملية تقلص أعداد الأعضاء في النقابات التريد - يونيونية، التي كانت تتطور منذ بداية العشرينيات، زد على ذلك أن عدد بعض النقابات ازداد عشرات، وحتى مئات المرات. فإذا كان عدد أعضاء التريد - يونيونات العام قد بلغ نحو ٣ ملايين عضو في عام ١٩٣٣، حسب معطيات الإحصاء العمالي، فقد ارتفع هذا العدد إلى أكثر من ٧ ملايين عضو عام ١٩٤٠. وهكذا تمَّ لأول مرة فتح ثغرات عميقة في الحواجز المضادة للنقابات التي كانت البرجوازية الكبيرة تطوِّق بها الكثير من فروع الصناعة الرئيسية التي يعمل فيها مئات الآلاف من الكادحين، مثل - الهندسة الكهربائية، والمعادن، والسيارات، والصناعة الكيميائية، وسيارات النقل، والصناعة النفطية، والطيران، وبناء الآلات، والتعدين وغيرها. كانت هذه العملية الساعية إلى تحرير الطاقة الكامنة في الحركة العمالية تستند إلى القواعد العمالية، وكانت تحمل طابعاً بركانياً عفوياً. لم تباغت هذه الحركة أرباب العمل، ورجال الأعمال والسياسيين فقط، وإنما أولئك الذين تربوا على عقائد هومبرس من القادة النقابيين القدماء - الذين كانوا يشغلون الطوابق العليا في سلم الدرجات القيادية في الفدرالية الأمريكية للعمل، وكذلك أكثرية موظفي الحلقة الوسطى.

كانت الميزة المهمة الأخرى تكمن في أن الحركة من أجل تجديد وتوسيع الحركة النقابية (التريد-يونيونية الجديدة) حصلت على انتشار كبير بين عمال فروع الصناعة الأساسية (المعدنية، والكيميائية، وبناء الآلات وغيرها)، أي هناك إذ درجة تعميم العمل، وعقلنة العمليات الإنتاجية، ومركزة الرأسمال وتركز القوى العاملة وصلت إلى مستوى الحد الأعلى في ذلك الزمن.

إن طابع تجميع الإنتاج على أساس نظام خط التجميع جعل الأمر واضحاً في عيون العمال الذين يعملون عليه فيما يتعلق بأفضلية التخلي عن البناء القائم على أساس الورشة للحركة النقابية وإنشاء نقابات إنتاجية جماهيرية في هذه الفروع، تجذب إلى صفوفها عمال مختلف الاختصاصات والمهارات المتساوية بدءاً من العمال العاديين وصولاً إلى الأشخاص ذوي الخبرة الهندسية- التقنية العالية، وأخيراً. لقد أصبح واضحاً أن كسر البناء الذي تكون خلال عشرات السنوات للحركة النقابية، ودمقرطتها وإشراك الجماهير الواسعة من العمال المستعدين بصورة نشطة لحل المهام الاجتماعية والسياسية. لا يلائم القيادة العليا الرجعية للفدرالية الأمريكية للعمل.

إن الخوف، من أن القطيعة مع الهومبرسية ستقود إلى التجذر السياسي للطبقة العاملة، دفعت هذه القيادة إلى مقاومة إنشاء نقابات إنتاجية بصورة علنية. وكان هذا يعني أن جوهر النزاع حول مسألة البناء التنظيمي للتريديونيونية كان يكمن في صراع نزعتين في الحركة العمالية - النزعة الاستسلامية، والتوافقية، والنزعة الطبقية البروليتارية، الديمقراطية بصورة ثابتة، والمصوبة نحو أهداف لنظام أكثر رقياً من تحقيق حاجات مادية واحدة فقط[1].

كان نهج الانقسام يظهر بصورة أقل أو أكثر تحديداً مع كل شهر. رفضت «التريد - يونيونية الجديدة» التي كانت تضم تحت رايتها الكتلة الأكبر من العمال غير المنظمين، والتي وجدت نفسها في ظروف كارثية بالغة السوء تماماً، بصورة حازمة مخطط الأعمال الصغيرة المبعثرة، المدعوم من قبل

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث: في جزأين، موسكو، عام ١٩٧٠-١٩٧١، الجزء الأول، ص ٢٧٢-٢٨٠.

قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل، التي لم تكن تخفي نواياها في «تدارك» النزاعات مع الرأسمال عن طريق الصفقات في الأروقة مع أرباب العمل، في أطر الوصفات الهومبرسية حول الشراكة الاجتماعية ووحدة مصالح زعماء الطبقة العاملة والبرجوازية. إن قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل، وبالاتفاق بصورة كاملة مع هذه الإستراتيجية الاستسلامية، لم تكن ترغب - على سبيل المثال - بتغيير أي شيء، في وضع العمال السود، من خلال رفض الاقتراحات لبدء حملة لضمهم إلى النقابات[1]. وعلى العكس، وخلافاً للاتحادات القومية وما بين القومية للفدرالية الأمريكية للعمل التي كانت تسعى لعدم السماح للسود بالانضمام إلى صفوفها، فإن الـ «تريد - يونيونية الجديدة» قامت بخطوة مهمة لهدم الحواجز العنصرية، من خلال فتح الأبواب أمام الكادحين الملونين، الذين كانوا يتعرضون لاضطهاد وتمييز بالغي القسوة.

إن الجو السائد في الاتحادات الجديدة نادراً ما كان يتعارض مع الرتابة، واللامبالاة، والركود، والهزيمة، التي كانت تأكل معظم النقابات التريد- يونيونية المبنية على الورشة في الفدرالية الأمريكية للعمل. كتب بوير وموريس: إن «استوعبت النقابات الجديدة الأساليب الكفاحية للعمال الصناعيين في العالم ولرابطة الوحدة النقابية من خلال: الاجتماعات الجماهيرية الضخمة للقائمين بالحراسة، والأغاني الصادحة، والجدالات الصريحة، والاجتماعات الصغيرة والكبيرة، وتوحد النساء في منظمات نسائية، ومساعدة ومشاركتها الفعالة في الإضرابات. لقد مارست هذه النقابات إضرابات «الجلوس»، وإبطاء وتائر

---

(١) The Negro and the American Labor Movement/Ed. By J. Jacobson. Garden City (N.Y), 1968, p. 162-170.

العمل، والمظاهرات، وأنشأت فصائل طيارة كانت تنتقل أثناء الإضرابات من مكان إلى مكان، عندما كانت تنشأ حالة خطرة»[1].

ساعدت أشكال النضال، التي اختارتها «التريديونيونية الجديدة» في جذب القاعدة العمالية الجماهيرية إلى صفوفها، وإطلاق مبادرتها، ودفع نشطائها المخلصين لطبقتهم إلى الأمام، والذين كان من بينهم الكثير من الأشخاص الذين خاضوا تجارب قاسية.

لم يكن النجاح الحقيقي للنضال الطبقي في الصناعة في الدفاع عن المطالب الاقتصادية ومن أجل الحق في النقابة في السنوات الأولى لـ «النهج الجديد» كبيراً بصورة عامة. كانت الانتصارات تتخللها الهزائم. لم تكن «التريد - يونيونية الجديدة» من خلال اتحاداتها الإنتاجية الشابة التي ظهرت للتو قادرة على الحصول على الاستقرار الضروري. ولكن الحركة الإضرابية في عام ١٩٣٣-١٩٣٤ كانت تجربة جيدة في النضال. لقد ساهم سير الأحداث في نمو الوعي الذاتي الطبقي للعمال، ومبادرات القواعد، وإغناء الحركة بأسرها بالروح الهجومية، وتقديم القادة من العمال الشباب البارزين، المرتبطين بصورة وثيقة بالوسط العمالي، والذين لم يكن أفقهم الفكري والسياسي مقيداً بأطر النزعة النقابية ضيقة الأفق. ولقد كان للشيوعيين دورٌ ومكانٌ خاصٌّ بينهم.

يكتب الباحثون الأمريكيون المعاصرون: «... في عدد من الفروع الصناعية، كان قادة الحركة البسطاء من إذ نظراتهم الفكرية والسياسية راديكاليين، واشتراكيين من مختلف الأنواع... إلى جانب ذلك كان الشيوعيون

---

(١) بوير ر. او. ، وموريس غ. م. تاريخ غير مروي للحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٧٥، ص ٤٤٣.

يتمتعون بالتأثير الأكبر من بين جميع المجموعات الراديكالية، وبصورة معترف بها في تلك الفروع مثل صناعة السيارات والمواصلات البحرية، ولعبوا دون نقاش دور القوة المبادرة الرئيسية. لقد تحولت خلايا الحزب الشيوعي في تلك الفروع إلى مراكز مفتاحية للدعاية ولتعبئة العمال»[1].

بالطبع، وضع الشيوعيين في عدد من الفروع، إذ كانوا يعملون في البداية وحدهم عملياً، الأسس للنقابات الجماهيرية، ويمكن الاستمرار في التعداد: الفروع التي كان من بينها صناعة صب الفولاذ، والهندسة الكهربائية والصناعة الكيميائية، والمطاطية وغيرها، ولم يظهر الشيوعيون كمنظمين شجعان وقادة سياسيين للجماهير فقط، وإنما أيضاً كمبدعين للتكتيك الجديد في «الحرب الصناعية»، الذي جلب في نهاية المطاف نجاحات جدية للعمال[2]. ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار، أن الشيوعيين وغيرهم من المجموعات اليسارية قادوا عملية «تعليم» الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية الأشكال الجديدة للنضال في ظروف معقدة بصورة خاصة - بعد فترة طويلة من «الإقلاع» عن الأعمال الجماهيرية النشيطة، ومع استمرار نشاط الفدرالية الأمريكية للعمل الماكر المعادي للإضرابات[3]، الذي كان يساعد الاحتكارات في إستراتيجيتها،

---

(١) Piven F.F. Cloward R.A. Op. cit, p. 151;
انظر كذلك: Decaux L. Labor Radical: From the Wobblies to the CIO, a Personal History. Boston, 1970; Mortimer W., Organize: My Life as a Union Man. Boston, 1971

(٢) معالم التاريخ الكفاحي، ص ١٠٥-١٢٥.

(٣) W. Green to M.D. Clark, February 5, 1934, - Wisconsin. State Historical Society Library, AFL, Papers;
ثم: Strike and Agreement File. Box 11. (Wash. Library).

الموجهة إلى المحافظة على نظام «الورشة المفتوحة» في أغلب فروع الصناعة. لقد وضع الشيوعيين قواعد الكثير من النقابات الجماهيرية في أعوام الأزمة ومن بينها - نقابة عمال صناعة السيارات[١].

وبنتيجة البحث الصارم توصل الكثير من المؤرخين الأمريكان المعاصرين إلى استنتاج، بأن نشاط الشيوعيين امتلك أهمية حاسمة في الفترات الأكثر صعوبة من تشكل نقابة عمال السيارات: بدءاً من الخطوات الأولى لتحرير النقابات التي أنشأتها القواعد العمالية في المصانع من الوصاية التوفيقية القاتلة لمبادرة سواد العمال من قبل زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل وصولاً تشكيل النقابة المستقلة لعمال صناعة السيارات عام ١٩٣٦. وليس أمراً مدهشاً أنها احتلت مكانها في المجال السياسي مباشرة في الجناح اليساري من الحركة النقابية.

إن حل رابطة الوحدة النقابية عام ١٩٣٥ بقرار من قيادة الحزب الشيوعي، وضم الكادرات النقابية المجربة ذات الاتجاه اليساري إلى الحملة التنظيمية لإنشاء اتحادات إنتاجية جماهيرية بطرق طبيعية دفع بها (أي الكادرات) إلى مناصب قيادية، سمحت لها بأن تقوم بدعاية سياسية ناجحة في قلب الجماهير. هذا ما حصل على سبيل المثال، في سير تشكل النقابات في صناعات الهندسة الكهربائية وصب الفولاذ[٢]، إذ أثَّر دخول اليساريين إلى النواة القيادية بصورة مفيدة على نشاط هذه الاتحادات، وأدى بصورة سريعة إلى زيادة دورهم في الحركة العمالية.

تميزت نهاية عام ١٩٣٤ - وبداية ١٩٣٥ بمجموعة من الأحداث على جبهة نضال العمل ورأس المال، والديمقراطية والرجعية، أظهرت مسار

---

(١) Keenan R. The Communist Party and the Auto Workers Union Bloomington, 1980.

(٢) Labor History, 1976, Summer, vol. 17, N 3, p. 351-371.

تتطور الحركة العمالية والديمقراطية. إن تجذُّر الحركة الجماهيرية الواسعة والأعمال المباشرة من جانبها (الإضرابات الضخمة، وانتفاضات العاطلين عن العمل، واضطرابات المزارعين.. إلخ) كانت تتوافق مع التظاهرات النوعية الجديدة - ارتفاع مستوى الجانب التنظيمي للكثير من حركات الاحتجاج واشتداد النزعة الموجهة للتلاحم الفكري. وقد حصل نضال الطبقة العاملة على دعم محدد من جانب الديمقراطية البرجوازية الصغيرة، والفئات الوسطى في المدينة، والمثقفين.

تعززت الروابط بين اتحادات المزارعين والنقابات، ومنظمات العاطلين عن العمل التي كانت بأكثريتها تسعى للتنسيق مع المضربين. وحققت خلايا النقابات الإنتاجية التي ظهرت في الكثير من الفروع، وما يسمى بالاتحادات الإنتاجية الفدرالية التي كانت تعترف بها قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل، دستوريتها في النقابات التريديونيونية الفرعية نتيجة إصرارها على قيادة موحدة. وفي خريف عام ١٩٣٤ وربيع عام ١٩٣٥ تم القيام بأول خطوات مهمة باتجاه توحيد حركة العاطلين عن العمل. لم تكتسب الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية كمؤشر سياسي في تاريخها بأسره تلك الدرجة العالية من الاستقلالية. وازداد ضغطها على مؤسسات السلطة بصورة ملحوظة.

اعتبر روزفلت مع أنصاره في كلا الحزبين البرجوازيين في بداية الأمر أنه من الممكن الاكتفاء بالحد الأدنى من الاستحداثات في التشريع العمالي، ولكن سرعان تبددت تلك الأوهام، وكان لا بد من الاعتراف، بأن تكتيك التسويف في تحقيق الإصلاحات الناضجة لا يمكن أن يحقق النجاح، إذا بقيت مهمة المحافظة على إشراف نظام الحزبين الذي فات وقته على الجماهير كما هي. أظهرت الانتخابات الخريفية عام ١٩٣٤ للكونغرس أن دعم الحركة العمالية

والديمقراطية تملك بالنسبة لـ «النهج الجديد» ولليبرالي روزفلت أهمية حاسمة. وقد قادت هذه الحقيقة إلى استنتاج آخر أيضاً: إن سلبية الحكومة في مسألة تحديث نظام علاقات العمل والتأمينات الاجتماعية كانت تهدد بالتحول في انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٦، وبالهزيمة الساحقة للديمقراطيين وظهور معارضة سياسية قوية لنظام الحزبين تحت قيادة تقدمية.

وإذا تم الأخذ بعين الاعتبار نجاحات حركات الجبهة الشعبية في فرنسا وإسبانيا وعدد آخر من البلدان، كان يمكن التوقع بأن الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية ستتطور في هذا الاتجاه تقريباً كذلك.

كان روزفلت يراقب بنظرة ثاقبة ما يحدث في أوروبا، وهذا ما كان يقنعه بصورة أكبر بضرورة أن يرفض تطلع القوى المحافظة التي كانت تطلب من البيت الأبيض أن يتخذ موقفاً صلباً من الحركة العمالية والديمقراطية العامة التي تتطور بصورة عاصفة، وإذا تطلب الأمر، استخدام القوة لـ «تهدئتها».

أثَّر التفاقم في العلاقات الذي برز عام ١٩٣٤ بين الحركة العمالية والحكومة، وازدياد التوتر اللذان نجما عن المماطلة في قضية حل مشاكل التأمينات الاجتماعية، وعدم الاهتمام بذلك، سلباً على وضع الكادحين في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ظهر استياء العمال من المماطلة في إدراج النظام الفدرالي للتأمينات الاجتماعية، وكذلك من طي مشاريع منظمة العمل المدني بضغط من الرأسمال في ربيع عام ١٩٣٤. إن إبطال قانون تجديد الصناعة بقرار من المحكمة العليا بدءاً من ٢٧ أيار عام ١٩٣٥، الذي اعتبر عملاً غير دستوري، أثار موجة غضب عارمة، بحيث أجبر حتى جزءاً من العمال القياديين ذوي الميول المحافظة للتوصل مع الكونغرس إلى موافقة

على مشروع القانون المقدم من السناتور فاغنر في ربيع عام ١٩٣٤ حول إصلاح قانون العمل[1].

وتوعَّد رئيس الفدرالية الأمريكية للعمل أو. غرين، الذي كان مجبراً على أخذ الموجة المتصاعدة من الاحتجاجات في صفوف الحركة العمالية بعين الاعتبار، الكونغرس بإضرابات عامة في حال كان التصويت على مشروع قانون فاغنر غير ملائم. وبسعيٍ من الكونغرس لتجنب المواجهة المباشرة قام بالتصويت في بداية نيسان عام ١٩٣٥ على مشروع قانون حكومي حول تخصيص نحو ٥ مليارات دولار للأعمال الاجتماعية تحت إشراف منظمة الاعتمادات المالية، واقترع مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية ١٦ أيار عام ١٩٣٥ إلى جانب مشروع فاغنر، محفزاً بذلك البيت الأبيض أن يعلن جهاراً ولأول مرة تقريباً عن موافقته على «هذا القانون الراديكالي نفسه». أخيراً، شكل إقرار التشريع المتعلق بالتأمينات الاجتماعية والموافقة عليه من قبل الكونغرس في آب عام ١٩٣٥ انتصاراً كبيراً جداً للكادحين.

كانت كل هذه الإصلاحات الليبرالية كما اعترف روزفلت وموظفوه المقربون أكثر من مرة، ردَّ فعلٍ متأخراً على متطلبات التطور الاجتماعي. بيد أن الحقائق تشهد بصورة لا تُدحض، أن مصير هذه الإجراءات كان يمكن أن يكون حزيناً، لو أن الطبقة العاملة لم تجبر الأوساط الحاكمة أن تأخذ بعين الاعتبار، وأن ترغم الحكومة والكونغرس على إجراء تنازلات ولو بصورة

---

(١) انظر بالتفصيل: سياتشيف ن. ف. نضال الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التشريع الاجتماعي أعوام (١٩٣٣-١٩٣٥) – التاريخ الحديث والمعاصر، عام ١٩٦٢، رقم ٢، الصفحة ٢٩-٤٢، مالكوف ف. ل.، ونادجافوف د. غ. أمريكا في مفترق طرق. عام ١٩٢٩-١٩٣٨، ص ١١١-١١٣.

وسطية، مغطاة بصورة دقيقة بالعديد من الأفخاخ.. إلخ، ولكنها مع ذلك قدمت للكادحين تسهيلات معروفة.

كانت الحالة، التي ظهرت نتيجة الاستقطاب الحاد للقوى الطبقية في البلاد لغاية أواسط أعوام الثلاثينيات، واشتداد مقاومة رأس المال والرجعية، تتطلب من الحركة العمالية توسيع النضال لإنشاء نقابات جماهيرية. إلا أن الكثير من الصعوبات ظهرت على هذا الطريق، على الرغم من أن حقوق العمال كانت مضمونة على الورق من خلال قانون فاغنر. لم يكن السبب يكمن في المقاومة الشرسة جداً من قبل أرباب العمل فقط، وإنما في الصعوبات أيضاً، المرتبطة بانقسام الحركة العمالية، والتي كانت تعرقل تطورها منذ زمن طويل. إن التركيب المتعدد الجنسيات، والشقاق العنصري، وغياب التجربة الجدية في النشاط السياسي المستقل، والأرضية الأيديولوجية التقليدية للحركة النقابية الأمريكية (الخضوع لنظام الحزبين، وتأثير الهومبرسية وغيرها) - إن كل ذلك كان يعيق عملية تلاحم الحركة العمالية تحت راية النضال في سبيل المصالح الطبقية للبروليتاريا. هذا هو السبب، في أنه عندما انتصبت أمام الحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية المسألة المهمة المتعلقة بتوسيع قاعدتها الجماهيرية، اصطدمت بالتعقيدات الداخلية، التي جرَّت إلى صدام حاد مسَّ الكثير من جوانب الحركة العمالية، وظلت عواقبها مستمرة لمدة طويلة.

إن مسببات هذا الصدام، كما هو معروف تعود إلى الخلاف الفكري بين التيارين الثوري الراديكالي اليساري، والانتهازي في الحركة العمالية المنظمة في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي ظهر منذ بداية القرن العشرين. لكن السبب المباشر كان يكمن في رفض أكثرية قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل الاستجابة بصورة فعالة لمشاكل الحركة النقابية الملحة، والاعتراف بحركة القواعد والنتائج

التي تمَّ الحصول عليها لغاية عام ١٩٣٥ في مسألة قبول أعضاء جدد. بيد أن تناسب القوى في الحركة النقابية كان يتغير في كل شهر ليس لصالح التنظيمات ذات البناء القائم على الورشة، والطائفية والاتحادات المغلقة. وحتى الزيادة في صفوف الفدرالية نفسها كانت تسير بصورة رئيسية عن طريق الاتحادات الإنتاجية الداخلة في عضويتها. فإذا كانت الاتحادات الإتناجية تشمل في عام ١٩٢٩ فقط ١٧% من العمال المنظمين في التريديونيونات، ففي عام ١٩٣٣ شملت ٢٧%، أما في عام ١٩٣٤ فقد شملت ٣٣%[١].

كان الظهور العفوي لما يسمى بالاتحادات الإنتاجية الفدرالية في فروع الإنتاج بالجملة، والتي كانت متمسكة بدستوريتها في إدارة الاتحادات الوطنية الإنتاجية في المركز الموحد تحت رعاية الفدرالية الأمريكية للعمل، تهدد في حالة عدم القبول بذلك بالانسحاب من الفدرالية. كانت الحركة التي تتصاعد كل يوم بالمعنى الحرفي للكلمة من أجل المساواة بين الاتحادات الإنتاجية وتلك القائمة على أساس الورشة، ومن أجل إعادة النظر بالمبادئ التنظيمية للفدرالية الأمريكية للعمل، تَعِد لخرق تلك الحواجز التي كان يضعها بصورة دائمة زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل أمامها، الذين كانوا يحافظون بحماس على امتيازات الأرستقراطية العمالية، ويفضلون إبقاء الحركة في حالة من التبعثر. ومع الزمن كانت تتضح بصورة محددة وبقوة مصالح الطرفين، المنجذبين إلى هذه الحرب القاسية في «البيت العمالي». وفي الوقت الذي كانت فيه الجماهير العمالية في الفروع الصناعية الرئيسية تقف إلى جانب إعادة بناء الحركة النقابية على أساس إنشاء اتحادات إنتاجية جماهيرية، قادرة على مجابهة الرأسمال على نطاق الفروع،

(١) Millis H.A., Montgomery B.E. The Economics of Labor. N.Y.; L., 1945, vol. 3. Organized Labor, p. 97, 89, 198.

كان الرجعيون في الفدرالية الأمريكية للعمل يلحون على مبادئ الانعزال في نطاق المهنة، ولامركزية الحركة النقابية. أصبح شعار الجماهير هو النضال الثابت من أجل تحسين أوضاعها المادية وحقوقها الاجتماعية باستخدام ذخيرة واسعة من الوسائل وطرق النضال (الإضرابات العامة، والجالسة، ومسيرات الجوع وغيرها). كانت هذه الطرق بالنسبة لقسم أساسي من زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل غير مقبولة، لأنها كانت عبارة عن تمرد بل ثورة.

كانت أكثرية الطبقة العاملة تُصِرُّ بصورة حدسية، وأحياناً بصورة واعية على تدخل الحركة العمالية المنظمة بحزم أكبر في السياسة. لكن الزعماء المحافظين للفدرالية الأمريكية للعمل، الذين كانوا ينظرون إلى أية محاولة لإنشاء آلية سياسية خاصة قادرة على الدفاع عن مصالح الكادحين كدسائس لـ «الحمر»، ومقصد شيطاني لإحباط طريقهم الذي يتسم بـ «الحياد» السياسي، المرسوم من قبل هومبرس، ولم يستطيعوا التهادن مع ذلك ولا بأي شكل من الأشكال. قام زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل بكل ما يتعلق بهم من أجل تأخير ما هو حتمي. ففي عام ١٩٣٤ انعقد في سان- فرانسيسكو المؤتمر الدوري للفدرالية الأمريكية للعمل. واتخذ النضال هنا بين أنصار تنظيم العمال في النقابات حسب المبادئ الإنتاجية وبين المدافعين عن الانعزال في نطاق المهنة طابعاً حاداً، وعلى الرغم من أنه لم يعط نتائج محددة، بيد أنه كان من الواضح أن هذا يجب أن يحدث عاجلاً أم آجلاً.

أدت العلاقة السلبية بصورة حادة لأكثرية زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل تجاه الحركة من أجل الاتحادات الإنتاجية، إلى أن الأخيرة هددت بالخروج من تحت إشراف «المعتدلين» وإيجاد أشكال للنضال من أجل الكسر

الجذري للحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية وتجديدها، ومن أجل القطيعة مع الإيديولوجيا البرجوازية لـ«التريد - يونيونية العملية»، ومن أجل انتصار مبادئ الديمقراطية النقابية على نظام القيادة البيروقراطي، ومن أجل التدخل الفعال للحركة العمالية المنظمة في النضال السياسي. لقد أدرك أولئك القادة النقابيون الذين وقفوا إلى جانب إنشاء تريد - يونيونات إنتاجية مثل (ج. لويس، وس. هيلمين، وتش. هوفارد وغيرهم) أن المحاولات اليائسة لإثارة العراقيل أمام مبادرة الجماهير تؤدي إلى تعميق أزمة الهومبرسية فقط، وإلى نمو الجذرية السياسية. وفي سعي مجموعة الزعماء هذه برئاسة رئيس اتحاد عمال المناجم ج. لويس، كيلا تتخلف عن الحركة، قررت الإسراع في القطيعة مع الأكثرية المحافظة في المجلس التنفيذي للفدرالية الأمريكية للعمل، التي فقدت الاعتماد الأخلاقي في أعين الملايين من العمال. وفي المؤتمر الـ ٥٥ للفدرالية الأمريكية للعمل المنعقد في مدينة أتلانتيك - سيتي (عام ١٩٣٥) حدث صدام مكشوف بين الأكثرية المحافظة وأنصار الاتحادات الإنتاجية. ولقد أنشأ هؤلاء الأنصار في تشرين الثاني عام ١٩٣٥، وفي إطار الفدرالية الأمريكية للعمل لجنة النقابات الإنتاجية، التي أعلنت هدفاً رئيسياً لها - المساعدة في توحيد العمال غير المنظمين في اتحادات إنتاجية. وقد لعب عدد من النقابات الكبيرة دور المؤسِّس للجنة النقابات الإنتاجية، وانتُخب جون لويس رئيساً لها. وهكذا أصبح الانقسام في الفدرالية الأمريكية للعمل أمراً واقعاً.

اعتبر المجلس التنفيذي للفدرالية الأمريكية للعمل مباشرة أن ما حصل هو بعث لتريديونيونية مزدوجة. إلا أن الاتهام المختلق لم يثبط العزم أبداً لآلاف المتحمسين الشباب، الذين أخذوا ينتظمون في كل البلاد في اتحادات العمال الإنتاجية في فروع الصناعة الأساسية. كانت الحركة ترتفع إلى درجة جديدة

مثيرة الدهشة حتى لدى أولئك الزعماء الذين يصورهم الكثير من المؤرخين البرجوازيين الأمريكان كـ «آباء مؤسسين» للجنة النقابات الإنتاجية.

إن وصول القوى اليسارية إلى قيادة عدد من النقابات التي أنشئت حديثاً زاد في الطين بلة. إذ دخل نضال التيارين في الحركة النقابية الأمريكية في مرحلة الصدام الحاد جداً. وجه المجلس التنفيذي للفدرالية الأمريكية للعمل سلسلة من الإنذارات النهائية إلى لجنة النقابات الإنتاجية، يطلب فيها بأن تقوم بحلِّ نفسها. أقرَّ مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل في مدينة تامب (تشرين الثاني عام ١٩٣٦)، بعد أن تسلم الجواب بالرفض، اقتراح القيادة الرجعية للفدرالية بالفصل «المؤقت» للاتحادات، الداخلة في عضوية لجنة النقابات الإنتاجية.

لم تكن مقاومة أنصار هومبرس هي الوحيدة، الأمر الذي كان يتطلب تذليل ذلك من قبل القوى التقدمية في النضال من أجل جذب ملايين العمال تحت راية النقابات الجماهيرية. كانت المعارك في المعامل أكثر ضراوة. لم تكن الاتحادات الاحتكارية العملاقة ترغب في السماح بتدخُّل النقابات في أراضي الإمبراطوريات الصناعية. ولقد وصلت حدّة المعارك الطبقية بين عامي ١٩٣٦-١٩٣٨ إلى أعلى ذروة.

قام العمال بالهجوم ضد الاحتكارات في الفروع الأساسية، مستندين في ذلك إلى الدعم الشكلي للحقوق المسجلة في قانون فاغنر من قبل الكونغرس. اجتاحت موجة كبيرة من الإضرابات التي لا سابق لها بالمعنى الحرفي للكلمة، والتي حدثت بمبادرة من القواعد العمالية بصورة عفوية المراكز الصناعية الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية. وأصبح الشعار الرئيسي للمضربين

هو المطالبة بالاعتراف بنقاباتهم، أما الخاصة المميزة لهذه الحركة الإضرابية فكانت الانتشار الواسع لما يسمى إضرابات «الجالسين». لقد شارك في هذه الإضرابات نحو نصف مليون عامل بدءاً من أيلول عام ١٩٣٦ حتى أيار عام ١٩٣٧. وفي عام ١٩٣٦ وصل عدد تلك الإضرابات إلى ٥٠ إضراباً، وفي عام ١٩٣٧ إلى ١٧٠ إضراباً.

لقد تمسّك العمال، بعد إعلانهم للإضراب، بمواقعهم ولم يغادروا أرض المعمل حتى تتحقق مطالبهم. وجابهوا القمع القاسي من البوليس وفصائل الحرس الخاصة بثبات وإرادة، وروح عالية من التضامن الطبقي.

انتهت في صناعة السيارات بانتصار العمال السلسلة الطويلة والمثابرة بصورة استثنائية من إضرابات «الجالسين» في الدفاع عن الحق في التنظيم. وفي شباط عام ١٩٣٧ وقّعت «جنرال موتورز» أول اتفاقية جماعية لها مع الاتحاد الموحد لعمال صناعة السيارات. ومباشرة إثر ذلك، اعترفت «يونايتد ستيتس ستيل» في ٣ آذار عام ١٩٣٧ وبـ «صورة طوعية» بالنقابة. وفي كانون الأول من نفس العام جرى انعقاد أول مؤتمر لاتحاد عمال صب الفولاذ. مارس التنازل الذي تمَّ من قبل هذين العملاقين الصناعيين لصالح الحركة العمالية المنظمة تأثيراً كبيراً جداً على الاحتكارات الأخرى. إذ بدأت الاحتكارات الضخمة لصناعة الهندسة الكهربائية والصناعات النسيجية والكيميائية الواحدة تلو الأخرى، بالمفاوضات مع النقابات الإنتاجية الداخلة في عضوية كونغرس النقابات الإنتاجية. ولقد بلغ عدد الأعضاء في اتحادات كونغرس النقابات الإنتاجية في نهاية عام ١٩٣٧ نحو ٤ ملايين عضو.

كان من الممكن أن تكون نجاحات الحركة العمالية أكبر أيضاً، لو أنها استطاعت إيجاد طرق للتغلب على الانقسام في صفوفها. لم تستسلم قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل مع حقيقة وجود تنظيم مستقل عن المركز، والنشاط المنسق للاتحادات الإنتاجية. لم يتخلَّ زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل الذين غيروا بعض الشيء من موقفهم الخاص تجاه جذب العمال غير المنظمين إلى النقابات، وجعلها أكثر مرونة، عن فكرة تصفية كونغرس النقابات الإنتاجية. إذ تمَّ رفض كل الحلول الوسط، وانهال الجهاز الدعائي للفدرالية الأمريكية للعمل على كونغرس النقابات الإنتاجية بالتهديدات واللعنات على أمل استعداء الرأي العام في البلاد ضدها. ولم يخجل زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل من تسمية كونغرس النقابات الإنتاجية في خطبهم بالتنظيم «التخريبي»، وكأنه واقع في أيدي الثوريين الحمر والفوضويين.

صادق مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل، المنعقد في مدينة دينفير (عام ١٩٣٧) على أعمال المجلس التنفيذي الموجهة نحو فصل الاتحادات الملتفة حول كونغرس النقابات الإنتاجية. وبهذا العمل تكون القيادة الرجعية للفدرالية الأمريكية للعمل قد رفضت بصورة شكلية كل مساعي القوى التقدمية في الحركة النقابية للحفاظ عليها موحدة.

إن مسألة دستورية كونغرس النقابات الإنتاجية كمركز مستقل للحركة النقابية تم حلها عملياً في اجتماع اللجنة الذي تم في مدينة أتلانتيك - سيتي (خريف عام ١٩٣٧)، والذي أقر برنامج التنظيم الجديد. وقد صادق مؤتمرها الأول المنعقد في بيتسبورغ في تشرين الثاني عام ١٩٣٨ على الميثاق والاسم الرسمي للمركز النقابي الجديد - كونغرس النقابات الإنتاجية. وتم انتخاب

جون لويس رئيساً له. إن الانقسام بين التيار المهني فقط والتيار الذي يسترشد بالأهداف الاجتماعية الأكثر اتساعاً، والذي ينجذب باتجاه معادٍ للتأثيرات البرجوازية، نحو الاستقلال السياسي، أصبح واقعاً.

كان كونغرس النقابات الإنتاجية في أعوام تشكله وتطوره منظمة كفاحية، تحمل في داخلها الكثير من السمات التقدمية، وتقاليد الحركة العمالية الأمريكية. لقد كان ملزماً بإشاعة الروح الديمقراطية والعزم على خوض النضال دون حلول وسط في سبيل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، على اعتبار أنه نشأ خلال المعارك الطبقية القاسية في الصناعة، واعتمد على القواعد العمالية، التي قدمت من بين صفوفه مئات القادة الموهوبين والمخلصين ذوي الاتجاه اليساري.

كان الأمر الأكثر جوهرية يكمن في أن كونغرس النقابات الإنتاجية برز وتطور لبعض الوقت كجامعة فكرية وسياسية وتنظيمية محددة، طرحت جانباً الدعوات إلى الهومبرسية بسبب جوهرية وجودها، والتجسيد الحي لكل أشكال التطرف في السياسة البرجوازية العمالية، التي كانت كما كتب ف. ي. لينين موجهة دائماً نحو إجبار الطبقة العاملة كي تنسى «أهدافها التحررية»، وأن تنحصر فقط «بالاهتمام بالاتحادات تارة من جهة، وتارة من جهة أخرى بالحزب البرجوازي من أجل (تحسين وضعها العبودي) الوهمي»[1].

لقد رفضت «التريد- يونيونية الجديدة» التكتيك الذي طَرَحَهُ زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل، المداهنون للبرجوازية بصورة يرثى لها، والذي كان يفتت الطبقة العاملة خلال أعوام طويلة. وأكّد كونغرس النقابات العمالية بنضاله

(١) لينين ف. ي. المؤلفات الكاملة، الجزء ٢٢، ص ٢٣٢.

وإنجازاته في مجال السياسة الاجتماعية ما هو مضاد لهذا التكتيك، زد على ذلك كانت قوة وضعف «التريد-يونيونية الجديدة» تعكس درجة التذليل العصيب من قبلها لإرث الهومبرسية سواء في مجال الأفكار، أم في مجال الممارسة العملية.

دخلت حركة العاطلين عن العمل في عام ١٩٣٥-١٩٣٦ في مرحلة نوعية جديدة من تطورها. اشتدت فيها النزعات التوحيدية، ونتيجة ذلك توسع مدى تأثيرها السياسي بدرجة ملموسة. وفي ربيع عام ١٩٣٥، وعلى قاعدة منظمات العاطلين عن العمل التي يقودها الاشتراكيون، تم إنشاء اتحاد أمريكا العمالي، الذي اتخذ قراراً في كانون الثاني عام ١٩٣٦ بالاندماج مع التيار الأضخم والأكثر تأثيراً في حركة العاطلين عن العمل - مع مجالس العاطلين عن العمل التي كان الشيوعيون موجودين في رئاستها. مارست دروس نضال الحركة العمالية الأوروبية ضد الفاشية والرجعية، وتجربة سياسة الجبهة الشعبية تأثيراً إيجابياً على عملية تطور هذه النزعات التوحيدية. وفي آذار عام ١٩٣٦ تمت صياغة اتفاقية حول إعادة الوحدة لكل حركة العاطلين عن العمل في إطار منظمة واحدة، تبنت اسم (الاتحاد العمالي).

كان للشيوعيين والاشتراكيين الكلمة الحاسمة في قيادتها. لقد جرى الحديث في (إعلان المبادئ) المقر من قبل مؤتمر هذه المنظمة (نيسان عام ١٩٣٦) عن ضرورة النضال في سبيل الحرية الكاملة للعمال والمزارعين، باستخدام كل ما يملكونه من قوة سياسية واقتصادية. وفي الوثيقة المقرة تمَّ التعبير عن العزم لتحقيق إقامة «نظام اجتماعي جديد، يكون فيه الإنتاج المخطط حسب حاجات الناس بديلاً للفوضى الحالية في الإنتاج، الخاضع لمبدأ الربح»[١].

---

(١)Workers Alliance, 1936, Apr., vol. 1, N 13.

وتحت رعاية الاتحاد العمالي اكتسب نضال العاطلين عن العمل طابعاً أكثر تنظيماً ومنهجيةً. وبدأت تنشط المظاهرات والمسيرات واجتماعات العاطلين عن العمل. وقد نجح نشاط الاتحاد على نحوٍ خاص في تنظيم العاطلين، والعاملين في الأعمال الاجتماعية.

كان الاتحاد العمالي بالنسبة لهذه الفئة من الكادحين عملياً مركزاً مهنياً فريداً من نوعه، يمثل مصالحها ويتحدث باسمها. وقد تمَّ تدقيق وتعيين المطالب الاقتصادية والسياسية بصورة ملموسة، والتي كان يجب أن يساعد تحقيقها على التحسين الجذري لحالة العمالة وعلى التقليل من الفقر. أقدم الاتحاد في عدد من النواحي على الكثير من المبادرات التي أصبحت في المستقبل جزءاً في غاية الأهمية من برنامج نشاط القوى التقدمية لكل الحركة العمالية (مطالب بتوسيع الأعمال الاجتماعية بجميع الوسائل، وتحسين الأمور في مجال التأمينات الاجتماعية بصورة جذرية، وتقليص ساعات العمل الأسبوعية إلى ٣٠ ساعة، وإنشاء نظام حكومي للصحة، وإقرار تعديلات اجتماعية حول حقوق العمال والمزارعين في دستور الولايات المتحدة الأمريكية.. إلخ).

حصل الاتحاد العمالي على تأثير ملموس وثقل في الحياة الاجتماعية والسياسية للبلاد. وساندت الفدرالية الأمريكية للعمل، وعلى الأخض كونغرس النقابات الإنتاجية إقامة علاقات وثيقة معه. واعترفت الحكومة بصورة رسمية بالاتحاد العمالي بمنزلة ممثل شرعي للعمال، الذين يشتغلون في مشاريع منظمة الاعتمادات المالية.

لقد تحول من خلال اعتماده على النشاطات الجماهيرية غير البرلمانية إلى إحدى المجموعات المهمة في الحركة السياسية. وبرز في هذا الواقع كأحد السنن الطبيعية الرئيسية للتطور الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية في

«أعوام الثلاثينيات العشرة العاصفة»، والتي عبرت بصورة متزايدة باستمرار عن دور الجماهير الكادحة في النضال من أجل التقدم الاجتماعي. إذ نما بصورة متعددة وزن الجماهير التي تشارك بصورة فعالة في الأحداث التاريخية. لم تكن إضرابات وانتفاضات العمال تشمل في كل مرة مئات وآلاف فقط، وإنما عشرات وحتى مئات الآلاف من المشاركين. كان الأمر الرئيسي يكمن في أن الحركة العمالية الأمريكية ارتفعت بصورة عامة حسب كلمات ف. ي. لينين إلى مستوى أعلى من «الوعي الطبقي السياسي»[1]. وقد عبّر هذا التقدم عن دعم أكثرية الكادحين لفكرة توسيع الوظيفة الاجتماعية لسلطة الدولة، والإشراف الحكومي على الاقتصاد وانتقال أكثرية العمال إلى ما سماه ف. ي. لينين (النضال السياسي البروليتاري - المستقل والمخطط)[2].

وحسب الاستفتاءات التي تمت عام ١٩٣٩ بطلب من مجلة (فورتشون) فإن ٨٢% من العمال المستنطقين عبروا عن موقفهم إلى جانب تكليف الحكومة بكامل المسؤولية عن رفاهية مواطني الولايات المتحدة الأمريكية (هذا الرقم كان أكبر بين العاطلين عن العمل)، وأكثر من ٥٠% وقفوا إلى جانب جعل المرافق العامة، والسكك الحديدية، والتلفون والتلغراف ملكاً للدولة (بصورة جزئية أو كاملة)، و٢٠% إلى جانب تصفية كل نظام الأعمال الخاص (كانت النسبة بين العاطلين عن العمل ٣٢%).

أصبح عدم الاهتمام السياسي مرادفاً للخمول. وكان ذلك يعني أن الطبقة العاملة بأكثريتها الساحقة كانت تدعم روزفلت و«النهج الجديد»، ولكن إلى جانب ذلك تعززت القناعة بين صفوفها بضرورة اللجوء إلى

---

(١) لينين ف. ي. المؤلفات الكاملة، الجزء ٢١، ص ٢٣٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٨١.

العمل السياسي المستقل. وقد أظهرت الطبقة العاملة من خلال مشاركتها الفعالة في الحملتين الانتخابيتين للعامين ١٩٣٢، و ١٩٣٤ أنها غير عازمة على أن تبقى مراقباً جانبياً في مبارزة الحزبين البرجوازيين، وإنما على العكس من ذلك، كانت عازمة على التدخل فيها وتقديم الدعم لتلك الشخصيات الاجتماعية فقط، التي برهنت بالممارسة أنها مناصرة لنهج التغيير الاجتماعي. ومع ذلك كان هناك شعور شديد بصورة خاصة بأن النقابات تدعم ما يقترحه التقدميون البرجوازيون الصغار لفكرة إنشاء أحزاب عمالية- زراعية ثالثة، بصرف النظر عن نظام الحزبين.

كانت دراسة الانتماء الحزبي للفئة الرئيسية من زعماء النقابات التي أجرتها قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل، وكونغرس النقابات الإنتاجية بمشاركة الحكومة في بداية الأربعينيات تشهد بأن ٣٠% من جميع الراغبين بإعطاء معلومات من هذا النوع كانوا يعتبرون أنفسهم داعمين لأحزاب عمالية- زراعية تقدمية ثالثة.

بدأت النقاشات حول مسألة الحزب التقدمي الجماهيري الثالث تتصاعد داخل الحركة العمالية بدءاً من عام ١٩٣٢. ولقد ازداد أنصار هذه الفكرة، كما أظهرت الكثير من الأحداث، بما في ذلك مؤتمرات الفدرالية الأمريكية للعمل في أعوام ١٩٣٣ و ١٩٣٤ و ١٩٣٥، وأصبحوا أكثر عدداً. ففي عدد من الولايات (فسكونسين، مينيسوتا، مونتانا، داكوتا الشمالية والجنوبية، أوريغون، ماساتشوسيتس، وغيرها) تمَّ إنشاء تلك الأحزاب، وأعلنت مباشرة عن نفسها على المسرح السياسي بصورة فعالة جداً. ولقد برزت نزعة ظهرت في بعض الأمكنة؛ إذ كانت تجري مساع سياسية كذلك لتوحيد هذه الحركة على أرضية مخطط عام. وفي سياق سبر سياسي صرّح العديد من شخصيات

كونغرس النقابات الإنتاجية البارزين أنهم لا يستبعدون إمكانية إنشاء حزب عمالي في القريب العاجل على النطاق الوطني. وعن ذلك نوَّه بصورة عابرة س. هيلمين عام ١٩٣٤. وفي كانون الأول عام ١٩٣٥ أعلن ج. لويس عن ذلك في تصريح صحفي بصورة أكثر تحديداً: «حصل العمال في أعوام إدارة روزفلت على حد علمي أكثر مما حصلوا عليه في عهد أي رئيس آخر. ومن الواضح جداً أن من واجب العمال تقديم الدعم لروزفلت مئة بالمئة في الانتخابات القادمة (أي في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٣٦ – المؤلف). لكن ذلك لا يعني البتة أنه لم يأت الزمن الذي يجد العمال أنه من الضروري عليهم أن تكون لهم قائمتهم الانتخابية الخاصة»[١].

لقد ضيّق تدفق أعضاء جدد إلى صفوف الحركة العمالية المنظمة تأثير المذاهب (الحيادية) للتريد-يونيونية (الصافية) و(البسيطة). كتب الباحثون الأمريكان: «كانت المطالب الحازمة المتعلقة بإعادة النظر بالخط السياسي السابق وبفلسفة الحركة العمالية تنطلق من وجود الاتحادات الإنتاجية للتريد-يونيونية الجديدة في أعوام الثلاثينيات، التي ساهم في تنظيمها في هذه السنوات العشر فقط، مئات الآلاف من ممثلي الفئات الوسطى، المتعاطفين مع العمال، الذين طرحوا شعار إنشاء حزب ليبرالي جديد على قاعدة النقابات.

لم يستطع هؤلاء الأعضاء الجدد في النقابات غير المفتونين بالهومبرسية، ولم يتدربوا على المذهب (الاقتصادي) أن يوافقوا بأي شكل من الأشكال على نظرية عدم التدخل في نشاط الدولة، الهادف لتسليح الحركة النقابية السابقة...»[٢].

---

(١)W5H3 Library, AFL, Papers, Historical Flie, Box I. W. Green Papers, 1934-1946.

(٢) Millis H.A., Montgomry R.E. Op. cit, vol. 3, p. 232-234.

وقف الكثير من النقابات الكبيرة في الفدرالية الأمريكية للعمل (الاتحاد الموحد لعمال النسيج، واتحاد عمال الخياطة النسائية... وغيرها)، أي تلك التي انخرط في صفوفها الكثير من العمال المهرة ونصف المهرة، إلى جانب إنشاء حزب عمالي مستقل على قاعدة الحركة النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية. أما في النقابات الأخرى، فقد ظهر جناح يساري قوي دعا بنشاط لفكرة إنشاء مثل هذا الحزب. ففي نهاية عام ١٩٣٥ على سبيل المثال، وفي مؤتمر الاتحاد الموحد لعمال المناجم، جرى اقتراح ٢٧ قراراً داعماً لمطالب تنظيم حزب عمالي- زراعي، و٤٤ قراراً دعت إلى دعم حزب ف. روزفلت الديمقراطي. وحسب كلمات مندوب اتحاد الخياطين النسائيين في مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل في مدينة أتلانتيك-سيتي، فإن قسم من النقابات الداخلة في عضوية الفدرالية، والمتزايد باستمرار أعلن عن (اهتمامه المتنامي) بفكرة إنشاء حزب عمالي في ذلك الوقت. ففي مؤتمر الفدرالية هذا، تم طرح عشرات القرارات المتضمنة اقتراحات حول إنشاء حزب عمالي مستقل من ممثلي نقابات بلغ تعدادها نحو ٥٠٠ ألف عضو.

وفي تشرين الثاني عام ١٩٣٦، في مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل، لم يكن من بين المندوبين ممثلو النقابات الإنتاجية، لكن وعلى الرغم من ذلك، طرح عشرة قرارات لمصلحة حزب عمالي مستقل، أثناء المناقشة[١].

إن الإصلاحات الاجتماعية عام ١٩٣٥، ونجاح روزفلت في انتخابات عام ١٩٣٦، استخدمها خصومُ إنشاء حزب عمالي مستقل كحجة لتأكيد (حكمة) السياسة غير الحزبية. إلا أن هذه الحجة كانت بالنسبة للكثير جداً من

(١) Communist, 1936, Febr., p. 217, 759; AFL Proceedings, 1936, p. 226.

القواعد الأعضاء في هذه النقابات لم تكن مقنعة كثيراً. جرت محاولة لإنشاء رابطة عمالية غير حزبية، وجهاز سياسي خاص، مدعو لتقديم الدعم لأنصار روزفلت في كلا الحزبين، وذلك بمبادرة من ج. لويس وس. هيلمان، كحل وسط بين أنصار وخصوم العمل السياسي المستقل في الحركة النقابية[1]. إن مثل تلك النزعة وجدت تعبيراً لها في إنشاء قسم للرابطة العمالية غير الحزبية في ولاية نيويورك - أطلق عليه ما سمي بـ (الحزب العمالي الأمريكي) الذي تم دعمه بصورة فعالة من جميع النقابات في نيويورك، ومارس تأثيراً كبيراً على النضال السياسي في هذه الولاية. وعلى الرغم من أن زعماء الحزب كانوا يشيرون دائماً إلى موالاتهم لروزفلت كزعين وطني، فإن مشاركة النقابات بصورة فعالة في نشاط الحزب في الحقيقة أظهرت كإشارة لإمكانية تحقيق هذه الفكرة وفي نطاق أكثر اتساعاً[2].

سببت مؤشرات ابتعاد جماهير العمال والنقابات عن البرجوازية الليبرالية وإمكانية نشوء حزب جماهيري للكادحين، يستند إلى الحركة النقابية والمنظمات الزراعية وفئات المدينة الوسطى، سببت الكثير من القلق للمضاربين الجدد ولروزفلت نفسه.

شكل النضال من أجل الديمقراطية والحقوق المدنية وضد الحرب والفاشية جزءاً لا يتجزأ من نهوض الحركة العمالية في النصف الثاني من أعوام الثلاثينيات. كان النجاح الجدي في هذا المجال يكمن في تقويض مواقع العنصرية

---

(١) سيفاتشيف ن.ف. النضال السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية في أواسط أعوام الثلاثينيات من القرن العشرين. موسكو، ١٩٦٦، ص ٢١١.

(٢) ملكوف ف.ل. «النهج الجديد» في الولايات المتحدة الأمريكية: الحركات الاجتماعية والسياسية الاجتماعية. موسكو، ١٩٧٣، ص ٩١، ٩٢، ٢١٢.

في البلاد. إن ازدياد تدفق العمال السود إلى الصناعة وضع الكثير من الأسئلة الجديدة أمام الحركة العمالية، التي كانت تتطلب حلولاً سريعة. وفي غمرة النضال العام ضد جبروت الاحتكارات كانت التحذيرات والخرافات العنصرية تخلي المكان للفهم المتنامي المتعلق بالمصير المشترك للعمال البيض والسود.

لقد تم استيعاب دروس التضامن في فرق الحراسة العمالية، وفي طوابير مسيرات الجائعين، وفي الأعمال المشتركة ضد الطرد، وفي البيوت الخشبية لمعسكرات العاطلين، وفي الحملات السياسية للدفاع عن ضحايا الإرهاب المعادي للزنوج في الجنوب، وفي المظاهرات المناهضة للفاشيين.

لم تكن هناك أية مجموعة سياسية عملت مثلما عمل الشيوعيون من أجل تعبئة الحركة العمالية وكل الرأي العام في البلاد لحل المشكلة الزنجية والدفاع عن حقوق المواطنة للأمريكيين من أصول إفريقية. إن نضالهم ضد أحكام القصاص دون محاكمة، وفي سبيل تضامن العمال البيض والسود، ومن أجل الحفاظ على حياة الإرهاب المعادي للزنوج، إن كل ذلك رفع إلى درجة جديدة الحركة الزنجية بأسرها، وأعطاها حيوية وجماهيرية، وحقق لها اعترافاً واسعاً من قبل فئات واسعة من الرأي العام الديمقراطي الأمريكي. إن نتائج نشاط الشيوعيين وغيرهم من القوى لتقدمية لم تتأخر بالظهور. فبين أعوام ١٩٣٢ و١٩٣٦ طالبت اتحادات عمال المناجم، والخياطين النسائيين، والمعلمين بصورة مشتركة مع اتحاد الزنوج الوحيد لمرافقي عربات النوم برئاسة ف. ريندولف، الفدرالية الأمريكية للعمل بإدانة الممارسة العنصرية المعادية للزنوج من قبل أكثرية اتحادات الفدرالية، التي لم تكن تسمح بعضويتهم فيها. لقد كلف مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل المنعقد في سان - فرانسيسكو، بعد أن رضخ لهذا

الضغط، لجنة خاصة لدراسة المسألة المتعلقة بوضع السود في الحركة العمالية المنظمة، وتقديم تقرير إلى مؤتمر الفدرالية الدوري في أتلانتيك - سيتي. وعلى الرغم من أن المجلس التنفيذي للفدرالية الأمريكية للعمل رفض استنتاجات أكثرية اللجنة، التي دعت إلى حذف مادة العار التي تشترط عدم قبول السود في عداد صفوف التريد - يونيونات، من نظامها الداخلي، لم تمر الخطوة السياسية لأنصار المعادين للتمييز العنصري في الحركة النقابية دون أثر.

لم تكن هناك قبل عام ١٩٣٥ سوى الاتحادات اليسارية فقط لرابطة الوحدة النقابية تقبل في صفوفها العمال الزنوج على أساس المساواة الكاملة. ومن بين صفوف هؤلاء العمال الزنوج برز فيما بعد عدد غير قليل من المناضلين النشطاء في سبيل التضامن البروليتاري، وقادة شجعان وبواسل للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن التقدم العام ظهر فقط مع إنشاء كونغرس النقابات الإنتاجية. إن موقف (التريد-يونيونات الجديدة) تجاه مشكلة الحريات المدنية وتصفية الحواجز العنصرية، تم تثبيته في برنامج كونغرس النقابات الإنتاجية، المقر في الكونغرس الذي انعقد في مدينة أتلانتيك - سيتي عام ١٩٣٧. لقد تم الإعلان بتعابير صلبة أن كونغرس النقابات الإنتاجية يناضل ضد الانتقاص من الحقوق المدنية للسود الأمريكان، ويرى في ذلك واجبه الأسمى ورسالته[١]. أنشأت قيادة كونغرس النقابات الإنتاجية فيما بعد لجنة خاصة للنضال ضد التمييز العنصري، وتمت تسميتها متأخراً بلجنة الحقوق المدنية[٢].

---

(١)Committee for the Industrial Organization. The Program of the CIO, p. 50-56.

(٢)The Negro and the American Labor Movement. P. 189.

ومن جانبهم كان للعمال الأمريكان من أصول إفريقية قسط ملموس في إنشاء كونغرس النقابات الإنتاجية، وبصورة واضحة في تلك الفروع الكبيرة مثل صب الفولاذ، إذ كان يعمل هناك عدد كبير من السود[1].

كان تدفق العمال السود إلى النقابات الإنتاجية متسارعاً بسبب أن الكثير منها كان يرأسها ممثلو القوى اليسارية، والشيوعيون، وكل من كان يساعد في هذه العملية. إلا أن ٥٠٠ ألف عامل أسود انتسبوا في أعوام ما قبل الحرب إلى كونغرس النقابات الإنتاجية، أجبر قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل على الذهاب إلى تخفيف شروط انتساب السود إلى نقابات الفدرالية[2].

لم تكن الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة كذلك عن المشاكل المهمة المرتبطة بتطور الأحداث في المجال العالمي. فمنذ بداية أعوام الثلاثينيات تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية حركة واسعة معادية للحرب، كان فيها للحركة العمالية المنظمة دورٌ ملحوظٌ بصورة كبيرة، وكان الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية مع المنضمة إليه مبادراً للكثير من النشاطات الجماهيرية المعادية للحرب. كانت المظاهرات المعادية للفاشية وللحرب تجري عام ١٩٣٣ في الكثير من مدن الولايات المتحدة الأمريكية. وبمبادرة من الشيوعيين تم عقد أول كونغرس معاد للحرب في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٩ أيلول عام ١٩٣٣). ومن بين أكثر من ٢٦٠٠ من مندوبيه كان يوجد ممثلو عدد من النقابات الكبيرة ومنظمات العاطلين عن

---

(١) سيفاتشيف ن.ف. المسألة الزنجية في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام (١٩١٩-١٩٣٩) – مسائل التاريخ، ١٩٦٦، رقم ٨، ص ٦٠، ٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

العمل. وفي المؤتمر تم وضع بداية لنشاط الرابطة الأمريكية للنضال ضد الحرب والفاشية، الذي شارك فيه الكثير من النقابات في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام ١٩٣٤، جرى تطور مطّرد للحركة المعادية للفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد اتخذ قرار في الاجتماع الجماهيري المنعقد في نيويورك في آذار عام ١٩٣٤ على شكل (حكم المدنية ضد الهتلرية). جاء فيه على وجه الخصوص: «إننا نعلن، أن الحكومة الهتلرية تجبر الشعب الألماني على أن ينفصل عن المدنية، وتلجأ إلى الطغيان البربري الذي يهدد التطور التقدمي للإنسانية باتجاه السلم والحرية، وتشكل خطراً واقعياً بالنسبة للمدنية في كل أنحاء العالم»[١].

إن الجزء الطليعي من الطبقة العاملة الأمريكية قد وعى ضرورة النضال الفعال للبروليتاريا المنظمة ضد الخطر الفاشستي، وللاستعدادات لحرب عالمية جديدة. لقد أصبحت واضحة أكثر فأكثر بالنسبة لذلك القسم من الطبقة العاملة، أسباب مجيء الفاشية الألمانية والإيطالية إلى السلطة، والطابع الحقيقي لسياسة (التهدئة)، ودور وأهمية سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية المحبة للسلام، ومهام الحركة العمالية العالمية المنبثقة من الوضع المتكون في ذلك الوقت. وتشهد على ذلك الصحافة العمالية، وقرارات مؤتمرات فدراليات العمل في الولايات، والكثير من النقابات الكبيرة[٢]. كتبت مجلة نقابات الخياطين في ربيع عام ١٩٣٥ في مقالتها الافتتاحية على سبيل المثال: «باستثناء الاتحاد السوفييتي، لم توجد في أوروبا أية دولة أخرى أبدت الاستعداد للحفاظ

---

(١) Advance, 1934, Mar., p. 3.

(٢) Advance, 1933, Nov., p. 25; 1934, Jan. p. 18; 1935, Nov., p. 19; United Automobile Workers of America, Proceedings, 1939, p. 164 a. o.

على السلم، فكيف يمكن أن يتحقق السلم الوطيد في تلك الظروف؟.. كيف يمكن أن تكون الأمور مفرحة لنا إذا كنا نستطيع القول إن الولايات المتحدة الأمريكية تقف بعيدة عن سباق هذه الاستعدادات العسكرية المسعورة؟... لكننا لا نستطيع أن نستند إلى أي شيء مشابه... ولا تظهر أية مفاجآت جديدة مطلقاً إذا قلنا: إن العمال هم فقط من يستطيع صد الحرب، وإن الحرب ستلتهم دماءنا وجهودنا العملية قبل أي شيء[١]».

حصل نشاط رابطة النضال ضد الحرب والفاشية على شهرة واسعة جداً في الوسط العمالي، على الرغم من أن رابطتها العملية غير الكافية مع الكتلة الأساسية للطبقة العاملة أضعفت بصورة جدية الحركة المعادية للحرب والفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية[٢]. بيد أن الكونغرس الثاني وما تلاه للرابطة كان يشهد، على أن هذه الحركة قد أصبحت قوة واقعية ومؤثرة بصورة فعلية في حياة السياسة الداخلية للبلاد. إن الرابطة وهيئتها الصحفية - مجلة (فايت) كانا يدينان سياسة (الحياد) التي تنتهجها حكومة ف. روزفلت. إن الكثير من نقابات الفدرالية الأمريكية للعمل، وبعدها كونغرس النقابات الإنتاجية كذلك الذي يدعم الرابطة، إن جميع هذه النقابات وقفت للدفاع عن إسبانيا الجمهورية، وعن شعب أثيوبيا، الذي كان يتعرض لعدوان الفاشية الإيطالية، وللدفاع عن سيادة النمسا. وعلى العكس من ذلك كانت قيادة الفدرالية الأمريكية للعمل تدين بالكلام الفاشية، وتدعم بلا قيد أو شرط سياسة (الحياد).

كان مزاج الغالبية العظمى من الطبقة العاملة الأمريكية معادياً للفاشية والحرب، ولكن ذلك لم يكن يعني أيضاً أن القسم الأكبر من البروليتاريا

---

(١) Advance, 1934, Mar., p. 9.

(٢) Daily Worker, 1934, Oct. 1.

الأمريكية لم تكن في ذلك الوقت قد تخلصت من مزاجها الانعزالي، على الرغم من أن الانعزالية العفوية وحيادية الجماهير الشعبية المتعاطية بصدق مع ضحايا العدوان والفاشية، لم تملكا أي شيء مشترك مع سياسة (المسالمة) مع المعتدي، التي كانت الإمبريالية الأمريكية من خلال تسترها بها تسعى لتحقيق مخططاتها التوسعية، الاقتصادية والسياسية، وتأمين مواقع مفيدة بها بصورة أكبر في المجال الدولي.

إن انعزالية الجماهير الشعبية في أعوام الثلاثينيات كانت تقتات من عدم الثقة والكراهية تجاه الرأسمال المالي- الصناعي الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي كان يشارك سراً في الاستعداد لحرب عالمية جديدة.

كان النقد المتزايد من جانب بعض زعماء النقابات حتى نهاية أعوام الثلاثينيات لنهج الإدارة السياسي الخارجي (الذي كان يبتعد أكثر فأكثر عن الانعزالية)، يفسر لحد ما، من خشيتهم، في أن الاستعدادات الحربية ستصرف انتباه وموارد الحكومة عن تنفيذ المسائل الاجتماعية. إن التباعد الذي برز بين ج. لويس وروزفلت حول مسائل السياسة الداخلية والخارجية على أعتاب انتخابات عام ١٩٤٠، الذي تحول إلى صدام جدي، لم يكن يفسر بالخطط الطموحة وحدها للويس نفسه فقط، وإنما كانت تعكس أيضاً عدم رغبة العمال بالتضحية بمصالحهم لأجل المآرب الأنانية للاحتكارات الامبريالية التي كانت تحلم بتسخين أيديها في حرب عالمية جديدة[1]. بيد أن لويس، مشاركيه الرأي، الذين أعلنوا عن أنفسهم أنهم انعزاليون دعموا الأنصار الكاذبين للسلم، وفي الواقع كانوا يتعاطفون مع ألمانيا الفاشية وخططها. ومن ثم، إلى

(١)Labor History, 1976, Spring, vol. 17, N2, p. 160-189.

جانب رغبتهم، فإن الدعاية الانعزالية في الحركة العمالية ساهمت موضوعياً في إضعاف الحركة المعادية للحرب في الولايات المتحدة الأمريكية، وتوسيع منطقة الصدام في صفوف الطبقة العاملة. لقد تم تفسير ذلك على وجه الخصوص، بأن القوى التقدمية لم تستطع من خلال تعزيز مبادرتها أن تحصل على تخلي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن ممارسة سياسة (المسالمة) مع المعتدي وإنشاء منظومة أمن جماعية بمشاركة جميع الدول المحبة للسلام، بما في ذلك وقبل أي شيء الاتحاد السوفييتي.

تجب الإشارة إلى أن عدم إعادة تقييم نطاقات تجذر الحركة العمالية في الولايات المتحدة أعوام ١٩٣٣-١٩٣٩، والمستوى الذي وصلت إليه في تلك الأعوام من تباين مصالحها الطبقية مع مصالح البرجوازية، وكذلك في حجم انجذاب جماهير الكادحين إلى النضال. إن كل ذلك بدا موحياً جداً. لنذكر، أن نهوض الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، واستعادة ثقتهم بقوتهم من جديد، مشاعر التلاحم والآفاق، إن كل ذلك تم على أرضية نجاحات الجبهة الشعبية المعادية للفاشية في العديد من بلدان أوروبا وأمريكا، ونمو المثال الجاذب للطبقة العاملة في بلاد السوفييت، التي تغلبت على صعوبات الخراب، والحصار الاقتصادي، ومؤامرات القوى المضادة للثورة، وحققت منجزات كبيرة على طريق بناء الأشتراكية. في هذه الظروف، كان من الواضح لكل إنسان، أن الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في ميزان القوى الاجتماعية الطبقية العام في البلاد هي العامل الديناميكي الذي يتطور بصورة سريعة جداً. وهذا هو السبب في أن مطلب التغيير الحازم للوضع الذي بقيت من خلاله الطبقة العاملة والحركة العمالية في الولايات المتحدة غير ممثلتين على

مختلف مستويات السلطة، كان يُسمع في خطب الكثير من القادة البارزين في الحركة النقابية أعوام الثلاثينيات وفي وثائق النقابات، التي كانت تُعدّ بحق كتحد لنظام الحزبين المسيطرين، وحتى كنداء للقطيعة معه.

٣- الحركة المناهضة للاحتكارات

أصبح العداء للاحتكارات عنصراً ملموساً بصورة أكبر في الوعي السياسي للفئات الديمقراطية الواسعة من الشعب الأمريكي في أعوام الثلاثينيات. لقد فقد الرأسمال المالي الصناعي بسبب إخفاقاته في الاقتصاد الميزات الجاذبة (لقوته الخلاقة العظيمة) في أعين ملايين العاملين الأمريكان البسطاء. انهارت الأوهام، وتبدت على حقيقتها عبقرية صورة الصرح الأولى لعزيمة وربح (بارونات النهب) الذين كانوا يغتنون بدم بارد من خلال معاناة مواطنيهم، ويقفون تجاه مصائبهم وآلامهم موقف الاحتقار واللامبالاة. إن تعرية الصدام الاجتماعي الأساسي واستيعابه من خلال نقد المصالح الأنانية للبرجوازية الاحتكارية أدى إلى تبيُّن العدو الرئيسي بصورة سهلة ومفهومة من أغلبية العمال. كانت البلاغة المعادية للاحتكارات من أولئك الزعماء النقابيين أمثال س. هيلمان وج. لويس تعكس إلى حد ما استياء العمال من تدابير الرأسمال الكبير غير الخاضعة للرقابة، والتي سقط الاقتصاد الوطني بنتيجتها في هاوية (الكساد العظيم). لقد تحدث لويس على سبيل المثال (في كانون الثاني عام ١٩٣٥) عن الطغيان الصناعي والمالي الذي يتحكم بكل الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية على امتداد عشرات السنين، والذي (يجب أن يتم القضاء عليه) من كل بد، إذا كانت ستتحقق خطط الحركة العمالية المنظمة[1].

(١)W5H5 Library, AFL Papers, Historical File, Box 1. W. Green Papers, 1934-1936.

تناول ج. لويس موضوعاً في كلمة أخرى له (كانون الثاني عام ١٩٣٦) متعلِّقاً بوضع العامل المحروم من الحقوق في نظام الإنتاج الرأسمالي، وغربته عن وسائل الإنتاج، والخيرات المادية، التي ينتجها عمله، تحوزها الاحتكارات. لقد صرح: «يقولون لنا، إن العمل والرأسمال شريكان، وإن العمال يجب أن يكونوا صبورين ووديعين، وإن عليهم أن يكفوا عن الإدلاء بآرائهم... فأية شراكة هذه؟ أليس من الأفضل القول: نحن شركاء في النظرية، لكننا أعداء في الحياة الواقعية...»[١].

كان عداء الكثير من الزعماء النقابيين للاحتكارات مضبوط بدقة على وقع الحركة العمالية التي كانت تتطور بديناميكية، والتي بلغت ذروتها في خريف عام ١٩٣٦. وعلى أية حال، انبرت الطبقة العاملة، و(التريد-يونيونات الجديدة) من خلال تركيز تحركاتها الهجومية ضد حصن الرأسمال الكبير - الاتحادات الاحتكارية الأساسية، كقوة رئيسية للحركة الواسعة المناهضة للاحتكارات، وكانت تعكس عناصر جديدة في الوعي الجماهيري للكادحين الأمريكان. كان ينمو في وسط العمال الصناعيين بالذات وبصورة أسرع الاعتقاد بأن الموارد الوطنية، التي يستحوذها الاحتكاريون، لا تخدم رفاهية الشعب، وغريبة عن مصالحه وأهدافه - اغتناء الفئات العليا من المجتمع، والتوسع العالمي، والاستعدادات الحربية ونشر الفساد السياسي في مؤسسات الدولة التي تتحكم بها الطغم البرجوازية.

ساعدت مقارنة النتائج التراجيدية للأحداث في إيطاليا وألمانيا، التي كشفت النقاب عن روابط الرأسمال الاحتكاري مع الفاشية، ومع الظواهر

---

(١) Library of Congress, John Ph. Frey Papers, Speech of J. Lewis (Akron, Ohio, Jan. 19, 1936).

المشابهة في الولايات المتحدة الأمريكية، على تشكل تصورات صحيحة لدى العمال حول الاحتكارات كمنبع للخطر على الحريات الديمقراطية والمؤسسات. بيد أن الصعوبة الأكبر كانت تكمن في استيعاب الوسائل والطرق التي يمكن من خلالها الحد من سلطة الاحتكارات والقضاء عليها. لقد أثرت خصائص وفرادة الطبقة العاملة والحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، اللتين أديتا إلى أن عملية التنوير الفكري والسياسي للعمال قد اتصفت بالتسويف والتذبذب. إلا أن الطبقة العاملة كانت تربط نفسها بصورة عامة أكثر فأكثر مع كل عام من أعوام الثلاثينيات العاصفة بالمساعي التحويلية الغامضة في كثير من الأحيان، ولكنها التي كانت تحوي في داخلها على فكرة المجتمع المنظم بصورة عقلانية، والذي لا يكون العامل فيه عبداً لتدابير غير خاضعة للرقابة من قبل قبضة من الرأسماليين الماليين والصناعيين الكبار، الذين يعيشون برفاهية، ولا يريدون أن يعرفوا أي شيء عن مصير الملايين المستغلة من قبلهم[1]. كانت هذه البواعث تتطور في أحيان كثيرة من خلال استيعاب الأفكار المناهضة للاحتكارات، باتجاه معاد للرأسمالية، نحو المثال الاشتراكي.

حصل المزاج المعادي للاحتكارات على انتشار واسع في وسط المزارعين. إن التدابير المتخذة من قبل حكومة روزفلت بهدف تقديم المساعدات للمزارعين، كانت تحمل طابعاً متناقضاً إلى حد بعيد، وفي نهاية المطاف كانت تساعد على العملية التي تقود إلى إزاحة فئة المزارعين الصغيرة والمتوسطة لمصلحة الاستثمارات الزراعية الكبيرة. كانت تنمو تبعية فئة المزارعين للرأسمال المصرفي. وعلى هذه الأرضية كان يتشكل طموح ثابت من قبل فئة المزارعين

(١) انظر على سبيل المثال: Labor Law Journal, 1967, May, vol. 19, N5, p. 301.

للتخلص من اضطهاد الاحتكارات التي تشبك فئة المزارعين الصغيرة والمتوسطة بأغلال التبعية الاقتصادية، وتنهبها بمساعدة سياسة الأسعار، والقروض، والرقابة القاسية على سوق تصريف المنتوجات الزراعية.. إلخ. لقد صرح أحد المشاركين في اجتماع ممثلي المنظمات الزراعية عام ١٩٣٦: «إن مخططنا العام يكمن في الإيمان بأن الرأسمالية الاحتكارية هي شر وقوة تقويض ذاتية، وكذلك بوجود إمكانية لبناء ديمقراطية حقيقية، مع الاحتفاظ بالملكية الخاصة...»[١]. وفي سياق انبعاث الأمزجة الزراعية هذه التي كانت سائدة بالذات في تسعينيات القرن التاسع عشر في جماهير المزارعين، من الضروري الأخذ بالاعتبار ظهور شعارات مثل نقل المحطات الكهرمائية إلى ملكية الدولة، وتأميم الموارد الطبيعية، والبنوك والاحتكارات، والإنشاءات، وخطوط نقل الطاقة الموجودة تحت رقابة سلطات الولايات... إلخ، في مطالب عدد من منظمات المزارعين[٢]. إن تعزيز الصلات بين منظمات المزارعين والعمال في الأماكن المحلية على أرضية المصالح المشتركة في إنشاء حزب ثالث (في الولايات، وعلى النطاق الوطني العام) كان يشير إلى نمو التفاهم المتبادل بين العمال والمزارعين. أصبح الاعتراف بالمصالح المشتركة لهذه المنظمات في النضال ضد عسف الاحتكارات وضد جهاز السلطة السياسي التي تشرف عليه، أصبح راية ذلك الوقت. بقيت الراديكالية الزراعية في النصف الثاني من الثلاثينيات عاملاً حيوياً في الحركة المناهضة للاحتكارات، على الرغم من الصفة المميزة للديمقراطية البرجوازية الصغيرة وهي التقلب من جانب إلى

---

(١) Hawley E. W. The New Deal and the Problem of Monopoly: A Study in Economic, Ambivalence, Princetion, 1966, p. 2.

(٢) Shover J. L. Gornbelt Rebellion. The Farmers, Holiday Association. Urbana, 1965. P. 96.

جانب، والتي كانت تجر أحياناً فئة المزارعين إلى مواقف سياسية خاطئة وحتى رجعية. إن النزعات الإيجابية في نضال المزارعين وجدت تغييراً لها في نشاط عدد من المنظمات الزراعية. ويجب أن ننسب إليها رابطة المزارعين الموحدين بقيادة الشيوعيين، واتحاد المزارعين - المستأجرين في الجنوب، الذي ظهر في عام ١٩٣٤، في ولايات أركانزاس، وتينيسي، وأوكلاهوما، وتكساس. خاضت هذه المنظمات النضال لأجل تحسين التشريع الزراعي لـ «النهج الجديد» باتجاه اقترابه بالحد الأعلى من مصالح ذلك القسم من المزارعين المحروم بصورة أكبر، ومن أجل تقديم المساعدة للسكان الأكثر فقراً في الحزام الزراعي. ولقد شارك في هذا النضال أيضاً الكثير من الأعضاء العاديين في الجمعية الإضرابية الوطنية للمزارعين، والاتحاد الوطني للمزارعين. إن قسماً مهماً من قيادة هذه المنظمات الزراعية تخلت في ذلك الوقت عن ثقتها بـ «النهج الجديد» ودعمت المعارضة المحافظة التي عزمت على استخدام ثقلها السياسي لأجل الحصول على تنازلات بعد انتصارها في الانتخابات الدورية.

هزت الأزمة الاقتصادية في أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ وما تبعها كم كساد الثقة تجاه المؤسسات الرأسمالية، وتجاه معنويات وأخلاق العالم البرجوازي من قبل أوسع فئات المثقفين الديمقراطيين، والفئات الوسطى في المدينة، وبين الطاعنين في السن والمعلمين والشبيبة. إن الفهم الجديد للعالم من قبل هذه الفئات قد عرضته بصورة جيدة الكلمات التالية لـ ت. وولف الكاتب الواقعي البارز في الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة العشرينيات والثلاثينيات: «لقد رأيت في كل مكان حولنا الخراب اللانهائي والمعاناة... رأيت العنف المقيت والقسوة، رأيت كم هو خطير انتصار القوة الفظة، رأيت كيف تدوس السلطة القاسية والمأجورة دون رحمة على الفقراء، والضعفاء والمعدمين. لقد

صعقتني وهزتني هذه اللوحة - عدم إنسانية الإنسان تجاه من هو قريب منه، والمعاناة اللانهائية، والعنف، والظلم، والجوع، والبرد، والوحل والبؤس، التي لا يلاحظها أحد في العالم، إذ الثراء يفسد كما في السابق أرواح الأغنياء -إن كل ذلك ترك ندوباً غير مرئية على حياتي، ووعياً بالذنوب في روحي، لن يغادرني أبداً»[١]. إن ملايين الناس قد فهموا الماضي كخداع للنفس، حقيقي - كانزلاق على مستوى مائل إلى معمعة التناقضات التي لا تحل، وفهموا المستقبل - إما كفوضى شاملة، وإما كتكفير عن دموية ثورة القواعد. هل الرأسمالية أبدية؟ وماذا يحل مكانها؟ وكيف يمكن تجنب الهزات القسرية وبنفس الوقت إيجاد بديل للنظام الاجتماعي الذي ولّد الكوابيس والفظائع (الكساد العظيم) ؟

هذه هي الأسئلة التي كانت تقلق آنذاك الجناح الراديكالي للديمقراطية البرجوازية الصغيرة. كان يجري الاعتقاد تدريجياً أنه لا يمكن توقع أي تحسينات جدية دون الكسر الحاد لما هو قديم. وهذا ما أعلنه وولف في نهاية طريقه الحياتي: «... إذا كانت الديمقراطية (الحديث يجري عن الديمقراطية البرجوازية - المؤلف) بصورة عامة محكومة بأن تبقى حية، فإنها لن تستطيع تحقيق ذلك دون تغير جذري للمجتمع الرأسمالي، كما يوجد الآن...»[٢].

حمل استنكار الراديكاليين البرجوازيين الصغار طابعاً مشوشاً وغير منسق، ولقد رأوا أن طريقة تغيير الوضع تأتي من الأعلى، وعن طريق العمليات البرلمانية فقط.

---

(١) استشهاد من: غايسمار م. الأمريكان المعاصرون. موسكو، ١٩٧٦، ص ٢٥٠.

(٢) استشهاد من: لاندور م. الخاتمة المقترحة لأعوام الثلاثينيات – الآداب الأجنبية، ١٩٧٩، رقم ٩، ص ١٨٩.

لقد قامت الرابطة من أجل العمل السياسي المستقل بالدعاية لفكرة أن الانتقال إلى الاشتراكية يتم بطريق سلمي فقط عبر سلسلة من الإصلاحات تأتي من الأعلى، وقد انحاز إليها ممثلون بارزون من المثقفين الأمريكان مثل الفيلسوف ج. ديوي، والاقتصاديون ب. دوغلاس، وس. تشيز، وغ. ليدير وغيرهم. في خريف عام ١٩٣٣ تقدمت الرابطة من أجل العمل السياسي المستقل بمبادرة لإنشاء فدرالية زراعية - عمالية سياسية. أعلن مخططها عن ضرورة إزالة النظام القديم القائم على سيطرة الملكية الخاصة المطلقة، ونقل المجتمع إلى سكة التجديد الشامل والإدارة المخططة للاقتصاد. لكنها إلى جانب ذلك لم تتحدث عن الطرق والوسائل لتحقيق هذا الهدف.

إن انتقاد «النهج الجديد» من قبل الراديكاليين البرجوازيين الصغار من اليسار حملهم إلى تحديد مجالات نشاطاتهم مع الليبراليين الجدد، الذين لم يبرروا الآمال في أعين الديمقراطية التي لا تنتمي إلى الفئات العليا فيما يتعلق بالانعطاف السريع نحو الإدارة الأكثر فعالية للاقتصاد ورفع المستوى الحياتي للشعب[١]. وعلى هذه الأرضية ظهرت محاولات عديدة لبعث الحركة من أجل إنشاء حزب وطني عام ثالث للعمال والمزارعين على قاعدة الأحزاب العمالية - الزراعية المحلية في عدد من الولايات مثل (مينوسوت، واشنطن، ويسكونسين، ميتشيغان، داكوتا الجنوبية وغيرها) التي لم تمد جذورها الأساسية فقط، إنما حققت نجاحات جدية في الانتخابات. جاء في العمل المعد من قبل قيادة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة أنه «في هذه

(١) Mc Coy D.R. Anpry Voices: Left – of – Center Politics in the New Deal Era Lawrence (Kan), 1958, p. 61-85.

الفترة، وفي مختلف مناطق البلاد، وبغياب البنية الوطنية العامة، ظهر تحالف يساري من أنصار المركزية»[1].

استطاع الحزب الزراعي العمالي في مينيسوت، الذي كان ينشط بدعم من النقابات من عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٨ أن يحتفظ بوضع القوة السياسية الرئيسية في الولاية مزيحاً كلا الحزبين البرجوازيين.

لقد وقف إلى جانب تأميم النظام المصرفي والفروع المفتاحية في الصناعة. تكونت المقدمات لأجل انتصار تحالف القوى اليسارية والديمقراطية في ولاية فيسكونسين أيضاً، إذ أسس الأخوة فيليب وروبيرت لافولليت حزباً تقدمياً في ربيع عام ١٩٣٤ باستخدامهم التقاليد القديمة للولاية وبدعم واسع من المنظمات العمالية والزراعية، استطاع من خلال اعتماده على قاعدة جماهيرية واسعة أن يلحق الهزيمة في عدد من الحملات الانتخابية بالديمقراطيين والجمهوريين، محتفظاً بالأكثرية في المجلس التشريعي ومنصب حاكم الولاية.

انفصل التقدميون في البداية، وبصورة علنية عن الحزبيين البرجوازيين الرئيسيين كممثلين سوية «للمصالح الرجعية»، وكشفوا عن عدم رحمة النظام الاقتصادي القائم في الولايات المتحدة الأمريكية وعتهه، والذي يعود الإشراف فيه تماماً «للثراء المنظم»، ووعدوا بأن يبذلوا كل الجهد لبناء «نظام جديد، سيشعر فيه الأمريكيون بالأمن ويعيشون في ظروف من الوفرة»[2]. قام تقدميو فيسكونسين بعد أن اصطدموا عام ١٩٣٨ بضرورة تحديد موقفهم بصورة أدق تجاه آفاق التطور الاجتماعي، وتجاه الصراع الطبقي الذي كان

---

(١) مراحل التاريخ الكفاحي، ص ١٠٨.

(٢) Mc Coy D.R. Op. cit, p. 47-48, 51

يتطور في البلاد، قاموا باختيار المبادئ التقليدية «للغرب المتوسط»، أي إنهم تخلوا عن تنفيذ برنامج التحولات الجدية. إن التحلل الذي تم بعد ذلك في تحالف أنصار المركزية اليساري في فيسكونسين قد حتمه فشل المحاولات بالحفاظ على قاعدة جماهيرية مستقرة معارضة لنظام الحزبين.

إن الحركة من أجل إنشاء حزب ثالث لم تستطع أن تتعزز في الحياة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة عدم مركزيتها وضعفها بسبب الاحتكاكات الداخلية، وعدم تملكها لبرنامج دقيق. ومارس تذبذب نواتها البرجوازية الصغيرة وتدابيرها المرنة المناهضة لإدارة روزفلت تأثيره أيضاً. حاولت الحركة الديمقراطية البرجوازية الصغيرة في عدد من الحالات بعد أن اصطدمت بذلك أن تحقق الأهداف المطروحة من قبلها، دون أن تقطع مع النظام الحزبي التقليدي، وإنما من خلال سعيها لتحويلة عن طريق (خرقه) من الداخل، وإخضاع الجهاز الانتخابي إما لهذا أو ذاك من الحزبين البرجوازيين لها. إن هذا النوع من الاحتجاج الاجتماعي لجماهير البرجوازية الصغيرة قد تجسد فيما تسمى «حركات الدواء لكل داء» التي جعلت كل واحدة منها تراهن على تحقيق مشروع منقذ للإصلاحات أياً كان وطوباوي تماماً في أغلب الأحيان.

كانت الحركة الأكثر أهمية من بينها عملياً هي حركة «القضاء على الفقر في كاليفورنيا» التي أسسها الكاتب المعروف أي. سينكلير، والذي أصبح مرشح الحزب الديمقراطي في كاليفورنيا في انتخابات عام ١٩٣٤ لمنصب حاكم الولاية. إن البرنامج المقترح من قبل سينكلير لأجل تحقيق الخطة القاضية بتصفية كل القرحات الاجتماعية، استوعب في داخله الكثير من سمات البردونية، والمشروع الطوباوي لـ أي. بيل، وكان يقضي خصوصاً بإنشاء قطاع

تعاوني منفرد في الاقتصاد، قائم على الطوعية عن طريق إعادة تحويل الورش المصانع المتوقفة عن العمل إلى مؤسسات مدارة ذاتياً، وجذب الأراضي الزراعية المهملة للحراثة بهدف تزويد كل المحتاجين بالمواد الغذائية.

إن الأوهام حول إمكانية إنشاء نظام ذي حكم ذاتي يتم تبادل منتوجات العمل فيه بين فئات المنتجين في المجتمع بصورة عادلة، وإذ القسم الأساسي من الاقتصاد هو في الأيدي الخاصة، لم تكن هذه الأوهام إلا أن تتكلل بالفشل، لكنها تملكت في البداية وعي مئات الآلاف من الناس، المتعبين للغاية من البطالة، والجوع والذين ينجذبون ببساطة للحلم بـ «الثورة بالتراضي» والجملة الجميلة. كان سينكلير قريباً من الانتصار عام ١٩٣٤، إلا أن قيادة الحزب الديمقراطي وروزفلت شخصياً، تخليا عن دعمه في اللحظة الحاسمة خشية من نمو شعبية زعيم حركة القضاء على الفقر في كاليفورنيا ومشروعه الاشتراكي، وفضلا عليه الجمهوري المحافظ ميريام[1]. لكن حركة القضاء على الفقر في كاليفورنيا مارست تأثيرها طويلاً، وساعدت على وجه الخصوص في تشكيل متطور الجناح التقدمي في الحزب الديمقراطي في ولايات إقليم المحيط الهادئ.
استمرت حركة الأمريكان السود ضد العنصرية والتمييز العنصري وإرهاب كو-كلوكس-كلان في فترة «النهج الجديد» بالنمو والاتساع، واستمر كذلك سوء الحالة الاقتصادية لجماهير السكان السود التي تعيش في فقر مدقع في البلاد. كانت الحركة تكبح ارتباك منظمات الزنوج قليلة العدد، وبالدرجة الأولى الجمعية الوطنية لدعم تقدم السكان الملونين، لكن النضال أخذ يكتسب بصورة تدريجية أكثر فأكثر الطابع المنظم والجماهيري. لقد حازت أهمية كبيرة في هذا المعنى مبادرة الحزب الشيوعي، الذي قام بتنظيم اتحادات للمحاصصين

(١) Schlesinger A.M., Jr. The Coming of the New Deal London; Toronto, 1960, p. 297.

والمزارعين المستأجرين الجنوبيين، أصبحت مراكز فريدة لجذب السكان الزنوج في الجنوب الذين يتعرضون لاضطهاد مزدوج، وذلك في قلعة العنصرية - الحزام الأسود.

كان الشيوعيون يجذبون بنشاط السود إلى حركة العاطلين عن العمل، وإلى النقابات الإنتاجية المنشأة، وإلى منظمات المساعدة الذاتية. لقد أصبح المسير إلى واشنطن في أيار عام ١٩٣٣ الذي نظمه الحزب الشيوعي بالاشتراك مع رابطة النضال من أجل حقوق الزنوج التي يقودها، والذي اشترك فيه نحو أربعة آلاف شخص، أصبح بشيراً للمسيرات الوطنية العامة المقبلة للدفاع عن الحقوق المدنية للسود. جذبت حركة الدفاع عن سجناء سكوتسبورو الرأي العام الديمقراطي بأسره في البلاد. إن حياة الشباب المحكومين دون ذنب قد تم إنقاذها. وكان مهماً كذلك أن النبضات التي خرجت من هذه الحركة هزت طبقات واسعة من السكان الزنوج، واستدعت مبادرات جديدة تجاه الحياة، وساعدت على تقديم القادة الحيويين(١). إن الدور البارز في عملية حفز نمو الوعي الذاتي للأمريكان ذوي الأصول الإفريقية، كان يعود إلى الشخصيات الاجتماعية، الذين اتخذوا المواقف الماركسية. كان التجذر في الطوائف الزنجية يثير الانتعاش في عمل الجمعية الوطنية لدعم تقدم السكان الملونين، والرابطة الوطنية المدنية، وكذلك في منظمات السود الأخرى الأصغر. أثمر السعي لتوحيد الجهود في النضال من أجل التساوي في الحقوق بتشكيل الكونغرس الوطني للزنوج عام ١٩٣٦ برئاسة الشخصية النقابية البارزة ف. ريندولف. كان برنامج الكونغرس الوطني للزنوج يقضي بتطوير حملة وطنية عامة لأجل الحقوق المدنية للسود، وجذبهم إلى النقابات، وإنشاء جبهة جماهيرية ضد الفاشية والحرب.

---

(١) Ford J.W. The Negro and the Democratic front. N.Y., 1938.

إن نهوض حركة السود العنصرية لأجل الحقوق المدنية في أعوام الثلاثينيات، حصل على سند قوي في حركة الطبقة العاملة في سبيل النقابات الإنتاجية، والحركة المعادية للحرب والفاشية، وفي نضال الشبيبة الأمريكية. ومن جهة ثانية، فإن الأمريكان من أصول إفريقية، الذين خرج من بينهم ممثلون بارزون للفكر الديمقراطي وللثقافة أمثال (أو. دوبوا، ب. روبسون، ل. هيوز، م. اندرسون وغيرهم) قدموا مساهمة مهمة في الحركة من أجل التقدم الاجتماعي في البلاد.

٤ - الشيوعيون في النضال من أجل وحدة القوى المناهضة للاحتكارات

تحتل مرحلة «النهج الجديد» مكاناً خاصاً تماماً في تاريخ الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية. كان مهماً في هذه الفترة التأثير الإيجابي المباشر للحزب على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية في البلاد، وعلى السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

إن أكبر النجاحات جميعها ومنجزات الكادحين في النضال من أجل التحولات الاجتماعية في هذه السنوات تحمل بصمة العمل الذي لا يكل للشيوعيين، والذي كان يملك في كثير من الأحيان أهمية حاسمة. لعب الحزب الشيوعي دوراً طليعياً في تنظيم حركة العاطلين عن العمل، وكان رائداً في إنشاء النقابات الإنتاجية الجماهيرية، وترأس بشجاعة النضال لأجل الحقوق المدنية للسود، وناضل بثبات وحيوية من أجل تطوير الحركات المعادية للحرب، والشبابية. ونما بسرعة تأثير الحزب وسط فئة المثقفين الإبداعيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وبين المزارعين، وبصورة خاصة بين المحاصصين المحرومين والمستأجرين الذين يعملون بالحصة في الجنوب.

لم يكن ينفصل كل ذلك عن إيضاحات الحزب الحيوية الإبداعية للنزعات الرئيسية الأكثر تميزاً في آلية التطور الاجتماعي الاقتصادي للبلاد.

قام الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية بصياغة إبداعية جديدة لإستراتيجية وتكتيكه في ظروف «النهج الجديد». إن هذه التجربة تبقى إلى هذا اليوم تعليمية ومهمة.

إن الحزب الشيوعي قام بكشف الطابع المحدود المنطلق لـ «النهج الجديد» الطبقي بصورة صحيحة عموماً، على الرغم من أنه أشار خصوصاً وبصورة مفرطة إلى جوانبه السلبية. كان من المتوقع على سبيل المثال، أن إصلاحات روزفلت، من خلال تعتيمها على التناقضات الطبقية الأساسية، ستعيق التعبئة اللاحقة لقوى الطبقة العاملة، وارتفاع حركتها بأسرها إلى مستوى جديد أعلى.. إلخ[1]. وبنتيجة عدد من المفاهيم المبسطة للعلاقات والتأثيرات المتبادلة بين النضال من أجل الإصلاحات والنضال من أجل الاشتراكية والاستخفاف بالنضال من أجل المطالب الجزئية برز خطر التصورات المشوهة حول الأفق التاريخي القريب، والتفسير الضيق لتكتيك التحالفات الطبقية، والانعزال عن الجماهير، الذي كان وعيها لا يزال يتخلف عن سير الأحداث.

لقد أشار غ. هول في معرض حديثه فيما بعد عن أخطاء الحزب، التي لم تسمح له المرحلة الختامية من الأزمة الاقتصادية أن يستخدم كاملاً مقدرة الأعمال الإبداعية لجميع القوى الديمقراطية، أشار إلى إعادة تقييم وتائر ونطاقات تجذر

---

(١) انظر مواد الكونغرس الاستثنائي (٧-١٠ تموز عام ١٩٣٣) ومواد الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية (١٤-١٥ تشرين الأول عام ١٩٣٣)، -Communist, 1933, noy, p. 1088-1093; 1934, May, p. 432-433.

القواعد، الأمر الذي تجلى في التقليل من أهمية المطالب الديمقراطية العامة الملموسة والأعمال المناهضة للاحتكارات.

إن شعار «الخروج الثوري من الأزمة» المقدم من قبل الحزب الشيوعي بمنزلة نداء لم يجد صدىً في الجماهير، بما أن الظروف الاجتماعية النفسية والسياسية لمثل هذا النوع من الأعمال لم تكن ناضجة بعد[١].

كانت هفوات الحزب الشيوعي تفسر أحياناً في خشيته من انتشار الأوهام في أوساط الجماهير العمالية تجاه إمكانيات برنامج الإصلاحية البرجوازية المقدم من قبل روزفلت. إن تلك الأوهام كان يزرعها بمواظبة قادة الفدرالية الأمريكية للعمل، والتي كانت لا تزال تحتفظ بتأثيرات ملموسة على الفئات الوسطى، وفي بعض النقابات الكبيرة وفي منظمات العاطلين للعمل التابعة للحزب الاشتراكي. كان الاشتراكيون منذ البداية ميالين للنظر إلى «النهج الجديد» كانعطاف تاريخي حاسم، وتقدم ثوري حقيقي باتجاه «إشاعة الاشتراكية» في اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية. إن تعمق نزعة الدولة- الاحتكارية، وزيادة الدور التنظيمي للدولة في الاقتصاد غالباً ما كان يتم استيعابها من منطلق الكاوتسكية (من كاوتسكي - المترجم) كبداية لعملية التصفية الذاتية للرأسمالية، وكحل آلي للمسألة المتعلقة بتناقضاتها ومشاكلها. وفي ذلك التفسير تم فهم القانون المتعلق بإعادة بناء الصناعة ووعود روزفلت بالوصول إلى تحقيق مبادئ «الرأسمالية المنظمة» والإشراف ولو بصورة قليلة على عملية الدخول إلى اشتراكية فوق الطبقات، صالحة للجميع، الأغنياء والفقراء، الكادحين وأرباب العمل[٢].

---

(١) Political Affairs, 1970, Apr., p. 11

(٢) New York Times, 1933, June 18; New Leader, 1933, Aug. 19, p. 12.

أظهر الشيوعيون بصورة مقنعة، في معرض نقدهم للاشتراكيين، أن الثقة بالسياسيين البرجوازيين في تحقيق المثل الاشتراكية هي أسوأ أشكال الانتهازية وعدم المبدئية. لقد رأى الزعماء الاشتراكيون في بياناتهم الأصداء المباشرة للنظريات البرجوازية الليبرالية، التي أعطت «النهج الجديد» ميزات المخلّص الذي سيأتي وأعلنته أحد تراكيب الواقعية، والحكمة الدولتية، والشجاعة المدنية، ونتاج حقيقي للعبقرية السياسية الوطنية. وبعد مجيء الفاشية إلى السلطة في ألمانيا وتلك العواقب التي أثارتها هذه الأحداث في البلدان الرأسمالية الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، أصبح من الواضح ضرورة تبديل اللهجات في هذا الانتقاد، كيلا يتم إغلاق الطرق أمام البحث عن التفاهمات المتبادلة مع جميع كتل الحركة الاشتراكية لمصلحة تنظيم مقاومة الرجعية الداخلية وتحقيق وحدة القوى الديمقراطية.

إن سير الأحداث الذي أظهر الطابع الطبقي لـ «النهج الجديد» تماماً كسياسة لإنقاذ الرأسمالية، أجبر القيادة الوسطية للحزب الاشتراكي برئاسة ن. توماس أن تغير موقفها بعض الشيء من إذ الشكل.

إن المناقشات عن (الثورة الروزفلتية) وتصويرها كأنها تقطع مع النظام الاقتصادي القديم، والتي أثارت معارضات حادة من قبل الجناح اليساري في الحزب، أخلت الطريق للإنذارات المتأخرة حول «أخطار الأوهام» في رؤية قانون تجديد الصناعة وغيره من الإصلاحات خطوة باتجاه التقديم التدريجي نحو الاشتراكية[١]. لقد أدى تفاقم الصدامات الطبقية الحاد في البلاد أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥، ونمو الخطر من جانب الرجعية المتطرفة، إلى إعادة

---

(١) National Constitution, Declaration of Principles and Congressional Platform as Adopted Convention at Detroit, 1934. Chicago, 19-34.

النظر في المواقف تجاه مسألة وحدة جميع القوى الديمقراطية، واليسارية من جانب الكثير من المنظمات الإصلاحية الأخرى كذلك. إن استقطاب القوى الطبقية والسياسية أدى إلى تدعيم التضامن البروليتاري في الطبقة العاملة. وحقق كل ذلك إمكانيات أفضل لتنظيم جبهة عمالية موحدة، وتلاحم القوى الديمقراطية والمناهضة للاحتكارات حولها.

كان نشاط الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، الموجه إلى التغلب على أخطاء التعصب اليساري، يخلق المقدمات الضرورية لأجل الحوار البناء بين جميع القوى الاجتماعية، التي تقف في وجه الرجعية. توجه الحزب الشيوعي في ربيع عام ١٩٣٣ إلى الحزب الاشتراكي في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيره من التنظيمات العمالية (وبالدرجة الأولى إلى الفدرالية الأمريكية للعمل)، باقتراح للتوصل إلى اتفاقية حول وحدة العمل في النضال ضد الرجعية المتطرفة وخطر الحرب، وكذلك في الدفاع عن أكثر المطالب الاقتصادية الحيوية العامة، المقبولة من قبل الجميع[١]. جرت مناقشة مسألة الوحدة العمالية في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (نيسان عام ١٩٣٤). أبلغ الوفود وقوفهم ضد تكرار أخطاء التعصب، ودعوا لتوسيع النضال (من أجل الجبهة لموحدة مع العمال ذوي الميول الإصلاحية)[٢].

دعا الحزب إلى تعزيز و(توحيد) منظمات العاطلين عن العمل وتقوية العمل المنتظم في نقابات الفدرالية الأمريكية للعمل. وبعد المؤتمر الثامن تم تصفية عدد من النقابات اليسارية (بصورة رئيسية في تلك الفروع، إذ كانت

---

(١) Daily Worker, 1933, Mar. 18, 30; Communist, 1933, Mar., p. 426-433.

(٢) Communist, 1934, May, p. 445.

النزعات التوحيدية ووجود نقابات كبيرة، وقفت على طريق النضال الفعال في سبيل مصالح العمال، يمليان ذلك).

وفي بداية عام ١٩٣٥، تم اتخاذ قرار حول حل رابطة الوحدة النقابية كاملاً ودخولها في الفدرالية الأمريكية للعمل[١].

لقد امتلك الكونغرس السابع للكومنترن (آب عام ١٩٣٥) أهمية كبيرة بالنسبة للنشاط النظري والعملي للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك بالنسبة لمجموع الحركة الشيوعية العالمية. أقدم الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية على استخلاص النتائج من تحليل النضال من أجل وحدة القوى الديمقراطية في البلاد ذاك، والذي تم تقديمه للنقاش في الكونغرس. اتبع الحزب الشيوعي على عتبة الحملة الانتخابية عام ١٩٣٦ التي امتلكت أهمية مبدئية وفي ظروف نمو رجعية البرجوازية الاحتكارية، التي سعت لنسف «النهج الجديد»، اتبع خطاً موجهاً إلى تلاحم الطبقة العاملة، والمزارعين، والجماهير الزنجية، والفئات الوسطى حول برنامج الإصلاحات الاجتماعية التي تم الحصول عليها جزئياً بهدف تعميقها وتوسيعها على طرق النضال الطبقي. كانت مهمة الشيوعيين تنعقد ليس بسبب الأعمال المضادة من قبل الرجعية وأنصار هومبرس في الفدرالية الأمريكية للعمل فقط، وإنما أيضاً بسبب تذبذب قيادة الحزب الاشتراكي، التي لم تكن ترغب في العمل بروح التعاون الصادق والتضامن العمالي. إن الاشتراكيين الذين وقعوا تحت تأثير المجموعات التروتسكية - اليسارية حتى عام ١٩٣٥، اصطدموا من جديد بالتطرف، باستخفافهم بأهمية النضال من أجل التحولات الجزئية ومواجهته

(١) Foster W.Z. American Trade Unionism. N.Y., 1947, p. 199, 2004.

بتكتيك الوحدة مع تلك المجموعات الاجتماعية، التي تتشارك دون قيد أو شرط مع البرنامج الاشتراكي بحده الأعلى فقط[١].

لقد تم وضع الحزب أمام ضرورة تحديد موقفه تجاه هذا الخط الضار، الذي دفع العناصر الواعية للانعزال الذاتي عن حركة الجماهيرية. أشار قرار المؤتمر التاسع للحزب الذي انعقد في حزيران عام ١٩٣٦، إلى أن الشيوعيين يسعون إلى «توحيد وتعزيز كل قوى الطبقة العاملة وحلفائها في النضال ضد الخطة السياسية التي يقدمها الحزب الجمهوري، ورابطة هيرست للحرية والصحافة بكل الوسائل (أي الأوساط المحافظة والرجعية، وبصورة رئيسية البرجوازية الكبيرة والمتوسطة). أعلن الحزب الشيوعي بصراحة في مجرى نقاشات الشعار الأساسي للحزب الاشتراكي (الاشتراكية ضد الرأسمالية) أن «المسألة لا تكمن في ذلك - الرأسمالية أم الاشتراكية، إنها تصاغ بصورة أخرى، وعلى الشكل التالي بالذات: التقدم أم الرجعية، الفاشية أم الديمقراطية... إن روزفلت يفتش عن طريق وسطي. إن الحركة العمالية الأمريكية وكل القوى التقدمية الأخرى لها مصلحة حيوية في استخدام كل إمكانيات هذا الطريق الوسطي لأجل هزيمة الرجعية ولأجل تطوير قواها السياسية المستقلة»[٢].

برهن الزمن على صحة هذا الخط. إن الحزب الشيوعي بجذبه للأنصار من الفئات غير البروليتارية وبممارسته الدور القائد في الحركات الديمقراطية الواسعة (المعادية للحرب، والزنجية، والطلابية، وحركات العاطلين عن

---

(١) Socialist Call, 1936, May 2, p. 6.

(٢) استشهاد من : Political Affairs, 1971, Dec., p. 45

العمل وغيرها) كان يساعد بصورة نشطة جداً على تبلور تحالف تقدمي لم يتم بعد مع «النهج الجديد» بصورة منظمة[1].

ساعد دعم الحركة الديمقراطية العامة على تعزيز روابط الحزب مع الجماهير، ونموه عددياً ونوعياً وتحوله إلى عامل مهم في الحياة السياسية للبلاد بأسرها. لم ينحل الحزب أثناء ذلك في الحركة الواسعة من أجل الإصلاحات الاجتماعية، على الرغم من أن العناصر التحريفية بقيادة أي. براودير حاولت منذ نهاية أعوام الثلاثينيات أن تنهج خطاً يهدف إلى الذوبان في الديمقراطية البرجوازية، من خلال أوهامها تجاه «النهج الجديد» وتحريفها لتكتيك الحلف المعادي للفاشية وللعسكرية، المسجل في القرارات الحزبية المناسبة[2]. إن الحزب الشيوعي في نضاله الفكري وفي ممارسته السياسية اليومية لم يكن يخفي عدم تجانس أهداف ومهام مختلف القوى السياسية والطبقية التي تشكل التحالف الديمقراطي لـ «النهج الجديد». إنه وفي معرض الحفاظ على المبادرة السياسية والاستقلال الأيديولوجي، كان يدافع عن التوجهات التقدمية لـ «النهج الجديد» من تهجمات اليمين عليه، وبنفس الوقت كان يطور من نقده لسياسة روزفلت بسبب عدم ثباتها، وارتباطها بمصالح الرأسمال الكبير.

---

(١) انظر مواد الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية (شباط عام ١٩٣٨).

Communist, 1938, Mar., p. 214-219.

(٢) شيرينيا ك.ك. إستراتيجية وتكتيك الكمنترن في النضال ضد الفاشية والحرب أعوام (١٩٣٤-١٩٣٩)، موسكو، ١٩٧٩، ص ٢٢٦.

انظر بالتفصيل: مالكوف ف.ل. شيوعيو الولايات المتحدة الأمريكية ومسألة وحدة القوى المعادية للاحتكارات في أعوام «النهج الجديد»، في كتاب: الشيوعيون في طليعة النضال من أجل الجبهة الشعبية الموحدة (١٩٣٤-١٩٣٩)، موسكو، عام ١٩٨٥.

إن التجربة التاريخية أكدت أن الحركة من أجل إنشاء حزب عمالي- زراعي كان يمكن أن تصبح في ظروف الولايات المتحدة الأمريكية أواسط الثلاثينيات وسيلة فعالة جداً لتلاحم القوى الديمقراطية وأداة بنفس الوقت للضغط على إدارة «النهج الجديد» وتحد واقعي لنظام الحزبين. إن عملية ولادة وتطور الأحزاب العمالية - الزراعية بصورة عفوية، والمخطط الفكري-السياسي اللذين مثلا تشابكاً وتوجهاً معادياً للرأسمالية وشعارات ديمقراطية عامة كانت ظاهرة مشجعة بحد ذاتها.

جرى التحدث في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرورة المساعدة الفعالة في تطوير هذه الحركة[١].

لقد عمل الشيوعيون في أطرها على تحقيق التحالف الديمقراطي المعادي للاحتكارات، إذ كان على الطبقة أن تلعب دوراً طليعياً فيها. سمح التقدير السليم والواقعي للظرف ودروس التجربة السابقة للحزب الشيوعي أن يصيغ خطاً سياسياً كان يستجيب لنضج المقدمات الموضوعية والذاتية فيما يتعلق بالنضال من أجل البديل الاشتراكي[٢].

تعود للمؤتمر العاشر للحزب الذي جرى في نيويورك أيار عام ١٩٣٨ أهمية خاصة في صياغة نظرية التحالف الشعبي للقوى الديمقراطية. ناقش المؤتمر مسألة إنشاء ذلك التحالف بهدف تنظيم المجابهة للرجعية وتوسيع النضال من أجل السلم والأفق المشترك. وصاغ المؤتمر بالإضافة لذلك خطته الانتخابية للانتخابات النصفية إلى الكونغرس التي ستجري في

---

(١) Resolution of the ninth Convention of the Communist Party of the USA, N.Y., 1936, p. 3.

(٢) Fostep W.Z. History of the Communist Party of the United States. P. 381.

تشرين الثاني عام ١٩٣٨، ووافق على برنامج جديد للحزب. كانت أمريكا التقدمية بأسرها تصغي إلى الشيوعيين الموثوق بهم. إن الشيوعيين بوعيهم لواجبهم تجاه الشعب، الذي يقف أمام ملامح تجارب جديدة تلوح في الأفق طرح مهمة تلاحم كل عناصر المجتمع الأمريكي القادرة على الدفاع عن الحريات الديمقراطية، والوقوف بوجه الرجعية المتطرفة وتقديم الدعم لسياسة الأعمال المشتركة ضد العدوان الفاشي على المسرح الدولي في أطر تعاون كل البلدان المحبة للسلم، كمهمة أساسية. ولقد أعير دور مهم لعملية تعزيز التعاون السوفييتي - الأمريكي. «النضال من أجل الديمقراطية، والرفاهية الاجتماعية والعمالة والسلم» - هكذا صاغ الحزب الشيوعي الشعار الأساسي للخطة السياسية. وبأمل تحقيق الخطة التكتيكية المقرة، أعطى الحزب الشيوعي الأهمية الحاسمة لنضال البروليتاريا، ولنمو وعيها الذاتي الطبقي تطوير المبادرة السياسية للجماهير على شكل إنشاء أحزاب عمالية - زراعية محلية مستقلة عن نظام الحزبين، وفيدراليات، وتحالفات للقوى الوسطية اليسارية... إلخ(١).

إن الهدف الإستراتيجي - النضال ضد نظام الاستثمار الرأسمالي، ولأجل تعميق نهج التحولات الديمقراطية لمصالح الأكثرية الساحقة من الشعب - بقي دون تغيير، لكن الظرف التاريخي الملموس على أعتاب الحرب العالمية الثانية، والخطر الفاشستي بصورة محسوسة على السلم والأمن، وعلى شعوب ودول وطنية كاملة، وأخيراً التقدير السليم لوضع القوى الطبقية داخل البلاد، كل ذلك جعل من سياسة الجبهة القومية، الوطنية والديمقراطية محددة للخط

---

(١) Resolution of the 10th Convention of the Communist Party, the U.S.A. N.Y., 1938.

الرئيسي للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك لكل الحركة الشيوعية العالمية[1].

إن ديالكتيك التطور الاجتماعي- السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، والاهتمام بالحفاظ على السلم وإزالة خطر استعباد الشعوب من قبل الفاشية. إن كل ذلك أملى تركيز الجهود لتنفيذ المهام القريبة – الدفاع عن التطورات الإيجابية وتعميقها في مجال الحقوق الديمقراطية والحريات المدنية، ودعم العناصر الليبرالية الوطنية للبرجوازية (دون الذوبان فيها)، والنضال من أجل ذلك التغيير في النهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية الذي كان سيساعد لو تم بنجاح سياسة لجم المعتدين وقبل أي شيء على قاعدة التحسين الجذري للعلاقات السوفييتية- الأمريكية. إن أهمية إنشاء حلف للقوى الديمقراطية المعادية للفاشية في البلاد كانت تتحدد بثبات موقف الحزب الشيوعي الإبداعي في تحقيق الخط السياسي العام المصاغ من قبله على أساس تجربة الحركة العمالية العالمية بأسرها، إلى حد بعيد[2]. وحول الاعتراف بمآثر الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، مساهمته الواقعية في قضية النضال لأجل الديمقراطية، والتقدم الاجتماعي، وضد عدوان الفاشية يشهد ذلك الدعم الواسع الذي قدمته فئات الشعب المختلفة، وقبل كل شيء كادحو الولايات المتحدة الأمريكية لمبادراته.

---

(١) شيرينياك ك. المؤلفات المشار إليها، ص ٣٦٥.

(٢) Foster W.Z. History of the Communist Party of the United States. P. 381

الفصل الحادي عشر

النهج السياسي الخارجي

١ - سياسة (الجار الطيب)

شقَّت السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية طريقها في أعوام الثلاثينيات تحت تأثير أعمق أزمة اقتصادية عالمية تعرض لها النظام الرأسمالي أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ من جهة، والتصاعد المستمر لخطر حرب عالمية جديدة تنطلق بصورة رئيسية من ألمانيا الفاشية واليابان العسكرية من جهة ثانية. وإذا كانت الأزمة التي هزت الروابط التجارية-الاقتصادية العالمية، دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الانعزالية، فإن خطر الحرب كان خلافاً لذلك يشير إلى ضرورة التعاون الدولي من أجل تحقيق السلام الشامل. وقد تمَّ التعبير عن هذين الخيارين (الانعزالية والأممية) في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بدقة. إذ شكَّلت العوامل الداخلية: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والإيديولوجية، التي مارست تأثيراتها في أعوام (الكساد العظيم) بقوة خاصة، عاملاً مهماً بالنسبة لتحديد أهداف وطرق السياسة الخارجية الأمريكية على السواء. لقد كان الهدف من السياسة الخارجية ليس فقط التركيز على النضال ضد الأزمة، وإنما ، المساعدة على الخروج من نطاق التدهور الاقتصادي الذي لا مثيل له. وقد ساد هذا المنطلق في الحسابات الحكومية لفترة طويلة.

ورثت إدارة ف. روزفلت السياسة الخارجية مع اتجاهاتها الأساسية التقليدية ما يتناسب معها من مذاهب: مونرو في أمريكا اللاتينية، و(الأبواب المفتوحة) في آسيا، والانعزالية تجاه أوروبا.

كان للانعزالية أهمية بالغة، بعد أن برزت على الأغلب كمبدأ سياسي - دبلوماسي، وأخذت تزداد نمواً مع الزمن في الموقف الأمريكي تجاه العالم الآخر، (غير الأمريكي) خصوصاً. لقد اعتبرت الولايات المتحدة المعنى العملي لهذه السياسة أن تستخدم لمنفعتها التناقضات والحروب بين البلدان الأوروبية، بإعلانها الحياد، الذي استطاعت من خلاله تجنب الصدامات الكبيرة التي كانت تندلع على القارة الأوروبية. وقد حافظت الانعزالية على أهميتها بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية حتى الحرب العالمية الثانية.

تمَّ تفسير حيوية الولايات المتحدة، وحتى تنامي حالة الانعزالية فيها في أعوام ما قبل الحرب بتوسع قاعدتها الاجتماعية، وبمحتواها الديمقراطي، الذي جاءت به الجماهير الشعبية، التي كانت ترى في الانعزالية مبدأً لعدم التدخل في شؤون البلدان الأخرى ورفض المشاركة في الحروب العدوانية. ولذلك يجب التمييز في الانعزالية الأمريكية المعاصرة بين النواحي السياسية - الدبلوماسية وبين النواحي المعادية للحرب والاحتكارات. كانت البداية السائدة هي فكرة (عدم انجذاب) الولايات المتحدة الأمريكية أولاً إلى اتحادات سياسية، وثانياً، إلى الحروب بين البلدان الأخرى.

لقد ساعدت الأزمة على ظهور ما يسمى (التعصب القومي الاقتصادي) الذي أصبح في الأعوام الأولى للرئيس روزفلت سياسة رسمية.

كان أساسه الموضوعي يكمن في اتساع السوق الأمريكي الداخلي، الذي يحافظ على تعريفات عالية بالنسبة للاستيراد وعلى حصص منخفضة (كوتا)

بالنسبة للتصدير. وكان المؤسس الفعال لفكرة (التعصب القومي الاقتصادي) البروفيسور ر. مولي، الذي كان يرأس قبل قطيعته مع روزفلت (مؤسسته الدماغية). (نسف) روزفلت في صيف عام ١٩٣٣ الكونغرس الاقتصادي العالمي في لندن، الذي عقد بغية إيجاد مخرج، متفق عليه بصورة مشتركة، من الأزمة بالنسبة للبلدان الرأسمالية. وقد تمَّت فيه قراءة رسالة الرئيس الأمريكي الذي تقدم باقتراح إلى المشاركين في الكونغرس بالتوقف عن العمل غير المفيد والانشغال بإنشاء «نظام اقتصادي داخلي معافى للبلدان»(١). هكذا عبرت الولايات المتحدة الأمريكية عن عدم رضاها، من رفض الأوروبيين المدينين لها دفع ديونهم بالاستناد إلى الأزمة. أضاف الكونغرس إلى ذلك قانون جونسون عام ١٩٣٤، الذي كان يمنع إعطاء قرض وديون إلى البلدان المستدينة.

جعلت النزعة المضادة من زيادة التوسع الاقتصادي الخارجي للاحتكارات الأمريكية، التي كانت تسعى عن طريق ذلك إلى تخفيف عواقب الأزمة، أمراً إلزامياً. وفي عام ١٩٣٤ تمَّ وبإلحاح من وزير الخارجية ك. هيل، المناصر (لإشاعة الليبرالية) في التجارة العالمية، اتخاذ قانون خاص يقضي بتخفيض رسوم الاستيراد بمقدار ٥٠% على أساس متبادل متفق عليه. بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتمكن من زيادة صادراتها بصورة محسوسة، والتي بقيت في أعوام الثلاثينيات أخفض بقليل من مستوى ما قبل أزمة عام ١٩٢٩.

وكلما كان الزمن يمضي، كانت حكومة روزفلت تصطدم بضرورة ربط السياسة الليبرالية الداخلية مع السياسة الخارجية لـ (النهج الجديد) في النطاق السياسي، وقد لاحظ ذلك أو. ز. فوستر قائلاً: «كان للنهج الجديد

(١) Foreign Relations of the United States: Diplomatic Papers, 1933: vol. 1-5. Wash., 1949-1952, vol. 1, p. 673. ثم (FRUS).

علاقة مباشرة تربطه بالنضال المعادي للفاشية في سنوات ما قبل الحرب»، وكانت الحركة من أجل الإصلاحات في الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة مع حركة الجبهة المعادية للفاشية في أوروبا وأمريكا اللاتينية[١]. وشكل التأثير المتبادل بين نضال الطبقة العاملة وجميع القوى الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية وبين النضال ضد هجوم الفاشية، الذي كان يقوده الشيوعيون ظاهرة تعبّر عن تزايد تشابك العمليات الداخلية في بعض البلدان مع النزعات الأساسية للتطور العالمي الشامل.

ومع بدء الرئيس روزفلت لمهمته أعلن موالاته لـ (سياسة الجار الطيب)[٢]، التي كانت تشترط طرقاً أكثر مرونة بالنسبة لتوسع الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الغربي من الكرة الأرضية. وحسب شهادته الخاصة، كان التوجه إلى مبدأ حسن الجوار في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية يؤثر في علاقاتها مع بلدان أمريكا اللاتينية، وبالذات على رغبة هذه البلدان بالقطيعة مع ممارسة الإملاء الإمبريالي المكشوف، الذي كان يتم بوسائل (العصا الغليظة) و(دبلوماسية الدولار) العادية[٣]. كان ذلك تدبيراً قسرياً من إذ الجوهر في ظروف نمو حركة التحرر الوطني ضد إمبريالية أمريكا الشمالية عندما، وحسب اعتراف روزفلت «كان الرأي العام الأمريكي اللاتيني معبأ ضدنا بصورة محتدمة»[٤]. لقد عكست هذه

---

(١) فوستر او. ز. نبذة عن التاريخ السياسي لأمريكا. موسكو، ١٩٥٣، ص ٥٨٤، ٥٩٢-٥٩٣.

(٢) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933, vol. 1945 vol. /Ed. By S. L. Rosenman. N.Y., 1938-1950, 1933-vol., p. 14.

(٣) Franklin D. Roosevelt and Foreign Affair: vol. 1-3/Ed. by E. Nixon. Cambridge (Mass.), 1969, vol. 1, p. 20-21.

(٤) Franklin D. Roosevelt. His Personal Letters. 1928-1945: vol. 1,2/Ed. By E. Roosevelt. J. P. Lash. N.Y., 1950, vol. 1, p. 63

السياسة بنفس الوقت الموقف الليبرالي الإصلاحي للحكومة التي أعلنت (النهج الجديد)، والتي كانت تحاول أن تأخذ بعين الاعتبار مطالب الحركة الديمقراطية العامة المتنامية في تلك البلاد.

كان يجب أن تُبنى سياسة (حسن الجوار) على المبادئ التالي: عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلدان أمريكا اللاتينية، وعقد اتفاقيات تجارية على أساس المعاملة بالمثل، وتحقيق المساواة بين الأمم، وتقديم المساعدة التقنية. لكن ذلك لم يكن يعني تخلي الإمبريالية الأمريكية عن السعي لتحقيق السيطرة على هذا الإقليم الواسع.

إن الولايات المتحدة الأمريكية، باستخدامها لسياسة (حسن الجوار) حصلت على تعزيز (منظومة البلدان الأمريكية) بإشرافها. كان أحد أهداف هذه السياسة هو الوقوف بوجه المساعي النشيطة لألمانيا الهتلرية وبدرجة أقل لليابان وإيطاليا من الانتشار في أمريكا اللاتينية. وخلال ١٩٢٩-١٩٣٦، نما الاستيراد الأمريكي اللاتيني من هذه البلدان من ١٧% إلى ٢٨%.

لقد أثارت القلق أيضاً محاولات النازيين كذلك الاعتماد على المجموعة الإثنية ذات الأصول الألمانية التي يبلغ تعدادها أكثر من مليون في الإقليم، على وتائر ونطاقات تغلغل الدعاية النازية إلى هناك بنفس المقدار. ولأن توسع ألمانيا كان يتوخى أهدافاً سياسية وحربية-إستراتيجية تذهب بعيداً، فإن الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا اللتين كانتا المتنافستين الاقتصاديتين والتجاريتين الرئيسيتين في أمريكا اللاتينية، أصبحتا تعملان بصورة مشتركة في الكثير من الأحيان. كانت السياسة الجديدة مدعوة للدفاع عن المصالح الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية كذلك، إذ انخفضت تجارتها مع أمريكا اللاتينية في

أعوام ١٩٢٩-١٩٣٢ بمقدار ٧٠%، وكان يهدد استثماراتها هناك نمو الأمزجة المعادية للأمريكان.

جاء في تعليمات وزير الخارجية لوفد الولايات المتحدة الأمريكية إلى الكونفرانس السابع للدول الأمريكية في مونتيفيديو (الأورغواي) في كانون الأول عام ١٩٣٣ أنه بدءاً من ذلك الوقت الذي أصبحت فيه سياسة (حسن الجوار) تأخذ سمات ملموسة، اكتسبت وجهة النظر السياسية للبلدان الأمريكية اللاتينية أهمية خاصة[١]. كان وزير الخارجية ك. هيل يرأس بصورة دائمة وفد الولايات المتحدة الأمريكية إلى مؤتمرات البلدان الأمريكية. و شارك الرئيس الأمريكي روزفلت ومساعده مشاركة فعالة جداً في رسم السياسة الأمريكية اللاتينية، وانضم إليهما فيما بعد نائب وزير الخارجية س. ويلس.

وبعد نضال حاد أصدر الكونفرانس في مونتيفيديو بياناً يعلن فيه بأن أي بلد من البلدان لا يملك الحق بالتدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر (الصفحة ٨)[٢]. إن اتخاذ هذا البيان الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية مجبرة فيه أن تذهب للتنازل فيما يتعلق بالتخلي عن (الحق) بالتدخل، وكذلك القرارات التي تدين الحروب العدوانية (حلف لاماس، والحلف المعادي للحرب)، كل ذلك كان يشهد على تغير تكتيك الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أمريكا اللاتينية.

وإثر ذلك، وحسب المعاهدة مع كوبا، التي عقدت في عام ١٩٣٤، تخلّت الولايات المتحدة الأمريكية عن (تعديلات بلاتا) الاستعمارية، محتفظة، ولمدة

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1933, vol. 4, p. 44.

(٢) Peace and War; United States Foreign Policy, 1931-1941. Wash., 1943, p. 201.

غير محددة بالقاعدة العسكرية غوانتانامو. وغادرت مشاة البحرية الأمريكية هاييتي بعد احتلال دام ١٩ سنة. وتمَّت إعادة النظر بصورة جزئية بمعاهدة ١٩٠٣ العبودية، وذلك حسب معاهدة عام ١٩٣٦ بين الولايات المتحدة الأمريكية وباناما، مع بقاء منطقة قناة باناما في دائرة الاختصاص الأمريكية. بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تطبق عملياً المعاهدات التجارية على أسس المنافع المتبادلة: كانت معظم الاتفاقيات المعقودة على أساس قانون التخفيض المتبادل للتعريفات، تلائم بلدان أمريكا اللاتينية. وخلال الأعوام التي امتدت من ١٩٣٤ إلى ١٩٤٥، قدم بنك التصدير والاستيراد في الولايات المتحدة الأمريكية قروضاً إلى ١٨ دولة أمريكية لاتينية بمقدار ٥٠٠ مليون دولار[١].

شغل كونفرانس البلدان الأمريكية المتعلق بالحفاظ على السلم، الذي عقد بمبادرة من روزفلت في بوينس - أيريس (الأرجنتين) من ١ -٢٣ كانون الأول عام ١٩٣٦، مكاناً خاصاً في سياسة (حسن الجوار). إذ وضعت الولايات المتحدة الأمريكية هدفاً لها تعزيز مبدأ حسن الجوار في العلاقات بين البلدان الأمريكية وخلق جهاز لتحقيق السياسة العامة لبلدان نصف الكرة الأرضية الغربي في حال اندلعت الحرب في أوروبا. جاء روزفلت شخصياً لحضور الكونفرانس، الأمر الذي اعتبر عملاً لا سابقة له بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ووافق المؤتمر على بروتوكول عدم التدخل، الذي أكد وحتى عزَّز بيان عام ١٩٣٣. لقد منع القانون الذي أقره قبل مجلس الشيوخ الولايات المتحدة الأمريكية، من التدخل «بشكل مباشر أو غير مباشر ولأي سبب من الأسباب»[٢].

---

(١) تاريخ الدبلوماسية: الجزء ١ -٥. موسكو، ١٩٥٩ -١٩٧٩، الجزء ٣، ص ٦٤٨.

(٢) Be mis. S. F. The Latin American Policy of the United States: An Historical Interpretation. N.Y., 1967, p. 289.

كانت الموافقة على الاتفاقية هي القرار المهم الآخر، جاء في إحدى موادها: «في حالة اندلاع حرب عالمية خارج أمريكا، يمكن أن تهدد السلام في الجمهوريات الأمريكية، سيتم إجراء المشاورات لتحديد مدة وأشكال التعاون بين البلدان الموقعة على الاتفاقية، إذا هي رغبت في ذلك، من الحفاظ على السلم في القارة الأمريكية»[1]. وضع ذلك بداية لتشكل حلف سياسي في نصف الكرة الأرضية الغربي برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، موجه ضد توسع دول التحالف الفاشستي العسكري.

شكل القيام بنزع ملكيات الأراضي الكبيرة التي تعود لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية من قبل حكومة المكسيك عام ١٩٣٨ من أجل إجراء إصلاح زراعي، امتحاناً جدياً بالنسبة لسياسة (حسن الجوار). كانت المكسيك واحدة من الدول الرأسمالية الأولى التي أقدمت على تأميم الصناعة النفطية. لجأت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الضغط الدبلوماسي المتزايد بطلبها دفع تعويضات. وبمنزلة تدبير جوابي، أقدمت على فسخ الاتفاقية المتعلقة بشراء الفضة المكسيكية، مما أدى إلى انخفاض الأسعار على هذا المعدن. غير أن حكومة روزفلت وفي تباين حاد مع السياسة السابقة تجنبت استخدام طرائق عنيفة ضد المكسيك (دفاعاً) عن المصالح الأمريكية. وبدورها دفعت المكسيك لشركات الولايات المتحدة النفطية مبلغاً لا يستهان به.

أعطت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تلك ثمارها في الكونفرانس الثامن للدول الأمريكية الذي عقد في ليما (البيرو) من ٩ إلى ٢٧ كانون الأول عام ١٩٣٨، الذي أقر إعلان مبادئ التضامن الأمريكي (إعلان ليما). وأعلنت

---

(١) Ibid., p. 288-289.

فيه حكومات الدول الأمريكية عن تضامن القارة، وعن الحزم في الدفاع عن نفسها ضد أي تدخل أجنبي، وعن تنسيق الجهود الوطنية لهذه الغاية بواسطة نظام المشاورات، وباستخدام التدابير التي تمليها الظروف[1].

تمَّ اتخاذ أكثر من ١٠٠ قرار في الكونفرانس. وقد أخبر المبعوث الألماني في بيرو برلين، أن «أكثرية قرارات الكونفرانس موجهة ضدنا...»[2]. استعرض كونفرانس ليما التطور اللاحق لسياسة البلدان الأمريكية اللاتينية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية. وأظهر مبدأ مونرو أنه قابل للتكيف مع الظروف التاريخية الجديدة، التي اكتسبت محتوى أكثر اتساعاً. إن المذهب البان أميركاني[*] الذي جسد فكرة (وحدة) نصف الكرة الأرضية الغربي، حصل تلك الفترة على انتشار واسع جداً[3].

٢ - العلاقات السوفييتية - الأمريكية

أصبح العمل الأكثر أهمية في السياسة الخارجية للحكومة هو الاعتراف الدبلوماسي بالاتحاد السوفيتي. كانت حكومة روزفلت تأمل مع تطبيع العلاقات السوفييتية-الأمريكية بتعزيز مواقع الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى، إذ اصطدمت بأكثر المسائل الدبلوماسية جدية بالنسبة لها.

---

(١).Peace and War, p. 440-441

(٢)-Documents on German Foreign Policy. 1918-1945, Ser. D. (1937-1945): vol. 1-13. L.: Wash., 1949-1964, vol. 1, p. 583 (DGFP, Ser. D:)ثم

(*) مذهب يقوم على المصلحة المشتركة لشعوب القارة الأمريكية – المترجم.

(٣) آنتياسوف م. ف. البان أمريكانية: أيديولوجيا وممارسة. موسكو، ١٩٨١، ص ٦٢-٦٤.

أشار ف. إي. لينين إلى أن التناقضات الأمريكية- اليابانية آخذة في التصاعد بصورة حتمية(1). وازدادت تفاقماً نتيجة احتلال منشوريا. كان العدوان الياباني يقوض مبدأ (الأبواب المفتوحة) الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدافع عنه منذ نهاية القرن التاسع عشر، ومنظومة واشنطن التي نشأت بمشاركتها، ومارست تأثيراً ملموساً على السياسة اللاحقة لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية(2).

كان الوضع في الشرق الأقصى مادة للنقاش في الجلسة الثانية للمجلس، وتحدث فيها روزفلت عن إمكانية الحرب مع اليابان(3). ولكن تمَّ إقرار عدم سريان (مبدأ عدم الاعتراف) لاحقاً (عام ١٩٣٢)، الذي كان يكتفي بعدم الاعتراف بالتغييرات القسرية للحالة الراهنة في هذه المنطقة.

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الاتفاقيات الموقع عليها في كونفرانس واشنطن عام ١٩٢١-١٩٢٢، والحلف المناهض للحرب عام ١٩٢٨، والتي كانت تدين اليابان في انتهاكاتها، في المنافسة السياسية- الدبلوماسية على الشرق الأقصى. وكانت احتجاجاتها المتكررة تتحدى الأعمال اليابانية في الصين، التي أقرت معاهدة الدول التسع العظمى عام ١٩٢٢ وحدة أراضيها. لقد أفهمت اليابان، بأن عدم مراعاة اتفاقات واشنطن يمكن أن يؤدي إلى قرار أمريكي بالتخلي عن التقليصات التي فُرضت من قبل هذه

---

(١) انظر: لينين ف. إي. المؤلفات الكاملة، الجزء ٣٦، ص ٣٣٠.

(٢) Borg, D., - The United States and the Far Eastern Crises of 1933-1938: From the Manchurian Incident though the Initial Stage of Undeclared Sino-Japanese War. Cambridge (Mass), 1964.

(٣) The Secret Diary of Harold L. Icues: vol.1-3. N.Y., 1953-1954, vol. 1, p. 5.

الاتفاقيات على بناء السفن الحربية- البحرية. كان هدف سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه اليابان يكمن في السعي قدر الإمكان لتأجيل الصدام المفتوح معها. وعندما أقرت الولايات المتحدة الأمريكية قانوناً حول إعطاء الاستقلال للفيلبين بعد عشر سنوات في ٢٤ آذار عام ١٩٣٤، أقدمت اليابان على تأويل الانسحاب المقبل للأمريكان لمصلحتها. وأعلنت في بيان آمو (نيسان عام ١٩٣٤) بأنها الحكم الوحيد في المسألة الصينية، ولم تستجب حتى للاحتجاج الأمريكي[1].

وبمقدار تعقد الوضع في أوروبا كانت الولايات المتحدة الأمريكية توطد مواقعها بسعيها لتحقيق حل وسط مع اليابان. ومن هنا جاء التشجيع الفعلي للعدوان الياباني من قبل الولايات المتحدة، الذي وجد تعبيراً عنه في التجارة الأمريكية - اليابانية، التي كانت تؤمِّن لليابان أكثر من نصف المواد العسكرية الإستراتيجية الضرورية لها. إن هذا النهج الحكومي للولايات المتحدة الأمريكية نفسها كان عرضة لنار النقد من قبل الرأي العام، الذي كان يميل إلى اتخاذ التدابير الحازمة ضد اليابان. واتخذت المنظمات الاجتماعية، بما في ذلك النقابات، وكذلك ممثلو أوساط العمل، قراراً بإدانة اليابان، وطالبت بمقاطعة البضائع اليابانية. وأخذت حملة الاحتجاج ضد العدوان الياباني بسرعة أطراً واسعة.

تطابقت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية مع الجهود الجديدة للاتحاد السوفييتي لتأمين السلم العام. واتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لعموم روسيا (البلشفي) في كانون

(١) Peace and War, p. 216-217.

الثاني عام ١٩٣٣ قراراً حول تطور النضال من أجل الأمن الجماعي[١]، الذي حدد إستراتيجية السياسة الخارجية السوفييتية لكل مرحلة ما قبل الحرب تقريباً. كان الاتحاد السوفييتي يدافع بثبات عن فكرة عدم تجزئة السلام، من خلال التوصل بصورة ملحة إلى توحيد جهود الدول ضد العدوان في أي بقعة من بقاع الأرض. ولهذا الهدف قبل الاتحاد السوفييتي الدعوة للدخول إلى عصبة الأمم، التي كانت ألمانيا الفاشستية واليابان العسكرتارية قد غادرتاها بصورة استعراضية. وكما كتب الباحث الأمريكي في تاريخ مسألة الأمن المشترك ر. سترومبرغ، في ذلك الوقت «لم يكن هناك أحد أكثر إخلاصاً للأمن المشترك من السوفييتات»[٢].

أما ما يتعلق بالعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الاتحاد السوفييتي كان مستعداً للسير على طريق التعاون الوثيق جداً، معتبراً أن الاختلافات في البناء الاجتماعي-السياسي لكلا البلدين لا يجب أن تعيقه[٣].

أقدمت الحكومة السوفييتية في معرض إشارتها إلى أهمية العلاقات السوفييتية-الأمريكية على تعيين الدبلوماسي البارز ا. ا. ترويانوفسكي كأول سفير لها في واشنطن، والذي كان قبل ذلك سفيراً للاتحاد السوفييتي في اليابان. وسعت بنفس الوقت إلى إقامة مفاوضات بناءة مع السفير الأمريكي في

---

(١) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي: في ستة أجزاء. موسكو، ١٩٦٤-١٩٨٠، الجزء ٤، الكتاب ٢، ص ٢٨-٢٩.

(٢) Ctromberg R. N. Collective Security and American Foreign Policy: From the League of Nations to NATO. N.Y., 1963, p. 243-244.

(٣) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي: الجزء ١. موسكو، ١٩٥٧، الجزء ١٢، ص ٦٥٦ (ثم وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي).

موسكو أو. بولليت الذي تمَّ إعلامه برغبة الحكومة السوفييتية في «تحديد الأشكال الملموسة للتعاون بين بلدينا في قضية تعزيز السلم»، مع الأخذ بعين الاعتبار استمرار خط المفاوضات بين م. م. ليتفينوف و ف. روزفلت في واشنطن، إذ «تمَّ رسم منطلق صحيح تماماً في هذه المسألة»، وذلك بتنسيق جهود الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية لشل الأعمال الموجهة ضد السلام[1]. كانت إمكانية ذلك التعاون تأتي من الاهتمام في الوقوف ضد التوسع الياباني في الشرق الأقصى، الأمر الذي تمت الإشارة إليه من قبل كلا الجانبين، وعلى وجه الخصوص في الأشهر الأولى بعد الاعتراف.

وفي نهاية عام ١٩٣٣ تمَّ طرح فكرة حلف في المحيط الهادي لمنع الاعتداء، وتحقيق الأمن[2]، مع الأخذ بالاعتبار أن التوسعية اليابانية لم تكن تهدد الصين والاتحاد السوفييتي فقط، وإنما كانت موجهة أيضاً ضد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى، وفرنسا. وليس مصادفة أن مشروع ذلك الحلف لم يخرج من جدول الأعمال خلال عدة سنوات. بيد أن التصريحات المتعددة للولايات المتحدة الأمريكية حول الخطر الجدي الذي تشكله الطغمة العسكرية اليابانية لم تتعزز بأي شيء أبداً. كانت الولايات المتحدة الأمريكية، دون أن تتخلى عن فكرة صدم الاتحاد السوفييتي مع اليابان، تفضل أن تنأى بنفسها جانباً. تحدث السفير بولليت قائلاً: إن «الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدخل الحرب» في الشرق الأقصى، واعداً الاتحاد السوفييتي بـ «الدعم المعنوي» فقط[3]. ومع أن الرئيس ف. روزفلت لم يعترض من إذ المبدأ ضد الحلف

---

(١) من المصدر السابق، الجزء ١٦، ص ٧٥٠؛ الجزء ١٧، ص ٤٧٨.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers. The Soviet Union, 1933-1939. Wash., 1952, p. 16.

(٣) وثائق الوثائق الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء، ١٦، ص ٧٥٠.

الإقليمي، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت موقفاً مراوغاً، برفضها أن تأخذ على عاتقها أية التزامات مهما كانت، وفي نهاية المطاف فإنها رفضت في صيف عام ١٩٣٧ الاقتراح السوفييتي.

أثارت الحكومة السوفييتية في منتصف عام ١٩٣٤ مسألة الرغبة في الدعم الأمريكي للحلف الإقليمي الشرقي[١]- واحدة من المحاولات لتنظيم منظومة الأمن المشترك في أوروبا. وفي نهاية نفس العام أحاط م. م. ليتفينوف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية علماً بمشروع تحويل اللجنة العامة لمؤتمر نزع السلاح إلى مؤتمر دائم للسلم - هيئة عالمية، إذ كان يمكن مناقشة مسائل الأمن، وإجراء مشاورات في حالة انتهاك السلام، وبمساعدتها كان يمكن تأمين تعاون الولايات المتحدة الأمريكية، التي بقيت خارج عصبة الأمم. وكما كتب ليتفينوف: «إن تعاون أمريكا يعتبر أحد الأهداف الأساسية التي نتوخاها»[٢]. بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية، لا هي ولا غيرها من البلدان الكبيرة في الغرب، رغبت في التعاون مع الاتحاد السوفييتي، ولم يتم تحقيق مشروع ليتفينوف.

وفي جميع الأحوال، وبما أن الحديث جرى عن مصائر السلم الشامل، فإن الموقف السلبي للولايات المتحدة الأمريكية ما كان من الممكن إلا أن يساعد على انتشار العدوان سواء في الشرق الأقصى، أو في أوروبا. إن إقرار القانون حول حياد الولايات المتحدة الأمريكية في آب عام ١٩٣٥ عزز هذا الموقف. الذي كانت تبرز بوضوح مع مرور الزمن أكثر فأكثر الخلفية الحقيقية له، التي كانت تعكس النهج العام للبلدان الغربية، الموجه نحو عزل الاتحاد

---

(١) نفس المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٤٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١٩.

السوفييتي عالمياً أمام وجه الخطر الحربي المتنامي بصورة مستمرة. ولقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم مسألة ديون الحكومات الروسية ما قبل الثورة بمثابة حجة لرفض التعاون السياسي، والتي ربطت بحلها بصورة مصطنعة، كل مجموعة العلاقات السوفييتية-الأمريكية[1]. وكانت تضع في المقام الأول، في أية مفاوضات مع الجانب السوفييتي مسألة دفع ديون روسيا الحربية وعلى الأخص دين حكومة كيرنسكي المؤقتة التي حصلت على قرض من الولايات المتحدة الأمريكية. أجبر هذا الأمر الاتحاد السوفييتي على أن يقدم ادعاءات مضادة مرتبطة بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل الأجنبي ضد روسيا السوفييتية، والتي كانت تغطي وبربح زائد المطالب الأمريكية. ومع ذلك فإن الدبلوماسية السوفييتية كانت تظهر الرغبة بتسوية المسائل الخلافية، بذهابها إلى التنازلات والحلول الوسط، بما أنها كانت تنطلق من أن أمام الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية «تقف أهداف عامة أكثر أهمية» كانت تنحصر في الحفاظ على السلم[2]. كانت بعض الشخصيات الأمريكية بعيدة النظر، تتمسك بمثل ذلك المنطلق، مثل الدبلوماسي المعروف ن. ديفيس. لقد تحدث بعد أن أصبح رئيس وفد الولايات المتحدة الأمريكية إلى مؤتمر لندن البحري عام ١٩٣٥-١٩٣٦، إلى المندوب السوفييتي حول ضرورة تصفية كل الخلافات المالية والاقتصادية فوراً، لأن التعاون الوثيق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ضروري بصورة قصوى لتسوية المشاكل السياسية الكبيرة[3]. لقد بينت الصعوبات في تسوية المسائل

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦٣٢-٦٣٤.

(٢) نفس المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٥٧١؛ الجزء ١٨، ص ٦١.

(٣) نفس المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٧٥٥.

المالية -الاقتصادية المختلف عليها ابتعاد الجانب الأمريكي عن الاتفاق المبدئي الحاصل بين م. م. ليتفينوف و ف. روزفلت في تشرين الثاني عام ١٩٣٣. إذ تمَّ التوصل آنذاك إلى (اتفاقية جنتلمانية) تنص على أنه في حال تقديم قرض أمريكي فإن الاتحاد السوفييتي يوافق على دفع فائدة زائدة بعض الشيء على هذا القرض، ولا يعارض بأن تكون هذه الفائدة الزائدة مخصصة لتسديد الديون القديمة بصورة جزئية. كان مبلغ الديون يبلغ حسب التنسيق بحدود ٧٥ إلى ١٥٠ مليون دولار[1].

وافق الجانب السوفييتي في سير المفاوضات اللاحقة في موسكو وواشنطن على قرض طويل الأمد عوضاً عن الديون، ووافق في آب عام ١٩٣٤، على تقسيم هذا القرض إلى مالي (١٠٠ مليون دولار لمدة ٢٠ سنة) وتجاري (١٠٠ مليون لخمس سنوات وأكثر بفائدة ٧% في العام)[2]. إلا أن موقف الجانب الأمريكي بقي قاسياً.

لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى قانون جونسون، مع أن الاتحاد السوفييتي لم يقم بأي التزام بالنسبة للقروض القديمة. وبالمحصلة لم يستطع بنك التصدير والاستيراد، الذي أسس بمرسوم جمهوري في شباط عام ١٩٣٤ لتمويل التجارة مع الاتحاد السوفييتي، تطوير نشاطه في هذا الاتجاه. كان الجانب الأمريكي بالإضافة لذلك يلح على ذلك الشكل من القرض البضاعي، الذي استخدمه الاتحاد السوفييتي في أوروبا دون أي دفوعات عن الديون القديمة. لم يكن الاتحاد السوفييتي يستطيع بالطبع أن يوافق على سابقة غير مرغوبة.

(١) نفس المصدر السابق، الجزء ١٦، ص ٦٤٠.

(٢) نفس المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٢٢٦، ٥٧١.

أعلن وزير الخارجية بصورة رسمية في نهاية كانون الثاني عام ١٩٣٥ عن توقف المفاوضات السوفييتية - الأمريكية المتعلقة بالمسائل المالية-الاقتصادية. وتبع ذلك قرار بإغلاق القنصلية العامة للولايات المتحدة الأمريكية في موسكو، واستدعاء الملحق العسكري الجوي والبحري، وتقليص ملاك السفارة في الاتحاد السوفييتي[١]. لم يبق للحكومة أي شيء آخر سوى الإقرار بسوء العلاقات الثنائية. ولقد جاء في رسالة مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي إلى السفير ا. ا. ترويانوفسكي في آذار عام ١٩٣٥، أن السياسة الأوروبية في الظروف الناشئة «تقف بالنسبة لنا دون شك في المقام الأول»[٢]. في هذا الوقت بالذات أعطت جهود الاتحاد السوفييتي المتعلقة بتعزيز السلم الأوروبي، نتائج إيجابية على شكل معاهدات موقعة في أيار عام ١٩٣٥ حول المساعدة المتبادلة بين الاتحاد السوفييتي وفرنسا، والاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا.

لم يبرر استخدام قانون جونسون الآمال الأمريكية كذلك. أعلن الممثلون السوفييت بصلابة للسفير بولليت، الذي كان يعتبر، أن الاتحاد السوفييتي سيقوم بالتنازل اللاحق بسبب اهتمامه بالتجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية، أننا «لن نستسلم للضغط، وبإمكاننا أن نتصرف دون التجارة الأمريكية»[٣]. وفي معرض الاسترشاد بالاعتبارات الخاصة، قلَّص الاتحاد السوفييتي الاستيراد من الولايات المتحدة الأمريكية، أما الطلبيات القائمة فقد وزعها دون جهد خارج الولايات المتحدة الأمريكية. سحب

---

(١) FRUS. Diplomatic Papers. The Soviet Union, 1933-1939, p. 172-173, 177

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٨، ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٢٧٥.

الجانب السوفييتي اقتراحه كذلك حول إنشاء ممثلية تجارية للاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية.

تعقدت العلاقات السوفييتية - الأمريكية أكثر فأكثر عندما اتهم بولليت، بمناسبة قرارات الكونغرس السابع للأممية الشيوعية (تموز-آب عام ١٩٣٥)، الحكومة السوفييتية بالتدخل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية. لقد أكدت مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي في معرض رفضها للمذكرة الأمريكية الباطلة، الخط القائم على التعاون الودي، «الذي يستجيب لمصالح شعبي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، ويملك أهمية كبيرة جداً بالنسبة للسلم العام»[١]. بيد أنه واعتباراً من هذا التاريخ أخذ الأمريكيون يطالبون بمنزلة شرط مبدئي للتعاون السياسي الثنائي (إيقاف) الدعاية الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية وتسوية مسألة الديون[٢].

أمكن تحقيق بعض النتائج في مجال العلاقات التجارية المتبادلة. ففي سير المفاوضات، التي بدأت في نيسان عام ١٩٣٥، أعلن الجانب السوفييتي عن الاستعداد لزيادة المشتريات من الولايات المتحدة الأمريكية في حال إعطاء الاتحاد السوفييتي الحق بالأمة الأكثر رعاية. بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت القيام بذلك، مستندة إلى الوثيقة الجمركية التي تعود إلى عام ١٩٣٢ والتي تمَّ فيها فرض ضريبة استيرادية باهظة على فحم الإنتراسيت السوفييتي المصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية. إن استعداد الاتحاد السوفييتي لعقد اتفاقية، مؤسسة على تطبيق رسوم استيرادية تفضيلية أمريكية (باستثناء

---

(١) المصدر السابق، الجزء ١٨، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٢) Williams W.A. American-Russian Relation, 1781-1947. N.Y., 1952, p. 234.

الإنتراسيت) تجاه البضائع الروسية المستوردة، ساعد على عقد اتفاقية تجارية في ١٣ تموز عام ١٩٣٥[١]، استمر مفعولها لعامين. وفي النتيجة، تمَّ تعميم التسهيلات على التعريفات المقررة في اتفاقيات الولايات المتحدة الأمريكية مع بعض الدول بالتوافق مع قانون عام ١٩٣٤ حول التخفيض المتبادل للتعريفات، على البضائع السوفييتية المشابهة. وفي آب عام ١٩٣٧ وبناء على مبادرة سوفييتية تمَّ عقد اتفاقية حلت محل السابقة[٢]. تأسست على قاعدة معاملة كلا الجانبين أحدهما للآخر معاملة الأمة الأكثر رعاية. وكانت الاتفاقية التي شكلت قاعدة حقوقية بالنسبة للتجارة المتبادلة بين الطرفين، تمدد كل عام، إلى أن فسختها الولايات المتحدة الأمريكية من طرف واحد. كانت الولايات المتحدة الأمريكية ملزمة في فترة عمل هذه الاتفاقية بألَّا تُخضِع البضائع السوفييتية لأية قواعد أو شكليات مرهقة، أكثر من تلك التي تخضع أو يمكن أن تخضع لها البضائع المشابهة والمستوردة من أي بلد ثالث آخر. إن تحرير الفحم الحجري المستورد من الاتحاد السوفييتي، من رسوم الإنتاج الضريبية سمح بزيادة الاستيراد السوفييتي من الولايات المتحدة الأمريكية. وبفضل الاتفاقيات التجارية عام ١٩٣٥، وعام ١٩٣٧ فاق الثقل النوعي للولايات المتحدة الأمريكية في التصدير السوفييتي ٧% في فترة ما قبل الحرب. إن نمو الاستيراد السوفييتي من الولايات المتحدة الأمريكية سمح لها بأن تشغل المكان الأول بين الدول - المصدرة إلى الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٧-١٩٣٨. كانت المواد الأساسية في التصدير السوفييتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الإنتراتسيت هي فلز المغنزيوم، والغراء، وخامة الغراء، والأخشاب

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٨، ص ٤٥٠-٤٥٢.

(٢) نفس المصدر، الجزء ٢٠، ص ٤٤٣-٤٤٨.

المنشورة، والحرير الصخري (الإسبستوس)، والمحفوظات، والكافيار، والتبغ، والنسيج. أما الاستيراد من الولايات المتحدة الأمريكية فكان يشمل مختلف أنواع الآلات والمعدات للصناعة، التي شكلت عام ١٩٣٨ نحو ٦٧% من هذا الاستيراد[1]. حال التطور الكبير في التجارة الثنائية المتبادلة دون التخلي الأمريكي عن تمويلها الحكومي.

استمرت العلاقة المتحفظة وشديدة الحرص بين وزارة الخارجية برئاسة هيل و الاتحاد السوفييتي، ظهرت أيضاً أثناء المفاوضات حول الاعتراف المتبادل. وكان موقف أو. بولليت، الذي بقي سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي حتى آب عام ١٩٦٣، هو الأكثر عداوة. وبعد أن عين سفيراً في فرنسا فيما بعد، أصبح بولليت بحكم قربه من روزفلت نصيراً نشطاً للسياسة (الميونخية). لقد انضم إلى تلك المجموعة المعادية للسوفييت في وزارة الخارجية، والتي كان يدخل في عدادها ا. بيرل، الذي أصبح عام ١٩٣٨ مساعداً لوزير الخارجية. وكغيرهما من الشخصيات الرجعية كذلك في بريطانيا العظمى وفرنسا استمرا في النهج المعادي للشيوعية والسوفييت، داعيين لعدم الثقة بالاتحاد السوفييتي.

وخلافاً لهما كان كل من ج. ميسيرسميث، مساعد وزير الخارجية أيضاً، و ج. ديفيس، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي أعوام ١٩٣٦-١٩٣٨، يعترفان باهتمام الاتحاد السوفييتي بصيانة السلم، ولذلك كانا يعتبران أنه من المرغوب بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ترتيب التعاون

---

(١) التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي خلال أعوام ١٩١٨-١٩٤٠: استعراض إحصائي. موسكو، عام ١٩٦٠، ص ١٠٧٨.

السياسي معه[1]. وقد خرج ديفيس خلال فترة وجوده في موسكو باقتناع «في مشاعر الصدق والصداقة من قبل الاتحاد السوفييتي تجاه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر مما تجاه أي بلد آخر»[2]. وبتجاوبه مع التعامل بالمثل ساعد ديفيس من خلال نشاطه على تعزيز علاقات الصداقة ونمو التفاهم المتبادل والثقة بين شعبي كلا البلدين، ولأجل ذلك تم تقليده وسام لينين في عام ١٩٤٥. وهكذا، وتطبيقاً للعلاقات السوفييتية - الأمريكية عبَّدت النزعة طويلة الأمد الطريق لنفسها في العلاقات الدولية باتجاه التعايش السلمي بين الأنظمة المختلفة، المبنية على اهتمام الشعوب في السلم العام. إن النزعة الغالبة في الرأي الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية حتى بداية الحرب العالمية الثانية كانت تكمن في تشكل مشاعر الصداقة تجاه الاتحاد السوفييتي. وبالرغم من أن هذه النزعة كانت تتطور باتجاه صاعد، فإنها كانت تنقطع مراراً تحت تأثير الأحداث الداخلية والدولية. إن حقيقة الاعتراف الأمريكي بالاتحاد السوفييتي نفسها تمَّ تقييمها في البلاد كمساهمة إيجابية كبيرة في العلاقات الدولية[3]. لقد عززت سياسة الاتحاد السوفييتي المحبة للسلام والثابتة، ونضاله لمجابهة العدوان الثقة تجاهه. ففي عام ١٩٣٤ سمى الكونغرس الأمريكي للشباب - منظمة كبيرة للشباب في الولايات المتحدة الأمريكية - المبادرات السياسية الخارجية السوفييتية بـ «الاقتراحات البناءة الوحيدة الموجهة إلى السلم»[4]. وفي صيف عام ١٩٣٥، وبمشاركة السفير السوفييتي ا. ا.

---

(١) Langer W. L., Gleason S.E. The Challenge to Isolation, 1937-1940. N.Y., 1952, p. 126.

(٢) Davies J. E. Mission to Moscow. N.Y., 194, p. 425.

(٣) القاموس الدبلوماسي: بثلاثة أجزاء. موسكو، ١٩٨٤، الجزء الأول، ص ٣٤٥.

(٤) Schlesinger A. M., Jr. The Age of Roosevelt: vol. 1-3. Boston, 1957-1960. 3, p. 199.

تروبانوفسكي تم تنظيم سلسلة محاضرات لمدة خمسة أيام حول موضوع (الاتحاد السوفييتي والمشاكل الدولية). ولقد أشار تروبانوفسكي في كلمته، إلى أن «محور الارتكاز في السياسة الخارجية السوفييتية هو السلام والتعاون مع جميع البلدان بصرف النظر عن النظام الاجتماعي والسياسي»[1].

سعت العناصر الرجعية بكل الطرق لعرقلة تطور العلاقات السوفييتية الأمريكية. وكان التصريح الرسمي لوزارة الخارجية في بداية عام ١٩٣٥ عن قطع المفاوضات حول المسائل المالية-الاقتصادية المختلف عليها، الإشارة لتنشيط هذه العملية. إثر ذلك تصاعدت موجة رجعية كان محتواها كما أخبرت السفارة السوفييتية مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي يكمن في أنها «تمارس تأثيراً مباشراً على علاقاتنا مع الولايات المتحدة الأمريكية. إن العداء تجاه الشيوعية والاشتراكية يسفر بصورة حتمية عن العداء تجاهنا...»[2]. تم تقديم قرارات حول قطع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي إلى مجلس النواب والشيوخ في الكونغرس[3]. اشتدت الحملة المعادية للسوفييت بعد تهجمات أو. بولليت ضد قرارات الأممية الشيوعية، وجرت محاولات لإعطائها حجماً دولياً. كانت السفارة السوفييتية في واشنطن مضطرة بأن تقدم إلى وزارة الخارجية احتجاجاً شفهياً بسبب إحدى المواد المعادية للسوفييت التي ظهرت في صحيفة الناشر الرجعي هيرست[4]. بيد أن هذه الحملة أخذت تسير تدريجياً نحو الانخفاض. أشارت السفارة

---

(١). The Soviet Union and World Problems /Ed. By S.N. Harper Chicago, 1935, p. 19-20.

(٢) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٨، ص ٦٨.

(٣). Congressional Record, vol. 79, pt 1, p. 58, 790.

(٤) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٨، ص ٤٠٠-٤٠٨.

السوفييتية في إخبار لها إلى مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي في أيار عام ١٩٣٦، تضمن تحليلاً للصحافة الأمريكية إلى جو «النمو غير المشكوك فيه للاهتمام تجاه الاتحاد السوفييتي في أوساط واسعة جداً من السكان». وتمَّ التأكيد على هذا التقييم بمناسبة الأصداء المتعلقة بنشر الدستور الجديد للاتحاد السوفييتي[١]. ومما كان له دلالته، هي تلك المحاولات التي باءت بالفشل لوضع (المسألة السوفييتية) على جدول عمل مؤتمر الحزب الجمهوري المنعقد في كليفلاند في حزيران عام ١٩٣٦، وإدراج التعهد بقطع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، على الرغم من جهود القيادة المحافظة للفدرالية الأمريكية للعمل، و(الفيلق الأمريكي)، وكذلك للمحافظين أمثال غ. فيش. وبعد الانتخابات الرئاسية التي جرت في تشرين الثاني عام ١٩٣٦، وتحت مؤشرات ميل الجماهير إلى اليسار وتسييس الطبقة العاملة أخبرت السفارة موسكو ما يلي: «ما زال الوضع مواتياً لنا. إن الدول الفاشستية هنا لا تحوز على شعبية، وإذا لم يكن هناك تعاطف علني تجاهنا، إلا أنه يمكن التوقع مع ذلك، في أن الانتخابات ستجري لصالحنا»[٢]. إن هذا الأفق بالضبط هو ما أخاف العناصر اليمينية. لقد رفض البروفيسور الكاثوليكي م. هيللين براند في مقالته (هل ستكون موسكو حليفتنا إذا نشبت الحرب؟)، التي ظهرت في مجلة (أمريكا) في تموز عام ١٩٣٧ تلك الفكرة التي تقول: إن المساعدة الأمريكية للاتحاد السوفييتي هي بمنزلة «تهديد أكبر للحضارة وللكاثوليكية في العالم المعاصر»[٣].

---

(١) نفس المصدر السابق. الجزء ١٩، ص ٢٧٤-٢٧٥، ٣٢٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٦٢٥.

(٣) استشهاد بـ: Jonas M. Isolationism in America, 1935-1941. Ithaca, 1966, p. 113.

إن تشكل تصورات صحيحة عن الاتحاد السوفييتي كانت تصطدم بالكثير من الصعوبات، التي كان من بينها غياب المعلومات الكافية عنه[١].

ساعد إصدار مجلة (روسيا السوفييتية اليوم) في الولايات المتحدة الأمريكية بعدد من النسخ يصل إلى ٥٠ ألف شهرياً، بسد هذا الفراغ. وساعدت الروابط الثقافية والعلمية الثنائية في تحقيق هذا الهدف.إذ كانت تجري في الولايات المتحدة الأمريكية تظاهرات للأفلام السوفييتية، وتنظم معارض سوفييتية، وحفلات موسيقية، ونقل إذاعي للموسيقا السوفييتية من موسكو. وبمناسبة الذكرى المئوية على وفاة ا. س. بوشكين جرت فعاليات بمشاركة ممثلي العلم والثقافة أمثال، ا. انشتاين، وت. درايزر، وب. روبسون في أكبر المدن الأمريكية. لقد ظهرت المشاعر الطيبة تجاه الاتحاد السوفييتي أثناء أعمال الإنقاذ لركاب سفينة شليوسكين من جانب البر الأمريكي، ولقاء الملاحين ف.ب. تشكالوف وم.م. غروموف، اللذين حققا طيراناً دون توقف من الاتحاد السوفييتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر القطب الشمالي في صيف عام ١٩٣٧. إذ استقبل قائديْ بعثة شليوسكين أو. يو. شميت و غ.ا. أوشاكوف والملاح ف.ب. تشكالوف، الرئيسُ ف. روزفلت وغيره من الشخصيات الرسمية.

٣- القانون حول الحياد

سبق إقرار القانون المتعلق بحياد الولايات المتحدة الأمريكية نضال فكري طويل. وكانت مساهمة الأدب التاريخي - الاجتماعي في هذا المجال ضئيلة، على الرغم من أنه حصل على انتشار على أرضية خيبة الأمل العامة

(١) Lowenstein M. American Opinion of Soviet Russia. Wash., 1941, p. 164.

من نتائج الحرب الإمبريالية العالمية الأولى[١]. لقد تم دحض الروايات شبه الرسمية حول أسباب دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية فيما يسمى بالأدب التحريفي، ولقيت موضوعة المؤلفين التحريفيين (المؤرخين س. في، وب. شميت، والمختصّ بعلم الاجتماع غ. فارني، والصحفي أو. ميلليس وغيرهم) حول مسؤولية الأوساط التجارية-المالية التي لحقت أهدافها الأنانية، في جذب البلاد إلى الحرب، أنصاراً أكثر.

شارك في صراع الأفكار تش. بريد - المؤرخ الأمريكي الأكثر شهرة في النصف الأول من القرن العشرين، الذي صاغ نظريته حول المصلحة الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية في عملين له نشرا عام ١٩٣٤[٢]. وتلخصت حصيلة الدراسة في توصيته بتجنب الحرب. إذ اعتبر بيرد، أن أسباب انجذاب الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحرب كانت تكمن في إصرارها على حقها بالحياد وبيع المواد الخام والعتاد العسكري إلى البلدان المتحاربة، واقترح «فرض قيود إيجابية على هذه الحقوق بواسطة التشريع»[٣]. كان من الممكن التوصل إلى حلٍّ لمسألة الحرب والسلم حسب بيرد من منطلق المصالح الاجتماعية، وذلك من خلال تحديد المصالح الخاصة للبلاد بصورة مسبقة. حصلت كتب بيرد على أصداء واسعة، وقد قرر الرئيس روزفلت، حسب المعلومات، التي أصبحت ملكاً للعلم، الاهتداء بوصايا المؤلف[٤].

---

(١) Cohen W. J. American Revisionists: The Lesson of Intervention in World War I. Chicago; London, 1967.

(٢) Beard Ch. A. The Idea of National Interest: Analytical Study in American Foreign Policy. N.Y., 1934; Idem. The Open Door at Home: a Trial Philosophy of National Interest. N.Y., 1934.

(٣) Beard Ch. A. The Open Door at Home, p. 286.

(٤) انظر تقييم س. بيميس لكتاب تش. بيرد (الأبواب المفتوحة للمنازل) في الفصل البيليوغرافي-الانتقادي لمجلة: American Historical Review عام ١٩٣٥، الأرجنتين –ص ٥٤٣.

كان على إقرار قانون الحياد، كما افترض عدد كبير من العناصر الديمقراطية والليبرالية بصورة أولية، أن يقلل من احتمال الانجذاب إلى الحرب، الأمر الذي لم يكن يصب في مصلحة الأمة عموماً. إن نقطة الارتكاز هذه على أولوية المصالح الوطنية كانت تمتلك بالطبع أهمية إيجابية. بيد أنه أصبح واضحاً أكثر فأكثر أن المصالح الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية بالذات في ظروف وجود بؤر لحرب عالمية جديدة في أوروبا والشرق الأقصى، وبدء هجوم الفاشية، كانت تتطلب مشاركتها في إنشاء نظام للأمن المشترك، كما كان يقترح الاتحاد السوفييتي. كان يمكن تجنب الحرب في تلك الحالة فقط إذا أمكن الحؤول دون ظهورها في أي مكان في العالم. وكان الحياد يقود إلى انعزال الولايات المتحدة الأمريكية، في حين أن تلافي الحرب كان يتطلب بالذات جهوداً مشتركة عامة.

أدت الأزمة والصراع الطبقي المتفاقم في أعوام الثلاثينيات إلى اشتداد الأمزجة الجماهيرية المعادية للاحتكارات، الأمر الذي وجد تعبيراً له في الحملة الوطنية العامة لـ «مصادرة الأرباح الآتية من الحرب». وتحت ضغط الرأي العام تمَّ إنشاء لجنة في مجلس الشيوخ في نيسان عام ١٩٣٤ برئاسة ج. ناي لمتابعة نشاط منتجي وتجّار الأسلحة الأمريكان[١]. وكما ذكر هيلل بتهيج صريح «وجدت اللجنة البلاد ظمأى للفضائح الموجهة ضد رجال المصارف ومعامل الأسلحة»[٢]. وفي سير جلسات الاستماع العامة في اللجنة، التي تمَّ فيها استجواب ما يقارب ٢٠٠ شاهد، تم التأكيد بالوثائق، أن (بيت مورغان)

---

(١) انظر بالتفصيل: نادجانوف د. غ. شعب الولايات المتحدة الأمريكية- ضد الحرب والفاشية (١٩٣٣-١٩٣٩). موسكو، ١٩٦٩، ص ٥٣-٦٧.

(٢) The Memoirs of Cordell Hull: vol. 1-2, N.Y., 1948, vol. 1, p. 399.

المصرفي وغيره من الماليين الذين كانوا يقدمون لإنكلترا وفرنسا السلف والقروض الكبيرة، كانوا الأكثر اهتماماً بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الائتلاف. قام أعضاء اللجنة بنصيبيهم في إقرار التشريع حول الحياد، من خلال إعدادهم لعدة قرارات حول منع تقديم قروض أمريكية خاصة للدول - المشاركة في الحرب، ومنع المواطنين الأمريكان من حق الإبحار في منطقة الأعمال العسكرية (الأمر الذي كان يجب أن يحول دون تلك التعقيدات الدبلوماسية، التي نتجت عن مقتل «لوزيتايي» في عام ١٩١٥) وأخيراً، حظر تصدير الأسلحة إلى البلدان المتحاربة وعدم السماح بنقل الأسلحة على السفن الأمريكية، ومن ثم استهدافها. وقفت وزارة الخارجية من هذه الاقتراحات موقفاً سلبياً، لكن وبتنازلها لمطالب الرأي العام حول إدخال الإشراف على تجارة الأسلحة أيدت القرار الذي يقضي بـ (تنظيم) تلك التجارة عن طريق تسجيل وإعطاء الرخص.

استمر مفعول القرارات المشار إليها المتخذة في الكونغرس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، مع الأخذ بعين الاعتبار تجربة الحياد الأمريكي في هذه الحرب. وهكذا، وفي تطور الحلف ضد الحرب عام ١٩٢٨ الذي كان يحظِّر استخدام الحرب كأداة في السياسة الوطنية، تمَّ طرح قرارات كانت تقضي بحظر تصدير الأسلحة الأمريكية إلى البلدان - المخالفين للحلف[١]. وقد شكَّلت مناقشتها بداية للصراع السياسي المباشر حول مسألة حظر تصدير الأسلحة - البند الرئيسي في التشريع حول الحياد أعوام الثلاثينيات. وفي ظروف ازدياد التوتر الدولي كانت أوساط واسعة من الرأي العام تظهر اهتماماً تجاه مسائل الحياد. بدت صيغة الحياد بالنسبة للأمريكان ملبية لتقاليد الانعزالية: «إننا لا

(١) Atwater E. American Regulation of Arms Exports, Wash. , 1941, p. 176-192.

نتدخل في شؤون أوروبا، والأوروبيون - في شؤوننا». افترض الكثيرون أنهم سيساعدون من خلال حياد الولايات المتحدة الأمريكية بحصر النزاعات الوشيكة الحدوث في مواقع معينة. وكان هناك من يأمل أيضاً بالانعزال عن العالم الخارجي فقط. اتفقت الأكثرية في أن الحياد الأمريكي يعتبر مؤشراً إيجابياً في العلاقات الدولية. وبعد إدخال الخدمة العسكرية العامة في ألمانيا الهتلرية، والتحضيرات المكشوف من قبل إيطاليا الفاشية للهجوم على أثيوبيا، في مخالفة منهما لمعاهدة فرساي، اشتد النقاش حول الحياد. وقد تم تقديم ما يصل إلى ٢٠ مشروع قانون إلى الكونغرس حول الحياد كانت تقضي تارة أو أخرى بتحديد تصدير الأسلحة الأمريكية إلى البلدان المتحاربة. ومن بينها القرارات المنوه عنها أيضاً المقدمة في أيار - نيسان إلى مجلس الشيوخ من قبل أعضاء لجنة ناي (قدمت اقتراحات مماثلة في مجلس النواب).

وكما حدث أثناء إقرار قانون الحياد عام ١٩٣٥، وكذلك في القوانين اللاحقة، كان أعضاء الكونغرس - أعضاء مجلس النواب ، ولا سيما أعضاء مجلس الشيوخ، ميالين للوقوف ضد الحكومة في إطار ما هو تقليدي بالنسبة لنظام المنافسة السياسي الأمريكي بين هيئات السلطة التنفيذية والتشريعية من أجل الإشراف على السياسة الخارجية. وقد حصلت هذه المنافسة في سنوات رئاسة روزفلت على تعبير لها في الصراع بين الحكومة الأممية والكونغرس الانعزالي، وقبل أي شيء، في الصراع داخل مجلس الشيوخ الذي كان إقرار المعاهدات الدولية فيه يتطلب موافقة الأكثرية التي تشكل ٢/٣ من الأصوات. يجب التأكيد، أن الصراع في الأوساط الحاكمة لم يكن يمس الأهداف الإستراتيجية طويلة الأمد في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تكمن في السعي لتحقيق الرفعة الخاصة في العالم.

وفي هذا السياق يجب النظر إلى مختلف مظاهر سياسة (الحزبين) الخارجية، أي إلى التعاون العملي في أغلب الأحيان بين الحزب الجمهوري الانعزالي وبين الحزب الديمقراطي الأممي.

هناك سبيل آخر أيضاً دفع الحكومة والكونغرس إلى العمل معاً، هو وجود هزات اجتماعية داخلية جدية. إلا أن تعاونهما، الذي تم اتباعه بدقة في عام ١٩٣٣-١٩٣٤ قد ضعف مع ظهور بعض الميول اليسارية في (النهج الجديد) بدءاً من عام ١٩٣٥، ولكنه أخذ يزداد قوةً بمقدار ما كانت تنمو الأخطار على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية من جانب ألمانيا واليابان المتحدتين في حلف عدواني فاشيّ - عسكري.

كانت دورة الكونغرس الـ ٧٤، التي وافقت في نهاية عملها على مشروع قانون حول الحياد، متوترة جداً. وافق ملاك هذا الكونغرس بالذات على تلك القوانين المهمة جداً بالنسبة لـ (النهج الجديد)، مثل قانون فاغنر، وقانون الضمان الاجتماعي وغيرها من القوانين، المتخذة بضغط من القواعد الجماهيرية. إن عدم إيجاد حلول للمشاكل الداخلية المتفاقمة التي لا تزال قائمة في البلاد كانت تعزز لدى الرئيس الرأي في أن البحث عن طرق حلها يجب أن يبقى في المقام الأول. أخذ أتباع إقرار قانون الحياد في الكونغرس يظهرون نشاطاً بدءاً من ربيع عام ١٩٣٥. إذ أعدت وزارة الخارجية مشروع قانونها حول الحياد، على أساس أفكار المساعد السابق لوزير العدلية في الولايات المتحدة الأمريكية تش. اورين، الذي أدخل في نطاق مهامه أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى مسألة الإشراف على تنفيذ القوانين الأمريكية حول الحياد[١]. وبالاستناد إلى عدم إمكانية تجنب مخالفة

---

(١)Warren Ch. B. Troubles of a Neutral, - Foreign Affairs, 1934, Apr., p. 377-394.

قوانين الحياد في الولايات المتحدة الأمريكية في حالة الحرب بين الدول الأخرى، اقترح أورين مثله مثل الانعزاليين الآخرين تقليص الروابط الاقتصادية الخارجية إلى الحد الأدنى.

وعندما طالب ناي وأعضاء لجنته بالإقرار الفوري لقانون الحياد، متذرعاً بالخبر المقلق حول قرب الحرب الإيطالية -الأثيوبية، لم يكن بقي لعطلة الكونغرس السنوية سوى عدة أيام. لقد هددوا بعرقلة دورة الكونغرس حالة الرفض. لم يفكر الديمقراطيون الذين كانوا يملكون الأكثرية في كلا المجلسين، بالمقاومة أيضاً. وتمَّ تفسير موقفهم المتساهل بأن الحكومة التي لم تكن موحدة في الموقف من قانون الحياد، ستوافق بصورة طوعية على مبادرة الانعزاليين. كان الرئيس روزفلت ووزير الخارجية هي يفضلان قانوناً حول الحياد خاضعاً لتصرفهما، أي قانوناً يمكن استخدامه ضد بلد من البلدان المتحاربة، لذلك لم يبديا أي نشاط من أجل إقراره. ولقد رفضا بصورة خاصة اقتراح ممثلي الحركة المعادية للحرب، الذين وصلوا إلى واشنطن لأجل ذلك. بالإعلان عن استخدام الحظر ضد المعتدي بصورة واضحة[1].

لقيت حجج الانعزاليين أصداءً كبيرة في البلاد. إن مطلب إزالة الأسباب التي كانت تعيق الاحتكارات في تجارتها مع البلدان المتحاربة في الحرب العالمية الأولى حازت شعبية واسعة. لم يلق الانعزاليون في المحصلة معارضة شديدة كما كانوا يظنون.

في ٢٠ آب ألقى عضو مجلس الشيوخ ج. ناي وكذلك العضوان في مجلس الشيوخ عن الحزب الجمهوري ج. هوريس ور. لافولليت، خطباً

(١) Divine R. A. Illusion of Neutrality, Chicago, 1962, p. 107-111.

طويلة في الكونغرس حول اقتراب الحرب في أوروبا وضرورة الحياد الأمريكي.. توصل الانعزاليون إلى أن يقضي قرار مجلس الشيوخ حول الحياد باستخدام حظر إلزامي على تصدير الأسلحة من الولايات المتحدة، وكذلك منع إبحار الأمريكان على بواخر البلدان المتحاربة في حالة الحرب. تمت في اليوم التالي الموافقة على القرار من قبل مجلس الشيوخ دون مجادلات ودون أية اعتراضات[1]. أضيف مبدأ ثالث إلى المبدئين المنوه عنهما - حول تأسيس هيئة خاصة لمراقبة تصدير الأسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية. كان الأمر الأساسي في القرار المتخذ من قبل مجلس الشيوخ يكمن في المبدأ الذي أقرّه الانعزاليون حول الحظر (الإلزامي) الذي لم يرافقه أي تمييز بين الأطراف المتحاربة، الأمر الذي كان يمكن أن يؤدي إلى وضع يكون استخدامه متناقضاً مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية نفسها. لذلك فإن حكومة ف. روزفلت لم تكن تريد أن تحصر نفسها بقانون خاص، ولكنها لم تكن مستعدة بنفس الوقت للنضال من أجل قانون حظر يمكن التحكم به. كان روزفلت وهيل أيضاً يميلان إلى تأجيل أي قرار حتى بداية الجلسة التالية للكونغرس في كانون الثاني عام ١٩٣٦.

غيَّرَ اتخاذ القرار الانعزالي من قبل الكونغرس حول الحياد، المفاجئ للحكومة، الوضع. إذ وجد الأمميون في الحكومة والكونغرس أنفسهم أمام خيارين: إما الوقوف بصورة واضحة إلى جانب قانون حظر يمكن التحكم به، وهذا ما كانوا يتجنبونه قبل ذلك، وإما التفتيش عن حل وسط مع الانعزاليين. ولقد اختاروا الثاني. وافق روزفلت على قرار مجلس الشيوخ بشرط تحديد

(١) Congressional Record, vol. 79, pt. 13, p. 13956.

مفعول أحكام الحظر بستة أشهر. وبهذا التعديل تمت الموافقة على القرار من قبل مجلس النواب في ٢٣ آب بتوافق كامل من أعضاء الكونغرس. وفي اليوم التالي وافق مجلس الشيوخ على القرار المعدل كذلك (بمعارضة عضوين). وعلى الرغم من أن الأمميين حصلوا على تحديد مدة مفعول القانون حول الحظر، إلا أن إقراره شكل سابقة، الأمر الذي كان يمتلك أهمية كبيرة جداً.

كانت عيوب قانون الحياد الذي وضع الضحية في حالة غير متكافئة مع المعتدي، واضحة حتى بالنسبة للمشرعين الذين أقرّوه. وصف عضو مجلس النواب الجمهوري ج. وودسفوت الموافقة على مشروع القانون كـ «دعوة سافرة لدولة عظيمة وجبارة للهجوم على دولة ضعيفة...». ولقد اعترف عضو مجلس الشيوخ الجمهوري هـ. جونسون، أن الحياد لا يعتبر ضمانة لعدم مشاركة الولايات المتحدة في الحرب، معتبراً الموافقة عليه من قبل الكونغرس بـ (انتصاراً لمن يسمون انعزاليين) و(إسقاطاً للأمميين). وصرّح السيناتور الديمقراطي ت. كونيللي: الآن «يتم الإعلان بأن الولايات المتحدة ستكون إلى جانب القوي والجبار ضد الضعيف غير المستعد، وبدون دفاع»[1].

كان القلق الذي شمل القسم الرئيسي من الرأي العام مفهوماً على وجه الخصوص. ووجَّه زعماء المنظمات الأساسية المعادية للحرب برقية إلى روزفلت في ٢٧ آب، دعوه فيها للإعلان بأن قانون الحياد لن ينعكس على الحزم الأمريكي في الدفاع عن الحلف ضد الحرب المشكل عام ١٩٢٨. لقد عبّرَ هذا النداء عن استيعاب هذه المنظمات بأن الطريق الحقيقي إلى السلم يكمن عبر الدفاع النشيط عنه، وعبر مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في نظام الأمن الجماعي.

---

(١)Ibid, p. 14358, 14430, 14433.

وقّع روزفلت على قانون الحياد في ٣١ آب عام ١٩٣٥، معترفاً بأن «مبادئه غير المرنة يمكن أن تجرنا إلى الحرب، بدلاً من أن نتجنبها»[1] بيد أن شكوك الرئيس لم تكن تعني، بأنه لم يكن موافقاً على (الهدف العام) للقانون الجديد[2]. كان روزفلت يعتبره مقبولاً تماماً حتى منتصف عام ١٩٣٧ على الأقل.

كانت المادة الأولى هي الرئيسية في القانون، وكانت تنص بأن «يعلن الرئيس منذ بداية الحرب بين دولتين أو أكثر أو في سياقها عن حقيقة منع تصدير الأسلحة والذخائر أو العتاد العسكري من أي مركز في الولايات المتحدة أو من أملاكها إلى أي مرفأ من مرافئ الدول المتحاربة، أو إلى أي مرفأ حيادي بهدف نقله فيما بعد إلى الدولة المحاربة من أجل استخدامه»[3]. وقد تم فرض غرامة تصل إلى ١٠ آلاف دولار، أو السجن حتى خمس سنوات أو هذا وذاك بآن واحد، لأجل مخالفة الحظر لتصدير الأسلحة الأمريكية إلى البلدان المتحاربة.

كانت المواد الأخرى من القانون تمنع تصدير الأسلحة للبلدان المتحاربة على السفن الأمريكية، وتنص على تأسيس المجلس الوطني للإشراف على إنتاج وتجارة الأسلحة (مع نظام للتسجيل والترخيص). كان يمكن للمواطنين الأمريكان الإبحار بسفن البلدان المتحاربة على نفقتهم الخاصة وعلى مسؤوليتهم فقط. وبقي للرئيس حق تنفيذ القانون حول الحياد. وبالإضافة لذلك فإن تحديد مفعول المادة المتعلقة بحظر تصدير الأسلحة بستة أشهر أعطت للقانون بأسره طابعاً مؤقتاً، وللحكومة إمكانية المناورة.

---

(١) Peace and War, p. 272.

(٢) Hanger W. L., Gleason S. E. The Challenge to Isolation, p. 16.

(٣) Neutrality Laws/ Combl. EA. Lewis. Wash., 1951, p. 1.

بيد أن القانون حول الحياد تم تمديده فيما بعد، ثم توسيعه، وتحول إلى قانون دائم مؤخراً. إن هذا الأمر يظهر أن الحياد الأمريكي ما قبل الحرب كان يستجيب تماماً لهدفين حاليين مرتبطين بعضهما ببعضٍ من أهداف السياسة الإمبريالية الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية: المحافظة على (حرية يدها) عند اتخاذ القرارات النهائية والمساعدة في إنشاء تلك الظروف التي كانت تستطيع بواسطتها تأمين الصوت الحاسم عند أية (تسوية). إن الحياد، المعلن جهاراً في تلك اللحظة، عندما كانت توجد إمكانية لإيقاف هجوم المعتدين الواسع بواسطة الجهود المشتركة للدول، كان يعني تخلي الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية عن التعاون الدولي في سبيل السلام. بالإضافة إلى ذلك يعترف علم تدوين التاريخ الأمريكي بأن قوانين الحياد «ساعدت على جعل الحرب حتمية بصورة أكبر. إن قادة بلدان (المحور) الذين لم يتميزوا بالحذر والبصيرة، أقنعوا أنفسهم دون جهد، بأن الولايات المتحدة ستبقى جانباً، في الوقت الذي سيكونون فيه قد أعادوا تشكيل خارطة أوروبا وآسيا»[١]. وهكذا، فإن الحياد الأمريكي ساعد بصورة مباشرة على إشعال الحرب العالمية من قبل الفاشية.

ظهر المحتوى الإمبريالي لسياسة الحياد المتبعة من الولايات المتحدة الأمريكية بكل جلائه أثناء الحرب الإيطالية - الأثيوبية. إذ قام المعتدي الإيطالي بالهجوم على بلاد إفريقية لا قدرة لها في ٣ تشرين الأول عام ١٩٣٥، دون إعلان الحرب عليها. لكن الولايات المتحدة الأمريكية وبعد يومين فقط أنزلت قانون الحياد حيز التنفيذ[٢]. وبعد عامين وأثناء الحرب اليابانية -الصينية،

(١)Adler S. The Isolationist Impulse. It's Twentieth Century Reaction. N.Y., 1957. P. 283.
(٢) Peace and War, p. 283.

التي لم يتم إعلانها بصورة رسمية أيضاً، تخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن استعمال هذا القانون، من خلال استخدامها هذا الظرف الحقوقي الشكلي. الأمر الذي يُظهر أن التشريع حول الحياد كان يستعمل كوسيلة من أجل تحقيق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية الأنانية الخاصة.

كان الاتحاد السوفييتي هو الدولة الوحيدة فقط من بين الدول العظمى التي أخذت موقفاً غير مهادن تجاه العدوان الإيطالي. إذ ألحَّ مندوب الاتحاد السوفييتي في عصبة الأمم حتى قبل بدء الحرب، أنه يجب «الاستمرار ببذل كل الجهود والوسائل» لدرء هذا العدوان[١]. وعندما أصبحت الحرب حقيقة واقعة، وقف الاتحاد السوفييتي بثبات إلى جانب اتخاذ عقوبات صارمة وشاملة ضد المعتدي. كانت الحكومة السوفييتية تنطلق من حقيقة أن المجابهة الفعالة للمعتدي الإيطالي، لا ينقذ ضحيته فقط، ولكنه يشكل تحذيراً جدياً بالنسبة للمعتدين المحتملين الآخرين[٢]. بيد أن إنكلترا وفرنسا اللتين بدا لهما وكأن التوسع الإيطالي في إفريقيا قد استنفذ قواها، فضلتا اللجوء إلى (تهدئة) إيطاليا (اتفاقية هور-لافال في ٨ كانون الأول عام ١٩٣٥)، إذ كانتا لا تأملان بتحويل خطر الحرب عنهما فقط، من خلال تلبية دعاوي المعتدي على حساب أثيوبيا، وإنما إنقاذ نظام موسوليني الذي كان يمكن أن يسقط في حالة هزيمة إيطاليا. إن تقويض التوازن الأوروبي غير المستقر كان يرفع من وزن وأهمية مواقع الولايات المتحدة الأمريكية، اللذين كان تأثيرهما يمكّن أن يدفع القادة الفرنسيين والإنكليز إلى العمل.

---

(١) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١٨، ص ٤٩٦.

(٢) سيبولس ف. يا. السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥. موسكو، ١٩٨٠، ص ٣٦٧-٣٧٦.

وهكذا صبَّ إعلان حياد الولايات المتحدة الأمريكية **(**نفض الأيدي**)** في أكثر اللحظات مسؤولية، في مصلحة المعتدي بصورة جلية[1]. وعزز مواقع إيطاليا وأضعف خصومها، وعصبة الأمم كذلك. إن إحدى عواقب سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كانت تكمن في أنها ربطت **(**حيادها**)** خلال كل فترة ما قبل الحرب بـ **(**عدم التدخل**)** الإنكليزي-الفرنسي. لقد حتم هذا النهج العام للدول الغربية الكبرى الثلاث، الذي دخل التاريخ باسم **(**نهج ميونيخ**)**، إلى حد بعيد فشل المحاولات بإيقاف المعتدين.

قرر أعضاء عصبة الأمم فرض عقوبات اقتصادية ضد إيطاليا حسب المادة ١٦ من نظام هذه المنظمة. بيد أن النفط كان مستثنى من مجموع البضائع الممنوع بيعها إلى إيطاليا - المادة الإستراتيجية الأساسية التي يحتاج إليها المعتدي أكثر من أي شيء آخر. إن مصير العقوبات كان يتعلق إلى حد كبير بموقف الولايات المتحدة الأمريكية - التي كانت في ذلك الوقت المصدِّر الرئيسي للنفط. وفي غضون ذلك ازداد بيع النفط الأمريكي وغيره من المواد الإستراتيجية مثل **(**النحاس، الخردة الحديدية، الشاحنات، والجرارات...**)** لإيطاليا. إذ زاد تصدير النفط الأمريكي إلى مستعمرات إيطاليا الإفريقية خلال ١١ شهراً من عام ١٩٣٥ من ٤,٥ ألف، حتى ٦٧٢ ألف دولار من إذ القيمة[2]. واستمر التصدير على الرغم من **(**الحظر الأخلاقي**)** للحكومة التي كانت تدعو رجال الأعمال إلى عدم توسيع التجارة مع الأطراف المتحاربة. كان موقف الدول الغربية برئاسة بريطانيا العظمى وفرنسا يحتم نهاية عقوبات

(١**)** فويليكوف ل. ر. أثيوبيا في النضال لأجل الحفاظ على الاستقلال، ١٨٦٠-١٩٦٠. موسكو، ص ٧٢-٧٣.

(٢**)**. Nation, 1936, Febr. 19, p. 206

عصبة الأمم الفاشلة. وكما جرى أثناء احتلال اليابان لمنشوريا تم التغاضي عن إمكانية الأعمال المشتركة ضد المعتدي. ولقد لعبت سياسة الحياد المتبعة من الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت تعني مساعدة المعتدي الإيطالي عملياً، دوراً سلبياً للغاية في ذلك. الأمر الذي كان يعكس أن فكرة الأمن الجماعي في أعوام الثلاثينيات لم تكن تملك الدعم الضروري من جانب الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد شهد الصراع المستمر في الأوساط الحاكمة بين الأمميين والانعزاليين في سبيل تحديد النهج السياسي الخارجي، والذي كان الكونغرس مسرحه، على أن كلا المتصارعين كانا يتبعان هدفاً عاماً - تأمين الظروف الأفضل لتوسيع المواقع الأمريكية في العالم. ولكن كانا يختلفان في أساليب وطرق تحقيق هذا الهدف. كان في عداد الأمميين الذين وقفوا إلى جانب روزفلت أعضاء مجلسه غ. مورغينتاو، وغ. ايكس، وموظفو وزارة الخارجية ج. ميسيرسميث، و ن . ديفيس، وغ . فيس، والسفراء ج. ديفيس، وأو. دود، وك. باورز، ووزير الخارجية السابق الجمهوري غ. ستيمسون وغيرهم. أظهر وزير الخارجية هيل، الذي كان يُعد أممياً كذلك، تذبذباً خاصاً. لم يكن بين أعضاء الكونغرس الأمميين شخصيات بارزة. وكان يرأسهم في مجلس الشيوخ بصورة اسمية رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ في أعوام ١٩٣٣ - ١٩٤٠ ك. بيتمين (ديمقراطي عن ولاية نيفادا)، ذلك السياسي «الذي كان يفضل المناورة والحيل على المجابهة»[١]. كان أعضاء لجنة العلاقات الخارجية الديمقراطيون في مجلس الشيوخ ج. روبينسون، وت. كونيللي، ور. فاغنر من الأمميين. أما في مجلس

(١) Mississippi Valley Historical Review, 1960, Mar., p. 646.

النواب فإن دور زعيم الأمميين كان يعود إلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية الديمقراطي س. ماكرينولدز.

كان الانعزاليون الذين يشغلون مواقع قوية في وزارة الخارجية (ر. مور، ج. موفات وغيرهما) يبدون نشاطاً كبيراً في الكونغرس. ومن بين مجموعتين انعزاليتين في مجلس الشيوخ كان يترأس إحداها او. بور وهـ. جونسون، عضوا مجلس الشيوخ، القديمان والمؤثران، اللذان كانا ينتميان إلى الجناح اليساري في الحزب الجمهوري. إن مجموعة بور-جونسون هذه، التي كانت تعتبر أوروبا مريضة مرضاً عضالاً، كانت تدعو لتركيز الانتباه على المشاكل الأمريكية الداخلية. لم تكن ترفض الدفاع عن المواقع الدولية للولايات المتحدة الأمريكية، لكنها كانت تعتبر أنَّ من الضروري استخدام الدولة الحيادية بالنسبة لهذه الحالة لتجنب الانجرار إلى الحرب. أما المجموعة الأخرى فكان يرأسها أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون ج. ناي، وا. فاندنبرغ، والسيناتور الديمقراطي ب. كلارك، الذين تقاسموا الآراء حول عدم الانجرار إلى الحرب. ولكن إذا كانت المجموعة الأولى تلح على المحافظة على جميع قوانين الحياد في حالة قيام حرب بين الدول الأخرى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ولا سيما في مسألة التجارة الخارجية، فإن المجموعة الثانية كانت قد تخلت عن هذه القوانين. أما الانعزاليون في مجلس النواب فكانوا الديمقراطي م. فيريك، والجمهوريين غ. فيش والبعض الآخر.

انضوى تحت لواء كلٍّ من معسكر الانعزاليين وخصومهم الأمميين قوى غير متجانسة وخارج جدران الكونغرس. ففي معسكر الانعزاليين كان هناك (القوميون الاقتصاديون) «ر. مولي»، و(القاريون) «المؤرخ تش. بيرد، والناشر

هـ. غريتين، والاقتصادي س. تشيز)، والمعادون للإمبريالية «الكاتب ت. درايزر، والاشتراكي ن. توماس»، ودعاة السلام «أ. ج. ماست، وف. ليبي»، والحياديون «الحقوقي ج. مور، وقسم من الشخصيات النقابية، ومحررو المجلة الليبرالية (نيو ريبابليك)»، والمحافظون «الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية غ. هوفر، والعقيد تش. ليندنبيرغ، وعملاق الصحافة الرأسمالي أو. ر. هيرست». من المفهوم أن هذه العناصر الاجتماعية المختلفة كثيراً لم يكن ممكناً أن تكون موحدة لا على النطاق التنظيمي ولا على النطاق الفكري-السياسي. وحتى في المنطلقات الانعزالية المسلم بها والمشتركة بينهم - (عدم التدخل) في شؤون أوروبا وعدم المشاركة في (الحروب الأجنبية) - فإنهم شغلوا موقعاً مختلفاً. فبالنسبة للانعزاليين الصادقين، مثل الكاتب درايزر، فإن هذه المبادئ كان يجب أن توضع في أساس السياسة الخارجية الأمريكية. أما بالنسبة للرجعيين أمثال (غ. هوفر، و أو. هيرست) فإن الانعزالية كانت وسيلة لتشجيع عدوان الفاشية، وتحضير الظروف الفضلى للتدخل الأمريكي في (اللحظة الحاسمة).

لم يكن معسكر الأمميين أقل اختلاطاً. وبالفعل، ما الذي يمكن أن يكون مشتركاً بين الشيوعيين الأمميين بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة، الذين كانوا يدعون إلى مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في المجابهة الجماعية للفاشية، و(الأمميين) أمثال الملياردير غ. لويس الذي كان يعدّ المشاركة الفعالة للولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الدولية بما في ذلك الأوروبية، هي ضمانة للدفاع الناجح عن مصالح الاحتكارات؟ وفي أحسن الأحوال - استحسان تلك الأعمال المعادية لليابانيين أو الألمان من قبل حكومة روزفلت التي كانت حتمية في ظروف تعاظم تناقضات الولايات المتحدة الأمريكية مع دول (المحور). يمكن اعتبار تلك الأعمال اعترافاً دبلوماسياً بالاتحاد السوفييتي، وإدانة صريحة

للفاشية من قبل روزفلت والأعضاء الليبراليين في مجلسه، وخطأً موجهاً لتحديد التجارة مع ألمانيا الهتلرية... إلخ.

وقف الكثير من ممثلي النقابات، وفئة المثقفين وبعض أوساط الأعمال إلى جانب القسم الأعظم من الحركة المعادية للحرب، ومن أجل مجابهة المعتدين. بيد أن الحكومة لم تكن تسعى لممارسة سياسة أممية حقيقية. كان عليها «تجنب التطرف لدى الأمميين والانعزاليين على السواء... لخدمة مصالحنا الوطنية» حسب البيان البرنامجي لـ هيل، الذي ينتمي إلى الفترة الأكثر تأخراً[1]. وهكذا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع أن تحل بصورة مرضية معضلة أعوام الثلاثينيات: الدفاع عن مصالحها بواسطة التعاون الدولي أو الحفاظ على الانعزال. يمكن وصف الانعزال الأمريكي كإستراتيجية ترقب ساعدت في إشعال الحرب العالمية الثانية، ولم تكن تستجيب للمصالح الوطنية الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية.

٤ - (مسالمة) المعتدين

أخذ الكونغرس يبحث من جديد مسألة الحياد في شباط عام ١٩٣٦ حين كان العدوان الإيطالي على إثيوبيا لا يزال مستمراً. وقد دعا إلى ذلك انقضاء ٦ أشهر على انتهاء فترة مفعول الحظر على تصدير الأسلحة. لم تظهر الحكومة أي رغبة في إلغاء أو إجراء تغيير مبدئي لقانون الحياد، كما كان يطالب قسم مهم من الرأي العام. وقد تقدّم كل من رئيسي لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الكونغرس ك. بيتمين وس. ماكرينولدز اللذين كانت الحكومة

---

(١) عمل هذا البيان بمعرفة وموافقة روزفلت. انظر: Press Releases, 1938, Apr. 9, p. 451; Pratt J.W. Gordell Hull, 1933-1944: vol. 1,2. N.Y., 1964, vol. tf.

تمارس العمل من خلالها، إلى مجلس الشيوخ ومجلس النواب وفقاً لذلك بقرارين متشابهين مع مشروع قانون جديد. لقد كتب ك. هيل في مذكراته أن مشروع القانون ذاك «كان مؤسساً على رواية معدة في وزارة الخارجية. لم تكن فيها أية محاولة لتوسيع حرية التصرف لسلطة الرئيس في استخدام الحظر على الأسلحة»[1]. إن الشيء الوحيد الذي اقترحته الحكومة - هو الحفاظ على إرسال المواد الخام الإستراتيجية إلى البلدان المتحاربة وبنفس المستوى الذي كان عليه قبل الحرب. وكان مصير هذا القانون بين يدي الانعزاليين.

بعد صراع لم يستمر طويلاً في الكونغرس تم إقرار تمديد مفعول المادة المتعلقة بالحظر حتى أيار عام ١٩٣٧ وإجراء ثلاثة تعديلات في القانون: حول منع القروض والسلف للبلدان المتحاربة، وحول التعميم الإلزامي للحظر على البلدان التي تجد نفسها منجذبة إلى الحرب القائمة، وحول استثناء البلدان الأمريكية اللاتينية من مفعول القانون في حالة الاعتداء عليها من دولة غير أمريكية[2].

وهكذا، تم تمديد قانون الحياد، على الرغم من أن استعماله في الحرب الإيطالية - الأثيوبية ساعد في إكليل الغار عن الحياد كطريق إلى السلام. لم تنعكس ثمرات حياد الولايات المتحدة الأمريكية على إيطاليا الفاشية فقط. وإنما على ألمانيا النازية واليابان العسكرية أيضاً، اللتين قاما بالتخطيط لعدوانهما دون أي تخشيا أية مجابهة فعالة من طرفها. وخلافاً لآمال الرأي العام ذي الميول الديمقراطية، فإن الحياد لم يعرقل، وإنما كان يساعد على الحروب خارج حدود أمريكا.

---

(١) The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 463.

(٢) Neutrality Laws, p. 6-7.

بيد أن السياسة الخارجية الأمريكية استمرت في أطر مرسومة، ولا سيما أن المشاكل الداخلية أقصت المسائل الدولية إلى الوراء مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية في صيف ذلك العام في مرحلة الحملة الانتخابية الرئاسية. وقد استعان قسم السياسة الخارجية في الخطة الانتخابية للحزب الديمقراطي، الذي قدم روزفلت من جديد كمرشح للرئاسة من طرفه كان، بأمزجة الجماهير المعادية للحرب و الامبريالية. وكان قد وعد بتوسيع سياسة (حسن الجوار) ودعم أنصار الحلف المعادي للحرب الذي عقد عام ١٩٢٨. وهكذا «سنتابع الالتزام بالحياد الحقيقي في النزاعات بين البلدان الأخرى، وسنجابه بحزم العدوان ضدنا نحن، وسنعمل من أجل قضية السلام ومصادرة الأرباح الناتجة عن الحرب، والحذر من الانجرار من خلال الظروف السياسية والأمور المصرفية الدولية أو التجارة الخاصة، إلى أي حرب، أينما حدثت»[١].

كانت الرغبة بتوسيع التجارة الخارجية عن طريق تخفيض الحواجز تترافق بالالتزام بالدفاع عن السوق الداخلية من (المنافسة غير الشريفة) والإغراق بالبضائع الأجنبية. وحسب اعتراف هيل، فإن الاستناد إلى الحياد كان على (تناقض مباشر) مع الاهتمامات بالمساعدة على حفظ السلم العالمي[٢]. جعلت الخطة الانتخابية للحزب الجمهوري من (السياسة الخارجية التقليدية لأمريكا) ركيزة أساسية لها في وقوفها ضد العضوية في عصبة الأمم وبصورة عامة ضد أي اتحاد يمكن أن يجر للتدخل في (الشؤون الأجنبية). وفضلاً عن ذلك كان يعود لـ (الحزب الاتحادي) الموقف الأكثر انعزالية. هذا الحزب الذي كان ضد (الانجذاب إلى الشؤون الخارجية) بصورة عامة بأي شكل من الأشكال.

(١) Documents of American History /Ed. By H. S. Commager. N.Y., 1945, p. 541.

(٢) The memoirs of Gordell Hull, vol. 1, p. 486.

اتبع روزفلت في سياسته خطاً مرناً. كان يؤكد للأمريكيين أنه يقوم بكل ما يمكن كي يجنب البلاد الحرب، وكان يدين بنفس الوقت من يخالف ليس فقط روح الاتفاقات الدولية الموقعة من قبل الولايات المتحدة، وإنما نصها أيضاً من خلال انتهاكه (لأبسط مبادئ الشرف): «إننا لسنا انعزاليين، وباستثناء ذلك نحن نسعى لعزل أنفسنا كاملاً عن الحرب». لقد وعد كذلك بأنه «لن يكون هناك أي عمل من قبل الولايات المتحدة من شأنه أن يساعد على ظهور الحرب أو استمرارها»[1]. لكن الحياد الأمريكي لم يكن يلبي هذا الوعد بالذات، كما أظهرت الحرب الإيطالية - الأثيوبية. إلا أن إعلان الرغبة بالسلم إلى جانب إدانة عدوان الفاشية ساعد على الانتصار الأكيد لروزفلت في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦. حظيت نتائج الانتخابات بصدى إيجابي في إنكلترا وفرنسا، في الوقت الذي أصيب فيه قادة ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية الذين كانوا يخشون من قيام «الرئيس بحشد جميع الدول الأمريكية ضد فاشيتهم الأوروبية»، بخيبة الأمل[2]. وقبل إعادة انتخابات روزفلت أيضاً نشب تمرد فاشستي عسكري في إسبانيا ضد حكومة الجبهة الشعبية، مدعوم من قبل الدكتاتوريتين الفاشيتين في برلين وروما. إن الخط الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية المتعلق بالأحداث الإسبانية، تشكل مع الأخذ بعين الاعتبار موقف بريطانيا العظمى وفرنسا، إذ تم بمبادرتها عقد اتفاقية حول عدم التدخل من قبل ٢٧ بلداً أوروبياً. وفي ١١ آب عام ١٩٣٦ أصدرت وزارة الخارجية منشوراً أعلنت فيه بالاستناد إلى قانون الحياد عن قرار الحكومة «بعدم التدخل في الحالة الإسبانية المشؤومة بصورة قاطعة»، واحتوى على دعوة إلى المواطنين بـ

---

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1936, vol., p. 288-289.

(٢) يوميات السفير دود، ١٩٣٣-١٩٣٨، موسكو، ١٩٦١، ص ٤٥٣-٤٥٤.

(الالتزام) بهذه السياسة[1]. إن الحظر العملي المعلن دون عقوبات لتصدير الأسلحة إلى إسبانيا أثناء عطلة الكونغرس المتوقف عن العمل أكد دعم الحكومة لمبادئ قانون الحياد الأساسية.

تابع تجار الأسلحة الأمريكان دعوة الحكومة هذه برضا، بيد أن الحكومة وفي سياق استفادتها من نداء إحدى الشركات بإعطائها رخصة لتصدير البضائع المتعلقة بالطيران إلى إسبانيا، إذ لم تكن لدى وزارة الخارجية أسس قانونية لرفضها، قررت تعميم قانون الحياد بصورة شكلية على الحرب الإسبانية. لقد احتوت الرسالة التقليدية للرئيس عن حالة البلاد، التي قرأها روزفلت في الجلسة المشتركة لمجلسي الكونغرس في ٦ كانون الثاني عام ١٩٣٧، على ذلك الاقتراح. كان اتخاذ القرار، الذي أعلن «عدم قانونية تصدير الأسلحة والذخائر والوسائط العسكرية من أي مكان في الولايات المتحدة وممتلكاتها إلى إسبانيا[2]، هو أول عمل للكونغرس الـ ٧٥. صوت لصالح القرار في مجلس الشيوخ جميع الأعضاء، أما في مجلس النواب فصوت نائب وحيد ضده فقط هو عضو حزب المزارعين والعمال مينيسوت ج. بيرنارد. واكتسب هذا القرار قوة القانون بعد توقيعه الرئيس في ٨ كانون الثاني.

لقد ذهبت الولايات المتحدة الأمريكية لمخالفة صريحة للقوانين الدولية بحظرها تصدير الأسلحة إلى إسبانيا، من خلال حرمان الحكومة الشرعية من السلاح للدفاع عن النفس. وهذا هو السبب في أن الحظر تم استقباله برضا غير مستتر سواء من المتمردين الإسبان أو حماتهم الفاشيين على السواء.

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1936: vol. 1-5. Wash., 1953-1954, vol. 2, P. 471.

(٢) Congressional Record, vol. 81, pt 1. P. 75.

وصف السفير الأمريكي في إسبانيا الجمهورية آنذاك ك. باوير هذه السياسة «بتعاونٍ مع دول (المحور) في الحرب من أجل القضاء على الديمقراطية في إسبانيا»[1]. كان مثال الاتحاد السوفييتي يظهر، أن اتباع سياسة أخرى هو أمر ممكن تماماً.إذ انضم الاتحاد السوفييتي، رغبة منه في عرقلة التدخل الإيطالي- الألماني ضد إسبانيا الجمهورية أول الأمر إلى الاتفاقية حول عدم التدخل في الشؤون الإسبانية، ولكن عندما ظهر أن إيطاليا وألمانيا، اللتين أعلنتا دعمهما للاتفاقية يستمران في تزويد المتمردين بالأسلحة ويرسلان حتى قواتهما إلى الأراضي التي يسيطر عليها فرانكو، انسحب الاتحاد السوفييتي من لجنة لندن حول عدم التدخل، وأخذ يقدم المساعدات المختلفة لإسبانيا الجمهورية، بما في ذلك السلاح. ابتعدت الولايات المتحدة الأمريكية كذلك عن (حيادها) في الشؤون الإسبانية الذي لعب دوراً قبيحاً مثله مثل (عدم التدخل) الإنكليزي- الفرنسي. بيد أن الكثير من الأمريكيين اختاروا منذ بداية الحرب الأهلية في إسبانيا أن يقفوا إلى جانب الديمقراطية الإسبانية. إن الكاتب ل. ستيفنس، وهو أحد (مزيلي الوحل) أوصى في مقالة قبل وفاته: «... يجب علينا نحن الأمريكيين أن نتذكر أنَّ من واجبنا أن نخوض ذلك القتال ضد الفاشية[2]».

وعلى الرغم من الإعلان الرسمي بالحياد تطورت في البلاد وبلغت حداً من القوة حركة تضامنية جماهيرية مع الديمقراطية الإسبانية. وتم إنشاء عدد من منظمات المساعدة للجمهوريين الإسبان، كان أضخمها اللجنة

---

(١) Bowers C.G. My Mission to Spain: Watching the Rehearsal for World War II. N.Y., 1954, p. 326.

(٢) ستيفنس ل. مزيلو الوحل، موسكو، ١٩٤٩، ص ١٥.

الأمريكية الشمالية لمساعدة الديمقراطية الإسبانية. ومن خلال هذه اللجنة فقط تمَّ جمع مختلف التبرعات بمبلغ وصل إلى ١٣٠٥ ألف دولار وذلك من أيلول عام ١٩٣٦ إلى كانون الثاني عام ١٩٣٧[١]. وشكّل انخراط مواطنين أمريكيين كمتطوعين في الجيش الجمهوري تعبيراً ساطعاً عن التضامن المعادي للفاشستية. وكان الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية هو المبادر والمنظم لإرسال المتطوعين. لقد ذهب إلى إسبانيا ما مجموعه ٣٨٠٠ متطوع أمريكي، كانوا يمثلون مختلف الفئات الاجتماعية، وقدَّم نصفهم حياته في سبيل قضية الحرية والديمقراطية. ومنذ تعميم مفعول قانون الحياد شددت السلطات التدابير ضد إرسال متطوعين إلى إسبانيا.

وفي ١١ شباط عام ١٩٣٧ أعلنت وزارة الخارجية بأن جميع جوازات السفر إلى إسبانيا (باطلة). وتمَّ تجريد الأمريكيين الموجودين في إسبانيا من المواطنة في الولايات المتحدة الأمريكية. بيد أن محاولات السلطات شل حركة الدعم للشعب الإسباني لم تتكلل بالنجاح. فتحت ضغط الرأي العام وجدت وزارة الخارجية نفسها مجبرة في آذار عام ١٩٣٧ على السماح بإعطاء جوازات سفر للأشخاص الذين كانوا يتوجهون إلى إسبانيا لتقديم المساعدة الطبية[٢]. وتمَّ كذلك إلغاء قرار ماكرينولدز المعروض على الكونغرس من أجل السماح بجمع الأموال لتقديم المساعدة الإنسانية لإسبانيا. إن التعقيدات الدولية التي أثارتها الحرب الإسبانية ساعدت على كشف العواقب السلبية للحياد الأمريكي بالنسبة للسلم العام. ومع أنه تبين أن الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) Daily Worker, 1937, Febr. 6.

(٢) Press Releases, 1937, Mar. 20, p. 154.

ليست في وضع يسمح لها بالوقوف دون مبالاة تجاه الأحداث الخارجية، وأن الحياد يمكن أن يزيد من خطر انجذابها إلى الحرب فقط، لم تتخلّ عن سياستها بتشجيع التدخل الإيطالي الألماني الفعلي. كانت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية تهتدي في نهاية المطاف بالدوافع الطبقية، خشية من تطور بناء الجبهة الشعبية في إسبانيا والحفاظ عليه.

انقضت فترة مفعول قانون الحياد في ربيع عام ١٩٣٧، الذي أُقرَّ لأول مرة في آب عام ١٩٣٥ وتم تمديده في شباط عام ١٩٣٦. جرى تقديم مشاريع قوانين جديدة حول الحياد إلى الكونغرس، بما في ذلك قرارا بيتمان إلى (مجلس الشيوخ) وماكرينولدز إلى (مجلس النواب) اللذان لم يختلفا إلا قليلاً عن القانون الذي كان ساريَ المفعول. لكن وبما أن مشكلة الحياد نفسها تفاقمت، ودارت حولها، ولا سيما خارج الحكومة والكونغرس، نقاشات ومجادلات. فقد بدأت الأصوات المنتقدة لسياسة الحياد تتعالى بصورة حادة، وكانت تشهد على ذلك جلسات الاستماع العلنية في لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب في النصف الثاني من شباط عام ١٩٣٧.

وعلى الرغم من تصاعد الاستياء في البلاد، لم تظهر الحكومة ولا الكونغرس أية رغبة في إعادة النظر في النهج السياسي الخارجي. في أوائل آب وافقوا على مشروع القانون حول الحياد، إذ صوت إلى جانبه في مجلس الشيوخ ٥٦ عضواً، ووقف ضده ٦ أعضاء (او. بور، و اكس. جونسون وآخرون)، وبعد أسبوعين صوّت إلى جانبه في مجلس النواب ٣٧٦ عضواً، ووقف صده ١٣ عضواً (ج. بيرنارد، و ل. لادلوي وغيرهما)[١]. كان ذلك

---

(١)Congressional Record, vol. 81, pt 2, p. 1807: pt 3, p. 2401

استعراضاً دورياً لسياسة الحياد التي اتصف بها الحزبان. دخل القانون الجديد حول الحياد حيز التنفيذ في ١ أيار عام ١٩٣٧، ودون مدة محددة هذه المرة. ولقد كان يحتوي كما في القانون السابق على مواقف متعلقة بمنع تصدير الأسلحة وتقديم القروض إلى البلدان المتحاربة. ومنذ ذلك الوقت تمَّ منع إبحار المواطنين الأمريكان على سفن البلدان المتحاربة كذلك، وحتى على مسؤوليتهم الخاصة. إن توسيع المنع وإعطاءه طابعاً دائماً وضع أساساً لبعض المؤرخين لكي يعتبروا أن هذا القانون كان «الصيغة المطلقة الأحسن للحياد والبرنامج الكامل الأفضل للانعزالية»[١].

بيد أن عضوي مجلس الشيوخ الانعزاليين أو. بور و اكس. جونسون صوّتا ضد القانون الجديد، معتبرين إياه انسحاباً للولايات المتحدة الأمريكية من القواعد المعترف بها للحياد.

كانت فقرة التجارة مع البلدان المتحاربة بالبضائع المختلفة، ما عدا التسلح حسب مبدأ (كيش آند كيري) هي السمة الأساسية السائدة، أي دفع ثمن البضائع المشتراة من الولايات المتحدة الأمريكية نقداً وتصديرها على سفنها. إن فكرة (كيش آند كيري) المفيدة لإنكلترا وفرنسا في حالة الحرب في أوروبا قد تمَّ إلصاقها بالمالي المشهور ب. باروخ. وأجبرت مقاومة خصوم تصدير المواد الإستراتيجية إلى البلدان المتحاربة إلى تحديد مدة سريان مفعول تلك الفقرة بسنتين. لقد بَيَّن إدراجها بصورة واضحة عدم جدوى التقليص المشرعن لروابط الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية الخارجية.

---

(١) Drummond D.F. The Passing of American Neutrality, 1937-1941. Ann Arbor, 1955, p. 46.

كان الرئيس، وكما في السابق، هو من يحدد (حالة الحرب) بين البلدان الأخرى، الضرورية لجعل هذا القانون قيد التنفيذ. كان يقرر كذلك تلك المسائل، مثل تعميم مفعول القانون على البلدان الأخرى، واستخدام القانون في حالة الحرب الأهلية، وتوسيع قائمة البضائع الممنوعة من التصدير، وإغلاق المرافئ الأمريكية أمام سفن البلدان المتحاربة. وقد قيّم المؤرخ شبه الرسمي ب. راوخ أن احتفاظ روزفلت بحق جعل القانون حول الحياد قيد التنفيذ إلى جانب الفقرة المتعلقة بـ (كيش آند كيري) كـ (انتصار جزئي) للحكومة[١].

استمر الحفاظ على الاتجاه العام للحياد في الولايات المتحدة الأمريكية. وحسب ما جاء في ملاحظة الاقتصادي الأمريكي التقدمي والناشر ف. بيرلو، المقر في ١ أيار عام ١٩٣٧ ، كان القانون حول الحياد «إشارة دبلوماسية للبلدان المعتدية»[٢]. وسعت ألمانيا وإيطاليا تدخلهما ضد الجمهورية الإسبانية بعد إقراره، وبعد شهرين ونصف هاجمت اليابان الصين.

زاد عدوان اليابان على الصين المركزية من التناقضات اليابانية- الأمريكية، التي دخلت في مرحلة نزاع جديدة. ووضعت الأحوال المتغيرة في الشرق الأقصى أمام الولايات المتحدة الأمريكية عدداً من المشاكل الجدية، التي أظهرت أن قانون الحياد، المبني على أساس الاستخدام قبل أي شيء من أجل الحروب في أوروبا، لم يعد صالحاً. ووقف ضد استخدام هذا القانون الذي كان يفضي بالولايات المتحدة الأمريكية إلى السلبية، جميع أنصار الدفاع النشيط عن (المصالح) الأمريكية في الصين.

---

(١) Pauch B. Roosevelt: From Munich to Pearl Harbor. A Study in the Creation of a foreign Policy, N.Y., 1967, p. 42.

(٢) بيرلو ف. الإمبريالية الأمريكية. موسكو، ١٩٤٨، ص ١٥٠.

كانت الحجة برفض استخدام قانون الحياد في الحرب اليابانية-الصينية، تكمن في أن المعتديَ اليابانيَّ لم يعلن الحرب بصورة شكلية. وكان اتخاذ مثل هذا الموقف يحقق للولايات المتحدة الأمريكية عدة أهداف في نفس الوقت. وعلى الرغم من أنها أدانت أفعال اليابان، لم تسع لتوتير العلاقات معها كثيراً. إذ أَمِلت الولايات المتحدة الأمريكية ممن خلال اتباعها طريق المسالمة مع اليابان الحد من توسعها وتأجيل الصدام المسلح الأمريكي-الياباني حتى انقشاع الحالة الأوروبية. إن عدم استخدام الحياد سمح باستمرار التجارة الأمريكية اليابانية، التي كان عدد من الاحتكارات مهتماً بها. وبفضل هذا الأمر كانت اليابان تستورد من الولايات المتحدة الأمريكية المواد الخام الإستراتيجية الضرورية لها مثل (النفط والمعادن)، ولفترة طويلة. كانت السياسة الأمريكية المسالمة مع اليابان تضمر نوايا معادية للسوفييت كذلك من قبل الأوساط الرجعية[1].

عمّقَ الموقف المتناقض للحكومة تجاه الحرب اليابانية - الصينية الهوة التي أخذت تبرز بين السياسة الرسمية وأمزجة الجماهير الشعبية الواسعة. لقد أيَّدَت غالبية الشعب الأمريكي الصين، ووقفت ضد العدوان الياباني[2]. وانتشرت في البلاد حركة تدعو لحظر التصدير إلى اليابان ومقاطعة البضائع اليابانية في السوق الداخلية، وبدأت بنفس الوقت حملة لجمع الأموال وتوجيهها إلى صندوق دعم الصين.

---

(١) سيفوستيانوف غ. ن. سياسة الدول العظمى في الشرق الأقصى على أعتاب الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٦١، ص ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) انظر على سبيل المثال: Hanger W.L.: Gleason S.E. The Challenge to Isolation. P. 12.

حظي خطاب روزفلت عن (الحجر الصحي) في شيكاغو ٥ تشرين الأول عام ١٩٣٧، على أصداء واسعة داخل خارج الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الظروف. وتحدث الرئيس بعبارات حادة عن (أنظمة الإرهاب الموجودة) التي تنتهك بفظاظة القوانين الدولية وتخلق تهديداً لأسس الحضارة، مؤكداً أن العدوان أخذ يكتسب طابعاً عولمياً ويهدد كل البلدان دون استثناء، ودعا إلى (وضع نهاية للعدوان الدولي). ولقد اقترح من خلال مقارنته للعدوان مع المرض الوبائي المعدي القيام بما يجب اتخاذه عادة في تلك الظروف - (الحجر الصحي)[1]. كان خطاب روزفلت يعكس قلق الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية من تنامي الخطر على مواقعها من جانب ألمانيا واليابان. وتزايدت الحملة المناهضة لليابان كذلك في الصحافة.

أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية مبعوثها إلى اجتماع بروكسل الذي انعقد في كانون الأول عام ١٩٣٧ بهدف مناقشة المسائل ذات الاهتمام المشترك للدول حول استعادة السلام في الشرق الأقصى. ساهم في هذا الاجتماع ١٨ دولة، بما في ذلك الاتحاد السوفييتي، الذي كان يقف بصورة ثابتة مع الدفاع عن استقلال ووحدة أراضي الصين، وفي سبيل إنشاء نظام الأمن الجماعي ضد المعتدي الياباني. رفضت اليابان وألمانيا الدعوة للمشاركة في الاجتماع. بيد أنه تبين أن الحكومة الأمريكية لم تكن مستعدة بعد للتخلي عن سياسة الحياد. وبإلحاحٍ من الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت قد اتفقت قبل بدء الاجتماع أيضاً مع بريطانيا العظمى بألّا يتم التقدم بأية مبادرة يمكن أن (تضر) بعلاقاتها مع اليابان، انحصر عمل الاجتماع بتوجيه نداء إلى اليابان بأن تجد (طريقة

(١)The Public Papers and Addresses of Franklin Roosevelt, 1937, vol., p. 406-411.

للتسوية السلمية) مع الصين[1]. وعلاوة على ذلك كان يجري في الخفاء مشاورات حول مشاريع (التسوية الدولية) بمشاركة المعتدي (بما يسمى «خطة ويللز»)[2]. كان يجب على خطاب الرئيس في شيكاغو أن يعزز ظاهرة الأعمال الدبلوماسية خلف الكواليس.

ظهر غياب الاستعداد الحقيقي لمجابهة العدوان ظهر في كانون الأول عام ١٩٣٧، عندما أغرق اليابانيون في منطقة يانتسزي (الصين) سفينة حرس الشواطئ الأمريكية الصغيرة (بيني)، الأمر الذي أثار أزمة في العلاقات الأمريكية - اليابانية. وعلى الرغم من أنهم تحدثوا كثيراً في الأوساط الحكومية عن حتمية الاشتباك المسلح مع اليابان[3]، تمَّ حل هذا الحادث بفضل النهج الأمريكي الموجه نحو (المسالمة) مع اليابان. لقد أجبرت الحرب اليابانية - الصينية التي شكلت تحدياً مباشراً للحياد الأمريكي، الحكومة على أن تهتم مباشرة بمسألة الأولويات في سياستها الخارجية. لم يكن إغراق (بيني) مصادفة: كانت الأعمال المعادية للأمريكان تنبثق بصورة طبيعية من إستراتيجية اليابان، التي كانت تنظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية كمنافس رئيسي لها في المحيط الهادي. وبدورهم كانوا مقتنعين في واشنطن حسب شهادة وزير المالية غ. مورغينتاو المقرّب من الرئيس بـ «تناقض الإستراتيجيات العولمية اليابانية

---

(١) The Conference of Brussels, November 3-24, 1937. Wash., 1938, p. 76.

انظر بالتفصيل: سيفستيانوف غ.ن. سياسة الدول العظمى في الشرق الأقصى...، الفصل ٣.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1937: vol. 1-5. Wash., 1945, vol. 1, p. 66-670; The Memoirs of Gordell Hull, vol. 1, p. 546-549; Ojfaer A. A. American Appeasements: United states Foreign Policy and Germany, 1933-1939, Cambridge (Mass), 1969, p. 214-244.

(٣) The Secret Diary of Harold L. Ickes, vol. 2, p. 274.

والأمريكية»[1]. وعلى الرغم من أن التوسع الياباني كان يحمل معه تهديداً مباشراً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية الامبريالية الواسعة في آسيا، اعتبرت أوروبا المسرح الرئيسي الذي كان يفاقم الصراع بين الدول الإمبريالية بصورة دائمة. لقد أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بإقرارها قانون الحياد في عام ١٩٣٥، الذي حدد الأطر الدولية - الحقوقية للسياسة الخارجية الأمريكية خلال كل فترة ما قبل الحرب، أظهرت أن موضوع اهتماماتها ينصب قبل أي شيء على أوروبا. وقد أكد ذلك استخدام قانون الحياد في الحربين الإيطالية-الأثيوبية، والإسبانية. وعند مناقشة قانون الحياد الدائم عام ١٩٣٧، تمَّ تركيز الجدال في الحكومة والكونغرس من جديد على مسائل السياسة الأوروبية. وكان إدخال تغيير أساسي في القانون - فقرة (كيش آند كيري) يعني احتمال الحرب في أوروبا. وكان هذا التغيير مفيداً لتلك البلدان الأوروبية مثل بريطانيا العظمى وفرنسا، اللتين كانتا تملكان الوسائل (المالية والأسطول) اللازمة لشراء المواد الإستراتيجية من الولايات المتحدة الأمريكية ونقلها. وقد جسد ذلك أحد المظاهر الكثيرة لنزعة الولايات المتحدة الأمريكية للتقارب مع بريطانيا العظمى وفرنسا – حليفيْ أمريكا في الحرب العالمية الأولى والحليفين المحتملين في حالة حدوث حرب عالمية جديدة. بيد أن حكومة روزفلت كانت تعمل بهذا الاتجاه بصورة حذرة بسبب مقاومة الانعزاليين.

كان التهديد الحقيقي للولايات المتحدة الأمريكية كبلد الامبريالية الرئيسي ينطلق من أوروبا، ومن ألمانيا الهتلرية بالذات التي كانت تشغل المركز

---

(١) Blum J.M. From «The Morgenthau Diaries»: vol. 1-3. Boston, 1959-1967, vol. 2, p. 373.

الثاني في العالم من إذ حجم الإنتاج الصناعي[1]. لقد حققت ألمانيا واليابان خلال تلك الفترة وبصورة نشيطة إعادة توزيع للموارد والأسواق العالمية. وفي تشرين الأول عام ١٩٣٦ تمَّ توقيع (حلف معادٍ للكومنترن) بين ألمانيا واليابان، الذي أشار إلى بداية تنظيم اتحاد عسكري - سياسي على قاعدة إعادة تقسيم العالم بصورة قسرية. لم يكن هذا الحلف الفاشستي العسكري، الذي انضمت إليه إيطاليا في عام ١٩٣٧ موجهاً فقط ضد الاتحاد السوفييتي، وإنما ضد بريطانيا العظمى، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول أيضاً. كان نشوء حلف عدواني يعني تحدِّياً للولايات المتحدة الأمريكية، الساعية للعب دور عولمي، ويخلق تهديداً لأمنها الوطني - لأول مرة في التاريخ المعاصر -. كان أحد أهداف ألمانيا يكمن بالذات في تشجيع التوسع الياباني، وصرف انتباهها عن أوروبا. إلا أن الولايات المتحدة التي كشفت هذه النية، سعت إلى المماطلة في الاصطدام المباشر مع اليابان، ولتطوير إستراتيجيتها هذه تبنت في بداية عام ١٩٤١ (بالاشتراك مع بريطانيا العظمى) خطة (ABC-1)[*] التي قضت بتركيز الجهود الأمريكية ضد ألمانيا.

طورت الدعاية الأمريكية حملة معاكسة كردٍّ على تهجمات الفاشيين على الديمقراطية البرجوازية. ووصف روزفلت ألمانيا، وإيطاليا، واليابان في نهاية عام ١٩٣٧ كبلدان بـ (قطاع طرق)[2]. واعتبر وزير الداخلية غ. إيكس العضو الليبرالي

---

(١) إينوزيمتسيف ن. السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الإمبريالية. موسكو، ١٩٦٠، ص ٣٥٠-٣٥٣.

(*) الاتفاقية الأمريكية - البريطانية - 1 (ABC- 1) المترجم.

(٢). The Secret Diary of Harold L. Ickes, vol. 2, p. 273

في المجلس، أن ما يحدث في العالم ما هو إلا تحديد مجالات للقوى: «الفاشية من جانب، والديمقراطية من جانب آخر»، إذ تصبح المعركة العسكرية حتمية[١].

أدّت الصعوبات التي اصطدمت بها سياسة الحياد الأمريكية منذ النصف الثاني من عام ١٩٣٧، إلى احتدام الصراع بين الأمميين والانعزاليين. استخدم الأخيرون فكرة إجراء استفتاء وطني حول مسألة الحرب والسلم بطلبٍ من أعضاء الحزب الزراعي ومن أو. ج. برايان. وحسب مشروع قانون عضو مجلس النواب الديمقراطي ل. لادلوي، الذي قدّمه إلى الكونغرس أوَّل مرة في عام ١٩٣٥ على شكل تعديلات في دستور الولايات المتحدة الأمريكية، تمَّ النظر في إجراء استفتاء عام يصل إلى حد إعلان الحرب من قبل الكونغرس، مع استثناء واحد فقط في حالة الاعتداء المباشر على أراضي الولايات المتحدة الأمريكية. إن اتخاذ ذلك القرار في وقتٍ كانت فيه كلٌّ من ألمانيا وإيطاليا توسعان من عدوانهما في أوروبا، واليابان في آسيا في ظروف النصف الثاني من أعوام الثلاثينيات، الأمر الذي كان يتطلب تدابير حازمة لمجابهتهم، كان سيؤدي إلى تشجيع المعتدين. وقد أيّدَ الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية هذا الموقف على وجه الخصوص[٢].

ومن جانب آخر، أعلن الرئيس ووزير خارجيته أن الموافقة على مشروع القانون يلحق الضرر بالسياسة الخارجية للبلاد، المتبعة من قبل الرئيس[٣]. وفي ١٠ كانون الثاني عام ١٩٣٨ رفض مجلس النواب مشروع قانون لادلوي بأغلبية ٢٠٩ أصوات ضد ١٨٨ صوت.

---

(١) Ibid, p. 276.

(٢) Communist, 1938, Jan., p. 25-26.

(٣) The Public papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1938, vol., p. 37, The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 564.

ولكن الحكومة لم تشأ أن تتخلى عن إستراتيجيتها السياسية الخارجية المترقبة أمام وجه العدوان. وجاء رد الفعل الأمريكي الرسمي على تطور الأحداث في أوروبا تأكيداً لذلك. إن احتلال النمسا من قبل ألمانيا الهتلرية، الذي جرى في آذار عام ١٩٣٨، لم يكن مفاجئاً بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية، التي كانت مطلعة على الاستعدادات لتوحيدها مع ألمانيا قسراً. وعندما أخبر السفير الألماني غ. ديكهوف هيل عما جرى، لم ير أي مؤشر يدل على عدم الموافقة. لقد أبلغ السفير برلين «كان واضحاً من خلال الأسئلة العديدة التي طرحها هيل، أنه يتفهم عملنا تماماً»[١]. كان هذا الموقف متشابهاً مع نهج إنكلترا وفرنسا، اللتين سارتا على طريق (المسالمة) مع المعتدين. وليس من المصادفة أن رئيس الوزراء البريطاني ن. تشيمبرلين رفض الاقتراح السوفييتي حول عقد اجتماع بين الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وفرنسا، لاتخاذ تدابير ضد العدوان.

غير أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية - ومعها الأعضاء الليبراليون- التي وقفت موقف النقد تجاه الفاشية، تحت ضغط استياء الرأي العام، اتخذت عدداً من القرارات المناهضة لألمانيا. وبأمر من روزفلت تمَّ إلغاء مفعول القوانين المتعلقة بالضرائب المقرة في عام ١٩٣٤ و١٩٣٧ تجاه الاستيراد من ألمانيا. وقد أدلى هيل بتصريح أعلن فيه أن (حادث النمسا) يعتبر مسألة ذات «أهمية بالغة بالنسبة للحكومة»[٢]. وبعد فترة بسيطة اقترح وزير الخارجية إنشاء لجنة دولية خاصة لمساعدة هجرة اللاجئين المعادين للفاشية من النمسا وألمانيا. لقد قيم ا. اينشتاين هذه

---

(١) D GFP, Ser, D., vol. 1, p. 583.

(٢) Press Releases, 1938, Mar. 19, p. 375.

(المساعدة الخيِّرة) كـ «خطوة غير كافية تماماً»[1]. وتبادلت الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا المذكّرات لعدة أشهر حول دين النمسا للولايات المتحدة (٦٤ مليون دولار) التي كانت تُصرُّ على إعادته. وأخيراً، وحسب توصية وزير الداخلية إيكس تمَّ إقرار عدم بيع ألمانيا مادة الهليوم، التي يمكن استخدامها لأهداف العسكرية. ولكن إذا كانت دبلوماسية الولايات المتحدة الأمريكية أقرت من إذ الجوهر التوحيد القسري، فإن الرأي العام الأمريكي، حسب تقدير صحيفة (نيويورك تايمز) «كان موحداً في إدانته الحازمة لاحتلال النمسا»[2]. إذ انتشرت في البلاد المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية المستنكرة. وأدان عضوا مجلس الشيوخ ج. أوكونيلل وج. بيرنارد (اللذان كانا يصوتان دائماً ضد مشروع قانون الحياد) العدوان الهتلري، وانتقدا الدبلوماسية الأمريكية. واشتكى السفير الألماني ديكهوف في وزارة الخارجية بأن «(الرأي العام)... معادٍ إلى ذلك الحد (تجاه ألمانيا - المؤلف) بحيث لا يمكن أن يكون هناك موقف أسوأ من ذلك»[3].

لقد وافق المؤتمر الوطني من أجل السلام - المنظمة الأكبر المعادية للحرب - الذي انعقد في نهاية آذار في واشنطن، على توصية حول تعاون الولايات المتحدة الأمريكية مع البلدان الأخرى لمجابهة العدوان. الأمر الذي أسهم في نشوء لجنة للسلم عن طريق التعاون الدولي، أصبحت هيئة منسقة لعدد من المنظمات المعادية للحرب والدينية (الرابطة الأمريكية من أجل السلم والديمقراطية، والجمعية الكاثوليكية للسلم الدولي، وجمعية مساعدة عصبة

---

(١) Einstein on Peace /Ed. By O. Nathan, H. Norden. N.Y., 1960, p. 277.

(٢) New York Times, 1938, June 13.

(٣) DGFP, Ser, D, vol. 1, p. 605.

الأمم وغيرها). كان برنامج اللجنة يتطلب تغيير قانون الحياد بهدف القيام بالتمييز بين المعتدي وضحيته. وكان نضال المنظمات الشبابية من أجل السلم يتصاعد. وقد لوحظ تطوُّرٌ في هذا الاتجاه لدى بعض المنظمات الانعزالية. إذ مسَّ هذا التطور دعاة المسالمة، الذين أدركوا أكثر فأكثر أهمية مقاومة هجوم الفاشية. فالشخصية المعروفة من الحزب الجمهوري أو. وايت، الذي وافق في عام ١٩٣٥ على قانون الحياد أعاد النظر بموقفه، من خلال الدعوة لتغييره.

فاقم احتلال ألمانيا للنمسا، الذي قوى الأمزجة المعادية للفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية، الصراع حول المسألة المتعلقة بحظر تصدير الأسلحة إلى الجمهورية الإسبانية. وترافق ذلك التوحيد القسري مع القصف البربري من قبل الطائرات الفاشية لبرشلونة، الذي أثار الرأي العام الأمريكي كذلك بشدة، كما أثاره تهديم غيرنيكا قبل عام من ذلك. وفي بداية أيار عام ١٩٣٨ تقدم السيناتور الجمهوري ناي، وهو أحد المبادرين لقانون الحياد، باقتراح قرار إلى الكونغرس، يسمح بتصدير الأسلحة إلى إسبانيا الجمهورية على أساس (كيش آند كيري). ومن ناحية أخرى وافق نحو ألف منظمة نقابية محلية من ٤٦ ولاية حتى منتصف حزيران على مشروع قانون أوكونيلل حول السلم الذي كان يقضي بإلغاء الحظر ضد الجمهورية الإسبانية، وبإدراجه ضد ألمانيا وإيطاليا[١].

كان من بينها فروع ٣٩ اتحاداً نقابياً وطنياً: الاتحاد الوطني لعمال المناجم، والعمال المتحدون لصناعة أجهزة الراديو الكهربائية، وآلات البناء، والاتحاد الوطني للبحارة، واتحاد عمال المواصلات العابر للقوميات وغيرهم.

(١) Congressional Record, vol. 83, pt 11, p. 2828-2831.

ولقد وقف إلى جانب إقرار قانون ناي في الأوساط الحكومية وزير الداخلية إيكس، ووزير المالية مورغينتاو، والسفير في إسبانيا باورز. وترأس المعارضين لإلغاء الحظر الإسباني وزيرُ الخارجية. وبالنتيجة تمكن رئيس لجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية بيتمين، الذي كان يساعد بنشاط في إقرار الحظر، في كانون الثاني عام ١٩٣٧ من «دفع الأمور لرفض القرار»[١].

كان موقف جريدة (نيويورك تايمز) بإدانة أفعال اليابان وألمانيا بالغ الدلالة. لقد نبهت في مقالتها الافتتاحية المنشورة في ١٥ حزيران عام ١٩٣٨ إلى «أن الشعب الأمريكي في الوقت الحاضر لا يعدُّ حيادياً في أية حالة تنطوي على خطر الحرب، ولن يبقى حيادياً، لدى أية حالة أخرى في المستقبل، تهدد بانتهاك التوازن الدولي». وأضافت الجريدة أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعترف بالادعاءات اليابانية «إننا مهتمون بصورة أكبر أيضاً بأوروبا، لأنه يجري هناك كذلك نضال بين الفاشية والديمقراطية (البرجوازية - المؤلف)». ولقد اعترف حتى وزير الخارجية هيل ذو الميول المحافظة في تصريحه العلني الدوري (٣ تموز عام ١٩٣٨)، أنه «لم يشهد تاريخ الأمة قطّ» ظروفاً استثنائية تتطلب «دعم القانون الدولي» كهذه الظروف التي يتحدد فيها مستقبل البشرية. رفض هيل (الانعزال الوطني)، ولكن «في حدود معينة من سياستنا وبدون انجذابنا في اتحادات وعلاقات خطرة»[٢].

بيد أنه تمَّ اتخاذ عدة خطوات للتقارب مع إنكلترا. وتسريع المفاوضات حول الاتفاقات التجارية الموقع عليها في تشرين الثاني ١٩٣٨. و قد نبَّه الرئيس الأمريكي، على أن الولايات المتحدة الأمريكية «لن تقف

(١) Taylor F.G. United States and Spanish Civil War, 1936-1939. N.Y., 1956, p. 192.

(٢) Press Releases, 1938, June 4, p. 646-647.

دون مبالاة، في حال تعرض كندا التي كانت في ذلك الوقت تحت النفوذ الإنكليزي لـ (خطر الغزو)».

بقيت الولايات المتحدة الأمريكية بصورة عامة على موقف الحياد، مساعدة في ذلك العدوان بصورة موضوعية. وقد أعطى اجتماع ميونيخ، الذي زاد خطر الحرب العالمية، براهين جديدة على ذلك. إذ لم تشارك الولايات المتحدة الأمريكية شكلياً في اجتماع ميونيخ الذي حضرته كل من بريطانيا العظمى، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، والذي انعقد في ٢٩-٣٠ أيلول عام ١٩٣٨، ولبى المطالب العدوانية لهتلر على حساب تشيكوسلوفاكيا. كانت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل نصيبها من المسؤولية تجاه ميونيخ، وقبل أي شيء، لأن حيادها أطلق أيدي المعتدين. لقد شاركت الدبلوماسية الأمريكية في المفاوضات التي أدت إلى عقد اتفاقية ميونيخ. ووجه روزفلت في ٢٦ و٢٧ أيلول رسائلَ إلى رؤساء حكومات كل من بريطانيا العظمى، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وتشيكوسلوفاكيا، كانت تحتوي على دعوة للأطراف (ذات الاهتمام) إلى التفاوض من أجل (التسوية السلمية)[١]. وكانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد تعهدت قبل ذلك أيضاً بأن «تسير مع تشيمبرلين، بأي نهج يختار»، ووافقت بعد ذلك على قرار رئيس الوزراء البريطاني بأن يأتي إلى ميونيخ[٢].

وفي اللحظة التي كانت ألمانيا تطالب فيها بسلخ قطعة من أراضي تشيكوسلوفاكيا، وكانت إنكلترا وفرنسا تميلان إلى قبول هذه المطالب، فإن

---

(١) Peace and War, p. 425-429.

(٢) Documents on British Foreign Policy. 1918-1939. 3rd ser.: vol. 1-9, I. 1949-1955, vol. 2, p. 213: FRUS, Diplomatic Papers. 1938: vol. 1-5. Wash., 1954-1956, vol. f, p. 688.

طابع الاجتماع المحتمل، الذي وقفت الولايات المتحدة إلى جانب عقده كان محدداً بصورة مسبقة.

وقف الاتحاد السوفييتي موقفاً مغايراً إذ عدَّ أنه من الضروري الدفاع عن تشيكوسلوفاكيا، وأدان بصورة حازمة سياسة (المهادنة) مع المعتدين الفاشست، التي كانت ذروتها مؤامرة ميونيخ. كان هدف (المشاركين في ميونيخ) كما هو معلوم يتلخص في سحب خطر العدوان عن أنفسهم وتوجيهه إلى الشرق - ضد الاتحاد السوفييتي. الذي أكَّد في تلك الأيام العصيبة من أيلول عام ١٩٣٨ مرات عديدة على استعداده لتنفيذ واجباته التحالفية حسب المعاهدة السوفييتية - التشيكوسلوفاكية، الذي كان شرط تنفيذها مرتبطاً بسريان مفعول المعاهدة السوفييتية-الفرنسية عام ١٩٣٥. كان الاتحاد السوفييتي علاوة على ذلك مستعداً لتقديم المساعدة العسكرية إلى تشيكوسلوفاكيا وبدون مشاركة فرنسا، بشرط أن تدافع تشيكوسلوفاكيا عن نفسها وتطلب المساعدة السوفييتية(١). ولمّا وُقِّعت معاهدة ميونيخ، أدانت الحكومة السوفييتية صفقة العار هذه، واعتبرتها غير شرعية منذ البداية.

كان ميونخ، انطلاقاً من محتوى السياسة الانعزالية للولايات المتحدة الأمريكية، التي لا يمكن إلا أن تقود إلى هذا الاستنتاج، استجابة للأهداف الإستراتيجية للإمبريالية الأمريكية، التي كانت تشجع العدوان ضد الاتحاد السوفييتي. لقد فضح اجتماع ميونخ بصورة أكبر المحتوى الموضوعي لحياد الولايات المتحدة الأمريكية ما قبل الحرب، كسياسة انتظار نتائج تصادم منافسيها

---

(١) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، ١٩١٧-١٩٨٠: في جزأين، موسكو، ١٩٨٠-١٩٨١، الجزء ١، ص ٣٣٩-٣٤٠.

الإمبرياليين. وفي المحصلة كتب المعاصر الأمريكي للأحداث بمبالغة بعض الشيء، أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت في عالم ما بعد ميونيخ حكماً يمسك في يديه بمفاتيح التوازن الدولي[١]. كان الحياد يساعد بهذا الشكل أو ذاك في الوقت نفسه على تقوية مواقع ألمانيا الفاشستية واليابان العسكرية، ومن ثمَّ «كان يخلق تهديداً متنامياً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية الوطنية الحقيقية».

لقد تنامى إدراك الجماهير الشعبية للخطر العولمي الآتي من الحلف الفاشستي - العسكري. وحسب معطيات المعهد الأمريكي للآراء الاجتماعية، أظهر عام ١٩٣٨ «نمواً عظيماً للاهتمام بالقضايا الأوروبية...»، وحول الأحداث في أوروبا كانت هناك آراء تقول: «الكثير من الأشخاص الذين تمَّ استفتاؤهم أظهروا اهتماماً فيها بصورة أكبر من المسائل الداخلية التي يجري عليها النقاش...»[٢]. ازداد عداء الأمريكان للنظام الهتلري. وقد كتب روزفلت على أعتاب اجتماع ميونيخ، إن «تسعين بالمئة من شعبنا اليوم له مزاج معادٍ لألمانيا وإيطاليا بصورة قطعية...»[٣]. ومن ثم فإن الحكومة بعد أن صادقت على مؤامرة ميونيخ عملت بصورة مخالفة لأمزجة الجماهير الشعبية المعادية للفاشية بصورة متزايدة.

أيَّد الزعماء المحافظون للفدرالية الأمريكية للعمل السياسة التي اتُبعت في ميونيخ، وتحايلوا لإصدار قرار ضد الأمن المشترك في المؤتمر الدولي الذي عقد في هيوستن (من ٣-١٣ تشرين الأول عام ١٩٣٨)[٤]. بيد

---

(١) Howe Q. Blood is Cheaper than Water. The Prudent America's Guide to Peace and War. N.Y., 1939, p. 43.

(٢) Gallup G. Rue S.F. The Pules of Democracy: The Public Opinion and now It Works, N.Y., 1940, p. 202-203.

(٣) FDR. His Personal Letters, vol. 2, p. 840-841.

(٤) American Federation of Labor. Annual Convention. Report of Proceeding, 1938. Wash, 1938, p. 503-504.

أن مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية المنعقد في بطرسبورغ (من ١٤-١٩ تشرين الثاني) أظهر الموقف الحقيقي للحركة العمالية تجاه الفاشية وعدوانها. وانطلاقاً من أن نضال العمال الأمريكان في سبيل حقوقهم «لا يمكن أن يكون منفصلاً عن الجهود في قضية تحقيق الديمقراطية والحفاظ عليها في العالم بأسره، فإن المؤتمر دعا الحكومة كي «تتعاون مع البلدان الديمقراطية الأخرى في الدفاع عن الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية وتعزيزها»[١]. ولقد كان للشيوعيين تأثير في هذا الدعم من قبل مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية لمبادئ الأمن المشترك[٢].

عكس قرار مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية التغير في الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية بعد مرحلة ميونيخ. ففي تشرين الثاني عام ١٩٣٨ اعتبر أغلب الأمريكان أن خطر الحرب يتصاعد، وأن هتلر سيبحث عن أراضٍ جديدة للاستيلاء عليها. دفعت هذه المعطيات ج. غيللاب للاستنتاج، بأن «الشعب الأمريكي لا يقاسم أبداً إيمان رئيس الوزراء ن. تشيمبرلين في (الأمن) الذي تم شراؤه في ميونيخ»[٣].

توجه الرئيس روزفلت في بداية عام ١٩٣٩ إلى الكونغرس برسالة، تضمنت فكرة رئيسية متعلقة بزيادة الخطر على الولايات المتحدة الأمريكية. وجاء فيها: «إننا منفتحون، إن... قوانيننا عن الحياد يمكن أن تفعل فعلها بصورة غير صحيحة وغير عادلة - يمكن أن تشكل مساعدة حقيقية للمعتدي، وتمنع مساعدة ضحية المعتدي. إن غريزة حفظ الذات يجب أن تملي

---

(١) CIO News, 1938, Nov. 21.

(٢) Foster W.Z. History of the Communist Party of the United States. N.Y., US2. P. 377.

(٣) New York Times Magazine, 1939, Apr. 30, p. 2.

علينا أننا لا نستطيع أن نقوم بتكرار ذلك في المستقبل»[1]. انتصبت أمام الحكومة مهمة تكييف سياستها تجاه الظروف الدولية المتغيرة.

احتوت الرسالة الرئاسية على اقتراح ملطف فقط حول استخدام «الطرق، التي كانت تُبعد شبح الحرب» في السياسة الخارجية، لكن فعلها يجب أن يكون «أشد من الكلمات»[2].

وليس من باب المصادفة أن جريدة (نيويورك جيرالد تريبيون) التي كانت تفضل المذهب الانعزالي، تعاملت مع الرسالة بصورة متعاطفة[3]. ولم تثر (اللغة المعتدلة) للرسالة القلق في ألمانيا الهتلرية أيضاً. وحسب ذلك النهج، فإن الحكومة رفضت كما في السابق إلغاء الحظر على توريد الأسلحة إلى إسبانيا، كما اقترح ذلك من جديد غ. ستيمسون وزير الخارجية السابق. وعندما سقطت الجمهورية الإسبانية في نهاية آذار، أسرعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالاعتراف بنظام فرانكو بصورة رسمية.

كان الشيء الجديد في السياسة الخارجية الأمريكية بعد مرحلة ميونيخ يكمن في تسريع الاستعداد العسكري للبلاد، وكذلك في التقارب مع إنكلترا وفرنسا. ترافقت هذه النزعة مع تزايد في تدهور علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع ألمانيا واليابان وإيطاليا. توترت العلاقات الأمريكية - الألمانية بصورة خاصة. ولقد أدان ٩٤% من الأمريكان المذبحة المعادية للسامية في ألمانيا نهاية عام ١٩٣٨، وأدان ٩٧% منهم ملاحقة الكاثوليك الألمان[4]. كتب رئيس

---

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1939, vol., p. 3-4.

(٢) Ibid., p. 3.

(٣) New York, Herald Tribune, 1939, Jan., 5.

(٤)Gallup G., Rae S.F. Op. cit, p. 315

القسم الأوروبي في وزارة الخارجية ج. موفات في يومياته أن «الرأي العام في البلاد كان مثاراً إلى تلك الدرجة، بحيث إنه سيكون هناك انفجار إذا لم تكن هناك إجراءات»[1]. عند ذلك بالذات استدعت الولايات المتحدة الأمريكية سفيرها في ألمانيا هـ. ويلسون، الذي لم يرجع إليها بعد ذلك قط.

أصبحت الحالة الأوروبية في ربيع عام ١٩٣٩ عصيبة: سقطت الجمهورية الإسبانية، واستولى المعتدون على تشيكوسلوفاكيا وألبانيا، وسلخوا من لتوانيا أراضي كلاييبدا. كانت إدارة ف. روزفلت تقوم بإدانة ألمانيا وإيطاليا بصورة متتابعة، لكن الديكتاتوريين الفاشيين الذين كانوا يزدادون قوة ووقاحة، أعطوا القليل من الاهتمام لتلك الاحتجاجات الكلامية. وفي ظروف التفاقم الحاد للتناقضات بين الدول الإمبريالية، بما في ذلك الأمريكية - الألمانية، منعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية صفقات التبادل البضاعي مع التجار الألمان، ورفعت التعريفات بنسبة ٢٥% على البضائع الألمانية، الأمر الذي كان يعني عملياً «إعلان حرب اقتصادية علنية على ألمانيا»[2]. تضاعفت المطالب بتغيير قانون الحياد، إذ يتم من خلال ذلك تقديم المساعدة إلى إنكلترا وفرنسا بالمعدات العسكرية في حال حربهما مع ألمانيا.

وتزايد القلق على مواقع الولايات المتحدة الأمريكية في آسيا كذلك. اقترح رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بيتمين إيقاف

---

(١) The Moffat Papers. Selections from the Diplomatic Journals of Jay Pierpont Moffat, 1919-1934 /Ed. By H.H. Hookers. Cambridge (Mass), 1956. P. 222.

(٢) ميلنيكوف يو. م. الولايات المتحدة وألمانيا الهتلرية، ١٩٣٣-١٩٣٩، موسكو، ١٩٥٩، ص ٣٢٦.

مشتريات الحرير من اليابان، الذي كان يعدّ المادة الرئيسية للتصدير الياباني إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعدم بيعها المواد العسكرية، «ما لم تغير من سياستها». لقد تم إنشاء اللجنة الأمريكية ضد المشاركة في العدوان الياباني من قبل مجموعة من الشخصيات برئاسة ستيمسون، التي وقفت إلى جانب حظر تصدير المواد الإستراتيجية إلى اليابان. وكان احتلال جزيرة هانيان من اليابانيين في شباط عام ١٩٣٩ يعني تغلغلهم جنوب - شرق آسيا، وفضح بصورة نهائية النزعات الإمبريالية لليابان، التي كانت تؤكد بأنها مشغولة فقط بتسوية (الحدث الصيني). في شباط ونيسان من عام ١٩٣٩، تمت مناقشة عدة احتمالات متعلقة باستخدام العقوبات الاقتصادية ضد اليابان في الحكومة. بيد أن سفير الولايات المتحدة الأمريكية في طوكيو ج. غريو كان ضد ذلك، معلناً أن سبب موقفه يعود إلى أن المقاطعة الاقتصادية ستفاقم الوضع في اليابان، وستخلق تهديداً لوجود النظام الرأسمالي هناك.

وهكذا، فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تعتزم استخدام العقوبات. ولقد كانت ترفض لفترة طويلة فسخ المعاهدات التجارية مع اليابان (المبرمة منذ عام ١٩١١)، الأمر الذي أمكن اعتباره، حسب كلمات المؤرخين شبه الرسميين أو. لانجير، واي. غليسون «خطوة منطقية مبررة»(١). وفي نهاية تموز عام ١٩٣٩ فقط أعلم وزير خارجية طوكيو عن فسخ المعاهدة التي دخلت حيز التنفيذ بعد ستة أشهر.

وعندما احتلت ألمانيا الهتلرية القسم المتبقي من تشيكوسلوفاكيا، مخالفة في ذلك ما التزمت به في ميونيخ في آذار عام ١٩٣٩، أصبح فشل سياسة الغرب في

(١) Langer W.L. Gleason S.E. The Challenger to Isolation, p. 52.

ميونيخ واضحاً. تحددت عملياً دائرة توزيع القوى في الحرب المقبلة في أوروبا، واعتبرت المحادثات الإنكليزية - الفرنسية - السوفييتية حول تنظيم المجابهة للعدوان، التي استمرت في موسكو حتى آب، مؤشراً مهماً لها. بيد أن شريكي الاتحاد السوفييتي في المفاوضات، وبالدرجة الأولى إنكلترا لم يتخليا تماماً وبطريقة ما عن فكرة الاتفاق مع هتلر. وفي سعي من الأخير إلى تحييد الدول الغربية قبل هجومه على بولونيا، أثار لديها الأمزجة التي كانت سائدة في ميونيخ. كان الاتحاد السوفييتي مضطراً، بعد اصطدامه بتكتيك المماطلة والتسويف في المفاوضات أن يظهر أقصى ما يمكن من الحذر.

اكتسب موقف الولايات المتحدة الأمريكية في تلك اللحظة المتقلبة بالنسبة لمصائر أوروبا، أهمية خاصة. كانت الإمكانيات بالنسبة للتدخل الأمريكي متعددة: إلغاء أو تغيير ملموس لقانون الحياد، وإحداث التأثير المناسب على المشاركين الإنكليز والفرنسيين في مفاوضات موسكو، وتحسين العلاقات الأمريكية - السوفييتية. ولربما كان العمل على تجنب تأثير أزمة سياسة الحياد أمراً مبرراً، في تلك الظروف، إذ التناقضات مع بلدان التحالف الفاشي - العسكري كانت تتصاعد. وقف أغلب الأمريكان إلى جانب بيع الأسلحة لإنكلترا وفرنسا في حالة حربهما مع الدكتاتوريات العسكرية[1]. وحتى تغيير قانون الحياد، لأجل السماح ببيع الأسلحة الأمريكية على أساس (كيش آند كيري) كان يمكن أن يمارس حسب اعتراف هيلل تأثيراً كابحاً لهتلر[2]. ولكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية برفضها دعم تعديلات السيناتور اي. توماس على قانون الحياد في بادئ الأمر، التي كانت تقضي بإبطال موافقة

---

(١) Gallup G., Rae S.F. Op, cit., p. 204.

(٢) The Memoirs of Cordell Hull, vol. 1, p. 641-642.

الكونغرس على الحظر تجاه ضحايا العدوان، التي كان يمكن الحصول عليها تماماً، فرَّطت بالوقت الثمين، وبعد ذلك، وفي أيار-تموز، بعد اختتام جلسة الكونغرس حاولت التعويض عن تقصيرها. وصرّح الدبلوماسيون الأمريكيون في العواصم الأوروبية، بأن الحفاظ على تشريع الحياد يظهر في كل مكان كشاهد على عدم الوثوق بالحسابات المبنية على المساعدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وكتشجيع للنازيين على استمرار العدوان(١).

كانت الإمكانية الأخرى مرتبطة بسير المفاوضات الإنكليزية- الفرنسية - السوفييتية. ولقد أكد أو. لانغر و إي. غليسون بهذه المناسبة بالذات من خلال إشارتهم إلى اهتمام إنكلترا وفرنسا بدعم الولايات المتحدة الأمريكية، إلى (أهمية) الموقف الأمريكي. كان هذا الموقف تتم صياغته بمشاركة مباشرة من سفيرَيِ الولايات المتحدة ج. كندي في لندن وأو. بولليت في باريس ذوي الأمزجة المعادية للسوفييت، اللذين كانا على اتصال مستمر بالهاتف مع البيت الأبيض ووزارة الخارجية. ولقد كان عدد من العاملين في وزارة الخارجية، بما في ذلك مساعد وزير الخارجية ا. بيرل يتقاسمون الأمزجة المعادية للاتحاد السوفييتي(٢).

لم يكن مستغرباً رفض الحكومة لاقتراح سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي في عامي ١٩٣٦-١٩٣٨ ج. ديفيس، المتعلق بإرسال بعثة إلى موسكو للمساعدة في المفاوضات. ومن المهم أثناء الحديث عن إمكانيات الولايات المتحدة الأمريكية، أن يتم الأخذ بعين الاعتبار، أن المشكلة كانت تنحصر عملياً بتأثيرها على الدبلوماسية الإنكليزية، التي كانت تظهر تشبثاً واضحاً برأيها.

---

(١) Ibid., p. 646.

(٢) Langer W.L., Gleason S.E. The Challenge to Isolation, p. 122, 126.

لعبت الحالة غير المرضية بالنسبة للعلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي دوراً سلبياً بصورة عامة. فمنذ ربيع عام ١٩٣٨ لم تكن هناك في موسكو حتى سفارة أمريكية. وكانت الصلات السياسية الثنائية في هذه الفترة المهمة بصورة حرجة، تكاد تكون مقطوعة. وفي بداية آب عام ١٩٣٩ فقط، صمم روزفلت القيام بـ (جهد بطولي)[١]، من خلال توجيه برقية إلى السفير بولليت في باريس يعرض فيها وجهات نظره للوضع الخطر المتكون في العالم. ومن هنا فإن النص تم إرساله مع رسول (بهدف تأمين السرية) إلى موسكو، إذ استلمته الحكومة السوفييتية في ١٦ آب فقط، عندما وصلت المفاوضات إلى حائط مسدود[٢]. وصل الرد السوفييتي إلى واشنطن في ٢٩ آب. وبعبارة أخرى، فإن (الجهد) الأمريكي لم يكن يمكن أن يعطي مفعولاً عملياً.

في غضون ذلك، تم الاعتراف في رسالة روزفلت بتطابق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي. وقد جاء فيها، أن «مواقع الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي على السواء ستتأثر سريعاً وبصورة حتمية ومحسوسة» في حال نجح (المحور) في الحرب في أوروبا والشرق الأقصى. بيد أن الرغبة بالتوصل إلى «اتفاقية مرضية ضد العدوان» في المفاوضات الإنكليزية - الفرنسية - الروسية كانت متأخرة، ولم تصل إلى ذوي الأمر، مع الأخذ بعين الاعتبار الدعم الأمريكي لبريطانيا العظمى، المسؤولة عن إحباط المفاوضات. ولتقييم الموقف الأمريكي في الصدام

---

(١) Ibid., p. 160.

(٢) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء ١، ص ٣٧٤.

العالمي الذي أخذ يقترب، يكفي القول إن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت التغيير الراديكالي أو إلغاء قانون الحياد. إن الحقيقة التي بقيت كانت تكمن في عدم تطابق أمزجة الجماهير الشعبية الميالة للقيام بخيار لصالح خصوم الفاشية، مع موقف الكونغرس ومن لا يرغب بإنهاء الحياد. وهكذا، ساعدت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كدولة عظمى على ظهور الحرب في أوروبا في أيلول عام ١٩٣٩.

الفصل الثاني عشر

على أعتاب الدخول في الحرب

١ - إعادة النظر في قانون الحياد.

بدأت الحرب العالمية الثانية في ١ أيلول عام ١٩٣٩. لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تبقى شاهداً فقط على التغييرات التي تحدث في العالم والمضرة بها نتيجة عدوان دول (المحور) التي كانت ألمانيا الهتلرية تثير كما في السابق الهواجس الأكبر من بينها. وقفت الولايات المتحدة الأمريكية منذ الأيام الأولى للحرب إلى جانب إنكلترا وفرنسا عملياً. ولقد أخبر القائم بالأعمال الألماني في واشنطن غ. تومسون برلين في ١٨ أيلول عام ١٩٣٩ أن «عواطف الأغلبية الساحقة من الشعب الأمريكي إلى جانب خصومنا». زاد الاجتياح السريع لبولونيا من قلق الأمريكان فقد: أبدى ٦٣% من الأمريكان تخوفهم في نهاية أيلول من هجوم نازي على الولايات المتحدة الأمريكية في حال انتصار هتلر[1].

لقد وعد روزفلت في ندائه إلى الشعب في ٣ أيلول[2]، بإبقاء الولايات المتحدة الأمريكية خارج الحرب، محذراً في الوقت نفسه بأنه «عندما يتمّ خرق السلم في أي مكان، فإن البلدان الأخرى ستتعرض للخطر». كان هناك إعلان

(١) Drummond D.F. The Passing of American Neutrality, 1937-1941. Ann Arber, 1955, p. 97.

(٢) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933, vol.- 1045, vol. /Ed. By S.I. Rosenman. N.Y. 1938-1950, vol., p. 460-464.

خاص في ٥ أيلول عام ١٩٣٧ بجعل قانون الحياد نافذ المفعول، والذي كان يقضي بحظر تصدير الأسلحة إلى البلدان الأوروبية المتحاربة. ومع ذلك، فإن الحكومة لم تخفِ نيتها بإعادة النظر بالقانون، الأمر الذي كان يتجاوب مع الرغبات الإنكليزية - الفرنسية. وتمَّ الإعلان في البلاد عن (حالة طوارئ محددة) أعطت الرئيس صلاحيات إضافية.

شكل الانعزاليون في مجلس الشيوخ (حلفاً لأجل السلم) لمجابهة إلغاء الحظر. اتهم أو. بورا، وهو أحد أكثر أعضاء مجلس الشيوخ الانعزاليين تأثيراً، الحكومة بأنها في سعيها لتقديم المساعدة إلى إنكلترا وفرنسا، تقوم بأول خطوة على طريق الانخراط في الحرب الأوروبية. أخذ الانعزاليون ينظمون اجتماعات احتجاج جماهيرية. ولقد تمَّ إنشاء «لجنة غير حزبية لأجل السلم، من خلال إعادة النظر بقانون الحياد» باقتراح من روزفلت[1]، والذي أصبح رئيساً لها الناشر الصحفي المعروف الجمهوري أو. وايت. أصبح واضحاً بعد فترة قصيرة جداً، أن الاقتراح بإعادة النظر لاقى دعماً اجتماعياً[2].

جرى في ذلك الوقت في بنما ٢٣ أيلول - ٣ تشرين الأول اجتماع لوزراء خارجية بلدان القارة الأمريكية. مثّل مشاركوه ٢١ دولة، ووافقوا على إعلان بمبادرة من روزفلت حول إقامة حزام حيادي من ٣٠٠ ميل على جانبي أمريكا الشمالية والجنوبية (باستثناء كندا). منع هذا الإعلان الأعمال العسكرية في المنطقة الحيادية، ونظر في إمكانية القيام بدوريات مراقبة. ولقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية عام ١٩٣٩ بتسيير دوريات في الحوض

---

(١) Divine R.A. The Reluctant Belligerent: American Entry into World War II, N.Y., 1965, p. 68.

(٢) Field H. American Public Opinion and Foreign Policy. N.Y., 1945, 1945, p. 4.

الكاريبي المهم من الناحية الإستراتيجية، وذلك خلال استخدامها لإعلان بنما، وتعاونت فيما بعد مع الأسطول البريطاني في الصراع مع الغواصات النازية في شمال الأطلسي. انعكست في قرارات اجتماع بنما مساعي الولايات المتحدة الأمريكية لتقوية مواقعها العسكرية-الإستراتيجية والاقتصادية الخاصة في النصف الغربي من الكرة الأرضية على حساب المنافسين الأوروبيين، وتحريك خطط تأمين (التضامن) اللاحق بين الأمريكان تحت رعايتها. وكانت هذه الخطط تشهد على توجه إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية الممالئ للإنكليز والمعادي للألمان.

فرض اتجاه سياستها الخارجية ذاك إعادة النظر بقانون الحياد. لقد صرح روزفلت في الدورة غير العادية للكونغرس المنعقدة من أجل ذلك، أن القانون (يسمى خطأً) قانون الحياد، لأنه «يضعنا كل مرة إلى جانب البلد المهاجم». اقترح الرئيس تغيير القانون، مشيراً إلى أن «سياستنا يجب أن تأخذ بالاعتبار قبل أي شيء المصالح الأمريكية الحقيقية»[1]. كان الاقتراح الحكومي الذي تجسد في قرار ك. بيتمين يقضي بإبطال الحظر على تصدير الأسلحة، والسماح اعتباراً من ذلك التاريخ بالبيع إلى البلدان المتحاربة على أساس (كيش آند كيري).

لقد أعلن أنصار القرار، بما في ذلك ت. كونيللي، ور. فاغنر، وج. بيرس في المناقشات التي جرت في مجلس الشيوخ ما بين ٢ و ٢٧ تشرين الأول أن هدفه هو تلافي الانجذاب إلى الحرب، ما دامت الأعمال الحربية في البحر لم تمس السفن الأمريكية والمواطنين الأمريكان. اتهم المناقشون لهذا الرأي او. بورا، وج. ناي، و ر. لافولليت، وهـ. جونسون، وا. فاندنبيرغ

(١)The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1939 vol., p. 518.

وغيرهم الحكومة بعزمها على جرّ الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحرب لمصلحة الإمبراطورية البريطانية. واعتبر السيناتور بورا أن الحرب التي بدأت «ما هي إلا فصل دوري في السجل الدموي لسياسة الدول العظمى الأوروبية»، والتي لا تمس بأي شكل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية[١]. وعلى الرغم من أن الانعزاليين هم من أعطى النبض للنقاشات، فإن أكثرية أعضاء مجلس الشيوخ وقفوا إلى جانب إبطال الحظر: ٦٣ صوتاً (إلى جانبه) و٣٠ صوتاً (ضده). توجه أو. وايت إلى زعيم الأقلية الجمهورية قبل مناقشة القرار في مجلس النواب يدعوه أن «لا يصوتوا لمصلحة هتلر في مسألة الحظر»[٢]. بعد ثلاثة أيام فقط على بداية النقاشات وافق مجلس النواب بـ ٢٤٣ صوتاً لصالح إبطال الحظر و١٨١ صوتاً ضده[٣].

في ٤ تشرين الثاني وقّع روزفلت القانون الجديد الرابع بعد آب عام ١٩٣٥ حول الحياد. وقد أعلن في المنشور الرئاسي بنفس الوقت شمال الأطلسي منطقة أعمال قتالية، إذ تم منع السفن الأمريكية من الإبحار فيها. وتم استثناء إمكانية تقديم قروض للبلدان المتحاربة، وانتقال الأمريكان على سفنها كما في السابق. لكن، ولأول مرة سمح ببيع الأسلحة الأمريكية للجوانب المتحاربة في أوروبا، إذا هي دفعت ثمنها وتم نقلها على السفن الأجنبية[٤].

---

(١) Congressional Record, vol. 85, pt1, p. 69.

(٢) Selected Letters of William Allen White /Ed. By W. Johnson. N.Y., 1947, p. 399.

(٣) التصويت الختامي على نص قرار الكونغرس المنسق بين مجلسيه الذي جرى في ٣ تشرين الثاني.

(٤) كانت المطالبة بدفع أثمان البضائع الأمريكية نقداً نتيجة لأن قانون الحياد كان يمنع تقديم القروض الخاصة للبلدان المتحاربة، أما القروض الحكومية فقد منعها قانون جونسون عام ١٩٣٤.

بالطبع، إن بيع الأسلحة على أساس (كيش آند كيري) كان مفيداً لعالم رأس المال، بيد أن السعي لدعم إنكلترا وفرنسا كان يحوز أهمية كبيرة، إذ كان النصر يستجيب للمصالح الأمريكية[1].

لم تمحُ إعادة النظر في القانون السابق التناقضات في السياسة الخارجية الأمريكية، ولم يعمم مفعول قانون الحياد كما في السابق على الحرب اليابانية-الصينية، واستمرت اليابان بشراء النفط وغيره من المواد الخام الإستراتيجية من الولايات المتحدة الأمريكية. وبمقدار ما كانت المساعدة الأمريكية تبرر بعض الشيء موقفها هذا، بمقدار ما كانت تحمل طابعاً محدوداً جداً. ومن جهة أخرى فإنها من خلال منع استخدام الطرق البحرية في شمالي الأطلسي، كانت تساعد بصورة غير مباشرة الحصار الألماني على إنكلترا، ومن ثمَّ كانت تغذي آمال هتلر بحياد طويل الأمد للولايات المتحدة الأمريكية.

إن تغيير قانون الحياد لم يحلّ المشاكل المرتبطة بإنشاء حلف إنكليزي-أمريكي أيضاً، والتي كانت تدور حوله نقاشات لا تنتهي. كانت الحكومة تتحرك بصورة محددة على طريق التعاون مع إنكلترا، التي كان للولايات المتحدة الأمريكية روابط مالية-تجارية وثيقة معها منذ مدة طويلة، وتقوم بذلك ببطء شديد، لأن التنافس بين البلدين لم يكن يهدأ، على الرغم من أنه تخدَّر بعض الشيء. ففي أمريكا اللاتينية على سبيل المثال، لم تزاحم الاحتكارات الأمريكية المنافسين الألمان فحسب، بل البريطانيين أيضاً، متوجهة في ذلك لأخذ حصتها من التجارة والملاحة في الإقليم. وكان على حكومة الولايات

---

(١) بوزدييفا ل. ف. العلاقات الإنكليزية الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٦٤، ص ٤٦، ٦١.

المتحدة الأمريكية بنفس الوقت أن تأخذ بعين الاعتبار الانتقاد الموجه إليها من جانب الانعزاليين، وتهجماتهم على الإمبراطورية البريطانية.

إن الأحداث في الشرق الأقصى دفعت الولايات المتحدة الأمريكية للتقارب مع إنكلترا كذلك، على الرغم من أن الأمريكيين رفضوا أن يأخذوا على عاتقهم التزامات صلبة حول مساعدة إنكلترا في حالة هجوم اليابان على مستعمراتها الآسيوية. لقد استمرت الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة (المسالمة) مع اليابان، في رغبة منها لكسب الوقت من أجل الاستعداد للحرب لإقامة سيطرة مطلقة في منطقة المحيط الهادئ. لم تفقد الأوساط الحاكمة الأمريكية الآمال أيضاً في أن يستدير المعتدي الياباني إلى الشمال، ضد الاتحاد السوفييتي.

لم تتغير السياسة الأمريكية تجاه الدولة السوفييتية بصورة محسوسة. وبصدد الحرب السوفييتية-الفنلندية وقفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب حكام فنلندة الرجعيين[1]. وكان يمكن تفسير النزعة العدوانية للأخيرين في المفاوضات السوفييتية-الفنلندية التي جرت في تشرين الأول عام ١٩٣٩، عندما كانت توجد إمكانية لتحقيق الطرفين لاتفاقية مقبولة من قبلهما، إلى حد بعيد بتلك المساعدة التي حصل عليها الفنلنديون من لندن وباريس وواشنطن[2]. وبعد بدء الحرب تمت (دراسة) مسألة قطع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي بدقة، إلا أن روزفلت وهيل فضّلا الامتناع عن ذلك[3]؛ لأن قانون الحياد لم يصبح

---

(١) Sob el. The Origins of Intervention: The United States and the Russia-Finnish War. N.Y., 1960; Schwartz A. America and the Russia-Finnish War. N.Y., 1975.

(٢) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، ١٩١٧-١٩٨٠: في جزأين. موسكو، ١٩٨٠-١٩٨١- الجزء ١، ص ٤٠.

(٣) Langer W.L., Gleason S.E. The Challenge to Isolation, 1939-1940. N.Y., 1952, p. 332.

قيد التنفيذ، ولأنه أخذ بعين الاعتبار إمكانية تغير العلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفييتي والدول الغربية في المستقبل نحو الأفضل[1].

ومقابل ذلك، أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية في الكثير من المسائل الأخرى عداءها للاتحاد السوفييتي. وكان إعلان واشنطن في ٢ كانون الأول عام ١٩٣٩ لـ (حظرها المعنوي) بيع الطائرات الأمريكية وذخائر الطيران، الذي استمر مفعوله تجاه الاتحاد السوفييتي أكثر من عام، مميزاً. بصورة خاصة، بقيت العلاقات السوفييتية - الأمريكية مجمدة سواء في المجالات السياسية - الدبلوماسية أو الاقتصادية - التجارية حتى ربيع عام ١٩٤٠.

استندت السلطات في تبريرها للأعمال المعادية للسوفييت إلى عواطف الشعب الأمريكي تجاه فنلندا. إذ اتحد الانعزاليون والأمميون، وقد نسوا خلافاتهم، في دعم فنلندا، التي أعلنوها مدافعة عن «كل الحضارة الغربية». أجبر المدى الواسع للحملة المعادية للسوفييت، الحكومة السوفييتية على إغلاق جناح الاتحاد السوفييتي في المعرض العالمي المقام في نيويورك عام ١٩٣٩ قبل الموعد. وقد انتهت هذه الحملة إلى إحقاق السلام بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا في ١٢ آذار عام ١٩٤٠ فقط.

بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهوداً كبيرة في فترة (الحرب الغريبة) لدعم (الجهود السلمية) للدول الغربية، وكان إرسال نائب وزير الخارجية س. ويلس في بعثة دبلوماسية إلى أوروبا في شباط - آذار عام ١٩٤٠ مثالاً على ذلك. لم تملك هذه البعثة منذ البداية سوى حظوظ ضئيلة بالنجاح - (واحد على ألف)[2]. بيد أنها توافقت تماماً مع خط (الحياد) المتبع من الولايات المتحدة

---

(١)The Memoirs of Gordell Hull: vol. 1,2. N.Y., 1948, vol. 1, p. 707.

(٢) Welles S. The Time for Decision, N.Y., 1944, p. 73.

الأمريكية، التي كانت تعلن كلامياً فقط أن هدفها هو الدفاع عن السلام، ولكنها كانت تستخدم لتحقيق ذلك وسائل قليلة الفاعلية. كان روزفلت يخشى مع ذلك هجوم الفيرماخت على الجبهة الغربية، معتبراً أن «انتصار هتلر سيشكل دون بطء تهديداً لمصالح الولايات المتحدة الحيوية»[١]. وبالإضافة لذلك، فإن الحكومة كانت تسعى لدحض الاتهامات الانعزالية في أنها تساعد على جرّ الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحرب. ومهما كان ما انتهت إليه البعثة، فإن الحكومة كانت تستطيع في عام الانتخابات الرئاسية أن تعلن بأنها لم تكن مكتوفة اليدين في هذا الظرف العصيب.

أبحر س. ويلس إلى أوروبا مع م. تايلور، الرئيس السابق لـ (يونايتد ستيتس كومباني)، الذي عينه روزفلت كممثل له برتبة سفير، في الفاتيكان. ولأن الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لها علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان منذ عام ١٨٦٧، فإن ذلك عزز الانطباع بجدية الجهود السلمية الأمريكية. ولقد توجه إلى ألمانيا بنفس الوقت ج. موني، وهو أحد قادة شركة (جنرال موتورز) ببعثة غير رسمية ومعه تعليمات من روزفلت نفسه، والتقى مع القيادة العليا للرايخ، بما في ذلك هتلر. وجرى الحديث من خلف الكواليس في هذه المفاوضات الأمريكية - الألمانية بصورة رئيسية عن شروط وقف الأعمال العسكرية، لكن لم يتم التوصل إلى اتفاق[٢]. ولو كانت توجد في النوايا الأمريكية مساعٍ للبحث عن طرق أخر إلى (السلام العادل والدائم)، لكان يجب بدء المفاوضات كذلك مع الاتحاد السوفييتي أيضاً. لكن موسكو لم تدخل في خط سير ويليس. ومع الأخذ بعين الاعتبار أن الحرب السوفييتية - الفنلندية كانت تجري في ذلك الوقت، والتي حكومتا بريطانيا

---

(١) Ibid.

(٢) Drummond D.F. Op. cit., p. 123.

العظمى وفرنسا، اللتان تستفيدان من دعم الولايات المتحدة الأمريكية بصورة عامة، تزمعان على التدخل فيها إلى جانب فنلندا، كان من الصعب نفي فكرة أن هدف البعثة كان يكمن في إيقاف الحرب في أوروبا الغربية عن طريق التآمر المعادي للسوفييت[1].

أجرى ويلس في روما مفاوضات مع موسوليني وتشيانو، والتقى في برلين مع هتلر وريبنتروب، وفي لندن مع تشيمبرلين وتشرشل، وفي باريس مع دالادييه ورينو. وكما كان متوقعاً انتظاره، فإن مواقف البلدان المتحاربة كانت غير متسالمة. ولم يخفوا في برلين الرغبة في خوض الحرب إلى أن تصبح أوروبا بأسرها تحت إشراف ألمانيا. كان السلم بالنسبة للندن وباريس بهذه الشروط غير مقبول. سمح السبر الذي أجراه ويلس بأن يخرج باستنتاج أن غطرسة هتلر لا حدود لها. لقد تمَّ التوصل إلى هذه النتيجة المهمة، عندما حل محل (الحرب الغريبة) الهجوم المكثف للفيرماخت على الغرب.

أكد استسلام فرنسا وتحقيق إشراف ألمانيا الهتلرية على أوروبا الغربية، باستثناء إنكلترا التنبؤات الأكثر سوداويةً. وحسب رأي غ. ستيمسون، الذي أصبح في تموز عام ١٩٤٠ وزيراً للحربية، واجهت الولايات المتحدة أكبر أزمة في تاريخها[2]. إن هتلر في حالة الهزيمة الكاملة لإنكلترا، كما كانوا يخشون في واشنطن، سيوجه جيشه إلى القارة الأمريكية، ولا سيما أنه كان يستطيع لدى ذلك أن يعتمد على اليابان.

---

(١) تاريخ الدبلوماسية: من خمسة أجزاء، موسكو، ١٩٥٩-١٩٧٩، الجزء الرابع، ص ١٥. جاء في (تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، ١٩١٧-١٩٨٠) أن «هدف البعثة كان يكمن في سبر إمكانيات إقامة سلم بين إنكلترا وفرنسا مع ألمانيا الهتلرية» - (الجزء الأول، ص ٤٠٦).

(٢) Stimson H., Buady M. On Active Service in Peace and War. N.Y., 1948, p. 318.

لقد تمت البرهنة مرة ثانية على وبال سياسة (الحياد)، حتى في شكلة المتغير، لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتأخر عن دعم الحلفاء الغربيين. وكانت ألمانيا مقتنعة بأنها يمكن أن تحصل على أفضلية حاسمة في أوروبا قبل التدخل الأمريكي، وأن إيطاليا التي رفضت نصائح الولايات المتحدة الأمريكية انخرطت في الحرب إلى جانب النازيين، أما اليابان فاستعجلت للاستفادة من ضعف مواقع إنكلترا وفرنسا الحاد في آسيا. أصبح واضحاً بصورة تامة أن المشاكل السياسية الخارجية، بما في ذلك الرئيسية منها - تحقيق أمن البلدان، من المستحيل حلها في أطر الحياد. ولقد انعكس فهم ذلك أيضاً على أمزجة الرأي العام: ازداد عدد أنصار تقديم المساعدة للحلفاء من ٢٠ إلى ٨٠% إلى جانب (كيش آند كيري)[1]. أجبر الخطر المتنامي الانعزاليين والأمميين كذلك على المطالبة بتسليح الأمة[2]. ولقد اتخذ الكونغرس بسرعة من حزيران إلى أيلول عام ١٩٤٠ عدة قوانين مالية، أوصل فيها الميزانية الحربية إلى ١٠,٥ مليار دولار، أي مضاعفتها خمس مرات.

ازداد بصورة فعالة نشاط خصوم الحياد. إذ وجه وايت في ١٧ أيار برقية إلى عدة مئات من الشخصيات المعروفة، جاء فيها أنه «حل الوقت الذي يجب فيه على الولايات المتحدة أن تقف بكل جبروتها المادي والمعنوي إلى جانب الأمم الكبيرة والصغيرة في أوروبا الغربية، التي تحارب في سبيل الطريق الحضاري للحياة»[3].

---

(١) Drummond D.F. Op. cit, p. 150.

(٢) Lippman W. U.S. War Aims. Boston, 1944, p. 45.

(٣) Johnson W. The Battle against Isolation. Chicago, 1944, p. 69.

وبعد قليل تم الإعلان عن إنشاء «لجنة الدفاع عن أمريكا عن طريق تقديم المساعدة للحلفاء»، التي تحولت إلى منظمة وطنية عامة مؤثرة. وخلال ١,٥ شهر ظهر أكثر من ٣٠٠ فرع للجنة في ٢٧ ولاية. كانت الاشتراكات النقدية في صندوقها تأتي من كل مكان، أما الكبيرة منها فكانت تصب في الصندوق من رجال الأعمال. كان دعم اللجنة من قبل قسم أساسي من أوساط الأعمال يعكس عدم مهادنة التناقضات بين الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الهتلرية.

تعمقت الاختلافات في معسكر الانعزاليين. إذ جعل جناحهم اليساري (المؤرخ تش. بيرد، والاقتصادي س. تشيز، والكاتب ت. درايزر، والاشتراكي ن. توماس وغيرهم)، بانتهاجه خطاً موازياً ما بين الحربين العالميتين، من النزعات الإمبريالية مرتكزاً، مقللاً من أهمية العامل المعادي للفاشييستية في النضال الجاري، وهكذا لم يستطع تش. بيرد على سبيل المثال أن يفهم حتمية النضال الفعال ضد عدوان دول الحلف الفاشستي - العسكري. أما الجناح اليميني ويضم (الرئيس السابق غ. هوفر، والسيناتور ر. تافت، وعضو الكونغرس غ. فيش، والمليونير الناشر أو. هيرست الأكبر وغيرهم) فقد اتخذوا مواقف توسعية بصورة مكشوفة. إن الانعزاليين ذوي المذهب المحافظ كانوا يفترضون أن الولايات المتحدة الأمريكية ببقائها خارج الحرب في أوروبا ستحصل على حظوظ أفضل بفضل الضعف المتبادل لمنافسيها الإمبرياليين. لم يستثنِ الانعزاليون اليمينيون المشاركة الأمريكية في الحرب، ولا سيَّما ضد اليابان، معتبرين، كالسيناتور ر. تافت، أن «الانجذاب إلى الحرب في المحيط الهادئ ليس خطراً جداً، كالانجذاب إلى الحرب الأوروبية»[١]. أصبحت (لجنة

(١) Jonas M. Isolationism in America. 1935-1941. Ithaca, 1966, p. 23.

أمريكا قبل أي شيء) المنظمة الرئيسية للانعزاليين اليمينيين، التي جذبت إليها الكثير من المجموعات الرجعية والموالية للفاشية[١]. وتلخصت دعاية اليمينيين في أن المساعدة غير المحدودة لإنكلترا ستجعل من انخراط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب في أوروبا أمراً حتمياً بغياب التهديد الخارجي لها. استخدمت هذه المنظمة التي تم إنشاؤها في بداية أيلول عام ١٩٤٠ بمواجهة لجنة وايت الحملة الانتخابية عام ١٩٤٠، لتضمن لنفسها دعم الرأي العام. ولا سيَّما أن الكثير من الانعزاليين اليساريين كانوا يلجؤون للتعاون مع (لجنة أمريكا قبل أي شيء).

أصبحت المساعدة الأمريكية الملحة في الوضع الإستراتيجي العالمي الذي يتغير ضرورة حيوية بالنسبة لبريطانيا العظمى، إذ ترأس الحكومة الجديدة رئيس الوزراء و. تشرشل. الذي وجَّه في أول نداء له إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل المساعدة، الذي أعقب ١٥ أيار، طلباً إسعافياً لاستعارة ٤٠-٥٠ مدمرة أمريكية لتعزيز حراسة السفن الإنكليزية. وقفت (لجنة الدفاع عن أمريكا عن طريق تقديم المساعدة للحلفاء) إلى جانب إرسال المدمرات، بطرحها شعار: (الأسطول الإنكليزي يفصلنا عن هتلر). ولقد انطلق من هذه اللجنة اقتراح بمقايضة إرسال المدمرات بالحصول عل قواعد في الممتلكات البريطانية في نصف الكرة الأرضية الغربي، والوعد بعدم السماح بتسليم الأسطول الإنكليزي لألمانيا.

كان تشرشل يفضل لو أن الاتفاقية أخذت شكلاً آخر مختلفاً عن مقايضة القواعد بالمدمرات، لكن روزفلت، المستند إلى قوانين موجودة ومعارضة من

(١) Cole W. America First. The Battle against Intervention, 1940-1941. Madison, 1953.

قبل الانعزاليين، أصرَّ على موقفه. وهكذا، وحسب الاتفاقية المعقودة في ٢ أيلول عام ١٩٤٠ تمت مقايضة ٥٠ مدمرة أمريكية قديمة بأراضٍ تحتوي على ٨ قواعد جوية وبحرية في الممتلكات البريطانية من نيو فاوند لاند حتى غويانا البريطانية، المؤجرة لمدة ٩٠ عاماً (قُدِّمت الأراضي في نيو فاوند لاند وجزر برمودا على شكل «هدية»). لقد أكدتَ إنكلترا أنها لن تسمح بأن يقع أسطولها أبداً في أيدي الهتلريين.

كانت مكاسب الولايات المتحدة الأمريكية كبيرة بلا جدال. وأعلن روزفلت في تصريحه اللكونغرس بالاتفاقية التي تمت، بأنها تعتبر «خطوة كبيرة الأهمية في تعزيز دفاعنا الوطني منذ زمن شراء لويزيانا(١)».

٢- المشاكل الاقتصادية والسياسة الداخلية

لم تظهر تأثيرات الحرب العالمية الثانية على اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية الذي حافظ على الحياد مباشرة حتى نهاية عام ١٩٤١. أن حالة الأسواق بالنسبة للإنتاج الحربي في فترة (الحرب الغريبة) لم تعطِ دفعاً قوياً للاقتصاد الأمريكي، الذي بلغت حصته نصف إنتاج العالم الرأسمالي بأسره من المنتوجات الصناعية، وثلث إنتاج الحبوب وأكثر من نصف إنتاج القطن.

دخل الوضع مرحلة جديدة مع الانخراط في الحرب العالمية صيف عام ١٩٤٠. ومنذ ذلك الوقت فإن كل المسائل المهمة في التطور السياسي والاقتصادي- الاجتماعي كانت مرتبطة بهذا الشكل أو ذاك بالحرب. إذ فاقَ الإنتاج الصناعي الأمريكي بعد مرور عامين على بدء الحرب مستوى أعوام ١٩٣٥-١٩٣٩، بأكثر من مرة ونصف. وقد ازداد إجمالي الناتج الوطني للبلاد من

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1940 vol., p. 391.

٩٠,٥ مليار في عام ١٩٣٩ إلى ٩٩,٧ مليار في عام ١٩٤٠، وإلى ١٢٤,٥ مليار دولاراً في عام ١٩٤١. (الذي فاق أخيراً مؤشر ما قبل أزمة عام ١٩٢٩)[١].

كان لتوسيع تدابير الدولة (المنظمة) بصورة كبيرة أهمية بالغة بالنسبة لتسارع وتائر التطور الاقتصادي. ارتفعت المشتريات الفدرالية للبضائع والخدمات من ٦,٢ مليار في عام ١٩٤٠ إلى ١٦ مليار دولار في عام ١٩٤١، أو من ٦,٢ إلى ١٣,٤ من إجمالي الناتج الوطني للولايات المتحدة الأمريكية[٢].

كانت التدابير التي تعكس اشتداد النزعات الاحتكارية للدولة، تتم من خلال عدة قنوات. أخذت الدولة على عاتقها النفقات المهمة المتعلقة بزيادة القدرات الإنتاجية. وأولت اهتماماً جدياً لتوسيع إنتاج صب الفولاذ، والألمنيوم وغيرهما من مجالات الصناعة الأخرى، وكذلك إنتاج المواد غير الاقتصادية (الكاوتشوك الصناعي وغيره).

شكل إقرار القانون المتعلق بالاستهلاك السريع للرأسمال (مدة خمس سنوات عوضاً عن ٢٠-٣٠ سنة الاستهلاك الطبيعي) حافزاً ملموساً بالنسبة لتطوير الإنتاج، الأمر الذي خفّض الضرائب على الاتحادات الاحتكارية. وازداد بصورة مستمرة الوزن النوعي للشركات الكبيرة، وانخفضت أهمية الشركات الصغيرة. وقد ساعد على ذلك الممارسة الحكومية في عقد اتفاقيات عسكرية مع عدد غير كبير من الشركات الأكبر (ضخمة الحجم)[٣]. وحسب معطيات أواسط عام ١٩٤١، فإن ٣/٤ من عقود الجيش والأسطول كانت من

---

(١) Survey of Current Business, 1965, N8, p. 24.

(٢) دالين س. ا. رأسمالية الدولة الاحتكارية العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٦١، ص ٥٠.

(٣) بلير ج. وغيره. التركيز الاقتصادي والحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٤٨، ص ٣٢-٣٤.

نصيب ٥٦ شركة، وظفرت ست شركات منها بعقود بلغ حجمها أكثر من ٣ مليارات دولار (من قيمة جمع العقود البالغة ٩,٨ مليار دولار)[١]. واكتسبت المسائل المرتبطة بالأمن الوطني أهمية متزايدة أكثر فأكثر. أكّد جزء رئيسي من المجتمع الأمريكي بما في ذلك الشيوعيون قبل مدة طويلة من الحرب على أسبقية مسألة النضال ضد الفاشية وعدوانها، وذلك بالدفاع عن فكرة وحدة القوى الديمقراطية المستندة إلى خطة واسعة معادية للفاشية. إن (النهج الجديد) الإصلاحي الذي أمكن بفضله تخفيف أكثر النزاعات الداخلية حدة الناتجة عن أسباب اجتماعية - اقتصادية وسياسية في أعوام ١٩٣٣-١٩٣٨، ساعد كذلك على تعزيز القوى اليسارية والليبرالية. المر الذي عزَّز الائتلاف الديمقراطي لـ (النهج الجديد) الذي ولد في فترة ما قبل الحرب، أمام التزايد الدائم للخطر الخارجي على المصالح الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية وأمنها[٢].

لم يُزِل التقارب المعروف لمختلف فئات المجتمع الأمريكي بالطبع، التناقضات الطبقية بينها. وكان هذا الأمر صحيحاً بالنسبة للمرحلة الأولى من الحرب على وجه الخصوص (أيلول ١٩٣٩ - أيار عام ١٩٤٠)، التي كانت هناك تقييمات مختلفة ومتناقضة أحياناً حولها، لا في الولايات المتحدة الأمريكية فقط، وإنما في غيرها من البلدان. لقد حاول المعسكر البرجوازي، من خلال استخدامه للوضع المعقد، ولكن دون أن ينجح في ذلك، أن يتخلص من الحركة العمالية.

---

(١) Industrial Mobilization for War. History of The War Production Board and Predecessor Agencies, 1944-1945. Wash., 1947, vol. 1, p. 147.

(٢) انظر بالتفصيل: مالكوف ف.ل. (النهج الجديد) في الولايات المتحدة الأمريكية: الحركة الاجتماعية والسياسية الاجتماعية. موسكو، عام ١٩٣٧، الفصل ٣.

طالب مؤتمر الجمعية الوطنية للصناعة المنعقد في كانون الأول عام ١٩٣٩ إعادة النظر في السياسة العمالية للدولة. وجرت حملة معادية للعمال في الكونغرس والصحافة البرجوازية، وتم اتخاذ خطوات لنسف المكتسبات الاجتماعية التي تمَّ تحقيقها في أعوام الثلاثينيات[١]. ولكن الطبقة العاملة لم تكن تنوي التخلي قطّ عن مكتسباتها. إذ استمرت الحركة الإضرابية التي كانت تجري تحت شعارات الاعتراف بالنقابات وتحسين شروط العمل. ولقد تمَّ تسجيل ٢٦٣٩ إضراباً في عام ١٩٣٩ شارك فيها ١١٨٠ ألف عامل، وفي عام ١٩٤٠، وفقاً لنفس المعطيات - ٢٤٩٣ إضراباً و٥٧٣ ألف مشارك، وفي عام ١٩٤١ - ٤٣١٤ إضراباً و٢٣٦٠ ألف مشارك[٢]. استطاعت السلطات أن تمنع الكثير من الإضرابات عن طريق تدخل مختلف الهيئات الوسيطة.

دخل قانون سميث، الذي كان يعد جزءاً من القانون الأوسع لتسجيل الأجانب، الذي نوقش في لجان الكونغرس منذ عام ١٩٣٥، حيز التنفيذ في حزيران ١٩٤٠. وكان هذا القانون أساساً للتشريع اللاحق المعادي للديمقراطية، إذ أعلن أن نشاط الأفراد، الذين يدعون إلى وجوب أو ضرورة أو رغبة أو شرعية إسقاط أي حكومة من حكومات الولايات المتحدة أو القضاء عليها باستعمال القوة أو العنف هو (مؤامرة مجرّمة) يعاقبون عليها بالحبس في السجن حتى ١٠ أعوام مع غرامة تصل إلى ١٠ آلاف دولار (المادة ٢)[٣].

---

(١) سيفاتشيف ن.ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٧٤، ص ٥٧-٦٩.

(٢).Historical Statistics of the United. Colonial Times to 1970. Wash., 1975, p. 179

(٣) الولايات المتحدة الأمريكية: القاموس-الدليل. موسكو، ١٩٦٠، ص ١٧٦-١٧٧.

أطلقت المادة ٣ العنان الواسع لملاحقة الأفراد غير المرغوب فيهم من قبل السلطات، واعتبرت أن أيَّ أعمال حتى (السرية) منها الممنوعة من قبل القانون مناهضة للشرعية. وقد تمَّ بالتوافق مع القانون الجديد اعتباراً من آب حتى كانون الأول من عام ١٩٤٠ تسجيل الأجانب، الذي أظهر أن تعدادهم يصل إلى نحو خمسة ملايين شخص لا يملكون المواطنة الأمريكية.

إن إقرار هذا القانون تحت شعار النضال ضد العملاء النازيين تمَّ استخدامه في فترة ما بعد الحرب من قبل الماكارثيين للهجوم على حقوق المواطنة للأمريكيين.

كانت الفترة الواقعة بين بداية الحرب والهجوم الهتلري على الاتحاد السوفييتي في حزيران عام ١٩٤١، بالنسبة للشيوعيين الأمريكان فترة المحن الصعبة. تعرض الحزب الشيوعي فيها للحملات الكثيرة وللملاحقات. ومما زاد الأمر صعوبة على الحزب، أنه وافق بصورة علنية على شعارات الانعزاليين، مما أضعف بذلك مواقفه الخاصة المعادية للفاشستية[1]ولقد اتخذت الأقلية اليسارية المؤثرة في كونغرس النقابات الإنتاجية مواقف مشابهة لمواقف الشيوعيين في فترة (الحرب الغريبة)[2]. إذ رفض رئيسها ج. لويس التدابير الدفاعية للحكومة ومساعدة إنكلترا وفرنسا. بيد أن مجموعة ف. ميري - س. هيلمان في قيادة كونغرس النقابات الإنتاجية وقفت ضد ذلك الحياد، مُقيِّمةً بذلك تقييماً صحيحاً مزاج الجماهير النقابية. وبعد تغيير قيادة كونغرس النقابات الإنتاجية في مؤتمرها الثالث فقط الذي انعقد في تشرين الثاني عام ١٩٤٠ أعلم الاتحاد النقابي الضخم عن التضامن مع السياسة الحكومية الخارجية، وتقدم باقتراح حول التشريع في تطوير الإنتاج الدفاعي.

---

(١) غرين غ. العدو المنسي. موسكو، ١٩٥٨، ص ١٧٠.

(٢) سيفاتشيف ن.ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ٥١ - ٥٥.

على العكس من ذلك، دعمت الفدرالية الأمريكية للعمل منذ البداية البرنامج الحكومي المعلن في صيف عام ١٩٤٠ (الدفاع الوطني). إذ تعهد المؤتمر الدوري للفدرالية الأمريكية للعمل الذي انعقد في تشرين الثاني من ذلك العام بتقديم كل المساعدة للحكومة. وعلاوة على ذلك فإن المؤتمر اتخذ قراراً حول التخلي الطوعي عن الإضرابات أثناء حالة الطوارئ التي استدعتها الحرب في أوروبا. واتخذت نقابات الفدرالية قراراً بعدم اللجوء إلى الإضرابات في المؤسسات الدفاعية، قبل استنفاد إمكانيات هيئات الوساطة في الدولة. أما بالنسبة لأعضاء النقابات القاعديين، فإن الاستعداد للمساعدة في نمو الإنتاج العسكري يمكن تفسيره بأمزجتهم المعادية للفاشية، ورغبتهم في تقديم المساعدة للبلدان التي تحارب دول التحالف الفاشستي العسكري.

اتخذ الكونغرس في ظروف (حالة الطوارئ) وتحت ستارها عدداً من القوانين التي كان لها اتجاه معاد للشيوعية. فإلى جانب قانون سميث، كان هناك قانون هيتش (١٩٣٩) الذي كان يُحرِّم على موظفي الدولة أن يكونوا أعضاء في الحزب الشيوعي، وقانون فورهيس (تشرين الأول عام ١٩٤٠) الذي كان يطالب بتسجيل المنظمات (الهدامة) الواقعة (تحت الإشراف الأجنبي) وغيرها من القوانين.

لعبت لجنة مجلس النواب المختصة بملاحقة النشاط المعادي لأمريكا برئاسة م. دايس، والتي أنشئت في أيار عام ١٩٣٨، دوراً في هذه الحملة. إذ نشطت بصورة حادة في صيف عام ١٩٣٩، وكتب المؤرخ الأمريكي أن كل شيء قد تحول إلى «أداة سياسية بيد العناصر المحافظة»[1].

(١) Ogden A.R. The Dies Committee: A Study of the Special House Committee for the Investigation of Un-American Activities, 1938-1944, Wash., 1945, p. 295.

ولم يكن من باب المصادفة أنها استفادت من دعم هيئات الصحافة تلك، مثل (شيكاغو تريبيون) اليمينية، وصحيفة (سوشيال جاستيس). فقد نشرت لجنة دايس السموم عن الشيوعيين، والنقابات التقدمية، والمنظمات الديمقراطية الجماهيرية. وقام أعضاء اللجنة بحملات على الشخصيات الليبرالية الاجتماعية والسياسية، وعلى رجال الثقافة، وحتى على الوزراء، ولا سيَّما على ف. بيركينز، وغ. هوبكينز، وغ. إيكيس. وقد كان مسجلاً في إحدى قوائم الأشخاص المرتبطين بالمنظمات (الهدامة) المعدة للجنة أسماء أعضاء مجلس الوزراء غ. سيمسون، وف. نوسك ووالدة الرئيس روزفلت[1]. وبعد فترة بسيطة جداً استدار نشاط اللجنة إلى الهجوم على حقوق المواطنين الأمريكان الديمقراطية وحرياتهم.

إن الانعطاف في سير الحرب العالمية صيف عام ١٩٤٠ اتفق مع بداية الحملة الانتخابية الدورية. وعلى الرغم من التقاليد التي كانت تحصر وجود شخص واحد في منصب رئيس الجمهورية لفترتين فقط، فإن مؤتمر الحزب الديمقراطي المنعقد في شيكاغو طرح روزفلت للمرة الثالثة كمرشح عنه[2]. كانت التصورات التي أملتها حالة الحرب العالمية هي المبرر لذلك الترشيح. كتب ر. شيرفورد: «إن هتلر موسوليني وكذلك تشرشل قد اتخذوا قراراً إلى جانب روزفلت»[3]. جرت الحملة الانتخابية على خلفية التشكل النهائي لـ (المحور) برلين - روما - طوكيو، والمعركة الجوية حول إنكلترا، واشتداد حرب الغواصات في الأطلسي، وهجوم اليابان الجديد على الشرق الأقصى.

---

(١) Roosevelt A.E. This I Remember. N.Y., 1949, p. 202-203.

(٢) Parmet H., Hecht. M. Never again. A President Runs for a third. N.Y., 1968.

(٣) شيرفورد ر. روزفلت وهويكينس: بعيون الشهود. في جزأين. موسكو، عام ١٩٥٨، الجزء الأول، ص ٣٠٩.

اكتسبت مسائل الحرب والسلم لأول مرة بعد الانتخابات الرئاسية عام ١٩٤٠ الأهمية الكبرى. واتضحت حتى ذلك الوقت الدرجة المهمة لاتفاق الآراء حول تلك المسائل الرئيسية، مثل الدعم الشامل لبريطانيا العظمى في حربها مع ألمانيا الهتلرية وإبداء معارضة سياسية-دبلوماسية لتوسع اليابان. إن النزعة نحو التقارب الواضح في المنطلق تجاه المسائل السياسية الخارجية الأكثر أهمية وجدت انعكاساً لها في الخطط الانتخابية لكلا الحزبين. إذ اشترطا معاً تقديم المساعدة المادية للبلدان التي تحارب ضد الحلف الفاشستي-العسكري، والدفاع الفعال عن مبدأ مونرو، ومع أن كلا الحزبين كانا يعدان بعدم المشاركة في (الحروب الأجنبية). بيد أنه، وعلى أعتاب الانتخابات - وكما أظهرت استفتاءات الرأي العام- فإن ٣/٢ من الأمريكان كانوا يعتبرون أن الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية المطاف ستدخل في الحرب الأوروبية[١]. ومن المميز، أن مؤتمر الجمهوريين في فيلادلفيا فضل ترشيح أو. ويكلي من قبل عضوي مجلس الشيوخ الانعزاليين المعروفين ر. تافت وأ. فيندنبرغ، الديمقراطي السابق، وخصم الانعزالية ونصير عصبة الأمم، والذي كان يقف بصورة واضحة إلى جانب مساعدة إنكلترا. أعلن ويكلي عن دعم السياسة الخارجية لمنافسه، وسعى فقط للبرهنة أنه يستطيع القيام بهذه السياسة بصورة أفضل من روزفلت. لم تثر مسائل السياسة الخارجية حتى نهاية الحملة الانتخابية نقاشاً خاصاً بين المتطلعين إلى البيت الأبيض. كان الجمهوريون مضطرين للاعتراف، على الرغم من التحفظات، بمبررات إصلاحات (النهج الجديد). وكانوا يدعون في الوقت نفسه إلى الالتفات أخيراً باتجاه الرأسمال الكبير.

(١) Public Opinion, 1935-1946. Princeton, 1951, p. 199.

كان النقد الانعزالي يتم غالباً من جانب (لجنة أمريكا قبل أي شيء)، والهدف من ذلك كان المساعدة الأمريكية لإنكلترا. غير أن الدعاية الانعزالية كان لديها فرصة ضئيلة للنجاح. كان روزفلت يتحدث، وهو يرد على الانعزاليين الذين كانوا يتهمون الحكومة بروابطها السرية مع دول أخرى، الأمر الذي يشكل خطراً جسيماً بالانجذاب إلى الحرب، حسب رأيهم، عن إمكانية حتى ضرورة إبقاء الولايات المتحدة الأمريكية خارج الحرب[1]. اعتقد الكتاب الأمريكان أن الرئيس كان غير صادق، وذلك بإخفائه قناعاته بحتمية الصدام المسلح مع المعتدين[2]. كانوا يفسرون هذه الازدواجية بالمصالح المتعلقة بالحملة الانتخابية، وبمظاهر الحذر التي يتصف بها روزفلت، وعدم الرغبة بالمخاطرة. بيد أن هذه الازدواجية كانت على الأصح نتيجة سياسة (حرية الأيدي) التي اتُّبعت قبل الحرب. سبّب رئيس كونغرس النقابات الإنتاجية ج. لويس، الذي كان يدعم ويكلي، ويدعو العمال للحذو حذوه، ضجةً في الحملة الانتخابية. إذ أعلن بصوت عال أنه سيستقيل من منصبه في كونغرس النقابات الإنتاجية في حال إعادة انتخاب روزفلت.

حملت الانتخابات النصر إلى روزفلت وغ. ووليس، المرشح لمنصب نائب الرئيس، إذ حصلا على ٥٥% من الأصوات. صوتت أغلبية العمال لصالح روزفلت. وكان لويس مضطراً لتنفيذ وعده بالخروج من كونغرس النقابات الإنتاجية. انتصر الديمقراطيون كذلك في الانتخابات إلى الكونغرس، بحصولهم على ٦٦ مقعداً في مجلس الشيوخ و٢٦٨ مقعداً في

---

(١). The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1940 vol., p. 415

(٢) شيرفورد ر. المؤلف المشار إليه، الجزء الأول، ص ٣٥٠؛ Drummond D.F. Op cit, p. 178-181; Divine R.A. Op. cit., p. 99-101.

مجلس النواب (مقابل ٢٨ و ١٦٢ للجمهوريين). كانت نتائج الانتخابات الرئاسية تعني موافقة الجماهير الواسعة على تدابير حكومة روزفلت، التي كانت تلبي مصالح أمن البلاد وأهداف نضال القوى التقدمية ضد الفاشية[١]. مارست مسألة الحرب والسلم التي كانت منتصبة في الانتخابات تأثيرها لصالح روزفلت[٢]. ولقد قيموا ذلك في المجال الدولي «كإشارة واضحة إلى أن الولايات المتحدة ستقف كما في السابق ضد ألمانيا واليابان، دون أن تتوقف حتى أمام المخاطرة بالحرب»[٣].

إن الإنهاء الدراماتيكي لـ (الحرب الغريبة) دفع الحكومة لطرح برنامج (الدفاع الوطني) الذي تمت صياغته في خطبتي روزفلت ١٧ أيار و ١٠ حزيران عام ١٩٤٠. وتمَّ فيما بعد إضافة مشروع قانون إليه حول اعتماد ٤ مليارات دولار لبناء (أسطول لمحيطين). وبلغت الاعتمادات العامة للأهداف العسكرية في عام ١٩٤٠ ١٧,٧ مليار دولار. ولقد أقر الكونغرس مشروع قانون كذلك حول زيادة عدد الجيش من ٢٨٠ ألفاً إلى ١٢٠٠ ألف شخص[٤]. أخيراً، سعت الحكومة بإقرارها قانون (الاستهلاك المتسارع) للرأسمال لإثارة اهتمام أرباب العمل بالأحوال العسكرية.

---

(١) اينوزيمتسيف ن. السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الإمبريالية، موسكو، ١٩٦٠، ص ٣٦٤.

(٢) Dallek R. Franklin D. Roosevelt and American Foreign Policy, 1932-1945. N.Y., 1979, p. 250.

(٣) Divine R.A. Op. cit, p. 101

(٤) كوزنيتس يو. دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٦٢، ص ١٢٢.

تم اتخاذ قرار في صيف عام ١٩٤٠، بالحصول على سر الذرّة، وقد شكّل ذلك علامة فارقة. إذ صادق روزفلت بعد يوم واحد من سقوط باريس على بدء الأعمال بإنتاج قنبلة ذريّة، التي جرت بسرّية صارمة[١].

وقد تمت هذه الأعمال بمشاركة الفيزيائيين المهاجرين ن أوروبا ا. آينشتاين، واي. فيرمي وغيرهما. وفي أيلول عام ١٩٤٠ دخل حيز التنفيذ قانون الخدمة الإلزامية الطوعية. وكان هذا القانون حول الخدمة الإلزامية العامة هو الأول في زمن السلم. إن اتخاذه في ذروة الحملة الانتخابية الرئاسية كان يسمح دون خطأ بتحديد مقدار شعبية هذا القانون بين الناخبين، الذين يستجيبون بحساسية كبيرة عادة للتجنيد الإلزامي في الجيش. لكن الأمر اختلف في هذه المرة: كان هناك اقتناع شديد في البلاد بضرورة تعزيز الدفاع الوطني، وكان ذلك هو محتوى خطاب الرئيس في مراسيم الاقتراع في واشنطن، الذي دعا لتحديد أسماء أول ٨٠٠ ألف مجند جديد.

بيد أن برنامج (الدفاع الوطني) كان يتم تحقيقه ببطء وبصورة غير كاملة. فمن أصل ١٨٤ ألف شركة صناعية أمريكية في ذلك الوقت، لم يكن يعمل في الإنتاج الحربي أكثر من ١٥٠[٢]. إن أول محاولة لتجميع المتطلبات الحربية تم اتخاذها في آذار عام ١٩٤١. وأظهرت إدارة إنتاج المواد الحربية، أنه من الضروري إجراء زيادة محسوسة في القدرات الإنتاجية. وقد توصلت إلى هذا الاستنتاج لجنة من مجلس الشيوخ برئاسة غ. ترومان. وفي صيف عام ١٩٤١ «كان هناك شعور بالنقص الكبير في معظم أنواع الأسلحة والمواد»[٣].

---

(١) Smith H.D. Atomic Energy for Military Purposes, Princeton, 1945.

(٢) Nelson D. Arsenal of Democracy: The Story of American War Production. N.Y., 1946, p. 276.

(٣) شيرفودر. المؤلفات المشار إليها، الجزء الأول، ص ٦٣٨٠.

وبهدف التسريع بإعادة بناء الاقتصاد تم إنشاء إدارة للدفاع الاقتصادي برئاسة نائب الرئيس غ. ووليس في ٣٠ تموز عام ١٩٤١. وفي ٢٨ آب وتحت رئاسته ظهرت الإدارة المختصة بمتابعة تزويد الطلبيات وتوزيعها، والتي دخل في عضويتها بالإضافة إلى رؤساء الإدارات الحكومية، ممثلو الرأسمال الكبير - د. نلسون، واو. نادسين، ون. روكفلير. وبنتيجة التحليل الدوري لتخلف التدابير الدفاعية الأمريكية عن المهام المتزايدة بصورة أكثر، ظهرت مذكرة قيادة القوات المسلحة في ١١ أيلول عام ١٩٤١، الموقعة من الجنرال ج. مارشال والأدميرال غ. ستارك. وتمت صياغة ما سمي ببرنامج الانتصار على قاعدة تلك الوثيقة، والذي تم تطبيقه بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب.

سرَّعت التدابير التنظيمية، التي عكست النزعة العامة لتوسيع ضبط الدولة للاقتصاد بعض الشيء إعادة بناء الصناعة. بيد أن وتائر إعادة البناء انخفضت بسبب امتناع أرباب العمل عن ضخ استثمارات جديدة، مستندين في ذلك إلى المستوى غير الكافي للطلبيات الحربية[1]، قررت الحكومة عندئذ إيقاف مفعول القوانين ضد التروستات، وشجعت بناء مؤسسات خاصة جديدة عن طريق الإعانات الحكومية السخية، والقروض والتسهيلات الضريبية لصالح الصناعيين. وانتقلت المصانع ذات التوجه الحربي التي كانت تبنى من قبل الدولة نفسها، فيما بعد إلى الاتحادات الاحتكارية، التي استثمرتها في أعوام الحرب، والتي وصل بها الأمر إلى حد تخريب الجهود الدفاعية. فشركة (ستاندارد اويل كومباني اوف نيوجيرسي) التابعة

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً، موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢، الجزء ٤، ص ٤٤٠.

لروكفللير، التي راقبت شروط الاتفاقية الاحتكارية مع الاتحاد الاحتكاري الألماني (ايغ فاربينين دوستري) أعاقت لمدة طويلة إنتاج الكاوتشوك الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية. وبسبب الاتفاقية بين (جنرال الكتريك) واتحاد كروب الاحتكاري لم يضبط إنتاج الكربيد والفولغرام - الخلائط الصلبة، الضرورية لإنتاج الآلات الحادة والقوالب.

كانت مواقف الجماهير الكادحة الواسعة مختلفة، وبصورة خاصة بعد هجوم ألمانيا الفاشستية على الاتحاد السوفييتي. طور العمال من خلال الدور الطليعي للحزب الشيوعي والنقابات (المعركة من أجل الإنتاج) من أجل المساعدة في زيادة المساهمة الأمريكية في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية. لقد تخلوا بطواعية عن الإضرابات، وتوافقوا على إطالة أسبوع العمل، وسعوا لرفع إنتاجية العمل. ويعود الفضل في تسارع الإنتاج الصناعي الحربي في البلاد إلى حد بعيد للحركة الوطنية للطبقة العاملة. غير أنه على أعتاب بيرل-هاربر، وعلى الرغم من اتخاذ التدابير إلا «أن الاستعداد العسكري للولايات المتحدة الأمريكية لم يكن يطابق إمكانياتها». بقي الاقتصاد الأمريكي في غالبيته مدنياً: انتقل إلى الإنتاج الحربي ١٥% من الصناعة فقط، وبلغت حصة الإنتاج الحربي من مجموع الإنتاج الصناعي ٢٢% فقط، أما بالنسبة لإجمالي الناتج القومي - ٦.٣%[١]. وفي الوقت نفسه بلغت حصة الولايات المتحدة الأمريكية من الإنتاج العالمي للسلاح بحدود ١٢%[٢].

---

(١) روزنفلد يا. س. صناعة الولايات المتحدة الأمريكية والحرب. موسكو، ١٩٤٦، ص ٤٣؛ دالين س. ا. المؤلفات المشار إليها، ص ٢٨٠؛ Kuznets S. National Production 1869. N.Y. 1946, p. 52.

(٢). War Production in 1944. Wash. 1945, p. 22

وفي غضون ذلك استعدَّ مؤدلجو ودعاة الرأسمال الاحتكاري في الولايات المتحدة الأمريكية بدورهم، وبصورة نشيطة جداً لإعادة تقسيم العالم بصورة قسرية، من خلال صياغاتهم لخطط (أمركته). لقد ظهرت مقالة ناشر المجلات الكبيرة (التايم) و(لايف) و(فورتشون) المليونير غ. ليوس في بداية عام ١٩٤١ تحت العنوان الجذاب (القرن الأمريكي). كان اسم المقالة (التي صدرت فيما بعد بكتاب خاص) يعبر عن محتوى الخطط التي ذهبت بعيداً للدوائر الإمبريالية في الولايات المتحدة الأمريكية، الموجهة نحو استخدام الحرب العالمية الثانية لتحقيق أهداف الهيمنة.

دعا ليوس في سياق تلخيصه للبرنامج التوسعي إلى «أن تقوم البلاد الأكثر جبروتاً وأهمية في العالم بواجبها كاملاً وتماماً، وأن تنشر بأكمل وجه تأثيرنا على العالم لتحقيق تلك الأهداف، التي نعتبرها صالحة... إن القرن العشرين يجب أن يصبح بمقدار مهم قرناً أمريكياً»[١]. كانت فكرة (القرن الأمريكي) الإمبريالية استمراراً مباشراً للمبدأ القديم القائل بـ (حتمية القدر)، الذي خصص للولايات المتحدة الأمريكية دور البلاد المدعوة كي تغدو وراءها الشعوب الأخرى. كانت هذه الفكرة تتعارض مباشرة مع ما حاربت الشعوب من أجله ضد الفاشية والسلاح في أيديها مدافعة بذلك عن حقها المقدس بأن تبني حياتها حسب ما تراه مناسباً لها... لقد سعى أنصار (القرن الأمريكي) للتأثير على البلدان الأخرى، معتمدين في ذلك على القدرة العسكرية -الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية.

كانت فكرة السيطرة العالمية حاضرة طوال الوقت في أيديولوجيا السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وحظيت بقوة كبيرة حتى قبل الحرب

(١) Luce H. American Century. N.Y., 1941, p. 23, 31.

العالمية الثانية. لقد أكد محرر القسم الأجنبي لصحيفة (نيويورك تايمز) يو. يانغ عام ١٩٣٦ في كتاب «أمريكا الجبارة: مكاننا في إعادة تسليح العالم»، أن لدى الولايات المتحدة الأمريكية كل الإمكانيات «لتأخذ على عاتقها قيادة العالم» ومن ثم «المساعدة على تحقيق النظام العالمي الأفضل». إن الوسيلة لتحقيق هذا الهدف هي إنشاء «أكبر أسطول وأكبر طيران». واقترح المؤلف الاستفادة من منافع الوضع الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية وممارسة سياسة (توازن القوى)، أي «حث المنافسين أحدهما ضد الآخر وجني الثمرات عندما ينتابهم الضعف، كما كانت تفعل إنكلترا»[١]. كان ذلك هو مضمون ما استثمره في الانعزالية أنصارها الرجعيون. و تضمّن كتاب (هل تخاف أمريكا؟ السياسة الخارجية لأمريكا) للموظف السابق في وزارة الخارجية ومؤلف مقالات عن السياسة الخارجية في صحيفة (واشنطن بوست) التي تصدر في العاصمة، ل. هارتلي، دعوات مماثلة، إذ افترض كذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على «توجيه التطور العالمي باتجاه الدولة العالمية المتأمركة، المؤسسة على الدولار الأمريكي والبوارج وقاذفات القنابل»[٢].

إن أحد الطرق لبناء (دولة عالمية) حسب الوصفة الأمريكية، قد أوحى به كتاب ك. ستريت[٣]، الذي بادر إلى ممارسة ذلك بعد الحرب شمال الأطلسي على مجموعة الأمم هناك. كان يجب أن يصبح التحالف الأمريكي الإنكليزي مرتكزاً وقاعدة لـ (معشر) الأمم القادم على جانبي المحيط الأطلسي، حسب فكرة واضعي تصميم إعادة البناء السياسي للعالم بعد

(١) Young E. Powerful America. Our Place in Rearming World. N.Y., 1936, p. 2,345.

(٢) Hartley L. Is America afraid? A Foreign Policy for America. N.Y., 1937, p. 64.

(٣) Ctreit C. Union Now. A Proposal for a Federal Union of the Democracies of the north Atlantic. N.Y., 1939.

الحرب. إن سيادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا سواء داخل هذا (المعشر) من الأمم أو في العالم يمكن أن يتحقق بفضل الجبروت العسكري المتفوق فقط. ومن هنا كان الاستنتاج حول الإلحاح على تسلح الولايات المتحدة ودعمها للحليف الإنكليزي.

تضاعفت الدعوات إلى سياسة التوسع مع بداية الحرب في أوروبا. واعتبر أحد دعاة التوسع، أن الوقت حل لتغيير الانعزالية «السلبية، وقصيرة النظر، والعاجزة عن حل المسائل الملحة» بـ «أعمال بطولية وبناءة» تستجيب لمتطلبات الزمن، التي وضعت أمام الولايات المتحدة الأمريكية من جديد كما في الحرب العالمية الأولى، حسب كلمات الكاتب مسألة «الزعامة العالمية»[١].

لقد دعا المراقب الحربي لصحيفة (نيويورك تايمز) هـ. بولدويف الولايات المتحدة الأمريكية (للتخلص) من المذهب الدفاعي، بإحلال مفهوم (الدفاع العدواني) مكانه: «إننا أقوياء في واقعنا. يجب علينا أن نتذكر ذلك، وأن نعلن للعالم عن نمط أسلافنا - اليانكي الواثقين بأنفسهم، وأنهم قادرون على ضرب العالم بأسره»[٢]. كان دعاة (القرن الأمريكي) يأملون بأن الدول الأخرى ستضعف بعضها البعض في سير الحرب. وكانت الآمال توضع على إضعاف الاتحاد السوفييتي. لقد اعترف نائب وزير الخارجية س. ويلس بوجود مجموعات مالية وتجارية ضخمة قبل الحرب في بريطانيا العظمى، وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، كانت تنطلق من القناعة بأن الحرب بين الاتحاد

---

(١) Carr A. America’s Last Chance. N.Y., 1940, p. 10-14.

(٢) Baldwin H. United We Stand! Defense of the Western Hemisphere. N.Y., 1941, p. 284-288.

السوفييتي وألمانيا الهتلرية يمكن أن تلائم مصالح هذه المجموعات فقط. كان هناك أمل بأن الاتحاد السوفييتي سيصيبه الضعف نتيجة الهزيمة في الحرب مع ألمانيا، وسيتم القضاء على الشيوعية[1].

كان أنصار ذلك الموقف، كما أشار إلى ذلك الكاتب الاجتماعي المشهور في ذلك الزمن أو. ليبمان، يعملون بهدوء لتطوير العدوان الهتلري، انطلاقاً من ظنهم أنه «موجه إلى الشرق وليس باتجاه منطقة الأطلسي»[2]. وحتى حين لم يبق أي مكان للشك بالنوايا الحقيقية لألمانيا الهتلرية، فإن (المسالمين) من غرار جوزيف كندي (الذي سُحب في نهاية عام ١٩٤٠ من منصب السفير في لندن)، ونائب رئيس شركة (جنرال موتورز) ج. موني، والشخصيات اليمينية من (لجنة أمريكا قبل أي شيء) ومن ماثلهم استمروا في البحث عن اتفاقية مع المعتدين الفاشستيين: كان التوسعيون الأمريكان يرغبون لو أنهم يستطيعون بسط ذلك النفوذ الذي استخدموه في نصف الكرة الغربي، إذ كانوا يملكون مواقع احتكارية، وتتمركز ٣/٤ استثمارات الولايات المتحدة الخارجية فيه، على العالم بأسره[3]. كان الموقف الأمريكي في الصراع مع اليابان من أجل السيطرة في الصين، مثالاً على توجهها إلى هذا الهدف ومثابرتها عليه، في الصراع المتنامي بين الدول الامبريالية. إن أنصار فكرة (القرن الأمريكي) لم يكونوا كثراً نسبياً، لكنهم قوة مؤثرة، وفرضوا بصمتهم على صياغة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وتحديد أهدافها في الحرب العالمية الثانية. بيد أنه وبحكم الطابع التحرري، والمعادي للفاشستية لهذه الحرب، فإن الكثير من مخططاتها الإمبريالية كان محكوماً بالفشل.

---

(١) Welles S. Op. cit, p. 321.
(٢) Lippman W. Op. cit., p. 43.
(٣) Faulkner H. American Economic History. N.Y., L., 1943, p. 681.

٣- «الحرب غير المعلنة»

مع دخول الولايات المتحدة الحرب خريف عام ١٩٤٠، في فترة (الحرب غير المعلنة) حدثت قطيعة فعلية مع الحياد، ومع النهج السياسي الخارجي المتخذ منذ عام ١٩٣٥ الذي وصل إلى حالة من التناقض الكامل مع مصالحها. وكما في السابق استمر السعي للبقاء خارج الحرب ما أمكن ذلك، لكن الغالبية العظمى من الأمريكان كانت تعتبر أن إزالة التهديد المنطلق من الحلف الفاشي- العسكري هو الأهم[١].

اتجهت الأمور نحو تعمق الصدام بين الديمقراطية البرجوازية والفاشية، وهذا ما جاء أيضاً في الكونغرس السابع للكومنترن، الذي كان «الأول الذي أدلى برأيه بكل قوة ضد تجاهل الفارق النوعي بين الفاشية والديمقراطية البرجوازية»[٢]. وبمقدار ما كانت الحرب تطول، بمقدار ما كان يصبح واضحاً، أن «نصر هتلر سيخلق تهديداً مميتاً للمصالح الأمريكية ونمط الحياة الأمريكية، وأن الولايات المتحدة مهتمة بصورة مصيرية بدعم البلدان التي تحارب هتلر»[٣]. هذا هو السبب في أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية على أعتاب الحرب في الفترة الأولى منها لم يكن يتحدد بفعل العوامل الاقتصادية المباشرة التي تنبثق دوافعها من هنا، بمقدار ما كان يتحدد من التصورات السياسية والعسكرية

---

(١) Osgood R. Ideas and Self-Interest in America's Foreign Relations: The Great Transformation of the Twentieth Century Chicago, 1953, p. 407.

(٢) بونوماريوف ب. حول الذكرى الستينية لقيام الأممية الشيوعية، ١٩٧٢، رقم ٥، ص ٢٢. انظر كذلك ليبزون ب.، شيرينياك. انعطاف في سياسة الكومنترن، الإصدار الثاني. موسكو، ١٩٧٥.

(٣) Lash J. Roosevelt and Churchill, 1939-1941; The Partnership that Saved the West. N.Y., 1976, p. 417.

الإستراتيجية. إن تطور السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تتم تحت تأثير توسع دول الحلف الفاشستي - العسكري، مرتبطةٌ بصورة وثيقة باسم روزفلت. كانت تؤخذ القرارات بمبادرة منه حول مقايضة البوارج بالقواعد، وحول إرسال المتوجات العسكرية والمواد الخام الأمريكية إلى الحلفاء (ليند-ليز)، وحول صياغة ميثاق الأطلسي. كان روزفلت يعي قبل مدة طويلة على بدء الحرب الخطر الناجم عن ألمانيا الهتلرية واليابان العسكرية، وكان يتحدث عن أهمية التعاون الدولي لأجل مجابهة عدوانهما. كان روزفلت يعتبر أن إشراف القوى المعادية للولايات المتحدة على إنكلترا وآسيا، سيكون له نتائج وخيمة بالنسبة للدفاع في نصف الكرة الغربي. وكان مقتنعاً أن التدابير المتخذة بالنسبة للدفاع الذاتي لا يمكن أن تنحصر في أراضي القارة الأمريكية، وإنما يجب أن تنتشر خارج المحيطين الأطلسي والهادي[١].

بيد أنه كانت توجد قطيعة كبيرة بين الأهداف الإيجابية المعلنة من قبل حكومة روزفلت وبين وسائل تحقيقها. لم تحصل العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية بعد إقامتها عام ١٩٣٣ القسط الوافي من الاهتمام والتطوير. ازدادت هذه القطيعة في فترة أعوام (الحياد)، الذي دعم المؤامرة المعادية للسوفييت في ميونيخ. ولم تتغير إلا قليلاً في هذا المجال مع حلول الحرب العالمية. إن بطء الحكومة على سبيل المثال في قضية مقايضة البوارج بالقواعد، أثارت الانتقاد حتى من جانب أنصارها[٢]. لقد أقامت

---

(١) Greer Th. What Roosevelt Thought. The Social and Political Ideas of Franklin D. Roosevelt East Lansing (Mich), 1938, p. 188.

(٢) Burns J.M. Roosevelt: The Soldier of Freedom. N.Y., 1970, p. 65-66, 84-92, 89-101; Dallek R. Op. cit, p. 266-268.

علاقات دبلوماسية مع نظام فيشي، وقادت بعناد الاعتراف بحركة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال شارل ديغول[١].

إن توقيع ألمانيا، وإيطاليا، واليابان على حلف ثلاثي في برلين ٢٧ أيلول عام ١٩٤٠ كان يظهر بوضوح الطابع العولمي لادعاءات دول التحالف الفاشستي - العسكري. لقد التزم المعتدون بمساعدة بعضهم بعضاً بكل الوسائل، بما في ذلك العسكرية منها، في حال هجوم أية دولة من الدول التي لا تشارك في الوقت الحاضر في الحرب الأوروبية أو في النزاع الياباني - الصيني على أية دولة منهن[٢]، أي ضد الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية - الدولتين العظيمتين اللتين بقيتا خارج الحرب. وحسب تقييم هيلل، إن هذا الحلف كان يهدد بصورة مباشرة المصالح الأمريكية[٣]. كان هتلر يرى أن هدف الحلف الثلاثي يكمن في «الكيفية التي يمكن دفع اليابان فيها للقيام بأعمال نشطة في الشرق الأقصى»، مفترضاً أن «قوات إنكليزية ضخمة ستكون مجمدة هناك، وأن الاهتمام الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية سيكون منصباً باتجاه المحيط الهادئ»[٤]. قابلت الولايات المتحدة الأمريكية ذلك باتخاذ قرار إستراتيجي، عزز النزعة الرئيسية لسياستها ما قبل الحرب: النظر إلى مناطق الأطلسي والمحيط الهادئ بالارتباط بعضها مع بعضٍ، لكن الأولوية تعطى للمسرح الأوروبي.

---

(١) سيفوستيانوف غ.ن، أوتكين ا. أي. الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في أعوام الحرب أعوام ١٩٣٩-١٩٤٥: من تاريخ العلاقات المتبادلة. موسكو، عام ١٩٧٤.

(٢) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، الجزء الأول، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) The Memoirs of Cardell Hull, vol. f, p. 925-926.

(٤) «بسرية كاملة! فقط لأجل القيادة!» إستراتيجية ألمانيا الفاشستية في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي: وثائق ومواد. موسكو، ١٩٦٧، ص ٣٢٠.

تم الاتفاق في واشنطن في كانون الثاني- آذار عام ١٩٤١، خلال مفاوضات إنكليزية-أمريكية سرية بين هيئات الأركان العامة لكلا البلدين، على خطة إستراتيجية أمريكية بريطانية رقم ١ تضع إستراتيجية أساسية عامة: أعطت للحرب مع ألمانيا الأفضلية على الحرب مع اليابان، الذي انحصر الموقف ضدها بالدفاع حتى الآن وإلى وقت آخر. ومن أجل أن يضمن الدعم لسياسته الداخلية والخارجية، سعى روزفلت للاعتماد على الجماهير الشعبية، التي وقفت سواء إلى جانب «النهج الجديد» أو إلى جانب دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الائتلاف المعادي للفاشستية، وعلى ذلك اعتمدت كلمات روزفلت العلنية في أعتاب ١٩٤٠-١٩٤١ التي أثرت على صياغة الأهداف الأساسية للبلاد في الحرب. فقد لاقت كلمته في الإذاعة ٢٩ كانون الأول عام ١٩٤٠ صدىً مهماً داخل وخارج البلاد[١]، والتي دعا فيها روزفلت إلى تحويل الولايات المتحدة الأمريكية إلى (ترسانة للديمقراطية) من أجل تقديم المساعدة للبلدان، التي تحارب ضد دول (المحور) «في سبيل حريتها وأمننا»[٢]. وحصلت رسالة روزفلت إلى الكونغرس في ٦ كانون الثاني عام ١٩٤٢ أيضاً على صدى واسع، دافع فيها عن أهمية «الدفاع عن العالم الحر والحفاظ عليه»، والقائم على (أربع حريات): (حرية الكلمة والتعبير)، و(حرية كل إنسان بالاعتقاد على طريقته)، و(الحرية من الفقر)، و(الحرية من الخوف).

لقد تناولت ردود فعل الجماهير الأمريكية التي كانت مهتمة بسير الحرب العالمية، قانون (ليند-ليز) - فكرة إرسال الأسلحة الأمريكية للبلدان الأخرى عن طريق القروض أو الرهن. فمشروع القانون المطروح على الكونغرس في

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1940, p. 632-644.
(٢) Ibid., p. 663-672.

١٠ كانون الثاني عام ١٩٤١، والذي شاركت في نقاشه أوساط واسعة من الرأي العام حصل بين الجمهور على اسم **(إيقاف هتلر!)**.

أما بالنسبة للانعزاليين، الذين لا يزالون يقفون إلى جانب حياد الولايات المتحدة الأمريكية، فإن مسألة رفض مشروع القانون حول ليند-ليز أصبح يشكل رهاناً دورياً كبيراً. لقد صاغ بريد الذي يعتبر واحداً من الزعماء المتعقلين في الحركة الانعزالية، الذي كان يفضّل تسمية نفسه بـ **(القومي)**، وجهة نظرهم خلال جلسة الاستماع في لجنة مجلس الشيوخ حول العلاقات الخارجية. إذ ألحَّ على اتباع نهج سياسي خارجي، يتجاهل المتغيرات في العالم. وقد أطلق بريد على مشروع القانون حول ليند - ليز اسم **(مشروع قانون حول القيام بحرب غير معلنة)**[١]. بيد أن الكونغرس وافق على مشروع القرار بأغلبية مهيبة: حصل في مجلس النواب على ٢٦٠ صوتاً ضد ١٦١ صوتاً، وفي مجلس الشيوخ ٦٠ صوتاً ضد ٣١ صوتاً[٢]. لقد أجاز القانون الجديد إرسال الأسلحة الأمريكية وغيرها من المواد على شكل قروض أو رهن «إلى أي بلد، دفاعها، حسب رأي الرئيس مهم بصورة حيوية بالنسبة لدفاع الولايات المتحدة». وفي ١١ آذار عام ١٩٤١، وفي يوم إقرار القانون، تم سريان مفعوله على إنكلترا واليونان.

عين روزفلت غ. هوبكينز القريب منه رئيساً لبرنامج ليند - ليز. كانت المساعدة الأمريكية حسب ليند - ليز محدودة جداً في البداية: خلال ٩ أشهر من عام ١٩٤١ أمكن صرف ٧٨٠ مليون دولار من أصل ٧ مليارات مخصصة

---

(١) New York Times, 1941, Febr. 5.

(٢) Peace and War: United States. Foreign Policy, 1931-1941. Wash., 1943, p. 627-630.

حسب ليند - ليز[1]. لم تكن خالية من الأغراض أيضاً. فمنذ البداية أُفهمت بريطانيا العظمى، أن المساعدة ستكون مبنية على أرضية «المنافع السياسية والاقتصادية المرغوبة والمتبادلة»[2]. وفي ترتيب (مقابل) لـ ليند - ليز كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحصل من إنكلترا على مختلف أنواع البضائع والخدمات، ولا سيما على المعلومات العلمية القيمة (عن الرادارات، والأبحاث الذرية وغيرها). شكل إقرار ليند - ليز من قبل الولايات المتحدة الأمريكية «خطوة مهمة باتجاه دعم كل القوى، التي تخوض نضالاً ضد المعتدين الفاشست»[3]. كانت هذه الخطوة تعني قطيعة كبيرة مع الحياد أكثر من أي عمل آخر. كان ليند-ليز كان يرمز إلى حلول مرحلة في العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة وإنكلترا من «الزواج الذي لا يملك صفة قانونية». إن مطابقة الخطط الحربية - الإستراتيجية، والتعاون الدبلوماسي الواسع، والاستعداد لتقديم المساعدة الشاملة للإنكليز - إن كل ذلك يشهد على إقامة علاقات تحالفية، على الرغم من عدم الإعلان عن ذلك شكلياً.

وفي أطر تدعيم هذا التعاون كانت الولايات المتحدة الأمريكية تبحث مسألة الدفاع عن طرق المواصلات البحرية بين البلدين، والتي اكتسبت في ربيع عام ١٩٤١ حدة خاصة. أجاز روزفلت للأسطول الأمريكي في بداية نيسان ملاحقة الغواصات النازية في منطقة يبلغ امتدادها ٣٠٠ ميل في غرب المحيط الأطلسي، ووسع بعد فترة وجيزة منطقة دوريات الأسطول البحري المسلح

---

(١) Mikesell R. United States Economic Policy and International Relations. N.Y., 1952, p. 88

(٢) Alsop J., Kintner R. American white Paper. N.Y., 1940, p. 81

(٣) بوزدييفال ف. المؤلف المشار إليه، ص ٢٣٥.

حتى منتصف المحيط الأطلسي. لكن الأسطول لم يكن يملك الصلاحية لإطلاق النار. في ٢٢ أيار، ولأول مرة منذ بداية الحرب أطلقت غواصة ألمانية فاشستية طوربيداً على الفرقاطة الأمريكية (روبين مور) الذاهبة من نيويورك إلى كيبتاون. في ذلك الوضع المتوتر، أعلن روزفلت في خطاب له في الإذاعة[١]، منتقياً موضوع (المعركة على الأطلسي)، عن سلسلة من التدابير، التي كانت تقضي: بمعارضة أية محاولة من ألمانيا الهتلرية لإقامة إشراف على نصف الكرة الأرضية الغربي، ومنع الإشراف النازي على البحار، ومقاومة سيطرة الهتلريين على النقاط التي يمكن أن تستخدم للهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية، وتقديم المساعدة الشاملة لإنكلترا وغيرها من البلدان، التي تحارب الفاشية، واستخدام كل الوسائل لتأمين الإرساليات الأمريكية إلى تلك البلدان. وفي الختام، فإن روزفلت أعلن في البلاد (حالة طوارئ غير محددة الأجل).

٤- موقف الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة هجوم ألمانيا الفاشستية على الاتحاد السوفييتي

في ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ أقدم جيش ألمانيا الهتلرية دون إعلان الحرب، وبانتهاك للمعاهدة السوفييتية-الألمانية حول عدم الاعتداء، على الإغارة على أراضي الاتحاد السوفييتي. وهكذا بدأت الحرب الوطنية العظمى للشعب السوفييتي، التي رمزت في دخول الحرب العالمية الثانية إلى مرحلة جديدة. اكتسب النضال ضد الهتلرية وحلفائها طابعاً تحررياً ومعادياً للفاشية بصورة واضحة[٢].

(١) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, 1941 vol., p. 181-194.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٤، ص ٣٠.

ردت واشنطن على الأنباء حول الهجوم الهتلري بإعلان حكومي في ٢٣ حزيران. لقد جاء في الإعلان الذي تمَّ التطرق فيه إلى «مبادئ ومذهب الدكتاتورية الشيوعية» الغريبة عن الولايات المتحدة الأمريكية ما يلي «إلا أن، السؤال المباشر، الذي يقف أمام الشعب الأمريكي هو: هل يمكن مجابهة وتعطيل مخطط السيطرة على العالم، واستعباد جميع الشعوب دون رحمة وبفظاظة... المخطط الذي يحاول هتلر الآن تحقيقه بيأس؟. ذلك هو السؤال الواقعي الذي يقف في الوقت الحاضر أمام أمريكا... حسب رأي حكومتنا، إن أي دفاع بوجه الهتلرية، وأي وحدة للقوى التي تقف ضد الهتلرية، مهما كان منشؤها، سيقرب من السقوط النهائي للزعماء الألمان الحاليين، ومن ثمَّ سيكون في صالح دفاعنا الخاص وأمننا». انتهى التصريح بجملة ممهورة بخط يد روزفلت: «إن الجيوش الهتلرية تشكل اليوم الخطر الرئيسي بالنسبة لأمريكا»[١]. أكد روزفلت في ٢٤ حزيران الاستعداد لـ «تقديم كل مساعدة نستطيع أن نقدمها إلى روسيا»، وفي ٢٦ حزيران أكد القائم بأعمال وزير الخارجية س. ويليس للسفير السوفييتي ك.ا. أومانسكي، أن «أي طلب حول المساعدة المادية ستتوجه به الحكومة السوفييتية إلى الولايات المتحدة، سيؤخذ دون بطء بعين الاهتمام...»[٢]. إن هذه التصريحات الأمريكية الرسمية مع تصريح تشرشل في ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ وضعت بداية للتعاون الإنكليزي - السوفيتي - الأمريكي في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية. كانت ردود أفعال الأوساط الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية في نفس الوقت «أقل تحديداً

---

(١) Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers, 1941: vol. 1-7. Wash. 1955-1962, vol. 1, p. 767-768 لاحقاً FRUS.

(٢) New York Times, 1941, June 25; FRUS, 1941 vol. 1, p. 769-770.

بصورة كبيرة»[1]، مما في بريطانيا العظمى. وكان السبب في ذلك يكمن بصفة خاصة بمقاومة من اليمين من جانب المجموعات المعادية للسوفييت في السياسة الحكومية[2]. أثرت كذلك العواقب السلبية المتراكمة في العلاقات السوفييتية-الأمريكية فترة ١٩٣٩-١٩٤٠.

تمنى جزء رجعي من الأوساط الحاكمة تبني موقف (المبتهج الثالث) - والنظر إلى المعركة بحيادية وجني ثمرات الاستنزاف المتبادل لقوى الخصوم. وقد اتخذت هذه المواقف شخصيات معروفة بنظراتها المعادية للسوفييت والشيوعية: السفير السابق في الاتحاد السوفييتي أو. بولليت، وأعضاء مجلس الشيوخ ا. فاندنبيرغ، وب. كلارك، وب. ويلير، وأعضاء مجلس النواب م. دايس، وغ. فيش، ورئيس (لجنة أمريكا قبل أي شيء) ر. وود وغيرهم. حتى إن السيناتور الجمهوري ر. تافت صرح أن «انتصار الشيوعية في العالم سيكون بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أكثر خطراً بكثير من انتصار الفاشية»[3] وكان العقيد تش. ليندبيرغ يفضل أن يرى الولايات المتحدة الأمريكية «في تحالف مع إنكلترا أو حتى مع ألمانيا رغم كل عيوب ذلك» على التحالف مع الاتحاد السوفييتي[4]. إن تصريح السيناتور الديمقراطي غ. ترومان مشهور بصورة واسعة، إذ أعلن «إذا كنا نرى أن ألمانيا تربح، فيجب علينا أن نساعد روسيا، وإذا كانت روسيا سَتربح، فيجب علينا مساعدة ألمانيا، وهكذا فليقتل

(١). Divine R.A. Op. cit., p.122

(٢) بوريسوف ا. يو. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية: حليفان في أعوام الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٨٣، ص ٤٧.

(٣). Congressional Record, vol. 87, pt 12, p. 3077

(٤). Ibid., p. 3283

بعضهم بعضاً بأكبر قدرٍ ممكن، مع أنني لا أرغب في انتصار هتلر ولا بأي شكل من الأشكال»[1].

لقد وقف الأمريكيون، الذين كانوا يخشون من إضعاف جهود الائتلاف المعادي للفاشستية، ضد محاولات وضع علامة المساواة بين الاتحاد السوفييتي وألمانيا الهتلرية. وفي نفس العدد من (نيويورك تايمز) الذي اقتبس فيه التصريح الذي جاء على لسان ترومان، تمت تسمية الرهان على الإضعاف المتبادل للاتحاد السوفييتي وألمانيا بالأحمق. وكانت (نيويورك هيرالد تريبيون) تُذكِّر بأنه وفقاً لحسابات هتلر قادر على شل أعدائه في الغرب، ليعلن تفرغه بعد ذلك لـ «الحملة الصليبية» ضد البلشفية[2]. كان قرار تقديم المساعدة للاتحاد السوفييتي، يستجيب دون شك لأمزجة الشعب الأمريكي. وأعطت نتائج الاستفتاء الذي أجراه المعهد الأمريكي للآراء الاجتماعية بعد يومين على بدء الحرب، على سؤال «أي الجانبين ترغبون في رؤيته منتصراً، ألمانيا أم روسيا؟»، دليلاً على ذلك، إذ وقف ٧٢% إلى جانب روسيا، مقابل ٤% إلى جانب ألمانيا[3].

وعلى الرغم من الإعلان عن الاستعداد لتقديم المساعدة إلى الاتحاد السوفييتي، إلا أن النتائج الفعلية لم تكن كبيرة. ويعود السبب في ذلك إلى عدم الثقة لحد ما في قدرة الاتحاد السوفييتي على الوقوف أمام ضغط الآلة الحربية النازية. كان الهدف الأساسي لبعثة رئيس الإدارة حول تنفيذ خطة ليند - ليز، غ. هويكينز إلى موسكو في نهاية تموز يكمن في استكشاف إمكانيات الاتحاد السوفييتي. وقد عاد هويكينز إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو مقتنع بأنه

---

(١) New York Times, 1941, June 24.

(٢) New York Herald Tribune, 1941, July 10.

(٣) Public Opinion, 1935-1946, p. 1187.

سيتم إيقاف القطعات الهتلرية. تم الوصول إلى اتفاق حول عقد مؤتمر يضم الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى لبحث مسألة المساعدة من جانب البلدان الغربية.

عُقد ذلك المؤتمر الثلاثي في موسكو ٢٨ أيلول - ١ تشرين الأول عام ١٩٤١. وأكَّد الرئيس في رسالته إلى رئيس الحكومة السوفييتية، التي تمَّ إيصالها عبر ا. هاريمان رئيس وفد الولايات المتحدة الأمريكية إلى المؤتمر من جديد على «عزمه الصلب لتقديم كل المساعدة الممكنة»[١]. أوصى روزفلت بعد مؤتمر موسكو أن يقدم قرضاً إلى الاتحاد السوفييتي من الأموال المعتمدة حسب خطة ليند - ليز دون فائدة بمبلغ مليار دولار. ولقد قيمت الحكومة السوفييتي ذلك «كدعم جدي بصورة استثنائية للاتحاد السوفييتي في نضاله العظيم والصعب...»[٢]. وحسب البروتوكول في موسكو، انخفض المبلغ في الولايات المتحدة من ٣٤٠ مليون حتى ٢٧٠ مليون دولار، وكانت الإرساليات التي يجب إيصالها إلى الاتحاد السوفييتي نحو ٣٠ مليون دولار في الشهر. بيد أن هذه المساعدات حسب اعتراف النشرة الأمريكية الرسمية قد «انخفضت كثيراً عن الكمية التي وافقت الولايات المتحدة على إرسالها...»[٣]، وذلك في أشهر تشرين الأول - كانون الأول عام ١٩٤١. خاضت القوات المسلحة السوفييتية المعركة في ضواحي موسكو، وهي

(١) تبادل الرسائل بين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥ في جزأين. موسكو، ١٩٧٦، الجزء ٢، ص ١١.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٣.

(٣). Industrial Mobilization for War. vol. 1, p. 133

واحدة من المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية، دون أي مساعدة تذكر من جانب الحلفاء.

جرت أول مباحثة بين روزفلت وتشرشل في الفترة الممتدة بين بعثتي هويكينز وهاريمان إلى موسكو في خليج آرجنسيا (جزيرة نيوفاوندلاند) أثناء الحرب. وفي هذه الاجتماع تمَّ إقرار ميثاق الأطلسي - الإعلان الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا حول أهدافهما في الحرب، الصادر في ١٤ آب. كان الميثاق يعلن عن رفضه لامتلاك الأراضي وعدم الاعتراف بالاستيلاء بالقوة على أراضي الغير، واحترام حقوق الشعوب في تقرير المصير، والمساواة في التجارة والدخول إلى مصادر الخامات العالمية (بيد أنه ضعف بسبب مراعاة شروط الالتزامات القائمة بين إنكلترا والولايات المتحدة)، وبناء عالم ما بعد الحرب على أساس رفض استخدام القوة، على قاعدة التعاون الاقتصادي، والأمن الشامل، وحرية البحار، ونزع السلاح[١].

إن الميثاق الأطلسي، الذي كان يطالب بـ «القضاء النهائي على الطغيان النازي» لم يضع الولايات المتحدة الأمريكية شكلياً فقط، وإنما فعلياً إلى جانب خصوم الحلف الفاشستي -العسكري. كان هذا الفعل من جانب الولايات المتحدة «يساوي في الظروف الطبيعية فعل الحرب»[٢].

وفي إعلان خاص في ٢٤ أيلول عام [٣]١٩٤١، عبّرت الحكومة السوفييتية عن «موافقتها على المبادئ الأساسية» في الميثاق. ولكن، وخلافاً

---

(١) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية: الجزء من ١-٤. موسكو، ١٩٤٤-١٩٤٧، الجزء ١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) Churchill W. The Second World War: vol. 1-6. L., 1949-1954, vol. 2, p. 444

(٣) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية، الجزء الأول، ص ١٤٤-١٤٧.

للميثاق، الذي غابت عنه التوصيات العملية، فإن الاتحاد السوفييتي كان يؤكد المهمة الأساسية الحالية وهي - تركيز جهود الشعوب المحبة للحرية للقضاء السريع على العدو.

لم تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية الإمكانيات التي تمتلكها لتحقيق مبادئ الميثاق الأطلسي، ولا سيما في مسألة تفعيل المساعدة للاتحاد السوفييتي. في غضون ذلك فإن المطالب المنادية بتقديم تلك المساعدة كانت تزداد تحت تأثير النضال البطولي للمواطنين السوفييت. وبمقدار ما كانت تنهار الأسطورة حول الجيش النازي الذي لا يقهر بفضل هذا النضال، كما تذكر فيما بعد س. ويليس، فإن «حماس الرأي العام كان يتصاعد، وأصبحت المطالبة بتقديم أية مساعدة يمكن أن يقدمها إنتاج بلادنا العسكري للاتحاد السوفييتي شاملة»[1].

أظهر الممثلون الرئيسيون للمجتمع الأمريكي نشاطاً كبيراً في الحملة من أجل تقديم المساعدة إلى الاتحاد السوفييتي، وبالدرجة الأولى الشيوعيون والنقابات كذلك. ويمكن الحكم على جماهيرية حركة التضامن مع نضال الشعب السوفييتي من قرارات المؤتمرات الوطنية لفدرالية العمل الأمريكية وكونغرس النقابات الإنتاجية، اللتين كانتا تضمان في صفوفهما أكثر من ١٠ ملايين عضو. إذ اتخذ مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل المنعقد في سياتل ما بين ٦-١٦ تشرين الأول قراراً حول تقديم «المساعدة الكاملة إلى الشعب الإنكليزي وحلفائه: المادية، والمالية، والمعنوية، لأجل القضاء على هتلر والهتلرية، ومحوهما من على وجه الأرض»[2]. كانت (التعليقات) على القرار إلى

---

(١) Welles S. Op. cit, p. 172.

(٢) American Federation of Labor. Annual Convention, Report of Proceedings, 1941. Wash., 1941, p. 664-665, 667.

جانب ذلك تشهد - على أن زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل وافقوا على مضض على تقديم المساعدة إلى الاتحاد السوفييتي. لقد ذكر بالأسماء مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية المنعقد في ديترويت ما بين ١٧-٢٢ تشرين الثاني «تقديم كل المساعدة الممكنة عاجلاً لإنكلترا، والاتحاد السوفييتي والصين، والتعامل الكامل مع هذه الدول أمر هام بصورة استثنائية لأمن البلاد»(١).

أكدت استفتاءات السكان التغيرات التي جرت في أمزجة السكان لصالح الاتحاد السوفييتي. فإذا وقف إلى جانب دعم الاتحاد السوفييتي بالمواد العسكرية في اليوم الثاني من الهجوم على الاتحاد السوفييتي ثلث من تم استفتاؤهم، فإن ٧ من أصل عشرة من الأمريكيين وقفوا إلى جانب تقديم العون بعد شهرين(٢). إن التغيرات في الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية أثر على قرار روزفلت المتخذ في ٧ تشرين الثاني حول أن «دفاع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو أمر بالغ الحيوية بالنسبة لدفاع الولايات المتحدة»، وكان ذلك يعني تعميم ليند-ليز على الاتحاد السوفيتي.

اعتبر قرار حكومة روزفلت هذا مظهراً من مظاهر انجذاب الولايات المتحدة إلى الصراع ضد دول التحالف الفاشستي - العسكري، الذي تميزت به الفترة الممتدة ما بين ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ وهجوم اليابان على القاعدة العسكرية - البحرية الأمريكية بيرل هاربر في ٧ كانون الأول من العام نفسه.

كان يعود للجماهير الشعبية التي كانت القوة المحركة للنضال المعادي للفاشستية الدور الأول في دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الائتلاف

(١) Daily Proceedings of the Fourth Constitutional Convention of the Congress of Industrial Organizations, Detroit, November 17-22, 1941. Wash., 1946, p. 134.

(٢) Public Opinion, 1935-1946, p. 1102.

المعادي للفاشستية، الذي تشكل نهائياً إثر بيرل هاربر، وتحطيم الجيش النازي على مشارف موسكو. وحسب رأي ج. غيللاب الذي أشار إلى (الفكر الجماعي الرشيد) للأمريكيين، فإن الشعب استوعب خطر هتلر قبل أن تشعر به الحكومة بمدة طويلة[1].

انتصبت مسألة الدخول في الائتلاف المعادي للفاشستية أمام الولايات المتحدة الأمريكية بالارتباط مع عقد اتفاقية سوفييتية - إنكليزية حول الأعمال المشتركة في الحرب ضد ألمانيا (من ١٢ تموز عام ١٩٤١). لقد تحدث رئيس الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية أو. فوستر بعد عدة أيام في سان فرانسيسكو، بأنه «يقع على عاتق الشعب الأمريكي واجب تاريخي هو دعم التحالف السوفييتي - الإنكليزي بجميع الوسائل»[2]. أدرك قسم من ممثلي الطبقة الحاكمة معنى ضرورة التقارب مع الاتحاد السوفييتي. ومن هنا جاء تعهد الولايات المتحدة الأمريكية الموثق في المذكرتين المتبادلتين بين ك. ا. أومانسكي، وس. ويلس في ٢ آب، حول تقديم المساعدة الاقتصادية إلى الاتحاد السوفييتي في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية. وضعت الاتفاقية السوفييتية - الإنكليزية وتبادل المذكرتين السوفييتية - الأمريكية تحالف الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، وإنكلترا على أساس عملي.

تحت تأثير نضال الاتحاد السوفييتي ضد العدوان الهتلري المدعوم من كل البشرية التقدمية، كان عزم الشعب الأمريكي يزداد أيضاً للمشاركة الفعالة بصورة أكبر في النضال ضد القوى الفاشية. إذ شارك القسم الأعظم من الأمريكيين ا.

---

(١) الأسبوع (نيديليا) ١٩٧٣، رقم ٣٣، ص ٥.

(٢) الأممية الشيوعية، ١٩٤١، رقم ٨، ص ٧٢.

آينشتاين بقناعته في أن القضاء على خطر السيطرة العالمية «لأكثر أعداء الإنسانية فظاعة» يمكن فقط، من خلال مواجهة هؤلاء الأعداء بالقوة المنظمة لخصوم الفاشية المنظمة[١]. وكما كتب أو. لانغر وأي. غليسون، فإن «الرأي العام الأمريكي حتى عام ١٩٤١ كان متماثلاً إلى حد بعيد مع الموقف المعارض للنازية وبلدان (المحور). كان موحداً في رغبته وحزمه بأن يرى النازية مندحرة...»[٢].

أثر الوضع الجديد للقوى في العالم، بعد ٢٢ حزيران عام ١٩٤١، وتشكل الائتلاف المعادي للفاشستية، على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية سواء في الشرق الأقصى، أو في أوروبا على وجه الخصوص. ومع ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتخلّ في علاقاتها مع اليابان تماماً عن محاولات (التهدئة) مع المعتدي الياباني. لقد كانت المفاوضات السرية جارية بين هيل والسفير الياباني نومورا في واشنطن حتى بيرل هاربر. استخدمت اليابان المفاوضات التي بدأت في ربيع عام ١٩٤١ كستار لتحضير هجومها على الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى. كان استمرار النهج الأمريكي السابق في الشرق الأقصى يفسر إلى حد بعيد بتأثير وزير الخارجية ك. هيل، الذي عارض في وقته فرض عقوبات اقتصادية ضد اليابان، وسعى لعقد صفقة معها[٣]، بيد أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية المتعلقة بالشرق الأقصى تغيرت من الاستمرار بنهج (التهدئة) السابق مع اليابان إلى العمل لتقليص توسعها بصورة ما.

كانت التأرجحات في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه اليابان تفصح عن نفسها في سير المفاوضات الأمريكية - اليابانية. ففي ٢١ حزيران عام

---

(١) Einstein on Peace /Ed. By O. Nathan, H. Norden. N.Y., 1960, p. 319.

(٢) Langer W.L., Gleason S.E. Undeclared War, 1940-1941. N.Y., 1953, p. 792.

(٣) Pratt J.W. Cordell Hull, 1933-44; vol. 1,2. N.Y., 1964, vol. 2, p. 452.

١٩٤١، وعلى أعتاب الهجوم الهتلري على الاتحاد السوفييتي، سلم هيل السفير الياباني مذكرة، تمت فيها ولأول مرة خلال مفاوضات الولايات المتحدة صياغة مفصّلة لموقفها تجاه المسائل المختلف حولها: وجود القوات اليابانية في الصين، والتزام اليابان بالحلف الثلاثي، ومراعاة مبادئ (الأبواب المفتوحة)، وأمن بلدان جنوب شرق آسيا وغيرها[١]. كانت المذكرة الأمريكية تشهد على أن الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال إلحاحها على طرح مطالبها الأساسية، كانت تعد نفسه للتملص من تنازلات غير مهمة نسبياً. لكن اليابان لم تكن ترغب أيضاً في قبول المطالب حول إخراج قواتها من الصين.

لم يتم تعزيز مذكرة هيل، التي كانت تعكس تفاقم المتناقضات الأمريكية اليابانية، بأعمال فعَّالة. وعندما اقترح وزير الداخلية غ. إيكس، وهو المؤيد لفكرة المواجهة النشطة ضد اليابان، اعتماد الحظر على إرسال النفط الأمريكي إليها، أجاب الرئيس روزفلت بالرفض مستنداً إلى أنه «من أجل الإشراف على الأطلسي تحوز المساعي الموجهة للحفاظ على السلم في المحيط الهادئ على أهمية كبيرة بالنسبة لنا»[٢]. رفضت الولايات المتحدة الأمريكية بعناد أكثر من مرة اقتراحات إنكلترا، التي كان التعاون بينها وبين الولايات المتحدة قد تعمق، بالانتقال إلى الأعمال المشتركة ضد اليابان.

ولكن إمكانيات المناورة المتاحة لأنصار (التهدئة) مع اليابان الأمريكان كانت تتضاءل باستمرار. وفي هذا السياق، فإن نتائج أوامر روزفلت التي اتخذها في ٢٦ تموز عام ١٩٤١ حول تجميد الأموال اليابانية في الولايات

---

(١) FRUS, Japan, 1931-1941: vol. 1,2. Wash., 1943, vol. 2, p. 485-492.

(٢) The Secret Diary of Harold L. Ickes: vol. 1-3. N.Y., 1953-1954, vol. 3, p. 557-558; Franklin D. Roosevelt. His Personal Letters, 1928-1945: vol. 1,2 /Ed. By E.

المتحدة الأمريكية، رداً على الاحتلال الياباني لجنوب الهند الصينية، كانت بالغة الدلالة.

لقد كانت خطوة «يجب أن تختار فيها اليابان إما الاتفاق أو الحرب معنا»[١] حسب كلمات غ. فيس (مستشار وزير الخارجية في أعوام الثلاثينيات ومؤلف البحث الأشهر للعلاقات الأمريكية-اليابانية في ذلك الوقت). بيد أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن ترغب بالتخلي كاملاً عن التصدير إلى اليابان، بما في ذلك تصدير النفط. كانت التوصيات المؤكدة من قبل روزفلت في ١ آب تقضي بإعطاء تراخيص للتصدير إلى اليابان على مستوى عام ١٩٣٥-١٩٣٦، بالنسبة لبعض أصناف البانزين، وخام النفط وزيت التشحيم. إن سريان مفعول كل ذلك كان متعلقاً باستعداد اليابان للتنازلات. ولكن اليابان لم تعد تحصل على النفط من الولايات المتحدة الأمريكية بعد ٢٦ تموز.

يشرح غ. فيس نفسه ذلك الانعطاف بالأوضاع على الشكل التالي:
«مع مرور الأيام، فإن الرأي العام الأمريكي والإنكليزي قرر أن منع التجارة (مع اليابان - المؤلف) يجب أن يكون كاملاً، وأنه كان يرغب في ذلك بالذات. إن ذلك التأثير كان له نتائجه: أصبح إعطاء التراخيص هو إعادة النظر بالسياسة، والعودة إلى التهدئة»[٢]. أجبر العداء للفاشية من قبل الجماهير الشعبية الأوساط الحاكمة على السير إلى الأمام أبعد مما كانت تريد، على طريق مجابهة العدوان.

---

(١) Feis H. The Road to Pearl Harbor. The Coming of the War between the United States and Japan. Princeton, 1950, p. 239.

(٢) Ibid, p. 248.

كانت العلاقات مع ألمانيا الهتلرية أكثر توتراً أيضاً. فبعد أن تعرضت المدمرة الأمريكية (غرير) للهجوم جنوب شرق غرينلاندا من قبل غواصة ألمانية-فاشية[1]، صرح روزفلت في ١١ أيلول، أن هذا الهجوم - «ليس عملية عسكرية محلية»، وإنما «يعكس خطاً محدداً، موجهاً لإنشاء نظام عالمي دائم، مبني على العنف، والإرهاب والقتل». أوصى الرئيس بأن لا تقوم دوريات السفن والطائرات بحراسة البواخر الأمريكية فقط من الآن فصاعداً، وإنما البواخر التي تسير تحت أي علم «المشتغلة بالتجارة في منطقة بحرية، مهمة بالنسبة لدفاعنا». لقد تم إعطاء الأمر لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية الحربي «بفتح النار دون إنذار»[2]. بدأ الأسطول البحري - الحربي للولايات المتحدة الأمريكية الحرب البحرية غير المعلنة مع ألمانيا في المحيط الأطلسي.

باشرت الحكومة حملة لأجل إلغاء قانون الحياد، الذي كان يمنع تسليح السفن التجارية الأمريكية لأهداف الدفاع الذاتي وإبحارها في مناطق الأعمال الحربية، وذلك بمناسبة القرار المتعلق بحراسة السفن التجارية من هجمات الغواصات الألمانية الفاشستية. (أغرقت الغواصات النازية، وأعطبت في النصف الثاني من أيلول وتشرين الأول خمس سفن تجارية أمريكية أيضاً).

سار الرأي العام بخطوات أبعد، من خلال مطالبته بعدم إعادة النظر، وإنما بإلغاء القانون كاملاً. كان الكونغرس أقل فعالية. ومما له بالغ الدلالة، أن نتائج التصويت في الكونغرس التي أيدت في النصف الأول من تشرين الثاني

---

(١) قبل ذلك، في حزيران – آب عام ١٩٤١، أغرقت الغواصات الألمانية أربع سفن أمريكية في الأطلسي.

(٢). Peace and War, p. 737-743

تغيير القانون التي لم تتم بأكثرية كبيرة من الأصوات[1]، لم يقيم في علم تدوين التاريخ البرجوازي على أنها انعكاس للموقف الحقيقي للشعب الأمريكي[2].

وهكذا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تخلت حتى كانون الأول عام ١٩٤١ عن جميع أنظمة قانون الحياد، المتخذة في عام ١٩٣٥. إن القرارات المتخذة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بدعم الاتحاد السوفييتي في حربه ضد الفاشية، والدخول في الائتلاف المعادي للفاشستية الذي كان يتشكل من جانب، وقطع الروابط التجارية الأمريكية-اليابانية والنضال ضد أسطول الغواصات النازية في الأطلسي - من جانب آخر، كانت تعني أنها تقف على أعتاب الدخول في الحرب إلى جانب القوى التي تجابه الحلف الفاشستي - العسكري.



(١) أعطى التصويت أفضلية لأنصار إعادة النظر بالقانون: صوت في مجلس الشيوخ ٥٠ إلى جانب إعادة النظر، مقابل ٣٧ ضد، وفي مجلس النواب ٢١٢ صوتاً مقابل ١٩٤: Congressional Record, vol. 87, pt8, p. 8680, 8891.

(٢) Divine R.A. Op. cit., p. 147.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث عشر

من بيرل هاربر حتى إنزال القوات الأمريكية -الإنكليزية في شمال إفريقيا

١ - الانخراط في الحرب العالمية الثانية قرارات مؤتمر واشنطن (عام ١٩٤١-١٩٤٢)

كان الهدوء التام يسيطر على هاواي صباح الأحد الباكر في ٧ كانون الأول عام ١٩٤١، وكانت الجزر تصحو ببطء تحت أشعة الشمس المنبعثة، والجو خالياً من الغيوم، ويخيم الهدوء على البحر. وكان النهار يعد بأن يكون جيداً، فالحرب تبعد آلاف الأميال من هنا. اجتمع في خليج بيرل هاربر أكثر من ٩٠ سفينة. وفي المطارات الهادئة والخالية من الناس، اصطفت عشرات الطائرات، وكأنها على أهبة الاستعراض.

في الساعة السابعة تماماً، وكما هي العادة، دوى الأمر لجميع السفن «إلى النهوض!». كان أكثر من ثلث الضباط والبحارة غائبين، بسبب حصولهم على استراحة على الشاطئ، وكان رجال مدفعية الطيران ينتظرون بفارغ الصبر، وهم بحالة اشتياق جولة تبديل المناوبات. وكان الضباط يتناقشون بلا مبالاة في المطعم، وهم بانتظار وجبات الإفطار، حول كيفية قضاء يومهم. وأقفل العاملون في مجال الرصد أجهزة الرادار متأهبين للذهاب إلى المدينة، لكن الشاحنة تأخرت لسبب ما.

قرر الرقيب إيليوت أن يقضي وقت فراغه وهو يتدرب على جهاز الرادار، وسرعان ما رأى على الشاشة صورةً لأجسامٍ تقترب من ميناء الطائرات. أخبر الرقيب الملازم بصورة عاجلة، والذي أخبر بدوره - المركز الإعلامي، وجاءه الرد من هناك: لا يوجد داعٍ للقلق.

وفجأة، تناهى إلى الأسماع دوي محركات متزايد في السماء. وفي الساعة ٧ و ٥٥ دقيقة ظهر عدد كبير من الطائرات فوق الميناء والمطارات - بلغ مجموعها ١٨٣ طائرة. بدأت قاذفة القنابل المتقدمة بالهجوم، ولحقت بها الطائرات الأخرى. وإنهالت جبال من القنابل والطوربيدات على الأهداف المرئية بصورة ممتازة - البوارج الجسيمة الساكنة، والطرادات، والمدمرات، والطائرات. وقد اكتمل الأزيز الحاد للقنابل بالانفجارات المُصِمَّة. ونشبت الحرائق في السفن، وانفجرت الذخائر، وارتفعت إلى السماء أعمدة من الماء. وتحوَّل الميناء ليصبح أشبه بفوهة بركان تنفث النار. وأخذت سفينة (آريزون) المحاطة باللهب، والتي أصبحت هدفاً لعدة هجمات بالطوربيدات والقنابل تغوص في المياه وغرقت، حاملة معها أكثر من ألف شخص من طاقمها[1]. وشقت ثلاثة طوربيدات الباخرة الخطية الكبيرة الأخرى - (أوكلاهوما). والتي جنحت مباشرة وانقلبت، وابتعلتها الأمواج الباردة والعاتمة... أما الطائرات فلقد استمرت بتركيز القصف الجوي، مسقطة القنابل، وموجهة الطوربيدات إلى الأهداف المحددة.

لقد تمت مباغتة قيادة الأسطول والقوات الجوية الحربية في هاواي على غرة، الأمر الذي أثار الارتباك. حاولت بعض المدافع المضادة للطيران أن

(١) نينيتس تش.، بومير أي. الحرب في البحر، ١٩٣٩ - ١٩٤٠. موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٤٩.

تفتح النار، لكن دون جدوى. وتم إسقاط معظم المطاردات الأمريكية التي ارتفعت في الجو.

انتهى الهجوم الأول لليابانيين في الساعة الثامنة و٣٠ دقيقة. وإثر ذلك، وبعد استراحة قصيرة، ظهرت فوق الميناء الموجة الثانية من الطائرات - ١٧٠ قاذفة قنابل ومطاردة. وأخذت تقصف بالقنابل الميناء والمطارات بصورة منهجية، دون أن تمس، ويا للدهشة مستودعات الوقود، وكانت ضخمة - ٤٠٠ ألف طن مازوت[1]. استمرت الغارة الجوية ساعة و ٣٥ دقيقة فقط. ففي الساعة ٩ و ٣٠ دقيقة انتهى كل شيء، وبدأ الطيران الياباني بالابتعاد عن جزر هاواي.

أصيب الأسطول الأمريكي بخسائر فادحة، نتيجة الهجوم المباغت لليابانيين، وإهمال القيادة في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أصل ثماني سفن خطية كانت ترسو في الميناء، غرقت خمس سفن، وأعطبت السفن الثلاث الأخرى بصورة جدية، وتم تدمير ٢٧٢ طيارة. بلغت الخسائر البشرية ٣٤٠٠، بما في ذلك ٢٤٠٢ قتيلاً[2]. أما خسائر اليابانيين فلم تكن جسيمة: ٥٥ طياراً، و٢٨ قتيلاً، و٤٧ طائرة متضررة[3].

هاجمت القوات المسلحة اليابانية بنفس الوقت جزر غوام، وويك، وميدوي، وباشرت بهجوم واسع على جنوب شرقي آسيا. وفي ٨ كانون الأول

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٥٠.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً. موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢، الجزء الرابع، ص ٣٨٨.

(٣) خاموري ت. اليابان في الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٧٣، ص ١١٠.

سميرنوف ل. يا؛ زايتسيف ي.ب. محاكمة في طوكيو. موسكو، ١٩٧٨، ص ٢٨١.

أقدم الطيران الياباني على قصف المطارات الأمريكية والقاعدة البحرية الحربية كاويت على جزيرة لوسون، ودمر خلال ذلك نصف قاذفات القنابل الثقيلة وأكثر من ثلث المطارات. وفي ١٠ كانون الأول قامت القطعات الأمامية من الجيش الـ ١٤ بعملية إنزال في لوسون، وبدأت القوات البرية الأمريكية-الفيليبينية بالانسحاب بعد تعرضها للخسائر.

وبالإضافة لذلك، ففي ليل ٨ كانون الأول قامت قطعات الإنزال اليابانية بتغطية من الطيران بالنزول في مالايو البريطانية. وأغار اليابانيون كذلك على تايلاند من أراضي الهند الصينية. وفي ١٠ كانون الأول هاجمت الطائرات اليابانية، وأغرقت بارجةً وطراداً بريطانيين. وقد بقيت القوات البرية للإنكليز دون غطاء ودعم من البحر(١).

عكّر الخبر الرهيب والمفاجئ من بيرل هاربر الحياة السلمية لواشنطن. وفي منتصف النهار، عندما كان الرئيس روزفلت ومستشاره المقرّب هوبكينز يتباحثان على الإفطار، دوّى في البيت الأبيض رنين هاتف مديد ومقلق. أخذ الرئيس السماعة وسمع صوت وزير البحرية الحربية نوسك المتهيج بصورة غير طبيعية، الذي أخبره أن: اليابان تهاجم هاواي. وقد لاحظ هاري هوبكينز دون أن يصدق الخبر: «من المحتمل أنها خطأ»(٢). بيد أن الواقع القاسي أزال كل الشكوك.

لم يتنبؤوا في واشنطن بمثل ذلك التطور في الأحداث. فقد بنى قادة الولايات المتحدة الأمريكية لسنوات طويلة حساباتهم على فكرة اصطدام اليابان العسكري مع الاتحاد السوفييتي، وكانوا يعتقدون بإمكانية حدوث

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٤، ص ٣٨٩-٣٩٢.

(٢) Adams H.H. Harry Hopkins. A Biography. N.Y., 1977, p. 258.

هجوم ياباني على الممتلكات البريطانية أيضاً، وحتى إنهم كانوا ينتظرون ذلك. كان ممثلو الهيئات القيادية العليا في الجيش والأسطول مقتنعين، أن الحرب في المحيط الهادي ستنشب من كل بد، ويمكن أن يحدث ذلك في كانون الأول. لكنهم لم يكونوا يعتقدون بفكرة أن اليابان ستتجرأ بتوجيه الضربة الأولى على بيرل هاربر بالذات. لقد تحدث روزفلت أكثر من مرة وبثقة إلى هوبكينز أن اليابانيين يجتهدون لتجنب الصدام المسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية، ويمتنعون عن الهجوم المباشر على الفيليبين ولاسيما على هاواي. إن هدفهم هو الممتلكات الاستعمارية البريطانية، والفرنسية، والهولندية في جنوب - شرقي آسيا. وهم يفضلون الهجوم في اللحظة المؤاتية على روسيا[1]. وفي غضون ذلك، وكما تمت الإشارة إليه، فإن تفاقم التناقضات الأميركية - اليابانية التناحرية باليوم وصلت إلى حدها الأعلى، ولم تؤدِّ المفاوضات الدبلوماسية الطويلة بين واشنطن وطوكيو إلى أية نتائج، وتحت غطاء هذه المفاوضات كان كلا الجانبين يستعدان للحرب، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى للتأخر بدخولها قدر الإمكان، وكان الطرفان يحاولان استغلال الوقت لصالحهما، من أجل إنشاء جيش قوي.

قرروا في طوكيو أخذ المبادرة، وتوجيه ضربة مفاجئة وقاصمة لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي بهدف إخراجه نهائياً من الحرب، وكانت اليابان في عجالة لتغيير تناسب القوى لمصلحتها، وتأمين ظروف ملائمة للقيام بالحرب بهدف إقامة إشراف وسيطرة على المحيط الهادي وبلدان جنوب

---

(١) شيرفود ر. روزفلت وهويكينز بعيون شاهد عيان: في جزأين. موسكو، ١٩٥٨، الجزء الأول، ص ٦٣٣؛ وسميرنوف ل.ن.؛ زايتسيف ي.ب. المؤلفات المشار إليها، ص ٣٢٢.

شرق آسيا. أدى صدام المصالح الاقتصادية والتجارية والسياسية بين اليابان والولايات المتحدة إلى النزاع المسلَّح. وقد أظهر الهجوم الياباني على بيرل هاربر خطأ حسبات القيادة الأمريكية، ووضع نهايةً لحياد الولايات المتحدة.

في ٨ كانون الأول - الساعة ١٢،٣٠ ألقى روزفلت كلمة في اجتماع غرفتي الكونغرس. وقد أصغى أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب بصمت عميق لخطاب الرئيس، الذي تحدث عن المأساة التي حدثت للأسطول الأمريكي في بيرل هاربر، والخسائر الأمريكية الكبيرة، وأطلق على اليوم الذي هجم فيه اليابانيون على هاواي باليوم «الذي سيدخل في التاريخ كرمز للعار»[١].

طلب الرئيس إعلان الحرب على اليابان، وقد أيده الكونغرس بالإجماع. لقد كلفت سياسة (التهدئة) مع المعتدي الولايات المتحدة غالياً. وحسب التعبير المجازي للسيناتور أو. بروكس، فإن «الانعزالية غرقت في بيرل هاربر»[٢].

ومع هجوم اليابان على هاواي وبلدان جنوب - شرق آسيا شمل حريق الحرب فضاءات مائية ضخمة وجزءاً مهماً بصورة أكبر من اليابسة. لقد انجرّت إلى مدار الأحداث الحربية بصورة إضافية عشرات الدول. فعلى أثر الولايات المتحدة أعلنت بريطانيا العظمى والدول التابعة لها الحرب على اليابان، وكذلك الصين وأغلبية بلدان أمريكا اللاتينية. وفي ١١ كانون الأول أعلنت ألمانيا وإيطاليا حالة الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي دخلت الحرب في نفس اليوم مع بلدان (المحور) هذه.

---

(١) شيرفود ر. المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٦٧٦.

(٢) Congressional Record, vol. 88, pt3, p. 3637.

اتخذ الصراع في الحقيقة طابعاً عالمياً. إذ توسعت جبهة النضال المعادية للفاشستية، وازدادت قوتها وارتسمت مجالاتها بصورة أدق. وضع انخراط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب أمام الإدارة عدداً من المهمات الملحة في مجال السياسة الخارجية، والتي تحددت بسرعة نتيجة التغير في الظرف العالمي والعسكري-السياسي.

كانت جهود السياسة الخارجية الأمريكية موجهة نحو إنشاء ظروف مواتية للقيام بالحرب ضد الحلف الفاشستي، واكتساب الحلفاء، ووضع ثقل النضال حسب الإمكانية على أكتافهم.

أعاروا في واشنطن اهتماماً خاصاً لموقف الاتحاد السوفييتي بمناسبة الحرب في المحيط الهادي. فقد وضع وزير الخارجية ك. هيل لدى مقابلته سفير الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية م.م. ليتفينتوف الذي كان وصل إلى واشنطن في ١١ كانون الأول مسألة متعلقة بالرغبة في استخدام المطارات السوفييتية في الشرق الأقصى[١]. لم يعبر هيل عن رأيه فقط: كان يدافع عن هذه الفكرة بعض ممثلي وزارة الحربية أيضاً. وقد وجه قائد القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى الجنرال ماك آرثر برقية خاصة إلى واشنطن بهذا الخصوص في ١٠ كانون الأول[٢]. رفضت الحكومة السوفييتية ذلك الاقتراح، وهي تدرك مدى العواقب الخطرة التي يمكن أن يجلبه، وبالذات فيما يتعلق بتفاقم العلاقات السوفييتية-اليابانية وانجذاب الاتحاد السوفييتي إلى الحرب على جبهتين.

---

(١) The memoirs of Cordell Hull: vol. 1,2. N.Y., 1964, vol. 2, p. 1111-1112.

(٢) Mac Arthur D. Reminiscences. N.Y., 1964, p. 122.

اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية خطوات من أجل الاطلاع على مواقف الدول الأخرى. لم تعط اجتماعات ممثلي عدد من البلدان التي عقدت في تشونتسين وسنغافورا إلا القليل.. وكانت العلاقة مع إنكلترا التي أبدت اهتماماً بتوطيد العلاقات مع واشنطن تحوز على أهمية أكبر. وما إن حمل الأثير نبأ هجوم اليابان على بيرل هاربر حتى اتصل تشرشل دون إبطاء بروزفلت وسمع منه كلمات مريحة بالنسبة له: «... الآن نحن موجودون جميعاً على قارب واحد»(١).

تمَّ التوصل إلى اتفاق حول عقد لقاء بينهما. وفي ١٢ كانون الأول توجه تشرشل على عجلة بمرافقة عدد كبير من المستشارين والمساعدين للاجتماع في واشنطن لصياغة الخطة الإستراتيجية الإنكليزية - الأمريكية المشتركة المتعلقة بسير الحرب. استمرت الاجتماعات ثلاثة أسابيع كاملة - من ٢٢ كانون الأول حتى ١٤ كانون الثاني عام ١٩٤٢.

قام الوفد الإنكليزي بتحضير كبير، وصاغ نسخة مفصلة للإستراتيجية البريطانية طوال فترة الحرب (غير مركزية). لم تأخذ الخطط الموضوعة من قبل تشرشل بعين الاعتبار الأعمال العسكرية النشطة للحلفاء ضد ألمانيا في عام ١٩٤٢. كان يجب على الجيش السوفييتي أن يخوض النضال الأساسي في القارة الأوروبية، حسب رأي رئيس وزراء بريطانيا العظمى، هذا الجيش الذي طور في ضواحي موسكو هجوماً مضاداً كبيراً، امتلك أهمية دولية، وعسكرية، وسياسية كبيرة.

استمرت معركة موسكو من ٣٠ أيلول عام ١٩٤١ حتى ٢٠ نيسان عام ١٩٤٢. ولقد خسر العدو ١١ فرقة مدرعات، و٤ فرق آلية، و٢٣ فرقة مشاة.

---

(١) شيرفود ر. مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٦٦٩.

كانت تلك الخسارة الضخمة هي الأولى لألمانيا الفاشستية في هذه الحرب، ونسفت أسطورة الجيش الألماني (الذي لا يقهر). أشار تشرشل في مذكراته إلى أنه كان على الجيش الألماني أن يكابد من المعارك الشتوية الدامية. لقد نوه بارتياح إلى أن بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية لن يشاركا في هذا القتال، سوى بإرسال المواد التي وعدا بها إلى الاتحاد السوفييتي(١).

كان ذلك الأمر من إذ الجوهر قد حدد الخط الإستراتيجي لكلا الحليفين الغربيين تجاه الاتحاد السوفييتي، اللذين سعيا لوضع عبء سير الحرب مع ألمانيا على كاهل الشعب السوفييتي.

كانت فكرة إضعاف الدولة السوفييتية في سياق صراعها المنفرد مع الرايخ، وكذلك السيطرة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، التي طورها تشرشل(٢)، تجد لها أنصاراً في الأوساط الرجعية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد صرّح المستشار الخاص للاتحاد الاحتكاري (جنرال موتورز) في ٢١ أيلول عام ١٩٤١ في معرض الحديث عن أهداف مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب: «يجب على الإنكلوساكسونيين أن يديروا العالم»(٣). مارست خطط الهيمنة تأثيراً متزايداً على إستراتيجية واشنطن الحربية والسياسية، كما كانت الأحداث تشهد.

كانوا في لندن نهاية عام ١٩٤١ مهتمين جدياً بتركيز قوات الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية الرئيسية في مسرح العمليات الحربية في المحيط الهادئ. لذلك وضعت الدبلوماسية البريطانية في مفاوضات واشنطن مهمة

---

(١) Churchill W. The Second World War: vol. 1-6. L., 1949-1954, vol. 3, p. 574.
(٢) Ibid., p. 574.
(٣) Current History, 1942, July, p. 328-331.

عدم السماح بإعادة النظر بالخطط الإستراتيجية المتفق عليها مسبقاً مع واشنطن، التي تقضي بهزيمة ألمانيا أولاً، وبعد ذلك اليابان. لقد أكد تشرشل وهو يستعرض في كلمته في الجلسة العامة النظرية البريطانية لسير الحرب، أن ألمانيا هي العدو الرئيسي، وتحطيمها هو - مفتاح النصر. لقد قال الرئيس لتشرشل: «لا تهدروا الكلمات، إن كل ذلك معلوم لدينا، بصورة لا تقلّ عنكم. إن المسألة تكمن في أننا يمكن أن نحطم اليابان ومع ذلك نخسر الحرب، إلا أنه من المستحيل إذا قضينا على ألمانيا، ألا نستطيع الإجهاز على اليابان فيما بعد»[1]. ومن ثم فإن خوف الإنكليز لم يكن مبرراً. لقد تم التأكيد في المؤتمر على المبدأ التالي: أوروبا في البداية، وبعد ذلك المحيط الهادي. من الجدير بالذكر هنا ملاحظة أن الحلفاء الغربيين في الواقع قد تصرفوا خلافاً لهذا المبدأ.

صاغ تشرشل الذي وجد فهماً مشتركاً في هذه المسألة، مع ورؤساء أركانه إستراتيجية الحرب البريطانية ضد الرايخ النازي. تحدثوا عن أهمية الإحاطة بألمانيا، وإنشاء حلقة حولها، وتحقيق السيطرة في البحر والجو. لقد ارتسمت بخطوط واضحة عملية إغلاق الدائرة وتضييقها حسب الخط الممتد من آرخانغلسك-البحر الأسود، والشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط والشاطئ الغربي لأوروبا. كان الشاطئ شمال إفريقيا يشكل في هذا المحيط العملاق حسب رأي الإنكليز الحلقة الأكثر ضعفاً، إذ إنهم اقترحوا القيام بعملية هجومية في عام ١٩٤٢[2]. لم يعارض الأمريكان فكرة الإحاطة بألمانيا، لكنهم كانوا يعتبرون أن حشد القوى على الجزر البريطانية وتطوير الهجوم في

---

(١) Hatch A. Franklin D. Roosevelt. An Informal Biography. N.Y., 1947, p. 298.

(٢) ميتلوف م، سنيل أي. التخطيط الإستراتيجي في الحرب من وراء الستار، ١٩٤١-١٩٤٢. موسكو، ١٩٥٥، ص ١١٨-١١٩، ٢٠٩.

أوروبا الغربية هو أفيد من الناحية الإستراتيجية. وقد تمسك بمثل تلك الأفكار في المؤتمر وبشكل خاص وزير الحربية غ. ستيمسون، ورئيس أركان الجيش الجنرال ج. مارشال، والجنرالين غ. ارنولد ود. آيزنهاور.

درست وزارة الحرب في الولايات المتحدة الأمريكية على أعتاب المؤتمر مسألة إنزال قوات في شمال إفريقيا. ولقد لفت أركان الجيش الانتباه وليس دون أساس إلى الظروف غير الملائمة بصورة كبيرة بالنسبة للعملية شمال إفريقيا (عدد غير كبير من الموانئ، وشبكة مواصلات غير متطورة - طرقات حديدية وبرية، والأمر الرئيسي - إن العملية في شمال إفريقيا البعيدة عن ألمانيا (تكلف كثيراً وغير مفيدة) من الممكن «أن تساعد بصورة غير مباشرة في قضية تحطيم النازيين» فقط[1]. وقف المستشار الأول للماريشال الجنرال إيميك في المؤتمر ضد الخطط الإنكليزية المتعلقة بالأعمال العسكرية في شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، مطوراً تلك الأفكار. لقد تحدث أن «اقتراحات الإنكليز قائمة على الأرجح على التصورات السياسية وليس العسكرية، وإن الموافقة عليها ستكون «خطأ من الدرجة الأولى من إذ الخطورة»»[2].

وفي غضون ذلك، عبر الرئيس روزفلت عن الرغبة في أن تشارك القوات الأمريكية «في العمليات الحربية النشيطة في أي جانب من جوانب المحيط الأطلسي»[3]. أعطيت الأوامر لرؤساء الأركان وإدارة العمليات، لدراسة إمكانيات إجراء عمليات في شمال إفريقيا. وفي سياق المناقشات تم

(١) نفس المصدر، ص ١٢٣.

(٢) نفس المصدر، ص ١٢٤.

(٣) نفس المصدر.

إقرار الاستمرار بالدراسة والتحضير لهذه العملية، وتأجيلها لحين الخروج من الحالة المتأزمة في المحيط الهادي[1].

أُوْلِيَ اهتمام كبير للبحث في الحالة العسكرية الصعبة بالنسبة للحلفاء، ولمناقشة النهج الإستراتيجي للحرب ضد اليابان في المؤتمر. كان المعتدون اليابانيون يطورون هجوماً فعالاً. ففي ٢٥ كانون الأول احتلوا هونغ كونغ، وفي ٢ كانون الثاني - عاصمة الفيليبين مانيللا، وأنزلوا قواتهم على جزر بورنيو وتسيليبيس، وبدؤوا بتكثيف الغارات الجوية على رانغون ورباباول. وظهر أن القوات الأمريكية -الإنكليزية غير مهيأة للقيام بالأعمال العسكرية، وخصوصاً للدفاع: كانت قليلة العدد، ومفرقة، وغير مسلحة بما يكفي، ولم يكن لدى الحلفاء خطة متفق عليها للقيام بأعمال مشتركة. ونتيجة تحملهم خسائر جديدة اضطروا للتراجع. انهمرت على واشنطن ولندن البرقيات اليائسة، التي تدعو إلى المساعدة: إرسال طائرات بالدرجة الأولى. وكان من ضمن المطالبين بالتعزيزات العاجلة الجنرال ماك آرثر.

وعد المشاركون في مفاوضات واشنطن بإرسال تعزيزات له، ونصحوه بالصمود في الجزر الفيليبينية لأطول مدة ممكنة. تم اتخاذ قرار بتكثيف الجهود لصد هجوم اليابانيين، وضمان أمن أستراليا، ونيوزيلاندا، والهند، وتقديم المساعدة للصين. كانت الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت تنوي استرجاع قوى أسطولها القتالية، وبناء السفن لحماية قواعدها المتقدمة وطرق المواصلات البحرية في المحيط الهادي. وبناء على اقتراح الجانب الأمريكي تم إنشاء قيادة موحدة لقوات الحلفاء المسلحة في الجزء الجنوبي - الغربي من المحيط الهادي وفي جنوب -

---

(١) نفس المصدر، الصفحة ١٤٠، ٢٠٣.

شرق آسيا بقيادة الأدميرال الإنكليزي ويغيلل، وتم إنشاء لجنة موحدة لرؤساء أركان الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا لوضع خطط سير الحرب وتنسيق ومطابقة العمليات، مقرها في واشنطن. كان يجب على التوصيات المصوغة من قبل اللجنة أن تقدم إلى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء للمصادقة. كذلك أُنشىء مجلس لتوزيع الأسلحة وعدد آخر من المجالس الموحدة.

شكل مؤتمر رئيسي حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى مرحلة مهمة على طريق تطوير الروابط التحالفية الأمريكية - الإنكليزية. تمَّ فيها اعتماد أسس الإستراتيجية المشتركة للحرب. ومع ذلك فإن الحليفين لم يستعجلا في استخدام الإمكانيات التي ظهرت نتيجة تحطيم القوات الألمانية - الفاشستية في ضواحي موسكو، لتوجيه ضربة حازمة للعدو في أوروبا الغربية.

ناقشوا في المؤتمر المسائل السياسية أيضاً، وأُعدَّت وثيقة بمشاركة فعالة من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، حصلت على تسمية إعلان الأمم المتحدة. وفي ١ كانون الثاني عام ١٩٤٢ وقعته ٢٦ دولة. كانت حكومات كلٍّ من الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى وغيرها من البلدان التي وضعت توقيعها، ملزمة باستخدام جميع الموارد، العسكرية، والاقتصادية، ضد أعضاء الحلف الثلاثي والدول المتحدة معه. أعلنت البلدان - المشاركة في الإعلان بصورة مهيبة عزمها على التعاون بعضها مع بعضٍ، وعدم عقد هدنة أو سلم مع الأعداء المشتركين[1]. كان الإعلان يحوز أهمية بالغة في تدعيم اتحاد الدول والشعوب.

---

(١) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية. وثائق ومواد: من ثلاثة أجزاء. موسكو، ١٩٤٦-١٩٤٧، الجزء الأول، ص ١٧٠-١٧١.

بعد انتهاء مؤتمر واشنطن فوراً تمَّ عقد اجتماع تشاوري في ريو دي جانيرو بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية لوزراء خارجية دول أمريكا اللاتينية. ناقشوا في الاجتماع (المنعقد ما بين ١٢-٢٨ كانون الثاني عام ١٩٤٢) المسائل المرتبطة بدخول الدول الأمريكية اللاتينية في الحرب. وضعت الولايات المتحدة الأمريكية هدفاً لها هو الموافقة على إعلان مشترك مع هذه البلدان حول قطع العلاقات الدبلوماسية مع دول (المحور) والنظر في المسائل المتعلقة بزيادة دور النصف الغربي من الكرة الأرضية في العلاقات الدولية، ونشر قوات الولايات المتحدة الأمريكية على قواعد بلدان أمريكا اللاتينية، وكذلك قضايا التعاون العسكري والاقتصادي[1].

دعمت البرازيل بصورة نشطة الولايات المتحدة الأمريكية، وانضمت إليها الدول الأخرى. في حين أعلنت الأرجنتين أنها لن تقطع العلاقات مع دول (المحور). اتخذ الاجتماع عدداً من القرارات، بما في ذلك قرارات لصالح قطع البلدان الأمريكية اللاتينية علاقاتها الدبلوماسية مع دول (المحور)، وإيقاف العلاقات التجارية والمالية المباشرة وغير المباشرة بين بلدان النصف الغربي من الكرة الأرضية والمشاركين في الحلف الثلاثي. لقد بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهوداً حيوية من أجل الموافقة على القرار المتعلق بـ (إنتاج وتبادل المواد الإستراتيجية) الذي كان يقضي بتزويد الولايات المتحدة الأمريكية بالخامات والمواد الإستراتيجية من قبل بلدان أمريكا اللاتينية. وبهذه الطريقة خضع التطور الصناعي لهذه البلدان لإشراف محدد من قبل الولايات

---

(١) بالتفصيل انظر: يانتشوك ي.ي. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية (١٩٣٩-١٩٤٥) موسكو، ١٩٧٥، ص ١٦٠-١٧٤.

المتحدة، وتحولت إلى بلدان موردة للخامات اللازمة للصناعة العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية.

اتخذ المشاركون في الاجتماع قراراً حول إنشاء لجنة استشارية طارئة متعلقة بالدفاع السياسي ومجلس دفاع للبلدان الأمريكية. لقد خلقت هذه القرارات ظروفاً مؤاتية لممارسة تأثير سياسي وعسكري على بلدان أمريكا اللاتينية من قبل واشنطن. إذ لعبت الولايات المتحدة الأمريكية الدور الحاسم في مؤسسة مجلس الدفاع الأمريكي المشترك. وليس مصادفة أن وزير الحربية ستيمسون أعلن بصورة خفية: «أن إنشاء المجلس - ليس فقط بداية للدفاع المشترك في نصف الكرة الأرضية، بدايةٌ لسياسة جديدة»[1].

ازداد نشاط السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية بصورة واضحة، واشتدت مواقعها الاقتصادية في هذا الإقليم. أصبحت أمريكا اللاتينية مصدراً مهماً لتزويد الولايات المتحدة الأمريكية بالمواد الإستراتيجية. لقد استوردت من هناك خلال أعوام الحرب فقط ٨٣% من النحاس، و٥٦,٤% من القصدير، و٤٩,٤% من الولغرام (تنجستين)، ٧٠,٧% من الفاناديوم، ٦٧,٤% من الزئبق، و٤٨,٨% من الميكا. وكانت البرازيل ترسل إلى الولايات المتحدة فلز الحديد، وفنزويلا - النفط. حصلت الشركات الأمريكية من أمريكا اللاتينية على الكاوتشوك، والبوكسيت، والبزموت، والكحل، والكينا، والزرنيخ وغيرها[2].

---

(١) استشهاد مأخوذ من تاريخ الدبلوماسية، ٥ أجزاء، موسكو، ١٩٥٩-١٩٧٩، الجزء ٤، ص ٦٠١.

(٢) يانتشوك اي. اي. المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨.

لقد أشرفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة بنك التصدير والاستيراد على كل السياسة الإقراضية لبلدان أمريكا اللاتينية، وتحت حجة الدفاع أقدمت على تطوير قواعدها العسكرية البرية والبحرية في عدد من هذه البلدان، وقامت بالإشراف على طرق المواصلات الإستراتيجية المهمة(١). أخذت تظهر في كثير من البلدان البعثات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية. كان الأمريكيون اللاتين يتزودون بالأسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت أعدادهم تتوجه بصورة متزايدة للدراسة في المدارس والأكاديميات العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية موجهة بصورة عامة إلى إخضاع اقتصاد أمريكا اللاتينية وإنشاء حلف سياسي -عسكري من بلدان نصف الكرة الأرضية الغربي في المستقبل تحت رعايتها.

كان اهتمام الإدارة منصبّاً إلى جانب مناقشة قضايا السياسة الخارجية على حل المشاكل الاجتماعية والسياسة المهمة والملحة، وكانت إعادة بناء الاقتصاد وإخضاعه للأهداف العسكرية تحوز الأهميةَ الأولى.

٢ - إعادة بناء الاقتصاد

هزّ نبأ تحطيم أسطول الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي البلاد، وحدث انعطاف حاد في أمزجة الأمريكان، واختفت أوهام الحياد، وأخذ الكثير منهم يتطوعون في الجيش والأسطول. وكان العمال في الصفوف الأولى. لقد انهمرت على مقرات الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية

---

(١) Seals C. Pan American. Boston, 1940, p. 432, 439, 446. انظر كذلك:

- بونوماريوف ن.ب.، وسميرنوف اي. ا. النظام دون الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية. مسائل التاريخ ١٩٨٤، رقم ٦.

الكثير من رسائل العمال، وقرارات الاجتماعات النقابية. التي كان يتم التعبير فيها عن الرغبة والاستعداد لخوض النضال ضد المعتدين، والمساعدة بجميع الوسائل على تعزيز القدرة العسكرية للبلاد وحشد مواردها للحرب(١).

اتخذت اللجنة التنفيذية للفدرالية الأمريكية للعمل قراراً في ١٥ كانون الأول حول التخلي عن الإضرابات. وبعد يومين عُقد اجتماع لممثلي الفدرالية، ناقش مسألة مهام التريد - يونيونات بمناسبة انخراط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب. وهكذا كان موقف قادة كونغرس النقابات الإنتاجية. وعند ذاك، وبمبادرة من الرئيس روزفت، تمَّ في واشنطن لقاء ممثلي الصناعة، والنقابات والإدارة، من أجل الاتفاق أثناء الحرب حول (السلام في الصناعة)، وفي الشركات، وحول وسائل تسوية علاقات العمل.

استمرت الاجتماعات من ١٧ حتى ٢٣ كانون الأول، سعى خلالها ممثلو عالم الأعمال لأن يضعوا شروطاً ملائمة بصورة أفضل لمصالح أرباب العمل، وطالبوا بتخلي العمال عن الإضرابات. وافق قادة التريد-يونيونات على تثبيت هذا التخلي، ولكنهم اقترحوا إنشاء إدارة حربية من أجل تسوية علاقات العمل يدخل في عدادها ممثلو الإدارة وعدد متساوٍ من ممثلي النقابات وأرباب العمل. تمَّ التوصل إلى اتفاقية بين المشاركين في هذا الاجتماع، جاء فيها: أن العمال لن يلجؤوا إلى الإضرابات، أما النزاعات التي تبرز فسيتم حلها بالطرق السلمية. ولأجل ذلك يجب على الرئيس أن يشكل إدارة حربية للعمل(٢). كان

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية والزمن المعاصر: في جزأين. موسكو، ١٩٧٠-١٩٧١، الجزء ٢، ص ٧١.

(٢) انظر بالتفصيل: سيفاتشيف ن.ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ٩٠-٩٣.

أرباب العمل راضين عن نتيجة الاجتماعات التي كانت تقضي بالحفاظ على (السلم في الصناعة). وارتسمت أمامهم آفاق تفاؤليّة لانتعاش في الاقتصاد، الذي كان خلال فترة طويلة بحالة من الأزمات والكساد.

أعلنت منظمات المزارعين، التي كانت تتخذ مواقف انعزالية لفترة طويلة من الزمن، عن دعم الحكومة في مسألة الحرب. ففي المؤتمر السنوي للفدرالية الأمريكية للمزارعين المنعقد في ٩ كانون الأول أشار مكتب الرئيس إدوارد أونيل إلى أن المزارعين يدركون واجبهم، ويعلمون أن المواد الغذائية تعدّ سلاحاً مهماً في الحرب[١]. وفي اليوم التالي صرَّح ممثل اللجنة التنفيذية لـ «نيشنل غريندج» فريد فريستوون: إن «غريندج وكل المزارعين سيقومون بواجبهم»[٢]. ولقد اتخذ الاتحاد الوطني للمزارعين الموقف نفسه.

كان الحزب الشيوعي يدعو الشعب لتوحيد كل القوى للنضال ضد دول (المحور). تطوع الكثير من الشيوعيين في الجيش والأسطول لحمل السلاح من أجل القتال ضد المعتدين. وتمَّ التوصل إلى اتفاق بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري حول إيقاف الخلافات بين الحزبين أثناء الحرب، وتمَّ إعداد تدابير من قبل ممثلي عالم الأعمال والمنظمات الاجتماعية حول تعبئة العمال وكل أعضاء النقابات لزيادة إنتاج السلاح وتأمين الجبهة بكل ما هو ضروري لها.

وهكذا، نشأت في البلاد ظروف مواتية بصورة أكبر لسير الحرب.لقد عبَّر الشعب الأمريكي عن استعداده للمشاركة الفعالة في النضال ضد المعتدين، الأمر الذي عزَّز الطابع المعادي للفاشية للحرب.

---

(١) New York Times, 1941, Dec. 10.

(٢) Ibid., Dec. 11.

ومع دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب تم اتخاذ نهج موجه إلى إنشاء اقتصاد حربي بصورة حثيثة، وزيادة عدد الجيش والأسطول والطيران. وفي البلاد تمَّ إعلان التعبئة العامة. وخلال عام، قضت وزارة الحربية بإيصال عدد الجيش إلى ٥,٤ مليون[1]. وكان عليها أن تسلح وتدرب هذا العدد. وفي ٦ كانون الثاني عام ١٩٤٢ أعلن الرئيس في رسالته إلى الكونغرس (برنامج الانتصار)، الذي يستند إلى النمو الذي لا يستهان به في الإنتاج الحربي. وفي عام ١٩٤٢، كان يجب على الصناعة أن تنتج ٦٠ ألف طائرة، و٤٥ ألف دبابة، و٢٠ ألف مدفع طيران، و٥٠٠ ألف رشاش، و٧٢٠ ألف قنبلة طيران، وبناء سفن تجارية بحمولة عامة تصل إلى ٨ ملايين طن[2]. وعلى الرغم من أن الأرقام المشار إليها لم تتحقق، فاق مستوى الإنتاج الحربي للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٢ بصورة واضحة مؤشرات عام[3] ١٩٤١.

دخلت حكومة روزفلت بإعلانها برنامجاً واسعاً حول تحويل الاقتصاد إلى الإنتاج الحربي في طريق تنظيم الدولة العسكري والإشراف عليه. الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد لجأت إليه سابقاً. فمن المعروف أن الرئيس ف. ويلسون أنشأ إدارة خاصة للإنتاج الحربي في عام ١٩١٧، وتمَّ إعطاؤها صلاحيات الإشراف على توزيع المواد الحربية والمنتجات الصناعية، وإقرار الحصص في مجال استئجار القوة العاملة وأسعار الإنتاج[4].

---

(١) ميتلوف م. ، سفيل اي. المصدر السابق، ص ٤٤٧.

(٢) شيرفود ر. المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٥٣.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٤، ص ٤٤١.

(٤) الولايات المتحدة الأمريكية: الدولة والاقتصاد. موسكو، ١٩٧٦، ص ٣٢-٣٣.

اصطدمت الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الثلاثينيات بالأزمة الاقتصادية العميقة، ودخلت كذلك في طريق تنظيم الدولة. إذ كانت تشارك نحو ١٠٠ وزارة ووكالة ولجنة وهيئة وإدارة كذلك، في وضع واتخاذ التدابير الاقتصادية الموجهة ضد الأزمة(١). اتخذ التنظيم الدولي، بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، الذي لجأت إليه الطبقة الحاكمة، كما تمت الإشارة إلى ذلك، أثناء الحرب العالمية الأولى أعوام ١٩١٤-١٩١٨، وفي أعوام الثلاثينيات، اتخذ مدىً واسعاً لا نظير له. وتوخى أهدافاً طبقية محددة تماماً: تمركز القدرات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية في أيدي الدولة بصورة كبيرة، ثم استخدامه لصالح الرأسمال الكبير، وتأمين أقصى حد من الأرباح المضمونة للاحتكارات، وتسريع إنشاء الآلة الحربية-الاقتصادية على شروط مفيدة لها من أجل تلبية حاجات الحرب. لقد سرّعت الحرب عملية التحام الاحتكارات بجهاز الدولة.

تمَّ إنشاء أكثر من ٢٠ إدارة في مختلف مسائل تنظيم الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية. كان السفير البريطاني في واشنطن اي. غاليفاكس قد نوه في استعراض سري خلال عام ١٩٤٢ أن قادة هذه الإدارات التي أعطيت صلاحيات ضخمة يعملون بصورة مستقلة عن مجلس الوزراء، ولا يخضعون للكونغرس، بحيث إنهم كانوا يقومون بالإشراف كاملاً على الصناعة(٢).

احتلت إدارة الإنتاج الحربي مكاناً رئيسياً في نظام تنظيم الدولة-الاحتكارية. لقد ترأسها نائب رئيس شركة تجارية ضخمة دونالد نيلسون،

---

(١) فيدوروفيتش ف. ا. الرأسمالية الأمريكية وتدبير الدولة. موسكو، ١٩٧٩، ص ٣٤.

(٢) Confidential Dispatches. Analyses of American by the British Ambassador, 1039-1945 /Ed. By Th. E. Hachey. Evanston, 1974, p. 54.

وضُم إلى مجلسها وزير الحربية، ووزيرا الأسطول البحري - الحربي والزراعة، ورئيس الاتحاد الاحتكاري المالي لإعادة البناء، ورئيس (جنرال موتورز)، ورئيس لجنة القوة العاملة، ورئيس تحديد الأسعار ل. هندرسون، ورئيس كونغرس النقابات الإنتاجية س. هيلمين وغيرهم. وقد بدت هذه الإدارة وكأنها أعلى من الوزارة، وكانت تتألف من ٣٠ قسماً فرعياً، وكانت لها فروع في ١٣ مركزاً صناعياً ضخماً في البداية، وفيما بعد في جميع الولايات، ووصل تعداد العاملين فيها بعد عام إلى ٢٢٤٠٠ عامل، وشغلت ١٤ بناء في العاصمة.

وكان يدخل في اختصاص إدارة الإنتاج الحربي ترتيب الاتفاقات العسكرية، وتنظيم الإنتاج الحربي، ومسائل علاقات العمل والرأسمال المتبادلة، وتأمين القوة العاملة للمعامل، والإشراف على تنفيذ الطلبيات الحكومية. وكانت تشرف على بناء المصانع الجديدة، وتحويل المعامل من الإنتاج المدني إلى الإنتاج الحربي، وتوزيع الموارد لتلبية حاجات الصناعة. وتحت الإشراف المركزي الصارم من قبل إدارة الإنتاج الحربي تم من إذ المحتوى جعل كل النشاط الاقتصادي للدولة مرتبط بالطلبيات العسكرية.

نشأ صراع تنافسي ضارٍ بين الاحتكارات على العقود المربحة، وشكلت الطلبيات العسكرية الأولوية بالنسبة للاتحادات الاحتكارية، وللممثلين الذين احتلوا المناصب الرئيسية في إدارة الإنتاج الحربي. كانوا غالباً ما يحصلون من الدولة على تسديد رمزي-دولار واحد فقط، وفي منتصف عام ١٩٤٢، بلغ عدد العاملين الحاصلين على (دولار واحد) في إدارة الإنتاج الحربي ٥٧٥[1]. كانت الاحتكارات تجذب بحصولها على

---

(١) روزنفيلد يا. س. صناعة الولايات المتحدة الأمريكية والحرب. موسكو، ١٩٤٦، ص ١٤٧.

طلبيات عسكرية ملائمة لها عدداً كبيراً من المعامل المتوسطة والصغيرة من أجل تنفيذها، ومن ثم إخضاع هذه المعامل لمصالحها.

استخدمت الاتحادات الاحتكارية المعامل في أطار عملية تركيز الإنتاج والرأسمال وهذا مثال مميز على ذلك. إن شركة السيارات (كرايزلر) التي كانت تنتج الدبابات حصلت عام ١٩٤٢ على طلبيات عسكرية بمبلغ ٢ مليار دولار. ولأجل تنفيذ هذه الطلبيات فإنها اجتذبت ٨٠٧٩ مورداً منتشرين في ٨٥٩ مدينة موجودة في ٣٩ ولاية، وبالنسبة لإنتاج قاذفات القنابل (القلعة الطائرة) نظمت شركة (بوينغ) تعاونية من ١٩٥ مصنعاً. وكانت شركة الطيران (دوغلاس) تمتلك ٢٢ مصنعاً خاصاً و ٣٠٠ مورد موجودين في ١١ ولاية[١].

أصدرت إدارة الإنتاج الحربي حتى منتصف عام ١٩٤٢ ما مجموعه ٢٥٠ أمراً مختلفاً موجهاً نحو تقليص إنتاج السلع الاستهلاكية الأساسية وزيادة المنتوجات الملبية لحاجات الحرب. تحولت الفروع المهمة من الصناعة - صناعة السيارات والطائرات، وبناء السفن، والميتالورجيا، والطاقة، والصناعة الكيميائية - إلى تلبية حاجات القوات المسلحة. وانتشر في عام ١٩٤٢ بناء المعامل ذات الأغراض الحربية المباشرة بصورة واسعة، ولقد أخذت الدولة على عاتقها عملية التمويل بدرجة ملموسة، وعقدت اتفاقيات مع الاتحادات الاحتكارية بشروط تسهيلية استثنائية بالنسبة لها. وتم تخصيص ١٧,٢ مليار دولار لهذه الأهداف.

دعمت الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية، المهتمة بالنضال ضد الفاشية تدابير الحكومة، ووقفت إلى جانب زيادة وتائر وحجم الإنتاج

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٧٠-٢٧١، ١٩٣.

الحربي. كانت جهود الكادحين موجهة نحو توسيع الإنتاج العسكري، وتعبئة الموارد الحربية للدولة. وقد طوّر العمال والنقابات حملة من أجل أسبوع عمل من سبعة أيام، وأقرت نقابات لجنة النقابات الإنتاجية في مؤتمرها إنشاء لجان للنضال من أجل تحقيق النصر في المعامل. وبلغ عددها لغاية عام ١٩٤٢ فقط ١٩٠٠ لجنة، كانت تمثل ٣٧٥٠ ألف شخص، أي نحو ٢٥% من عمال الصناعة[١]. وامتنعت التريد - يونيونات عن القيام بالإضرابات.

حاول أرباب العمل والحكومة اللذين حصلا بجميع الوسائل على تثبيت ودعم (السلم الطبقي) في الصناعة، ورفع إنتاجية العمل، وزيادة الإنتاج ونمو الأرباح، حاولا استخدام استعداد العمال للإقدام على تضحية محددة في سبيل الانتصار على عدو الإنسانية - الفاشية لمصلحتهما.

ولأجل تسوية نزاعات العمل أَلَّف إدارةً حربيةً للعمل الرئيسُ روزفلت برئاسة أو. ديفيس، إذ دخل في عدادها أربعة ممثلين لكل من النقابات والصناعة. وفي الوقت نفسه أُنشئت لجان مؤلفة من العمال وأرباب العمل نما عددها حتى نهاية الحرب إلى ٥ آلاف لجنة[٢]. كانت وزارة العمل تساعد بنشاط لوضع حد للإضرابات. واهتمت بعلاقات العمل عموماً بهذه الدرجة أو تلك ١٣ هيئة إدارية دائمة واستثنائية[٣]. أظهر الرئيس بنفسه اهتماماً زائداً تجاه هذه المسألة. كان يلتقي غالباً زعماء النقابات الرئيسية، ويشارك في تسوية نزاعات العمل. ولقد وصل عدد العمال في الصناعة

---

(١) Labor Fact Book> N.Y., 1943, vol. 6, p. 88

(٢) Ray Back J.A. History of American Labor. N.Y., 1966, p. 374

(٣) سيفاتشيف ن.ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ١١٦.

الحربية خريف عام ١٩٤٢ إلى ١٥ مليون عامل. وتراجعت البطالة بصورة حادة، لتبلغ في نهاية العام ١,٧ مليون شخص.

قامت الإدارة بالإشراف على الأسعار والأجور، وتوجه الرئيس برسالته إلى الكونغرس في ٢٧ نيسان باقتراح متعلق باستقرار الأجرة، ووضع **(سقف)** للأسعار على البضائع ورفع الضرائب. وفي اليوم التالي أصدر رئيس إدارة الإشراف على الأسعار ل. هيندرسون أمراً حول **(سقف)** أسعار التجزئة. وفي ٧ أيلول توجه الرئيس إلى الكونغرس وطلب بصورة حازمة الموافقة على قانون حول استقرار تكلفة المعيشة. وفي ٢ تشرين الأول عام ١٩٤٢ وافق الكونغرس على قانون متعلق بالاستقرار الاقتصادي. وقَّعه روزفلت، ودخل حيز التنفيذ بصورة سريعة. ولتحقيقه أُلِّفت لجنة الاستقرار الاقتصادي برئاسة ج. بيرنس، الذي كُلف بالإشراف على الأسعار والأجرة بهدف عدم السماح بارتفاع تكاليف المعيشة كما زعموا.

كان قانون الاستقرار الاقتصادي الذي قضى بالممارسة العملية بتجميد الأجرة على المستوى الذي كانت عليه في ١٥ أيلول ١٩٤٢، وباستقرار الأسعار، يلقي بثقله على كاهل أناس العمل، لأن أسعار البضائع كان تستمر بالازدياد، ومن ثم كانت تكلفة المعيشة تزداد أيضاً. وجد العمال أنفسهم في ظروف صعبة، لأن أرباب العمل، وبالاعتماد على القانون كانوا يرفضون تلبية مطالبهم العادلة حول زيادة الأجرة. تفاقمت صعوبات الكادحين الاقتصادية أيضاً لأن الكونغرس وافق في تشرين الأول على مشروع قانون زادت من خلاله ضريبة الدخل وغيرها من الضرائب. وقد عكس مؤتمرا الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية اللذان انعقدا في تشرين الثاني

وكذلك عدد من الاتحادات الفرعية، الاستياء المتزايد للعمال من السياسة الاقتصادية للحكومة. إذ قام المشاركون في هذه المؤتمرات بانتقاد عمل هيئات الدولة فيما يتعلق بتسوية الأجور بصورة حادة. وهكذا، حلّت مرحلة جديدة من مراحل تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت الاتحادات الاحتكارية الضخمة تمتلك فيها بصورة مباشرة عتلات السلطة التنفيذية للدولة. وكان الجهاز الحكومي وكل حلقاته المفتاحية المهمة يمتلئ بممثلي (عالم الأعمال الكبير). وكان الانتعاش الصناعي الحربي يحمل مداخيل كبيرة للاتحادات الاحتكارية، إذ بلغت الأرباح بعد حذف الضرائب منها ٩,٤ مليارات دولار[1].

سعت الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية أن تؤدي قسطها في النضال العام ضد الفاشية. فخلال عام ١٩٤٢ تم إنتاج ما يقارب ٢٥ ألف طائرة حربية و٢٣ ألف طائرة مدنية، و٢٤ ألف دبابة، و١٤,٤ ألف مدفع مضاد للطائرات، و٥٩٧ سفينة تجارية من طراز (ليبرتي) و٦٢ ناقلة نفط. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك حتى نهاية ١٩٤٢ أسطولاً تجارياً ضخماً بحمولة تصل إلى ١٦,٨ مليون طن. وكانت المنجزات في مجال بناء الأسطول البحري الحربي مهمة أيضاً، إذ دخلت مجال العمل ١٢٨ سفينة قتالية، و٦٩٠٢ سفينة إنزال، وأكثر من ألف سفينة غير كبيرة[2]. وقد حدثت أيضاً تغيرات جدية في الزراعة، التي بقيت لفترة طويلة من الزمن في حالة من

---

(١) Labor Fact Book. N.Y., 1949, vol. 9, p. 18

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٥، ص ٥٦ و:

Industrial Mobilization for War. History of the War Production Board and Predecessor Agencies, 1940-1945. Wash., 1947, vol. 1, p. 541.

الركود والأزمة. ومع الحرب زاد الطلب على المنتوجات الزراعية. وجاء الانتعاش، وبعد ذلك نهوض الزراعة، الذي صاحبته المكننة بصورة سريعة.

إن نمو النشاط العملي، المرتبط بتحول اقتصاد البلاد إلى السكك العسكرية، ترافق بتطور القوات المسلحة وحل المسائل المتعلقة بسير الحرب، وإستراتيجيتها.

٣- مشكلة الجبهة الثانية

كان هدف الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة البدائية من مشاركتها في الحرب هو تأمين الظروف المواتية سواء داخل البلاد أو خارجها لزيادة قدرتها الاقتصادية-الحربية. ومن أجل ذلك، حسب رأي واشنطن الرسمي، كان من الضروري، أولاً السعي لإبقاء الاتحاد السوفييتي في حالة الحرب في أوروبا، والصين في آسيا، وثانياً صد ضغط اليابان في المحيط الهادي، والدفاع عن طرق المواصلات البحرية الأساسية والمواقع المفتاحية في هذه المنطقة، ومنع تقدم اليابانيين باتجاه أستراليا ونيوزيلاندا. إذ قام روزفلت في بداية آذار عام ١٩٤٢ بإعطاء أوامر بتعزيز دفاعات هذين البلدين.

تمَّ تعيين الجنرال و. ماك آرثر قائداً للعمليات في المنطقة الجنوبية الغربية من مسرح المحيط الهادئ، وأصبح تشي. نيميتس قائداً عاماً لأسطول المحيط الهادئ. وفي شباط وصل إلى الصين الجنرال ج. ستيلويل، الذي كان يشغل منصب رئيس أركان قوات الكومندانغ، ووضعت أمامه مهمة تشديد المقاومة الصينية للعدوان الياباني.

ومع التقدم السريع للقوات المسلحة اليابانية في جنوب-شرق آسيا والمحيط الهادئ، طُرحت من جديد على جدول الأعمال مسألة، أي مسرح للأعمال الحربية يجب اعتباره رئيسياً: أوروبا أم المحيط الهادئ؟ برز رأيان،

أعطى ممثلو الأسطول الحربي-البحري التفضيل لمسرح العمليات الحربية في المحيط الهادئ، وكانت قيادة القوات البرية تؤكد الأهمية الأولى للمسرح الأوروبي. كتب الجنرال آيزنهاور: «يجب علينا إعداد خطة للأعمال القتالية مع الإنكليز في شمال غرب أوروبا دون إبطاء». كان يرى أنه من الضروري حشد القوات على الجزر البريطانية، معتبراً أن ذلك يشكل رأس الجسر الوحيد الذي يمكن من خلاله القيام بعمليات فعالة برية وجوية ضد ألمانيا»[1]. وفي ١٦ آذار توصلت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان كذلك إلى نتيجة مفادها، أنه من المفيد بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أن تبدأ بحشد القوات الأمريكية على الجزر البريطانية[2]. كانت اللجنة الموحدة للتخطيط الإستراتيجي تتمسك أيضاً بآراء مشابهة كذلك، إذ كانت تعدّ أن أوروبا الغربية هي المكان الوحيد، إذ يمكن تنظيم هجوم، وبآن واحد، استخدام الكتلة الأساسية لقوات إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية المسلحة ضد ألمانيا.

في ٢٥ آذار قدم آيزنهاور مذكرة للجنرال مارشال، جاء فيها، أن الهدف الرئيسي للهجوم يجب أن يكون ألمانيا، ويجب الانطلاق بهذا الهجوم من غرب أوروبا[3]. أعطى الرئيس أمراً في اليوم نفسه بإعداد مخطط التدخل في أوروبا. وفي ١ نيسان كانت الوثيقة التي عرفت في الأدبيات بـ (مذكرة مارشال) على طاولة روزفلت والتي كان يتحدد فيها اتجاه الضربة الرئيسية للحلفاء. ولأجل الدخول إلى شاطئ أوروبا الغربية برزت مسألة حشد ٤٨ فرقة و٥٨٠٠ طائرة على الجزر البريطانية حتى نيسان عام ١٩٤٣.

---

(١) ميتلوف م. ، وستيل اي. المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢.

ولقد تمَّ الافتراض أن القيام بالعمليات سيبدأ في ربيع عام ١٩٤٣[١]. وفي أيلول أو تشرين الأول عام ١٩٤٢ تمَّ التخطيط للقيام بتدخل محدود للحلفاء من خلال الفرقتين ٦ و ٨ في أوروبا الغربية، إذ ظهرت حالة حرجة في الجبهة السوفييتية-الألمانية، وبدا دفاع الألمان في أوروبا الغربية مقوضاً بصورة شديدة[٢].

وافق الرئيس روزفلت على هذه المذكرة وأرسل هوبكينز ومارشال إلى لندن من أجل التوافق مع الحكومة البريطانية.

وصل ممثلا الولايات المتحدة الأمريكية إلى لندن في ٨ نيسان. وأجريا مفاوضات خلال أسبوع مع رؤساء الأركان البريطانيين، وبنفس الوقت التقيا مع تشرشل، وأعضاء مجلس الوزراء. جرت المفاوضات في وضع دولي متوتر في أوروبا بالنسبة للحلفاء الغربيين. وكان الشعبان الأمريكي والإنكليزي ينتظران ويطلبان من حكومتيهما تنشيط الأعمال الحربية. وليس من باب المصادفة أبداً أن روزفلت اتصل بتشرشل في ٣ نيسان عشية إرسال ممثليه إلى إنكلترا قائلاً بثقة: إن الشعبين يلحان على فتح الجبهة في أوروبا. جاء في البرقية: «إن شعبك وشعبي يطلبان إقامة الجبهة الثانية، من أجل سحب العبء عن الروس. لا يمكن لشعبينا ألا يريا أن الروس يقتلون الألمان، ويدمرون معدات العدو أكثر مما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا مجتمعتين»[٣].

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٣) Eeis H. Churchill, Roosevelt, Stalin. The War they waged and the Peace they Sought. Princeton, 1970, p. 40-58.

استمرت الأخبار الكئيبة تصل من الشرق الأقصى. كان اليابانيون يهاجمون بصورة لا تقاوم. إذ احتلوا الفيللبيين، ومالايو كذلك، وبورما، وهونغ كونغ، وشرق الهند الهولندية. ووقعت جزيرتا غوام وويك تحت إشرافهم. وسقطت سنغافورة، الحصن البحري-الحربي البريطاني، إذ تم استسلام ٧٠ ألف إنكليزي. وفي أوائل نيسان ظهر أسطول الأدميرال ناغومو في المحيط الهندي، وأقدمت الطائرات اليابانية على إلقاء القنابل على القاعدة العسكرية البحرية الإنكليزية في كولومبو، وبعد ذلك أغرقت ناقلتي نفط ثقيلتين - (دورتشيستير) و(كورفيول). وفيما بعد قام طيران الأدميرال ناغومو بالهجوم على القاعدة العسكرية-البحرية ترينكوهالي في سيلان، وتم تدمير حاملة الطائرات (هرمز) بنفس الوقت مع المدمرة التي كانت ترافقها.

فرضت اليابان سيطرتها المطلقة عملياً على كل جنوب-شرق آسيا، ممتلكة بذلك مصادر النفط الغنية جداً، والقصدير وكل الموارد الطبيعية تقريباً من الكاوتشوك. ولقد احتلت مساحات كبيرة من الأراضي يقطنها ١٢٠ مليون نسمة.

بسط مارشال الخطة الأمريكية للأعمال الحربية في أوروبا في مباحثاته الأولى في لندن، إلا أن تشرشل لم يركز اهتمامه على أوروبا، وإنما على جنوب-شرق آسيا. تحدث عن استسلام سنغافورة، وعن تعاظم التوتر في الهند، وضرورة الدفاع عن الشرق الأوسط. كان رئيس الوزراء يؤكد أن المهمة الأولى هي اتخاذ تدابير عاجلة من أجل الدفاع عن الشرق الأوسط. إن مثل تلك الآراء طورها رؤساء أركانه أيضاً. كانت الحكومة الإنكليزية تنتظر هجوماً جديداً للقوات الألمانية على الجبهة السوفييتية-الألمانية. وكتب تشرشل

إلى روزفلت في ٧ آذار: «إن كل شيء ينبئ باستئناف الهجوم الألماني في روسيا وعلى نطاق واسع جداً...»[١].

أيد الإنكليز بارتياح في المفاوضات مع الأمريكان اقتراح الولايات المتحدة حول الاستعداد لإنزال القوات الإنكليزية-الأمريكية في أوروبا الغربية ربيع عام ١٩٤٣، لكنهم قدموا الكثير من التحفظات على إجراء عملية تدخل محدودة في شمال فرنسا عام ١٩٤٢.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى تمتلكان في غضون ذلك ربيع عام ١٩٤٢ قوات مسلحة ذات شأن. بلغ تعداد الجيش البري البريطاني ٥٤ فرقة مشاة و١٩ لواء مشاة مستقل، و١٢ فرقة مدرعة و٩ ألوية مدرعة مستقلة. وكانت لدى قوات الطيران الحربي ٤٨٥٧ طائرة. كان القسم الأكبر من القوات البرية وقوات الطيران ينتشر على الجزر البريطانية: ٢٧ فرقة مشاة، و١٦ لواء مشاة، و٦ فرق مدرعة، و٩ ألوية مدرعة مستقلة، و٣٠٣ سرب طيران. كان الأسطول البريطاني يتألف من ١٣ سفينة خطية، و٢٠ حاملة طائرات، و ٦٠ طراداً، وأكثر من ٢٠٠ عمارة بحرية ومدمرة حراسة، و٧٠ غواصة. بلغ تعداد القوات البرية للولايات المتحدة الأمريكية ٢٦٦١ ألف شخص (٤٢ فرقة). كان الجزء الأكبر منها متمركزاً على أراضي الولايات المتحدة الأمريكية. وكان يوجد وراء المحيط ٤٧٦ ألف شخص (١٧.٩% من العدد العام للجيش)[٢]. وكان الأسطول الحربي-البحري الأمريكي أقوى أسطول في العالم: ١٧ سفينة خطية، و٨ حاملات طائرات، و٤٠ طراداً، و١٧٨ كتيبة مدمرات و١١٤ غواصة[٣].

---

(١) Churchill W. The Second World War, vol., p. 293

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٥، ص ٢٣-٢٤.

(٣) Silvestone P. United States Warships of World War II. L., 1965, p. 518-592, 625; Final Official Report by Fleet Admiral Ernest King. Wash., 1946, p. 56-60, 97

وعلى الرغم من امتلاك قادة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، كل القوى الضرورية، فإنهما كانا يحجمان عن استخدامها. كان هذا الأمر قائماً بسبب (إستراتيجية الانتظار) المتخذة تجاه الحرب على الجبهة السوفييتية-الألمانية. لم يكن الإنكليز يرغبون بتعريض قواتهم لخطر الإنزال على الشاطئ الغربي لأوروبا عام ١٩٤٢. كان ذلك سابقاً للأوان حسب رأيهم. أما الأمريكان فكانوا ينوون تقديم الإنكليز إلى المقام الأول ووضع مسؤولية القيام بالعملية على عاتقهم. كتب مارشال في مذكرته الشخصية إلى الرئيس، أن «القيام بالعملية في عام ١٩٤٢ يتعلق قبل أي شيء بالقوات الإنكليزية، وليس بنا»[١]. كشف الإنكليز في لندن نوايا الأمريكان، ولم تكن لديهم نيَّة القيام بأية أعمال حربية. كانت التناقضات بيّنة. إن تشرشل، وبسبب خشيته من تزايد قوة مواقع أنصار تنشيط الأعمال العسكرية في مسرح المحيط الهادي، فضل الموافقة بالقول فقط على الخطة الأمريكية المقترحة. لقد أكد في الجلسة الأخيرة على أهمية استخدام البديهية الإستراتيجية - تركيز القوى الأساسية على الاتجاه الحاسم ضد العدو الرئيسي. وفي المحصلة تمت الموافقة على اقتراحات الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن مع عدد من التحفظات فيما يخص دخول قوات الحلفاء إلى الشاطئ الأوروبي في عام ١٩٤٢.

كان مارشال وهوبكينز راضيين واتصلا هاتفياً دون إبطاء مع واشنطن بخصوص هذا القرار. إلا أن الرئيس روزفلت كان يتمسك بهذا الخصوص برأي آخر. لقد قال لسفير الاتحاد السوفييتي م.م. ليتفينوف في ٢١ نيسان عام

(١) ميتلوف م. ، وستيل اي. المصدر المشار إليه، ص ٢٥٥.

١٩٤٢، أن بعثة مارشال وهوبكينز إلى لندن «كانت غير ناجحة»[١]. كان الإنكليز ينوون تأجيل فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية حتى عام ١٩٤٣. وفي ٢٩ نيسان اتخذت اللجنة الحربية البريطانية بعد سماعها تقرير تشرشل حول الوضع العسكري القرار التالي: إن إنكلترا لا يمكن أن تكون مرتبطة بالتزام متين فيما يتعلق بالقيام بعملية لتأمين رأس جسر في القارة الأوروبية عام[٢] ١٩٤٢.

أيَّد روزفلت وفي حديث له مع مارشال ٣ أيار من إذ المبدأ الاستعداد لعملية (بوليرو) وحشد القوات على الجزر البريطانية. لاحظ الرئيس أن «من الضروري طوال الوقت تذكر، أن الجيوش الروسية تقضي على قوة جيوش دول المحور الحية وتكنيكها أكثر من جميع بلدان الحلفاء الـ ٢٥ مجتمعة»[٣].

كان الوضع على الجبهة السوفييتية-الألمانية في ذلك الوقت يتطلب بصورة ملحة تدابير فعّالة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. تخلت القوات السوفييتية عن شبه جزيرة كيرتشينسكي، وتعرضت لخسارة في ضواحي خاركوف. وقامت القيادة الألمانية بإنهاء الاستعدادات الأخيرة لهجوم واسع على القوقاز. وفي ٢٠ أيار وصل إلى لندن مفوض الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي ف.م. مولوتوف.

وإلى جانب عقد اتفاقية بين الاتحاد السوفييتي وإنكلترا حول الاتحاد في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية، جرى تبادل الآراء حول مسألة فتح الجبهة

---

(١) العلاقات السوفييتية-الأمريكية أثناء الحرب الوطنية العظمى، ١٩٤١-١٩٤٥ – وثائق ومواد في جزأين. موسكو، ١٩٨٤، الجزء الأول، ١٩٤١-١٩٤٣، ص ١٦٤، ١٦٦.

(٢) فاتلير ج. ، وغواير ج. الإستراتيجية الكبيرة. حزيران عام ١٩٤١ – آب عام ١٩٤٢. موسكو، ١٩٦٧، الصفحة ٤٤٣.

(٣) ميتلوف م، وستيل أي. المصدر السابق، ص ٢٥٦-٢٥٨.

الثانية في أوروبا الغربية عام ١٩٤٢. لقد أعلن رئيس الوفد السوفييتي أن هذه المسألة ليست مسألة حربية فقط، ولكنها مسألة سياسية، ويجب أن يحلها رجال الدولة. من المعلوم أن هتلر يستعد للهجوم، وستحدث في الصيف معارك ضخمة من إذ حجمها وأهميتها، وهذا يطرح مسألة صرف انتباه القوات الألمانية عن طريق دخول قوات الحلفاء إلى الشاطئ الغربي. تهربت الحكومة الإنكليزية من التزاماتها الملموسة تجاه مواعيد دخول قوات الحلفاء إلى القارة الأوروبية. حاول تشرشل وآيدين البرهنة على صعوبة هذا الأمر وخطره، مستندين في ذلك إلى غياب وسائل المواصلات.

طار مولوتوف بعد ذلك إلى واشنطن[١]. إذ أعلن روزفلت خلال سير المفاوضات أن «الحكومة الأمريكية ستسعى وتأمل بإنشاء الجبهة الثانية في عام ١٩٤٢»[٢]. اعترف الجنرال مارشال باستعداد الجيش للمشاركة في تنفيذ تلك المهمة، ووجد ذلك انعكاساً له في نص البيان المشترك الأمريكي-السوفييتي حول المفاوضات، الذي أكد أنه «تم التوصل لاتفاق كامل حول المهام الملحة فيما يتعلق بإنشاء الجبهة الثانية في أوروبا في عام ١٩٤٢[٣]»، وتمَّ عقد اتفاقية كذلك حول المبادئ المستخدمة تجاه المساعدة المتبادلة وإدارة الحرب ضد المعتدي[٤].

استُقبل القرار حول فتح الجبهة الثانية في عام ١٩٤٢ بترحيب كبير من المنظمات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد نقل قادة عدد

(١) تاريخ الدبلوماسية، الجزء ٤، ص ٢٦٤.

(٢) العلاقات السوفييتية-الأمريكية المشتركة...، الجزء الأول، ص ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٢٠٣.

(٤) انظر بالتفصيل إلى: بوريسوف ا. يو. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية: حلفاء في أعوام الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٨٣، ص ٩٤-٩٩.

من التريد-يونيونات، أن العمال يحيون البيان المشترك المنشور حول مفاوضات ممثلي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، وسيعملون كل ما هو ضروري من أجل تحقيقه[1].

عاد مولوتوف في ٩ حزيران إلى لندن، وتقابل مع تشرشل، ووضع من جديد مسألة فتح الجبهة الثانية. كانت الحكومة البريطانية مضطرة للموافقة على إدخال صيغة في البيان المشترك، كما فعلت الإدارة الأمريكية، تنص على أنه «تمَّ التوصل إلى اتفاق كامل بين البلدين تجاه المهام الملحة لإنشاء جبهة ثانية في أوروبا عام ١٩٤٢»[2].

لكن رئيس وزراء بريطانيا العظمى أسرع لدى ذلك، وسلَّم مذكرة مشهودة لمفوض الشعب للشؤون الخارجية للاتحاد السوفييتي حول أن القيام بهذه العملية يتعلق بالكثير من الظروف، لذلك فإن الإنكليز لا يعطون وعداً متيناً في ذلك. توصَّل السفير اي. م. مايسكي، وبعد أن تعرّف على محتوى هذه المذكرة، كما أشير في مذكراته، إلى الاستنتاج التالي: «حسناً، هذا يعني أنه لن تكون هناك أي جبهة ثانية في عام ١٩٤٢. إن تشرشل لن يقوم بفتحها»[3].

دخلت الحرب في ذلك الوقت في إحدى لحظاتها الحاسمة. حشدت القيادة الهتلرية ٩٠ فرقة في القطاع الجنوبي من الجبهة السوفييتية الألمانية، وتم تحديد

---

(١) البرافدا، ١٩٤٢، ١٧ حزيران.

(٢) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية، الجزء ١، ص ٢٤٧.

(٣) مايسكي اي. م. مذكرات سفير سوفييتي: الحرب، ١٩٣٩-١٩٤٣. موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٦٠.

الهجوم باتجاه القوقاز وستالينغراد. استعرت معركة ضخمة. استطاعت الفرق الألمانية الفاشستية خرق الدفاعات والاندفاع باتجاه الجنوب. كانوا في واشنطن ولندن يتابعون سير الصراع باهتمام. ولقد قال الرئيس في محادثة له مع وزير المالية غ. مورغنتاو: «إن الجواب بصورة عامة على سؤال - هل سنربح نحن الحرب أم نخسرها - متعلق بالروس. إذا استطاع الروس الصمود في هذا الصيف، وجمدوا في المعارك ٥, ٣ مليون ألماني، فإننا بالتأكيد نستطيع إحراز النصر»[١].

وضع رؤساء الأركان الأمريكان والإنكليز أثناء لقائهم في واشنطن صيغة للأعمال القتالية متعلقة بسير الحملات الصيفية على الجبهة الشرقية. جرت مناقشات حول إستراتيجية الحرب واتجاهاتها الرئيسية في الأوساط العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. قامت الدبلوماسية السوفييتية في ذلك الوقت بالذات بخطوة مهمة. ففي ١٩ حزيران أعلن ف.م. مولوتوف للسفير الأمريكي أو. ستيندلي عن اهتمام الحكومة السوفييتية في تنفيذ الاتفاقيات حول فتح جبهة ثانية في أوروبا عام ١٩٤٢ من قبل الحلفاء. لقد أرسل سفير الولايات المتحدة الأمريكية الواقع تحت تأثير هذه المحادثة برقية تلغرافية إلى روزفلت وهيل، يذكر فيها أن الحلفاء إذا لم يقوموا بالدخول إلى القارة الأوروبية، فإن المواطنين السوفييت «لن يكونوا قد خُدعوا فقط في إيمانهم بصدق نوايانا ورغبتنا بالمباشرة بتنفيذ الأعمال المتفق عليها - وإنما سيحمل ذلك الضرر، الذي لا يمكن تقديره، إلى قضية الأمم المتحدة»[٢].

---

(١) Blum J.M. From «The Morgentau Diaries II; vol. 1-3. Boston, 1959-1967, vol. 3, p. 84-85;

(٢) Foreign Relations of the United States. Diplomatic Papers, 1942: vol. 1-7. Wash., 1960-1963. Vol. 3, p. 598. (بعد ذلك FRUS)

تمَّ اتخاذ قرار في واشنطن، انطلاقاً من فهمهم هناك لجدية المعارك على السهول الروسية الجنوبية وعواقبها الخطرة الممكنة، بإرسال وفد إلى لندن من أجل التشاور مع الممثلين الإنكليز حول قضية إدارة الحرب، وتمَّ تكليف الجنرال مارشال والأدميرال كينغ وهوبكينز بهذه البعثة. أعطاهم الرئيسُ إرشاداتِه، التي جرى التعبير فيها عن القلق من سير المعارك على الجبهة السوفييتية-الألمانية، وتضمنت اقتراحاً بدراسة مشتركة مع رؤساء الأركان الإنكليز لإمكانية القيام بعملية (سليجهايمير) - دخول قوات الحلفاء إلى القارة عبر المانش في عام ١٩٤٢. إن تحقيق هذا الدخول ضروري وهام، كما جاء في الإرشادات، وبالذات «في هذا العام، إذ قوى ألمانيا مجمدة في روسيا والظرف ملائم بصورة أكبر...»[1]. ومع وصول ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية إلى لندن، وحسب الإرشادات صاغ رؤساء الأركان آراءهم. لقد وقفوا إلى جانب تحقيق خطة (سليجهايمير) في عام ١٩٤٢. وكان على إنكلترا أن تقدم القوى الأساسية. وقف ممثلو بريطانيا العظمى بحزم ضد ذلك، ودخلت المفاوضات في مأزق.

وجه ي. ف. ستالين رسالة إلى تشرشل في ٢٣ تموز، مشيراً فيها إلى أن مسألة الجبهة الثانية لا تأخذ طابعاً جدياً، وإن «الحكومة السوفييتية لا تستطيع أن تتهاون مع تأخير تنظيم الجبهة الثانية في أوروبا في عام[2] ١٩٤٢».

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. المؤلفات المختارة، ص ٤٤٦.

(٢) تبادل الرسائل بين رئيس مجلس الوزراء في الاتحاد السوفييتي، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥. في جزأين. موسكو، ١٩٧٦، الجزء ١، ص ٦٩.

كان رئيس الحكومة الإنكليزية غير راض ومنزعج من الرسالة. وفي الوقت نفسه كان السفير م.م. ليتفينوف يتباحث مع روزفلت في تلك الأيام، وقد أصابته الدهشة لدى سماعه الرئيس يتحدث عن عملية في شمالي إفريقيا، وليس في أوروبا، ولذلك فإن السفير السوفييتي أعلم موسكو أن روزفلت ملآن بالشك فيما يتعلق بإنزال القوات الأمريكية-الإنكليزية في فرنسا، انطلاقاً من رأي الخبراء البحريين والحربيين. وهو قلق أكثر على مصير مصر والشرق الأوسط. تكون انطباع عند السفير من محادثاته مع الرئيس أن «مسألة الجبهة الثانية لا يمكن أن تتحرك من مكانها»[1].

كتب ليتفينوف إلى موسكو، كاشفاً عن الأهداف الحقيقية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا أن «الاتحاد السوفييتي يجب أن يكون بحساباتهم ضعيفاً إلى تلك الدرجة بحيث إنه لن يستطيع أن يتحدث بصوت عال بعد ذلك لدى عقد السلام»[2].

توجه هوبكينز إلى روزفلت آخذاً بعين الاعتبار الموقف السلبي للانكليز تجاه فتح الجبهة الثانية في أوروبا عام ١٩٤٢، بطلب إعطاء تعليمات حول الخطوة اللاحقة. وصلت برقية من واشنطن تنص على: إيجاد أية عملية برية أخرى.

في اليوم التالي دقق الرئيس موقفه: إنه يقف «إلى جانب عملية في شمال إفريقيا في عام ١٩٤٢[3]». تم بعد ذلك الوصول إلى اتفاق بسرعة. استلم البيت

(١) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، الجزء ١، ص ٢٢١.

(٢) زامسكوي اي. ن. مشاكل فتح الجبهة الثانية. موسكو، ١٩٨٠، ص ٢٠٤.

(٣) شيرفود ر. المختارات المشار إليها، الجزء الثاني، ص ٢٤٣.

الأبيض من هوبكينز برقية مختصرة: «إفريقيا»[1]. ليس من باب المصادفة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تظهر اهتماماً ملموساً تجاه شمال إفريقيا. كانوا يعتبرون في واشنطن أن هذه القارة غنية بالموارد الطبيعية. وحسب رأي قادة الولايات المتحدة الأمريكية، جاء الوقت المناسب لكي يتغلغل الرأسمال الأمريكي في هذه المنطقة. ورد في إحدى وثائق وزارة الخارجية ما يلي: «يعدّ الاحتلال العسكري لشمال إفريقيا تدبير مهم بصورة استثنائية للولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر إستراتيجية الحرب وعالم ما بعد الحرب»[2].

في صيف عام ١٩٤٢ نشرت لجنة شؤون إفريقيا تقريراً اقترح فيه مؤلفوه إنشاء قسم خاص في وزارة الخارجية لبلدان إفريقيا من أجل دراسة وضعها الاقتصادي والسياسي وصياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه هذه الدول[3].

كانت المجلة الأمريكية (فورتشون) قد كتبت قبل ذلك بقليل، أن إفريقيا تعدّ أغنى قارة بعد آسيا، التي يمكن اعتبارها «هدفاً اقتصادياً بالغ الأهمية للعالم»[4]. أخذت الأوساط السياسية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية هذه العوامل بعين الاعتبار لدى صياغة المسائل العامة للحرب،

---

(١) Higgins T. Winston Churchill and the Second Front, 1940-1943. N.Y., 1957, p. 147
مع تاريخ الدبلوماسية، الجزء الرابع، ص ٢٦٩.

(٢) Documents on American Foreign Relations: vol. 1-28. Boston: New York. 1939-1967, vol. 4, p. 279.

(٣) انظر بالتفصيل: بوزدييف ل. ف. العلاقات الأمريكية-الإنكليزية في أعوام الحرب العالمية الثانية، ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٦٩، ص ٢١٨-٢٣١.

(٤) Fortune. 1941, Nov., p. 89

بما في ذلك عند مناقشة التخطيط لعملية دخول القوات الأمريكية إلى شمال إفريقيا كذلك.

وقد أطلق آيزنهاور على اليوم الذي تمَّ فيه رفض فتح الجبهة الثانية في أوروبا عام ١٩٤٢ بـ «اليوم الأسود في التاريخ»(١). أشار وزير الحربية ستمسون إلى أن العملية في إفريقيا «ستقضي على إمكانية القيام بدخول كبير عبر المانش في عام ١٩٤٣»(٢). إن الإستراتيجية غير المركزية للأعمال التي ظفر تشرشل بتحقيقها بصورة فعالة بلغت أوجها. وقد أدركوا عواقبها في واشنطن. كان هذا يعني في الواقع إنهاك الاتحاد السوفييتي في صراع منفرد مع ألمانيا الفاشية. وبهذه المناسبة أشار غ. ستمسون في مذكراته إلى أن «عدم فتح جبهة أوروبية قوية في فرنسا في الوقت المناسب كان يعني وضع كل ثقل الحرب على كاهل روسيا»(٣).

إن قرار دخول قوات الحلفاء الغربيين إلى شمال إفريقيا تم اتخاذه في ذلك الوقت، عندما اكتسبت الحركة من أجل فتح الجبهة الثانية في أوروبا طابعاً جماهيرياً في الولايات المتحدة الأمريكية. في أيار جرى في نيويورك اجتماع جماهيري لاتحاد البحارة الوطني ضم الآلاف. وفي بداية حزيران، ولا سيَّما بعد نشر الاتفاقية حول فتح الجبهة الثانية في عام ١٩٤٢، طورت النقابات حملة واسعة لجمع التواقيع على عريضة حول فتح الجبهة الثانية بصورة عاجلة. وفي ٢٢ تموز في نيويورك، جرى اجتماع جماهيري للعمال والمستخدمين في ميديسون-سكفير، تحدث في غ. هوبكينز، والسفير السوفييتي في الولايات

---

(١) Butcher H.C. My Three Years with Eisenhower. N.Y., 1946, p. 29.

(٢) Eisenhower D. Crusade in Europe. N.Y., 1977, p. 70.

(٣) Stimson H., Bundy M. On Active Service I Peace and War. N.Y., 1948, p. 527.

المتحدة الأمريكية م.م. ليتفينوف، وعمدة مدينة نيويورك ف. لاغارديا، وعضو المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية س. ريد وغيرهم[١]. وطالب المشاركون فيه بالإجماع بدخول القوات الأمريكية-الإنكليزية دون بطء إلى أوروبا الغربية.

كما استلمت هيئات تحرير الصحف الكثير من قرارات المشاركين في الاجتماعات الجماهيرية والكثير من رسائل القراء مطالبة بفتح الجبهة الثانية. شارك الحزب الشيوعي والنقابات وقبل الجميع كونغرس النقابات الإنتاجية مشاركة نشيطة في ذلك. لقد وجهت منظمة نيويورك لكونغرس النقابات الإنتاجية وحدها فقط إلى الرئيس أكثر من ٥٠٠ ألف رسالة تطالب بفتح الجبهة الثانية[٢]. لقد أعطى ذلك للحركة طابعاً منظماً.

في ٢٥ تموز عام ١٩٤٢ جرى اجتماع جماهيري في نيويورك، خطب فيه قادة عدد من التريد-يونيونات. توجه المشاركون فيه برسالة إلى روزفلت يلحون فيها على فتح الجبهة الثانية دون إبطاء، وأوصل وفد عنهم الرسالة إلى الرئيس في البيت الأبيض. وجرت اجتماعات جماهيرية في شيكاغو، ولوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، نيو هيفين، وبوفالو، وديترويت، ونيو آرك، وبيتربورغ، ونيوأورليان[٣]. لقد أشار أحد المعلقين الأمريكان إلى ذلك قائلاً: «المطالبة بفتح الجبهة الثانية، سمعت مئات المرات حتى في الأحاديث العادية للناس...»[٤].

(١) Daily Worker, 1942, June 23.

(٢) Ibid., July 5.

(٣) CIO News, 1942, July 27.

(٤) الأممية الشيوعية، ١٩٤٢، رقم ٧، ص ٧.

وبمقدار ما كانت القوات الألمانية-الفاشستية تتقدم باتجاه ستالينغراد، بمقدار ما كانت الحملة في الولايات المتحدة الأمريكية لفتح الجبهة الثانية تأخذ مدىً أوسع. انخرطت فيها فئات مختلفة من الناس، ولكن العمال كانوا يلعبون فيها الدور الأساس - أعضاء النقابات[1]. وفي ٢ آب نظمت القيادة النقابية لكونغرس النقابات الإنتاجية في شيكاغو اجتماعاً جماهيرياً، شارك فيه ٣٠ ألف شخص، وفي القرار المتخذ بالإجماع تمَّ التعبير فيه عن المطالبة بالدخول الفوري إلى أوروبا. ولقد فعل ذلك أيضاً المشاركون في الاجتماع الجماهيري في واشنطن إذ دعموا هذا المطلب. وتوجَّه ممثلو ٧٠ منظمة نقابية تابعة لكونغرس النقابات الإنتاجية الذين يتكلمون باسم ٧٠ ألف عامل إلى روزفلت ببرقية يلحون فيها على الدخول إلى أوروبا قبل نهاية عام ١٩٤٢، وأرسل ٥٠ قائداً من قادة التريد-يونيونات في بوسطن التي تدخل في عضوية كونغرس النقابات الإنتاجية والفدرالية الأمريكية للعمل برقية بنفس المحتوى إلى روزفلت. ونظم مندوب مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية – عمال صناعة السيارات والطائرات في شيكاغو موكباً في المدينة، مطالبين بدخول قوات الحلفاء إلى أوروبا الغربية، وتقدم المركز النقابي في الفدرالية الأمريكية للعمل في بوفالو (ولاية نيويورك) وبالإجماع بقرار مماثل، وتعهد أعضاء نقابة عمال صناعة السيارات الذين كانوا يؤيدون فتح الجبهة الثانية، بالمساعدة في زيادة إنتاج الأسلحة إلى الحد الأعلى.

لقد أشار مستشار سفارة الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية ا. ا. غروميكو في رسالته بتاريخ ١٤ آب عام ١٩٤٢، إلى أن الطبقة العاملة في

---

(١) البرافدا، ١٩٤٢، ٢، ٦، ٧، ٨، ١١، ٢١ آب.

الولايات المتحدة الأمريكية تعبر عن رأيها من خلال المنظمات النقابية، وأن قيادة كلتا المنظمتين الأساسيتين: الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية - تقفان إلى جانب الفتح السريع للجبهة الثانية[1].

أخبرت السفارة السوفييتية بنفس الوقت من واشنطن، أن مسألة الجبهة الثانية في أوروبا «لا تخرج عن صفحات الصحافة الأمريكية. يجتمع عمال المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية في فعاليات جماهيرية، ويتخذون قرارات تدعو حكومة روزفلت لتسريع فتح الجبهة الثانية، إن جماهير واسعة من السكان ترى، ولا تستطيع ألا ترى أن فتح الجبهة البرية الثانية في أوروبا الغربية كان يعني التسريع بتحطيم الجيوش الهتلرية والتسريع بانتصار الدول الحليفة»[2]. لم يكن ممكناً بالنسبة للأوساط الحكومية في واشنطن ولندن إلا أن تأخذ بعين الاعتبار حركة التضامن الجماهيرية مع الشعب السوفييتي، التي كانت تتصاعد في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من بلدان الائتلاف المعادي لهتلر. لذلك، قرر روزفلت وتشرشل آخذين ذلك بعين الاعتبار، أن يقوما بخطوة دبلوماسية، موجهة بدرجة معلومة إلى تهدئة الرأي العام. ففي ١٢ آب وصل تشرشل ومعه الممثل الشخصي للرئيس روزفلت ا. هاريمان إلى موسكو. كان عليهما أن ينفذا مهمة صعبة وهي إعلام الحكومة السوفييتية عن تأجيل الجبهة الثانية. كانت المفاوضات التي استمرت ثلاثة أيام تحمل طابعاً متوتراً. حاول تشرشل أن يبرر قرار الحلفاء. لقد تحدث عن صعوبات فتح الجبهة الثانية في أوروبا،

---

(١) العلاقات السوفييتية الأمريكية...، الجزء الأول، ص ٢٢٤.

(٢) نفس المرجع السابق.

وكان يبرهن على فائدة القيام بعملية في شمال إفريقيا. أظهر رئيس الحكومة السوفييتية بطلان حجج الحلفاء، لافتاً الانتباه إلى مخالفة كلا الجانبين لتعهداتهما المتخذة.

وبهذه المناسبة، من الجدير بالانتباه تلك الوثيقة المقتبسة التي تلقي الضوء على موقف الولايات المتحدة الأمريكية. لقد أعلمت السفارة السوفييتية موسكو في هذه الرسالة، بأنهم ينتجون في واشنطن طائرات ودبابات ومدافع بكميات كبيرة: أُنتج في حزيران ٤ آلاف طائرة ومدفع ميداني ومدافع مضادة للدبابات - أكثر من ألفي مدفع في الشهر - وأكثر من ٥٠ ألف رشاش ونحو ٦٠ ألف رشاش يدوي. وفي أيار تم إنتاج ١٥٠٠ دبابة. وخلال نصف السنة الأولى من عام ١٩٤٢ تم بناء ٢٢٨ سفينة تجارية بحمولة تبلغ ٢٥٤٤ ألف طن، وإن مدة إنتاج السفينة وصلت إلى ٤٥ يوماً. وبلغ عدد أفراد الجيش الأمريكي ٤ ملايين شخص، وتم تشكيل ٧٠ فرقة مجهزة بصورة جيدة، بما في ذلك ١٠ فرق مدرعات[1].

وبكلمة أخرى، خلال زمن قصير لم تعد الولايات المتحدة الأمريكية تعرف كما في السابق بسبب تطورها في المجال الاقتصادي والعسكري. لقد تمت الإشارة في الرسالة التي لامست الإستراتيجية العسكرية واستخدام القوات المسلحة، إلى وجوب توجيه الكتلة الأساسية من الطائرات والعتاد العسكري ضد اليابان، في منطقة المحيط الهادئ - هاواي، وأستراليا، ولكن ليس ضد ألمانيا. إن الموقف تجاه فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية تحدده بدرجة ملموسة الأوساط العسكرية. كان جنرالات الجيش يمارسون تأثيراً كبيراً على موقف

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٢٧-٢٢٨.

روزفلت. وكانت الأمزجة المعادية للسوفييت لا تزال قوية بعد، وبصفة خاصة في جهاز وزارة الحربية. كان الكثيرون يتغذون على الأمل باستنزاف قوى ألمانيا الهتلرية والاتحاد السوفييتي «إنهم -كما جاء في الإخبار - لا يرغبون في انتصار هتلر، لكنهم لا يرغبون بصورة أكبر أيضاً بانتصار الاتحاد السوفييتي»[1].

وهؤلاء الرجال كانوا يقفون على رأس الجيش الأمريكي، وكانوا يحددون إستراتيجيته. وقد صرح رئيس قسم الخطط الإستراتيجية لأركانات الجيش والأسطول الموحدة للولايات المتحدة الأمريكية الجنرال فيدمير بصورة خاصة أثناء المحادثة مع الدبلوماسي السوفييتي ا. ا. غروميكو وبصورة مكشوفة، أن هتلر يعتبر الاتحاد السوفييتي العدو الرئيسي له، وليس إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية. كان يمكن للقوات المسلحة الأمريكية أن تشارك في فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية، ولكن لا توجد قيادة عامة. أما ممثلو الجنرالات الأمريكان الآخرون فإنهم تقدموا بحجة أساسية حول عدم وجود إمكانية للدخول إلى القارة الأوروبية بسبب عدم كفاية وسائل المواصلات اللازمة لنقل القوات عبر المحيط الأطلسي.

أشارت حكومة روزفلت في بلاغها، وعبرت عن الرغبة والاستعداد للدخول إلى أوروبا الغربية. وعملت في الوقت نفسه على اتخاذ إجراءات لإضعاف الدعاية حول فتح الجبهة الثانية. إذ مارست إدارة الإعلام الحربي وغيرها من الإدارات الضغط على الرأي الاجتماعي والصحافة، والتضييق على الآراء في الصحف التي تصب توجهاتها إلى جانب فتح الجبهة الثانية[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

لقد تمَّ التأكد من خلال أخبار السفارة: أنه لا توجد مؤشرات على أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تستعد بصورة جدية لفتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية في عام ١٩٤٢.

إن المراقبة، والتقييم، والنتائج المختصرة لمستشار سفارة الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية ا. ا. غروميكو كانت تتطابق مع الواقع، وكانت تتميز بالتحليل العميق لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وأكدتها كاملاً بعثة رئيس وزراء بريطانيا العظمى، الذي وصل إلى موسكو من أجل أن يخبر الحكومة السوفييتية بصورة رسمية بأنه: لن يكون هناك فتح للجبهة الثانية في أوروبا الغربية عام ١٩٤٢، وأن الاتفاقية الموقعة حول ذلك لن تُنفذ. وبالإضافة لذلك، تجدر الإشارة إلى أن الاتحاد السوفييتي استلم حسب ليند-ليز من ١ تشرين الأول عام ١٩٤١ حتى ٣٠ حزيران عام ١٩٤٢ فقط ٢٦٧ قاذفة قنابل، و٢٧٨ طائرة مطاردة، و٣٦٨ دبابة متوسطة، و٤٢٠ دبابة خفيفة، و١٦٥٠٢ شاحنة، ما كان يشكل تقريباً ثلث الالتزامات الأمريكية[1]. كانت عدم رغبة الصناعيين الأمريكان في قبول الطلبيات السوفييتية هي أحد أسباب تلك الحالة[2].

لفت رئيس الحكومة السوفييتية في ٢٣ أيلول عام ١٩٤٢ انتباه زعيم الحزب الجمهوري أو. أويلكي إلى تلك الحقيقة، بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقوم بتنفيذ التزاماتها المتخذة تجاه إرسال الأسلحة إلى الاتحاد

(١) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، ١٩١٧-١٩٨٠، في جزأين، موسكو، ١٩٨٠-١٩٨١، الجزء الأول، ص ٤٣٠.

(٢) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، الجزء الأول، ص ١٦٩.

السوفييتي. إذ إن هذا البرنامج قد تمَّ تنفيذه في الشهرين الأخيرين عبر الخليج بحدود ٤٠-٥٠٪ ، أما في الشمال فبحدود ١٥-٢٠٪[1].

كان تشرشل وهاريمان يظهران أثناء وجودهما في موسكو، وأثناء المفاوضات اهتماماً متزايداً بالوضع على الجبهة السوفييتية - الألمانية، ولقد أرادا بالدرجة الأولى، وبصورة رئيسية معرفة: هل سيصمد الاتحاد السوفييتي أمام ضغط القوات الألمانية، وما هي التحصينات في القوقاز؟

كان رئيس الوزراء البريطاني يبرق لروزفلت أن الروس سيقاتلون وسينتصرون. وقد قام إثر عودته إلى لندن بتقديم تقريره إلى المجلس العسكري، وفي حديث له مع السفير الروسي أي. م. مايسكي قال: إنه «لم ير ولم يسمع أية كلمة، ولا أية إشارة، ولا حتى أي تلميح منفرد بأن روسيا قد لا تصمد، وقد لا تخرج من الحرب»[2]. كان الشعور بـ «الإرادة الحديدية وعدم المهادنة تجاه ألمانيا» منتشراً في كل مكان. وكان ذلك مهماً من وجهة نظر إستراتيجية التريث التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. لقد بدؤوا في واشنطن ولندن الاستعدادات للعملية في شمالي إفريقيا.

٤ - المعارك عند جزيرة ميدوي عملية (تورتش)

بدأ صيف عام ١٩٤٢ على المحيط الهادي، وكان يتميز بأحداث مهمة - المعركة عند جزيرة ميدوي[3]. هاجمت تشكيلات ضاربة من حاملات طائرات

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢) زامسكوي اي. ن. التاريخ الدبلوماسي للجبهة الثانية في أوروبا. موسكو، ١٩٨٢، ص ٢٨١.

(٣) انظر بالتفصيل: فوكيدا م، وأوكومينا م: المعارك عند الجزيرة المرجانية ميدوي. موسكو، ١٩٥٨.

يابانية جزر أليوت. ودون مصادفة أية مقاومة جدية أنزل اليابانيون قواتهم في جزر اداك، وآتو وكيسك. ولقد تمَّ النظر إلى هذه العملية كمحاولة لصرف الأنظار، وكان مخططاً أن يتم تنفيذها قبل يوم من العملية الرئيسية - ضد جزيرة ميدوي. وفي ٤ حزيران قام الأدميرال ياماموتو الذي كان يحشد القوى الرئيسية للأسطول الموحد، بهجوم على الجزيرة المرجانية ميدوي. ولم يكن الهدف من ذلك يكمن فقط في احتلال هذه الجزيرة وإقامة إشراف على القسم المركزي من المحيط الهادي، وإنما كان ينوي تحطيم الأسطول الأمريكي، الذي كان يجب عليه حسب رأيه أن يغادر على عجل بيرل هاربر باتجاه ميدوي[١]. كان أمل القيادة اليابانية يعتمد على تفوقها الملموس في الطيران والسفن فوق سطح المياه.

بيد أن الأحداث لم تتطور كما تشتهي القيادة العسكرية البحرية اليابانية. لقد ظهر أن المخابرات الأمريكية كانت على اطلاع بمخططات العدو، من خلال كشفها للشيفرة اليابانية. حصلت هيئة أركان الأدميرال نيميتس على معلومات متعلقة بأهداف ونوايا اليابانيين، وقواتهم، واتجاه ضربتهم الرئيسية ووقت بداية العملية. ولقد كان لذلك أهمية بالغة بالنسبة لنتيجة المعارك عند الجزيرة المرجانية ميدوي، التي استمرت من ٤ إلى ٧ حزيران عام ١٩٤٢.

كانت القيادة اليابانية واثقة من النصر، عندما اقتربت حاملات الطائرات التابعة للأدميرال ناغومو في ٤ حزيران، وقبل شروق الشمس، وبغطاء من الغيوم الكثيفة والضباب، من الغرب - الشمالي نحو ميدوي، ارتفعت ١٠٨ طائرات من حاملات الطائرات، وقامت بمهاجمة هذه الجزيرة غير الكبيرة. وخلال نصف ساعة، تم تهديم كل ما كان قائماً فوق الأرض. المحطة

---

(١) نيميتس تش، وبومبر اي. المرجعية المشار إليها، ص ٢٧٤.

الكهربائية وصهاريج المحروقات وحظيرة الطائرات[1]. لم تلحق الطائرات الأمريكية التي قامت بعدة هجمات على السفن اليابانية، أذى ملموساً بها. وعنذاك قررت قيادة القوات العسكرية - البحرية للولايات المتحدة الأمريكية أن تنخرط في المعركة بحاملات طائراتها، الموجودة في شمال - شرق ميدوي. وفي الساعة العاشرة من اليوم التالي، أقدم الطيارون الأمريكان على شن هجوم على حاملتي طائرات يابانيتين بآن واحد - (آكاغي) و(كاغا) - وأغرقوهما. وبعد ذلك سرعان ما احترقت حاملة الطائرات (سوريو). أدى ذلك إلى بلبلة في صفوف اليابانيين، ولم يستطع الأدميرال ياماموتو أن يقيم الوضع تقييماً صائباً، بافتراضه أن الأمريكان يمتلكون حاملة طائرات واحدة فقط، واستمر يأمل باحتلال ميدوي. وفي نهاية ٤ حزيران وصلت رسالة حول هلاك حاملة الطائرات اليابانية الرابعة (هيريو). وبدأ ناغومو الانسحاب مذعوراً.

بيد أن ياماموتو لم يفقد الأمل باستعادة الوضع، لكن الأمر كان بدون جدوى. لم يستطع الأدميرال ياماموتو تنسيق أعمال الأسطول، وبدت القوى مشتتة بصورة كبيرة، ولم يملك تشكيلات من حاملات الطائرات وقوات الإنزال ومن ثمَّ لم تكن لديه تغطية كافية. كان مضطراً بعد أن فقد النواة الأساسية لعمارته البحرية أن يعطي الأمر بالانسحاب إلى الغرب، متخلياً عن إنزال قواته على الجزيرة المرجانية ميدوي. وفي صباح ٥ حزيران بدأ الأمريكان بملاحقة اليابانيين بعد أن علموا بانسحابهم. وبنتيجة ذلك لحقت بالأسطول الياباني في معارك ميدوي أول خسارة جدية. تم إغراق ٤ حاملات طائرات، وطراد ثقيل، وتم إسقاط ٣٣٢ طائرة وقتل ٣٥٠٠

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

شخص. أما خسائر الولايات المتحدة الأمريكية فكانت غير كبيرة: حاملة طائرات واحدة ومدمرة واحدة، و١٥٠ طائرة و٣٠٧ قتلى أمريكان[١]. إن بعض المؤرخين الأمريكان يقيمون عملية جزيرة ميدوي كـ «حدث من الأحداث الحاسمة بصورة فعلية في الحرب»[٢]، وينسبونها إلى العمليات التي شكلت (نقطة انعطاف) في مسرح المحيط الهادي للأعمال الحربية. إلا أن ذلك يتضمن مبالغة واضحة[٣]، لأن العملية لم تقضِ على تفوق القوات اليابانية في المحيط الهادي، التي استمرت بعد ذلك بالقيام بالأعمال القتالية الهجومية. ففي ٢١ حزيران عام ١٩٤٢ قام اليابانيون بإنزال قواتهم على الشاطئ الشمالي الشرقي لـ غويانا الجديدة، وفي آب باشروا التحرك نحو بورت - مورسبي، في سعي منهم لتعزيز رأس جسر متقدم، يهدد أستراليا. وحسب تقييم الرئيس روزفلت، كانت عملية ميدوي عملية دفاعية وعبارة عن «جزء من إستراتيجية الردع، التي ميزت هذه المرحلة من الحرب»[٤].

بعد هزيمة اليابانيين عند الجزيرة المرجانية ميدوي تخلت القيادة الإمبراطورية عن خطط التسلح في كاليدونيا الجديدة واحتلال جزر فيجي وساموا في حزيران عام ١٩٤٢. وقد ركزت القيادة الأمريكية جهودها لتدعيم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٨.

(٢) American Military History / General ed. M. Matloff. Wash., 1969, p. 439.

(٣) انظر بالتفصيل: رجيشيفسكي او. ا. الحرب والتاريخ (علم تدوين التاريخ البرجوازي في الولايات المتحدة الأمريكية عن الحرب العالمية الثانية). موسكو، ١٩٨٤، ص ١٢٦-١٢٩.

(٤) The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933 vol., 1945 vol. /Ed. By S. I. Rosenman. N.Y., 1938-1950, 1944 vol., p. 22.

مواقعها في القسم الجنوبي الغربي من المحيط الهادي، الذي شكل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أهمية إستراتيجية مهمة.

في ٧ آب عام ١٩٤٢ قامت مشاة البحرية للولايات المتحدة الأمريكية بالإنزال في جزيرة غوادالكانال، وكان عدد قوات الإنزال غير كبير - ١٠ آلاف جندي فقط. لم يصادفوا عملياً أية مقاومة. كانت عملية الإنزال على جزيرة غوادالكانال تهدف إلى تحقيق أمن طرق المواصلات البحرية على خط سان فرانسيسكو-هاواي-أستراليا، من خلال عدم السماح بزيادة الخطر العسكري الياباني المطرد لأوستراليا. استمرت المعارك البحرية سجالاً في هذه المنطقة ستة أشهر. وتكبد الطرفان الخسائر. وفي ليل ٨-٩ آب وجه اليابانيون ضربة غير متوقعة للقوات الحربية-البحرية المشتركة الأمريكية-الأوسترالية. فقد الحلفاء أربعة طرادات ثقيلة من أصل سبعة. أرسلت القيادة الأمريكية تعزيزات إلى هناك، بهدف خلق تفوق بالقوى، وفي شهر كانون الأول، تمَّ طرد اليابانيين من الجزيرة.

حملت العملية عند جزيرة غوادالكانال، التي استمرت نصف عام، طابعاً عنيفاً ومتوتراً. تكبد أسطول كلا الجانبين خسائر جدية - ٤٩ سفينة قتالية (ناقلتان، وثلاث حاملات طائرات، و١٣ طراداً، و٢٧ مدمرة، و٤ غواصات)[١]. ينظر المؤرخون الأمريكان إلى هذه الأعمال القتالية كـ (نقطة انعطافية) كذلك، وبداية للهجوم المعاكس في الحرب على المحيط الهادي[٢]. وفي غضون ذلك وحسب مقاييس ونتائج هذه العملية فإنها كانت تملك بالمعنى

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الأولى، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٦، ص ٤٧٨.

(٢) Miller ?????, Guadalcanal. The First Offensive. Wash., 1949: Leckie K. Challenge for the Pacific: Guadalcanal, Turning Point of the War. N.Y., 1965; American Military History, p. 502-503

الإستراتيجي أهمية دفاعية وفي المخطط التكتيكي فقط - أهمية هجومية. ذلك كان رأي الرئيس روزفلت نفسه[1]. ولقد قامت القيادة الأمريكية بنفس الوقت بأعمال قتالية ضد جزر سليمان، وأنزلت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها في جزيرة تولاغي. وخلال شهر آب - تشرين الثاني عام ١٩٤٢ حدثت ٦ معارك بين قوات الأسطولين الياباني والأمريكي.

لقد تمَّ استخدام الغواصات بصورة واسعة في حلِّ مهمة تأمين الدفاع عن الطريق البحرية على خط سان فرانسيسكو-هونولولو (هاواي) -ساموا - فيجي - أستراليا، الذي كانت تجري فيه عمليات نقل مكثفة للقوات والتقنيات إلى مسرح الأعمال الحربية.

وإلى جانب العمليات الحربية-البحرية الجارية في المحيط الهادي، بدأت القيادة في الولايات المتحدة الأمريكية بإعداد عملية لإنزال القوات الأمريكية-الإنكليزية على ساحل شمالي إفريقيا في شهر آب. كان التحضير يجري بكل الاتجاهات: الحربية، والسياسية، والدبلوماسية. وفي هذه الأثناء كانت القوات الألمانية -الإيطالية تقف عند العلمين. لم ينجح رومل في خرق الدفاع البريطاني، وكان ينتظر التعزيزات. أما الإنكليز فإنهم أرسلوا إلى مصر بسرعة القوات، والدبابات، والطائرات، والمدفعية. ولقد حققوا تفوقاً على عدوهم في نهاية آب، وقاموا في الوقت نفسه بإجراء تغييرات في القيادة العسكرية، إذ أصبح القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط الجنرال هـ. ألكساندر، وقائد الجيش الثامن - الجنرال ب. مونتغومري. وأخذت القيادة الإنكليزية تعمل بنشاط للتحضير للهجوم.

---

(١) رجيشيفسكي أو. المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

خصص الحلفاء جيشاً مؤلفاً من ١٠٧ آلاف شخص للعملية في شمال إفريقيا، و٤٥٠ سفينة إنزال من أجل نقله. تمَّ التخطيط ليكون إنزال قوات الحلفاء في منطقة كازابلانكا (٣٥ ألف أمريكي)، وفي وهران (٣٩ ألف أمريكي) وفي الجزائر (٣٣ ألف إنكليزي وأمريكي). وخُصصت ثلاث فرق من أجل عبور المانش، وقررت قيادة الحلفاء القيام بالأعمال الحربية على هذا المسرح. وفي أيلول تمَّ توجيه جزء مهم من القوات الأمريكية الموجودة في الجزر البريطانية للمشاركة في عملية (تورتش). بقي في إنكلترا فرقة المشاة الـ ٢٩ الأمريكية فقط، وتمَّ تعيين الجنرال د. آيزنهاور قائداً عاماً لحملة الحلفاء. اقترح روزفلت بدء العملية في ٣٠ تشرين الأول - على أعتاب الانتخابات المتوسطة للكونغرس. بيد أن القيادة بحكم ضيق الوقت المخصص للتحضير طلبت نقل موعد البدء إلى ٨ تشرين الثاني، ووافق الرئيس على ذلك.

جرى التحضير للعملية في ذلك الوقت، عندما استعرت المعركة الضارية على مشارف ستالينغراد. وأبدى المحاربون السوفييت مقاومة بطولية ضد قطعان المهاجمين الهتلريين. أثار النضال الباسل والمتفاني للشعب السوفييتي شعور الابتهاج والفخر لدى الشعب الأمريكي. واتسعت في البلاد الحركة المطالبة بالفتح السريع للجبهة الثانية[1]. جرت تحت هذا الشعار مظاهرة جماهيرية في نيويورك بمشاركة ٧٥ ألف شخص. وفي ديترويت تم تنظيم اجتماع جماهيري من قبل المركز الثقافي لكونغرس النقابات الإنتاجية حضره ٢٠ ألف شخص. ولقد وجه المشاركون في هذا الاجتماع برقية إلى روزفلت يطالبون فيها بتنظيم الجبهة الثانية والتعهد بالنضال من أجل زيادة إنتاج

(١) البرافدا، ١٩٤٢، ١٩، ٢٩ آب.

المنتوجات الحربية. وفي فيلادلفيا جرى اجتماع جماهيري أيضاً تحت شعار الانتقال بسرعة إلى الأعمال الهجومية في الغرب.

تطورت في أيلول حركة دعم للاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية بمقاييس أكبر أيضاً. إذ كانت النداءات الحازمة لفتح الجبهة الثانية تدوي في كل مكان. ففي كليفلاند، تم اتخاذ قرار في مؤتمر نقابات عمال صناعة الماكينات الكهربائية يطالب بفتح الجبهة الثانية فوراً. وفي ٦ أيلول جرى في نيويورك اجتماع جماهيري مكرس لـ (يوم العمل) شارك فيه ١٠٠ ألف شخص. وكان يقابل كل ذكر فيه للاتحاد السوفييتي بعاصفة من التصفيق.

وبعد ذلك بأربعة أيام، وبمبادرة من ٤٠ ممثل للنقابات جرى اجتماع جماهيري آخر في نيويورك أيضاً، اتخذ المشاركون فيه قراراً، ألحّوا فيه على فتح الجبهة الثانية بصورة سريعة. وفي نفس اليوم، في ١٠ أيلول جرى اجتماع في بالتيمور، شارك فيه ٥ آلاف شخص، وأكد الخطباء فيه ضرورة الانتقال إلى الأعمال الهجومية في الغرب. كتب عمال سياتل في برقية أرسلوها إلى الرئيس روزفلت، أنهم مستعدون لتقديم أية تضحية، وتنفيذ أي عمل يتطلبه فتح الجبهة الثانية - إن قرارات الاجتماعات الجماهيرية واللقاءات والبرقيات والرسائل كانت تصب في البيت الأبيض والكونغرس. وكانت كلها تعبر عن سعي الشعب لتنشيط النضال ضد العدو المشترك وبالدرجة الأولى توجيه الضربة إلى ألمانيا في الغرب. وفي تشرين الأول عام ١٩٤٢ جرى في بوسطن مؤتمر النقابات الإنتاجية، الذي اتخذ قراراً حول الهجوم الفوري في الغرب: ولقد أقيمت في عدد من مدن البلاد أسابيع مخصصة لستالينغراد. وأعلن رؤساء بلديات نيويورك وغيرها من المدن يوم ٨ تشرين الثاني عام ١٩٤٢ يوماً لستالينغراد[1].

---

(١) برافادا، ١٩٤٢، ١٩، ٢٩ آب؛ ٧، ١٤، ١٦ أيلول؛ ١٦ تشرين الأول.

وضع نهوض الحركة الجماهيرية الأوساط الحكومية في وضع صعب. ففي المحادثات مع السفير السوفييتي م.م. ليتفينوف تطرّق رئيس الولايات المتحدة الأمريكية باختصار ودون رغبة لمواضيع الجبهة الثانية. متحدثاً عن أن عبور المانش غير ممكن بعد، وحتى مستثنى[1]. و كان الكونغرس يمتنع عن مناقشة هذه المسائل. ولقد حاولت بعض الصحف إثبات أن الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا لا تزالان غير مستعدتين للقيام بتلك العملية الهجومية، بما أنهما لا تملكان لأجل ذلك لا القوات، ولا سفن النقل على وجه الخصوص. وعندما اتسعت حملة (الجبهة الثانية - دون بطء) في أيلول عام ١٩٤٢، ألقى روزفلت كلمة في الإذاعة ١٢ تشرين الأول، عبر فيها عن عدم رضاه بأن مسائل فتح الجبهة الثانية هي مادة للمناقشة الواسعة في الصحافة[2].

كانت العناصر الانعزالية والمعادية للسوفييت تقف ضد فتح الجبهة الثانية. كتب م.م. ليتفينوف في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٤٢ أن «الحركة من أجل الجبهة الثانية في الصحافة وفي الاجتماعات، اتخذت تلك المقاييس، بحيث أن الحديث عن ذلك لم يعد يحتمل بالنسبة للعناصر المعادية للسوفييت والانعزالية، وأخذت تتحدث عن ذلك بصراحة»[3]. إلا أن مطالب الشعب الأمريكي والجدالات السياسية الحادة، والابتهاج بصلابة وشجاعة المواطنين السوفييت، لم يكن ممكناً إلا أن تؤثر على طابع المراسلات بين روزفلت

---

(١) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، الجزء ١، ص ٢٥١؛ وبوريسوف ا. يو. المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢) Daily Worker, 1942, Oct. 13.

(٣) العلاقات السوفييتية الأمريكية...، الجزء الأول، ص ٢٥٢.

وستالين. كتب الرئيس في بداية تشرين الأول «أن دفاع ستالينغراد الشجاع حرّك الجميع بصورة عميقة في أمريكا، ونحن متأكدون من نجاحه»(١).

كان وضع إدارة الديمقراطيين يزداد تعقيداً أيضاً من خلال تهجمات الجمهوريين على سياستها الحربية وإستراتيجيتها نتيجة عدم النجاح في المحيط الهادي وسلبيتها في أوروبا. وازداد استياء الكادحين بسبب التضخم، وارتفاع الأسعار، وزيادة الضرائب، والرقابة الصارمة على الأجور. ونتيجة الوضع الناشئ أعار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أهمية خاصة لإنزال القوات الأمريكية في شمال إفريقيا.

في ٢٣ تشرين الأول بدأت القوات البريطانية الهجوم. كانت القوات الإيطالية - الألمانية توجد بالقرب من السويس والإسكندرية، وكانوا يشغلون خطاً دفاعياً ملائماً يقع جنوب غرب العلمين بامتداد يصل إلى نحو ٦٠ كم. وكان الجناح الشمالي يرتكز في البحر الأبيض المتوسط، أما الجنوبي - ففي منخفض القطارة الوعر. وكان تعداد جيش الخصم ١٢ فرقة (٤ فرق ألمانية، و٨ فرق إيطالية): ٨٠ ألف شخص، و٥٤٠ دبابة، و١٢١٩ مدفعاً، و٣٥٠ طائرة(٢).

كان الإنكليز يملكون تفوقاً كمياً ونوعياً، ويحشدون قوات ضخمة. إذ ضمَّ الجيش (٢٣٠ ألف شخص) ٣ فيالق، و١٠ فرق. وبالإضافة لذلك كانت هناك فرق وألوية أسترالية، وهندية، وفرقة نيوزيلاندية وجنوب إفريقية

---

(١) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ٢، ص ٣٥.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٦، ص ٢١٣.

ويونانية وفرنسية. وكان الإنكليز يملكون ٣٤١٠ مدافع، و١٤٤٠ دبابة، بالإضافة إلى ١٥٠٠ طائرة كانت تدعم الجيش[1].

لم تستطع القوات البريطانية في الأيام الثلاثة الأولى أن تخترق الدفاع، فأمر الجنرال مونتغمري بإدخال قسم من تشكيلات النسق الثاني خفيفة الحركة في القتال. لكن ذلك لم يعط النتائج المرجوة. عندئذ باشرت القيادة بتوجيه ضربة معاكسة بالدبابات. استمرت المعارك يومين - ٣ و ٤ تشرين الثاني، وتكبد جيش روميل خسائر فادحة. لم يبق في فرق الدبابات الألمانية سوى ٣٥ - ٤٠ دبابة. وفي ٤ تشرين الثاني تم خرق الدفاع، وبدأت القوات البريطانية التقدم بصورة سريعة، ونتيجة لذلك نشأ خطر واقعي بمحاصرة التجمع الساحلي، فأخذ روميل يسحب قواته إلى الغرب على عجل.

إن انتصار الإنكليز في العلمين كان حدثاً مهماً بالنسبة للحلفاء. فلأول مرة تمكنوا من توجيه ضربة ملموسة للعدو. لقد خسر روميل ٥٥ ألف قتيل وجريح وأسير، و٣٢٠ دبابة، ونحو ألف مدفع[2]. لقد غيَّر ذلك الوضع بصورة محسوسة في شمال إفريقيا.

يجري تصوير عملية العلمين في الغرب كـ **(انعطاف مصيري)** في الحرب و «واحدة من المعارك البرية الحاسمة»[3]، ويقارنونها أحياناً بمعركة ستالينغراد، مع أن هذه المقارنة كما هو معلوم غير ممكنة، لا من إذ المقاييس، ولا التوتر، ولا الأهمية ولا النتائج. يكفي التذكير أن عدد القوات الألمانية -

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) فولليرج. الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٥٦، ص ٣٠٣.

الفاشستية التي تواجدت على محور ستالينغراد بلغت أكثر من مليون شخص، أما في العلمين فبلغ تعدادها ٨٠ ألف جندي وضابط فقط.

جرت الانتخابات إلى الكونغرس في الولايات المتحدة الأمريكية في جو من الابتهاج بسبب الانتصار في العلمين. وخاض الجمهوريون الانتخابات تحت شعار (القتال بصورة حيوية أكثر). إذ انتقد أو. ويلكي الحكومة بسبب سلبيتها في الحرب. أما في معسكر الديمقراطيين فلم تكن هناك وحدة. إذ ظهرت خلافات بين روزفلت وج. فارلي - الرئيس السابق للجنة الوطنية للحزب الديمقراطي[1].

أعطى الكثير من الناخبين أصواتهم للجمهوريين، الذين حصلوا على نجاح مؤثر، إذ حصلوا على ٩ مقاعد إضافية في مجلس الشيوخ و ٤٧ - في مجلس النواب. تغير تناسب القوى في الكونغرس. والآن لم تعد هناك إمكانية للموافقة على أي مشروع قانون في الكونغرس دون دعم الجمهوريين، الذين صاروا يملكون ٤٠% من مجموع الأصوات في مجلس الشيوخ و٤٨% - في مجلس النواب. وبالإضافة إلى ذلك فلقد أصبح الجمهوريان ت. ديوي واي. اورين حاكمين في أضخم ولايتين في البلاد – ولايتي نيويورك وكاليفورنيا.

أثارت هزيمة الديمقراطيين في الانتخابات النصفية إلى الكونغرس القلق لدى الرئيس روزفلت. كان ينتظر ويخشى هذه النتيجة في الانتخابات. إن سلبية الحلفاء في الأعمال الحربية جعلت أنصار الحزب الديمقراطي يصابون بخيبة الأمل. استعرت الخلافات داخله، واشتد الانتقاد تجاه الرئيس، الذي وضع مسؤولية الفشل في الانتخابات على رئيس اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي أي. فلين. قدم فلين المستاء استقالته، واحتل مكانه ف. وولكير.

---

(١) العلاقات السوفييتية - الأمريكية...، الجزء ١، ص ٢٥٣.

وبعد أربعة أيام وصلت أنباء سارّة. ففي صباح ٨ تشرين الثاني أخذت قوات الحملة الأمريكية-الإنكليزية بالنزول في مناطق كازابلانكا، بعد بلوغها بسلام شواطئ شمال إفريقيا، ووهران والجزائر. كان هذا الأمر بالنسبة لبلدان (المحور) أمراً مفاجئاً. لقد كانوا يظنون في برلين أن مكان الإنزال سيكون طرابلس، وبنغازي أو جزيرتي صقلية وساردينيا. لم تبدِ قوات حكومة فيشي (وصل تعدادها إلى ٢٠٠ ألف شخص ونحو ٥٠٠ طائرة) أية مقاومة جدية[١].

كان قد توجه إلى الجزائر قبل فترة طويلة من العملية المخطط لها الدبلوماسي الأمريكي ر. ميرفي، الذي قام هناك بالاشتراك مع مصلحة المخابرات في الولايات المتحدة الأمريكية بنشاط عاصف. واستطاع أن يقيم صلات مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية. وفي نهاية تشرين الأول بدأ الجنرال م. كلارك الذي وصل مع مجموعة من الضباط على غواصة إلى الجزائر بالمفاوضات مع الأدميرال المتعاون مع العدو ج. ل. دارلان، القائد العام لقوات حكومة فيشي المسلحة. اختتمت المفاوضات في ١٣ تشرين الثاني بتوقيع اتفاقية. أعطى دارلان أمراً لقوات فيشي بالتوقف عن المقاومة. وبفضل قوى حملات الحلفاء هذه تمكنت من النزول على شاطئ إفريقيا الشمالية دون صعوبات تذكر.

في ١٣ تشرين الثاني أعلن الجنرال آيزنهاور مفوضاً أعلى، والأدميرال دارلان «رئيساً لدولة شمال إفريقيا». وانتقل الحكام الفيشيين للمستعمرات الإفريقية الفرنسية، ش. نوريس، واي. شابتل، وج. بيرجيري، وب. بواسون إلى جانب دارلان: ولقد تم تعيين الأدميرال جيرو قائداً للجيش الفيشي في إفريقيا. وفي ١٥ تشرين الثاني أعلن دارلان عن إقامة سلطة

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٦، ص ٢١٩.

جديدة. إن تطور الأحداث اتخذ طابعاً منذراً بالسوء - دخلت الولايات المتحدة الأمريكية عملياً بتواطؤ مع خونة فرنسا.

تصاعدت موجة من الاحتجاج ضد تعاون الولايات المتحدة الأمريكية مع الفيشيين من قبل الرأي العام الديمقراطي الأمريكي. وظهرت في الصحافة مقالات تنتقد بشدة سياسة إدارة روزفلت. وعبر المشاركون في حركة المقاومة التي يقودها ديغول كذلك عن استنكارهم الحازم لسياسة واشنطن الرسمية. ولقد أعلن روزفلت في رده على ذلك بصورة غاضبة: «بالطبع، اتفقت مع دارلان، لأن دارلان أعطاني الجزائر! وغداً سأبدأ المفاوضات مع لافال، إذا كان سيعطيني لافال باريس!»[1].

إن الأعمال الحربية-الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية، الموجهة نحو إقامة إشراف على الأراضي المستعمرة الفرنسية أثارت القلق في لندن. أصبحت النوايا التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية في هذا الإقليم، كما في الهند واضحة. ففي ١٠ تشرين الثاني، صرح تشرشل بلهجة خطيرة: «أصبحت رئيساً لوزراء الملك لا لأجل أن أكون رئيساً عند تصفية الإمبراطورية البريطانية»[2].

احتل الحلفاء الجزائر في ٨ تشرين الثاني. وفي ١٠ تشرين الثاني استسلمت الحامية في وهران. فقد الحلفاء خلال ستة أيام من الإنزال ١٠٨٣ قتيلاً و١٠٦٨ جريحاً[3].

---

(١) ديغول ش. المذكرات الحربية: في جزأين. موسكو، ١٩٦٠، الجزء ٢، ص ٦٠.

(٢) Churchill W. The War Speeches. L., 1952, vol. 2, p. 344

(٣) Play Fair I. a. o. The Mediterranean and Middle East: vol. 1-4, L., 1954-1966. Vol. 4, p. 155.

اعتبر إنزال القوات الأمريكية-الإنكليزية على الشاطئ الشمالي-الغربي لإفريقيا عملية إنزال ضخمة، كانت تشهد بالمناسبة على إمكانية عبور المانش. لقد تمكن الحلفاء أن ينظموا بصورة سرية إيصال القوات عن طريق البحر إلى مسافات كبيرة، ويضمنوا المفاجأة وإنزال القوات بآن واحد في مختلف المناطق. وفيما بعد أخذت القوات الأمريكية-الإنكليزية تتقدم إلى الشرق، واحتلت حتى منتصف تشرين الثاني أراضي مراكش والجزائر ودخلت تونس.

إن هتلر وبعد أن استلم نبأ إنزال قوات الحلفاء في شمال إفريقيا، أعطى أوامره باحتلال تونس وإنشاء رأس جسر هناك للقوات الإيطالية-الألمانية. وبدأ نقل فرق الدبابات والمشاة إلى تونس من فرنسا وإيطاليا بصورة عاجلة عبر الجو والبحر.

وخرقت القوات الهتلرية بنفس الوقت الحد الفاصل، واحتلت جنوب فرنسا، مخططين للاستيلاء على أسطولها، لكنها لم تستطع. قام البحارة الفرنسيون بعملية شجاعة: أغرقوا وأخرجوا من طولون ٦٠ سفينة من الأسطول، كيلا تقع في أيدي المحتلين. وغيَّر هذا الأمر الوضع بصورة حادة في تناسب القوى في البحر الأبيض المتوسط لصالح الحلفاء.

في ١٧ تشرين الثاني، التقت القوات الأمريكية-الإنكليزية غرب بنزرت وبدأت القتال مع القطعات الإيطالية-الألمانية. وصل جيش رومل حتى تونس بعد أن حقق مسيراً طوله ٢٠٠٠ كم، وباشر بعدد من الضربات المعاكسة. لم يستطع الحلفاء أن يتملكوا الجزء الشرقي من تونس بصورة مشابهة. ولقد قرروا إيقاف الهجوم والانتقال إلى حشد القوات. وفي كانون الثاني عام ١٩٤٣ بلغ عدد جيش الحلفاء أكثر من ٤٠٠ ألف شخص. أما

القيادة الألمانية - الفاشية، فقد تمكنت من نقل ١١٢ ألف جندي وضابط إيطالي وألماني[١] فقط. حلت السكينة في شمال إفريقيا، وخاض الجانبان المتصارعان أعمالاً محدودة. أبدى طيران الحلفاء الذي كان متفوقاً النشاط فقط. إن قاذفات قنابله كانت تعيق القيادة الإيطالية-الألمانية بتنظيم إرسال القطعات العسكرية والأسلحة والتكنيك الحربي والمحروقات إلى تونس، إذ كان يجري من الطرفين الاستعداد للأعمال العسكرية المقبلة.

تطور الصراع المتوتر بآن واحد من أجل الأطلسي. وزادت الغواصات النازية من هجماتها ضد السفن الأمريكية والإنكليزية، وتكبد الحلفاء الغربيون خسائر جدية، وازداد نقل التقنيات الحربية والقوى الحية صعوبة عبر المحيط. وفي كانون الثاني عام ١٩٤٢ أغرقت الغواصات الألمانية في المحيط الأطلسي ٤٥ سفينة بحمولة عامة تصل إلى ٢٩٧ ألف طن، وفي حزيران - ١١٤ سفينة بحمولة ٦٢٧ ألف طن، أما في تشرين الثاني فإن هذا الرقم ازداد حتى ٨٠٠ ألف طن[٢]. وبصورة عامة، فخلال ستة أشهر من عام ١٩٤٢ أغرقت الغواصات الألمانية - الفاشستية في الأطلسي ٥٠٦ سفناً للحفاء الغربيين بحمولة قدرها ٢٢٥٠ ألف طن[٣]. إن ١١٧ سفينة أغرقتها الغواصات التي استخدمت تكتيك ما يسمى (السرب الذئبي) الذي كان محتواه يكمن في أن عدداً من الغواصات تحاصر الضحية بالهجمات الطوربيدية بآن واحد وتغرقها.

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثنية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٦، ص ٢٢٢.

(٢) Churchill W. The Second World War, vol. 3, p. 137; vol. 4, p. 112

(٣) ماكدونالد تش. الامتحان الصعب. موسكو، ١٩٧٩، ص ٥٣٠.

إن الخسائر الكبيرة كانت تتطلب بصورة ملحة من الحلفاء اتخاذ خطوات عاجلة، موجهة إلى تأمين معابر متواصلة وآمنة للقوات والمواد عبر الأطلسي. شكل ذلك إحدى المهام الحربية المهمة في عام ١٩٤٣.



الفصل الرابع عشر

سياسة واشنطن ودبلوماسيتها

١ - الوضع في البلاد:

كان الاقتصاد الأمريكي يتطور بوتائر سريعة، وبلغ عام ١٩٤٣ المستوى الأعلى في نمو الصناعة خلال أعوام الحرب. كانت جميع الفروع تعمل بكامل طاقتها، وتم إنتاج ٢٦٧.٥ مليار كيلوواط ساعي من الطاقة الكهربائية، واستخراج أكثر من ٥٩٠ مليون طن من الفحم، و٢٠٣ ملايين طن من النفط، وصهر ٨٠,٦ مليون طن من الفولاذ، و٥٦,٩ مليون طن من حديد الصب والسبائك الحديدية، و١٢٥١,٣ ألف طن من النحاس، و٨٣٤,٨ ألف طن من الألمنيوم. لقد أنتجت الولايات المتحدة الأمريكية من النفط والفحم أكثر من أية دولة أخرى مشاركة في الحرب. وتفوقت على ألمانيا في إنتاج الطاقة الكهربائية بأكثر من ٥ مرات، وعلى اليابان بـ ٨ مرات تقريباً[١].

أدَّت المتطلبات المتزايدة للدولة للتكنيك الحربي، والسفن والطائرات والأسلحة والذخائر، والمواد الخام والعتاد العسكري والوقود والموارد البشرية، إلى تغيرات جذرية في بنية الصناعة. إذ زاد الوزن النوعي للصناعة الحربية بصورة حادة، وتقلص إنتاج مواد الاستهلاك المدني. واستمر بناء مصانع جديدة

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً. موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢، الجزء ٧، ص ٦٧.

بالمقياس الواسع وكذلك توسيع المؤسسات العاملة. ولعل العمل الأشد كان في عام ١٩٤١-١٩٤٢ والنصف الأول من عام ١٩٤٣. إذ شُيِّد ٥٢٤ مصنعاً لإنتاج المدافع، والبنادق، والذخائر، والقنابل، و٥٢١ مصنعاً لإنتاج الطائرات، و٢٢٧ معملاً لإنتاج السفن، و٣٣١ مؤسسة لإنتاج الآلات الصناعية والكهربائية، و٢١٧ معملاً للصناعات الكيميائية(١). كان تطور صناعة الطيران والألمنيوم والصناعات الكيميائية وغيرها من الفروع الصناعية الأخرى يجري بالدرجة الأساسية على حساب الدولة، أي على حساب دافعي الضرائب.

لقد تركزت ٢/٣ من صناعة البلاد لإنتاج الأسلحة. وإذا كانت صناعة الولايات المتحدة الأمريكية نمت خلال العامين الأولين من الحرب بمقدار ١,٥ مرة، فإن إنتاج المنتوجات العسكرية - زاد نحو ٧ مرات. وفي تشرين الثاني عام ١٩٤٣ وصل الإنتاج العسكري إلى ذروته، ففي هذا العام تم إنتاج منتوجات عسكرية بمبلغ ٨٠ مليار دولار(٢). وخلال عام تم إنتاج نحو ٨٦ ألف طيارة، و٥٧,٤ ألف مدفع، و٣٨,٥ ألف دبابة، وتم بناء ٢٦٢ سفينة قتالية من الطبقات الأساسية. ولقد نما بصورة ملموسة الأسطول التجاري. وحصل الجيش والأسطول والطيران على المتطلبات الضرورية لهم من التسلح والتكنيك الحربي بالكميات الكافية.

حملت الحرب للاحتكارات أرباحاً طائلة. وتوزعت الطلبيات العسكرية بين الاتحادات الاحتكارية الكبيرة، واشتد تركز الإنتاج ورأس المال. فمن عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٤ أغلقت نحو ٥٠٠ ألف شركة صغيرة ومتوسطة، لم

---

(١) روزينفيلد يا. س. صناعة الولايات المتحدة الأمريكية والحرب. موسكو، ١٩٤٦، ص ٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨-٤٩.

تستطع تحمل المنافسة مع الشركات الضخمة. إن نحو نصف العاملين (٤٤%) في الصناعة والتجارة عام ١٩٤٣ كانوا يتمركزون في الشركات التي يبلغ عدد عمالها أكثر من ألف[١]. وكان الرأسمال الكبير يملي على الهيئات الحكومية سياسة التنظيم الاقتصادي. إذ سيطر ممثلو (البزنس الكبير) وبصورة كبيرة على الحلقات المفتاحية في الجهاز الاقتصادي. وكانت منظومة التوريدات حسب ليند-ليز موضوعة في خدمة الاحتكارات الأمريكية. لقد بلغ المجموع العام للتوريدات ١١٧٣٣ مليون دولار، وذهب ٦١% منها للتكنيك الحربي، والتسلح والذخائر. حصلت بريطانيا العظمى وغيرها من الدول التابعة للإمبراطورية البريطانية على معظمها (٩٠٣١ مليون دولار). وبلغت التورديات إلى الاتحاد السوفييتي ما قيمته ٢٤٣٦ مليون دولار فقط[٢].

يبالغ الكثير من المؤرخين الأمريكان والإنكليز في أهمية التوريدات إلى الاتحاد السوفييتي حسب ليند - ليز. ويمكن أن نصادف أحياناً بعض التأكيدات التي تقول: إن الاتحاد السوفييتي لم يكن يستطيع الانتصار على ألمانيا دون هذه التوريدات[٣]. لكن هذا الأمر لا يتوافق مع الواقع. إن توريدات الحلفاء قدمت خدمة إضافية فقط، ولم تكن مصادر تزويد القوات المسلحة السوفييتية بالمواد العسكرية محسوسة أيضاً. لقد وردت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٢ ما مقداره ٢٥٠٥

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨-٤٩.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء السابع، ص ٦٩.

(٣) Schofield B.B. The Russian Convoys. L., 1964, p. 208; Baldwin H. Battles Lost and Won. L., 1966, p. 235; Jones R. The Roads to Russia. Norman, 1969, p. 9; Crocker G. Roosevelt's Road to Russia. N.Y., 1975, p. 162-163.

طيارات، و٣٠٣٢ دبابة، و٧٨٩٦٤ وحدة نقل آلية، وفي الوقت نفسه كانت الصناعة السوفييتية تنتج ٢٥٤٣٦ طائرة، و٢٤٤٤٦ دبابة[١].

لم يزد حجم توريدات الطائرات إلى الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا على ١٢% والدبابات ١٠% والمدفعية ٢% من إنتاج الصناعة السوفييتية. زد على ذلك أن التوريدات لم تكن تأت دائماً في أوانها، حين كانت بلادنا تحتاج إليها بصورة حادة. كانت الطائرات والدبابات في الغالب عبارة عن نماذج قديمة. وإن تصريح هوبكينز في محادثته مع ستالين معروف للجميع: «...لم نكن نعدّ قط أن التوريدات حسب ليند-ليز هي العامل الحاسم في الانتصار السوفييتي على هتلر في الجبهة الشرقية. إنه تحقق ببطولة ودماء الجيش الروسي»[٢].

تحملت الجماهير الكادحة عبء الحرب الرئيسي في الولايات المتحدة الأمريكية. وشكل العمال والمزارعين الجزء الأساسي من القوات المسلحة، وعملوا بنكران ذات في الإنتاج. ووصلت عمالة السكان في الاقتصاد إلى ذروتها خلال فترة الحرب - ٥٤.٥ مليون نسمة[٣]. وانخفضت البطالة بصورة حادة: من ٥,٢ مليون في تموز عام ١٩٤٢ إلى ١,٢ مليون في تموز عام ١٩٤٣. وفي بعض فروع الإنتاج الحربي مثل بناء السفن كان هناك شعور بنقص اليد العاملة. إن نزوح العمال وانتقالهم من مؤسسة إلى أخرى اكتسبا طابعاً شاملاً.

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٥، ص ٤٨، ٥٧، ٥٨.

(٢) شيرفود ر. روزفلت وهوبكينز: بعيني شاهد عيان: في جزأين. موسكو، ١٩٥٨، الجزء ٢، ص ٦٢٦.

(٣) Industrial Mobilization for War. History of the War Production Board and Precedes for Agencies, 1940-1945. Wash., 1947, vol. 1, p. 701.

ولقد أُعلن في الربيع، في ٣٢ منطقة من مناطق البلاد أن هناك «نقصاً حاداً في القوة العاملة»، وفي تشرين الثاني بلغ عدد هذه المناطق ٧٧ منطقة. لقد أصبحت مسألة تنظيم القوة العاملة ضرورية بصورة صارمة.

في بداية عام ١٩٤٣ اتخذت اللجنة المؤلفة من هوبكينز، وج. بيرنس، والأدميرال او. ليغي، وب. باروخ، وس. روزينمان، التي أنشأها روزفلت من أجل دراسة قضية نقص القوة العاملة، عدداً من التوصيات. وفي ٩ شباط عام ١٩٤٣، أصدر روزفلت أمراً بجعل أسبوع العمل في مؤسسات الإنتاج الحربي ٤٨ ساعة، وبعد ذلك سرعان ما أصدر رئيس لجنة توزيع الموارد البشرية في ١٧ نيسان توجيهاً حرّم فيه على العمال مغادرة المؤسسات دون موافقة أرباب العمل. وعُمِّمَ هذا التوجيه على ٣٥ فرعاً من فروع الصناعة، وشمل ٣٥ مليون عامل[1]. وكانت العقوبة على مخالفة هذا التوجيه قد تصل إلى السجن لعام واحد.

وقد تم في الوقت نفسه طرح مسألة متعلقة بتطبيق نظام العمل القسري، ففي ٨ شباط تقدم عضو مجلس الشيوخ عن ولاية فيرمونت أو. أوستين وعضو مجلس النواب عن ولاية نيويورك ج. وودسفورت بمشروع قانون حول العمل الإجباري تحت اسم (قانون حول الخدمة الوطنية)[2]. كان مشروع القانون هذا يقضي بإرسال الرجال والنساء إلى العمل حسب أهواء الهيئات الحكومية، ولقد أيده بقوة ممثلو (عالم الأعمال الكبير) والدوائر العسكرية. وتوجه وزير الحربية سيمسون برسالة خاصة إلى رئيس مجلس الشيوخ المختصة بالقضايا العسكرية

---

(١) سيفاتشيف ن.ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية. موسكو، عام ١٩٧٤، ص ١٨٨.

(٢) Congressional Recird, vol. 89, p. 666-667, 730

ر. رينولدس، يقترح فيها الموافقة على مشروع القانون[1]. وقفت النقابات ضد مشروع القانون، وتطورت جدالات طويلة حول ذلك. زاد العمال إنتاجية العمل بغية إظهارهم لتضامنهم مع شعوب البلدان الأخرى المناهضة للائتلاف الهتلري، وسعيهم لزيادة مساهمتهم في تحطيم العدو المشترك، ووافقوا على إطالة يوم العمل والعمل الإضافي. أيد الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية سياسة روزفلت، وقرر الشيوعيون أن يخوضوا العمل بين النقابات، وبالدرجة الأولى في كونغرس النقابات الإنتاجية، الذي كان يملك تأثيراً ملموساً في نيويورك، وفي ولايات أوهايو، وايللينوي، وبنسلفانيا، وكاليفورنيا. إذ شارك الحزب في إقامة الاجتماعات الجماهيرية واللقاءات، التي كانت تبحث في مسائل الفتح السريع للجبهة الثانية في أوروبا، ودعم الاتحاد السوفييتي وغير ذلك من الدول التي تحارب المعتدين الفاشستيين، داعياً فدرالية العمل الأمريكية وكونغرس النقابات الإنتاجية للتعاون.

كان الماليون والصناعيون يستخدمون حالة السوق الحربية المواتية لهم من أجل زيادة أرباحهم، وكانت الأسعار على بضائع الاستهلاك الضرورية ترتفع. وبالمقارنة مع كانون الثاني عام ١٩٤١، فإنها ارتفعت في عام ١٩٤٣ بحدود ٤٣.٥%، وارتفعت الأجور بنفس الوقت ١٥% فقط، أما تكلفة معيشة الكادحين فقد ارتفعت بمقدار ٢٧% بالمقارنة مع ما قبل الحرب. وفُرضت منظومة البطاقة على بعض أنواع البضائع. أثار كل ذلك الاستياء في أوساط العمال، واستلمت اللجنة التنفيذية للفدرالية الأمريكية للعمل عدداً كبيراً من البرقيات والرسائل التي تعبر عن الاستنكار.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٧٥.

في ١ تموز عام ١٩٤٣ تمَّ البدء بتنفيذ قانون ضريبة الدخل الفدرالية: وكان لا يجب أن يتخطى ٢٠% من الأجرة.

وقف أعضاء النقابات في الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية إلى جانب إلغاء صيغة (الفولاذ الزهيد) - أي إلى جانب إلغاء تجميد الأجرة. وكانوا يشيرون إلى عدم عدالته: بما أن مستوى الأجرة كان متخلفاً عن كلفة المعيشة، الأمر الذي كان يؤدي إلى ازدياد الوضع الاقتصادي للعمال سوءاً. أكد مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية أن سياسة (استقرار) الأجرة «خلقت خطراً جدياً بانقسام الأمة، وإضعاف الجبهة الداخلية بصورة ملموسة»[١].

ازداد تشديد العمل بصورة حادة في الصناعة، بإذ كان من عواقب ذلك أن نمت الأحداث المشؤومة. فخلال عام ١٩٤٣ قُتل ١٨٤٠٠ شخص، وأصيب ١٠٩٧٠٠ شخص بعاهات دائمة، ومن المميز أنه خلال عامين من الحرب - من الهجوم على بيرل هاربر حتى نهاية عام ١٩٤٣ -قتل ٣٧٦٠٠ شخص أثناء الإنتاج، أي أكثر بـ ٧٥٠٠ مما هلك في ساحات القتال[٢].

وكردٍّ على الهجوم المتزايد من قبل أرباب العمل، أخذ الكادحون يلجؤون إلى الإضرابات. ففي عام ١٩٤٣ تمَّ القيام بـ ٣٧٢٥ إضراباً، شارك فيها نحو ٢ مليون شخص[٣].

---

(١). CIO News, 1943, Nov. 8

(٢) سيفاتشيف ن. ف. السياسة العمال لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ١٩١.

(٣) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في الزمن المعاصر: في جزأين. موسكو، ١٩٧٠-١٩٧١، الجزء ٢، ص ١٠٠. و: Historical Statistics of the United States. Colonial Times to 1957. Wash., 1960, p. 99; Economic Almanac for 1960., 1960, p. 310.

لعب عمال المناجم الدور النشيط والأكبر في الحركة العمالية. ففي صناعة الفحم جرى ٤٣٠ إضراباً عام ١٩٤٣، بمشاركة ٦٠٥ آلاف شخص. إن ٧٠% من مجموع أيام العمل التي تمَّ صرفها على الإضرابات عام ١٩٤٣ تمت في هذا الفرع. كانت الإضرابات تجري بقيادة رئيس نقابة عمال المناجم جون لويس. وفي نهاية نيسان عام ١٩٤٣، نشأ خطر القيام بإضراب عام من قبل عمال مناجم الفحم. كان العمال يطالبون بزيادة الأجرة مع ارتفاع الأسعار وفرض ٦ أيام عمل في الأسبوع. اقترحت الإدارة المختصة بقضايا العمل الوساطة فيها لتجنب الإضراب، لكن ذلك تم رفضه. وفي ٢٥ نيسان توقف عن العمل ٧٠ ألف عامل. وفي اليوم التالي أضرب نحو ٥١٥ ألف عامل منجم. شمل الإضراب تقريباً كل المناجم.

طلبت الحكومة إيقاف الإضراب، وهدد الرئيس لويس بأنه: إذا لم يستأنف عمال المناجم العمل في صباح أول أيار فإن الحكومة ستقوم بالإشراف على كل صناعة الفحم. استمر عمال المناجم في إضرابهم. وفي ٢ أيار لم يخرج إلا القليل منهم إلى العمل، مستمرين بإلحاحهم على تلبية مطالبهم. أمر روزفلت وزير الداخلية غ. إيكس البدء بالمفاوضات مع لويس وأصحاب المناجم، وفي ٢ أيار ألقى الرئيس كلمة في الإذاعة دعا فيها عمال المناجم للعودة إلى العمل.

في ٤ أيار عقد اتحاد عمال المناجم المتحدين اتفاقية مع الحكومة حول استئناف العمل بدءاً من هذا اليوم ولمدة أسبوعين. ثم مُدِّدت بعد ذلك لأسبوعين آخرين. ولأن الاتفاق بين النقابة وأرباب العمل لم يتم عقده، تجدد الإضراب في صناعة الفحم في ١ حزيران. كان رئيس نقابة عمال المناجم يلح على تلبية مطالب المضربين. أقام وزير الداخلية الإشراف الحكومي على المناجم، ونشأت حالة

حرجة. طالب رئيس الجمهورية مرة أخرى بإيقاف الإضراب. ولقد وافق عمال مناجم الفحم على العودة إلى العمل بدءاً من ٧ حزيران، ولكن حتى ٢٠ حزيران فقط. لقد اتخذ النزاع طابعاً مستمراً.

اشتعلت الإضرابات بآن واحد في معامل السيارات التابعة لشركة (كرايسلر). لم يخرج ٧٩ ألف عامل إلى العمل في ديترويت واركون. واتهمتهم الصحافة بتقويض (الوحدة الوطنية). ولكن الشركة قررت تلبية مطالبهم في رغبة منها بعدم تفاقم النزاع. إن الكثير من النزاعات الصغيرة ظهرت في الصناعة النسيجية، لكن أرباب العمل استطاعوا إزالتها منذ البداية.

ناضل عمال السكك الحديدية من أجل حقوقهم، وأعلنت ٢٠ نقابة عن نيتها القيام بإضراب عام في ٣٠ كانون الأول عام ١٩٤٣. وقد أشارت الصحافة النقابية إلى أن «الصبر العظيم نفد في نهاية المطاف»(١). حاول المالكون تلافي الإضراب، ولكن دون نتيجة. تدخل رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية عند ذلك في النزاع. وأمر بنقل الإشراف على الطرق الحديدية إلى الدولة، مستخدماً في ذلك صلاحياته الاستثنائية. وكان يصرّ بالإضافة لذلك على تلبية مطالب النقابات بصورة جزئية. وعندما تمَّ تحقيق ذلك، عادت الطرق الحديدية إلى مالكيها.

وقفت الكثير من النقابات المحلية بدءاً من عام ١٩٤٣ إلى جانب إبطال اتفاقية كانون الأول عام ١٩٤١ حول عدم استخدام الإضرابات، واتخذ مجلس ميتشيغان لنقابات كونغرس النقابات الإنتاجية عام ١٩٤٣ بصورة خاصة قراراً باعتبار الاتفاقية المتعلقة بالتخلي عن الإضرابات غير حقيقية. وجرت حول هذه المسألة استفتاءات عامة.

---

(١) سيفاتشيف ن. ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ٢٧٩.

تحسنت العلاقة بعض الشيء في أعوام الحرب بين الزنوج والبيض في الإنتاج والنقابات. كان أرباب العمل مضطرين لجذب الزنوج للعمل في المصانع التي كانت سابقاً مغلقة بالنسبة لهم. ولقد ازدادت هجرة الزنوج إلى الشمال، وإلى الولايات والمدن الصناعية، وأخذوا يعملون في المعامل، وأصبحوا أعضاء في النقابات. بيد أن الصدامات العنصرية استمرت. ففي شباط عام ١٩٤٢، هاجمت مجموعة من العنصريين في ديترويت زنوجاً كانوا يستقرون في حي سكني. وتم جرح ٣٨ شخصاً واعتقال ١٠٠. تلا ذلك في صيف عام ١٩٤٣ سلسلة من التحركات الزنجية. وبدأت في ديترويت، في حزيران اضطرابات كبيرة للزنوج، واشتعلت انتفاضة في هارلم (ولاية نيويورك)، انتهت بصدامات مسلحة بين الزنوج والشرطة، سقط أثناءها قتلى وجرحى. وتوترت الأجواء في عدد من مدن الجنوب، وحدث صدام دموي بين الزنوج والبيض في موبيل (ولاية ألاباما)، وفي بومونت (ولاية تكساس) وأحرق المخربون نصف الحي الزنجي[1].

قامت الأوساط الحكومية وعلى الأخص أرباب العمل بحملات التهجم على المضربين، متهمة إياهم بخرق (الوحدة الوطنية)، وانتشرت حملة معادية للعمال هدفت إلى تحضير الرأي العام في البلاد كي تتخذ عدد من الولايات الأمريكية قوانين مناهضة للنقابات. وقد نشط أنصار التشريع المعادي للعمال في الكونغرس أيضاً. ففي الدورة الأولى له عام ١٩٤٣ تم تقديم ٦١ مشروع قانون معادٍ للعمال[2]. كان البند العام في مشاريع القوانين هذه

(١) فوستر أو. ز. الشعب الزنجي في تاريخ أمريكا. موسكو، ١٩٥٥، ص ٦٧٨.

(٢) انظر بالتفصيل: شيفاتشيف ن. ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية...، ص ٢٧٣-٢٧٧، ٢٧٩.

جميعها هو تحريم الإضرابات أو الحد منها. ولقد جرى تقديم اقتراح ينص على أن الإعلان عن الإضرابات يشكل خيانة، أما المشاركون فيها فيجب إرسالهم إلى الجيش.

تمت الموافقة على القوانين المعادية للعمال في ست ولايات عام ١٩٤٣: كولورادو، وتكساس، وآيداهو، وكانزاس، وجنوب داكوتا، وأريزونا. وتبعت هذه الولايات فيما بعد خمسٌ أخرى في النصف الثاني من العام نفسه - ألاباما، وفلوريدا، وماساتشوستس، وميتشيغان، ومينيسوتا. وضعت هذه القوانين نشاط النقابات تحت المراقبة، وفرضت عليهم تقديم تقرير سنوي أمام سلطات الولايات. وجاء في قرار مؤتمر الفدرالية الأمريكية للعمل، أن اتخاذ مثل هذه القوانين في الولايات كان يهدف إلى تحطيم النقابات، وتحويلها إلى منظمات ذات فاعلية ضئيلة[١].

جذب مشروع القانون الذي تقدم به السيناتور ت. كونيللي من تكساس، وعضو مجلس النواب غ. سميث الانتباه أكثر من أي مشروع قانون آخر. لقد كان يقضي بمنع الإضرابات في الصناعة الحربية في كل البلاد، ويعطي لرئيس الجمهورية الحق بأن يضع تحت إدارته المؤسسات التي تشملها الإضرابات. لقد قيّم عضو مجلس الشيوخ ر. لافولليت مشروع القانون هذا كـ (هجوم جديد على حقوق العمال)، أما عضو مجلس النواب ف. مارك آنتونيو فقيّمه كسعي من قبل الحكومة لإقامة إشراف على النقابات[٢]. إن روزفلت، المتخوف من تنامي استياء العمال وضع فيتو على مشروع القانون هذا، باعتبار أنه كان واثقاً من أن

(١)AFL, Report of the Proceedings of the 63rd Annual Convention, 1943. Wash., 1943, p. 93-94.

(٢) Congressional Record, vol. 89, p. 2046-2047, 5730.

الكونغرس سيقرّه. وهذا ما حدث. ولقد وضع رئيس الجمهورية إمضاءه على المشروع في ٢٥ حزيران عام ١٩٤٣. إن قانون كونيللي - سميث الموجه ضد مصالح البروليتاريا، كان حسب كلمات أو. غرين (هدية مرّة) لقاء المساهمة المقدمة من قبل العمال في تطوير الإنتاج الحربي في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من إقرار هذا القانون فإن إضرابات العمال استمرت.

بيد أن حركة العمال في عام ١٩٤٣ لم تأخذ بصورة عامة مدىً واسعاً. كانت الإضرابات تحمل طابعاً محلياً، وظهرت بصورة عفوية وكانت تتوقف في بدايتها من قبل الإدارة المختصة بشؤون العمل، وكان قادة فروع النقابات المحلية هم المبادرون كقاعدة للإضرابات. كانت أغلب النقابات والعمال يتحاشون الإضرابات.

كانت تلك هي النزعات الاجتماعية-الاقتصادية في تطور الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤. وكانت النزعة الرئيسية فيها - هي إنجاز انتقال الاقتصاد إلى السكة الحربية ونهوضه السريع، الأمر الذي كان لا بد أن يؤثر في الإستراتيجية الحربية للولايات المتحدة الأمريكية أيضاً.

٢- مؤتمر كازابلانكا: العمليات العسكرية للحلفاء في النصف الأول من عام ١٩٤٣.

افتتح رئيس حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا في الدار البيضاء في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٤٣ مؤتمراً من أجل مناقشة الخطط العسكرية والتنسيق بين الحليفين الغربيين عام ١٩٤٣. كان الوضع العسكري العالمي حتى زمن انعقاد المؤتمر يتميز بالنجاحات الضخمة للجيش السوفييتي: إن مقاتليه الشجعان أحاطوا بجيش باولوس في ضواحي ستالينغراد. واستمرت

هذه الموقعة ٢٠٠ يوم - من ١٧ تموز عام ١٩٤٢ إلى ٢ شباط عام ١٩٤٣. وخسر العدو ربع قوته التي تقاتل على الجبهة السوفييتية - الألمانية، وألفي دبابة ومدفع هجومي، وأكثر من ١٠ آلاف مدفع ومدفع رشاش، ونحو ٣ آلاف طائرة مقاتلة ونقل، وبنفس الوقت خابت آمال الحلفاء وقواتهم التي نزلت في شمالي إفريقيا في كانون الأول بتحقيق نصر سريع وسهل. وكان القتال في الجزء الجنوبي-الغربي من المحيط الهادئ يجري بنجاح متبدل. أما في جبهات الصين فكان الهدوء يسود، ولم تتخذ الأطراف المتحاربة أية أعمال نشطة.

وفي البيت الأبيض، وعلى أعتاب المؤتمر، ناقشوا في ١٠ كانون الأول عام ١٩٤٢ خطط الأعمال اللاحقة. أظهر الجنرال مارشال رئيس أركان الجيش رأيه بضرورة التحرير السريع لشمال إفريقيا، ثم فيما بعد - تطوير الأعمال العسكرية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ورفع وتائر تجميع القوى على الجزر البريطانية. أما قائد سلاح الجو الجنرال آرنولد فدعا إلى حصر ضربات الطيران على ألمانيا، ولأجل ذلك كان يجب أن تخصص ٢٢٢٥ قاذفة قنابل كحد أدنى. أشار ممثلو القوات البرية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدم إمكانية إحراز النصر بقوى الطيران وحدها فقط. كانوا يبرهنون على أنه من الضروري تدخل القوات البرية في القارة الأوروبية عبر المانش. أما الرئيس نفسه فكان يعتبر أن من السابق لأوانه اتخاذ قرار حول الخطط الإستراتيجية للحلفاء - قبل انتهاء سير المعارك حول ستالينغراد.

في ٧ كانون الثاني عام ١٩٤٣ جرى اجتماع أيضاً لرؤساء الأركان بمشاركة رئيس الجمهورية[1]. لقد أعلن مارشال في جوابه على سؤال روزفلت: هل يمكن التوصل إلى اتفاق «للدفاع عن عملية التدخل في القارة

(١) ميتلوف م، وسنيل أي. التخطيط الإستراتيجي في الحرب الائتلافية ١٩٤١-١٩٤٢. موسكو، ١٩٥٥، ص ، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٩.

هل يمكن التوصل إلى اتفاق «للدفاع عن عملية التدخل في القارة عبر المانش»؟ عن وجود وجهات نظر مختلفة. إن رؤساء الأركان ربما يفضلون البدء بعملية التدخل في القارة عبر المانش، في تموز عام ١٩٤٣. ولكنه نبه إلى أن هذا الأمر محفوف بالمخاطرة، وبخسائر كبيرة في القوة الحية. وبالإضافة على ذلك هناك توقعات بوجود صعوبات في عمليات النقل. كانت صقلية كموضوع للهجوم أفضل حسب رأيه.

لم يفصح رئيس الجمهورية في هذه المرة أيضاً عن رأيه النهائي، مفضلاً الانتظار شهراً أو شهرين أيضاً. لقد نوه قائلاً: فليستمر رؤساء الأركان بدراسة الاحتمالات الممكنة للعمليات على القارة الأوروبية وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط. كان الغموض في موقف الرئيس الذي أثار الارتباك لدى رؤساء الأركان واضحاً في كل الأحوال أنه لم يدخل في خطط روزفلت فتح الجبهة الثانية في أوروبا.

كان على الحليفين في مؤتمر الدار البيضاء، أن يقررا ما هي الخطوات اللاحقة بعد الانتهاء من العملية في شمال إفريقيا، وما هو التناسب الذي يجب تحقيقه بين المسرحين الحربيين الأوروبي والبحر الأبيض المتوسطي؟.

في ١٦ كانون الثاني، تحدث في اجتماع اللجنة الموحدة لرؤساء أركان الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى رئيس أركان الإمبراطورية البريطانية الفلدمارشال آلان بروك. إذ أعلن أن الاتحاد السوفييتي هو الوحيد من بين الحلفاء الذي يملك قوة برية ضخمة ويخوض عمليات نشطة على القارة الأوروبية. وأكد أن القوات البرية للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ليست في حالة قادرة على التأثير على سير الأحداث الحربية في أوروبا، قبل ظهور مؤشرات

الضعف عند ألمانيا. واقترح القيام بعملية لاحتلال صقلية. ولكن بروك لم يلبث أن ذكّر بوجود رغبة باستمرار تركيز القوات على الجزر البريطانية.

وهكذا أجمل مارشال تقرير بروك: إن الإنكليز يخشون من أية عمليات مباشرة في أوروبا الغربية، مادامت مؤشرات انهيار الفاشية غير واضحة[١].

غير أن مارشال نفسه اكتفى بالاعتراف بضرورة توجيه ضربة رئيسية لألمانيا عبر المانش وبصورة غامضة وغير مرتبطة بأية مواعيد. لم يؤيد ممثلو القوات الحربية البحرية والقوات الحربية الجوية الأدميرال كينغ والجنرال آرنولد هذه الفكرة[٢]. وهكذا لم يكن لدى الأمريكيين رأي موحد، وهذا ما لاحظه مباشرة الإنكليز. أبرق تشرشل في ١٨ كانون الثاني إلى المجلس الحربي: إن الرئيس يعطي الأولوية بالنسبة للأعمال العسكرية لمسرح البحر الأبيض المتوسط، ويميل أكثر فأكثر إلى احتلال صقلية[٣]. وبنفس اليوم أعلم أيدن السفير السوفييتي آي. م. مايسكي عن مجرى المناقشات في الدار البيضاء، وأن الحلفاء سيقومون بعملية ضد صقلية بعد الانتهاء من الأعمال العسكرية في شمال إفريقيا. ولقد أجاب الوزراء على سؤال السفير حول الجبهة الثانية بصورة صلبة وحاسمة: إن كل شيء في يد الأمريكان[٤].

---

(١) Foreign Relations of the United States. The Conferences at Washington, 1941-1942, and Casablanca, 1943. Wash., 1968, p. 560. ثم (FRUS).

(٢) المصدر السابق، ص ٥٨١-٥٨٣.

(٣) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٤٨.

(٤) زيمسكوي اي. ن. التاريخ الدبلوماسي للجبهة الثانية في أوروبا. موسكو، ١٩٨٢، ص ....

ومن ثمَّ، إذا كانت الدبلوماسية في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٢ تحمّل الإنكليز مسؤولية غياب الجبهة الثانية في أوروبا، فإن الشخصيات الرسمية في لندن الآن بدأت تلجأ إلى تكتيك مشابه. إذ أخذوا يتهمون الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تنفذ وعودها بإتمام حشد جيش تعداده مليون جندي على الجزر البريطانية حتى ربيع عام ١٩٤٣.

كانت النقاشات تتركز لاحقاً على مسألة الاتجاه الرئيسي للعمليات المقبلة. استمر الجنرال مارشال بتبيان رأيه إلى جانب التدخل في شمال فرنسا، وإلى جانب إعطاء الأولوية لهذه العملية وبتوافق مع حشد القوات الأمريكية على الجزر البريطانية. لقد وقف ضد تطوير العمليات في البحر الأبيض المتوسط. وأكّد مارشال أن الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا لا يجب «أن تنجذبا إلى عمليات لا نهاية لها في مسرح البحر الأبيض المتوسط»، ولا يجب عليهما «الاختباء في إنكلترا بانتظار الانهيار العسكري المحتمل لألمانيا»[1]. كان الجنرال آرنولد كما في السابق يلح على أن سحق مقاومة ألمانيا يمكن أن يتم بمساعدة الطيران. أما الجنرال كينغ فكان يهتم بصورة أكبر بمسألة مركزة الجهود في المحيط الهادي، وتنشيط العمليات الحربية هناك.

عبر رئيس أركان الإمبراطورية البريطانية عن عدم موافقته على اقتراح مارشال، وأعلن أن إنزال الحلفاء في شمالي فرنسا غير ممكن في عام ١٩٤٣، ويمكن إقرار ذلك في عام ١٩٤٤ فقط.

أيد تشرشل بروك بحرارة مؤكداً أن البحر الأبيض المتوسط - هو اتجاه واعد جداً. وأثارت اهتمام روزفلت كذلك فكرة الانتصار السهل والسريع على إيطاليا.

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٥٢.

أقر رئيسا حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى تقرير اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان حول الإستراتيجية العسكرية للحليفين في عام ١٩٤٣ وذلك في ٢٣ كانون الثاني، وتمَّ الاقتراح فيه البدء بالهجوم الجوي على ألمانيا، وكان الهدف منه تهديم الصناعة العسكرية وإحلال الفوضى فيها، ونسف الروح المعنوية للشعب الألماني، وإضعاف قدرة الأمة على المقاومة المسلحة. أُلقيت مسألة تنفيذ العمليات على عاتق قاذفات الطيران الإنكليزية والجيش الجوي الأمريكي الثامن[١]. وأعطت الهيئات المخططة الأمر باستمرار العمل على مسائل تحشيد القوى على الجزر البريطانية من أجل التدخل في القارة الأوروبية في حالة ظهور وضع حرج في ألمانيا. لم يستثن البعض في الأوساط الرسمية في واشنطن ولندن مثل ذلك المجرى للأحداث.

تمَّ إقرار مسألة إنزال القوات في صقلية في شهر تموز، واتخذت هذه العملية فيما بعد اسم الشيفرة (هاسكي). وبهذه المناسبة كتب أحد المشاركين في المؤتمر، الأدميرال أو. ليغي: تم تبديل خطة التدخل في فرنسا عبر المانش بعملية احتلال صقلية[٢]. وقد قيَّم ابن الرئيس روزفلت إيليوت، الذي كان يحضر المؤتمر قرار القيام بهذه العملية كاعتراف بأن «التدخل عبر المانش يجب تأجيله حتى ربيع عام ١٩٤٤»[٣]. كان يعني ذلك القرار، كما كتب المؤرخ

---

(١) FRUS. The Conferences at Washington, 1941-1942, and Casablanca, 1943, p. 791-798; Webster Ch., Frankland N. The Strategic Air Offensive against Germany 1939-1945: vol. 1-4. L., 1961, vol. 4, p. 273.

(٢) Leahy W. I was there. N.Y., 1950, 1950, p. 174.

(٣) روزفلت اي. بعينيه. موسكو، ١٩٤٧، ص ١٠٤-١٠٥.

الأمريكي غ. فيس، أن القوات السوفييتية «يجب عليها كما في السابق أن تحمل العبء الأساسي في الصراع على اليابسة في أوروبا خلال عام ١٩٤٣»[١].

جرت في المؤتمر مناقشة مسألة التناسب بين المسرح الأوروبي والمسرح في المحيط الهادي فيما يتعلق بالأعمال الحربية. اقترح مارشال توجيه ٧٠% من القوات المسلحة والمواد الحربية إلى مسرحي الحرب الأوروبي والأطلسي، و٣٠% إلى مسرح المحيط الهادي، وأيده كينغ. وقف الإنكليز ضد ذلك، مؤكدين أن ذلك سيؤدي إلى تشتيت واستهلاك القوى، وإلى عمليات ضد اليابان واسعة النطاق. كان من الضروري، كما أكد رؤساء الأركان الإنكليز الاقتصار على تدابير دفاعية في المحيط الهادي، وبعد تحطيم ألمانيا، يمكن تركيز جهود الحلفاء ضد اليابان. ولقد عبر تشرشل عن استعداد الأسطول والجيش للنضال ضد اليابان بعد هزيمة الرايخ الألماني، واقترح عقد اتفاقية متعلقة بهذه المسألة. رفض الرئيس ذلك بسرعة معقباً بأنه يثق بكلام رئيس الوزراء ولكن ليس في هذه المسألة. أعلن رؤساء الأركان الأمريكان عن نية الولايات المتحدة الأمريكية الصلبة الاستمرار بالعمليات الهجومية في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من المحيط الهادي (جزر سليمان، وغينيا الجديدة وراباول).

طرح الأمريكان مسألة تقديم المساعدة للصين، التي كان وضعها صعباً جداً، بهدف إبقائها بحالة حرب مع اليابان. لقد صرّح ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية، أن القوات الصينية يمكن أن تقوم بهجوم من يونان إلى شمال بورما، وتحرير هذه الأراضي من اليابانيين. وإنهم مستعدون في تشونتسين للقيام بهذه العملية بشرط تقديم الدعم من خلال سفن الأسطول الإنكليزي في خليج

---

(١) Feis H. Churchill, Roosevelt, Stalin. The War they waged and the Peace they sought. Princeton, 1950, p. 107-108.

البنغال. لم يرغب الإنكليز أن يقوموا بذلك. ظهرت الخلافات كذلك تجاه تقييم إمكانيات الصين، ودورها في النضال ضد اليابان. وفي وطيس المجادلات، قام الجنرال كينغ باعتراف صريح حول الخط الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية. لقد قال إن «روسيا في أوروبا، والصين في آسيا تحتلان مواقع استثنائية ملائمة لهما، وهما غنيتان بالموارد البشرية». لذلك فإن السياسة الأساسية للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا «يجب أن تكمن في تأمين الموارد البشرية الموجودة لدى روسيا والصين، الضرورية للإعداد كي تستطيع القتال»[1].

بقيت مسألة العمليات في آسيا مفتوحة، وتمَّ التعبير عنها برغبة عامة حول الاستعداد لتحرير بورما. كان الحليفان يرغبان في أن تقتصر حربهما ضد اليابان على الحصار آنياً، والضربات الموجهة ضد المواصلات البحرية والاستعداد للأعمال العسكرية الهجومية في المستقبل.

أعار روزفلت اهتماماً كبيراً في المؤتمر للمسائل الفرنسية، ولمستقبل فرنسا ومستعمراتها، وإمكانية استخدام القوات الفرنسية في الأعمال القتالية ضد ألمانيا وإيطاليا. ولقد أعطى قادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا أهمية كبرى لإعادة تسليح القوات الفرنسية. التقى روزفلت قائد القوات الفرنسية في شمال إفريقيا الجنرال ا. جيرو، الذي أعلن الاستعداد لإنشاء جيش مؤلف من ٢٥٠ ألف شخص بشرط تقديم كمية كافية من الأسلحة، والتكنيك الحربي والأمتعة له. أيد قادة الأركان بنشاط اقتراح الجنرال جيرو متجاهلين ديغول، واتخذوا قراراً بتسليح ١١ فرقة فرنسية بأسرع ما يمكن: ٨ فرق برية و٣ فرق مدرعات.

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٦٣ - ٦٤.

وقع روزفلت عن طيب خاطر اتفاقية حول تزويد الولايات المتحدة الأمريكية للفرنسيين بالأسلحة والتكنيك الحربي والعتاد والذخائر[1]. في نهاية لقاء قادة الحكومتين جرى مؤتمر صحفي له طابع خاص في ٢٤ كانون الثاني في الدار البيضاء، أعلن فيه روزفلت صيغة استسلام ألمانيا وإيطاليا واليابان دون قيد أو شرط[2]. وانضم تشرشل إلى اقتراح الرئيس دون رغبة متغلباً على ارتباكه بعض الشيء على الرغم من أنه لاحظ أن إيطاليا لا تستحق ذلك الاهتمام.

كان البيان المشترك غامضاً ومبهماً بصورة متعمدة، وتميز بغموض الصياغات. كانت الصحافة الغربية تبالغ بأهمية القرارات المتخذة في المؤتمر. بيد أن المؤتمر لم يحدد ما هو رئيسي - زمن فتح الجبهة الثانية في أوروبا. لم يتم حل مسألة العمليات في آسيا أيضاً. ولم يذكر كل ممن روزفلت وتشرشل في حديثهما مع رئيس الحكومة السوفييتية حول المفاوضات أي شيء عن العمليات الملموسة والمواعيد. وفي رسالتهما نوّها فقط بعزم الحليفين على تنظيف شمال إفريقيا والبدء بقذف المواقع الحربية في جنوب أوروبا[3].

أكدت المفاوضات في الدار البيضاء الخط العام للحليفين الغربيين: خوض الحرب حسب مبدأ توفير القوى والوسائل من خلال وضع عبئها على كاهل الاتحاد السوفييتي. وأظهرت العمليات العسكرية اللاحقة ذلك.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) بالتفصيل انظر: ليبيديف ن. س. مؤتمر الدار البيضاء، ومبدأ الاستسلام دون قيد أو شرط – في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧٨. موسكو، ١٩٧٨، ص ٤٢-٦٨.

(٣) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥، في جزأين. موسكو، ١٩٧٦، الجزء ١، ص ١٠٤-١٠٦.

قررت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا القيام بالهجوم في شمال إفريقيا بهدف قطع الطريق على انسحاب القوات الإيطالية - الألمانية عن (خط ماريت) إلى الشمال، والعمل المشترك مع الجيش البريطاني الثامن الموجود في تونس، وتدمير هذه القوات. لكن هذه العملية انتهت بالفشل. تلقت القوات الأمريكية هجوماً معاكساً وتكبدت الخسائر. انتهزت القيادة الألمانية- الإيطالية الوضع الذي نشأ، وكان رومل ينوي توجيه ضربة إلى رأس الجسر التونسي في الاتجاه الشمالي- الغربي، والنفاذ إلى شاطئ البحر عند رأس بون، ومن ثمَّ دفع القوات الإنكليزية - الأمريكية للاستقرار في الغرب.

وفي ١٤ شباط وجهت قوات رومل ضربة للفيلق الأمريكي الثاني، في سعي منها لكسب الوقت وإحباط الهجوم الذي كان يجري الإعداد له من قبل الحليفين. ظهرت الدبابات الألمانية عند المرتفعات الصخرية خلف ممر فاند. لم يكن الحليفان الغربيان ينتظران ذلك، وأخذا بالتراجع، ووقع ٢٨٦٦ أمريكياً في الأسر. اخترقت القطعات الألمانية دفاع الحليفين دون أن تلقى مقاومة قوية، وتقدمت ١٥٠كم باتجاه شمال - غرب القصرين. وحطمت بعد ذلك الفرقة المدرعة الأمريكية الأولى، وشقت طريقها عبر المضيق الجبلي للقصرين، وخرجت إلى جانب الجيش الإنكليزي الأول. ونشأ وضع خطير.

استمرت المعارك حول مضيق القصرين الجبلي عدة أيام، لكنها كانت غير ناجحة بالنسبة لكلا الطرفين. كانت الأرجحية للحلفاء، إذ بلغ عدد قواتهم ٢٦٠ ألف شخص. كان رومل يفهم أن الحفاظ على تونس غير ممكن، فسافر طائراً إلى مقر القيادة، واقترح جلاء القوات. احتدم هتلر غيظاً. وفي ذلك الوقت اتخذت القيادة الأمريكية-الإنكليزية تدابير عاجلة من أجل تصفية الخرق. وحتى ٣ آذار تمَّ طرد القوات الألمانية الفاشية إلى

مواقعها السابقة. استقرت الحالة بين الأطراف في الجبهة في تونس. واتخذت الأعمال العسكرية طابعاً متواصلاً.

في ١٦ شباط لفت ي. ف. ستالين انتباه الرئيس إلى أن مواعيد انتهاء العمليات العسكرية في تونس قد أُجلت ونقلت من شباط إلى نيسان، وأشارت الحكومة السوفييتية من جديد إلى البطء في إجراء العملية شمال إفريقيا من قبل الحلفاء[1].

بدأت القيادة الأمريكية-الإنكليزية في النصف الأول من آذار بالإعداد لعملية هجومية في تونس. كان المقصد منها يكمن في الانقضاض على تجمع القوات الإيطالية-الألمانية التي تتمركز على **(**خط مارليت**)** في البداية، وبعد ذلك إلحاق الهزيمة بالجيش الألماني الخامس المدرع، واحتلال ميناءي بنزرت وتونس، وتحرير شمال إفريقيا كاملاً. انتقل الفيلق الأمريكي الثاني إلى الهجوم باتجاه مكناس في ١٧ آذار، لكنه تطور ببطء، وسمح ذلك للقيادة النازية أن تأتي بالقطعات المدرعة والقيام بهجوم معاكس ضد الأمريكان. استمرت المعارك ٨ أيام متوترة. انتقل العدو للهجوم المعاكس، وكان يتمسك بإصرار بالتخوم التي يحتلها. وفي ٢٨ آذار فقط، عندما التفّت القطعات الإنكليزية المدرعة، بمناورة من الجنوب-الغربي حول **(**خط مارليت**)**، وشكلت تهديداً للجناح اليميني للقوات الإيطالية-الألمانية، أخذت هذه القوات تنسحب إلى الشمال وهي تقاتل. وحتى منتصف نيسان أنجزت هذه القوات انسحابها إلى تخم دفاعي شمال غرب تيبيس، ثم إلى حدود إنفيدافيل وجيبيين.

(١**)** المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٥٤، ٥٧.

في ٢٠ نيسان جددت القوات الأمريكية-الإنكليزية-الفرنسية الهجوم. كان لديها تفوق عددي في البر والجو: ١١ ألف دبابة، ونحو ألفي مدفع، وثلاثة آلاف طائرة، أما في جيش روميل فكان هناك ١٢٠ دبابة فقط، و٥٠٠ مدفع[1]. اخترق الجيش البريطاني الثامن تخوم إنفيدافيل-جيبيين، وبدأ بالتقدم في الاتجاه الشمالي، طوَّر جزء آخر من القوات الأمريكية-الإنكليزية والفرنسية هجوماً من الغرب إلى الشرق باتجاه مدينة بينزرت وتونس. وفي ٧ أيار تم الاستيلاء على مدينة تونس. وفي ١٣ أيار استسلمت قوات روميل. فقدت بلدان (المحور) في تونس أكثر من ٣٠٠ ألف جندي وضابط، ٢٤٠ ألف منهم وقعوا أسرى[2]. خسر الحلفاء ١٠٢٩٠ قتيلاً في شمال إفريقيا[3].

استمرت الأعمال الحربية للحلفاء في شمال إفريقيا نصف عام، وكان الطابع المميز لها هو بطؤها وترددها، الأمر الذي سمح لقيادة القوات الإيطالية-الألمانية بالمناورة ونقل التعزيزات والوسائل من إيطاليا إلى تونس. بيد أن كل هذه التدابير استطاعت فقط أن تؤجل لا أن تمنع انهيارها الكامل.

سعت الولايات المتحدة الأمريكية لأن تستخدم الانتصار في شمال إفريقيا من أجل كسب مزايا إستراتيجية ومنافع اقتصادية. امتلكت الولايات المتحدة وإنكلترا قواعد حربية مهمة في شمال إفريقيا - الجزائر، وتونس، وبيزرت، ووهران، وطرابلس، والدار البيضاء، وداكار، وبنغازي، وطبرق وغيرها،

---

(١) تاريخ الحرب الوطنية العظمى للاتحاد السوفييتي، ١٩٤١-١٩٤٥: في ستة أجزاء. موسكو، عام ١٩٦٠-١٩٦٥، الجزء ٣، ص ٥٥٤.

(٢) Liddel Hart B. History of the Second World War. L., 1970, p. 431; Taylor A. The Second World War. L. 1973, p. 172.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٦، ص ٢٢٥.

وأقامتا إشرافاً على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، واندفعت العديد من الشركات والمؤسسات الحكومية إلى شمالي إفريقيا. انصب اهتمامها على مصادر المواد الخام التي لا تنضب، والمجالات غير المحصورة لاستثمار الرأسمال في هذه القارة. لقد تحدث الرئيس روزفلت أيضاً لابنه إيليوت في كانون الثاني عام ١٩٤٣، إلى أن باطن أرض إفريقيا يحتوي على ثروات لا تعد ولا تحصى، وهناك إمكانيات كبيرة لاستثمارها. يمكن أن تضخ من هذه القارة المليارات[١]. كانت الكونغو البلجيكية تقدم للولايات المتحدة الفولغرام، والقصدير، والكوبالت، والكاوتشوك وغيرها من المواد التي تعاني نقصها. وبحسب الاتفاقية الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا أشرفتا على استخراج الأورانيوم والثوريوم. وزاد تصدير الولايات المتحدة الأمريكية إلى بلدان إفريقيا عشر مرات. إن استيراد الولايات المتحدة الأمريكية من كينيا وأوغندا بالمقارنة مع عام ١٩٣٧ ازداد مرتين، ومن تانجانيقا - ٦ مرات[٢].

لم تقم القيادة اليابانية في مسرح المحيط الهادي، التي كانت قواها مشتتة، بعمليات هجومية فعالة. لقد بدأت بتعزيز التخوم الدفاعية في جزر ماريان - وجزر تروك - وجزر سليمان - وغينيا الجديدة - وجزر تيمور وتنظيم الدفاع في المحيط الهندي على خط بورما الغربية - وجزر اندمان - نيكوبار - سومطرة، وكانت اليابان تسعى في الصين للحفاظ على مواقعها التي استولت عليها.

اتخذت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية إجراءات كي تحقق أمن طرق المواصلات البحرية الرئيسية - غافاي - أستراليا، وتم اتخاذ قرار بإرسال قوات

---

(١) روزفلت اي. مصدر مشار إليه سابقاً، ص ٩٨.

(٢) شبيرت ا. يو. إفريقيا في الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٥٩، ص ٩١.

إضافية إلى مسرح الأعمال الحربية في المحيط الهادي. وفي نهاية عام ١٩٤٢، وفي منطقة المحيط الهادي كانت توجد ٩ فرق و ١٩ مجموعة طيران قتالية. بلغ عدد القوات الأمريكية في هذا المسرح من الحرب ٣٤٦ ألفاً[١]. كان الجزء الأساسي من هذه القوى ينشط في المناطق الجنوبية-الغربية من المحيط، وكان يشارك في العمليات بداية ١٩٤٣ فصائل عديدة من القوات البرية. بيد أن الطيران كان يلعب الدور المهم. لقد سعى كلا الطرفين المتحاربين لإقامة سيطرة فعالة في الجو، وتم استخدام الطيران الإستراتيجي بصورة واسعة أثناء ذلك. كان الأمريكان يحاولون إعاقة ازدياد وتزويد قوى الحاميات اليابانية في الجزر.

ارتسم انعطاف المعركة من أجل الأطلسي ربيع عام ١٩٤٣. وحدث ذلك بعد آذار، عندما تمت تقوية خفر حراسة الحلفاء. ازدادت خسائر الغواصات الألمانية-الفاشستية. ففي أيار فقط تم إغراق ٤٠ غواصة. لم تكن ألمانيا في وضع يسمح لها بتعويض تلك الخسائر، وكانت القيادة الهتلرية مضطرة لإبعاد أسطول الغواصات من طرق المواصلات البحرية الرئيسية، التي تربط شمال أمريكا ببريطانيا العظمى. تراجعت خسائر الحلفاء في الأطلسي بعد ذلك بصورة حادة. وبدءاً من عام ١٩٤٣ قلص الأسطول الألماني من مقاييس حرب الغواصات.

٣- لقاء رئيسي حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى في واشنطن، عملية صقلية:

في ربيع عام ١٩٤٣، وفي واشنطن تمَّ عقد المؤتمر الدوري الإنكليزي-الأمريكي. استمرت المفاوضات من ١٢ إلى ٢٥ أيار. مضت ثلاثة أشهر على

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٤١٥.

اللقاء في الدار البيضاء فقط، إلا أن الكثير قد تغير في الوضع العسكري-السياسي، وقبل كل شيء انتهت المعركة الهائلة في ضواحي ستالينغراد بتحطيم القوات الفاشستية. وخسرت القوات الألمانية في هذه المعركة نحو ١,٥ مليون قتيل وجريح وأسير ومفقود دون أثر - أي ربع قواها التي تقاتل في الجبهة السوفييتية-الألمانية[١].

كتب تشرشل إلى ستالين في ١ شباط عام ١٩٤٣ أن «ذلك هو انتصار حقيقي مدهش»[٢]، وبعد أربعة أيام أطلق روزفلت على الانتصار في ضواحي ستالينغراد، وهو يهنئ رئيس الحكومة السوفييتية اسم (النضال الملحمي) و«وواحد من أكثر الفصول الرائعة في حرب الشعوب هذه، المتوحدة ضد النازية»[٣]. بيد أن آفاق انتصار الاتحاد السوفييتي على ألمانيا، وازدياد تأثيره في العالم كان يثير القلق لدى أوساط محددة في الغرب[٤]. كتب السفير الأمريكي في الاتحاد السوفييتي الأدميرال أو. ستيندلي إلى واشنطن في ٢٥ أيار دون أن يخفي كراهيته تجاه الاتحاد السوفييتي أن: «الاتحاد السوفييتي يستثمر الآن شعبيته غير المسبوقة في إنكلترا والولايات المتحدة، وكذلك بلدان أوروبا المحتلة دون شك،

(١) القاموس الموسوعي العسكري. موسكو، ١٩٨٣، ص ٧٠٣.

(٢) مراسلات رئيس مجلس الوزراء في الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ١، ص ١١٠.

(٣) نفس المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٥٢.

(٤) العلاقات السوفييتية-الأمريكية أثناء الحرب الوطنية العظمى عام ١٩٤١-١٩٤٥. وثائق ومواد: في جزأين. موسكو، عام ١٩٨٤، الجزء ١، ص ٢٩٢-٢٩٣، ٤٨٨؛ وبوريوف ا. يو. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية: الحلفاء في أعوام الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٨٣، ص ١٣٢-١٣٥.

والإعجاب الذي أثارته المقاومة البطولية للشعب السوفييتي والجيش الأحمر. سيكون مقترناً عند الكثير بالنظام السوفييتي»[1]. إن هذه الأمزجة لم يكن بالإمكان إلا أن تنعكس على التخطيط الإستراتيجي للحلفاء الغربيين.

أعطت لجنة رؤساء أركان الولايات المتحدة الأمريكية في سياق الاستعداد للمؤتمر في واشنطن، أمراً للهيئات المعنية بوضع خطط للعمليات الحربية الممكنة، ووصل قسم التخطيط الإستراتيجي للعمليات، على أساس دراسة تطور الأحداث، إلى استنتاج أن القيادة الألمانية ستقوم بهجوم ربيعي - صيفي على الجبهة الشرقية، سيكون دوره حاسماً في الحرب. وتوصلت اللجنة الموحدة للقضايا الإستراتيجية كذلك إلى نتيجة مفادها، أن عام ١٩٤٣ سيحدد مسألة اتجاه تتطور الأحداث على الجبهة السوفييتية - الألمانية. ولقد تكهن بعض الإستراتيجيين الأمريكان بنجاح القوات الألمانية في الحملة الصيفية[2].

أثار انتصار الجيش السوفييتي في ضواحي ستالينغراد ونتائجه لدى رئيس الوزراء البريطاني مشاعر متناقضة. لقد كتب إلى هوبكينز في ١٣ شباط وهو يفكر في خطط الحملة عام ١٩٤٣: «أعتقد، أن ذلك مخيف إلى

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1943: vol. 1-6, Wash., 1963-1965, vol. 3, p. 535.

(٢) كانت القيادة الرئيسية للقوات المسلحة في ألمانيا تعد وتحضر في ذلك الوقت عملية هجومية كبيرة «خطة القلعة»: توجيه ضربة عنيفة والقضاء على تجمع القوات السوفييتية في منطقة قوس كورسك. وقع هتلر في ١٥ نيسان الأمر الذي كان ينص على أن «هذا الهجوم يجب أن يعطى أهمية حاسمة. يجب عليه أن ينجز بسرعة وبنجاح حاسم...». ولقد تم تخصيص نحو ٧٠ فرقة من فرق النخبة، و١٠ آلاف مدفع ومدفع رشاش، و٢٧٠٠ دبابة وجهاز ذاتي الحركة، و١٨٦٠ طائرة. وبلغ عدد الجيش الهتلري ٩٠٠ ألف جندي وضابط من القوات البرية.

انظر: تاريخ الحرب العالمية الثانية، الجزء ٧، ص ١١٠-١١٤، ١٢٣.

درجة كبيرة، عندما لا يقتل أي جندي أمريكي أو إنكليزي أي عدو ألماني أو إيطالي في نيسان و أيار وحزيران، في الوقت الذي يلاحق فيه الروس ١٨٥ فرقة عدوة. يمكن أن يقول أحد ما بالطبع، إن تموز، ربما، هو الشهر الأكثر ملاءمة من وجهة النظر العسكرية فقط، لكن الوقت هو عامل حاسم... أعتقد، أننا دون أي شك قد نثير لوماً قاسياً من قبل الروس، وأقصد هنا مقارنة الحجوم الضئيلة تماماً لمسرح العمليات القتالية التي تطور نشاطنا فيها، بمسرح العمليات السوفييتية-الألمانية[1]».

تطورت في الولايات المتحدة حركة واسعة للرأي العام من أجل الفتح السريع للجبهة الثانية في أوروبا. ففي ربيع عام ١٩٤٣ جرت في البلاد اجتماعات جماهيرية كثيرة، كان المشاركون فيها يدعون إلى النضال الفعال ضد الفاشية. لقد حضر في الاجتماع الجماهيري الذي جرى في الأول من أيار في نيويورك نحو ٥٠ ألف شخص، وكانوا يطالبون بتدخل قوات الحلفاء في أوروبا الغربية.

كان دور الحزب الشيوعي فعالاً في هذه الاجتماعات. وكان الشيوعيون يعملون في النقابات، ويشاركون بنشاط في تنظيم الاجتماعات، والاجتماعات الجماهيرية، التي كانت تطالب بتوحيد قوى الائتلاف المعادي لهتلر في النضال ضد العدو المشترك. وكانت الجماهير الكادحة تؤيده. ففي ٢ أيار عام ١٩٤٣ توجه الحزب الشيوعي بنداء إلى حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى يطالبها بعبور قوات الحلفاء المانش دون تباطؤ، كي «تأخذ

---

(١) استشهاد من: مالكوف ف. ل. بعثة ج. ديفيس إلى موسكو في أيار عام ١٩٤٣ – التاريخ الجديد والمعاصر. عام ١٩٨٥، رقم ١، ص ٩٤.

الحرب مجراها على جبهتين ضد ألمانيا الهتلرية»[1]. في نيسان عام ١٩٤٣ تمَّ إنشاء المجلس الوطني للصداقة الأمريكية-السوفييتية، وكان هدفه الأساسي هو المساعدة بجميع الوسائل على تطوير علاقات الصداقة بين البلدين، ونشر المعلومات الصحيحة عن الاتحاد السوفييتي. وفي ١٣ نيسان عام ١٩٤٣، وفي اجتماع لجنة الكونغرس الأمريكاني-السلافي في شيكاغو تمت الموافقة على قرار يطالب بتوجيه ضربة قاصمة في الغرب، وقامت اللجنة المتعلقة بتقديم المساعدة إلى الاتحاد السوفييتي في الحرب بعمل ملحوظ. ففي النصف الأول من عام ١٩٤٣ تمَّ جمع ٥٦٠٠ ألف دولار، وفي عام ١٩٤٢ أرسلت جمعية الصليب الأحمر إلى الاتحاد السوفييتي مواد طبية وغذائية بمبلغ يفوق الـ ١٠ ملايين دولار.

التقى روزفلت مع رؤساء الأركان في البيت الأبيض في ٢ و ٨ أيار، وكان يجب تحديد أي مسرح من مسارح الأعمال القتالية يجب إعطاؤه الأفضلية، هل هو المسرح الأوروبي أم مسرح البحر الأبيض المتوسط؟ وأين ومتى يمكن توجيه الضربة الرئيسية لألمانيا؟ وفي هذه المرة لم يتم اتخاذ قرار حول فتح الجبهة الثانية بصورة سريعة.

ركز مؤتمر واشنطن الاهتمام على مسائل خوض الحرب في أوروبا والشرق الأقصى. واقترح تشرشل إنزال القوات على أراضي شبه جزيرة إبينين بعد احتلال صقلية، أما فتح الجبهة الثانية في غرب أوروبا فمن المفيد نقلها، حسب رأيه إلى عام ١٩٤٤[2]. وضع روزفلت هنا سؤالاً: ماذا ستفعل القوات الإنكليزية-الأمريكية (نحو ٢٥ فرقة) في البحر الأبيض

(١) البرافدا، ١٩٤٣، ٢-٣ أيار.

(٢) FRUS. The Conferences at Washington and Quebec 1943, Wash., 1970, p. 25-28.

القوات الإنكليزية-الأمريكية (نحو ٢٥ فرقة) في البحر الأبيض المتوسط بعد عملية (هاسكي)؟ إن نزول الحلفاء على أراضي إيطاليا حسب رأيه يمكن أن يكلف غالياً. ورغم اعتراف الرئيس بأهمية وفعالية عبور المانش، اقترح تأجيل هذه العملية إلى ربيع عام ١٩٤٤.

تمت متابعة المناقشات في اجتماعات رؤساء الأركان. كان الإنكليز يدافعون عن اقتراحات تشرشل حول تطوير الأعمال القتالية في البحر الأبيض المتوسط. وكان بروك يؤكد أن هزيمة إيطاليا ستسمح بتسريع دخول تركيا إلى جانب الحلفاء، وستعتبر مساعدة فعالة للجبهة الروسية. أما رئيس أركان الجيش الأمريكي الجنرال مارشال فكان يعطي الأفضلية إلى الاستعداد لتدخل القوات المسلحة للحلفاء في شمال فرنسا، معبراً عن الشك والخشية من فائدة التقدم في إيطاليا، وحذر من دوام العملية المقبلة في إيطاليا لمدة طويلة، الأمر الذي يمكن أن يُبطئَ من وتائر حشد القوى الأمريكية على الجزر البريطانية[1]. وفي نهاية المطاف تم إقرار تأجيل عبور المانش حتى ١ أيار عام ١٩٤٤. ومما يثير الاهتمام، أن هتلر صرح في ١٥ أيار: «لن يحصل أي شيء في الغرب: إنني مقتنع من ذلك بشكل كامل[2]».

شغلت في المؤتمر مسائل الحرب ضد اليابان مكاناً مهماً. حملت النقاشات طابعاً حاداً إلى درجة ما. جاء الوفد الأمريكي إلى المؤتمر بعزيمة صلبة على أمل أن يحقق تنشيطاً للعمليات الحربية في المحيط الهادي وجنوب - شرق آسيا. لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إقامة وضع سيادي في هذه المنطقة وإخراج

(١) المصدر السابق، ص ٤٢-٤٥، ٢٦٥-٢٦٨.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٣٨٠.

الدول المستعمرة الأوروبية من هناك، بما في ذلك بريطانيا العظمى. اقترح تشرشل في الاجتماع العام الأول، آخذاً بعين الاعتبار ذلك الاستمرار بالخط الإستراتيجي السابق: تحطيم ألمانيا في البداية، وبعد ذلك كل الجهود موجهة إلى اليابان.

تحدث روزفلت عن العمليات في جزر سليمان، وغينيا الجديدة وعن أهمية تحقيق أمن المواصلات البحرية. لكن اهتمامه الرئيسي كان منصباً على الصين، إذ عبَّر عن خشيته من إمكانية خروج الصين من الحرب، واقترح زيادة المساعدة لها عن طريق الإمدادات العسكرية. كان الرئيس يدافع بنشاط عن نظرية توجيه الضربة إلى اليابان من القواعد الجوية في الصين، ولكن لتحقيق ذلك كان من الضروري زيادة الإمداد بالمحروقات. فكيف يمكن أن يتم ذلك؟ كانت هناك إمكانيتان: إما عن طريق الجو من الهند، وإما عن طريق تحرير بورما، وإعادة تشغيل الخط الحديدي الذي يربط الهند بالصين(١).

اقترح الأمريكان إجراء عملية لتحرير بورما بواسطة القوات الصينية والهندية (الاسم الشيفرة: آناكيم)، ووافق تشان كاي تشي على المشاركة فيها بشرط العمل المشترك مع الأسطول البريطاني. لكن الإنكليز رفضوا هذه الخطة بحزم. أكد رئيس الوزراء أن عملية تحرير بورما غير ممكنة حتى آذار عام ١٩٤٤. سار النقاش في طريق مسدود، ولم يتم الوصول إلى اتفاق. عند ذاك دعوا إلى واشنطن من تشونتسين كلاً من الجنرالين ستيلويل وتشينولت، وكذلك قائد القوات الإنكليزي في جنوب-شرق آسيا الفيلدمارشال أويفيل. لم تحمل مشاركتهم في المناقشات أيَّ وضوحٍ في المسائل التي يجري النقاش حولها. كان ستيلويل يدافع عن خطة الهجوم على بورما، أما الجنرال

---

(١). FRUS, The Conferences at Washington and Quebec 1943, p. 31.

تشينولت فكان يبرهن على أفضلية القاذفات الجوية ضد اليابان. وشاركه برأيه تشان كاي تشي. وقف أويفيل ضد عملية (آناكيم). أما بروك فكان يؤيده، مستنداً إلى عدم جاهزية الجناح الجنوبي للأسطول. قرر المشاركون في المؤتمر أن إجراء عملية في بورما لايزال غير مفيد[1]. وهكذا، فإن لقاء رئيس حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى اختتم بقرار حول نقل موعد عبور المانش إلى ١ أيار عام ١٩٤٤. واتفق المشاركون حول زيادة الغارات الجوية على ألمانيا. وتم الاتفاق على خطة «بوينت بلينك» التي كانت تقضي بالقيام بغارات على ترسانات بناء الغواصات، ومؤسسات صناعة الطيران، ومعامل المطاط الصناعي والأغطية ووسائل النقل العسكرية. أعلمت حكومتا إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية القيادة السوفييتية في ٤ حزيران، حول أن عبور قوات الحلفاء لمضيق المانش لن يتم في عام ١٩٤٣[2]. وفي غضون عقّب رئيس لجنة الشؤون الخارجية بلوم أثناء محادثته مع القائم بأعمال شؤون الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية ا. ا. غروميكو، بصورة مؤتمنة، أن الكثيرين في الكونغرس مستغربون، «لماذا لا تفتح الجبهة الثانية الموعود بها»، على الرغم من أنه «توجد ظروف ملائمة جداً لذلك؟»[3]، كما أشار.

أثار قرار الحلفاء بنقل موعد فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية إلى عام ١٩٤٤ استنكاراً عادلاً من جانب الحكومة السوفييتية، ولا سيما أن رئيس الوزراء

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ١٨٥-١٩٢.

(٢) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ٢، ص ٦٦-٦٨.

(٣) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، الجزء ١، ص ٣٣٩.

البريطاني أكد لـ ي. ف. ستالين في شباط، أنه ستجري عملية التدخل شمالي فرنسا في آب أو أيلول[1]. كانت مسألة فتح الجبهة الثانية في أوروبا تملك أهمية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفييتي في تلك الحالة الملموسة، التي كانت تتكون في صيف عام ١٩٤٣. جاء في الرسالة الموجهة في ٢٦ أيار عام ١٩٤٣ من قبل ي. ف. ستالين إلى ف. روزفلت أن القيادة الهتلرية ستبدأ الهجوم في الصيف - ربما في حزيران - على الجبهة السوفييتية -الألمانية. ولقد حُشدت لأجل ذلك نحو ٢٠٠ فرقة ألمانية وحتى ٣٠ فرقة من حلفائها. إن الجيش السوفييتي يستعد لصد هجوم الفرق الهتلرية. وتجري الإشارة في الرسالة، إلى أن تطور الأحداث سيكون متعلقاً إلى حد كبير «بمدى سرعة وفعالية الأعمال العسكرية الإنكليزي -الأمريكية في أوروبا»[2].

استند الحلفاء الغربيون في رفضهم لعبور المانش إلى النقص في القوى بالنسبة للقيام بتلك العملية. وكان ذلك التأكيد لا أساس له من الصحة.

كان تعداد القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية حتى نيسان عام ١٩٤٣ يبلغ ٨٥٤٠ ألف شخص. كان في الجيش ٦٥١٠ آلاف شخص، وفي الأسطول ٢٠٣٠ ألفاً، وكانت القوات البرية تضم ٧٨ فرقة، وكانت ترابط ٦١ كتيبة منها في أراضي الولايات المتحدة الأمريكية و١٨ – في مسارح الحرب وراء المحيط[3]. كان الأسطول البحري الحربي الأمريكي يعدّ الأقوى في العالم، وكان

---

(١) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ١، ص ٦٩-٧٠، و ١١٢-١١٣.

(٢) المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٦٥.

(٣) The Army Almanac. A Book of Facts Concerning the Army of the United States. Wash., 1950, p. 581-591, 625-627.

يملك ٤٦٤ سفينة حربية من الدرجات الأساسية[١]. أما القوات الحربية الجوية فكان تعداد الطائرات يبلغ ٢٥ ألف طائرة. كانت بريطانيا تملك قوات مسلحة حتى نيسان عام ١٩٤٣ يبلغ تعدادها ٤١٨٦ ألف شخص. وكان تعداد الجيش البري ٢٦٢٨ ألف شخص، والقوات الحربية الجوية - ٩٤٨ ألفاً، والأسطول البحري الحربي - ٦١٠ آلاف[٢]. كان الجيش الإنكليزي يتألف من ٣٦ فرقة و ٢٧ لواءً منفرداً[٣]، وكانت القوى الأساسية في الجيش الإنكليزي توجد على الجزر البريطانية، ولا سيَّما ٢٢ فرقة و١٨ لواء. وفي شمال إفريقيا كانت تحارب ٩ فرق وأربعة ألوية، وفي الشرق الأوسط والهند - خمس فرق وخمسة ألوية[٤]. وذلك يعني، أن القيادة العليا للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا امتلكت ٨٣ فرقة على أراضي بلديهما، وكانت مزودة بالأفراد كاملاً، ومجهزة بالأسلحة، والتكنيك الحربي، وكانت في حالة كاملة من الاستعداد القتالي، مترقبة حلول وضع إستراتيجي ملائم.

كانت مواقف قادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا في مسألة الجبهة الثانية يحددها الأهداف العامة الإستراتيجية والسياسية. عندما سلم السفير ي. م. مايسكي رسالة الحكومة السوفييتية حول رغبتها في فتح الجبهة الثانية في غرب أوروبا ربيع عام ١٩٤٣ في ٧ كانون الأول عام ١٩٤٢، أعلن رئيس وزراء

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٢٨.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٢٨؛ و Stistical Digest of the War. L., 1951, p. 9.

(٣) Richards D., Saunders H. Royal Air Force 1959-1945: vol. 1-3, 1974-1975, vol. 2, p. 312.

(٤) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٢٩.

تشرشل بعد اطلاعه على محتواها، أنه كان خصماً لتدخل القوات الإنكليزية الأمريكية في القارة الأوروبية عام ١٩٤٢، أما الآن فإن الوضع قد تغير بصورة ملموسة، وهو يعتبر نفسه نصيراً لتحقيق هذه الفكرة في عام ١٩٤٣. وأضاف تشرشل قائلاً، بيد أن الأمريكان، ليسوا جاهزين لتلك العملية. من الصعب عليهم حتى الربيع نقل قوات ضخمة إلى الجزر البريطانية. وسأل السفير بعد ذلك: «كم تظنون عدد الفرق الأمريكية الموجودة الآن في إنكلترا؟» فأجاب مايسكي أنه لا يعلم عن ذلك، ربما ٤ فرق، فانفجر تشرشل ضاحكاً وصاح: «كلا، هناك فرقة واحدة فقط. أما بقية الفرق فقد نقلت إلى إفريقيا[1]». إن الأمريكان يعدون بنقل ٦ فرق فقط إلى الجزر البريطانية حتى الربيع.

استخلص السفير من هذه المحادثة استنتاجاً مؤسساً: «...إن الأمريكان والإنكليز يتبادلان المواقف بالنسبة للجبهة الثانية في أوروبا الغربية. كالكرة: عندما كان روزفلت يلحّ على الجبهة الثانية في عام ١٩٤٢، كان تشرشل يعارض، أما الآن، عندما يصرح تشرشل أنه إلى جانب الجبهة الثانية في عام ١٩٤٣، فإن روزفلت سيعارض. تسيطر عليهما من إذ الجوهر نفس الفكرة - فكرة الانتصار السهل بالنسبة لهما[2]».

أخذ الحلفاء الغربيون بعد معركة ستالينغراد يولون اهتماماً كبيراً لقضايا بناء العالم بعد الحرب. وقد أسرَّ الرئيس روزفلت بصورة مفصلة في آذار لوزير خارجية بريطانيا ا. ايدين حول تطلعات الحكومة الأمريكية إلى عالم ما بعد الحرب. أدهش اتساع الخطط التوسعية لواشنطن الوزير البريطاني. ومما كان

---

(١) العلاقات السوفييتية-الإنكليزية أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥. وثائق ومواد: في جزأين. موسكو، عام ١٩٨٣، الجزء الأول، ص ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٢١.

يثير سخط لندن الخاص هو سعي الولايات المتحدة الأمريكية لتوسيع إشرافها على الموارد الطبيعية، والحصول على إمكانية الدخول إلى أسواق المواد الخام وتصريف البضائع، بما في ذلك في المناطق الخاضعة للإمبراطورية البريطانية.

عملت القيادة الأمريكية - الإنكليزية بدءاً من شباط عام ١٩٤٣ على الإعداد لعملية احتلال صقلية. كانت توجد على الجزيرة تسع فرق إيطالية وفرقتان ألمانيتان (٢٥٥ ألف شخص). كانت الفرق الإيطالية مسلحة بصورة سيئة، ولم تكن الروح القتالية عالية لديها: الجنود لا يرغبون في القتال[1]. خصص الحلفاء لهذه العملية قوى ضخمة، وتمَّ إنشاء تجمع موحد للقوات بقيادة الجنرال د. آيزنهاور، كان يتألف من الجيش الأمريكي السابع (بقيادة الجنرال ج. باتون) والجيش الإنكليزي الثامن (بقيادة الجنرال ب. مونتغمري)، وكان كلا الجيشين يضمان ١٦ فرقة (٤٧٨ ألف شخص)[2]. كان يرأس القوات البحرية الحربية في البحر الأبيض المتوسط الأدميرال الإنكليزي كانينغهيم، ووُضع تحت تصرفه ٦ سفن خطية، وحاملتا طائرات، و٦ طرادات و٢٤ مدمرة. ولقد شارك في العملية أكثر من ٤ آلاف طائرة، وكان يقود القوات الجوية الحربية الجنرال الإنكليزي ا. تيدر[3].

كان من المفترض أن يقوم الجيش الإنكليزي وتحت تغطية الطيران والأسطول، بالإنزال في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة، أما الجيش الأمريكي ففي الجنوب الغربي منها.

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٤٧٤.

(٢) ستريلنيكوف ف، وتشيريبانوف ن. حرب دون مخاطرة: أعمال القوات الإنكليزية- الأمريكية في إيطاليا في أعوام ١٩٤٣-١٩٤٥. موسكو، ١٩٦٥، ص ٤٢-٤٣.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٣٧١-٣٧٢.

أقرت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان في مؤتمر واشنطن في أيار خطة العملية، وفي حزيران بدأت القيادة بإجراء العمليات القتالية لاحتلال عدد من الجزر الصغيرة للدخول إلى صقلية. وخلال عشرة أيام قام طيران الحلفاء بقصف جزر بانتيلليريا. استسلمت الحامية التي يبلغ عددها ١٢ ألفاً دون مقاومة في ١١ حزيران. وسارت على خطاها حاميات جزر لامبيدوزا، ولينوسا، ولامبيوني. لقد تحقق احتلال الجزر بصورة سهلة، ودون خسائر عملياً. خسر الإنكليز في جزيرة بانتيلليريا جريحين فقط. لقد صاح موسيليني بعد معرفته باستسلام الحامية في بانتيلليريا: «هذه إشارة خطر، تُقرع على الباب![1]».

في ليل العاشر من تموز وتحت تغطية كثيفة من الطيران ومدفعية السفن، بدأ جنود الإنزال البحريين بالنزول على جزيرة صقلية. أبدت القوات الإيطالية مقاومة ضعيفة فقط، وهي في حالة الاضطراب والذهول. لم تتمكن القيادة من تنظيم دفاع قوي. واستطاع الإنكليز في اليوم الأول إقامة رأس جسر على جبهة طولها ١٠٠كم وعمق - من ١٠ إلى ١٥كم. لم تصادف تشكيلات الجيش السابع الأمريكي كذلك مقاومة مهمة.

أخبر آيزنهاور اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان في ١١ تموز عن البداية الناجحة للعملية. لقد كتب أن مقاومة العدو كانت ضعيفة. تم احتلال حصون أوغست وسيراكوزا دون طلقة واحدة. كان الكثير من الجنود الإيطاليين ينتقلون إلى جانب الحلفاء، مستسلمين للأسر. وحتى ١٤ تموز توقفت فرقتان من فرق الدفاع عن الشاطئ عن المقاومة. كان موسيليني في حالة من اليأس. فأسرع لمقابلة هتلر. جرى اللقاء في ١٩ تموز في المدينة الإيطالية فيلتر، وكان موسيليني يتوسل

(١) استشهاد بالمصدر السابق، ص ٣٧٣.

للمساعدة، لكنه حصل على رفض حاسم. إن هتلر كان في حالة شديدة من التهيج. لقد مني جيشه بهزيمة في كورسك. لقد أعلن الفيلدمارشال كلوغي في رده على اقتراح هتلر بنقل عدد من الفرق من مجموعة جيوش (المركز) إلى الجبهة الإيطالية: «هذا الأمر مستبعد»[1].

بدأ الأمريكان الهجوم على باليرمو في ٢٢ تموز. وعلى الرغم من تفوق الحلفاء الغربيين في القوى، وسيطرة طيرانهم المطلقة، فإن القيادة الألمانية الفاشية المنظمة للدفاع أجبرت الحلفاء على إيقاف الهجوم. وفي ذلك الوقت هزت الأحداث الحربية في صقلية إيطاليا بأسرها. وكان انهيار الفاشية الإيطالية واضحاً. وانتقلت قيادة القوى المسلحة إلى جانب الملك، وتمَّ اعتقال موسيليني. وأصبح المارشال ب. بادولو رئيساً للحكومة والقوات المسلحة. والذي سارع إلى الإعلان بأن: «الحرب مستمرة... وأن أي محاولة خرق للأنظمة العامة ستواجه دون رحمة»[2]. وفي ٢٦ تموز تمَّ إعلان حالة الطوارئ في البلاد. قررت حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى الدخول في مفاوضات مع حكومة بادولو حول خروج إيطاليا من الحرب.

بيد أن قيادة الحلفاء الغربيين في هذه الأيام العاصفة التي تعيشها إيطاليا لم تظهر نشاطاً في صقلية. لقد وجهت إلى هناك تعزيزات وكانت تستعد للهجوم.

وفي ٤ آب خرقت القوات الإنكليزية - الأمريكية الدفاع في صقلية، وخلال يومين احتلت مدينة كاتانيا الكبيرة ومرفأها. انسحبت الفرق النازية

---

(١) استشهاد من المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٢) لونغو ل. الشعب الإيطالي في النضال. موسكو، ١٩٧٦، ص ٧٥.

وهي تقاتل. وفي منتصف آب، وبسرعة كاملة تم جلاء الفرق الألمانية- الفاشستية عبر مضيق ميسين إلى كالابريا.

كانت قيادة الحلفاء الغربيين تملك إمكانية محاصرة مضيق ميسين وإعاقة جلاء الألمان، لكن ذلك لم يتم القيام به بسبب بطء وعدم حزم وتوافق الحلفاء. وفي النتيجة استطاعت القيادة الهتلرية أن تنقذ القسم الأساسي من قواتها.

أعطى الفيلدمارشال كيسيلرينغ أمراً في ٨ آب بجلاء القوات من صقلية. وتم إجلاء ٧٠ ألف شخص من الجزيرة[١]. وفي ١٧ آب فقط تم نقل أكثر من ٥٠ ألف جندي وضابط ألماني إلى كالابريا. ووقعت الكتلة الأساسية من القوات الإيطالية في الأسر. لم تتطلب عملية الحلفاء الغربيين لاحتلال صقلية، التي استمرت ٣٩ يوماً توتراً كبيراً، وتمت الانتصارات بصورة سهلة. وقد بلغت خسائرهم ٥٥٣٠ قتيلاً و١٤٤٠٠ جريحاً[٢]. وحسب التعبير المجازي للأدميرال تش. نيميتس، «فإن صقلية بدت جوزة فارغة»[٣].

إن هزيمة الجيش الألماني - الفاشي في كورسك سرّعت في خروج إيطاليا من الحرب، ووضعت عدداً من القضايا التي لا تقبل التأجيل أمام حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. ولأجل مناقشتها تم عقد مؤتمر خاص.

---

(١) ماكدونالد تش. الامتحان القاسي. موسكو، ١٩٧٩، ص ١٤٨.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٣٧٧.

(٣) نيميتس تش.، وبوتير اي. الحرب في البحر ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٦٥، ص ١٨٣.

٤ - مؤتمر كيبك الأول الأعمال الحربية في النصف الثاني من عام ١٩٤٣

التقى روزفلت وتشرشل في ذروة العمليات الصيفية عام ١٩٤٣ في كيبيك. استمر المؤتمر بينهما من ١٤ إلى ٢٤ آب، وشاركت فيه القيادات العسكرية والسياسية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا. جرى العمل والإعداد للمؤتمر في وضع تمَّ فيه إلحاق الهزيمة بالجيش الغازي في كورسك. كانت معركة كورسك التي استمرت من ٥ تموز إلى ٢٣ آب، واحدة من المعارك الكبرى في الحرب العالمية الثانية. لقد تجابه من كلا الطرفين أكثر من ٤ ملايين شخص، وأكثر من ٦٠ ألف مدفع ومدفع رشاش، وأكثر من ١٣ ألف دبابة، وما يقرب ١٢ ألف طائرة مقاتلة. حطمت القوات السوفييتية ٣٠ فرقة من فرق النخبة، بما في ذلك ٧ فرق دبابات، وبلغت خسائر القوات العدوة أكثر من ٥٠٠ ألف شخص، ونحو ١٥٠٠ دبابة، و٣ آلاف مدفع، وأكثر من ٣٧٠٠ طيارة[١]. انتقلت المبادرة الإستراتيجية نهائياً إلى أيدي القيادة السوفييتية. أسست معركة كورسك لانعطاف جذري في سير الحرب العالمية الثانية. ففي هذه المعركة حسب اعتراف الجنرال النازي ميلليتين «هلكت أفضل قطعات الجيش الألماني[٢]».

وبمناسبة تحرير آريول وبلغراد أشار روزفلت في رسالته إلى ي.ف. ستالين، إلى أن القوات السوفييتية بمهارتها وشجاعتها ونكران ذاتها ومثابرتها، لم توقف فقط مخططات الهجوم الألماني منذ مدة طويلة، وإنما بدأت بالهجوم

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ١٧٨.

(٢) ميلليتين ف. ف. معارك الدبابات، ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٥٧، ص ٢٠٢.

المضاد الناجح أيضاً، الذي له نتائج مستقبلية بعيدة. كتب الرئيس أن «الاتحاد السوفييتي يستطيع أن يفتخر بصورة عادلة بانتصاراته البطولية»[1]. أعلن رئيس الوزراء البريطاني تشرشل أيضاً أن: المعارك في كورسك واريول وخاركوف «كانت ترمز إلى هزيمة الجيش الألماني على الجبهة الشرقية»[2]. مارس انتصار الجيش السوفييتي في كورسك، ونمو قدرة الاتحاد السوفييتي تأثيراً كبيراً على الإعداد للمؤتمر وعمله وقراراته.

لقد سلم رئيس لجنة ليند-ليز الجنرال بارنس في ١٠ آب، وعلى أعتاب افتتاح المؤتمر مذكرة إلى المساعد الخاص للرئيس هوبكينز، إذ جرى الاعتراف فيها، بأن الاتحاد السوفييتي يلعب الدور الرئيسي في الحرب ضد بلدان «المحور» في أوروبا، وأنه توجد في الجبهة الشرقية نحو ٢٠٠ فرقة ألمانية-فاشستية، وأنه لا يمكن تحطيم بلدان «المحور» في أوروبا دون الاتحاد السوفييتي. وإذا لم يقم الحلفاء بفتح الجبهة الثانية في القارة الأوروبية فإنها ستكون، كما جاء في هذه الوثيقة أقل شأناً بكثير مقارنةً مع الجبهة السوفييتية-الألمانية - الجبهة الأساسية. لقد أوصى كاتب المذكرة بإلحاح بالحفاظ على علاقات صداقة مع الاتحاد السوفييتي، وعلى الأخص إذا تمَّ الأخذ بعين الاعتبار مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية في دخول الاتحاد السوفييتي الحرب ضد اليابان.

---

(١) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ٢، ص ٧٧.

(٢) تاريخ الحرب الوطنية العظمى للاتحاد السوفييتي، ١٩٤١-١٩٤٥، الجزء ٣، ص ٢٩٤، الجزء ٢، ص ٧٦.

في ٩ آب وضع رؤساء الأركان الأمريكان مذكرة بعنوان «النظرية الإستراتيجية بالنسبة لهزيمة بلدان «المحور» في أوروبا، والتي تحدثت عن أولوية عملية التدخل في شمال فرنسا. ظهرت هذه الأولوية في ١ أيار عام ١٩٤٤. جاء في التقرير، أن منطقة البلقان غير ملائمة من أجل القيام بالأعمال الحربية للحلفاء بالمقاييس الضخمة. وقد عبر روزفلت عن موافقته لهذه المذكرة. أخبر وزير الحربية ستيمسون الرئيس في ١٠ آب عن نية قادة بريطانيا العظمى القيام بأعمال حربية في إيطاليا، والقسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط وفي البلقان - واليونان ورومانيا. ولقد أشار أثناء ذلك، إلى أن القيام بالحرب على طريقة «وخز الدبابيس» لا يمكن أن يضلل الاتحاد السوفييتي، وألح على الجبهة الثانية في المواعيد المقررة، التي من المفترض أن يحددها القائد الأعلى للقوات العسكرية في أوروبا الجنرال مارشال. لقد وقف الرئيس، وفي نفس اليوم أثناء الاجتماع الذي شارك فيه ستيمسون، وليغي، ومارشال، وكينغ، وأرنولد، واللواء دين، إلى جانب تدخل الحلفاء في النورماندي ربيع عام ١٩٤٤، وضد العملية في البلقان[١].

وصل رئيس الوزراء البريطاني إلى المؤتمر بنية صلبة للدفاع عن خطته للتدخل ف شبه جزيرة إبينين - في إيطاليا، وتطوير الأعمال القتالية في جنوب أوروبا، بما في ذلك البلقان. أعلن الجنرال ا. بروك في الجلسة الأولى لرؤساء الأركان - ١٤ آب -، أنه يجب اعتبار عملية «أوفر لورد» أساسية في عام ١٩٤٤، بيد أن القيام بها يمكن أن يتحقق بشرط اعتراض الطيران الألماني المطارد، وتقليص أعداد قوات المحتلين في فرنسا، وهولندا،

(١) FRUS. The Conferences at Washington and Quebec 1943, p. 473-480, 497, 502, 625-627.

وبلجيكا، وحل مسألة تزويد قوات الحلفاء على رأس الجسر. ودارت المناقشات بعد ذلك.

وقف ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية ضد ذلك. واستمرت الجدالات ثلاثة أيام. أرسل الأمريكان المنزعجون رئيس الإدارة العملية لأركان الجيش الجنرال هيندلي إلى واشنطن من أجل إعلام الرئيس عن موقف الإنكليز. وبعد أن علم رئيس الوزراء البريطاني بذلك أسرع إلى كيبيك لمناقشة عدد من مسائل السياسة العالمية مع الرئيس. وهناك تقابل مع الجنرال مارشال، في محاولة منه لإقناعه بفائدة حشد القوى الأساسية في منطقة البحر الأبيض المتوسط من أجل الهجوم على إيطاليا. لكن محاولة إحداث اهتزاز في آراء مارشال لم تنجح. كان على تشرشل آنذاك أن يغير التكتيك: أخذ يقف إلى جانب فتح الجبهة الثانية ووافق على تعيين مارشال في منصب القائد الأعلى لجيش التدخل. ومع ذلك فقد لاحظ أن القيام بعملية التدخل في شمال فرنسا يمكن أن تنجح بشرط أن لا يكون هناك أكثر من ١٢ كتيبة نازية متحركة، وأن يتحقق تفوق للحلفاء في الجو[١].

بحثت مسألة الجبهة الثانية أثناء المؤتمر بالارتباط الوثيق مع إمكانية الهزيمة القريبة لألمانيا ودور الاتحاد السوفييتي في الأحداث التي تتغير بسرعة في أوروبا.

وضع الجنرال مارشال في ٢٠ آب، وفي جلسة اللجنة الموحدة لرؤساء أركان الحلفاء مسألة تطوير قوى الحلفاء الغربيين بالارتباط مع تطور الأحداث في الجبهة الشرقية. لقد تساءل مارشال «إذا حقق الروس نجاحاً ساحقاً، فهل

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٢٨٥.

سيبدي الألمان تعاوناً معنا لدخولنا إلى ألمانيا من أجل القيام بصدّ الروس؟»[1].

كان روزفلت يخشى أن تلحق الهزيمة بألمانيا حتى قبل أن تدخل جيوش الحلفاء في شمال فرنسا، الأمر الذي سيقوي مواقع الاتحاد السوفييتي. لقد وافق على الاقتراح الإنكليزي بوضع خطة لإنزال قوات الحلفاء في حالة بروز «ظرف استثنائي». دعا الإنكليز في كيبيك لخطة مماثلة، كانت تحمل الاسم الرمزي «رينكين» وكانت تقضي بحشد قوات ضخمة للحلفاء على الجزر البريطانية، مستعدة للتدخل في القارة الأوروبية في حالة هزيمة غير متوقعة لألمانيا.

كلفت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان الجنرال الإنكليزي مورغان، ورئيس أركان القوات العسكرية المكلفة بالتدخل في أوروبا الغربية بإعداد خطة عملية «رينكين». وكان يجب على خطة الحلفاء حسب اقتراح الرئيس أن يتم إعدادها مع الأخذ بالاعتبار دخول القوات الإنكليزية-الأمريكية والسوفييتية بآن واحد.

وافق المؤتمر في ٢٤ آب على التقرير الختامي للجنة الموحدة لرؤساء الأركان التي كانت تقضي بـ: القيام بغارات جوية على ألمانيا، وبعملية «اوفر لورد» - الهجوم الأمريكي-الإنكليزي الرئيسي في البر والجو ضد دول «المحور» الأوروبية (تم تعيين بداية العملية في ١ أيار عام ١٩٤٤)، وأعمال قتالية في إيطاليا، وإنزال القوات على القارة في ظروف استثنائية (عملية رينكين)، وأعمال في البلقان، وإمداد الأنصار بصورة محدودة من الجو والبحر[2].

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٧، ص ٥١٤.

(٢) ايرمان ج. الإستراتيجية الكبيرة. آب ١٩٤٣ – أيلول عام ١٩٤٤. موسكو، ١٩٥٨، ص ٤٣-٤٥.

برزت خلافات جدية لدى مناقشة خطط الأعمال القتالية ضد اليابان. عبرت الحكومة الإنكليزية عن رغبتها بالمشاركة في الأعمال القتالية ضد اليابان، وبصورة خاصة في شبه جزيرة مالايو. رفض ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية هذا الاقتراح، بأمل توسيع الإشراف الأمريكي في هذا الإقليم. وحسب اقتراح الأمريكيين تم اعتماد خطط العمليات لاحتلال جزر مارشال، وكارولين وماريان، وكذلك في بورما.

جرى التوقيع في المؤتمر ١٩ آب على اتفاقية سرية حول التعاون على إنتاج قنبلة ذرية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ بمواقع راجحة في مجال الأبحاث العلمية وإنتاج الأسلحة الذرية. أجرى وزير الخارجية هيل مفاوضات كذلك مع ايدين حول مستقبل ألمانيا. ورغم الخلافات في المواقف تجاه هذه القضية، فقد تم الاعتراف بضرورة أن «تبقى ألمانيا كدولة موحدة»[١].

اقترحت مذكرة وزارة الخارجية الصادرة في ١٧ آب عام ١٩٤٣ تقسيم ألمانيا إلى ثلاثة أقسام[٢]. كانت الإدارة الأمريكية تسعى إلى عدم السماح بتوحيد القوى الديمقراطية في ألمانيا. وأعار المشاركون في المؤتمر اهتماماً كبيراً لإعداد شروط الهدنة مع إيطاليا واستسلامها. جرت المفاوضات مع الممثلين الإيطاليين بصورة منفردة، دون مشاركة مباشرة للاتحاد السوفييتي.

ظهرت خلافات في كيبيك حول مسألة الاعتراف الدبلوماسي بلجنة التحرير الوطنية الفرنسية. استمر هيل باتباع موقف معادٍ تجاه ديغول، في محاولة للحد من سمعة وصلاحية هذه اللجنة. كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك بريطانيا العظمى ترغبان بالحفاظ على حرية أيديهما في فرنسا

---

(١) The memoirs of Cordell Hull: vol. 1,2. N.Y., 1948, vol. 2, p. 1233-1234.

(٢) Postwar Foreign Policy Preparation, 1939-1945. Wash., 1949, p. 554-556.

بعد إنزال قوات الحلفاء، وتحقيق نقل القيادة العليا للقوات الفرنسية إلى الجنرال جيرو. ولقد تمت الموافقة على أن كل حكومة تحدد بنفسها علاقتها تجاه لجنة التحرير الوطنية الفرنسية. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار بيان مباشرة بعد المؤتمر حول الاعتراف بها كهيئة فاعلة أثناء الحرب، وعلى تلك الأراضي الفرنسية فقط، «التي تعترف بسلطتها»[1]. كان اهتمام المؤتمر منصباً على الأحداث في إيطاليا، وعلى مسألة فرنسا. اقتصر قادته على التأكيد على المواعيد المتفق عليها سابقاً لفتح الجبهة الثانية. وفي تقييمه لقرارات مؤتمر كيبيك، وجه رئيس وزراء اتحاد جنوب إفريقيا الجنرال سميث برقية إلى تشرشل في ٣١ آب، تم التعبير فيها عن خيبة الأمل بالقرارات المتخذة، لأن الخطط، كما أشار مصممة على قياس صغير جداً»، ولا تطابق القوة الواقعية لمواقع الحلفاء، وليست مفيدة، ولا سيما إذا تمت مقارنتها بالنجاحات الضخمة لروسيا السوفييتية[2].

نزل الحلفاء في جنوب إيطاليا في ٣ أيلول، وفي ٨ أيلول ١٩٤٣ أعلن راديو روما، أن إيطاليا وافقت على شروط الهدنة وخرجت من الحرب. وكرد على ذلك قامت القوات الألمانية باحتلال جزء مهم من البلاد حتى نابولي. وتمت استعادة النظام الفاشستي على الأراضي المحتلة. ولقد طور الشعب الإيطالي نضالاً مسلحاً تحررياً واسعاً ضد موسوليني والنظام النازي. كان يقود هذا النضال ل. تونغو، وهو أحد قادة الحزب الشيوعي الإيطالي. وفي سياق المقاومة تكونت الجبهة الوطنية المعادية للفاشستية.

---

(١) العلاقات السوفييتية-الفرنسية أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥: وثائق ومواد. موسكو، عام ١٩٥٩، ص ١٩٠.

(٢) استشهاد بـ: Churchill W.C. The Second World War: vol. 1-6. L., 1949-1954, vol. 5, p. 109-110.

احتلت القوات الإنكليزية في خريف عام ١٩٤٣ عدداً من الجزر في بحر إيجه. وكانت القيادة الإنكليزية تنظر لذلك كمقدمة للهجوم على البلقان. كتب تشرشل في بداية تشرين الأول عام ١٩٤٣: «إنني أعتبر أن إيطاليا وشبه جزيرة البلقان تشكلان وحدة كاملة في المجال العسكري-الإستراتيجي، وأننا في هذه المنطقة بالذات يجب علينا أن نقوم بأعمال فعالة»[١].

أعطت وزارة الحربية في الولايات المتحدة الأمريكية أمراً مرة أخرى لدراسة مسألة التدخل في البلقان. أظهرت دراستها اليقظة، أن هذه العملية مرتبطة بزيادة طول خط المواصلات بالنسبة للحلفاء ما بين ١٥٠٠-٢٥٠٠ كم. إن طابع المنطقة والظروف الرصد، وغياب المواصلات الداخلية، كل ذلك يمكن أن يخلق ظروفاً بالغة الصعوبة بالنسبة لإمداد قوات الحلفاء. إن هذه العملية يمكن أن تجرّ الولايات المتحدة الأمريكية «إلى حرب مكلفة ومستمرة إلى حدِّ الإنهاك». إنها لا تساعد، بل تؤخر الانتصار على ألمانيا. وصلت الجنرالية الأمريكية إلى استنتاج أن: «البلقان من وجهة النظر العسكرية غير مجدية للقيام بعمليات كبيرة ضد ألمانيا»[٢].

كانت عمليات الحلفاء الغربيين ضد ألمانيا الهتلرية لا تزال محصورة بالقصف. ولقد قام الجيش الأمريكي الجوي الثامن في النصف الثاني من عام ١٩٤٣ بـ ٦٦ غارة، وبصورة خاصة على هامبورغ، التي تعرضت لأربع عمليات قصف مركزة من ٢٤ تموز إلى ٣ آب، تم فيها إلقاء ما يقارب ٩ آلاف قنبلة. وبدءاً من ٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ إلى ٢٥ آذار ١٩٤٤ أجرت قيادة

---

(١) ميتلوف م. ، وسنيل اي. مصدر سابق، ص ٣٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

الحلفاء عملية ضد برلين، تم فيها القيام بـ ٣٥ غارة وإلقاء ٢٥ ألف قنبلة على عاصمة ألمانيا(١). لم تحقق الغارات الجوية آمال وحسابات قادة القوى الجوية الحربية في الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، التي كانت تسعى بتلك الدرجة إلى تقويض أو إضعاف الاقتصاد الحربي. أنتجت الصناعة الألمانية عام ١٩٤٣ من الطائرات أكثر بمرتين مما أنتجته في العام السابق.

كانت عمليات الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٣ في مسرح أعمال المحيط الهادي القتالية تحمل طابعاً إقليمياً. جرت معارك في خليج فول في ٤ و١٢ تموز، وفي ٦ آب - في خليج نيل، وفي ١٥ آب - في خليج فيليا-لافيليا. كان اليابانيون مضطرين لمغادرة جزيرة فيليا-لافيليا. وفي ١ تشرين الثاني نزلت وحدات من مشاة البحرية الأمريكية في جزيرة بوغينفيل. وبعد خمسة أيام أقدمت طائرات التشكيلات الجوية الفعالة بقيادة نائب الأدميرال ف. س. شيرمان على القيام بغارات يومية على مدينة رابادول وخليجها، الذي كانت ترسو فيه ٧ طرادات ثقيلة و٣ خفيفة و١٤ عمارة مدمرة. ولقد تضررت من تلك الغارة ٦ طرادات ومدمرتان. وتكررت تلك الغارة بعد ستة أيام. وفي كانون الأول تم القيام بغارات من حاملات الطائرات على كافيينغ. أقدمت حاملات الطائرات الأمريكية كذلك على القيام بغارات في القسم المركزي من المحيط الهادي. تعرضت جزر تارافا، وماكين، واويك لهجوم جوي في آب - أيلول. وفي ٢٠ تشرين الثاني نزلت وحدات الإنزال الأمريكية على جزر تارافا، وماكين، وابيياما. كان يوجد على جزيرة تارافا ٤٨٠٠ ياباني، وماكين - ٨٠٠، وعلى ابيياما - ٢٠ يابانياً فقط. وفيما بعد تم احتلال جزر جيلبرت. وبعد ذلك بدأت القيادة الأمريكية بالتحضير للهجوم على جزر مارشال. نزلت الوحدات

(١)Webster Ch., Frankland N. Op. cit., vol. 4, p. 197.

الأمريكية والكندية في ١٦ آب على جزيرة كيسكا، لكن لدهشة هذه الوحدات لم يكن هناك أي ياباني: كان اليابانيون قد أجلوا من هناك كل قواتهم قبل أكثر من أسبوعين(١).

٥ - الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمرات موسكو، والقاهرة، وطهران

كان الحلفاء الغربيون يفضلون عدم القيام بعمليات هجومية واسعة، والعمل على مناقشة مسائل الإستراتيجية الحربية لعام ١٩٤٤، واستكشاف مواقف الأعضاء في الائتلاف المعادي للهتلرية حول قضايا بناء عالم ما بعد الحرب. لقد تم إجراء عدة مؤتمرات دولية في الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٣، مكرسة لهذه القضايا، وشاركت الولايات المتحدة الأمريكية مشاركة فعّالة فيها.

ففي موسكو جرى ما بين ١٩-٣٠ تشرين الأول مؤتمر لوزراء خارجية الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، إذ تم البحث فيه عن التحضير للقاء رؤساء حكومات هذه البلدان في طهران. ناقش المؤتمر عدداً كبيراً من المسائل. وقبل أي شيء تمَّ وضع مسألة اختصار مدة الحرب في جدول الأعمال باقتراح من الوفد السوفييتي. وجه الوفد الأمريكي جهوده الرئيسية إلى صياغة بيان الدول الكبرى الأربع حول إنشاء منظمة دولية من أجل الحفاظ على السلم. ناقش المشاركون في المؤتمر القضية الألمانية، والوضع في إيطاليا، ومصير النمسا، ومسألة تأسيس لجنة استشارية أوروبية وغيرها من المسائل.

---

(١) شيرمان ف. س. حاملات الطائرات الأمريكية في الحرب في المحيط الهادي. موسكو، ١٩٥٦، ص ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦؛ حملات الحرب في المحيط الهادي. موسكو، ١٩٥٦، ص ٢٣٥، ١٠١.

اقترح الوفد السوفييتي، في سياق استمراره بالنضال الثابت من أجل إنهاء الحرب بأسرع ما يمكن، تحديد وتثبيت موعد فتح الجبهة الثانية في أوروبا بدقة.

كان الوفدان الأمريكي والإنكليزي يتجنبان تاريخ تدخل القوات في شمال فرنسا. وأعلن ممثل بريطانيا العظمى الجنرال ايسمي، أن عبور المانش يمكن أن يتم في عام ١٩٤٤ فقط في حال توفر عدد من الشروط، وبالذات الظروف المناخية الملائمة، وتخفيض الطيران الألماني في شمال أوروبا الغربي، وإذا لم تكن الاحتياطات لدى الألمان في فرنسا تزيد على ١٢ كتيبة، وإذا لم يستطيعوا نقل أكثر من ١٥ كتيبة في الشهرين الأولين من العمليات الإنكليزية -الأمريكية[1].

كان مندوب الولايات المتحدة الأمريكية الجنرال دين يرفض كذلك تحديد تاريخ دقيق لفتح الجبهة الثانية في أوروبا. وجه تشرشل برقية إلى أيدين وإيسمي أثناء المؤتمر، يخطرهم فيها أن التدخل في أوروبا ربما سيُؤجل[2]. تم الوصول في محصلة المناقشات إلى صيغة عامة جداً حول أن الحكومات الثلاث اعترفت بأن «الهدف الأول هو الإسراع بنهاية الحرب...»[3].

عبر هيل لدى مناقشة مسألة مستقبل ألمانيا عن فكرة تقسيمها. أيده أيدن مقترحاً فصل بروسيا عن الأجزاء الأخرى من ألمانيا خصوصاً. أعلنت

---

(١) مؤتمر موسكو لوزراء خارجية الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، ١٩-٣٠ تشرين الأول عام ١٩٤٣: مجموعة من الوثائق. موسكو، ١٩٧٨، ص ١٠٣.

(٢) Wilmot Ch. The Struggle for Europe. L., 1953, p. 136

(٣) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية العظمى. وثائق ومواد: في ثلاثة أجزاء. موسكو، ١٩٤٦-١٩٤٧، الجزء ١، ص ٣٥٨.

الحكومة السوفييتية أن مسألة بناء ألمانيا بعد الحرب «هي موضع بحث»[1]. قرر المشاركون في المؤتمر إنشاء لجنة استشارية أوروبية من أجل دراسة المشاكل الأوروبية، بما في ذلك مشكلة مستقبل ألمانيا.

تم بحث مسألة اتحادات الدول الأوروبية بعد الحرب من قبل المشاركين في اللقاء: كانت حكومة بريطانيا العظمى تخطط لتشكيل فدراليتين: في الجزء الأوسط وفي جنوب- شرق أوروبا. رفض الوفد السوفييتي هذه الفكرة، ومشاريع توحيد وتجميع الدول الصغيرة في أوروبا بصورة حاسمة[2]. أُقر في المؤتمر «بيان عن إيطاليا» كان يقضي بالقضاء على الفاشية وآثارها المهلكة وتأثيراتها، وإقامة مؤسسات حكومية تقوم على مبادئ الديمقراطية. وأقر المؤتمر بناء على مبادرة من الاتحاد السوفييتي «بياناً حول النمسا»، وحول عودتها كبلد حرّ ومستقل. قدم وفدا الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا إلى المؤتمر وثيقة «الرسم التخطيطي الأساسي لإدارة فرنسا المحررة»[3]. كان الحلفاء الغربيون يريدون كما في إيطاليا ضمان إمكانية عمل إدارتهم العسكرية على أراضي فرنسا المحررة دون مراقبة. لم يوافق الوفد السوفييتي على ذلك، وأقرّ نقل «الرسم التخطيط الأساسي» إلى اللجنة الاستشارية الأوروبية للنظر فيها.

لم تلق محاولات الوفدين الأمريكي والإنكليزي للحصول من الحكومة السوفييتية على موافقة بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع حكومة المهجر

---

(١) تاريخ الدبلوماسية من ٥ أجزاء. موسكو، ١٩٥٩-١٩٧٩، الجزء ٤، ص ٤١٠.

(٢) مؤتمر موسكو لوزراء خارجية الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥١، ٣٥٤.

البولونية النجاح. أعلم الممثل السوفييتي، أن الاتحاد السوفييتي يقف إلى جانب بولونيا مستقلة وديمقراطية، وهو مستعد لمساعدتها بشرط وجود موقف ودي من قبل الحكومة البولونية تجاه الاتحاد السوفييتي.

وقّع وزراء خارجية الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، والسفير الصيني في موسكو فو بينتشان بياناً للدول الأربع حول مسألة الأمن الشامل، الذي صيغت فيه بعض المبادئ الأساسية لمنظمة الأمم المتحدة المقبلة.

على أعتاب مؤتمر طهران جرى لقاء بين روزفلت وتشرشل في القاهرة في تشرين الثاني عام ١٩٤٣. كان رئيس الوزراء البريطاني يريد تنسيق الإستراتيجية المقبلة وصياغة خط موحد قبل المفاوضات مع رئيس الحكومة السوفييتية. بيد أن روزفلت لم يرغب «أن يكون منجراً لتشكيل جبهة موحدة ضد ستالين»[1].

تمت مناقشة قضايا الشرق الأقصى بالدرجة الرئيسية في مؤتمر القاهرة، وعلى الأخص عملية «باكانير» لطرد اليابانيين من بورما. ولقد شارك في ذلك وفد الكومنتانغ برئاسة تشان كاي تشي، الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدعم نظامه، من خلال تقديمها القروض والأسلحة له. لم تكن هناك إمكانية للوصول إلى قرار موحد بين المشاركين في المفاوضات بسبب الخلافات الحادة. كان الإنكليز يعارضون بإلحاح الهجوم على بورما، وكان تشان كاي تشي يطالب بإعادة هونغ كونغ إلى الصين، وكان روزفلت يؤيده، لكن تشرشل كان يرفض بصورة قاطعة هذا الاقتراح.

(١)Turner A. The Unique Partnership: Britain and the United States. N.Y., 1971, p. 96.

كانت النتيجة الوحيدة للمؤتمر في القاهرة هي بيان جاء فيه، أن هدف الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا والصين يكمن في حرمان اليابان من جميع الجزر في المحيط الهادي، المستولى عليها والمحتلة من قبلها منذ بداية الحرب العالمية الثانية، وإعادة منشوريا وتايوان وجزر بيسكادور إلى الصين[1]. تمَّ نشر البيان في ١ كانون الأول عام ١٩٤٣.

جرى مؤتمر رؤساء حكومات ثلاث دول عظمى - الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى في طهران، واستمر من ٢٨ تشرين الثاني إلى ١ كانون الأول عام ١٩٤٣. كانت المسألة الأساسية فيه هي: اختصار فترة الحرب وفتح الجبهة الثانية في أوروبا. حاول تشرشل رفض الحلول الملموسة لقضية عبور المانش. لقد استمر بالدفاع عن «إستراتيجية البحر الأبيض المتوسط»، وتحدث كثيراً عن ضرورة احتلال روما في البداية، والتقدم على خط بيزا-ريميني في إيطاليا، وبعد ذلك إلى البلقان. كان هدف رئيس الوزراء البريطاني، كما لاحظ روزفلت في حديث له مع ابنه إيليوت، هو وضع إسفين في أوروبا الوسطى، وعدم السماح للجيش السوفييتي بالدخول إلى النمسا، ورومانيا، والمجر[2].

كان ي. ف. ستالين يلح على عملية «أوفر لورد»، مع نزول الحلفاء في جنوب فرنسا بنفس الوقت، وكان يقترح كذلك تحديد تاريخ دقيق لبدء عبور المانش. إن تشرشل كان يرفض بصورة عنيدة أن يأخذ على عاتقه التزامات ملموسة. لقد اقترح

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers. The Conferences at Cairo and Tehran, 1943. Wash., 1961, p. 448.

(٢) روزفلت اي. مصدر سابق، ص ١٨٦ - ١٨٧.

نقل مسألة الجبهة الثانية وزمن فتحها إلى الاختصاصيين العسكريين للنظر فيها ودراستها بصورة مستفيضة. لاحظ ستالين بعد أن رُفض اقتراحه: «إننا نستطيع أن نحل هذه المسألة معكم، لأننا نملك الصلاحية بصورة أكبر من اللجان العسكرية»[1]. وبالإضافة لذلك، لفت رئيس الوفد السوفييتي الانتباه إلى الوضع غير الطبيعي، وهو غياب القائد الأعلى لقوات التدخل في أوروبا، الأمر الذي يجعل من الإعداد الفعال لعملية «أوفر لورد» غير ممكناً. اكتسب الجدال طابعاً متوتراً إلى درجة ما، ولقد أحبط الموقف الصلب للوفد السوفييتي مساعي الوفد البريطاني.

لم تتفق الولايات المتحدة الأمريكية مع وجهة نظر تشرشل حول الاستمرار بتأجيل مواعيد التدخل في شمال فرنسا، معتبراً أن القرار المتخذ من قبل الحليفين في كيبيك حول بدء تحقيق هذه العملية في ١ أيار عام ١٩٤٤ يجب أن ينفذ. أحدثت نجاحات الجيش السوفييتي في صيف وخريف عام ١٩٤٣، وتقدمه نحو الغرب، وتحريره لكييف في ٦ تشرين الأول تأثيراً كبيراً على روزفلت. لقد تحدث روزفلت إلى ابنه إيليوت قبل فترة قصيرة من طهران، قائلاً: إنه إذا كانت الأمور ستسير مع الروس هكذا لاحقاً، فربما لن يكون هناك ضرورة لفتح جبهة الثانية في الربيع المقبل[2]. في ٩ تشرين الأول عام ١٩٤٣، أعلم رئيس البعثة العسكرية الأمريكية في موسكو الجنرال دين واشنطن، أن اهتمام الحكومة السوفييتية بعملية عبور المانش تضاءل. لقد «آمن الجيش بقدرته على التقدم إلى برلين دون مساعدة جيوش الحلفاء في الغرب[3]». إن مثل تلك الأخبار أجبرت الإستراتيجيين

---

(١) مؤتمر طهران لدول الحلفاء الثلاثة – الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى (٢٨ تشرين الثاني – ١ كانون الأول عام ١٩٤٣). موسكو، ١٩٧٨، ص ١٣٣.

(٢) روزفلت اي. مصدر سابق، ص ١٦١.

(٣) Harrison G. The Cross-Channel Attack. Wash., 1951, p. 1921-1922.

السياسيين والعسكريين في الولايات المتحدة الأمريكية بالتفكير بصورة جدية. إن التطور الجامح للأحداث العسكرية في أوروبا، ونمو سمعة الاتحاد السوفييتي، وتأثير نجاحاته على نضال شعوب الدول الأوروبية ضد الفاشية، إن كل ذلك كان بمنزلة دعوة لهم بعدم «التأخر» عن عبور المانش. لقد عرض الرئيس روزفلت في ١٩ تشرين الثاني على رؤساء أركانه وهو في طريقه إلى طهران آراءه حول الأعمال العسكرية للحلفاء الغربيين في أوروبا. أشار إلى ضرورة الاستيلاء مع إنكلترا على الجزء الأكبر في أوروبا. إن منطقة عمل الإنكليز، حسب رأيه، يجب أن تكون فرنسا وبلجيكا ولوكسمبورغ، وكذلك جنوب ألمانيا - بادن، وبافاريا وفيورتمبيرغ، أما قوات الولايات المتحدة الأمريكية فيجب أن تسيطر على شمال غرب ألمانيا، وأكد «أننا يجب أن نمكّن قواتنا في تلك المرافئ، مثل بريمين وهامبورغ، وكذلك في النروج والدانمرك. يجب علينا الوصول إلى برلين. عند ذلك فليأخذ السوفييت الأراضي في شرقها. لكن برلين يجب أن تستولي عليها الولايات المتحدة»[١]. كان الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية يطالب بصورة ملحة بفتح الجبهة الثانية[٢]. وبمناسبة الذكرى الثانية لحرب الشعب السوفييتي الوطنية العظمى جرت في العديد من مدن الولايات المتحدة الأمريكية اجتماعات جماهيرية ضمت الكثير من الناس: في شيكاغو، شارك فيها ١٢ ألف شخص، وفي هوليود - أكثر من ١٠ آلاف. ولقد أعلن حكام ١٦ ولاية ورؤساء بلديات ١٦ مدينة يوم ٢٢ حزيران يوماً لتكريم الاتحاد السوفييتي: وفي ١٢ تموز عام ١٩٤٣ دعا مؤتمر النقابات الداخلة في عضوية كونغرس النقابات الإنتاجية المنعقد في نيويورك، إلى فتح الجبهة الثانية بأسرع ما يمكن.

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers. The Conferences at Cairo and Tehran, 1943, p. 211

(٢) البرافدا، ١٩٤٣، ٢٦ حزيران، و٥ تموز.

وبمناسبة عشر سنوات على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي والذكرى الـ ٢٦ لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، تم تنظيم ٥٠ اجتماعاً جماهيرياً من قبل المجلس الوطني للصداقة الأمريكية-السوفييتية في مختلف مدن الولايات المتحدة الأمريكية. جرى اجتماع جماهيري في نيويورك، اتخذ فيه قرار حول تدعيم التعاون مع الاتحاد السوفييتي. وجرى مثل ذلك الاجتماع في ديترويت في ٢٠ تشرين الثاني، وتم تنظيم اجتماعات جماهيرية في بوسطن، وشيكاغو وغيرهما من مدن البلاد[1]. إن كل هذه الأسباب دفعت الرئيس روزفلت لأخذ موقف أكثر تحديداً في مسألة عبور المانش.

أعلن الجنرال ا. بروك في ٣٠ تشرين الثاني باسم الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، أن البدء في عملية «اوفر لورد» سيتم خلال شهر أيار عام ١٩٤٤، وستتم مساندتها بنزول الحلفاء في جنوب فرنسا. إن عدد قوات الحلفاء، كما وعد قادة الوفدين الأمريكي والإنكليزي سيبلغ مليون شخص. أكد ي. ف. ستالين، أن القوات السوفييتية ستقوم بهجوم واسع على الجبهة الشرقية بنفس الوقت، من أجل «عدم إعطاء الإمكانية للألمان بخلق أية صعوبات بالنسبة لـ «أوفر لورد»»[2]. سجل رؤساء الحكومات في قراراتهم العسكرية الموقعة في ١ كانون الأول عام ١٩٤٣، أن عملية «أوفر لورد» ستجري خلال شهر أيار عام ١٩٤٤ بالتوافق مع العملية في جنوب فرنسا[3].

اتفق قادة الائتلاف المعادي للهتلرية، وبعد الانتصار المثمر للجيش السوفييتي في ستالينغراد وقوس كورسك، وكذلك نزول القوات الأمريكية-

---

(١) نفس المصدر، ١٣، ١٤، ٢١ تشرين الثاني.

(٢) مؤتمر طهران لرؤساء دول الحلفاء الثلاثة، ص ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

الإنكليزية في جنوب إيطاليا، بناءً على إلحاح ي. ف. ستالين وعلى الرغم من نوايا ومناورات تشرشل، على فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية. وتم الوصول في المؤتمر إلى اتفاق حول مشاركة الاتحاد السوفييتي في الحرب ضد اليابان العسكريتارية. توجهت الحكومتان الحليفتان أكثر من مرة بطلب لدخول الاتحاد السوفييتي في الحرب في الشرق الأقصى. لقد أعلن ي. ف. ستالين، آخذاً بعين الاعتبار انتهاك اليابان للمعاهدة السوفييتية-اليابانية حول الحياد، ومساعدتها لألمانيا الهتلرية في الحرب، وسعياً لتصفية بؤرة الحرب في الشرق الأقصى بأسرع ما يمكن، أن الاتحاد السوفييتي سيعلن الحرب على اليابان بعد هزيمة ألمانيا. إن هذا البيان كان خطوة مهمة في تعزيز الائتلاف المعادي للهتلرية.

تقدم روزفلت بمبادرة أثناء مناقشة بناء ألمانيا بعد الحرب، عرض فيها في ١ كانون الأول خطة لتقسيم ألمانيا إلى خمس دول: بروسيا، وهانوفر، والمناطق الواقعة شمال-غرب ألمانيا، وساكسونيا ومنطقة لايبزغ، وبافاريا، وبادن وفيورتمبيرغ، وهيسين-دارمشتادت، وكاسيل والمناطق الواقعة في جنوب الريف، واقترح إقامة إشراف دولي على قناة كيل، وهامبورغ، ومنطقتي الرور والسار[1]. اقترح تشرشل فكرة تقسيم ألمانيا، معلناً، أنه يجب عزل بروسيا عن بقية ألمانيا، وفصل المقاطعات الجنوبية عنها - بافاريا، وبادن، وفيورتيمبيرغ، وبالاتينات عن السار ومن ضمنها حتى ساكسونيا. أما المقاطعات الجنوبية فاقترح ضمها إلى اتحاد الدوناي. وقف الوفد السوفييتي إلى جانب الإجراءات الحاسمة المتعلقة بمنع النزعة الانتقامية والعسكرية والمعاقبة الصارمة للمجرمين العسكريين الهتلريين. ورفض

(١) المصدر السابق، ص ١٦٥-١٦٦.

الوفد فكرة إنشاء دول الدوناي المتحدة غير القابلة للحياة. وبناء على اقتراح رئيس الحكومة السوفييتية فإن المسألة المتعلقة بمستقبل ألمانيا تم نقلها إلى اللجنة الأوروبية الموجودة في لندن.

تبادل رؤساء الدول الثلاث في طهران الآراء في مسألة بولونيا. كانت حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تخشيان من نمو تأثير القوى التحررية - الوطنية والديمقراطية في بولونيا، ونشوء حكومة تعبر عن مصالح الشعب. لقد كانتا تدعمان الحكومة المهجرية البولونية، التي كانت مستمرة في دسائسها ومكائدها المعادية للسوفييت، وتقوم بحملة كاذبة ضد الاتحاد السوفييتي. اقترح روزفلت وتشرشل على الحكومة السوفييتية تجديد العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة المهجرية البولونية. تم رفض ذلك من قبل رئيس الوفد السوفييتي. أعلن ستالين أن الاتحاد السوفييتي يقف إلى جانب إنشاء دولة بولونية مستقلة، وديمقراطية وقوية، وإلى جانب تأمين حدود عادلة تاريخياً بالنسبة لها، وإلى جانب إقامة ودعم علاقات صداقة جيدة مع بولونيا، التي يجب أن تصبح عاملاً مهماً للأمن والسلام المستقرين في أوروبا. وافق المؤتمر على اقتراح تشرشل، الذي نص على أن الدولة البولونية ستقع ما بين «خط كيرزون» ونهر الأودر[1]. كان لمؤتمر طهران وقراراته أهمية بالغة. انتصرت مبادئ تعاون الدول الحليفة العظمى، وتعزز الائتلاف المعادي للهتلرية، وعبر المشاركون فيه عن العزم بأن يعملوا سوية سواء أثناء الحرب، أو فيما بعد سنوات الحرب.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٧.

الفصل الخامس عشر

الأعمال العسكرية وقضايا السياسة الخارجية
في عام ١٩٤٤ وبداية عام ١٩٤٥

١ - هجوم القوات الإنكليزية - الأمريكية في فرنسا، الحرب في المحيط الهادي

تغير الوضع العسكري والسياسي الدولي بصورة جذرية لصالح الائتلاف المعادي للهتلرية في بداية عام ١٩٤٤. انتقلت المبادرة الإستراتيجية بصورة نهائية وكاملة إلى جانب الحلفاء. ولعبت معركة ستالينينغراد وكورسك اللتان رمزتا إلى انعطاف جذري في الحرب العالمية الثانية أهمية حاسمة في ذلك.

قام قادة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا بعد مؤتمر طهران بتطوير استعداداتهما الواسعة لعبور المانش. ففي كانون الثاني وصل إلى لندن القائد العام لقوات الحلفاء الجنرال د. آيزنهاور، وبدأت أركانه بالإعداد النشط لخطة التدخل. كانت الفرق الأمريكية تصل إلى الجزر البريطانية بوتائر متزايدة.

أعارت الأوساط الرسمية الاهتمام للأحداث القادمة. إذ رتَّب الوزير ا. أيدين إفطاراً في مكتبه في فورين حضره السفير السوفييتي ف.ت. غوسيف، ود. لويد جورج، وغيرهما من الشخصيات الاجتماعية، وتمت مناقشة مسألة الجبهة الثانية. وقد صرَّح لويد جورج، ولم يكن تصريحه من فراغ، أن القوات الإنكليزية

والأمريكية كان يمكن أن تتدخل في القارة الأوروبية في عام ١٩٤٢، لكنها لم تفعل ذلك: «كان الروس يناضلون وحدهم ضد الألمان في عام ١٩٤٢، وتابعوا النضال في عام ١٩٤٣، وهم الآن يضربون الألمان دون مساعدتنا». وفي غضون ذلك استطاعت إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الأولى وخلال فترة قصيرة (٦ أسابيع) أن تنقل إلى أوروبا جيشاً أمريكياً ضخماً. لم تكن كمية السفن آنذاك كبيرة كما هي الآن. وأشار لويد جورج إلى أن الحليفين في عام ١٩٤٢ «لم ينتهزا الظرف الملائم لتحقيق إنزال القوات في القارة»[١]. لم يتم القيام بذلك في عام ١٩٤٣ أيضاً، على الرغم من أن الظروف والإمكانات لفتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية لدى الحلفاء كانت ملائمة. وهذا ما قاله لويد جورج أيضاً للسفير السوفييتي في ٨ شباط عام ١٩٤٤[٢].

كتبت الصحافة الغربية الكثير عن مناعة (الحاجز الأطلسي) الذي أنشأه النازيون. لكن ذلك كان خرافة. تحدث الفلدمارشال الهتلري غ. روندشتيدت: «ما كان يغضبني دائماً هو ما كان يقال عن أسطورة الدفاع الذي لا يقهر. كان من السخافة تسميته بالحاجز. إن هتلر لم يزره قط، ولم ير ما هو في الواقع»[٣]. إن القيمة الإستراتيجية لقلاع ديونكرك، وكالي، وبلوني، وغافرا، وشيربور، وبريست، حسب اعتراف الفلدمارشال، التي جرى التحدث عنها كثيراً كذلك، كان فيها الكثير من المبالغة[٤].

(١) العلاقات السوفييتية-الإنكليزية أثناء الحرب الوطنية العظمى، عام ١٩٤١-١٩٤٥. وثائق ومواد: في جزأين. موسكو، ١٩٨٣، الجزء ١ ، ص ١٢، ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥.

(٣) Liddel Hart B. The Other Side of the Hill. L., 1948, p. 393.

(٤) Shulman M. Defeat in the West N.Y., 1948. P. 91.

كانت ترابط في فرنسا، وبلجيكا، وهولندا ٨٥ فرقة ألمانية، بما في ذلك ٤٢ فرقة برية، و٩ فرق دبابات، و٤ فرق جوية حتى ٦ حزيران عام ١٩٤٤، وكانت القدرة القتالية للعديد منها غير عالية. أما الحلفاء فكانوا يحشدون على الجزر البريطانية قوات تجريدية ضخمة: ٣٩ فرقة ، و١٢ لواءً منفرداً، وخصصت ١٠٨٥٩ طائرة للعملية، و٢٣١٦ طائرة نقل، و٢٥٩١ طائرة شراعية، و١٢١٣ سفينة قتالية، و٤١٢٦ سفينة ووسائل إنزال، و٧٣٦ سفينة احتياطية، و ٨٦٤ سفينة نقل[1].

كان الحلفاء يمتلكون تفوقاً أكبر في ملاك القوات والدبابات يصل إلى ٣ مرات، وفي الطائرات أكثر بـ ٦٠ مرة، وكانوا يسيطرون سيطرة كاملة على البحر. ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أنه كانت توجد على الجبهة السوفييتية- الألمانية في تلك الأثناء ثلاثة أرباع جميع فرق القوات الألمانية والحلف الفاشستي. وكان ذلك يخلق ظروفاً إستراتيجيةً ملائمة للحلفاء الغربيين. زد على ذلك، فإن نجاح إنزال قوات الحلفاء في النورماندي كان مضموناً إلى درجة مهمة بسبب الأعمال الهجومية للقوات المسلحة السوفييتية.

وفي فجر ٦ حزيران اقترب من الشواطئ الغربية لشمال فرنسا أسطول بحري جبار يتألف من ٥ آلاف سفينة، وبدأ بإنزال قوات الحملة. وبالإضافة لذلك صبت آلاف القاذفات بقنابلها على مواقع دفاعات الشاطئ، ووجهت الطائرات والمدفعية الضربات على بعض عقد المقاومة والأركان في منطقة كالي وبولوني. وألقت مئات الطائرات رجال الإنزال العسكريين- الجويين في

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزء، موسكو، عام ١٩٧٣-١٩٨٢، الجزء ٩، ص ٢٣٦ و٢٣٨.

الليل. وبعد استعدادات مدفعية كبيرة، وحشد مكثف لقاذفات القنابل، نزلت القوات البحرية إلى الشاطئ، دون أن تصادف مقاومة جدية.

استطاعت قيادة الحلفاء أن تؤمن تمركز خفي لـ «قواتها في منطقة الإنزال، وتحقيق المفاجأة. فحسب اعتراف الجنرال الهتلري ف. فارليمونت لم تعلم القيادة العليا للفيرماخت عن تقدم الأعداد الكبيرة من سفن الحلفاء عبر المانش[1]. ولم تستطع أن تحدد بعد ذلك مباشرة اتجاه الضربة الرئيسية. استلم الفلدمارشال روندشتيدت من أركان القيادة العليا في لحظة إنزال الحلفاء البرقية التالية: «ما زال من الصعب القول، أين ستنزل القوى الرئيسية، ولم يتخذ هتلر بعد أية قرارات»[2].

في اليوم الأول من العملية على ساحل النورماندي بدأت بالعمل خمس كتائب مشاة أساسية وثلاث كتائب إنزال جوية للحلفاء، وفي الأيام الثلاثة التالية نقلت القيادة الأمريكية- الإنكليزية بصورة مكثفة قوات حملتها إلى الشاطئ الغربي. لقد تم إنزال ما مجموعه ١٦ كتيبة، بلغ تعداد أفرادها ٣٢٧ ألف شخص. وفي ٩ حزيران انتقل الحلفاء إلى الهجوم. وخلال ثلاثة أيام تمكنوا من احتلال رقعة من الأرض على امتداد ٨٠ كم في الجبهة وعمق يصل إلى ١٨ كم[3].

كانت القيادة النازية واثقة بأن الضربة الرئيسية للقوات الحليفة ستأتي عبر با-دي-كالي، وتركت قواها الأساسية في هذه المنطقة. ولكن الوقت بالنسبة لتنظيم الدفاع والمقاومة فاتت فرصته. وقد استثمرت قيادة الحلفاء ذلك.

---

(١) Warlimont W. Im Hauptguartier der deutschen Wehrmacht – 1939-1945. Frankfurt am Main, 1962, S 452.

(٢) فيستفال ز. وغيره، قرارات محتمة. موسكو، ١٩٥٨، ص ٢٣١.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٩ ، ص ٢٤٧.

كان الوطنيون الفرنسيون قد أخرجوا من الخدمة حتى بداية العملية ٢٦ خطاً حديدياً، معيقين بذلك القيادة الألمانية الفرنسية في نقل الاحتياطات لإنشاء رأس جسر من رجال الإنزال. لم تنجح كذلك محاولات الهتلريين لشق قوات التجمع الأنغلو-أمريكي بين نهري أورن وفير. لم تُبرَر آمال القيادة الهتلرية أيضاً باستخدام أسلحة جديدة ضد إنكلترا - الطائرات قاذفات القنابل من نوع فاو١ - التي بدأت بقصف لندن من ١٣ حزيران. لقد سيطرت قوات الحملة حتى ١ تموز على شبه جزيرة كوتانتين، وأصبح مرفأ شيبور المهم في يدها. واتسع رأس جسر الحلفاء في النورماندي بصورة كبيرة، وتحسنت بصورة ملموسة ظروف إمداد القوات الحليفة في فرنسا، والتي زاد تعدادها حتى ذلك الوقت على ٨٧٥ ألف شخص. في ١ تموز قررت القيادة الهتلرية ما يلي: إن التغلب على تجمع الخصم غير ممكن، وإجراء عملية هجومية أمر مستبعد.

في اليوم الرابع لإنزال قوات الحلفاء على الساحل الفرنسي للمانش، تطور هجوم القوات السوفييتية على الجبهة الشرقية، وانتقلت إلى الهجوم في ١٠ حزيران قوات الجبهتين اللينينغرادية والكاريلية، وفي ٢٣ حزيران بدأت عملية (باغراتيون) التي اشترك فيها من الجانبين ٤ ملايين شخص، و٦٠ ألف مدفع ومدفع رشاش، و٧,٥ ألف دبابة، و٧ آلاف طائرة. ولقد حطمت القوات المسلحة السوفييتية من حزيران إلى آب المجموعة الألمانية الفاشستية لجيوش (المركز) وتقدمت إلى حدود الرايخ الفاشستي بمقدار ٥٠٠-٦٠٠كم.

كتب آيزنهاور في ٧ تموز عام ١٩٤٤ إلى سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي أ. هاريمان: «إنني ألاحظ تقدم الجيش الأحمر

على خارطتين، إنني بالفعل أعاني من هلع هائل من ذلك الاندفاع الذي يحطم فيه الروس قوة العدو[1]». وفي ٢ آب عام ١٩٤٤ أعلن تشرشل وهو يتحدث في مجلس العموم، أن الاتحاد السوفييتي «لعب الدور الرئيسي وهو الآن يُخرج أمعاء الجيش لألماني». وأضاف، لا توجد في العالم مثل تلك القوة «التي استطاعت أن تكسر وتقوض الجيش الألماني وتكبده تلك الخسائر الهائلة، كما فعلت الجيوش السوفييتية؟[2]».

اختتمت عملية النورماندي بنجاح في ٢٥ تموز. إذ كان يوجد على الساحل الفرنسي ثلاثة جيوش، ضمت ٣٢ فرقة. وبلغ تعداد الطائرات الجوية الحربية ١١ ألف طائرة. قامت قيادة التحالف التي تملك تفوقاً ساحقاً بالقوى بالهجوم في نهاية تموز باتجاه منطقة سيمنون. وبعد أسبوع استولت على مدينة افرانش، واضطرت القطعات الألمانية للانسحاب بعد خسائر جديَّة.

نشأ وضع حرج بالنسبة للقوات الألمانية- الفاشية بنفس الوقت في بيلوروسيا. استمرت الجبهة السوفييتية الألمانية بالبقاء جبهة رئيسية وحاسمة بعد فتح الجبهة الثانية أيضاً. أعلن هتلر في ٣١ تموز عام ١٩٤٤ أن ما يقلقه أكثر من أي شيء آخر هو «قضية استقرار الجبهة الشرقية[3]». ولقد اعترف كذلك بأنه من الصعب المراهنة على المحافظة على الأراضي الفرنسية. وفي ٢٥ آب وصلت قوات الحلفاء إلى نهري السين واللوار، بعد أن استولت على شمال - غرب فرنسا. وفي ١٥ آب نزلت القوات الإنكليزية -الأمريكية في جنوب

---

(١) Feis H. Churchill, Roosevelt, Stalin. The War they waged and the Peace they sought. Princeton, 1970, p. 311.

(٢) Parlimentary Debates, House of Common, vol. 402, col. 1474.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٩، ص ٢٥٣.

فرنسا، إذ كان لدى الهتلريين ١١ فرقة، كانت مقاومتها ضعيفة. تمكنت قيادة الحلفاء في اليوم الأول إنزال ٨٦ ألف جندي وضابط إلى الشاطئ، و١٢ ألف عربة و٤٦ ألف طن من الحمولات[1]. قدم المشاركون في المقاومة الفرنسية الذين حرروا ٢٨ إدارة جنوبية مساعدة مهمة لقوات الحلفاء. وأعلن سكان مرسيليا وطولون انتفاضتهم. وفي ٢٨ آب دخل الحلفاء هاتين المدينتين. وفي ٢ أيلول حرر الوطنيون ليون. وتحت ضربات المشاركين في حركة المقاومة انسحب الجيش الألماني الفاشستي الـ ١٩ إلى الشمال بسرعة.

اكتسب نضال الوطنيين الفرنسيين مدى كبيراً، ففي القسم المركزي من البلاد تمَّ تحرير ٣٠ إدارة أيضاً. واستجابت الجماهير الشعبية بحرارة لنداء الحزب الشيوعي الفرنسي للتوحد، والتسلح، والنضال. «كانت تلك انتفاضة شعبية كاملة بالمعنى الحقيقي للكلمة»، هكذا كتب فيما بعد م. توريز[2].

هب سكان باريس للنضال المسلح تلبيةً لنداء الشيوعيين. ودوّى النداء الكفاحي للجنة التحرير الباريسية في ١٩ آب: «إلى السلاح أيها المواطنون!». انتفضت باريس. وكانت المتاريس تتزايد على الشوارع والساحات، وبدأت المعركة. استلمت الحامية التي كان تعدادها نحو ٢٠ ألف جندي وضابط أمراً بالاحتفاظ بالمدينة مهما كان الثمن. وكان المنتفضون يقاتلون ببطولة. لم تستعجل القطعات الطليعية للجيش الأمريكي الثالث، بعد أن اقتربت في ١٩ آب من باريس وأصبحت على بعد ٢٠ كم عنها، في مساعدة الوطنيين. أعلن الجنرال بريدلي: «إنني أستطيع أن أعترف الآن بالذات أننا لم نندفع مطلقاً

---

(١) ماكدونالد تش. تجربة صعبة. موسكو، ١٩٧٩، ص ٢٨٤.

(٢) توريز م. ابن الشعب. موسكو، ١٩٦٠، ص ١٧٥-١٧٦.

لتحرير باريس...»[1]. وقد نصح الجنرال د. آيزنهاور الفرنسيين أن يوقفوا الانتفاضة، التي يمكن أن تؤدي إلى «ضحايا عديمة الجدوى»[2].

فتش ممثلو الأحزاب البرجوازيون في البلاد عن طريق إلى عقد هدنة بين الباريسيين المنتفضين وقوات الاحتلال. وقف الحزب الشيوعي بصورة حازمة ضد ذلك، ملحاً على استمرار الانتفاضة ونضال الوطنيين حتى تحرير باريس بصورة كاملة. في ٢٣-٢٤ تمَّ تحطيم الحامية المعادية، ودخلت دبابات الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية بقيادة الجنرال ف. ليكليرك إلى باريس. وفي ٢٥ آب أصبحت باريس محررة، ووصل رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية شارل ديغول إلى العاصمة. وانطلاقاً من خشيته من النمو اللاحق للحركة الديمقراطية العامة، أسرع بعد ثلاثة أيام لتوقيع مرسوم حول حل القوى الفرنسية الداخلية. لقد قدمت القوى الفرنسية الداخلية بالذات في غضون ذلك مساعدة كبيرة لقوات الحلفاء المهاجمة. وكما اعترف الجنرال آيزنهاور، فإنها كانت تعادل ١٥ فرقة من إذ فاعلية أعمالها في ذلك الزمن[3].

إن هجوم القوات السوفييتية المندفع والمتصاعد بسرعة في بيلوروسيا، وخسارة المحتلين لقسم مهم من الأراضي الفرنسية، كل ذلك أجبر القيادة العليا للفيرماخت في نهاية آب إلى سحب القوات من فرنسا إلى حدود ألمانيا، واتخاذ موقف الدفاع في «خط سيغفريد». وفي ٢ أيلول عبرت قوات

---

(١) بريدلي او. مفكرات جندي. موسكو، ١٩٥٧، ص ٤١٦.

(٢) Eisenhower D. Grusade in Europe. N.Y., 1977, p. 248.

(٣) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٩، ص ٢٦٢.

الحلفاء الحدود الغربية لبلجيكا، واستولت في اليومين اللاحقين على بروكسل وانتفيربين. وفي ٧ أيلول دخلت القوات الأمريكية منطقة ماس، وبعد ثلاثة أيام دخلت مدينة لوكسمبورغ.

انسحبت القوات الهتلرية دون أن تبدي مقاومة قوية. وتراجعت المعنويات الروحية لها بصورة واضحة. إذ إنها تكبدت خسائر كبيرة، ووقع جزء منها في الأسر. بقي لدى القيادة الألمانية في هذا الاتجاه ١٠٠ دبابة فقط و٥٧ طائرة. في حين كان لدى الحلفاء ٢ ألف دبابة و١٤ ألف طائرة. وبذلك فإنهم حققوا سيطرة كاملة في الجو وتفوق ساحق في القوى الحية والتكنيك العسكري. كانت قيادة الحلفاء تسعى للتغلب على «خط سيغفريد» واحتلال المعابر عبر الرين، وتوجيه ضربة للرور والسار، وتحطيم القوى الأساسية للعدو، واقتحام الأراضي الألمانية، والاستيلاء بأسرع ما يمكن على الجزء الأوسط من ألمانيا. كتب آيزنهاور في ١٥ أيلول إلى مونتغمري : الهدف الأساس هو برلين، ومن الضروري حشد كل القوى والموارد «لتحقيق ضربة سريعة باتجاه برلين»[١]. بيد أن هذه الخطط قد تم خرقها. أبدت الفرقة الألمانية الفاشستية على الحدود البلجيكية-الهولندية مقاومة منظمة. وأخذ هجوم الحلفاء بالتباطؤ، وانتقل الجيش الإنكليزي إلى الدفاع في منطقة أرنيم.

اقتحم الجيش الأمريكي الأول في ٢١ تشرين الأول في القطاع الأوسط من الجبهة أراضي ألمانيا، واستولى على آخين. وفي منتصف تشرين الثاني استطاعت الفرق الأمريكية والفرنسية في الجناح الجنوبي من الجبهة تحرير

---

(١) Hobbs J. Dear General. Eisenhower's Wartime letters to Marshall. Baltimore; London, 1971, p. 179.

الألزاس ولتارينغيا، والاستيلاء على مدينة ستراسبورغ والوصول إلى الحدود الألمانية، إذ تصاعدت المعارك المتوترة. وفي بداية كانون الأول أوقفت قيادة الحلفاء الهجوم، بعد أن لقيت مقاومة متنامية من جانب تشكيلات القوات الألمانية، من أجل الإعداد لخرق «خط سيغفريد» بصورة محكمة.

تعرضت المواقع الأمريكية في ١٦ كانون الأول لقصف غزير بالمدفعية، وطائرات (فاو-١)، وبدت قيادة الحلفاء في حالة من الارتباك. وأحاط الذعر بالجنود. كان الجيش السادس الضارب للجنرال ديتريخ يعمل بجرأة وبصورة موجهة. لقد أُعطيت الأوامر له بخرق دفاع الأمريكان والتقدم بصورة سريعة إلى منطقة ماس. وهكذا اندفعت الدبابات الألمانية إلى الغرب، بعد أن خرقت خط الدفاع. جوبه الهتلريون عند مدينة باستون بمقاومة من جانب الأمريكان. بيد أن قيادة الحلفاء كانت تخشى من أن القوات الألمانية يمكن أن تطور هجوماً باتجاه المانش وتقطع جبهة الحلفاء[1].

أجرى آيزنهاور في فرادون اجتماعاً مع قادة الجيوش في كانون الأول، اتخذ فيه قراراً بالهجوم المعاكس. ومن أجل تحقيق هذا الهدف تمَّ زج الجيشين الأول والتاسع على وجه السرعة. احتدم القتال العنيد، وفي ٧ كانون الثاني أبلغ آيزنهاور واشنطن عن مقاومة العدو العنيدة، وطلب إرسال قوات إضافية إلى أوروبا الغربية. وأشار آيزنهاور إلى أن التوتر يمكن إنهاؤه إذا قامت القوات السوفييتية بهجوم كبير[2].

وصل تشرشل إلى فرساي في ٣ كانون الثاني عام ١٩٤٥، للاطلاع على الوضع، وجرى تبادل للآراء مع آيزنهاور وديغول. وفي ٦ كانون الثاني وجه

---

(١) انظر بالتفصيل: تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٥، ص ٢٧١-٢٧٦.

(٢) السابق نفسه.

رئيس الوزراء البريطاني رسالة شخصية إلى ي. ف. ستالين، كتب فيها ما يلي: تجري معارك قاسية في الغرب، والوضع مقلق. هل يمكن الاعتماد على هجوم روسي كبير على جبهة فيسلا؟ جاء الردّ فوراً: إن القيادة السوفييتية قررت البدء «بأعمال هجومية واسعة ضد الألمان على امتداد الجبهة الوسطى بأسرها في النصف الثاني من كانون الثاني كحدٍّ أقصى»[1].

انتقل الجيش السوفييتي إلى الهجوم في ١٢ كانون الثاني. إذ قامت قوات الجبهة البيلوروسية الثالثة بتوجيه ضربة للتجمع البروسي الشرقي.. وطوَّر محاربو الجبهة البيلوروسية الثانية في اليوم الثاني كذلك هجوماً شديداً من رؤوس الجسور إلى منطقة ناريف. أما تشكيلات الجبهة البيلوروسية الأولى فإنها اندفعت باتجاه بوزنان، بعد أن حررت وارسو. أبدت قيادة مجموعة جيوش (الوسط) مقاومة ضارية، ولكن تمَّ كسرها. بدأت القوات السوفييتية بعد أن خرقت الدفاع بتحطيم القوات الألمانية الفاشستية.

دفع الاقتحام المتصاعد والخرق الجامح للقوات السوفييتية في جنوب غرب كينغسبيرغ القيادة الهتلرية للبدء بنقل القوات بصورة عاجلة من الغرب إلى الشرق وإعادة النظر بخطط العمليات في الجبهة الغربية. ونتيجةً لذلك أصبح وضع القوات الأمريكية-الإنكليزية أسهل. ففي ١٤ كانون أبرق آيزنهاور إلى رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفييتية: إن نبأ هجوم الجيش السوفييتي استقبلتْه جيوش الحلفاء في الغرب بحماس. وبعد يومين أعلن تشرشل لأعضاء الحكومة البريطانية، أن هجوماً رائعاً للجيش

---

(١) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى، ١٩٤١-١٩٤٥: في جزأين. موسكو، ١٩٧٦، الجزء ١، ص ٣٤٨-٣٤٩.

السوفييتي تطور على الجبهة الشرقية، وشملها كاملاً من البلطيق حتى بودابست. لقد جعل هجوم الجيش السوفييتي ألمانيا الفاشستية أقرب إلى الكارثة. أجرى هتلر اجتماعاً في ١٦ كانون الثاني تمت فيه مناقشة وضع البلاد. أعلن الجنرال هودريان، أن تمَّت خسارة الحرب من وجهة النظر العسكرية، وأيد إيقاف الأعمال القتالية بصورة عاجلة في الغرب، وحشد كل القوى ضد التشكيلات السوفييتية المهاجمة. وبعد عدة أيام اقترح وزير الاقتصاد شبير على هتلر كذلك تخفيض أعداد القوات في الغرب بصورة حادة ونقلها إلى الشرق[1]. وفي ٢٧ كانون الثاني قام شبير بتسليمه مذكرة وقع عليها ٣٠٠ صناعي ومصرفي، وتمَّ فيها الإشارة إلى أن «الحرب في مجال الاقتصاد والتسلح قد انتهت...»[2]. كما وجه وزير المالية شفيرين فون كروزيغ رسالة كذلك إلى هتلر، مؤكداً فيها الحالة الميؤوس منها، واقترح بمنزلة مخرج للوضع إقامة صلات مع البلدان الغربية.

أملى هتلر في ١٧ كانون الثاني على روبينتروب المواقف الأساسية «للاقتراحات السلمية» الموجهة للغرب. وبعد يوم، إثر بعض التدقيقات، تمَّ تقديمها كـ «مذكرة روبينتروب» ووافق عليها الفوهرر. كانت تتكرر هنا خرافة «الخطر السوفييتي» بالنسبة للحضارة الأوروبية. أُرسلت «مذكرة روبينتروب» إلى السفارات الألمانية في بيرن، وستوكهولم، ودوبلين، وليشبونة ومدريد من أجل إيصالها إلى الدبلوماسيين البريطانيين. وبعد أسبوع تمَّ توجيه الدبلوماسيين الأكثر خبرة إلى عواصم هذه الدول من أجل

---

(١) انظر: روزانوف غ. سكرة الموت للدبلوماسية النازية - الحياة الدولية، ١٩٨١، العدد ٣، ص ٩٩.

(٢) المصدر نفسه.

إقامة صلات مع الممثلين الرسميين لبريطانيا العظمى. لكن بالون الاختبار «السلمي» للدبلوماسية الهتلرية قد فشل.

اقترح قائد جيوش الحلفاء الجنرال آيزنهاور في ٢٠ كانون الثاني خطة لهزيمة التجمع الهتلري والدخول إلى مناطق ألمانيا الوسطى. كان يكمن هدف العملية في سحق جيوش العدو ما بين نهري الماس والرين، وتمت مناقشة هذه الخطة في ٣٠ كانون الثاني من قبل اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان. وقد أثارت اعتراضاً جدياً من جانب الإنكليز، الذين اقترحوا القيام بهجوم على القطاع الشمالي للجبهة الغربية - مباشرة إلى برلين. استمر الجدال ثلاثة أيام، ومع ذلك فقد تم إقرار الخطة الأمريكية. وهكذا، قامت القوات المسلحة للحلفاء حتى عام ١٩٤٥ بطرد القوات الألمانية-الفاشستية من أراضي فرنسا، وبلجيكا، ولوكسمبورغ وقسم من الأراضي المنخفضة، ودخلت حدود ألمانيا.

خاض أسطول الولايات المتحدة الأمريكية عمليات هجومية في مسرح المحيط الهادئ. وفي بداية عام ١٩٤٤ وضعت القيادة الأمريكية مهمة الاستيلاء على الجزء الجنوبي من جزر ماريان. جرى الاستعداد لهذه العملية من آذار حتى حزيران، وتمَّ القيام بغارات على جزر تروك وكارولينا الغربية. وأغارت حاملات الطائرات من ٣٠ آذار إلى ١ نيسان بنجاح على القاعدة اليابانية الضخمة في بالاو، مكبدة إياها أضراراً جدية.

كانت أركان القيادة العامة لأسطول الأدميرال كوخ تتمركز هناك. وقد أعلن عن العزيمة بالاحتفاظ بخط جزر مايران-بالاو بأي ثمن. أمر الجنرال بنقل عدد كبير من المطاردات بصورة عاجلة من جزر ماريان لتحصين القاعدة. وقام بالانتقال إلى دافاس من أجل قيادة العمليات، لكنه قتل في الطريق.

تم إقرار خطة عملاتية لاحتلال جزر ماريان في نهاية نيسان، وفي ١٥ حزيران نزلت القطعات الأمريكية على جزيرة سايبان، واستطاع الأمريكان حتى ٩ تموز كسر المقاومة المنظمة للحامية اليابانية، التي كان يبلغ عددها ٣ آلاف شخص، مدعومين بالمدفعية والدبابات، واحتلوا الجزيرة، بعد أن خسروا في المعارك ٣٥٠٠ شخص[١].

مارست خسارة جزيرة سايبان تأثيراً على الوضع العسكري لليابان. إذ أعلن رئيس الوزراء تودزيو: «إن اليابان وجدت نفسها في وجه أزمة وطنية كبيرة لا مثيل لها»[٢]. سقطت وزارة تودزيو في ١٨ تموز. لم يكن السبب الرئيسي في استقالتها سقوط سايبان، رغم أنه كان يملك أهمية محددة، وإنما تدهور الوضع العسكري والسياسي العام في اليابان، وأزمة سياستها، وازدياد استياء الشعب في البلد، وعدم وجود آفاق للاستمرار في الحرب في أوروبا من قبل ألمانيا.

أغار أسطول حاملات الطائرات اليابانية في منطقة الفيليبين في ١٩ حزيران على التشكيلات العملياتية الـ ٥٨ للولايات المتحدة الأمريكية، المتجهة نحو حزيرة غوام. وقد خسر اليابانيون في المعارك الجوية ٤٠٢ طيارة، وتم إغراق حاملتي طائرات من قبل الغواصات. وفي اليوم التالي تعرض الأسطول الياباني لهجمات متواصلة، غرقت أثناءها حاملة طائرات أخرى، وناقلة بترول، وأُلحقت الأضرار بأربع حاملات طائرات خفيفة، وسفينة خطية، وطراد ثقيل وناقلة نفط. كانت هذه الضربة مفاجئة تماماً بالنسبة لليابانيين. جرى في منتصف عام ١٩٤٤ تقييم تناسب القوى البحرية في المحيط الهادي الذي كان

---

(١) نيميتس تش.، وبوتير أي. الحرب في البحر، ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٦٥، ص ٣٩٢.

(٢) حملات الحرب في المحيط الهادئ. موسكو، ١٩٥٦، ص ٢٧٤.

لصالح أمريكا بنسبة ٣ إلى ١. أما في الجو فكانت السيادة المطلقة تعود للأمريكان. بدأت المعركة من أجل غوام في ٢١ تموز. شارك في العملية ٥٦ ألف شخص. سبق إنزال القوات استعدادات مدفعية كبيرة وقصف جوي. وتمَّ القضاء على المدفعية اليابانية، وتوقف العدو عن المقاومة المنظمة في ١٠ آب، متكبداً خسائر بلغت ١١ ألف قتيل، أما الأمريكان فخسروا في الوقت نفسه نحو ١٤٠٠ قتيل ومفقود. إن عملية الاستيلاء على جزيرة تينيان استمرت ٩ أيام - من ٢٤ تموز حتى ١ آب -. وكانت مقاومة اليابانيين ضئيلة. خسر الأمريكان فيها ٣٠٠ شخص، أما اليابانيون فخسروا ٥٥٠٠ شخص[١]. هاجمت حاملات الطائرات الأمريكية بآن واحد، واحتلت في أيلول أيضاً جزر بالاو، ووااليتي، وسورول، وأصبحت هذه الجزر في أيدي الأمريكان. إن احتلال جزر مارشال وماريان حسن مواقع الولايات المتحدة الأمريكية في الجزء الأوسط من المحيط الهادي.

خلقت عمليات القوات الأمريكية في المحيط الهادي في النصف الأول من عام ١٩٤٤ خطراً بالنسبة لجزر الفيلبين. وفي طوكيو تمَّ إعداد مخطط للدفاع عنها. إلا أن الأحداث تطورت بصورة غير ملائمة لليابان. بدأت تشكيلات حاملات الطائرات الأمريكية بتوجيه ضربات متلاحقة لمواقع العدو المفتاحية : لجزيرتي أوكيناوا، ولوسون، وبعد ذلك لجزيرة تايوان أيضاً. أما في المعارك الجوية فقد خسر اليابانيون ٦٥٠ طائرة. نزل الأمريكان في ٢٠ تشرين الأول في جزيرة ليت، فنقل اليابانيون القوى الرئيسية لأسطولهم إلى هناك على وجه السرعة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧١.

امتدت عمليات القتال على مسافة ٦٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب، وشاركت قوات ضخمة من الجانبين في هذا القتال. كان الأسطول الياباني يتألف من ٤ حاملات طائرات، و٧ سفن خطية، و١٩ طراداً، و٣٣ عمارة مدمرة، و٢ سفينة خطية - حاملة للطائرات، وكانت على حاملات الطائرات تلك ١١٦ طائرة، وفي منطقة لوسون ما يقارب ٦٠٠ طائرة سواحل مرابطة هناك.

أما بالنسبة للقوات الأمريكية فقد كان يدخل في عدادها ١٢ حاملة طائرات عالية السرعة، و١٨ حاملة طائرات حراسة، و١٢ سفينة خطية، و٢٠ طراداً، و١٠٤ عمارة مدمرة وحراسة، وبلغ عدد طائرات حاملات الطائرة المرابطة ١٢٨٠ طائرة[1].

أمر الأدميرال نيميتس الأدميرال هيلسي بتغطية ودعم القوات الأمريكية في الجزء الجنوبي-الغربي من المحيط الهادي، التي كانت تستعد لاقتحام جزر الفيليبين، وتأمين المواصلات الجوية والبحرية في الجزء الأوسط من المحيط الهادي، وتوجيه ضربة حاسمة حسب الإمكانية للقوى الرئيسية للأسطول الياباني بهدف القضاء عليه. اكتشفت غواصات الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٣ تشرين الأول القوى الرئيسية للأسطول الياباني (٥ سفن خطية، و١٢ طراداً، و١٥ عمارة ناسفة)، الذي كان يتقدم من سنغافورا. كان يقود الأسطول نائب الأدميرال كوريتا، أما الفصل الثاني فكانت تدخل في تركيبه بارجتان، وطراد ثقيل، و٤ مدمرات بقيادة نائب الأدميرال نيسيمورا، وكان يتقدم عبر بحر وخليج سوريغاو، وكانت ٧ سفن بقيادة نائب الأدميرال سيمي تتحرك في الجنوب الشرقي عبر بحر سولو.

---

(١) شيرمان ف.ن. حاملات الطائرات الأمريكية في الحرب في المحيط الهادي. موسكو، ١٩٥٦، ص ٢٢٠.

تابعت المخابرات الأمريكية والقيادة بانتباه تحركات التشكيلات اليابانية، التي لم تكن أهدافها مكتشفة بعد. هاجمت غواصات الولايات المتحدة الأمريكية في البداية أسطول نائب الأدميرال كوريتا، وأعطبت طرادين ثقيلين. بيد أن الأسطول استمر بالسير حسب الخطة المقررة، هو يخوض القتال، وكانت قوى نائب الأدميرال نيسيمورا ونائب الأدميرال سيمي تتحرك في الوقت نفسه دون عقبات في الاتجاه الشمالي من بحر سولو إلى خليج سوريغاو. لم تكن بين هذه القوى روابط، ولا تنسيق أعمال. دخل أسطول نيسيمورا الخليج في الساعة ٢٢ وتابع الحركة.

شغل الأمريكيون، الذين استعدوا للهجوم، مواقع ملائمة وكانوا بانتظاره. وتحت ستار الظلام كانت التشكيلات اليابانية تتقدم، وفجأة وفي الساعة الثالثة من الليل هاجم الأمريكيون دون أن يشتبه الأسطول الياباني بشيء. اندلع قتال ضار. كان ميزان القوى إلى جانب الأمريكان، ولقد سقطت عدة طوربيدات على سفينة القيادة التي يوجد فيها نيسيمورا، ودوى انفجار ضخم، وغرقت البارجة. استمرت العمارة اليابانية بالتقدم إلى الشمال، وتعرضت لهجمات جديدة. وفي الهجوم الثالث تعرضت العمارة حسب كلمات نائب الأدميرال الأمريكي ف.س. شيرمان إلى «الإبادة»[1]. تراجع أسطول نيسيمورا المحطم على عجلة. وعندما دخل أسطول نائب الأدميرال سيمي إلى الخليج احترقت أيضاً عدة سفن يابانية. وعندما رأى أعمدة الدخان والسفن المحترقة، أعطى أمراً، دون أن يخوض أي قتال، بالانسحاب عائداً إلى الجنوب، كيلا يقع في المصيدة كما حدث مع عمارة

(١) المصدر السابق، ص ٢٣١.

نيسيمورا. بيد أن الأحداث استمرت بالتطور بصورة سريعة ومفاجئة. فعندما كان الجميع تحت تأثير القتال المنتهي للتو، استلم اللواء البحري الأمريكي س. أ. ف. سبريغ بلاغاً حول اقتراب أسطول ياباني جبار. من أين ظهر؟ لم يستطع أحد أن يفسر ذلك. كانت قوى سبريغ قليلة. طلب الأدميرال المساعدة العاجلة، لكنها لم تأتِ، وتعرضت السفن لهجوم حاسم، واندلع قتال غير متعادل. اكتشفت المخابرات الأمريكية في صباح ٢٥ تشرين الأول أسطول أودزافا، الذي كانت لديه الأوامر بإغراء الأسطول الأمريكي للأدميرال هيلسي بالخروج من خليج ليتي وتوجيه ضربة له. بيد أن الأمريكيين هاجموا أسطول العدو، وهاجم أسطول كوريتا أيضاً. اشترك أسطولا الولايات المتحدة الأمريكية الثالث والسابع بنشاط في القتال. انهالت الغارات الجوية والقنابل والطوربيدات على السفن اليابانية، التي اتخذت خطة للدفاع، متكبدة الخسائر، وغرقت الواحدة تلو الأخرى.

إن المعارك قرب الفيلبين التي استمرت من ٢٣ إلى ٢٦ تشرين الأول، انتهت بهزيمة اليابانيين، الذين خسروا ٣ سفن خطية، وأربع حاملات طائرات، و١٠ طرادات، و٩ مدمرات. أما الخسائر الأمريكية فكانت طفيفة[١]. وفي نهاية تشرين الأول وتشرين الثاني عام ١٩٤٤ قضى طيران الأسطول الأمريكي الثالث في منطقة جزيرتي لوسون وليتي على نحو ٧٠٠ طائرة يابانية أيضاً، وأغرق ثلاثة طرادات، و١٠ مدمرات وكمية كبيرة من وسائل المواصلات[٢].

---

(١) حملات الحرب في المحيط الهادي، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) نيميتس تش. ، وبوتيراي. مصدر سابق، ص ٤٢٧.

إن المعارك بين القوات البحرية -الحربية الأمريكية واليابانية خريف عام ١٩٤٤ في البحر الفيليبيني أدت إلى إضعاف جدي وتقويض جبروت أسطول اليابان. وانتقلت المبادرة الإستراتيجية بصورة نهائية إلى يد القيادة الأمريكية.

٢ - الحالة في البلاد

زاد الحجم العام للإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٤ عما كان عليه قبل الحرب أكثر بمرتين، واستمر إنتاج الأنواع المهمة من المنتوجات الصناعية بمستوى عالٍ. وكانت المقدَّرات الصناعية الأساسية تستخدم لإنتاج الأسلحة: خلال عام تم إنتاج ٩٦,٣ ألف طائرة، و ٣٥,٢ ألف مدفع من جميع الأنواع، و٢٠,٥ ألف دبابة وجهاز مدفعي ذاتي الحركة، وكمية كبيرة من أنواع التكنيك الحربي الأخرى[1].

اعتباراً من النصف الثاني من عام ١٩٤٤ بدأت عملية تقليص مستمرة للإنتاج العسكري، الأمر الذي انعكس على عدد من الفروع - إنتاج الألمنيوم، وبناء السفن وغيرهما. إذ تمَّ التركيز على زيادة إنتاج بعض الأنواع من التكنيك العسكري الأكثر أهمية فقط مثل - القاذفات بعيدة المدى، والدبابات، والذخائر الصاروخية للقوات البحرية العسكرية وغيرها. ولقد انتقل الاهتمام بصورة خاصة إلى الأعمال المتعلقة بإنشاء السلاح الذري. وكانت تعمل على ذلك بصورة رئيسية المجموعات المالية: دوبون، وموروغان، وميللون. وبدأت أعمال التحضير للقنبلة الذرية من تشرين الأول عام ١٩٤٤.

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩، ١٩٤٥، الجزء ٩، ص ٤٣٥-٤٣٧.

كانت الاحتكارات مستمرة بالإثراء من الحرب، وبلغت أرباحها في عام ١٩٤٤ ١١,٧٠ مليار دولار[١].

عزز تنظيم الدولة الحربي مواقع الاحتكارات الضخمة التي كانت تحصل على أفضل الطلبيات. وبلغت حصة ١٠٠ اتحاد احتكاري نحو ٦٧% من القيمة العامة للعقود. «جنرال موتورز» وحدها حصلت فقط خلال أعوام الحرب على طلبيات عسكرية بـ ١٢ مليار دولار[٢].

لقد أشار رئيس إدارة الإنتاج العسكري د. نيلسون إلى أن «الجيش والأسطول كانا يفضلان توزيع الطلبيات على الصناعيين الكبار»[٣]. كان الاستياء يزداد في صفوف أرباب العمل الصغار والمتوسطين. ولقد أثاروا **(عصياناً)**، تعبيراً عن استنكارهم لانهيار منظومتهم المتعلقة بتوزيع الطلبيات، على المواد الخام، والمواد الأخرى. وقد بلغ استياءهم، حسب كلمات نيلسون، «مقاييس مرعبة»[٤]. تمَّ في هذه الإدارة تنظيم قسم خاص للمؤسسات الصغيرة، التي كانت تعمل على توزيع الطلبيات بينها، وكذلك تمَّ إنشاء لجنة مشابهة في الكونغرس. عاشت الزراعة نهوضاً كذلك، زاد إنتاجها بحدود ٤٠% بالمقارنة مع فترة ما قبل الحرب. إذ توسعت المساحات الزراعية، وزادت المحاصيل وكذلك قطعان المواشي بحدود ٢٠%، وساعد توظيف الكهرباء والمكننة في العمل في ذلك. زادت

---

(١) Historical Stat cries of the United States. Colonial Times to 1959. Wash., 1960, p. 480.

(٢) Adams W., Gray H. Monopoly in America, the Government as Promoter. N.Y., 1965. P. 102.

(٣) Nelson D. Arsenal of Democracy: The dairy of American War. Production. N.Y., 1946, p.177.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٢-٢٢٣.

الأسعار على المنتوجات الزراعية مرتين، وبفضل ذلك تضاعفت مداخيل الاقتصاديات الزراعية الضخمة. واشتدت عملية تكثيف الإنتاج، وركز المزارعون الأغنياء في أيديهم ٥٧% من كل أراضي المزارعين و٧٥% من البضائع المنتجة. أفلس الكثير من المزارعين الصغار، والكثير منهم تحولوا إلى مستأجرين.

بلغت العمالة العامة في البلاد ٥٤ مليوناً[١]. كان يعمل أكثر من ١٧.٥ مليون أمريكي بصورة مباشرة لصالح الحرب. ففي صناعة الطيران فقط كان يشتغل في نهاية عام ١٩٤٤ نحو ٢ مليون شخص. أما في بعض فروع الصناعة مثل بناء السفن، وإنتاج الصلب، وصناعة النسيج والخياطة، فكان هناك نقص في العمال المهرة أيضاً. زاد أرباب العمل من تشديد العمل، ورفعوا من معدلات الإنتاج، وانتهكوا شروط الاتفاقيات الجماعية، وطبقوا الأعمال الإضافية الزائدة على المقرر.

كانت الحكومة تتبع سياسة تجميد الأجرة ورفع الضرائب. وفي أواسط ١٩٤٤ نشر المجلس الوطني الحربي للعمل معطيات عن الأجرة، وقد أظهرت أن ٢/٣ عمال الصناعة حصلوا حتى بداية هذا العام على أجرة لا تتخطى ٧٠% من الحد الأدنى لمعيشة عائلة عمالية متوسطة[٢]. ارتفعت الضرائب، وزادت مداخيل الموازنة من الضرائب التي يدفعها الكادحون من عام ١٩٤١/٤٢ إلى ١٩٤٤/٤٥ من ١٣ مليار دولار إلى ٤٣,٨ مليار دولار، وتم رفع ضريبة الدخل، وزادت الضريبة المباشرة من ١,٣ مليار دولار في عام ١٩٤١ إلى ٦ مليارات دولار في عام ١٩٤٤[٣].

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ٢٩، ص ٤٣٨.

(٢) Labor Fact Book. N.Y., 1945, vol. 7, p. 134.

(٣) التير ا. ب. الاقتصاد السياسي البرجوازي للولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٦١، ص ١٤٧.

كان العمال الأمريكان يعملون بنكران ذات في سبيل الانتصار على الهتلرية - ففي كثير من الأحيان كان عدد ساعات عملهم يصل إلى ٦٠-٧٠ ساعة في الأسبوع. وزاد الثقل النوعي للنساء في الإنتاج: ارتفع عددهن في عام ١٩٤٤ إلى ١٨ مليون، إذ شكلن ثلث القوة العاملة. و كانت تعمل في صناعة الطيران فقط نحو نصف مليون امرأة. أما في الصناعات المعدنية والكيميائية والمطاطية، فزاد عدد النساء بالمقارنة مع عام ١٩٤٠ أكثر من ٤,٥ مرات. وبلغ عدد النساء المنضمات إلى النقابات في نهاية ١٩٤٤ نحو ٣ ملايين امرأة.

زاد كذلك عدد العمال الزنوج ووصل عددهم في الصناعة التحويلية فقط إلى ١٢٥٠ ألف عامل. وفي مصانع السيارات والطائرات كان يعمل ١٢٠ ألف زنجي، وفي ترسانات السفن - ١٩٠ ألف عامل، وفي معامل الأجهزة والمعدات الكهربائية - ١٠٠ ألف عامل[١].

استمرت الحركة الإضرابية في التطور عام ١٩٤٤: بلغ عدد الإضرابات ٥ آلاف إضراب، أما عدد المشاركين فيها فبلغ ٢١٢٠ ألف[٢]. ظهرت النزاعات نتيجة مخالفة الاتفاقات الجماعية من قبل أرباب العمل، الذين، كما يشير ف. فوينر، «كانوا يحاولون استخلاص المنافع من وطنية العمال»[٣]. بيد أن الإضرابات كانت تحمل بصورة عامة طابعاً عرضياً. كان العمال كقاعدة يمتنعون عن المشاركة فيها، مظهرين التضامن مع شعوب بلدان الائتلاف المعادي للهتلرية الأخرى. إن مؤتمر كونغرس النقابات الإنتاجية، الذي اشترك

---

(١) بوير ر. او. ، وموريس غ. م. تاريخ غير محكي للحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٥٧، ص ٥٤٢-٥٤٣.

(٢). istorical Statickies of the United States Colonial Times to 1959. P. 99

(٣). Foner Ph. S. The Fun and Leather Workers Union, Newark. 1950, p. 618

فيه ٥٠٣ مندوبين من ٣٨ اتحاداً وطنياً وفرعياً ولجنة تنظيمية، استمر من ٢٠ إلى ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٤٤ في شيكاغو. لقد أكد الاتفاق السابق بتخلي العمال عن الإضرابات لدى ظهور نزاع في العمل. وأقر المؤتمر بالإجماع قراراً لصالح القضاء الكامل على النازية والعسكريتاريا اليابانية. تطور النضال الحزبي-السياسي في عام ١٩٤٤ تحت شعار الاستعداد للانتخابات الرئاسية[١]. وفي حزيران انعقد مؤتمر الحزب الجمهوري في شيكاغو. وفيه تم ترشيح حاكمي ولايتي نيويورك وأوهايو، ت. ديو و ج. برينكير إلى منصبي الرئيس ونائب الرئيس. وعبَّر المؤتمر عن القلق تجاه اشتداد ارتباك الدولة في الحياة الاقتصادية للبلاد، وإمكانية نمو البطالة باقتراب نهاية الحرب وتقليص الإنتاج العسكري. كان المشاركون في المؤتمر يتحدثون عن الرغبة في تحقيق وضع للأسواق ملائم للمزارعين بعد الحرب. احتوت الخطة الانتخابية على اقتراحات ضد التمييز العنصري للزنوج، ولتوسيع حقوقهم المدنية. انحصر انتقاد الديمقراطيين بالدرجة الأولى في المسائل السياسية الداخلية، ولم تتم ملامسة مشاكل السياسة الخارجية بصورة متعمدة.

افتتح مؤتمر الحزب الديمقراطي في شيكاغو في ١٩ تموز عام ١٩٤٤، وتمت الموافقة على ترشيح روزفلت لمنصب الرئيس للمرة الرابعة دون نقاش. اندلعت النقاشات عند ترشيح نائب الرئيس. كان الطامحون لهذا المنصب كثراً[٢]. قيَّم روزفلت بصورة عالية غ. وولس، وكانت تؤيده نقابات كونغرس

---

(١) انظر بالتفصيل: مانيكين ا. س. نظام الحزبين في أعوام مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية - في كتاب: الأحزاب السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت المعاصر، موسكو، ١٩٨١، ص ٩٤-١٢٩.

(٢) بوريسون ا. يو. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية: حلفاء في أعوام الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥، موسكو، ٢، ١٩٨٣، ص ٢٣٠-٢٣١.

النقابات الإنتاجية، ولكن زعماء الفدرالية الأمريكية للعمل وقفوا ضده، وكذلك تجمعٌ مؤثر في الجهاز الحزبي للحزب الديمقراطي، ومجموعة قوية محافظة من ممثلي الرأسمال الكبير. تمَّ رفض رئيس إدارة التعبئة العسكرية ج. بيرنس الطامح للترشيح إلى منصب نائب الرئيس بصورة حاسمة من قبل النقابات. وفي نهاية المطاف وافق المؤتمر على ترشيح عضو مجلس الشيوخ غ. ترومان (من ولاية ميسوري). توجه السيناتور المغرور بنفسه بقطار خاص في جولة في البلاد لإلقاء المحاضرات. وقد أبرق روزفلت، بعد أن استمع إلى خطبه: «أوقفوه عن الاستمرار بكل هذه الخطب الغبية بصورة فظيعة»[١].

تضمنت الخطة الانتخابية للحزب الديمقراطي دعوة للاستمرار بالنضال من أجل الانتصار في الحرب وضمان السلم على أساس الحفاظ على التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى، وفرنسا والصين. ولقد تمَّ وضع القضايا الداخلية في مركز البرنامج، إلا أن موقع الحزب، وموضوعات خطته الأساسية تمت صياغتها بصورة مبهمة عن عمد[٢].

أُعير اهتمام كبير لمسألة نقل الاقتصاد القائم آنذاك إلى الحالة السلمية. كان تقليص الإنتاج العسكري الذي تمَّ البدء به يهدد، كما اعترفت بذلك الطبقة الحاكمة، بتفاقم اجتماعي. لم يخفِ قادة التريديونيونات خشيتهم من أن تقليص الطلبيات العسكرية سيستدعي زيادة في البطالة.

وعد الحزب الديمقراطي، الذي أخذ بعين الاعتبار الحالة السياسية بضمان عمالة القوى العاملة كاملاً، وباستخدام القدرات الإنتاجية بالحد الأعلى في الظروف السلمية.

---

(١) Allen R. S., Shannon W. V. The Truman-Merry-Go-Round. N.Y., 1950, p. 14.

(٢) مانيكين ا. مصدر سابق، ص ١٢٦-١٢٧.

كانت النقابات تلح على مناقشة مشروع قانون عضو مجلس الشيوخ كليغور من قبل الكونغرس، والذي كان يقترح إنشاء هيئة حكومية مركزية لحل المشاكل المرتبطة بتقليص الطلبيات العسكرية، والانتقال إلى الإنتاج السلمي، وضمان الإعانات المالية للعاطلين، وتنظيم التدريب وإعادة تأهيل العمال. ودعا رئيس الفدرالية الأمريكية للعمل الكونغرس للموافقة بسرعة على مشروع قانون كليغور، وإلا فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون في الحالة المعاكسة غير مستعدة تماماً للسلم. فتوقف الطلبيات العسكرية، وإغلاق الكثير من الورشات والمصانع، قد يؤدي إلى ظهور حالة ذعر اقتصادي، وسيسبب بطالة واسعة وفوضى.

نشر نائب رئيس اتحاد عمال صناعة السيارات فرانكينشتاين في صحيفة (نيويورك تايمز) رسالة تحدثت عن قلق العمال العميق بسبب غياب خطط تحويل الاقتصاد إلى الإنتاج السلمي.

عملت مختلف لجان الكونغرس على مناقشة مسألة توزيع ممتلكات الحكومة، التي بلغت قيمتها رقماً كبيراً - حتى ١٠٠ مليار دولار. والتي كانت تضم معامل حكومية، وفوائض التسلح، ومراكب، وطائرات، ومعادن، وغيرها من البضائع، المتراكمة من الحاجات العسكرية. وعبَّرت لجنة مجلس الشيوخ الفرعية لشؤون المؤسسات الصغيرة عن القلق المشروع، في أن يؤول توزيع هذه الملكية الحكومية إلى أيدي الاتحادات الاحتكارية الكبيرة، الأمر الذي سيعزز مواقعها في حياة البلاد الاقتصادية. لقد تمَّ في كانون الأول عام ١٩٤٢ نشر تقرير في الملحق الخاص بمجلة (فورتشون) تحت عنوان «الولايات المتحدة في العالم الجديد. السياسة الداخلية». أعلن التقرير عن برنامج تطوير «الرأسمالية الديمقراطية»، الذي تضمّن التدابير مثل القضاء على

البطالة، وتوسيع حقوق النقابات، ونظام التأمينات الاجتماعية. لقد وعد الرئيس في رسالته إلى الكونغرس ٧ كانون الثاني عام ١٩٤٣ بتأمين العمالة الكاملة بعد الحرب. وبمناسبة هذا البرنامج نشرت إدارة تخطيط الموارد الوطنية عام ١٩٤٣ تقريراً لها بعنوان (مشروع قانون حول الحقوق). تحدثت هذه الوثيقة عن التدابير المتعلقة بضمان حرية أرباب العمل، وتنظيم الاقتصاد، وتحسين تنظيم الصناعة، ورفع الطلب الاستهلاكي.

أعطى الديمقراطيون مكاناً مهماً في خطتهم الانتخابية للمسائل المرتبطة بما يسمى (مشاريع القوانين الاقتصادية حول الحقوق)، التي جرى التحدث عنها في رسالة روزفلت إلى الكونغرس في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٤. كان مشروع القانون يعد الشعب الأمريكي بالخيرات الاجتماعية - الاقتصادية، وقبل أي شيء بـ (العمالة الكاملة)[١]. وبالطبع لم يتحقق هذا البرنامج المغري، ولم يتجسد في الواقع. وبهدف تلافي الاستياء من جانب العمال المسرَّحين، أقر الكونغرس في عام ١٩٤٤ قانوناً حول تأمين المحاربين القدماء - (مشروع قانون الجندية حول الحقوق). كان القانون يقضي بإعطاء مساعدة مالية بمقدار ٢٠ دولاراً في الأسبوع في حالة البطالة، وتقديم قرض يصل إلى ٤ آلاف دولار من أجل الحصول على منزل، وكذلك على شروط تسهيلية للحصول على تعليم في المعاهد الدراسية العليا[٢]. شاركت النقابات والعمال بصورة نشيطة في الانتخابات الرئاسية منطلقين في ذلك من الفهم لأهميتها السياسية في ظروف الحرب. وكانت

(١) Congressional Record, vol. 90, Pt 1, p. 55-57;

وبويرر او. ، وموريس غ. م. المصدر السابق، ص ٥٤٧.

(٢) Schlesinger., Jr. The Rise of Modern America, 1865-1951. N.Y., 1954, p. 434

اللجنة التنفيذية لكونغرس النقابات الإنتاجية قد أنشأت أيضاً في ٧ تموز عام ١٩٤٣ لجنة للأعمال السياسية، وترأسها س. هيلمين. وضعت اللجنة أمامها مهمة توحيد الفئات الواسعة من السكان لدعم الحزب الديمقراطي في فترة الحملة الانتخابية الرئاسية(١). فتحت اللجنة ١٧ مكتباً في المراكز الصناعية الكبرى في البلاد، ولقد عقدت هذه المكاتب اجتماعات للناخبين، تمخضت عن قرارات تطالب بإنهاء الحرب بصورة ناجحة، وإعادة انتخاب روزفلت. أعلن هيلمين، أن ١٤ مليون عامل منظم في نقابات كونغرس النقابات الإنتاجية، والفدرالية الأمريكية للعمل، وأخوية عمال السكك الحديدية سيصوتون لصالح روزفلت.

أنشأت ٨٠ شخصية اجتماعية بارزة في تموز عام ١٩٤٤ لجنة وطنية مدنية للأعمال السياسية بهدف المساعدة في إعادة انتخاب روزفلت، ووقف قسم من الجمهوريين في الغرب الأقصى موقفاً داعماً له. كان روزفلت يذكر الناخبين، آخذاً بعين الاعتبار مزاج الرأي العام الأمريكي، وازدياد سمعة الاتحاد السوفييتي بين سكان البلاد، بأنه هو بالذات من أقام العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي ويفتخر بذلك، وبوجوده في تحالف مع الشعب السوفييتي الشجاع في النضال ضد العدو المشترك(٢).

أثارت هذه الحملة النشيطة، في الولايات والمدن، ودعمها من جانب الكثير من المنظمات الأخرى القلق في أوساط محددة من المحافظين. إذ قام ١٣ جمهورياً محافظاً في ذروة الحملة الانتخابية، وفي محاولة منهم لنزع الثقة عن

---

(١) Labor Fact Book, vol. 2, p. 51, 59, 61.

(٢)The Public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt: 1933, vol. – 1945, vol. N.Y., 1938-1950, 1944-1945, vol., p. 324.

الرئيس، وإضعاف شعبيته وتخويف الناخبين، بإصدار منشورٍ وُزع على ٣ ملايين نسخة، تضمن الآتي: إن «الشبح الأحمر للشيوعية يجول في البلاد من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب»[١]. ووصفت لجنة دايس نشاط لجنة الأعمال السياسية كـ (مؤامرة شيوعية). رفض الرئيس بحزم المحاولات بتخويف الناخبين بـ (الخطر الأحمر)، وأعلن أن مثل ذلك التعاطي ليس جديداً، ولن يؤدي إلى تضليل القوى الديمقراطية.

أعار روزفلت اهتماماً ملموساً لنقد النهج الانعزالي السابق للجمهوريين. كان يتحدث أثناء جولاته في البلاد عن أن الماليين الأمريكان وظفوا ٢,٥ مليار دولار في صناعة ألمانيا النازية، وقد لعب زعماء الحزب الجمهوري دوراً غير قليل في ذلك.

حاز روزفلت النصر في ٤ تشرين الأول عام ١٩٤٤. لقد حقق النجاح في ٣٦ ولاية، وصوت له ٢٦ مليون ناخب، و٤٣٢ نقطة انتخابية. في حين حصل مرشح الحزب الجمهوري ديوي على ٢٢ مليون صوت و٩٩ نقطة انتخابية، مجمعاً أكثرية الأصوات في ١٢ ولاية فقط. تكبد الخسارة حتى في ولاية نيويورك، إذ كان عمدة لها، وكذلك في ولاية إيلينوي، إذ كان المزاج الانعزالي هو السائد فيها قبل الحرب، وحتى في ولاية بنسلفانيا، التي كانت تعدّ قلعة للجمهوريين. بيد أن المزارعين في الوسط الغربي صوتوا لصالح الجمهوريين.

كان نشاط العمال هو العامل الرئيسي الذي لعب دوراً حاسماً في إعادة انتخاب روزفلت للمرة الرابعة. وحقق الحزب الديمقراطي انتصاراً جدياً في الانتخابات إلى الكونغرس أيضاً، وحصل على الأكثرية في مجلس النواب

---

(١) بوير ر. او. ، وموريس غ. م. مصدر سابق، ص ٥٤٧.

ومجلس الشيوخ. أظهرت الانتخابات الرئاسية عزم الشعب الأمريكي على الانتصار على العدو المشترك، والتعاون مع الدول الأخرى في تأسيس عالم ما بعد الحرب، ولدعم علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتي.

لقد جرى في ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٤٤ عقد اجتماع جماهيري في نيويورك في ميديسون-سكوير غاردن بقيادة المجلس الوطني للصداقة الأمريكية-السوفييتية، مكرس للذكرى ١١ لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وجرى تنظيم مثل ذلك الاجتماع في شيكاغو. وانتقلت هذه العدوى لتطال ٢٠ مدينة من مدن البلاد، وجرى فيها تقييم عال للتعاون الأمريكي-السوفييتي، وجرى تأكيد أهمية تعزيزه لصالح الانتصار السريع وإقامة سلام مديد.

وقفت أوساط العمل في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي. ففي نيسان عام ١٩٤٤ أعدت اللجنة البينية للإدارات المختصة بالاتحاد السوفييتي تقريراً حول آفاق التجارة السوفييتية-الأمريكية، وصاغت وزارة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية خطة لشراء المواد الخام السوفييتية مع تقديم قرض بمبلغ ٥ مليارات دولار لمدة ٣٠ عاماً. وفي صيف عام ١٩٤٤ زار رئيس غرفة التجارة في الولايات المتحدة الأمريكية اي. جونسون موسكو لمناقشة قضايا التجارة السوفييتية-الأمريكية بعد الحرب، ولقد عبر رئيس الحكومة السوفييتية عن الاستعداد لتوزيع (مليارات الطلبيات) في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

---

(١) العلاقات السوفييتية-الأمريكية أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥. وثائق ومواد: في جزأين. موسكو، ١٩٨٤، الجزء ٢، ص ١٤٣؛ الاتحاد السوفييتي- الولايات المتحدة الأمريكية: العلاقات الاقتصادية. مشاكل وإمكانيات. موسكو، ١٩٧٦، ص ٩٣.

نشرت مجلة «لايف» في أيلول عام ١٩٤٤ مقالاً كبيراً لرئيس غرفة تجارة الولايات المتحدة الأمريكية جونسون حول رحلته إلى الاتحاد السوفييتي، إذ بقي هناك لمدة ستة أسابيع. لقد وصل إلى استنتاج من خلال لقاءاته مع العديد من القادة السوفييت وزيارته إلى الأورال، وسيبيريا والجمهوريات الاتحادية في آسيا الوسطى والكثير من المصانع، أنه يمكن تحقيق التعاون والتفاهم المشترك بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي تماماً على الرغم من اختلاف النظامين الاجتماعيين - السياسيين، وأكد أنه من الضروري بالنسبة لهذين البلدين أن يوسعا التجارة بعد الحرب فيما بينهما بجميع الوسائل، وأشار جونسون إلى أنه: «إذا كانت البضائع ستجتاز الحدود، فلن يكون هناك ضرورة لإرسال الجنود عبرها. لكن لكي تتم التجارة، يجب علينا أن يثق بعضنا ببعضٍ».

صرح ي. ف. ستالين في ١٥ تشرين الأول عام ١٩٤٣ لرئيس إدارة الإنتاج العسكري في الولايات المتحدة الأمريكية د. نيلسون، أن الاتحاد السوفييتي يعتبر سوقاً كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية، وأنه يحتاج بعد الحرب لكثير من أنواع البضائع والمعدات من أجل إعادة بناء الاقتصاد الوطني. إن الاتحاد السوفييتي يمكن أن يضمن للولايات المتحدة طلبيات لـ ١٠ آلاف قاطرة، و٥٠ ألف عربة حديد، و٣٠ ألف كم من السكك، والطوربينات الهيدروليكية والغازية[1].

كانت نجاحات الائتلاف المعادي للفاشستية على الجبهات، والمعارك الحاسمة على الجبهة السوفييتية - الألمانية، والعمليات الهجومية للجيش الأمريكي في أوروبا والمحيط الهادي، تشهد كلها على قرب نهاية الحرب،

---

(١) العلاقات السوفييتية - الأمريكية... ، الجزء الأول، ص ٣٨٣.

وكانت مسائل بناء العالم بعد الحرب وتبوؤ مواقع سيادية فيه تكتسب أهمية متزايدة. إن الاهتمام بهذه القضية كان ينمو بصورة واضحة في واشنطن.

٣- النزعات التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية

زادت الولايات المتحدة الأمريكية من نشاطها السياسي الخارجي عام ١٩٤٤ في جميع أقاليم العالم. أعلن المصرفي الكبير ب. باروخ في تشرين الأول عام ١٩٤٤ ما يلي: «إن أمريكا، وبفضل جبروت قواتها العسكرية، وتفوقها في مجال الاقتصاد، والموارد، والقوة الأخلاقية المنبعثة من نمط الحياة الأمريكية، إن أمريكا هذه في وضع تستطيع من خلاله تأكيد قيادتها للعالم»[١].

وكتب الكاتب الاجتماعي المشهور أو. ليبمان في كتابه (الأهداف العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية) الصادر في عام ١٩٤٤، الذي يلامس الخطط التوسعية للإمبريالية الأمريكية، أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون بعد الحرب (الزعيم الأوحد) في الاتحاد الأطلسي، و«مركزاً للعالم الغربي، وعاملاً رئيسياً في النظام الدولي»، وتحت رعايتها ستتوحد ٤١ دولة[٢].

أعير اهتمام استثنائي لأمريكا اللاتينية. إذ أعطى الرئيس روزفلت عام ١٩٤٤ أمراً لوزارة الخارجية ولجنة رؤساء الأركان بالبدء بمفاوضات مع هذه البلدان حول امتلاك قواعد عسكرية وعسكرية بحرية، وتوحيد القوات المسلحة لجيوش القارة، وحول التحضير لتدريب الضباط من قبل المدربين الأمريكان[٣]. تمَّ تكليف البعثة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بإجراء

---

(١) New York Herald Tribune, 1944, Oct., 18.

(٢) Lippman W.U.S. War Aims. Boston, 1944, p. 65, 71, 86, 141, 170.

(٣) Foreign Relations of the United States, Diplomatic Papers, 1944: vol. 1-7. Wash., 1956-1957, vol. 7, p.109, 110, 546-547.

المفاوضات مع الأخذ بالاعتبار، كما جاء في التعليمات، الوضع الاقتصادي في كل بلد، والموارد الوطنية، وعدد القوات المسلحة وحالتها، وعلاقة تلك البلد مع الولايات المتحدة الأمريكية. وقد فرض نائب وزير الخارجية آي. ستيتينيوس في رسالته الدورية على ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية الدبلوماسيين في الدول الأمريكية اللاتينية أن يتفقوا معها حول التعاون العسكري في أعوام ما بعد الحرب، وبذلك تزداد القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية قوة في النصف الغربي من الكرة الأرضية. في أيلول قدم رئيس قسم الدول الأمريكية في وزارة الخارجية مذكرة إلى نائب وزير الخارجية ب. لونغ حول تحسين نظام العلاقات البينية الأمريكية في المجال العسكري(١). وسرعان ما بدأت بعد ذلك مفاوضات عسكرية ثنائية للأركان بين للولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية. كانت البرازيل الدولة الأولى. إذ اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية عليها عقد اتفاقية حول تقديم قواعد عسكرية لواشنطن في موانئ بيلين، وسان لويس، وفورتاليز، وريسيفي لمدة ٢٥ عاماً.. وصّف رئيس البرازيل ج. فارغاس هذا المشروع بأنه (تحالف عسكري عملياً)، وعبَّر عن الاستعداد لقبول الاقتراحات الأمريكية. إلا أن قيادة القوات المسلحة العسكرية في البرازيل وقفت ضد هذه الاتفاقية، آخذة بعين الاعتبار مزاج الرأي العام. وألحت على إدخال بند في المعاهدة ينص على أن القوات الأمريكية سترابط في البلد بصورة مؤقتة(٢).

اقترح الأمريكيون في كوبا الحفاظ على قواعدهم العسكرية بعد الحرب أيضاً في سان - انفينو - دي - لوس - بانويوس وسان-خوليان، ولكن الرأي

---

(١) Ibid, p. 108-109, 118.

(٢) Ibid, p. 124, 557-559.

العام في البلاد عبر عن استنكاره الحازم. اختُتمت المفاوضات مع الإكوادور بتوقيع معاهدة حول تقديم قواعد للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب في جزر غالاباغوس وفي سالبناس، إلا أن الشعب قاوم ذلك، وكانت الحكومة مضطرة للتخلي عن قرارها. ولكن عندما وصلت إلى السلطة في الإكوادور حكومة فيلاسكو إيباري، قامت بالموافقة على الاحتفاظ بالقواعد العسكرية في جزر غالاباغوس بعد الحرب ولأي مدة. اقترحت إدارة روزفلت استئجار هذه الجزر لمدة ٩٩ عاماً بعشرين مليون دولار، لكن المجلس الوطني للإكوادور رفض في نهاية كانون الأول عام ١٩٤٤ هذا الاقتراح[١]. كانت مسألة إدخال كندا في (منظومة الأمن) للنصف الغربي من الكرة الأرضية تحوز مكان مهم في إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية. ففي آب عام ١٩٤٠، تمَّ عقد اتفاقية في أوغدينسبيرغ حول إنشاء مجلس موحد دائم بين البلدين للدفاع، تقدم بتوصية حول استخدام القدرة العسكرية -الاقتصادية لكندا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وسرعان ما تحولت نيو فاوندليند إلى قاعدة أمريكية. وتم كذلك إنشاء قاعدة جوية -عسكرية في ويست -ايندبا. لقد أعلن رئيس الوزراء م. كينغ أن «مستقبل تطور كندا، سيسير على طريق الروابط التقليدية مع أوروبا»[٢].

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تُعير أهمية كبرى للشرق الأدنى والأوسط أيضاً. إذ حاولت الشركات الأمريكية هناك، مستغلة الوضع العسكري، مزاحمة إنكلترا وزيادة تأثيرها، ولقد اكتسب الصراع على النفط، ولا سيَّما النفط الإيراني طابعاً متوتراً. إذ قام المبعوث الأمريكي بإعلام

---

(١) بالتفصيل انظر: يانتشوك ي. ي. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية، ١٩٣٩-١٩٤٥. موسكو، ١٩٧٥، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) استشهاد بـ: Chomberlin W. Canada Today and Tomorrow. Boston 1943, p. 52-53

وزارة الخارجية في طهران في بداية عام ١٩٤٤، أن بريطانيا العظمى ليست في وضع تستطيع من خلاله تقديم البضائع الصناعية والغذائية إلى إيران، ويجب استثمار ذلك من قبل الولايات المتحدة. وسرعان ما تم إرسال ١٧ ألف طن من القمح الأمريكي إلى إيران، ووصلت إليها بعثة مالية ذات تمثيل كبير برئاسة آرتور ميلسبو، وشغل منصب الإداري العام لمالية إيران، وسرعان ما أقام إشرافاً كاملاً على مالية البلد[1]

وفيما بعد وصلت بعثتان أيضاً: إحداهما برئاسة الجنرال ريدلي من أجل تدريب الجيش الإيراني وإعادة تنظيمه، والأخرى - من أجل إعادة تنظيم الشرطة. وبالإضافة لذلك أرسلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيران المستشارين الاقتصاديين والسياسيين، وبلغ مجموعهم العام نحو ٤ آلاف، إلى جانب القوات الأمريكية (البالغ عددها ٣٠ ألف جندي وضابط). بدأ ممثلو الشركات النفطية المفاوضات مع الحكومة الإيرانية حول تجهيز مكامن النفط، وفي ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ أعلم مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية في طهران دريفوس وزارة الخارجية ما يلي: «لدى حكومة إيران النية بإعطاء امتياز (للأمريكان - المؤلف) بالموارد النفطية على الشروط نفسها التي أعطيت للإنكليز»[2]. وفي صيف عام ١٩٤٤ أبرمت «ستاندارد فاكوم كومباني» عدداً من الاتفاقيات حول الحصول على امتيازات نفطية، وشيَّدت الولايات المتحدة الأمريكية مطاراً في منطقة عبدان.

---

(١) بوبوف م. ب. الإمبريالية الأمريكية في إيران أعوام الحرب العالمية الثانية. موسكو، عام ١٩٥٦.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1944, vol. 3, p. 486-487; Bryson Th. American Diplomatic Relation with the Middle East, 1784-1795; A Survery. Metuchen (N.J.), 1977, p. 120.

لقد تم تعميم نظام ليند-ليز على إيران، وقامت الولايات المتحدة لتحقيق ذلك بإرسال البعثة الملائمة إليها. كتب وزير البحرية الحربية للولايات المتحدة الأمريكية ف. نوكس إلى الرئيس، أن «على وزارة الخارجية التفكير حول استخدام الثروات النفطية في إيران، أما بالنسبة للدفاع عن مكتسباتنا هناك، فسيهتم بذلك الأسطول البحري-الحربي للولايات المتحدة الأمريكية»[١]. وهكذا، فإن الدبلوماسية الأمريكية حصلت على امتيازات نفطية، وعلى أراض لبناء قواعد عسكرية في إيران. وقد جاء في إحدى وثائق وزارة الخارجية ما يلي: «إن مساعدتنا لإيران يجب أن تلعب دوراً مهماً في بناء العالم بعد الحرب»[٢]. عقدت الولايات المتحدة الأمريكية مع حكومة مصر في كانون الثاني عام ١٩٤٣ اتفاقية حول وجود القوات الأمريكية على الأراضي المصرية، وطرحت مسألة بناء قاعدة جوية-عسكرية هناك.

وفي حزيران عام ١٩٤٤ أخبر القائم الأمريكي بالأعمال في مصر وزارة الخارجية، أن الحكومة المصرية موافقة على بناء قواعد عسكرية، ولكن بشرط، أن تتعاون الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا العظمى. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى إلى الإشراف الفردي على القواعد. اصطدمت المفاوضات اللاحقة بصعوبات جدية. إذ إن لندن لم تكن ترغب بالتنازل عن مواقعها. ولقد بدأت الولايات المتحدة في ذلك الوقت بوضع مخططات من أجل بناء شبكة من المطارات وأنابيب النفط، على الأراضي المصرية، التي تمتلك حسب رأي وزارة الخارجية أهمية إستراتيجية من إذ إمكانية تزويد القواعد الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط بالوقود.

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers, 1942, vol. 1-7. Wash., 1960-1963, vol. 4, p. 343, 756.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1943, vol. 1-6. Wash., 1963-1965, vol. 2, p. 643, 644, 646.

ولقد تبع ذلك إعلان وزارة الخارجية في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ حول أن الولايات المتحدة الأمريكية ملزمة بالاهتمام بأمن سورية ولبنان، ولأجل ذلك يجب أن تنشىء هناك نقاط ارتكاز لها[1].

كانت إثيوبيا موضوعاً لاندفاع الولايات المتحدة الأمريكية التوسعي. ففي ١٨ حزيران عام ١٩٤٣ وجه روزفلت رسالة إلى إمبراطور الحبشة، يقترح فيها المساعدة في تعزيز دفاعها، وسرعان ما بدأت المفاوضات حول توسيع الروابط الاقتصادية بين الدولتين. وفي كانون الأول عام ١٩٤٤، أعطت وزارة الخارجية أمراً لمبعوثها في أديس-آبابا بالبدء بمفاوضات حول بناء قواعد للولايات المتحدة الأمريكية على أراضي إثيوبيا[2].

وفي تشرين الأول عام ١٩٤١ تم تأليف بعثتين أمريكيتين عسكريتين في الإقليم: بعثة شمال إفريقية ومركزها القاهرة، وأخرى عراقية ومركزها بغداد. لم تكن من ضمن مهامها مراقبة الإمداد حسب ليند-ليز، وإنما كذلك تنظيم بناء المشاريع الصناعية، والموانئ، وطرق المواصلات وغيرها.

أبدت واشنطن اهتماماً خاصاً بالمملكة العربية السعودية، ففي آذار عام ١٩٤٢ وصلت بعثة خاصة إلى هناك، كان في عدادها ممثلو الشركات النفطية. قاومت الدبلوماسية البريطانية القلقة من جهتها تغلغل الرأسمال الأمريكي في هذه البلاد[3]. اقترح وزير الخارجية في ٨ كانون الثاني عام

---

(١) بالتفصيل انظر: سولونتسوف ز. م. سياسة التوسع البحري-الحربي للولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٧٧، ص ٨١-٨٢.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1942, vol. 4, p. 678, 1943, vol. 4, p. 73-75, 91

(٣) بالتفصيل انظر: توغانوف او. اي. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا في الشرق الأدنى والأوسط. موسكو، ١٩٦٠؛ سولونيوف ز. م. مصدر سابق، ص ٦٤-١٢٥.

١٩٤٣ على روزفلت تعميم نظام ليند-ليز على العربية السعودية، وكتب في هذا السياق: «إن جيشنا يحتاج هنا إلى نقاط ارتكاز. إذا قمنا بمساعدتهم حسب ليند-ليز، فإننا سنحصل على أراض لبناء القواعد»[1].

أشار مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية في مصر كيرك في رسالة إلى واشنطن، أن الإمدادات الأمريكية حسب ليند-ليز يمكن من وجهة نظره أن تنتزع العرب عن لندن بسرعة[2]. وفي شباط عام ١٩٤٤ قدمت الشركات النفطية في الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة إلى العربية السعودية بشروط تسهيلية، وبدأت المفاوضات حول امتيازات نفطية، وطلبت الولايات المتحدة الأمريكية في صيف عام ١٩٤٤ أرضاً من أجل بناء مطار عسكري. وكردٍّ على اعتراضات الجانب الإنكليزي أعلن السفير الأمريكي بأمر من وزير الخارجية لتشرشل، أن الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بزيادة استخراج النفط، وبناء مطار، وتطوير طرق المواصلات الجوية والبحرية ولذلك لا يمكن أن تتفق مع الإنكليز.

في كانون الأول عام ١٩٤٤ نصحت وزارة الخارجية الرئيس بزيادة إمداد العربية السعودية، التي تمتلك موارد نفطية هائلة، بالبضائع. وكان لا بد من أن تستقر الشركات الأمريكية في هذه البلاد.

لقد تمَّ التأكيد في مذكرة وزارة الخارجية أن الإدارة العسكرية تطالب بإلحاح ببناء نقاط ارتكاز إستراتيجية في العربية السعودية والحصول على امتيازات خاصة لها[3]. وأشار الأدميرال ليغي، رئيس الأركان لدى رئيس

---

(١) Documents on American Foreign Relation: vol. 1-29. Boston, 1939-1972, vol. 5, 1941-1942, p. 582, p. 582-583.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers, 1943, vol. 4, p. 679, 683, 695.

(٣) Ibid., p. 757-758, 760.

الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الولايات المتحدة ستبذل كل ما تستطيع من أجل إيجاد مدخل إلى النفط في العربية السعودية[1]. ومن جانبه أشار وزير الأسطول البحري الحربي فوريستول أيضاً في رسالة إلى وزارة الخارجية بتاريخ ١١ كانون الأول عام ١٩٤٤ إلى الأهمية الاستثنائية للثروات النفطية في الشرقين الأدنى والأوسط بالنسبة للشركات الأمريكية، واقترح العمل في هذا الإقليم بمثابرة ونشاط أكبر. وأعلن أن «درجة تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح العالمي يتعلق بما لدينا من نفط، وسفن، ومقدار عددها، وأية قواعد، وأين تقع، وما لدينا من اتفاقيات ومعاهدات مبرمة مع البلدان والشعوب الأخرى، وأين توجد قواتنا المسلحة وكيفية انتشارها»[2].

أخذت الصحافة الأمريكية بدءاً من عام ١٩٤٤ تعير الاهتمام بصورة متزايدة للعربية السعودية والكويت، وتم إنشاء لجنة خاصة في وزارة الخارجية لخوض مفاوضات مع إنكلترا حول مسائل الشرق الأدنى. وفي آب عام ١٩٤٤ تمَّ توقيع اتفاقية نفطية إنكليزية-أمريكية حول الفرص الامتيازية المتساوية[3]. وقد سبق توقيع هذه الوثيقة نضال دبلوماسي متوتر، استمر في السنوات التي تلت أيضاً. واستطاعت لندن إحباط مخططات الولايات المتحدة الأمريكية وعدم السماح بدخول هذه الاتفاقيات حيز التنفيذ.

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بأعمال توسعية نشطة في المحيط الهادي أيضاً. إذ ترافقت عمليات طرد اليابانيين من الجزر بإنشاء قواعد

---

(١) Leahy W. I was there. N.Y., 1950, p. 184.

(٢) FRUS. Diplomatic Papers, 1944, vol. 3, p. 756-757.

(٣) Stoff A. The Anglo-American Oil Agreement and the Business History Review, 1981, vol. 55, N. I., p. 54-74.

عسكرية أمريكية هناك. وقد أشار الأدميرال نيميتس وهو يتحدث عن الأهمية الإستراتيجية للقواعد في المحيط الهادي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، إلى إن الجبروت البحري لا يتألف من تشكيلات السفن والطائرات ومختلف أصناف الأسلحة والتكنيك الحربي فقط، وإنما من القواعد البحرية العسكرية أيضاً، التي بمقدار ما تكون أبعد عن الولايات المتحدة الأمريكية، «بمقدار ما تكون ضمانة للجبروت البحري-العسكري للبلاد»(١). ومن أجل دراسة مسألة بناء قواعد بحرية-عسكرية في المحيطين الهادي والأطلسي شكَّل الكونغرس لجنة خاصة وقفت بالإجماع إلى جانب إنشاء نظام قوي ومتشعب.

اقترح أعضاء اللجنة بناء ٤٠٠ قاعدة بحرية وجوية عسكرية، بشرط أن تكون ذات «أهمية إستراتيجية كبيرة» بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية(٢).

بدؤوا بإنشاء القواعد البحرية-العسكرية الأمريكية في أستراليا، ونيوزيلاندا، وفي الكثير من جزر المحيط الهادي. وتمَّ إقرار بناء١٠ قواعد عسكرية فقط حول أستراليا(٣). لقد استحوذت مسألة بناء منظومة قواعد في المحيط الهادي على أهمية خاصة في أوساط واشنطن الرسمية. وتمَّت مناقشة هذه المسائل بصورة فعالة في وزارة الخارجية والإدارات العسكرية. وفي ١٥ آذار عام ١٩٤٣ تمَّت صياغة توصية من قبل اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان حول تطوير بناء القواعد البحرية والجوية-الحربية إلى الغرب من جزر هاواي. وبعد أسبوع أعدت هذه اللجنة برنامجاً واسعاً لعمل سلطات

(١) Congressional Record, vol. 92, p. A. 1601-1602.

(٢) Building the Navy's Bases in World War II, vol. 1,2. Wash., 1947, vol. 1, p. 111, 28: vol. 2, p. 279.

(٣) Weller G. Bases Overseas. An American Trusteeship in Power. N.Y., 1944, p. 262, 272, 274, 392.

الاحتلال في جزر المحيط الهادي، معتبرة إياها مناطق هامة لتشكيل منظومة قواعد عسكرية. وتمَّ التأكيد في المذكرة على أن جزيرتي ميدوي وويك يجب أن تصبحا جسراً لليابسة الآسيوية، أما غوام فقلعة في المحيط.

وضعت وزارة البحرية-الحربية صيف عام ١٩٤٣ برنامجاً لبناء قواعد عسكرية في المحيط الهادي، وتم تقديم اقتراح بضم كل جزر الانتداب الياباني(١). أعلن وزير الأسطول البحري-الحربي أو. نوكس، في كلمته في الكونغرس في بداية كانون الثاني عام ١٩٤٤ أن «مسألة قواعد ما وراء البحار وتعزيزها تدخل في المنظومة العامة للإستراتيجية المقبلة. ومع إنشاء القواعد العسكرية في المحيط الهادي ستستطيع الولايات المتحدة الأمريكية ممارسة إستراتيجية عولمية»(٢). وحاول أن يبرهن بمثابرة في لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية في ٩ آذار على ضرورة أن تحافظ الولايات المتحدة بعد الحرب على جزر كارولينا، ومارشال، وماريان، التي يجب أن تُعطى، حسب كلماته، إلى الولايات المتحدة باعتبارها دولة بحرية سائدة في المحيط الهادي.تمسّك الأدميرال ليغي بذلك الرأي أيضاً. ففي ١١ آذار كتب إلى وزير الخارجية ك. هيل أن: «الجزر الواقعة تحت الانتداب الياباني يجب أن توضع تحت الإشراف الكامل للولايات المتحدة الأمريكية. إن مستقبل هذه الجزر لا يجب أن يكون مادة لأي نقاش»(٣). لفتت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان انتباه الوفد الأمريكي المتوجه إلى المؤتمر في دومبارتون-أوكس إلى اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالجزر اليابانية. وقد نبه وزير الأسطول البحري الحربي ج. فوريستول رئيس الوفد آي. ستيتينيوس،

(١) Louis W. Imperialism at Bay. Oxford, 1977, p. 260-264.

(٢) Building the Navy’s Bases in World War II, vol. 2, p. 163.

(٣) FRUS, Diplomatic Papers, 1944, vol. 1, p. 1204.

بألّا تجري أية مناقشة حول جزر المحيط الهادي مع ممثلي الدول الأخرى[١]. كان هناك في الكونغرس من يتقاسم هذا الرأي مع الأوساط العسكرية. إذ أعلن زعيم الحزب الجمهوري ك. كيللاد أن: «المحيط الهادي يجب أن يكون بحيرة أمريكية»[٢]. وفي آب عام ١٩٤٤ تقدم عضو مجلس الشيوخ الديمقراطي ماكيلار بمشروع قرار، اقترح فيه «امتلاك كل الجزر في المحيط الهادي، بما في ذلك جزيرتا تايوان وريوكيو»[٣].

كان الأدميرال آي. كينغ يلح بحزم على إقامة إشراف من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على جزر المحيط الهادي، وكان يؤكد أنها يجب أن تتحول إلى قواعد عسكرية أمريكية[٤]. وأشار المختص الأمريكي بالشؤون العسكرية ج. ويللير، وهو يتحدث عن النزعات التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية وبناء منظومة من القواعد، إلى أن «كل قاعدة في ما وراء البحار تحوي بحد ذاتها في داخلها العناصر الإستراتيجية والسياسية، ومن الصعب هنا أن نحدد، أين السياسة، وأين الإستراتيجية»[٥]. وأكّد عضو مجلس الشيوخ ا. واندنبيرغ كذلك على أن «أمريكا يجب أن تلعب دوراً في عالم ما بعد الحرب يتناسب تماماً مع ثقلها»[٦]. وبعد وفاة نوكس طالب خلفه فوريستول في رسالة تذكير موجهة

---

(١) Ibid., p. 699-700.

(٢) Kellad C. The Zone of Safety Plan, American War and Peace Aims. – The Seventieth Annual Debate Handbook 1943-1944, p. 201.

(٣) New York Times, 1944, Aug. 15.

(٤) Pomeroy S. Pacific Outpost, American Strategy in Guam and Micronesia Stanford, 1951, p. 169.

(٥) Weller G. Op. cit., p. 233.

(٦) The Private Papers of Senator A. Vandenberg/Ed. By A. H. Vandenberg. Boston 1952, p. 92.

إلى وزارة الخارجية بضرورة أن يتم الأخذ بعين الاعتبار عند عقد أية اتفاقية دولية الخطط العسكرية - الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية، وكان يؤكد أن «الأسطول البحري العسكري سيدعم كلياً سياسة وزارة الخارجية هذه بكل وسائله وبكل قدرته»[١].

وبمقدار اقتراب نهاية الحرب، كانت تشتد في الولايات المتحدة الأمريكية الدعوات إلى السلام حسب الشروط الأمريكية. لقد أعلن ماكنيل، رئيس تحرير صحيفة (نيويورك تايمز): «يجب علينا أن نصرّ على السلام الأمريكي. ولا يجب علينا أن نوافق على أقل من ذلك». وبدأت تترد شعارت كثيرة حول (قرن أمريكا)، وفي الأوساط الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية كانت تناقش مسائل بناء العالم بعد الحرب بدرجة واسعة، وكان يجري الإعداد للخطط التوسعية. لقد أعلن هوبكينز في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٤٤ لسفير الاتحاد السوفييتي ا. ا. غروميكو أن: «روزفلت يعتبر، أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يجب أن تبقى جانباً تجاه الأحداث الأكثر أو الأقل أهمية، في أي زاوية تقع من زوايا الكرة الأرضية»[٢].

٤ - خطط بناء عالم ما بعد الحرب

جرى في ضاحية واشنطن، دومبارتون - أوكس ٢١ آب عام ١٩٤٤، افتتاح مؤتمر ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، وبريطانيا العظمى. وتمت فيه خلال أكثر من شهر - حتى ٢٨ أيلول مناقشة مسائل بناء منظمة الأمم المتحدة، وبنيتها المقبلة، ووظائفها، وأهدافها، ومبادئ عملها، واختصاص هيئاتها الرئيسية. كان يرأس الوفد السوفييتي ا. ا. غروميكو السفير في

(١) FRUS., Diplomatic Papers, 1944, vol. 3, p. 755-756.

(٢) العلاقات السوفييتية -الأمريكية...، الجزء ٢، ص ٢٣٣.

الولايات المتحدة الأمريكية، أما الوفد الأمريكي فكان يرأسه نائب وزير الخارجية اي. ستيتينيوس، والوفد الإنكليزي - نائب وزير الخارجية ا. كادوغان.

جرت في الأوساط الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى مدار عدة سنوات عملية إعداد ومناقشة مشاريع مختلفة لبناء منظمة دولية، كان الهدف الرئيسي منها تأمين الدور الزعامي لواشنطن في عالم ما بعد الحرب. وقد اعترف وزير الخارجية بصراحة من خلال محادثته مع مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ في أيار عام ١٩٤٤، أنه إذا رفضت الولايات المتحدة الأمريكية المشاركة في إنشاء أو أعمال المنظمة المقبلة، فإنها لن تستطيع أن تحقق وضعاً قيادياً[١]. وعند ذلك (في أيار) عبرت الولايات المتحدة الأمريكية عن الاستعداد لبدء مفاوضات مشتركة مع الاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى في واشنطن حول المسائل المرتبطة بإنشاء منظمة دولية للسلم والأمن.

تقدمت حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي في تموز-آب باقتراحات حول أهداف ومهام هذه المنظمة، وتركيبها وهيئاتها الأساسية[٢]. وأظهرت هذه الوثائق تطابق وجهات النظر في عدد من المسائل العامة، وكذلك وجود خلافات جدية. كان يجب أن يكون الهدف الرئيسي لمنظمة الأمن الدولية، حسب الاعتراف العام هو دعم السلام والأمن، واتخاذ تدابير مشتركة من أجل تلافي وإزالة الأخطار على السلم، ووضع حد لعمليات العدوان، وضبط الخصومات والنزاعات بالوسائل السلمية.

---

(١) The Memoirs of Cordell Hull: vol. 1,2. N.Y., 1948, vol. 2, p. 1661.

(٢) مؤتمر ممثلي الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى في دومبارتون-أوكس ٢١ آب -٢٨ أيلول عام ١٩٤٤: مجموعة وثائق. موسكو، عام ١٩٧٨، ص ٥١-٦٨، ٧٣-٩٩، ١٠٢-١٠٦.

ولقد جرت الإشارة في قرارات مؤتمر دومبارتون-أوكس على أن المنظمة المنشأة يجب أن تكون مبنية على مبدأ السيادة والمساواة بين جميع الدول.

وتمَّ تحديد الهيئات الرئيسية فيها: الجمعية العمومية، ومجلس الأمن، والمحكمة الدولية، والسكرتاريا، ورُسمت مجالات اختصاصاتها. احتلت مكانة خاصة مسألة تركيب، ومراسيم، وصلاحيات مجلس الأمن، الذي وقعت على كاهله المسؤولية الرئيسية في الحفاظ على السلام. وفي المؤتمر تمَّ الإقرار بإنشاء المجلس من ممثلي ١١ دولة، وأعطيت لخمس دول وهي الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، والصين، وفرنسا مقاعد دائمة فيه.

اندلعت نقاشات حادة حول مسألة نظام التصويت في مجلس الأمن. وعلى الرغم من أن مبدأ إجماع الأعضاء الدائمين في المجلس تم إقراره، فإن الوفد الإنكليزي، المدعوم من الممثلين الأمريكان وقف إلى جانب ذلك النظام، الذي يمنع فيه البلدان التي يمسها النقاش من المشاركة في التصويت بصورة مباشرة. إن النقاش في هذه المسألة لم يؤد إلى رأي موحد، وبقيت المسألة مفتوحة. إن حل مسألة إجراء التصويت في مجلس الأمن تم التوصل إليه فيما بعد في مؤتمر القرم. جرى الاتفاق في دومبارتون-أوكس على مسألة تركيب ووظائف المجلس الاقتصادي والاجتماعي.

كان المؤتمر في دومبارتون-أوكس وقراراته يشهدان على إمكانية التعاون والعمل المشترك لثلاثة بلدان عظمى، وعلى تعزيز الائتلاف المعادي للهتلرية. وشكلت المفاوضات مرحلة مهمة على طريق إنشاء منظمة الأمم المتحدة.

كانت الدبلوماسية الأمريكية تبدي اهتماماً كبيراً في إجراء مؤتمرات دولية أخرى أيضاً. ففي تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ تمَّ توقيع اتفاقية في واشنطن أيضاً، بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية بين ١٤ دولة حول تأسيس إدارة للمساعدة وإعادة بناء الأمم المتحدة. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنوي استخدام هذه المنظمة الدولية لصالح الرأسمال الأمريكي، وكقناة إضافية من أجل التوسع الاقتصادي والسياسي. وفي نفس العام، ومبادرة من وزير مالية الولايات المتحدة الأمريكية غ. مورغنتاو تمَّ إعداد مشروع لبناء صندوق خاص للأمم المتحدة لدعم استقرار العملة (بأكبر مشاركة فعالة للولايات المتحدة الأمريكية) وتلافي التضخم بعواقبه الاجتماعية. كان تحقيق هذا المخطط يسمح للبنوك الأمريكية، التي كانت تملك في ذلك الوقت احتياطياً ذهبياً بمقدار ٢٢,٥ مليار دولار، أن تؤمن سعراً للدولار أكثر ملاءمة لها، وأن توطد مواقعها في العالم المالي.

وفي شهر حزيران عام ١٩٤٤، وفي مدينة بريتون-وودز (الولايات المتحدة الأمريكية) جرى مؤتمر برئاسة غ. مورغنتاو، وبمشاركة ممثلي ٤٤ دولة. ولقد اتخذ المؤتمر قراراً بإنشاء صندوق النقد الدولي. وسعت الولايات المتحدة الأمريكية هنا لتحتل موقعاً مسيطراً، مقترحة مشروع ميثاق لهذه المنظمة، وقفت بريطانيا العظمى في محاولة منها للحفاظ على دور مركزها المالي العالمي ضد المشروع الأمريكي. بيد أنها بعد أن حصلت على قرض من قبل الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٤ بقيمة ٣٧٥٠ مليون دولار، كانت مضطرة للتنازل عن مطالبها للولايات المتحدة الأمريكية، وصادقت على ميثاق صندوق النقد الدولي.

تم إنشاء البنك الدولي أيضاً لإعادة البناء والتطوير، والذي شغلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية وضعاً رئيسياً أيضاً، وكانت تسعى لاستخدامه من أجل مساعدة الشركات الأمريكية لزيادة استثماراتها ورساميلها الخاصة في البلدان الأخرى. كتب خبير وزارة الخارجية أو. فيس بهذا الصدد أن «الولايات المتحدة لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن تصادق بصورة سلبية على استخدام الرساميل الأمريكية من أجل أهداف مضادة للمصالح السياسية الجذرية لها... إن الرأسمال - شكل للسلطة»[1].

جرت في كيبيك، من ١١-١٦ أيلول عام ١٩٤٤، مفاوضات أنغلو-أمريكية على مستوى رئيسي الحكومتين. ولقد جذب الهجوم المندفع للجيش السوفييتي وتأثيره على الوضع الداخلي في بلدان شرق وجنوب شرق أوروبا الاهتمام الزائد للحليفين.وناقش روزفلت وتشرشل العمليات الهجومية في شمال-غرب أوروبا وإيطاليا، والوضع في البلقان، وتمَّ اتخاذ قرار بتصعيد الهجوم بهدف توجيه ضربة في الرور والسار و«التغلغل السريع في قلب ألمانيا»[2]. ولقد تمَّ الإفصاح عن الرغبة في تنشيط الأعمال الحربية في إيطاليا، أي دخول القوات الأنغلو-أمريكية إلى جزيرة إيستريا والتصعيد اللاحق للعمليات الهجومية باتجاه البلقان من أجل استباق القوات السوفييتية. اتفق المشاركون في المؤتمر على إنزال الفرق الإنكليزية في بيري وأثينا ومن ثمَّ تلافي الاستيلاء عليها من قبل فصائل جيش التحرير-الشعبي اليوناني.

---

(١) Feis H. The Sinews of Power. N.Y., 1944, p. 137-138.

(٢) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس وزراء الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى، الجزء ١، ص ٣٠٤.

جرى النظر في المؤتمر أيضاً في قضايا خوض الأعمال العسكرية في الشرق الأقصى والمحيط الهادي. ومع الاستيلاء على جزر مارشال فإن الوضع في مسرح الأعمال القتالية في المحيط الهادي تغيَّر بصورة جذرية. وتمَّ اختراق الخط الدفاعي لليابان في مركزه. حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على إمكانية تأسيس مطارات، ومراسٍ للأسطول في الجزر، الواقعة على بعد ٢٢٠٠ ميل غرب هاواي. وتقدمت قواعد غواصاتها ١٣٠٠ ميل بالقرب من طرق التجارة اليابانية. فقدت اليابان المبادرة الإستراتيجية. وتكبَّد أسطولها خسائر محسوسة. وغادرت القوات اليابانية الجزر المحتلة من قبلها الواحدة تلو الأخرى.

كان إنهاء الحرب ضد اليابان، حسب رأي المشاركين في المؤتمر، يتطلب وقتاً غير قصير، لذلك تمَّ الاتفاق على إعطاء اهتمام كبير لتنسيق العمليات العسكرية المشتركة في المحيط الهادي، والقيام بهجوم في بورما، وطرد اليابانيين من الفيلبين. عبَّر تشرشل وهو يبدي القلق تجاه مصير الأملاك البريطانية المستعمرة في جنوب شرق آسيا، ويسعى لاحتلال أراض جديدة، عن الاستعداد لنقل جزء مهم من القوات الجوية والبحرية العسكرية إلى هذه المنطقة، إلا أن الأمريكيين وقفوا تجاه تلك الخطط بحذر كبير. كما أن ألمانيا ودورها في أوروبا المقبلة أعيرا اهتماماً لا يستهان به في المؤتمر. لقد برز اتجاهان: الاختزال الكامل لألمانيا، والقضاء على صناعتها، أو الحفاظ على القدرة الاقتصادية الألمانية كقوة مادية من أجل استخدامها في أهداف معادية للسوفييت.

لم يكن هناك موقف موحَّد في الأوساط العسكرية والسياسية ودوائر الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية في مسألة طرق حل المشكلة الألمانية. فقد اعتبر قائد قوات الاقتحام للحلفاء آيزنهاور وهيئة أركانه أنن يجب احتلال ألمانيا،

وتقديم النازيين البارزين مع الصناعيين العسكريين إلى المحاكمة ومعاقبتهم، وحل الأركان العامة، وتقديم العاملين المسؤولين فيها إلى العدالة، ويجب أن يتم القضاء على القدرة العسكرية لألمانيا، وأن تُلزم ألمانيا دفع تعويضات الحرب(1).

أما وزير المالية غ. مورغنتاو فقد أعد مع معاونيه خطة كانت تقضي قبل أي شيء بتقسيم ألمانيا. يتم تحويل الرور والأرض الألمانية في الغرب الشمالي إلى (منطقة دولية)، إعطاء السار مع الأرض الواقعة بين الريف والموزيل إلى فرنسا، أما أرض البلاد المتبقية فتقسم إلى دولتين ألمانيتين شمالية وجنوبية. كانت خطة مورغنتاو تهدف إلى تجريد ألمانيا من التصنيع، وإلى القضاء على فروع الصناعة المهمة: التعدينية، والكيميائية، والكهربائية، وبناء الآلات الكهربائية. لقد صرّح مورغنتاو «لتكن ألمانيا بالنسبة للعالم المقبل منشغلة بالزراعة، ومعالجة التربة»(2).

كان المشروع يهدف إلى إزاحة ألمانيا كمنافس خطر للولايات المتحدة الأمريكية في الأسواق الأوروبية والعالمية، وجعلها بتبعية اقتصادية وسياسية للرأسمال الأمريكي، وجزئياً للإنكليزي. الأمر الذي سيؤدي إلى تغير جذري في وضع وتناسب القوى في أوروبا، وإنقاص أعداد البروليتاريا الألمانية. لقد أيد الرئيس، في اجتماع جرى في ٦ أيلول عام ١٩٤٤ في البيت الأبيض «تحويل ألمانيا إلى بلاد زراعية»(3).

أما في لندن فإنهم على العكس من ذلك، كانوا يتجهون إلى الإبقاء على القدرة الاقتصادية لألمانيا. كان تشرشل يسأل تكراراً آخذاً بعين الاعتبار

---

(١) آيزنهاور د. الحرب الصليبية في أوروبا: مذكرات عسكرية. موسكو، ١٩٨٠، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) Morgenthau H. Germany is our Problem. N.Y., L., 1945, p. 48.

(٣) ياكوفليف ن. ن. فراكلين روزفلت - الإنسان والسياسي. موسكو، ١٩٦٩، ص ٣٩٦.

تناسب القوى في أوروبا بعد الحرب: «ألا يجب أن نملك حاجزاً ما بين ثلوج روسيا البيضاء وصخور الدوفر البيضاء؟»[1]. لقد رأى هذا الحاجز في ألمانيا الإمبريالية. بيد أن تشرشل وقع بالأحرف الأولى مع روزفلت في ١٥ أيلول عام ١٩٤٤ على اتفاقية حول مستقبل ألمانيا، نصت على سلخ الرور والسار منها، والقضاء على فروع الصناعة الرئيسية فيها، وإقامة إشراف على الفروع المتبقية. وجاء في الوثيقة، أن البرنامج الأنغلو-أمريكي «يهدف إلى تحويل ألمانيا إلى بلاد تعمل في الزراعة وتربية الحيوانات قبل أي شيء»[2]. كانت إنكلترا موعودة بتقديم قرض لها بمبلغ ٦,٥ مليار دولار[3].

أُقرت (خطة مورغينتاو) دون مشاورات مع الاتحاد السوفييتي. وقد أبدى وزير الخارجية هيل بملاحظة لمورغينتاو في ٢٠ أيلول، أن مثل تلك القرارات المهمة لا يمكن أن تتخذ من وراء ظهر الاتحاد السوفييتي؛ لأن ذلك «يمكن أن يؤدي إلى تعقديات جدية»[4].

اندلع نضال ضار في واشنطن حول (خطة مورغينتاو). وقف وزيرا الخارجية هيل والحربية ستمسون ضدها بصورة حازمة، لم يكونا على اطلاع على مشروع الاتفاقية المعدة في وزارة المالية. دعم هيل في موقفه نائبه ستيتينيوس، ومساعده ن. روكفلر، والعاملون المسؤولون في الوزارة دان، وباسفولسكي، وبيرل، أما ستمسون - فدعمه نائبه ر. لوفيت ومساعد وزير

(١) Morgenthau H. Our Policy towards Germany. – New York post, 1947, Febr. 26.

(٢) Morgenthau H. Postwar, Treatment of Germany – Annuals of the American Academy of Political and Social Science, 1947, vol. 7, p. 126.

(٣) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، الجزء ٢، ص ٥٣١؛ والعلاقات السوفييتية-الإنكليزية...، الجزء ٢، ص ٤٥١.

(٤) FRUS, Diplomatic Papers. The Conferences at Malta and Yalta, 1955, p. 137.

الحربية المصرفي ماكلوي، المرتبط بصورة وثيقة مع (تشيز ناشنال بنك). كان ستمسون يأخذ بعين الاعتبار رأي رؤساء أركان القوات المسلحة في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، المعروض في عدد من الوثائق. أشارت اللجنة الموحدة لرؤساء أركان الولايات المتحدة الأمريكية في مذكرة لها مقدمة إلى وزير الخارجية في آذار عام ١٩٤٤ إلى أن «التطور الشاذ لـ (القدرة الروسية العسكرية والاقتصادية) هو عامل مهم بصورة استثنائية، وسيكون «له تأثير مرحلي في المستقبل»[1]. وبالإضافة لذلك، وجه الأدميرال ليغي في ١٦ أيار ١٩٤٤ باسم هذه اللجنة رسالة إلى وزارة الخارجية مثيراً اهتمامها كذلك بالنمو الكبير والسريع لقدرة الاتحاد السوفييتي الاقتصادية والعسكرية[2].

وجهت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان مذكرة أخرى أيضاً لـ ك. هيل تحت تأثير الهجوم الناجح للجيش السوفييتي في ٣ آب عام ١٩٤٤ جاء فيها، أنه سيكون من نتائج الحرب إقصاء ألمانيا واليابان كدولتين عسكريتين، وتغيير القدرة الاقتصادية للدول الرئيسية. سيحدث تطور واضح في تناسب القوى على المسرح العالمي: ستصبح الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي الدولتين الأكثر ضخامة، وستصبح قدراتهما العسكرية هائلة.ولن تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية هزيمة الاتحاد السوفييتي في حالة حدوث صدام، حتى ولو وقفت إلى جانبها الإمبراطورية البريطانية[3].

---

(١) FRUS, Diplomatic Papers. The Conference of Berlin (The Post dam Conference), 1945: vol. 1,2. Wash., 1960, vol. 1, p. 464.

(٢) FRUS, Diplomatic Papers. The Conferences at Malta and Yalta, 1945, p. 107-108.

(٣) Matloff M., Snell E. Strategie Planning for Coalition Warfare: vol. 1,2. Wash., 1953, 1959, vol. 2, p. 523-524.

أشار السفير ا. ا. غروميكو، عند إبلاغه مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في الاتحاد السوفييتي حول (خطة مورغينتاو) أن وجهتي نظر برزتا داخل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، إحداهما تقف إلى جانب نزع سلاح ألمانيا وحرمانها من الصناعة العسكرية، والثانية إلى جانب إضعافها اقتصادياً، وتصفية فروع الصناعة الأكثر أهمية فيها، وتحويلها إلى بلاد زراعية، وتقسيم العقارات الكبيرة إلى مزارع صغيرة، وإتاحة الإمكانية لـ ٣٠-٤٠ مليون نسمة للعمل في الزراعة[١].

أشار مورغينتاو في حديث معه أن عدداً كبيراً من الاتحادات الاحتكارية الأمريكية الضخمة يقف ضد خطته، لأن ذلك يحرم هذه الاحتكارات من إمكانية استثمار رساميلها في الصناعة الألمانية، «الأمر الذي تعقد عليه الرجاء، لأنه يعدها بأرباح مهمة في المستقبل»[٢]. أخذت كلٌّ من وزارة الخارجية ووزارة الحربية في الولايات المتحدة الأمريكية، هذه المسألة بعين الاعتبار ، ووقفتا بحزم ضد القضاء على الصناعة الثقيلة لألمانيا، وإلى جانب الحفاظ على قدرتها الصناعية[٣]. واعتبر الرئيس روزفلت بعد أن استلم مذكرتي هيل وستمسون اللتين كانتا تتضمنان مطلب رفض (خطة مورغينتاو) أن حججهما مقنعة، فلم تحصل على الموافقة.

---

(١) العلاقات السوفييتية-الأمريكية...، ص ٢، ٢٢٥-٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٣) انظر بالتفصيل إلى: كونوفالوف ا. ي. مؤتمر كيبيك - الولايات المتحدة الأمريكية- الاقتصاد والسياسة، والايديولوجيا، ١٩٨١، رقم ١١؛ نفس المصدر: موقف الولايات المتحدة حول المسألة الألمانية في مؤتمر كيبيك في أيلول عام ١٩٤٤ - في كتاب الحولية الأمريكية، ١٩٨١، موسكو، ١٩٨١، ص ١٨٧-٢٠٨.

أظهر المؤتمر مواقف مختلفة للمشاركين فيه حول بناء ألمانيا ما بعد الحرب، وبرز خلاف جدي في منطلقاتهم تجاه حل المشكلة الألمانية. استمرت دراسة هذه المشكلة في واشنطن ولندن بصورة مكثفة بعد كيبيك أيضاً. زار تشرشل موسكو في تشرين الأول، إذ تبادل مع القادة السوفييت الكثير من مسائل السياسة العالمية، وسرعان ما التقى بعد ذلك رؤساء حكومات الدول الثلاث في يالطا: ستالين، روزفلت، وتشرشل. استمر هذا اللقاء من ٤ إلى ١١ شباط عام ١٩٤٥.

تحركت القوات السوفييتية في ذلك الوقت باتجاه برلين، ولم يعد يفصلهم عنها سوى ٥٠٠ كم. ووصلت القوات إلى نهر الاودر، واستولت على سيليزيا. واستعدت لتوجيه ضربة قاصمة - البدء باقتحام برلين.. إن القيادة الإنكليزية - الأمريكية التي استفاقت من الضربة المعاكسة للفرق الألمانية في الآردن، استعدت للهجوم على الرور، وعلى القطاع الإيطالي من الجبهة - إلى الشمال - باتجاه روما.

أما العمليات القتالية في مسرح المحيط الهادي فقد انتقلت من الجزء الأوسط والجنوب الغربي من المحيط الهادي إلى جنوب بحر الصين، نحو شواطئ اليابان مباشرة. كانت القوات اليابانية مضطرة للتراجع في بورما كذلك. إلا أنه من الضروري الإشارة إلى أن القيادة اليابانية كانت تمتلك أكثر من ٥ ملايين جندي، وكانت تخطط لممارسة مقاومة عنيدة وطويلة للحلفاء سواء على أراضي اليابان نفسها أو على أراضي القارة الآسيوية. لذلك جاء في المذكرة الموضوعة من قبل الإدارات الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية الموجهة لروزفلت على أعتاب الاجتماع في يالطا: «إننا نحتاج للغاية إلى الاتحاد

السوفييتي في الحرب مع اليابان مع انتهاء الحرب في أوروبا»[1]. كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يملك عزماً قوياً للحصول في يالطا على التزام خطي من الاتحاد السوفييتي بدخوله الحرب في الشرق الأقصى[2].

التقى قائدا الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا في يالطا ٢ شباط وهما في طريقهما إلى القرم، وناقشا معاً خطة العمليات اللاحقة للقوات الإنكليزية- الأمريكية في أوروبا الغربية. ألحَّ تشرشل على تطوير هجوم واسع في القطاع الشمالي من الجبهة الغربية والاستيلاء على برلين بأسرع ما يمكن. كان يولي أهمية كبيرة بصورة استثنائية كي تكون القوات الإنكليزية بالذات هي أول من يستولي على العاصمة الألمانية. أما بالنسبة للعسكريين الأمريكان فكانت هناك وجهة نظر أخرى. وفي النتيجة تم الاتفاق على خطة تسوية تقضي بتوجيه ضربة في القطاع الشمالي من الجبهة الغربية، وخوض العمليات الأخرى - حسب رأي آيزنهاور.

بدأ مؤتمر يالطا في القرم ببحث الوضع على الجبهات. كان الجيش السوفييتي على آنذاك يتمركز على بعد ٦٠ كم من برلين، واستولى على عدد من رؤوس الجسور على نهر الاودر. أما قوات الحلفاء الغربيين فكانت على بعد ٥٠٠ كم عن عاصمة الرايخ. ناقش ممثلو هيئات الأركان العسكرية للاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا مسائل تتعلق بتنسيق الضربات ضد العدو من الشرق والغرب، وجرى الاتفاق على الخطط العسكرية، وتم التوصل إلى اتفاقية حول عمليات الطيران المتبادلة. كان ذلك يساعد على إنهاء الحرب بأسرع ما يمكن. أعار رؤساء الحكومات الثلاث بعد

---

(١) ياكوفليف ن. ن. فرانكلين روزفلت...، ص ٤٨٧.

(٢) تاريخ الدبلوماسية: في خمسة أجزاء، موسكو، ١٩٥٩-١٩٧٩، الجزء ٤، ص ٥٥٢.

ذلك اهتماماً كبيراً لمشاكل بناء ألمانيا بعد الحرب، والتي كانت قبل ذلك مادة لنقاشات طويلة في اللجنة الأوروبية الاستشارية. اقترح ممثل الولايات المتحدة الأمريكية فاينانت في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٤٤ عدم تحديد زمن احتلال ألمانيا أيضاً. أما الممثل الإنكليزي او. سترينغ المدعوم من فاينانت فاقترح إنشاء لجنة لدراسة مسألة تقسيم ألمانيا، فيما تحدث ممثل الاتحاد السوفييتي في اللجنة الأوروبية الاستشارية ف. ت. غوسيف حول ضرورة هزيمة ألمانيا الفاشستية، وتحرير شعوب أوروبا من الطغيان الهتلري، وإعداد الظروف لتحويل ألمانيا إلى دولة محبة للسلام وديمقراطية. وأشار بهذا الصدد إلى أهمية تصفية الجيش الفاشستي، والطيران، والأسطول، وتشكيلات وقطعات الـ س س، والـ س ا، والغستابو. ولقد أكد الممثل السوفييتي أن المسألة تنحصر «في كسر وتحطيم كل الآلة العسكرية للدولة الألمانية»(١).

صاغت اللجنة الأوروبية الاستشارية الوثائق حول استسلام ألمانيا دون قيد أو شرط، وحول إدارة (برلين الكبيرة)، والوضع المتعلق بمجلس الإشراف في ألمانيا. وقُدمت كل هذه الوثائق إلى رؤساء الحكومات الثلاث في يالطا للبحث.

تم الاتفاق في المؤتمر وإقرار المبادئ الأساسية للسياسة تجاه ألمانيا، وكانت تقضي بـ «القضاء على العسكريتارية الألمانية والنازية، وخلق ضمانة بألَّا يكون في استطاعة ألمانيا أبداً أن تنتهك السلم في العالم أجمع»(٢). وتمَّ

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٥٧.

(٢) السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في فترة الحرب الوطنية. وثائق مواد: من ثلاثة أجزاء. موسكو، ١٩٤٦-١٩٤٧، الجزء ٣، ص ١٠٢-١٠٣.

إقرار حل كل القوات المسلحة الألمانية ونزع السلاح منها، والقضاء على الأركان العامة، وتصفية الصناعة العسكرية، والتمسك بمبادئ تجريد ألمانيا من السلاح، وإزالة بقايا النازية منها، وإشاعة الديمقراطية فيها.

اقترح وفدا أمريكا وإنكلترا إدخال مسألة بناء ألمانيا المقبلة في جدول أعمال المؤتمر. وأبدى ي. ف. ستالين في جلسة رؤساء الحكومات المنعقدة في ٥ شباط اهتمامه بالاقتراحات المتعلقة بتقسيم ألمانيا. أيد روزفلت وتشرشل تجزئة ألمانيا. وعلى الرغم من ذلك أدخل رئيس الوزراء البريطاني تغييرات ملموسة في خطتهما.إذ اقترح إنشاء «دولة ألمانية كبيرة في الجنوب، يمكن أن تكون عاصمتها في فيينا»، وكان يتحدث كثيراً عن الرور والسار، وعن فصل بروسيا عن ألمانيا وتجزئتها[١].

أشار رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن مناطق الاحتلال المستهدفة، ربما ستصبح «الخطوة الأولى نحو تقسيم ألمانيا»، واقترح إدخال تقسيم ألمانيا في شروط استسلامها. أما تشرشل فأبدى الرغبة بإدخال كلمتي **(تقسيم ألمانيا)** في المادة ١٢ من شروط استسلامها دون قيد أو شرط. وبنتيجة النقاش المطرد تمَّ إقرار القيام بذلك وإنشاء لجنة مؤلفة من ممثلي الدول الثلاث من أجل متابعة دراسة مشكلة ألمانيا[٢].

---

(١) مؤتمر القرم لقادة الدول الحليفة الثلاث، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، ٤-١١ شباط ١٩٤٥: مجموعة وثائق، موسكو، ١٩٧٩، ص ٦٦.

(٢) مجموعة المعاهدات، والاتفاقيات، والاتفاقات المعمول بها، والمعقودة بين الاتحاد السوفييتي والدول الأجنبية. الإصدار ١-٣٧، موسكو، ١٩٢٢-١٩٨٢، الإصدار ١١، ص ٧٦-٧٧.

في ٢٦ آذار وجه الممثل السوفييتي في هذه اللجنة ف. ت. غوسيف رسالة إلى ايدين، جاء فيها أن الحكومة السوفييتية تفهم قرار مؤتمر القرم حول تقسيم ألمانيا لا كخطة حتمية لتقسيمها، وإنما كوسيلة ممكنة من أجل الضغط عليها، فيما إذا كانت الوسائل الأخرى غير كافية(١).

لقد تمَّ في المؤتمر إقرار مسألة إعطاء فرنسا مناطق الاحتلال في ألمانيا بصورة إيجابية، وكذلك مشاركة ممثلها في مجلس الإشراف. وبدءاً من تشرين الثاني عام ١٩٤٤، شاركت فرنسا في عمل اللجنة الأوروبية الاستشارية.

كما تمَّ في المؤتمر أيضاً، تحديد المبلغ العام لتعويضات الحرب مع ألمانيا - ٢٠ مليار دولار، و١٠ مليارات دولار من أصلها إلى الاتحاد السوفييتي، أما جباية التعويضات فاقتُرح أن تكون عينية.

استمر المشاركون في المؤتمر ببحث المسائل المرتبطة بإنشاء منظمة الأمم المتحدة، وتم الوصول إلى اتفاق حول مكان ومدة انعقاد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الأمم المتحدة، ووافق رؤساء الحكومات كذلك على نظام التصويت في مجلس الأمن - إذ أُقرَّ مبدأ إجماع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن في اتخاذ القرارات المهمة.

أقر كذلك «إعلان حول أوروبا المحررة» أكد ضرورة الحفاظ على وحدة الدول العظمى الثلاث في حل القضايا المهمة المرتبطة بتحرير الشعوب من الاحتلال الهتلري وإقامة أنظمة ديمقراطية فيها حسب الاختيار الخاص لهذه الشعوب(٢).

---

(١) تاريخ الدبلوماسية، الجزء ٤، ص ٥٦٣.

(٢) مؤتمر القرم...، ص ١٨٦-١٨٧.

كان «الإعلان عن أوروبا المحررة» وثيقة بارزة للمؤتمر، وكانت تلبي الأهداف المعادية للفاشستية والتحررية للحرب، وتضمن تأكيد مناصرة الدول العظمى الثلاث للمبادئ الديمقراطية، وعزمها على التنسيق السياسي بينها في قضية مساعدة الشعوب، وتحريرها من ألمانيا الفاشستية. أشير في البيان إلى ضرورة إعطاء الشعوب الحق في «إنشاء مؤسسات ديمقراطية حسب اختيارها الخاص» وفي التعاون مع الأمم الأخرى المحبة للسلام، واختيار الطريق الخاص بها فيما يتعلق بتطورها الاقتصادي والاجتماعي، وبناء علاقات حسن الجوار على أسس الاحترام المتبادل، وعدم التدخل، والتفاهم المشترك، أي مبادئ التعايش السلمي.

كان روزفلت وتشرشل كشخصيتين حكوميتين وسياسيتين خبيرتين مجبرين على أن يضعا توقيعهما في ذيل هذه الوثيقة التاريخية، بعد أن أخذا بعين الاعتبار واقع الوضع الدولي ومزاج شعوب أوروبا والرأي العام العالمي. لقد اعتبرا أنه من غير المفيد كشف أوراقهما حتى النهاية، ولذلك فإنهما لم يُلحَّا على إنشاء مجلس أمن للحلفاء في أوروبا أو لجنة عليا، كان يجب عليها، حسب أهدافهما أن تساعد على إعادة الأنظمة في البلدان المحررة، التي كانت سائدة هناك قبل الحرب العالمية الثانية. أمكن للدبلوماسية السوفييتية أن تمنع مخططات الحليفين هذه أوأن تحفظ ومن ثم البلدان المحررة من التدخل المباشر في شؤونها الداخلية. وهكذا، فقد تمت إعارة اهتمام كبير في مؤتمر طهران إلى عدة مسائل. شكلت حدود الدولة البولونية وتركيبة حكومة بولونيا المنبعثة مادة للنقاش الحاد في يالطا. صرَّح تشرشل، بأن الدولة البولونية كانت تقع على أراض بين (خط كيرزون) وخط نهر الأودر[1]. لم يبد روزفلت اعتراضات مبدئية. ونوقشت فكرة

(١) مؤتمر القرم لقادة الدول الحليفة الثلاث - الاتحاد السوفييتي، الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، ٢٨ تشرين الثاني - ١ كانون الأول عام ١٩٤٣، موسكو، ١٩٧٨، ص ١٦٧-١٦٨؛ وبيريجكوف ف. م. قرارات يالطا تجاه خصومها. -الولايات المتحدة الأمريكية - الاقتصاد، والسياسة، والإيديولوجيا، ١٩٨٥، رقم ٢، ص ٥٤-٦٠.

رئيس الوزراء البريطاني بصورة فعالة، وتمَّ طرح الكثير من الطرق، وعلى الأخص، ١٠ مشاريع مختلفة حول المسألة البولونية. وقف الاتحاد السوفييتي بصورة ثابتة إلى جانب إعادة تكوين بولونيا كدولة قوية، ومستقلة، وديمقراطية، وإقامة حدود حسب (خط كيرزون) وتشكيل حكومة صديقة للاتحاد السوفييتي. بيد أن حكومة المهجر اللندنية التي كانت تتألف من شخصيات رجعية مبنية على معاداة السوفييت بأقصى ما يمكن، وقفت ضد اقتراحات الاتحاد السوفييتي. وسارت على طريق خيانة مصالح الأمة البولونية، وانتهاج التخريب السياسي والدسائس المعادية للسوفييت، والاستفزاز ضد الاتحاد السوفييتي. وفي النتيجة، تم قطع العلاقات الدبلوماسية عام ١٩٤٣ بين الاتحاد السوفييتي وحكومة المهجر. كان الشعب البولوني، من جانب آخر يخوض نضالاً وطنياً-تحررياً فعالاً في سبيل إحياء الدولة المستقلة. وقفت لجنة التحرر الوطني البولونية إلى جانب إعادة البناء الديمقراطي للمجتمع، ودعت إلى تصفية الملكية الزراعية الكبيرة، وتحقيق الإصلاح الزراعي، وأعلنت عن السياسة الخارجية الأساسية لها، القائمة على التحالف والصداقة مع الاتحاد السوفييتي. إن حسابات حكومة المهجر في لندن حول إعادة النظام البرجوازي في بولونيا منيت بالفشل، وتمَّ رفضها من الشعب.

لكنَّ حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى مارستا ضغطاً شديداً على الاتحاد السوفييتي، كي تستخلصا منه الموافقة على عودة حكومة المهجر إلى بولونيا، والاعتراف بسلطتها على المناطق البولونية التي حررها الاتحاد السوفييتي.

كانت الدبلوماسية الأمريكية، مثلها مثل البريطانية تبدي نشاطاً كبيراً في هذه المسألة، وكان السفير ا. هاريمان، منطلقاً من إرشادات واشنطن، يعيد طرح القضية البولونية في كل زيارة له إلى الكريملين. لقد قال او. لورانس في محادثة مع مراسل صحيفة (نيويورك تايمز) في سياق تعرضه لحدود الدولة

البولونية الشرقية، أن **(خط كيرزون)** يتوافق أكثر من أي شيء مع التقسيم الإثنوغرافي، وأشار بعد ذلك، إلى أن الشخصيات المهاجرة في لندن تعلق آمالاً كبيرة على الأمريكان والإنكليز، وينتظر الأرستقراطيون البولونيون منهما إعادة الأنظمة السابقة ما قبل الحرب إلى بولونيا. «إنهم لا يثقون بالاتحاد السوفييتي بصورة عضوية، ويكرهون الشيوعية... ويفكرون، بأن المستقبل الوحيد لبولونيا يكمن في أن تقوم بريطانيا العظمى والولايات المتحدة بشن حرب ضد روسيا، للدفاع عن بولونيا»[1]. وعندما طُرحت القضية البولونية للنقاش في مؤتمر القرم، وقف روزفلت إلى جانب **(خط كيرزون)** وعبر عن الأمل بأن «علاقة بولونيا مع الدولة السوفيتية ستكون ودية في أكثر الحالات»[2]. ولقد أيده او. تشرشل[3]. لكن ذلك لم يكن يعني غياب الخلافات بين المشاركين في مسألة تركيبة الحكومة البولونية. وقف رئيسا الوفدين الأمريكي والإنكليزي بصورة سلبية من الحكومة البولونية المؤقتة، ورفضا الاعتراف بها، وحاولا إجبار البولونيين على القبول بحكومة تُرضي الدول الغربية عن طريق إدخال الشخصيات السياسية البولونية المشبوهة فيها من خارج الحدود.

تمَّ التوصل إلى اتفاقية في سياق النقاشات. وجاء في الوثيقة الختامية أن: الحدود الشرقية لبولونيا ستقع على طول **(خط كيرزون)**، وستحصل الدولة البولونية على أراض إضافية في الشمال وفي الغرب، ويجب أن يتم إعادة تنظيم الحكومة المؤقتة على أساس ديمقراطي وواسع جداً[4]. اتخذ المؤتمر قرارات مهمة

---

(١) Harriman A. ; Abel E. Special Envoy to Churchill and Stalin, 1941-1945. N.Y., 1975, p. 290-291.

(٢) مؤتمر القرم...، ص ٩٧-٩٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٨-٩٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٨-٢٢٠.

حول مسألة الشرق الأقصى، وتم توقيع اتفاقية حول دخول الاتحاد السوفييتي الحرب ضد اليابان بمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر بعد هزيمة ألمانيا. اشتُرط في هذه الاتفاقية الحفاظ على النظام الأساسي لجمهورية منغوليا الشعبية، واستعادة الحقوق التي كانت تعود إلى روسيا، والتي انتهكت بصورة غادرة بهجوم اليابان عام ١٩٠٤، وإعادة جزر كوريل إلى الاتحاد السوفييتي. كان للولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا مصلحة بصورة خاصة في إعلان الاتحاد السوفييتي الحرب على اليابان. فحسب رأي عدد من الخبراء، لأن التدخل المخطط له للقوات الأمريكية-الإنكليزية في أراضي اليابان كان يمكن أن يكلف نحو مليون من الأرواح الإنسانية[١]. كان الجنرالات الأمريكان يخشون أن تتم إعادة القوات الأساسية لجيش كوا بتوب في اللحظة الحرجة من منشوريا إلى اليابان[٢]. كان يعني توقيع الاتفاقية حول دخول الاتحاد السوفييتي الحرب في الشرق الأقصى بعد إنجاز هزيمة ألمانيا، تسريعاً لهزيم العسكريتاريا اليابانية، وتصفية بؤرة الحرب، ومساعدة شعوب آسيا في نضالها التحرري ضد المحتلين اليابانيين، ولأجل الاستقلال الوطني والسيادة. احتل مؤتمر القرم مكاناً مهماً في تاريخ العلاقات الدولية أعوام الحرب العالمية الثانية. كانت تتضمن وثائقه المقررة برنامجاً لبناء العالم الديمقراطي بعد الحرب. وأثناء مناقشة عدد من المسائل كانت تظهر بين المشاركين خلافات، كانت تنشب نقاشات حادة. بيد أن المؤتمر بصورة عامة كان منطلقاً واقعياً وعقلانياً بصفة خاصة لحل المسائل المهمة جداً للسياسة العالمية. سادت عمل المؤتمر روح التعاون، وسعي المشاركين فيه لاتخاذ القرارات المقبولة من الجميع.

(١) Churchill W. The Second World War: vol. 1-6. L., 1949-1954, vol. 6, p. 552. United States Resolutions with China. Wash., 1949, p. VIII.

(٢) United States Resolution with China, p. 115.

أعلن الرئيس روزفلت وهو يتحدث في ١ آذار عام ١٩٤٥، مقيماً سير المفاوضات ونتائجها: «لم يكن هناك حدث في التاريخ أبداً، أن أظهر رؤساء الحلفاء تلك الوحدة، ليس فقط في أهداف الحرب، وإنما في نظراتهم إلى السلم»[١]. لقد سمى الرئيس في ذلك الخطاب القرارات المتخذة من قبل المشاركين في المؤتمر حول المسألة البولونية بـ «المثال البارز على العمل المشترك لرؤساء الدول الحليفة الثلاث في المناطق المحررة»، وأشار وهو يتحدث عن المنظمة الدولية المقبلة إلى أن إنشاءها «يجب أن يضع نهاية لنظام الأعمال وحيدة الجانب، والتحالفات المغلقة، ومجالات التأثير، وسياسة توازن القوى، وكل الوسائل الأخرى التي... كانت تمنى دائماً بالفشل»[٢]. وباهتمام كبير في الكونغرس تم الاستماع إلى كلمة الرئيس وإلى نتائج عمل مؤتمر يالطا وقراراته، وقرر الكونغرس بالإجماع الموافقة عليها. ولقد نشرت الصحافة الأصداء الحماسية الناتجة عن المؤتمر.

سعى وزير الخارجية اي. ستيتينيوس وهو يتحدث عن عمل المؤتمر لإثبات أن الاتحاد السوفييتي... قام بعدد من التنازلات أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى» في سياق المفاوضات. كانت النتائج الرئيسية للمؤتمر في يالطا هي الاتفاقية «التي كانت تسرّع بنهاية الحرب، والتي تقلل إلى درجة كبيرة الخسائر الأمريكية»، وكذلك في أن هذا المؤتمر «خلق الإمكانية لإنشاء منظمة الأمم المتحدة»[٣]. تحدث المستشار المقرب والصديق الشخصي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري هوبكينز أن: «الروس برهنوا، أنهم يستطيعون أن يكونوا

---

(١) Foreign Affairs, 1955, July, p. 617.

(٢) Harriman V. A. America and Russia in Changing World A Half Century of Personal Observation, Garden City (N.Y.), 1971, p. 35.

(٣) Stattinius E. R. Roosevelt and Russia. The Yalta Conference. N.Y., 1949, p. 295, 306.

حكماء، وذوي نظر بعيد، ولم يكن لدى الرئيس، كما لدينا جميعاً أيضاً أي شك، بأننا نستطيع أن نعيش معهم، وأن نتعاون...»[1].

تعرضت اتفاقية يالطا أكثر من مرة للتهجمات من جانب علماء التاريخ الغربيين. البعض منهم يحاول التأكيد، أن الاتحاد السوفييتي استطاع في المؤتمر أن يجبر الولايات المتحدة وانكلترا على قبول شروطه بسبب مرض روزفلت وضعف المواقع البريطانية. والبعض الآخر يشيع رواية أن قرارات يالطا كانت مقبولة، إلا أن الاتحاد السوفييتي انتهكها في أعوام ما بعد الحرب. ويمكن سماع تأكيدات تفصيلية من الشخصيات الرسمية - رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ر. ريغان، ونائب الرئيس ج. بوش. وهم يجرون تصارعاً في بون، وباريس وغيرها من العواصم الأوروبية الغربية، أن قرارات يالطا تني كما زعموا «انقسام أوروبا ويجب رفضها». إن وراء كل هذه الأحاديث تختفي نوايا ومقاصد السياسيين والإيديولوجيين الغربيين بالقضاء على البناء الاشتراكي في دول شرقي أوروبا. وفي الواقع لا يوجد أي مشكلة متعلقة بانقسام في أوروبا، إنما الحديث يجري عن إمكانية أو عدم إمكانية التعايش السلمي، والتعاون المتبادل النفع للدول ذات الأنظمة الاقتصادية -الاجتماعية المختلفة.

إن حيوية قرارات مؤتمر يالطا مثبتة في كل سير الأحداث في أعوام ما بعد الحرب، وهي الآن أيضاً تحقق ما قامت من أجله، وهي مصدر الحقوق الدولية المعاصرة، وأساس متين لا للعلاقات بين الدول في أوروبا فقط، وإنما في الشرق الأقصى أيضاً.

---

(١) Adams H. Harry Hopkins. A Biography. N.Y., 1977, p. 380.

الفصل السادس عشر

المرحلة الختامية من الحرب

١ - المشاكل الاقتصادية والسياسية:

حافظ المستوى العام للاقتصاد الأمريكي على ارتفاعه في النصف الأول من عام ١٩٤٥، إذ أُنتج ما مقداره ١٣٩,٩ مليار كيلو واط ساعي من الطاقة الكهربائية، وتم استخراج ٢٩٣,٣ مليون طن من الفحم الحجري، و١١٧,٥ مليون طن من النفط، و ٤٤,٩ مليون طن من فلز الحديد، كما تم سبك ٣٩,١ مليون طن من الفولاذ، و ٢٦,٩ مليون طن من الحديد الصب، و٢٧٠,٨ ألف طن من الألمنيوم. كان الوزن النوعي لإنتاج الأسلحة والتكتيك العسكري كبيراً، على الرغم من ظهور نزعة لتقليص حجمه العام، ففي النصف الأول من عام ١٩٤٥ تم إنتاج ٣٠,٢ ألف مدفع، و١١,٣ ألف دبابة، و ٣٨,٤ ألف طائرة، و ٩٢ سفينة حربية[١].

وبلغ عدد الشركات التي تعمل على بناء الأسطول التجاري ٨٠ شركة. ولقد تخطى حجم الأسطول التجاري الأمريكي حتى عام ١٩٤٤ الأسطول البريطاني بـ ٢,٥ مرة[٢].

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً، موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢، الجزء ١٠، ص ٤٢١، و٤٢٤.

(٢) روزنفيلد يا. س. صناعة الولايات المتحدة الأمريكية والحرب، موسكو، ١٩٤٦، ص ٢٢٣-٢٢٦.

وعلى الرغم من أن الأجرة الاسمية للعمال ارتفعت في ظروف حالة الأسواق الحربية، تخلفت الأجرة الواقعية بصورة محسوسة عن الزيادة في الأسعار. لذلك استمر العمال بالنضال ضد هجوم الاحتكارات، ففي النصف الأول من عام ١٩٤٥ جرى ٢٣١٠ إضراب بمشاركة ١٢٥٠ ألف عامل ومستخدم.

وفي ربيع العام نفسه أضرب عمال المناجم في بنسلفانيا، وألاباما، وفرجينيا الغربية، مطالبين بزيادة الأجور(١)، وامتدت الإضرابات لتشمل ديترويت. وفي أيار انخرط في النضال أكثر من ٢٠٠ ألف بحار من بحارة الأسطول التجاري، الذين طالبوا بالحفاظ على مستوى الأجور نفسه في أعوام الحرب، ودفع تعويضات مالية في حالة التسريح من العمل، وأخذت النقابات تطرح في كثير من الأحيان شعار «لا يوجد اتفاق - لا يوجد عمل».

كان يمكن للحركة العمالية أن تأخذ أبعاداً واسعة بصورة أكبر، لولا الحملات التي قامت من أجل السلم الطبقي في الصناعة. إذ تمَّ إنشاء ما يسمى مجالس العمال وأرباب العمل برئاسة ممثل الاحتكارات ت. كوين. وبلغ عددها حتى نهاية عام ١٩٤٤ ما مجموعه ٤٨٨١ مجلساً. وقد لعبت هذه المجالس دوراً في تقوية الأوهام الإصلاحية لدى الطبقة العاملة من خلال المساعدة على الإنتاج الحربي بصورة محددة وتسوية نزاعات العمل.

في ٢٨ آذار عام ١٩٤٥ وقع ممثلو الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية مع ممثلي الصناعيين اتفاقية حول التخلي عن الإضرابات في فترة ما بعد الحرب.

---

(١) تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية: في جزأين، موسكو، ١٩٧٠-١٩٧١، الجزء ٢، ص ١٠٦.

وفي هذا السياق سادت الأمزجة الإصلاحية، القوية بصورة عامة في الحركة العمالية الأمريكية في نهاية الحرب، الأمر الذي انعكس على نشاط الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي كان عليه أن يجتاز امتحاناً صعباً بذنب مجموعة أي. براودير الانتهازية اليمينية. لم تكن الأزمة في الحزب ظاهرة عفوية، بل كانت مرتبطة بازدياد قوة تأثير الإيديولوجيا البرجوازية في الحركة العمالية. إن شعار «الوحدة الوطنية»، وتخلي النقابات عن الإضرابات، كل ذلك خلق ظروفاً ملائمة للدعاية إلى «السلم» و«التعاون» من قبل إيديولوجيي البرجوازية.

لعب العامل الذاتي دوراً غير قليل في ذلك أيضاً، فعلى امتداد سنوات طويلة كان الشيوعيون يتعرضون للملاحقات والقمع. وفي ٢٧ آذار عام ١٩٤١ تم اعتقال اي. براودر وحكم عليه بالسجن لمدة أربعة أعوام كرئيس للحزب الشيوعي، وفي أيار عام ١٩٤٢ وبإيعاز من روزفلت تم تحريره. وفي أيلول من عام ١٩٤٢ أصدر براودر كراساً عرض فيه آراءه الانتهازية من خلال اعترافه بتعاون الطبقات لا في أوقات الحرب فقط، وإنما بعد انتهائها. وفي تشرين الأول من عام ١٩٤٣ وبمشاركة فعالة من براودير وبضغط منه اتخذت رابطة الشبيبة الشيوعية قراراً بحل نفسها ذاتياً وإنشاء منظمة جديدة - «الشبيبة الأمريكية لأجل الديمقراطية».

وفي ١٢ كانون الأول عام ١٩٤٣ دعا براودر وهو يلقي خطاباً في مدينة بريجبورت (ولاية كونيكتيكوت) إلى اتباع سياسة «التعاون الطبقي»، وفي كانون الثاني عام ١٩٤٤ دافع في الاجتماع الموسع للجنة الوطنية للحزب الشيوعي الأمريكي عن شعار «الوحدة الوطنية»، مؤكداً أن الاختلافات

الطبقية والحزبية السياسية لا تحوز أية أهمية[1]. ولقد أدلى براودر برأيه في خطاب في اجتماع جرى في ميديسون سكنير غاردن في ١٠ كانون الثاني حول إعادة تنظيم الحزب. وفي ٢٠ من كانون الثاني تحدث او. فوستر في اللجنة الوطنية للحزب وأدان بحزم الممارسات الضارة والخطرة لبراودر، كما أنه وجد انتقاداً حاداً من جديد لأفكاره في الاجتماع الموسع للجنة الوطنية الذي جرى في ٨ شباط، مشيراً إلى فهمه غير الصحيح لشعار «الوحدة الوطنية». وصف فوستر خط براودر بالانتهازي والاستسلامي، بيد أن الكثير من أعضاء اللجنة الوطنية لم يؤيدوا فوستر. كان غيس هول، وهنري وينستون وغيرهما يؤدون خدمتهم في الجيش، فنشأ وضع صعب. وهكذا في ٢٠ أيار عام ١٩٤٤ اقترح براودر في المؤتمر الـ ١٢ للحزب الشيوعي الذي اشترك فيه ٤٠٠ عضو، والمدعوم من أكثرية المشتركين، حل الحزب وإنشاء جمعية سياسية شيوعية مكانه. وبالمحصلة تمت تصفية الحزب الشيوعي، وأقرت الجمعية التي حلَّت محلَّه بياناً ونظاماً بروح الديمقراطية البرجوازية.

وقد دفعت الإجراءات السابقة بعض قدماء الحزب، الذين وعوا وبال القرارات الصادرة عن المؤتمر الـ ١٢ للحزب الشيوعي، للنهوض من أجل النضال ضد انتهازية براودر وأنصاره، من أجل إعادة الحزب الشيوعي. ولعبت رسالة جاك دوكلو أحد قادة الحزب الشيوعي الفرنسي التي نُشرت في عدد نيسان في المجلة النظرية للحزب الشيوعي الفرنسي «كايي دي كمونيزم» عام

---

(١) Communice, 1944, Jan., p. 8;

ومراحل التاريخ النضالي: ٦٠ عاماً على الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، عام ١٩٨٣، ص ١٦٤-١٦٩.

١٩٤٥ دوراً كبيراً بهذا الخصوص. إذ تمَّ في هذه الرسالة توجيه انتقاد حاد لآراء وممارسات براودر، وتبيان النهم والتأويل غير الصحيحين من قبله لشعار «الوحدة الوطنية»، والتنافس الكامل لنظرية الصراع الطبقي. لقد سار كلٍّ من براودر وأنصاره الذين وقفوا إلى جانب «السلم الطبقي» الطويل في الولايات المتحدة الأمريكية وإقامة انسجام بين العمل ورأس المال كما تمَّ التنويه إليه في الرسالة على طريق تحريف الموضوعات الأساسية في الماركسية(١).

وفي ٢٠ أيار عام ١٩٤٥ جرت مناقشة مقالة جاك دوكلو في اجتماع اللجنة السياسية للجمعية، وتمت إدانة الخط التحريفي لبراودر وأنصاره، واتُّخذ القرار بتشكيل الحزب الشيوعي.

أعادت صحيفة «ديلي ووركر» نشر مقالة جاك دوكلو في ٢٨ أيار عام ١٩٤٥، وفي ٢٦ تموز عقد في نيويورك المؤتمر الـ ١٣ للحزب الشيوعي الأمريكي. ولقد حلل او. فوستر الوضع الذي نشأ في الحزب، وكشف الأسباب التي أدَّت إلى حلِّ الحزب، ووجَّه نقداً لآراء براودر المعادية للماركسية، أيده في ذلك يو. دينيس، وب. ديفيس، و اي. فلين ، وج. فورد، و ج. غرين، ور. تومسون، وج. ويليامسون وغيرهم.

أدان المؤتمر البراودرية كتيار انتهازي تحريفي، واتخذ قرار بالإجماع حول إعادة بناء الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتمَّ انتخاب أو. فوستر رئيساً له، و يو. دينيس أميناً عاماً.

أضعفت الأزمة السياسية في الحزب تأثيره في الحركة العمالية والنقابية، وفي نقابات كونغرس النقابات الإنتاجية على وجه الخصوص، التي تشوشت فكرياً.

---

(١) مراحل التاريخ النضالي، ص ١٦٤-١٧٣.

وقد ساهم في ازدياد الوضع تعقيداً، أن هذه الأحداث جرت في فترة ازدياد نشاط القوى المحافظة، التي صعّدت من هجومها ضد الطبقة العاملة ومطالبها. ففي الأشهر الأولى من عام ١٩٤٥ جرت مناقشات لمشاريع قوانين مناهضة للنقابات في هيئات تشريعية لـ ١٧ ولاية، وبعد ذلك في ٢١ ولاية[1].

وفي ١ تموز عام ١٩٤٥ ترأس وزارة العمل السيناتور السابق ل. شفيلينباخ، المعروف بآرائه المحافظة. والذي طالب النقابات والعمال بعدم الإضراب والتمسك بـ «الوحدة الوطنية» في فترة نقل الاقتصاد إلى الإنتاج السلمي، معتبراً أن نزاعات العمل ظاهرة قبيحة[2]، واقترح السيناتور ا. فاندنبرغ في رسالة له وجهها إلى وزير العمل في ٣٠ تموز عام ١٩٤٥ إجراء مؤتمر لممثلي النقابات وأرباب العمل، والاتفاق حول إقامة «السلم الطبقي» في الصناعة وحظر الإضرابات.

كتب فاندنبرغ أن «النقابات تعرف أن الإضرابات غير المسؤولة والأعمال المقوضة في فروع الإنتاج المهمة تشكل خطراً قاتلاً...»[3].

كان «السلم» في الصناعة، وتخلي العمال عن الإضرابات في المرحلة الختامية من الحرب، وفي فترة التحضير للانتقال بالاقتصاد إلى الإنتاج السلمي، أمراً ضرورياً بالنسبة للطبقة الحاكمة بصفة خاصة. وكانت مسألة تأمين العمل للجنود المسرّحين، وكذلك للعاملين في الصناعة العسكرية تكتسب أهمية

---

(١) سيفاتشيف ن. ف. السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٧٤، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٩.

(٣) استشهاد من: تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت المعاصر، الجزء ٢، ص ١٧٢.

ملحّة جداً. وتبقى حية في ذاكرة الكثير من الأمريكيين القلاقل الاجتماعية التي اندلعت بعد الحرب العالمية الأولى.

انهمكت المنظمات الحكومية، والاجتماعية، والخاصة، والنقابات، وجمعيات أرباب العمل، ولجان غرفتي الكونغرس، ومختلف إدارات ومصالح الإدارة الفدرالية، انهمكت جميعها في إعداد البرامج المتعلقة بالتطوير لفترة ما بعد الحرب. وانطلقت الحملة على النطاق الفدرالي وعلى مستوى الولايات كذلك، واستخدمت فيها بفعالية وسائل الإعلام الجماهيرية، التي كانت ترسم لوحات قاتمة للأزمة الاقتصادية الجديدة، والبطالة المرافقة لها دائماً. إذ لاحظت مجلة «فورتشون» في تشرين الأول عام ١٩٤٣ أن «مرحلة التسريح الواسع من الجيش تتواكب بصورة حتمية مع خطر البطالة الجدية الواسعة». وكان شعور التضامن، والاستعداد للأعمال الحازمة متطوراً لدى المحاربين القدماء، ولقد أنذر عضو الكونغرس غ. فيش بأنه إذا لم يتم توفير ظروف الحياة الطبيعية لهم، فإن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تصطدم بـ«الفوضى» ونشوء «حالة ثورية»[١].

لقد نبه رئيس «جنرال موتورز» منذ مؤتمر الجمعية الوطنية للصناعيين، الذي عُقد في نيويورك في كانون الأول عام ١٩٤٣ على أنه من الضروري تأمين العمل للجميع، وعدم السماح بالبطالة الواسعة، وإلا فإن «النظام الرأسمالي المبني على الملكية الخاصة سيحل مكانه نظام من الاشتراكية بهذا الشكل أو بآخر»[٢]. وهكذا أخذت إدارة الديمقراطيين منذ لحظة الانعطاف الجذري في الحرب تولي اهتماماً لمسألة الانتقال للاقتصاد الصناعي المدني. ففي نيسان عام ١٩٤٣ بدأت إدارة الإنتاج العسكري بدراسة هذه المسألة. وفي نهاية عام ١٩٤ اشتغل على هذه

---

(١) Congressional Record, vol. pt 3, p. 4327.

(٢) Harper's Magazine, 1944, Febr., p. 200.

المسألة أيضاً عضوان من مجلس الشيوخ ب. باروخ و ج. هينكوك ، وفي منتصف شباط عام ١٩٤٤ تم الانتهاء من كتابة التقرير، وجاء فيه، أن نقل الصناعة الحربية إلى المجالات السلمية مرتبط بصعوبات كبيرة، ويجب الاستعداد لذلك مسبقاً[١]. وفي ١٣ حزيران تمت مناقشة نقل الاقتصاد إلى المجال المدني في اجتماع إدارة الإنتاج العسكري.

قدم رئيس إدارة التعبئة العسكرية ج. بيرنس تقريراً إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ٧ أيلول عام ١٩٤٤ حول نقل الاقتصاد الحربي إلى المجال المدني. وتم في التقرير الأخذ بعين الاعتبار اقتراحات وتوصيات عدد من لجان وزارتي الحربية والبحرية. أكدت هذه الوثيقة ضرورة تحويل المصانع الحربية إلى الإنتاج السلمي، وتقليص مدة أسبوع العمل، وإلغاء الضرائب على المداخيل الكبيرة.

سعى الصناعيون وأعضاء الكونغرس أثناء تحضيراتهم لنقل الاقتصاد إلى المجال المدني لتبيان موقف النقابات ومطالبها. وفي هذا السياق وجه رئيس الجمعية الوطنية للصناعيين ف. كروفورد في ٢٣ كانون الأول عام ١٩٤٣ رسالتين إلى كل من رئيس الفدرالية الأمريكية للعمل ورئيس كونغرس النقابات الإنتاجية او. غرين و ف. ميريو، أوصى فيهما بعقد مؤتمر لممثلي المنظمات المهتمة بمشاكل ما بعد الحرب، وذلك في شباط عام ١٩٤٤. وفي هذا السياق اقترح السيناتور الجمهوري هـ. فيرغيوسون (ولاية ميتشيغان) على ف. ميريو في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٤٣ اللقاء في بطرسبورغ من لمناقشة المسائل المرتبطة بالتعاون بين أرباب العمل والنقابات بعد الحرب.

---

(١) Nelson D. Arsenal of Democracy. The Story of American war production. N. 1946, p. 393.

شكلت اللجنة التنفيذية لكونغرس النقابات الإنتاجية لجنة خاصة بقيادة ر. وولشيم، كُلِّفت إعداد التدابير اللازمة من أجل التحضير لنقل الاقتصاد إلى المجال السلمي، وفي كانون الثاني عام ١٩٤٤ أقامت لجنة الأعمال السياسية مؤتمراً استمر نحو أسبوعين لمناقشة مشكلة العمالة، وتمَّ طرح برنامج واسع لبناء بيوت السكن، والطرقات، والمطارات... الخ. كما اقترحت لجنة كونغرس النقابات الإنتاجية المتعلقة بمسائل العمالة وتلافي البطالة بعد انتهاء الحرب تقليص أسبوع العمل إلى ٣٠ ساعة، وتقدَّم قسم اتحادات عمال البناء بخطة لبناء منازل سكنية جديدة.

في ٢٩ آذار عام ١٩٤٤ طرح السيناتور الديمقراطي هـ. كيلغور (عن ولاية فرجينيا) في مجلس الشيوخ مشروع قانون حول تأمين العمل للجنود المسرحين من الخدمة وتعليمهم مهناً جديدة. ولقد أيَّدت الفدرالية الأمريكية للعمل وكونغرس النقابات الإنتاجية وأخوية عمال السكك الحديدية كيلغور. بيد أن ممثلي الاتحادات الاحتكارية الضخمة وقفوا ضد هذا الاقتراح. وفي تشرين الأول عام ١٩٤٤ أُقرّ مشروعَ قانون كيلغور الكونغرسُ على الرغم من شكله المخفَّف بصورة شديدة[١].

وفي كانون الأول وجه السيناتور ميري بالاشتراك مع ترومان تقريراً إلى لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الحربية متعلق بمسائل نقل الاقتصاد إلى المجال السلمي وتأمين العمالة الكاملة، اقترح فيه إقرار قانون حول تأمين العمل للسكان، وتم وضع هذا الواجب على عاتق الدولة.

---

(١) انظر بالتفصيل: ليخاتشوف اي. ف. عند منابع السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب - التاريخ الجديد والمعاصر، ١٩٧١، الرقم ٤، ص ١١٠.

أيَّد العمال مشروع القانون، لكن الجمعية الوطنية للصناعيين، وغرفة التجارة، وممثلي الرأسمال الكبير وقفوا ضد مشروع القانون، مصرِّين في ذلك على الحدِّ من حقوق العمال في الإضراب، ورفض تثبيت الحد الأدنى للأجور ومبدأ العمالة الكاملة، واعتبروه مقوِّضاً لمبادئ عالم الأعمال الحر.

وقد احتدمت الناقشات مطوَّلاً حول مشروع القانون في الكونغرس، وامتدت من إذ الجوهر، حتى إقرار الوثيقة حول العمالة في عام ١٩٤٦. كانت لجان مجلس الشيوخ والنواب تدرس في الوقت نفسه مشاكل نقل الاقتصاد إلى المجال السلمي، لكن اقتراحاتها لم تجذب اهتمام أعضاء الكونغرس. وبما أن الحرب كانت مستمرة أيضاً، فإن ممثلي الاتحادات الاحتكارية كانو مهتمين بصورة أكبر بالعقود والطلبيات العسكرية، التي وصلت في ٣١ آذار عام ١٩٤٤ إلى ٢١ ألف للجيش، و٤ آلاف للأسطول[١]. وظهرت آنذاك مسألة آلية التصرف مع هذه العقود، إذ دعا رئيس «جنرال موتورز» تش. ويلسون في كلمته التي ألقاها في كانون الثاني عام ١٩٤٤ في اجتماع جمعية الارتباط بين الجيش والصناعة، إلى تطوير الاقتصاد الحربي[٢]. ووقف ممثلو الإدارات العسكرية كذلك ضد تقليص الصناعة الحربية وتوصلوا إلى إقرار قانون حول فريضة العمل الشاملة.

لقد طلب روزفلت في رسالته إلى الكونغرس المؤرخة بتاريخ ٢ كانون الثاني عام ١٩٤٥ الموافقة على مشروع قانون حول فريضة العمل الشاملة، التي تقضي بتثبيت العمال بمعامل الصناعة العسكرية. وفي ١ شباط أقر مجلس النواب مشروع القانون هذا، لكن بحثه في مجلس الشيوخ تأخر بعض الشيء. اقتربت

(١) Yong R. Congressional Politics in the Second War. N. Y., 1956, p. 200.

(٢) New York Herald Tribune, 1944, Jan. 20.

نهاية الحرب، ولم يتم إقرار هذا المشروع احتلت مكاناً مهماً في المناقشات حول نقل الاقتصاد إلى المحال السلمي مسألة كيفية التعامل مع المعامل المبنية من قبل الدولة أثناء الحرب، والتي أنفقت عليها أكثر من ١٧ مليار دولار. اقترح السيناتوران باروخ وهينبوك بيعها بسعر بخس للاتحادات الاحتكارية، وتمت الموافقة على ذلك من قبل الكونغرس. باعت الدولة هذه المعامل إلى ٢٥٠ احتكاراً كبيراً بمبلغ يصل مقداره إلى ٦٠ % من قيمته الاسمية.

وفي ذلك الوقت كان الائتلاف المعادي للهتلرية يخوض قتالاً هجومياً في ألمانيا موجهاً ضرباته الأخيرة لقواتها المسلحة. فمن ٨ شباط إلى ٢٢ آذار حررت الجيوش الأمريكية - الإنكليزية المنطقة الواقعة بين الرين والماس، ووصلت إلى الشاطئ الأيسر من الريف. استعد الحلفاء بصورة متقنة لاجتياز الرين. كان طيرانهم يدك الشاطئ الشرقي. وخلال أسبوع تم القيام بـ ١٥ ألف غارة جدية تقريباً من قبل قاذفات القنابل الثقيلة، و٧ آلاف غارة بقاذفات قنابل متوسطة، وأكثر من ٣٠ ألف طلعة قتالية من قبل المطاردات. وفي ليل ١٣ آذار بدأ عبور هذا الحاجز المائي، وأطلقت المدفعية خلال الليل بأسره عاصفة من النيران. ولكن، وكم كانت دهشة الحلفاء عندما لم تصادف الفرق الأمريكية أثناء عبورها الرين أي مقاومة جدية مهما كانت. بلغت خسائر المهاجمين ٣١ شخصاً[1]. وفي صباح ٢٤ آذار ظهر الأسطول الجوي الجبار الذي كان يتألف من ٨٨٩ طائرة مطاردة، و ١٦٩٦ طائرة نقل، و١٣٤٨ طائرة نقل شراعية، شرقي الرين، وقام بإنزال ٢١٦٨٠ جندي هناك. وفي الوقت نفسه قامت ٣٤١٧ قاذفة قنابل بالإغارة على المطارات، والجسور، ومحطات السكك الحديد في ألمانيا. كان الجيش الهتلري ينسحب بعجلة دون أن يبدي مقاومة جدية، وكانت قوات

(١) ماكدونالد تش: الامتحان الصعب، موسكو، ١٩٧٩، ص ٣٧٣-٣٧٤.

الحلفاء تتقدم بحدود ٤٠ كم في اليوم، وأسرت خلال آذار ٣٥٠ ألف شخص. لقد تذكر الجنرال أو. بريدلي قائلاً: إن «قواتنا تقدمت من الرين إلى الألب، دون أن تلتقي في طريقها سوى الأعلام البيضاء أو المستسلمين»(١).

كانت القيادة الفاشستية تفتش في الوقت نفسه عن إمكانية توقيع صلح منفرد مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى، وتركيز كل قواها ضد الجيش السوفييتي المهاجم. ففي بداية آذار التقى مفوض ال س س لدى مجموعة الجيوش «تس» الجنرال ك. فولف مع ممثل إدارة المخابرات الأمريكية في أوروبا ا. دالس في زيوريخ، وأبدى استعداد ألمانيا لإيقاف الأعمال العسكرية في شمال إيطاليا. كان الحلفاء يحسبون أنهم سيصلون إلى أوروبا الوسطى بعد ذلك، ويستولون على جزء مهم من ألمانيا والنمسا. وسيؤدي ذلك لو تم حسب أهداف الحلفاء الغربيين إلى إضعاف السمعة الدولية للاتحاد السوفييتي في المرحلة الختامية من الحرب. لقد طلبت الحكومة السوفييتية في ٢٢ آذار بعد أن عرفت عن هذه المفاوضات إيقاف المفاوضات المنفردة التي استمرت لأسبوعين.. كان الحلفاء مضطرين للموافقة على هذا الطلب(٢).

قامت تشكيلات الجيشين الأمريكيين الأول والتاسع بمحاصرة تشكيلات العدو في الرور (١٨ فرقة)، وكانت القوات الألمانية - الفاشستية المحاصرة واهنة القوى تماماً. وفي ١٧ نيسان أعطى القائد مارشال ف. موديل أمراً بالتوقف عن

---

(١) برافدا، ١٩٨٤، ٤ حزيران، Bragley, O. Soldier's Story. N.Y., 1951, p. 494.

(٢) مراسلات رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفييتي مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥: في جزأين، موسكو ٢٠، ١٩٧٦، الجزء ٢، ص ٢١١-٢١٥، ٢١٨-٢٢٤، ٣٢٠-٣٢١.

المقاومة والاستسلام، وأنهى حياته منتحراً. ومن ١ إلى ١٨ نيسان أسر الحلفاء ٣١٧ ألف جندي وضابط، وكان من بينهم ٢٤ جنرالاً[1].

تفكك دفاع قوات الفيرماخت عملياً في المنطقة الوسطى من الجبهة الغربية، بعد تحطيم هذه المجموعة من التشكيلات النازية. إن محاولة القيادة الهتلرية لإنقاذ الوضع عن طريق إنشاء الجيش ١٢ بقيادة الجنرال ف. فينك باءت بالفشل. كانت قوات الحلفاء مستمرة بالتقدم في الاتجاه الشرقي بسرعة، ففي ١٢ نيسان استولت على إيرفورت، وبعد أسبوع لايبزيغ، ودخلت بعض التشكيلات إلى أراضي تشيكوسلوفاكيا، وفي ٢٥ نيسان التقى الجنود السوفييت والأمريكان في الألب.

لم يكن مقدراً للرئيس روزفلت أن يعيش حتى هذا التاريخ المشهور، ففي ١٢ نيسان توفي فجأة. ولقد خسر العالم بوفاته شخصية سياسية حكومية كبيرة، وواحداً من منشئي الائتلاف المعادي للهتلرية.

تصاعدت في تلك الأيام المعارك الضخمة للقوات السوفييتية من أجل برلين. إن مهمة تحطيم الدفاعات النازية والاستيلاء على برلين وقعت على عاتق جبهتي بيلوروسيا الأولى والثانية، والجبهة الأوكرانية الأولى. كانت هذه القوات تتألف من ٢١ تشكيلة عسكرية عامة و ٤ تشكيلات مدرعة، و٣ جيوش جوية و١٤ فيلقاً متنوعاً مدرعاً وآلياً وخيالة، وشارك في عملية برلين جيشان ميدانيان من القوات البولونية وفيلق مدرع وفيلق طيران ولواءان مدفعيان. بلغ المجموع العام لتجمعات القوات السوفييتية

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١٠، ص ٢٥٦.

والبولونية باتجاه برلين ٢,٥ مليون شخص، وأكثر من ٤١٦٠٠ مدفع و٦٢٥٠ دبابة و٧٥٠٠ طائرة[١].

واجهت القوات السوفييتية تجمعات قوية للعدو وصل مجموعها حتى ١ مليون جندي وضابط و١٠٤٠٠ مدفع ومدفع رشاش و١٥٠٠ دبابة و٣٣٠٠ طائرة مقاتلة.

انتقلت القوات السوفييتية إلى الهجوم في ١٦ نيسان، وفتح هذا اليوم الصفحة الأخيرة من سجل الحرب في أوروبا. بدأ حساب الساعات الأخيرة للنظام الهتلري.

كان المحاربون السوفييت يتقدمون إلى برلين من الجنوب والشمال والشرق متغلبين على التحصينات الحدودية المتينة، والمقاومة الضارية للعدو.. وفي ١٧ نيسان تلفن ي. ف. ستالين للمجلس العسكري لجبهة بيلوروسيا الأولى قائلاً: إن «هتلر ينسج خيط العنكبوت في منطقة برلين لأجل إثارة الخلافات بين الروس والحلفاء. يجب تحطيم نسيج العنكبوت هذا عن طريق الاستيلاء على برلين من قبل القوات السوفييتية. إننا نستطيع أن نقوم بذلك، ويجب أن نقوم به»[٢].

بدأت المدفعية ذات المدى الطويل بقصف برلين في ٢٠ نيسان، ونشأ خطر تحطيم المجموعات المعادية بصورة كاملة. وبعد يومين اتخذت القيادة الألمانية العليا قراراً بسحب كل قواتها من الغرب وزجها للدفاع عن برلين. كان الجيش

---

(١) المصدر السابق، ص ٣١٥.

(٢) شتيمنكو س.م. الأركان العامة في أعوام الحرب: الكتاب ٢٢١، موسكو ٢٠، ١٩٧٣- ١٩٧٥، ص ٤١٨.

السوفييتي في ذلك الوقت يوجه ضربات قاصمة لتجمع برلين للقوات النازية، الذي كان يبدي مقاومة ضارية. وفي ٣٠ نيسان رفع المقاتلون السوفييت الشجعان علم النصر فوق الرايخستاغ. لقد حطمت القوات السوفييتية في عملية برلين ٧٠ فرقة مشاة ألمانية و١٢ فرقة مدرعة و١١ فرقة آلية ، وتم أسر نحو ٤٨٠ ألف جندي وضابط[١]. كانت هذه المعركة عبارة عن إكليل نصر على رؤوس مقاتلي الجيش السوفييتي الذي قطع في سبيله طريقاً شاقاً وصعباً.

إن مخططات قيادة الحلفاء للاستيلاء على برلين أولاً ظهرت غير واقعية، أقرت عند ذلك تصعيد الهجوم في تشيكوسلوفاكيا.. كان ذلك يحوز أهمية كبيرة بالنسبة لها. ففي ٣٠ نيسان كتب رئيس الوزراء البريطاني إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أن ذلك يمكن أن يغير بصورة ملموسة الوضع سواء في تشيكوسلوفاكيا أم في البلاد الأخرى.

أخبر أيزنهاور القيادة السوفييتية في ٤ أيار عن النية ببدء الهجوم في تشيكوسلوفاكيا، وفي اليوم التالي استلمت قيادة قوات الحلفاء جواباً ينص على اقتراح بالتمسك بالاتفاقية المتفق عليها مسبقاً على التقاء القوات السوفييتية وقوات الحلفاء في الخط الأصلي الممتد من تشيكو - بوديوفيتس - بلزين وكارلوفي - فاري، وعدم تخطي الحلفاء شرقي هذا الخط. وافق الجنرال أيزنهاور على ذلك.

كانت القوات المسلحة السوفييتية تصعّد في غضون ذلك من هجومها بهدف إنجاز تحرير تشيكوسلوفاكيا. إن خاصية الظرف الناشئ كانت تكمن في أن التجمع الكبير للقوات الألمانية - الفاشستية المؤلفة من ٤٥ فرقة وثلاثة ألوية و١٥ فوجاً مختلفاً مستمرة بالوجود على أراضي تشيكوسلوفاكيا

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١٠، ص ٣٤٤.

والنمسا[1]. وفي ٢ أيار عام ١٩٤٥ أمر خليفة هتلر على منصب مستشار الرايخ الأدميرال دينيتس «باستمرار الحرب ضد البلاشفة» في الشرق والاستسلام لأسر الإنكليز والأمريكان في الغرب. لقد أعطى أمراً للقوات الألمانية في ٥ أيار بإلقاء السلاح على أراضي ألمانيا الشمالية - الغربية، والدانمارك، وفي هولندا، والاستمرار بالقتال في الشرق[2].

هاجمت القوات السوفييتية براغ، آخذة بعين الاعتبار الظرف الناتج، إذ طلب السكان المنتفضون المساعدة. وفي ليل ٩ أيار دخلت جيوش المدرعات الحربية إلى عاصمة تشيكوسلوفاكيا، واستقبلها بفرحٍ سكانُ العاصمة. وفي عملية براغ تم أسر ٨٦٠ ألف جندي وضابط، والحصول على ٩,٥ ألف مدفع ومدفع هاون، و٨,١ ألف دبابة ومدفع، و١,١ طائرة[3].

في ٧ أيار ، وفي ريمس تم توقيع بروتوكول تمهيدي حول استسلام قوات ألمانيا الفاشستية دون قيد أو شرط.. وقد جرت في برلين في منتصف ليل ٨ أيار، وقد وقعها ممثلو الدول الحليفة: الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وفرنسا، ووقعها من الجانب الألماني - الرئيس السابق لأركان القيادة العامة العليا للفيرماخت.

دخل ٩ أيار في التاريخ العالمي كيوم للانتصار على ألمانيا الهتلرية، لقد أنجزته شعوب الائتلاف المعادي للهتلرية، ولا يمكن الجدال فيه تاريخياً. إن الاتحاد السوفييتي كان القوة الرئيسة التي قطعت الطريق أمام ألمانيا الهتلرية

---

(١) New Yrok Times, 1945, May 3.

(٢) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١٠، ص ٣٤٨.

(٣) المصدر السابق.

للوصول إلى السيطرة العالمية، وإن العبء الأساسي للحرب وقع على كاهل الشعب السوفييتي وقواته المسلحة. وفي ظروف النهاية المظفرة للحرب في أوروبا تم عقد مؤتمرين دوليين مهمين حول مسائل عالم ما بعد الحرب.

٢ - سان - فرانسيسكو وبوتسدام

بعد وصول غ. ترومان إلى البيت الأبيض، سرعان ما صار يعاد النظر بالنهج السياسي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي. ففي ٢٣ نيسان أعلن الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية في اجتماع الوزراء وقيادات القوات المسلحة ما يلي: «إنني أنوي أن أكون صلباً تجاه الحكومة السوفييتية»، وأيده في هذا الخط بصورة نشطة وزير الحربية - البحرية ج. فوريستول، ونائب وزير الخارجية ج. غريو، ورئيس البعثة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي الجنرال ج. دين وغيرهم.

كتب السيناتور فاندنبيرغ في مذكراته على سبيل المثال إن «على أمريكا أن تتصرف كدولة عظمى رقم واحد، يجب علينا أن نمارس قيادة معنوية للعالم أو سيبقى بصورة عامة من دون قيادة»(١). إلا أن تحطيم ألمانيا لم يكن تم إنجازه بعد. كانت الحاجة إلى مساعدة الاتحاد السوفييتي ضرورية لتحطيم اليابان أيضاً، والأمر الرئيسي - أن شعوب العالم كانت تطالب بالحفاظ على التحالف مع الاتحاد السوفييتي.

في ٢٥ نيسان عام ١٩٤٥ وفي يوم لقاء القوات السوفييتية والأمريكية في الألب، كان يجري الاحتفال بافتتاح مؤتمر في سان فرانسيسكو - أحد

---

(١) The Private Papers of Senator A. Vandenberg/Ed by A.H. Vandenberg, Boston.

أضخم المؤتمرات في التاريخ الدبلوماسي، الذي استمر شهرين كاملين، وشارك في أعماله ٢٨٢ ممثلاً عن ٤٢ دولة من القارات الخمس جميعها، وأكثر من ١,٥ ألف خبير ومستشار وعامل فني للوفود، وسلط ٣,٥ ألف مراسل صحفي الأضواء على المفاوضات.

تمت مناقشة أهداف ومهام المنظمة الدولية في الحفاظ على السلام، في المؤتمر. إن مشروع نظام هيئة الأمم المتحدة المعد في دومبارتون راوكس، تم تقديمه إلى الندوة العالمية للدول المحبة للسلام للنظر فيه. وبعد التعرف على محتواه وصل ١٢٠٠ تعديل وملاحظة. ومن أجل دراسة ما جاء تم إنشاء أربع لجان، كانت مهمة اللجنة الأولى محصورة ببحث المسائل العامة، بما في ذلك أهداف ومبادئ وعضوية منظمة الأمم المتحدة، وهيئاتها الأساسية، أما اللجنة الثانية فكانت مهمتها دراسة مسائل الجمعية العمومية، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، أما اللجنة الثالثة فكانت مهمتها بحث مجلس الأمن، والرابعة - ميثاق المحكمة الدولية.

كانت المسألة المتعلقة بمجلس الأمن هي إحدى المسائل الأكثر حدة.

وقف ممثلو عدد من الوفود، وعلى الأغلب بلدان أمريكا اللاتينية، ضد مبدأ إجماع الدول العظمى، وكانوا يسعون بذلك لإضعاف أهمية مجلس الأمن، وتضييق حدود صلاحيات أعضائه الدائمين.

دافع الوفد السوفييتي بحزم عن مبدأ إجماع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، ولقد ثبته المؤتمر.

استمرت المناقشات طويلاً حول مسألة الوصاية الدولية. كان الوفد السوفييتي يدافع بثبات عن مبدأ تقرير مصير الأمم، والاستقلال والسيادة للشعوب، واحترام حقوق الإنسان.

وقف الوفد الإنكليزي من إذ الجوهر، إلى جانب الحفاظ على نظام الانتداب القديم في عصبة الأمم ، مع تغييرات طفيفة، ولم يتم التحدث في المشروع الفرنسي كذلك عن منح الاستقلال للمستعمرات.

أما ما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية، فإنها كانت عن نظام الوصاية في المراحل المبكرة من الحرب، كي تستخدمه لأجل تغلغلها الاقتصادي في البلدان المستعمرة ولأجل إضعاف البلدان المستعمرة الغربية.

بيد أن موقف واشنطن عام ١٩٤٥ قد تغير بتأثير الخوف من نمو حركات التحرر الوطني من جانب، وبروز المصالح الإستراتيجية لإدارات الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية بصورة أكثر جلاء، والتي حققت بدأب إنشاء قواعد عسكرية على أراضي البلدان المستعمرة والتابعة من جانب آخر، وفي عدد من المسائل ظهر تقارب مواقفها مع مواقف الدول الأوروبية الغربية[1].

في ٢ حزيران عام ١٩٤٥ أخبر رئيس الوفد السوفييتي ا. ا. غروميكو موسكو ما يلي: «أعلن الأمريكيون بصورة مباشرة أن الولايات المتحدة الأمريكية بنت عدداً كبيراً من المطارات وخطوط النقل، على عدد من الأراضي التي يجب أن تكون موضوعة تحت الوصاية، وحصلت على بعض المصالح التجارية. ترغب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تحتفظ كاملاً بحقوقها على هذه الممتلكات، ولذلك فهي ستلح بحزم على تأكيد ذلك في الفصل المتعلق

---

(١) أشار الباحث الأمريكي ر. راسل إلى النشاط الكبير لوزير الحربية ستمسون، ووزير الحربية - البحرية فورستون في إعداد مشروع نظام هيئة الأمم المتحدة، بحكم أن الكثير من اقتراحات الولايات المتحدة الأمريكية صيغت بتأثير ملحوظ من قبل «القراءات الإستراتيجية» في أوقات الحرب. انظر كذلك: Russell R. A. History of the United nation Charier. The Role of the United States, 1940-1943, Wash., 1958, p. 2.

بالوصاية الإقليمية». وفي هذه المسألة فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كما أعلن عضو الوفد الأمريكي غ. ستاسين «لا يمكن أن تتنازل». بيد أنه تم إقرار صيغة تسوية في سياق المناقشات بفضل الموقف الصلب للوفد السوفييتي. توصل المشاركون في المفاوضات إلى اتفاق حول إدخال أحكام إلى ميثاق الأمم المتحدة تنص على أن نظام الوصاية الدولية مدعو للمساعدة في تطوير سكان المناطق الواقعين تحت الوصاية باتجاه الإدارة الذاتية.

وافق المؤتمر على ميثاق منظمة الأمم المتحدة، المدعو لتأمين استمرار السلم العالمي والأمن الجماعي في ٢٦ حزيران. كان تشكيل منظمة الأمم المتحدة ممكناً نتيجة النضال التحرري العظيم للشعوب المحبة للسلام والتعاون فيما بينها، والذي حقق النصر ذا الأهمية التاريخية العالمية على الفاشية وشركائها.

وسرعان ما تم افتتاح مؤتمر رؤساء حكومات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى في بوتسدام حول معالجة مشاكل ما بعد الحرب والسلم في أوروبا. استمر مؤتمر برلين (بوتسدام) لقادة الدول الثلاث من ١٧ تموز إلى ٢ آب عام [1]١٩٤٥.

إن ألمانيا الفاشية ألحقت جروحاً كبيرة في مدن أوروبا، وأراقت الكثير من الدماء فيها، وحوّلتها إلى أطلال. ولقد انتصبت أمام المشاركين في المؤتمر مهمة إعداد برنامج للسلم والأمن، وقبل أي شيء مناقشة مسائل إعادة بناء ألمانيا وغيرها من الدول التي حاربت إلى جانبها بعد الحرب - وإيطاليا، وفنلندا، ورومانيا، والمجر، وبلغاريا.

---

(١) مؤتمر الأمم المتحدة في سان- فرانسيسكو (٢٥ نيسان - ١٦ تموز عام ١٩٤٥)، وثائق خاصة، موسكو، ١٩٨٠، ص ٥١١.

قبل يوم من افتتاح المؤتمر، جرت تجربة القنبلة الذرية في الولايات المتحدة في ١٦ تموز، وتم إعلام ترومان بذلك وهو في بوتسدام.

ولقد أشار الرئيس، في سياق إعطائه لهذا الحدث أهمية دبلوماسية وسياسية كبيرة جداً، إلَّا أنها «يمكن أن تغير مسار التاريخ والحضارة»[١].

أثار هذا الخبر الابتهاج عند تشرشل، الذي صرح، أن الحلفاء الغربيين الآن «توجد وسيلة في أيديهم، ستعيد تناسب القوى مع روسيا»، وأنه يمكن الآن اتخاذ موقف أكثر صلابة تجاهها[٢]. بيد أن الوضع العسكري والسياسي العام، والسمعة العظيمة للاتحاد السوفييتي، وجبروته العسكري، وأخيراً، الأحداث التي تجري في الشرق الأقصى، كانت تدفع كلها الغرب لإظهار الحذر، والأخذ بعين الاعتبار الحقائق الواقعية عند اتخاذ قرارات حول مشاكل ترتيب السلم بعد الحرب في أوروبا.

تم الاتفاق في المؤتمر على المبادئ السياسية والاقتصادية التي يجب الاسترشاد بها في التعامل مع ألمانيا. لقد بحثوا في إجراء تدابير مهمة حول تجريد ألمانيا من السلاح وإشاعة الديمقراطية فيها، ونزع سلاحها كاملاً، وتصفية الصناعة الألمانية كيلا يمكن استخدامها للإنتاج الحربي، والقضاء على الحزب النازي وجميع مؤسساته.

جاء في قرار المؤتمر أن العسكرية الألمانية والنازية سيتم استئصالها. إن رؤساء الحكومات الثلاث اتفقوا على اعتبار ألمانيا وحدة اقتصادية كاملة مع إقامة إشراف من قبل الحلفاء على اقتصادها، ويجب أن تتم الإدارة في كل منطقة

---

(١) The Memoirs of Harry S. Truman: vol. 1, 2 N.Y., 1965, vol.1, p. 89.

(٢) Bryant A. Triumph- in the west, 1943-1946, L., 1959, p. 499-498.

من قبل قيادة القوات المسلحة للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا بالتوافق مع إرشادات الحكومات.

إن اقتراح الوفد السوفييتي بإنشاء إدارة ألمانية مركزية بقيادة مجلس إشراف تم رفضه في سياق المناقشات. حل نفس المصير بالاقتراح السوفييتي حول إقامة إشراف من الدول الأربعة على الرور - الترسانة الرئيسية للعسكرية الألمانية. تمت إحالة هذه المسألة لأجل النظر فيها إلى مجلس وزراء الخارجية، الذي أنشئ أثناء المؤتمر.

أثارت مسألة تعويضات الحرب نقاشاً حاداً بين المشاركين في المؤتمر، ففي يالطا، كما أشير، تم الوصول إلى اتفاق حول التعويضات التي يجب أن تدفعها ألمانيا بصورة عينية جراء الأضرار التي سببتها، وتم تحديدها بمقدار ٢٠ مليار دولار، يعود ٥٠% منها إلى الاتحاد السوفييتي. إلا أن الوفد الأمريكي في بوتسدام غيّر موقفه، واتخذ موقفاً ضد تحديد مبلغ ملموس من التعويضات لكل دولة أولاً، وثانياً إلى جانب مبدأ جباية التعويضات حسب المناطق. كان ذلك يعني في الواقع سعي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا للحفاظ على القدرة العسكرية - الصناعية لألمانيا، المتركزة في منطقتيها الغربيتين.

تقدم الوفد السوفييتي باقتراحاته حول التعويضات، ولقد قال ي. ف. ستالين إن الحرب ألحقت أضراراً ضخمة بالاتحاد السوفييتي، وكانت خسائره عظيمة. وأشار إلى «ضرورة التعويض ولو بجزء من ٢٠». ولقد تم تقديم اقتراح يقضي بالحصول على جزء من التوريدات من ألمانيا الغربية من حساب التعويضات. كان من الصعب على الحلفاء الوقوف ضد ذلك المطلب العقلاني والعادل، وفي المحصلة وافق المشاركون في المؤتمر على أن التعويضات ستجبيها

كل حكومة قبل أي شيء من المنطقة التي تحتلها. وبالإضافة لذلك، يجب أن يحصل الاتحاد السوفييتي على ١٥% من مجموع الجبايات من المناطق الغربية كمعدات صناعية لقاء مواد غذائية، وفحم وقيم معادلة، وكذلك ١٠% من تلك المعدات تدخل في حساب التعويضات[1].

وضع الوفد السوفييتي أمام المؤتمر مسألة التقسيم المتساوي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا للأسطول الألماني الحربي - البحري والتجاري للبحث. لم يبد الحلفاء اعتراضاتٍ مبدئيةً، لكن تشرشل أشار إلى أن ذلك أمر ممكن في حالة تحقيق اتفاق عام في المسائل الأخرى فقط، أما ترومان فقد اقترح تأجيل حل هذه المسألة. وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على إنشاء لجنتين: لجنة حربية - بحرية، ولجنة تجارية - لأجل إعداد التوصيات حول تقسيم السفن بين البلدان الثلاثة[2].

بحث رؤساء الحكومات كذلك مقترحاً من الاتحاد السوفييتي حول مسألة إعطاء مدينة كينيفسبرغ والمنطقة التابعة لها إلى الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي كان له أهمية كبيرة في تعزيز أمن بلادنا[3]، واتخذ المؤتمر قراراً بإحالة مجرمي الحرب الرئيسيين إلى القضاء.

---

(١) الاتحاد السوفييتي في المؤتمرات العالمية في فترة الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١-١٩٤٥: مؤتمر برلين (بوتسدام) لقادة الدول الحليفة الثلاث - الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى (١٧ تموز - ٢ آب ١٩٤٥) موسكو عام ١٩٨٠، ص ٤٣١-٤٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤١-٤٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥١-٤٥٢.

احتلت مسألة مستقبل بولونيا مكاناً مهماً في عمل المؤتمر. إن النقاشات اتخذت طابعاً حاداً. لقد عبر الوفد السوفييتي عن الارتياح بمناسبة إنشاء حكومة وحدة وطنية بولونية مؤقتة حسب قرار مؤتمر القرم. اقترحت حكومة الاتحاد السوفييتي على حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى قطع علاقاتهما مع حكومة المهجر البولونية، واعتبارها غير موجودة، ونقل القوات المسلحة والأسطول التجاري التابعين لحكومة المهجر إلى الحكومة المؤقتة. لم يكن هذا الأمر يدخل في خطط الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا، وكانا لا يزالان يأملان بإعادة النظام السياسي - الاجتماعي الذي كان سائداً ما قبل الحرب إلى بولونيا. بذل رئيسا حكومتي الدولتين الغربيتين الجهود للحصول على اعتراف من حكومة بولونيا المؤقتة بالالتزامات المالية لحكومة المهجر تجاه إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية[1]، إلا أن حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة لبولونيا، المدعوة إلى بوتسدام رفضت بحزم هذا المطلب.

وبعد نقاشات طويلة، أقر رؤساء الحكومات نص بيان حول المسألة البولونية، تم التعبير فيه عن الارتياح تجاه تشكيل حكومة وحدة وطنية مؤقتة في بولونيا، والاعتراف بها من قبل الدول الثلاث وإنهاء وجود حكومة المهجر في لندن.

لم تكن النقاشات أقل حدة بين المشاركين في المؤتمر فيما يتعلق بمسألة الحدود الغربية لبولونيا. تقدم الوفد السوفييتي انطلاقا من قرارات مؤتمر القرم باقتراح ينص على تثبيت الحدود الغربية لبولونيا بخط نهري الأودر والنيس الغربي، أما الوفدان الأمريكي والإنكليزي فحاولا التهرب من حل هذه

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.

المسألة، وتأجيلها إلى وقت آخر. لكن الموقف الصلب للوفد السوفييتي ودعمه للمطالب العادلة لحكومة الوحدة الوطنية المؤقتة، التي دعي وفدها إلى بوتسدام بإلحاح من الاتحاد السوفييتي، دفع الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا لقبول الاقتراح السوفييتي.

نشبت خلافات جدية لدى مناقشة سياسة البلدان الثلاثة تجاه الحلفاء الأوربيين السابقين لألمانيا، وأظهرت الدبلوماسية الأمريكية نشاطاً كبيراً لدى ذلك. لقد تقدم قادة الولايات المتحدة الأمريكية بمذكرة عبروا فيها عن وقوفهم ضد الأنظمة الديمقراطية - الشعبية المقامة في بلدان أوروبا الوسطى والجنوبية الشرقية، ومؤكدين فيها أن قرارات مؤتمر القرم لم تطبق في بلغاريا والمجر ورومانيا وفنلندا كما زعموا، ويقترحون فيها إعادة تنظيم حكومتي رومانيا وبلغاريا، وكذلك البلدان الأخرى، وطالبت الولايات المتحدة الأمريكية بإجراء «انتخابات حرة وعادلة» فيها كشرط ضروري مسبق لأجل إقامة علاقات دبلوماسية مع هذه البلدان.

كان خط وفد الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إيطاليا مختلفاً تماماً، لقد اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية في المذكرة المقدمة عقد معاهدة سلم مع هذه الدولة، والاعتراف بمساهمتها في هزيمة ألمانيا، وتقديم الدعم لها كي تنتسب إلى منظمة الأمم المتحدة.

لفت الوفد السوفييتي الانتباه إلى المنطلق المتحامل وغير الموضوعي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه الحلفاء السابقين لألمانيا، وإلى محاولة التفريق المصطنع بينهم. كان ممثلو الاتحاد السوفييتي يلحون على المنطلق الواحد تجاه من حارب إلى جانب ألمانيا.

تم الإقرار أخيراً بتكليف مجلس وزراء الخارجية بإعداد معاهدة سلام بالنسبة لإيطاليا، وطرح مسألة دعم طلبها للانتساب إلى عضوية منظمة الأمم المتحدة بعد عقد معاهدة السلام معها، وتعهدت الدولتان الغربيتان بدراسة مسألة إقامة العلاقات الدبلوماسية مع بلغاريا وفنلندا والمجر ورومانيا بعد عقد معاهدات سلام مع هذه البلدان، والتي كلف مجلس وزراء الخارجية بإعدادها. قدم الوفد السوفييتي وثائق حول النمسا وسورية ولبنان للمناقشة في المؤتمر، وحول الأراضي الواقعة تحت الوصاية. تم التوصل إلى اتفاقية متعلقة بالنمسا حول إنشاء جهاز إشراف على البلاد - مقر لجنة الحلفاء. جرى النظر كذلك بمسألة إدخال قوات الدول الأربع إلى النمسا، المعسكرة هناك كل في منطقة احتلالها، وكانت سلطة الحكومة المؤقتة تسري على كل النمسا.

طالبت الحكومة السوفييتية بخروج القوات الأجنبية، وعلى وجه الخصوص الإنكليزية والفرنسية من سورية ولبنان. حاول تشرشل أن يعارض، لكنه كان مضطراً في نهاية المطاف أن يؤكد بأن بريطانيا العظمى لن تبقي جنوداً في سورية ولبنان «ولا ليوم واحد أكثر مما هو ضروري»[1] لكن، وكما أظهرت الأحداث اللاحقة، كان الإنكليز والفرنسيون يعرقلون بكل السبل تنفيذ هذا التعهد.

عبر الاتحاد السوفييتي عن رغبته في المشاركة في إدارة الأقاليم المستعمرة السابقة، بما في ذلك المستعمرات الإيطالية. لم يوافق ممثلو الدول الغربية على ذلك، ونقلت المسألة للبحث في مجلس وزراء الخارجية. تصاعد النقاش الحاد في المؤتمر كذلك فيما يتعلق بمسألة يوغوسلافيا. حاول الوفد الإنكليزي اتهام حكومة تيتو بانتهاك قرارات مؤتمر القرم، وبإدارة البلاد بصورة غير ديمقراطية.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٤.

قدم الوفد السوفييتي في سياق إظهاره لبطلان هذه التأكيدات، وثيقة حول إعادة إقامة نظامين إيطاليين فاشيين بمساعدة الإنكليز والأمريكان على أراضي ترييسا وإيستريا. وتمت الإشارة كذلك إلى ضرورة إزالة الوضع غير الطبيعي القائم في اليونان بسبب الإنكليز.

أسرع الإنكليز بعد ذلك بسحب المسائل المتعلقة بيوغوسلافيا، وترييستا، وإيستريا، واليونان من المناقشة.

اقترح ترومان أن يناقش المؤتمر مسألة إقامة ملاحة حرة وغير محدودة في كل الطرقات المائية الداخلية والدولية وبالدرجة الأولى إنشاء، و«بأسرع ما يمكن»، هيئات إدارة ملاحية مؤقتة للدانوب والرين[1]. واقترح إدراج ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفييتي والدول المستقلة الشاطئية في تركيب هذه الهيئات، وتقدم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى ذلك باقتراح لإعادة النظر بالاتفاقية الموقعة في مونتر، كي تصبح مضائق البحر الأسود طرقاً مائية حرة، ومفتوحة أمام كل الدول. أيد الوفد الإنكليزي فكرة الرئيس الأمريكي حول إعادة النظر بالاتفاقية المعقودة في مونتر. اتخذ الوفد السوفييتي موقفاً سلبياً تجاه المشروع الأمريكي حول الطرق المائية الداخلية، الذي كان يكمن في داخله مبدأ «الإمكانيات المتساوية» و«الأبواب المفتوحة». كان إقرار هذا المشروع يمس حقوق السيادة لكل من بلغاريا ورومانيا، والمجر، ويوغوسلافيا. تم نقل الاقتراح الأمريكي للدراسة في مجلس وزراء الخارجية[2].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦١، ٣٧١-٣٧٢، ٣٩٠-٣٩١، ٤٧٧.

أما ما يتعلق بالاتفاقية حول نظام المضائق، الموقع عليها في مونترو في وقتها، فإن الحكومة السوفييتية أعلنت أن هذه الاتفاقية الدولية لم تعد تتناسب بالفعل مع الظروف التي تغيرت، ويجب إعادة النظر فيها، وأكدت لدى ذلك أن إقامة نظام للمضائق يجب أن تتم بمعرفة من تركيا والاتحاد السوفييتي[١].

في مؤتمر بوتسدام تمت مناقشة مسائل متعلقة بسير الحرب مع اليابان. كان القادة العسكريون الأمريكيون يعتبرون أنه «لا الحصار ولا القصف بالقنابل تستطيع بحد ذاتها أن تحقق الاستسلام غير المشروط لليابان»[٢]، وأن الحرب معها تتطلب ضحايا كبيرة وربما تختتم في حزيران عام ١٩٤٦ فقط. تقدمت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان بمذكرة إلى ترومان وتشرشل، تحدثت عن ضرورة «تشجيع دخول روسيا الحرب ضد اليابان»[٣] بجميع الوسائل. أعلن الوفد السوفييتي عن استعداد الاتحاد السوفييتي لتنفيذ واجبه التحالفي، متمسكاً بدقة بالاتفاقية التي تم التوصل إليها في يالطا، ومسترشداً بضرورة تحطيم المعتدي الياباني بأسرع ما يمكن، وتحقيق السلام في الشرق الأقصى.

وهكذا، فقد تم بحث الكثير من المسائل الهامة المتعلقة بترتيب السلم في أوروبا بعد الحرب في مؤتمر بوتسدام. وبفضل السياسة الثابتة والهادفة للاتحاد السوفييتي، ودبلوماسيته المرنة تم تثبيت المبادئ الديمقراطية لإقرار السلام والأمن في أوروبا، وعدم السماح بانبعاث العسكرية الألمانية والنازية، ومبادئ السيادة، وتساوي الحقوق في العلاقات ما بين الدول، وعدم التدخل في الشؤون

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥٠، ٤٧٧.

(٢) Morton L. The Decision th use the Atomic Bomb- Political, Affairs, 1957, Jan., p. 334-338.

(٣) The Memoirs of Harry S. Truman, vol. 1, p. 382.

الداخلية للدول. إن المؤتمر أظهر انتصار الواقعية في السياسة الدولية، وكان شاهداً على الاعتراف بالتناسب الجديد للقوى في أوروبا، ونمو دور الاتحاد السوفييتي في حل المشاكل الدولية.

لقد نهضت أمام الشعوب المحبة للسلام، بعد هزيمة ألمانيا وإقامة السلام في أوروبا، مهمة تحطيم اليابان العسكرية بأسرع ما يمكن وتصفية بؤرة الحرب في الشرق الأقصى.

٣- استسلام اليابان

ساء الموقف العسكري السياسي لليابان بصورة حادة مع هزيمة ألمانيا وانتهاء الحرب في أوروبا. أصبح لدى الائتلاف المعادي للفاشستية الإمكانية لتركيز جهود القوات المسلحة في الشرق الأقصى، وشرعت الولايات المتحدة بنقل قواتها إلى مسرح العمليات العسكرية في المحيط الهادي.

إن تناسب القوى في مجال الأساطيل بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان في بداية عام ١٩٤٥ تغير بصورة حاسمة لمصلحة الأمريكان. كان الأسطول الأمريكي يتفوق على الياباني في مجال السفن الخطية لـ ٦ مرات، وحاملات الطائرات بـ ٤ مرات، وفي الطرادات الثقيلة بـ ٧ مرات وفي عمارات المدمرات بـ ٣ مرات، والغواصات بـ ٣ مرات، وطائرات حاملات الطائرات المرابطة بـ ١٠ مرات تقريباً[1]. وفي نهاية ١٩٤٤ وصل الأسطول الإنكليزي إلى المحيط الهادي، والمؤلف من بارجتين وأربع حاملات طائرات، وخمسة

---

(١) الحصار والحصار المضاد: الصراع على طرق النقل البحرية في المحيط في الحرب العالمية الثانية / تحرير اللواء البحري ف. ب. بوغوليبوف، موسكو، ١٩٦٧، ص ٣٧٤.

طرادات و ١١ مدمرة. وسرعان ما انخرطت هذه القطعات في العمليات ضد اليابان. كان الحلفاء يمتلكون تفوقاً ملموساً في البحر وفي الجو[١].

نشطت الولايات المتحدة الأمريكية الأعمال العسكرية، وأخذت تحتل جزيرة تلو أخرى في المحيط الهادي، وتقترب أكثر فأكثر من اليابان نفسها. بدأت اللجنة الأمريكية لرؤساء الأركان بالتحضير للاستيلاء على جزيرة إيغودزيم مع بداية عام ١٩٤٥ ، كان يقود حامية الجزيرة الجنرال ت. كوريباياسي. ولقد تم تخصيص ١٣٠ مدفعاً، ومثل ذلك العدد من المدافع الرشاشة، و ٣٠٠ مدفع ذاتي الحركة و ٦٠ مدفعاً مضاداً للدبابات، و ١٠ طائرات لأجل تحصين الجزيرة.

حشدت القيادة الأمريكية قوات كبيرة لأجل الاستيلاء على هذه الجزيرة: ١١١,٣ ألف شخص، و ١٥٢٢ طائرة وأكثر من ٦٨٠ سفينة[٢]. كانت تخطط لاحتلال الجزيرة خلال خمسة أيام. استمر الاستعداد لإنزال الجنود شهرين ونصفاً. ألقي على الجزيرة ٦,٨ ألف طن من القنابل في ١٩ شباط، وبعد الاستعدادات المدفعية، والطيران بدأ إنزال القطعات الأمريكية في الشاطئ الجنوبي - الشرقي للجزيرة.

لم يظهر اليابانيون مقاومة. كانوا يترقبون نزول القوات الأمريكية في الشاطئ الشمالي - الغربي لكن ذلك لم يحدث. وبعد أن أقامت الفصائل المتقدمة للأمريكيين رأس جسر في البر، أعطت القيادة اليابانية أمراً بتصويب القدرة النارية على العدو، وقعت قطعات الإنزال تحت النيران القوية والمصوبة بدقة من قبل المدفعية الرابضة على جبال سورياتي. ومع نهاية اليوم الأول استطاعت كتيبتان أمريكيتان أن تقوما

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٦٠.

بعملية إنزال والاستيلاء على الشاطئ الغربي. وفي اليوم التالي احتل مشاة البحرية المطار، وبدأ الفوج الخامس من الفرقة بالانقضاض على سورياباتي. وبعد ثلاثة أيام وفي ٢٣ شباط، أخذ الأمريكيون قمته، وبعد خمسة أيام احتلوا المطار الثاني أيضاً، متكبدين خسائر كبيرة في القتال. استمر القتال إلى ٦ آذار.

لم يكن لدى القطعات اليابانية في ذلك الوقت دبابات، وخسرت الجزء الأساس من المدفعية، وكان اليابانيون يعانون النقص بالذخائر. وفي غضون ذلك استمرت عقدة دفاعية بقيادة الجنرال كوريباياس إلى الجنوب من رأس كيتوناهاما بالمقاومة العنيدة. وفي ٢٦ آذار استسلمت الحامية المحاصرة. تم أسر ألف جندي وضابط، وتمت إبادة ٢٢ ألف في القتال. استمرت العملية من أجل إيفودزيم ٣٦ يوماً عوضاً عن خمسة أيام قد رسمت لها.

حل دور أوكيناوا بعد جزيرة إيفودزيم[١]، الواقعة على بعد ٣٥٠ ميلاً من جزيرة كيوسو. كانت هذه الجزيرة تملك أهمية إستراتيجية بالغة، وتسمح بالسيطرة على شرق البحر الصيني والوصول إلى مشارف اليابان نفسها، ولهذا الهدف تم تخصيص قوات مسلحة ضخمة - ١٣٦٧ سفينة، و٥٦٤ طائرة رابضة على حاملات الطائرات، و ٤٥١٨٦٦ جندياً وضابطاً[٢]. مقابل ١٠٠ ألف ياباني[٣].

---

(١) وصف تفصيلي عن عملية احتلال جزيرة أوكيناوى من قبل الأمريكان، راجع: تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ٦٤-٧٣: نيميتس تش. ، بومير اي، الحرب في البحر، ١٩٣٩-١٩٤٥، موسكو، ١٩٦٥، نيكول تش، شوو غ. احتلال اوكيناوى، موسكو، ١٩٥٩.

(٢) الحملات الحربية في المحيط الهادي، موسكو، ١٩٥٦، ص ٤٢٥.

(٣) نيميتس تش. بومير اي. المصدر السابق، ص ٤٤٤.

لقد تم إنشاء تعزيزات دفاعية قوية على الجزيرة، ولا سيَّما في جزئها الجنوبي. أعطى الجنرال أوسيدزيها أمراً بالتحصن لأطول فترة ممكنة، وتقديم كل الوسائل الضرورية للمقاومة العنيدة، وإنهاك قوى العدو في البر وعلى البحر.

بدأت القوات التجريدية الأمريكية التي حققت تفوقاً كبيراً في البشر والتكنيك القتالي في ١ نيسان عملية لأجل الاستيلاء على جزيرة أوكيناوا.

اقتربت قطعات الإنزال البحرية الأمريكية للجيش العاشر من الجزء الشمالي للجزيرة، وبدأت بالإنزال على الساحل الغربي. تمكن ٥٠ ألف جندي وعنصر في المشاة البحرية من احتلال مطارين في اليوم الأول دون مصادفة أي مقاومة قوية، وفي اليوم التالي اخترقوا الجزيرة ووصلوا إلى ساحلها الشرقي. استطاعت القوات الأمريكية شق دفاع العدو إلى قسمين - قسم شمالي وقسم جنوبي.

إن إنزال جميع أنساق الجنود كان قد تم إنجازه حتى ١٢ نيسان . وبعد أسبوع احتل الأمريكان القسم الشمالي، وبدؤوا الهجوم باتجاه الجنوب، لكنهم واجهوا مقاومة عنيدة. تصاعد قتال ضار، وانتهت المحاولات المتكررة من قبل القيادة الأمريكية لحزمة المنطقة الرئيسية لدفاع اليابانيين بالفشل. شارك الطيران الياباني في المعركة بفعالية، ووجه ضربات للأسطول الأمريكي، وكانت الهجمات الأكثر فعالية تعود للطيارين الانتحاريين - «كاميكادزي». شارك في هذه الهجمات ألفا طيار. ومن ٦ نيسان حتى ٢٢ حزيران تم القيام بعشر هجمات، كان من نتيجتها إغراق ٢٦ سفينة أمريكية، وإلحاق الضرر بـ ١٦٤ سفينة أخرى[1].

استمرت مقاومة اليابانيين على جزيرة أوكيناوا نحو ثلاثة أشهر. وفي ٢١ حزيران استسلمت الحامية. ولقد انتحر الجنرال اوسيدزيها، ورئيس الأركان

---

(١) الحملات الحربية في المحيط الهادي، ص ٤٢٦.

الجنرال تيو والكثير من الضباط الآخرين. تكبد اليابانيون في القتال من أجل أوكيناوا خسائر ملموسة. كانت هذه المعركة هي الأقسى حسب رأي الجنرال ماك ارتور. وإلى جانب العمليات من أجل احتلال جزيرتي إيفودزيم وأوكيناوا كانت تجري أعمال قتالية لأجل الاستيلاء على جزر الفيليبين. لقد بدأت القيادة الأمريكية بعد القتال من أجل خليج ليتي **(٢٣ - ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٤٤)** بالاستعداد للاستيلاء على جزيرة لوسون إذ كانت تحتشد هناك في كانون الثاني عام ١٩٤٥، ٦ فرق مشاة وفرقة مدرعات، ونحو ٤٠٠-٥٠٠ طائرة، و٢٥٠ ألف شخص تقريباً. أعطيت الأوامر للجنرال ياماسيتي بأن يخوض قتالاً ضارياً، وأن يحتفظ بمناطق دفاعية.

قررت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية إنزال قوات تجريدية من الجيش السادس في خليج لينتشاين - يقع إلى شمال مانيلا - وأنيط تحقيق إنزال الجنود للأسطول السابع الذي يتألف من ١٦٢ سفينة قتالية، بما في ذلك ١٢ حاملة طائرات مدمرة، و٦ بوارج و٦ طرادات ثقيلة و٤٩ مدمرة. شارك في العملية الأسطول الثالث للولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، الذي كان ينسق ميدانياً مع الأسطول السابع، وكذلك ٢٢٠٠ طائرة و٢٧٥ ألف شخص[1]. ألقيت القيادة العامة على كاهل الجنرال د. ماك ارثور، وكان يقود الأسطول السابع الأدميرال ت. كينكيد.

بدأ الإنزال صباح التاسع من كانون الثاني في أربع مواقع في شاطئ خليج لينتشاين على جبهة بامتداد ٢٦ كم. وشاركت فيه ٤ فرق. وفي نهاية اليوم كانت توجد على الشاطئ قوات أمريكية يبلغ تعدادها ٦٨ ألف شخص،

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ٤٨-٥٠.

أخذت بالتقدم متغلبة على مقاومة اليابانيين، نحو مانيلا. وفي ٢٩ كانون الثاني قام الأمريكان بالإنزال شمال - غرب خليج سوبيك، وفي اليوم التالي احتلت قوات الإنزال القاعدة العسكرية - البحرية أولونتشاين، ثم أنزلت بعد ذلك فرقة طيران جنوب المدخل إلى خليج مانيلا، وبدأ الهجوم على مانيلا. توقفت الحامية اليابانية عن المقاومة في ٣ آذار، وفي ١٥ شباط نزلت القوات الأمريكية على شبه جزيرة باتان واحتلتها خلال يومين.

بدأ الجيش الأمريكي الثامن في نهاية شباط عام ١٩٤٥ بالاستيلاء على الجزر الوسطى والجنوبية للفيليبين. ولقد أمنت تشكيلات الأسطول السابع إنزال الجنود. كان الجنرال سودزوكي يترأس الدفاع عن هذه الجزيرة، وكان تحت تصرفه ٣ فرق ولواءان، ولكن لم تكن عنده تغطية جوية عملياً.

قامت القوات الأمريكية بالإنزال على جزيرة بالافان في ٢٨ شباط، وتم احتلالها في نهاية شهر آذار، وقامت القوات نفسها وعددها ٢٨ أسطول بالإنزال في الجزر الأخرى. إن عملية الإنزال الأضخم تمت على جزيرة ميندناو، وكانت تتألف من كتيبتين. أبدى اليابانيون مقاومة ضارية. وفي بداية آذار سقطت قلعة كوريهدور، واستسلمت حاميتها. استولت قوات الإنزال البحري في ١ نيسان على مرفأ ليتشاسبي، وانتهى القتال في الجزء الشمالي من الجزيرة في ٢٦ نيسان باحتلال مدينة باغيو. قدم رجال الأنصار مساعدة كبيرة للأمريكان. لقد قاموا بالاستطلاع بالتعاون مع القوات النظامية، وسووا طرق مواصلات العدو، واحتلوا مضيق بيسانتش ومدينة سرفانتس، وقدموا المساعدة في الاستيلاء على مرفأ أبّاري. وفي حزيران أصبح الجيش الأمريكي السادس يشرف على الجزر بأسرها عملياً.

قام الأسطول السابع للولايات المتحدة الأمريكية في الوقت نفسه بدعم العمليات الهجومية في الجزء الجنوبي - الغربي من المحيط الهادي، التي كان يخوضها الجيش الأسترالي الأول. أصبح الشاطئ لغينيا الجديدة، وكاليمانتان، وبعد ذلك جزيرتا سولافيسي وجاوا تحت إشراف القوات المسلحة الإسترالية في بداية تموز.

وهكذا، حتى آب عام ١٩٤٥، حرمت اليابان من مصادر النفط، وتمت محاصرة قواتها في بلدان البحار الجنوبية والقضاء عليها.

وفي عام ١٩٤٥ كثف الطيران الأمريكي من غاراته على المدن والمناطق الصناعية في اليابان نفسها، وفي شباط تم قصف مدينة طوكيو. ولقد شاركت في إحدى الغارات أعداد كبيرة من الطائرات[١]. كانت الغارات في آذار كثيفة على وجه الخصوص، عندما تعرضت المدن اليابانية للقصف ٩١ مرة، وبلغ عدد الطائرات المشاركة في هذا القصف ما مقداره ٣,٥ ألف طائرة. وفي آذار عام ١٩٤٥ قامت ٣٣٤ طائرة ف ٢٩ بالإغارة على طوكيو، وتم قتل نحو ٨٤ ألف شخص، وجرح أكثر من ٤٠ ألف شخص آخر، وتهديم نحو ٢٧٠ ألف بناء، وأصبح أكثر من مليون ساكن من دون مأوى، وفي ١٠ آذار قُتل في طوكيو أكثر من ٨٣ ألف شخص وجرح ٤١ ألف آخرون[٢]. إن هذه الغارات حسب المعطيات الأمريكية أدت إلى قتل ٣٣٠ ألف شخص من السكان المدنيين، وإلى تهديم ٨,٥ مليون بناء.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٤.

(٢) Bateson Ch. The War with Japan. Sudney, London, 1968, p. 395, الولايات المتحدة الأمريكية - الاقتصاد، والسياسة، والإيديولوجيا، ١٩٨٥، رقم ٥، ص ٣٩.

ولقد كان الأسطول الأمريكي الثالث يقصف في الوقت نفسه وبصورة متواصلة المواقع الصناعية المنتشرة على طول السواحل اليابانية. لقد ألقي في أعوام الحرب على جزر اليابان بصفة خاصة ما مقداره ١٦٠,٨ ألف قنبلة أمريكية، وتم تهديم ٢٢١٠ آلاف منزل - ربع المنازل السكنية في البلاد، وأصبح ٩،٢ ملايين شخص من دون مأوى، وتم تعداد أكثر من ٩٨ مدينة مهدمة في البلاد، وقضت الحرائق على ٥٦% من الأبنية في منطقة طوكيو، وأيوكوغامي، و٥٧ % في اوساكا، و٥٢ % في ناغوي. تم تهديم ٩٦% من مدينة فوكوي، و٧٢% من كوفو وهاماماتسو. وبسبب قصف الطيران والمدفعية هلك من السكان ما مجموعه ٢٠٠٧٠٠ شخص، وتم جرح ٢٧٣١١٤ شخصاً[1]. صعّد أسطول الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الأول من عام ١٩٤٥ من عملياته على خطوط النقل البحرية، وكان الهدف من ذلك محاصرة اليابان، وحرمانها من إمداد النفط، والفحم، وفلزات الحديد. كانت اليابان تعاني في ذلك الوقت من صعوبات كبيرة بسبب نقص وسائط النقل، وتقلصت حمولتها حتى ١ كانون الثاني إلى ٢٧٨٦ ألف طن، وشكّل ذلك ما مقداره ٤٧ % من مستوى ما قبل الحرب. لم يكن الأسطول البحري - الحربي لليابان في استطاعته مساعدة القوات البرية في الدفاع عن المواقع المفتاحية على مشارف الدولة المتروبول، وعن طرق النقل المحيطية والبحرية، بسبب الخسائر الهائلة التي مني بها.

كانت قيادة الأسطول في الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن ما يفيدها بصورة أكبر في الظرف الناشئ هو إنزال الهزيمة باليابان بواسطة الحصار البحري،

---

(١) خوهوري ت. اليابان في الحرب، ١٩٤١-١٩٤٥، موسكو، ١٩٧٣، ص ٥٢٢. وتاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ١٤٨.

وفصلها عن مصادر المواد الخام والنفط، التي كانت تحصل عليها من بلدان البحار الجنوبية، وكان أنصار القوات الحربية الجوية بدورهم يبرهنون أن اليابان يمكن أن تجبر على الاستسلام بوسيلة قصف الطيران المستمر للمدن والمراكز الصناعية.

كانت اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان تقف إلى جانب استخدام كل أنواع القوى المسلحة للجيش، والأسطول، والطيران.

كانت مسألة القنبلة الذرية تحتل مكاناً أكبر في حسابات واشنطن في ذلك الوقت. لقد أعلن وزير الحربية غ. ستيمسون الرئيس في ٢٥ نيسان أن العمل على إنتاج السلاح النووي، الذي يمكن اختباره في تموز تم إنجازه، ويمكن استخدامه بعد شهر ضد العدو. أثار هذا الخبر اهتماماً كبيراً لدى ترومان، فأعطى أمراً بتسريع إنتاج القنبلة الذرية واختبارها، في سعي منه لتقوية مواقع الولايات المتحدة الأمريكية عند إعداد أسس عالم ما بعد الحرب.

وفي ١ حزيران، وفي بروتوكول اجتماع اللجنة المؤقتة، المنشأة في أيار لأجل الإعداد للتوصيات فيما يتعلق بمسألة استخدام السلاح النووي، تم تسجيل ما يلي: «يجب استخدام القنبلة بأسرع ما يمكن ضد اليابان...»[١].

صادق ترومان في نفس اليوم على هذه التوصية، واعترف في مذكراته فيما بعد قائلاً: «يجب ألَّا يكون هناك أي خطأ في هذا المجال. إنني أنظر إلى القنبلة الذرية كسلاح حربي، ولم أشك قط في أنه يجب أن يستخدم»[٢]. ولقد أيد القادة العسكريون ذوو المناصب العليا في الولايات المتحدة الأمريكية بالإجماع استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان، وذلك في الاجتماع الذي دعي

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ١٥١.

(٢) The Memoirs of Harry S. Truman, vol. 1, p. 419.

إليه ترومان مباشرة بعد تجربتها. إن مثل هذه العملية الحربية، حسب رأيهم، كان يجب أن تستعرض أمام العالم جبروت الولايات المتحدة الأمريكية، وتسرّع استسلام اليابان.

أصدرت حكومات الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى والصين في ٢٦ تموز عام ١٩٤٥ بياناً يطالب باستسلام اليابان دون قيد أو شرط، وتم التحدث فيه عن سلخ جميع الأراضي التي احتلتها اليابان أثناء الحرب، وكذلك الممتلكات القديمة، باستثناء أربع جزر تخص اليابان بالذات. إن المسألة المتعلقة بمصير الإمبراطور والنظام الملكي لم يتم تناولها. وفي غضون ذلك كان هذا الموضوع يهم طوكيو كثيراً. كانوا يرغبون هناك أن يعلموا كيف سيتصرف الحلفاء مع الإمبراطور. وبعد أن تمت مناقشة الإعلان في طوكيو، قرر اليابانيون الاستمرار بالحرب.

في ٦ آب صباحاً ظهرت طائرة أمريكية فوق سماء هيروشيما، وبعد عدة دقائق دوى انفجار يصم الآذان، وارتفعت بسرعة إلى السماء سحابة ذرية قاتلة. كانت المدينة مغطاة بالدخان، والحرائق الشاملة. كانوا في واشنطن ينتظرون إعلاناً من الحكومة اليابانية حول إيقاف الأعمال القتالية، لكنها لم تقم بذلك.. عنداك وفي ٩ آب ألقت الطائرات الأمريكية القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناغازاكي، التي تم تهديمها كذلك كاملاً.

لقد مات وشوّه بسبب انفجارات القنبلتين اللتين تم إلقاؤهما على هيروشيما وناغازاكي أكثر من ٢٨٠ ألفاً من السكان المدنيين[1]. وتعرض عدد أكبر

---

(١) شيرمان ف. س. حاملات الطائرات الأمريكية في الحرب في المحيط الهادي، موسكو، ١٩٥٦، ص ٢٩٠.

للإشعاعات الذرية. لم يكن تعامل الولايات المتحدة مع السلاح الذري يتوخى الأهداف العسكرية، بمقدار ما كان يتوخى أهدافاً سياسية - تدعيم سيطرتها في عالم بعد الحرب، واستعراض تفوقها الإستراتيجي على الاتحاد السوفييتي، وتحقيق إشراف واسع وإقرار لدور الولايات المتحدة الأمريكية السائد في العالم، وإجبار جميع البلدان على الإصغاء لصوت الولايات المتحدة الأمريكية.

يبالغ المؤرخون الأمريكان عادة في دور الولايات المتحدة الأمريكية في تحطيم اليابان واستسلامها، مستصغرين لدى ذلك أعمال الحلفاء، وذلك في محاولة منهم للتقليل من دور الاتحاد السوفييتي، ومساهمته في هزيمة اليابان العسكرية. إن الأعمال العسكرية في المحيط الهادي وفي بلدان البحار الجنوبية، والحصار البحري، والقصف الجوي المكثف على اليابان كل ذلك كان يملك أهمية كبيرة، بما أنها قوضت المواقع العسكرية والاقتصادية لليابان، وأضعفت أسطولها وطيرانها. بيد أن هذه الحقائق كلها لم تجبر اليابان على الاستسلام. كانت اليابان لا تزال تملك حتى آب عام ١٩٤٥ ، ٢٧٠ فرقة ولواء، وأكثر من ١٠ آلاف طائرة. وكان يوجد على الجزر اليابانية جيش مؤلف من مليوني جندي، وفي منشوريا، وكوريا وجنوب ساخالين وفي جزر الكوريل - أكثر من ١,٢ مليون شخص، وفي الصين - من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ ألف، وفي جنوب شرق آسيا وإندونيسيا نحو المليون[1].

كانت قيادة الحلفاء تخطط لتحقيق إنزال في أراضي اليابان نفسها، على جزيرة كيوسو، في تشرين الثاني عام ١٩٤٥ فقط. وفي آذار من العام التالي فقط ارتسم التدخل بخطوطه العامة في سهل طوكيو. كان الحلفاء يفهمون أن جيش

---

(١) الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥: نبذة عسكرية - تاريخية، موسكو، ١٩٥٨، ص ٧٨٩.

الإمبراطور سيدافع بيأس عن الأرض اليابانية. لقد عبر تشرشل عن رأيٍ يقول: إنَّ احتلال الجزر اليابانية سيؤدي إلى ضحايا كبيرة من جانب الأمريكان والإنكليز. وكان رؤساء الأركان في الولايات المتحدة الأمريكية يعتبرون كذلك، إن اليابانيين سيدافعون حتى الموت. كان من الضروري لأجل تحطيم القوى البرية الضخمة التي كانت تملكها اليابان، وجود جيش جبار، غني بالتجربة العسكرية، كالجيش السوفييتي، الذي ألحق الهزيمة بالفيرماخت الألماني. لذلك أعطت حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى أهمية خاصة لمشاركة الاتحاد السوفييتي في الحرب ضد اليابان. لقد أشار الجنرال مارشال في صيف عام ١٩٤٥ إلى أهمية وضرورة دخول الاتحاد السوفييتي الحرب في الشرق الأقصى وطرد القوات اليابانية من القارة الآسيوية، وأشار إلى أن «الروس يجب أن يشتغلوا على ذلك»[١]. يشهد د. آتشيسون أن الحكومة الأمريكية كانت تسعى لتحقيق دخول الاتحاد السوفييتي في الحرب ضد اليابان بأسرع ما يمكن، لأجل تلافي عودة جيش كانتون إلى الوطن في لحظة الاقتحام الأمريكي - الإنكليزي[٢].

إن القوى الأساسية للجيش الذي يبلغ تعداده أكثر من ٥ ملايين كانت توجد في أراضي اليابان نفسها وفي الصين. كان جيش كانتون يرابط في منشوريا، عند الحدود السوفييتية. وكانت القوات موحدة في جبهات ثلاث يزيد عدد أفرادها على مليون شخص، وتملك ١٢١٥ دبابة، ٦٦٤٠ مدفعاً ومدفعاً رشاشاً، و ١٩٠٧ طائرات قتالية. وعلى طول الحدود الدولية تم تشييد تعزيزات دفاعية قوية.

---

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤٥، الجزء ١١، ص ٤٦١-٤٦٢.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٧٤، ١٨٢.

أعلنت الحكومة السوفييتية، المخلصة لواجبها التحالفي في ٨ آب عن دخولها الحرب ضد اليابان. لقد حيَّت شعوب آسيا والرأي العام الأمريكي خطوة الاتحاد السوفييتي هذه. وفي ليل ٤ آب بدأت القوات المسلحة السوفييتية بالتعاون المتبادل مع قوات منغوليا الشعبية العمليات ضد العدو، وقامت تشكيلات جبهة ما وراء البايكال وجبهة الشرق الأقصى الأولى بتحطيم قوات الحراسة اليابانية وتصعيد الهجوم في عمق منشوريا، مخترقة تعزيزات المناطق الحدودية. لم تكن القيادة اليابانية تتوقع تلك الضربة الساحقة.

لقد أعلن رئيس الوزراء سودزوكي في الجلسة الطارئة للمجلس الأعلى لقيادة الحرب في ٩ آب أن دخول الاتحاد السوفييتي في الحرب جعل البلاد في وضع لا مخرج منه، وأن المقاومة اللاحقة غير مجدية[1]، وقال وزير الخارجية توغو: « تصبح الحرب أكثر فأكثر ميؤوساً منها»[2]. وفي اليوم التالي قبلت الحكومة بشروط إعلان بوتسدام. وفي ١٤ آب قام مجلس الوزراء بصورة وثائقية بإعلان قراره بالاستسلام. بيد أن الجيش الكانتوني لم يتوقف عن العمليات القتالية، ولم يلبّ الأمر بالتوقف عن المقاومة، لذلك اقترحت قيادة الجيش السوفييتي على القوات المسلحة اليابانية في ١٤ آب إيقاف الأعمال العسكرية، لكن ذلك لم يتم، فاستمر هجوم القوات السوفييتية بعد ذلك. وقد وضعت أمامها مهمة محاصرة القوى الأساسية في الجيش الكانتوني وتدميره في السهل المنشوري. وفي نهاية آب وصل مقاتلو الجيش السوفييتي بعد أن اجتازوا وهم يحاربون ما مقداره ١٠٠٠ كم ، إلى شبه جزيرة ليا أودون.

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ٢٣٨.

(٢) استشهاد بـ بروكس ل. خلف كواليس استسلام اليابان، موسكو عام ١٩٧١، ص ١٦٧.

وفي وجه الانهيار الحتمي للعسكرية اليابانية أقدمت بعض الشخصيات العسكرية والسياسية العليا على الانتحار، بما في ذلك وزير الحربية آنامي، ونائب الأدميرال أونيسي، والفلد مارشال سوغيا ما، وقادة الجبهات الـ ١٠ والـ ١١ والـ ١٢ ، وأحد القادة السابقين لجيش كانتون - الجنرال هونزي، وغيرهم كذلك من جنرالات ووزراء مجلس سودزوكي.

في ٢ أيلول عام ١٩٤٥، وعلى متن البارجة «ميسوري» جرت وقائع الاحتفال بتوقيع وثيقة الاستسلام دون قيد أو شرط لليابان، ووقعها عن الجانب الياباني وزير الخارجية سيغيميتسو ورئيس الأركان العامة للجيش الياباني أوميدزو. ووضع ممثلو الأمم المتحالفة: الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وبريطانيا العظمى، والاتحاد السوفييتي، وأستراليا، وكندا، وفرنسا، وهولندا، ونيوزيلندا، بعد ذلك تواقيعهم على الوثيقة.

وبذلك تكون الحرب العالمية الثانية التي استمرت خمسة أعوام وقضت على حيوات ملايين الناس قد انتهت. تم تحقيق الانتصار على الفاشية بجهود شعوب ودول عديدة، وكانت بطولة الشعب السوفييتي أمراً عظيماً لا ينسى قبل كل شيء، فهو الذي ألحق الهزيمة بالعدو، وحطم القوى الرئيسية للفيرماخت. ودمر ثلاثة أرباع تكتيكها العسكري، محرراً شعوب أوروبا من العبودية الفاشستية، وأنقذ بذلك الحضارة العالمية. وقد لعب الاتحاد السوفييتي المخلص لواجبه التحالفي دوراً كبيراً كذلك في تحطيم العسكرية اليابانية.

وفي تحقيق النصر في الحرب العالمية الثانية كان لشعوب وجيوش الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، وفرنسا، والصين وغيرهم من بلدان الائتلاف المعادي للهتلرية، مساهمة كبيرة أيضاً، وخاض النضال

بشجاعة ضد المعتدين الفاشست محاربو تشكيلات يوغوسلافيا وأنصارها، وقاتل ببسالة إلى جانب الجيش السوفييتي محاربو الجيشين البولوني والتشيكوسلوفاكي، وستدخل في سجلّ النضال المعادي للفاشية أعمال وطنيي بلغاريا، ورومانيا، وألبانيا، والمجر، المشاركين في حركات المقاومة. ولقد خاض النضال ضد العسكريتاريا اليابانية الشعب الصيني، ومحاربو جمهورية منغوليا الشعبية، ووطنيو فيتنام، وكوريا وغيرهم من بلدان آسيا.

كانت الحرب واحدة من الصفحات التراجيدية، ولكن البطولية في الوقت نفسه في التاريخ العالمي. إن لنتائجها أهمية تاريخية شاملة. لقد حدثت تغيرات عميقة في الحياة الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية، وفي مواقفها على المسرح العالمي.

٤ - حصيلة الحرب

كانت النتيجة الرئيسية للحرب العالمية الثانية هزيمة معسكر المعتدين - ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، وبدت مواقع فرنسا وبريطانيا العظمى مقوضة وضعيفة، وحدثت ثورات اجتماعية في عدد من بلدان شرق أوروبا وآسيا، وتصاعدت حركة تحرر وطنية واسعة في المستعمرات، أدت إلى انهيار النظام الكولونيالي كاملاً.

تكبد الشعب السوفييتي في نضاله ضد الفاشية والعسكرية خسائر ضخمة - ٢٠ مليون إنسان، وبلغت الأضرار المادية للبلاد ١٢٨ مليار دولار. لم تتحمل أية دولة أخرى مثل تلك المعاناة التي تحملها الشعب السوفييتي. كانت نتائج الحرب بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تحمل طابعاً آخر. لقد خسرت نحو

٤٠٠ ألف قتيل. ازدادت الاحتكارات ثراء في الحرب، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الرأسمالية الرئيسية في العالم.

حدثت تغيرات مهمة في اقتصاد الدولة الأمريكية وبنائها الاجتماعي. تسارعت عملية تركز الإنتاج والرأسمال، والاستيلاء على المواقع الرئيسية في اقتصاد وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية من قبل الاحتكارات الضخمة. إن شركة «يونايتد ستيتس ستيل» التي يديرها مورغان، كانت تملك ٤٠ % من الطاقة الإنتاجية لمعامل صب الفولاذ في البلاد، وبلغت حصتها من استخراج فلزات الحديد أكثر من ٥٠ % ، وكان إنتاج الألمنيوم في أيدي إحدى التروستات، وأنتجت شركة واحدة فقط كذلك ٩٠ % من النيكل، وكانت خمس شركات تملك تقريباً كل الصناعة النفطية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت أربع شركات أيضاً تشرف على إنتاج الطاقة الكهربائية، وثلاث شركات تحتكر الصناعة الكيميائية. ولقد تشكل نفس الوضع أيضاً في مجال إنتاج الطائرات والمعدات الكهربائية وأجهزة الراديو وعربات المسافرين. وكانت شركة واحدة تملك ٨٠ % من كل شبكة التلفون في الولايات المتحدة الأمريكية وتشرف على الـ ٢٠ % الباقية، وكان تروست واحد ينتج ٥٠ % من كل الآلات الزراعية، وتعد لشركتين نصف صناعة معلبات اللحوم كلها.

وحسب معطيات التقرير المقدم من لجنة مجلس الشيوخ المختصة بشؤون المؤسسات الصغيرة، فقد حاز ١٠٠ احتكار طلبياتٍ عسكريةً بمقدار ١١٧ مليار دولار، وقامت الدولة بالإضافة لذلك بصرف ١٧,٢ مليار دولار على بناء معامل جديدة[1].

---

(١) فوبير ر. او. ، موريس غ. م. ، تاريخ غير محكي عن الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٥٧، ص ٥٧٥.

حقق الرأسمال المصرف مستوى عالياً من التركيز: كان ١ % من جميع البنوك يشرف على ٩٩ % من كل الموارد المالية للولايات المتحدة الأمريكية.

الحرب مرحلة مهمة في تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يجري بمقاييس هائلة التحام لقوى الاحتكارات وقوى الدولة، التي كانت تخضع بدرجة كبيرة لمصالح «البزنس الكبير». تعززت وتطورت عرى «الاتحاد الشخصي» الذي يربط الاتحادات الاحتكارية الرئيسية وجهاز الدولة. كانت تجري عملية تركز هائلة لقدرة الرأسمال الكبير العسكرية - الاقتصادية، التي كان يشارك عملاؤها في الحكومة وجهاز الدولة، واشتد تأثيره السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

تغيرت بنية الصناعة، وتوزيع القوى المنتجة. وكانت الصناعة تتطور بوتائر عاصفة في الولايات الواقعة على المحيط الهادي، وظهر عدد كبير من المصانع الجديدة في كاليفورنيا الغنية بمواردها الطبيعية - المعادن الملونة والنفط، التي تتميز كذلك بظروفها المناخية الملائمة.

نما بصورة حادة الوزن النوعي للولايات المتحدة الأمريكية في اقتصاد العالم الرأسمالي. ولقد أصبح يعود للولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الحرب نحو ٦٠ % من الإنتاج الصناعي العالمي، ونحو ٦١ % من الأسطول التجاري والطيران المدني، وتمركز لديها نحو ٨٠ % من الذهب و٦٠ % من الفضة الموجودة في العالم الرأسمالي[١]. بلغت الاستثمارات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ١٦,٨ مليار دولار.

(١) Decohurst J. America's need and Resources N.Y., 1953, p. 1081-1082.

جرت كذلك تغيرات جدية في الزراعة، إذ تقلص عدد السكان العاملين في الزراعة في البلاد في أعوام ١٩٤٠-١٩٤٥ من ٣٠٥٤٧ ألفاً إلى ٢٢٢٩٥ ألفاً[1]. وانخفضت نسبتهم بالنسبة للتعداد العام للسكان من ٢٣% إلى ١٨%، وزادت الأراضي المزروعة في أعوام الحرب ١٠ %، وزادت نسبة تجهيزات الزراعة بالمعدات: نما عدد الجرارات أكثر من ١,٥ مرة، والحاصدات - بمرتين تقريباً، وتوسع استهلاك الأسمدة الصناعية، ولا سيَّما في أعوام ١٩٤٠-١٩٤٤، فنما إنتاج الآزوت الصناعي بحدود ٦٠ %[2].

لقد زاد الدخل من الزراعة من ٤,٥ مليارات دولار في عام ١٩٤٠ إلى ١٣,٧ مليار دولار في عام ١٩٤٥، وارتفعت أرباح المزارعين الكبار، وتسارعت في الوقت نفسه عملية إزاحة المزارعين الصغار وإفلاسهم.

أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الحرب صناعة حربية جبارة، وتحولت إلى دولة عسكرية، وعسكرية بحرية وجوية ضخمة. احتل أسطول الولايات المتحدة الأمريكية المكان الأول بين الدول البحرية الأخرى، إذ تم إنفاق ٩٠ مليار دولار على إنشائه، ما شكل نحو ثلث الاعتمادات للحرب[3]. لقد بنت الولايات المتحدة الأمريكية منذ حزيران عام ١٩٤٠ إلى آب عام ١٩٤٥، ٣٤ حاملة طائرات، و١١٨ حاملة طائرات مخصصة للحراسة، و٤٧ طراداً من كل الأصناف، و٣٧٠ مدمرة نسّافة، و٥٠٧ مدمرات للحراسة، و ١٧٢٥ سفينة للدوريات، و٨٧٢ زارعة وكاسحة للألغام، و١٩٠ مركباً مخصصاً للدوريات أيضاً، وبصورة عامة ما مجموعه

(١) Current History, 1945, Jan., p. 91.

(٢) Decohursl J. Op. cit. p. 702, 740, 802, 827, 1080.

(٣) الحصار والحصار المضاد، ص ٤١٧.

٣٨٦٣ سفينة بحمولة تبلغ أكثر من ٣ ملايين طن[1]. إن أسطول الولايات المتحدة الأمريكية كان يعادل من إذ قدرته القتالية جميع أساطيل الدول الرأسمالية الرئيسية مجتمعة معاً. وبالإضافة لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تملك أكثر من ٦ آلاف سفينة تجارية مخصصة للنقل البحري، والتي ازداد تطورها نحو ١٠ مرات[2]، وفي مجال القوات العسكرية كان لديها ٨٩ فرقة تؤلف مجموع جيوشها، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تحتكر في ذلك إنتاج السلاح الذري.

حملت الحرب لاحتكارات الولايات المتحدة الأمريكية مداخيل هائلة، إذ بلغت أرباحها بعد خصم الضرائب ٢٥ مليار دولار. اغتنت الاتحادات الاحتكارية للصناعات العسكرية قبل الجميع من خلال إنتاج الأسلحة، وإلى جانب ذلك، فإن الصراع بين الاتحادات الاحتكارية تفاقم. تعمقت التناقضات بين الطابع الاجتماعي للإنتاج وطابع التملك الخاص، وبين العمل ورأس المال.

كانت المشكلة المركزية لاقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب هي تأمين العمالة الكاملة للسكان، ونهضت بصورة حادة مسألة استخدام إمكانيات الصناعة، وخاصة الحربية منها، وتأمين المواد الخام بصورة اقتصادية.

نما عدد الطبقة العاملة في أعوام الحرب، وحدثت فيها تطورات بنيوية محددة، مرتبطة بتطور فروع جديدة للإنتاج، وزاد عدد أعضاء النقابات نحو المرتين، وبلغ في عام ١٩٤٥ ، ١٤٧٧٦ ألف عضو، واشتد تأثير النقابات على حياة البلاد.

---

(١) المجلة التاريخية - الحربية، ١٩٦٣، رقم ١٠، ص ٩٩.

(٢) The World Almanas and Book of Faces, 1946, N.Y. 1946, p. 122, 1947 N.Y., 1947, p. 522.

كانت مساهمة الطبقة العاملة في النصر على الفاشية هي الأكبر. لقد صعّد العمال «المعركة من أجل الإنتاج» - زيادة إنتاج الأسلحة والذخائر الحربية، ووافقوا على زيادة ساعات العمل في الأسبوع، وتخلوا عن القيام بالإضرابات. إن جهود الكادحين كانت موجهة نحو زيادة إنتاجية العمل. وكان ذلك يتحدد بدرجة ملموسة بسعي العمال والنقابات لتحطيم العدو العام بأسرع ما يمكن، وبالطابع التحرري للحرب، التي كانت تخوضها دول الائتلاف المعادي للهتلرية.

اكتسب الطابع الإيديولوجي أهمية محددة في سير النضال المعادي للفاشستية. كان النضال ضد الفاشية يقرّب الجماهير الشعبية من وعيها لما ولّده النظام الاجتماعي الرجعي القائم وإدانتها له. أصبحت القوة الجاذبة لأفكار التقدم الاجتماعي أكثر فعالية. ونادراً ما كان العمال يقفون ضد الاحتكارات، بعد أن امتنعوا عن الإضرابات. لم يحدث سوى ١٤٧٣١ إضراباً، بمشاركة ٦،٧ ملايين عامل ، من ٨ كانون الأول عام ١٩٤١ إلى ١٤ آب عام ١٩٤٥ . كانت المطالب الرئيسية تتلخص في رفع الأجور وتحقيق المحافظة على العمل. كان الوضع الأخير يملك أهمية خاصة. لقد توفي أو حصل على عاهة ١١٢٠٠ عامل منذ عام ١٩٤١ إلى عام ١٩٤٥ في أكثرية الفروع الصناعية التحويلية والاستخراجية[1].

كان القسم الأساسي من القوات المسلحة يتألف من العمال، وبلغ عدد أعضاء النقابات في الجيش ٣٢٥٠ ألف نقابي. كان في عداد القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية ٩٢٠ ألف زنجي (من بينهم ٨٦٠٠ ضابط) و٢٨٤

---

(١) سيفاتشين ن. ف، ويانكيف ي. ف. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، ١٩١٧-١٩٧٢، موسكو، ١٩٧٢، ص ١٢٨، وبويو ر. او.، وموريس غ. م. المصدر السابق، ص ٥٤٣.

ألف امرأة[1]. لقد قاتل في صفوف القوات المسلحة بشجاعة والسلاح بأيديهم ١٥ ألف شيوعي أمريكي ضد دول «المحور»، وحصل أكثر من ١٢٥٠ منهم على الأوسمة[2].

لقد وقف الحزب الشيوعي بنشاط إلى جانب رفع إنتاجية العمل، وزيادة إنتاج الأسلحة، وإلى جانب فتح الجبهة الثانية السريع في أوروبا الغربية، وكان يدافع عن المصالح الحيوية للكادحين. حدثت تطورات جدية في سنوات الحرب في وعي الأمريكيين، الذين كانوا على جبهات القتال. كانت وحدة الأهداف تقرّب الجنود الأمريكان من جمع من كان يحارب ضد العدو العام. توسع وتعزز التعاطف تجاه الاتحاد السوفييتي. عندما صمت قصف المدافع في سهول أوروبا، اعترف الجنرال ستيلويل، في سياق تفكيره في المعارك التي جرت على هذه القارة في حزيران عام ١٩٤٥ أن الأمريكان كانوا يرون خلال الحرب بأسرها أن المحارب السوفييتي «حمل على عاتقه كل عبء هجوم الألمان، وحطمهم. لقد تجاوز كل منجزات الجنود الروس في الحروب السابقة، وإن جنود أية قومية هم فخورون بأنهم كانوا متوحدين معهم في هذه الحرب. إن كل العالم المتحضر يجب أن يقيم بصورة خاصة مأثرة الشخصية المركزية في هذا النضال - الجندي الروسي»[3].

اكتسبت حركة التضامن مع الاتحاد السوفييتي في أعوام الحرب طابعاً جماهيرياً، وتجلى ذلك بوضوح في الحملة الواسعة من أجل فتح الجبهة الثانية

---

(١) The Negro Handbook/Ed, by F. Mirray, N.Y., 1949, p. 242.

(٢) Fosrter W. Z. History of the Communist Party of the United States, N.Y., 1952, p. 409.

(٣) استشهاد من الازفستيا، ١٩٤٥، ٣ حزيران.

في أوروبا الغربية، وتمت إقامة روابط وثيقة جداً بين النقابات السوفييتية والأمريكية، وبين شعبي كلتا الدولتين العظيمتين.

ومع ذلك، من المستحيل ألّا نلحظ أنه كانت تظهر نزعات سلبية أيضاً بصورة ملحوظة في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت ظروف النضال الطبقي تتعقد، وكان ممثلو عالم رجال الأعمال يستخدمون التخلي الطوعي للعمال عن الإضرابات لمصالحهم المغرضة، وأمنوا تعاظماً لإشرافهم على النقابات. قامت وسائل الإعلام الجماهيري - الصحافة والراديو - بنشر أفكار «الوحدة الوطنية» و«السلم الطبقي»، ما مارس تأثيراً محدداً دون شك على الطبقة العاملة والنقابات. إن تأثير الأفكار الانتهازية اليمينية على بعض قيادات الحزب الشيوعي قد أدت إلى نتائج ثقيلة - إلى أزمة سياسية في الحزب.

أدت ادعاءات الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة العالمية من أطماعهم التوسعية، وانتقلت الاحتكارات الأمريكية ومعها الحكومة إلى اتخاذ نهج عدواني على المسرح العالمي، ظناً منهم أن الوقت الملائم لها قد حل، وشكلت المحاولات لإنشاء شبكات واسعة من القواعد العسكرية في جميع القارات والبحار جزءاً لا يتجزأ من هذا النهج.

لقد استطاعت دبلوماسية الولايات المتحدة الأمريكية إنشاء تحالف عسكري في المؤتمر الدولي الذي عقد في المكسيك بداية عام ١٩٤٥ حول قضايا الحرب والسلم، وبمشاركة ممثلي جميع الدول الأمريكية اللاتينية، واتخذ قرار بتشكيل أركان بينية للدول الأمريكية في واشنطن، تحتل فيه الولايات المتحدة الأمريكية المكان الرئيسي. اقترحت واشنطن الموافقة على «ميثاق اقتصادي للبلدان الأمريكية»، يحوي على ثلاثة موضوعات: إلغاء كل الحدود الجمركية،

ومحو «النزعة القومية الاقتصادية» وإنشاء ضمانات للاستثمارات الرأسمالية الأجنبية. كان هذا الأمر يعني نشر مبادئ «الإمكانات المتساوية» و «الأبواب المفتوحة» في كل نصف الكرة الأرضية الغربي، ووضع الاتحادات الاحتكارية للولايات المتحدة الأمريكية من ثمَّ في ظروف ملائمة لها بصورة استثنائية.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تبذل الجهود بإصرار للمحافظة على قواعدها الإستراتيجية التي بنيت في أعوام الحرب، وعلى الأخص القواعد الـ ٩٢ التي تم بناؤها في ١٦ بلداً من بلدان أمريكا اللاتينية. وفي المحيط الهادي بنت ٢٥٦ قاعدة، وفي الأطلسي - ٢٢٨ قاعدة. كان مجموع ما تملكه الولايات المتحدة الأمريكية ٤٨٤ قاعدة لأجل القوات العسكرية البحرية والطيران البحري، و١٩٣٣ - لأجل الجيش والطيران الإستراتيجي[1]: لقد أشار ترومان في رسالته إلى الكونغرس بتاريخ ١ حزيران عام ١٩٤٥، إلى أن الولايات المتحدة يجب أن تطور بنشاط نظام القواعد العسكرية، دون أن تبخل على ذلك بالوسائل.

أوصت اللجنة الفرعية لمجلس النواب للشؤون العسكرية البحرية في آب عام ١٩٤٥ ، وبالاستناد إلى القواعد المبنية على الجزر الأساسية في المحيط الهادي بتحويل هذا الإقليم إلى منطقة للسيطرة الأمريكية المطلقة[2]. أعلن مساعد وزير القوات الحربية - البحرية في الولايات المتحدة الأمريكية س. هينسيل في ٥ أيلول عام ١٩٤٥ أن الولايات المتحدة عازمة على «تعزيز دائرة عملاقة من القواعد العسكرية - البحرية بعد الحرب، تشمل المحيط الهادي، بما في ذلك القواعد التي كانت تعود لإنكلترا سابقاً»[3]. يجب أن

---

(١) ماريون ج. القواعد والإمبراطورية، موسكو، ١٩٤٨، ص ٦٧.

(٢) Study of Pacific Bases: Report by Subcommiee of Pacific of the Committee of Naval Affairs, August 6, 1945, wash, 1945, p. 1010.

(٣) ماريون ج. مصدر سابق، ص ٢٧.

نضيف إلى ذلك أن القوات الأمريكية كانت ترابط في نهاية الحرب في الكثير من بلدان أوروبا. كانت النزعة التوسعية الأمريكية تكتسب أكثر فأكثر اتجاهاً معادياً للسوفييت بصورة ملحوظة، وكان يقف أمام طريق التوسع العولمي للإمبريالية الأمريكية، الاتحاد السوفييتي والقوى الديمقراطية في جميع البلدان. لقد حصل الاتحاد السوفييتي على الدعم من جانب الجماهير الشعبية الواسعة، بطرحه برنامجاً لإعادة بناء عالم ما بعد الحرب. إن نمو التأثير العالمي للاتحاد السوفييتي، وللثورات الشعبية - التحررية في بلدان شرق أوروبا وآسيا، ونهوض حركة التحرر الوطني في البلدان المستعمرة والتابعة، كان يثير الغيظ لدى الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الرأسمالية.

كانت القوى الرجعية للإمبريالية تبذل الجهود لتصليب نهجها تجاه الاتحاد السوفييتي، وكانت إدارة ترومان تصغي باهتمام لنصائح تشرشل، الذي كان يدعو في كل فرصة مناسبة للوقوف بصلابة ضد البلاد السوفييتية، وضد سمعتها المتنامية. كتب ترومان: «عزز نضال شعوب روسيا ضد هتلر النوايا الطيبة تجاهها في الغرب، وفي الولايات المتحدة قبل أي شيء»[1]

كانت الأوساط المحافظة في واشنطن تسعى لتقويض شعبية الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية، والإيحاء للأمريكان بشعور الخوف تجاه الاتحاد السوفييتي، وخلق جو معاد للسوفييت سواء داخل البلاد أم في الخارج. في ١٢ أيار عام ١٩٤٥ توقفت الحكومة الأمريكية عن التوريد إلى الاتحاد السوفييتي حسب مبدأ ليند - ليز. وعلاوة على ذلك أخذ القادة العسكريون في الولايات المتحدة الأمريكية يدرسون إمكانيات الحرب مع

---

(١) Churchill W. The Second World War and an Epilogue on the years a943 to 1957. I., 1964, p. 965.

الاتحاد السوفييتي. وفي أثناء المحادثات ذات الأهمية التي جرت في برلين، في نفس الشهر وافق قائد سلاح الجو في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى الجنرال غ. آرنولد ومارشال الطيران الرئيس تش. بورتال على أن «العدو التالي - هو روسيا... ولأجل الاستخدام الناجح للطائرات القاذفة الإستراتيجية نحن نحتاج إلى قواعد متواجدة في كل أنحاء العالم، لأجل أن نستطيع استهداف أي مشروع في روسيا نؤمر بإصابته»[١].

وهكذا، وفي تلك الأيام، حين كانت الشعوب تحتفل بالانتصار على ألمانيا الفاشية، كانت القوى المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية تناقش أفعالها ضد الاتحاد السوفييتي. نشرت المجلة الليبرالية «نيشن» مقالة في ١٢ أيار تحت عنوان «التيار المعادي للروس الجاري تحت الماء» اتهمت فيها حكومة ترومان بـ «تنظيم حلف ضد السوفييت»، وبعد يومين تم نشر مقالة في لسان حال كونغرس النقابات الإنتاجية بعنوان «إيقاف الحرب العالمية الثالثة»[٢]. وفي شهر تموز وجه نائب رئيس كونغرس النقابات الإنتاجية س. هيلمان انتباه الرأي العام الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الرجعيين الأمريكان يشددون الحملة ضد الاتحاد السوفييتي، و«يزرعون بسوء نية بذور الشك وعدم الثقة تجاه حليفنا العظيم.. إنهم يحاولون أن يزيلوا من ذاكرتنا المساهمة البطولية التي لا تقدر بثمن لروسيا في نصرنا المشترك»[٣].

لقد تمت الإشارة في مؤتمر الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الأمريكية الذي انعقد في تموز عام ١٩٤٥ إلى زيادة النزعات التوسعية

---

(١) Arnold G. The Global Mission. N.Y., 1949, p. 586-587.

(٢) Cio News, 1945, May 14.

(٣) Ibid, July 2.

للإمبريالية الأمريكية، وتمهد للحديث عن نشاط القوى المحافظة. دعا الحزب الشعب للنضال ضد المخططات الخطرة لـ «وول ستريت» الموجهة إلى تحقيق السيطرة العالمية.

كانت تظهر بوضوح في الأوساط السياسية وأوساط أرباب العمل نزعتان حول مسألة العلاقة مع الاتحاد السوفييتي. النزعة الأولى كانت تكمن في مضاعفة التوتر في العلاقات السوفييتية - الأمريكية، وفي تقويض أسس مبادئ الائتلاف المعادي لهتلر، والنزعة الثانية - في الاستعداد لدعم وتطوير التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي في مختلف المجالات، بما في ذلك المجال الاقتصادي والتجاري. كتب رئيس إدارة الإنتاج الحربي د. نيلسون في سياق ملامسته لآفاق تطور العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، كتب يقول: إن «روسيا يمكن أن تصبح في الـ ٢٠ سنة القادمة سوقنا الأفضل، والولايات المتحدة الأمريكية السوق الأفضل بالنسبة لروسيا... إن التاجر الجيد لا يطلق النار على المشترين منه وحتى لا يتفوه بكلمة واحدة عن ذلك التعاطي في مجال الأعمال»[١].

كان الرئيس روزفلت كسياسي رشيد وواقعي يعطي أهمية كبيرة لترتيب العلاقات الأمريكية - السوفييتية. كان يقف إلى جانب التعاون مع الاتحاد السوفييتي في أعوام الحرب، وعبر أكثر من مرة أنه إلى جانب دعم واستمرار العلاقات الطبيعية مع الاتحاد السوفييتي بعد انتهائها، وكان الرئيس يفكر في موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي، في سياق إعداده لمسائل السلام بعد الحرب.

---

(١)Nelson O. Op. cit., p. 425.

لقد تحدث ف. د. روزفلت في كلمة له بالإذاعة في كانون الثاني عام ١٩٤٥ وهو يرى نمو نشاط العناصر المحافظة ضد التعاون مع الاتحاد السوفييتي، ويفهم صعوبات وتعقيدات مشاكل ما بعد الحرب، تحدث قائلاً: «يمكن الوصول إلى السلام والمحافظة عليه بالعزيمة الموحدة فقط للشعوب الحرة والمحبة للسلم، والتي تريد العمل بعضها بعضاً، واحترام بعضها البعض أيضاً وتحاول أن تفهم آراء وأمزجة بعضها بعضاً. إن الاستخدام السيئ للقوة في العالم القادم الذي يذوب في مصطلح «سياسة القوة» نفسه، لا يجب أن يكون عاملاً مسيطراً في الحياة الدولية»[١].

إن توجس روزفلت سرعان ما تم تأكيده. سارت إدارة ترومان كما أظهرت الأحداث اللاحقة، على طريق اتباع سياسة خارجية من «موقع القوة» بالذات.



(١)The public Papers and Addresses of Franklin D. Roosevelti, 1933 vol. 1943 vol./Ed. By 51. Roserman. N.Y., 1938-1950, 1944-1945 vol., p. 512-513.



الفصل السابع عشر

التعليم والعلم

١ - المدرسة المتوسطة

ساعد تطور الاقتصاد الأمريكي بعد الحرب، ولا سيما تطور التكتيك على تسارع الاتجاه العملي والنفعي لنظام التعليم، الذي استمر بالتكيف مع متطلبات «نمط الحياة الأمريكية». إن المستوى العالي لتطور الصناعة، والتكتيك، وتكنولوجيا الإنتاج، وظهور فروع جديدة للصناعة، إن كل ذلك كان يمارس تأثيراً متزايداً على نظام التعليم، وكانت التغيرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع كذلك تبرز متطلبات جديدة للمدرسة. إن أرباب العمل والاتحادات الاحتكارية كانوا مهتمين بتهيئة عمال مهرة يستطيعون استخدام التكتيك وتأمين أعلى الأرباح للرأسمال الكبير. ومن هنا كان الاهتمام بالمدرسة يزداد، وكان الموقف الهادف تجاه تعليم التلاميذ مشبع بالنزعة العملية، وأصبحت هذه النزعة هي السائدة.

كانت تصرف أموال كثيرة لتلبية حاجات المدارس، وبصورة أكبر مما في بقية البلدان الرأسمالية.

في العام الدراسي ١٩٢٥-١٩٢٦ ، وفي بلاد بلغ تعداد سكانها ١١٧ مليون نسمة، تعلم في المدرسة الابتدائية نحو ٢١ مليون تلميذ، وفي المدرسة المتوسطة - نحو ٤ ملايين تلميذ[١]. وبلغ تعداد التلاميذ في ٢٥٠ ألف

---

(١) The Journal of the National Education Association, 1927, vol. 17, p. 230.

مدرسة حتى عام ١٩٣٠ ما مقداره ٣١ مليون تلميذ، أو ٨٨ % من الأطفال في عمر من ٧ حتى ١٧ عاماً[١].

كانت هذه المؤشرات عالية بالمقارنة مع البلدان الرأسمالية الأخرى. لقد قيمت ن. ك. كرويسكايا بصورة إيجابية بعض خصائص نظام التعليم الشعبي في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك الطابع اللامركزي لإدارة المسألة التعليمية، لكنها أشارت بالإضافة لذلك إلى أن المدرسة في هذه البلاد الرأسمالية الرئيسية «مشبعة بالروح الشوفينية، والمحفوظات البرجوازية»[٢].

لم يكن هناك في الولايات المتحدة الأمريكية نظام واحد للتعليم، وكانت كل ولاية تملك تشريعها التعليمي. إن الكثير من الولايات كانت تحتفظ بالنظام التعليمي القديم ٨ + ٤ (٨ سنوات دراسة في المدرسة الابتدائية، و٤ سنوات - في المتوسطة). إلا أن الحركة التي بدأت في عام ١٩١٩ لأجل إعادة ترتيب النظام التعليمي اتسعت، فظهر في بعض الولايات، ولا سيما الصناعية منها نظام ٦ + ٦ . كما أن نظام ٦ + ٣ + ٣ حصل على انتشار متزايد، والذي كان يقضي بتقسيم المدرسة المتوسطة إلى مرحلة أصغر (junior) وإلى أكبر (senior) ، وكل مرحلة تتألف من ثلاثة أعوام دراسة.

تمتد الحلقة الأصغر من سن ١٢ إلى ١٥، وتتم فيها غربلة كبيرة للتلاميذ من المدرسة، إن الكثير من العائلات الأمريكية لم تكن تملك الإمكانيات المادية لأجل أن يكمل أطفالها التعليم المتوسط بصورة تامة.

---

(١) Noble S.G. A History of American Education. N.Y., 1954, p. 330, Cremin L.A. The Transformation of the School. N.Y., 1961.

(٢) كروبسكايا ن. ك. المؤلفات التربوية: في ١١ جزءاً، موسكو، ١٩٥٨-١٩٦٣، الجزء ٢، ص ١٤٢.

وإذا كان ينظر للمدرسة المتوسطة في الفترة السابقة كمرحلة لتهيئة التلاميذ للدخول إلى الكلية، فإن مهمتها الأساسية الآن أصبحت تكمن في تزويد التلاميذ بالحدود الدنيا من القدرات المهنية المحددة. لقد جاء في أحد الأعمال التربوية أن «التلاميذ في هذه السن، يجب أن يظهروا اهتماماتهم المهنية وميولهم»[١]. توصل المربي الأمريكي المشهور تش. بيّنت من خلال تحليله في عام ١٩٢١ لعمل المدارس المتوسطة في المرحلة الأدنى، في ٣٨ مدينة من مدن البلاد، إلى استنتاج مفاده أن التعليم العملي فيها يؤدي إلى توجه وإعداد مهنيين[٢]. وهكذا فإن إدراج التعليم العملي في المرحلة الأدنى من المدرسة المتوسطة، كان يحمل طابعاً عملياً نفعياً، ولم يكن مرتبطاً بالتعليم العام، ومن ثم بتطوير الشخصية من كل الجوانب.

كان المربون الأمريكيون البورجوازيون يسعون بإصرار كي يبرهنوا، أن وجود هذا النظام التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية لعب دوراً حاسماً في التطور الاقتصادي للبلاد، وكان يتم التأكيد لدى ذلك بصفة خاصة، أن المدرسة يجب أن تساعد على تعزيز نظام قطاع العمل الخاص، واستقرار المجتمع الاجتماعي والاقتصادي.

إن التعقيدات والتناقضات في تطور البلاد الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والارتقاءات والأزمات، كانت كلها تعرّض للامتحان الجدي نظام التعليم المدرسي بأسره. كانت السمة الأساسية له هي الاستبعاد الكبير للتلاميذ[٣]. ففي العامين الدراسيين ١٩٢٥-١٩٢٦ و ١٩٣٠-١٩٣١ أنهى

---

(١) Inolustrial Art Education in Grades 7-8-9, Harrisburg, 1927, p. 3.

(٢) Bureau of Education Developmant of the Plan for prepation of Teachers. Wash., 1923, p. 10.

(٣) Good H.V. A History of Amepucan Education. N.Y., 1956, p. 459.

المدرسة المتوسطة من كل ألف تلميذ على التوالي ٥١ % إلى ٣٧ %. كان السبب الأساسي في ذلك هو الاستبعاد- بسبب الحالة التي كانت تتزايد سوءاً لكادحي الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت تجبر المراهقين على مغادرة المدرسة للبحث عن وسائل العيش. ولقد كانت مميزة المعطيات حول الوضع الاجتماعي للتلاميذ، الذين تركوا المدرسة. وهكذا فإن الترك حسب مختلف الفئات الاجتماعية كان يشكل ١ من ١٣ تلميذ، من أبناء مهندسين، و١ من أصل ٩ تلاميذ تعمل عائلاتهم كمستخدمين لدى الدولة، و ١ من أصل ٧ ، من عائلات تجارية، و١ من ٣ من عائلات عمالة عالية المهنية، و١ من ٢.٥ من عائلات مزارعين، و ٢ من ٣ من عائلات عمال غير موصوفين ، و٧ من ٨ من عائلات عمالية زراعية(١).

كانت الفئات الميسورة من السكان تفضل إرسال أطفالها إلى المؤسسات التعليمية الخاصة، إذ كانت تكاليف الدراسة فيها مرتفعة جداً، ومقابل ذلك كان يتم تأهيل التلاميذ للانتساب إلى الجامعات والكليات ذات السمعة العالية. إن برنامج الدراسة في المدارس الخاصة كانت تتميز من المدارس العامة بصورة كبيرة: كانت تتميز بطابعها الأكاديمي الصارم مع استخدام الأشكال والطرائق الحديثة في التعليم. لم يعط التعليم العملي اهتماماً كبيراً. إن هذه المدارس الخاصة كانت مجهزة بصورة أفضل، وكان يعمل فيها المدرسون الأكثر مهارة. ولقد بلغ عدد من كان يدرس في هذه المدارس الخاصة نحو ١٠٠ % من جميع الأطفال في سن التعليم المدرسي.

لم يكن الوضع ملائماً بالنسبة لتعليم السكان الملونين في الولايات الجنوبية، ولغاية انتهاء الحرب العالمية الأولى لم يكن فيها سوى ٦٤ مدرسة متوسطة عامة،

---

(١) Edwards N., Richey H. The School in the American Social order. N.Y., 1947, p. 700.

موجودة بأسرها في المدن تقريباً، وكان مستوى التأهيل في المدارس الأولية منخفضاً إلى تلك الدرجة، بإذ كان يجب تعليم الأطفال في المدارس المتوسطة من جديد القراءة، والكتابة، والحساب. كانت حالة التعليم تلك تقدم أساساً بعض المربين الأمريكان كي يثبتوا أن المدارس المتوسطة المخصصة للزنوج غير كافية البتة لأجل تأهيل العدد الضروري من المعلمين للمدارس الزنجية الأولية. إن المدارس مجهزة بصورة سيئة، ولا يوجد فيها تتابع من الحلقات الأدنى إلى الأعلى[1]. كان بعض رؤساء نظام التعليم الأمريكي يؤكدون، وكأن الزنوج غير قابلين للعمل الذهني، ولذلك يجب إيلاء الأهمية الرئيسية في المدارس الزنجية للمعرفة العملية. إن المدارس الزنجية كانت تستقر في منازل نصف مهدمة، ولم تكن الكتب المدرسية كافية ولا اللوازم المدرسية. وفي الوقت نفسه، فإن المعلم، الذي كان يجب عليه أن يحمل عبئاً ثقيلاً، فإنه كان يحصل على أجرة أقل بعدة مرات من زملائه البيض.

إن المعطيات حول النفقات السنوية على تعليم الزنوج والبيض في العام الدراسي ١٩٣١-١٩٣٢ تشهد على الموقف العنصري من مسألة التعليم الشعبي، والسياسة التمييزية فيما يتعلق بسكان البلاد الزنوج[2]. لقد بلغت هذه النفقات في ولاية ألاباما مبلغ ٣٧,٥ دولاراً على التلميذ الأبيض و٧,١٦ دولارات على التلميذ الزنجي. أما في ولاية فيرجينيا فبلغت على التوالي ٤٧,٤٦ دولاراً للتلميذ الأبيض و١٣,٣٠ دولاراً للتلميذ الزنجي. يمكن إيراد أمثلة مشابهة في الولايات الأخرى أيضاً. بلغت نسبة الأميين عام ١٩٢٠

---

(١) Negro Education. A Study of Private and Hugher Schools for Colored People in the Unites, wash., 1917, vol. 1, p. 44.

(٢) David R. School and Crises, N.Y., 1934, p. 8.

بين السكان الزنوج ٢٢.٩ ، وفي بعض الولايات الجنوبية - حتى ٣٠ % (بلغ عدد الأميين بين البيض نحو ٤ %)[١].

كان يتم الشعور في البلاد بالنقص الحاد في المدارس العامة، ويلاحظ المستوى المنخفض في تأهيل المعلمين العاملين فيها، وكانت الصفوف تكتظ بالتلاميذ. وهكذا، فمن عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٤ زاد عدد تلاميذ البلاد ٦٧٥ ألف تلميذ، أما المعلمون فقد تقلص عددهم بحدود ٤٠ ألفاً. إن أزمة ١٩٢٩-١٩٣٣ وجهت ضربة ثقيلة للتعليم الشعبي. لم يذهب إلى المدرسة نحو ٣.٥ مليون طفل في السن المدرسي. انخفضت بصورة حادة مدة التعليم، وحتى إنها قلت في المدن الصناعية الكبرى بحدود شهرن. ولقد ألغوا تعليم عدد من المواد في الكثير من المدارس. ففي ولاية ألاباما على سبيل المثال تم إغلاق ٨٥ % م المدارس المتوسطة والابتدائية العامة في عام ١٩٣٣[٢]. وكانت النفقات على التعليم تتقلص في كل مكان. انخفضت أو لم تكن تدفع تقريباً رواتب المعلمين، وتقلصت الساعات المخصصة لعلم الصحة والوقاية الصحية وتدبير المنزل، وازدادت أسعار الكتب المدرسية ٣٠ % . أصبحت حالة المدرسين صعبة، وصار أكثر من ٢٠٠ ألف معلم خارج العمل. إن نظرية وممارسة التعليم المدرسي في الولايات المتحدة الأمريكية كانتا مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً بالنظرية النفسية حول الغريزية الوهمية وثبات القدرات الذهنية للأطفال. وفي سنوات ما بعد الحرب بالذات حصلت على انتشار واسع في الممارسة المدرسية الأمريكية تلك العجينة المنبثقة من هذه النظرية المعادية للعلم. كان يساعد على تعميم هذه النظرات في الحياة المدرسية عدد من العوامل،

---

(١)The American Labor Year Book, 1928. N.Y., 1928, p. 127.

(٢)David R. Op. cit., p. 8.

كانت البرجوازية الأمريكية تنطلق في موقفها من التعليم الشعبي من منطلق طبقي وعملي نفعي بحت، وكانت تسعى لاستخدامه لأجل الحصول على الحدود العليا من الأرباح. إن التعليم وعلم الاجتماع البرجوازيين، وعلم النفس المفضل لدى البرجوازية، كلها كانت تنفذ بحماس ما تطلبه الطبقة المسيطرة. إن الكاتب الأمريكي الاجتماعي م. سيري أشار إلى أن «تأثير عالم الأعمال على الآفاق الاجتماعية وعلى سياسة المربين لا ريب فيها»(١).

كان الملهم والداعية الرئيسي للأبعاد البحثية هذه هو العالم النفسي الشهير اي. ل. تورندايك (١٨٧٤-١٩٤٩)، الذي كان يعتبر أن مهمات المدرسة لا يمكن أن تكون بالنسبة لكل التلاميذ واحدة. إن المدرسة التي يتعلم فيها «تلاميذ أذكياء وحيويون» يجب أن تملك أهدافاً واحدة، أما المدرسة العامة العادية، فيجب أن يكون لها أهداف أخرى، ومدرسة المهاجرين الابتدائية - فأهداف ثالثة - .... إلخ. وعلى أساس نظرية ذكاء وموهبة التلاميذ حسب هذه النظرية صاروا يقسمون في المدرسة الابتدائية التلاميذ إلى تيارات آ. ب. س - «موهوبين»، و«عاديين»، و«غير مؤهلين». كان يدخل في عداد غير المؤهلين كقاعدة الأطفال من العائلات غير الميسورة، وفي الصفوف العليا من المدرسة المتوسطة ثم إدخال عدة اختصاصات في التعليم : الأكاديمي (ويدخل فيه التلاميذ من التيارين آ و ب ، ويتم فيه التأهيل للانتساب إلى المدرسة العليا)، والتجاري (وكان يهيئ المستخدمين الصغار للشركات والوكالات) والعمومي. إن التخصص العام لم يكن يعطي كامل القيمة للتعليم المتوسط عموماً، وكان يحضّر التلاميذ لأجل النشاط العملي قطعاً.

(١) Curti M. The Social Ideas of American Education, Totowa, 1966, p. 230.

إن نظرية الموهبة الذكائية وما يرتبط بها من ممارسة تجريبية كانت تثير الانتقاد من جانب بعض المختصين في مجال التربية في الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا، فإن او. تش. بيغلي (١٨٧٤-١٩٤٦) كان يشير بصورة مؤسسة إلى أن أبحاث الموهبة العقلية تظهر عدم فطرية خصائص الذات، وإنما تستاغ من التلميذ فقط. إن هذه النظرية حسب رأيه، تساوي العنصرية.

كان الإرهاب البوليسي وانفلات الرجعية من عقالها يشتدان في ظروف تفاقم التناقضات الاجتماعية في المجتمع الأمريكي، الأمر الذي كان يمارس تأثيراً على المسألة المدرسية. لقد تعرضت المؤسسة التعليمية، وأي تنظيم مهما كان ضئيلاً للمراقبة العلنية وغير العلنية من جانب السلطات. كانوا يطلبون من المعلمين عند قبولهم في العمل، في أكثرية الولايات أن يقسموا يمين الولاء. لقد كان نص القسم يتحدث عن دعم دستور الولايات المتحدة الأمريكية والالتزام به، ورفض التعاطف مع أية نظريات سياسية، واقتصادية، واجتماعية تتناقض مع المثل الأمريكية مهما كانت. إن محتوى القسم كان يحمل بجلاء طابعاً معادياً للشيوعيين، وكان يفتح الطريق للأوساط الحاكمة لأجل تأويله بصورة تعسفية واسعة حسب مصلحتها. وفي حال عدم التقيد بنص القسم كان يطرد المتهمون م المدارس ويتعرضون للملاحقات. كانت الحركة النقابية في صفوف المعلمين تعاقب بأشكال متنوعة، وكانت تقمع التحركات من أجل زيادة الأجور.

كان القمع يتزايد كل عام ضد المؤسسة التعليمية. لقد جاء في الحولية الأمريكية التقدمية أن «الحريات الأكاديمية تنتهك بصورة دائمة خلال السنوات الأخيرة، ويجبر المعلمون والأساتذة على الصمت أو يطردون من

العمل فيما إذا عبروا عن آرائهم الخاصة تجاه العلم والدين، أو تمسكوا بالأفكار الراديكالية»[1].

كانت المحاكمة «القردية» في مدينة دييتون (ولاية تينيسي) في تموز عام ١٩٢٥ للمعلم ج. سكويس المتهم بالمسؤولية الجنائية لأنه عرض باختصار في المدرسة نظرية تش. داروين عن نشأة الإنسان، محاكمة ظلامية للعلم، وتم الحكم عليه بغرامة. وبعد هذه المحاكمة تم إقرار قوانين «قردية» في عدد من الولايات، التي استمرت في مختلف الأمكنة حتى عام ١٩٧٥.

كان محتوى التعليم المدرسي، وقبل أي شيء تعليم مواد الدورات الاجتماعية ودورات علم اللغة، مملوءاً بروح شوفينية الدولة العظمى، والزعامة الأمريكية، ونظرية «الاستثنائية الأمريكية».

لقد جرى تشويه معنى ومغزى ما كان يجري في العالم من تحولات ثورية، والحط من مساهمة شعوب البلدان الأخرى في كنز الثقافة العالمية، والإيهام بـ «أفضلية» البناء الاجتماعي البرجوازي في الولايات المتحدة الأمريكية، والديمقراطية الأمريكية، والدعاية للـ «التنافس الاجتماعي» و«السلم الطبقي»، وأفكار التعصب القومي والعنصرية.

في أعوام «الرفاهية» نما بصورة حادة تأثير «عالم الأعمال الكبير» على كل مجالات التعليم الشعبي. كانت أهداف، ومحتوى، وطرائق التعليم خاضعة لمصالح عالم الأعمال. لقد ساد المنطلق النفعي، وأدت عملية التعليم بدرجة ملموسة إلى اكتساب حلقة ضيقة للمهارة العملية والمعرفة. وكان يدخل حتى في عضوية المكتب المختص بشؤون التعليم الشعبي ممثلو عالم الأعمال، الذين كانوا

---

(١) The American Labor Year Book, 1928, p. 192.

يسعون لتكييف المدرسة مع مصالح ومتطلبات الرأسمال الكبير - الصناعة[1]. يمكن تسمية الفترة بين الحربين العالميتين دون أية مبالغة بفترة السيطرة المطلقة في التعليم والمدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية للأفكار البراغماتية، المرتبطة باسم م. ديوي. إن فلسفة البراغماتية كانت تساعد إلى حد كبير على «توحيد الأفكار» وغرسها بصورة متزايدة بعد الحرب العالمية الأولى.

يجب الإشارة إلى أن التعليم البراغماتي كان يعزز مواقعه، وينشر تأثيره على المدرسة في فترة ما بين الحربين ليس بصورة عفوية أبداً. ففي عام ١٩١٩ أسس عدد كبير من أنصار البراغماتية «الجمعية التقدمية للتعليم الشعبي». وها هي بعض مبادئها التعليمية، التي تم وضعها في أساس نشاط هذه المنظمة: حرية التطور الطبيعي للطفل، والمصلحة - الباعث الرئيسي لكل عمل، والمعلم - مساعد للتلميذ، وليس قائداً له، و«المنطلق العلمي» في تطوير الأطفال، والاهتمام الخاص بكل العوامل التي تؤثر على تطورهم الجسدي، وعلاقة المدرسة بالعائلة. لقد لعبت «الجمعية التقدمية للتعليم الشعبي» التي كانت تجمع في صفوفها أنصار التعليم البراغماتي، دوراً كبيراً في تحديد المناخ التعليمي في المدارس. وبفضل تأثير أفكار البراغماتية في النظرية التعليمية تفوت بصورة حادة نزعات الحط من مهام التعليم العام للمدرسة، وتحت ستار اقتراب المدرسة من الحياة كانت تتم الدعاية للنزعات التطبيقية والنفعية. كانت المدرسة تفقد في النتيجة إلى درجة ملموسة الطابع التعليمي العام. إن العديد من الأفكار التربوية لديوي أوصلت الكثير من أنصاره إلى الشطط في التطرف، لم يكن يفكر بذلك مؤسس هذه الأفكار نفسه. ومن بين هذه الأفكار، الحط من دور المعلم، وتحويل

---

(١) كاونتس د. نظرية التربية في أمريكا، موسكو، ١٩٣١، ص ٥٧.

التربية والتعليم إلى عملية عفوية غير موجهة عملياً. إن ديوي أعاد التقييم لمغزى التعليم بواسطة «الاستدلال»، وأعطى أهمية كبيرة جداً لعمليات العمل، ولم يدافع فقط عن فكرة ربط التعليم العملي بالعلم، وإنما عن الحط من المستوى التعليمي العام للتعليم المدرسي، الأمر الذي جرى التعبير عنه في طريقة (مخطط دالتون، وطريقة المشاريع، والطريقة المركبة وغيرها).

كانت التربية عند ديوي موجهة عملياً لتكييف الجيل الشاب للحياة في المجتمع البرجوازي، وإدراجه في «نمط الحياة الأمريكية».

يعتبر مخطط دالتون، المعدّ والمستخدم من قبل اي. باركهيت تأكيداً على ذلك. وبالاستناد إلى أن المدرسة لا تقدم لتلاميذها أية معارف عملية، وتتجاهل التجربة الشخصية للطفل، والتربية غالباً ما تألف الكلاسيكيين أمثال بيستالوتسي، وفريبيل، وهيربرت، فإن باركهيرست كان يلح على أن تعطى للطفل «الحرية الكاملة» والعمل دون انقطاع على أية مادة يمكن أن يهتم بها. «ليسقط نظام الصفوف العادية، ليسقط كل النمط القديم للحياة المدرسية: ليدرس الأطفال في المدرسة ما يشاؤون، وبمقدار ما يريدون» - هكذا كان يعلن باركهيرست[1]. إن مثل هذا التطرف في رفض وجود برامج مسبقة للتعليم لم يكن موجوداً عند ديوي.

بدعة أخرى - طريقة المشاريع، التي كان من بين مؤلفيها ف.هـ. كيلباتريك، وهو أحد أكثر الأتباع المتحمسين لفكرة ديوي[2]. إن الفكرة الأساسية لهذه الطريقة تكمن في التعليم المركّب، الذي يجب عليه أن يحل محل

---

(١) باركهيرست ي. التربية والتعليم حسب مخطط دالتون. موسكو، ١٩٢٥، ص ٢٠.

(٢) كيلباتريك ف. طريقة المشاريع، ص ١٣.

تعليم المواد. إن هذه الطريقة في الواقع ما هي إلا تركيب دعائي يؤدي إلى الاندماج الآلي، وإلى التكامل، وتوحيد المعارف حول «عملية هادفة» محددة - «المشروع» (على سبيل المثال إنتاج نموذج لزورق، أو بناء منزل). لقد تم الافتراض هنا على أن المشاريع، أو المهام الحيوية، ستظهر، بفضل الاهتمام الداخلي للتلاميذ، الذين يقيّمون بأنفسهم نتائج نشاطهم. فإذا كان التلميذ في المدرسة القديمة يقوم بتنفيذ العمل فقط، ففي الظروف الحديثة يستطيع أن يختار نوع المشروع، ويضع المخطط، ويرصد النتائج. إن دور المعلم، حسب طريقة المشاريع، ينحصر فقط بتنظيم شروط العمل، ويقدم للأطفال الإمكانيات الأوسع لأجل إظهار نشاطهم الخاص.

بيد أن ذلك التكامل لم يكن يسمح بإنتاج مهارات جيدة في القراءة، والكتابة، والحساب عند تلاميذ الحلقة الابتدائية، أي تلك الأسس التي لا يملك التعليم اللاحق معنى بدونها[1]. كان كيلباتريك يقوم بالدعاية للنفعية البرجوازية، والمدرسة العملية بحجة تحسين نظام التعليم الشعبي.

لم يظهر الاهتمام بفردية الأطفال، والاتجاه إلى الذاتية بصورة عفوية في علم التربية البرجوازي. كان ردَّ فعلٍ تربويّاً بحد ذاته على تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية ومظاهرها في حياة الولايات المتحدة الأمريكية الاجتماعية.

إن تركز السلطة السياسية والاقتصادية في أيدي الطغمة المالية، وإفلاس أرباب العمل الصغار والمتوسطين، قد فهمَهُ علماءُ التربية البرجوازيون الصغار كنتيجة لإهمال ذاتية الإنسان، وعدم الاهتمام بفرديته.

---

(١) مالكوفا ز. ا. المدرسة الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٧١، ص ١٤٤-١٤٥.

إن الأمريكان، حسب رأي هؤلاء المربين أصبحوا يفكرون ويشعرون بصورة معيارية، ولا يبدون أي استقلالية. ومن هنا جاء الاستنتاج حول تقوية الاتجاه الفردي في تكوين الذات الإنسانية. بيد أن نظرية رفض التدريس المنهجي العادي لممثلي علم التربية الأمريكية لم تكن تتناقض مطلقاً مع مصالح البرجوازية الكبيرة. إن تربية الشخصيات الفردية، والاهتمام قبل أي شيء بالمصالح الذاتية، والنجاح الشخصي، والازدهار - من الضروري الإشارة، إلى أن الآراء الانتقادية الأولى الموجهة إلى علم التربية البراغماتية قد ظهرت في أعوام الثلاثينيات. لقد أخذ بعض علماء التربية يفكرون، إلى أي مدى يمكن أن يكون مفيداً استخدام هذه الأفكار في الممارسة المدرسية. وهكذا، كتب بيدرو أوراتا عام ١٩٣٨ أن أفكار ج. ديوي تجرد المدرسة من النظام والتنظيم. أخذت تظهر أعمال، كان يدوي فيها عدم الرضا عن حالة المدرسة الأمريكية. لقد جاء في مقالة منشورة في مجلة «إيديوكيشن» أن «أمريكا محتاجة في الوقت الراهن إلى تعليم جديد، يعطي إمكانية لتهيئة الشباب والشابات للحياة في العالم الجديد»[١].

٢ - التعليم العالي

قطعت الحرب العالمية الأولى السكون، الذي كان مستقراً في المدرسة الأمريكية العليا في بداية القرن العشرين، وعندما كان العالم الأكاديمي والبلاد عموماً يفكرون ويقيمون نتائج الإصلاح والاستحداثات في الأعوام العشر الأخيرة. كانت المعاهد الدراسية العليا تشعر بأنفاس الحرب قبل فترة طويلة من آذار عام ١٩١٧.

---

(١) Education, 1934, vol. 54, p. 124.

لقد انتصبت أمام معاهد التعليم العالي، وذلك دون التحدث عن ما كان ينتشر في الحرم الجامعي من نقاشات بين الانعزاليين وأنصار التدخل، ودعاة المسالمة، وأنصار العسكرية والأمميين، انتصبت مسألة الانخراط في برنامج الاستعداد العسكري. إن نقاش هذا البرنامج لم يؤدّ إلى مواقف سياسية فحسب، وإنما إلى مواقف طائفية بصورة مضاعفة.

وبصورة عامة، فإن أغلبية المعلمين والطلاب لم يستطيعوا ولم يرغبوا البقاء على طرف الأحداث السياسية. وعندما أصبحت مشاركة الولايات المتحدة في الحرب حقيقة واقعية، أسرعت المعاهد العليا بوضع موارد ما في خدمة الدولة، وسعت الحكومة الفدرالية بدورها كذلك أن تحصل على دعم المعاهد العليا.

إن الحكومة في سعي منها «لتلافي تبعثر الكليات» وكنتيجة لنقص المختصين في المجالات الإستراتيجية المهمة للمعرفة، أقدمت على تأجيل الخدمة العسكرية للطلاب. وفي الوقت نفسه أقدمت على إبرام عقود مع ٥٠٠ معهد نهائي تقريباً، تقضي بإجراء أبحاث لمصلحة القوات المسلحة والصناعة الحربية، وكذلك تأمين ضباط مدربين من الطلاب. وبالنتيجة فإن الكتلة الأساسية من الطلاب لم تذهب إلى الجبهة.

وفي كانون الثاني عام ١٩١٨ دعت الجمعية الأمريكية للكليات الرئيس ف. ويلسون «لاتخاذ تدابير للتعبئة الضرورية في مؤسسات التعليم العالي لأجل حاجات الحرب» وبتنسيق الجهود في هذا الاتجاه[١]. إن الحكومة الفدرالية، التي كانت تتجنب بكل الطرق في بداية القرن أي تدخل في شؤون

(١) Rudolph F. The American college and University. A History. N.Y., 1968, ch. 21.

الكليات والجامعات (حتى أن تأخذ على عاتقها وظيفة التعيينات)، فإنها أظهرت في هذه المرة اهتمامها بذلك. إلا أن معظم جمعيات المعاهد لم تدعم مبادرة الجمعية الأمريكية للكليات، محافظة على استقلالها الذاتي، وفي النتيجة تم وضع الصلاحيات التنسيقية على عاتق المجلس الأمريكي غير الحكومي لشؤون التعليم[١]، الذي ساعد الحكومة في استخدام القدرة الذهنية للبلاد في الأهداف العسكرية، ولكنه عارض بحزم وبنجاح إقامة أي رقابة من قبل واشنطن، أو الولايات، أو البلديات على البرامج المالية أو التدريسية - العلمية للمعاهد التعليمية العليا[٢].

إن ظهور المجلس الأمريكي غير الحكومي لشؤون التعليم كان علامة مهمة في تاريخ المدرسة العليا الأمريكية. فقبل بداية القرن العشرين كانت عقود الرؤساء والمعلمين الشخصية مرتبطة بالمعاهد العليا في إطار الجمعيات العلمية. كان ذلك يوحدهم للسعي للدفاع عن الحريات الأكاديمية، والحصول على الاعتراف بالدبلومات الأمريكية خارج الوطن وبعض العوامل الأخرى.

لكن القوى المركزية النابذة لتقاليد القرون من الاستقلال الذاتي لم تكن تسمح بأن تظهر من آن لآخر اتحادات بين المعاهد العليا تمتلك أية صلاحيات مهمة. إن خطر التدخل الحكومي المباشر فقط أجبر المعاهد العليا على أن توحد صفوفها بصورة وثيقة. لقد أصبح تنسيق نشاط المؤسسات التعليمية العليا وتعاونها مع الدولة منذ فترة بعيدة حاجة ملحّة، ولو من الناحية المالية، إلا أن المعاهد العليا فضلت الإشراف المباشر من جانب الدولة بواسطة المنظمات غير

---

(١) Dobbins ch. The American Council of Education. Wash., 1968, p. 2-4.

(٢) Hulstead D.K. Statewide in American Society: Higher Education. Wash., 1974, p. 6,9.

الحكومية المعترف بها من قبل الحكومة[1]. إن إنشاء المجلس الأمريكي غير الحكومي لشؤون التعليم في هذا المعنى كان خطوة مهمة باتجاه تنظيم الدولة الاحتكاري لنشاط المدرسة العليا.

كان الحديث يجري بالطبع عن النزعات البارزة فقط. كانت المدرسة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية على امتداد الفترة التي يتم بحثها عبارة عن مجموعة من المؤسسات غير المتبلورة ومتعددة الأنواع. إن هذا الوضع نشأ بسبب أن الإصلاحات التي أعقبت الحرب الأهلية خرقت الوحدة السابقة للمدرسة العليا، التي كانت تخص التصورات حول أهداف ومهام التعليم. وإلى جانب الكليات الأكاديمية (مع أنها غير كثيرة العدد، وكانت مخلصة للنظرة القديمة، كانت مدعوة لإعداد رجال محترمين، وتربيتهم وتعليمهم) كانت توجد مؤسسات تعليمية ذات توجه آخر تماماً : جامعات للأبحاث، تسعى لتأهيل العلماء، وكليات، كانت تقدم تعليماً مهنياً ضيقاً أو على العكس، تعليماً هادفاً لرفع المستوى الثقافي العام.

ازداد التنوع في المدرسة العليا الأمريكية بسبب الإمكانيات غير المتعادلة: لقد اختلف بعضها عن بعضٍ بنوعية التعليم، وبالمذاهب الدينية وبالتقاليد الإقليمية.

كانت المدرسة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، في الفترة التي يتم التطرق إليها في عدد من المؤشرات تقف في المكان الأول في العالم الرأسمالي. إن عدد المعاهد العليا التي كان يبلغ عددها في عام ١٩٢٠ أكثر من ألف معهد بقليل، ارتفع في عام ١٩٣٠ إلى ١,٥ ألف معهد تقريباً، وفي عام ١٩٤٠ زاد على ألفي معهد: أما عدد الطلاب فقد زاد من ٦٢٠ ألف طالب إلى ١,٥ مليون، وزادت

---

(١) Perkins J. Higher Education: From Autonomy to System. N.Y., p. 107-108.

نسبة الفئة العمرية من ١٨ إلى ٢١ عاماً من ٩, ٧ إلى ٥, ١٤ %، على الرغم من أن ذلك جرى في فترة الكساد أعوام العشرينيات وانخفاض نسبة الولادات. بلغت النفقات على التعليم العالي عام ١٩٢٠، ٢١٦ مليون دولار، أما بعد عشرين عاماً فأصبح ٧٥٨ مليون دولار، شكل على التوالي ٢٣, ٠ - ٧٣, ٠ % من إجمالي الناتج المحلي[1]. بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتخلف بصورة واضحة عن ألمانيا وفرنسا من إذ تخريج الاختصاصيين، الذين كانوا يملكون دراسة لا تقل عن الـ ٤ سنوات في الكلية (حوالي ٦٩٠ ألفاً في عام ١٩٤٠)، على الأقل بالنسبة لعدد السكان[2]. لم تتخط نفقات المدرسة العليا الأمريكية على العلم حتى بداية الحرب العالمية الثانية ٢٧ مليون دولار ولا مرة.

وحسب تخريج دكاترة العلوم (مماثلة لدينا تقريباً لدرجة مرشح في العلوم) فقد بلغ العدد في عام ١٩٢٠، ٥٦٠، وفي عام ١٩٤٠، ٣٢٧٦ دكتوراً.

تفوقت الولايات المتحدة على أوروبا الغربية بالاختراعات التكنيكية، لكنها تخلفت بقوة عنها في تطور العلم الأساسي. لم يكن في البلاد إلا القليل من العلماء، وعلى الرغم من تكرار المحاولات في الفترة الأخيرة، فإن أكثر من ٢٣ ألف عالم أوروبي مهاجر هرباً من الفاشية لعبوا دوراً استثنائياً مهماً في تكوين العلم الأمريكي[3].

من المستحيل عدم ملاحظة المستوى غير العالي نسبياً للتعليم المقدم من قبل معظم المعاهد الأمريكية العليا. تستثنى من ذلك ١٣ إلى ١٤ جامعة وكلية

---

(١) هذا الإحصاء مأخوذ من: Digest of Education Statistics. Wash., 1978, 129

(٢) Harris S. E. A Statistical Portrait of Higher Education N.Y., 1992, p. 318, 323, 349.

(٣) Rudy S. W., Brubacher J. S. Higher Education in Transition. A. History of American Colleges and Universities, 1936-1968, N.Y., 1968, p. 418-421.

مثل جامعات (هارفارد، إييل، برينستون، ديوك، ستينفورد، كولومبيا، تشيكاغو، كاليفورنيا، والمعهد التكنولوجي في ماساتشوسيت وكليات مدينة نيويورك)، أما المئات الأخرى من المعاهد العليا الجيدة فكانت أخفض من إذ الدرجة. إن معظم، أو الأغلبية من المؤسسات العلمية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتصف بالمستوى المنخفض للتعليم. وحسب بعض التقييمات، فإن نحو ربع الكليات التي كانت قائمة آنذاك لا يمكن اعتبارها بصورة عامة مؤسسات تعليمية عليا بالمعنى الأوروبي للكلمة. لقد كان من بينها عشرات المؤسسات التي كانت تفبرك الدبلومات ببساطة لقاء النقود، لكن الكتلة الأساسية كانت تشكل كليات تؤدي وظيفتها، وكانت تنفذ البرامج بصورة ولو أكبر، وأحياناً أقل من التعليم المتوسط[1].

إن مثل هذه الكليات كانت منتشرة في كل البلاد، إلا أن أكثريتها كانت توجد في غيتوات المدن الكبرى وفي مناطق الجنوب والغرب المتوسط الزراعية التي أصابها الكساد والخراب.

يجب أن يؤخذ بالحسبان أيضاً، أن الجزء الأكبر من الطلاب الأمريكان كانوا يتعلمون لمدد قصيرة جداً، ففي أعوام ١٩٢٠-١٩٤٠ كانت مدة الدراسة في ٤٦ - ٥٧ % من المعاهد لا تزيد على سنتين، أما في البقية (حتى في هارفارد!) كذلك كان يعتبر طبيعياً تماماً، أن يغادر جزء مهم من الطلاب الجامعة بعد عامين من الدراسة. لقد افترض، أن الطالب يحصل في الصفوف الدنيا على تصور عام عن مختلف فروع المعرفة، وبنفس الوقت يملك إمكانية للبدء بدراسة مادة ما بصورة معمقة، أو أن يقرر بأن يقتصر على عامين في الكلية، وأن يركّز على مواد

---

(١) Rudolph F. Curriculum, San Francissco, 1977, p. 96, Blacks in American : Bibliographical Essays. Garden City, 1971, p. 212

ذات طابع تطبيقي. بيد أن القليل جداً فقط من «الكليات الصغيرة» كانت تضمن في تلك السنوات ما يمكن تسميته تعليماً عالياً قيماً غير منجز. كانت المعاهد العليا كقاعدة تقترح على الطلاب عشرات وحتى مئات المواد، وكان تعميم المواد التطبيقية الذي بدأ في أعوام الستينيات من القرن التاسع عشر في العملية التعليمية والمهنية المتنامية للتعليم العالي[1]، وإدخال المناهج «الحرفية» في فهارس المعاهد مثل التفصيل والخياطة، وسياقة السيارات، وتاريخ البيسبول وغيرها، كان لكل ذلك جانب معاكس، ولا سيَّما في فترة «الرفاهية».

إن المبدأ الاختياري في التعليم بالذات في هذه السنوات (أي إعطاء الطالب إمكانية أن يشكل برنامجه الدراسي) المعد في ذلك الوقت لأجواء هارفارد الفكرية العالية، انتشر في معظم المعاهد التعليمية الدنيا في البلاد، وأدى إلى حالة من الخطل.

أخذوا في البحث عن مخرج من هذه الحالة الناشئة، وتم اتخاذ قرار في سفارتمور بالحكم على درجة، من درس مواد علمية محددة بصورة فعلية فقط[2]وفي ستينفورد والمعهد التكنولوجي في ميساتسيت تم إدراج مفهوم المواد الإلزامية لما هو «أساسي» ومن الدرجة «الثانية» والذي ينبغي اختيارها من تعداد المواد العلمية بصورة حقيقية. ففي هارفارد وجامعة ولاية آنديانا أعدوا سلماً كانوا يقيّمون بمقتضاه الجانب المعرفي في المنهاج - ولأجل الحصول على الدرجة صار من الضروري جمع كمية محددة من العلامات[3]. استخدمت أفضل المعاهد العليا في البلاد إحدى هذه المنظومات في أعوام الثلاثينيات، لكن هذا الإصلاح كان بالتحسن للأكثرية آنذاك مسألة مستقبل فقط.

---

(١) فيلينوفا ل. د. المدرسة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٨١، ص ٧٦-٨٣.
(٢) Rudy S.W., Brubacher J.S. cit, p. 269.
(٣) Thayer V.T. Formative Ideas in American Education. N.Y., 1970, p. 115.

كانت المسائل المالية للمدرسة العليا معقدة، وهذا ما يفسره عدم انتظام الدخول قبل كل شيء. إن تغير الحالة الاقتصادية بصورة آلية كان يؤثر في مداخيل الضرائب إلى خزانة الولايات والبلديات، وكان ذلك ينعكس بصورة سريعة على الاعتمادات الحكومية المخصصة للمعاهد. يجب الأخذ في الاعتبار أن المعاهد الحكومية في ذلك الوقت (التي كانت تشكل نحو نصف العدد العام) لم تكن تحصل تقريباً على تبرعات من الاتحادات الاحتكارية الخاصة أو الصناديق، باستثناء الكليات الزنجية بالدرجة الأساسية. وإذا كان هذا هو الوضع القائم، إذ لم تكن الولايات تساعد عملياً بشيء معاهد البلديات، والبلديات معاهد الولايات، فليس من الصعوبة أن نتصور إلى أية عواقب قاد تقليص الإعانات ولو ببعض النسب[١].

كان الوضع في الكليات والجامعات الخاصة في حالة أفضل، ولكن كانت لديهم مشاكل أيضاً. فهي من إذ الجوهر كانت متعلقة كلياً بإحسان رجال الأعمال، والأوضاع في البورصة، وبالإضافة لذلك فإن التبرعات كان لها شروط محددة تماماً. وكانت تتطلب على سبيل المثال توجيه هذه الوسائل إلى بناء مساكن داخلية للطلبة بالذات وليس شعباً آخر، باستثناء الأبحاث المدعوة للبرهنة على بطلان نظرية التطور. بالطبع، كان رجال الإحسان يفرضون عادة على قادة المعاهد رغباتهم، لكن المعاهد كانت مضطرة في بعض الأحيان إلى رفض تلك التبرعات القيّمة[٢].

---

(١) Rudy S.W. The College of the city of Newyork: A History, 1847-1947. N.Y., 1949, p. 376, 445.

(٢) Kevles D.J. Physicists. The History of a Scientific Community in Modern America. N.Y., 1979, p. 248.

إن الصناديق، على أية حال، مثلها مثل كل الرأسمال الخاص، كانت تعرف بأية معاهد تستثمر نقودها بصورة جلية : ففي أعوام الثلاثينيات حصلت ٢٠ جامعة على ٧٥ % من جميع اعتماداتها، وذهب ٢٥ % من هذه الاعتمادات إلى ٣٠٠ معهد عال، أما ما تبقى فلم يحصل من هذه الصناديق على دولار واحد(١). بقيت جمعيات «الألمنيوم» التي قامت في الواقع بانتشال المعاهد أكثر من مرة من الكارثة، وعلى الأخص في سنوات الأزمة: فإييل على سبيل المثال كانت تبتز من خريجيها ما يقارب المليون دولار في العام(٢). إلا أن المعاهد الفقيرة لم يكن يرتادها عادة الطلاب الأغنياء.

إن إمكانيات الحكومات الفدرالية فيما يتعلق بالاعتمادات للمدرسة العليا ازدادت بصورة ملحوظة بعد إقرار التعديلات الـ XVI على الدستور. بيد أن الإدارات الجمهورية كانت تصادق على تقليص المساعدة الحكومية للمدرسة العليا، والتي انخفضت عملياً في المحصلة من ٣٧,٥ % في العام الدراسي ١٩١٩-١٩٢٠ إلى ٣٠,٨ % بعد عشر سنوات(٣). إن الكليات والجامعات، وحتى الحكومية منها كانت ترفض بصورة قاطعة في ذلك الوقت أية محاولات من الدولة للإشراف على استخدام الوسائل المقدمة لها. لم يكن يمكن ذلك إلا إلى تثبيط عزم الإدارات المالية، والتي كانت تقاسم الرأي المنتشر بصورة واسعة، فإن دافعي الضرائب لا يجب أن يدفعوا على ألعاب الأساتذة.

إن الأمزجة المعادية للعقلانية التي كانت تتعايش بصورة غريبة في وعي الأمريكي العادي مع الإيمان بالقوة العجيبة للتعليم كدواء من كل الكوارث

---

(١) لا يوجد هامش.

(٢) Pierson G.W. Yale: College and University. New Haven, 1955, vol. 2. P. 230-232.

(٣) Digest of Educational Statistics, 1978, p. 129.

الحياتية، ازدهرت بكثافة في أعوام «الرفاهية» على وجه الخصوص. كان صنم الإنسان البسيط في تلك الأزمان هو رجل الأعمال مثل غ. فورد الذي توصل إلى ما هو عليه «بفضل عقله» والذي برهن على تفوقه على قرنائه العلميين بالنجاح الشخصي. لم تكن تنفى فائدة التعليم في المعاهد العالية، ولا سيما أن الأبحاث الاجتماعية أواخر أعوام العشرينيات أظهرت العلاقة المؤكدة للترقية في الخدمة بمستوى التعليم[1]، وبذلك فقط، حسب رأي الأكثرية، كانت تحدد القيمة. كان يسود الاعتقاد، بأن رجال الأعمال، الذين يساعدون بالمناسبة الكليات بالضرائب وبالدفع لقاء تعليم أبنائهم، يستطيعون أن يقرروا، ماذا يجب أن يدرّس هناك، وكيف يجب أن يتم ذلك.

ومن الضروري هنا أن نضيف إلى ذلك عدم ثقة الأمريكان البسطاء بـ «المتعجرفين» التي كانت كثيراً ما تتحول في فترة تلك الأعوام إلى اتهام العلماء بالفساد أو بالعداء لأمريكا، أو كما عبّر عن ذلك في إحدى المرات وبصورة حزينة بطل المحاكمة «الفردية» أو. برايان بـ «السوفييتية العلمية[2]».

إن هذه الأمزجة تغلغلت بشكلها المحوَّل إلى المعاهد أيضاً، محفزة الطلاب على احتكار المناهج النظرية، وموجهة إياهم للاهتمام الكبير بالمواد العلمية، والفعاليات خارج المدرسة. لقد دفعت قيادة المعاهد، ولا سيما الكليات المحلية الصغيرة، إلى حد ما كذلك ضريبة النزعات البراغماتية، من خلال التضخيم المفرط للوظيفة الاقتصادية للتعليم. إن التوجه إلى خدمة متطلبات أوساط العمل كان يطفح في كثير من الأحيان بالتغاضي عن المصالح الضيقة والبسيطة والآنية للزبائن، وكانت تؤدي إلى انخفاض كارثي في مستوى التعليم. كان تجلي

---

(١) Pierson F.C. The Education of American Businessman. N.Y., 1959, p. 25.

(٢) Hofstadter R. Anti-intellectualism in American life. N.Y., 1963, p. 127.

الأمزجة المعادية للعقلانية يظهر كذلك في استعداد المعاهد لاستثمار مبالغ كبيرة بصورة مفرطة في المجال غير الأكاديمي، فعلى سبيل المثال، في بناء المنشآت الرياضية الباذخة وتنظيم المسابقات المنظمة بأبهة.

إن الأزمة الاقتصادية التي اندلعت في نهاية ١٩٢٩ تجنبت المدرسة العليا من جانب، أو المدارس المتوسطة، وقد تم تفسير الوضع الخاص للمعاهد العليا، بأسباب عديدة، وبالدرجة الأولى، على ما نعتقد بتنوع مصادر دخولها، الذي كان يسمح بدرجة محددة للمعاهد العليا بالمناورة وبتعويض تقليص الاعتمادات من جانب الصناديق والشركات الخاصة بالتحصيلات العاجلة من جمعيات «الألمنيوم» وإدخال أجزاء من الرأسمال الثابت في التداول، التي لا تتعرض عملياً لفرض الضرائب، وكانت تتراكم في السنوات الأكثر ملاءمة[١]. وليس بأقل جوهرية، أن ميزانية معظم المعاهد العليا حتى عام ١٩٣٢ كانت مستمرة في النمو، وإلى حد كبير أيضاً على حساب زيادة الاعتمادات من جانب الدولة وقطاع الأعمال، وعندما تقلص كل شيء في عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤، فإنه لم يكن كبيراً، كما كان متوقعاً[٢]. كانت الدولة والرأسمال الخاص يعطيان للمعاهد العليا دوراً جدياً كبيراً في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص.

وبمقتضى التقاليد التي بدأت منذ فترة طويلة في عصر التنوير، فإن معظم الأمريكان كانوا يرون في التعليم، والعالي على وجه الخصوص، ضماناً للنجاح

---

(١) انظر على سبيل المثال: French J.C. A History of the University Founded by Johns Hopkins. Baltimore, 1946, p. 374-378.

(٢) Historical Statistics of the United States. Colonial Times to 1970, Wash., 1978, p. 384.

والتقدم الاجتماعي. لذلك فإن جزءاً كبيراً من السكان كانوا مستعدين حتى في أسوأ أعوام الأزمة والكساد أن يتحملوا عبء النفقات على التعليم وتغطية نفقات الأطفال في المدرسة والكلية، ولا سيما أن جزءاً مهماً من هذه النفقات كانت تأخذها على عاتقها جهة أخرى (بالنسبة لنفسية الأمريكي، هذه ناحية لا تقل أهمية). كانت البطالة الشاملة الناشئة عن الأزمة تساعد بصورة غير مألوفة إلى درجة معلومة على الاحتفاظ، وفيما بعد على نمو الملاك الطلابي: إن عدم إمكانية إيجاد عمل دفع بالكثير من الأمريكيين «المتوسطين» الذين احتفظوا بالرفاهية بحدودها الدنيا، وكانوا يهتمون بالسمعة العائلية، للذهاب إلى الكليات. لذلك فإن عدد الطلاب لم يتقلص حتى في أصعب الأوقات بالنسبة للمدرسة العليا أعوام ١٩٣٢-١٩٣٤ إلا في حدود ٨,٦ %، ثم أخذ يزداد من جديد وبسرعة[١].

وعلى ذلك، كانت ضريبة الأزمة قوية، فلأول مرة خلال تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن يضمن الدبلوم الأمريكي حصول صاحبه على العمل: حتى ربيع عام ١٩٣٤ كان عدة مئات من آلاف الأشخاص يعيشون في هذا الوضع. ولقد تم إنشاء جمعية للعاطلين عن العمل من خريجي المدرسة العليا كذلك، وكان من بين مؤسسيها عدد غير قليل من سلالة أفضل معاهد البلاد: من جامعات كولومبيا، وهارفارد، وفاسار، وسوارتمور[٢].

إثر الإملاق المتزايد لدافعي الضرائب بصورة كارثية على ميزانية الولايات، التي كانت الأكثرية العظمى من المعاهد الحكومية واقعة ضمن إدارتها. كانت

---

(١) Digest of Education Statistics, 1978, p. 34.

(٢) Shannon D.A. The Great Depression. Englewood Cliffs, 1960, p. 91-92.

الولايات في النتيجة مضطرة لتخفيض الاعتمادات للمدرسة العليا من ١٧٥ مليون دولار في عام ١٩٣٢ إلى ١١٨ مليوناً - في عام ١٩٣٤[١].

إن رفع (أو فرض) الأجرة لقاء التعليم في هذه الحالة، كما كان ذلك يجري على امتداد أعوام العشرينيات كان دون معنى، لأن مثل هذا التدبير كان يوجه ضربة للمعاهد نفسها. وعوضاً عن ذلك أقدمت أكثرية المعاهد على قبول كل من يرغب في الانتساب إليها عملياً مهما كان إعداده ضعيفاً، وعدم استبعاد أي طالب. بيد أنه وفي الوقت نفسه تم إدخال نظام اقتصادي صارم: تم من إذ الجوهر تخفيض النفقات على الخدمات، والبناء، والترميم، حتى على تزويد المكتبات والأبحاث العلمية[٢]. لكن ذلك كقاعدة لم يكن كافياً، وعند ذلك انتصبت مسألة تقليص وتخفيض رواتب المعلمين. زالت الرواتب المتحررة، وتوقف الترقي في الخدمة كاملاً تقريباً، ووجب على ٨٤% من المعاهد الذهاب إلى تخفيض الأجرة في الأماكن بصورة ملموسة. وبالمقارنة مع السنة الدراسية الصعبة عام ١٩٣٠-١٩٣١ انخفضت الأجرة خلال السنوات الثلاث التالية بحدود ١٤ % في البلاد بصورة متوسطة، على الرغم من أنها أخذت بالازدياد مرة ثانية بعد ذلك، ولكن بصورة بطيئة جداً، دون أن تصل في بداية الحرب إلى مستوى ما قبل فترة الكساد[٣].

أخذت المعاهد في سعي منها للحفاظ على الطلاب، تساعدهم في البحث عن كسب إضافي، وتقدم لهم التسهيلات الممكنة، وحتى يكيف البرامج التدريسية

---

(١) Harris S.E. Op. cit., p. 585.

(٢) Wester D. The Age of Great Depression, 1929-1941. N.Y., 1948, p. 190, French J.C. Op. cit., p. 363-364.

(٣) Rudolph F. The American College.., p. 465-466.

أحياناً للاهتمامات الجديدة للطلاب ونمط حياتهم[1]. كانت الصعوبات المالية تجبر قادة عدد من الكليات والجامعات للتفتيش عن مخرج، بما في ذلك ما كانوا سائباً يحافظون فيه على استقلالهم الذاتي، ويتجنبونه بكل الطرق، وبالذات في تنسيق النشاط التربوي والعلمي وغيره من النشاطات. ولقد احتلت مكاناً أيضاً تلك الحالات التي انضم فيها معهدان أو ثلاثة معاهد لبعضهم البعض (على سبيل المثال الكليات الحكومية في شمال كارولينا، والكليات الزنجية في أطلنطا وأورليان الجديدة)[2]. أعطت هذه التجارب نتائج محددة، إلا أنه كان من المستبعد أن تستطيع المدرسة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية أن تخرج من الأزمة المستمرة دون خسائر كبيرة، لولا التدابير الاستثنائية المتخذة في أطر «النهج الجديد».

لم يقدم إلى المدرسة العليا في الأشهر الأولى من إدارة ف.د. روزفلت إلا الاهتمام القليل. إن لم تنطلق أول مبادرة مهمة «للنهج الجديد» مست المعاهد في الحقيقة من واشنطن، وإنما من مينسوت، إذ كانت تقف على رأس السلطة آنذاك حكومة الحزب الزراعي - العمالي الإصلاحي برئاسة ف. أولسون. وعندما بدأت الحكومة الفدرالية في نيسان عام ١٩٣٣ بإنشاء معسكرات عمل في أطر الفيلق المدني لحماية الغابات والإصلاح الزراعي لأجل الشباب العاطلين عن العمل، قرروا في مينيسوت استخدام الوسائل المالية المخصصة لذلك لمساعدة الطلاب والصفوف العليا[3].

تم دعم هذه البداية في الولايات الأخرى، وتم إقرارها من إذ المبدأ من قبل الحكومة الفدرالية، التي أعطت اعتماداً لتطوير التعليم العام والحرفي

---

(١) Rudy S.W., Brubacher J.S. Op. cit, p. 379.

(٢) Holmes D. The Evolution of the Negro College. N.Y., 1970, p. 194-196.

(٣) Henry D. Challenges Past, Challenges Present. N.Y. 1978, p. 43.

في معسكرات الفيلق المدني[1]. بيد أنهم كانوا يعتبرون في البيت الأبيض أن الدخول إلى الفيلق المدني للطلاب هو بالحد الأقصى، وكانوا يلحون على الاستخدام الأعلى لإمكانيات المعاهد نفسها. ولهذا الهدف بدأت الإدارة الفدرالية بتقديم المساعدة الاستثنائية بدءاً من شباط عام ١٩٣٤، وبصورة فردية تقدم الهبات للمعاهد، ولتنظيم السكن الرخيص والطعام للطلاب بشكل رئيسي، الأمر الذي سمح بالحفاظ على نحو ٧٥ ألف طالب في المعاهد، في الفصل الربيعي عام[2] ١٩٣٤.

لقد زاد عدد العاطلين عن العمل في صفوف الشبيبة في ذلك الوقت، ووصل في بداية عام ١٩٣٥ إلى ٣ ملايين شخص تقريباً (من كل سبعة شباب في سن ١٦ إلى ٢٥ عاماً كان هناك عاطل عن العمل)[3]. استجابت الحكومة لذلك بتأسيسها في حزيران من نفس العام إدارة وطنية لشؤون الشباب، كانت مهمتها الأساسية «الحفاظ على الشباب في المعاهد والمدارس، لأجل عدم السماح بزيادة جيش العاطلين عن العمل الضخم الموجود أساساً». وخلافاً عن البرامج السابقة فإن برامج المساعدة الاستثنائية من قبل الإدارة الوطنية لشؤون الشباب كانت لا تقضي فقط بتقديم المساعدة إلى الطلاب والعمل المفيد اجتماعياً فقط، وإنما الأعمال حسب الاختصاص، وفي كل الأحوال التي تتطلب مهارة محددة. كانوا يضمنون للطلاب حفظ الكتب، ووضع الفهارس، وإحصاء المراجع وتصنيف الأراشيف، والتعليم المهني، والعمل الاقتصادي (البناء، والمحاسبة.. إلخ)، وأخيراً الأبحاث العلمية، بما في ذلك في المجالات

(١) Cremin L.A. Trancformation of the school. N.Y., 1961, p. 319-322.

(٢) Lindley B., Lindley E. A New Deal for Youth, N.Y., 1938, p. 158.

(٣) Rauch B. The History of the New Deal. 1933-1938. N.Y., 1944, p. 168.

البعيدة عن ما هو يومي. وفي صلة وثيقة مع الإدارة الوطنية لشؤون الشباب كانت تعمل إدارة الأعمال التصميمية، التي كانت تقاد منها كقسم شبابي تابع لها، والتي كانت تؤمن العمالة لمئات الآلاف للمختصين الحائزين دبلومات، بما في ذلك معلمو المعاهد(١).

لقد شارك في برنامج الإدارة الوطنية لشؤون الشباب خلال ٩ سنوات من وجودها - في أزمان مختلفة - ٩٨ % من المعاهد و ٦٢٠ ألف طالب(٢). الثلث منهم كان ينحدر من عائلات يقل دخلها السنوي عن ألف دولار، وثلاثة أرباع من عائلات يقل دخلها السنوي عن ألفي دولار. إن الأجرة التي يتم الحصول عليها من الإدارة الوطنية لشؤون الشباب (عادة من ٢٠ - ٣٠ دولار في الشهر) كانت تغطي نفقات دراسة الطلاب الذين يعيشون في منازلهم، أما البقية (وكانت تشكل الأكثرية) فكانت تغطيها من ١٠ إلى ٥٠% من الوسائل المالية الضرورية لها(٣). شكلت معونة الإدارة الوطنية لشؤون الشباب في عام ١٩٣٨، ١٩.١ % من كل المساعدات التي يحصل عليها الطلاب، وتبلغ حصة الأجور منها ٢٨,٥ % تدفع للمعاهد، يذهب ١١,٧ % منها كقروض و ٤٠,٧ % كرواتب للطلاب وغيرها من المساعدة المجانية في التنظيم الذي تفوق حصة الدولة فيها (لا توجد معطيات دقيقة) على ٧٠%(٤).

إن برنامج الإدارة الوطنية لشؤون الشباب ربما كان بالنسبة للمعاهد أهم تدبير لـ «النهج الجديد». إلا أنه يجب التنويه بالتدابير الأخرى للحكومة

---

(١) Wecter D. Op. cit., p. 187-189

(٢) Final Beport of the National Youth Administration. Wash., 1944, p. 82

(٣) Lindley B., Lindley E. Op. cit., p. 162-163

(٤) Kelly F.I., Ratcliffe E.B. Financial Aids for college Students. Wash., 1941, p. 5, 34-35.

الفدرالية أيضاً، فعلى سبيل المثال التدابير حول تنظيم التعليم المهني العام بصورة خاصة لأجل البالغين، والذي شمل نحو ٢,٦ مليون شخص، وإنشاء ٨٣ «كلية كان قد أصابها الكساد»، الأمر الذي سمح بتأمين العمل لعدة عشرات من الآلاف للمختصين الحائزين شهادات عليا[١]. إلا أن الزيادة المستمرة التي بدأت منذ عام ١٩٣٤ لنفقات الدولة المنتظمة (وبالدرجة الأولى الفدرالية) على المدرسة العليا ربما كانت هي الأكثر جوهرية ولو لم تمارس تأثيراً خاصاً على المعاصرين[٢]. تطورت هذه النزعة في أعوام الحرب العالمية الثانية بصورة كافية.

كان تسييس الطلاب واحداً من أهم نتائج الأزمة والكساد. إن الغالبية العظمى من الطلاب الأمريكان كانت لا تهتم بالسياسة في أعوام «الرفاهية»، وكان النشاط يقتصر على المشاركة في الكثير من النوادي الأكاديمية، والفنية، والدينية، والأعمال الخيرية، والرياضية وغيرها. وكان النشاط السياسي يلاحظ فقط في بعض المعاهد، وعلى سبيل المثال في كلية مدينة نيويورك، إذ كانت التحركات ضد الاستعدادات الحربية الإلزامية، واستخدام وسائل المئة السود، الذين تعلموا، أن الديمقراطية ستجر وراءها بصورة حتمية سلطة الغوغاء والإباحية والفوضى تحتل مكاناً في عام ١٩٢٥-١٩٢٦[٣].

أخذت الحركة الطلابية تشتد من بداية أعوام الثلاثينيات. إن الاحتجاجات ضد الاستعدادات العسكرية، التي كان يثيرها أنصار المسالمة، والانعزاليون، ونادراً ذوو الأمزجة الثورية، تصبح أكثر جماهيرية وحيوية.

---

(١) Wecter D. cit., p. 189.

(٢) Harris S.E. Op. cit., p 586.

(٣) Rudy S.W. Op. cit., p. 398-401.

وأخذت تتكرر حالات الصدام مع إدارة المعهد بصدد البرامج التدريسية، وفي الصحافة الطلابية يولي اهتماماً متزايداً لنقد النزعة العسكرية. وبمقدار ما كان خطر الحرب يتنامى، فإن هذه الأعمال كانت تتحول تدريجياً إلى أعمال معادية للحرب، ثم إلى مواقف معادية للفاشستية ذات دوي مدني عام. كان «الإضراب الطلابي» في ١٢ نيسان عام ١٩٣٥، الذي شمل نحو ١٥٠ ألف شخص ، هو الأضخم من بين هذه الفعاليات. كانت متكررة مظاهرات الاستنكار ضد زيارات الوفود الطلابية من إيطاليا وألمانيا، والاجتماعات التضامنية مع إسبانيا الجمهورية، والفعاليات المطالبة بالعقوبات الاقتصادية ضد منتهكي المعاهدات الدولية، وحتى بتأميم الصناعات العسكرية. وكقاعدة فإن إدارات المعاهد كانت تقابل هذه الفعاليات بالحراب، وأحياناً كانت تستدعي الشرطة في انتهاك منها للتقاليد الأكاديمية[١].

كان عدد المنظمات السياسية الطلابية التي تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية يصل في تلك الأعوام إلى ٤٠ منظمة من مختلف الاتجاهات.

إن القليل منه فقط (وبالدرجة الأولى الرابطة الطلابية لأجل الديمقراطية الصناعية، التي نشأت عام ١٩٢٨، والتي كانت تتمسك بالاتجاه الاشتراكي) كان يستطيع أن يفخر بتأثيره الوطني العام، وعدد أعضائها الذي كان يتجاوز عدة آلاف. لم تدخل الأغلبية الساحقة من الطلاب في أي تنظيم سياسي، إلا أن اليساريين أو الوسطيين اليساريين كانوا يحتلون مواقع في جمهورها. وفي استقصاء للآراء جرى في عام ١٩٣٨، اعتبر ٦% من الطلاب أنفسهم شيوعيين، و٢٤% اشتراكيين، و٤٥% ليبراليين، و١٥% محافظون، و٢%

---

(١) Lash J.P. The Campus Strikes against war. N.Y., 1935, Wechsler J. revolt on the Campus. N.Y., 1939.

فاشستيين[١]. كان تحول التعاطف الطلابي إلى اليسار جلياً، وكان ذلك يثير قلق أولياء الأمر، وجمعيات «الألمنيوم»، وأحياناً، السلطات المحلية أيضاً[٢].

كانت أغلبية الطلاب، شأنها شأن أغلبية الشبيبة الأمريكية في عداد الأنصار الأكثر نشاطاً لـ «النهج الجديد» عموماً. وخلافاً عن الكتلة الأساسية من مختصي الجيل القديم حاملي شهادات الدبلوم، الذين تربوا وبلغوا سن الرشد، وهم متأكدون أن عملهم مضمون، وأنهم سيحتفظون به حتى في أعوام الأزمة[٣] (كان المدرسون يستثنون بصورة صارخة)، فإن طلاب أعوام الثلاثينيات اصطدموا بوضع آخر تماماً. لم يستطع ٨٥% من خريجي جامعة كورنيل ذات الشهرة إيجاد عمل لهم[٤]، وصار الوضع يتغير بمقدار تطور برامج «النهج الجديد» فقط. إن الطلاب بأكثريتهم، الذين أدركوا ذلك أخذوا يطالبون بتوسيع تدخل الدولة في الاقتصاد والتعليم[٥]، وكانوا يعملون بصورة نشيطة في جهاز الإدارة الوطنية لشؤون الشباب، الأمر الذي كان يشجعه بكل الوسائل ف.د. روزفلت[٦]، وفي اللجان الانتخابية للحزب الديمقراطي[٧].

إن كل ذلك مارس تأثيراً عميقاً على المظهر الاجتماعي - النفسي للطلاب الأمريكان. وعوضاً عن الالتزام العملي، المكفول، واللامبالاة

---

(١) Lipset S.M. Rebellion in University. Boston, 1972, p. 184.

(٢) Lash L.P. Op. cot., p. 38-39.

(٣) كوفالدين ف.ب. الرأسمالية الأمريكية والمثقفون. موسكو، ١٩٨٣، ص ٦٣.

(٤) Bishop M. A History of cornell. Ithaca, 1962, p. 492.

(٥) Wecter D. Op. cit., p. 193.

(٦) Burns J. Roosevelt: The Lion and the Fox. N.Y., 1956, p. 310.

(٧) Newcomer M.A. A Century of Higher Education for American women. N.Y., 1959, p. 188.

السياسية، وعن إتعاب النفس بالدراسة في فترة «الرفاهية» جاء زمن العمل الإلزامي للكسب الإضافي والنهم للمعرفة، التي تقتضيها المسائل الاجتماعية - السياسية بصورة حيوية، والتي يفكر بها طالب التكوين الجديد بصورة نقدية. لا يجب المبالغة دون شك بهذه التطورات: إنها لم تمس كل الطلاب، وكانت بالإضافة لذلك غير متينة كثيراً، ومع تفاؤل قوى «النهج الجديد» عاد الكثير منهم إلى وسطه السابق، لكن الحقيقة تبقى حقيقة: إن أعوام الثلاثينيات كانت مرحلة مهمة، في تاريخ الحركة الطلابية الأمريكية.

كانت المواقف الاجتماعية - السياسية لمدرسي المعاهد في المرحلة التي تتم دراستها متناقضة. كان عدم التجانس الاستثنائي ذلك في هذه الفئة الاجتماعية يصعّب أية تعميمات، وربما يمكن القول: إن الكتلة الأساسية من المعلمين كانت ذات مزاج محافظ، على الرغم من وجود جناح ليبرالي يساري وحتى راديكالي نشيط ومؤثر. إنهم كانوا بالذات وبحكم القناعة بتفوقهم العقلي والأخلاقي مدعوين كي يكونوا حفظة لمنجزات الماضي الثقافية والمدنية، التي جرى التطاول عليها - ولو من منطلق الدوافع الطيبة - من قبل الإصلاحيين الأغبياء قليلي الصبر. إن هذه الصناعة كانت تعزز الأمزجة المحافظة لديهم، إلا أن الولاء للقديم المغطى بطبقة رقيقة من ضباب تقاليد الديمقراطية البرجوازية، كان يتحول في الواقع غالباً إلى الاستعداد من قبلهم للحفاظ على أركان المجتمع المعاصر، الذي يوجد بتناقضات صارخة مع هذه التقاليد، وذلك حسب رأي الكثير جداً من هؤلاء المعلمين أنفسهم. لذلك فإن اي. سينكلير كان محقاً عندما اعتبر أن أحد وظائف الكليات المهمة جداً هي - «الحفاظ على أمريكا رأسمالية»[1].

---

(١) استشهاد من: Handlin O. The American College anol American Culture. N.Y., 1970, p. 68.

كان عدد المستائين في الكليات غير قليل من تدني الأخلاق وفظاظة براغماتية عالم الأعمال، في أعوام «الرفاهية» لكن، ومع ذلك فإن المعلمين بأغلبيتهم كانوا خاضعين للتيار ويشاطرون أوهام عصرهم. في تلك الأوقات، حسب ذكريات ن. فينير، وحتى بعد ذلك، في أعوام الأزمة كان العاملون بالأعمال العلمية في معهد ماساتشوسيت التكنولوجي الميالون دائماً للانعزال عن العالم الخارجي يتحدثون بطيب خاطر عن أسهم البورصة[1]. عندما وضع «النهج الجديد» هيئة الأساتذة أمام ضرورة تحديد موقفها الاجتماعي - السياسي بصورة أكثر دقة، فإن قسماً كبيراً منهم - وقف ضد ف.د. روزفلت - مع تحفظاته وشكوكه المؤلمة.

وفي هذا السياق، يمكن أن تكوّن آراء ونشاط ا.ل. لويلل السياسي البارز ورئيس جامعة هارفارد من عام ١٩٣٣ - ١٩٥٩ مثالاً على ذلك. إن ا.ل. لويلل لم يكن عدواً للتقدم، ولا جامداً عقائدياً، ولكنه عارض البرامج الأساسية لـ «النهج الجديد». وفضلاً عن ذلك، فإن هذه البرامج كانت، حسب رأيه، مبعثرة ومستعجلة بصورة مفرطة، إنها، كما اعتبر، كانت تضعف عند الناس الشعور بالمسؤولية الفردية تجاه مستقبلهم، وتثير التناحر الطبقي. كان لويلل يخشى من تأثير النقابات المتنامي على سياسة الحكومة الفدرالية، من خلال افتراضه أن الأنانية «التعاونية» أسوأ من أنانية رجال الأعمال. وفي عام ١٩٣٧، وفي غمرة الصراع من أجل إصلاح المحكمة العليا، تقدم ا.ل. لويلل بمبادرة لتوحيد الجمهوريين والديمقراطيين المحافظين في حزب «دستوري» جديد، يضع نهاية لتجارب ف.د. روزفلت الخطرة[2].

---

(١) فينيريا. أنا - رياضي. موسكو، ١٩٦٧، ص ١٢٦-١٢٨.

(٢) Yeomans H.A. Op. cit, p. 404-420

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، في سياق تقييم موقف ا.ل. لويلل أن الخشية من تدخل الدولة في الاقتصاد، ومن ثم في الحياة الخاصة، إلى جانب ازدياد قوة السلطة التنفيذية على حساب السلطة التشريعية والقضائية، يمكن أن تجر وراءها إقامة نظام توتاليتاري، كانت هذه الخشية منتشرة حقيقة في وسط المثقفين الأمريكان. وهكذا فإن الكاتب الاجتماعي المشهور أو. ليبمان (إنه بالمناسبة خريج هارفارد)، الذي أيد الكثير من أعمال «النهج الجديد» من إذ المحتوى، كان ينتقدها مع ذلك في الصِّحافة، كأعمال غير دستورية. ورغم أنه كان متعاطفاً مع ف. روزفلت كان يدعو قراءه للتصويت ضده[١].

بيد أنه كان يوجد أساس مادي لموقف ا.ل. لويلل وأنصاره العدائي أو الحذر من «النهج الجديد».

لقد بلغ الرأسمال الأساسي عام ١٩٣٣ لجامعة هارفارد - مع مساهمة الدولة بالحد الأدنى في إنشائه - ١٢٨,٥ مليون دولار. إن التبرعات الغزيرة في أعوام العشرينيات سمحت لهذه المؤسسة التعليمية العريقة أن تتحمل بالمقارنة مع غيرها الأزمة والكساد وحتى (مع عدد غير كبير)، وأن ترفض المشاركة في البرامج الفدرالية للمساعدة الاستثنائية[٢]. لقد كان من المنطقي في هذا الوضع بالنسبة لأولياء الأمر، وللرئيس وهيئة التدريس في هارفارد أن يتم ربط ازدهار الجامعة مع قطاع الأعمال الخاص، وأن يتم الوقوف من إدارة روزفلت موقفاً حذراً.

أما في المؤسسات التعليمية الحكومية والخاصة غير الناجحة، التي عانت كثيراً الأزمة الاقتصادية، وتعافت منها بفضل المعونات الحكومية إلى جهد كبير،

---

(١) Steel R. Walter Lippmann and the American Century. Boston, 1980, ch. 25.

(٢) Morison S.E. Three Centuries of Harvard. Cambridge (Mass.), 1936, p. 318-324.

كانت هناك أمزجة أخرى. كان عدد مهم من المعلمين هنا يتعاطف مع تدابير «النهج الجديد» ويميل حتى إلى التيارات السياسية اليسارية[1]. لقد أيد جزء من العاملين في كلية مدينة نيويورك الإضراب الطلابي المعادي للحرب عام[2] ١٩٣٥.

بيد أنه لا يجب المبالغة في مثل تلك الوقائع، فقد كانت استفتاءات الآراء الاجتماعية تظهر بصورة ثابتة أن المختصين الحائزين شهادات كانوا يصوتون في كتلتهم الأساسية ضد ف.د. روزفلت، وذلك خلافاً عن فئة المثقفين الإبداعية[3]. ومما له دلالته، أن عميد الكلية التدريسية في جامعة كولومبيا، التي تملك سمعة كواحدة من أكثر المؤسسات التعليمية ليبرالية في البلاد، كان مضطراً لشرح الفوارق الموجودة بين إصلاحية «النهج الجديد» وثورة العاملين لديه[4]. من المشكوك فيه أن نحو ٩٠% من معلمي جامعة كورنيل الواقعة في ولاية ف.د. روزفلت أعطوا الأفضلية لـ أو. أويكلي في سير الانتخابات الرئاسية عام ١٩٤٠، ممكن أن يكون مصادفة[5].

٣- العلم والتكنيك

إن العوامل الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية، التي حددت تطور المجتمع الأمريكي في أعوام ١٩١٨-١٩٤٥، بما في ذلك وقبل كل شيء تطور المرحلة الأولى من أزمة الرأسمالية العامة، وعدم التساوي في سرعة التطور الاقتصادي،

---

(١) Jones E.J. A History of the University of California, Los Angeles. 1974, p. 355.

(٢) Lash J.P. Op. cit., p. 41.

(٣) Kocka J. White Collar workers in America. 1890-1940. I., 1980, p. 237-250.

(٤) Cremin L.A. A History of Teachers College. Columbia University. N.Y., 1954, p. 172-173.

(٥) Bishop M. Op. cit., p. 537.

وتفاقم التناقضات الاجتماعية الاقتصادية في الظروف الخاصة لمجتمع «الرفاهية»، ثم وبعد ذلك «الكساد العظيم» و«النهج الجديد»، إن كل ذلك قد انعكس على تطور العلم أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة. إن عدم استقرار الاستثمارات في العلم، والتغلب عليه عن طريق نقل العلم إلى سكة العسكرة، واستخدام العلم لمصلحة زيادة الأرباح، وكمحاولة كذلك لشفاء علل الرأسمالية الموجودة في العلم الأمريكي، ربما بمقياس أكبر بالمقارنة مع وضع العلم في البلدان الرأسمالية الكبرى الأخرى خلال هذه الفترة.

لكن تطور العلم لا يمكن إلا أن يعبر عن العمليات التي كانت تجري في هذه الفترة في مقاييس عالمية استعداداً للثورة العلمية التقنية المعاصرة (التي تطورت في المرحلة التالية، بدءاً من أواخر أعوام الأربعينيات). وعن عمليات تحويل العلم إلى قوة إنتاجية مباشرة في المجتمع. إن هذه التحولات، فيما يتعلق ببنية العلم التي أصبحت ضرورة بصورة موضوعية كانت تتصف على الأغلب بنزعاتها نحو التكامل وليس نحو التبين، كما في المرحلة السابقة. إن العمليات التكاملية كانت تظهر في مجال تنظيم النشاط العلمي أيضاً (تكبير الجامعات والمؤسسات العلمية وغيرها، وقيام مشاريع مركبة كشكل من أشكال تنظيم العلم)، وفي إنشاء علوم جديدة (غالباً على أرضية قديمة، وليس عن طريق تجزئتها كما في السابق) ومجالات علمية بينية أخرى مثل (نظرية المجموعات، وبحث العمليات). إن التقارب التدريجي لمجالات الأبحاث الأساسية مع الأبحاث التطبيقية وإعدادها، كان أحد أشكال التكامل العلمي، وهو ما تتصف به مجالات جبهة الأبحاث نفسها - من الفيزياء والكترونيكا حتى العلوم البيولوجية.

بيد أن عمليات تكامل العلوم ومحاولات مركزة الأبحاث كانتا تتعرضان للتنظيم في أطر النظام المتشكل: يصب تنظيم الدولة الاحتكارية للعلم في نهاية المطاف في مصالح الرأسمال الاحتكاري. إن إدراك الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية للدور الكبير للعلم في تحديث القدرة العسكرية للبلاد، وإمكانية جذب العلماء الأجانب للعمل في الولايات المتحدة الأمريكية قد زاد بصفة خاصة منذ أعوام الثلاثينيات، ولقد ترك هؤلاء العلماء بصماتهم كذلك على تطور المواد العلمية[1].

استمرت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تحولت إلى مركز ضخم في العالم الرأسمالي للأبحاث التطبيقية وإعدادها. استمرت بالتخلف عن عدد من بلدان أوروبا في الأبحاث الأساسية. كان عدد طلاب الجامعات طلاب الدراسات العليا الأمريكان الذين يتدربون ويتعلمون في الجامعات الأوروبية أكبر من عدد الطلاب الأوروبيين في الولايات المتحدة الأمريكية. إن الجامعات الألمانية ومراكز الأبحاث، وبنيتها التي أصبحت فيما بعد نموذجاً بالنسبة لعدد من المؤسسات الأمريكية مثل معهد الأبحاث المستقبلية (بريستون)، كانت تحوز في الولايات المتحدة الأمريكية السمعة الأكبر في العشرينيات من القرن الماضي. أما في أعوام الثلاثينيات فقد انتقل دور هذا النموذج إلى الجامعات الإنكليزية والفرنسية وإلى المراكز العلمية، والعلمية البحثية في الدول الإسكندنافية بعض الشيء.

إن محاولات الهيئات الحكومية التنسيق بين مختلف أنواع الأبحاث العلمية والإنتاج الصناعي كانت تجري في فترة الحرب العالمية الأولى أيضاً. لقد

(١) يتحدث المؤلف بصورة أساسية عن المواد الطبيعية والتكنيكية، وعن الطب.

تم إنشاء مجلس وطني للأبحاث. وفيما بعد، وبأمر من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وضع على عاتق الأكاديمية الوطنية للعلوم واجب التعاون مع المجلس على أساس مدير مساعدة للعلوم واجب التعاون مع المجلس على أساس مدير ومساعدة نشاطه التنسيقي. ولقد ازدادت الصلات العلمية للولايات المتحدة الأمريكية مع العالم، بما أن المجلس صار يمثل البلاد في مجلس الأبحاث العالمي الذي تم تنظيمه في تشرين الثاني عام[1] ١٩١٨.

كان يعوق فاعلية تنفيذ مهام مجلس الأبحاث الوطني تنسيق وتحفيز الأعمال الأساسية والتطبيقية (ولا سيما الحربية، والسلمية منذ عام ١٩١٩) أولاً، محدودية التمويل الحكومي، وثانياً - ازدياد التوجه في سياق أعوام العشرينيات نحو الدعم من جانب الرأسمال الخاص. إن أي خطوة واقعية متعلقة بتنظيم أي مركز علمي كانت مرتبطة بالقدرة على جذب رعاة لهذا المركز.

كانت معظم الأبحاث تنفذ من قبل الجمعيات العلمية، التي كان عددها مستمراً في النمو، وكانت النزعة الجديدة للجمعيات العلمية تكمن في توحيدها في مجموعات تكاملية. وفي عام ١٩٢١ توحدت ٣٢ جمعية بيولوجية فردية في اتحاد الجمعيات البيولوجية الأمريكية، وكانت الجمعية الأمريكية

---

(١) تم إنشاء مجلس الأبحاث العالمي بمبادرة علماء عدد من البلدان بهدف تمتين الروابط العلمية الدولية على أساس الرابطة العالمية لأكاديميات العلوم التي وجدت سابقاً (منذ عام ١٨٩٩). ومنذ عام ١٩١٩ أصبحت بروكسل مقراً للمجلس (قبل ذلك في باريس). كانت العضوية في البداية مقتصرة على الدول التي حاربت في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الائتلاف أو بقيت محايدة. ومنذ عام ١٩٣١ حتى الوقت الحاضر وافق المجلس على الحفاظ على اسم المجلس العالمي للاتحادات العلمية (International Council of Scientifications)، ويدخل في عداده المجالس العلمية - البحثية، وأكاديميات العلوم وغيرها من المنظمات العلمية (من كل بلد ممثل واحد).

مساعدة في تقدم العلوم، والتي تأسست عام ١٩٢٠ تضم عام ١٩٣٩ في فروعها الـ ١٥ ، ١١٩ منظمة. وبصورة عامة إن الأكاديمية الوطنية للعلوم أيضاً، مثلها مثل الأكاديميات الموجودة في بعض الولايات (مثل الأكاديميتين في ولايتي كونيكتيكوت وميريليند، المُؤَسَّسَتَيْن في القرن السابع عشر)، والتي لا تملك في ملاكها معاهد علمية بحثية، ولا مختبرات، ولكنها من إذ طبيعة نشاطها (المبني على التعاقد والاستشارة) كانت تقترب من الجمعية العلمية.

إن الدور المهم في التغلب التدريجي على جنوح العلم الأمريكي باتجاه النزعة التطبيقية وقع على عاتق الجامعات وما يلتحق بها من كليات، وعلى عاتق مدارس طلاب الدراسات العليا من دكاترة ومرشحين. وبدعم من الإدارات الحكومية والصناديق «الخيرية» تم تأمين عدد من الوظائف الجديدة الشاغرة في الجامعات والمؤسسات المرتبطة معها، والتي سمحت باستخدام تدفق المختصين ذوي المهارة العالية من بلدان أوروبا الغربية على وجه الخصوص. وهكذا، وفي عام ١٩٣٢، لم يزد عدد العاملين في الولايات المتحدة الأمريكية من الأساتذة الأجانب الكبار والفيزيائيين على الـ ٢٠، أما في عام ١٩٤٠ ، فقد بلغت أعدادهم أكثر من مئة، وكان من بينهم عدد كبير من علماء الذرة، الذين شكلوا «المركز الدماغي» لمشروع إنتاج السلاح الذري. لقد هاجر الكثير من العلماء الأوروبيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد وصول الفاشستيين في ألمانيا إلى السلطة. حدثت إعادة توزيع للقوى العلمية في العالم الرأسمالي لصالح الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٤٤-١٩٤٥ تم جلب آلاف المختصين من أراضي ألمانيا النازية من قبل القوات الأمريكية، وجذبهم فيما بعد بمختلف الطرق للعمل في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد تمت سرقتهم، ووجدوا في هذه الأراضي صناديق للاختراعات (أكثر من مليون وحدة).

إن استخدام «تسرب العقول» من أوروبا لم يكن عملية عفوية مطلقاً، ولكن كان يخطط لها بصورة محكمة من قبل أوساط الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد لعبت دوراً مهماً في هذا المجال اللجنة الطارئة التي أنشئت عام ١٩٣٣ لأجل المساعدة في إسكان العلماء الأجانب، التي دخل فيها عدد من الجامعات والشركات الكبيرة[١].

في نهاية أعوام العشرينيات، وفي أعوام الرفاهية بصورة خاصة، التي أعقبت أزمة عام ١٩٢٩-١٩٣٣، كانت تتنامى الأمزجة اليسارية في الجامعات والكليات، التي ظلت مراكز علمية أساسية في البلاد. وكان الجناح اليساري في الرابطة الطلابية لأجل الديمقراطية الصناعية ينظر إليه كمنظمة مستقلة، تأخذ اسم الرابطة الوطنية الطلابية. ولقد أصبح الاتحاد الأمريكي للطلاب جماهيرياً، وهو الذي قام في سنة تأسيسه **(**عام ١٩٣٥**)** بأول إضراب طلابي وطني عام، شمل ١٨٤ ألف شخص، ووقف ضد التمييز العنصري في العلم والتعليم، ومن أجل دمقرطة مجالات الأبحاث العلمية في الأنظمة الجامعية. وتحت شعارات مشابهة كانت تقف الجمعية الأمريكية للعاطلين العلميين المؤسسة في عام ١٩٣٨.

إن الكثير من العلماء والشخصيات الذين كانوا يشاركون في تنظيم العلم والتعليم، وصلوا إلى نتيجة مؤداها يكمن في ضرورة «تغيير الفلسفة» لمصلحة إعداد الكادرات العلمية الناجح بصورة أكبر[٢].

---

(١) Duggan S., Drury B. The Rescue of Science and Learning. The Story of the Emergency Committee on Aid of Displaced Foreign Schools. N.Y., 1948.

(٢) كولباتريك ف.خ. التربية في ظروف المدنية المتبدلة. موسكو، ١٩٣٠، ص ٨٧.

لقد تقدمت الجمعية الأمريكية للعاملين العلميين بمطلب تنظيم حركة في صفوف مدرسي الجامعات وغيرهم من العلماء لأجل المعونات الحكومية للعلم والتعليم، وتقديم المساعدة الصحية المجانية، وحرية الأبحاث. بيد أن مثل تلك الأفكار لم تكن هناك إمكانية لتحقيقها. وحتى محاولات المركزة في نظام تنظيم العلم كانت تصطدم بمقاومة ضارية سواء من جانب أكاديمية العلوم الوطنية، التي كانت ترى في هذه المحاولات تطاولاً على سمعتها، أم من جانب الشركات الخاصة، التي كانت تسعى لاستخدام الأعمال المخبرية في مصالحها الضيقة.

إن المحاولة الوحيدة التي قامت بها وزارة التجارة عام ١٩٢٥ لإنشاء صندوق لدعم الأبحاث الأساسية التي تجري في الجامعات من المداخيل التي تأتي من الشركات الصناعية، انتهت بالإخفاق بسبب عدم دعمها من قبل المصالح الأخرى المرتبطة بالعلم. لم يتم جمع إلا نصف مليون من أصل ٢٠ مليون يتطلبه الصندوق حتى عام ١٩٣٠[١]. في عام ١٩٢٥-١٩٢٦ تم نقل لجنة شؤون براءات الاختراع والمكتب المختص بشؤون التعدين إلى وزارة التجارة، التي كانت تشرف على مكتب المعايير، والإدارة الجيولوجية، ومكتب الاقتصاد السمكي، وبصورة عامة القسم الأساسي من الإدارات الحكومية المنظمة بصورة أكبر أو أقل، والتي كانت تملك بعض الوظائف البحثية[٢]. كان هذا الوضع يعكس بصورة أساسية المنطلق التجاري في العلم.

---

(١) Dupree A.H. Science in the Federal Government. Cambridge (mass.), 1957, p. 340-343. Greenberg D.S. The Politics of Pure Science, N.Y., 1969, p. 63. لقد تم القيام بمحاولات مماثلة ومنيت بالفشل على مستوى الفروع، مثل اقتراح الرياضي الكبير أو. فيبلين بإنشاء معهد مستقل للأبحاث الرياضية يمول من مكتب شؤون التعليم.

(٢) Dupree A.H. Op. cit, p. 338-339.

حدث بعض التقدم باتجاه فهم العلم كـ «مورد وطني» بعد الهزات الاقتصادية أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، في سير تطور التدابير المرتبطة بتكون رأسمالية الدولة الاحتكارية في أطر «النهج الجديد» لروزفلت. أخذت الحكومة في عهد ف. روزفلت من جديد كما في أعوام الحرب العالمية الأولى تجذب إلى الإدارة بصورة فعالة علم العلماء.

كانت الفرصة الجديدة آنذاك تكمن في ظهور «المديرين» وتغلغلهم بعد ذلك في مجال الأبحاث العلمية الممولة من القطاع الخاص، والتي كانت تتمركز على النشاط العلمي المنظم. إن الشخصيات التي برزت في عهد ف. روزفلت في مجال تنظيم العلم، وعلى وجه الخصوص الجغرافي آي. باومان، والفيزيائي الكبير ف. بوش، المرتبط في الوقت نفسه بأوساط الأعمال، والذي كان رئيساً لمعهد كارتيغا، أو غ. ووليس، العالم في علم الوراثة، والوزير السابق للزراعة من عام ١٩٣٣-١٩٤٠، إن كل هذه الشخصيات سعت للقيام بعدة تدابير لدعم العلم في أطر «النهج الجديد». وفي تموز عام ١٩٣٣ تم تأسيس لجنة استشارية لشؤون العلم برعاية أكاديمية العلوم الوطنية، ومجلس الأبحاث الوطني، كان نشاطها يقتصر على التوصيات في مسائل اختيار الأولويات في السياسة العلمية.

إن التدابير الحكومية الحقيقية لتحفيز الأبحاث العلمية كانت تكمن بالدرجة الأولى في التسهيلات الضريبية على النفقات الخاصة الموجهة للأهداف العلمية. كان القانون المتخذ في عام ١٩٣٥ حول الدخول يسمح بحسم ٥% من الضرائب التي تتم جبايتها لأجل التبرع بها للعلم، والتعليم وغيرهما من الحاجات الاجتماعية. لقد استفادت التسهيلات الضريبية الخاصة حسب هذا القانون من الصناديق «الخيرية» التي كان يتباطأ نحوها خلال أعوام العشرينيات

بسبب انخفاض قيمة الضرائب، والتي زادت بصورة كبيرة في المرحلة التي تلت عام ١٩٢٩، وبسبب ازدياد التنافس بين الصناديق والدولة، زاد هذا التنافس من دور الصناديق كأذرعة لتشكل نظام تنظيم الدولة الاحتكاري للعلم.

لقد أصبحت المعاهد بدءاً من الأعوام ما بين ٢٠-٣٠ «غير الربحية» («وغير التجارية»)، والتي لها صلات وطيدة مع الصناديق ظاهرة جديدة في مجال الأبحاث والإعدادات (خلافاً لما كانت تؤديه سابقاً المخابر الصناعية، والصناديق ولا سيما علماء الجمعيات والجامعات). كان معهدا باتيل وميللون هما أول مؤسستين نموذجيتين من هذا النوع، تم تنظيمهما في نهاية أعوام العشرينيات، وكذلك معهد الدراسات الذي تم إنشاؤه عام ١٩٣٦، والتابع للمعهد التكنولوجي في إيلليناـ إن هذه المعاهد، التي كانت تجري أبحاثاً حسب طلبيات الاحتكارات، والإدارات العسكرية والحكومية في مجال العلوم الطبيعية أو الاجتماعية، ودون أن تستخلص أرباحاً بصورة شكلية (لكنها تحصل عليها بصورة غير مباشرة عن طريق توزيعها بواسطة المعونات)، كانت تظهر مرونة غير قليلة وشكلت نموذجاً مقبلاً لما ظهر بعدد كبير أثناء الحرب العالمية الثانية، وبشكل خاص «مصانع الأفكار» التجريبية - الاستشارية في أعوام ما بعد الحرب. لقد انضم إلى ذلك النوع من المنظمات معهد الأبحاث المستقبلية في برينستون الذي أسسه عام ١٩٣٠ ا. فليكسينر، والذي ارتبط بصورة وثيقة بعد عام ١٩٣٣ باللجنة الطارئة لأجل المساعدات في نقل العلماء الأجانب.

في أعوام الثلاثينيات، وبمبادرة من ف. روزفلت تم إعداد عدد من المشاريع المركبة، تحوي سواء على تدابير علمية أو تطبيقية، بهدف زيادة العمالة، وتطوير الاقتصاد في عدد من مناطق الولايات المتحدة الأمريكية

على قاعدة استيعاب الموارد الطبيعية، وبناء السدود الرخيصة والمحطات الكهربائية، والقيام بأعمال ضد الفيضانات وغيرها من التدابير الصناعية - الزراعية العلمية المؤسسة.

إلا أن هذه المشاريع تعرضت لنقد حاد من جانب ممثلي الاحتكارات، ولا سيما من شركات الطاقة، التي رأت فيها محاولة «لإشاعة الاشتراكية» والوصول إلى إلغاء كل هذه المشاريع تقريباً في مرحلتها الأولى. تم تحقيق أحد هذه المشاريع فقط، وهو إدارة وادي تينيس، بعد مناقشات متكررة واستخدام حق الفيتو الرئاسي عام ١٩٣٣.

كان الإعداد للسلاح الذري هو أول مشروع علمي تكنيكي. له مقاييس ضخمة في الواقع، ويبتلع كل الموارد العلمية الممكنة. إن الاكتشاف قد تم بصورة أساسية خارج الولايات المتحدة الأمريكية بعد مجيء الفيزيائي الإيطالي الكبير آي. فيرمي إليها عام ١٩٣٩، وصاغ فكرة التفاعل المتسلسل. وحتى عام ١٩٤٥ كان يعمل على مشروع «مانهاتين» في مدينة لوس - ألاموس أكثر من ألفي باحث علمي، واشتغل على هذا المشروع عموماً في البلاد ما يقارب ١٥٠ ألف شخص.

في المرحلة الختامية من العمل على هذا المشروع، ولا سيما بعد استسلام ألمانيا، توصل الكثير من العلماء الذين عملوا في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك الجزء العلمي القائد لهذا المشروع مثل ر. أويينهابمر، و ن. بور، و ف. بوش، و ا. كوبتون، إلى نتيجة مفادها أن الإمكانية الوحيدة المقبولة للاستمرار في إعداد المسائل الذرية اللاحقة هي الإشراف الدولي عليها. إلا أن هذا الأمر خرج عن إشراف العلماء. لذا بتعرض البعض منهم (بما في ذلك أويينهايمر) للملاحقة بسبب ميولهم الليبرالية، وأقيمت المراقبة على الكثير منهم. إن عدم إنسانية

وجدوى استخدام هذا الصنف الجديد من الأسلحة في الأهداف العسكرية لم يمنع من استخدامه بمنزلة وسيلة من وسائل الدبلوماسية الذرية والتهويل.

وبفضل تزايد التمويل المالي للأبحاث، التي كان لها توجه عسكري، أخذت تزداد مساهمة الحكومة في الدعم لتأمين جبهة الأعمال بأسرها، التي لم تكن تزيد في مرحلة ما قبل الحرب عن ١٠-١٥ **%** من مقدار النفقات العامة على البحث والإعداد. كانت الاعتمادات الحكومية على الأبحاث والإعداد تبلغ ٤٨ مليون دولار في العام حتى بداية الحرب العالمية الثانية، أي ٨**%** من جميع النفقات على هذه الأهداف، إلا أنها وصلت في نهاية الحرب إلى ٥٠٠ مليون دولار في العام **(**٨٣**%)**.

كانت عدد من المنظمات تعمل على توزيع المبالغ المخصصة للأبحاث العسكرية حتى نهاية الثلاثينيات، وكانت أضخم هذه المنظمات هي اللجنة الاستشارية الوطنية لشؤون الطيران، وكذلك اللجنة الاستشارية العسكرية - البحرية. وجه ف. بوش الذي كان في عداد أول لجنة من هاتين اللجنتين، وأصبح رئيساً لها فيما بعد، مع عدد من العلماء الآخرين إلى الحكومة مذكرة في عام ١٩٤٠، تطالب بضرورة إقامة صلة بين الجيش وأكاديمية العلوم الوطنية، ولقد وقع ف. روزفلت في ٢٧ حزيران عام ١٩٤٠، وذلك بالتوافق مع اللجنة الوطنية للدفاع، أمراً حول إنشاء هيئة حكومية جديدة في منظومة هذه اللجنة أعطيت اسم اللجنة الوطنية للأبحاث الدفاعية[1]. تم

(١**)** على الرغم من الطابع الحكومي لهذه الهيئة، فإن مواقع الرأسمال الخاص كانت هي المسيطرة. وحول وظائف اللجنة الوطنية للأبحاث الدفاعية في منظومة اللجنة الوطنية للدفاع يمكن معرفة التفاصيل في: تطور أشكال تنظيم العلم في البلدان الرأسمالية المتطورة. موسكو، ١٩٧٢، ص ٦٢.

نقل هذه اللجنة كهيئة لها حقوق استشارية إلى إدارة الإعداد والأبحاث العلمية، التي أنشئت لهذا الخصوص، والتي توالت صلاحيات إدارية أكبر من أي إدارة فدرالية لشؤون العلم. لقد تم إعطاء العقود الذرية للإدارة إلى إدارة مشروع «مانهايتيس» عام ١٩٤٣. وتم إنشاء مجموعة لشؤون حرب الغواصات، التابعة لمركز التحليل العسكري - البحري.

لقد استخدم الجيش مثله مثل المجلس العسكري - البحري الجامعات لأجل تنفيذ الأبحاث بصورة واسعة. وأنشئت من قبلهما مخابر «وطنية» ضخمة، عسكرية عملياً، ولا سيما المخبر «الذري» في لوس - آلاموس التابع لجامعة كاليفورنيا، ومخبر آرغون التابع بجامعة شيكاغو، وكذلك الجامعات التي تدار من قبل الروابط مثل معهد الأبحاث الذرية في اوكريدج والمخبر الوطني في بركهيف.

كانت الفترة المهمة الممتدة من عام ١٩٢٠-١٩٤٠، تتميز عن سابقتها بتقصير المسافة الزمنية بين الأبحاث وإعدادها وبين إيصال الاكتشافات والاختراعات إلى المرحلة الإنتاجية. فإذا كان إنزال الإختراع إلى الإنتاج المتسلسل يستغرق نحو ٣٧ عاماً في أواخر القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين ، فإن الزمن كان يستغرق في الفترة اللاحقة ٧ سنوات لوصول الاختراع إلى الإعداد التجاري، أي إيصال النموذج المعد إلى مرحلة الإنتاج الواسع، أي إن الزمن قد تم اختصاره في أعوام ١٩٢٠-١٩٤٤ بمقدار ٢٤ عاماً. وفي تلك الظروف، حين كان يتم تمويل الإعداد التجاري من قبل الدولة، فقد تم اختصار مدته بمقدار الضعف وحازت الأتمتة أهمية مبدئية كذلك، وتطورت بدءاً من العشرينيات على قاعدة التجميع الواسع للإنتاج في صناعات الآلات، والصناعات التعدينية والخفيفة. اكتسبت التدابير المتعلقة بالأتمتة مدىً واسعاً في

الفروع الشابة من الصناعة. وعلى سبيل المثال في إنتاج السيارات، كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي السباقة بين البلدان الأخرى في تنظيم الإنتاج المتسلسل لماكينات المخارط الآلية ونصف الآلية القاطعة للمعادن. وفي الثلاثينيات كانت تعمل على إنتاج المخارط ١٧ شركة. وفي مجال الطاقة الكهربائية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية سبقت غيرها من البلدان الرأسمالية من إذ أطوال الخطوط عالية التوتر، التي وصلت حتى عام ١٩٢٧ إلى ٨٠ ألف كم (بيد أنها من إذ كثافة الشبكة، بالنسبة لكل ألف كيلوات في الكيلومتر تخلفت بمرتين عن فرنسا وإنكلترا وغيرها من البلدان الأوروبية)، ومن إذ المحطات الكهربائية المائية، مثل المحطة الكهربائية المائية بولدير - دام التي بنيت في عام ١٩٣٦ في منطقة كولورادو مع سد يبلغ ارتفاعه أكثر من ٢٢٠ متراً.

لقد لعبت أبحاث آي. لينغميور دوراً من الدرجة الأولى في تشكل علم الإلكترونيات من خلال الظواهر الكيميائية والبصرية السطحية. وكذلك إنشاء عدد من أجهزة التفريغ الكهربائي من قبل ا. غيف، و ر. كومبغنير، وإنتاج أول آلة حاسبة رقمية عام ١٩٤٤ بإدارة مبرمجة في مجال كهرمغناطيسي «مارك-١». حصل التقدم في مجال الراديوتكنيك على حافز جديد، عندما تمت معرفة إمكانية الأمواج القصيرة على الانتشار على مسافات بعيدة جداً من خلال استطاعات ضئيلة لأجهزة النقل. حدد الانتقال إلى الإنتاج ولا سيما في مجال الاتصال عبر الموجات القصيرة الطابع المنتظم للإذاعة اللاسلكية. لقد لعبت اختراعات اي.غ. ارمسترونغ دوراً كبيراً بالنسبة لضمانة الاتصالات اللاسلكية: الاستقبال الاسترجاعي لمبادئ الاتصال المعاكس في الأجهزة المسرِّعات وغيرها.

إن الاحتكارات المتغلغلة في مجال التكنيك اللاسلكي كانت تعين تطور هذا الفرع في العشرينيات. أعاقت الاتحادات الصناعية الضخمة، بعدما اشترت براءات الاختراع في مجال الاستدلال باللاسلكي، تطور هذا الاتجاه. وفي عام ١٩٣٢، اكتشف ك. يانسكي الذي كان يعمل في مخبر «أميركان تلفون آند تلغراف كوربوريشن» ظاهرة الإشعاع الفضائي. بيد أن الشركة لم تستطع أن تقدر الأهمية التطبيقية الكامنة في هذا الاكتشاف النظري، ورفضت دعم العالم لاحقاً، وقد توفي وهو في حالة كبيرة من العوز.

إن الشركة نفسها امتلكت كذلك عدداً من اختراعات ل. فوريست (في مجال الاتصالات اللاسلكية، وكذلك اختراعه للفيلم الناطق، ففي أعوام ١٩٢٣-١٩٢٦ - النسخة الملائمة الأولى للسينما الناطقة، القائمة على تسجيل الصوت على أسطوانة واحدة مع التصوير).

كان تطور العلوم الكيميائية- التكنولوجية يحوز على أهمية من الدرجة الأولى بالنسبة لجميع فروع الإنتاج، التي كانت واحدة من المجالات الرئيسية فيما يتعلق بأتمتة العمليات الإنتاجية.

إن الحصول على محروقات ذات خصائص عالية سمح بزيادة كبيرة في المسافات التي تقطعها الطائرات، وفي سرعتها. ولقد كانت طريقة كريكينغ المحفزة، المخترعة عام ١٩٢٧ من قبل المهندس الفرنسي آي. غودري، الذي كان يعمل في الولايات المتحدة الأمريكية، لا بديل عنه بالنسبة لبيزنس إنتاج الطيران.

كانت الموديلات الجيدة للسيارات الخفيفة التي تُشترى تتميز بالتنوع الكبير، وإذ وصل إنتاجها عام ١٩٢٩ إلى ٤٦٠٠ ألف سيارة، مقابل ٩٠٠ ألف في عام ١٩١٥. وزاد إنتاج الشاحنات أيضاً بدرجة كبيرة في تلك الأعوام نفسها (من ٧٤ ألف شاحنة إلى ٧٧٠ ألفاً).

كان النقل الجوي يعيش تقدماً تكنولوجياً متسارعاً، مثله في ذلك مثل بقية الفروع، التي كانت تحت رعاية الدولة بسبب الاعتبار العسكري. إن فعالية موديلات الحوامات في أعوام ٢٠-٣٠ كان قد أكَّدها اي.اي. سيكورسكي. وفي عام ١٩٤٣ تم البدء بإنتاج هذه الماكينات لأهداف عسكرية. لقد تغلغلت الأتمتة بصورة واسعة سواء في إنتاج الطائرات المدنية والعسكرية أم في قيادتها. وكان الأخوان اي و ل، سبيري قد اقترحا في أعوام ١٠-٢٠ عدداً من التصميمات لأتمتة الطيران أيضاً، (والذي حقق بواسطة إحداها الطيار ف. بدست طيراناً حول الكرة الأرضية). وبدءاً من العشرينيات تم وضع أساس لبناء طائرات من المعادن كاملاً. وبعد ركود نسبي في إعداد ووتائر نمو إنتاج طرز جديدة من الطائرات خلال الثلاثينيات، أخذت تنمو منتوجات هذا الفرع في أعوام الحرب العالمية الثانية.

وفي عام ١٩٢٦ قام غودارد بأول إطلاق لصاروخ بمحرك نفاث يعمل على الوقود السائل. وكان غودارد قبل ذلك، وفي عام ١٩١٩ قد أعطى ولأول مرة في الأدب العالمي حساب الصاروخ التدريجي، وأثار عدداً من المسائل التي حددت الزمن بصورة كبيرة: حول إنقاذ الصواريخ لدى عودتها بمساعدة المظلات، وحول الفاعلية النافعة لعمل الصواريخ، وحول تنظيم منظومة علم الأرصاد الصاروخية. لقد حصلت الأبحاث الصاروخية في الولايات المتحدة الأمريكية على مدى واسع فيما بعد، بعد أن فرّ ف. فرن، الرئيس السابق للأعمال الألمانية المتعلقة بإنشاء صواريخ فاو - ٢ التي قصفت بريطانيا العظمى، في عام ١٩٤٥ للقاء القطعات الأمريكية. وبمساعدته استرد (اجتذب) الأمريكان أكثر من ١٠٠ عالم ألماني من ذوي الاختصاصات العالية، الذين جلبوا معهم كل ما وجدوه من صواريخ في حالة مجمعة أو نصف مجمعة.

وإذا كانت النفقات على الأبحاث العسكرية والإعداد لها تبلغ في أعوام ١٩٢٤-١٩٣٣ نحو ٤ ملايين دولار في العام ، فإنها زادت في عام ١٩٣٤ إلى ٩ ملايين (بما في ذلك ٥ ملايين دولار لتطوير الطائرات)، فإن النزعة نحو الاعتماد بصورة رئيسية على التكنولوجيا المستعارة حصلت على الأغلبية في اللجنة الموحدة لرؤساء الأركان. بيد أن عدم التماثل في هذا المنطلق قد تبين تماماً في نهاية الثلاثينيات، وبدءاً من عام ١٩٣٩-١٩٤٠ صار الجيش والمجلس العسكري - البحري ينفقان على أبحاثهما الخاصة ما لا يقل عن ٢٥ مليون دولار كل عام. بيد أن انقطاعاً معلوماً قد حصل بين الأبحاث العائدة للجيش وللأسطول (والذي كان من نتيجته أن الكثير من المشاريع كانت تتكرر) أو بين مراحل الدراسات التي كانت تنفذ في المختبرات العسكرية (وكذلك حسب العقود - الجامعية)، ومراحل الإعداد والإنتاج المتسلسل التي كانت تنفذها الشركات الخاصة. وبصورة عامة، قامت القوات المسلحة في الولايات المتحدة الأمريكية بشراء تكنيك عسكري، مصنوع في منظومة اللجنة الوطنية للأبحاث الدفاعية بمبلغ ٤ مليارات دولار (باستثناء مشروع «مانهاتين»). كان يخضع لإدارة الأبحاث العلمية والتصنيع في أعوام الحرب ما يقارب ٣٥ ألف عالم، كانوا يعملون لتلبية الحاجات العسكرية.

لقد أعلن الرئيس المقبل غ. هوفر في العشرينيات أنه: «مهما كان دعم الأبحاث العلمية النظرية يمكن التحدث عندنا عن ثلاث وجهات نظر فقط: يمكن التعبير عنها **أولاً:** في أن العالم الآخر يحمل عنا عبء الأبحاث الأساسية، **وثانياً:** أن الجامعات يجب أن تقوم بتلك الأبحاث لأجل الأهداف التعليمية

كشحنات جانبية، **وثالثاً:** في أن تقديم مؤسساتنا الخيرية من وقت لآخر التبرعات، وعلى سبيل المثال لمعهد كاريغي، وروكفلر أو لمعهد سميتسونوف[1]».

إن هذا الرأي، كان يعكس إلى حد كبير حقيقة الأمور، والملامات المشابهة هي أمر طبيعي في الأدب الأمريكي، أعوام العشرينيات. وفي الوقت نفسه فإن حقيقة النقاش اتهام لمصائر العلم النظري نفسها مفيدة كنموه على السواء، بالرغم من أنه بطيء، وكانت حجومه تشهد على أن الأبحاث الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية في العشرينيات (بما في ذلك الرياضية) قد كفت تدريجياً عن أن تكون (فرعاً إقليمياً) للعلم الأوروبي.

وفي مجال الرياضات يميزون في هذه الفترة أولئك العلماء مثل أي. مور (أول رياضي «بحث» منتخب كعضو في أكاديمية العلوم الوطنية) وأو. فيبلين، و ج. بيركهوف، وأي.ف. هانتينغتون، و غ. بليس.

كان يعمل في نظرية الهندسة التفاضلية منذ عام ١٩٢٧ د.يا. ستروبك، الذي كرس عدداً من الأبحاث كذلك في تاريخ الرياضيات والشرح المادي لأسس الرياضيات. ولقد ظهرت مدارس أمريكية للفيزياء الرياضية (د.ر. هارتري وج. ميشيل)، وفي نظرية المجموعات والمنطق الرياضي (هـ.ب. كيري وس. ماكلين)، وفي الهندسة التفاضلية والتوبولوجيا (أو. هوج، ون. ستينرود، وس. إيلينبيرغ، وأعمال س. لينشيتس وج. إلكسندر في جامعة برينستون حول استعمال الطرائق التوبولوجية في الجبر).

نما نشاط الرياضيين بصورة حادة في أواسط الثلاثينيات، نتيجة تدفق الباحثين من البلدان الأوروبية. كان الكثير منهم يستمر بالعمل على

(١) Science, 1927, vol. 65, p. 26.

الإشكاليات التي كانت تظهر. وهكذا فإن ر. ميزيس، الذي طور، وهو يعمل في جامعة هارفارد نظرية الذبذبات في نظرية الاحتمالات، واستخدم ا.ا. ماركوف في الفيزياء نظرية السلاسل. أما عالم المنطق البولوني ا. تارسكي الذي أتى إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٩ فقد نشر عدداً من الأعمال بمختلف مسائل المنطق الرياضي، وكذلك بأسس الرياضيات وعلم دلالات الألفاظ المنطقي ونظرية المقادير الكبيرة. إن الأستاذ السابق في جامعة غيتينغين ع. فييل أكمل بعد عام ١٩٣٣، وهو يعمل في معهد برينستون للأبحاث المستقبلية عدداً من نتائج ومنطلقات أبحاثه المبكرة في نظرية الأعداد الجبرية، ونظرية وظائف المتغير المركب (بمشاركة ابنه، و اي. ويلم) وفي الاستخدام الفيزيائي لمبادئ التماثل.

كتب عالم المنطق والرياضيات النمساوي ك. غيودل أثناء عمله في نفس الجامعة هنا عدداً مهماً من الأعمال، جعلت مساهمته في المنطق الرياضي ونظرية المقادير الكبيرة معترف بها عموماً. إن ج. فون نايمان، الذي هاجر من المجر في عام ١٩٣٠ أيضاً، ونزل في الولايات المتحدة الأمريكية استمر هناك بالعمل على إتمام دراسته السابقة لمواضيع الأسس النظرية للهيدروليك وتصاميم الآلات الحاسبة). لقد وصل إلى طريقة ناجحة لنظرية الآليات، التي أصبحت في الأعوام اللاحقة أحد مصادر الكيبرنيتيكا الأساسية - العلم حول الإدارة، والاتصالات، ومعالجة المعلومات في الآلات. لقد تم إعطاء الشكل الخاص لمادة الكيبرنيتك العلمية من قبل ن. فينير عام ١٩٤٨.

إن مختلف مواضيع الأبحاث في مجال الميكانيك (نهاية العقد العاشر وبداية العشرينيات) كانت لا تطبق إلا قليلاً بصورة أساسية، ولكن الاهتمام بها وبالمسائل الأساسية في الميكانيك ظهر فيما بعد.

إن علماء ومهندسي الولايات المتحدة الأمريكية الذين اقتنعوا بأهمية الأقسام النظرية في الميكانيك في العشرينيات «لحل المسائل التي تقف أمام التكنيك، وبالدرجة الأولى الحربية، كانوا يلجؤون في البداية إلى الأدبيات الأجنبية، وبصورة أساسية إلى الروسية والألمانية. لكن سرعان ما أخذوا في الولايات المتحدة الأمريكية بنشر أعمال المختصين الوطنيين. إن الأبحاث كانت تجري غالباً في مجال ميكانيك الحركة والآليات الحركية»[1].

يجب ذكر اسم ر. ميزيس من بين العلماء المهاجرين في هذه المرحلة الثانية، الذي أنشأ في الولايات المتحدة الأمريكية مدرسته في مجال الميكانيك النظري، وكذلك ت. كارمان الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٣٠ من ألمانيا، وكان يعمل حتى عام ١٩٤٣ مديراً لمخبر غوغينغيم للطيران التابع لمعهد كاليفورنيا التكنولوجي. لقد نفذ كارمان في هذا المخبر عدداً من الأبحاث المهمة في ديناميكا الطيران، ونظرية المرونة، وميكانيك الطيران والإنشاء وبناء الطائرات.

وفي هذه الفترة من الزمن، وبفضل أبحاث ا. آينشتاين ون. بور حصل التطور في نسبية المعرفة والميكانيك الكوانتي على دفعة قوية.

إن ا. كومبتون الذي اكتشف في عام ١٩٢٢ التغير في أطوال موجات أشعة رونتجين نتيجة تشتت إلكتروناتها، انتقل في الثلاثينيات إلى بحث الأشعة الكونية. وفي هذا المجال كان يعمل العالمان ر.اي ميلليكين و ك. آندرسون الذي اكتشف في أعوام ١٩٣٢-١٩٣٦ شحنات غير مستقرة في

---

(١) مانوريكا ا.ب. الروابط المتبادلة بين الميكانيك والتكنيك (١٧٧٠-١٩٧٠) ل. ، ١٩٧٥، ص ٢٥٥.

الأشعة الكونية (بالاشتراك مع س. نيديرمير) والبوزيترونات. ولقد أدى ذلك إلى تعميق التصورات عن طبيعة التماثل في العالم المادي. اكتسبت أهمية نظرية كبيرة نظرية الجزيئات الدقيقة التي تقدم بها ج. أولينيك وس. غاودسميث في عام ١٩٢٥ أثناء تدربهما في مخبر ن. بور.

ثم بنى اي. او. لورانس عام ١٩٣٢ أول مسرّع دوري مرنان مشحون بالجزيئات - السيكلوترون، وفي عام ١٩٣٣ حصل على الديترون (نواة الهيدروجين الثقيل، الذي تم اكتشافه قبل عام من قبل غ. يوري عن طريق على الظواهر الطبيعية، وأعطى ر. أوبينهايمر وم. فيايبس شرحاً بعد ذلك للتفاعل الذي يحدث عند تصادم الديترون مع النواة. وفي الأعوام التالية استمرت التحسينات على المسرعات: فبنى د. كيرست عام ١٩٤٠ بيتاترون (مسرّع الإلكترونات)، أما أي. ماكميلان فصاغ عام ١٩٤٥ (متأخراً بعض الشيء عن ف. أي فيكسلير من الاتحاد السوفييتي) فكرة الاستقرار الطوري التي تم بناء أجهزة مسرّعة على أساسها فيما بعد، وغيرها من أنواع المسرّعات المرنانة.

إن ا. اينشتاين الذي انتقل إلى بريستون خريف عام ١٩٣٣، وتخلّى عن جنسيته الألمانية استنكاراً للفاشستية، كرس العشر سنوات الأخيرة من حياته للعمل على مسائل علم الكونيات، وعلى إنشاء نظرية واحدة للحقل. كان يستخدم سمعته لأجل دعم الحركات الاجتماعية التقدمية، وقبل كل شيء المعادية للحرب. يجب التذكير أيضاً بأحد الفيزيائيين الذين انتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات وهو اي. ج. سيرجي (من إيطاليا) الذي شارك في اكتشاف عنصر البلوتون (١٩٤٠-١٩٤١) وعدد آخر من العناصر، وكذلك بالهولندي ب. ديبيا، والسويدي ف. بلوخ، المختصين الكبيرين في مجال نظرية الأجسام الصلبة،

وبالمجري ل. ستسيلارد الذي كان يتعاون مع اي. فيرمي لتحديد الكتلة الحرجة لليورانيوم - ٢٣٥، ولإنشاء أول مفاعل ذري في شيكاغو عام ١٩٤٢، وبـ هـ. بيتي، ويو. فيغنير، وج. فرانك، ول. نوردهايم، واو. شتيرن، المولودين جميعاً في ألمانيا. إنهم جميعاً شاركوا في مشروع «مانهايتن» بهذه الدرجة أو تلك.

لقد استخدم هـ. بيتي نتائج أبحاثه في نظرية النواة الذرية ونظرية الجزيئات الدقيقة لأجل تأسيس قسم الفيزياء الفلكية الجديد، والنظريات حول التفاعلات الداخلية في النجوم: تقدم في عام ١٩٣٩ بنظرية يكمن محتواها في أن مصدر طاقة الشمس يعود إلى تحول الهيدروجين إلى هيليوم، الذي يحفزه الأوكسجين والآزوت.

أجرى آي. هابل تصنيفاً للسدم في المجرات وخارجها ما بين عام (١٩٢٢-١٩٢٤)، أن الأخيرة تتألف من نجوم. كان ج. هيل أحد أشهر الباحثين في الشمس، وهو من أوائل من استخدم جهازاً لتسريع حركة الجزيئات، ومراقبة الحقل المغناطيسي للبقع الشمسية. اكتشف ك. تومبو عام ١٩٣٠ الكوكب التاسع من المجموعة الشمسية - بلوتو.

لقد حصل على اعتراف واسع أيضاً في أعوام ٢٠-٤٠ ، عدد من أعمال الكيميائيين الأمريكان، وعلى سبيل المثال، سلسلة الدراسات حول الظاهرات السطحية التي قام بها اي. لينغمور في مخبر شركة «جنرال الكتريك» والتي حصل بنتيجتها (وكان أحد العلماء الأوائل الذين اشتغلوا في الصناعة) على جائزة نوبل.

حصل أو. كاوزيرس عام ١٩٣٠ على بوليمير عالي النوعية، الذي استخدم في صناعة الطراز الأول للنايلون، وفيما بعد، وخلال ثمانية أعوام أقدمت شركة «ديوبون» على إنفاق ٢ مليون دولار على التركيب التجريبي لهذا النوع من الخيوط الصناعية الهامة للغاية، وامتلكت حقوق إنتاجه.

حصلت أعمال ا. ديمبستر وأو. جيوك المولودين في كندا، اللذين بدءا نشاطهما العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الثاني من العشرينيات، على صدى واسع. لقد أظهر الأول منهما عام ١٩٣٥، أن اليورانيوم الطبيعي هو عبارة عن خليط من نظيرين، اليورانيوم - ٢٣٥ واليورانيوم - ٢٣٨، أما جيوك فطور المدخل الإحصائي - الكوانتي لدراسة خصائص الجزيئات الدقيقة بأخفض ما يمكن من حرارة. إن ل. بولينغ (المشهور ليس ككيميائي وفيزيائي فقط، وإنما كشخصية اجتماعية تقدمية، وأحد منظمي حركة العلماء من أجل السلم)[1] درس طبيعة الروابط الكيميائية بطرائق الميكانيك الكمي. بدءاً من عام ١٩٣٦ عمل كذلك على قضايا بنية البروتين وآلية جزيئات العمليات الباثالوجية (المرضية أو الشاذة - المترجح). وبفضل دراسات ج. سامنيرا، وج. نورتروب، وأو. ستينلي تم إقرار الطبيعة الزلالية للخمائر. يجب التذكير أيضاً بإعداد مختلف أنواع الطرق الكيميائية لتجزئة الخلائط - الطريقة الفيزيائية التحليلية عالية الدقة، كأحد المنجزات الكيميائية في النصف الأول من الأربعينيات، والتي جاء الاهتمام بها في أعوام الثلاثينيات بداية في البلدان الأوربية، ثم انتقل فيما بعد إلى الولايات المتحدة الأمريكية (إن هذه الطريقة نفسه قد اقترحها البيوكيميائي الروسي م.س. تسفيت في بداية القرن). وبالتركيب الذي قام به غ. سيبورغ وغيره من العاملين على العناصر المشعة التي تلي الأورانيوم: الأميريكيوم، والكيوريا، والنبتونيا، البلوتونيا، وأيضاً بإنشاء نظرية السرعات المطلقة للتفاعلات من قبل س. غليستون، و ك. ليدير، و غ. إيرينغ.

---

(١) انظر: بولينغ ل. يجب ألا تكون هناك حرب! موسكو، ١٩٦٠. انظر كذلك: فوكس غ. من سيرة حياة الكيميائيين العظام. موسكو، ١٩٨١، ص ٣١٥-٣١٨.

إن الدور الرئيسي في تطوير البيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ٢٠-٤٠، لعبه المختبر البيولوجي التابع لمعهد كاليفورنيا التكنولوجي في باسادن، والذي كان يرأسه في أعوام ١٩٢٨-١٩٤٥ ت. هـ. مورغان. لقد أعطى شكلاً منجزاً لنظرية الصبغيات الوراثية كأساس للاصطفاء. إن النجاحات المحققة في العشرينيات في استنبات النباتات الزراعية الهجينة، وعلى وجه الخصوص في نبات الذرة، من قبل مورغان، وك. بربجيس، وغ. ميوللير، وا. ستيورتيغان، زاد محاصيلها بصورة كبيرة. كذلك ساعدت التجارب التي قام بها ميوللير عام ١٩٢٧ المتعلقة بالتغيرات الفجائية الاضطرارية على تشكل علم الوراثة الإشعاعي كمجال بحثي مستقل.

حصلت الأبحاث البيولوجية التطبيقية وإعدادها على دعم حكومي محدد، من خلال التدابير التي طبقت في فترة نفوذ القانون المتعلق بتنظيم الزراعة، أي أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥، وذلك بعد أزمة أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، عندما تقلص إنتاج الزراعة مرتين. ولقد تم تنظيم عدد المحطات الزراعية ذات الخبرة في زراعة الخضار، وتربية الحيوانات وتميزها عن الفروع الأخرى، خلال أعوام الثلاثينيات والأربعينيات من قبل وزارة الزراعة، وكذلك من قبل الشركات الخاصة.

عانى الطب من تأثير خصائص نظام الصحة الأميركي. بقيت المستشفيات في أغلبها ملكاً للقطاع الخاص. ولقد بلغت نسبة الاستفادة من الأسرة في عام ١٩٤٠ في المستشفيات الخاصة ٥٠,٧ % فقط بسبب ارتفاع الأجور، وفي الوقت نفسه بلغت نسبة مستشفيات الدولة ، ذات الشبكة التي كانت أقل تطوراً بكثير ٩١,١ % من الأسرة. وبصورة عامة كانت تغطية نفقات المرضى في تلك الفترة تبلغ ٨٠ % ، تدفع الحكومة من أصلها ١٥ % أما البقية فتأتي من «الصناديق الخيرية». كانت مساهمة الصناديق في الأبحاث

الطبية ملموسة، فبعد انخراط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية مباشرة، بدأت هذه الصناديق بتمويل القسم الطبي للدفاع المدني، الذي كان يعمل بالصلة مع الصليب الأحمر، والذي نظم مراكز لنقل الدم، ومستشفيات للمساعدة العاجلة وغيرها. لكن الإدارات العسكرية آنذاك كانت قد بدأت في تطوير الاستعداد للحرب الجرثومية، وأصبح المخبر المنظم في صيف عام ١٩٤٢ في كمب- ديتريك بالقرب من مدينة فريدريك (ولاية ميريلاند) أحد أول المراكز[1].

لقد برز تنسيق محدد في مجال الأبحاث البيولوجية والطبية مع منظمة المجلس الوطني التابعة لمعهد الأورام الوطني. لعبت الوثيقة الحكومية عام ١٩٤٤ التي وسعت صلاحيات المعهد الوطني للصحة في مجال إجراء أبحاث تقوم بها الجامعات، والمستشفيات وغيرها من المراكز بدور محدد، وتقدم المعونة لها حسب العقود مع هذا المعهد.

إن الدعاية المنتشرة للنظرية النفسية البرجوازية (بيخيفيوريزم) في العقد الأول، والعقد الثاني بصورة خاصة كاتجاه أمريكي خاص في فيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) النشاط العصبي الأعلى، والأنتروبولوجيا (علم السلالات البشرية)، وعلم النفس إلى درجة معينة أبعدت في أعوام الثلاثينيات تدريجياً من قبل النظريات الأكثر تقدمية، المثبتة على وجه الخصوص في عام ١٩٢٩ في دراسة و. كينون حول المناعة، (الذي استند فيها إلى نظرية ك. بيرنار ، وغ. باوديتش، واي. ب. بافلوف) كاستقرار حيوي في الوسط الداخلي للكائن الحي.

---

(١) مختارات عن مختلف مراحل استعدادات الولايات المتحدة الأمريكية للقيام بالحرب الجرثومية. انظر في هذا الخصوص: روزبيري ت. السلم أو الطاعون: الحرب الجرثومية، وكيف يمكن تلافيها. موسكو، ١٩٥٦.

إن وجهة النظر حول كلية أداء وظائف الدماغ قد تمت الإشارة إليها في البحث العلمي المتعلق بهذا الموضوع من قبل ج. ي. كوخهيل «علم التشريح وقضايا السلوك» عام ١٩٢٩. اكتسبت أعمال ي. دويزي أهمية كبيرة بالنسبة لتطور البيوكيميا (اكتشف الطبيعة الكيميائية للفيتامين ك)، وكذلك أعمال ج. سامنير، وغ. و ك. كوري، والطريقة التي اقترحها ج. نورتروب، وأو. ستيغلي للحصول على خمائر كيميائية صافية وبروتين فيروسي. وأعمال ف. ليبمان (الذي جاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية من الدنمارك في عام ١٩٣٩) في التركيب الحيوي للبروتين وآلية تأثير المادة العضوية التي تدخل في تركيب الفيتامين آ.

كانت المجالات التقليدية في البيولوجيا مستمرة في التطور أيضاً، مثل بيولوجيا النباتات والحيوانات المائية (ي بيرج)، والإيكولوجيا «علم البيئة» (مسطرة ف. كليمينتس، ونظرية تش. هيوبت حول التوازنات الحيوية والطبيعية المشتركة - «الحركات المتتابعة للحياة» عام ١٩٢١)، وعلم التصنيف، والمورفولوجيا (علم التركيب العضوي) وبيولجيا بعض المجموعات. كان المنطلق المتطور يتدخل في هذه الأبحاث بمقدار كبير، على الرغم من استمرار حملة الأوساط الرجعية ضد الداروينية، التي بلغت ذروتها في أعوام العشرينيات. لقد تميزت أعمال تلاميذ غ. بوو ديتش، في مجال الأنتروبولوجيا (مجموعة الصفات التي تتميز بها السلالة البشرية)، التي تبحث (علم السلالات). لقد نال ف. بواس الشهرة سواء بأبحاثه الإثنوغرافية عن سكان الأسكيمو والهنود الحمر (بصورة رئيسية سكان الشاطئ الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية)، أو بأعماله عن مجموعة الصفات التي تتميز به السلالات البشرية.

لم تنقطع المحاولات للبرهنة على «علم الصحة العنصري» والتمييز العنصري بالاستناد إلى داروين. إن الاستشهادات الديماغوجية بالعلم في سبيل

تقديم ذرائع للأهداف العنصرية المعادية للإنسانية، قد تم استخدامها فيما بعد من قبل أيديولوجيي النزعة المحافظة والفاشية الجديدة.

تبرز أعمال ك. فينير من بين الأعمال المكرسة للمجالات الجيولوجية - الجغرافية (علم البترول، علم البراكين)، وأعمال غ. واشنطن في (الكيمياء الجغرافية، وعلم الصخور) و ر. ديلي، المولود في كندا، الذي حسب متوسط تركيب طبقات الصخور البركانية (الماغما)، وقام بإعداد تصنيف جديد للحمم البركانية المتجمدة. إن محاولة ربط علم فيزياء الأرض بعلم نشأة الكون قد بدأ بها ت. ك. تشيمبيرلين، الذي كان أحد الأوائل الذين طرحوا في مجال علم الكواكب الشمسية فرضية تكاثف أوغو الكواكب على أساس «البدايات» الباردة - الأجسام الوسطية من إذ التشكل، المؤلفة من الغاز والهيليوم. لقد أجريت أبحاث في جغرافيا التربة من قبل (ك. ف. هاربرت)، وفي علم المناخ من قبل (غ. لاندسبيرغ)، وفي علم التركيب العضوي الجغرافي، والمناظر الطبيعية وغيرها من أقسام الجغرافيا. إن عدداً غير قليل من الاكتشافات الجغرافية، وكذلك الاثنوغرافية في القارة القطبية قد حقَّقه ف. ستيفانسون في العقدين الأول والثاني (إنه كذري من إذ المنشأ).

استمرت الطريقة التاريخية بلعب الدور الأول في العلوم النظرية عن الأرض، والتي حصلت على حافز جديد بفضل ما تقدم به ن. ل. بويين عام ١٩٢٨ (في كتابه «تطور الصخور البركانية»)، والمدعّم في بداية الثلاثينيات من قبل فرضية هـ. ايودير، و س. تيللي حول المنشأ البازلتي للماغما. قام ل. باور والعاملون لديه في معهد كانيغي بعدد من البعثات البحرية، استطاعوا من خلالها معرفة الحقل المغناطيسي للأرض. وفي عام ١٩٣٤ كان او. بيبي، وأو.

بارتن من الأوائل الذين حققوا تغطيس آلة تصوير مخصصة لأعماق البحار، والتي كانت تحمل اسم «قرن التقدم» وإنزالها إلى عمق قياسي في ذلك الوقت بلغ ٩٢٣ متراً. وفي عام ١٩٢٦، أجريت تجارب على استخراج البروم من ماء البحر. اكتسب الجهاز المناسب المبني في خليج سان- فرانسيسكو أهمية تجارية، وفي عام ١٩٤٢ تم استيعاب طريقة استخراج المغنزيوم من ماء البحر بسبب حاجة الصناعية العسكرية لهذا العنصر.

إن المرحلة الممتدة بين عامي ١٩١٨-١٩٤٥ في تطور العلم الأمريكي يمكن اعتبارها في كثير من النواحي مرحلة الانتقال إلى «العلم الكبير»، ومرحلة توفر عدد من المزايا التي تستكشف بصورة جلية مادة تنظيم واتجاه الأبحاث العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال ٣٠ عاماً. وهكذا ظهرت أولى الفرص لتنظيم الأبحاث الواسعة المركبة والتصاميم لمشاريع متنوعة من المجالات، وتزايدت المحاولات لتنظيم العلم المركزي بمساعدة إنشاء هيئات فدرالية مناسبة. وفي نفس الوقت اكتسبت هاتان النزعتان الحافز الذي نتج عن أزمة أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، والكساد، طابعاً مستقراً على خلفية نقل العلم وما يتلاءم معه من تجارب إنشائية وتصاميم تكنولوجية إلى المناحي العسكرية. إن هجرة العلماء إلى الولايات المتحدة الأمريكية وضع كل الصفات الخاصة لتلك الفترة، وكانت مقدمة للتنظيم الواسع والمتشعب لـ «تسرب العلماء» في أعوام ما بعد الحرب.

لقد زاد اهتمام الاحتكارات لوتائر سريعة للحصول على نفع صناعي من الأبحاث العلمية، ترافق انتقال هذا الاهتمام إلى التدابير العملية، المحققة لا من قبل بعض الاحتكارات فقط، وإنما من قبل الهيئات الحكومية، كمعبرة عن مصالح رأسمالية الدولة الاحتكارية، بالانتقال إلى دعم أكبر كذلك، وإلى

الأبحاث الأساسية. إن هذا الأمر كان يرفع من السمعة الاجتماعية للعلم، بما في ذلك العلم النظري، ويساعد بصورة موضوعية على زيادة كبيرة في مساهمة عدد من الفروع في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة في تقدم العلوم الطبيعية والتكنولوجية على الصعيد العالمي.

إلا أن حل مهمة إعادة إنتاج القدرة العلمية للبلاد بالقوى الخاصة لم تحصل مطلقاً (حتى إنها أصبحت بعيدة عن الحل بصورة أكبر من الفترة السابقة)، أما نجاحات الكثير من فروع المعرفة فكانت محصورة بالمجالات المفتاحية لإنشاء أصناف جديدة من الأسلحة، ولا سيما الأسلحة النووية والجرثومية. كان العلم يعاني كما في السابق تنافس الشركات والإدارات. كانت التناقضات تتفاقم أكثر فأكثر بين نمو المعرفة الاجتماعي الضروري بصورة موضوعية، واستخدام هذا النمو لمصالح الأوساط الاحتكارية والعسكرية. إن المحاولات للتغلب على هذه التناقضات بطرق تنظيم الدولة الاحتكاري كانت يجب أن تساعد حسب القائمين بها على الحفاظ على نظام التملك الرأسمالي للعلم.

الفصل الثامن عشر

الأدب والفن

١ - الأدب

تشغل الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين مكاناً خاصاً وملحوظاً تماماً في تاريخ الأدب الأمريكي. تميزت هذه الفترة بالإنجازات المهمة في جميع المجالات الفنية: في الشعر، والدراما، وكتابة القصص القصيرة، وفي مجال الأدب الفني - الوثائقي. ولقد تميزت أشكال الرواية بغناها الاستثنائي، سواء من الجانب النفسي، أو جوانب رسم حوادث الحياة الاجتماعية المتنوعة. لم يحقق الأدب الأمريكي قبل ولا بعد مثل ذلك الازدهار الإبداعي في تلك الأعوام[1].

يتم وصف أدب أعوام العشرينيات بالتنوع الغزير بالمدارس الفنية - الجمالية، وسعي الكتاب للبحث عن الأشكال الجديدة، وعن التجربة. أما أفضل الأعمال فكانت تكمن في - قوة حماستها النقدية، الموجهة لتعرية الخواء الداخلي، والبرود الروحي للحياة البرجوازية الخاصة، وعبادة «المنافع» البراغماتية والآلية التكنيكية الخالية من المشاعر. كان تحول النبرات واضحاً في «السنوات العشر الحمراء» أعوام الثلاثينيات باتجاه التسييس وإعطاء الأدب طابعاً اجتماعياً. وازداد النشاط الاجتماعي للكتاب. أما بداية الأربعينيات، فترة الحرب العالمية الثانية، فقد تميزت كمرحلة محددة سادت المواضيع الحربية والمعادية للفاشستية في أدبها.

---

(١) أدب الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين: تجربة الأبحاث التصنيفية، موسكو، ١٩٧٨.

شكلت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، ونهوض الحركة العمالية في السنوات الأولى بعد الحرب في أعوام ١٩١٤-١٩١٨ شكلت كلها عوامل مهمة، مارست تأثيرها على العملية الأدبية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبصورة خاصة في بداية أعوام العشرينيات. لقد تحدث تيودور درايزر: «لقد سلَّط سير روسيا على طريق الاشتراكية الأضواء على عدم المساواة الاجتماعية الموجودة في أمريكا بشكل ساطع، بإذ كان يجب أن يظهر بصورة موضوعية إلى جانب الكتب التي ليس لديها سوى هدف واحد هو تسلية القارئ وصرف أنظاره بصورة دؤوبة عن القضايا الاجتماعية، كتب أخرى تُظهر ضرورة تغيير النظام الاجتماعي»[1].

لقد شكل النشاط الاجتماعي لجون ريد وألبرت ريس وليامز، والمجموعة القريبة منهما من الأدباء، والصحفيين، والكتاب الاجتماعيين، شهود العيان لانتصار الثورة الاشتراكية في روسيا، وأصدقاء الجمهورية السوفييتية الفتية، صفحة رائعة في تاريخ أدب الولايات المتحدة الأمريكية[2].

إن قدوم جون ريد إلى روسيا في صيف عام ١٩١٧، على أعتاب أكتوبر، كان يدل على بداية مرحلة جديدة باهرة في حياته[3]، إذ أصبح مؤسساً للواقعية الاشتراكية في أدب الولايات المتحدة الأمريكية، وفناناً من

---

(١) درايزر ت. المؤلفات المختارة: في ١٢ جزء، موسكو، ١٩٥٥، الجزء ١٢، ص ١٩٦.

(٢) بعيون الأجانب، ١٩١٧-١٩٣٢. موسكو، ١٩٣٢؛ وغيلينسوف ب.ا. أكتوبر في أدب الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩١٧-١٩٢٠. موسكو، ١٩٦٨، وأصدقاء أكتوبر، والعالم. موسكو، ١٩٧٧؛ ولقد رأينا أكتوبر. موسكو، ١٩٧٧، الجزء ١ و ٢؛ وبعيون الأصدقاء. موسكو، ١٩٨٢.

(٣) حول بداية النشاط الأدبي لـ جون ريد: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية: في أربعة أجزاء. موسكو، ١٩٨٣ - الجزء ٢، ص ٤٧٩-٤٨٠.

طراز جديد، ربط إبداعه الفني بصورة عضوية بنشاطه الثوري. كان ريد شاهداً على انتصار الثورة الاشتراكية في بتروغراد، ورأى ف. لينين على منصة الخطابة في المؤتمر الثاني لسوفييتات عموم روسيا، وعمل في مكتب الدعاية الثورية لشؤون مفوضية الشعب، ناشراً الحقيقة عن البلاشفة بكل ما يستطيع من قوة. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أيار عام ١٩١٨، قام ريد بجولة في البلاد قدّم فيها المحاضرات، وكتب سلسلة من المقالات في الصحافة اليسارية، تظهر فيها الحقيقة عن لينين، والبلاشفة، والسوفييتات، مفنداً فيها الخرافات المعادية للسوفييت. كانت مؤلفاته الاجتماعية في عام ١٩١٨-١٩١٩، مقدمة فريدة من نوعها لكتابه الشهير «عشرة أيام هزت العالم»، الذي خرج إلى العالم في ١٩ آذار عام ١٩١٩.

حصل الكتاب على تقييم عال من ف. اي. لينين، الذي رأى فيه «عرض صادق، ومكتوب بصورة حية واستثنائية، للأحداث المهمة من أجل فهم ما هي الثورة البروليتارية، وما هي ديكتاتورية البروليتاريا»[1]. لقد برزت المهارة والفن العالي لريد في هذا العمل، وكذلك برزت طباعه، وحميته، وموقفه الفكري الواضح. إن التاريخ نفسه الذي تصنعه الجماهير الشعبية الثورية بالخط العريض، التي قادها حزب لينين، أصبح بطل كتابه. كان ريد يسعى كيلا يرى القارئ الأمريكي ما كان يجري فقط، وإنما كي يؤمن به، مستنداً في ذلك إلى الوثائق، وأخيراً أن يفهم محتواه. وقد تحقق ذلك في «الأيام العشرة» وفي الاتجاهات الثلاثة، الفني والاجتماعي والوثائقي. إن مبدأ «تكامل» الوثيقة نفسه في النص الفني، وكذلك الاستطرادات في الأدب الاجتماعي، المستخدمة بصورة واسعة

---

(١) لينين ف.ي. المؤلفات الكاملة، الجزء ٤٠، ص ٤٨.

لأول مرة من ج. ريد. إن هذا المبدأ حصل على تطور واسع في أدب الولايات المتحدة الأمريكية (عند دوس باسوس، وشتاينبك، ولويس).

لقد ظهرت موهبة ريد ككاتب مقالات، ووثائقي، وكاتب مسرحي وشاعر، ومؤلف قصائد «أمريكا ١٩١٨» بروح ويتمان، في عمله «عشرة أيام» الذي يشكل سبيكة فنية أصيلة. استطاع الفنان - المبدع ريد أن يظهر الثورة الشعبية بكل جلائها، وأن يرسم لوحة للحركات الشعبية، وللعملية المضنية الصعبة في ذلك الوقت لولادة وعي جديد عند أولئك الذين كانو حتى البارحة منسيين - عند الأناس البسطاء.

شارك ريد في صيف عام ١٩١٩ في إنشاء الحزب الشيوعي العمالي في الولايات المتحدة الأمريكية، وذهب إلى موسكو سراً في الخريف، وبدأ العمل في الكومنترن، والتقى مرات عديدة مع ف. اي. لينين. إن حياته وإبداعه أصبحا مثالاً حقيقياً لكتَّاب الولايات المتحدة الأمريكية الثوريين، ولا سيما في فترة «الثلاثينيات الحمر»، حين أُنشئت «نوادي جون ريد» في الولايات المتحدة الأمريكية. كان موضوع ثورة أكتوبر يشغل مكاناً ملموساً في الأدب الأمريكي لأول مرة في أعوام ما بعد الحرب، وقبل كل شيء في الأدب الفني - الوثائقي. ففي كتاب «لينين.. الإنسان وقضيته» (عام ١٩١٩) رسم ألبرت ريس وليام (عام ١٨٨٣-١٩٦٢)[١]، وهو معاصر لجون ريد، الصورة متعددة الجوانب لزعيم أكتوبر، «الواقعي الأعظم». وكتب بعد ذلك كتاباً عن الشعب، الذي استيقظ للنضال والحياة الجديدة «من خلال الثورة الروسية» (١٩٢١). إن

---

(١) كيرييفا ي.ف. ألبرت ريس وليامز: نبذة عن إبداع غوركي ١٩٧٣، ويليام ا.ر. برهنت الحياة على صحة موقفنا. المؤلفات الاجتماعية المختارة. وتيلينسون ب.ا. البرت ريس وليامز - التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٨٤، رقم ١.

الموضوع السوفييتي أصبح محدداً في الأبحاث الإبداعية لويليامز الصديق المُجرَّب لبلاد السوفييت (كتب «الأرض الروسية» عام ١٩٢٨، و«السوفييتات» عام ١٩٣٧، وكتاب «الروس والبلاد والشعب، لماذا يحاربون؟» عام ١٩٤٣.

لقد عاد من جديد في الأعوام الأخيرة من حياته إلى الأحداث في عام ١٩١٧-١٩١٨ التي لا تنسى بالنسبة له (كتاب «رحلة في الثورة»، ١٩٦٩).

كان كتاب زوجة جون ريد لويزا برايانت الصحفية التقدمية (١٨٩٠-١٩٣٦) «ستة أشهر حمر في روسيا» (عام ١٩١٨) مملوء أيضاً بالعواطف تجاه البلاشفة. أصبح كتاب «مرايا موسكو» حصيلة لرحلتها الثانية إلى روسيا (١٩٢٠-١٩٢١)، وسلسلة من الصور لشخصيات بارزة حزبية وحكومية (د. ا. ب. لونا تشارسكي، و م. ي. كالينين، و ف. اي. دزرجينسكي وغيرهم). وقدمت في هذه السلسلة أيضاً نبذة عن ف. اي. لينين مبنية على الانطباعات الشخصية. وجدت الأحداث في بتروغراد الثورية عام ١٩١٧-١٩١٨ انعكاساً لها في كتاب بيسّي بيتّي (١٨٨٦-١٩٤٧) «قلب روسيا الأحمر» عام ١٩١٩.

لقد اعتبر نفسه صديقاً لبلاد السوفياتات الكاتب الاجتماعي باكستون غيبّين (١٨٨٠-١٩٢٧) مؤلف كتاب «إعادة البناء في روسيا» عام ١٩٢٥، الذي تم تقديمه إلى المحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تعاطفه هذا. مارس أكتوبر، ولينين تأثيراً حاسماً على مصائر مجموعة كاملة من زعماء العمال اليساريين، الذين تركوا نماذج رائعة في فن المذكرات: (كتاب «بيل هيفورد» (عام ١٩٢٧)، وكتاب «صفحات من حياة عامل» لـ او. ز. فوستر (١٩٣٩) و«إننا كثر» لـ اي. ر. بلور (عام ١٩٤٠) وغيرهم). كان مايكل غولد (١٨٩٤-١٩٦٧) يمثل اليسار البروليتاري في الأدب الأمريكي في هذا العقد،

وهو أحد المحاربين القدماء في الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي بقي طوال حياته، وفي كل الظروف الصعبة محافظاً على إخلاصه لمثله. كانت طريقة غولد - الفنان تتميز بالاستقامة المعروفة لديه، وفي التحزب الصريح، وكانت عواطفه موجهة إلى من لم يكن يستسلم لأوضاعه المهنية، ولا يتخلى عن النضال (قصص «الداعية الملعون» و«الأحرار!»). لقد استمر غولد الشاعر، في سيره على تقاليد وايتمان، كان يستخدم الشعر الحر، والنبرة الخطابية العريضة (ديوان «١٢٠ مليون»، ١٩٢٧). وكان أحد السباقين والمنادين بالأدب الجديد في فترة «الثلاثينيات الحمر». إن روايته الشهيرة عن سيرة حياته «الفقر اليهودي» عام ١٩٣٠، التي كان محتواها يكمن في تصوير النمو الروحي للبطل الشاب، قد حازت صدىً واسعاً، وأصبحت واحدة من باكورات الأدب البروليتاري بعد سنوات الأزمة العشر.

لقد بذل غولد في أعوام الثلاثينيات الكثير من الجهد للعمل الحزبي، والتنظيمي في مجال الثقافة، وكان له عمود باسم «العالم المتغير» في صحيفة «ديلي ووركر»، ودعم بنشاط النزعة الثورية في الأدب الأمريكي.

ترتبط الظواهر الأكثر أهمية وإمتاعاً في أدب العشرينيات بإبداع أساتذة الواقعية النقدية[1]. إن ما اتصفت به هذه السنوات العشر ليس اشتداد الحماسة الفاضحة فقط، وإنما التفتيش المستمر عن القيم الإيجابية. كان ممثلو هذا الاتجاه مختلفين كثيراً في اعتقاداتهم الفكرية - الجمالية، وكانوا يشعرون بالحاجة الملحة للتوحد، وللجهود المشتركة. لقد أصبحت مجلة «سيفن ارتس» مركزاً خاصاً للأدباء ذوي الأمزجة ذات الطابع الراديكالي (١٩١٦-١٩١٧). كانت المجلة

(١) زفيريف ا. الرواية الأمريكية في أعوام ٢٠-٣٠ موسكو، عام ١٩٨٢.

تتخذ مواقف معادية للإمبريالية، وكان يتعاون معها ت. درايزر، وأو. فرانك، ويو. أوبيل، وف. ديل، وك. سيندبرغ، والناقد فان فيك بروكس وغيرهم. وفي عام ١٩٢٢ صدرت مجموعة مشتركة من المقالات تميزت بالحماسة الاجتماعية - النقدية بعنوان «الحضارة في الولايات المتحدة» (بتحرير الكاتب ذي الاتجاه الليبرالي هارولد ستيرنس). رسم المؤلفون فيها الوضع المحزن الذي آلت إليه الأمور في مختلف مجالات الحياة الروحية في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء في الفن، أو التعليم، أو العلم، أو الصحافة، أو الفلسفة وغيرها، المشبع بروح البزنس المبتذل.

إن أزمة «حضارة الدولار»، وتوجهها المعادي للعمل الإبداعي، حفَّز على «خروج» مجموعة مهمة من الأدباء الأمريكان ومغادرتهم للوطن، كي يتحولوا إلى «مهاجرين» في باريس (اي. همنغواي ، وف. بى. فيتزجيرالد، وج. دوس. باسوس، وهـ. ميللر، وم. كاولي، اي. كامينغس، واو. لونغيلس وغيرهم).

لقد أصبح «الثورة الوثائقية» المتنوعة، المبشرة بالتطور العاصف للأدب الاجتماعي في أعوام الثلاثينيات، خاصة مهمة في العملية الأدبية في الأعوام الأولى بعد الحرب. كان غ. درايزر، واي. سينكلير، وغ. مينكن، واو. فرانك وغيرهم يعملون في مجال فن المقالات، والنبذات، والأبحاث الاجتماعية. وكان ذلك يسمح لهم بالوقوف بصورة ميدانية ومباشرة في صف التقييمات النقدية لـ «حضارة الدولار». وفي أعوام العشرينيات، وإلى جانب الكتَّاب من الجيل الأقدم، الذي كان قد أعلن عن نفسه في فجر القرن مثل (درايزر، وسينكلير، وسيندبيرغ، وأندرسون وغيرهم)، دخل إلى الساحة الأدبية فنانون للكلمة أكثر شباباً، وقع عليهم ازدهار الإبداع في السنوات العشر التي تلت الحرب مثل

(س. لويس، واي. همنغواي، واو. فولكنر، وت. وايلدر، وج. دوس باسوس وغيرهم). إن الحماسة الاجتماعية - النقدية في إبداع البعض منهم، وعلى سبيل المثال سيندبيرغ، وسينكلير، ولويس، واندرسون، واونيل، كانت تتحدد بصورة كبيرة من تلك الصلابة التي حصلوا عليها في أعوام الشباب.

وإلى جانب ممثلي هذا الصنف «الاجتماعي» للواقعية، مثل ت. درايزر، واي سينكلير، وس. لويس، الذين سعوا لتقديم بانوراما مشبعة اجتماعياً للواقع الأمريكي، حقق فنانو الكلمة، الذين يمكن نسبهم إلى المدرسة النفسية مثل (فولكنر، وفيتزجيرالد، وأندرسون وفرانك وغيرهم) نجاحات بارزة في هذه السنوات العشر. لقد تجلت في كتبهم أعماق الحياة الداخلية للإنسان بصورة لم يسبق لها مثيل سابقاً.

إن إبداع فناني الكلمة هؤلاء مثل اندرسون وهمنغواي وفولكنر وفيتزجيرالد ودوس باسوس، الذي قدموا نماذج جديدة للنثر، والبلاغة، قد ظهر من خلال الانجذاب المثمر باتجاه الإبداع والتجربة، والأشكال الفنية الغنية. ذلك هو النقل الشفاف للجو النفسي عند اندرسون، والمعاني الباطنية في حوارات همنغواي، واستخدام أساليب السينما عند دوس باسوس، والمونولوج الداخلي، وبصورة خاصة مجرى الوعي عند فولكنر وفرانك، ولغة كامينغس الإبداعية.. إلخ.

إن طريق إيبتون سينكلير في السنوات العشر بعد الحرب كان يشير إلى النمو الإبداعي الأكيد لديه[١]، الذي بقي منفتحاً بصورة حية دائماً على المسائل الملحة للعصر. لقد ألف عدد من الأهجيات الاجتماعية التي شكلت سلسلة «اليد

(١) حول الطريق الإبداعي لـ اي. سينكلير. انظر: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء ٢، ص ٤٧٤-٤٧٦.

الميتة». إنه في هذه الأهجيات يقوم بالهجوم على الشرور الاجتماعية بصورة واسعة: يكشف علاقة الكنيسة بالمصالح المالية، وتحول رجال الدين إلى عملاء مأجورين للاحتكارات («أرباح الدين»)، عام ١٩١٨، ورشوة «الصحافة الحرة» («العلامة النحاسية»)، وانحطاط الكتاب، الذين وضعوا موهبتهم في خدمة «الكيس المالي» («فن مامونا»)، عام ١٩٢٢ وابتذال الفن، الذي استحال إلى ثقافة تجارية كاذبة («النقود تكتب» عام ١٩٢٧). لا تغيب عن اهتمامه الأوضاع في المدارس والكليات أيضاً، إذ يقوم الرأسمال الكبير كذلك بإملاء الشروط («الأوز»، عام ١٩٢٩، و«الخطوة الوزية»، عام ١٩٢٣).

تابع سينكلير موضوعه الرئيسي في روايات أعوام العشرينيات بتعريته طبيعة الاستغلال الرأسمالي. إن كل عمل من هذه الأعمال أصبح «رحلة» في مجال ما من مجالات الحياة الأمريكية مع غنىً يحسد عليه بالتفاصيل الاجتماعية- الاقتصادية. هنا البوليس وعملاؤه السريون في الحركة العمالية كما في («١٠٠%»، عام ١٩٢١)، وصناعة «الذهب الأسود» في («النفط»، عام ١٩٢٣)، وآلية القضاء الطبقي المعادي للديمقراطية، الذي ذهب ضحيته ساكو وفانزيتي في («بوسطن»، عام ١٩٢٧).

بيد أن طريق ايبتون سينكلير كان يتميز بالاضطراب والتعرج. إنه يعيش في بداية الثلاثينيات تدهوراً إبداعياً ملحوظاً. إذ يتخلى في روايته «ماونتين- سيتي» (عام ١٩٣٠) و«إجازات روما» (عام ١٩٣١) عن مؤلفاته السابقة. إنها شاحبة، وغير بليغة. وتظهر أوهام إيبتون سينكلير وأفكاره الإصلاحية، التي كان قد أعلن عنها مخطط حركة الانتهاء من الفقر في كاليفورنيا («التخلص من الفقر في كاليفورنيا»، عام ١٩٣٤) (انظر الفصل العاشر في هذا الجزء).

إن الحركة المعادية للفاشية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تطورت في أواسط أعوام الثلاثينيات، تدفع الكاتب سينكلير للانعطاف نحو الحرب الأهلية في إسبانيا بقصته «إنهم لن يمروا» عام ١٩٣٦، التي يتخللها نداء إلى وحدة جميع القوى التي تقف ضد الخطر «الرمادي».

إن الأجزاء الأولى من السلسلة الواسعة من الروايات المؤلفة من ١٠ أجزاء حول لان بيد (١٩٤٠-١٩٥٣)، التي بدأ سينكلير العمل عليها بالذات على أعتاب الحرب العالمية الثانية («كارثة العالم»، عام ١٩٤٠، و«بين عالمين»، عام ١٩٤١، و«أسنان التنين»، عام ١٩٤٢، و«حصاد التنين» و«الكذب الواسع»، عام ١٩٤٣، وغيرها)، أصبحت ظاهرة مهمة في أدب أعوام الحرب. كانت الحياة تبعث بريشة الروائي لمراحل التاريخ السياسي والدبلوماسي بعد الحرب العالمية الأولى. وإلى جانب الأبطال الخياليين في السلسلة - وهذا ما أعطى للقصص اهتماماً خاصاً - كان هناك أبطال حقيقيون من العصر. إن جو وأمزجة «الحرب الباردة» المعادية للسوفييت ظهرا للأسف في الجزء الختامي من هذه السلسلة («عودة لان بيد»، ١٩٥٣).

تعتبر السنوات العشر التي تلت الحرب مرحلة شديدة الأهمية بالنسبة لطريق تيودور درايزر الإبداعي[1]. تجري في ذلك الوقت إعادة بناء تدريجية وصعبة لعقيدته: إنه يبتعد عن الآراء السبنسرية[*]، والجبرية، وينمو لديه الاعتقاد بطبيعة الرأسمالية الأمريكية المعادية للإنسانية (مجموعة الأعمال الاجتماعية «اضرب على الطبل»، ١٩١٩). لقد ظهر التعمق في نظرات الكاتب الاجتماعية في مجلد الأقاصيص «الـ ١٢» (١٩١٩)، وفي كتاب السيرة الذاتية

---

(١) حول إبداع درايزر حتى قبل ١٩١٨. انظر المصدر السابق، ص ٤٦٩-٤٧١.

(*) سبنسر - (أحد إيديولوجيي اللبرالية البرجوازية - المترجم).

«الأيام الصحفية» (١٩٢٢)، وفي المقالة المرسلة لسلسلة «ألوان المدينة الكبيرة» (١٩٢٣). إن التعميم الفني في «التراجيديا الأمريكية» (عام ١٩٢٥) كان قوياً جداً، وواحداً من الأعمال المفتاحية لا في أعوام العشرينيات فقط، وإنما في التاريخ الأدبي للولايات المتحدة الأمريكية بأسره. إن مصير كلايد غرافيتس قد شُخص بريشة درايزر بقوة تعميمية كبيرة، كان شاهداً على انهيار «الحلم الأمريكي». أظهر درايزر الفنان نفسه في هذا العمل بكل المعايير: لقد تمَّ التخلص بصفة خاصة من طابع الإذيات الطبيعية، ومن التفسيرات الفلسفية الخاطئة، التي كانت تميز رواياته المبكرة. إن منطق تطور الكاتب كان يحتم على درايزر أن يوجه أنظاره إلى نظام اجتماعي آخر. وكان كتاب «درايزر ينظر إلى روسيا» (عام ١٩٢٩) هو محصلة رحلته إلى الاتحاد السوفييتي، والذي كتبه بروح العطف تجاه بلاد السوفييت. يدخل في إبداعه بطل جديد، الشيوعي ايرنيت من أقصوصة تحمل نفس الاسم (١٩٢٩).

كانت أعوام الثلاثينيات مرحلة مهمة بالنسبة للتطور الفكري والفني لدرايزر، لقد عمل في هذا الأعوام العشرة كثيراً ككاتب اجتماعي. ووصل من «التراجيديا الأمريكية»، تلك الرواية عن المصير الكئيب لفردية هلكت في الغابات الرأسمالية إلى «أميركا التراجيدية» (عام ١٩٣١)، وهي شهادة وثائقية عن الشعب العامل في أعوام الأزمة، الذي وقع تحت سيطرة الاحتكارات. وهنا لعب درايزر دور «الرائد»، وهو يشق الطريق إلى سلسلة من الكتب الاجتماعية - الوثائقية لـ (أندرسون، وفرانك، وكالدو، وغيرهم)، والتي ظهرت في فترة «السنوات العشر الحمر». إن فضح الرجعية العالمية، والدعوة إلى دعم الاتحاد السوفييتي حددا الحماسة في كتابه الاجتماعي «من الضروري إنقاذ أمريكا» (عام ١٩٤١).

في أعوام الحرب العالمية الثانية يقف درايزر بصورة نشطة إلى جانب فتح الجبهة الثانية، ويعبر عن تعاطفه الثابت تجاه النضال البطولي للاتحاد السوفييتي. ويلخص درايزر النتائج الخاصة لأبحاثه الفنية والفلسفية في روايتيه الأخيرتين الصادرتين بعد وفاته - «المنصة»، (عام ١٩٤٧، والتي بقيت غير منجزة)، و«الحصن» (١٩٤٦).

إن الكاتب يظهر في رواية «الحصن» وهو يحكي عن قصة خاصة بثلاثة أجيال من عائلة بارانوف المنتمية إلى طائفة الكوكرز (طائفة بروتستانتية في إنكلترا والولايات المتحدة - المترجم) وانحطاط مبادئها الأخلاقية والمعنوية، وكيف يصبح النهم الشديد للنقود وفلسفة الطمع في التملك الخاص للمال هي المسيطرة ومصدر للشر. وفي «المنصة» في المجلد الختامي «ثلاثية الرغبة»، يصدر الحكم النهائي على كاوبيرفود وفلسفته.

إن تطور درايزر والتجربة التاريخية على وجه الخصوص التي امتلكها الكاتب في فترة ما بعد أكتوبر، قادته في نهاية حياته إلى اتخاذ قرار الانتساب إلى الحزب الشيوعي، وتشهد على ذلك رسالته الشهيرة إلى أو. ز. فوستر (تموز عام ١٩٤٥) المسماة من قبله باسم «منطق حياتي».

كان شيرفود أندرسون (عام ١٨٧٦-١٩٤١) معلماً خاصاً بالنسبة لأساتذة الواقعية النفسية، وعلى سبيل المثال بالنسبة لفولكنر، إلى جانب هنري جيمس كذلك. لقد ظهرت رواية «ابن ويندي ماكفيرسون» لأول مرة (عام ١٩١٦)، التي رسمت قصة ارتقاء البطل وثرائه وخيبته كذلك في عالم الأعمال. وفي رواية أخرى له «الناس الذين يسيرون» (عام ١٩١٧)، توجه اندرسون إلى موضوع الحركة العمالية، بوضعه شخصية ماك غريغور، زعيم البروليتاريين في

مركز من يسير على مذهب الرومانسية بعض الشيء، دون أن يكون هناك تصوير مبسّط وإعلاني لشخصيته. لقد وجد أندرسون- الفنان، نفسه كاملاً كأستاذ للصيغ اليسيرة والقصص القصيرة المبنية على تفاوتات نفسية شفافة. إن مجموعته القصصية «اوايسبورغ، واوهايو» (١٩١٩)، كانت ترمز إلى تكونه كفنان كلمة أصيل. رسمت هذه المجموعة، والمجموعتان اللتان تبعتاها - «انتصار البيضة» (١٩٢١) و«الخيل والناس» (١٩٢٣) - من إذ المحتوى، موضوع أندرسون الرئيس: العزلة الإنسانية والتهميش والإجحاف في عالم النفعية والبزنس القاسي. إن قصصه القصيرة ورواياته كذلك في أعوام العشرينيات - «الأبيض الفقير» (١٩٢٠)، و«الضحك الغامض» (١٩٢٤)- كانت تعكس بتركيبتها القصصية ولع أندرسون بالتحليل النفسي، ذي الشعبية الكبيرة بصورة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام العشرينيات.

يتجه أندرسون بصورة واضحة نحو اليسار في بداية الثلاثينيات، ويقف دفاعاً عن عمال المناجم المضربين (مقالته المشهورة «ولو أن السندكالية[1] المجرمة أكبر بالنسبة لنا» (١٩٣٢). إن الاهتمام المتنامي للكاتب بحياة الكادحين، «أمريكا الأخرى» وجد انعكاساً له في رواية «باتجاه الرغبة تلك» (١٩٣٢)، المبنية على أساس الإضراب الشهير في غاستونيا عام ١٩٢٩. لم يكن أندرسون أصماً كذلك تجاه العمليات الاجتماعية التي كانت تحدث في البلاد في زمن الكساد: ظهر ذلك في كتابه الاجتماعي «أمريكا الحائرة» (١٩٣٥).

---

(١) السندكالية أو النقابية هي تيار راديكالي في الحركة العمالية بلغ أوج نشاطه في أوائل القرن العشرين. المترجم.

لقد أصبح إبداع لويس سينكلير (١٨٨٥-١٩٥١) أحد الظاهرات المهمة في الأدب الأمريكي الواقعي أعوام العشرينيات. وتُشكِّل السنوات العشر بالذات المرحلة الأكثر خصوبة في الإبداع(١). وتعتبر رواية «الطريق الرئيسي» (١٩٢٠) واحدة من أدب العصر الجديد المبشِّر، التي جعلت منه كاتباً شهيراً، لا يصور فقط فقر الريف المنسي، وإنما يظهر ريفية الحياة الأمريكية بأسرها. تبعت هذه الرواية روايات أخرى شهيرة للويس، شكلت بانوراما واسعة وعريضة «للطبقة الوسطى» التي تبعث عالم البرجوازية الصغيرة المحافظ والضيق الأفق كاملاً. أصبح البطل في مركز رواية «بيبيت» (١٩٢٢)، اسماً عاماً، ورجل أعمال معيارياً وطفيلياً. واعتبرت هذه الشخصية اكتشافاً فنياً بارزاً للويس. وكان البطل الرئيسي في رواية «إيرَّو سميث» (١٩٢٢) بطبيعة «معاكسة لبيبيت» - طبيب وعالم وإنسان مبدع وشريف، يختنق في وسط الوصوليين ورجال الأعمال. وفي رواية «إيلمر هنري» (١٩٢٧) يتم تقديم صورة «المتاجر بكلمة الإله» والمرائي الوقح في لباس رجل الدين بكل أبعادها. كان «مشرِّح الثقافة الأمريكية» كما سمّى لويس الناقد الأدبي المشهور غ. مينكين، يقدم في أفضل رواياته الهجائية والاجتماعية - النقدية أعوام العشرينيات استعراضاً لعيوب وترهات «حضارة الدولار». إنه أحد الأوائل الذين رسموا بصورة فنية مفاهيم «الثقافة الجماهيرية»، و«المجتمع الجماهيري»، و«انحياز الشخصية»، التي حددها الفلاسفة فيما بعد. كان طريق لويس معقداً، ومتناقضاً. ولقد ظهر في إبداعه أواخرالعشرينيات تدهور معروف، شهدت عليه رواية «دودسفورت» (١٩٢٩). وفي أعوام ٣٠-٤٠ ظهر الصعود والهبوط بصورة أكثر حدة. لقد سار لويس من إذ المحتوى إلى الأمام، واكتسب هجاؤه اتجاهاً سياسياً. فبطلة روايته المركزية «آن فيكيرز» - وهي امرأة قوية، ذات

---

(١) بداية الطريق الإبداعي لـ س. لويس، ص ٤٧٩.

إرادة تلهمها مُثل الإنسانية والعدالة. بيد أنه في رواية «إنتاج الفن» (١٩٣٤)، يقف لويس مدافعاً بصورةٍ غير موفقةٍ تماماً عن رجل الأعمال الشريف، ذي السلوك الحسن، الذي يواجه «البوهيمية». يعيش الكاتب بعد ذلك من جديد صعوداً أبداعياً. إن لويس المرهف بصورة استثنائية تجاه نبض الحياة الاجتماعية وقف في روايته الإنذارية الهجائية - الطوباوية المعادية للفاشستية «لا يمكن هذا عندنا» (١٩٣٥)، التي ظهرت على أعتاب الانتخابات الرئاسية عام ١٩٣٦، والتي تحولت إلى مفاجأة اجتماعية حقيقية، وقف كرائد للموضوعات المعادية للفاشستية، وجذب الاهتمام إلى خطورة التهديد «الرمادي» للواقع الأمريكي المتنوع. وفي رواية «غديون بلينش» (١٩٤٣) بتألقها الهجائي الخاص، سخر من الوصولي البرجوازي الذي يعيش بصورة طفيلية على الأعمال «التربوية والخيرية». إن روايته الشهيرة كثيراً والمعادية للعنصرية «حفيد الملك» حظيت كذلك بصدى واسع (١٩٤٧).

يُنظرون إلى روايات س. لويس أحياناً كنوع خاص من الأدب النثري موازٍ لكتب هنري مينكن (١٨٨٠-١٩٥٦)، الناقد والكاتب الاجتماعي، وأحد أصنام فئة المثقفين الليبراليين أعوام العشرينيات. كان مينكن يسخر في مجموعة مقالاته «كتاب المقدمات» (عام ١٩١٧)، وفي «الخرافات» (٦ حلقات، ١٩١٩-١٩٢٧)، من محدودية البرجوازية الصغيرة الأمريكية، ومن «الغباء» و«الفهرسة الوثائقية للصحافة الريفية وتفاهتها» في («أميريكانا» ١٩٢٦). وفي منتصف العشرينيات تصل الشهرة إلى رينغولد لاردنير (١٨٨٥-١٩٣٣). كاتب القصة القصيرة الموهوب، والساخر، والذي استطاع أن يظهر «دعائم» و«أصنام» نمط الحياة «الأمريكية» بتفاهتها المقاتلة، وغبائها، وضيق أفقها، وأنانيتها في قصص «البطل» و«عش الحب» وغيرهما.

تقدمت مجموعة من الكتاب في العشرينيات، الذين تمَّت تسميتهم بفناني «الجيل الضائع»: اي. همنغواي، وج. دوس باسوس، ف.س. فيتزجيرالد، وأو. فولكنر. كانت توجد في إبداع أساتذة الكلمة المتنوعين جداً هؤلاء، الذين افترقت طرقهم لاحقاً، وجهة نظر عامة ملموسة مشتركة. إنهم، وبعد أن اجتازوا من خلال التجربة المرة للحرب العالمية الأولى، وأدانوها كمذبحة لا معنى لها، عبروا عن الشعور بخيبة الأمل الفائقة في المجتمع البرجوازي ومثله.

إن ارنست ميللر همنغواي (١٨٩٩-١٩٤١) الذي شارك في الحرب العالمية الأولى، مثله مثل الكثير من زملائه في القلم، بدأ كمندوب وصحفي في كندا (١٩٢٠-١٩٢١)، وبعد ذلك في أوروبا (١٩٢٢-١٩٢٣). وتعبر مقالاته ومؤلفاته الاجتماعية عن تطور مهم بصورة عامة في إبداعه. إن همنغواي المستقر في باريس، وبين الفنانين المهاجرين (لقد استرجع هذه الفترة من حياته في كتاب يتحدث عن ذكرياته باسم «العيد الذي معك دوماً» ١٩٦٤)، يهب نفسه للإبداع الأدبي كاملاً، ويصدر مجموعة من القصص في كتاب باسم «زمننا» (١٩٢٥). يتميز أسلوب همنغواي الفريد في العشرينيات بأنه موجز، وبسيط، وشفاف، كما يتميز بامتلاك جانبين، إذ تمتزج الصورة الموضوعية والجلية للأحداث مع المعنى الباطني الذي يكوّن جزءاً خفياً واسعاً جداً في قصته الشهيرة «أيسبيرغ». وبرزت هذه الخصائص في مجموعته القصصية التي تحمل اسم «رجال بلا نساء» (١٩٢٧)، وفي أول رواية له باسم «عندما تشرق الشمس» («فييستا»، عام ١٩٢٦). إن الرواية المعادية للحرب «وداعاً أيها السلاح» (عام ١٩٢٩)، شكلت انتصاراً حقيقياً لهمنغواي- الفنان، وهي عمل يحمل في داخله تناسقاً نادراً، ووحدةً، وقد أثار صدى عالمياً.

يحتل فرانسيس سكوت فيتزجيرالد (١٨٩٦-١٩٤٠) بحق مكاناً مرموقاً إلى جانب همنغواي في العشرينيات، فهو ذلك الفنان الذي تابع تقاليد الرومانسية، وأنشأ طريقة قصصية خاصة به، تضم في داخلها العاطفية، والشاعرية، والانسجام والجانب النفسي الشفاف. لم يصور في أعماله المبكرة فكرة التعطش المجنون للتنعم، التي كانت مسيطرة في «الشبيبة الذهبية» في فترة النمو ما بعد الحرب (قرن الجاز) فقط، وإنما رأى بقوة «نظرته الثاقبة» الانتقادية الحادة خواء، وضرر «الحياة الحلوة». إن هذه المواضيع كانت محور قصته المبكرة «الأول من أيار» (١٩٢٠)، وروايتيه: «في ذلك الجانب من الجنة» (١٩٢٠) و«الرائعون والملعونون» (١٩٢٢). أما روايته الأكثر شهرة والأفضل «غاتسبي العظيم» (١٩٢٥) فكانت واحدة من أكثر الشواهد الفنية المؤثرة في تلك الفترة، ومثالاً كلاسيكياً للنثر الأمريكي، ونوعاً خاصاً من أنواع «التراجيديا الأمريكية».

إن بطله الرئيسي جي غاتسبي ليس رجلَ أعمالٍ، وثرياً حديثَ العهدِ فحسب، بل رومانسياً أيضاً، ويمتلكه شعور قوي تجاه الحسناء الباردة ديزي بيوكشين، التي تجسد عالم الأغنياء الخالي من المشاعر.

كانت أزمة العشر سنوات قاسية بالنسبة لفيتزجيرالد، إذ انخفضت إنتاجيته، إلا أن الكاتب لم يصمّ أذنيه عن نبض الحياة الاجتماعية[1]. انصبّ اهتمامه أوائل الثلاثينيات على الماركسية. وإن رواية «الليل حنون» (١٩٣٤) تبرز شاعريته، وتأثره بالنزعة النفسية، وتتحدث عن نمو النزعة النقدية عند فيتزجيرالد تجاه «الناس الأغنياء جداً». يعمل فيتزجيرالد الذي كان يعيش أزمة إبداعية في النصف الثاني من

(١) فيتزجيرالد ف. س. صورة في الوثائق. رسائل من كتب مسجلة، وذكريات. موسكو، ١٩٨٤.

الثلاثينيات في هوليوود كمياوم، مما انعكس في روايته «الإقطاعي الكبير الأخير» التي بقيت غير منجزة (نشرت عام ١٩٤٥ بعد وفاته).

استمر ازدهار الشعر في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي بدأ بالذات على أعتاب الحرب العالمية الأولى، وسمي بـ «النهضة الشعرية» (١٩١٢-١٩٢٥)، استمر أيضاً في بداية العشر سنوات الأولى بعد الحرب. إذ أصدر ك. سيندبيرغ[1] عدة دواوين شعرية جديدة: «دخان وفولاذ» (١٩٢٠)، و«صباح الخير، أمريكا» (١٩٢٨)، و«الشعب، نعم» (١٩٣٦). وكان الديوان الأخير مشبعاً بإيمان الشاعر بالمستقبل الوضاء للبلاد، وفي القوة التي لا تقهر للشعب. لقد بذل جهوداً كبيرة لكتابة سيرة حياة لنكولن المؤلفة من ستة أجزاء (١٩٢٦-١٩٣٦)، الذي عبر كرجل دولة عن طبيعته الديمقراطية، وبرز كنصير للمثل التقدمية. إن النزعة الديمقراطية التي فطر عليها سيندبيرغ نفسه بصورة عضوية قد أثرت في عمله النشيط المتعلق بجمع الفولكلور الأمريكي، وبصورة خاصة الأغاني الشعبية. لقد اتخذ موقفاً صارماً معادياً للفاشستية في أعوام الحرب العالمية الثانية. وكما سيندبيرغ، فإن روبيرت فروست (١٨٧٤-١٩٦٣) قد طور تقاليد الواقعية في الشعر في سنوات ما بعد الحرب. إن دواوينه الشعرية «نيو - غيمبشر» (١٩٢٣)، و«الساقية، الجارية نحو الغرب» (١٩٢٨) و«الجبال البعيدة» (١٩٣٦)، و«الشجرة - الشاهدة» (١٩٤٢) وغيرها - هي تأكيد نظرته النيرة الواسعة إلى العالم، وحبه للطبيعة، وإيمانه بالإنسان[2]. إنه أستاذ الصور الغنائية، والتفكير الفلسفي.

---

(١) حول بداية الطريق الإبداعي لسيندبيرغ. انظر: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء ٢، ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٢) حول بدء الطريق الإبداعي لفورست. انظر: المصدر السابق، ص ٤٨٥.

يختلف فروست عن سيندبيرغ بأنه أستاذ الشعر الحر، وتقليدي بصورة أكبر. ويستخدم كلا من الشعر الحر والمسجوع. زار الشاعر ذي الـ ٨٨ عاماً الاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٢، إذ استقبل بحرارة من قبل الكتاب السوفييت[1].

شكلت أعوام العشرينيات والثلاثينيات - فترة من فترات العمل النشيط لويليام كارلوس ويليامز (١٨٨٣-١٩٦٣)، إذ سعى لنقل الإيقاع، والروح، والمحتوى العميق لعصره، من خلال إحيائه في الصور الملموسة والمنسجمة (دواوين «كورا إلى الجحيم[2]» (١٩٢٠)، «العنب الحامض» (١٩٢١)، وغيرها). إن ملحمته «باترسون» (١٩٤٦-١٩٥٨) قد تم التفكير بها على غرار «أوراق العشب» العصرية.

لقد أعطت «النهضة الشاعرية» نبضة لتطور (ليس دون تأثير النماذج الأوروبية، والفرنسية خصوصاً) مختلف المدارس والتيارات الطليعية والحداثية. لقد تميز إدوارد إستلين كامينغس (١٨٩٤-١٩٦٢) من بين الطليعيين في أعوام العشرينيات، وهو مؤلف رواية «الغرفة الكبيرة» (١٩٢٢)، المعادية للحرب، وعدد من الدواوين الشعرية («السوسن والبوق» ١٩٢٦، و«ستكون خمسة» ١٩٢٧ وغيرها)، إذ انجذب فيها إلى البلاغة اللغوية التجريبية. وكانت هيرترودا ستاين (١٨٧٤-١٩٤٦) واحدة من المنظرين للطليعية الجديدة في مجال علم البلاغة، التي جعلت من الكلمة والجملة هدفاً بحد ذاتهما، اللتين غالباً ما تكونان منفصلتين عن الحياة. لقد استخدم همنغواي الشاب بعضاً من أساليبها.

---

(١) فروست ر. من تسعة كتب. موسكو، ١٩٦٢.

(٢) كورا، باللغة الإغريقية القديمة تعني فتاة. أما ما اصطلح عليه فهي لدى الإغريق القدماء اسم للآلهة المعبودة بيرسيفونية، وتعني ثانياً لدى الإغريق القدماء تمثالاً، فهي لفتاة واقفة في ثيابها الطويلة.

كان الشاعر إيزرا لوميس باوند (١٨٨٥-١٩٧٢) زعيماً معترفاً به للنزعة الحداثية الأمريكية، واتحد الموقف الساخر لديه تجاه القيم البرجوازية الصغيرة بالمتابعة الدقيقة لكل القواعد الأرستقراطية، والاحتقار للشعب، وللعامة. لقد سعى باوند «لإنعاش» وإحياء الأشكال الشعرية الخامدة، كما كان يعتبر، وخلق «شعر جديد»، نخبوي، يعتمد على ما هو «مرسوم»، ولكن الكثير من أبحاثه أخذت طابعاً شكلياً بالرغم من ذلك. إن النزعة المعادية للإنسانية وللديمقراطية قادت باوند إلى المواقع الرجعية: رحل إلى إيطاليا في الثلاثينيات، متحمساً لديماغوجية موسوليني الاجتماعية، وفي أعوام الحرب العالمية الثانية كان يتوجه إلى قوات الحلفاء عبر الإذاعة بنداءات موالية للفاشستية.

لعب دوراً بارزاً في هذه الأعوام الناقد الإنكليزي - الأمريكي المؤثر و«أستاذ» الحداثة الشعرية في القرن العشرين توماس ستيرنز ايليوت (١٨٨٨-١٩٦٥)، الحائز جائزة نوبل (عام ١٩٤٨). مارس ايليوت الفنان ذو الموهبة الكبيرة تأثيراً كبيراً جداً على تطور الشعر الإنكليزي - الأمريكي. لقد نقل بصورة غير عادية المصير التراجيدي للفردية الضائعة في فوضى العالم القاسي، الذي لا يرحم، وقيَّم لدى ذلك المستقبل بصورة متشائمة، وأدان التغيرات الثورية. اكتسبت قصيدته الرمزية- المجازية «الأرض اليباب» (١٩٢٢) شهرة واسعة: لقد نشر إيليوت الذي أدرك ظواهر أزمات العالم البرجوازي نظريته المتشائمة عن الحضارة المعاصرة بأسرها.

وفي مجرى الحداثة تطور إبداع الشاعر الموهوب أيضاً هارت كراين (١٨٩٩-١٩٣٢). وهو مؤلف قصيدة «الجسر» (١٩٣٠) الطافحة بالرؤى الغامضة والمجازيات، والمكرسة لجسر بروكلين، كرمز للحضارة الأمريكية.

تركت أزمة أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، التي هزت حتى الأساس بناء النظام الرأسمالي، بصماتها التي لا تمحى على جميع مجالات الحياة الأمريكية، بما في ذلك على مجال الثقافة أيضاً، والفن، والأدب. لقد أطلقوا على أعوام الثلاثينيات اسم «سنوات الجوع»، و«الغضب»، و«السنوات الراعدة»، ولكن عبارة «الثلاثينيات الحمر» هي المعبرة بصورة أفضل. توجه في ذلك الوقت ملايين الأمريكان، بما في ذلك أساتذة الثقافة، ولأول مرة في التاريخ الوطني إلى الاشتراكية العلمية: وهكذا مرت أعوام العشرينيات تحت عَلَم الحماسة لعلم النفس الفرويدي، أما في الثلاثينيات، فقد برز انعطاف حاسم باتجاه الفلسفة الماركسية.

إن الموقف تجاه إرث «السنوات العشر الحمر» بحد ذاته أصبح بارامتراً فريداً يشير إلى المناخ الاجتماعي - السياسي في البلاد في مختلف مراحله التاريخية. لقد ظهرت علاقة جديدة تجاه الأدب في «السنوات العشر الراعدة»، بعد أعوام طويلة من الشتم المكشوف والمنطلق المتحيز في أعوام ٦٠-٧٠ ، وعلى الأخص التقييم الأكثر موضوعية له. وفي الأعوام الأخيرة برز اهتمام تجاه إظهار المساهمة الفنية، التي تمت في هذه السنوات العشر.

تفاقمت الأزمة وما أعقبها من كساد، وأصبحت عملية استقطاب القوى في الأدب واضحة. كان يجري في ذلك الوقت، عندما استدار الكثير من الكتاب نحو اليسار، إحياء لمختلف التيارات البرجوازية - المحافظة، وكان يتم تقديم فئة من المختصين في الأدب. والفلاسفة ذوي الاتجاه الجمالي - الشكلاني، برئاسة ي. بيبيت، ون. فورستير وب. اي. مور، الذين أعلنوا بياناً لهم باسم «الإنسانية الجديدة» (عام ١٩٣٠) في مقابل النقد الاجتماعي الماركسي الفريد من نوعه.

وفي هذا البيان، وتحت علم الدفاع عن «القيم الجمالية» ضدَّ «سماجة المذهب الطبيعي» قاموا بشنٍّ هجوم مكشوف على الأدب ذي الاتجاه النقدي- الواقعي والحقيقة الحياتية[١].

وفي العشرينيات أيضاً، أنشأ الكتاب الجنوبيون ذوو النزعة المحافظة مجموعة «فيوجيتيفس» («الهاربون»)، وكان يدخل في عدادها ألين تيت، وجون كرو رينسوم، وكلينت بروكس وغيرهم، وقد أدانوا في بيانهم البرنامجي المسمى «موقفي» (١٩٣٠) بصورة حادة «النزعة الصناعية الشمالية» كمصدر لكل الشرور الاجتماعية. وأنشأ الكثير منهم مدرسة جمالية- نقدية شكلانية، باسم «النقد الجديد»، لقيت صدى في الجامعات في السنوات الممتدة من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٥٠.

كان يوجد في أعمال الكتاب الحداثيين بعض النقد أحياناً للعالم البرجوازي، والبرجوازية الصغيرة، ولكن كان يتم وفي الوقت نفسه تقديس البداية البيولوجية الغامضة في الإنسان. يأتي إبداع هنري ميللر (١٨٩١-١٩٨٠) مثالاً على ذلك، فهو قد عبر عن الاحتجاج الفوضوي- الفردي ضد الخواء الروحي، والبراغماتية والتفاهة للواقع الأمريكي. بيد أن تمرده انصبّ فقط في الاستهزاء من القواعد الأخلاقية- المعنوية للوسط البرجوازي الصغير، والدعاية للتحرر الأناني من الواجب الاجتماعي [روايات «مدار السرطان» (١٩٣٤) و«مدارالجدي» (١٩٣٩)]. كتب الناقد الشيوعي سيدني فينكيلشتاين، في سياق وصفه لإبداع هنري ميللر أن: «الظلام يحجب عن ميللر النيران المشتعلة

---

(١) غيلينسون ب.ا. الأدب الأمريكي في الثلاثينيات من القرن العشرين. موسكو، ١٩٧٤، ص ٣١-٣٩.

في العالم، المرشدة للتقدم، وأن الكاتب يرى العيوب فقط التي ينهال عليها بالشتائم. إن ذلك يقتل فيه روح الشاعر»[1].

إلا أن ما كان سائداً في «الأعوام العشر الحمر» هو تطور الأدب الراديكالي، ومن ثم التوجه الثوري أيضاً. إن التوجه الاجتماعي المتراكم لدى الكتاب في الثلاثينيات، كان يرمز، حسب كلمات م. غولد، إلى «تكون فلسفة جديدة ونظرة جديدة إلى المادة والبلاد»[2]. لقد ظهر ذلك في الإدراك الجديد للإنسان. كان التشديد يجري في أدب الثلاثينيات على التوصيف الاجتماعي - الطبقي للأبطال، وكان ذلك يجذب الناس إلى مجال النشاط العملي والفاعلية الاجتماعية، اللذين يوجدان في عملية النمو الروحي والأخلاقي. إن ما ميز أدب تلك السنوات العشر أيضاً هو التوجه إلى المشاكل الدولية، والاهتمام بالبناء الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي (ب. درايزر، وا.ر. وليامز، واي. وياسون، ول. هيوز، و او. فرانك وغيرهم)، وبالنضال ضد الفاشستية في ألمانيا (ل. هيلمان، و اي. راي)، وبالحرب والثورة في الصين (ب. باك، و ا. سميدلي، و اي. سنو).

تتغير مواقف الكتاب أنفسهم، الذين يشعرون بشدة بضرورة المشاركة الشخصية المباشرة في مصائر ملايين المواطنين. لقد كانت الحماسة للتعاون، واعتماد البطل، الذي يفتش عن التوحد مع الناس الآخرين (او. شتاينبك في «عناقيد الغضب»، وفرانك في «موت وولادة ديفيد ماركند»، وترامبو في «جوني يستلم بندقية»، وفي الكثير من نماذج الأدب البروليتاري)، - ميزتان

---

(١) فينكيلستاين س. مذهب الوجودية في أدب الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٦٧، ص ٢٢٤.

(٢) كتاب الولايات المتحدة الأمريكية عن الأدب: في جزأين، موسكو، ١٩٨٢، الجزء ٢، ص ١٦٥.

جديدتان تماماً لأدب هذه الفترة. وقد تمَّ التعبير عنهما بصورة ناجحة كثيراً في كلمات هاري مورغان - بطل رواية همنغواي، التي أصبحت مأثورة: «إن الإنسان وحده لا يستطيع شيئاً»(١). لقد وصف الناقد الشهير م. كاولي، المشارك في الحركة الأدبية أعوام الثلاثينيات، المناخ النفسي للنشاط الجديد على الشكل التالي: «كانوا يتحدثون في ذلك الوقت ليس بـ «أنا» إنما بـ «نحن»، وليس بـ «لي» وإنما بـ «لنا»(٢).

كان النقاد والشيوعيون يترأسون حركة «نوادي جون ريد»، إذ تمَّ تشكيل أول نادٍ في نيويورك خريف عام ١٩٢٩. ولقد وصل عددها حتى عام ١٩٣٤ إلى ٣٥، وكانت تضم العمال- الأدباء، والمندوبين الصحفيين، والفنانين، والمخططين، والجماعات الفنية والمسرحية التي كانت تظهر بصورة عفوية في المعامل. وبعد حل «نوادي جون ريد» في عام ١٩٣٤، عُقد في نيسان من العام اللاحق الكونغرس التأسيسي الأول لرباطة الكتاب الأمريكان، الذي مثل عملياً كل أطياف الأدب الأمريكي التقدمي. احتل النقاش حول طرق تطور الرواية البروليتارية المكان المركزي في الكونغرس. أما المؤتمر الثاني للرابطة الذي عقد في (حزيران عام ١٩٣٧) فجرى تحت شعار الأحداث الإسبانية. لقد دوت فيه وبقوة كبيرة النداءات للدفاع عن الثقافة من الأخطار «الرمادية»، والإدانة لـ «مذهب الحياد» والتخلي عن النضال.

إن النشاط المدني للكتّاب، ولا سيما في بداية أعوام الثلاثينيات، أصبح عاملاً مهماً في حياة البلاد الاجتماعية. في عام ١٩٣٢ تم إصدار كرّاس «الثقافة

---

(١) همنغواي اي. المؤلفات المختارة من أربعة أجزاء. موسكو، ١٩٦٨، الجزء، ص ٦٣٢.

(٢). New York Times Book Review, 1964, Dec. 13. P. 4

والأزمة»، وقع عليه أكثر من ٥٠ شخصية من شخصيات الأدب الأمريكي، بما في ذلك أندرسون، ودوس باسوس، وستيفينس، وكالدويل، وفرانك وغيرهم. وقد قامت هذه المجموعة من الكتَّاب بدعم مرشحي الحزب الشيوعي أو. ز. فوستر و ج. فورد في الانتخابات الرئاسية.

لم يقتصر الكتَّاب على التصريحات الصحفية والإعلانات. ففي عام ١٩٣١ قامت مجموعة من الكتاب (دوس باسوس، وكاولي وغيرهما) برئاسة درايزر بالتحري عن ظروف حياة عمال المناجم المضربين في هارلان (ولاية كينتوكي)، وصدر نتيجة هذا التحري كرّاس «يتكلم عمال المناجم في هارلان» (١٩٣٢). إن الموقف المدني لكتَّاب الولايات المتحدة الأمريكية قد وجد تعبيراً ساطعاً عنه في المشاركة المباشرة للكثير منهم في الدفاع عن إسبانيا الجمهورية كمراسلين صحفيين، وجنود في اللواء الأممي.

ومع ذلك أثارت مجموعة من الأحداث السياسية المعقدة في نهاية الثلاثينيات، وهجوم الرجعية، والضعف الواضح للنضال الطبقي إرباكاً لدى بعض الأدباء، والبعض الآخر ظهر أنه رفيق درب عارض للحركة التقدمية (غ. هيكس، و ج. فريمان، و ج. فاريل، و ج. دوس. باسوس وغيرهم). إلا أنه برز في نهاية أعوام الثلاثينيات، وبنفس الوقت نزعة إيجابية أيضاً - نهوض الأدب، الذي يملك اتجاهاً واقعياً نقدياً: إذ ظهرت أعمال «عناقيد الغضب» لشتاينبك، و«لمن تقرع الأجراس» لهمنغواي، و«الدارة الصغيرة»، والجزء الأول من الثلاثية حول آل سنووبس لفولكنر، و«ابن أمريكا» لرايت وغيرها.

لعب النقد اليساري، والماركسي دوراً ملموساً في الحركة الأدبية أعوام الثلاثينيات. وقد مرت عملية نشوئه وتكوُّنه بمراحل صعبة، مرتبطة بالتغلب

على مرض الطفولة اليساري، ومختلف أصناف الطبقات الاجتماعية المبتذلة والطائفية (بصورة خاصة في المرحلة المبكرة)، وبالنضال ضد مشوهي الماركسية، وضد التروتسكيين أمثال ماكس إيستمان، وضد التيارات الجمالية المحافظة («الإنسانية الجديدة» و«النقد الجديد»). ولقد قدم أولئك النقاد، مثل م. كاولي، وغ. هيكس، واي. ويلسون، وج. فريمان، الذين كانوا في صفوف الحركة التقدمية أعوام الثلاثينيات، مساهمة محسوسة في هذا المجال.

كانت الحصيلة المهمة لنشاط النقد اليساري صدور مختارات «الأدب البروليتاري في الولايات المتحدة الأمريكية» (١٩٣٥). وقد ابتدأت في تلك الفترة دراسة هادفة لتقاليد الكتَّاب الديمقراطية، والثورية في الماضي - الذين سبقوا مرحلة الأدب البروليتاري المعاصر أمثال - جو هيل، وشعراء عمال العالم الصناعيين. وج. لندن.

كان ج. ريد، الفنان من الصنف الجديد، والثوري (كتب عنه ذلك م. هول)، مهماً في ذلك الوقت بصورة استثنائية. ولقد لعبت مجلة «نيو ميسيز» التي كان يشرف عليها الشيوعيون دوراً بارزاً في تلك الأعوام - وريثة مجلتي «ميسيز» (١٩١١-١٩٤٧) و«ليبيريتر» (١٩١٨-١٩٢٤) - التي أصبحت بدءاً من كانون الثاني عام ١٩٣٤ مجلة أسبوعية. استطاعت هذه المجلة أن تجذب إلى صفحاتها طائفة واسعة من الأدباء ذوي التوجه اليساري، والديمقراطي. وقد نشر فيها اي. همنغواي، وت. فولف، ور. رايت، ود. باركر وغيرهم.

أبرزت أعوام الثلاثينيات أيضاً التطور في مجال الأدب الوثائقي، ومن الصعب وجود أي كاتب لم يقم باختبار قواه في الريبورتاج، والمقالة، والنقد الاجتماعي. كان السبب في ذلك يعود إلى سعي الكتاب للاستجابة بسرعة

وبوضوح لما كان يحدث في البلاد من عمليات سياسية واجتماعية معقدة تتطور بصورة متوترة. وقد ظهرت كتب وثائقية - اجتماعية أخذت مقاييس أمريكية عامة مثل كتاب «أمريكا التراجيدية» لدرايزر، الذي فتح المجال لسلسلة من الأعمال في الثلاثينيات، كانت ترسم صوراً مختلفة للبلاد الكبيرة، مثل «الطرق الأمريكية المتقاطعة» لويلسون (عام ١٩٣٢)، و«أمريكا الحائرة» لأندرسون (١٩٣٥)، و«بعض الأمريكان» لكالدويل (١٩٣٤)، و«في الأحراش الأمريكية» لفرانك (عام ١٩٣٧) وغيرها من الكتب. وحدثت في تلك الفترة عمليات متنوعة متعلقة «بانتشار» الفنون، وتجديد الأشكال التقليدية للفن القصصي نتيجة «التحام» عناصر الروايات النثرية بعناصر الأدب الاجتماعي - الوثائقي (على سبيل المثال، في ثلاثية دوس باسوس «الولايات المتحدة الأمريكية»، وفي «عناقيد الغضب»، وفي روايات اي. سينكلير، وس. لويس وغيرهم).

كان جورج لينكولن ستيفينس (١٨٦٦-١٩٣٦) أستاذاً كبيراً في «أدب الواقع»، وهو مؤلف كتاب «السيرة الذاتية» الشهير (عام ١٩٣١)، الذي كُتِبَ حسب كلماته «في ضوء التجربة السوفييتية». وتظهر رواية «أوديسا» النفسية لستفينسون في المذكرات كعملية لخيبة الأمل التدريجية في المذهب الإصلاحي البرجوازي، والتحرر من الأوهام الليبرالية، والاعتراف بضرورة التحولات الثورية. يظهر في الفصول «الروسية» من «السيرة الذاتية» موضوع الشعب لأول مرة، ويصل فن الصورة السياسية إلى الكمال هنا (شخصيات كارانس، وكيرنيسكي، وويلسون). ويقابل ستيفينسن هذه الشخصيات البرجوازية بزعيم من طراز جديد هو ف. اي. لينين.

تشغل رواية «السيرة الذاتية» لستيفينس، التي أثارت صدى اجتماعياً واسعاً مكاناً بارزاً بالنسبة لعدد من المذكرات، التي تحكي عن مصائر أناس

مختلفين، وصلوا إلى الشيوعية.. عمال، ورؤساء، وعلماء، وصحفيين (او. هيوود، وأو.ز. فوستر، واي.ر. بلور، واي. ت. فلين، وج. نورتا، واو.اي.ب. دوبوا، وا. ديفيس وغيرهم). لقد جرى في أعوام الثلاثينيات حسب تعبير م. غولد «اكتشاف ثانٍ لأمريكا»: لحياة العمال، وكدحهم، والسعي الطبقي لأول مرة كي تصبح هذه الحياة موضوع البحث الفني بشكل كامل. وعلى الرغم من ذلك، كان يجب التغلب على التصوير المبسط، والانحياز المستقيم. وهكذا، تمَّ تصوير الكادحين في الأدب بداية القرن كـ «أناس لا قاع لهم»، وكضحايا يثيرون الشفقة، أما في الثلاثينيات فتظهر (عند كونروا، وشتاينبك، وماليش وغيرهم) شخصية البروليتاري - ذلك الشخص، المفعم بالمشاعر، والكرامة الشخصية، والمستعد للنضال ضد عالم الاستغلال.

حقق الكتاب البروليتاريون، في سياق تدخلهم في مجال الإنتاج والنزاع الطبقي، وكباحثين عن مواضيع جديدة، نتائج فنية ريعية في أحيان كثيرة. وهكذا أصبحت رواية «أرض الوفرة» (عام ١٩٣٤) لـ ر. كينتويللا تجربة موفقة لما يسمى بـ «الرواية المشتركة» إذ البطل هو جمهور العمال في المصنع. وكذلك لم يقم ا. هاليبر في روايته «كلمة البعث» (١٩٣٤) برسم صورة ممتعة وحيوية للعمل في المطابع وإنتاجها التكنولوجي فقط، ولكنه رسم صوراً بهية للمالكين والعمال. تتجلى زاوية النظر التاريخية إلى المعاصرة بوضوح في ثلاثية جوزيفينا هيربرت (١٨٩٧-١٩٦٩) «الشفقة غير كافية» (١٩٣٣)، و«المخالصة قريبة» (١٩٣٤) و«سلسلة من ذهب» (١٩٣٩). في مركز هذه الثلاثية - تاريخ عن أسرة تريكسلير البرجوازية لثلاثة أجيال. إن عملية تفكك هذه الأسرة ترمز حسب رأي الكاتبة، إلى أزمة العالم الرأسمالي، وضيق الآفاق التاريخية للبرجوازية.

شكلت الأعمال المكرسة لـ «أناس القاع»، والفقراء والمشردين، ولتلك الفئة الوطنية التي كانت مُمَيِّزة لفترة الأزمة والكساد، نوعاً خاصاً من الروايات البروليتارية أعوام الثلاثينيات (اي. دالبير «أناس القاع» ١٩٣٠، وغ. روت «نادي هذا في المنام» ١٩٣٥، ون. أولغرين «لا أحد يلبس الأحذية» ١٩٣٥، وغيرهم). تتميز ثلاثية جيمس توماس فاريلل (١٩٠٤-١٩٧٩) حول ستادس لونيغين (١٩٣٢-١٩٣٥)، من بين هذه الكتب. لقد ظهرت كثيراً في هذه الروايات التي كانت ترسم قذارة الأحياء الفقيرة (كانت الأحداث تجري في بعضها في مدينة شيكاغو) وعمليات انحطاط الشخصية علامات المذهب الطبيعي.

كان تطور الرواية البروليتارية في فترة «العشر سنوات الحمر» مرتبطاً بوجود قناعة فنية متزايدة فيها، وبموضوعها، ونمطها، وتنوعها. اكتسبت ألبرت مالتس (ولد عام ١٩٠٨) الذي ظهر ككاتب مسرحي في البداية، شهرة من خلال مجموعة القصص «تلك هي الحياة» (١٩٣٨)، التي نال عليها جائزة أو. هنري. كان في مركز روايته الشهيرة «الينبوع العميق» (١٩٤٠) الشيوعي الثابت برينيسي، الذي استشهد على أيدي الفاشيين الأمريكان، وشكل صورة للثوريين من أكثر الصور المثيرة للاهتمام في أدب أعوام الثلاثينيات.

تجدر الإشارة أيضاً، إلى أنه إلى جانب أفضل أعمال باربيوس، وريمارك، وهمنغواي المعادية للحرب، تقف رواية دالتون ترامبو (١٩٠٥-١٩٧٦)، كاتب السيناريو الشهير، الذي كان أحد ضحايا المحاكمات الماكارثية في هوليوود، «جوني حصل على بندقية» (١٩٣٩). التي حصلت على نجاح كبير، ونال عليها جائزة جمعية السينمائيين «كأفضل رواية مبتكرة في ذلك العام»[1]. لم يكن في مركز العمل

---

(١) استشهاد بـ: النيران السيبيرية، ١٩٨٣، رقم ٩.

مشاهد للمواقع، وإنما كان هناك تصوير تراجيدي ومروّع لضحايا الحرب المشوهين، الذين تحولوا إلى «أداة مفكرة»، وللمونولوج الداخلي، الذي يفضح بصورة ملتهبة المذبحة الإمبريالية، ومن هو المذنب في ذلك. نشرت الرواية على صفحات الجريدة الشيوعية «ديلي ووركر». ولقد جاء في العرض الموجز للنشر على وجه الخصوص ما يلي: «تدوي في كل صفحة من صفحات كتاب ترامبو لعنة غاضبة للحرب الإمبريالية. إن هذه الرواية، لم ينتج الأدب شبيهاً لها بعد»[1].

يتطور في مجرى الأدب البروليتاري أعوام الثلاثينيات، إبداع ريتشارد رايت (١٩٠٨-١٩٦٠)، الذي أصبح كلاسيكياً في النثر الأمريكي في القرن العشرين. لقد برز رايت وهو الذي خرج من صلب عائلة زنجية فقيرة لأول مرة ككاتب اجتماعي وشاعر، ينشر في الإصدارات اليسارية الدورية، ثم انتسب إلى الحزب الشيوعي. واستُقبلت مجموعة قصصه «أبناء العم توم» (١٩٣٨) بحرارة، إذ كان الزنوج، الذين يعيشون في ظروف «نمط الحياة الجنوبية»، أبطالها، والذين لا يستكينون لمصيرهم، ويواجهون العنصريين. إن صدور «ابن أمريكا» (١٩٤٠) لرايت، هذه «الرواية - القنبلة»، التي نالت صدىً كبيراً على النطاق الأمريكي، لم تصبح حدثاً أدبياً فحسب، بل حدثاً له أهمية اجتماعية. لقد أظهر رايت فيها شجاعة كتابية كبيرة، بوضعه في مركز العمل شخصية الزنجي بيغير توماس المقيم في الغيتو، الذي يظهر في الوقت نفسه كضحية وكنتيجة

---

(١) استشهاد بـ: الأدب الأممي، ١٩٤٠، رقم ١٠، الصفحة ٢٦١. لقد أشار ك. سيمونوف، أن الرواية التي كتبت على عتبة الحرب العالمية الثانية «لم تفقد لا أهميتها، ولا قوتها الفنية، وإنها كانت وتبقى كتاباً قوياً، وشريفاً، ومن الطريف جداً أنها مجردة من النزعة الفسيولوجية». لقد وصف ترامبو «كأحد المعادين الثابتين للفاشستية، وكأحد ألدّ أعداء ماكارثي والماكارثية» (من رسالة ك. سيمونوف إلى مترجم الرواية ي.م. شرايبر).

للمجتمع العنصري، الذي يفسد الناس أخلاقياً، ويقتل فيهم شعور الكرامة الشخصية، ويغرس فيهم مجموعة من النقائص، ونفسية الحيوان المطارد.

أصدر رايت عام ١٩٤١ كتاباً وثائقياً - اجتماعياً، باسم «١٢ مليون صوت زنجي»، ومقالة عن تاريخ الشعب الزنجي، ونضاله من أجل حظ أفضل. كما أن قصة سيرته الذاتية «الأسود» (عام ١٩٤٥) حازت نجاحاً كبيراً، إذ البطل الرئيسي فيها هو ريتشارد الذي بلغ درجة الرجولة، ونما روحياً، والذي يعيش في ظروف الجنوب العنصري القاسية.

في بداية الأربعينيات يقطع رايت علاقته مع الحزب الشيوعي بتأثير البراودرية (من براودر - المترجم) إلى حد كبير. بيد أنه يحتفظ بنفس الوقت بعلاقته النقدية الحادة تجاه أمريكا البرجوازية. لم يكن في استطاعته التعايش مع المجتمع العنصري، ولذلك غادر في عام ١٩٤٧ الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقل للإقامة في فرنسا.

تبرز في الثلاثينيات مجموعة من الشعراء، المرتبطين بالحركة العمالية مثل (جنفياف تيغارد، وايدفين رولف، وسول فوناروف وغيرهم). إن ما ميز الشعر بصورة عامة في هذه الفترة هو الابتعاد عن أدب الغرفة الضيق والانتقال إلى مجموعة المواضيع الاجتماعية، والمدنية ذات الدلالة. فارتشيبالد ماك- ليش (١٨٩٢-١٩٨٢)، الذي بدأ حياته الأدبية في صفوف «المهاجرين» الباريسيين في العشرينيات، يقبض على الناصية الاجتماعية في ديوانه «الانتفاضة الجماهيرية» (١٩٣٦)، ويؤكد الرسالة الاجتماعية السامية للشاعر. وفي قصيدته الشعرية الشهيرة «كلمة إلى من يقول: أيها الرفيق» - تأكيد عاطفي على الجماعية، التي تتصف بها الوثيقة الفنية للعصر.

لقد لفت ماك - ليش وهو أحد مؤسسي المسرح الإذاعي، انتباه مواطنيه إلى الخطر الفاشستي في تمثيليته الإذاعية «سقوط المدينة» (١٩٣٨).

أصبحت الواقعية الاشتراكية في فترة «أعوام الثلاثينيات الحمر» التي كان يقف عند منابعها جون ريد، اتجاهاً في أدب الولايات المتحدة الأمريكية. تمثل في إبداع الكتاب، الذين يقفون موقفاً ماركسياً ثابتاً، مثل م. غولد، وج. نورت، واو. لووينفليس، وج.غ. لاوسون وغيرهم[١]. ومع ذلك يجب الأخذ بالاعتبار الظواهر الفنية ذات الطابع الانتقالي، والانجذاب لطريقة عدد من الفنانين الواقعيين الكبار الجديدة في بعض الأعمال، مثل «عناقيد الغضب» لشتاينبك. كانت تجري في الثلاثينيات عملية تطور مهمة جداً، وإغناء للواقعية النقدية تحت تأثير الحركة العمالية والأفكار الاشتراكية.

وبالفعل، فإن المنجزات الأدبية العالية في تلك السنوات العشر مرتبطة بإبداع الفنانين الواقعيين الكبار، الذين كانوا يستجيبون بأشكال مختلفة للقضايا الاجتماعية - السياسية، ويثيرون ملايين الأمريكان. كتب جون هوارد لاوسون، المسرحي والناقد، الذي أصبح شيوعياً في الثلاثينيات أن: «أفكار لينين تمارس تأثيراً على الفن والحياة في أعوام الثلاثينيات بصورة معقدة وغير مدروسة إلى النهاية. اعتقد أن المأثرة الرئيسية للينين كانت تكمن في أنه أعاد إلينا الشعور بالتاريخ»[٢]. كان شتاينبك، ودوس باسوس، وفيتزجيرالد،

---

(١) في أعوام ٢٠-٣٠، وقبل أن يحصل مصطلح «الواقعية الاشتراكية» على انتشار في الغرب، كان النقاد اليساريون يستخدمون ذلك المفهوم مثل «الأدب البروليتاري»، و«الرواية البروليتارية». كتب غولد عام ١٩٣٠ في إحدى مقالاته عن «الواقعية البروليتارية»، وكان يعني في ذلك الفن الذي يحتوي على الأفكار الثورية.

(٢) New World Review, 1970, Winer, p. 216.

وولف، وفولكنر يمتلكون هذا الشعور حسب كلمات لاوسون. حصلت الرواية الاجتماعية في إبداعهم على ميزات فكرية- فنية جديدة، واتساع ومقاييس كبيرة.

وقد ارتبط ذلك بالنزعة التاريخية التي كانت تزداد عمقاً، وبتصورات الإنسان - حامل المثل الأخلاقية، والوعي المتنامي المتواصل لـ «المصائر الإنسانية والشعبية» مثل «توم جوود عند شتاينبك، وديفيد ماركيند عند فرانك، ودورميس جوسيب عند لويس، وروبيرت جوردان وفيليب رولينغس، عند همنغواي وغيرهم).

في بداية الثلاثينيات دخلت مجموعة من فناني الكلمة الموهوبين والممتعين إلى الساحة الأدبية، الذين كانوا مرتبطين بهذا الشكل أو ذاك بالحركة العمالية والراديكالية. لقد كانت «الثلاثينيات الحمر» - أفضل فترة من فترات إبداع آرسكين كالدويل (ولد عام ١٩٠٣). لقد أعلن كالدويل في مجموعاته القصصية («الأرض الأمريكية» ١٩٣١، و«اركعوا للشمس المشرقة» ١٩٣٥، وغيرها)، وفي الروايات الأولى التي لقيت نجاحاً مثيراً («طريق التبغ» ١٩٣٢، و«آكر(*) يا إلهي» عام ١٩٣٣)، وكذلك في كتبه الاجتماعية ودراساته («بعض الأمريكان» ١٩٣٥، و«لقد رأيتم وجوههم» ١٩٣٦)، عن نفسه كفنان، يجمع بين المبالغة الفنية الساخرة، والفكاهة وبين الطبيعية. إن أمريكا عند كالدويل كقاعدة هي الجنوب الأمريكي الأصم، موطن مزارع التبغ والقطن الكبيرة، والأرض المنهكة، والأكواخ المتداعية، والمنطقة التي يزهر فيها العنف والقسوة والعنصرية، وإذ يقتلون الزنوج دون محاكمة، أما الفقراء فقد خُفضت منزلتهم إلى المستوى نصف الحيواني.

(*) (الآكر: فدان انكليزي تبلغ مساحته ٤٠٤٧ متر مربع - المترجم).

يتصف إبداع توماس كليتون وولف (١٩٠٠-١٩٣٨) بالمقام الموسيقي العاطفي - الانفعالي، والمعبر عنه بنفس الوقت بالسيرة الحياتية. هذا الفنان المهموم والمتحمس، والعاطفي الذي انقطع طريقه مبكراً، أثناء النهوض، وفي اللحظة التي كان يرتسم فيها الانعطاف نحو اليسار، والانتقال إلى المواقف المعادية للفاشستية. لقد جاءت الشهرة العالمية إليه مع صدور روايته «التفت إلى منزلك، أيها الملاك» (١٩٢٩)، هذا العمل منبثق من الذكريات عن طفولة وشباب الكاتب، الذي نشأ في بلدة جنوبية صغيرة. وتشكل الرواية التي تبعتها «عن الزمن والنهر» (١٩٣٥)، و«نسيج العنكبوت والصخرة» (١٩٣٩) و«لا عودة إلى المنزل» (١٩٤٠) (الروايتان الأخيرتان صدرتا بعد الوفاة) سلسلة من السيرة الذاتية والأعمال ذات الهدف الواحد. إن هذه اللوحة الكبيرة والملهمة بصورة ملحمية كانت تشهد على التوسع التدريجي لدائرة أفق الروائي. ولقد اعتبرت رواية «لا عودة إلى المنزل» وصية فنية فريدة لوولف، تؤكد في النهاية الحماسية للعمل عن إيمان البطل بإمكانية الانتصار، والقضاء على الشر الاجتماعي، و«إعادة بناء المجتمع المعاصر كاملاً»[1].

إن أعوام الثلاثينيات - هي زمن تكون أحد أكثر فناني تلك السنوات العشر إشراقاً، وفي الوقت نفسه تكون إنجازاته الكبيرة. إنه ارنست شتاينبك (١٩٠٢-١٩٦٨)، كلاسيكي الأدب الأمريكي في القرن العشرين. إن شتاينبك الذي أصدر في البداية سلسلة من الروايات التي لم تلق نجاحاً خاصاً، يجد في منتصف الثلاثينيات موضوعه، وأسلوبه المميز، الذي جمع فيه الفكاهة مع التفاصيل الطبيعية الزاهية، والنفحة الرومانسية والانفعالية. كما في رواية «الحي غورتيل - فليت» (١٩٣٥)، وقصة «رجال وفئران» (١٩٣٧).

---

(١) فولف ت. لا عودة إلى المنزل. موسكو، ١٩٨٢، ص ٦٧٩.

وأصبحت الرواية المشهورة «عناقيد الغضب» (١٩٣٩) «الكتاب الرئيسي لشتاينبك، ونصباً فنياً بارزاً في «الثلاثينيات الحمر». يتصب في صدر الرواية وبصورة دراماتيكية وابتداعية من إذ الشكل - مصير ثلاثة أجيال من عائلة جودوف الزراعية، المطرودة من أرضها من قبل التروستات. تتميز شخصيتان وسط الشخصيات الشتانبيكية الرائعة - الأم وتوم جوود. إن شخصية الأم جوود مرتبطة بموضوع الأمومة المر، الذي كان يدوّي بصوت عال في أدب الغرب التقدمي في القرن العشرين، ويعبر توم جوود كذلك بخصوصيته عن أبطال «الثلاثينيات الحمر» الملهمة، من خلال استخدامه لتعبير ب. إيلوار الشهيرة، تجاه «مستقبل جميع الناس».

لقد تمَّ التعبير عن الحماس تجاه الجماعية في الرواية من خلال منطق العلاقات المتبادلة لأبطال العمل، الفقراء، الذين يتكاتفون أمام من ينهال عليهم بالمصائب. لقد تمّت الإشارة إلى مصير عائلة جوود النموذجي والعام بمساعدة إدراج مخطط ثانٍ من خارج المسار، وسلسلة من الفصول الاجتماعية التي تحوي في داخلها تقييمات المؤلف وتعليقاته، والتي تدوي فيها إدانة واضحة لأصحاب البنوك، والتروستات، اللذين «يتنفسان الربح»، و«يلتهمان الفوائد من الرأسمال»، ويتم التعبير فيها عن تعاطف عميق تجاه الناس، الذين يعانون الجوع، والبرد، والذين «يستخدمون القوة، للحصول على ما هو ضروري لهم»[1].

إن السعي نحو المجال الملحمي، ونحو اللوحة الحياتية الكاملة هو ما يميز رواية شتاينبك - الخاصية الرائعة لأدب الثلاثينيات التقدمي.

---

(١) شتاينبك ج. حي تورتيلي - فليت. عناقيد الغضب. جمتشوجينا م.، ١٩٧٧، ص ٣٩٨.

لقد حصلت الرواية على دوي اجتماعي واسع، وتم تصويرها على الشاشة، وأثارت صدىً عالمياً.

حدثت تطورات عميقة في إبداع الجيل الأقدم من الأدباء كذلك في هذه السنوات العشر، لتلك الجماعة من الواقعيين «أناس العشرينيات» (فرانك، ودوس باسوس، وهمنغواي، وباركر)، الذين انطلقوا في السنوات العشر بعد الحرب.

لعب وولدو فرانك (١٨٨٩-١٩٦٧)، ذلك الفنان صاحب الباع الواسع، الروائي، والكاتب الاجتماعي، والفيلسوف، ورجل الثقافة، دوراً ملموساً في العملية الأدبية بين الحربين العالميتين. كان فرانك يقف في أعوام الحرب مواقف معادية لـ«العسكريتاريا». وشكلت هذه المواقف إحدى أولى البادرات المبشرة بحلول عصر أدبي جديد، وأصبح كتابه «بلادنا أمريكا» (١٩١٩) دراسة اجتماعية، وصفها فرانك نفسه كـ «هجوم على نظامنا الرأسمالي من وجهة نظر الثقافة». وفي سلسلة «رواياته الوجدانية» («راهاب»، ١٩٢٢، و«العيد» ١٩٢٣، و«الشخصية الكبيرة» ١٩٢٤، المكتوبة بالأسلوب التجريبي، ينصب الاهتمام على تصوير الحياة الداخلية للأبطال بروح نظرية فرويد - أناس منعزلين، ومترددين. وبعد عودة أو. فرانك إلى الأدب الاجتماعي في كتابه «الاكتشاف الجديد لأمريكا» (١٩٢٩)، فإنه عبر بحدة كبيرة عن آرائه النقدية تجاه الثقافة الأمريكية. كان فرانك إلى جانب لويس، أحد الأوائل الذين أحسوا في أخلاق أمريكا بسمات «المجتمع الشامل»، وروح النمطية، وعدم المسؤولية الشخصية، والتقليد المتبع. يتجه فرانك بصورة واضحة إلى اليسار في بداية الثلاثينيات. لقد ظهر ذلك في كتابه البحثي «الفجر فوق روسيا» (١٩٣٢)، الذي كتبه نتيجة زياراته للاتحاد السوفييتي، وفي روايته «موت وولادة دايفيد ماركيند» (١٩٣٤) على وجه الخصوص. لقد تحدد الاتجاه الفلسفي لهذا العمل من خلال وجود مجالين فيه: مجال واقعي مكرس

للأحداث، ومجال رمزي - مجازي. إن بطل الرواية دافيد ماركيند وهو في البداية رجل أعمال متفتح، يعي خواء وجوده «الماكينة الآلية التي تصنع النقود»، ويقطع عبر «أوديسته» مرحلة مريرة من الأبحاث الروحية - المعنوية. يكمن المحتوى العميق للرواية في - موت الوعي البرجوازي وولادة إنسان جديد عبر انضمامه إلى قوى البروليتاريا الباعثة للحياة «كان انتخاب فرانك كأول رئيس لرابطة الكتاب الأمريكيين عام ١٩٣٥، شاهداً على السمعة الاجتماعية الرفيعة له».

لعب جون دوس باسوس (١٨٩٦-١٩٧٠)، في مرحلة الكساد، دوراً بارزاً في معسكر البروليتاريين التقدمي، وهو واحد من الذين كانوا يعبرون في السنوات العشر بعد الحرب عن مزاج «الجيل الضائع». انعكست تجربة الحرب، والمزاج المعادي للعسكرة في إبداعه المبكر، ولا سيَّما في رواية «ثلاثة جنود» (١٩٢١). ولقد كانت رواية دوس باسوس التجريبية المشهورة «مانهاتين» (عام ١٩٢٦) من بين الظاهرات الأكثر بروزاً في أدب العشرينيات، التي صورت الحياة المتنوعة لمدينة نيويورك الضخمة والمعاصرة وقلبها - مانهاتين.

كانت فترة العشرينيات والثلاثينيات فترةً تجذرت فيها آراء دوس باسوس بصورة ملموسة. ولعبت المشاركة في الحركة الموجهة لإنقاذ حياة ساكو وفنزيني دوراً مهماً في رسم مصيره شأنه في ذلك شأن عدد كبير من الأدباء مثل (ك. اي. بورتير، ود. باركر، وك. سيندبيرغ، واي. سينكلير وغيرهم). إن إعدام هذين الزعيمين العماليين لم تعرِّ القضاء البرجوازي اللاإنساني الكاذب فقط، وإنما خلقت عند دوس باسوس الإحساس بوجود «أمريكيتين» منقسمتين لطبقتين متناحرتين.

انعكست التجربة الاجتماعية - السياسية المتراكمة عند دوس باسوس في أحد أعماله الأكثر أهمية وتشويقاً أثناء «الثلاثينيات الحمر» - ثلاثية «الولايات

المتحدة الأمريكية» المؤلفة من (رواية «خط العرض الـ ٤٢» ١٩٣٠، و«١٩١٩» ١٩٣٢)، و«النقود الكبيرة» (١٩٣٦).

تم بناء هذا النموذج المهم من النثر التجريبي كمدونة فريدة من نوعها تمتد من الحرب الإسبانية - الأمريكية عام ١٨٩٨ إلى أزمة ١٩٢٩.

لقد خلق دوس باسوس بالاستناد إلى تجربة الأدب الوثائقي (ولا سيَّما تجربة جون ريد)، وإلى منجزات المونتاج السينمائي (عند س.م. إيزينشتاين، ودزيغي فيرتوف)، والأبحاث الشعرية (لدى الشاعر الفرنسي بليز ساندرار)، ورسوم (ب. بيكاسو، وأنصار المدرسة التكعيبية الفرنسيين)، والموسيقا عند (اي. ف. سترافينسكي)، مزيجاً فنياً شجاعاً وأصيلاً. يشار في الثلاثية إلى مجالين معبرين بوضوح من مجالات البلاغة: المجال الأدبي (الذي يضم قصة تتحدث عن المصائر المتطورة بآن واحد لـ ١٢ شخصية مؤثرة رئيسية في الثلاثية)، والمجال الوثائقي - الاجتماعي الذي يعطي خلفية تاريخية (إنه يتألف من ثلاثة عناصر: «سينما الرؤية»، «شاشة الأخبار»، و«الصور»).

بيد أنه وفي هذا العمل الأفضل للكاتب، المفعم بالحماسة الاجتماعية - النقدية، برزت بعض النواقص العضوية في إبداع دوس باسوس: الجبرية، والولع بوصف الوقائع دون تحليل، ونظرية الحتمية المستقيمة. إن عدم الاستقرار الفكري، والفردية قادا دوس باسوس في نهاية الثلاثينيات إلى المواقع الرجعية، التي أدت إلى انخفاض مستوى كتبه الفني في أعوام الأربعينيات والخمسينيات.

يدخل في عداد الحركة التقدمية أعوام الثلاثينيات دوروثي باركر (١٨٩٣-١٩٦٧)، «أكثر نساء أمريكا ظرافة»، كما كانوا يسمونها أحياناً الشاعرة، والناقدة، والكاتبة المسرحية، التي ساهمت مساهمة مهمة بصفة خاصة

في الأدب كأستاذة أصيلة في الأقصوصة الهجائية - النفسية. لقد جعلت باركر من البرجوازية الصغيرة بتفاهتها الروحية، وشرهها، ونفاقها، وقسوتها التي تختفي وراء وقارها الظاهري، جعلت منها موضوعاً لسخريتها الغاضبة وتهكمها اللاذع، منطلقة في ذلك من التقاليد الهجائية التي تمثلت في إبداعات س. لويس، ور. لاردنير، وغ. مينكين (مجموعات «رثاءٌ للأحياء» (١٩٣٠)، و«بعد تلك الملذات» (١٩٣٣)، وغيرها). ساهمت باركر في الحملة من أجل إنقاذ ساكو وفانزيتي[1]، ودعمت «النهج الجديد» لروزفلت، وعبرت عن تعاطفها تجاه الشيوعيين كمدافعين عن جميع الملاحقين (الأمر الذي أدى فيما بعد إلى ملاحقتها من قبل المكارثيين)، وكانت مراسلة في مدريد عام ١٩٣٧ (مقالة «جنود الجمهورية»).

تقدم أيضاً ناثانيال ويست (١٩٠٣-١٩٤٠) كأستاذ في الهجاء في تلك السنوات، الذي كان يستخدم المبالغة الفنية الساخرة، والكايكاتورا، والتكثيف الحاد في الألوان. وفي قصة ويست «صديق المكتئبين»، وهي إحدى أفضل أعماله - نرى سخرية من الصحافة البرجوازية. وفي رواية «يوم الجرادة» (١٩٣٩) تمَّ إعطاء لوحة تهكمية - ساخرة عن حياة هوليوود، «مصنع الأحلام» هذا.

---

(١) كما يشهد المؤرخون ل. جوغين واي. مورغان في دراسة عن «إرث ساكو وفانزيني» فإن المصير التراجيدي لرجلين غير مذنبين أعدما أثار صدى واسعاً في أدب الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد بلغ عدد الأشعار التي قيلت عن ذلك حتى نهاية الأربعينيات نحو ١٥٠، والروايات ٨، وثلاث قصص، ومئات المقالات والنبذات، التي عبرت عن أصداء هذا الحادث، بما في ذلك رواية سينكلير «بوسطن» والقسم الختامي من ثلاثية دوس باسوس «الولايات المتحدة الأمريكية» - «النقود الكبيرة»، والمسرحية من فصلين لـ م. أندرسون «قاذف الصواعق» و«تبوُّؤ عرش الشتاء»، وأشعار غولد، ول. ريج، واي. س.ف. ميللي، ومذكرات ك. اي. بورتير «الشيوعي المنتهي» وغيرها من الأعمال.

لقد اتخذ نورنتون نيفين وايلدير (١٨٩٧-١٩٧٥) في هذه الأعوام موقفاً منعزلاً بعض الشيء، وحتى غير مبال بالسياسة - ومثل هذا النوع من الكتاب الفلاسفة والوعاظ واسعي الاطلاع كانوا نادرين في الولايات المتحدة الأمريكية. إن وايدلر، هذا الرجل ذا العقل الدقيق، وأستاذ الأسلوب الظريف والمهذب، والذي صنف في حياته ككلاسيكي، انجذب في إبداعه إلى - صياغة القضايا الشاملة والإنسانية العامة، غير الوقتية والأخلاقية - الجمالية. ولقد حازت روايته «جسر الملك لودفيغ المقدس» (١٩٢٧) شهرة واسعة، التي بني موضوعها كأمثولة فلسفية حول التغير السريع في المصير الإنساني. كانت البداية الحكائية، والمجازية تحدد بنية الروايات الأخرى لوايدلر. إن الأرستقراطية، والجمالية التي ميزت وايدلر المبكر كانتا شكلاً فريداً للابتذالية الكريهة والروح التجارية للمجتمع البرجوازي الصغير المتملك. وعلى الرغم من أن وايدلر لم يستجب مباشرة في الثلاثينيات إلى الحيوية السياسية، وإلى جو العصر، مارستا التأثير عليه دون شك. ينتقل وايدلر بعد تأليفه لرواية «امرأة من أندرسون» (١٩٣٠) التي تجري أحداثها في اليونان القديمة، من ما هو تاريخي قديم إلى التربة الأمريكية في رواية «طريقنا إلى السماء» (١٩٣٤).

يصفون أعوام الثلاثينيات بازدهار ما يسمى «المدرسة الجنوبية» التي تمثل مجموعة من فناني الكلمة مثل (أو. فولكنر، وز. غلازكو، وك. ماك - كالليرس، ور.ب. وورين، وش.اي. غراو، وف. اوكونَّور وغيرهم)، الذين كان يجمعهم بعض الخصائص العامة المتعلقة بفن النظم: الجنوح إلى المبالغة الفنية الساخرة، والأسلوب الرومانسي، والفصاحة البلاغية، والتكثيف الشديد في الألوان، وتصوير مشاهد القسوة، والعنف، وهيجان الأهواء الدراماتيكي، وكذلك الانغماس في الأعماق النفسية، والباثولوجية (المرضية) أحياناً. إن الكتاب-

«الجنوبيين» لم «يخرجوا» مباشرة هكذا كالكثير من زملائهم إلى عالم النضال الاجتماعي - السياسي الجاري.

كان ويليام فولكنر (١٨٩٨-١٩٦٢) هو الشخصية الأبرز من بينهم، وهو أحد كلاسيكيي الأدب العالمي في القرن العشرين، الممثل الأكثر لمعاناً للتيار النفسي- الذاتي في النثر الأمريكي. كانت البداية الواقعية المتقدمة عنده تتعقد أحياناً بنزعات مذهب العصرية، أما التغلغل في العالم الداخلي للأبطال والإنسانية «فتتعايشان» مع لوحات العالم المشوشة. كان فولكنر في بداية طريقه قريباً من عالم كتاب «الجيل الضائع». كان عمله الضخم الأول هو رواية «مكافأة الجندي» (١٩٢٦)، الذي كان بطلها جندي عائد إلى المنزل، مشوه بصورة مروّعة في الجبهة. أما في رواية «سارتوريس» (١٩٢٩) فإن فولكنر يبحث عن موضوع خطه الإبداعي. كان هذا الموضوع - منبع سلسلة من الروايات، التي شكلت أسطورة شعرية فريدة، عن منطقة إيوكنيباتوف، المكان الذي تجري فيه أحداث معظم كتب فولكنر، إنه يكتشف أنها مسكونة بسلالات ملكية كاملة، وتواريخ حياتية مشبعة بصورة غير نادرة بالأسرار القاتمة، والمظالم، والجرائم، التي امتدت في مرحلة أصحاب المزارع الكبيرة في الجنوب. كانت إيوكنيباتوفا مكبّر فولكنيري فريداً من نوعه ونموذجاً «للعالم الكبير». إن رواياته في الثلاثينيات («الصخب والعنف» ١٩٢٩، و«على الأودر المميت» ١٩٣٠، و«المعبد المقدس» ١٩٣١، و«ضوء في آب» ١٩٣٢، و«ابسالوم، ابسالوم!» ١٩٣٩) - هي أعمال معقدة، ومبتكرة، وكثيرة المواضيع، مكتوبة بأسلوب غير طبيعي، ويشارك فيها الفقراء البيض، والمزارعون، والزنوج، وأصحاب المزارع الكبيرة، وتجري أحداثها بصورة فجائية، ودراماتيكية، وتفور فيها الشهوات، ويتجلى فيها أحياناً الشذوذ النفسي.

بدأ فولكنر العمل في نهاية أول عشر سنوات على الثلاثية التي تتحدث عن آل سنوبس («القرية الصغيرة» ١٩٤٠، و«المدنية» ١٩٥٧، و«البيت المنفرد» ١٩٥٩)، ولقد كانت هذه الكتب تشهد على تعزز النزعات الواقعية في إبداع الكاتب، وتعمقه في فضح عالم الملاكين عديم الإنسانية.

تطور إبداع آلين غلازكو (١٨٧٣-١٩٤٥) بطريقة أخرى، تقليدية وواقعية، مع تجنب التكثيف المتعمد للألوان، و«الاتجاه الصارم» الذي يتصف به عالم البلاغة «الجنوبي». إن هذه الكاتبة الرومانسية كثيرة الإنتاج بدأت طريقها باكراً، في عام ١٨٩٠. لقد وصفت غلازكو الجنوب كعالمة نفسية دقيقة، وبأسلوب قريب من أسلوب هنري جيمس، دون أية رومانسية، وحياة مسالمة رغيدة، من خلال رؤيتها لكل عيوب نمط المزارع الكبرى القديم. تلك هي السلسلة من الروايات مثل «القادة الرومانسيون» (١٩٢٦)، و«لقد خضعوا للجنون» (١٩٢٩)، و«الحياة الدفيئة» (١٩٣٢).

تتطور الأحداث في أعمال كارسون ماك - كالليرس (١٩١٧-١٩٦٧) في المدن الجنوبية الصماء، التي ظهرت فيها أول رواية له وهي «قلب الصياد الوحيد» (١٩٤٠)، والتي تم فيها الكشف بصورة نفاذه عن موضوع العزلة الإنسانية المستحكمة، المهم جداً بالنسبة لأدب الولايات المتحدة الأمريكية بأسره. كان روبرت بيني وورين (ولد عام ١٩٠٥) قريباً في البداية من مجموعة ما تسمى بـ«الهاربين»، وقد اكتسب شهرة كشاعر وناقد. وكانت رواية «الفارس الليلي» (١٩٣٩) بدايته النثرية الأولى، وهي واحدة من أنجح أعماله، إنها قصة عن الحرب بين مزارعي التبغ وملاك المزارع في ولاية كينتوكي بداية ١٩٠٠. يتلخص موضوع الرواية التالية له «عند بوابات الجنة» في فضح الفساد السياسي، وطمع رجال الأعمال في المال، اللذين كانا يزدهران في الجنوب.

كانت مرغريت ميتشل (١٩٠٠-١٩٤٩) أيضاً قريبة من تقاليد «المدرسة الجنوبية»، وقد أنتجت رواية «ذهب مع الريح» (١٩٣٦)، وهي العمل الوحيد والشهير لها، الذي صدر في ٤٠ بلداً بأكثر من ٨ ملايين نسخة. أبدعت ميتشيل لوحة ممتعة، بعثت فيها حياة الأرستقراطية الجنوبية في ولاية جورجيا في فترة الحرب بين الشمال والجنوب وإعادة البناء، وأسرَّت فيها القارئ بموضوعها الدرامي، المثير للفضول، إلا أنه يعج بالميلودرامية، وكذلك بسلسلة من الشخصيات الشيقة، التي تتميز من بينها شخصية البطلة الرئيسية التي لا تنسى سكارليت أوهارا. بيد أن رواية ميتشيل الموهوبة والجذابة كانت تتخللها نزعت محافظة، وأوهام «النمط الجنوبي»، على الرغم من أن الكاتبة سعت إلى أن تشير خصوصاً إلى الموقف النفعي السيئ، وابتذاله، وروح انتهاز الفرص، هذه الأشياء التي جاء بها الشمال - المنتصر.

لعبت بيرل باك دوراً ملحوظاً في الثلاثينيات واستحقته عام ١٩٣٨. كانت ابنة أحد المبشرين، وقضت زمناً طويلاً في الصين، ولقد كشفت للقارئ الأمريكي من خلال استخدامها لـ «التلوين المحلي» خصوصية هذه البلاد الضخمة من فترة الهزات الاجتماعية العميقة، وأظهرت المصير الصعب لشعبها المكافح. لقد أتت الشهرة الواسعة إلى بيرل باك مع صدور روايتها «الأرض الطيبة» (١٩٣١)، التي ترجمت إلى ٣٠ لغة تقريباً، والتي أصبحت الجزء الأول من الثلاثية «منزل الأرض»، والتي تضمنت كذلك رواية «الأبناء» (١٩٣٢)، و«المنزل المقسّم» (١٩٣٥).

لقد رسمت باك في رواية «الأم» (١٩٣٤)، صورة المرأة - العاملة، المفعمة بالمعاني الرمزية. وفي أعوام الحرب العالمية الثانية وقفت باك موقفاً معادياً للفاشستية بصورة ثابتة (رواية «موسم التنين» عام ١٩٤٤)، ومدافعاً عن

التعاون بين شعبي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية (كتاب «حديث عن روسيا» ١٩٤٥). كانت باك في أواسط الثلاثينيات خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية، وأكثر الكتاب الأمريكيين المقروئين. إلا أن رواياتها الكثيرة التي كتبت بعد الحرب والمؤسسة على المادة الأمريكية لم تلق نجاحاً خاصاً (كتبت ب. باك في هذه الأعوام تحت الاسم المستعار جون سيجيس).

كان الختام العالي لأدب «السنوات العشر الحمر» هو الموقف المتفرد لكتاب الولايات المتحدة الأمريكية الطليعيين في الدفاع عن الجمهورية الإسبانية أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩. لم يثر أي حدث خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية في الأدب صدى حار وصادق مثلما أثارت أحداث إسبانيا. إذ لم تدخل لمواضيع الإسبانية بصيغة حازمة في الأدب فقط. لقد كان هناك كتاب، وصحفيون بين المتطوعين الذين توجهوا إلى إسبانيا. وأصبحت الحرب بالنسبة لهم واقعاً، وتجربة حية معاشة بصورة تراجيدية. لقد عبر همنغواي في كلمته «الكاتب والحرب» التي ألقاها في الكونغرس الثاني لرابطة الكتاب الأمريكيين في حزيران عام ١٩٣٧ عن المزاج المعادي للفاشستية لزملائه. وقد ذهب إلى إسبانيا الكثير من الكتاب: كان من بين المشاركين في الكونغرس المعادي للفاشستية الذي انعقد في برشلونة عام ١٩٣٧ درايزر والمختص في الأدب م. كاولي. وإلى مدريد المحاصرة وصل الشاعر لينغستون هيوز، وكاتبة القصة القصيرة دوروثي باركر، والكاتبة المسرحية ليليان هيلمان. لعب الكتاب والناشرون العاملون في الصحافة اليسارية دوراً مهماً في نشر الحقيقة عن إسبانيا، وتعبئة الرأي الاجتماعي لصالح الجمهورية ومن بينهم جوزيف نورت، وروبرت ماينور، وآرت شيلدز وغيرهم. إن من الطبيعي أن تجد الأحداث في شبه جزيرة البيرينيه البعيدة انعكاساً لها في الريبورتاجات والمقالات المرسلة من النقاط الساخنة نفسها.

ألقى جوزيف نورت (١٩٠٤-١٩٧٦) الذي كان أحد المحررين السابقين في الثلاثينيات في «نيو ميسيز»، كمراسل للحصافة الشيوعية الضوء على الفترة الختامية من الحرب، والأعمال القتالية في كاتالونيا عام ١٩٣٨-١٩٣٩. وتحدث فيما بعد عن وجوده في إسبانيا في كتاب مذكراته «لا يوجد غرباء بين الناس» (١٩٥٧).

وكتب آرت شيلدز (ولد عام ١٨٨٨) عن الأيام التراجيدية الأخيرة لمدريد، وعن العصيان المضاد للثورة في العاصمة الإسبانية في آذار عام ١٩٣٩. وفي صيف عام ١٩٣٧ رأى النور في نيويورك الكتاب الصغير «من خنادق إسبانيا»، وهو عبارة عن مجموعة من رسائل المتطوعين الذين ذهبوا إلى إسبانيا، كي «لا تمرّ» الفاشية.

يدخل في عداد الكتب، الأكثر تأثيراً، التي تصور الحرب «من الداخل» كتاب «الناس في القتال» (١٩٣٩) لألفا بيسّي (ولد عام ١٩٠٤)، الكاتب التقدمي والناشر، والجندي في اللواء الأممي، وكان كتاب «كتيبة لينكولن» (١٩٣٩) الذي كتبه أدوين رولف (١٩٠٩-١٩٥٤) الشاعر والشيوعي والمشارك في اللواء الأممي، قريب من إذ الروح من كتاب «الناس في القتال» أيضاً.

وفيما بعد عاد ستيف نيلسون المشارك أيضاً في الحرب الأهلية كمفوض سياسي، وكناشط بين عمال صب الفولاذ أعوام الثلاثينيات، إلى مصائر المشاركين في كتيبة لينكولن في كتابه «المتطوعون» (١٩٥٣).

من المهم أن نذكر هنا أن معظم الكتاب الذي شاركوا في «الحمأة الإسبانية» (باستثناء عدد غير كبير من الذين «خابت آمالهم» و«المرتدين» أمثال دوس باسوس، الذي افترى على الشيوعيين في روايته «قصة أحد الشباب»

(١٩٣٩))، لم يخونوا الأخوة المعادية للفاشية. لقد طوَّر ألفا بيسّي بصورة نشيطة الموضوع الإسباني في تلك الأعمال، مثل رواية «المعادون لأمريكا» (١٩٥٧)، ومذكرات «ديوان التفتيش في الجنة» (١٩٦٤)، ويوميات رحلة «ومن جديد إسبانيا» (١٩٧٥).

بيد أن التجسيد الفلسفي - الفكري، والفني الأكثر كمالاً للأحداث الإسبانية جاء في إبداع همنغواي. الذي كان لا يزال في النصف الأول من الثلاثينيات في حالة من البحث الإبداعي غير السهل: لقد بقي، وهو يسعى لكتابة «نثر بسيط ونزيه عن الإنسان»، متحرر من التفاسير الأيديولوجية، في دائرة مواضيعه الاختبارية: صراع الثيران، الصيد، الرياضة، حياة مصارعي الثيران (كتب «موت بعد منتصف اليوم» ١٩٣٢، و«تلال إفريقيا الخضراء» ١٩٣٥). كانت تقلقه مشاكل الأدب، والإبداع الفني، ومواقف الكتاب في العالم، الأمر الذي وجد انعكاساً له في قصة «ثلوج كليمنجارو». بدأ اهتمام همنغواي بالموضوع الاجتماعي والمعادي للفاشستية في منتصف الثلاثينيات (مقالات «من قتل المحاربين القدماء في فلوريدا؟» ١٩٣٥، و«الأجنحة دائماً فوق إفريقيا» ١٩٣٦). وبعد أن علم بالعصيان الفاشستي، سرعان ما توجه إلى إسبانيا. لقد زار إسبانيا أربع مرات فقط.

شارك همنغواي في إسبانيا في التصوير السينمائي، وكتب سيناريو فيلم «الأرض الإسبانية». في هذه الفترة أنجز روايته «أن تستطيع أو لا تستطيع» (١٩٣٧) - كانت شهادة على تعمق الأفق الاجتماعي للكاتب. إن هذا الكتاب رائع لا من ناحية التضاد المرسوم فنياً لعالمين متعاديين اجتماعياً فقط، عالم من «يملك» وعالم من «لا يملك»، وإنما من ناحية شخصية البطل الرئيسي أيضاً، هاري مورغان، الفقير، وضحية عدم المساواة الاجتماعية.

إن إسبانيا بالنسبة لهمنغواي مع اهتمامه الحي تجاه سلوك الإنسان في الظرف الحياتي الحاسم، في «لحظة الحقيقة»، في وجه الموت، قد كشفت له أمثلة رفيعة من الرجولة، وإنكار الذات، والبطولة، جرى التحدث عنها في الصلاة على روح «الأمريكان الذين استشهدوا من أجل إسبانيا» (١٩٣٩). توسعت في تلك الفترة الآفاق الفكرية للكاتب الذي أدان بحمية الحرب الإمبريالية، واعترف بعدالة النضال المعادي للفاشستية. اغتنى أسلوبه الفني وأصبح حراً، خالياً من القيود. رأى همنغواي في إسبانيا بطولة شعب كامل، يدافع عن حريته. أصبح بطل قصته «السائقين الإسبان» إيبوليتو بالنسبة له تجسيداً لأفضل خصائص الشخصية الوطنية والشعبية. إن بطل همنغواي التقليدي، المقيد سابقاً بصورة عمدية، تحرر داخلياً بطريقة ما، واغتنى روحياً: إنه فيليب رولليتس المعادي للفاشست، بطل مسرحية «الطابور الخامس» (١٩٣٧)، وريوين من قصته القصيرة «المحارب الأمريكي» و ال. فاغنر من قصة «ليلة قبل القتال» وغيرها.

كان السعي للتأثير على الأحداث في إسبانيا بكل تعقيداتها وتناقضاتها يحدد حماسة روايته الشهيرة «لمن تقرع الأجراس» (١٩٤٠)، هذا العمل، الذي أنتجه بعد هزيمة الجمهورية الإسبانية. إن الرواية بـ «تكثيفها» وحصر أحداثها في الزمن بدت وكأنها بنيت بروح وحدات التقاليد القديمة الثلاث. وفي الوقت نفسه تعطي الرحلة إلى ماضي الأبطال، و إلى «صورهم في الذاكرة»، وخروجهم من حدود سييرا، هذا العمل العمق والاتساع الضروريين. وهكذا تظهر الحرب الأهلية نفسها عند همنغواي بكل تراجيديتها.

يبقى همنغواي، في تصويره لـ اللوحة الحياتية الواسعة في رواية «لمن تقرع الأجراس» فناناً ذا تكوين عاطفي. إنه يستطيع أن يرى بصورة خاصة، وفردية ما

هو عام: إن فصيل الأنصار بالنسبة له هو إل سوردو - إنه تصغير لعالم إسبانيا بأسرها. أما روبيرت جوردان، فإنه حلقة متسلسلة في تصنيف أبطال همنغواي، لكنه مختلف بصورة ملموسة عن أسلافه. إن جوردان - هو إنسان أكثر غنى من الناحية الروحية بما لا يمكن مقارنته معهم، ولديه عقل منفتح، يفكر باستمرار بالذي يحدث. تدرك في الرواية بصورة فنية الرابطة بين مصير البطل والأحداث العظيمة للعصر. لقد خلق همنغواي من خلال إيجاده التعبير الجمالي لرواقيته الفلسفية أسلوباً لا يتكرر، والذي كان يمكن أن نعرّفه بـ: البساطة الشجاعة.

تتصف سنوات ما بين الحربين العشرون بالنجاحات في المجال الأدبي لمختلف المجموعات الإثنية، وقبل كل شيء نجاحات الزنوج. لقد خرج أدب أمريكا «الأسود» في تلك الفترة ولأول مرة إلى المسرح الوطني العام، أما أولئك الكتاب، مثل لينغستون هيوز، وريتشارد رايت، و او. اي. ب. دوبوا، فقد أصبحوا فنانين على النطاق الوطني العام، وهذا ما انعكس في زيادة الوعي الذاتي الإثني للسكان الزنوج. إن الظاهرة الأكثر أهمية في أدب السود أعوام العشرينيات - هي ما سميت بالنهضة «الزنجية» أو نهضة «هارلم». كانت تعني ظاهرة جديدة بصورة نوعية في حياة الزنوج الفنية، ومرحلة من «الاكتشاف الإثني»، وقطع مع بعض التقاليد المتبعة في الماضي التي كانت تربص على الأدب الزنجي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولأول مرة أصبح رجال الأدب والثقافة الزنوج يعون أنفسهم كفنانين أصيلين يضعون مادتهم الإثنية الخاصة، وبدأ استيعاب الفولكلور الزنجي، ولا سيما الموسيقي وأشكاله تلك، مثل سبيريتشويل وبلوزي(*).

(*) (سبيريتشويل غناء روحي. بلوزي - غناء زنجي حزين - المترجم).

صدرت في عام ١٩٢٥ مجموعة مختارات شهيرة لعدة شعراء باسم «الزنجي الجديد» بإشراف ا. لوك، تضمنت برنامجاً جمالياً «لسكان هارلم». إن مزاج «الاحتجاج، والتمرد، واليأس» قد انعكس في شعر كلود ماكي (١٨٩٠-١٩٤٨)، الذي ارتبط في بداية العشرينيات مع الحركة العمالية. وكان أول شاعر أسود عبر بحرارة وحمية عن الاستياء من التمييز العنصري («المفلس»، و«أبوابكم»، و«أمريكا» وغيرها). وحصل ديوان جين تومير (١٨٩٤-١٩٦٧) الشعري-النثري «اليراع» (١٩٣٢)، على النجاح الكبير، وكان أو. فرانك هو من كتب له المقدمة. أما كاونتي كالين (١٠٣-١٩٤٦)، هذا الشاعر الذي حمل مخزوناً عاطفياً، والذي كان يكتب بأسلوب تقليدي، قريب من الرومانسيين الإنكليز، فقد أصدر ديوانه الشعري باسم «الزهرة» عام ١٩٢٥.

كان لينغستون هيوز (١٩٠٢-١٩٦٧) أحد أهم كتاب «النهضة الزنجية»، الذي تمثل فيه الجناح الديمقراطي، والذي أفصح عن نفسه في ديوانيه الشعريين الأولين «راقص البلوز التعب» (١٩٢٦)، و«أشياء جيدة في الصلابة» (١٩٢٧). يوحِّد هيوز بصورة عضوية في أشعاره التي يتغنى فيها بالناس البسطاء في هارلم تقليد ويتمان في الشعر الحر، بعناصر وأشكال الفولكلور الزنجي، وخصوصاً بالبلوز. إن هيوز الذي انعطف بشدة نحو اليسار كان يمثل في الثلاثينيات بصورة جلية جداً تلك الخصائص، التي اكتسبها الأدب الزنجي التقدمي في فترة «السنوات العشر الحمر».

وبدلاً من «الزنجي الجديد»، الذي قدمته «نهضة هارلم» أتى «زنجي جديد، جديد» (حسب تعبير الناقد يا جيانغا)، هو شخصية اصطلاحية. كان بروليتارياً، وعاملاً مياوماً، وفقيراً وكادحاً، ينبثق من «القاع»، وهو ليس ذلك

«الزنجي» الذي يحصل على عطف الرجل الأبيض، وإنما هو شخصية، قادرة على أن تدافع عن نفسها.

إن هيوز، الذي اقترب في هذه السنوات العشر من الحركة العمالية، عاش نهوضاً إبداعياً كبيراً: إن رواية سيرته الذاتية «ضحك عبر الدموع» (١٩٣٠) ترسم لوحة طفولة الكاتب، أما كتابه عن السيرة الذاتية «البحر المكشوف» (١٩٤٠) فيتضمن تصويراً عن الحياة الفنية في العشرينيات، وخاصة عن «نهضة هارلم». وتخلَّل مجموعة قصصه القصيرة الشهيرة «طباع البيض» (١٩٣٤)، احتجاجٌ حرٌّ ضد التمييز العنصري. لقد أعطى هيوز الكثير من الجهود لتنظيم المسرح الزنجي، وكتب المسرحيات ذات الاتجاه الدعائي المباشر (الأشهر من بينها مسرحية «سكوتسبورو» عام ١٩٣٢).

في عام ١٩٣٢-١٩٣٣ قام هيوز بزيارة الاتحاد السوفييتي، كان من نتيجتها صدور كراس له بعنوان «زنجي ينظر إلى آسيا الوسطى السوفييتية» (١٩٤٤). لقد دوَّت في أشعاره الدعوات إلى التضامن مع كل شعوب العالم المناضلة، ومجَّدت الروح البطولية والنضال الإضرابي، وأدانت المحتوى الاستغلالي للرأسمال. إن الشاعر - الأممي هيوز هو الأول في الأدب الزنجي الذي تغنى بوحدة العمال السود والبيض. وقد برز الموضوع الاجتماعي البطولي بقوة أكبر في مجموعته الشهيرة «الأغنية الجديدة» (١٩٣٨).

لقد توجه الكتاب - الزنوج في الثلاثينيات، ولأول مرة إلى صفحات التاريخ البطولية لنضال شعبهم التحرري إذ: تغنى الشاعر والناقد ستيرلينغ براون (عام ١٩٠١) الذي بذل الكثير من الجهد لدراسة الفولكلور، بـ نات تيرنر، وروبرت هيدني - بتوسين لوفيرتور (زعيم انتفاضات الزنوج في هاييتي)

وفريدريك دوغلاس. أما الشاعر والناشر آرن بونت (١٩٠٢-١٩٧٣)، فقد كرس رواية «الرعد الأسود» (١٩٣٦) إلى غابرييل الذي كان على رأس انتفاضة الرقيق في عام ١٨٠٠ والذي واجه الموت على أيدي مالكي العبيد بشجاعة.

بيد أن الشخصية «المفتاحية» دون شك في تاريخ الأدب الزنجي أعوام ٣٠-٤٠ كان ريتشارد رايت الذي جرى التنويه عنه: لقد أعطى للفولكلور الزنجي، بعد أن استوعب المادة الزنجية «الإثنية» واستخدم عناصره، دوياً أمريكياً عاماً وشاملاً، واعتبر «الأب الروحي» بالنسبة لكتاب «الموجة الجديدة» التي برزت في ظروف الثورة «الزنجية» أعوام الستينيات مثل ا. بولدون، ولورين هينسبيري، وج. كيلينس وغيرهم.

توصف سنوات الحرب العالمية الثانية كمرحلة محددة في تاريخ الأدب الأمريكي. اتخذ أغلب الكتاب التقدميين في تلك الفترة موقفاً معادياً للفاشية بصورة ثابتة، وعبَّروا عن تعاطفهم مع الاتحاد السوفييتي، وضموا أصواتهم إلى المطالب التي تدعو إلى فتح الجبهة الثانية. كان بعضهم يعملون كمراسلين حربيين (اي. همنغواي، واي. كالدويل، وج. هيرسي)، وآخرين في هوليوود، يساعدون في إخراج أفلام حربية تملك محتوىً وطنياً، ومعادياً للفاشستية مثل (ل. هيلمان، وا. بيسي، ود. ترامبو وغيرهم)، وحتى أو. فولكنر الذي كان يعمل في السينما، كتب سيناريو مكرساً للمقاومة الفرنسية، ولم يُقبل. ينشر بعض الكتاب (شتاينيك وساروريان) بتكليف من الإدارات العسكرية مواد دعائية، من أجل المساعدة في حشد الجهود للنضال ضد النازية.

لقد أصبحت قصة شتاينبك «أفول القمر» (١٩٤٢) إحدى أول الأعمال التي عكست بصورة مباشرة الروح البطولية للنضال المعادي للفاشستية، التي

تدور أحداثها في إحدى البلدان الأوروبية (من الواضح أنها النروج)، التي تعرضت للاحتلال النازي. وحوَّل شتاينبك قصته إلى مسرحية تحمل نفس الاسم فيما بعد. إن عملية رفع الغشاء المعنوي عن عيني الإنسان والسلوك البطولي للألماني العادي ويلي فيبغلير الذي تحرر من المخدِّر النازي، ودفع حياته ثمناً بتحديه للفاشية - تقع في مركز رواية ا. مالتس («الصليب والسهم» ١٩٤٤)، التي تدور أحداثها في ألمانيا عام ١٩٤٢. يتابع اي. كالدويل الموضوع المعادي للعنصرية قصة «حدث في تموز» (١٩٤٠). بيد أن أهم كتاب صدر له في تلك الفترة، كان قصة «صبي من جورجيا» (١٩٤٣)، التي حملت طابع السيرة الذاتية: إنه يرسم على ضوء إدراك مراهق عمره ١٢ عاماً، دراما عائلةٍ من العمال. إن عناصر مذهب الطبيعية تميز رواية «الأرض المأساوية» (١٩٤٤)، التي ترسم واقع بلدة، نمت بالقرب من معمل للبارود. وتتميز رواية جون ريتشارد هيرسي (١٩١٤) «جرس لأجل آدانو» (١٩٤٤) من بين الأعمال الفنية القليلة عن الحرب، والتي تدور أحداثها في الجبهة الإيطالية، إذ كان المؤلف يعمل كمراسل حربي.

أصدر فولكنر، الذي بقي في فترة الحرب مخلصاً في إبداعه لمواضيعه الفكرية - الفنية الرئيسية، التي اختارها في أعوام الثلاثينيات، مجموعة قصص «اهبط، يا موسى» (١٩٤٢)، كانت من بينها قصة «الدب»، وهي قصة فلسفية حول صدام الطبيعة البتول مع الحضارة القاسية المدمرة بصورة شاملة.

إن اتساع اللوحات الحياتية، ووضوح التحليل الاجتماعي، وشجاعة التعميمات التي تمس الواقع الأمريكي، والسعي لإظهار الإنسان في روابطه الاجتماعية المتنوعة، وغنى الأشكال الفنية والأبحاث الجمالية المثمرة، وأخيراً الحماسة النقدية - تلك هي الخصائص الأكثر جاذبية للأدب الواقعي في الولايات المتحدة الأمريكية، في ذلك العصر.

لقد حاز إبداع أولئك الكتاب أمثال همنغواي، وفولكنر، ولويس وشتاينبك، ووولف، واونيل، ورايت، اعترافاً عالمياً. كانت الإنجازات الفكرية - الفنية مهمة بصورة خاصة في مجال «النثر العالي»، والرواية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي أصبحت مؤشراً في العملية الفنية العالمية.

بقيت «الثلاثينيات الحمراء» كعصر فريد في تاريخ الأدب الوطني، الملهم للحركات الاجتماعية الواسعة ولنضال الجماهير.

إن هذه السنوات كانت بالنسبة لدرايزر، وهمنغواي، وفولكنر، ولويس، وشتاينبك، وكالدويل، ورايت هي فترة نجاحاتهم الإبداعية العليا. لم يستطع الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية بعد عام ١٩٤٥ أن يرتقي إلى تلك التعميمات الاجتماعية التي كان يتميز بها في فترة ما بين الحربين.

إن تقاليد الواقعية والنقد الاجتماعي قد استمرت في أفضل أعمال وورين، وستايرون، وفونيغوتا، وتشيفر، وغاردنير، وجونس، وميلر، وغيرهم في ظروف تاريخية جديدة. لم تنضب التقاليد الاشتراكية أيضاً، التي عاشت نهوضاً في فترة «السنوات العشر الحمر».

٢ - المسرح التمثيلي

كانت فترة ما بين الحربين مثمرة بالنسبة لجميع أنواع الفن الأمريكي، بما في ذلك بالنسبة للمسرح. لقد حدث وقتذاك بالذات تكوّن الفن المسرحي الوطني الأصيل في الولايات المتحدة الأمريكية.

وساعد على ذلك ظهور مجموعة كبيرة من الكتاب المسرحيين برئاسة يوجين أونيل، الذي ارتفع إلى مستوى أساتذة النثر والشعر أولئك، مثل

همنغواي، وفولكنر، وشتاينبك، ولويس، وفورست وغيرهم. وكذلك تقدم مخرجون وفنانون للمسرح وممثلون موهوبون، وتشكلت عدة مجموعات واتحادات مسرحية من أنصار مبادئ الواقعية والفن المسرحي.

في بداية القرن أعطى المسرحيون في الولايات المتحدة الأمريكية نبضة ذات مستوى متوسط بصورة واضحة (اوغاستيس توماس ١٨٥٧-١٩٣٤، وكلايد فيتش ١٨٦٥-١٩٠٩، ووييليام فوين مودي ١٨٦٩-١٩١٠، وغيرهم) الذين كانوا يمثلون الواقع الأمريكي بروح مرحة تفاؤلية[1].

لقد كانت تتغلب في مستهل المئة عام في المسرح، الذي كان يحمل طابعاً تجارياً، وقبل كل شيء في برودواي «المسرحية المصنوعة بشكل جيد»، والميلودراما المسلية، التي ترتكز على المؤثرات المسرحية الخارجية الأمر الذي كان يلحق الضرر بالمحتوى الحياتي الجدي. ومع ذلك فإن الروح التي برزت في المسرح في بداية المئة عام الأخيرة حفَّزت النمو العام للنزعات الديمقراطية والواقعية في الفن الأمريكي. لقد لعبت دوراً مهماً في ذلك الحلقة التي أنشأها بيرس بيكر (١٨٦٦-١٩٣٥) في جامعة هارفرد عام ١٩١٢، المتعلقة بالفن المسرحي (بدءاً من عام ١٩٢٥ قاد العمل فيها في جامعة ويل).

ساعد التحول في الفن المسرحي الذي بدأ في عام ١٩١٠ على نشوء حركة ما يسمى بـ«المسارح الصغيرة»، التي ظهرت في نيويورك، وبوسطن، وفيلادلفيا، وحملت في البداية طابع الهواة، لكنها تحولت إلى مجموعات محترفة. لقد أخرجت هذه المسارح أفضل النماذج في المسرح العالمي لـ (ابسن، ج. شو، تشيخوف

---

(١) إحدى الصور النادرة للدراما الاجتماعية - «السرقة» (١٩١٠) لجاك لندن رفضتْها المسارح، ورأت النور بعد موت مؤلفها.

وغيرهم)، وكذلك للمؤلفين الأمريكان الشباب أمثال (يو. اونيل، ج. ريد وغيرهما) مسترشدين في ذلك بالميل الديمقراطي الواسع للمشاهد، ومؤكدين أيضاً المبادئ الديمقراطية المسرحية، ومتوخين بذلك احتكار مسرح برودواي البرجوازي التجاري، الهادف للتسلية. يمكن أن نميز من بين هؤلاء الممثلين والمسرحيين المجموعة التجريبية «ممثلو بروفينستاون» التي أُنشئت في عام ١٩١٥. ولقد كان في عدادها على وجه الخصوص الشاب يوجين أونيل، والناقد فلويد ديلل، وجون ريد (الذي تعود لريشته عدة مسرحيات: «أفول القمر»، عام ١٩١٣، و«الحرية» عام ١٩١٩، و«السلم، الذي يخرج عن حدود ما هو سهل المنال» عام ١٩١٩، والهجائيات ضد «اتفاقيات السلم» في فرساي). لقد قام «ممثلو بروفينستاون» (استقروا فيما بعد في نيويورك، في غرينفيتش فيلليدج) بإخراج أولى المسرحيات المؤلفة من فصل واحد «المسرحيات البحرية» لأونيل بواقعيتها القاسية والخشنة، التي شكلت دعوة فريدة لتوطيد القواعد المسرحية.

في عام ١٩١٥، نشأت مجموعة مهمة أطلق عليها اسم «واشنطن-سكوير بلييرز»، وقد قامت هذه المجموعة بإخراج ما يزيد على ٦٠ عملاً مسرحياً، بما في ذلك مسرحيات م. ميترلينك، وج. ريد، وت. درايزر وب. شو، وا. ب. تشيخوف، ول.ن. اندرييف. وظهرت على قاعدتها عام ١٩١٩ مجموعة مسرحية كبيرة، عاشت ازدهارها في العشرينيات - «تياتر غيلد». قاد هذه المجموعة التي استمرت حتى عام ١٩٤٨ فيليب ميللر، ولي. سيمونسوي، ولورانس لينجير وغيرهم. ولقد عرضت هذه المجموعة نماذج بارزة في المسرح العالمي، ولا سيَّما مسرحيات ايبسين، وستريندبيرغ، وشوّ، وتشيخوف، وتولستوي، وهاوبتمان وغيرهم. وقدمت إلى المخرجين والممثلين مواد مهمة لتطويرها ونموها. وفي عام ١٩٢٦، قامت المخرجة والممثلة إيلينا لي

هالين بتنظيم المسرح المدني للعروض المسرحية (١٩٢٦-١٩٣٣)، الذي أخرج مسرحيات للمؤلفين الأوروبيين الغربيين والروس. وإلى جانب الأساتذة ذوي الخبرة من الجيل القديم أمثال (م. آدمز، وعائلة باريمور - ديان، واستيل، وجاك، وجون، وكاترين وليونيل) جاء إلى المسرح في أعوام ١٩٢٠-١٩٣٠ ممثلون موهوبون شباب أمثال (ا. لانت، ول. فونتين، وك. هامبيرن، وواي. هيس، وغ. فوندا، وا. بايرون وغيرهم)[١].

أعطت زيارة مسرح مخات إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩٢٢-١٩٢٤، دفعاً قوياً لتطور الواقعية في المسرح الأمريكي. لقد أظهر في ظروف «نظام النجوم» الأمريكي قوة المجموعة المسرحية كفرقة واحدة إبداعية يقودها مبدأ الإخلاص بالحد الأعلى لحقيقة الحياة.

كان ك.س. ستانيسلافسكي يملك أساساً بأن يقرر أن «جولتنا في أمريكا لم تذهب عبثاً: إن كل تاريخ المسرح الأمريكي الآن ينقسم إلى فترتين: «قبل وبعد» الزيارة الفنية»[٢].

بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية دراسة جديدة لمنظومة ستانيسلافسكي، إذ قام عدد من المخرجين الأمريكان مثل (هـ. فلينيغن، وغ. كلارمن وغيرهما) بزيارة موسكو لأجل دراسة تجربة ستانيسلافسكي، وميرخولد، وتاييروف، وتتحقق مبادئ ستانيسلافسكي بنجاح أكبر في نشاط «غروب تياتر» أعوام الثلاثينيات. بيد أنهم في برودواي (إذ كان يوجد أكثر من ٨٠ بناء مسرحياً، أما عدد الإخراجات فقد وصل إلى ٢٥٠ إخراجاً في العام) خشوا من الأصداء

---

(١) Bloom D. A Pictorial History of the American Theatre, 1900-1956. N.Y., 1956

(٢) مجلة أضواء المسرح الأمامية، ١٩٣٤، ٢٦-٣١ آب، ص ٥.

التي تركها مخرجون مثل (س.ن. بيرمان، وج. كاوفمان، وف. باري وغيرهم) الذين أبدعوا مسرحيات كوميدية فيها الكثير من التألق والفكاهة، إلا أنها تسترشد بأذواق المشاهد البرجوازي.

تميزت المرحلة الممتدة من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٥، بالعمليات المكثفة لتجديد الدراما والمسرح، التي يسميها النقاد بمرحلة «الانبعاث المسرحي». وتتقدم آنذاك بالذات مجموعة «المسرحيين الجدد»، الذي أصبح أونيل (عام ١٨٨٨-١٩٥٣) زعيماً معترفاً به لها. إن «الدراما الجديدة» التي أبدعها، والمفعمة بالحماسة الاجتماعية- الانتقادية، والميول الساخرة والتراجيدية، والتعمق الفلسفي كانت تصور الحياة الأمريكية والشخصيات الوطنية بصورتها الحقيقية. كان محكوماً على أونيل بأن يصبح مؤسساً للمسرح الوطني، وكلاسيكياً له، وأن ينهض به ليصبح ذا أهمية عالمية عامة. لقد برز لأول مرة في مجموعة «العطش» وغيرها من المسرحيات ذات الفصل الواحد (١٩١٤). حاز أونيل عام ١٩٢٠ الشهرة في برودواي بعد عرضه الأول لدراما «وراء الأفق». وهو مثله في ذلك مثل درايزر في مسرحيته «شقيقة كيري»، وقع على عاتقه «الدور الرائد» في مصير المسرح الأمريكي.

إن اصطدام الحياة الشخصية للمسرحي، والنزاعات الاجتماعية الحادة جداً، التي عكسها، ولا سيما الحرب العالمية الأولى - إن كل ذلك قد حدد اللون العاتم التراجيدي لأعماله. كان أونيل المجرِّب والمجدِّد الذي سعى إلى خلق «تراجيديا معاصرة» وثيق الارتباط بالتقاليد المسرحية الكلاسيكية: مع تراجيدية إيسخيل وسوفوكليس القديمة، ومع شكسبير، ومع مسرح الخارج في القرن التاسع عشر والقرن العشرين - إيبسن، وشو، وهاوبتمان، وغوركي، وتشيخوف، و«الدراما الجديدة»، التي خلقت إحدى أشكال إبداعها الخاص.

وبالرغم من كل ذلك كان ينطلق في أعماله المسرحية من نظرية الإيقاع المضاعف، ذات الجانبين: لقد سعى ببساطة إلى أن يصور أناساً بصورة ملوسة، ونزاعاتهم وطموحاتهم، لكنه نقل المشاكل الأخلاقية - الإثنية إلى مجال غير زمني وميتافيزيقي. كان أونيل يعتمد في تعمقه بالنفس البشرية على النظريات النفسية لفرويد- ويونغ أيضاً.

إن طريقة أونيل الفنية، هي نتاج مبتكر للأبحاث الفنية والفلسفية في القرن العشرين، وكانت واقعية بصورة أساسية. ومع ذلك فلقد كان يتميز بأسلوب إنشائي غني، تجمعت فيه عناصر فن النظم الرمزية، والطبيعية، والتعبيرية. كان المسرحي يشبه نفسه بـ «صهارة مرجل» التي ينسبك فيه تكنيكه الخاص به من الكثير من الأساليب المعاصرة. كان أونيل يسمي طريقته بالمذهب الطبيعي السوبر، ويرى هدفه في خلق «الحقيقة المكثفة»، وإحدى خلاصات الحياة، في «تعرية الروح» وتحريرها من «ثقل الجسم غير الملهم، ومن الحقائق الغليظة»(١).

كانت أعوام العشرينيات من أكثر الفترات عطاءً بالنسبة لأونيل : كان يستجيب في عدد من مسرحياته، غالباً وهو يقوم بتجاربه في مجال الشكل، للمسائل الاجتماعية والإنسانية مُديناً كبت الشخصية من قبل التكنيك الذي لا يفكر (في مسرحية «ديناصور»)، والطمع الخاص، والخرافات العرقية. لقد أثرت «الصلابة الاشتراكية» في المدرسة النقدية لأونيل، التي حصل عليها في الأعوام المبكرة، في فترة تقاربه مع الأوساط اليسارية والراديكالية، ومع مجلة «ميسيز». وهكذا، ففي دراما «وراء الأفق» ينكشف بالنسبة لأونيل «الثاقب» موضوع عدم التناسق بين الحلم والواقع البرجوازي والبرجوازي الصغير الكئيب.

---

(١) باستشهاد بـ روم ا. س. الفن المسرحي الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين. ل. ، ١٩٧٨، ص ٣٩.

وفي مسرحية «القرد الأشعث» (١٩٢٢)، المكتوبة بأسلوب تعبيري يتم إظهار تأثير الرأسمال غير الإنساني على أناس العمل. وفي الدراما النفسية «لدى جميع أطفال الرب أجنحة» (١٩٢٤)، يكشف، وهو يعيد تكوين العلاقات المتبادلة الصعبة بين جيم الأسود وإيلي الأبيض، الطبيعة العميقة للخرافات العرقية. وفي مسرحية «الحب فوق شجرة الدردار» (١٩٢٤)، التي سماها بعض النقاد بـ «التراجيديا الأمريكية الأولى»، والتي يكشف فيها من خلال عائلة كيبوتوف البوريتانية الصارمة القوة المميتة للغرائز الخاصة، وفي مسرحية «ماركو- ميلليونشيك» (١٩٢٥) كان يهزأ بصورة ساخرة من جنون التجميع. ويعدّ ا. با. تاييروف، مخرج مسرح الغرفة أول شارح لأونيل في الاتحاد السوفييتي.

يسير أونيل أثناء «الثلاثينيات الحمر» في طريقه بعيداً بعض الشيء عن التيار الرئيسي للمسرحيين الأمريكان. يكتب أونيل مسرحيته «التراجيديا العصرية»، هذه المسرحية الثلاثية العظيمة والقاتمة «الحِداد- مصير ألكترا» (١٩٣٤) منجذباً فيها إلى الشمولية والفلسفة العالمية، التي مثّلت تحديثاً للأسطورة الإغريقية القديمة بمادة أمريكية، وتخليداً لـ «أوريست» إيسخيل.

يترك أونيل العمل الفعال في المسرح بعد تشخيصه في المسرح لتمثيليتين هما («أوه، الصحراء» عام ١٩٣٣، و«أيام دون نهاية» عام ١٩٣٤)، ويصمت خلال ١٢ عاماً.

لقد تعمق خلال هذه السنوات التي تميزت بأزمة روحية ثقيلة بالنسبة له، وبعد ذلك بالمرض، في إنشاء سلسلة ملحمية لا سابق لها من إذ النطاق تحت عنوان «أسطورة عن المالكين، الذين نهبوا أنفسهم»، تتألف من ١١ مسرحية.

لقد سعى المؤلف لأن يحيط فيها بقرن ونصف من تاريخ إحدى العائلات البرجوازية، واعتلائها وانحطاطها الروحي وتفككها. إن هذا الهدف

الجريء - الذي يعتبر دليلاً على انتماء أونيل إلى المدرسة الواقعية - النقدية - قد تم تحقيقه بصورة جزئية فقط: إذ تمَّ الاحتفاظ بمسرحيتين نشرتا بعد وفاته - «روح الشاعر» (١٩٥٧)، و«قصور الأكثر غنى» (١٩٦٤). إن المسرحية الأولى منهما، عرضت بنجاح في موسكو على خشبة مسرح مايا كوفسكي، وقام بأداء دور الرائد كورنيليوس ميلودي المركزي الممثل الرائع ل.ن. سفيردلين.

كان أونيل هو الكاتب الأمريكي الثاني بعد سينكلير لويس الذي حاز جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٣٦. إن الأحداث التراجيدية في نهاية الثلاثينيات، وتنامي التهديدات الفاشستية، شكلت بالنسبة لأونيل تأكيداً جديداً على قناعته بمغيب الحضارة الحتمي. يلون التشاؤم عمله الدرامي الشهير «بائع الجليد يقترب» (١٩٤٦)، إذ بطله هو أحد رواد صالون، استسلم أناسه لفقدان الإيمان. يؤلف أونيل في سنواته الأخيرة دراما نفسية عظيمة، تتخللها مواضيع سير ذاتية، «رحلة طويلة في الليل». يبدأ «بعث» أونيل بعد وفاته، بدءاً من نهاية الخمسينيات: تخرج مسرحياته، وبصورة خاصة «خارج برودواي»، وتنقل إلى السينما، ويتم جمع سيل من الأدبيات النقدية حوله. لقد مارس أونيل المولع بحماسة بالإبداع، والذي كان يشعر وهو متألم بتراجيدية المصير الإنساني في الولايات المتحدة وفي العالم بأسره، مارس تأثيرا كبيراً على الفن المسرحي الأمريكي وعلى المسرح.

يصفون الفن المسرحي والمسرح في العشرينيات بغنى التيارات الفكرية النمطية، وبالأبحاث المثمرة. كان س. أونيل ينافس في الجماهيرية ماكسويل أندرسون (١٩٨٨-١٩٥٩) الأكثر تقليدية بصورة ملموسة، والذي كان يظهر بمظهر أقدم بعض الشيء، ويعمل في مجال الدراما الشعرية. تميزت مسرحياته ببداية رومانسية تتجلى بوضوح، وهي سمة عضوية بالنسبة للأدب الأمريكي،

أما في المجال الأوسع فقد أبدع في المجرى البطولي لفن شكسبير، وشيللر، وهيغو المسرحي. كان الشيء السائد في إبداعه هو الحماس الديمقراطي، والتأكيد على حقوق الشخصية الحرة، وإدانة كل أشكال التنظيم والظلم. إن الإيمان بالديمقراطية المثالية عند أندرسون كان يتحد مع فضح التوتاليتارية، الأمر الذي كان يكسبه في ظروف الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات اتجاهاً معادياً للفاشستية. كان يشارك في تجسيد آرائه على المسرح مخرجون وممثلون طليعيون مثل كاترين كورنيل، وروث غوردون، بيرجيس ميريديث، وهاري ماك - كلينتيك. وقد حاز الشهرة بعد إخراج مسرحيته «ثمن المجد» (١٩٢٤) (المكتوبة بصورة مشتركة مع لورانس ستولينغ) وذات الاتجاه المعادي للعسكرة وبروح أمزجة «الجيل الضائع».

لقد انجذب كفنان - إنساني إلى إخراج المسائل الأخلاقية الجذرية، الأمر الذي كان يعطي فنه المسرحي صدىً عاماً، وكان يقوم بحل هذه المسائل، ولا سيَّما من خلال تحويل صفحات الماضي البعيد إلى دراما، وبعث الشخصيات التاريخية. (في مسرحيات «الملكة أليزابيث» ١٩٣٠، و«ماريا شوتلاند» ١٩٣٣، و«فاللي - فورج» ١٩٣٤، و«قناع الملوك» ١٩٣٦، وغيرها). إن أندرسون في هذه الدراميات المكتوبة بالشعر الحر، والمتميزة بالحماس العالي والفرح الرومانسي الذي ينقل الألوان المتعددة لذلك العصر البعيد، يبعث - حسب رؤياه - روح وشكل تراجيديا العصر الأليزابيثي. لقد نالت دراما «ماريا شوتلاند» التي أخرجها «تياتر غيلد» نجاحاً خاصاً، وقد لعبت دور ماريا ستيوارت الممثلة الموهوبة والرائعة اي. هيس. التي أصبحت بعد أن كانت تؤدي سابقاً الأدوار الكوميدية السهلة، تستوعب الشخصيات التراجيدية المعقدة منذ ذلك الحين.

لم يبق أندرسون في زمن «الثلاثينيات الحمر» شأنه شأن الكثير من زملائه، أصمَّ تجاه الأحداث الدراماتيكية التي أقلقت معاصريه. لقد احتوت مسرحية «منزلانا» (١٩٣٣) على هجاء للفساد السياسي في الكونغرس. وأصبح بطل دراما «كي لارغو» (١٩٣٩) الأمريكي الذي حارب في صفوف الجيش الجمهوري في إسبانيا. يكتب أندرسون في سنوات الحرب العالمية الثانية مسرحيات ضد الحماسة الفاشستية («شمعة في الريح» ١٩٤١، و«عشية القديس مارك» ١٩٤٢، و«العملية الهجومية» ١٩٤٣، وغيرها)، أبطالها كقاعدة هم أناس بسطاء، وعمال من سواد الشعب، يدافعون عن الأسس الجذرية للحياة على الأرض، ضد كوارث التهديم والموت.

بدأ روبيرت شيرفوود (١٨٩٨-١٩٥٥) القريب من أندرسون سواء في المجال الفكري، أو في ولائه للبلاغة الرومانسية، نشاطه كناقد مسرحي، ثم ظهرت مسرحيته الكوميدية لأول مرة «الطريق إلى روما» (١٩٢٧)، والتي يسخر فيها من العسكرة، من خلال تناوله لموضوع قديم. وتكمن في أساس مسرحيته «جسر واترلو» (١٩٣٠) (أصبحت فيما بعد أساساً لفيلم سينمائي مشهور) - قصة حب ميلودرامية بين جندي وفتاة لندنية. وقد أتبعها الكاتب بكوميديا رومانتيكية «موعد في فيينا» (١٩٣١)، التي عرضت بنجاح على جانبي المحيط الأطلسي. لقد أدى الأدوار الرئيسية فيها بصورة رائعة الزوجان الموهوبان لانت - ألفريد لانت ولين فونتين.

ومع حلول «السنوات العشر الحمر» أصبحت تدوي في إبداع شيرفوود بصورة أكثر حزماً البواعث الاجتماعية، وتبلور الموضوع الداخلي الرئيسي في إبداعه - تصوير الأزمة الحادة في الحضارة البرجوازية المعاصرة. وقد كُرست الدراما - النقاشية «الغابة المتجمدة» (١٩٣٥) لهذا الموضوع. وكانت دراما «تسلية

الأبله» مليئة بالإشارات إلى الخطر الفاشي وعن الفاشستية، وبالدعوة إلى مقاومتها بصورة فعالة. لقد أصبحت المدونة التاريخية «إيب لينكولن في إيللينويبي» إنجازاً لـ ر. شيرفوود، وهي مؤسسة على دراسة صارمة للمصادر الوثائقية. إن المسرحية التي تتألف من ١٢ فصلاً تسترجع المراحل الرئيسية في حياة لينكولن، الإنسان والشخصية السياسية خلال تلك السنوات الـ ٣١ التي سبقت انتخابه إلى منصب رئيس الجمهورية، وهي كغيرها من الأعمال ليست موضوعاً تاريخياً في تلك السنوات، إن مسرحية ر. شيرفوود كانت استجابة لمشاكل العصر الحيوية، وأكدت القيمة الدائمة للتراث الديمقراطي في ظروف تصاعد الخطر «الرمادي». لقد أصبح منذ نهاية الثلاثينيات عضواً في الدائرة القريبة من روزفلت، ثم مساعداً خاصاً لوزير الحربية، ويعمل في مكتب الاستعلامات العسكري. كانت هذه الفترة مكرسة للعمل التاريخي التذكاري «روزفلت وهوبكينز». وأخيراً يتناول السيناريو الذي ألفه بعنوان «أحسن سنوات حياتنا» (١٩٤٦)، المصير الصعب للمحاربين القدماء، الذين عادوا من الحرب.

إن أعوام العشرينيات بصورة عامة تتصف بظهور مجموعة كبيرة من المسرحيين الأصلاء والممتعين مثل (اي. رايس، ج.غ. لاوسون، وس. فيرمان، وم. كونيللي، وس. هوارد، وم. هيول، وغيرهم) على المسرح، والذين كانوا يمثلون تيارات فكرية - أسلوبية مختلفة. ستصبح مسرحيات اي. توليز وغ. كايزر وكذلك ا. ستريندبيرغ في بداية العشر سنوات الأولى بعد الحرب، وبتأثير من المسرح الألماني، شعبية وذات طابع تعبيري.

إن بلاغتها الفريدة، وعناصرها الشرطية، ومغالاتها الساخرة، وخياليتها، وتضادها المقصود في لونها الأسود - الأبيض، وانكسار خطوطها، وتشابك الخطوط الحياتية الواقعية - كل ذلك كان موجهاً إلى التعبير بصورة واضحة عن

الكشف الحاد للتصادم الاجتماعي، وقبل كل شي الكشف عن المصير غير المفرح للفرد المجرد من الصفات الشخصية والمنزوع من الإنسانية، والذي اصطدم مع ميكانيكية الحضارة «الآلية» والإنشائية الفارغة.

لقد قدم إيلمر رايس (١٨٩٢-١٩٦٧) وجون هوارد لاوسون (١٨٩٥-١٩٧٧) إلى جانب اونيل ضريبة سخية للأسلوب التعبيري، ويمكن إعطاء مثال صارخ على ذلك، في المسرحية الشهيرة لـ اي. رايس «الآلة الحاسبة» (١٩٢٣) التي استخدم فيها كذلك عناصر المسرح الإنشائي. إن شخصيتها المركزية المبالغ بها هي المستر زيرو (أي لا أحد)، الموظف الصغير، و«العبد بياقة بيضاء»، الذي يظهر كشخص فارغ داخلياً، تحول إلى تابع للآلة، وقادر فقط على التمرد الفوضوي النابض.

وفي مسرحية مبكرة أخرى «مسرح الشارع» (١٩٢٩) يبتعد رايس عن التكنيك التعبير. ولاحقاً، في الثلاثينيات تتعمق في إبداع رايس المواضيع الاجتماعية - النقدية.

وإذا كان التكنيك التعبيري بالنسبة لبعض المسرحيين هو طريقة الكشف عن الخطأ، وعدم وجود آفاق لما هو قائم، وهو ما قربهم من مذهب العصرية (على سبيل المثال اي. اي. كامينغس في مسرحية «هو» ١٩٢٨)، فإنه تم التأكيد في أطر هذا التيار الفني عن نزعة أخرى تقدمية، مرتبطة بسمة التناقضات الطبقية الحقيقية، وبالتأكيد على الآفاق التاريخية المتفائلة.

كانت هذه النزعة تعبر بصورة جازمة عن إبداع جون هوارد لاوسون، الذي كان ينتمي إلى جيل من عاش تجربة الحرب العالمية الأولى. لقد سعى لاوسون منذ ظهوره كمسرحي، إلى الجمع، ومع أنه لم يكن دائماً عضوياً بين

النظريات الفلسفية - الجمالية الحديثة والمدرسة الفرويدية والتعبيرية، وبين النقد المعادي للرأسمالية. إن مسرحية «روجر بلومير» التي عرضت لأول مرة ١٩٢٧ كانت تصور باحثاً ريفياً شاباً لا تجربة لديه، وجد نفسه مهملاً في مدينة كبيرة لا روح فيها. وفي مسرحية أخرى تحت عنوان «نشيد الموكب» ١٩٢٥، المشبعة بصورة غير عادية بعناصر الجاز الموسيقية، فإن لاوسون يقترب من مسألة التناقض الطبقي التناحري في المجتمع الأمريكي. أما في المسرحية- الهزلية «مكبر الصوت» (١٩٢٧) فيكمن الموضوع الرئيسي في السخرية هجائية من السياسيين البرجوازيين المتلاعبين، والديماغوجيين، وسيدات «المجتمع» والصحفيين. وفي مسرحية «الأممية» ١٩٢٧، فإن لاوسون يؤكد من خلال استخدامه للرمز، والاصطلاح، اللذين يتميز بهما مذهب التعبيرية، على فكرة التحويل الثوري للعالم.

شارك لاوسون عام ١٩٢٦ مع م. غولد في تنظيم رابطة الدراما العمالية، وبعد عام في إنشاء مجموعة «مسرح المسرحيين الجدد» (الذي دخل في تركيبه كذلك م. غولد، وج. دوس. باسوس)، إذ تم إخراج مسرحياته. كانت هذه الاتحادات لذوي التوجه اليساري مقدمة للمسرح الثوري في أعوام الثلاثينيات، وبصورة خاصة «تياتر يونيون».

لقد تطور بصورة عامة في سياق الواقعية إبداع المسرحي بول غرين (ولد عام ١٨٩٤) الذي عبر بصورة شيقة على خشبة المسرح عن الموضوع الزنجي في مسرحيته المشهورة بصورة واسعة «في حضن ابرآموف». التي نجد في مركزها - شخصية ابراهام ماك كريني التراجيدية. إنه زنجي، ومبشر يعطي كل قواه لاستنهاض الشعب الروحي، على الرغم من أن البطل يصطدم بشراسة

العنصريين البيض من جهة، وبجهل السود وخمول عزيمتهم نتيجة قرون من الإذلال من جهة أخرى. لقد تابع بول غرين لاحقاً استيعاب المادة الزنجية بنجاح في سلسلة من المسرحيات ذات الفصل الواحد، تميزت من بينها إحدى أفضلها وهي مسرحية «نشيد الشمس المشرقة» (١٩٣٦)، وتدور حول المصير المر لسجناء الألوية المقيدة في الجنوب. وفي عام ١٩٤١ ألف بصورة مشتركة مع ريتشارد رايت صيغة مسرحية للرواية الشهيرة «ابن أمريكا».

وبكلمة جديدة قدمت في برودواي مسرحية مارك كونيللي «المراعي الخضراء»، التي «تُتَمم» بصورة ابتكارية الفولكلور الزنجي. نجد في مركز الرواية - شخصية رائعة لعجوز أسود داعية في لويزيانا: أدى هذا الدور ريتشارد هاريسون الذي كان في سن الـ ٦٦، وهو ابن عبدين فارّين، عاش نفسه حياة كادحة وصعبة، وهو ممثل غير محترف. عرضت المسرحية بنجاح كبير حتى موت هاريسون في عام ١٩٣٥، وقدمت خلال خمس سنوات ١٦٠٠ عرض.

ارتسم في فترة «الثلاثينيات الحمر» انعطاف واضح للمسرحيين نحو اليسار، وللحركة من الجانب النفسي الضيق المنغلق على ذاته إلى المواضيع الاجتماعية المتنوعة، والسياسية الملحة بصورة غير نادرة. وأصبح المسرح ديمقراطياً، وأخذ يتوجه إلى الجمهور الواسع، وتشكل عدد من المجموعات والاتحادات المسرحية العمالية، والبروليتارية. إن مناخ السنوات العاصفة قد انعكس بهذه الدرجة أو تلك في إبداع مجموعة المسرحيين الطليعيين، التي كانت تضم فنانين من مختلف التيارات الفكرية والنمطية: ألبرت مالتس، ومايكل غولد، وجون هوارد لاوسون، وجون ويكسلي، وكليفورد أوديتس، وإيلمار رايس، وبول غرين، وتورنتون وإيلدير، الذي كان يذكِّر بماكسويل أندرسون

وروبيرت شيروود. كما عمل في تلك الفترة بصورة مثمرة مخرجون ومنتجون ذوو توجه راديكالي - هـ. فلينغين، ول. ستراسبيرغ، وغ. كليرمان وغيرهم[1].

لقد جابهوا في إبداعهم على حد سواء مطالب المسرح التجاري في برودواي، والتقليد المتبع في هوليوود. وعلى سبيل المثال، وكما أحصى الباحثون، فمنذ عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٤١ عُرض نحو ١٥٠٠ إخراج لمسرحيات جديدة في مسارح برودواي التجارية. لم يلامس منها إلا القليل «٧٠ مسرحية» الموضوع السياسي والاجتماعي ذا القيمة الدلالية. أما البقية فقد أدت وظيفة «ترفيهية» وهدفت إلى تسلية المشاهد فقط: كوميديات موسيقية، وهزليات بمواضيع جنسية، وكوميديات، وميلودراما ومسرحيات بمحتوى نفسي ضيق الأفق. ولكن المشاهد كان يتطلع إلى فن جديد، وجدي. والدليل على هذا الميل المشجع في المسرح كان على سبيل المثال النجاح الذي لا سابقة له الذي لقيته رواية اي. كالدويل «طريق التبغ» الذي وقع على عاتق جاك كيركليند تحويلها إلى مسرحية. عرضت المسرحية في برودواي ثماني سنوات (١٩٣٣-١٩٤٠) وبلغ عدد العروض ٣٢٠٠ عرض - رقم قياسي لم يتكرر فيما بعد.

أخذت تظهر في بداية الثلاثينيات، وفي ذروة الأزمة، كمقدمة فريدة نحو حركة مسرحية ناضجة في تلك السنوات العشر، وتحت تأثير تجربة المسرح السوفييتي إلى حد بعيد، مجموعات عمالية (رابطة عمال المسارح، و«المسرح التجريبي العمالي» وغيرهما)، أخرجت مسرحيات بروح «الدعاية والتحريض»، وحملت طابعاً دعائياً صريحاً (من بينها «سكوتسبورو» للينغستون هيوز، و«أمريكا، أمريكا» لألفريد كريمبورغ وغيرها)، كذلك درامات من فصل واحد (بما في ذلك لـ ا. مالتس، وب. غرين، وف. ستيفنسون وغيرهم).

(١)Bruning E. Das Amerikanisch Drama der dreiβiger Jahre. Rutten und loening B. 1966.

أصبح «تياتر يونيون» (١٩٣٣-١٩٣٧) ظاهرة فنية مميزة وهامة في ذلك الوقت – إذ كان هذا المسرح حسب كلمات مؤرخ الدراما ج. رابكين «المسرح الاحترافي الوحيد، ذا التوجه الماركسي»[1]. إن «تياتر يونيون» الذي رفع شعار «المسرح - هو سلاح»، وضع لنفسه مهمة إخراج مسرحيات حول الطبقة العاملة. كان الشيوعيون يملكون تأثيراً كبيراً فيه.

كانت مسرحيات مالتس، وسكليار، وبيتيرز، وويكلي، المكتوبة لـ «تياتر يونيون» تتميز، كقاعدة بصراحتها، وأحياناً بتحيزها المباشر. بيد أنها كانت تكشف عن ما تميز به أدب «الثلاثينيات الحمر» فيما يتعلق بموضوع النمو الفكري والروحي للإنسان. دخلت مسرحية ا. مالتس وج. سكليار «السلام على الأرض» (١٩٣٣) في عداد أولى المسرحيات التي رأت أنوار المسرح الأمامية. اتخذ البطل وهو عالم «شريف» وأستاذ، خياراً له، وهو الانخراط في الحركة المعادية للحرب. لقد تجلى موضوع دراما ا. مالتس «المنجم المظلم» (١٩٣٤) في عملية إعادة البصر لـ جو كوفار، العامل المضطر للخدمة عند أرباب العمل. أما موضوع مسرحية ا. ماليس «الجندي هيكس» (١٩٣٥) فتتلخص في «تقويم» إنسان بسيط هو جندي رفض إطلاق الرصاص على المتظاهرين.

وبنجاح عرضت دراما ج. سكليار وب. بيترز «العتال» (١٩٣٤) على خشبة مسرح «تياتر يونيون» وهي من الناحية الفنية أكثر نضجاً بصورة ملموسة من المسرحية السابقة. إن بطلها هو الزنجي لوني الذي لم يرتعب من استفزازات الشرطة، ويناضل بشجاعة من أجل إنشاء نقابة. لقد تمت الإشارة في كونغرس رابطة الكتاب الأمريكان، عام ١٩٣٥، إلى أن هذه المسرحية

(١) Rabkin G. Drama and Commitment : Indiana Univ. press, 1964, p. 45.

«تعتبر مثالاً بالنسبة للجماهير الزنجية، التي استُقبلت من قبلهم بصورة قلبية، وكانت أقرب إليهم من أي عمل آخر»[1].

تميزت مسرحية جون ويكيلي «الميل الأخير» (١٩٣٤) بدرامية حادة، ويتلخص موضوعها في التمرد الحاصل في سجن للمعتقلين، المحكومين بالإعدام بالكرسي الكهربائي. أما في مسرحيته الأخرى «لن يموتوا» (١٩٣٤) فقد اعتمدت على ما كان يقلق البلاد بأسرها بسبب ما كان يجري في سكوتسبورو. أما بطل الدراما التاريخية لمايل غولد ومايكل بلينكفورت «النشيد الكفاحي» (١٩٣٦) فكان جون براون العضو الشجاع في حركة إلغاء العبودية.

كان ج. غ. لاوسون مشاركاً نشيطاً في «تياتر يونيون»: كان قد انتقل في بداية الثلاثينيات إلى المواقع الثورية، وفي عام ١٩٣٤ انتسب إلى الحزب الشيوعي. مع العلم أن تجاربه الأولى في تملكه لموضوع الوسائل المسرحية الجديدة (في مسرحيات «تاريخ النجاح» ١٩٣٤، و«القلب النظيف» ١٩٣٢، و«الامرأة الكريمة» ١٩٣٤) لم تكن موفقة. كانت محاولته لجعل المجموعة العمالية المشاركة في إضراب بمعمل السيارات - بطل دراما («أغنية المسير» ١٩٣٧) هي الأكثر إبداعاً. وأصدر لاوسون المهتم بالأبحاث التاريخية - النظرية عمله الرئيسي «نظرية وتكنيك المسرحي» عام (١٩٣٦).

المنظمة الراديكالية الأخرى في الثلاثينيات هي - «غروب تياتر» - التي دامت ١٠ سنوات (١٩٣١-١٩٤١): لقد انطلقت من مخطط ديمقراطي عام وواسع، ولم تتوجه فقط إلى العمال كما هو الحال بالنسبة لـ «تياتر يونيون». كان شعار المجموعة «المسرح - هو فن يعكس الحياة». إن مؤسسي وقادة «غروب تياتر» هم

(١) American Writers, Congress. N.Y., 1935, p. 133.

المخرجون المعروفون والمنتجون لي. ستراسبيرغ (ولد عام ١٩٠١)، وتشارل كرافور (ولد عام ١٩٠٢)، وهارولد كلارمين (ولد عام ١٩٠١)، الذين أنشؤوا مجموعة إبداعية ممتعة من الممثلين، فإلى جانب الأساتذة ذوي الخبرة مثل ستيللا أولر وموريس تشارنوفسكي، دوت أصداء الشبيبة الموهوبة (جون غارفيل، وليوتر ادلر، وادوارد برومبرغ). تمَّ في «غروب تياتر» إخراج مسرحيات لأولئك المسرحيين الكبار أمثال أندرسون، وشو، وساروويان، وغرين، وكيتيلي، ولاوسون. كان «غروب تياتر» يعتمد إلى حد بعيد المبادئ الواقعية الرئيسية للمسرح المعاصر، ولا سيَّما على مخات. وفيه تم أداء منظومة ستانسلافسكي بصورة إبداعية.

وفي «غروب تياتر» بالذات تكونت موهبة أحد أكثر المسرحيين إمتاعاً في «السنوات الحمر العشر» - كليفورد اوديتس (١٩٠٦-١٩٦٣)، القريب في تلك الفترة من الأوساط اليسارية. عرض أوديتس، الذي يملك تجربة العمل كممثل ومخرج، لأول مرة المسرحية الشهيرة المؤلفة من فصل واحد «بانتظار المصعد» (١٩٣٥)، التي أصبحت علامة في تاريخ المسرح الأمريكي. إن الأساس الوثائقي للمسرحية المكتوبة بالأسلوب «الدعائي التحريضي» انطلق من إضراب سائقي السيارات الصغيرة في نيويورك. اقترح أوديتس على المشاهدين عدداً من الأساليب: أخرج كل المشاركين إلى خشبة المسرح، التي أصبحت وكأنها منبر لاجتماع نقابي جماهيري، وأدخلهم في المشهد بمساعدة الممثلين الثانويين، المرتبطين فقط بالنزاع المركزي للأحداث. وعند ذلك أصبح المشاهد كما لو أنه مشارك في الاجتماع.

إن المسرحية التي ألهمت حماساً ثورياً، أثارت صدى اجتماعياً حياً: كانت تنشأ في كل مكان مجموعات مسرحية تعمل على إخراجها. وها هو

كليرمان يتذكر العرض الأول للمسرحية: «أصبح الممثلون والمشاهدون وحدة كاملة... لقد وجدت شبيبتنا صوتها»(١).

يبتعد أوديتس في رواياته التالية في الثلاثينيات وبداية الأربعينيات عن الأسلوب الدعائي المباشر الذي استخدمه في بواكيره. إنه ينجذب إلى تصوير ممثلي «الطبقة الوسطى» المعروفة لديه، وسكان بروكلين، وإلى التصادمات داخل الأسر التي كانت في حقل نظره، إلا أنها تملك قيمة اجتماعية ذات دلالة. إن أوديتس وجداني، وموسيقي، وتجتمع لديه بصورة شاعرية الفكاهة ودقة التفاصيل الحياتية.

كان في مسرحيته الدرامية «ما زلت حياً» أحد الأوائل الذين توجهوا إلى الموضوع المعدي للفاشية. إن صدام مبدأي - النثر، والشعر، البرجوازيين الصغيرين، والبرجزة المتجمدة مع الانتفاضة نحو الحرية، ونحو الحياة المزدهرة الكريمة - هو الذي يحدد الحماسة في إحدى أفضل مسرحياته - «استيقظ واشرب» (١٩٣٥). أما في مسرحيته «الصبي الذهبي» (١٩٣٧)، وهي عمله الموهوب الآخر، فإن بطلها جو بونابرت، عازف الكمان، الذي أصبح ملاكماً، والذي وقع في أيدي رجال الأعمال المهتمين بالرياضة، إنه يبين في هذه المسرحية أهمية ذلك الموضوع ذي القيمة الأخلاقية - المعنوية بالنسبة للأدب في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يجب دفع ثمنها لقاء النجاح المزعوم. إن الظاهرات المتأزمة في العائلة البرجوازية - هي موضوع مسرحيتي «الجنة المفقودة» (١٩٣٥) و«الطيران إلى القمر» (١٩٣٨).

لقد تم إخراج عدد من المسرحيات الأخرى في «غروب تياتر» التي تتميز بأهمية اجتماعية ملحة. وكانت المسرحية الدرامية «ادفنوا الموتى»

---

(١)Truman H. Fervent Years N.Y., 1957, p. 138-139.

(١٩٣٦) لإيرفين شو (١٩١٣-١٩٨٤) مفعمة بالاحتجاج الحار المعادي للحرب.

وأثارت مسرحية سيدني كينغيل (ولد عام ١٩٠٦) «الناس في الأبيض» (١٩٣٣) صدىً اجتماعياً. كانت مكرسة لعمل الأطباء، وكذلك الأمر بالنسبة لمسرحية «المأزق» (١٩٣٥)، حول حياة سكان الأحياء الفقيرة في نيويورك. أخرج «غروب تياتر» المسرحية الأولى لـ ويليام سارويان (١٩٠٨-١٩٨١) «في جبال قلبي» (١٩٣٩) ولاقت نجاحاً صاخباً، وكانت مسرحيته الدرامية الثانية - «طريق حياتكم» (١٩٤٠) مفاجأة مثيرة كذلك.

أصبح نشاط المجموعات الفنية من الطراز الجديد في أطر المشروع الفدرالي المسرحي (١٩٣٥-١٩٣٩)، الذي أنشئ بتمويل من حكومة روزفلت (لعب هاري هويكينز دوراً كبيراً في هذه البداية) بهدف تأمين العمل لأناس المهنة الفنية، من مخرجين، ومنتجين، ورسامين، وممثلين، ظاهرة مهمة بصورة عميقة في الحياة المسرحية أعوام الثلاثينيات. لقد ترأس هذا المشروع الفدرالي المسرحي هيللي فلينيغن (١٨٩٠-١٩٦٩)، وهو مخرج وشخصية مسرحية وناقد وإنسان ذو عزيمة جبارة وموهبة تنظيمية، والذي استخدم في نشاطه تجربة المسرح السوفييتي الجديد أيضاً.

إن السعي لإيجاد طريق إلى الجمهور الواسع من المشاهدين مارس التأثير على عمله في المشروع الفدرالي المسرحي، ففي أطره أنشئ ١٦٠ مسرحاً، وبلغ عدد العاملين فيها ١٢ ألف شخص، وتمّ إخراج ألف مسرحية بمختلف المواضيع. كانت بطاقات الدخول إلى المسارح الفدرالية لمشاهدة العروض رخيصة نسبياً بالنسبة لعشرات الآلاف من الأمريكيين هي أول ارتباط مع عالم الفن المسرحي.

تمّ في هذا المشروع التكيف مع مختلف العروض المتنوعة، بما في ذلك الكلاسيكية منها. وقد تم إخراج أعمال المسرحيين الأوروبيين أمثال (ب. شو، وت.س. اليوت، واي. توللير، وف. وولف)، ولكن النواة الأساسية للعروض كانت المسرحيات المعاصرة للمسرحيين من مختلف الأنماط والاتجاهات الفكرية مثل («النشيد القتالي» لـ م. غولد، وم. يلبنكفورت، و«هاييتي» لـ او. اي. ب. ديوبوا، و«ايب لينكولن في ايللينوي» لـ ر. شيروود وغيرهم).

إن المسارح، الداخلة في منظومة المشروع الفدرالي المسرحي، توجهت إلى شكل الفن المسرحي الجديد، وإلى ما يسمى «الجريدة الحية» - ذلك الفن الفعال، والمستجيب يومياً للأحداث السياسية، الذي يجمع بين الريبورتاج والتصوير الفني. في «الجريدة الحية» ظهرت «الحيوية»، المقدمة من قبل الفرقة النيو- يوركية التابعة للمشروع الفدرالي المسرحي، والتي كان محتواها عبارة عن «اختزال» فريد لجلسات المحكمة العليا، المكرسة لتطوير ولاية تينيسي. لقد صُوِّرت أعضاء المحكمة كتسعة أقنعة صماء، توجهت إليهم بالخطاب شخصيات حية، لكنها لم تحصل على أي جواب.

تحولت بعض تمثيليات المشروع الفدرالي المسرحي إلى أحداث ذات صدى وطني واجتماعي عام. وهكذا فإن رواية س. لويس الملتهبة المعادية للفاشية «لا يمكن ذلك عندنا» قد تم تحويله إلى مسرحية من قبل المؤلف جون موفيت. جرى العرض الأول في تشرين الأول عام ١٩٣٦، وتم عرضه بنفس الوقت في ٢١ مسرحاً في ١٠ مدن كبيرة من مدن البلاد (في نيويورك، وشيكاغو، وديترويت، وبوسطن وغيرها)، إذ كانت توجد مسارح فدرالية.

وبالإضافة لذلك، فإن الفرق عرضت هذه التمثيلية في عدد من المدن الأخرى، وقوبلت فيها باهتمام حي. استمر عرض هذه التمثيلية في مختلف المسارح بصورة عامة ٢٦٠ أسبوعاً، وشاهدها أكثر من ربع مليون شخص. كان المشروع الفدرالي المسرحي حسب رأي المختص في الفن المسرحي ك. ويتللير «مسرحاً جماهيرياً، توجه إلى شعب الولايات المتحدة»، وظهرت فيه «نزعة شيوعية معادية للفاشستية»، و«خطٌّ داعمٌ للعمال وفي مصلحة استئصال التمييز العنصري[١]». أثار كل ذلك حنق الأوساط الرجعية: تم استدعاء قادة المشروع الفدرالي المسرحي إلى جلسة مجلس الشيوخ، التي تبحث في مسألة «التغلغل الشيوعي» في المسارح الفدرالية. ولقد توقف عمل هذه المسارح بعد أن تم حرمانها من الإعانات الحكومية.

بدأت الخطوات الأولى لإنشاء مسرح زنجي ما بين أعوام ٢٠-٣٠. ولقد شارك على وجه الخصوص في إنشاء فرق زنجية الشاعر لينغستون هيوز، الذي كان يظهر اهتماماً ثابتاً تجاه الفن المسرحي: «سيوتكيس تياتر» في هارلم، و«نيغرو آرت تياتر» في لوس - أنجلوس.

إن أبطال هيوز هم - «أناس صغار»، سكان زنوج في غيوتات المدن، ذوو نطق خاص بهم، وجملة مفاهيم وطموحات خاصة. يستخدم هيوز بنجاح في المسرحية ذات الفصل الواحد «هل تريدون أن تكونوا أحراراً ؟» التي كتبها لأجل «سيوتكيس تياتر»، العناصر الفلكلورية، البلوز والسبيريتشويلز. وفي مسرحيته الأخرى «الخلاسي» (١٩٣٥)، المكتوبة على أرضية قصته القصيرة

---

(١) استشهاد بـ: Witter C.J. Some Social Trends in W.P.A. Dpama. The catholic Univ. of America press, 1939, p. 118.

«الأب والابن» من مجموعته «أخلاق البيض» - يصور القصة التراجيدية لابن مزارع أبيض كبير وزنجية، الذي انتفض ضد قسوة والده - لقد تم إخراجها في برودواي، إذ عرضت خلال عام، وقدمت فيما بعد في المقاطعات. مارست الفرقة الزنجية نشاطها كذلك في أطر المشروع الفدرالي المسرحي. ففي عام ١٩٤٠ تم إنشاء المسرح الزنجي الأمريكي. الذي أخرج مسرحيات نابعة من حياة السود. يتقدم عدد من الممثلين المسرحيين الزنوج المزدهرين، ويتميز من بينهم إيتيل ووترز وكندي لي، الذي أدى دور بيتر توماس في الرواية التي تحولت إلى مسرحية «ابن أمريكا» لـ ر. رايت.

لامس اقتحام الحيوية السياسية لمجال الفن المسرحي والمسرح، والانعطاف إلى اليسار في تلك الأعوام، كما أشار إلى ذلك الكثير من أساتذة الثقافة، وعلى الأخص إيلمير رايس المنوه عنه. إنه يقترب في الثلاثينيات من الأوساط اليسارية، ويقف ضد الرقابة، في الدفاع عن حقوق المواطنة، ويحاول إنشاء مسرح للفن الشعبي، متوجه إلى الجماهير الديمقراطية، لكنه لم يفلح بتحقيق هدفه هذا. ظهرت هذه النزعات الجديدة في إبداعه في مسرحيته الدرامية «نحن الشعب» (١٩٣٣)، وفي محاولته لإعطاء بانوراما واسعة لأمريكا بعد الأزمة بوسائل مسرحية، وتقديم «مقطع» للبناء الاجتماعي للمجتمع.

انعكست في مسرحية «يوم الحكم» (١٩٣٤) بعض ظروف الحكم على ديمتروف، إنها تدين الاستبداد الإرهابي الفاشي. ولقد جرى متابعة هذا الموضوع في مسرحية «المشهد الأمريكي» (١٩٣٨)، التي تدعو إلى الدفاع عن النزعات الديمقراطية، وتحذر من الخطر الفاشستي في وجه «الوطني»، الأمر الذي أكسب هذه المسرحية أهمية حيوية في النصف الثاني من الثلاثينيات. ألهمت الحماسة المعادية للفاشستية مسرحيته «الطيران إلى الغرب» (١٩٤٠)،

ووجدت الأحداث الإسبانية كذلك انعكاساً لها في الفن المسرحي، وعلى الأخص، في المسرحية الوحيدة المكتوبة من قبل همنغواي «الطابور الخامس» (١٩٣٧)، إذ كان بطلها هو نشاط الاستخبارات المعادية للتجسس في مدريد، التي تحارب ضد النشاط السري الفاشستي.

استمروا في برودواي بإخراج الأعمال السطحية، المسلية في سنوات الحرب العالمية الثانية. بيد أن المسرح الجدي كان يستوعب بصورة حيوية الفن المسرحي ذي التوجه المعادي للفاشية. وتشهد على ذلك المسرحيات التي تم التنويه عنها لـ م. أندرسون، واي. رايس وكذلك المؤلفات الدرامية لـ ل. هيلمان، وت. وايلدر، ج. شتينبك، الذي تمَّ تحويل قصته «غاب القمر» إلى عمل مسرحي. التي تعلَّق موضوعها بمقاومة النروجيين للاحتلال النازي. وفي أعوام ١٩٣٩-١٩٤٥، كان هناك شعور بالنقص في المسرحيات الابتكارية، وكان المسرح غالباً ما يتوجه إلى الأعمال النثرية ذات الشعبية وتحويلها إلى مسرحيات.

كانت أعوام الثلاثينيات هي الزمن الأفضل بالنسبة لإبداع ليليان هيلمان (١٩٠٥-١٩٨٤)، أستاذة «المسرحية المصنوعة بصورة جيدة»، والعالمة النفسية، والقادرة على نقل الحركة إلى روح شخصياتها وسماتها الاجتماعية. لقد أعلنت هيلمان عن نفسها في مسرحية «ساعة الأطفال» (١٩٣٤)، التي لم تنقطع عن خشبة المسرح لمدة طويلة: إن الحديث يجري فيها عن المصير المر لتلميذي مدرسة، أصبحا ضحية الاضطهاد الحقود من قبل ضيقي التفكير. وفي مسرحيتها التالية - «سيحل اليوم» (١٩٣٦) توجهت إلى إضراب مصنع في بلدة صغيرة. كانت هيلمان في عداد شخصيات الثقافة الأمريكية التي ذهبت إلى إسبانيا الجمهورية، واتخذت موقفاً صلباً ضد الفاشستية.

وعرضت هيلمان في تحفتها المسرحية - مسرحية «الثعالب» (١٩٣٩) من خلال المثال الذي قدمته عن عائلة هابارد الجنوبية البرجوازية - الأرستقراطية معالجة مقنعة ومؤثرة للموضوع الكلاسيكي: السلطة، والمال فوق الناس وقوتها الهدامة. وبعد الأداء الرائع في نيويورك (إذ قامت لولا بينكهيد بأداء دور ريجينا) بدأت المسرحية موكبها المظفر في مسارح العالم.

وفي مركز مسرحية «الحراسة على الرين» (١٩٤١)، التي نالت كذلك عدد من الجوائز العالية - لـ كورت ميوللر، المعادي للفاشستية والثوري. دوَّى في العمل موضوع الإنسانية الحقيقية، المتنامي مع المسالمة تجاه حملة الشر. في هذه المسرحية تمَّ الحديث عن استيقاظ الناس غير المبالين بالسياسة (من خلال المثال الذي قدته عن عائلة فيريللي)، الذين يبدؤون بوعي كل الخطر الذي يخيم فوق البشرية من التهديد «الرمادي». تعمل هيلمان أثناء الحرب في هوليوود، وتكتب السيناريو السينمائي «النجمة الشمالية» حول نضال الناس السوفييت ضد الفاشستية. وفي مسرحية «عصفة الريح» (١٩٤٤) فإن هيلمان ومن خلال استعادتها التاريخية أظهرت من خلال المثال الذي قدمته عن مصير الدبلوماسي الأمريكي أليكس هيزين كم هي مميتة سياسة الإغضاء عن العدوان النازي. يحتل تورنتون وايلدير منزلة متعددة بين مسرحيي أعوام الثلاثينيات. إن الفكرة تتلخص في أن المسرح ينقل ما هو «عام»، وتتجسد فيه بصورة ساطعة المسرحية الشهيرة، المفعمة بالحماسة الإنسانية «بلدتنا». إن وايلدير ينجذب إلى الفلسفة ذات الطابع العالمي، وفي الوقت نفسه لم يكن أصمَّ تجاه القضايا الاجتماعية الملموسة، التي تمس مواطنيه. في مسرحية «قرة العين» (١٩٤٢)، التي تبعث بشكل رمزي - مجازي تاريخ الحضارة الإنسانية بدءاً من عصر

«سكان الكهوف» المبكر، تتنبأ من خلال تلميحاتها بالحرب العالمية الثانية، وتمتلئ بالمواضيع المعادية للفاشستية، عرضت المسرحية في أوروبا المتحررة من السيطرة النازية بنجاح.

إن أعوام العشرينيات والثلاثينيات كانت عصراً كلاسيكياً بصورة حقيقية بالنسبة للمسرح وللفن المسرحي الأمريكي، اللذين أصبحا ظاهرة عالمية بمقاييسها. ولقد تمت ملاحظة تطورهما سواء من خلال الإنجازات المهمة في مجال تنوع المواضيع الفكرية، أو الأبحاث المثمرة في المجال الفني. ويبرز أثر يو اونيل وعمقه النفسي والفلسفي من خلال مجموعة من المسرحيين الموهوبين والابتكاريين، الذين دوت في إبداعاتهم، وبصفة خاصة في أعوام الثلاثينيات، وبقوة كبيرة أفكار الدفاع عن الديمقراطية الحقيقية، وإدانة الفاشستية، وتجلّى فيه الاهتمام بمصائر الناس البسطاء. إن الجيل الجديد من المسرحيين الذي جاء بعد الحرب العالمية الثانية (ت. ويليامز، وا. ميللر، واي أولبي، ول. هينسبيري وغيرهم) يعتمدون إلى حد بعيد على أفضل ما أبدعته الدراما الاجتماعية والمسرح في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الثلاثينيات والأربعينيات.

٣- الفن التشكيلي

تميز تاريخ الفن الأمريكي في تلك الفترة بظهور عدد من التيارات، وباحتدام النضال بين المذهب العصري (الحداثي) وبين المذهب الواقعي.

تعاظم انتشار المذهب العصري في الفن الأمريكي في أعوام العشرينيات. إن المذهب العصري المرتبط بصورة وثيقة مع المدرسة اللاعقلية والمدرسة الذاتية، والمتشائمة هو مذهب رجعي من إذ جوهره، ووقف منذ البداية في الولايات المتحدة الأمريكية كمدافع عن المجتمع الرأسمالي، معتمداً بصورة

دائمة على دعمه. كانت المدرسة العصرية الأمريكية تمثل دائماً خط التراجع الفني. لقد ساعد الفنانون الأوروبيون الذين أتوا إلى نيويورك في سنوات الحرب العالمية الأولى على ازدهار المدرسة الشكلية في الفن الأمريكي عموماً. لم يكن لهذا التيار من وجود، ولم يكن ليذهب إليه الفنانون الأمريكيون- العصريون بأنفسهم. إن الفوفية والتكعيبية، والتجريدية، والمستقبلية التي وصلت إلى أوج تطورها في أوروبا، وجدت على الأرض الأمريكية تربة مباركة.

ومن بين الأعداد الكثيرة من العصريين الأمريكان، الذين برزوا منذ نهاية السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، كان هناك أناس من مختلف درجات الموهبة وصدق النية. لم يكن إبداعهم مرتبطاً بمنجزات الفنانين الأوروبيين فقط، وإنما بالنفي الواضح للنزعة التقليدية الأمريكية. إن الأبحاث عن أشكال جديدة، وعن حلول فراغية ومزدهرة كانت مسألة مهمة بصورة حقيقية بالنسبة للفن التصويري الأمريكي. كان الرسامون- المجربون يعطون للشكل الأهمية الرئيسية، بيد أنه بحكم مجيئهم فيما بعد، فإن المذهب العصري الأمريكي في السنوات الـ ١٠-٢٠ سنة الأولى من القرن العشرين كان مختلفاً عن الأوروبي بحكم مجيئه فيما بعد وحال التمرد الكريه على الواقع والنزعة العقلية. ومع ذلك فإن المذهب العصري الأمريكي كان يتميز بالتناقض الداخلي وبالاصطفائية. إن إبداع ماكس فيبير (١٨٨١-١٩٧٤) الذي درس في باريس مع ماتيس هو مثال مميز في هذا المجال. امتزجت في أعماله مبادئ المدرسة التكعيبية والفوفية («مظهر داخلي لطبيعة صامتة»، ١٩١٨). لقد كان آرتور دووف (١٨٨٠-١٩٤٦) في بداية إبداعه قريباً من تصوير الطبيعة الواقعي، لكنه أصبح في أواسط العشرينيات أحد أوائل التجريديين الأمريكان المشهورين. إن الرسامين التجريديين المشهورين في الولايات المتحدة الأمريكية

على غرار م. هارتلي (١٨٨٧-١٩٤٣)، ود. ميرين (١٨٧٠-١٩٥٣)، وتس. ديموت (١٨٨٣-١٩٣٥) قد أبدعوا إلى جانب أعمالهم الشكلانية عدداً غير قليل من المناظر الواقعية الملونة الدقيقة، والشاعرية بآن واحد. لقد جُمع في إبداع مؤسسي الاتجاه اللاعقلاني تش. شيللر (١٨٨٣-١٩٦٥)، وود. ستيللي (١٨٧٩-١٩٤٦) بصورة فريدة تأثير المدرسة التكعيبية والسعي الواضح لتصوير ديناميكية الحياة الأمريكية وإغناء المنجزات الهندسية والتكتيكية (تش. شيللر «سطح السفينة الأعلى»، ١٩٢٩، ود. ستيللا «منظر طبيعي أمريكي»، ١٩٢٩). وترافق تطور الاتجاهات الشكلانية بفقدان الخصائص الوظيفية في الفن التشكيلي.

جرى في تلك الأعوام تطور لاحق للتصوير الأمريكي الواقعي، المرتبط بصورة عضوية بعقيدته التقدمية. يحوي الفن الواقعي على عدد من الصفات الجاذبة، التي تؤكد المثل المدنية والأخلاقية الرفيعة، وتدافع عن الأصالة الوطنية، وتتابع تقاليد الفنانين الواقعيين الأمريكان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إن إبداع الرسامين الواقعيين في القرن العشرين ممتلئ أيضاً بالمحتوى الاجتماعي الحاد، وبتعاظم الموقف الاجتماعي - الانتقادي تجاه الواقع ونواحيه الجديدة المترافقة معه، والرؤية، والأبحاث المتوترة والتركيبية، والمزدهرة المتعلقة بالحلول. لقد تحول إبداع الرسامين الرئيسيين إلى نقد النظام القائم، والمثال المتميز على ذلك في هذا المجال هو إبداع جورج ويسلي بلواز (١٨٨٢-١٩٢٥) وادوارد هوبير (١٨٨٢-١٩٦٧).

لم يكن عمر بلواز ٣٠ عاماً، عندما اعتُرف به كرسام كبير في الولايات المتحدة الأمريكية دون قيد أو شرط. كان الأكاديمي الأكثر شباباً في أكاديمية الرسم الأمريكية. لكن حياته انقطعت باكراً جداً إذ توفي وعمره لا يتجاوز ٤٣

عاماً وهو في كامل قوته، وذروة مجده. إن التراث الذي تركه - هو عبارة عن صور رائعة ولوحات متعلقة بالموضوع الرياضي، ومناظر طبيعية، وطباعة على الحجر، وأخيراً أفكار لا تتحدث فقط عن إبداعه، وإنما عن مواقفه المدنية. لقد استمد بلواز مواضيعه وصوره من الواقع الأمريكي، وكان مرتبطاً بتقاليد أساتذة الفن في القرن التاسع عشر. ويشهد على ذلك مثلاً أول عمل مشهور له لوحة «راهنوا على شاركا» التي تميزت بالدرامية، والانطباعية، والمسرحية. إن الأبحاث عن الحلول التلوينية تجسدت بصورة خاصة في المناظر الطبيعية للرسام وبشكل خاص عمله («الحصان الأبيض» ١٩٢٢).

يذهب بلواز مع جون ريد في أعوام الحرب العالمية الأولى إلى جبهة البلقان. وفي تموز عام ١٩١٧ كتب الرسام في مجلة «ميسيز»: إنني مواطن الجمال. أنا مستعد للانضمام إلى أي جيش، كي أجعل العالم أكثر روعة. إنني أكره فكرة الحرب، أنني - من أجل الديمقراطية يمكن أن أسمى ثورياً... قبل أي شيء أنا رسام تهمني الحياة بصورة عميقة، أريد رؤيتها والكتابة عنها...»[1]. تعود لوحة بلواز المنحوتة على الحجر، والمشهورة «البركة في جورجيا» إلى عام ١٩١٦. وهي من الناحية الخارجية تركيب هادئ، إلا أن اللوحة تبدو كأنها تنفجر من الداخل بسبب عدم العدالة الكامنة في اللوحة، إنها (لزنوج مقيدين بالأصفاد ويقوم كاهن أبيض بالصلاة بينهم). لقد ظهرت القيمة العميقة لنماذج هذا الرسام في اللوحات الهادئة والحكيمة التي تعبر عن موقفه من الحياة، والروح الطيبة، والمنسجمة والعظيمة للناس. في لوحته «آنا في الأبيض» (١٩٢٠) - تظهر ابنة الفنان - وهي تترك انطباعاً بانسجام وموسيقية البناء العاطفي العام، والإيقاعي بالنسبة لويستلير. إن «لوحة العمة آنا» - هي واحدة من أهم الأعمال الرائعة

---

(١) Morgan Ch. G. Bellows – Painter of America N.Y. 1965, p. 83.

للرسام. يمكن وضعها في صف واحد إلى جانب «لوحة ويتمان»، لـ ت. إيكينز، و«لوحة الأم» لـ ج. ويستلير. يمكن أن نسمي من خزينة بلواز الفنية واحدة من أعماله الأخيرة - اللوحة التي رسمها عام ١٩٢٠ «اليونور، وجين، وأنّا». إنها إحدى أفضل اللوحات الجماعية في الفن الأمريكي في القرن العشرين.

كان إدوار هوبّر معاصراً لبلواز. لقد درس بإتقان الفن الأوروبي، وأصبح الأمر الرئيسي في إبداعه هو موضوع حياة المدن المعاصرة الكبيرة. في أعوام ١٩١٩-١٩٢٣، أبدع ٥٢ نقشاً على الحجر مكرسة للمدن الأمريكية. ووجدت منجزاته في الرسم تطوراً لاحقاً لها في التصوير.

كانت مشاعر الرسام المتلمس للمعاصرة تسمح له بأن يخلق تصاميم تركيبية جديدة في المنظر الطبيعي. يطور هوبّير في لوحاته - خط سكة الحديد، وطرق السيارات، والجسور، وأكشاك التلفون، والمحطات تزويد السيارات بالوقود، والمنارات التي تقف وحيدة وغيرها، يطور موضوع المدينة في رسومه المائية (ساعده على ذلك صيف ١٩٢٣، وما تم إنجازه في غلوتشستر). إن لوحة «صباح يوم الأحد الباكر» - هي واحدة من لوحات هوبّير الشهيرة (١٩٣٠). إذ يصور الرسام شارعاً صغيراً هادئاً تُطل عليه أبنية مؤلفة من طابقين. إن اللوحة مرسومة بعواطف دافئة، وبظلال ناعمة ومتنوعة، قد تم بناء التركيب فيها بصورة يبدو معها الشارع لا نهائياً.

إن الرسم التخطيطي، والتأثيرات الشاقولية والأفقية يشكلان أساساً مهماً للوحة. يكتسب موضوع المدن في لوحة «جسر مانهايتين» (١٩٢٨) دوياً جديداً. ففي المدينة الحجرية الكبيرة يبدو «الإنسان العادي» وحيداً. إن تفاعل الألوان في اللوحة يظهر قاتماً، باستثناء جزء من الطريق فقط يبدو مضاءً بصورة

حادة، ويتباين في ذلك مع الخلفية العامة للوحة، بحيث تخلق اللوحة مزاجاً متعاظماً من القلق. في نهاية الثلاثينيات - وبداية الأربعينيات يُحدث هوبّير تغييراً في موضوع «حياة المدينة». يبدو وكأن البناء أو صورة «المنظر الداخلي له» «يندمجان» مع وضعية الإنسان («في صالة السينما النيويوركية» ١٩٣٩). لقد كرس الرسام للحياة الليلية للمدينة، لوحة «البواشق الليلية» (١٩٤٢). كانت عزلة الإنسان المعاصر، واحدة من المواضيع المحببة بالنسبة للرسام. إذ تظهر صور المشردين والعمال البسطاء، المحاطين بالمدينة اللامبالية في لوحاته الأولى.

يتميز هوبّير بصورة صارمة عن المدرسة الشكلانية. كان يعتبر أن «الفن، يُخلق من أجل المستقبل، وأن الأحاديث عن أن الصوت الداخلي فقط هو القادر على فهم التصوير المعاصر، كانت تساعد في نشوء فن أجواء اللامبالاة، والموضة والجهل في العالم. يجب إعادة الحرية والكرامة واللغة الحية إلى الفن[1]».

يكتسب أهمية خاصة في أعوام العشرينيات تطور الفن الأمريكي الواقعي، الذي مارست ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تأثيراتها عليه دون شك. كان هناك الكثير من الفنانين التقدميين أصدقاء مخلصين للثورة، وكان من بينهم الرسام السياسي الكبير روبيرت ماينور (١٨٨٤-١٩٥٣). الذي كان في موسكو في عام (١٩١٨-١٩١٩)، وزار موسكو أكثر من ١٠ مرات، والتقى مع ف. اي. لينين، ولعب ذلك دوراً حاسماً في تكون عقيدته. لينتسب عام ١٩٢٠ إلى صفوف الحزب الشيوعي في أمريكا، وليصبح صديقاً قريباً من او. ز. فوستر. كان مجيء ممثلي الثقافة الأمريكية التقدمية إلى الحزب يساعد على تقارب المثقفين الطليعيين مع البروليتاريا،

(١) Goodrich L. Edward Hopper N.Y., 1960, p. 134.

ولقد برز روبيرت ماينور في البلاد، ونال الشهرة لا كرسام سياسي فقط، وإنما كخطيب وكاتب اجتماعي.

إن طابع وطريق تطور الرسم التقدمي الأمريكي اللاحق تمَّ إرساؤهما في إبداع ر. ماينور. كانت صحائفه الهجائية والفاضحة، والشكل الفني الذي ابتكره، والذي كان يجسد إدانة غاضبة وصريحة للطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، معياراً فريداً من نوعه حدد منذ بداية أعوام العشرينيات صوت الرسم التقدمي في الولايات المتحدة. يوجد في اللغة الفنية لماينور ما هو عام، ورئيسي، وأساس بصفة خاصة. ومن هنا أتت فخامة وقوة رسمه. إن أفضل أعمال ماينور - «الجندي المثالي» (١٩١٩)، و«سدس الكرة الأرضية» (١٩٢٤)، و«عامان على ديللي ووركر» (١٩٢٥) - أعيدت طباعتها أكثر من مرة في صحافة العالم بأسره.

لعبت مجلة «ليبريتور» (١٩١٩-١٩٢٩) وجريدة «ديللي ووركر» التي أنشئت عام ١٩٢٤ دوراً كبيراً في تطور الرسم السياسي التقدمي الأمريكي. فعلى صفحاتها نشرت لوحات الرسامين الأمريكيين – الساخرين الكبار، أمثال فريد ايلليز (١٨٨٦-١٩٦٥)، وويليام غروبّير (١٨٩٧-١٩٧٧)، وهيوغو هيللير (١٨٩٢-١٩٨٠)، وفيل بارد (١٩١٢-١٩٦٧). كان تكمن في إبداع هؤلاء الرسامين صورة البروليتاريا، التي تدعو للنضال. إن تأثير ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى جذبت إليها شخصيات الفن التشكيلي كذلك أمثال الرسامين ر. كانت وا. ريفريجبيه. والنحات م. غاركافي والكثير غيرهم. كانت توحدهم الكراهية تجاه عدم المساواة الاجتماعية والإيمان بمستقبل أفضل. في عام ١٩٢٩ تم إنشاء منظمة (نادي جون ريد) الأدبية الفنية، التي أصبحت منذ ظهورها مركزاً للفن التقدمي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبدءاً من عام ١٩٣٠ شارك «نادي جون ريد» بنشاط في مختلف المعارض المتنوعة في موسكو، المكرسة لعرض الفن الطليعي في بلدان الرأسمال. إن نشاط النادي تجاوز الأطر الأمريكية. كانت هذه المنظمة تشارك في عمل المكتب الدولي للفنانين الثوريين.

انعكست الأزمة الاقتصادية ١٩٢٩-١٩٣٣ و«الثلاثينيات الحمر» في إبداع الفنانين: تزداد الحدة في إدراك النزاعات الاجتماعية، وعدم العدالة في النظام الرأسمالي. وتظهر في هذه الفترة التيارات الفنية التي تم التعبير عنها بدقة من خلال المخطط السياسي، مثل الاتجاه التقدمي، المرتبط بفن «الواقعيين الاجتماعيين»، والاتجاه الرجعي، الذي يتوحد مع برنامج المناطقيين (من منطقة).

«اخرجوا إلى الشارع، وأعطوا الدور الرئيسي للشعب، اخرجوا إلى المترو، وأعطوا الكلمة للشعب»[١]. هذه كلمات الرسام ريجينالد هارش (١٨٩٨-١٠٥٤) التي عكست أمزجة الرسامين الطليعيين في تلك الأعوام. أصبحت صورة الأمريكي البسيط - العامل أو المستخدم - هي المحددة في تصوير ورسم الأخوين رفائيل (ولد عام ١٨٩٩) وموزيس سوير (١٨٩٩-١٩٧٤)، وأنطون ريفريجييه (١٩٠٥-١٩٧٩). لقي الهجاء الأمريكي دوياً غاضباً في أعمال بين شان (١٨٩٨-١٩٦٩)، وفيلليب إيفرهود (١٩٠١-١٩٧٣)، وجاك ليغين (ولد عام ١٩١٥)، وويليام غروبّير (١٨٩٧-١٩٧٧). كان ريفريجييه وغروبّير مرتبطين بالفن الثوري. ومهما كانت الفوارق في إبداعهما، فإن ما وحد الرسامين هو الفهم الجديد من قبلهما لدور الفن كأداة في النضال ضد عدم العدالة الاجتماعية.

---

(١) استشهاد بـ: Larkin O. Art Life in Amepica. N.Y., 1960, p. 430.

تضاعف الاهتمام بالتصوير الأمريكي في القرن التاسع عشر بصورة استثنائية، وأُقيمت المعارض الكثيرة في نيويورك المكرسة للفن الأمريكي الواقعي. ومن جانب آخر، كانت «الواقعية الاشتراكية» أعوام الثلاثينيات مدينة بالكثير للرسامين المكسيكيين العظماء، بما في ذلك الرسامون المتقدمون الكبار دييغو ريفيرا ، وخوسيه كليمنت أوروسكو، ودافيد ألفارو سيكيروسا، الذين أبدعوا في عدد من مدن الولايات المتحدة الأمريكية لوحات جدارية، ومنمنمات رائعة. لقد توجه ب. شان، وف. ايفرهود، وا. ريفريجبيه في هذه السنوات بعينها إلى فن التصوير الفخم، متعاونين في عدد من الحالات مع الفنانين المكسيكيين.

شكلت الزخرفة الجدارية «تاريخ ريتشموند-هيلل ، التي نفذها ف. ايفرهود للمكتبة العمومية علامة شهيرة. كان ا. ريفريجبيه واحداً من أكبر الفنانين العظام في الولايات المتحدة الأمريكية. واعتبرت اللوحة الجدارية لمكتب رئيس البريد ريكون-هيلل في سان فرانسيسكو الأكثر شهرة من بين أعماله. أنشأ ريفريجبيه خلال تسع سنوات ٢٩ لوحة حائطية ضخمة، تصور كل واحدة منها صفحة ما من تاريخ ولاية كاليفورنيا، بما في ذلك الاحتلال الإسباني، والإعدامات دون محاكمة، ومشاهد من الحياة التراجيدية للثوري المشهور توم موني، ومشاهد من الحرب ضد الفاشستية.

اعتبر تطور البدايات الهجاية سواء في التصوير أو الرسم هي ما ميز أعوام الثلاثينيات. وفي هذا المجال يمكن تمييز لوحة ج. ليغين «احتفال العقل النقي» (١٩٣٧)، إذ تم فيها تصوير حكام مدينة دوبلن بصورة ساخرة وشجاعة.

إن أفضل أعمال ر. مارش مكرسة لموضوع المدينة الأمريكية وحياة المواطنين البسطاء في فترة الكساد («مقعد في حديقة» ١٩٣٥). ولقد أنشأ إيفرهود في لوحته «التراجيديا الأمريكية» (١٩٣٧) تفسيراً ملتهباً للأحداث التي هبت في شيكاغو عام ١٩٣٧، عندما ألقت الشرطة القنابل المسيلة للدموع على العمال أثناء مظاهرة عمال صهر الفولاذ. إنه يستخدم وهو يصور اصطدام العمال مع الشرطة الأشكال التعبيرية الخشنة، بهدف تحقيق تأثير اجتماعي قوي للوحته.

وعلى أرضية «الواقعية الاشتراكية» ينمو فن أحد أكبر الرسامين الواقعيين في الولايات المتحدة الأمريكية - رافائيل سويير. تحكي لوحاته عن أبناء نيويورك («قاعة الانتظار» ١٩٣٧، و«المسافرون في الأوتوبيس» ١٩٣٩، وغيرهما من اللوحات). تملك لوحات سويير اتجاهاً اجتماعياً بصورة دقيقة. إننا نرى فيها العمال - «الناس المنسيين». لقد تحدث ر. سويير الذي عاش حياة طويلة ومثمرة، عن حياته في أيامنا قائلاً: «فضلت أن أكون واقعياً وإنسانياً في الفن»[١]. إن اللوحات التي رسمها شقيقه موزيس ستويير - هي استمرار يستحق الاعتبار لتقاليد روبيرت هنري.

يُعتبر الرسام الزنجي جاكوب لورنس (ولد عام ١٩١٧) قريب من «الواقعية الاجتماعية»، لقد أبدى هذا الفنان الحكّاء اهتماماً كبيراً بالمسائل الاجتماعية. يجري الموضوع القصصي المتطور عند لورانس بصورة حادة، وحماسية في لوحات («النزوح»، و«جون براون» وغيرهما). أما الشخصية المركزية في «فن السود» فهي تشارلز وايت (ولد عام ١٩١٩)، الذي كان يجسد في أعماله حياة وكدح ونضال الشعب الزنجي. وقد تمَّ تقييم إبداعه تقييماً عالياً

(١) American Painting, 1900-1970. N.Y., 1970, p. 101.

من تلك الشخصيات التقدمية الثقافية الأمريكية أمثال بول روبنسون، وهاري بيلافونت، روكويلل كنت، وويليام دوبوا. بدأ وايت العمل في أعوام الثلاثينيات في الرسم، وشارك في المعارض، المقامة في متاحف الصور الفنية للرسامين المعاصرين، مع ج. ليغين، واو. غروبيرم ور. سويير، وا. ريفيربجييه. خدم في الجيش في عام ١٩٤٢-١٩٤٣. وفي عام ١٩٤٣ تم في بوسطن في معهد الفن المعاصر إقامة أول معرض شخصي له. كان الشعب الزنجي البطل الرئيسي لصفحات رسمه ولوحاته التصويرية. إن الشخصيات التي رسمها تميزت بقوة التوترات العاطفية، إنها مهيبة، وفيها تشعر بقوة الشكيمة، وإرادة الطباع. لقد أخصب فن الزنوج بحفاظه على اصطلاحيته ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية، محولاً أياماً إلى ظاهرة غير متكررة في فرادتها.

يدمج فن تش. رايت بصورة مدهشة في داخله القضايا الإنسانية العامة لحياة الشعب الزنجي. لم تكن أعماله تتميز على خلفية «فن الزنوج» فقط، ولكنها تميزت في الفن التقدمي أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن بين المصورين الزنوج سار الكثيرون منهم على طريق الرسامين الأمريكان الحداثويين. وهكذا أضاعوا السمات الوطنية في إبداعاتهم.

كان بين شان من الشخصيات المتميزة كثيراً في مجموعة «الواقعيين الاجتماعيين». وقد ظهر موقفه الحياتي والجمالي الفعال بوضوح في سلسلة اللوحات المائية المتعلقة بالموضوع الاجتماعي، المكرس لساكو وفانزيتي (١٩٣١-١٩٣٢). واختتمت هذه السلسلة باللوحة الكبيرة، المنفذة بالألوان - «أشوق ساكو وفانزيتي».

إن التركيب المؤلف من شخصيات عديدة قد تمَّ بناؤه حسب مبدأ الزخرفة الباهرة. تتوحد فيها أحداث في أوقات مختلفة. تعتبر شخصيتا ساكو

وفانزيتي المركز المنطقي والتركيبي فيها، وكأن هاتين الشخصيتين تعلوان على خلفية سماء زرقاء مرسومة بحرية وبصورة واسعة. وعلى اليسار منهما، على خلفية حائط قرميدي أحمر بصورة ساطعة، يجسد دم القتيلين، تم تصوير مجموعة من الناس، يطالبون بالحرية للمعتقلين. وأخيراً، على اليمين وعلى خلفية بناء المحكمة مع صورة القاضي تايير-جسدا ساكو وفانزيتي، إذ يقف قربهما الكاهن والقاضي بوجهين كئيبين والنرجس في أيديهما. إن القسم الأول من اللوحة يهز بقوته الفاضحة، فالوقار الخارجي لحماة القانون قد صور بسخرية غير مستترة. تدعو اللوحة للنضال من أجل حقوق الطبقة العاملة.

في عام ١٩٣٨ تم وضع سلسلة أخرى من الرسومات المائية ولوحة كبيرة بالألوان مكرسة لذكرى توم موني أمام حكم المشاهدين. يستمر هنا فضح القضاء الأمريكي. وبعد العمل المشترك مع د. ريفيرا في مركز روكفلر يرسم شان عدداً من الزخرفات الحائطية. أصبحت الزخرفة الأشهر من بينها هي الزخرفة الملونة في جمعية حرس المزارعين (١٩٣٥-١٩٣٨) باسم «الديمقراطية تتمسك بنا» - هذه الكلمات المكتوبة على الجدار لوايتمان تكشف المحتوى الفكري للوحة.

كان شان يعير الاهتمام الكبير في أفضل أعماله في الرسم والتصوير للمسات النفسية للشخصية. وهكذا تم إنشاء لوحات واقعية مثل «العاطلون عن العمل» (١٩٣٨)، و«عمال اللحام» (١٩٤٠)، ورسومات لأجل لافتة «نحن نطالب بالسلم» (١٩٤٦). إن موضوع الناس المنهكين جسدياً وروحياً من الحرب يجد تعبيراً دقيقاً وعاطفياً له في لوحة «الدرج الأحمر» (١٩٤٤) التراجيدية بصورة عميقة من حيث دويها.

لم ينتمِ شان لفناني الحداثة، لأن المقاييس الاجتماعية بالنسبة له وقبل كل شيء هي التي كانت تحدد موقفه. كان يتكلم على ذلك بصورة متكررة في محاضراته أمام الطلاب، وكان يكتب في مقالاته «كل عجلات البزنس والإعلانات تدور ليل نهار، من أجل أن تبرهن على الكذب، وكأن أمريكا تبتسم. إنهم يرغبون بأن أضيف ٢ بالمئة التي تخصني، لكن لا !».

إن بين شان كالكثير غيره من «الواقعيين الاجتماعيين» أصبح فيما بعد مناهضاً للفاشستية.

يملك الطريق التصويري والإبداعي لـ روكويلل كنت (١٨٨٢-١٩٧١) أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الفن الواقعي في الولايات المتحدة الأمريكية. إن كنت الحائز جائزة لينين الدولية للسلم، ورئيس جمعية الصداقة الأمريكية-السوفييتية - المواطن والرسام - هو شخصية كبيرة، لا في فن الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين فقط، بل على نطاق كل الثقافة العالمية المعاصرة.

لقد أنهى كنت كلية العمارة في جامعة كولومبيا، وتعلم بعد ذلك عند روبيرت هنري، الذي كان معجباً به دون أدنى شك. وبتوصية من الأخير توجه كنت إلى جزيرة مانهاتن (عند شواطئ ولاية مين) إذ يبدأ لأول مرة بدراسة التصوير بشكل جدي، ونتيجة ذلك ظهرت لوحات كثيرة له، كان يمكن أن نميز من بينها «عمال البحر» (١٩٠٧). يشعر كنت بصورة رائعة بعمق الفراغ، وتمتلك رؤياه اتساعاً، وبانورامية وتركيباً، وغنىً فكرياً، وتطمح إلى اللانهاية.

في عام ١٩١٨ يتوجه كنت مع ابنه ذي الـ ١٩ عاماً إلى ألاسكا، إذ يقضي هناك عاماً كاملاً. إن المناظر التي رسمها في ذلك الوقت تتميز بشاعرية خاصة («آلاسكا، منظر ثعلب الجزيرة في الشتاء» عام ١٩١٩).

يبدأ المبدأ الوجداني بالظهور في تصوير كنت أكثر فأكثر. إن هذه الخاصية تميز رسوماته لكتابه الأول أيضاً «في الناحية المقفرة» (١٩٢٠). الإنسان والخلاء، الإنسان والعالم، والجائحات الطبيعية - تلك هي الأفكار الرئيسية لإبداع كنت. «أنا أحب دقة الفكر، وقوة ووضوح الجمل» - هذه الكلمات لكنت يمكن أن تكون موضوعة كعنوان لكل أعمال الرسام تقريباً.

تزدهر موهبة الفنان في أعوام ١٩٢٠-١٩٣٤. في ذلك الوقت يرسم كنت سلسلة من الرسومات الشهيرة عن غرينلاند («الرسام في غرينلاند» ١٩٢٩، و«الزوارق الفردية» عام ١٩٣٣، و«الكلاب في خليج كانغيندلوارسوك» ١٩٣٢-١٩٣٣، و«عودة الصياد» (١٩٣٣). تحددت في هذه الأعمال فرادة تصوير كنت، وحدّة رؤياه للطبيعة، ومنطق الفضاء الواضح والتصاميم المبدئية المتباينة الرائعة.

أصبح الحفر على الخشب هو التكنيك المحبب لكنت في الرسم. كان رساماً رائعاً لكلاسيكيات الأدب الأوروبي والأمريكي. إن قائمة الكتب التي وضع كنت رسومه عليها، تصل إلى نحو مئة كتاب، ومن بينها كتب لشكسبير، وبوشكين، وويتمان، وبوكاتشو، وغيوتي، وميلفيل، وتشوسير. تميزت رسومه بالوضوح، والإيجاز والتعبير. إنها رقيقة، وخطوطها راسخة، وترسم حدود الشكل بدقة - بحيث تبقى جودة عمله لا تتجزأ. إن أسلوبها يأتي من شعور كنت المفطور عليه بما هو ملموس، وبوضوح رؤيته للعالم الواقعي وموضوعيته. يُنشر في عام ١٩٢٩، الكتاب الشعري لبوشكين «ظهور الملاك لمريم» في نيويورك بلوحات كنت، المرسومة بإيقاع ناعم ورخيم يُحس فيها القارئ بروعة شعر بوشكين: يصدر بعد ذلك كتاب «كانديد» لفوليتر، إذ يتم فيه من خلال رسومات كنت الناعمة نقل الأسلوب الفلسفي الساخر للمؤلف.

بيد أن ذروة رسوم كنت تجلت في رواية ميلفيل «موبي ديك» (١٩٣٠). إن ما يميز كنت هي علاقته الفعالة تجاه قصص الكتاب (لا يستثني ذلك تغلغله إلى العالم الفكري والمجازي للكاتب).

لقد حدث صدام بين أفكار ومشاعر الكاتب الرومانتيكي في القرن التاسع عشر ورسام القرن العشرين. اكتسبت رسوم كنت دوياً حماسياً، فأسلوبها تحدد بالإيقاع المتوتر، وملموسية التصوير، والحيوية الداخلية، والخطوط ذات الدقة الملوسة، والجمع بين الواقعي والخيالي. إن كنت خلق روايته «التخطيطية»، ولقد رسم أيضاً لكتاب «أوراق العشب» لوولت ويتمان. ظهرت في رسمه إلى حد كبير مواطنية فنه بدرجة عالية.

كان كنت يجد في تكثيف المشاعر والأفكار تعبيراً عن الفنية العالية. يبقى كنت فناناً ملتهباً ومتحمساً في الكثير من أعمال النقش على الحجر التي قام بها، («اليقظة الأبدية - ضمان الحرية»، و«قانون سميث»، و«الحريق»، و«بروميثيوث»). لقد دوى النداء إلى الحرية في هذه الأعمال بصورة مؤثرة، يقوم كنت برسم لوحات حيوية ونداءات في أعوام الحرب العالمية الثانية. إن معناها الرمزي ملآن بالمحتوى الاجتماعي الكبير (منقوشته على الخشب «يا بروليتاريا جميع البلدان اتحدوا!» ١٩٤٠). وتظهر فخامة الأسلوب الكنتي بوضوح في منحوتته على الحجر «أوروبا» (١٩٤٦). يرتفع في أجسام الأبنية الحجرية هيكل كئيب وثقيل، كأنه منحوت من الحجر كذلك. إن فكرته قاتمة، تتلوى بكاملها من سنوات الحرب الماضية. لقد حدد كنت عقيدته الإبداعية معتبراً أن «... الفن هو الأمر الرئيسي بالنسبة لنا، وكذلك يجب علينا أن نحب وندرك الحياة. إن هذا المطلب موجه لكل واحد منا. هذا المطلب - متعلق بالإخلاص للإنسان والاحترام الكبير له، وبالعمل بكل ما نستطيع، كي يتم فهمنا من قبل الناس»[1]. كانت أصالة الإبداع عند روكويل كنت

---

(١) استشهاد بـ: في ذكرى روكويل كنت، الفن، ١٩٧٢، رقم ٧، ص ٥٢.

المشبعة بالقناعات القوية، ودقة المواقف المدنية، دائماً ركيزة للفن الواقعي التقدمي في النضال ضد مذهب المعاصرة، الذي كان يمثل حسب كلمات ر. كنت «الأرض المجدبة والصحراوية المنعزلة»[1].

كان الاتجاه التقدمي - «الواقعية الاجتماعية» يجابه «مذهب ريد الشكلاني»، الذي كان برنامجه يحمل طابعاً ديماغوجياً، وكان غامضاً وغير محدد بصورة مقصودة. كان في عداد إيديولوجيي هذا الاتجاه وفنانيه المتقدمين توماس هارت بنتون (١٨٨٩-١٩٧٥)، وغرانت وود (١٨٩٢-١٩٤٢)، وجون ستيوارت كاري (١٨٩٧-١٩٤٦)، - جميعهم من أوروبا الوسطى.

اتخذ توماس وهارت وبنتون من خلال دعمهم لشعارات «الراديكاليين اليمينيين»: «أمريكا أولاً»، و«إلى الوراء نحو الأرض»، موقف التمجيد بظروف حياة المزارعين وجعلها مثالية، والدعاية بصورة فعلية لـ «الاستثنائية الأمريكية»، كانت أيديولوجيتهم محافظة ورجعية.

لقد أخذ برنامج هذا الاتجاه شكله في كراسة اهاجي فوند «تمرد ضد المدينة» ١٩٣٥، وفي كتاب بينتون «الفنان في أمريكا». إن هذين العملين موجَّهان ضد الحضارة الصناعية والتأثير الأوروبي في جميع مجالات النشاط. وهكذا، فإن بنيتون كتاب في كتابه: «... إن فئة المثقفين قد تربت على خلط المذاهب السياسية والجمالية، المنبثقة بصورة مباشرة من الفلسفة الأوروبية، المدعومة بصورة أكبر أو أقل من مختلف الوجوه بعقيدة كارل ماركس وأتباعه الروس»[2] إن أعمال بينتون وفود مليئة بالشوفينية المحاربة.

---

(١) Preiss D. Rockwell Kent – American Artist, 1972, Nov., p. 69.

(٢) المذهب الحداثي: مجموعة من المقالات. موسكو، ١٩٨٠، ص ٢٤٠.

وعلى الرغم من بياناتهم، فإنهم استخدموا في إبداعهم، وخاصة في الفترة المبكرة، مبادئ المذهب الحداثي الأوروبي بصورة واسعة، التي تجمع عناصر المدرسة التعبيرية، والتكعيبية مع تصوير المدرسة الطبيعية.

يعتبر غرانت فود هو الرسام الأكثر موهبة وإثارة («النسق القوطي الأمريكي» ١٩٣٠، و«بنات الثورة الأمريكية» ١٩٣٢). ظهرت في هذه اللوحات القناعة الكافية بموهبة فود وقدرته على خلق هجائية قوية. كان فود أيضاً مصوراً جيداً، محباً بصورة حقيقية لمروج أوروبا الوسطى والمناظر الطبيعية الأمريكية. بيد أن فود يبدو في معظم أعماله رساماً غير مبالٍ وبارداً. إن كل ما يرسمه فود لا يمكن أن يمس المشاهد، لأنه بعيد عن ما يصوره. والمثال الواضح على ذلك هو لوحته «أسطورة باستورفيمس» (١٩٣٩).

كان بينتون يعمل بصورة أساسية في التصوير الفاخر، واشتهر بالرسوم الحائطية للأبنية العامة. وكان ينعكس في أعماله ذات الأسلوب المبالغ فيه، والمشوشة من إذ الشكل، برنامج ريد الشكلاني. وكانت رسومه الجدارية مشبعة بروح القساوة.

لقد أصبح رسَّامو أوروبا الوسطى معبرين بصورة عدوانية عن الأمزجة القومية المتعصبة. وسار على خطاهم الكثير من الرسامين الأمريكان ذوي الاتجاه الشكلاني.

وفي أعوام ٣٠-٤٠ تطور المذهب التجريدي بصورة قوية في الفن الأمريكي. وساعد على تطويره إلى حد بعيد هانس هورمان (١٨٧٠-١٩٦٦)، وجوزيف أولبرز (١٨٨٨-١٩٧٢)، اللذان جاءا إلى الولايات المتحدة

الأمريكية من ألمانيا في بداية أعوام الثلاثينيات. كان أولبرز مرتبطاً بمدرسة «باوهاوز»[1]، وجذبت التجريبيين في مجال التلوين فقط.

اقترنت في إبداع هورمان بصورة واضحة مبادئ المدرسة التكعيبية والفوفية. يسميه المختصون الأمريكان في مجال النقد الفني بـ «النظري الطليعي للتصوير التجريدي»[2]. ظهرت جمعية التجريديين في نيويورك عام ١٩٣٦، وفيما بعد وبالدعم المالي من قبل غوغينهايم وروكفيللير تم إنشاء متحفي التصوير المجرد (١٩٣٧) والفن المعاصر (١٩٣٩). وهكذا، ساعدت رعاية الاحتكارات على ازدهار الفن التجريدي في الولايات المتحدة. ومنذ البداية يخوض المذهب التجريدي نضالاً أيديولوجياً حاداً ضد الواقعية الاشتراكية، التي اشتدت خصوصاً في أعوام «الحرب الباردة».

تغلغلت السريالية في تصوير الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من أعوام الثلاثينيات، وكان من بين أنصارها والمعبرين عنها جورديا أوكيف (١٨٨٧-١٩٧٣) وبيتر بلوم (ولد ١٩٠٦). لقد تم تنظيم معرض ولي للسريالية عام ١٩٣٦ في نيويورك. ومنذ عام ١٩٤١ عاش وعمل في نيويورك أندريه بريتون وأنصاره الأوروبيون. ومن عام ١٩٤٢ يصدرون مجلة باسم حماسي «vvv» - «ثلاثة فاءات»، أي انتصار ثلاثي. وفيما بعد، وعلى أرضية

---

(١) «باوهاوز» - مدرسة عليا للبناء والتصميم الفني، أسست في فيمار عام ١٩١٩، وفي عام ١٩٣٣ أغلقها الفاشيون. كان في مختلف الأعوام قادتها هم: ف. كروبيوس، وهـ. ماير، ول. ميس خان دير روي. أصبحت «باوهاوز» مركزاً أيديولوجياً وتعليمياً وإنتاجياً للحياة الفنية في أوروبا الغربية. تم هنا تكوين الفكرة الأوروبية الأساسية في أعوام العشرينيات. كانت مدرسة «باوهاوز» في نشاطها متناقضة كثيراً في مجال الفن التشكيلي.

(٢) American Painting. 1990-1970, p. 119.

السريالية في الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت «المدرسة التعبيرية التجريدية». وكان أبرز ممثليها هو - آريشل غوركي (١٠٤-١٩٤٧).

كان الرسامون التقدميون الأمريكان يشاركون مشاركة نشطة في نضال ممثلي الثقافة العالمية ضد الفاشستية. وهكذا، ففي ١٤ شباط عام ١٩٣٦ افتتح في نيويورك مؤتمر الرسامين الأمريكان. حضر المؤتمر نحو ٤٠٠ مصور، ونحات، ورسام، وكان من بينهم رسامون مكسيكيون. تكلم سكرتير الكونغرس المصور المشهور ستيوارت ديفيز قائلاً: «إن الرسامين الأمريكان أفاقوا من الفن الحداثي، ومن الحلم، الذي كانوا فيه منذ عام ١٩١٣، وبعد معرض آرموري شاو توجهوا إلى الدافع الاجتماعي. إن مؤتمرنا هو الأكثر تمثيلاً خلال الأعوام الأخيرة، يجب علينا اليوم أن نناضل لأجل السلم والأمن، اللذين هما ضروريان للرسامين إلى حد بعيد»(١).

اجتمع في المؤتمر أناس ذوو آراء سياسية متقاربة ومبادئ فنية مختلفة - بيتر بلوم، وموزيس سويير، وستيوارت ديفيز، وروكويل كنت، وأنطون ريفريجييه، وجورج بيرل، وهيوغو غيلليرت، ووبليام غوبّير وغيرهم. كانوا جميعاً موحدين في السعي كي يصبحوا في عداد الجبهة المعادية للفاشستية. جاء في قرار الكونغرس عام ١٩٣٦ أن «الوقت قد حان بالنسبة لناس، الذين يحبون الحياة والثقافة، أن يرفعوا صوتهم، وأن يكونوا مستعدين للدفاع عن المجتمع البشري»(٢).

كان الرسامون والمصورون الأمريكان أيام الحرب في إسبانيا في عداد من حارب لأجل الحرية، كان أو. غروبّير، ور. ماينور، وف. بارد في عام

---

(١) Lazkin O. Op. cit., p. 431.

(٢) The Artist's Congress – New Messes. 1936, Febr., p. 17.

١٩٣٦-١٩٣٧ في عداد المشاركين في الفيلق الأمريكي المسمى باسم أبراهام لينكولن. إن كلمة «الفاشية لن تمر» أصبحت شعار إبداعهم. ومع شخصيات الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية قام الرسامون- المعادون للفاشية ر. كنت، وا. ريفيرجييه، ور. سويير والكثيرون غيرهم بعمل اجتماعي كبير. تنشر في «نيو- ميسيز» و«ووركير» في أعوام ١٩٣٩-١٩٤٥ رسومات كاريكاتورات غاضبة ضد الفاشية لـ ف. ايلليس، واو. غروبّير، وهـ. غيلليرت. ولقد تم افتتاح «المتحف الشعبي للصور» في نيويورك، إذ عرضت أعمال أساتذة الرسم التقدميين. ولقد سمي أحد معارض الرسامين الثوريين الأمريكان بـ «أمريكا الآن ضد الحرب والفاشية».

لم يحصل النحت الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين على تطور كبير. ومع أن التقاليد الواقعية للنحات الأمريكي البارز في القرن التاسع عشر سنت - غودنس تابعها في هذه الفترة النحاتون من الجيل الأصغر - جورج غري برنارد (١٨٦٣-١٩٣٨)، الذي أنشأ الرأس المرمري للرئيس لينكولن، وجو ديفيدسون (١٨٨٣-١٩٥٢)، الذي نفذ تماثيل نصفية للكثير من الشخصيات البارزة في الفن، والأدب، والعلم («الدكتور ألبرت أينشتاين» ١٩٣٤، وصور ع. ستاين، وا. فرانس، وغيرهم). كان يعمل في فيلادلفيا هاري روزين وألكسندر كودلير-الأكبر (١٨٧٠-١٩٤٥). كان النحاتون جاكوب إيبستاين (١٨٨٠-١٩٥٩)، وايلي نادلمان (١٨٨٢-١٩٤٦)، وغاستون لاشيز (١٨٨٢-١٩٣٥) يتقدمون بأساليبهم وموادهم المختلفة. وكانت المبادئ الواقعية تكمن في إبداع ميتشيل فيلدس، ومينّي غاركافي. يدوي في أعمالهم كثيراً المواضيعُ الاجتماعيةُ. تعود إلى فيلدس «صورة الزنجي»، وإلى غاركاني «صورة هولد جاكسون» الصادق والمتحفظ من إذ

الطباع، و«رأس العامل» التعبيرية. يتميز من بين النحاتين الواقعيين في منتصف القرن وليام زوراه (١٨٨٧-١٩٦٦)، الذي كان يعمل على الخشب والحجر، وهو من قام بنصب «النصر» (١٩٤٥).

يعيش النحت الأمريكي نهوضاً نظرياً وفنياً في فكره أعوام ١٩١٨-١٩٤٥. إن بناء المدن الأمريكية في العشرينيات كان يحمل طابعاً عفوياً. أخذت ترتفع في نيويورك وشيكاغو بصورة شديدة ناطحات السحاب، وكان على المعماريين أن يصطدموا بصعوبات المدينة الرأسمالية. ومع ذلك فإن هذا الزمن تميز بعدد من المنجزات المهمة في العمارة الأمريكية.

في عام ١٩٣٧-١٩٣٨ يصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية من ألمانيا النازية معماريون بارزون مثل فالتر غروبيوس (١٨٨٣-١٩٦٩)، ولودفيغ ميس فاندير روي (١٨٨٦-١٩٦٩). يستمر في العمل كذلك ف.ل. رايت، وف. غروبيوس المشهور آنذاك كمؤلف ونظري «باوهاوزر»، الذي تمت دعوته لتولي منصب أستاذ العمارة في جامعة هارفارد. كان الداعية إلى «العمارة الشاملة» غروبيوس يعير أهمية كبيرة لإعداد المبادئ النظرية المرتبطة بإمكانيات ومهام الفن في المجتمع الصناعي. لقد حاز سمعة كبيرة بين المعماريين الأمريكان، وأصبح من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٥٢ رئيس معهد المعماريين الأمريكان.

يعود إلى غروبيوس إنشاء عدة مشاريع، وتم جزء منها بمشاركة م. بريير (عام ١٩٣٩ - جناح ولاية بنسلفانيا في المعرض العالمي في نيويورك). وفي عام ١٩٤٢ يصنع غروبيوس بمشاركة فاكسمان عدداً من مشاريع أبنية لمدينة لينكولن (ولاية ماساتشوسيتس)، وفيما بعد ينشئ بيوتاً سكنية تجريبية في لونغ-آيلند (ولاية نيويورك).

دعي لودفيغ ميس فان دير روي - وهو واحد من مؤسسي الفن المعماري العقلاني - كي يرأس قسم العمارة في المعهد التكنولوجي في شيكاغو. وفي السنوات العشر التالية تم إنشاء أحد أكثر المراكز نفوذاً لتأهيل معماريين أمريكان في معهد ايلينوي التكنولوجي. كان إنشاء مجموعة أبنية ذلك المعهد (١٩٣١-١٩٥٧) هو أول عمل تنفيذي ضخم لميس فان دير روي في الولايات المتحدة الأمريكية. وهنا بالذات تحدد الموضوع المعماري الرئيسي لبنائه في تلك الفترة الأمريكية. كان يكمن في أساسه مبدأ شمولية فضاء جناح برشلونة الشهير (جناح ألمانيا في المعرض الدولي في برشلونة عام ١٩٢٩).

يدخل لدى تصميم المجموعة مُعامل شاقولي واحد، ويستخدم كذلك هيكل معدني كأساس للبناء لا يكون من خلاله تقسيم الفضاء بحواجز ثابتاً. استعمل هذا الهيكل كأسلوب في البناء. اقترح هذا المعماري لاحقاً استخدام هيكل معدني عام مع امتلاءات زجاجية لأجل إنشاء أبنية عالية تقوم بمختلف الوظائف. لقد كتب: «إننا لن نسمح للوظائف أن تملي علينا المخطط، إننا عوضاً عن ذلك سنصمم الفضاء المناسب لمختلف الوظائف»[١].. كان تأثير نظرية ميس كبيراً في الولايات المتحدة الأمريكية.

يستحق نشاط ف.ل. رايت اهتماماً خاصاً في تلك السنوات، الذي بقي في الوطن غير معترف به، ويعيش بعزلة. استمر رايت بصياغة فكرة «العمارة العضوية». كان من غير الممكن النظر في هذه الفكرة إلى البيت كوحدة مؤثثة كغيرها، والبيوت المحيطة مثل الأخرى أيضاً... إن كل ذلك يجب أن يكون تفاصيل عامة...»[٢].

---

(١) ماتشولسكي غ.ك. ميس فان دير روي. موسكو، ١٩٦٩، ص ٧٥.

(٢) غولدشتاين ا.ف. فرانك لويد رايت، موسكو، ١٩٧٣، ص ٦٠.

إن العمارة حسب رأي رايت يجب أن تكون عضوية وطبيعية. وخلافاً عن المعماريين الأوروبيين فإن رايت كان يفترض أن «الشكل والوظيفة هما شيء واحد». كان يقف ضد «الأسلوب العالمي»، وإلى جانب الفرادة الوطنية للعمارة. فعلى سبيل المثال: إن بناء تيليزين-نورز (ولاية فيسكونسين، ١٩٢٥) يتميز بإبداع ساطع يعكس فردية هذا الأستاذ. إن منزل رايت هذا مع الورشة وبيوت العاملين هو تجسيد لفكرته التي تؤكد امتزاج العمارة بالطبيعة.

يتميز «منزل فوق الشلال» (المنزل المنفرد لكاوفمان، في بنسلفانيا-فور، عام ١٩٣٦) وبناء تيليزين-فيست (ولاية اريزونا، ١٩٣٨-١٩٥٨)، والبناء الإداري لشركة جونسون (مدينة راسين، ولاية فيسكونسين، ١٩٣٦-١٩٣٩)، ومن بين المشاريع التي نفذها رايت في أعوام الثلاثينيات.

يستحق الاهتمام كذلك نشاط اي. سآرنيين (١٨٧٣-١٩٥٠)، وهو من أصل فنلندي، وقد درس مسألة مظهر ناطحة السحاب، وكذلك نشاط المعماريين ر.هـ. شريف، واو. ف. ليمب، وا.ل. هيرمون، الذين أنشؤوا أعلى بناء في العالم آنذاك - «إمباير ستيت بيلدنغ» (١٩٣٠-١٩٣٢)، وكذلك مجموعة المعماريين، الذين أنشؤوا مركز-روكفللير في نيويورك (١٩٣١-١٩٤٧)، وهم اي. ريفغارت، واو.ك. كاريسون، وغ. غوفميستير وغيرهم[1].

إن أعوام ١٩١٨-١٩٤٥ ملأى بالأحداث المهمة المتعلقة بالفن في الولايات المتحدة الأمريكية، يتم التغلب فيها كاملاً على عزلة الثقافة الأمريكية عن الأوروبية، وإن إقامة معارض الفن العالمي على الأرض الأمريكية، ومجيء الفنانين الأوروبيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتنشط فعاليات

(١) ابكونيكوف ا.ف. العمارة في الولايات المتحدة الأمريكية. موسكو، ١٩٧٩.

المجموعات الفنية، وافتتاح متاحف الفن المعاصر - إن كل ذلك يؤدي إلى تنشيط الحياة الفنية في البلاد. ولقد حصل المذهب الحداثي على انتشار خاص في مختلف مظاهره - من تكرار ما جاء به الفنانون الأوربيون إلى إنشاء التيارات الشكلانية الخاصة بالبلاد. تنمو النزعات المعادية للإنسانية في الفن الأمريكي الرسمي، التي تؤدي إلى تخفيض القيم الروحية الحقيقية.

يستحق تطور الفن الواقعي في تلك الفترة، اهتماماً خاصاً. يولد في ذلك الوقت الفن الثوري، المدعوم من الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية. في هذه الأعوام تبرز تلك الأسماء، مثل ج. بيلواز، ور. كنت، واي. هوبّر، وب. شان، ور. سوبير. إن هؤلاء الفنانين ذوي الفرديات الإبداعية المختلفة، يقدمون تصوراً كاملاً عن فرادة وتنوع ورسوخ المدرسة الواقعية. ودخلت أفضل منجزات بناء المدن في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين، في تاريخ العمارة العالمية. لقد ظهرت تناقضات مميزة للمجتمع البرجوازي بصورة عامة من تاريخ الفن في الولايات المتحدة الأمريكية، في النصف الأول من القرن العشرين. كان النضال الحاد بين الفن التقدمي والفن الرجعي يعكس العمليات الإيديولوجية والجمالية في ذلك الزمن.

٤ - الموسيقا

تشكلت العقائد في الظرف المعقد والمتناقض أعوام العشرينيات، وبدأ نشاط جيل جديد من العازفين الأمريكان. كان الأمريكيون يحسنون حسب التقاليد المؤلفات الموسيقية في أوروبا. وإذا كان الموسيقيون من الولايات المتحدة الأمريكية يتعلمون في القرن التاسع عشر في المعاهد الموسيقية العليا في ألمانيا، ففي السنوات الـ ١٠-٢٠ من القرن العشرين، كانت باريس تجذبهم

بصورة أكبر، وكانت تترسخ على أرضيتها الأممية اتجاهات جيدة في الفن: وقد ساعد على إعادة اهتمام الموسيقيين كذلك افتتاح الكونسرفاتوار الأمريكي في ضاحية باريس فونتنبلو عام ١٩٢١.

كانت ناديا بولانجيه (١٨٨٧-١٩٧٩) تقود دروس الطلاب في الإيقاع منذ تأسيس المعهد التعليمي. إنها موسيقية موهوبة، وقائدة أوركسترا، وعازفة الأرغن. لقد ارتبط باسم هذه المعلمة الموهوبة مصير مجموعة كاملة من الملحنين الأمريكان الذين سموا أنفسهم باسم هذه المعلمة «البولانجيين»، وكان من بينهم آرون كوبلند، وروي هاريس، وووولتر بيستون، ودوغلاس مور، وفيرجيل تومسون، وجورج انتيل، وكوول بوريتر، وايلليوت كارتير، ومارك باليتستاين، وإيلي سيغميستر.

يعبر الكثير منهم في ذكرياتهم عن ناديا بولانجيه عن الاحترام والإعجاب بمعارفها الموسوعية، ومهارتها التعليمية النادرة. إن ناديا بولانجيه مولعة كغيرها من موسيقيي باريس بموسيقا سترافينسكي، وبروكوفييف، ونقلت هذا الولع إلى الأمريكيين الشباب. لقد عرفتهم على المؤلفات الجديدة للمحلنين الفرنسيين الشباب من مجموعة «الستة» وعلى أفضل أعمال ملحني المدرسة الجديدة.

من الطبيعي أن تظهر في هذه الفترة مؤلفات ناشئة تحت تأثير الابتكارات الموسيقية للمؤلفين الأوروبيين. وتعتبر أمثلة على ذلك السيمفونية الأولى، وباليت «غروك» و«الموسيقا لأجل المسرح» وكونشرتو البيانو لـ ا. كوبليند، والكونشرتو لأجل البيانو والكلارينيت، والرباعي الوتري، و«الثلاثية الموسيقية» لأجل ميتسو-سوبرانو مع البيانو المرافقة لأشعار او. ويتمان، ور. هاريس، والأوبرا السريالية «أربعة مقدسين في ثلاثة فصول» لـ ف. تومسون، وموسيقا ر. سيشنس للدراما الرمزية لـ ل. آندرييف «الأقنعة السوداء»، و«الباليت الآلية» لـ ج. آنتيل، والسيمفونية الأولى، والسوناتا على البيانو لـ اي. كارتير.

إن دور ناديا بولانجيه التي علمت مجموعة من الموسيقيين الفرنسيين مهم، ولا سيَّما في تكوين المدرسة التلحينية الشابة في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت تطور بصورة دائمة وتعزز عند تلامذتها الإيمان بالقوى الإبداعية والإمكانات لديهم، وكانت ترسخ عندهم الولع في الإبداع وفي الأصالة الوطنية. كان الأمريكيون يسمونها بحب «الأم العرابة للموسيقا الأمريكية الجديدة».

إن الكثير من الأمريكيين «الباريسيين» بعد عودتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية كرسوا أنفسهم لقضية تطوير الموسيقا الوطنية. لقد كتب س.س. بروكوفييف: «يتم الشعور في الولايات المتحدة الأمريكية حالياً بالعطش الكبير لإنشاء موسيقا أمريكية خاصة، ويمكن أن أقول - بالاشتياق إلى الملحن. وإذا لم يتم تجسيد ذلك كاملاً، فإن النهوض الجزئي للإبداع الأمريكي هو ملموس تماماً»[١].

كان يساعد على تطور الموسيقا في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام العشرينيات والثلاثينيات عدد من المنظمات الموسيقية. أصبح الكثير من الملحنين شخصيات نشيطة في مجال الدفاع عن الحقوق المهنية لزملائهم. في عام ١٩٢٢ تم إنشاء «الطائفة الحرفية العالمية للملحنين» (international composers guied) التي وجدت الموسيقيين الطليعيين برئاسة ادغار فاريز. وفي عام ١٩٢٣ ظهرت رابطة الملحنين، التي دخل في عدادها ولينفغورد ريغير، وتشارلز سيغير، ولان آدميان، ولورنس غيلليرت، وهنري كاويلل، وايلي سيغميستير، ومارك يلتستاين وغيرهم[٢].

---

(١) بروكوفييف س. أمريكا الموسيقية - الأدب الأممي، ١٩٣٩، رقم ٧/٨، ص ٢٨٩.

(٢) في عام ١٩٢٩ تبدأ المطبعة التعاونية «كوس كوب بريس» بأداء وظيفتها، وذلك بإصدار الموسيقا التي تخص الملحنين الأمريكان فقط.

كانت هذه الاتحادات مدعومة من قبل النقاد الموسيقيين وهيئة تحرير مجلة «مودرن ميوزيك» (موديرون موزيس ١٩٢٤-١٩٤٦). كانت المهمة الرئيسية لهذه المنظمات هي الدعاية للموسيقا الوطنية. وفي أعوام ١٩٢٨-١٩٣١ قام ر. سيشنس بالاشتراك مع ا. كوبلند بتنظيم وقيادة «كوبلند-سيشنس» حفلات قائمة على الموسيقا الأمريكية المعاصرة. تدرجت محطات الإذاعة في برامجها غالباً ليس الموسيقا الكلاسيكية، وإنما أعمال الملحنين الأمريكان المعاصرين. لقد جعل الراديو الموسيقا الأمريكية مقبولة من الجماهير الواسعة. إن أعضاء رابطة الملحنين كانوا يشاركون بنشاط أيضاً في الحركة الموسيقية العمالية.

إن تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية مرتبط بصورة وثيقة بتطور أغنية الاحتجاج السياسي، التي كانت تظهر بصورة ساطعة النزعات التقدمية للفن الموسيقي في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد قدمت الحركة العمالية بالذات الأغنية السياسية إلى الصف الأمامي في النضال من أجل الحرية والديمقراطية. إن الأغاني، التي تصاحب بصورة دائمة الإضرابات والاعتصامات، والاجتماعات الجماهيرية للعمال الأمريكان، لم تكن تؤلف من قبل الشعراء والموسيقيين المحترفين، وإنما من قبل البروليتاريين أنفسهم. كانت النصوص الجديدة تتكيف مع ألحان الأغاني الشعبية المشهورة. لقد ترسخت في أغاني الاحتجاج السياسية أكثر الصفحات الناصعة في تاريخ الحركة العمالية.

وفي أعوام العشرينيات حصلت أغاني عمال روسيا الثورية على انتشار واسع: نشيد «فارشافكا» و«الشجاعة» و«أيها الرفاق» و«نشيد الأممية» و«لقد سقطتم ضحايا» و«المارسيليز العمالي» وغيرها.

تدخل الأغنية السياسية الجماهيرية أعوام الثلاثينيات في مرحلة جديدة من التطور. إنها تصبح وسيلة نشيطة في التأثير الأيديولوجي وفي تثقيف الجماهير الشعبية الواسعة. إن ما كان مميزاً بالنسبة الولايات المتحدة الأمريكية هو أغنية الاحتجاج، سهلة الفهم والغنية. كانت أغنية الاحتجاج الموضوع الأساسي في الموسيقا البروليتارية في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عامي ١٩٣٤-١٩٣٥ أصدرت الرابطة العمالية الموسيقية «كتابين عن الأغنية العمالية» (رقم ١ ، ٢). وظهرت حينذاك مجموعتان عن الأغنية الجماهيرية المخصصة للمظاهرات، وكانت من بينها أغاني ا. كوبليند، واي. سيغميستير، وغ. ايسيلير، ول. آدوميان، واي. روبنسون. لقد كانت أغاني النقابات الاحتجاجية ترافق بصورة مستمرة الإضرابات والمظاهرات الكبيرة، التي عمت البلاد في عام ١٩٣٤، مثل الإضراب الشامل في سان-فرانسيسكو، وإضراب عمال النسيج وغيرها من الإضرابات.

«كتاب الأغاني العمالية» احتوى على الأعمال المرتبطة بنضال الجبهة الموحدة ضد الحرب والفاشية، والمكرسة لذكرى أبطال النضال الطبقي الأمريكي (جون ريد، وهاري سيمي، وإيلمر سبيري، ونيك كاونديراكيس)، التي تهزأ من رهبان الرأسمالية الأمريكية. لقد تم إصدار الأغاني الشعبية كذلك لعمال ألمانيا، ومنغوليا، والصين الحمراء، وأغاني الملحنين السوفييت.

احتلت الأغنية السوفييتية مكاناً مهماً أعوام الثلاثينيات في برامج الحفلات الموسيقية للمنظمات العمالية. ولقد كان يتم أداء أغاني «فرسان بودويني» لـ ا.ا. دافيدنكو، و«أغنية عن الوطن» لـ اي. او. دوناييفسكي، و«من ناحية إلى ناحية» لـ اي. اي. دزيرجينسكي، و«أإنية عن عابر سبيل» لـ د.د. شوستاكوفيتش، وأغاني

وجوقات م.ف. توفال، ود. يا. بوكراس، ون.ك. تشيمبيرجي، وغيرهم من الملحنين السوفييت. وفي عام ١٩٣٣ صدرت في الاتحاد السوفييتي من خلال دار النشر «موزغير» «المجموعة العالمية للأغاني الثورية»، التي كانت تحوي على أغاني البروليتاريا العالمية من إعداد الملحنين السوفييت. كانت الأغنية الأمريكية عبارة عن منتخبات لـ يا. شيفير «الجندي الأحمر - البلشفي» ول. آدوميان «المسير الجائع»، وكذلك ١٢ أغنية احتجاج زنجية، جمعها وسجلها ل. غيلليرت. وفيما بعد كانت الأغاني الأمريكية تنشر على صفحات مجلة «الموسيقا السوفييتية».

تتطور في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الثلاثينيات، وبدعم من المنظمات النقابية الحركة الكورالية العمالية. فإذا كانت النقابات تعتبر سابقاً أن مهمتها الرئيسية هي الدفاع عن المطالب الاقتصادية للعمال، فإن قادة النقابات الأكثر تقدمية وبعد نظر تتخذ في أعوام الثلاثينيات مختلف التدابير في مجال التعليم والتثقيف الموسيقي للعمال. ويمكن اعتبار اتحاد الفرائين في نيويورك الذي نظم فرقة موسيقية وكورس للنقابة مثالاً على ذلك. لقد حاز الشهرة كذلك كورس مانهاتين - إنه واحد من أوائل الفرق الموسيقية العمالية في نيويورك. كرست هذه الفرق نفسها بصورة أساسية لأداء الموسيقا الأمريكية، والأغاني العمالية، والمعادية للحرب. كان قادة الكورس يقومون بتعليم العزف على النوتة في أوقات فراغ العمال.

كان ياكوب شيفير (١٨٨٨-١٩٣٦) شخصية بارزة في الحركة الكورالية العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. إنه كقائد وملحن للكورس خرج من الوسط العمالي، كان مبادراً لإنشاء جوقات هواة في شيكاغو، وداعية نشيطاً للأغنية السوفييتية.

وهكذا تتشكل في أعوام الثلاثينيات شبكة من الجوقات العمالية، والمجموعات المستقلة، التي كانت توحد الناس من مختلف القوميات والمهن، والتي كانت تقدم في عروضها أغاني الاحتجاج السياسي، والأغاني البروليتارية الجماهيرية.

كان الموسيقيون التقدميون في الولايات المتحدة الأمريكية يشاركون في عمل المكتب الموسيقي الدولي الذي أنشئ عام ١٠٣٢، والذي وضع نصب عينيه مهمة تلاحم الموسيقيين البروليتاريين والثوريين في جبهة موحدة، وجذب أوساط واسعة من الفئات الموسيقية المثقفة العمالية في التنظيمات العمالية، وتأليف الموسيقا التي تكشف بحدة عن التناقضات الطبقية في النظام الرأسمالي، وتبادل التجربة في العمل الموسيقي.

لقد نظم المكتب الموسيقي العالمي سلسلة من البرامج الموسيقية في المواضيع الثورية للإذاعة. وفي عام ١٩٣٤ أذاعت محطة الراديو التابعة للكومنترن أكثر من مرة الحفلات الموسيقية التي تم فيها عزف أعمال غ. إيسلير، وف. سابو، ول. آدوميان، ويا. شيفير وغيرهم.

كان الكثير من الملحنين والمغنين أعوام الثلاثينيات يشاركون في المنظمات الموسيقية- الاجتماعية والإصدارات الدورية التقدمية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام ١٩٣١، تم إنشاء «نادي بيير ديكيستر» والرابطة الموسيقية العمالية، اللذين قاما بعمل تنظيمي كبير حول توحيد الاتحادات الموسيقية العمالية تحت شعار «الموسيقا - هي سلاح الصراع الطبقي». وفي عام ١٩٣٣، أقيم أول أوليمبياد موسيقي عمالي في نيويورك، إذ شارك فيه فرق موسيقية، وجوقات وكذلك عازفو بيانو وكمان من مختلف

البلدان. ولقد انتهى الأوليمبياد بعرض كورالي ضخم لألف صوت، أدي فيه أغاني جماهيرية.

كان الملحنون والموسيقيون آرون كومبليد، وروي هاريس، ومارك بليتستاين، وايلي سيغميستر، وهنري كاويلل، وياكوب شيفير، وتشارلز سيغير، وجون أولان لوماكسي، ولان آدوميان، وايلر روبنسون، ووولليبنغفورد ريفير، هم المبادرون لإنشاء هذه المنظمات والمشاركة فيها، الذين كانوا يعتبرون أن مهمتهم الرئيسية تكمن في وضع موسيقا بروليتارية جديدة. لقد كتبوا أغاني جماهيرية، وكورالية، ومؤلفات غنائية - آلية مكرسة للجمهور العمالي، مثل كانتاتنا أنا لشيفير، و«أغنية عن طائر النوء» بكلمات م. غوركي، وأغنية ا. كوبليند «الأول من أيار».

وفي بداية الثلاثينيات زار سيغميستر، وهو أحد تلامذة كومبليد الاتحاد السوفييتي، إذ تعرف الحياة الموسيقية في البلاد، إبداع الملحنين السوفييت، وتصادق مع موسيقيي الدولة الاشتراكية الفتية. لقد أشار في مقالته «طريقي الإبداعي» المكتوبة بناءً على طلب هيئة تحرير مجلة «الموسيقا السوفييتية» إلى أنه قد «حدثت تغييرات عميقة في طريقته الإبداعية وإيديولوجيته. لقد وصلت إلى قناعة عميقة بضرورة وضع موسيقا تستند إلى محتوى بروليتاري، واجتماعي وثوري...»[1]. إن الاهتمام بالفن الديمقراطي الواسع كان متماشياً مع نزعات العصر. ظهرت في تلك السنوات أغاني سيغميستير التي كانت تتحدث عن المواضيع السياسية والاجتماعية الحيوية مثل: «سجناء سكوتسبورو لن يموتوا» حول التمييز العنصري المتعلق بالزنوج، و«المآتم العجيبة في برادوك» أشعار

(١) الموسيقا السوفييتية، ١٩٣٤، رقم ١١، ص ٤١.

م. غولد - هذه الأغنية التي تعبر عن سخط العمال الأمريكان تجاه ظروف العمل القاسية، «أغنية الديمقراطية».

كانت الرابطة الموسيقية الأمريكية تملك صحيفتها الخاصة، باسم «أونيسون»، وقد صدر العدد الأول منها في أيار عام ١٩٣٦. لقد تم وضع الأهداف الأساسية للرابطة في المقالة الافتتاحية بعنوان «الرابطة تنظر إلى المستقبل». كانت جميع بنود البرنامج تعكس طابعاً تقدمياً لهذه المنظمة. أظهر أعضاؤها أن تعاون الموسيقيين المحترفين البارزين الوثيق فقط مع المنظمات الجماهيرية والنقابية على وجه الخصوص، سيساعد على التطور المثمر لحياة البلاد الموسيقية. وجدت نزعات الحركة الديمقراطية انعكاساً لها في الأعمال الموسيقية المسرحية. مارست أدبيات الاحتجاج الأمريكية لـ (ج. شتاينبيك، واي. همنغواي، ل. هيلمان، وم. غولد» تأثيراً كبيراً على المسرح الموسيقي في الولايات المتحدة الأمريكية. إن أبحاث الملحنين الأمريكان في مجال المسرح الموسيقي تعتمد على منجزات الفن المسرحي لـ ب. بريخت، ومنظومة س.ك. ستانيسلافسكي. ظهر الكثير من الأعمال الموسيقية المسرحية ذات الطابع الاجتماعي الفضّاح في فترة «الثلاثينيات الحمر» (استعراضات مسرحية، أوبيريتات، موسيقا، مسرحيات موسيقية، وغيرها)، وكانت كلها تحظى بنجاح كبير عند الجمهور.

كان الاعتراف بهذه الأنواع المتعددة من الفنون من قبل المشاهد في فترة بحث الفنانين عن الصلات الوثيقة مع الجمهور، يملي على بعض الملحنين ذوي الميول اليسارية فكرة إنشاء «أوبيريت حمراء»، واستعراض سياسي أو «أحمر»، ومسرح موسيقي ذي محتوى هجائي حاد، كانت الأحداث الاجتماعية

السياسية حافزاً لها. وفي مجال هذه الأنواع من الفنون ظهرت بصورة واضحة النزعات التقدمية للمسرح الموسيقي التقدمي. لقد اعتبرت «الأوبيريت الحمراء»، «الثورة الأخيرة» التي وضعت من قبل الملحن ر. ليبيخ، والكاتب الشيوعي م. غولد[1]، أحد النماذج المبكرة لها. وفي فن «الاستعراض الأحمر» حازت المسرحية الهجائية «الدبابيس والإبر» لـ غ. روم، التي وضعت بناءً على طلب نقابة الخياطين، وتميزت بالنقد، حازت شعبية ضخمة «كظاهرة فريدة في تاريخ المسرح الأمريكي»[2]. وبطلب من ف. روزفلت تم تقديم المسرحية بنجاح في البيت الأبيض (١٩٣٨).

نالت شهرة كبيرة المسرحيات الموسيقية لـ م. بليتستاين «المحكومون» (١٩٣١)، حول إعدام ساكو وفانزيتي، و«الأرجوحة ستتمايل» (١٩٣٦) حول نضال العمال لأجل إنشاء نقابات، و«كلابدل الجواب» (١٩٤١) حول نضال العمال ضد الاستغلال القاسي وغيرها. إن هذه المسرحيات المترافقة مع الموسيقا، والسمات المركبة للأوبرا والمسرحية الغنائية، والكوميديا الغنائية، والاستعراض السياسي... الخ، قد وضعت كلها من قبل مجموعات هواة في النوادي والمسارح العمالية. تعطي المواضيع الحادة اجتماعياً والقيمة ذات الدلالة الاجتماعية لأعمال م. بليتستاين الموسيقية المسرحية الإمكانية لوضعها في صف واحد مع النماذج التقدمية للأدب الأمريكي، مثل «عناقيد الغضب» لـ ج. شتاينبك، و«لمن تقرع الأجراس» لـ اي. همنغواي، ومسرحية «استيقظ،

---

(١) رودولف ليبيخ - الملحن الأمريكي العضو في «نادي أغاني بيير ديغيتير»، والذي كان يشارك في إعداد الأغاني الثورية، ويدرس في المدرسة العمالية، وهو عضو رابطة العمال الشباب في أمريكا.

(٢) Jablonski E. The Encyclopedia of American Music. N.Y., 1981, p. 429.

واشرب» و«بانتظار المصعد» لـ ك. أوديتسا، و«الثعالب» لـ ل. هيلمان وغيرها. إن المسرحيات المصاحبة بالموسيقا لـ بليتستاين يسمونها بحق بـ «المرحلة المهمة من تاريخ المسرح الأمريكي[1]». أثر النشاط الاجتماعي للملحنين الأمريكان في الحركة الموسيقية العمالية بصورة مفيدة على إبداعهم. لكن لم ينضم الجميع بصورة واضحة إليها، وكانوا مخلصين بثبات لمثل الحركة الروحية. كان البعض يحافظ وهو يتوجه إلى المواضيع الاجتماعية على الحياد، وليس عبثاً، أنهم فيما بعد ابتعدوا عن الحركة الموسيقية العمالية، واستداروا بحدة إلى اليمين، إلا أن سيغميستر، وويلتستاين وهاريس ظلوا أكثر المشاركين إخلاصاً وثباتاً.

في أعوام الثلاثينيات هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من الموسيقيين والملحنين الأوروبيين الذين غادروا بلدانهم في مرحلة انفلات الرجعية من عقالها، وإقامة الدكتاتورية الفاشية في ألمانيا. كان من بينهم مؤلف الأغاني الثورية، والذي كان يملك تجربة كبيرة في العمل في مجموعات برلين وفانس وايسير الكورالية. لقد قام برحلة غنائية في الولايات المتحدة الأمريكية، مؤدياً وداعياً لموسيقا الملحنين الألمان والأمريكان والسوفييت الكورالية، لقد أعطى إسلير عائدات الحفلات الموسيقية إلى صندوق الدفاع عن الأطفال، الذين عانوا النازية. إنه يعرِّف الملحنين الأمريكان بتقاليد المنظمات الموسيقية البروليتارية في ألمانيا، وفن الأغاني الثورية الكفاحية، وينخرط بصورة نشطة في عمل الرابطة الموسيقية العمالية ويساعدها في تقديم عروضها.

تتطور في أعوام الثلاثينيات المعرفة الموسيقية الأمريكية، التي لم تكن موجودة كشكل مستقل من أشكال المعرفة الفنية قبل الحرب العالمية الأولى.

(١) Engel A.L. The American Musical Theatre. N.Y., 1975, p. 145.

وساعد إنشاء الجمعية الأمريكية للموسيقا عام ١٩٣٤ على تشكل ونهوض العلم الموسيقي.

كان من بين الموسيقيين الذين عملوا على تأسيس تاريخ الموسيقا في النصف الأول من القرن العشرين - بول هنري لانغ، وارسكار سوتيك، وغوستاف ريز، ودونالد غراوت، وأليفر سترانك وغيرهم. ولقد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد عام ١٩٣٣ كورت زاكس، وإدوارد لوفينسكي، ومانفرد بوكوفتسير، وويلي آبيل، وألفرد آينشتاين، ونينو بيروتا، وفيليكس زالتسير، وبارل بيكر وغيرهم، الذين عملوا بنجاح في مختلف مجالات المعرفة الموسيقية. إن مسائل الموسيقا الأمريكية في القرن العشرين قد تم إعدادها في أعمال أو. أوستين، واو. هيتشكوف، وب. غ. لانغا، وغ. تشيس، واو. ميلليرس، ود. دين، وغيرهم. ويحوز نشاط أوسكار تومبسون، ونيكولاس سلوفيسكي ودافيد يوينا على الاهتمام في مجال تزويد الإصدارات بالرسوم ونشرها.

تحتل مجلة «ميوزيكل كووتيرلي» التي تصدرها دار النشر التي تخص غ. شيرمير مكاناً رائداً بين الإصدارات الدورية المختصة بالموسيقا. لقد اكتسبت اعترافاً عاماً تحت القيادة الطويلة للموسيقيين البارزين أو. سونّيك، وب. غ. لانغا (١٩١٥-١٩٢٨) وك. ايتغيل (١٩٢٨-١٩٤٤) وغ. ريز (١٩٤٥-١٩٧٤). إن مجلات «نورتس» و«بيرسبكتيف أوف نيو ميوزيك»، و«كارّينت ميوزيكولوجي» التي كانت تصدرها جامعة كولومبيا في نيويورك، و«جورنال أوف ميوزيك تيوري»، و«كولليج ميوزيك سيمبوز يوم» ، تعتبر إصدارات مختصة بالموسيقا.

يجري عمل كبير في مجال إعداد مختارات تاريخية مع أسطوانات للشرح، تدعم الاختصاصات الموسيقية الأمريكية كذلك، من دور نشر الجامعات، التي تصدر الكثير من الكتب والأبحاث، البعيدة عن الإصدارات التجارية. ويمكن تسمية هورتون، وكنغريف، وبرينتيس-هول، ومارك-غرو هيلل، وسيمون ايند شوستر من بين ناشري القطاع الخاص المختصين بالموسيقا، وكذلك داوفر ودا كابو بريس اللذان كانا يعيدان الإصدارات طبق الأصل.

ازداد الاهتمام في أعوام ٢٠-٣٠ بفن الغناء التقليدي والوطني. ومن بين أنواع فنون الفولكلور الأمريكي في العشرينيات حازت موسيقا الكاونتري على انتشار واسع. وكان الأسلوب المبكر لموسيقا الكاونتري مشهور باسم «hillbilly»، قد تشكل في وسط السكان الزراعيين البيض في مناطق جبال أبّالاتشي المنعزلة (ولايات فرجينيا، وتينيسي، وكارولينا الشمالية». ظهرت موسيقا الكاونتري كغيرها من الموسيقا على قاعدة تقاليد الأغاني والأساطير الانغلوكلتية. وغالباً ما يكون محتوى هذه الأغاني مرتبطاً بالقصص العاطفية، وأحياناً تكون نوعاً من أنواع الفنون المسرحية الهزلية أو الأغاني المهدية (من المهد). إن المانجو، والفيدل، والغيتار، والماندولينا، هي الآلات التقليدية للموسيقا الكاونترية.

وبدءاً من عام ١٩٢٥ كان يقام في ناشنيال (ولاية تينيسي) مهرجانات وحفلات موسيقية لموسيقا الكاونتري. لقد كان جيمي روجر أحد المؤدين الأوائل للكاونتري، والذي دخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كـ «أب لموسيقا الكاونتري». ترك المغني الكثير من مؤلفات موسيقا الكاونتري، التي تعرضت لاحقاً لمختلف التأثيرات، ولا سيما الأنواع المدنية للموسيقا الأمريكية. وبسبب تطور الحركة الديمقراطية تتقوى المواضيع الاجتماعية في موسيقا

الكاونتري. لقد أعطت «موسيقا الكاونتري» في الثلاثينيات والأربعينيات الحياة لفن جديد هو: البليو غراس (bluegrass) وهو أسلوب غنائي على الآلات الموسيقية لسكان جبال أبّالاتشي، هونكي - تونكي (أغاني تكساس الغربية)، وأغاني الويسترن، والكاونتري - بلوز، وإيقاع إند-بلوز وغيرها.

يظهر فيما بعد شكل تجاري من أشكال موسيقا الكاونتري المرتبط شأنه شأن الكثير من أنواع الموسيقا التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية، بالمجمع الصناعي-الترفيهي تين-بين-إيللي، الذي تم تنظيمه في نيويورك في العشرينيات، والذي يجمع شركات النشر، ومحلات بيع النوتات، وشركات الأسطوانات الموسيقية الخفيفة. كان أي من أنواع الفن التجاري في الولايات المتحدة الأمريكية يخضع للتعهد، ويحصل ذلك حسب معايير الموسيقا الترفيهية (عملية الانسجام، وتوزيع الألحان بين الآلات الموسيقية)، وغالباً ما يضاف إلى ذلك عناصر من أنواع أخرى من فنون الموسيقا الشعبية، وتفقد من ثم الأغاني التقليدية في الولايات المتحدة الأمريكية الفرادة والأصالة، ولذلك فإن الأنواع التجارية تحظى بأقل اهتمام في دراسة فني الغناء والرقص في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد سجل الفولكلوريون الأمريكان المشهورون تش. سيغير، ل. غيلليرت، وج. وا. لوماكس عدداً كبيراً من أغاني العمال والسجناء والبحارة، التي تحكي عن الظروف المضنية للعمل، وعن أوضاع العبيد الزنوج الذين لا يتمتعون بأية حقوق، والذين يعبرون عن غضبهم تجاه مضطهديهم. تظهر مجموعات من أغاني الاحتجاج الزنجية. لقد نشر ك. سيندبيرغ في عام ١٩٢٧ «كيس الأغاني الأمريكية»، وظهرت فيما بعد مقتطفات من الفولكلور الموسيقي

في الولايات المتحدة الأمريكية «الأساطير الأمريكية الشعرية والأغاني الشعبية»، التي سجَّلها وجمعها وأصدرها الأخوان لوماكس عام ١٩٣٤. وفي عام ١٩٤٠ أصدر اي. سيغميستر بالتعاون مع او. داونس مجموعة أغانٍ وأساطير غنائية باسم «خزانة الأغاني الأمريكية». ولقد صدرت عام ١٩٣٩ كراسة من أغاني الاحتجاج الزنجية معنونة بـ «مي آند مي كابتين»، التي تحتوي على ٢٤ أغنية من مجموعة الفولكلوري والملحن غيلليرت، بصوت وبيانو آدوميان. وفي مقدمته للمجموعة يكتب غيلليرت بأن حياة الزنوج التعساء والظلم الذي عانوه من «القضاء» الجنوبي ينعكسان في هذه الأغاني.

تتطور على أساس مختلف أنواع فنون الفولكلور الأمريكي في الولايات المتحدة الأمريكية نهاية الثلاثينيات والأربعينيات الأغنية الانفرادية لجوقة المنوعات، ولقد اتخذ هذا الاتجاه اسم حركة «الفولكلوريين» إذ يقوم الفولكلوريون بتأليف الأغاني القريبة من الفولكلور، وذات المحتوى الاجتماعي. إنهم يستخدمون في أغلب الأحيان أسلوب موسيقا الكاونتري. وباعتبارهم شعراء وملحنين وعازفين فإنهم يطورون التقاليد الإيرموفية وهم يعزفون بمصاحبة الغيتار والبانجو. لقد قدمت هذه الحركة عازفين بارزين أمثال بودي غانري، وبيت سيفير، وجيمي غارلاند، وهيدي ليدبيتر وغيرهم. أدخل الكثير منهم أغاني الشعوب الأخرى في عروضهم، بما في ذلك أغاني الملحنين السوفييت كذلك - د.د. شوستاكوفيتش، وا.ا. دافيدنكو، واي. او. دونايفسكي، وف.غ. زاخاروف وغيرهم.

إن تطور الموسيقا الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى مرتبط بصورة وثيقة بتاريخ الجاز (الفن الموسيقي الاحترافي) الذي حاز انتشاراً واسعاً لا في

الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل في أوروبا الغربية أيضاً. تجسد في الجاز بحدة خاصة الانقلاب العاصف وغير الطبيعي في تقييم المقدرات الفكرية والنموذجية لأعوام العشرينيات. لقد كان معبراً عن جمالية «جيل ما بعد الحرب» في الولايات المتحدة الأمريكية. كان الجاز يعكس بصورة ساطعة وكاملة كل مناحي الحياة الأمريكية.

يمكن أن نميز بصورة خاصة من بين الذين ساروا في طريق الجاز المبكرين الموسيقيين الزنوج في هارلم واورليان الجديدة. إن إثبات الجاز لوجوده مرتبط بصورة متشابكة مع الجمالية الموسيقية لفن المنوعات الخفيفة في برودواي. لقد تجمعت في الجاز سمات عدد مختلف من أنواع الفن الموسيقي، وكان من بينها الـ «ريغتايم»، الذين أعدوا من خصائصه الإيقاعية، الإيقاعات المعقدة للجاز. إن الإيقاع هو عبارة عن عنصر هام ومحدد للجاز. وقد أثر على البناء التلحيني للجاز البلوز الزنجي[1]. اعتبر استخدام الأسلوب السريع في العزف تحت اسم جاز - بيند العنصر الثالث للجاز. وبفضل الدور الرئيسي للإيقاع في الجاز يتزايد دور مجموعة الإيقاع. إن فرادة أسلوب عزف الجاز مرتبط بالنبض العروضي المنتظم، وبتكرار الألحان القصيرة والمقتضبة. إن أبرز ممثلي فن الجاز هم: ديوك ايللبنغتون، ولوي ارمسترونغ، وفليتشير فيندرسون، وديزي غيلليسبي، وتيلونيوس مانك، وجون كولترين، وبول وايتمان، وديف بروبك.

نستطيع أن نميز في الجاز الذي تشكل في عشرينيات قرننا اتجاهين. إن الأكثر سطوعاً في المجال الفني هو الـ«هول جاز» - الجاز المقتضب «الحار»، الذي تعود جذوره إلى البلوز الزنجي، والجاز - بيندي من أورليان الجديدة وشيكاغو،

---

(١) انظر بالتفصيل: كونين ف. طرق الموسيقا الأمريكية، موسكو، ١٩٧٧.

المرتبط بصورة وثيقة بالفولكلور الأفرو- أميركي. الصنف الآخر من الجاز هو «sweet jazz» الجاز «الحار»، المرتبط بالفن التجاري ذي الموضوع الخفيف لفن المتنوعات الموسيقية في برودواي، الذي يحول الجاز الزنجي المقتضب إلى تقاليد ومقاييس موسيقا المنوعات، الخالية من السمات الأصيلة للفن الزنجي، جاعلاً منه شكلاً من فن الجاز الأول إبداعاً على عكس الجاز الزنجي «الحار». وبحكم غياب الجانب الجمالي الواحد والمدرسة الواحدة في الجاز الزنجي وجنسه التجاري، فإنه يوجد محوران في موسيقا الجاز، يمكن أن نلاحظ بينهما الكثير من التدرج. إن التأثير المتبادل بين جنسي الجاز يولد باستمرار عدداً كبيراً من الاتجاهات الجديدة. ففي فترة الأزمة الاقتصادية العالمية أعوام ١٩٢٩ -١٩٣٣ لم يستطع الجاز الزنجي أن يصمد أمام ظروف المنافسة مع الجاز التجاري.

ومنذ أواسط أعوام الثلاثينيات إلى بداية الحرب العالمية الأولى، يميزون مرحلة جديدة في تطور الجاز، دخلت في التاريخ تحت اسم سوينغ. إن السوينغ بصورة عامة يحمل في طياته السمات العادية للجاز الزنجي في العشرينيات. وخلافاً عن الجاز الزنجي، فإن تركيب فرقة السوينغ يزيد أحياناً على العشرين موسيقياً، وتتحقق بسبب ذلك جسامة وتكامل الأصوات. يعتبر ملكاً للسوينغ عازف الكلارينيت بينّي غودمين.. وفي ذلك الوقت كذلك كانوا يمجدون دوك ايللينغتون، وفليتشير فيندرسون، وكاونت بيزي، وغلين ميللير وغيرهم. إن زيادة عدد الآلات إما تقيد، وإما تؤدي إلى التخلي عن استخدام أسلوب الاقتضاب الذي يميز الجاز. يؤلفون مختلف أنواع موسيقا المسرحيات الجازية، يشارك في تأليف السوينغ الموسيقيون البيض، الذين تربوا على التقاليد الموسيقية الأوروبية. يحول فن المنوعات الموسيقية التجاري هذا الجنس من الجاز إلى سوينغ معياري مثير للضوضاء. لقد استنفد السوينغ حتى نهاية الثلاثينيات إمكانياته.

يحدث انعطاف في فن الجاز في بداية الأربعينيات، يسبب انفصالاً له عن الموسيقى الترفيهية. ويأخذ اسم بي - بوب أو بوب. وبنفيه للإيقاع الغنائي والرقص، فإن البوب يؤكد المواضيع المجزّأة، والتركيبات اللحنية المعقدة. كان البوب يرمز إلى احتجاج الموسيقيين الزنوج ضد التوجهات الجمالية، التي تكبّل مبادرتهم الإبداعية. كان أهم ممثلي البوب من الموسيقيين الزنوج عازف البيانو ت. مانك، وعازف الغيتار أو. كريستشين، وعازف التروب اتش د. غيلليسبي، والإيقاعي ك. كلارك وغيرهم.

إن الجاز هو الظاهرة الأولى في الموسيقا الأمريكية التي مارست دون شك تأثيراً كبيراً على فن أوروبا. وجد الجاز صدىً له في مؤلفات الملحنين الشباب في بلدان أوروبا الغربية - «الرابسوديا الزنجية[1]» لـ ف. بولينك، و«الريغتايما للبيانو[2]»، و«تاريخ جندي» لـ ي. سترافينسكي، و«سوناتا البلوز» لـ م. رافيل، وباليت «ثور على سطح» و«فوغا بموضوع الجاز» لـ د. مييو، و«أوبرا المعدمين» لـ ك. فايل، وأوبرا اي. كاشينيك «جوني يعزف لحناً» إلى آخره.

إن الملحنين الأمريكان في بحثهم عن الأصالة الوطنية غالباً ما كانوا يتوجهون إلى عناصر الجاز المتميزة والفولكلور الزنجي. لقد تحدث ج. غيرشفين على سبيل المثال قائلاً: «إنني أنظر إلى الجاز كموسيقا شعبية أمريكية، ليست وحيدة، وإنما قوية جداً، ومن الواضح أنها متغلغلة في دم ومشاعر الشعب الأمريكي بصورة أعمق من أي موسيقا شعبية أخرى[3]».

---

(١) هي نوع من المؤلفات الموسيقية - المترجم.

(٢) هي نوع من الموسيقا تعزف على البيانو - المترجم.

(٣) حسب: شنييرسون غ. صور الملحنين الأمريكان، موسكو، ١٩٧٧، ص ١٧٧.

يعدّ إبداع ج. غيرشفين[1] بالذات مثالاً ساطعاً بصورة استثنائية على أصالة تقاليد الجاز التأليفية، وعناصر الفولكلور الزنجي المتمازجة مع أشكال الموسيقا الكلاسيكية الأوروبية.

يرتفع ج. غيرشفين الذي يعدّ ممثلاً موهوباً للجاز الرمزي في مؤلفاته المبكرة عن «الرابسوديا بألحان البلوز» بصورة كبيرة على جميع أعمال الملحنين الآخرين للجاز الرمزي. وعبر تقاليد الجاز المبكر وفن المنوعات الخفيف، توصل ج. غريشفين إلى التغلغل العميق في العالم الروحي للشعب الزنجي وفهم فولكلوره. إن أوبرا «بورغي وبييس» هي أول أوبرا أمريكية تحصل على اعتراف واسع في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الخارج، التي احتلت مكاناً مرموقاً في عروض الأوبرا الرئيسية في مسارح العالم. إن اللغة المسرحية للأوبرا مفعمة بالألوان الوطنية الساطعة، بسبب استخدام نطاق واسع من أنواع الفولكلور الزنجي.

إن فن الأوبرا المسرحي مرتبط بصورة وثيقة بالتقاليد الواقعية للمسرح التمثيلي في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام العشرينيات والثلاثينيات: الديناميكية والتوجه إلى هدف محدد في تطور الموضوع، ودور الحوارات في إظهار الصور.

يشير استخدام الخطاب الكلامي الذي لُحِّن إلى الرابطة مع تقاليد الأوبرا الوطنية «الأسطورية». يعالجون في تقاليد المسرح المتجول المشاهد الكوميدية في الأوبرا. تتغلغل في الدراما الشعبية الواقعية «بورغي وبييس» المثل الإنسانية.

---

(١) بالتفصيل عن إبداع ج. غيرشفين انظر مقالات: جورج غيرشفين وأوبراه، و«بورغي وبييس» وتقاليد المينستريلي - في كتاب: كونين ف. حول الموسيقا الأجنبية. موسكو، ١٩٧٧. أخرجت أوبرا «بورغي وبييس» لأول مرة في «متروبوليتيس اوبرا» في شباط عام ١٩٨٥.

لقد سار كل ملحن في تجسيده للسمات الوطنية في موسيقاه طريقه الخاص به. إن القسم الأكبر منهم - ا. كوبليند، ور. هاريس، واي. سيغمستير، واو. شومين، وف. تومسون، وف. غرانت ستيلل تعاملوا مع مختلف طبقات الفولكلور الأمريكي، ومع الجاز خصوصاً، الذي يستند موضوعه إلى الحياة الأمريكية، والأدب الأمريكي.

يظهر ملحنو الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ٢٠-٤٠ اهتماماً بالتراث الموسيقي القديم للبلاد بـ النشيد البوريتاني، والـ سبيريتشويلز. تقدم ف. تومسون (ولد عام ١٨٩٦) في الفترة المبكرة من إبداعه كممثل ساطع للموسيقا الأمريكية الجديدة. إنه يلجأ في عمله كقائد لجوقة غناء وعازف أورغن في «سوناتا دا شينيدا» والسيمفونية المبنية على النشيد إلى تقاليد الكورال البوريتاني، وإيقاع الرقص في جوقات الفن المتجولة. التي تمتزج بصورة عضوية مع سمات أنواع الفن الأوروبي القديم. يعتبر ا. كوبلان (ولد عام ١٩٠٠) أحد شخصيات الثقافة الموسيقية الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين، وقد كتب في أبحاثه عن السمات الوطنية في الموسيقا أعوام الثلاثينيات عدداً من المؤلفات: «الربيع في جبال الابالاتش»، و«بيللي - الشاب»، المرتبطين بالكورال البوريتاني، وألحان عازفي الكمان الزراعيين - الموسيقا - الكاونترية. لقد وجد الفولكلور الإفريقي ولا سيَّما الـ سبيريتشويلز انعكاساً له في «السيمفونية الأفرو-أمريكية» لـ او. غرانت ستيللا (ولد عام ١٨٩٥). يعدّ هذا العمل النموذج الأول لتحويل الموسيقا الزنجية إلى سيمفونية، الموضوعة من قبل ملحن زنجي. جرى عمل واسع في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات للدعاية للموسيقا السوفييتية. تدخل المسارح

الأمريكية الكبيرة، والفرق الموسيقية وقادة الأوركسترا يدخلون في برامجهم أعمال الملحنين السوفييت. ففي كليفليند، ونيويورك وفيلادلفيا تم إخراج أوبرا د. شاستاكوفيتش «ليدي ماكبث في قضاء متسين». وفي افتتاح الموسم عام ١٩٣٥-١٩٣٦ تم أداء السيمفونية الأولى لشوستاكوفيتش من قبل الـ فيلهارمونيا النيويوركية تحت إشراف أوتّو كليمبيريرا. وقام ليوبولد ستوكوفسكي بأداء السيمفونيتين السابقة والـ ١٣ لـ ن. يا. مياكوفسكي، ومقطوعات من باليت «الخشخاش الأحمر» لـ ر.م. غلير.

وتحت شعار إنشاء مبادئ متينة لفن الباليت الأمريكي الوطني يتطور نشاط فنَّاني الرقص والملحِّنين في الولايات المتحدة الأمريكية، وتظهر في أعوام الثلاثينيات أولى فرق ومدارس الباليت الوطنية. يعود لفناني الرقص والراقصين الروس - ج. بالانتشين، ول. مياسين، وم. موردكين، وا. بولم وغيرهم، الدور الأكبر في تشكل وتطور فن الباليت في الولايات المتحدة الأمريكية.

شكل طلاب أول مدرسة للباليت في الولايات المتحدة الأمريكية، التي نظمها في عام ١٩٣٣ ل. كيريستين بمشاركة ج. بالاتشين، فرقة «الباليت الأمريكي»، وغُيِّر اسمها فيما بعد إلى «باليت نيويورك سيتي».

وتظهر فيما بعد فرق للباليت في شيكاغو، وفيلادلفيا وغيرهما من المدن. يبرز فنانو الرقص الوطني في نهاية الثلاثينيات - آغنيس دي ميلل، وروت بيدج، ويوجين لورينغ، وكريستيان ليتفيلد، وديو كريستينسين وجيروم روبينس، وروبيرت جوفري وغيرهم.

يقومون في تلك الأعوام بإخراج باليهات على الموضوع الأمريكي. ويمكن تسمية عدد من بين الباليهات القائمة على المواضيع المأخوذة من الحياة

الأمريكية. «خال من الأخلام» لـ أو. شومان، و«الألعاب» لـ م. غولد، و«قصة عرضية» لـ أو. ريغير. يحقق مسرح الباليت الأمريكي عدداً من الإخراجات القائمة على الآلات الموسيقية الأمريكية، مثل «قرن الأخطار» لـ بيرنشتاين، و«صالون في المكسيك» لـ كوبلند وغيرهما.

يعدّ كوبلند بحق واحداً من الملحِّنين والمختصين الموسيقيين الرئيسيين في «الباليت». وفي سعي هذا الملحن لربط الموسيقا بالفنون المجاورة لها يبرز التوجه إلى الجمهور الواسع الذي يتميز به الفن الأمريكي التقدمي في أعوام الثلاثينيات والأربعينيات. إن ثلاثة باليهات لكوبلند - «الروديو»، و«بيللي - الشاب»، و«الربيع في جبال أبالاتشي»، قد تم تأليفها في تلك السنوات بالتعاون الوثيق مع فناني الرقص الأمريكي (ا. دي. ميلل، ويو. لورينغ، وم. غريهيم)، وهي تشكل ذروة إبداع الملحن. انعكست في هذه الباليهات السمات التقليدية والمواضيع المأخوذة من حياة البلاد : في «الروديو» - مسابقات وألعاب الكاوبوي، وفي «بيللي - الشاب» - أساطير السهوب الأمريكية في الغرب البعيد، وفي «الربيع في جبال أبالاتشي» - مشاهد من ظروف الحياة الشعبية لأوائل المستوطنين الأمريكان في إنكلترا الجديدة. إن موسيقا هذه الباليهات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأغاني الكاوبوي، وبالكورال والألحان البوريتانية بأسلوب الموسيقا - الكاونترية. لقد ساعد الاهتمام بمواضيع الكاوبوي على ولادة ما يسمى فن الويسترن، الذي احتل مكاناً مرموقاً في أدب، وسينما، ومسرح، وموسيقا الولايات المتحدة.

يشارك الملحنون، وهم يتوجهون إلى أوسع الجماهير في عروض الأفلام السينمائية. وإنهم، وعلى عكس الإنتاج التجاري لبرودواي يخرجون في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات أفلاماً واقعية بمواضيع لممثلي الأدب الأمريكي التقدمي أمثال - ج. شتاينبك، ويو. أونيل، الذين لامسوا

المسائل الاجتماعية الحادة للعصر. يعمل كوبليند على تأليف موسيقا للأفلام الوثائقية والفنية في «عن الفئران والناس» عام ١٩٣٩ لشاينبك، و«بلدتنا» المأخوذ من وايلدير، و«بوني الأحمر» لشتاينبك عام ١٩٤٨، وكذلك تومسون لفيلم «الأرض الإسبانية» ١٩٣٧ لهيمنغواي بالاشتراك مع بليتستاين، و«المحراث الذي يحرث السهوب» لـ أوكيسي عام ١٩٣٦، و«القصة اللويزيانية» (عام ١٩٤٨) لـ بليتستاين. ولقد كتب كوبليند موسيقا للفيلم المعادي للفاشستية «النجم الشمالي» (عام ١٩٤٣).

كان النضال البطولي للشعب السوفييتي في أعوام الحرب الوطنية العظمى يساعد على اعتماد المواضيع المدنية-الوطنية والمعادية للفاشستية في إبداع الملحنين الأمريكان. قام الرأي العام الموسيقي الطليعي في الولايات المتحدة الأمريكية، احتفالاً بانتصار الشعب السوفييتي في معركة ستالينغراد، والذكرى الـ ٢٥ لتأسيس الجيش السوفييتي، بتنظيم حفلة موسيقية في شباط عام ١٩٤٣ في بوسطن باسم «أغاني الحرية». وضع ألحان الكورس والحفلة أو. شومين، ومسرحية «صورة لينكولن» لـ كوبليند لأجل القارئ والأوركسترا، والسيمفونية الخامسة لـ ر. هاريس، مكرسة «للشعب السوفييتي البطل والمحب للحرية - لحليفنا العظيم، اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية - وعلى شرف جبروته في الحرب، وإيمانه الحازم بانتصار السلم في كل العالم، وقدرته على حل المشاكل المادية الصعبة ذات الأهمية الإنسانية العامة، دون فقدان الإيمان الحار لدى ذلك في الأهمية العظيمة للفن»[١].

لقد أعطي اهتمام كبير لـ «الموسيقا التجريدية» في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الثلاثينيات. توجه ممثلو هذا الاتجاه، من خلال تأثير المذهب

---

(١) Hariss R. 5 Symphony. N.Y., 1943, p. 3.

العصري البرجوازي الأوروبي إلى الأبحاث عن وسائل موسيقية-تعبيرية، وكان إدغار فاريز (١٨٨٥-١٩٦٥) مثالاً لهذا الاتجاه، الذي اشتغل على مسائل تجديد إيقاع وجرس الموسيقا. لقد سعى، وهو يقوم بالتجارب على الموسيقا الإلكترونية وعلم الصوتيات كل الإمكانية الصوتية للآلات التقليدية. ومن بين طرق تجديد اللغة الموسيقية كان اي. فاريز يؤكد ارتباط الموسيقي بالأدوات التكنيكية للأصوات.

تعكس اسم أعماله «أوكتاندر»، و«التأين»، و«الكثافة ٢١٠٥»، و«المعدن»، و«الفضاء»، وغيرها هذه الرابطة مع التكنيك. مارست أبحاث وتجارب فاريز تأثيراً كبيراً على إبداع الطليعيين في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هنري كاويل (١٨٩٧-١٩٦٥) هو أحد الممثلين الأوائل لمذهب الطليعة في الولايات المتحدة الأمريكية. إنه كان يجرب كذلك في مجال اللحن- والآلة، وكان يستخدم الأساليب التكنيكية غير العادية في مؤلفاته على البيانو: النقر على المفاتيح بالكف أو بالساعد (حصل هذا الأسلوب على اسم تون-كلاستر)، واستخدام تكنيك الكمان على أوتار البيانو (باستخراج الأصوات بواسطة الإصبع، وباستخدام الآلة التي تخفت الأصوات، وبأسلوب العرض السريع)، وأسلوب العزف على البيانو المحضَّر (كي تطلق الأوتار أصواتاً خافتة بواسطة عصا، وبراغ لولبية، ونسيج ولباد وغيرها). شارك غ. كاويل بالتعاون مع ل.س. تيرمين باختراع آلة جديدة - «ريتميكا» تعيد بآن واحد إيقاعات مختلفة.

لعب غ. كاوميل دوراً مهماً في الدعاية للموسيقا المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأسس عام ١٩٢٧ عدداً من الإصدارات وصار محرراً فيها، ونشرت فيها أعمال الملحنين الأمريكان والأوربيين. كان غ. كاويل

الملحن الأمريكي الأول، الذي زار الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٨. ويصبح من خلال تعرفه على الموسيقا السوفييتية داعياً نشيطاً لها في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد نشرت أعمال ف. اي. ريبيكوف، و ا. ا. بولوفينكين، و ا. ا. دافيدينكو، و ا. ف. موسولوف، و ا. م. فيبريك، ون. يا. مياسكوفسكي، وا. اي. خاتشاتوريان، ود. د. شوستاكوفيتش، على صفحات الإصدارات التي أسسها كاويل في أعوام الثلاثينيات.

أولع بعض الملحنين الأمريكان في نهاية الثلاثينيات وفيما بعد، تحت تأثير المبادئ الإبداعية لـ ا. شينبرغ، الذي اضطر للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من النمسا بمنظومة الدوديكافون. ولقد كان ر. سيشنس، واحداً من أوائل أنصار أفكار ا. شينبيرغ وأكثرهم ثباتاً. تظهر في أعماله «العمومية» المجردة من الشخصية، والمفصولة عن القضايا الحياتية. إن التطور اللاحق لمثل هذه التجارب المتوجهة بمعظمها إلى «النخب» يؤدي إلى الانفصال الكامل بين المبادئ الإبداعية لعدد من الملحنين الأمريكان (م. بيبّيت، واي. كارتر، ول. كيرتشنر، واي. كاون، وج. كيدج، ول. هاريسون وغيرهم) واهتمامات المستمعين. إن الأبحاث عن وسائل تعبيرية جديدة تتحول إلى غاية بحد ذاتها.

وعلى الرغم من كل تعدد الأنواع، والتعقيدات والتناقضات في اتجاهات الأسلوب الجمالي والنزعات في موسيقا الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فإن موسيقا ملحني «الثلاثينيات الحمر» التي ربطت مصيرها بالحركة العمالية تثير الاهتمام الأكبر. يظهر في إبداعهم التسييس الواعي للفن، والتشديد على السمات الوطنية، والتحقيق الناجح لوسائل موسيقية تعبيرية جديدة. إن أفضل نماذج موسيقا الولايات

المتحدة الأمريكية في «الثلاثينيات الحمر» - هي مثال على جمع التقاليد الوطنية الأمريكية وعدد من منجزات الثقافة الموسيقية العالمية، التي تترسخ فيها مثل الفن التقدمي للولايات المتحدة الأمريكية.

٥ - السينما

الولايات المتحدة الأمريكية هي البلد الأول، إذ ظهرت الآلة المخصصة لعرض الأفلام - كينينوسكوب، التي أُنشئت في مخابر أديسون (إذ سجل باسمه هذا الاختراع عام ١٨٩٣). إن الآلة هي عبارة عن صندوق بعدسة عينية، يسقط المشاهد قطعة نقود في شق وعبر العدسة يشاهد أفلاماً قصيرة جداً، يبلغ طول شرائطها ١٧٤ سم. وبدءاً من عام ١٨٩٤ يبدأ الاستثمار التجاري لهذه الآلة، وبيعها في الخارج. لقد تم بناء أول إستوديو سينمائي في العالم، في ويست - أورينج - بناء غير كبير مع سقف ممدد، ملون من الداخل بلون أسود، يشبه عربة السجن في «ماريا السوداء». إن الشرائط التي كانوا يصورونها هنا هي بصورة رئيسة عروض مختلفة لـ ميوزيك هول، ومشاهد مسرحية فنية ومواضيع نوعية.

بعد أربعة أشهر على عرض السينما الجماهيري في باريس للأخوين لومير، جرى في ٢٣ نيسان عام ١٨٩٦ في ميوزيك هول في نيويورك الاستعراض الأول للأفلام السينمائية، إذ شكلت اللوحات الأمريكية القسم الأكبر منها، والتي كانت تكرر مواضيع شرائط الكينيتوسكوب. تظهر بعد عام ١٩٠٠ وبصورة متزايدة صالات سينمائية صغيرة، وأجهزة متنقلة لعرض الأفلام. لقد كان يدخل في الحفلة عادة عدة أفلام تمثيلية ووثائقية قصيرة، تظهر الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية مع جانب استعراضي لناطحات السحاب،

والمصحات، والحدائق، وخطب الشخصيات المسؤولة العليا. إن الموضوعات المكرسة للأحداث الدولية كانت تعد وتصور غالباً في الإستوديوهات، وتعبر عن وجهة نظر الأوساط الحاكمة الأمريكية. لقد تم اعتبار «سننزع العلم الإسباني» عام ١٨٩٨ هو أول فيلم تمثيلي احتوى على موضوع، كان يدافع عن الإمبريالية الأمريكية التمثيلية.

وتتشكل مبادئ العروض، التي استمرت فيها بعد على شكل: اللوحات الجنائية، والميلودراما، والهزلية، والويسترن، والأفلام التاريخية وأفلام المغامرات، التي كانت من إذ المحتوى والشكل في تبعية كاملة لتصورات التنوع الفني، والأخبار الصحفية الجنائية وروايات التسلية.

في عام ١٩٠٣ ينتج اي. بورتير لوحة تمثيلية حصلت على نجاح واسع بين المشاهدين، ويعطى لها اسم «سرقة القطار الكبيرة»، ويخرج في عام ١٩٠٥ فيلم «جنون السرقة»، فضح فيه ظلم القضاء الأمريكي.

في عام ١٩٠٩ يتم إنشاء أول احتكار سينمائي باسم «شركة الامتياز السينمائي». تتوحد الشركات الإنتاجية الأساسية في اتحاد احتكاري واحد بمكتب ضخم للإنتاج بالجملة، وشبكات من الصالات السينمائية، تعلن هذه الشركات أنها المالكة الوحيدة للامتيازات السينمائية، وتبدأ حرباً ضارية ضد «الشركات الصغيرة المستقلة». تنتهي هذه الحرب عام ١٩١٤ بهزيمة الاحتكار، على الرغم من أنه عاش حتى عام ١٩١٧. وفي عام ١٩٠٩ أيضاً بدأ بعض «المستقلين» بتصوير أفلامهم في هوليود. وبفضل الظروف السينمائية المتميزة والطبيعة المتنوعة لهوليود، سرعان ما أخذ الاحتكار السينمائي يهتم بها. وما إن حل عام ١٩١٣ حتى كانت قد نمت هنا مدينة سينمائية.

بالرغم من توسع القاعدة التكنيكية قبل الحرب العالمية الأولى، وظهور بعض الأساتذة الكبار، فإن السينما الأمريكية بصورة عامة، من إذ مستواها الفني، كانت تخلي الطريق أمام السينما الأوروبية، الفرنسية منها والإيطالية والدانمركية.

أتى إلى السينما د. أو. غريفييت عام ١٩٠٨، وسرعان ما أصبح المخرج السينمائي الأكبر في البلاد[1]. إنه لم يستخدم تجربة السينما الأوروبية فقط، وإنما ساهم مساهمة مهمة في تطوير اللغة السينمائية، ولا سيما أسس المونتاج. طرح غريفيت المبدأ الواقعي للأداء التمثيلي في الفيلم، ولقد لعبت النوعية العالية لفنه المسرحي دوراً كبيراً في لوحاته. كان يخلق بمهارة جو الأحداث، وكان يُعدّ قوانين تركيب اللقطة والإضاءة. إن لوحة «ولادة أمة» (١٩١٥)، و«التعصب» (١٩١٦)، تملكان أهمية مبدئية بالنسبة لتطور الفن السينمائي. تجب الإشارة إلى أن «ولادة أمة» احتوت إلى جانب المواضيع الإنسانية نزعات عنصرية أيضاً، وفي «التعصب»، وتبعاً للحقيقة فإنه أظهر عملية إطلاق الرصاص على العمال من قبل البوليس، بيد أن معالجته في مجال فلسفة التعصب أظهرته وكأنه شرٌّ أبديٌّ لا يدرك.

بدأ ش. س. شابلن العمل في هوليود عام ١٩١٤[2]. ولقد قام خلال عام بالتصوير في «الشرائط الكوميدية» عند ماك سينّيت، وفي عام ١٩١٥، وعندما حقق لنفسه استقلالاً مادياً، ونال شهرة إبداعية، بدأ شابلن برسم صورة «الإنسان الضئيل»، وأصبحت عروضه الكوميدية مفعمة بالمحتوى الاجتماعي. وهكذا، فإن شابلن في لوحة «الحياة الكلبة» (١٩١٨) جسّد المصير

(١) د. او. غريفيت. موسكو، ١٩٤٤؛ وغيش ل. السينما، غريفيت وأنا. موسكو، ١٩٧٤ وترازبيرغ ك. ديفيد وورك غريفيت. موسكو، ١٩٨١.

(٢) آفيناريوس غ.ا. تشارلز سبينسير شابلن. موسكو، ١٩٥٩؛ وكوكاركين ا. تشارلي تشابلن. موسكو، ١٩٦٠.

القاسي للعاطل عن العمل. أما الممثلة السينمائية ماري بيكفورد فكانت الأكثر شعبية في ذلك الزمن، والتي بدأت التصوير معه منذ عام ١٩٠٩[1].كانت تمثل على الشاشة صورة البنت الأمريكية الفاتنة والفقيرة وحسنة النية.

نمت السينما في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الحرب العالمية الأولى، وبدأت تحتل الأسواق السينمائية الأوروبية. بنيت إستوديوهات سينمائية جديدة مؤثثة بصورة جيدة، وصالات سينمائية مريحة ورحبة، ونمت كذلك قيمة الإخراجات. كانت تتقوى في الوقت نفسه عملية توحيد المقاييس للمنتوج السينمائي. كانت كل شركة كبيرة تنتج أفلاماً من نوع محدد فقط مع تكرر مجرى المواضيع والأبطال. ويمكن إيراد إستوديو توماس أنيس كمثال على توحيد المقاييس في الإنتاج السينمائي. إنه يصبح مالكاً لإحدى أفضل الشركات السينمائية في هوليود. إن انيس لا يأخذ دور المخرج فقط، وإنما المنتج، الذي يشرف بآن واحد على عدة إخراجات. كان المخرج يحصل من المنتج على السيناريو التصويري المضبوط تقنياً مع مفتاح «التصوير بدقة كما هو مكتوب». أصبحت هذه الطريقة فيما بعد قانوناً معيارياً للإنتاج السينمائي في هوليود. كان إستوديو أنيس ينتج أفلام الويسترن و«القصص العملية» بصورة أساسية. ولقد أخرج أنيس أول فيلم دعائي بصورة مكشوفة حصل على الشهرة وهو «الحضارة» (١٩١٦)، والذي استخدمته الأوساط السياسية أثناء الحملة الانتخابية الثانية لويلسون إلى منصب رئيس الجمهورية. نالت شعبية كبيرة جمالية الشرائط «الكوميدية» التي أعدها م. سينّيت. كان عدم التطابق في سلوك البطل السينمائي مع السلوك الطبيعي للإنسان في الحياة العادية، يدخل في أساسها: كانت هذه الأفلام المسلية، المفعمة بالحيوية

---

(١) كولودياجنايا ف. ماري بيكفورد - في السينما: نجوم السينما الصامتة. موسكو، ١٩٦٨.

الخارجية، تخلق عالماً من السخافات المضحكة. أصبحت لوحات المغامرات ذات الحلقات الكثيرة، والملأى بالشجارات، والمطاردات، والقتل، موضة في السينما الأمريكية، وظهرت صورة أبطال مثل «الوطواط»، والعائلة قاسية القلب، المحطَّمة، التي تسعى إلى الرفاه والشعور بالملذات. وكانت عائلة تيوبار هي الأكثر شعبية على الشاشة الأمريكية في هذا النوع من الفن.

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، ظهرت لوحات في هوليود مباشرة ذات طابع مسالم، بيد أن تلك الأفلام بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في «نيسان عام ١٩١٧» تعرضت للمنع. وامتلأت شاشات الصالات السينمائية بالشرائط التي كانت تحمل طابعاً عسكرياً، وكانت تمجد الصناعيين الذين اغتنوا من الحرب.

كان فيلم شابلن «على الكتف» **(١٩١٨)** عبارة عن محاكاة هجائية لذلك الإنتاج السينمائي الشوفيني - العسكري. وفي العشرينيات حدثت تغيرات كبيرة في هوليود. وعلى الرغم من الأفلام التي تنتقد المجتمع البورجوازي كانت تخرج كما في السابق بأعداد قليلة، غير أن من بينها كانت هناك أعمال عميقة ومهمة من إذ محتواها الفكري والفني. ظهرت أنماط جديدة من الأبطال السينمائيين. ولقد انجذب إلى العمل في هوليود بصورة واسعة أساتذة السينما الأجانب. وكان نمو السينما يتصاحب بازدياد واسع للجمهور السينمائي، لا في الولايات المتحدة الأمريكية فقط، وإنما في البلدان الأخرى. وبفضل توسع هوليود احتلت اللوحات الأمريكية في عام ١٩١٩، ٩٠ % من الشاشات في أوروبا، و١٠٠% تقريباً في أمريكا الجنوبية.

كانت تظهر في كل عام أسواق سينمائية في آسيا وإفريقيا، وأصبح وول - ستريت يشرف على صناعة السينما، موظفاً فيها ملايين الدولارات، ومحققاً

لنفسه إشرافاً على الإنتاج السينمائي. أصبح رؤساء الاحتكارات والبنوك وأرباب العمل ذوو الخبرة والتأثير، مديرين للشركات السينمائية الضخمة[1]. تصاعد الصراع التنافسي القاسي الذي كانت الشركات السينمائية الكبيرة تبتلع في سيرها الشركات الصغيرة والمتوسطة، وأصبحت عملياً احتكارات تمتلك بنفس الوقت، الإنتاج السينمائي، والتسويق بالجملة، وشبكة الصالات السينمائية. ونتيجة لذلك زادت النفقات على إنتاج الأفلام بصورة قوية.

كانت الإمبراطورية السينمائية الضخمة تحتاج إلى قيادة واحدة، لأجل تجسيد المهام الإيديولوجية الأساسية في الأفلام، المطروحة من قبل الأوساط الأمريكية الحاكمة أمام هوليود، لأجل تحقيق الرقابة وحل النقاشات بين الشركات. وفي عام ١٩٢٢ تم تأسيس جمعية المنتجين السينمائيين والموزعين (لم يدخل في عدادها عاملون مبدعون). كان رئيس الجمعية يملك في هوليود سلطة اقتصادية تنظيمية غير محدودة. احتل هذا المنصب ويلل هيس، الشخصية السياسية، الذي لم يكن يملك سابقاً أي علاقة بالسينما، لكنه كان يحصل على ثقة البنوك والاحتكارات[2]. لم تكن هناك إمكانية لعرض أي عمل أدبي أو أي سيناريو معد على الشاشات دون موافقة الجمعية، التي سرعان ما سميت «دائرة هيس». كانت هذه الجمعية تعرقل تصوير القضايا الاجتماعية الحادة على الشاشة، وكانت تطلب زخرفة الواقع. لقد تم القيام بكل شيء كي تتحول هوليود لـ «مصنع للخيال».

---

(١) The Rise of the American film. A Critical History/Ed. By L. Jacobs. N.Y. 1941, p. 288.

(٢) قاد ويلل هيس العشرينيات شركة مختصة بانتخابات رئيس الجمهورية لـ أو. غاردينغ عن الحزب الجمهوري، وحصل على منصب وزير البريد كمكافأة له.

أصبح المخرجون في أواسط العشرينيات بتبعية كاملة لإرادة المنتجين، وكان الأخيرون يختارون السيناريوهات، ويحددون قيمة الإخراجات، ويستأجرون مجموعات التصوير بما في ذلك المخرجون والممثلون، ويشرفون على عملية التصوير ويتبنون الأفلام الجاهزة. كان بعض المخرجين منتجين في الوقت نفسه، لكن ذلك كان يحدث في تلك الحالات فقط، عندما كانوا يملكون إمكانيات تنظيمية فقط، ولكنهم كانوا ينفذون دون اعتراض تعاليم مالك الشركة السينمائية.

تحولت هوليود في أعوام العشرينيات إلى أداة دعائية جبارة. وحسب كلمات مؤرخ السينما الأمريكي لويس جيكوبس فإن «السينما لا تمثل وجهات نظر البزنس الكبير فقط، وإنما أصبحت هي نفسها بزنس كبير»[1]. كان جيكوبس يشير وهو يبحث مسألة المشاهد السينمائي، إلى أن هوليود لم تكن تسترشد بالكادحين، وإنما بما يسمى «الطبقة الوسطى»[2]. إن أفلام الاتجاه التقدمي بصفة خاصة، ربما باستثناء كوميديات شابلن، لم تكن تحظى بالنجاح لدى المشاهد، المعتاد الأساطير السينمائية، التي كان محتواها الأيديولوجي يكمن في التغني بـ «الرفاهية» الأمريكية وعبادة التملك. إن القيم الروحية الحقيقية كالاستقامة البسيطة، كانت تشوه، وتصور كشيء تافه، وممل استهلك نفسه، وحتى أفلام د. أو. غريفيت اعتبروها الآن موضة قديمة، وأخذت تفقد النجاح لدى المشاهد[3]. إن ماري بيكنورد التي كانت لفترة غير بعيدة أكثر ممثلة سينمائية شعبية في البلاد، والملقبة بـ «محبوبة أمريكا»، كانت مضطرة للتخلي عن

(١) The Rise of the American Film, p. 393.

(٢) Ibid., p. 168.

(٣) تراوبيرغ ل. مصدر مشار إليه سابقاً.

إبداعها «الشخصي» والانتقال إلى وظيفة أخرى. تظهر أفلام «الخطر الأحمر» ملأى بالأكاذيب عن البلاد السوفييتية.

كان التيار الأساسي للإنتاج السينمائي هو إما أفلام للتسلية مأخوذة من حياة أمريكان ناجحين، وإما مشاهد غريبة متنوعة. وكانت هذه الشرائط أو تلك ملأى بصورة واضحة بالنزعات «الخيالية» التي تبعد المشاهد عن الواقع، وعن المشاكل الاجتماعية والسياسية الحادة في الحياة الأمريكية. كانت المشاهد ملأى بالمغامرات المستحيلة، يقوم بها أبطال وبطلات رومانتيكيون بظروف مؤثرة. ويمكن إيراد أمثلة عن هذه الشرائط، مثل تلك اللوحة التي شارك فيها رودولف فالنتينو، الممثل الجميل، لكن متوسط الموهبة، باسم «معشوق من الطراز الجنوبي» أو دوغلاس فيربينكس في «إشارة زورو» (١٩٢٠)، و«لص بغداد» (١٩٢٤)[١].

وهكذا تكشّف الموضوع المعاصر الآن، كي يُظهر قدر المستطاع وبصورة تفصيلية الحياة الباذخة للأغنياء الأمريكان. كان المشهد يتطور كقاعدة في الفنادق الغالية، والنوادي الليلية، والشخصيات تقوم بالنزهات على اليخوت، وتسير بسرعة على الطرقات بسياراتها الفاخرة، وتفتن السيدات المشاهد بملابسهن المسائية، وفرائهن. إن إنسان الرفاهية كان بطل الشاشة. كانوا يظهرون الفقير في تلك الأحوال فقط، إذا كان يجب عليه بمقتضى الموضوع أن يحصل على الثروة.

كانت الدعاية للعدوانية، والعطش للتسلية، وتقويض المبادئ الأخلاقية هي القاعدة للحياة. لقد صور ت. درايزر في روايته «التراجيديا الأمريكية» (١٩٢٥) الخلاعة المدانة من قبله في الكثير من الأفلام كمثال للأمريكي. ووفقاً لذلك تتغير مُثل البطلات كذلك: إن دور الفتاة المتواضعة، وحسنة النية لا يجلب

---

(١) نجوم السينما الصامتة.

للمثلة المجد. تصبح الممثلات لويزا بروكس، وكلارا بوا، وجوان كراوفورد اللواتي يقمن بأداء أدوار النساء المستقلات، والغاويات هن المشهورات.

يحتل سيسيل دي ميل، المهني القدير، والمنظم العملي الحاذق مكانة رئيسية في هوليود في النصف الأول من أعوام العشرينيات. إنه استوعب قبل الآخرين التغيرات، وطرح في لوحاته الأذواق والنظرات الجديدة.

لقد حوت رسومه التخطيطية عملياً كوميديات مشابهة لعناصر الميلودراما، وأعطى إنتاجه أسماء زاهية مثل: «لماذا تغيير الزوجة؟» (١٩٢٠)، و«الفاكهة المحرمة» (١٩٢١) وغيرها. كان يتجاهل في تلك اللوحات المبادئ الأخلاقية التي تخلق القيم الروحية.

كانت الأفلام المكرسة للموضوع المعاصر متغلغلة بالبراغماتية المبتذلة[١]. وكان يستعرض فيها سباق الشخصيات لاستحواذ آخر صرعات الموضة في السيارات والثياب والموبيليا والمجوهرات. كانت تغرس عند المشاهد مشاعر الازدراء بالقضايا الاجتماعية، وتمجد التملك، وتتجاهل القواعد الإنسانية، والبشرية. كانت أفلام أرنست ليوبيتش الآتية من ألمانيا قريبة من إذ الروح من دي ميل، وقد حددت مهامها «الإبداعية» على الشكل التالي: «... إن الجمهور الأمريكي بعقله الذي لا يتجاوز عقل ابن اثني عشرعاماً يجب أن يرى على الشاشة تلك الحياة، التي لا توجد في الواقع[٢]».

يتطور في أعوام العشرينيات نوع خاص من أنواع الفن السينمائي الأمريكي - الويسترن، الذي كان يصور بشكل مزخرف احتلال «الغرب الوحشي» في القرن التاسع عشر، ويسوّغ لإبادة الهنود.

---

(١) كوماروف س. تاريخ السينما الأجنبية. موسكو، ١٩٦٥، الجزء ٢١، ص ١٧٩-١٨٣.
(٢) Photoplay, 1922, Dec.

احتلت الكوميديا مكاناً مهماً في العروض السينمائية، وكان القسم الكبير منها يعتمد على «الصدمات» (كوميديا الصفعات والعصي)، الممتلئة بالأحداث السخيفة. إن الكوميديات التي كانت تلامس المسائل الاجتماعية الجديدة كانت نادرة جداً، وإن الممثلين الأكثر شعبية كانوا يمثلون فيها كشخصيات مقنّعة. كان لدى أبطالهم في مختلف الأفلام نفس المظهر الخارجي، ونفس اللباس غير المعقول، وطريقة تقليدية بعض الشيء في السلوك، آتية من التهريج. لقد كان هارولد لويد هو أحد أكثر الكوميديين شعبية، الذي أنشأ قناع الإنسان الشاب، العادي، غير الملحوظ: وبفضل نشاطه ووقاحته، وكذلك «منافع نمط الحياة الأمريكية» كان النجاح ينتظره دائماً. إن أفلام لويد كانت تسمى «كوميديا - الرفاهية»[1].

كانت الكوميديا السينمائية لشابلن، الإبداعية، وذات الفنية العالية تختلف بصورة مبدئية عن هذه اللوحات. لقد خلق صورة الإنسان الضئيل، والطفلي، والطيب، والعاجز عن الدفاع عن نفسه، وضحية نمط الحياة الأمريكية. لقد كان يثير في بعض لوحاته القضايا الاجتماعية المهمة مثل لوحته «الحاج» (١٩٢٣)، ولوحته «حمى الذهب» (١٩٢٥)، يحكي بصورة صادقة عن الطريق الصعب والخطر للباحثين عن الذهب، هادماً بذلك الأساطير الوردية المتعلقة بهذا الموضوع. إن المشرد الشابلني هو حالم، وسيءّ الحظ، ويعلن عن نفسه كإنسان يخالف كل المخالفة البطل السينمائي الأمريكي المستهتر والتقليدي، والمتبع للموضة. ينضم إلى بطل شابلن الصورة السينمائية - القناع لبيرستر كيتون، الإنسان الضعيف والهش، والضائع في العالم القاسي، ولكنه الذي يحتفظ بالشجاعة والثبات والرصانة الخارجية.

---

(١) كوميديو الشاشة العالمية، موسكو، ١٩٦٦.

كان بعض مخرجي الاتجاه الواقعي يجابهون الإنتاج الهوليودي الأساسي، ولا يرغبون العمل باتجاه جعل المجتمع الأمريكي مثالياً، ويبحثون عن أبطال جدد، ويعدون وسائل تعبيرية جديدة. كانت توحدهم الكراهية تجاه المعايير الهوليودية، والبراغماتية الصريحة وتمجيد البرجزة. لم يكن هؤلاء الأساتذة السينمائيون ثابتين في إبداعهم، وغالباً ما كانوا يخضعون للنماذج الهوليودية. وكمثال على ذلك يمكن الحديث عن إبداع جيمس بريوز بصفة خاصة، الذي أخرج أفلاماً تجارية بحتة، إلى جانب لوحات كانت تحتوي على عناصر الهجاء الاجتماعي مثل «هوليود» (١٩٢٣)(١). لقد صور جوزيف شتيرنبرغ «قاع» المدن الكبرى، وقص في فيلمه «كلاب نيويورك» (١٩٢٨) عن كرم من كانوا يعتبرونهم مشردين(٢).

كان المخرجان إيريخ شتروغيم وكينغ فيدور، هما الأكثر تقدمية في أعوام العشرينيات. مارست أفلام شتروغيم تأثيراً كبيراً على تطور الفن السينمائي الأمريكي. يعتبره بعض مؤرخي السينما أول واقعي كبير بصورة عامة في سينما الولايات المتحدة الأمريكية. كان شتروغيم يفضح ذلك التفسخ الأخلاقي العميق في المجتمع، الذي كان لوبيتش ودي ميلان يعملان على تنميقه بمثابرة في أفلامهما. كانت اللوحة المحتوية عند شتروغيم، للأخلاق البرجوازية مرهفة جداً ودقيقة. إن لوحته الأفضل «الطمع» (١٩٢٤) -عبارة عن نقل لكتاب الكاتب الأمريكي ف. نوريس إلى الشاشة - كانت تحكي بصور واقعية وبدقة عن الطمع بالمال الذي لا يشبع، الذي تتميز به الولايات المتحدة الأمريكية، والذي يأكل الروح البشرية، في كل مناحي الحياة.

---

(١) The Rise of the American Film, p. 374-379.

(٢) كوماروف س. مصدر مشار إليه، الجزء الأول، ص ٢٠٧-٢٠٨.

ولقد جرى تشويه «الطمع» بالرقابة، عن طريق الاختصار. مارست الأفلام السوفييتية تأثيراً جدياً على تطور الاتجاه الواقعي لسينما الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأفلام المبتكرة من إذ أهدافها الفكرية والفنية، مثل «المدرعة بوتيومكين» لـ س. م. إيزنشتاين، و«الأم» لـ ف. اي. بودوفكين، هذان الفيلمان اللذان ظهرا على شاشات الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف العشرينيات. كتب مؤرخ السينما ل. جيكوب، أن «الأفلام السوفييتية لم يتم إخراجها لأجل التسلية»، وأنه مع ظهورها «بدأ عصر جديد في علم جمال السينما»[١].

يشير الكثير من الباحثين إلى التأثير المباشر لممارسة السينما السوفييتية على واحدة من أهم لوحات الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الزمن، وهي - «الجمهور» (١٩٢٨) كتاب فيدور، الذي تحدث عن مصير مستخدم أمريكي صغير وعادي وزوجته. إن ل. جيكوب يعطي لهذا الفيلم الصفات التالية: «إن موضوعه كان يتناقض مع كل الأعراف الهوليودية، سواء من إذ وصفه للواقع الكئيب، وللعاطلين عن العمل، وللأشياء الصغيرة الحياتية، والأحلام الفاشلة، وكبت الذات التي تحاول الانفصال عن واقعها، والحديث عن الخيبة اللامتناهية للآمال، التي ترغم الأبطال على أن يغوصوا بصورة أعمق في مستنقع النظام، الذي يفسدهم - كان كل ذلك يشكل تضاداً حاداً للخرافات المنتشرة بصورة واسعة حول «رفاهية كوليدج»»[٢].

من الجدير بالاعتبار أن فيلم «الجمهور» مثله مثل فيلم «الطمع» لم ينل النجاح لدى المشاهدين، الذين كانوا مرتبكين من «قمم» الإنتاج الهوليودي. كان من النادر أن تتوجه سينما العشرينيات إلى موضوع الحرب. ولقد اعتبرت

---

(١) The Rise of the American Film> p. 512.

(٢) Ibid., p. 456.

لوحة كينغ فيدور «الاستعراض الكبير» (١٩٢٧) استثناءً، إذ تم إلى جانب تمجيد جبروت الجيش الأمريكي، إبراز العواقب الوخيمة للحرب كذلك.

كان إبداع روبيرت فلاييرتي تحدياً للتقليد الهوليودي الطبيعي في الفيلم الوثائقيّ. إنه يتوجه في أبحاثه عن القيم الثابتة في الحياة البشرية، وهو الذي خابت آماله في الحضارة البرجوازية، إلى حياة القبائل التي ما زالت تحافظ على نمط الحياة البدائية. هكذا كانت قصة المخرج عن القاطنين الشماليين لألاسكا في لوحة («نانوك من الشمال» ١٩٢٢)، وعن سكان المدارات الاستوائية («موانا» ١٩٢٦). لقد حاولت هوليود كسر فلاييرتي وتكييف موهبته لأجل حل مسائلها، وإجبار الوثائقي السينمائي على التجارة بالغريب. لقد اضطر أن يغادر الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٣١[1].

ينتهي عصر السينما الأمريكية الصامتة في نهاية العشرينيات. ويحل عصر الصوت في هوليود. كان الفيلم الأوبرا «دون جوان» هو أول فيلم ناطق صدر في عام ١٩٢٦، وقد مهدت له كلمة افتتاحية لويل هيس، حيًّا فيها هذا النمط من التمثيل السينمائي. ولقد ظهر في العام التالي فيلم «مغني الجاز»، إذ كانت هناك إلى جانب الأغاني حوارات قصيرة للشخصيات الفاعلة أدت بالمشاهدين إلى الابتهاج الخاص. إن النفقات الكبيرة على إعادة تجهيز الإستوديوهات وصالات السينما كانت مفيدة. لقد تخللت الكثير من الأفلام الصامتة عام ١٩٢٨ أجزاء ناطقة، أما في العام التالي فلم يتم إنتاج أي فيلم صامت.

---

(١) روبرت فلاييرتي: مقالات، وشهادات، وسيناريوهات / وضع ت. اي. بلبايف. موسكو، ١٩٨٠.

إن الأفلام الناطقة بالطبع كانت غير مكتملة، لكنها حصلت على نجاح ضخم بين المشاهدين. كانت هوليود هي الفرع الوحيد عملياً من الصناعة الأمريكية، التي لم تعان الأزمة الاقتصادية التي بدأت في عام ١٩٢٩.

إن ديماغوجية هوفر عن «الازدهار المستمر» كان مجالاً للسخرية ش. شابلن في فيلم «أضواء المدينة الكبيرة» (١٩٣١)، الذي تبدأ في الأحداث بافتتاح بهي لنصب الازدهار التذكاري، تُلقى خطب مهيبة، وعندما ينزع الغطاء عنه، يرى المجتمعون متشرداً بائساً لا منزل لديه يلتجئ تحته.

لقد أثرت التناقضات الاجتماعية الحادة، ونمو الحركة الديمقراطية على تطور الاتجاه الواقعي في السينما الأمريكية أعوام الثلاثينيات، حتى إنه يظهر مصطلح «الواقعية الاجتماعية»[1]، ليست هناك الكثير من اللوحات التي عكست المشاكل الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة واقعية، وكانت تمتلك أهمية كبيرة.

إن الإنتاج التجاري تعرض في نضاله ضد النزعات الواقعية والديمقراطية في السينما لتغييرات محددة، واتخذ أشكالاً جديدة، وأصبح الاتجاه المدافع عنه أكثر حذاقة أيضاً. لقد تحدث عن ذلك بصورة صريحة إلى درجة ما، ويل هيس: «... في الفترة التي كانت تتميز بالثورات والانتفاضات والفوضى السياسية في البلدان الأخرى، لم تساعد أي وسيلة في دعم الأخلاق الوطنية مثل السينما. إن رسالة شاشتنا تتلخص في التذكير بالقضايا المعاصرة المعقدة، وإظهار منجزاتنا بصورة مسلية، والتفاؤل والفكاهة اللطيفة. إن مؤرخي

(١) يستخدم هذا المصطلح على سبيل المثال في كتاب: The Movies Richard Griffith and Arthur Mayer. N.Y., 1957, p. 343.

المستقبل لن يستطيعوا تجاهل تلك... الحقيقة، بأن الأفلام كانت تذر الكساد في الريح أمام الجمهور في الفكاهات[١]».

لقد استطاعت «دائرة هيس» أن تجعل من هوليود أداة منفذة لهذه «المهام الأيديولوجية». في الثلاثينيات تم إنجاز توحيد وتحديد معايير الإنتاج السينمائي الأساسي. كانت السيناريوهات تبنى كقاعدة حسب معايير الرسوم التخطيطية، وكان يشارك في بنائها بالوقت نفسه عدد من كاتبي السيناريو[٢]، وكانوا ينقلون النجوم عادة من فيلم إلى فيلم على نفس الصورة تقريباً، وكان المخرج يحصل على سيناريو معد يجب عليه أن ينقله إلى شريط الموضوع والحوار المسجلين فقط بالمعنى الحرفي للكلمة. والآن، وفي عملية إخراج الفيلم ينجذب عدد كبير من الناس ذوي المهن السينمائية الضيقة. وحتى منتصف الثلاثينيات كان يشارك في صناعة فيلم واحد ٢٧٦ عامل اختصاص سينمائي. إن هذا الإنتاج المتسلسل كان يسمح بإنتاج ٥٠٠ فيلم كل عام، في مستوى جيد، لكنها بعيدة عن الفن الحقيقي بالطبع. إن هوليود الآن أصبحت تعترض «بالقانون الإنتاجي» الذي سمي بصورة غير رسمية بـ «قانون هيس». كان هذا القانون يوصي أو يمنع المواضيع، وكان يقترح تنظيم أشكال وطرائق تطور المواضيع.. إلخ. كان الاهتمام الأساسي فيه يعار بصورة كافية ومحددة للقواعد المصاغة، التي كانت تعرقل إخراج أفلام واقعية. إن منتجات هوليود كانت تصرف انتباه الجمهور وبدرجة أكبر مما كان سابقاً أيضاً عن التفكير الجدي بما يجري في البلاد. ساعدت أفلام هيس بقمع الاتجاهات الفكرية «غير المرغوبة» بالنسبة للطبقة المسيطرة.

---

(١) استشهاد بـ: The Rise of the American Film, p. 517.

(٢) يؤكد ل. جيكوب، بأنه كان يصل عدد من يعمل على سيناريو واحد حتى ٥٠ كاتب سيناريو.

إن أفلام «الصدامات» التي أصبحت رئيسية كانت تصرف الأنظار عن الواقع مثل: أفلام الفانغستر، أو الأفلام البوليسية، وأفلام الويسترن، ولوحات المغامرات الغريبة، والموسيقية، والكوميديات الخفيفة، والنقل المشوه للكلاسيكيات إلى الشاشة، ولوحات التسلية المضاربة(١).

لقد زاد عدد أفلام الفانغستر بصورة خاصة، وظهر في أعوام الثلاثينيات ما يسمى بأفلام الرعب، إذ الوحوش من مختلف الأنواع، والأبطال الخارقون يقومون بجرائم مستحيلة، فمثلاً (في عام ١٩٣٠ أخرج فيلم «فرانكشتاين» حول مغامرة روبوت جبار بدماغ متهوس قتيل. و«دراكولا» حول مصاص دماء). حازت لوحة «كينغ كونغ» (١٩٣٣) من بين لوحات المغامرات الغريبة نجاحاً كبيراً، بفضل أنه ظهر بصورة مركبة، إذ استطاع الغوريللا العملاق مع عظاءة طائرة أن يهدم ناطحة سحاب أمريكية. وكذلك السلسلة المكرسة لمغامرات طرزان، الذي تربى في الغابة مع القرود (فيلم ناطق «طرزان - الإنسان القرد» أنتج عام ١٩٣٢).

كانت الأفلام الموسيقية هي أكثر الأفلام المأمولة في تلك الفترة. لقد بدأ إنتاجها مع إعادة إنتاج الرفيو (نوع من التمثيل الاستعراضي المؤلف من عدة مشاهد وعروض، يجمعها موضوع واحد - المترجم) والأوبريت على الشاشة. إن تلك الأفلام غالباً ما كانت تخرج بمسلسلات. على سبيل المثال «الباحثون عن الذهب»، و«ميلوديا برودواي» التي كانت عبارة عن قصة صعود بطلة طيبة دون شك وحسنة إلى المجد - وهنا دخلت الفضيلة من جديد إلى الموضة. كانت دينا دوسبين تقوم بالأدوار الشاذجة للفتيات اللطيفات اللواتي يقمن

---

(١) كولودياجنايا ف. ، وتروتكواي. تاريخ السينما الأجنبية. موسكو، ١٩٧٠، الجزء ٢.

بالغناء. لكن النجمة التي لاقت إقبالاً أكبر كانت شيري تمبل ذات الأعوام الستة، لقد كانت تغني وترقص وتلف اليافعين الأغبياء و«تتلافى» القضايا الاجتماعية، وتصرف النظر عنها في الوقت نفسه.

إن الكوميديا السينمائية الناطقة في أعوام الثلاثينيات باستثناء أفلام شابلن، كانت أضعف من الصامتة. والآن أصبح العرض الكوميدي الصامت لا يسود، وإنما الشفاهي. وبالمناسبة، فإن الكوميديين المسرحيين الكبار لم يستطيعوا التطور في السينما. هكذا حدث مع أو. رودزكير، وأو. فيلدس وغيرهما.

لقد ازدهر فقط أولئك الممثلون الكوميديون الذين كانوا يستجيبون للتسلية الفارغة مثل أو. هاردي (البدين الوقح) وس. لوريل (النحيف والجبان).

ظهرت في هوليود في تلك السنوات صيغة جديدة لتحويل الأعمال الكلاسيكية إلى الشاشة: أخذوا منها أسماء الأبطال فقط والرسم التخطيطي السطحي للموضوع. لقد أبدلوا محتوى شخصيات الأعمال، وإذيات سلوكها، والوسط الاجتماعي بأختام هوليودية، وكمثال على ذلك («آنا كارنينيا» ١٩٣٥). لم تستطع حتى موهبة هاريت غاربو، التي أدت دور آنا أن تنقذ الفيلم. وفي عام ١٩٣٢، خرجت لوحة «التراجيديا الأمريكية» المأخوذة عن رواية ت. درايز، المسماة بنفس الاسم، بصورة مشوهة تماماً. فإذا كانت الرواية حسب كلمات الكاتب هي «إدانة للنظام الاجتماعي الأمريكي»، التي أدت بكلايد للجريمة، فإن النظام الاجتماعي في الفيلم كان بريئاً، أما البطل فهو مجرم من الولادة.

كان التجسيد على الشاشة، المبني على التقاليد الواقعية يشق طريقه بصعوبة بالغة. في عام ١٩٣٠ تم إطلاق فيلم باسم «على الجبهة الغربية دون انقطاع» «المخرج ل. فايلسناون» المأخوذ من رواية اي. م. ريمارك بنفس الاسم.

لم تكن اللوحة تسترجع التعقيد النفسي في الرواية، وإنما تم فيها إظهار قساوة يوميات الحرب، والمعاناة المعنوية والجسدية للناس، الذين بدؤوا يعون عدم عدالتها، بصورة مقنعة. كان فيلم «أنا - محكوم عليه بالأشغال الشاقة هارب» (١٩٣٢، للمخرج م. لي. روي) مهماً، وأُخرج حسب مواد قصة وثائقية، عن شخص أسود، جرت ملاحقته كمجرم. لقد تم على الشاشة إظهار عدم عدالة القوانين والوضع القاسي في السجن، في ولاية جورجيا.

أخرجت هوليود في الثلاثينيات الكثير ممَّا يسمى الأفلام التاريخية، وأفلام السير الحياتية، مستغلة اهتمام المشاهد تجاه الشخصيات البارزة. كانت هذه الأفلام بمعظمها تصنع من إذ الموضوع حسب وصفة واحدة: كان يجري تبديل الحقائق التاريخية بالمغامرات المختلفة، والعاطفية. وهنا يجب تسمية اللوحات المنحدرة من ألمانيا كاستثناء، مثل لوحات أو. ديتيرل («قصة لويس باستير» ١٩٣٥، و«حياة إميل زولا» ١٩٣٧، «خواريس» ١٩٣٨). لقد تم في هذه الأفلام عكس الأحداث الواقعية، وعلى الرغم من بعض نقاط الضعف الفنية، فإن هذه الأفلام كانت ظاهرة مهمة بالنسبة للخلفية الهوليودية بصورة عامة.

كذلك كانت اللوحات المكرسة لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في معظم الأحيان مشوهة لهذا التاريخ، وتركز على التسلية. إن لوحة «ذهب مع الريح» (هي تجسيد لرواية مارغريت ميتشيل بنفس الاسم على الشاشة) التي تم إنتاجها أواخر الثلاثينيات أثارت الاهتمام الأكبر بين المشاهدين، التي تعدّ بحق واحدة من قمم السينما الهوليودية التجارية. لقد تم فيها تصوير الحرب بين الولايات الشمالية والجنوبية، وتلك التغيرات التي حدثت في الجنوب الأمريكي بعد هزيمته بصورة فعالة. كانت اللوحة تتميز بمدى إخراجي كبير، ومثل

الشخصيات الأساسية فيها، ممثلون وممثلات إنكليز وأمريكان كبار، مثل فيفيان لي، وكلارك غيبل، وليسلي هوارد وغيرهم.

كان الإنتاج السينمائي الأساسي في أعوام الثلاثينيات يلامس بصورة غير مباشرة قضايا ذلك الزمن الاجتماعية والسياسية. وفي الوقت نفسه، فإن الأفلام الـ ٢٠-٣٠ التي كانت تنتج سنوياً، كانت مزورة ومتعمدة خصوصاً. كانت البطالة، وعدم المساواة الاجتماعية، والعنصرية تصوران بطريقة مزركشة. فإذا جرى الحديث في هذه الأفلام عن بعض العيوب أو النواقص في المجتمع الأمريكي، فإن أسباب وجودها كانت تصور وكأنها قدر محتوم، وعادات سيئة لبعض الأشخاص، وغيظهم العاطفي... الخ. وهكذا، فإن بطل فيلم «العنف الأسود» **(١٩٣٥)** ينظم في المنجم إضراباً لأن الفتاة التي يحبها فضلت عليه رجل شرطة فقط، أما في لوحة «معركة في برودواي» **(١٩٣٨)** فقد تم تصوير «الفيلق الأمريكي» الموالي للفاشية كاتحاد لمعربدين طيبين يساعدون عائلة المليونير لتسوية أعمالها المحبوبة.

كانت «النجوم» هي الطعم التجاري الرئيسي لهوليود في أعوام الثلاثينيات: إن مشاركتهم وحدها كانت تحقق النجاح للفيلم. ولقد كان من بين النجوم الكثير من الممثلين الجيدين، الذين لم يكونوا كقاعدة راضين عن إلزامهم بالسيناريوهات المعيارية. كانوا يسعون لأدوار مهمة، ولكنهم لم يكونوا ليحصلوا عليها تقريباً. كان يعمل في هوليود آنذاك ممثلون موهوبون أمثال غريتا غاربو، ومارلي ديتريج، وبيت ديفيز[1]، وبول موني، وهنري فوندا[2]وغيرهم، لكن أكثرية الأفلام، التي صوروا فيها، كانت دون مستوى موهبتهم.

---

(١) كارتسيفا ي. بيت ديفيز، موسكو، ١٩٦٧.

(٢) ممثلو السينما الأجنبية، موسكو، ول. ١٩٦٥، الإصدار الثاني.

يحتل إبداع وولت ديزي مكاناً خاصاً في السينما الهوليودية أعوام الثلاثينيات[1]، الذي حدد بمقدار كبير آفاق تطور أفلام الصور المتحركة الأمريكية، ومحتواها، وشكلها. إن ديزني ليس فناناً كبيراً فقط، كان لديه مجال عملي بالفطرة، وقدرة على إيجاد الناس الموهوبين وتوحيدهم واستخدام منجزات الأنواع الأخرى من الفنون القريبة في إبداعه. يتشكل الإستوديو الذي يخصه الأسلوب «الديزني» الذي كانت حركة آلة التصوير فيه ومجازية الصور هما الصفتان المميزتان له. كانت الصور الأكثر نجاحاً تنتقل من فيلم إلى فيلم.. وكانت صورة الفأر ميكي ماوس هي الأكثر شعبية من غيرها، والتي أصبحت محبوبة أمريكا بأسرها.

إنه يكون في أحد الأفلام رياضياً، وفي آخر - مزارعاً، وفي ثالث - موسيقياً... الخ. كان يصور في الأفلام القصيرة غالباً (دون أية أحكام) الصراع القاسي بين الأبطال. وفي هذا الصراع كانت تباح كل الأساليب. يلاحظ ل. جيكوبس بهذا الصدد، بأنهم كانوا يجدون في الأفلام السينمائية القصيرة انعكاساً مباشراً للقسوة والعنف المفطور عليهما الواقع الأمريكي المعاصر[2]. إن الأفلام الطويلة، وأفلام الصور المتحركة مثل - «كرة الثلج البيضاء والأقزام السبعة» (١٩٣٨)، أو «بيمبي» (١٩٤٢) - قد بنيت بصورة أخرى. لم يكن فيها تصوير للعدوان، الذي كان يوجد في كثير من المشاهد الكوميدية.

إن الصراع بين ثقافتين في هوليود أعوام الثلاثينيات كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً، كان يتفاقم. ظهرت لوحات، كانت الكثير من المشاكل الاجتماعية

---

(١) آرنولد اي. حياة وحكايات وولت ديزني ل.، ١٩٦٨.

(٢) The Rise of the American Film, p. 499.

والسياسية المهمة، التي كانت تفضح المجتمع البرجوازي المعادي للإنسانية. جرى التعبير عن هذا التضاد في القرارات المتخذة من هوليود بشأن المواضيع المعادية للفاشية. لقد أنتجت هوليود نحو ٥٠ لوحة بالموضوع المعادي للفاشستية. بيد أنها كانت ملحة فقط من إذ الرسم الخارجي، أما من إذ المحتوى، فقد كانت تتحاشى المسائل الحادة للنضال المعادي للفاشستية.

كانت بعض الأفلام المنفردة تفضح الأيديولوجية الفاشستية، مثل «الدكتاتور العظيم» (١٩٤٠) لـ شابلن أو «اعترافات جاسوس نازي» ١٩٣٩) لـ ا. ليتفاك، التي كانت تسترجع شهادات وثائقية حول نشاط «الأخوية الأمريكية - الألمانية»، التي كانت تحاول بطريق الدعاية، والتهويل والقتل توظيف ٨ ملايين ألماني يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة ألمانيا الهتلرية.

وفي المجال الهجائي فإن لوحة «الدكتاتور العظيم» أظهرت المحتوى المعادي للبشرية للنظام الفاشستي. إن البطل الضئيل شابلن، الذي ألقى القناع عنه في نهاية الفيلم، يتوجه بتأثر من خلال الإذاعة إلى العالم بنداء للنضال ضد الفاشية والتوحد باسم الديمقراطية. لقد حل ازدهار إبداع شابلن في أعوام الثلاثينيات العصيبة[1]. فإلى جانب «الدكتاتور العظيم» و«أضواء المدينة الكبيرة»، فإنه أخرج أكثر أفلامه حدة - «الأزمنة الحديثة» (١٩٣٥). يتم في الفيلم تصوير إنسان منهك يعمل على خط تجميع، ويعيش في كوخ، مشيد من نفايات غير قابلة للاستعمال، وكذلك غياب الآفاق، والبطالة، وقساوة الشرطة... إلخ.

لم تكن اللوحات ذات التوجه الواقعي تشكل وحدة كاملة، ولكنها كانت متوحدة في السعي إلى العكس الصادق للواقع، ولإظهار مشاعر وأفكار

(١) كوكاركين ا. من مصدر سابق.

الأمريكان البسطاء الحقيقية، ومحاولة لتقديم البطل بالارتباط بما يحيط بحياته. مارس الأدب الأمريكي التقدمي تأثيره على الكثير من هذه الأفلام. يزدهر إبداع المخرجين الذين لم ينجحوا سابقاً بملامسة المشاكل الاجتماعية وكشف موهبتهم في الثلاثينيات: على الأخص ف. كابرا، واو. وايلر، وج. فورد.

لقد تم التعبير بصورة محددة في كوميديات ف. كابرا القريب من أوساط روزفلت عن القضايا الحيوية التي تمس نمط الحياة الأمريكية. وهكذا، فإن بطل فيلم «السيد ديدس يخرج إلى الناس» (١٩٣٦) يحاول أن يحقق العدالة، لكنه يصبح ضحية الصحافة الفاسدة ورجال الأعمال القذرين. يتعرض بطل فيلم «السيد سميث يذهب إلى واشنطن» (١٩٣٩) للملاحقة من جانب أعضاء مجلس الشيوخ الفاسدين على الرغم من أن لوحات كابرا تترافق بـ «نهايات سعيدة» إلا أنها تبرهن على أن الإنسان النشيط والكريم يستطيع دائماً أن يحقق العدالة.

إن الواقعية الانتقادية وجدت تعبيراً لها في عدد من لوحات أو. وايلر[1]. كانت تتميز بالتصوير الواقعي لعلل المجتمع البرجوازي كما في («المأزق» ١٩٣٧، و«الثعالب» ١٩٤١. إن كلا السيناريوهين قد كتبهما الكاتب المسرحي ل. هيلمان).

كان أبطال أفلام كابرا ووايلر، كقاعدة هم كما يسمون «ناس متوسطين». كان جون فورد هو الأستاذ الوحيد الذي «كشف أمريكا الشعبية» (حسب كلمات م. غولد)، الذي أخرج في أعوام الثلاثينيات سلسلة من اللوحات عن الناس البسطاء وعن حياتهم الاعتيادية الصعبة. كان البعض من هذه اللوحات ينتسب إلى أعمال «الواقعية الاجتماعية». لقد تم فيها إظهار المزارعين المفلسين،

(١) كولودياجنايا ف. ويليام وايلر، موسكو، عام ١٩٧٥.

وعمال المناجم، والبحارة بمشاعر الاحترام والصدق. كان فورد يبحث ويجد وسائل تعبيرية جديدة كي يعبر بصدق عن حياة هؤلاء الناس. كان القسم الأكبر من أفلامه يعتمد على الأعمال الكبيرة في الأدب الواقعي مثل: «عناقيد الغضب» (١٩٤٠) المأخوذ عن رواية ج. شتاينبك المسماة بنفس الاسم، و«الطريق الطويلة إلى المنزل» (١٩٤٠) المأخوذ من مسرحية أونيل المسماة بنفس الاسم، و«طريق التبغ» (١٩٤١) حسب رواية كالدويل.

كان الانتقاد يشير بحق إلى التأثير المباشر وغير المباشر للفن السوفييتي على السينما الأمريكية ذات التوجه التقدمي. والمثال على ذلك هو لوحة «الثعالب» التي أخرجت بتأثير الفن المسرحي لغوركي، وعلى الأخص مسرحية «فاسا الحديدي». وفي فيلم «خبزنا حيوي» (١٩٣٤)، إذ يقص كينغ فيدور قصة مجموعة من العاطلين عن العمل الأمريكان، الذين توحدوا كي يعملوا بالمزارعة في الأراضي غير المأهولة. تم استخدام أساليب المونتاج الإيقاعي في هذين الفيلمين، التي اتبعت في السينما السوفييتية في فيلم «توركسيب»[١]. لقد اعتبروا فيلم فيدور «شجاعاً» بصورة كبيرة، ومنع من العرض عمليا في الصالات السينمائية.

في نهاية الفترة المستعرضة جرت حادثة تستحق الاعتبار: أدت الأبحاث الواقعية المتراكمة في السينما الأمريكية إلى إخراج فيلم ببناء مسرحي معقد، وصفات أصيلة كثيرة المعاني، وتوصيف كبير للواقع الأمريكي هو - «المواطن كين» (١٩٤١). وضع المخرج أورسون ويلز في أساس القصة المعنونة باسم

---

(١) توركسيب - هي الطريق الحديدي التركستاني السيبيري - المترجم. The Rise of the American Film, p. 459

بطلها حقائق من سيرة حياة «ملك الصحافة الصفراء» أو. ر. هيرست. أثار «المواطن كين» الهياج لدى الأوساط المؤثرة، وانصاغ المصير الإخراجي اللاحق لويلز بصورة غير موفقة بدرجة أساسية.

أما في السينما الوثائقية أعوام الثلاثينيات، فحدثت كذلك تغيرات كبيرة. وكان لنشوء مجموعة الوثائقيين باسم «فرانتيير فيلمز» أهمية بالنسبة للسينما الوثائقية، ودخل في عدادها بول ستريند، ليو غورفيس، وجي ليدا، وبير لورنتس وغيرهم الذين وضعوا نصب أعينهم مهمة إظهار الكارثة التي يعيشها الأمريكيون البسطاء. أصبحت لوحة «المحراث، الذي حرث الأرض» (١٩٣٦) لـ بير لورنتس إحدى أشهر اللوحات، إذ تم فيها تسجيل فاقة وفساد مزارعي الغرب الأوسط. لقد تم إنتاج عدد من الأفلام السياسية الوثائقية التقدمية كذلك، مثل «الأرض الإسبانية» (١٩٣٧)، التي تم صنعها بمشاركة اي. همنغواي.

كانت لوحات الاتجاه الواقعي تحقق تطوراً ارتقائياً في الفن السينمائي. إن الإنتاج السينمائي الأساسي لهوليود كان يعمل على قضية الدعاية المدافعة، ومعدة من أجل الربح التجاري.

بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية، سرعان ما بدأت تظهر على شاشات العرض الأفلام السوفييتية بصورة واسعة نسبياً، وكانت سابقاً قلما تصل إلى المشاهد الأمريكي، وكان يتم عرضها في عدد غير كبير من صالات السينما الصغيرة في ٢٣ مدينة فقط حتى أيار من عام ١٩٤١. أما بدءاً من تموز عام ١٩٤٢ فإنها أخذت تعرض في الصالات السينمائية الضخمة في ٢٢٨ مدينة، وفي عام ١٩٤٣ دار الفيلم الوثائقي السوفييتي «يوم الحرب» وحده على ١٧١٨ مدينة خلال شهر ونصف. إن الرئيس روزفلت

سمى لوحة «قوس قزح» لـ مارك دونسون كأفضل فيلم عن الحرب العالمية الثانية. كان الأمريكيون يريدون معرفة أكثر ما يمكن عن النضال البطولي للشعب السوفييتي ضد الفاشية. أعلن روزفلت بعد عدة أيام دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، إن هوليود هي أيضاً بحالة حرب. بيد أن الكثير من رجال الأعمال السينمائيين في هوليود سعوا لاستخدام المواضيع الحربية المتنوعة كمصدر جديد للربح.

اقتصرت إعادة بناء الإنتاج السينمائي في هوليود بالدرجة الأساسية على تحويل الإنتاج السينمائي الرئيسي إلى «إنتاج حربي»: أفلام بوليسية، ودراما جنائية، و«أفلام الرعب» حتى أفلام موسيقية وكوميديات حياتية. إن الحسناوات الآن يتزوجن من المحاربين، وصرن يغنين في الأفلام للجنود، وأخذت الأفلام البوليسية لا تحكي عن اللصوص، وإنما عن الجواسيس الفاشست. أما الأبطال الخارقون من «أفلام الرعب» فكانوا مرتبطين بالفاشيين. لقد قام الكوميديان ابوت وكوستيللو بلعب عروضهما الكوميدية في ثكنات الجنود، وفي المطارات الحربية أو على ظهر البوارج. كان «التجييش» يعطي للشرائط السينمائية السابقة «حيوية» معلومة، ويولد الوهم، بأن هوليود انضمت إلى عكس مشكلات الفترة الحربية.

شغلت اللوحات المخرجة بالأسلوب الفني - الوثائقي عن الأعمال الحربية للجيش الأمريكي مكاناً محدداً في الإنتاج السينمائي زمن الحرب. إن موضوع تلك الأفلام كقاعدة كان يعكس أحداثاً واقعية، وكانت تلك اللوحات تصور في قواعد عسكرية حقيقية، وكان الممثلون الثانويون هم جنود وضباط عاملون في الجيش، ويمكن إيراد فيلم «جزيرة وايك» (١٩٤٢) كأحد نماذج هذه اللوحات الشهيرة. إن اختيار هذا الموضوع قد تم إملاؤه نتيجة حدوث أول قتال في الجزيرة، استطاع

الأمريكان أن يفتخروا به أخيراً. نال الشهرة كذلك فيلم «يوميات كفال عفادال» (١٩٤٣)، الذي تم إخراجه حسب مواد المراسل الصحفي الحربي ر. تريفاسكيس.

من الضروري الإشارة بصفة خاصة إلى الأفلام الحربية الوثائقية، التي لم يكن يتم عرضها على الشاشات العريضة دائماً. إنها كانت تكشف عن المحتوى الفاشستي المعادي للبشرية، وتحكي عن بطولة الجيش السوفييتي. ولقد تم جذب أساتذة بارزين في السينما التمثيلية وسينما الصور المتحركة إلى العمل في السينما الوثائقية أمثال، أو. ديزني، وف. كابر، وج. فورد، واو وايلر. كان كابر هو الوثائقي الأكثر إثارة في ذلك الزمن، الذي تم تعيينه في تشرين الثاني عام ١٩٤١ رئيساً لدائرة السينما في وزارة الحربية. وتحت قيادته تم إخراج سلسلة من أفلام «لماذا نحارب»، إذ تم استخدام التمثيل ومواد الأحداث، والأشكال الهندسية، والرسوم. كانت لوحة «المعركة من أجل روسيا» (١٩٤٣) تدخل في هذه السلسلة، وهي مبنية على مقتطفات مأخوذة من اللوحات التمثيلية السوفييتية «آلكسندر نيفسكي». و«بطرس الأول»، و«كوتوزوف»، وكذلك من اللوحات الوثائقية - «تحطيم القوات الألمانية الفاشية في ضواحي موسكو»، و«لينينغراد في النضال» وغيرها.

شكل إخراج الأفلام التمثيلية التي كانت تتحدث بعطف عن الاتحاد السوفييتي ظاهرة جديدة مهمة مثل: «النجمة الشمالية» (١٩٤٣)، و«بعثة في موسكو» (١٩٤٣)، و«أغاني عن روسيا» (١٩٤٤). إن فيلم «بعثة في موسكو» (للمخرج م. كيوتيتس) هو الأكثر أهمية من بين هذه الأفلام.

إنه تجسيد على الشاشة لكتاب جوزيف ديفيز المسمى بنفس الاسم، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي عامي ١٩٣٦ -١٩٣٨. أثار الفيلم استياء الرجعية الأمريكية، التي أعلنت أنه عبارة عن «دعاية سوفييتية».

أخذ يعمل في هوليود أثناء الحرب عدد غير قليل من الشخصيات السينمائية الأوروبية البارزة، التي فرت من الاحتلال الهتلري، مثل ريني كلير، وجان رينوار، وجوليان ديوفيفيي، وجان غيين، إلا أنهم لم يفلحوا إلا نادراً بإنشاء شيء ما له أهمية : كانت المعايير الهوليودية والرقابة العسكرية تمنعهم عن ذلك. إن المخرج الإنكليزي المشهور في الدراما الجنائية والبوليسية ألفرد هيتشكوك هو الأوروبي الوحيد الذي كان يشعر بنفسه هنا كأنه في منزله. لقد وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠ . إن جو الرعب في أفلامه الأمريكية كانت توتر الأعصاب، وأصبح أبطاله أكثر لا مبالاةً. وبمقدار ما كان نشاط الرجعية يتزايد في هوليود بمقدار ما كان هيتشكوك يتقدم إلى الصف الأول في السينما الأمريكية.

لقد كان يحل عصر جديد في تاريخ السينما في الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل التاسع عشر

الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية

الروابط العلمية والثقافية

١ - الروابط العلمية

كان ف. اي. لينين يدعم منذ الأيام الأولى لوجود الجمهورية السوفييتية توجه العلماء، وقبل أي شيء توجهت أكاديمية العلوم، نحو ضرورة إقامة وتطوير روابط علمية وثقافية عالمية. ولقد كانت الصلات السوفييتية - الأمريكية تحتل مكاناً خاصاً بينها.

رحب التقدميون في الولايات المتحدة الأمريكية بثورة أكتوبر عام ١٩١٧، وفي أيلول، وصلت مجموعة من المواطنين الأمريكان، في عدادهم جون ريد، وألبرت ريس ويليامز، وجيروم ديفيز وغيرهم إلى روسيا. كان هدف هذه المجموعة إعلام الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية بما يجري في روسيا. لم يصبح هؤلاء الناس شهوداً فحسب، بل مشاركين نشطين في الأحداث: الهجوم على القصر الشتوي، وجلسات مؤتمر السوفييتات الثاني لعموم روسيا. إن الفترة الممتدة من أيلول عام ١٩١٧ إلى شباط عام ١٩١٨، - هذه الفترة من التاريخ - قد تم تسليط الأضواء عليها في كتاب ج. ريد «عشرة أيام هزت العالم»، أما ا. ر. ويليامز فقد كان يوجد بين الجنود الذين هاجموا قصر الشتاء، وكان منظماً لفريق عسكري أممي انضم إلى عداد الجيش الأحمر، وشارك في القتال

لأجل سلطة السوفييتات. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية نجح عام ١٩١٩ في إصدار كتاب باسم «لينين - الإنسان وقضيته»، ثم كراس باسم «روسيا السوفييتية وسيبيريا» وكتابين جديدين باسم «من خلال الثورة الروسية» و«٧٦ سؤالاً وجواباً عن السوفييتات»، وخلال ثلاثة أعوام قام ا. ر. ويليامز بإلقاء نحو ٣٠ محاضرة وتقريراً في مختلف مناطق الولايات المتحدة الأمريكية حول لينين، وثورة أكتوبر، وبلاد السوفييتات، وزار فيما بعد بلدنا العديد من المرات كضيف على مختلف المنظمات الاجتماعية السوفييتية.

التقى المختص في علم الاجتماع والمربي جيروم ديفيز مع لينين عدة مرات، وقد أهداه صورته مع توقيعه «أفضل التحيات إلى الأميين الأمريكان، لينين، ٢ آب ١٩١٨». وبعد أن عاد ديفيز إلى الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية عام ١٩١٨، جال كثيراً في البلاد، وألقى المحاضرات، وأدان التدخل العسكري الأمريكي في روسيا السوفييتية، وأخذ يدعو إلى إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة السوفييتية الفتية.

بدأت تظهر في مراكز الولايات المتحدة الأمريكية الكبيرة في عام ١٩١٨ - ١٩٢٠ حركات تنادي بتقديم المساعدة العلمية والتكتيكية إلى روسيا السوفييتية، وهكذا، ففي عام ١٩١٨، عبرت مجموعة كبيرة من المهندسين عن الرغبة في الذهاب إلى روسيا لأجل العمل، وفي أيار عام ١٩١٩، تم إنشاء جمعية للمساعدة التقنية في نيويورك. وعندما أعلنت وزارة العمل في الولايات المتحدة الأمريكية في كانون الأول عام ١٩٢٠ عن ضرورة إرسال ل. ك. مارتينس كمبعوث رسمي للحكومة السوفييتية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، توجه إليه ل. مامفورد العالم والكاتب الأمريكي برسالة، يقترح فيها تنظيم لجنة من العلماء الأمريكان لأجل

إرسال الكتب والمطبوعات والكراسات الدورية إلى روسيا السوفييتية. وافق ل. ك. مارتينس على هذا الاقتراح، الذي تقدم به أيضاً محرر «بوتانيكال ستراكت» د. شرام، ورئيس قسم البيومتريا (أحد أقسام علم البيولوجيا) والإحصاء الحيوي في جامعة جونز غومكينز ر. بيرل وغيرهم من العلماء.

لقد دخل في عضوية اللجنة التحضيرية التي أنشأتها أكاديمية العلوم الوطنية، السكرتير الدائم للمجلس الوطني للأبحاث العلمية ف. كيللوغ، وا. هيتشكوك من معهد سميتسونوف، ور. زون من وزارة الزراعة.

نشرت المجلة الأمريكية المشهورة «سيانس» عدة مقالات على صفحاتها في عامي ١٩٢٠-١٩٢١ حول وضع العلماء في روسيا، وفي أحد أعدادها تم نشر مقالة عضو البعثة الأمريكية للصليب الأحمر البروفسور بيكسلوي حول تنظيم الصحة في روسيا، أشار فيها، إلى أن البلاد التي يبلغ عدد سكانها ١٨٠ مليون نسمة، ويعيش ٨٥% منهم في القرى، قد قامت بتنظيم نظام طبي للخدمات، يمكن أن يحلم به الأمريكان فقط[١].

جرى نشر تقرير للكاتب هربرت ويللز في «نيويورك تايمز» عن جولته في روسيا السوفييتية، وعن لقائه العلماء، وصدر كتابه «روسيا في الظلام» في نيويورك[٢]، واستقبل مؤلفه من رئيس أكاديمية العلوم ا. ب. كاربينسكي، والعالم المشهور اي. ب. بافلوف، وس. ف. اولدنبورغ.

في ٢٣ حزيران عام ١٩٢٢ توجهت مجلة «سيانس» إلى المنظمات العلمية، وإلى دور النشر العلمية بطلب بإرسال كتب ومجلات ومخطوطات إليها لأجل إرسالها إلى العلماء الروس والجامعات الروسية.

---

(١) Science, 1920, vol. 47, p. 136.

(٢) Wellsh G. Russia in the Shagows. N.Y., 1921.

واستجابت لهذا النداء ٤٠ جامعة وكلية، و٢٣ جمعية وطنية، وأكثر من ١٢٠ عالماً[١]. امتلكت لجنة المساعدة التكتيكية لعلماء روسيا السوفييتية في تشرين الثاني عام ١٩٢١ ٤٠ قسماً في أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية، وفي تشرين الأول عام ١٩٢٢ زاد هذا العدد ووصل إلى ٧٥ قسماً.

كان للمراسلات المتبادلة بين ف. اي. لينين والعالم والمهندس تش. ب. شتينمايتس، وهو أحد المختصين الرئيسيين الكبار في الاحتكار الكهربائي التكنيكي في الولايات المتحدة الأمريكية، أهمية بالغة في تاريخ الروابط العلمية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية[٢]. كان شتينلمتس ينشر في الصحافة الأمريكية التكنيكية مقالات عن الفعاليات المرشحة لروسيا السوفييتية حول كهربة البلاد، من بينها على وجه الخصوص، مقالة «الخطة السوفييتية لكهربة روسيا»، التي نشرتها مجلة «ايلكتريكال وورلد» الواسعة الانتشار جداً[٣].

في عام ١٦٢٢ تم إقامة صلات غير مباشرة بين أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي وأكاديمية العلوم الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية. وأخذت الروابط تنتظم في مجال تبادل الكتب. وهكذا وصلت رسالة إلى لجنة مفوضية الشعب من مكتبة جامعة إيللينوي تقترح فيها تبادل المطبوعات الرسمية. أعطى ف. اي. لينين الإيعاز إلى المشرف على أعمال المفوضية ن. ب. غوربونوف بالرد فوراً على رسالة الجامعة بالإيجاب. اقترحت الحكومة السوفييتية تنظيم تبادل الكتب لا مع جامعة إيللينوي فحسب، بل مع المؤسسات العلمية الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية،

(١) Science, 1922, vol. 56, p. 359.

(٢) انظر: ف. اي. لينين، المؤلفات الكاملة، الجزء ٤٥، ص ٤٥، ١٤٧-١٤٨، ٥٣٢-٥٣٤.

(٣) Electrical World, 1922, vol. 80, p. 715-719.

وأصبحت أكاديمية العلوم هي أول من مارس تبادل الكتب مع الخارج من المنظمات السوفييتية. لقد تم إنشاء مكتب في أكاديمية العلوم لتبادل الكتب مع الخارج في بداية عام ١٩٢٢، وأخذ نشاطه يتوسع من عام لعام.

كانت الزيارات الأولى للعلماء السوفييت إلى الولايات المتحدة تثير لدى العلماء الأمريكان اهتماماً كبيراً. زارت الولايات المتحدة في تلك الفترة مجموعة كبيرة بالنسبة لذلك الزمن من العلماء السوفييت البارزين، كان من بينهم الأكاديميون ن. اي. فافيلوف، واي. ب. بافلوف، وف. ن. لوبيمنكو، ون. ا. مكسيموف، وب. ل. ايساتشنكو، وك. د. غلينكا، وك. ك. غيدروتيس، ول. اي. براسولوف، وب. ب. لازارني، وف. ا. ستيكلوف، وا. ف. ايوف، وب. س. الكساندروف، وا. ن. فرومكين، واي. م. غوبكين، وغيرهم. ساعدت زياراتهم على إقامة صلات علمية مباشرة مع العلماء الأمريكان، وعلى خرق لا الحصار العلمي فحسب، بل السياسي أيضاً.

كان الأكاديمي اي. فافيلوف أحد أوائل من قاموا بزيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. لقد ذهب في مهمة عام ١٩٢١ للمشاركة في المؤتمر الزراعي الدولي المكرس لمحاربة أمراض غلال الحبوب. كان اسم فافيلوف معروفاً بصورة جيدة في الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد ألقى تقريراً في هذا المؤتمر حول القانون المكتشف من قبله، والذي يتحدث عن السلاسل المتشابهة من الاتحادات العضوية الموروثة القابلة للتغيير، والتي تسمح بحل القضايا المهمة لتطور النباتات، وبإيجاد المؤثرات الوراثية والتنبؤ بها لدى مختلف الأنواع والأشكال. إن تقرير ن. اي. فافيلوف جلب الاهتمام، ونشرت التقارير عنه في الصحف، وفي أمكنة بارزة مع صور المحاضر.

زار ن. اي. فافيلوف الولايات المتحدة الأمريكية مرة ثانية عام ١٩٣٠، لأجل المشاركة في عمل الكونغرس العالمي حول الاقتصاد الزراعي، وألقى تقريراً بعنوان «العلم وإعادة البناء الاشتراكي الزراعي في الاتحاد السوفييتي». وبطلب المشاركين ألقى ن. أي. فافيلوف كلمات في الكونغرس العلمي للبلدان الأمريكية، الذي كان يجري في واشنطن في الوقت نفسه مع الكونغرس العالمي، حول الخطة الخمسية. وفي عام ١٩٣٢، زار ن. أي. فافيلوف للمرة الثالثة الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في الكونغرس العالمي الثالث المخصص لعلم الوراثة. ولقد تم تقييم عمل علماء الوراثة والاصطفاء السوفييت عالمياً من قبل رجالات العلم في البلدان الأجنبية، وتم انتخاب الأكاديمي أي. ن. فافيلوف نائباً لرئيس الكونغرس، وألقى تقريراً حول تخطيط العلم في الاتحاد السوفييتي، أثار اهتماماً كبيراً لدى علماء الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية.

انعقد عام ١٩٢٦، الكونغرس الدولي لعلم النبات في الولايات المتحدة الأمريكية، حضره ١١ عالماً سوفييتياً، كان من بينهم س. غ. نافاشين، وب. ل. ايساتشنكو، وف. ن. ليوبيمتكو، ون. ا. ماكسيموف. أظهر علماء الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً كبيراً بمنجزات العلماء السوفييت في مسائل علم النبات، والتربة، والهندسة الزراعية، وغيرها، وتوجهت اللجنة التنظيمية للكونغرس إلى العلماء السوفييت بطلب تقديم عدة تقارير، تم تخصيص يومين من أيام عمل الكونغرس لهذا الهدف.

كانت أعمال العلماء السوفييت في مجال علم التربة تثير اهتمام العلماء الأمريكان. ففي تموز عام ١٩٢٧، انعقد المؤتمر الدولي الأول لعلماء التربة. لقد

أرسلت أكاديمية العلوم إلى هذا الكونغرس وفداً يتألف من ١٢ شخصاً، كان في عداده الأكاديميون ك. د. غلينكا، وك. ل. غيردروتيس، وب. ب. بولينوف، ول. اي. براسولوف وغيرهم. بقي العلماء السوفييت شهرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ساهم أعضاء الوفد السوفييتي الذي يرأسه الأكاديمي ك. د. غلينكا، مساهمة فعّالة في عمل هذه الندوة الدولية الأولى لعلماء التربة، وألقوا تقارير عديدة، وعرفوا الوفود على الخرائط التي حملوها معهم، وعلى الرسوم البيانية، والكتب الدراسية والأعمال العلمية المتعلقة بمسائل علم التربة. اعترف علماء التربة الأمريكان، بأنهم كانوا يسيرون في طريق خاطئ قبل تعرفهم على أعمال العلماء السوفييت، وحصلوا الآن فقط على إمكانية الخروج إلى الطريق الصحيح[١]. انعقد الكونغرس الدولي الثاني لعلماء التربة في لينينغراد وموسكو عام ١٩٣٠. وكان من بين ١٣٠ عالماً أجنبياً حضروا الكونغرس ٤٣ عالماً من الولايات المتحدة الأمريكية.

في تموز ١٩٢٣ تم إرسال الأكاديمي أي. ب. بافلوف إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة علمية، وأعطى العلماء الأمريكان أهمية كبيرة لهذه الزيارة. وكان قبل ذلك وفي ربيع عام ١٩٢١ قام رئيس المكتب الطبي في الإدارة الأمريكية للمساعدة البروفسور او. هـ. غنت بزيارة لروسيا السوفييتية، تعرف فيها على الأكاديمي بافلوف، وبدءاً من خريف عام ١٩٢٢، وعلى امتداد سبع سنوات عمل لديه في معهد الطب التجريبي. وفي صيف عام ١٩٣٣ زار غنت الاتحاد السوفييتي من جديد، وعاش لفترة طويلة في كولتوشي. كان غنت يقود جمعية بافلوف التي أنشأها في أمريكا. وبدءاً من عام ١٩٦٧، يصدر مجلة «علم النفس

---

(١) جبهة العلم والتكنيك، ١٩٣١، رقم ٦، ص ٥٦.

البافلوفي». كرست هذه الدورية العلمية الأمريكية المقالات الخاصة عن الأكاديمي أي. ب. بافلوف. وقد نشرت مجلة «سيانتيفيك مانسلي» ملخصاً تفصيلياً لمحاضرات بافلوف، التي ألقاها في جامعة شيكاغو تموز ١٩٢٣. وبعد زيارة الأكاديمي بافلوف إلى الولايات المتحدة الأمريكية توسعت روابط علماء الفسيولوجيا السوفييت والأمريكان، وتعززت بصورة مهمة، واستمرت مراسلات بافلوف معهم، وازدادت زيارات العلماء الأمريكان إلى مخبره، وأصبحت زيارات علماء الفسيولوجيا السوفييت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ممكنة لأجل العمل العلمي. لقد تركت زيارة الأكاديمي بافلوف إلى الولايات المتحدة الأمريكية أثراً عميقاً لدى جميع من تقابل معه أو سمع محاضراته.

زار أي. ب. بافلوف للمرة الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ لأجل المشاركة في الكونغرس الـ ١٣ للعلوم الفيزيولوجية، إذ قدم تقريراً بموضوع «حول دور النشاط الطبيعي للأنماط ذات الشكل النصف كروي، وعرقلة هذا الدور». تطابقت زيارة بافلوف إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع عيد ميلاده الثمانين، إذ احتُفل به هناك. كتب العالم الأمريكي ج. كيللوغ، أن «زيارة البروفسور بافلوف كانت موكباً احتفالياً. وتم استقباله في كل مكان بذلك الاحترام، وبتلك الهتافات، التي لم تحصل إلا نادراً بالنسبة للعلماء في جميع الأزمنة»[1]. شكلت زيارة الأكاديمي ا. ف. ايوف إلى الولايات المتحدة الأمريكية أهمية بالغة بالنسبة لتعزيز الروابط العلمية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. إن الزيارة الأولى له تمت في عام ١٩٢٦، عندما شارك في مؤتمر جمعية الفيزيائيين الأمريكان. وفي عام ١٩٢٧

---

(١) أي. ب. بافلوف في ذكريات معاصريه. ل. ١٩٦٧، ص ٢٨٠.

زار ايوف الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من رئيس قسم معهد ماساتشوسيت التكنولوجي البروفسور نورتون، وألقى محاضرات في عدد من جامعات ومعاهد الشركات الصناعية حول منجزات العلم السوفييتي، التي أثارت اهتماماً بالغاً لدى العلماء الأمريكان.

وفي عام ١٩٢٧-١٩٢٨ تمت إقامة صلات بين الرياضيين والأمريكان. ولقد وضعت بداية لهذه الصلات زيارة ب. س. آلكساندرف إلى الولايات المتحدة الأمريكية، إذ قضى عاماً في جامعة برينستون بموجب الاتفاقية الموقعة بين الطرفين، التي بمقتضاها تم تقديم منحة دراسية من قبل روكفللر للعلماء الشباب، وهناك، في برينستون كتب آلكساندروف عمله البارز في شكل وتوضع المنظومات العددية المغلقة. وفي عام ١٩٣٠-١٩٣١ قام ب. س. آلكساندروف بزيارة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من بروفسور كلية الرياضيات في جامعة برنستون، إذ قرأ مجموعة من المحاضرات خلال عام عن أعماله في مجال التوبولوجيا ورداً على زيارة العالم السوفييتي الكساندروف إلى الولايات المتحدة، قام الرياضي الأمريكي س. ليفشيتي في أعوام ١٩٣١-١٩٣٤ بزيارات متعددة إلى الاتحاد السوفييتي، وألقى هناك عدداً من المحاضرات.

كانت أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي تساعد على إقامة الصلات مع العلماء الأمريكان، وكانت تخلق الإمكانيات لأجل أبحاثهم في بلادنا، وتشهد على ذلك الزيارات التي قام بها أستاذ جامعة كولورادو تيودور كوكيريلل.

اعتبرت الجلسة اليوبيلية لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي التي جرت في عام ١٩٢٥، والمكرسة للذكرى الـ ٢٠٠ على ميلادها، مرحلة مهمة في تطور الروابط الدولية للعلماء السوفييت. بيد أن القليل من العلماء

الأمريكان فقط استطاعوا المشاركة الشخصية في الاحتفالات اليوبيلية لأكاديمية العلوم السوفييتية. وفي عام ١٩٢٧ زارت مجموعة من الأساتذة الأمريكان، الذين كانوا في عداد وفد الاتحاد الأمريكي للعاملين في السكك الحديدية، وبعض أقسام الفدرالية الأمريكية للعمل، الاتحاد السوفييتي. قضى العلماء الأمريكان نحو الشهرين في الاتحاد السوفييتي، وزاروا بالإضافة إلى موسكو، لينينغراد، وخاركوف، وتبليسي، وباكو، وعدداً من المناطق العمالية لأجل التعرف على وضع الصناعة والزراعة ودور النقابات، وحياة الناس السوفييت، وقدم الوفد بعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية تقريراً عن زيارته، عبر فيه عن ضرورة الاعتراف السريع بالاتحاد السوفييتي.

زار أستاذ جامعة كولومبيا الفيزيائي زيف، الموجود في لينينغراد أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، وتعرَّف مؤسساتها العلمية ومتاحفها. وفي حديثه مع نائب رئيس الأكاديمية الأكاديمي ا. ي. فيريمان أشار البروفسور زيف إلى أنه لم يكن هناك سابقاً مثل هذا الشعور الحالي بالضرورة الملحة للتعاون بين العلماء الأمريكان والسوفييت.

تقدم البروفسورموردن والدكتور غريفس بطلب إلى أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي في كانون الثاني عام ١٩٣٠ للسماح لهما بالذهاب إلى ألطاي لأجل جمع الغاوني[١] وتمت الموافقة على طلبهما.

فتحت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية مرحلة جديدة بالنسبة للروابط العلمية السوفييتية - الأمريكية. لقد أشار رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ا.ب. كاربينسكي إلى أن إقامة علاقات

---

(١) الغاوني - هي حيوانات خاصة بمنطقة ألطاي - المترجم.

دبلوماسية عادية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية تجلب الفائدة لقضية السلم الشامل قبل أي شيء، الذي تهتم به دبلوماسيتنا دون كلل. إنها تفتح الإمكانات الواسعة أمام التجارة والتعاون التكنيكي بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا في مختلف مجالات الاقتصاد. وتفتح إلى جانب ذلك أمام مؤسسات الاتحاد العلمية إمكانيات واسعة للتعاون وتبادل التجارب مع المؤسسات العلمية الأمريكية[١].

وكأحد مؤشرات السعي إلى تعزيز الروابط العلمية مع الاتحاد السوفييتي تم إنشاء صفوف لتعليم اللغة الروسية بسرعة. وفي صيف عام ١٩٣٤ أدت هذه الصفوف وظيفتها في جامعة هارفارد، وفي عام ١٩٣٥ - في جامعة كولومبيا، وفي ١٩٣٦ في جامعة كاليفورنيا، وأصبحت تقام فيما بعد بصورة دورية في عدد آخر من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

كان ممثلو العلم الأمريكي يدعون إلى الكثير من الفعاليات التي يقوم بها العلماء السوفييت. وهكذا، وفي عام ١٩٣٤، شارك بروفسور جامعة كاليفورنيا ماك كين في عمل مؤتمر جمعية مندلييف الكيميائية المكرسة للذكرى الـ ١٠٠ على ميلاد د. اي. مندلييف، وألقى س. ليفشيتس تقريراً في المؤتمر الثاني للرياضيين السوفييت في لينينغراد.

وفي أيلول عام ١٩٣٦، قام عدد من الرياضيين الأمريكان البارزين بالمشاركة في السيمبوزيوم[٢] المكرس لأحد أهم أقسام العلوم الرياضية وهي التوبولوجيا، وألقى فيه هـ. ويتني تقريرين حول «التفاضلات متعددة الأنواع في الهندسة الفراغية» و«فضاءات المحيط».

---

(١) Moscow Daily News, 1933, 25 Nov.

(٢) السيمبوزيوم - مؤتمر حول موضوع علمي ما - المترجم.

وفي آب عام ١٩٣٥، انعقد في لينينغراد وموسكو الكونغرس الدولي للفسيولوجيين، شارك في أعماله ١٥٠٠ عالم من ٣٧ بلداً. إن المندوبين المجتمعين في صالة تافريتشسكي الكبيرة أصغوا باهتمام متوتر إلى نداء بافلوف للتعاون الدولي العلمي وإدانته الحارة للحرب. ولقد ألقى عالم الولايات المتحدة الأمريكية الكبير أو. كيفون تقريراً واسعاً حول «بعض الاستنتاجات المتعلقة بعوامل النقل الكيميائي للنبضات العصبية».

وفي عام ١٩٣٧، أحيت بلادنا الذكرى الـ ٢٠ لنشوء الدولة السوفييتية، ولذلك فإن قرار معشر الجيولوجيين العالمي عام ١٩٣٣ حول عقد الجلسة الدورية الـ ١٧ للكونغرس الجيولوجي الدولي في موسكو كان له أهمية خاصة.

شارك في عمل الجلسة الـ ١٧ للكونغرس الجيولوجي الدولي ٢٥٠ عالماً أجنبياً (تم تسجيل أكثر من ٥٠٠) من ٤٧ بلداً، وأعلن عن ٤٠٠ تقرير. كان الموضوع الرئيسي في ١٠ أقسام، جرى العمل فيها هو «مسألة النفط»، وجذبت تقارير العلماء السوفييت والأمريكان اهتماماً ملحوظاً. إن أكثر ما أثار اهتمام المشاركين في الكونغرس هي تقارير الأكاديمي ن.م. غوبكين «الاحتياطيات السلمية للنفط» و«منشأ مكامن النفط في القفقاز الشمالي». واستقبل كذلك باهتمام تقارير الأكاديمي ف.اي. فيرنادسكي «الأشعة وأهميتها بالنسبة للجيولوجيا المعاصرة» والأكاديمي ف. ا. اوبروتشيف «عن السماكات القديمة لقشرة الأرض في سيبيريا».

أظهر العلماء الأمريكان اهتماماً كبيراً بإجراء الجلسة الـ ١٧ للكونغرس الجيولوجي الدولي في الاتحاد السوفييتي. كان ٦٥ شخصاً يمثلون كل المراكز الجيولوجية العلمية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية سواء الحكومية منها، أم الجامعية.

وفي تلك الفترة أخذ ينتظم التبادل العلمي والتعاون بين العلماء السوفييت والعلماء التقدميين في الولايات المتحدة الأمريكية في مجال العلوم الاجتماعية. وهكذا، وفي عامي ١٩٣٥-١٩٣٧ قام ج. سوميرفيلد من جامعة كولومبيا بعمل علمي في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي.

استمرت الروابط العلمية بالتطور أثناء الحرب العالمية الثانية. كان بروفسور جامعة هارفرد او. كينّون يترأس الجمعية الطبية السوفييتية - الأمريكية، ويحرر مجلة «مجلة استعراض الطب»، التي كانت تعمم منجزات العلم السوفييتي في مجال الطب، وتدافع بحرارة عن ضرورة الصداقة بين شعبي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

أقامت الجمعية التي يرأسها كينون عام ١٩٤٣ حفل غداء في فندق «كوماندور» على شرف الذكرى الـ ٢٤ لقيام ثورة أكتوبر وانتصارات الجيش السوفييتي، حضره ٣٥٠ شخصاً، وأشار البروفسور كينون في كلمته إلى الدور الحاسم للاتحاد السوفييتي في النضال ضد الفاشية: «إذا تعاون الشعبان الأمريكي والروسي في ظروف من التعاطف والتفاهم المتبادلين، فإن كلا الطرفين يستطيعان أن يصبحا مؤثرين جداً. لا يوجد هناك طريق بالنسبة للتفاهم المتبادل أفضل من التعارف القريب. وبفضل إيماني في ذلك بالذات، فإنني مقتنع بعمق بإمكانية تطوير علاقات الصداقة بين بلدينا عبر جمعية الطب الأمريكية[١]».

وفي عام ١٩٤٢، وبمناسبة الذكرى الـ ٢٥ للسلطة السوفييتية فإن الاجتماع العام لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي انتخب عدداً من العلماء البارزين في البلدان الأجنبية كأعضاء شرف في الأكاديمية، بما في ذلك العلماء الأمريكان آرنست لورانس، وولتر كينّون، وجيلبرت لويس.

---

(١) An American Physiologist about in the Red Army Daily Worker, 1944, Feb. 2.

توجه علماء الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة ذلك إلى أكاديمية العلوم برسائل رسمية، عبروا فيها عن إعجابهم الكبير بالعلماء الروس - ولقد كتب غ. لويس خصوصاً: «يشرفني كثيراً أن يتم ضمّي إلى مجموعة العلماء الروس الشهيرة. إنني أفتخر خصوصاً بأن أكون في الوقت الراهن من بين أمة الأبطال[1]».

إن التعاون والمساعدة المتبادلة أثناء الحرب، المنطلقين من المصالح الوطنية المشتركة لكلا الطرفين عززا بصورة ملموسة العلاقات السوفييتية - الأمريكية. كانت روابط الصداقة الوثيقة تستمر بالتشكل والتعزز في مجال العلم. وقد نظمت مكتبة الكونغرس في الولايات المتحدة الأمريكية كعلامة على الاعتراف بالجهود البطولية للشعب السوفييتي معرضاً بعنوان «السنوات الـ ٢٥ الأخيرة - عصر نهضة الثقافة الروسية». إن فريدريغ بريش عرض في مجلة «الآن» تاريخ أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي بصورة تفصيلية[2].

اقترحت الحكومة السوفييتية على إدارة الولايات المتحدة الأمريكية بهدف تعزيز تعاون العلماء في مجال الطب، تنظيم تبادل للمعلومات ببعض نواحي الدراسات في هذا المجال، التي تشكل اهتماماً لكلا البلدين. ولقد تم عقد اتفاقية مطابقة. وفي ١٤ كانون الثاني عام ١٩٤٤ وصل إلى موسكو علماء أمريكيون وظلوا هناك حتى ١١ شباط، وزاروا المؤسسات العلمية وشاركوا في عدد من الكونغرسات.

وقف العلماء الرئيسيون في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب توسيع الصلات العلمية والروابط بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي. تم التعبير عن هذه الفكرة من قبل البروفسور ستيوارت ميدوم

---

(١) بشير أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، ١٩٤٢، رقم ٥/٦، ص ٢١.

(٢) Science, 144, vol. p. 437-441.

(جامعة بنسلفانيا) في كلمته أثناء الغداء المنظم من قبل المعهد الأمريكي - الروسي في نيويورك عام ١٩٤٤.

لقد أشار، في سياق تأكيده المساهمة الكبيرة للعلم الروسي في الثقافة العالمية، وتنويهه بأهمية أعمال مندلييف وميتشنيكوف وبافلوف، أن التعليم والعلم في الاتحاد السوفييتي أصبحا في متناول الجميع، ويحوزان دعم من الدولة. إن منجزات العلم السوفييتي حققت نجاحات رائعة للسلاح الروسي. من الضروري السعي إلى تعاون وثيق بين العلماء السوفييت والأمريكان والتعرف المتبادل على المنجزات العلمية. اقترح البروفسور ميد تنظيم تبادل المعلمين والأساتذة والباحثين بعد الحرب، وإنشاء منح دراسية في الجامعات الأمريكية باسم العلماء الروس العظام للطلاب السوفييت، الذين يعرفون اللغة الإنكليزية[١].

وفي عام ١٩٤٤ تم إنشاء لجنة للروابط مع الاتحاد السوفييتي في مجال العلم في الولايات المتحدة الأمريكية. إن رئيس اللجنة البروفسور ل.س. دان نشر في مجلة «سيانس[٢]» مقالة أكد فيها أن نجاحات العلم السوفييتي في أعوام الحرب كانت تحفز على الاهتمام بحياة الدولة السوفييتية، وعلى دراسة اللغة الروسية في الجامعات الأمريكية.

إن بعض المنظمات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية انتخبت علماء سوفييت بارزين كأعضاء شرف أجانب فيها. وهذا فإن الأكاديمي اي. م. فينوغرادوف تم انتخابه في عام ١٩٤٢ عضواً في الجمعية الفلسفية الأمريكية في فيلادلفيا، وتم انتخاب الأكاديمي ا.ن. باخ عضو شرف في الجمعية

---

(١) Science, 1944, vol. p. 486-487.
(٢) Ibid., 1945, vol. 101, p. 200.

الكيميائية في العام نفسه، وانتخب الأكاديمي ب.ل. كابيتا عام ١٩٤٤ عضو شرف في معهد فرانكلين، وقُلِّد ميدالية باسمه.

كان يمكن للروابط السوفيتية - الأمريكية في مجال العلم، سواء في أعوام السلم أم في ظروف الحرب، أن تكون أكثر فعالية. بيد أن الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية، وأكاديمية الفنون والعلوم الأمريكية في بوسطن، وعدد من المنظمات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت تظهر تحفظاً محدداً تجاه تطوير الصلات العلمية مع المنظمات العلمية السوفييتية والعلماء السوفييت. وكان هذا الأمر سارياً كذلك في الأعوام التي سبقت الحرب، الأمر الذي كان يحدد التطور العام للعلاقات السوفييتية - الأمريكية والوضع الدولي. إن تطور الصلات العلمية بحد ذاته بين العلماء كان مثمراً، وساعد على حل مسائل في مجال العلم. كانت الروابط العلمية تحمل في ذلك الوقت طابعاً مستقلاً إلى حد ما. إن هيئات السلطة الحكومية لم تكن تعدّ التدخل فيها أمراً مهماً.

٢ - الصلات الثقافية

كانت الحكومة السوفييتية تقوم بجهود دؤوبة، موجهة نحو إقامة روابط بين البلدين في مجال الثقافة. وعلى الرغم من الصعوبات السياسية، وغياب العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، فإن الصلات المتبادلة في مختلف مجالات النشاط الفني كانت تحمل طابعاً متعدد الجوانب: كانت تجري زيارات متبادلة لرجال الثقافة، وترجمات ودراسات للأعمال الأدبية، وتبادل التجربة الفنية الإبداعية واستيعابها، والتعرف على التقاليد الفنية.

يقف عند منابع الصلات الأدبية بين البلدين غوركي وماياكوفسكي من الجانب السوفييتي، ومن الجانب الأمريكي - جون ريد وألبيرت ريس وويليامز وأولئك

الصحفيين والناشرين التقدميين مثل (ل. برايانت، وب. بيتي، ول. ستيفينس، ور. ماينور وغيرهم)، الذي صوروا الخطوات الأولى للدولة السوفييتية الفتية.. إن جون ريد الذي لعب في هذا المجال دوراً «رائداً» التقى في بداية عام ١٩١٨، في بتروغراد م. غوركي، وفيما بعد ف. ماياكوفسكي، ود. بييدني، وكتب مقدمة الطبعة الأمريكية لرواية اي. س. تورجينيف «الدخان». كانت مسائل البناء الثقافي والأدب تجذب اهتمام ا.ر. ويليامز خلال زياراته للاتحاد السوفييتي في أعوام العشرينيات والثلاثينيات. كان يهتم خلال زياراته للاتحاد السوفييتي في أعوام العشرينيات والثلاثينيات. كان يهتم بالفولكلور والأغاني الشعبية على وجه الخصوص، وقد سجلها. إنه يحكي في مقالة «في قرى الشمال البعيدة» المأخوذة من كتاب «الأرض الروسية» (١٩٢٨)، عن لقائه مع ماريا كريفوبولينوفا الراوية الشعبية المشهورة.

وفي الوقت الذي كانت تظهر في الولايات المتحدة الأمريكية، في السنوات العشر الأولى بعد تشرين الأول الكثير من الكتب التي تتجنى على الاتحاد السوفييتي، وتتحدث عن تخلفه، وعدم قدرته على بناء مجتمع جديد، و«إرهاب» دكتاتورية البروليتاريا... إلخ، كان الكتاب والصحفيون الشرفاء يذهبون إلى البلاد السوفييتية، ساعين إلى إدراك ما يجري بأم أعينهم، وفهم «التجربة الشيوعية» في ديناميكيتها، وممارستها. كانوا يصطدمون بواقع جديد، لم يتم استيعابه فنياً بعد، وكانت انطباعاتهم تصاغ بأشكال وثائقية وفنية مختلفة.

كان من بين هؤلاء الكتاب ت. درايزر[1]، الذي أصدر عام ١٩٢٨ كتاباً باسم «درايزر ينظر إلى روسيا»، وا. ر. ويليامز. إن الصحفية دوروتي تومبسون، مؤلفة

---

(١) حول المواد الجديدة المرتبطة بزيارة ن. درايزر، انظر: زاسورسكي يا.ن. تيودور درايزر. موسكو، ١٩٧٧، وغلينسون ب. ا. القوة الاجتماعية، التي تحول العالم. - الآداب الأجنبية، ١٩٧١، العدد ٨.

كتاب «روسيا الجديدة» (١٩٢٨) المكتوب على شكل يوميات رحلة، توصلت إلى استنتاج حاسم، بأن التجربة الروسية تملك أهمية كبيرة للعالم بأسره، دون أن تغض النظر عن التعقيدات التي تقف أمام البلاد السوفييتية وصعوبات النمو الكثيرة.

ومن بين الضيوف الذين زاروا البلاد السوفييتية، نرى اسم الشاعر الزنجي كلود ماكي، واو. اي. ب. دوبوا، ومايكل غولد، وجون دوس باسوس.

إن تلك التحولات الاشتراكية العميقة والجامحة، التي تحدث في أطراف روسيا القيصرية المتخلفة منذ غابر الأزمان، وقبل أي شيء في آسيا الوسطى، تجذب اهتمام الأمريكيين الذين يزورون الاتحاد السوفييتي بصورة خاصة(١).

حاز نشاط آنّا لويزا سترونغ (١٨٨٥ - ١٩٧٠) أهمية خاصة، إذ زارت لأول مرة روسيا السوفييتية في عام ١٩٢١، وشاركت في تنظيم بيوت للأطفال في بوفولجي، وسلطت الأضواء على ذلك في كتابها «أطفال الثورة» (١٩٢٥). وفي أعوام ١٩٢٨-١٩٣١ قامت بزيارات طويلة إلى آسيا الوسطى، وأوزبكستان وطاجيكستان، وعكست انطباعاتها عن هذه الزيارات في كتابين وثائقيين وتحقيقين - «نجمة حمراء فوق سمرقند» (١٩٢٩)، و«الطريق إلى بامير الأشيب».

لقد سعت ا.ل. سترونغ، وخلافاً لبعض الصحفيين الذين فُتنوا بالغرابة الشرقية، لفهم المحتوى الاجتماعي - التاريخي للعمليات التي تحدث. كانت الأبنية الجديدة المعاصرة، والمحطات المائية، والمصانع التي تتكاثر أمام عينيها إلى جانب المساجد العتيقة، بالنسبة لها تعبيراً رمزياً عن العملية الثورية، وشاهداً على المساعدة الأخوية المقدمة من الشعب الروسي لمنطقة آسيا الوسطى. إن التقاليد التي أرستها ا.ل. سترونغ قد طوَّرها الكُتَّاب التقدُّميون الآخرون في الولايات المتحدة

---

(١) انظر بالتفصيل: نجمة الشرق، ١٩٧٧، رقم ١١.

الأمريكية، الذين كانوا يزورون آسيا الوسطى أمثال (ل. هيوز، وج. كيونيتس، واو. اي.ب. دوبوا، واو. باترسون، واو. بومروي، وم. دافيدوف وغيرهم)[1].

كان سيرغي بسينين هو أول كاتب سوفييتي، توجه إلى وراء المحيط. لقد حلّ هناك برفقة آيسودورا دونكان من تشرين الأول عام ١٩٢٢ إلى شباط عام ١٩٢٣، وزارا نيويورك، وشيكاغو، وبوسطن، وفيلادلفيا وغيرها من المدن. إن انطباعات الشاعر الأميركية وضعها في التحقيق الصحفي «عالم المدينة الحديدي» الذي حوى تقييماً حادّاً للثقافة والحياة الروحية في الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من أنه وحيد الجانب - تلك البلاد، التي يسيطر فيها «تسلط الدولار».

لا يعقل الصدى الاجتماعي الذي أحدثته زيارة ماياكوفسكي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٥. كان الشاعر يضمر اهتماماً راسخاً تجاه أمريكا، وأناسها وثقافتها: يشهد على ذلك الموضوع الأمريكي في قصيدته «١٥٠,٠٠٠,٠٠٠» (١٩١٧)، وحماسة الشاعر السوفييتي لويتمان، ولجاك لندن كذلك، وفي تجليه لأول مرة في السينما (١٩١٨) في دور إيفانوف في الفيلم المأخوذ عن موضوع «مارتيو آيدين». انعكست الانطباعات الأمريكية في

---

(١) من الجدير بالذكر أن الصلات السوفييتية - الأمريكية كانت بحد ذاتها موضوعاً للتصوير الفني. كان مصير الأمريكية والعضو في «العمال الصناعيين في العالم»، التي أتت إلى الاتحاد السوفييتي مع مجموعة من المختصين للعمل في الكوزباس، في مركز قصة ت. درايزر «إيرنيتا». وفي المسرحية المبكرة لـ ن.ف. بوغودين «الوتيرة» (١٩٢٩)، التي صورت بعض جوانب بناء معمل الجرارات في لينينغراد، كان من بين العاملين المهندس الأمريكي كارتر. وفي رواية اي. سينكلير «جيمي هيغينز» يتأثر البطل الرئيسي من دعاية البلشفي الروسي كالينكين الثورية. من المعروف أن سينكلير عمل لفترة طويلة على رواية تتحدث عن أصدقاء ثورة أكتوبر الأمريكان: عن جون ريد، وأ.ف. ويليامز، وهـ. فير وغيرهم، لكنه لم يستطع إنجاز هدفه، إن المشهد «الأمريكي» في مسرحية في. ايفانون «القطار المدرع» كان واضحاً فيها.

أشعاره تلك، مثل «برودواي»، و«ناطحة السحاب في تعارض» وغيرها من الأشعار، وفي مقالته الرائعة «اكتشافي لأمريكا». لقد استقبلت الصحافة التقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية الشاعر بحرارة[1].

لعب غوركي دوراً مهماً في قضية إقامة التفاهم المتبادل بين الرأي العام في كلا البلدين بعد أعوام ثورة أكتوبر. لقد كانت سمعته وراء المحيط عالية بصورة استثنائية[2]. وفي أطر دار النشر «الأدب العالمي» المنشأة من قبله بعد الثورة. تم تنظيم القسم الإنكليزي - الأمريكي، الذي أصبح رئيسه ك. أي. تشوكوفسكي، الذي عمل كثيراً، ولا سيَّما أنَّه باحث، وداعية ومترجم لوولت ويتمان. إن مؤلف «أوراق الأعشاب» بفضائيته، وأمميته، وحماسته للأخوة البشرية شكل الأمزجة الإيقاعية للسنوات الأولى بعد أكتوبر. يمكن رصد تأثيره في إبداع الشعراء البروليتاريين من مجموعة «كوزنيتس» (اك. غاستيف، وس.ا. اوبرادوفيتش وغيرهما). كان الاهتمام بأدب الولايات المتحدة الأمريكية في العشر سنوات التي أعقبت أكتوبر عظيماً، وتم طباعة الكثير من كتب المؤلفين الأمريكان، ونشرت المؤلفات المختارة لكوبر، ولندن، وتوين، ودرايزر. ولقد ترجمت إلى اللغة الروسية في العشرينيات فقط أعمال ٩١ مؤلفاً أمريكياً، من بينها ٨٠ مؤلفاً لأول مرة[3]. كانت الشخصية الأكثر شعبية في

---

(١) ألقي الضوء على زيارة ماياكوفسكي إلى الولايات المتحدة الأمريكية بصورة مفصلة في النقد السوفييتي، وفي أعمال ف. ا. كاتانيان، وف. او. بيرتسوف، وا. اي. ميتشنكو وغيرهم. انظر كذلك في: كيمراد س. ماياكوفسكي في أمريكا، موسكو، ١٩٧٠.

(٢) غيلينسون ب. غوركي والرأي العام الأمريكي التقدمي، ١٩١٧-١٩٢٤ مسائل الأدب ١٩٦٨، رقم ٦.

(٣) ليبمان ف.ا. الأدب الأمريكي في الترجمات والنقد الروسي: سيرة ذاتية، ١٧٧٦-١٩٧٥، موسكو، ١٩٧٧.

تلك السنوات هي لايتون سينكلير: إن حماسة رواياته المعادية للرأسمالية، واهتمامه بموضوع العمل، والطبقة العاملة - إن كل ذلك كان يستجيب لأمزجة الجمهور القارئ الجديد. كان اي. سينكلير مرتبطاً بالكثير من الخيوط بالأدب الروسي في القرن التاسع عشر، مبدياً إعجابه اللانهائي بتولستوي كفاضح، ومصلح اجتماعي، ومبشر. وبدءاً من عام ١٩١٢ كان يجري مراسلات مع م. غوركي، الذي كان مهتماً بتقديم المساعدة لمطبوعات اي. سينكلير في روسيا.

كان ا.ف. لوناتشارسكي يعدّ مؤلف «جيمي هيغينز» واحداً من أكثر المؤلفين المحبوبين لدى الجمهور، إذ تختفي مؤلفاته من الأسواق مهما كانت كميتها[1]. لقد عبر لوناتشارسكي في رسالة إلى ف.اي. لينين عن القناعة بأن ايليتش سيقرأ رواية «جيمي شيبغينس» باهتمام كبير[2].

إن تقدم مجموعة الكتاب ذوي الاتجاه النقدي الواقعي، المشهورين باسم «أناس أعوام العشرينيات» (س. لويس، وش. آندرسون، ويو. أونيل، وج. دوس. باسوس وغيرهم)، جذب اهتمام النقاد السوفييت الذين بدؤوا بترجمة ونقد أعمالهم التي أثارت تأييداً واهتماماً حاراً من قبل م. غوركي.

---

(١) في خريف عام ١٩٢٠، وفي التصريح الصحفي المقدم من ل. برايانت، وأرملة جون ريد، ذكرت ن.ك. كروبسكايا برواية سينكلير «جيمي هيغينز» وقيمتها تقييماً علياً. لعل هذا الحديث صار معلوماً لسينكلير الذي سرعان ما أرسل لها عدداً من أعماله. تُحفظ في المكتبة الشخصية لـ ف.اي. لينين في الكريملين نسخ لست روايات لسينكلير مع توقيع الإهداء من قبله.

(٢) انظر: لينين ولوناتشارسكي - في كتاب: الإرث الأدبي، موسكو، ١٩٧١، الجزء ٨٠، ص ٢٩٣. من المعلوم أن ن.اي. لينين ون.ك. كروبسكايا تعرفا على النسخة الأصلية لـ «جيمي هيغينس» وتُرجمت بمبادرة من لوناتشاركي، كانت هذه الرواية شعبية بصورة استثنائية، ولقد كتب السيناريو للفيلم أي.ي. بابل، وتم عرضه على الشاشة في صالة أوديسا عام ١٩٢٩. ارجع كذلك إلى الآداب الأجنبية، ١٩٧٨، رقم ١٠.

يقف عند منابع دراسة آداب الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد السوفييتي نقاد شباب مثل (س.س. ديناموف، وا.اي. ستارتسيف، وا.ا. إيليستراتوفا وغيرهم): في نهاية العشرينيات - بداية الثلاثينيات تظهر أعمالهم الأولى. وهنا من الضروري الإشارة بصورة خاصة إلى دور س. س. ديناموف، الباحث الأول لدرايزير، ومؤلف أعمال حول جون ريد، وش. آندرسون، وجو هيلل وغيرهم. يحدث في هذا الوقت تحسن واضح في نوعية ترجمات النثر الإنكليزي- الأمريكي بفضل نشاط حلقة الترجمة، التي كان يقودها اي. ا. كاشكيف والمؤلفة من (م.ف. لوريي، ون. ا. فولجين، وي. د. كالاشنيكوف وغيرهم).

يبدأ استيعاب الأدب السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، وتظهر ترجمات للمؤلفين السوفييت («الأسبوع» لـ يو.ن. ليبيدنيسكي، و«الاسمنت» لـ ف.ف. غلادكوف، و«كونارميا» لـ أي. أي. بابيل، و«يوميات كوسيتا ريابتسيف» لـ ن. أوغنيف، وأعمال ل.ن. سيفولينا، ف.ب. كاتايف، وا.م. كولونتاي وغيرهم)، الذين كانوا يقومون بالنقد بصورة منتظمة. إن الاهتمام المتزايد بفن أول دولة اشتراكية كان يرتبط بالنقد الماركسي في الولايات المتحدة الأمريكية بمهام النضال لأجل أدب ثوري جديد. لقد لعب كتاب «صوت أكتوبر» (١٩٣٠) لكتاب ثلاثة هم - ج. فريمين، وج. كيونيتس، ول. لوزوفيك دوراً ملحوظاً بتعريف الرأي العام التقدمي الأمريكي بمنجزات الثقافة في الاتحاد السوفييتي. احتوى هذا الكتاب على بانوراما لتطور الأدب، والمسرح، والسينما، والموسيقا، والعمارة في الاتحاد السوفييتي. تتكون أولى الصلات المباشرة كذلك بين كتاب الاتحاد السوفييتي وأولئك الأدباء الأمريكان ذوي التوجه اليساري مثل (م. غولد، وج. فريمين)، اللذين كانا مرتبطين بالحزب الشيوعي والحركة العمالية.

أرسلت نوادي جون ريد التي أُنشئت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ وفداً إلى الكونغرس الدولي للكتاب الثوريين في خاركوف عام ١٩٣٠.

اكتسب الاهتمام بالأدب والفن السوفييتيين أثناء «الثلاثينيات الحمر» أهمية خاصة. وفي ظروف المجادلات التي لم تتوقف حول «التجربة الشيوعية» لعبت الشهادات الشريفة للكتاب والصحفيين، والناشرين، الأمريكان الذين زاروا الاتحاد السوفييتي في أعوام الخطط الأولى، دوراً كبيراً في كشف الحقيقة عن ما يجري هناك. كان من بينهم الصحفيان التقدميان كورليس ومارغريت لامونتي، مؤلفا الكتاب المكتوب على شكل يوميات الرحلة باسم «روسيا من يوم إلى يوم» (١٩٣٢). لقد أعطيا تقييماً إيجابياً عميقاً بصورة عامة في سياق حديثهما عن الرحلة التي قاما بها من موسكو إلى ستالينينغراد، وفي أوكراايينا، لما رأياه، ولا سيَّما، إشارتهما إلى منجزات الاشتراكية تلك، مثل تصفية البطالة، وحقوق المرأة المتساوية مع الرجل، ونجاحات العلم والتعليم. وفي كتاب «الفجر فوق روسيا» (١٩٣٢)، أثبت الروائي الأمريكي المشهور، والكاتب الاجتماعي المعتم بالثقافة أو. فرانك، أن ما يجري في الاتحاد السوفييتي من تغيرات لها أهمية تاريخية كبيرة، الأمر الذي يجعل من روسيا «أكبر حصن في مجال الروح الإنسانية»(١).

شكلت زيارة الشاعر الزنجي التقدمي الشاب ل. هيوز إلى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٢-١٩٣٣ مرحلة مهمة في تطوره الفكري والفني. يكتب هيوز في كراسه «زنجي ينظر إلى آسيا الوسطى السوفييتية»، الذي يوحد فيه تصويره للرحلة مع تعقيباته الاجتماعية وتعميماته، عن التغيرات الثورية الجذرية في الاقتصاد، ونمط المعيشة، والحياة الروحية في هذه الناحية من روسيا القيصرية

(١)Frank W. Dawn in Russia, N.Y., 1932, p. 272.

التي كانت متخلفة في تلك الأزمان. إن التحولات الاشتراكية العميقة في آسيا الوسطى - كانت موضوع كتاب ج. كيونيتس «الفجر فوق سمرقند» (١٩٣٦).

إن الكاتبة مايرا ميج، التي قضت نحو العامين في الاتحاد السوفييتي، أظهرت في كتابها المختصر «الشارع الرئيسي السوفييتي» (١٩٣٣)، منطلقة من بودولسكا كنموذج، عمليات التحول الاشتراكي العميقة في جميع مجالات الحياة المادية والروحية. لقد كتبت ميج رواية هي العمل الفني الوحيد المكرس لروسيا السوفييتية في أعوام الخطط الخمسية باسم «البانكي في موسكو» (١٩٣٥)، كان أبطالها مختصين أمريكيين يعملون في مصنع سوفييتي.

لقد قيمت الصحفية إيللا وينتر، زوجة لينكولن ستيفنس تقييماً عالياً للتقدم المحقق في مجال الأخلاقيات العائلية، وفي مجال الأدب والفن، في كتابها «الفضيلة الحمراء. العلاقات الإنسانية في روسيا الجديدة» (١٩٣٣) معتمدة في ذلك على مراقباتها الشخصية الفنية. يُصدر ألبرت ريس وليامز عملاً رئيسياً مبنياً على استكشافاته خلال أعوام طويلة باسم «السوفييتات» (١٩٣٧)، وموسوعة فريدة باسم «نمط الحياة السوفييتية». وبصورة عامة، فإن «العامل السوفييتي» لعب دوراً ذا أهمية في العملية الأدبية. فحسب شهادة المؤلف، ذلك الفنان البعيد عن السياسة، أن خطته تمخضت عن عمل جليل في ثلاثة أجزاء باسم «نجاح الشيوعية الروسية» في أواسط الثلاثينيات.

يزداد الاهتمام بالأدب السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الثلاثينيات، الأمر الذي ظهر بصورة خاصة في الموقف من مؤتمر كتاب عموم روسيا الأول[1]. وفي عام ١٩٣٧، وفي الكونغرس الثاني لرابطة الكتاب الأمريكان

---

(١) كانت فكرة تلاحم الكتاب التي تحققت في الاتحاد السوفييتي تحفز الأدباء الطليعيين في الولايات المتحدة الأمريكية في سعيهم للتوحد، وصياغة خطة عامة، الذي ظهر بصورة=

ألقى ا.ر. ويليامز تقريراً باسم «مليارات الكتب» وصف فيه أبعاد الثورة الثقافية في الاتحاد السوفييتي، المرتبطة بمشاركة أوسع الجماهير بكنوز الثقافة.

شكل إصدار الجزأين الأولين من «الدون الهادئ» لشولوخوف (صيف عام ١٩٣٤) حدثاً في حياة الولايات المتحدة الأمريكية الأدبية. وكان حتى على النقاد ذوي التوجه المحافظ أن يعترفوا بالقوة المؤثرة لهذا العمل. وحصلت على تقييم رفيع رواية «الأرض البكر المستصلحة»، التي صدرت عام ١٩٣٥، والتي وضعت مؤلفها، حسب رأي غ. هيكز في عداد الكتاب الروس العظام. تظهر في هذه الفترة ترجمات لكتب ا.ن. تولستوي، واي. غ. إهرنبورغ (كانت مقالاته غالباً ما تطبع في «نيو ميسيز»)، وف.ب. كاتايف، ون. ا. أوستروفسكي، ول. م. ليونوف وغيرهم. وغالباً ما كانت أعمال الكتاب السوفييت وتجربتهم تلهمان النقاد الأمريكان ذوي التوجه اليساري إلى حل المسائل النظرية المهمة لتطور الفن التقدمي. وبنتيجة توسع الروابط الثقافية السوفييتية بالأمريكية نضجت الحاجة إلى مجلة مختصة مكرسة للاتحاد السوفييتي. وبدءاً من عام ١٩٣٣ صدرت المجلة الشهرية «سوفييت راشاتودي» برئاسة جيسيك سميث. كانت المقالات والتعقيبات المعادية للحرب والفاشية تنشر بصورة منتظمة على صفحات الصحافة الأمريكية ذات التوجه الراديكالي، وفي تشرين الثاني عام ١٩٣٢ احتفل الرأي العام الأدبي في الولايات المتحدة الأمريكية بالذكرى الأربعين لنشاط مؤسس الواقعية الاشتراكية الإبداعي.

=واضحة جداً في أعوام الثلاثينيات. لقد انعكس ذلك في إنشاء رابطة الأدباء الأمريكان، وعقد مؤتمرها الأول في نيسان عام ١٩٣٥ في نيويورك. وقد انتخب لمنصة الشرف عن الاتحاد السوفييتي ا.م. غوركي، وم.ا. شولوخوف، وف.ف. غلادكوف، وس.م. تريتاكوف، وس.س. ديناموف.

كتبت صحيفة «ديلي ووركير» - لسان حال الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية: «يجب على الكادحين الأمريكان أن يعرفوا ويقيموا غوركي، لأنه كاتبهم، كما هو كاتب لروسيا[١]».

أثارت وفاة غوركي الألم في قلوب أدباء الولايات المتحدة الأمريكية التقدميين. ولقد عنون درايزر كلمته في ذكرى غوركي بما يلي: «لقد أيقظ غوركي الفكر». ولقد كانت مؤثرة كلمات لـ و. سيندبيرغ، وا. ماك - ليش التي قيلت بمناسبة وفاته. كانت تجربة غوركي تستوعب بصورة فعالة من قبل الكتاب في فترة «العشر سنوات الحمر»[٢].

تظهر ترجمات لأشعار مايا كوفسكي في أعوام الثلاثينيات، وكان الشاعر ل. هيوز في عداد المترجمين. إن أمريكا التقدمية احتفلت بالذكرى العاشرة على وفاة الشاعر، عندما تم إصدار مجموعة أشعار لماياكوفسكي بترجمة أي. شنايدير، وا. كاون، ود.د. بورليوك. ودخلت فيها كذلك عدة مقالات انتقادية حول إبداع الشاعر.

كانت زيارة اي. ايلف وي. بتروف إلى الولايات المتحدة الأمريكية في شتاء عام ١٩٣٥-١٩٣٦، شاهداً على توطد روابط الكتاب، وكانت حصيلته صدور الكتاب المعروف «أمريكا ذات الطابق الواحد» (١٩٣٦).

أصبحت النجاحات المؤثرة للأدب الأمريكي التقدمي في أعوام الثلاثينيات موضوعاً لاهتمام النقاد السوفييت بصورة متزايدة. لقد عرّف المترجمون القراء على كل ما صدر من جديد وممتع وراء المحيط. وفي تلك

---

(١) Daily Worker, 1932, Nov. 18

(٢) قراءات غوركي، ١٩٧٨، غوركي، ١٩٧٨.

الأعوام بالذات تم «اكتشاف» إبداع ج. شتاينبك، واي. كالدويل، ور. رايت، وك. اوديتس، وتمت ترجمة أعمال همنغواي، وأندرسون ودوس. باسوس[1]، ودرايز بفعالية كذلك، إذ لعب الموضوع السوفييتي في الأدب الاجتماعي دوراً مهماً في أعوام الثلاثينيات. لقد رأت النور أفضل نماذج الرواية البروليتارية في اللغة الروسية، وكتب م. غولد، وج. كونري، وج. هيربست وغيرهم.

سلطت الأضواء على الحياة الفنية في اللغة الروسية بصورة منتظمة على صفحات الدوريات الأدبية السوفييتية، ومجلة «الأدب الأممي» خصوصاً، التي كانت تعمل فيها مجموعة من الناقدين المختصين بالشؤون الأمريكية عالي المهارة، مثل: اي. اي. انيسموف، واي. ا. كاشكين، وا.اي. ستارتسيف، وب.س. بالاشوف، ون.م. ايشيسكين وغيرهم.

لقد سجلت أعوام الحرب، عندما كان الاتحاد السوفييتي وفي اللغة الروسية يقاتلان ضد العدو المشترك صلات مكثفة بصورة خاصة في المجالات الثقافية والفنية. إن الكثير من شخصيات الثقافة الأمريكية ذات الشهرة مثل (درايزر، وسينكلير، وهمنغواي، وكالدويل، وسيندبيرغ، ورايت، وشابلن، وكنت، وويليامز، ودي كرليوي وغيرهم) عبروا بصورة حازمة عن تضامنهم مع الشعب السوفييتي، الذي كان يتعرض للعدوان الفاشستي الغادر. ولقد سلطت مجموعة من المراسلين والصحفيين الأمريكان في الاتحاد السوفييتي، الأضواء على سير الأحداث على الجبهة السوفييتية- الألمانية. إن تقاريرهم وكتبهم، الموضوعة والملأى بالتعاطف تجاه الناس السوفييت ساعدت القراء فيما وراء المحيط على فهم

(١) على صفحات مجلة «الراية» (١٩٣٣، رقم٥) تمت ترجمة نقاش «الأدب السوفييتي ودوس باسوس»، الذي شارك فيها ا.ا. فادييف، وف.ف. فيشنبسفكي، واي. م. سيلفينسكي، وف.يا. كيربوتين، وف.او. بيرتسوف وغيرهم.

وتصور ما يحدث في الشرق[1]. إن كالدويل الذي بقي في موسكو حتى أيلول عام ١٩٤١، رأى الغارات الأولى للطيران الألماني على العاصمة، وذهب إلى الجبهة الغربية في ضواحي ييلينيا، وتحدث من خلال الإذاعة السوفييتية بكلمات موجهة لأمريكا. لقد كتب في كتابه «الطريق إلى سمولينسك» (١٩٤٢) أن: «بطولة الشعب، وعزمه على الانتصار ليس لهما مثيل في التاريخ كما أعتقد»[2].

وفي كتاب الصحفي هنري كيسيدي «يوميات موسكو» (١٩٤٣)، المكرس للدفاع عن العاصمة، أعطيت لبطولة الوحدات الشعبية، ولشجاعة الجيش السوفييتي، ولفن قيادته التي أعدت بصورة سرية للهجوم المعاكس، ما يستحق من تقدير. كتب كيسيدي أن «الجنرال الشتاء، لم يكن يحارب قطّ إلى جانب الجيش الأحمر.. إن الانتصار في معركة موسكو تم بفضل المناورة الذكية والرؤية بعيدة النظر، التي فاجأت العدو بصورة تامة. كان تكتيك الجيش الأحمر هو العامل الأهم في الانتصار[3]».

وحول شجاعة الناس السوفييت في الفترة الأولى الأكثر صعوبة من الحرب، أدلى الصحفي لاري ليسور بشهادته في كتابه «الـ ١٢ شهراً، التي غيرت العالم» (١٩٤٣) -يوميات من تشرين الأول ١٩٤١ إلى تشرين الأول عام ١٩٤٢، وأدلى بشهادته أيضاً الصحفي جيمس براون في كتابه «روسيا تناضل» (١٩٤٣) معتبراً أن أحد مصادر المقاومة البطولية للشعب السوفييتي كانت تكمن في وطنيته العالية[4].

---

(١) الطريق إلى سمولنسك، الأدباء والصحفيون الأمريكان حول الحرب الوطنية العظمى للشعب السوفييتي أعوام ١٩٤١-١٩٤٥. موسكو، ١٩٨٥ / مقدمة لـ س.ا. دانغولوف.

(٢) Caldwell E. All-out on the Road to Smolensk, N.Y., 1942, p. 73.

(٣) Cassidy H. Moscow Dateline, N.Y., 1943, p. 161.

(٤) Brown I. Russia Fights, N.Y., 1943, p. 160-161.

لكن الحرب لا تكسب بالتكنيك بالطبع، وإنما بالناس أولاً، وبمن حمل على أكتافه أثقال الحرب الكبيرة. ذكر ا. ر. ويليامز في كتابه «الروس، البلاد، والشعب، لماذا يحاربان؟» (١٩٤٣): «إن الإنسان السوفييتي الجديد كان هو السلاح السري للروس»، الذي نشأ وتربى في ظروف البناء الاشتراكي، والمخلص لمثله.

إن فكرة وحدة الشعب المتحققة في ظروف الاشتراكية، والمتشابكة مع الروح القتالية للاتحاد السوفييتي وقوته، خلقت وحدة أخلاقية وكفاحية لصفات الجيش السوفييتي لا تقهر، تكمن في أساس كتاب الصحفية التقدمية ايللا وينتر «لقد رأيت الشعب الروسي» (١٩٤٤). يكتب جيروم ديفيز عن ذلك أيضاً في كتابه «منابع الجبروت السوفييتي» (١٩٤٤). حلل ديفيز، الصديق المجرب للاتحاد السوفييتي، الذي زار بلادنا أكثر من مرة، وسعى في أعماله لمساعدة مواطنيه بالتخلص من «المجموعة المعادية للبلشفية»، مختلف نواحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والروحية، والثقافية في الاتحاد السوفييتي. لقد توصل إلى استنتاج، أن الاشتراكية كانت العامل الحاسم في الانتصار. وفي مقدمته لهذا الكتاب كتب: «عندما هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفييتي بصورة غادرة في ٢٢ حزيران عام ١٩٤١، أعلنت جهاراً أن روسيا لن تُغلب أبداً.. وتنبأت فيها بعد أن الجيش الأحمر سيصل إلى برلين أولاً[١]».

أكد الصحفي الأمريكي التقدمي الشاب ريتشارد لاوتيرباخ، مؤلف كتاب «هؤلاء هم الروس» (١٩٤٥) على الدور التاريخي لحزب الشيوعيين: «كان الحزب في كل مكان: في الغابات البيلورسية النائية، ينظم فصائل الأنصار،

(١) Davis J. Behind the Soviet Power, N.Y., 1946, p. 6.

وفي المصانع السيبيرية، يساعد على رفع الإنتاج، وفي الكولخوزات، وفي هيئات الصحافة والراديو، وفي الجيش...، كان الشيوعيون يحققون القيادة، وكان في أيديهم برنامج للنضال ووسائل تنفيذه.. كان الحزب يجنّد، ويصلّب، ويقنع. كان يتوجه في كل يوم إلى الملايين عبر صحيفة «البرافدا»، وكانت تتحدث بواسطة العاملين السياسيين في الجيش وفي الأسطول. كان صوته مسموعاً في النشاط السري، وفي مؤخرة الألمان، إذ كان يرسل إلى هناك أكثر أعضائه تجربة. كان يصلّد القلعة(١)».

ازداد الاهتمام بالثقافة السوفييتية والروسية في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الحرب، وشكل الإصدار الأمريكي الجزأين ٣ و ٤ من «الدون الهادئ» لشولوخوف صيف عام ١٩٤١ حدثاً في الحياة الفنية. ونالت شعبية كذلك الأعمال التي كانت تصور بطولة الشعب السوفييتي في النضال ضد الفاشية، ومقالات وتعقيبات ك.م. سيمينوف، واي. غ. اهرنبورغ، ومسرحيات ا.ي. كورنيتشوك، ول.م. ليونوف. كان الأمريكان يستوعبون في أكثر الأحيان الكلاسيكية الروسية في ضوء المعاصرة والنضال المعادي للفاشستية. كان الإصدار النيويوركي لرواية «الحرب والسلم» لتولستوي عام ١٩٤٢ على سبيل المثال ممتلئ بخارطة مسير نابليون في روسيا عام ١٨١٢، والجبهة السوفييتية - الألمانية عام ١٩٤١. لقد عبر الناقد ك. فيديمين في مقدمته عن القناعة بأن هتلر يدرك أن مصيره هو مصير نابليون.

كانت مجلة «سوفييت راشا تودي» مستمرة بلعب دور فعال في نشر الحقيقة عن الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت، وكان من بين المشاركين فيها عملياً كل

(١) Lauterbach R. These are the Russians, N.Y., 1945, p. 269.

نخبة الأدب الأمريكي التقدمي: الشعراء ل.هيوز، وج. تيغارد، وس. بيتي، والفنانون المسرحيون ك. أودتس، وي. رايس، وكذلك الكتاب الألمان المعادون للفاشستية ا. زيغيرس، واي. اي. كيش. كان درايزر يحيي في مقالاتهم المنشورة بحرارة نجاحات السلاح الروسي، وكتب ل. هيوز قصيدة شعرية باسم «ستالينينغراد»، وكرّس أو. ر. بيني أشعاراً للقلعة على الفولغا. أما رواية اي. كالدويل «كل الليل على الجسر» فكانت مكرسة للأنصار السوفييت.

على الرغم من صعوبات زمن الحرب، كان العمل مستمراً في الاتحاد السوفييتي لإصدار المؤلفات الأمريكية، سواء الكلاسيكية منها أم المعاصرة. وجرى نشر أعمال أو. ويتمان، ومارك توين، وأو. هنري، ج. لندن وكذلك آي. كالدويل، وآي. سينكلير وغيرهم إما بكتب منفردة وإمَّا في المجلات.

شكلت جولة فناني مسرح مخات إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عامي ١٩٢٢-١٩٢٤ مرحلة مهمة في تطور الروابط في مجال الفن المسرحي. كان الأمريكان في ذلك الوقت مستعدين، كما سمّي ذلك أحد النقاد، لـ «الدخول الروسي إلى المسرح الأمريكي»: كانت مسرحيات غوغول، وغوركي، وتشيخوف، وتولستوي، واندرييف تعرض في مسارح الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٠٠. كان الاهتمام بالمسرح الروسي عظيماً في الولايات المتحدة الأمريكية: وجود الكاتب الأمريكي أوليفر سيلور في روسيا السوفييتية عام ١٩١٧-١٩١٨، إذ كان يجمع مواد لأجل بحثه «المسرح الروسي في فترة الثورة» (١٩٢٠).

بدأت جولات فناني مخات في كانون الثاني عام ١٩٢٣، في نيويورك، ثم استمرت في المدن الأخرى بنجاح كبير. إن المسرحيات التي استمرت حتى أيار عام ١٩٢٤، أصبحت حدثاً حقيقياً في حياة الولايات المتحدة الأمريكية الثقافية.

ولقد كتب ستانيسلافسكي، ملخصاً نتائج الجولات: «إننا - أول السفراء من روسيا الأكثر قناعة، الذين لم يحملوا لأمريكا بنوداً جافة لمعاهدة تجارية، وإنما روح روسية حية، شعرت أمريكا بجاذبيتها»[١]. وبعد سنة، عام ١٩٥٥ وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية الإستوديو الموسيقي لمسرح مخات في جولة له هناك، برئاسة ف.اي. نيميروفيتش - دانتشنكو[٢]. وبدءاً من أواسط العشرينيات تصبح الشخصيات المسرحية الأمريكية البارزة ضيوفاً عامين في بلادنا، ومن بينهم لي. سيمونسون، وهيللي فلانيغين، وجورج فود كراتش وغيرهم. يلفت الناقد كراتش الانتباه إلى «الرابطة العضوية مع حياة الناس المحيطين به، والتي تشكل الخاصية الرئيسية للمسرح الروسي[٣]».

تجذب الممارسة الإخراجية لستانيسلافسكي، وفاختانغوف، ومييرخولد، وتاييروف شخصيات المسرح الأمريكي، وعلماء المسرح النظريين كذلك. لقد أثبت الناقد هانتلي كارتر في كتابه «المسرح الجديد والسينما في روسيا السوفييتية» أنه «لم يظهر المسرح في أي بلد من البلدان أصيلاً، وقوياً، وهادفاً، وغنياً جداً بالمحتوى الإنساني، كما ظهر في روسيا السوفييتية»[٤].

ينتج كارتر في إطار استمراره بالعمل في هذا المجال عملاً جدياً وموضوعياً تحت اسم: «الروح الجديدة في المسرح الروسي، ١٩١٧-١٩٢٨»،

---

(١) ستانيسلافسكي ك. س. المؤلفات المختارة بـ ٨ أجزاء، موسكو، ١٩٥٤-١٩٦١، الجزء ٨، ص ٤٦.

(٢) تفاصيل ممتعة تمس هذه الجولة، انظر في كتاب ابرازتسوف س.ف. على درجات الذاكرة، - العالم الجديد، ١٩٨٤، رقم ١٠، ص ٤٨-٥٦.

(٣) استشهاد بـ: Brewster D. East-west Passage L., 1956, p. 247

(٤) Carter H. The New Theatre and Cinema of Soviet Russia, N.Y., 1925, p. 70.

ويصدر في نيويورك، ولندن، وباريس عام ١٩٢٩. وفي أعوام ١٩٢٠-١٩٤٥، جرى عرض نحو ٥٠ مسرحية روسية كلاسيكية، ومعاصرة في المسارح الأمريكية، بما في ذلك لتشيخوف، وتولستوي، وغوغول، وغوركي، وكاتايف، وتريتياكوف، وكيرثون، وبوغودين، وسيمونوف وغيرهم.

وبدورها بدأت المسارح السوفييتية في أعوام العشرينيات ولأول مرة باستيعاب الفن المسرحي الأمريكي، ولا سيما مسرحيتي سينكلير «موب» و«هوبو». ولقد أصبحت ظاهرة ملحوظة إخراج مسرحيات يوهين أونيل، من قبل تايروف في مسرح الحجرة الموسكوفي.

كان أونيل يجسد بالنسبة لتايروف ذلك الإحساس التراجيدي بالعالم، وتلك «الواقعية المشبعة» التي سار عليها المخرج السوفييتي البارز والمسرح الذي يقوده.

استمرت الروابط المسرحية بالتعمق في أعوام الثلاثينيات. ولقد زار موسكو أحد قادة الرابطة المسرحية التقدمية «غروب تيبتر» هارولد كليرمان مرتين في عامي (١٩٣٣ و ١٩٣٥)، إذ التقى مع ستانيسلافسكي، وميرخولد، وإيزنشتاين، والمسرحي آفينوغينوف. وبعد أن تعرف كليرمان على الحياة المسرحية في العاصمة السوفييتية كان مسروراً بصورة مرضية من غنى العروض وتنوعها، وأساليبها وأشكالها الفنية المتعددة، وردود فعل المشاهدين المتأثرة.

وفي عام ١٩٣٤، قام مخرجان طليعيان من «غروب تيبتر»، هما ستيللا آدلر ولي ستراسبرغ، بزيارة موسكو، كان الأخير منهما يدرّس في المسرح المخبري الأمريكي، إذ كان ينهي مع مستمعيه بعض الأساليب الفنية، التي كانت تطبق في مسرح مخات.

قامت المخرجة هيللي فلينغين، وهي واحدة من قادة المشروع المسرحي الفدرالي، بعدة زيارات إلى الاتحاد السوفييتي (في أعوام ١٩٢٦، و ١٩٣٢ و١٩٣٦). لقد اكتشفت فلينغين حسب كلمات المختص في المسرح جين دي هارت ميتيوز: «في إستوديوهات التلميذ السابق لستانيسلافسكي، فسيفولود ميرخولد، وألكسندر تاييروف كذلك، تلك الأشكال الفنية، التي جعلت من المسرح الروسي مكة يحج إليها المخرجون، والممثلون، وفنانو المسرح في الغرب[1]».

قام المختص التقدمي في الفن غ. او. ل. دان، بعمل مثمر متعلق بدراسة المسرح السوفييتي في ذلك الوقت[2]. استقبل الأمريكيون باهتمام كتاب «البروفات الموسكوفية» (١٩٣٦) لنوريس هارتون، الذي كان يعمل في رابطة «تييتر هيلل». ولقد كتب الشخصية المسرحية المعروفة لي سيمونسون في مقدمته للكتاب: «كانت كل الدروب تؤدي في السابق إلى روما بالنسبة للفنان، وبالأمس - إلى باريس أيضاً، أما اليوم فكل الطرق تؤدي إلى موسكو، وإلى مسارح الاتحاد السوفييتي بالنسبة للعامل في المسرح، إن كان ممثلاً، أم مخرجاً، أم مصمماً»[3].

إن «التأثير الروسي»، ولا سيما تأثير غوركي، وتشيخوف، هو ملحوظ في إبداع ليليان هيلمان. يعتبر النقاد أن هناك قائمة من الأسماء المحددة بين

---

(١) De Hart Mathews Jane. The Federal Theatre, 1938-1939, Plays, Relief and Politics: Princeton Univ. Press, 1967, p. 19.

(٢) قيم ا.ف. لوناتشارسكي نشاطه تقييماً عالياً، في مقدمته لأحد كتبه، الذي لم ير النور كما يُظن. انظر: لوناتشارسكي ا.ف مواد غير صادرة - في كتاب: التراث الأدبي، موسكو، ١٩٧٠، الجزء ٨٢، ص ٤٤٣-٤٤٦.

(٣) Houghton N. Moscow Rehearsals. N.Y., 1936, p. 11.

«الأعداء» لغوركي. ومسرحية «سيأتي يوم»، بين «ييغور بوليتسيف»، و«فاسا جليزنوفا» ومسرحية «الثعالب»[1]. كانت مسرحيات غروكي تعرض في الثلاثينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، بالإخراج الشهير لمسرحية «في القاع»، هذه المسرحية الثورية العظيمة حسب كلمات أونيل، فقد حازت نجاحاً كبيراً في برودواي عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠.

كانت أعوام الحرب، أعوام ازدهار المسرح الإذاعي الأمريكي، الذي احتل الموضوع السوفييتي فيه مكاناً وازناً، ففي كانون الأول عام ١٩٤١ على سبيل المثال، استمع الأمريكيون إلى المسرحية الإذاعية لنورمان روستين وميللارد «قصة عن نيكولاي غاستيللو»، واستمعوا بعد ذلك بفترة قصيرة إلى عملين وثائقيين - اجتماعيين دراميين: «موسكو» و«ستالينغراد».

وفي ٢٢ شباط عام ١٩٤٤، وبمناسبة الذكرى الـ ٢٦ لتأسيس الجيش السوفييتي، دوت المسرحية الإذاعية، المكرسة لقوات الاتحاد السوفييتي المسلحة[2].

كان استيعاب الفن المسرحي الأمريكي يستمر بدوره من قبل المسارح السوفييتية في أعوام الثلاثينيات والأربعينيات. لقد قدمت هيلمان إلى موسكو في خريف عام ١٩٤٤، إذ قامت بإخراج مسرحيتين لها. وفي بداية عام ١٩٤٥، أخرج المسرح الدرامي في موسكو بنجاح مسرحيتها «الثعالب»، وأدت ف.غ. رانيفسكايا دور فيردي بصورة رائعة. وتم إخراج دراما هيلمان «الحراسة على الدين» المعادية للفاشستية من قبل مسرح موسكو للكمسمول اللينيني باسم

---

(١) سميرنوف ب. مسرح الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين. ل.، ١٩٧٦.

(٢) حول الموضوع السوفييتي في المشرح الإذاعي الأمريكي. انظر: بوبوف اي. ا. لماذا سقطت المدينة ؟ موسكو، ١٩٨٤.

«عائلة فيرللي تفقد الهدوء». إن حماسة العمل الذي يدعو للنضال ضد النازية، كان يجد الصدى الحي في صالة المشاهدين: كان ذلك في ربيع عام ١٩٤٥.

وفي منتصف العشرينيات تعقد الصلات الأولى بين السينمائيين السوفييت والأمريكان، ويأتي إلى موسكو في صيف ١٩٢٦ ميري بيكفورد، ودوغلاس فيربينكس، إذ يستقبلان استقبالاً دافئاً، وقد أعلنا إثر عودتهما إلى الوطن عن المنجزات الكبيرة للسينما السوفييتية الفتية. وفي خريف عام ١٩٢٦، يعرض على شاشات الولايات المتحدة الأمريكية بانتصار فيلم «الدارعة بوتيومكين» لإيزنشتاين. ويسمى شارلي شابلن مع ١١٧ من الشخصيات السينمائية الأخرى هذا الفيلم فيما بعد بأفضل لوحة في العالم.

وفي العشرينيات شاهد الأمريكيون نحو ٤٠ فيلماً سوفييتياً، وصاروا يتحدثون حتى عن «عبادة السينما الروسية». لقد أعلن المخرج الأمريكي المشهور دافيد غريفيت: «يبدأ مع ظهور السينما السوفييتية عصر جديد في علم الجمال السينمائي»(١). وحاز فيلما «الأم» لـ ف. اي. بودوفكين، و«الأرض» لـ ا. ب. دوفجنكو، إلى جانب «الدارعة بوتيومكين» على شعبية كبيرة. كانت حداثة هذه الأفلام وقوتها الجاذبة تكمن بالنسبة للأمريكان في أن الشعب كان هو البطل، والثورة - كانت الموضوع الرئيسي(٢). لقد ذهب إلى الغرب س.م. ايزنشتاين كمخرج معترف به عالمياً، برفقة غ.س. الكساندروف، واي. ك.

---

(١) استشهاد بـ: اكتوبر والسينما العالمية. موسكو، ١٩٦٩، ص ١٧١.

(٢) لم يكن كل ذلك مشابهاً لإنتاج هوليود ذي النمط الترفيهي، الذي يجمّل الحياة ويجعلها حلوة بصورة متعمدة، وبما يخدم سلطة المالكين. ولقد تم نشر نحو ٣٠ مقالة وعملاً نظرياً في الصحف والمجلات الأمريكية لإيزنشتاين، وبودوفكين، ودوفجينكو في نهاية العشرينيات - وبداية الثلاثينيات.

تيسي، وذلك عام ١٩٢٩، وفي عام ١٩٣٠ وصل إلى هوليود، إذ كان في مركز الاهتمام. وهنا، أقام ايزنشتاين الصلات مع السينمائيين، وتصادق مع شابلن. بيد أن السيناريوهين اللذين اقترحهما («ذهب زوتيرا» و«التراجيديا الأمريكية») لم يوافق عليهما قادة الصناعة السينمائية الأمريكية.

لقد قرر ايزنشتاين، الذي لم يجد لغة مشتركة مع قادة هوليود أن يصنع فيلماً يقوم على مادة مكسيكية[1]. إن الشريط المصور من قبل ايزنشتاين بقي في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى أساس هذه المواد صنع المخرج سول لاسير فيلم «عاصفة على المكسيك»، كان بعيداً جداً عن فكرة إيزنشتاين. وفيما بعد أعد المختص السينمائي الأمريكي جي ليد، تلميذ إيزنشتاين في الفغيك مادة الفيلم حول المكسيك، التي كانت تحفظ في أحد الأراشيف الأمريكية، وصنع منها فيلماً تعليمياً. وفي الحديث عن تأثير الفن السينمائي السوفييتي يشهد جي ليد فيكتب: «إن كل عمل، وكل كلمة لإيزنشتاين ودوفجنكو تخضع للبحث من قبل السينمائيين الشباب في كل البلدان كوسيلة تعليمية، وكحافز، ومساعدة، وبدقة كبيرة، لم يحصل عليها هؤلاء الأساتذة في حياتهم[2]».

تتصف أعوام الثلاثينيات في الولايات المتحدة الأمريكية بالاهتمام بالشاشة الوثائقية، الأمر الذي اعتبر موازياً فريداً للتطور العاصف للأدب الاجتماعي - الصحفي. وهنا كانت تجربة دزيفي فيرتوف وايسفيري شوف

---

(١) شارك في تمويل البعثة السينمائية إلى المكسيك ا. سينكلير. إن علاقته المتبادلة مع إيزنشتاين قد تم تسليط الضوء عليها في كتاب:

Sergei Eisenstein and Upton Sinclair. The Making and Unmaking Que viva Mexico/Ed. By H. Geduld R. Gottesman. Bloomington, 1971.

(٢) استشهاد بـ تيبليتس ي. نظرية الفن السينمائي. موسكو، ١٩٧١، الجزء ٣، ص ٢١٣.

مفيدة بالنسبة للأمريكان. كانوا يدرسون في الولايات المتحدة الأمريكية باهتمام نظرية «الحقيقة السينمائية» (أو «سينما - فيريتي»)، التي صاغها في العشرينيات د. فيرتوف. إن فيلم اي. شوي «اليوم» (١٩٣٠)، الذي يمثل صورة بانورامية عن حياة الناس السوفييت، قد تم عرضه في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم «المدافع أو الجرارات». ولعل التعرف عليه دفع غيلبيرت سيلديز لصنع فيلم وثائقي مبتكر باسم «هذه - أميركا» (١٩٣٢). أثار عرض «الدارعة بوتيومكين» في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام العشرينيات مفاجأة كبيرة، أما في الثلاثينيات فقد حصل فيلم «تشابايف» على نجاح ضخم.

شاهد الأمريكان في الثلاثينيات الكثير من الأفلام التي أعطت المجد للفن السينمائي السوفييتي، وكان بينها أفلام «شورس» لـ ا.ب. دوفجنكو، و«آلكساندر نيفسكي» لـ س.م. إيزنشتاين، والثلاثية عن مكسيم لـ غ.م. كوزينتسيف، ول.ز. تراوبيرغ، والكوميديات السينمائية لـ غ.ف آلكساندروف وغيرهم. إن ناقد مجلة «سوفييت راشا تودي» سمّى فيلم «لينين في أكتوبر» في سياق تقييمه بالوثيقة التاريخية البارزة[1].

لم يستطع مؤرخ السينما الأمريكية لويس جيكوب إلا أن يعترف أنه «لمجيء الأفلام السوفييتية كان يتبلور فن السينما...»[2]. وحول دور سينما

(١) إن الناقد التقدمي هاري بوتيومكين الذي كتب الكثير عن الفن السوفييتي، نشر في مجلة «هاوند اند هورن» عملين هامين: «بودوفكين والسينما الثورية» و«إيزنشتاين ونظرية السينما». لم يكن الفيلم السوفييتي يجذب السينمائيين الأمريكان إلى جانب الموضوعات الفكرية المختلفة فقط. ففي الفيلم المشهور «المواطن كين» الذي صوره المصور تولاند، تم استخدام أسلوب ما سمي «التصوير العميق» الذي كان أول من اكتشفه هو إيزنشتاين وتيسي.

(٢) استشهاد بـ: لوسون د.غ: الفيلم هو - عملية إبداعية. موسكو، ١٩٦٥، ص ١٤١.

بلاد السوفييت كتب جي ليد بصورة جيدة عن ذلك: «إن قدرة أكتوبر، التي عبرت عنها بصورة جيدة من قبل السينما السوفييتية، مشتبكة بصورة متينة في السينما الأمريكية[1]».

استمر المشاهدون السوفييت بالتعرف على أفضل نماذج السينما الأمريكية في الثلاثينيات، وقبل أي شيء على أفلام شابلن «أضواء المدينة الكبيرة» و«الأزمنة الحديثة». ورأت النور أول الأعمال الجدية عن إبداعه، التي يعود الفضل فيها إلى ريشة المختص السينمائي السوفييتي غ.ا. أفافيناريوس. وفي أعوام العشرينيات أيضاً ظهرت ثلاثة إصدارات لمجموعة «الممثلين السينمائيين الأمريكان»، وكذلك صدر الفيلمان الأمريكيان «فيفا، فيليا» و«خبزنا مشبع»، اللذان حازا جائزتين في السينما السوفييتية.

أصبحت أفلام بلاد السوفييت في أعوام الحرب العالمية الثانية ضيفة في أغلب الأحيان على شاشات الولايات المتحدة الأمريكية، وحظيت بالنجاح تلك الشرائط، مثل «كوتوزوف»، و«نائب البلطيق»، و«المعلم»، و«قوس قزح». وفي عام ١٩٤٢، تم عرض برنامج سينمائي خاص في صالة «ايفننغ بالاس» في نيويورك، مكرس للينين ولينكوان. إن الجو الجديد في التعاون بين البلدين مارس تأثيره على إنتاج هوليود أيضاً، وكان فيلم المخرج غريغوري راتوف «أغنية عن روسيا» إحدى البادرات الأولى - وهو قصة حب بين أمريكي وفتاة روسية لا تخلو من الميلودراما. أما فيلم «النجم الشمالي»، الذي تم تصويره حسب سيناريو هيلمان من قبل المخرج المشهور لويس مايلستوون، فكان الأكثر نجاحاً، وتظهر فيه مقاومة الناس السوفييت للفاشية.

---

(١) استشهاد بـ: أكتوبر والسينما العالمية، ص ١٧٠.

إن تطور الصلات الموسيقية بين البلدين حتى في الأعوام الأولى من السلطة السوفييتية مرتبط قبل أي شيء باسم س.س. بوكوفييف، الذي كان أول من ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٨، كعازف حاذق على البيانو، ملحن، وكاتب مؤلفات خاصة به. وفي أعوام العشرينيات كان بروكوفييف ضيفاً عدة مرات لدى المجتمع الأمريكي، وكان عزفه يحظى في كل مرة بالمديح في الصحافة. كان بروكوفييف يميز في سياق وصفه لوضع الحياة الموسيقية في الولايات المتحدة الأمريكية الإبداع الأصيل لجورج غيرشفين. وفي العشرينيات كشف الأمريكان ملحنين بارزين آخرين في روسيا السوفييتية أمثال - د.د. شوستاكوفيتش، ويو.ا. شابورين، ون. يا. مياسكوفسكي، ور. م. غليير، وقد تم إخراج أوبرا شوستاكوفيتش «الأنف» في نيويورك على سبيل المثال.

توسعت الصلات في أعوام الثلاثينيات. ففي عام ١٩٣٨، وفي أثناء زيارته الدورية للولايات المتحدة الأمريكية قاد بروكوفييف في بوسطن الأوبرا التي ألفها «بيتا والذئب»، وأدى الكونتاتا في أوركسترا فيلادلفيا التي يقودها الموسيقي المشهور يوجين أورماندي لأوبرا «آلكسندر نيفسكي» المأخوذة من الفيلم المسمى باسمها، واستقبل استقبالاً دافئاً.

إن الموضوع السوفييتي يدخل في تلك الفترة في إبداع الموسيقيين التقدميين الأمريكان: يؤلف يا. شيفير، قائد المجموعات العمالية الغنائية عملاً للجوقة بالمواضيع الثورية: «لينين - زعيمنا»، و«مسير الجوع» وغيرهما. يكتب نورمان كاسدين سيمفونية كورالية باسم «الاتحاد السوفييتي». لم تكتسب السمفونية السابقة لشوستاكوفيتش أهمية فنية فقط وراء المحيط في أعوام الحرب، وإنما أهمية اجتماعية كبيرة. ففي ١٩ تموز عام ١٩٤٢ أذيعت السيمفونية على الموجات

القصيرة عبر محطة الإذاعة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى كل العالم. كان نجاح العمل لا سابق له. ولقد استجاب الشاعر ك. سيندبيرغ لهذا الحدث بقصيدة شعرية باسم «إلى ديمتري شوستاكوفيتش – مبدع السيمفونية السابعة».

حاز الملحنون السوفييت الآخرون أيضاً على الشهرة: س.س. بوركوفيف، ون.يا. مياسكوفسكي، وا.ن. خاتشادوريان، ور.م. غلبير، وت.ن. خرينيكوف. وبرهن بول روبنسون أنه واحد من أفضل مؤدي الأغاني السوفييتية. لقد أصبحت السمفونية «الحربية» الخامسة لروي هاريس المكرسة للاتحاد السوفييتي، فريضة احترام لبطولة الشعب السوفييتي. وفي أعوام الحرب كان سيرغي راحمافينوف الذي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية يقدم حفلات موسيقية لصالح الجيش السوفييتي. وأرسل في خريف عام ١٩٤١ هدية شخصية إلى الاتحاد السوفييتي هي عبارة عن شحنة كبيرة من الأدوية.

وفي العشرينيات، تكونت الروابط بين رسامي كلا البلدين، وبمبادرة من المعهد الأمريكي - السوفييتي في الولايات المتحدة الأمريكية تم تنظيم عدد من المعارض الفنية السوفييتية. وفي أحد هذه المعارض المقامة في آذار عام ١٩٢٤، تم تقديم أعمال لـ ٤٧ رساماً سوفييتياً. كان الرسامان السوفييتيان ب.ب. كونتشالوفسكي، وف.ا. ماليافين يشاركان في المعارض الدولية في بيتسبورغ. ومنذ عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٤٥، كان يعيش ويعمل في نيويورك س.ت. كونينكوف - النحات الروسي البارز، وقدم خلال هذه الفترة نحو ١٥٠ عملاً بالبرونز، والمرمر، والخشب. تتذكر ن.ب. كونتشالوفسكايا أن الاقتراحات كانت تنهال على النحات «كان يعمل على الطلبيات الرسمية، كما تحدث هو من قبل «أناس حصيفين ومتبصرين»... ومع ذلك كان يقتحم إبداعه رؤيته

للطبيعة، المحبة والملهمة...[1]». لقد بدا ذلك في نحته لصور عالم الجراثيم الياباني نوغوتشي، وكذلك في صور س.ف. رحمانينوف، واي. ب. بافلوف، اللذين اتخذا الوضعية الملائمة في ورشته النيويوروكية. لقد تم إيجاد حل ممتع لصورة ا. إيزنشتاين، الذي التقى النحات أكثر من مرة، وفي عام ١٩٢٤ صنع كونينكوف صورة منحوتة من الخشب للينين ومنصة الخطابة، وفي كانون الأول عام ١٩٤٥ عاد كونينكوف إلى الاتحاد السوفييتي وحمل معه منحوتاته.

يحضر الموضوع الروسي في إبداع عدد من أساتذة الفن الأمريكان، ومع الأخص ر. كنت. كان ويليام زوراخ ذي المنشأ الروسي يعمل في أعوام الثلاثينيات على مشروع نصب للينين لأجل قصر السوفييتات.

في عام ١٩٢٤، تم تنظيم معرض للنحت الزنجي في موسكو، وبعد أربع سنوات عرضت هناك لوحات للفنان الأمريكي التقدمي لوي لوزوفيك، وفي تشرين الثاني عام ١٩٣١ تم عرض أعمال غرافيكية للرسامين أعضاء «نادي جون ريد» الثوري في موسكو. كان الرسام الأمريكي فريد ايلليس الذي عاش في الثلاثينيات في الاتحاد السوفييتي يتعاون مع عدد من صحف موسكو المركزية، وفي أعوام الحرب يقوم ر. كنت وبصورة نشيطة بإلغاء المحاضرات والتقارير عن الاتحاد السوفييتي، وفي ربيع عام ١٩٤٩ وجه ٥٠ رساماً ونحاتاً بارزاً رسالة إلى الرئيس روزفلت، مطالبين بزيادة الإمدادات إلى الاتحاد السوفييتي، وافتتح في أحد متاحف نيويورك للوحات معرض للرسامين لوي لوزوفيك،وفرانك غوروفتتس تحت اسم «حياة الاتحاد السوفييتي».

---

(١) س.ت. كونينكوف: لقاءات. ذكريات المعاصرين عن النحات. موسكو، ١٩٨٠، ص ٤٦.

تتميز تلك المرحلة بصورة عامة بتنوع وتوسع الصلات بين البلدين. هذه الصلات التي زادت توطداً في أعوام الحرب، عندما خاض كلا الشعبين نضالاً مشتركاً ضد العدو المشترك، وكانت بطولة الناس السوفييت تثير تعاطفاً حاراً من قبل الرأي العام الأمريكي ورجالات الثقافة. إن الاهتمام في الولايات المتحدة الأمريكية بالأدب السوفييتي، وبالمسرح، والسينما، والاعتراف الواسع الذي حصل عليه غوركي، ومایاكوفسكي، وشولوخوف، وستانيسلافسكي، وميرخولد، وإيزنشتاين، وشوستاكوفيتش، وغيرهم - إن كل ذلك أصبح شاهداً على السمعة العالية للفن الاشتراكي فيما وراء المحيط. إن هذه الفترة بدورها، كانت بالنسبة للاتحاد السوفييتي هي فترة استيعاب كل ما هو قيم في مجال ثقافة الشعب الأمريكي. إن ذلك يخص قبل أي شيء السينما والأدب على وجه الخصوص. لقد حازت أفلام شابلن، وأفضل أعمال درايزر، وهمنغواي، وسينكلير، وشتاينبك، ولويس شعبيةً واسعةً، وأصبحت مرافقة روحية للناس السوفييت.

علم تدوين التاريخ

١ - علم التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

لقد تطور علم التاريخ في تلك الفترة في ظروف معقدة جداً وبتأثير الكثير من العوامل. وكان لنتائج الحرب العالمية الأولى أهمية اجتماعية - سياسية كبيرة. من إذ الأزمة العامة للرأسمالية، وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي، وتعمق التناقضات بين الدول الإمبريالية. أضف إلى ذلك، الوضع العام الذي كان سائداً في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، - عدم استقرار الاقتصاد، واحتدام الصراع الطبقي، ونمو الحركات الاجتماعية. إن كل ذلك مارس تأثيره على عقائد العلماء البرجوازيين، ومنطلقاتهم في تفسير وتقييم الظواهر الاجتماعية، وعلى منهجية علم التاريخ البرجوازي بصورة عامة والوعي التاريخي على وجه الخصوص.

لقد احتل مذهب نسبية المعرفة، والمذهب البراغماتي، وأفكار استحالة معرفة الماضي مكاناً ملحوظاً بصورة متزايدة كمقدمات للمنطلقات النظرية في أعمال المؤرخين البرجوازيين في الولايات المتحدة الأمريكية. وظهرت مسألة نفي الحقيقة الموضوعية والقانونية في تطور العملية التاريخية بصورة واضحة في كلمات ك. بيكر، وتلميذه ونصيره ف. تيرنير في مؤتمر الجمعية التاريخية الأمريكية عام ١٩٢٦. إذ شكك بيكر بأهمية الحقيقة التاريخية، وكان يقول: إنَّ «التاريخ نفسه هو ثمرة تصورات المؤرخ. وإن قيمة التاريخ، حسب رأي بيكر تكمن في الاستفادة من الماضي لأجل الحاضر، وأن مهمة المؤرخ هي استخلاص العبر من الماضي[١]».

---

(١) Becker C. Everyman His Own Historians. Chicago, 1966.

وفي عام ١٩٣١ أكّد بيكر من جديد في مؤتمر الجمعية التاريخية الأمريكية، أن التاريخ هو «فعل الفكر»، وطبقاً لذلك يجب أن تكون هناك فائدة ومنفعة من صناعته، مع الأخذ بعين الاعتبار اهتمامات العصر. وبعد عامين ، في عام ١٩٣٣ أطلق العالم المشهور والناقد تش. بيرد، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمعية التاريخية الأمريكية، على هذا الفرع من المعرفة اسم «فعل اعتقاد المؤرخ»، إذ يتعلق بذاتيته وآرائه اختيار الحقائق والمادة وتفسيراتها بصورة موازية(١).

وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن النزعات الأساسية في تطور علم التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الميل الشديد نحو التخصص والتمايز خلال تلك الفترة. إذ أُنشئت جمعيات وروابط تاريخية، ولا سيما في مجال التاريخ الزراعي، والتاريخ الفكري، وكثرت بصورة خاصة أعداد المجلات التاريخية المتخصصة باتجاهات بحثية محددة. وفي عام ١٩٤٥ انضمت إلى الجمعية التاريخية الأمريكية ٨٣٣ جمعية تاريخية محلية.

وتمّ في عام ١٩٣٤ افتتاح الأرشيف الوطني وهو عبارة عن مستودع ضخم لحفظ المراجع الوثائقية لكل مراحل تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. كما تمَّ حفظ الكثير من الوثائق في مكتبة الكونغرس، وفي مكتبات رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية غوفر، وروزفلت، وترومان، وفي مكتبات الجامعات. وفي أعوام ما بين الحربين تمَّ العمل على معالجة الوثائق، ونُشر الكثير منها، وتحسنت أيضاً منهجية البحث، وتوسعت المواضيع بشكل ملحوظ.

---

(١) Beard Ch. A. Written History as an Ase of Faith – In: The Philosophy of History in our time / Ed. By H. Meyerhoft, N.Y., 1959.

كانت الجهود الأساسية للمؤرخين البرجوازيين الأمريكان موجهة لمعالجة مشاكل التاريخ السياسي الداخلي والخارجي للولايات المتحدة الأمريكية. أما بالنسبة لدراسة تاريخ البلدان والشعوب الأخرى فقد كان الاهتمام أقل بصورة ملموسة. ولقد دعا من على المنصة الرئاسية للجمعية التاريخية الأمريكية ك. هيس، العلماء للتخلي عن «المذهب الانعزالي الفكري»، واقترح إبداء اهتمام أكبر لدراسة تاريخ بلدان أمريكا اللاتينية، وأوروبا، وآسيا[١]. ولكن المؤرخين الأمريكان كانوا منشغلين بصورة عامة بدراسة تاريخ بلادهم على وجه الخصوص[٢].

ظهرت أيضاً في بداية عام ١٩٠٠ «المدرسة الإمبراطورية» المحافظة التي اهتمت بدراسة المستعمرات[٣]. وقد نشر ممثلها أوسغود دراسة حول تاريخ المستعمرات الأمريكية في القرن الثامن عشر (التتمة المبكرة للعمل المنشور

---

(١) Heyes C. H. The American Frontier of What? – American Historical Review, 1946, vol. 50, p. 199-216.

(٢) بعض مسائل تطور العلم التاريخي في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ما بين الحربين تم بحثها في علم تدوين التاريخ، الجزء الثاني من ذلك الإصدار. انظر كذلك: ديمينتييف اي. ب، ومالكوف ف.ب.، ونادجافوف د.غ: علم التدوين التاريخي في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٨-١٩٤٥)، في كتاب: علم التدوين التاريخي الحديث والمعاصر لبلدان أوروبا وأمريكا. موسكو، ١٩٦٨، وديمنتييف اي.ب. علم تدوين التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية - في كتاب: علم تدوين التاريخ الحديث والمعاصر في بلدان أوروبا وأمريكا. موسكو، جامعة موسكو، ١٩٧٧.

(٣) بالتفصيل انظر: اوتكين ا.ي. علم تدوين التاريخ الأمريكي في مرحلة الاستعمار - في كتاب: المشاكل الأساسية لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في علم التدوين الأمريكي: من المرحلة الاستعمارية حتى الحرب الأهلية (١٨٤١-١٨٦٥) / المحرر المسؤول غ. فاسيفوستيانوف، موسكو، ١٩٧٩.

مكرسة للمستعمرات في القرن السابع عشر)[1]. إذ وصف المؤلف في عمله بصورة تفصيلية نظام إدارة المستعمرات، والروابط بينها، وتطور العلاقات التجارية، وطابع السياسة الإمبراطورية لبريطانيا العظمى، وتطور التناقضات بين الدول المستعمرة وممتلكاتها.

كما نشر أحد مؤسسي «المدرسة الإمبراطورية» تش. أندريوس دراسة رئيسية[2]، تحتوي على مادة حقيقية كبيرة. إذ كانت المستعمرات الأمريكية تعتبر نفسها جزءاً من الإمبراطورية البريطانية. لقد أوجز التناقضات بين المستعمرات والدول المستعمرة بمسائل إدارة أراضي ما وراء البحار. إن تعميم النظام الأساسي للدومنيون في المستعمرات كفيل بتلافي الانتفاضة في أمريكا حسب رأيه.

وقام المؤرخان ا.م. شليزينغير - الأكبر وج. جيمسون بدراسة الثورة الأمريكية في القرن الثامن عشر[3]. إذ تطرق الأول منهما للبحث في دور التجار

---

(١) Osgood H. The American in Eighteenth Century, N.Y. 1924-1925. Vol. 1-4;

انظر كذلك: سمولوفا ت.ا. «المدرسة الإمبراطورية» في علم التدوين البرجوازي في الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين: (نظرية غ.ل. اوسغود) -في كتاب: مسائل التاريخ الوكني والأجنبي، وعلم الأدب، وقواعد اللغة. قازان، ١٩٨١. وإدوارد تشينّيغ و«المدرسة الإمبراطورية» في علم تدوين التاريخ البرجوازي الأمريكي - في الكتاب نفسه.

(٢) Andrews Ch. The colonial Period of American History, vol. 1-4. New Haven, 1934-1939.

(٣) انظر بالتفصيل: اومانسكي ب.ب. قضايا الثورة الأمريكية - في كتاب: القضايا الأساسية لتاريخ الولايات المتحدة في علم التدوين الأمريكي: من المرحلة الاستعمارية حتى الحرب الأهلية ١٩٦٥-١٩٦١.

الكبار خلال فترة الحرب من أجل الاستقلال[1]. ونظر الأخير للحرب من أجل الاستقلال كحركة اجتماعية[2]. لقد أكد، أن إعادة توزيع الأرض قد تمت نتيجة الثورة، وبدأ التطور السريع للصناعة والتجارة، وحلل الطبيعة الاجتماعية لهذا التطور والمنافع الناتجة عنه. ولكن الحدث الأكبر آنذاك كان صدور عمل الزوجين تشارلز وماري بيرد «منشأ الحضارة الأمريكية»[3]، وكان بيرد يعدّ في الوقت نفسه رئيس «التقدميين» بحق، وقد مارس تأثيراً مهماً في تطور الاتجاهات الأساسية لعلم التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تطرق الزوجان بيرد في العمل المذكور إلى القضايا الأساسية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية : بداية من الحرب من أجل الاستقلال، إلى استيعاب نزعات التطور في البلاد اعتباراً من النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومنابع الحرب الأهلية في أعوام ١٨٦١-١٨٦٥. إذ صور المؤلفان تاريخ البلاد كصراع بين «المصالح الزراعية والصناعية»[4]. لم يتم طرح المسألة على أساس الطبقات. وإنما تم طرحها في المقام الأول على أساس المنافسة بين الصناعة والزراعة، والتناقضات بين بعض مجموعات البرجوازية، ومختلف فئات المزارعين. وفي عمله الآخر تمت دراسة تاريخ

---

(١) Sehlesiger A. M. Colonial Merchants and American Pevolution, 1763-1776. N.Y., 1918.

(٢) Jameson J. The American Revolution Considered as a social Movement. Princeton, 1926.

(٣) Beard Ch., Beard M. The Rise of American Civilization, vol. 1-2. N.Y., 1927

(٤) ارجع بالتفصيل إلى: ديمينتييف اي.ب. علم تدوين التاريخ الأمريكي للحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦١-١٩٦٥). موسكو، ١٩٦٣.

دستور ١٧٨٧، الذي كما أظهر بيرد كان نتيجة جهود الرأسمال المالي والتجاري بالدرجة الأولى، واستجابةً لمصالح عالم الأعمال[١].

كان بيرد في سياق تحليله لتطور الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومقدمات ونتائج الحرب الأهلية، الأول من بين المؤرخين البرجوازيين، الذي حدد هذه الحرب واعتبرها ثورة اجتماعية. لقد فند الادعاءات التي تقول: إنَّ الثورة ظهرت نتيجة التأويل غير الصحيح للدستور، وقام بنقد «نظرية الأقسام» لتيرنير. بيد أن مشكلة العبودية سقطت من حساباته. كان يعتبر أن سبب الحرب يعود إلى تضارب مصالح المزارعين وأصحاب المزارع الكبيرة حول مسألة توزيع أراضي الغرب الأمريكي. استصغر بيرد دور الجماهير الشعبية، ولا سيما مشاركة العمال والزنوج في الحرب الأهلية، وقلل من أهمية هذه المشاركة ونتائجها[٢].

تمَّ فيما بعد تطوير آراء بيرد في أعمال س. فورمان، وغ.ج. كارمين، واي. بوغارت، وغ. فولكنر، ل.م. هيكر وغيرهم[٣]. وسرعان ما تخلى بيرد نفسه في غضون ذلك عن مبادئ «نظرية الحتمية الاقتصادية» وأخذ يؤيد آراء المذهب النسبي. كان تطور آراء بيرد يشهد على أزمة منهجية في علم التاريخ البرجوازي، وعلى تدهور الاتجاه «الاقتصادي». كانت تظهر وتتطور تيارات جديدة في علم تدوين التاريخ. وهكذا ظهر اتجاه في مجال دراسة الحرب الأهلية، اشتهر بتحريفيته المحافظة.

---

(١) Beard Ch. An Economic Interpretation of the Constituation of the Inited States of America, N.Y., 1935.

(٢) Beard Ch. The American Party Battle. N.Y., 1925.

(٣) Forman S. The Rise of American Commerce and Industry / N.Y., 1930.

لقد نفى ممثلو هذا الاتجاه (ج. بينديلل، واي. كريفين، وتش. رامسديلل وغيرهم)[1]. حتمية الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتوجهوا بالنقد للنظريات الليبرالية عن هذه الحرب، معتبرين أنها «غير مفيدة» وعرضية أيضاً، وأنها حدثت بسبب «خطأ الجيل» . كان مؤلفو هذا الاتجاه ينفون النزعات الثورية لدى الشعب الأمريكي، وأبرزوا بصورة متحيزة ومحابية سياسة الرئيس لينكولن[2]. وكان للجمعية التاريخية الجنوبية دورٌ كبيرٌ في تشكل تلك الآراء[3]. إذ نشر أولريخ ب. فيلليبس عملين مكرسين لمسألة العبودية في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية[4]، حاول أن «يبرهن فيهما» على الضرورة الاقتصادية والاجتماعية لهذه المؤسسة بالنسبة لهذا الإقليم من البلاد. كان ذلك دفاعاً مكشوفاً عن العبودية.

لقد ساهم علم تدوين التاريخ الزنجي مساهمة مهمة في صياغة تاريخ الزنوج، وكان أبرز ممثلي هذا الجانب التأريخي ك. فودسون، الذي أسس في شيكاغو عام ١٩١٥ جمعية لدراسة تاريخ الشعب الزنجي. وفي العام نفسه، وبقيادته، صدر العدد الأول من «مجلة تاريخ الزنوج» (جورنال اوف نيغرو هيستوري)، التي لعبت دوراً كبيراً في تشكل وتطور علم تدوين التاريخ الزنجي. وقد احتوت أعمال فودسون على مادة كبيرة حول نضال الشعب

---

(١) Rondall J. The Civil war and Reconstruction. N.Y., 1937.

(٢) *Charwood L.* Abraham Lincoln. N. Y., 1917; *Beveridge A.* Abraham Lincoln, 1809— 1858: Vol. 1, 2. Boston, 1928

(٣) راجع بالتفصيل: ديميتيف اي.ب. علم تدوين التاريخ الأمريكي للحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) Phillips U. B. American Negro Slavery. N. Y., 1918; Idem. Life and Labor in 19 the Old South. Boston, 1929

الزنجي من أجل الحرية، وحول مشاركة الزنوج في الحرب الأهلية. ويعدّ كل من بـ برويلي، وتش ويستلي من المؤرخين الذي ينتمون إلى النهج الذي اتبعه فودسون، وفي أواسط الثلاثينيات نشر ويليام دمبوا عملاً مهماً باسم «إعادة البناء السوداء»، أظهر فيه دور الجماهير الزنجية في تحقيق التحولات الديمقراطية في الجنوب، وفضح الممارسات السياسية لبورجوازية الشمال، التي عملت على التآمر مع أصحاب المزارع الكبيرة في الجنوب[١].

ومع انتهاء مرحلة الهجرة الطويلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واحتداد المسألة الوطنية بدأ عدد من الباحثين بالاهتمام بمواضيع الهجرة، وكان من بينهم ج. ستيفنسون، وم. هانسين، واو. هيندلين، وك. فيتكي، ور.ا. بيللينغتون، وغ. ماير، وك. كويلي، وت. بليغين، وف. جينسون، ور. فورستر وغيرهم[٢]. وقد تركزت أبحاث هؤلاء المؤرخين بالدرجة الأولى حول أسباب

---

(١) Woodson C The History of Negro Church. Wash., 1921; Idem. The Negro in Our History. Wash., 1922; Idem. A Century of Negro Migration. Wash., 1925; DuBois W. Black Reconstruction. N. Y., 1935.

(٢) Stephenson G. M. A History of American Immigration, 1820—1924. Boston; New York, 1926; Hansen M. L.The Atlantic Migration, 1607—1860. The History of the Continuing Settlement of the United States. Cambridge (Mass.), 1941; Handlin O. Boston'sImmigrants, 1790-1865: A Study in Acculturation. Cambridge (Mass.), 1941; TheImmigrant and American Politics.— In: Foreign Influences in American Life/Ed, by D. Bowers. Princeton, 1944; Wittke C We Who Built America. The Saga of the Immigrant. N. Y., 1945; Billington R. A. The Protestant Crusade, 1800—1860. A Study of the Origins of American Nativism. Chicago, 1938; Myers G. History of Bigorty in the United States. N. Y., 1943; Qnaley C. C. Norwegian Settlement in the United States. Northfield (Minn.), 1938; Blegen Th. C Norwegian Migration to America. The American Transition. Northfield (Minn), 1940: 1 arisen F. E. The Background of Swedish Immigration, 1840—1930. Philadelphia, 1931; Foerster R. F. The Italian Emigration of Our Times. Cambridge (Mass.), 1919, 1924.

الهجرة، والدور السياسي والاجتماعي للمهاجرين، والعلاقات فيما بينهم وبين السكان الآخرين، والأمزجة المعادية للهجرة.

وكانت النظرة السائدة إلى المهاجرين آنذاك ترى فيهم كتلة محافظة واحدة، مجزأة حسب العوامل الإقليمية والقومية - الإثنية. الأمر الذي جعل المؤلفين يبتعدون عن تحليل قضايا انفصال الطبقات في هذا الوسط.

ومن ناحية أخرى فقد أولى «الاقتصاديون» في العشرينيات والثلاثينيات اهتماماً محدداً بحركة المطالبين بإعطاء الأرض للمهاجرين (الحركة الإصلاحية المطالبة بالأرض للمهاجرين). بيد أن إعداد هذا الموضوع كان محصوراً بالدرجة الأولى بدراسة تاريخ حركات المزارعين في بعض الولايات. وقد وصف ج. هيكس عام ١٩٣١ الحالة الاقتصادية الصعبة للمزارعين آنذاك، الذين هبوا للنضال ضد تعسف شركات السكك الحديدية والشركات الربوية، والاحتكارات والبنوك، والجهاز الإداري والبلوتوقراطية. وفيما بعد، وبتأثير آراء تيرنير، جرى تحول بطريقة التعاطي مع حركة المزارعين ودراستها في إطار «صراع الأقسام» - صراع الغرب والجنوب الزراعيين ضد الشرق الصناعي[١]. وقد كان لآرائه انعكاسٌ في الكتب المدرسية المتعلقة بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الأمر عند س. موريسون، وغ. كوماجير، وغ. فولكنر على وجه الخصوص[٢]. وقد نشر ك. وان. وودفورد الذي أصبح فيما بعد مختصاً كبيراً في تاريخ الشعب الزنجي، دراسة مهمة، سلط فيها الضوء على نضال المطالبين بالأرض في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، والرافضين

---

(١) Hicks J. D. The Populist Revolt: A History of the Farmer's Alliance and the People's Party. Minneapolis, 1931.

(٢) Morison S. E., Commager II. S. The Growth of the American Republic. N. Y., 1942; Faulkner H. V. American Economic History. N. Y., 1933.

للعنصرية وخرافاتها الإيديولوجية، من أجل تحقيق الوحدة بين الجماهير المستثمرة من الكادحين البيض والزنوج[١].

وفي أعوام الثلاثينيات ظهرت «مدرسة عالم الأعمال». على يد كل من ن. غراس، وغ. لورسون، اللذين أصدرا «نشرة جمعية تاريخ عالم الأعمال»، و«مجلة التاريخ الاقتصادي وتاريخ عالم الأعمال». وقد لعب دوراً فعالاً في إنشاء وتطور هذا التيار ا. فيغينس. وكان الهدف الأساسي الذي وضعه هذا التيار نصب عينه، وهو دراسة تاريخ الرابطات، والاتحادات الاحتكارية، وتمجيد «أرباب الصناعية»، ومنظمي «البزنس الكبير»، وممثلي الرأسمال المالي[٢].

أما في مسائل تاريخ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ودبلوماسيتها، فقد كان الاتجاه الرسمي لعلم تدوين التاريخ الأمريكي يحتل المكان المسيطر. وكان الاهتمام ينصب بصورة رئيسية على إقليم أمريكا اللاتينية وتاريخ مذهب مونرو وتأويله بروح ملائمة للولايات المتحدة الأمريكية، وبشكل يتم فيه نفي الاتجاه التوسعي لهذا المذهب[٣]. ولم يكن لعمل س. بيميس[٤] سوى هدف واحد وهو تبرير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية ، إذ أكّد فيه، أن سياسة واشنطن تجاه البلدان الأمريكية اللاتينية كانت في أكثر الأحيان مشروطة

---

(١) Woodward C V. Tom Watson — Agrarian Redel. N. Y., 1938.

(٢) Nevins A. History of the Bank of New York and Trust Company, 1784 to 1934. N. Y., 1934; Idem. John Rockfeller, the Heroic Age of American Enterprise: Vol. 1, 2. N. Y., 1940; Gras N., Larson H. Casebook in American Business History. N. Y., 1939; GrasN. Business and Capitalism: An Introduction to Business History. N. Y., 1939.

(٣) Perkins D. The Monroe Doctrine, 1823—1826. Cambridge, 1927; Idem. The Monroe

(٤) Be mis S. F. The Latin-American Policy of the United States. A Historical Interpretation. N. Y., 1943.

بالسعي لتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي في هذه الدول ومحو الحجج بالنسبة للتدخل الأوروبي. ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأ عدد من المؤرخين بدراسة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية -، ولا سيما الحرب الإسبانية - الأمريكية عام ١٨٩٨ ومذهب «الأبواب المفتوحة»(١). إذ كانت قضية تكوّن الإيديولوجيا التوسعية الأمريكية تشكل مكاناً خاصاً على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين(٢)، ففي ظروف التوسع الكبير للرأسمال الأمريكي في بلدان أمريكا اللاتينية ظهرت إصدارات كانت تبرر بصورة مكشوفة السياسة التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة، وقد تمَّ الاعتراف فيها بحقيقة مشاركة الاحتكارات المباشرة بالإشراف على بلدان أمريكا الوسطى، لدرجة قد تصل أحياناً إلى حدِّ التدخل المسلح من قبل واشنطن. وكانت تتعالى من وقت إلى آخر تصريحات تعبر عن عدم الموافقة على الأشكال والطرائق الفظة لتغلغل الدولار في بلدان أمريكا اللاتينية(٣).

---

(١) Gibbons H. A. America's Place in the World. N. Y.; L., 1924; Dennis A. L. P. Adventures in American Diplomacy, 1896—1906. N. Y., 1928; Sears L. A History of American Foreign Policy. N. Y., 1927

(٢) Pratt J. W. The Origin of Manifest Destiny.—American Historical Review, 1927, July; Idem. The Ideology of American Expansion.— In: Essays in Honor of W. E. Dodd/Ed. by A. Craven. Chicago, 1935; Idem. Expansionists of 1898. N. Y., 1936: Weinberg A. Manifest Destiny. Gloucester (Mass.), 1935. Историография идейной борьбы в США по вопросам экспансии подробно изложена в кн.: Дементьев П. П. Идейная борьба в США по вопросам экспансии (на рубеже XIX—XX вв.). М., 1973.

(٣) Kepner Ch., Soothhill J. Banana Empire. A Case Study of Economic Imperialism. N. Y., 1925; Hill H. Roosevelt and the Caribbean. Chicago, 1927; Latane J. A History of American Foreign Policy. N. Y., 1927; Chapman Ch. A History of the Cuban Republic. N. Y., 1927; Knight M. The Americans in Santo Domingo. N. Y., 1928; Jenks L. Our Cuban Colony. N. Y., 1928; Rippy J. F. Latin America in World Politics. N. Y., 1928; Idem. The Caribbean Danger Zone. N. Y., 1940;=

أما بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي وفي آسيا نهاية القرن التاسع عشر فقد حظيت بقسط وافر من الاهتمام أيضاً، إذا تمَّ التسويق لمذهب «الأبواب المفتوحة» على نطاق واسع، مع التعتيم على الأهداف التوسعية والمقاصد المغرضة للاحتكارات الأمريكية[1]. وتمَّ في أعوام الحرب العالمية الثانية إصدار سلسلة من الكتب، كان الهدف منها الترويج للإيمان المسيحي «باستثنائية» سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ودبلوماسيتها[2].

وتحت تأثير تفاقم التناقضات الطبقية في البلاد، استمر العمل وفق ما أطلق عليه أسم تيار «النقد الاجتماعي» في علم تدوين التاريخ الأمريكي. الذي كان ف.ل. بارينغتون المؤسس الرئيسي له. إذ أصدر في نهاية العشرينيات دراسة متعددة المواضيع، مكرسة لمتابعة تطور الفكر الاجتماعي الأمريكي - للأدب، والفلسفة، والتاريخ، والاقتصاد، وعلم القضاء، والنضال الفكري للقوى الاجتماعية[3]. وقد بدا

Hughes Ch. Our Relations to the Nations of the Western Hemisphere. Princeton,= 1928; Marsh M. The Bankers in Bolivia. N. Y., 1928; Winkler M. Investments of the United States Capital in Latin America. Boston, 1929; Jones Ch. The Caribbean Interests of the United States. N. Y.; L., 1929; Jones Ch., Norton H.: Monn P.-T. The United States and the Caribbean. Chicago, 1929; Elements of an American Foreign Policy / Ed. by E. Patterson. Philadelphia, 1931.

(١) Dennet T. Americans in Eastern Asia: A Critical Study of the Policy of the United States with Reference to China, Japan and Korea in the 19th Century. N. Y., 1922; Dulles F. R. America in the Pacific. Boston, 1932; Griswold A. W. The Far Eastern Policy of the United States. New Haven, 1938.

(٢) Latane J. H., Wainhouse D. W. History of American Foreign Policy, 1776—1940. N. Y., 1941; Inman S. G. Latin America. Its Place in World Life. N. Y., 1942; Bemis S. F.A Diplomatic History of the United States. N. Y., 1942; Nevins A. America in World Affairs. N. Y., 1942; Bailey Th. America's Foreign Policies: Past and Present. N. Y.,1943.

(٣) Parrington V. L. Main Currents in American Tought: Vol. 1—3. N. Y., 1927—1930 (рус. пер.: Паррингтон В. Л. Основные течения американской мысли: В 3-х т.М.', 1962—1963).

واضحاً تأثير كل من آراء تش. بيرد «موضوعة صراع المصالح الزراعية والصناعية»، والتقاليد المعادية للاحتكارات لحركة المطالبين بالأرض و«مزيلي القذارة» على نظريته. ومع بداية أعوام الثلاثينيات حصل عمل بارينغتون على شعبية واسعة بين فئة المثقفين الراديكاليين، وساعد على تقوية النزعات النقدية الاجتماعية.

في تلك الفترة بالذات تشكل الاتجاه الماركسي في علم تدوين التاريخ الأمريكي ، والذي قام كخطوة أولى ومن موقع المادية التاريخية، بإعادة النظر بمراحل التاريخ الأمريكي، مع التركيز بشكل رئيسي على المحتوى الطبقي للأحداث والعمليات، ودور الجماهير الشعبية فيها، والحركات المناهضة لسيطرة الرأسمال. لقد خاض علم تدوين التاريخ الماركسي نضالاً نشيطاً ضد النظريات الكاذبة التي كانت منتشرة في الأدب التاريخي البرجوازي. وتمَّ تسليط الضوء في دراسات ومقالات المؤرخين الأمريكان الماركسيين بصورة علمية على تاريخ الصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام العشرينيات والثلاثينيات، إذ استعرض المؤرخون التقدميون التقاليد الكفاحية للبروليتاريا الأمريكية، والنضال الباسل في سبيل تحسين الظروف الاقتصادية والحقوق الاجتماعية. ومن بين الكتب التي تتحدث عن تاريخ الحركة العمالية اشتهرت أعمال تش. روتنبرغ، وا. بيمبا، ور. مانيور، واي. بلور، واي. فلين وغيرهم[1]. وفي نهاية العشرينيات بدأت الجمعية التقدمية لدراسة قضايا العمل بنشر الأعمال

---

(١) Ruthenberg Ch. E. Speeches and Writings. N. Y., 1928; Bimba A. The History of the American Working Class. N. Y., 1927 (рус. пер.: Бимба А. История американского рабочего класса. М., 1930); Minor R. The Struggle Against War and the Peace Policy of the Soviet Union. N. Y., 1936; Flynn E. G. Debs, Haywood and Ruthenberg. N. Y., 1939; Bloor E. R. We Are Many: An Autobiography. N. Y., 1940.

المتعلقة بتاريخ الطبقة العاملة في بعض فروع الإنتاج في الولايات المتحدة الأمريكية، فخرجت إلى النور أعمال ج. هاتشينز، ور. دان، وا. روتشيستر وغيرهم(١)، بالإضافة إلى كتاب س. يلين حول الحركات الضخمة للبروليتاريا الأمريكية(٢) الذي يعدّ من أهم إصدارات المؤلفين التقدميين في سنوات الثلاثينات. وقد بيّن المؤرخ والاقتصادي د. آللي في دراسته الجدية حول إعادة بناء الجنوب، احتدام الصراع الطبقي في الولايات الجنوبية، وكشف عن محتوى المسألة الزراعية في الجنوب، وطرح فكرة مرحلتي الثورة البرجوازية - الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية(٣). كما تابع آللي في كتابه المنشور قبل عام المسار التاريخي لعبودية الزنوج، والمراحل الأساسية لنضالهم من أجل التحرر(٤). ولقد أسهمت سلسلة مقالات غ. ابتيكير المنشورة في أعوام الحرب مساهمة مهمة في دراسة المسألة الزنجية(٥)، إذ تم فيها تقديم لوحة واسعة عن نضال الزنوج في سبيل الحرية، ومشاركتهم في الحرب من أجل الاستقلال والحرب الأهلية، والحديث عن انتفاضات العبيد، وانتقاد الآراء المحافظة لعدد من الباحثين.

---

(١) Hutchins G. Labor and Silk. N. Y., 1929; Dunn R. W. Labor and Automobiles. N. Y., 1929; Rochester A. Labor and Coal. N. Y., 1931 (рус. пер.: Рочестер А. Труд и угольв Америке. М.; Л., 1932); Hardy J. Labor and Textile. N. Y., 1931; Idem. The Clothing Workers. N. Y., 1935.

(٢) Yellen S. American Labor Struggles. Harcourt, 1936 (рус. пер.: Йелн С. Из история рабочего движения в США. М., 1950)

(٣) Allen D. The Battle for Democracy, 1865—1876. N. Y., 1937.

(٤) Allen D. The Negro, Question in the United States. N. Y., 1936.

(٥) Aptheker H. The Negro in the Civil War. N. Y., 1938; Idem. Negro Slave Revolts in the United States, 1526—1860. N. Y., 1939; Idem. The Negro in the Abolitionist, Movement. N. Y., 1941; Idem. American Negro Slave Revolts. N. Y., 1943; Idem. Essays in the History of the American Negro. N. Y., 1945.

وأظهر ف. فونير في دراسته لسياسة بعض مجموعات بورجوازيي الشمال تجاه مسألة العبودية على أعتاب الحرب الأهلية، كيف حدَّدت الروابط الاقتصادية للبرجوازية النيويوركية مع كبار المالكين الزراعيين موقفها التسووي تجاه الجنوب إلى حدٍّ كبير(١).

لقد أعار المؤرخون الماركسيون اهتماماً كبيراً لتقاليد الشعب الأمريكي الثورية، وفي هذا السياق أصدر ج. هاردي، وغ. موريس عملين عن الثورة الأمريكية الأولى، ونضال المستوطنين من أجل الاستقلال، وحركات العناصر الديمقراطية ضد الأرستقراطيين(٢). وكانت دراسة ا. روتشيستر مكرسة لحركة المطالبين بالأرض في الولايات المتحدة الأمريكية نهاية القرن التاسع عشر، وارتباطها بحركات العمال(٣). أما أعمال وليام ز. فوستر - الشخصية البارزة في الحركة العمالية العالمية والأمريكية - المتعلقة بتاريخ الحركة العمالية والنقابية، وكذلك الزنجية فقد حازت أهمية بالغة. إذ احتوت على تحليل عميق لتطور الإمبريالية الأمريكية، والوضع الاقتصادي للبروليتاريا والنضال الإضرابي في الولايات المتحدة الأمريكية في المرحلة الأولى من الأزمة العامة للرأسمالية. لقد فضح المؤلف بصورة منهجية النظريات البرجوازية المتعلقة بـ «الاستثنائية» تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وأسطورة «ازدهار» الرأسمالية الأمريكية، وكشف النقاب عن

---

(١) Foner Ph. Business and Slavery. The New York Merchants and the Irrepressible Conflict. N. Y., 1941.

(٢) Hardy J. The First American Revolution. N. Y., 1937; Morals H. The Struggle for American Freedom. The First Two Hundred Years. N. Y.. 1944; Idem. Artisan Democracy and American Revolution.— Science and Society, 1942.

(٣) Rochester A. The Populist Movement in the United States. N. Y., 1943.

الجذور الاجتماعية للهومبرسية، ويتابع النضال بين نزعتين في الحركة العمالية الأمريكية - النزعة الثورية الديمقراطية، والنزعة الانتهازية اليمينية(١).

٢- علم تدوين التاريخ للقضايا الأساسية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

بدأ علم التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية يتشكل في السنوات التي حدثت فيها تغيرات هامة في العالم من إذ: تشكّل وتوطد نظام الاشتراكية العالمي، نهوض الحركات العمالية والتحررية الوطنية، انهيار النظام الاستعماري، التعمق المطّرد للأزمة الرأسمالية العامة، ضعف مواقع الرأسمالية العالمية بصورة جدية، وانحسار مجالات سيطرتها. في ظل هذا المناخ أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها لعب دور الزعيم للدول البرجوازية الغربية، وسارت على طريق تصعيد سياسة التسلح من «مواقع القوة» وإنشاء الأحلاف العسكرية، ومضاعفة التوتر الدولي، لتأتي مرحلة «الحرب الباردة» القائمة في العلاقات الدولية، التي تميزت بالغلواء في العداء للسوفييت والعداء للشيوعية.

في هذه الأعوام بالذات حصل علم تدوين التاريخ المحافظ على اهتمام وانتشار واسعين. وكانت سمات الفكر التاريخي البرجوازي الأمريكي تتميز بزيادة النزعات المحافظة. إذ أخذت الأوساط الحاكمة بالتركيز على علم التاريخ بهدف تنفيذ المهام الاجتماعية لرأسمالية الدولة الاحتكارية، ولتبرير السياسة

---

(١) Foster W. Z. The Great Steel Strike and Its Lessons. N. Y., 1920; Idem. Misleaders of Labor. Chicago, 1927 (рус. пер.: Фостер У. З. Профжулики в С.А.С.Ш. (Американская профбюрократия за работой). М., 1928); Idem. From Bryan To Stalin. N. Y., 1937; Idem. Pages From Worker's Life. N. Y., 1939 (рус. пер.: Фостер У. З.Страницы из жизни рабочего. М., 1983).

الداخلية والخارجية المتبعة من الطبقة المسيطرة. وقد وجد ذلك الاهتمام تعبيراً له إلى حد ما في تأويل المسائل العلمية لتطور البلاد في فترة ما بين الحربين.

لنلقِ الضوء على أكثر الاتجاهات أهمية لدراسات علماء الولايات المتحدة الأمريكية.

أظهرت «مدرسة ويسكونسن» برئاسة الأستاذ ج. كومونس[1] نشاطاً خاصاً في دراسة الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بين الحربين. وقد انطلق ممثلوها في أبحاثهم من نظرية «الاستثنائية» الأمريكية، التي كانت تصور الأمر في فترة ما بين الحربين، وكأن الظروف الموضوعية للصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية غير متوفرة.

لقد نفت هذه المدرسة الجانب اللاسلمي في التناقضات بين العمل والرأسمال، وأغفلت مسألة الوعي الطبقي البروليتاري، وتجاهلت الحركة الاشتراكية. وقد انصب اهتمام هذه المدرسة على القيادة العليا للنقابات المتبرجزة، أما الكتلة الأساسية لأعضاء النقابات العاديين فقد ظلوا خارج حقل الاهتمام.

---

(١) ارجع بالتفصيل حول مدرسة وينكونسين التاريخية: اسبولدوفا س.م. الاتجاه الأساسي لعلم تدوين التاريخ الأمريكي البردجوازي حول الطبقة العاملة - مسائل التاريخ، ١٩٦٦، رقم ٥، ومالكوف ف.ل. جون كمومونس ومدرسة وينكوسين - في كتاب: التاريخ والمؤرخين: علم تدوين التاريخ العام. موسكو، ١٩٦٦. وتاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الراهن: في جزأين، موسكو، ١٩٧٠-١٩٧١، الجزء الأول الفصل الـ ١٣. وسافيلييف اي.م. الحركة النقابية الأمريكية وانعكاسها في النظريات الإصلاحية-البرجوازية في القرن الـ ١٩ وبداية القرن العشرين (١٨٩٠-١٩٢٠) -في كتاب: تشكل البروليتاريا: قضايا علم تدوين التاريخ وعلم التصنيف. موسكو، عام ١٩٨٠.

برز نشاط كومونس وتلامذته من خلال نشر عمل جماعي من أربعة أجزاء حول تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، مكتوبة بالاستناد إلى مجموعة واسعة من المصادر، وتم فيه عرض الأحداث حتى عام ١٩٣٢. شارك في تأليف هذا العمل إلى جانب كومونس، ز. بيريلمان، وج. أندريوس، ود. ليسكوير، واي. سامينز، وف. تافت وغيرهم[١]. وقد وجدت الموضوعات الأساسية والآراء الموجودة في عمل كومونس وأنصاره انتشاراً لها في الحركة العمالية الأمريكية. إن أعمال ز. بيريلمان تطور كذلك نظرية «النيونيونية العملية»، «الصافية»[٢]. لقد كانت «نظرية وحدة تنظيم المجتمع»[٣] هي حجر الأساس في نظرية كومونس، التي يتم النظر فيها إلى تاريخ المجتمع كعملية تطور للمؤسسات الاجتماعية والحقوقية (الحكومات، الأحزاب السياسية، النقابات، جمعيات البزنس...إلخ). كان المنطلق المؤسساتي يتعارض مع الأفكار الماركسية حول الطبقات والصراع الطبقي ويقود إلى الاستعاضة عن التحليل الموضوعي لقوانين تطور المجتمع بوصف العلاقات المتبادلة بين بعض التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية.

لقد تم تصوير الصراع بين العمل والرأسمال كأمر طبيعي بالنسبة للمزاحمة في الحياة الاقتصادية الأمريكية. كان كومونس يؤكد، أن مصالح هذه القوى المتناقضة بعضها مع بعضٍ يمكن جعلها منسجمة بمساعدة نظام مرن لقوانين العمل، ويتم التنسيق فيه بين الاحتكارات والنقابات والحكومة، للحصول على

---

(١) Commons J. R. et la Labor in the United: vol. 1-2. N.Y., 1918: vol. 3,4 N.Y., 1935.

(٢) Perlman S. A Theory of Labor Movement. N. Y., 1928.

(٣) اتجاه بورجوازي لإدارة الدولة ينظر إلى التنظيم السياسي للمجتمع كوحدة للمواطنين - المترجم.

حقوق متساوية، والاعتراف بـ «الأهمية الاجتماعية» لكل من هذه المؤسسات. ويمكن أن يتم بفضل ذلك تحقيق «مساواة مؤسساتية»، كان يدعو لها كومونس كوسيلة لإنقاذ النظام الاقتصادي للرأسمالية، واقترح لحل التناقضات بين العمل والرأسمال تطبيق ما أطلق عليه اسم: اتفاقيات جماعية - كان هذا الأمر حسب زعمه الأسلوب الأكثر فعالية لتسوية العلاقات بين النقابات وأرباب العمل.

إن نظرية كومونس عن الحركة العمالية تملك بصورة واضحة اتجاهاً معادياً للماركسية، الأمر الذي وجد انعكاساً له، على وجه الخصوص، في نفي الطابع الطبقي للاتحادات النقابية، والدفاع عن الرأسمالية الأمريكية، والدعوة للتخلي عن النضال السياسي. ويعتبر بطريرك مدرسة ويسكونسن ف. تافت في عمله المكرس لتاريخ الاتحاد الأمريكي للعمل[١]، المؤسس الفعلي لمذهب مدرسة ويسكونسن، هذا العمل الذي كان يمثل من إذ المحتوى الأفكار «التريد - يونيونية» «الصافية» و«العملية» التي دعا لها س. هوبيرس، بالإضافة إلى العمل الجامع، الذي يدعو إلى تسليط الضوء على كل المسار التاريخي، الذي قطعته الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية[٢]. كان تافت يشخصن الحركة العمالية الأمريكية في شخص هوبيرس، وكان يثور ضد أي تطاول موجه لإعادة النظر في الاستنتاجات الأساسية لمدرسة ويسكونسن حول الأهمية الاستثنائية للإيديولوجية «اليونيونية العملية» بالنسبة للحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١)Total Ph. The American of Labor in the time of Gompers. N.Y., 1957.
Idem. The American Federation of Labor from the Death of Gompers to the Merger, N.Y., 1959.

(٢)Taft Ph. Organized Labor in the American History, N.Y., 1964

لم يتقبل جميع المؤرخين الأمريكان دون قيد أوشرط وجهة نظر الويسكونسنيين، التي لم تكن تتطابق قطّ مع فكرة احتدام الصراع الطبقي وتطور الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام الثلاثينيات، تلك الأعوام التي تميزت بنمو الوعي الطبقي والراديكالية السياسية عند البروليتاريا. بيد أن انتقاد نظرية الويسكونسنيين لم يلامس في أغلب الأحوال لب محتواها، وإنما كان يقتصر على الطابع الخاص لـ «الاستثنائية» في العلاقات الاجتماعية- الطبقية الأمريكية. لقد جعل النقاد الليبراليين من قادة النقابات ج. لويس، وس. هيلمان، واو. ريتر أبطالاً لهم، يتعاطفون اجتماعياً مع التريد- يونيونية النشيطة، التي تشارك في «إعادة بناء المجتمع»، وبالطبع، دون تغيير أسسه.

وقف ممثلو «التاريخ العمالي الجديد» أي. برينشتين، وس. فاين، وج. بروك، ور. موريس، ود. برودي ضد المذهب المؤسساتي للويسكونسنيين، وأعلنوا بأنهم أنصار الموقف التاريخي، وركزوا اهتمامهم على قضايا حركة «القواعد» والتيارات التقدمية في الحركة النقابية، وعلى شخصية العامل، وتطلعاته الروحية وعواطفه السياسية. بيد أن اهتماماتهم انحصرت ببعض مجموعات وفئات العمال، لا في الطبقة العاملة ككل. وهكذا، فإنهم لم يتخلوا عن المبادئ المنهجية للمذهب المؤسساتي الويسكونسني، ولا عن تأويل المسائل المفتاحية الموجودة في أساس هذه المبادئ في تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين الحربين.

لقد ساهمت أعمال الراديكاليين مساهمة محددة في دراسة ذلك الموضوع، ويتميز من بينها عمل ج. بريشير «الإضراب»، الذي يبحث الكاتب فيه أهمية ومكان التحركات الجماهيرية في نهوض الحركة العمالية في الولايات المتحدة

الأمريكية بداية أعوام العشرينيات وفي ثلاثينيات القرن العشرين. إن بريشير الذي انتقد بشدة آراء الويسكونسنيين، رفض في الوقت نفسه حجج «اليساريين الجدد» حول «تكامل» البروليتاريا في النظام الرأسمالي. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه توجد في مواقف بريشير كذلك ثغرات جدية مثل: الإعجاب بالحركة العمالية العفوية، وعدم فهم الدور التنظيمي لأحزاب الطبقة العاملة السياسية الجماهيرية.

تميزت مواقف بعض المؤرخين الراديكاليين بالسلبية تجاه تفسير عدد من مسائل الحركة العمالية. إذ لم يتمكنوا من إعطاء تقييم موضوعي لنضال الكادحين في هذه الفترة، وكذلك لحقيقة إنشاء كونغرس النقابات الإنتاجية. إن ما تميزت به أعمال هؤلاء المؤلفين هو الإعجاب بالعفوية في تحركات الكادحين، والمبالغة في عناصرها الذاتية. ومع ذلك، فإنه لا يمكن تجاهل تلك المساهمة التي قدمها المؤرخون الراديكاليون في دراسة العوامل الذاتية للحركة العمالية: نشاط القواعد العمالية.

اندلعت النقاشات في أعوام السبعينيات والثمانينيات بين المؤرخين الراديكاليين حول موقف النقابات في أعوام الحرب العالمية الثانية: يطلق أي. جينينغس، ون. ليخينشتاين، وم. غليبرمان الأحكام على أهمية التحركات الإضرابية من خلال تجريدهم لطبيعة الحرب العالمية الثانية، ويتجاهلون مواقف أغلبية العمال الأمريكان - أعضاء النقابات، الذين كانوا يمتنعون عن المشاركة في الحركات الجماهيرية بحكم وعيهم لضرورة دعم الجهود الحربية في البلاد. لقد أظهر ج. فريمان، أن ما يسمى بـ «تساوي تضحيات العمال وأرباب العمل في الحرب» والذي كانت النقابات تدعو إليه بقوة، كان يحمل طابعاً وحيد الجانب، لأن الرأسماليين وهم الذين يحصلون على أرباح عالية سعوا

لوضع كل صعوبات الحرب على العمال، الذين كان يجب عليهم أن يرفعوا إنتاجية العمل ويحققوا روح «التعاون الطبقي» من خلال العلاقات التي تبنيها النقابات مع إدارات الشركات.

وسَّع المؤرخون الماركسيون في الأعوام التي تلت الحرب دراساتهم حول فترة ما بين الحربين. ولعل أبرز هذه الدراسات الأعمال الكبيرة لـ او. ز. فوستر، التي تناولت إستراتيجية وتكتيك الحركة العمالية والنقابية والشيوعية الأمريكية، والأعمال الشاملة حول تاريخ الرأسمالية الأمريكية والطبقة العاملة.

كما احتوت كتب ومقالات قادة الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية يو. دينيس، واي. غ. فلين، وغ. هول، على تحليل عميق لوقائع الصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة، وشكل الإصدار الوثائقي لتاريخ الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، حدثاً مهماً في تكون علم تدوين التاريخ التقدمي، الذي تمّ فيه استعراض التفاصيل الإرشادية للحزب من خلال تلخيص وتحليل المراحل الأساسية لنشاطه. وضمت دراسات غ. غرين ور. بوبير، وغ. موريس، وج. موريس، وم. كوين، وج. ميتلز، وج. هيغينز، واو. مورتيمير، ا. شيلدز، وف. فونير، وغيرهم من المؤلفين، مادة وثائقية حقيقية غنية عن حالة الطبقة العاملة ونضالها من أجل تحسين وضعها الاقتصادي، ومن أجل حقوقها السياسية.

على صعيد الوضع الزراعي عملت مجموعة من المؤرخين البرجوازيين الأمريكان على دراسة حالة المزارعين وحركاتهم. إلا أن التاريخ الزراعي في الولايات المتحدة الأمريكية لم يُدرس بشكل كافٍ عموماً. إذ لم يتم تسليط الأضواء على تلك المواضيع المهمة، مثل تاريخ المنظمات الزراعية، ومشاركة

المزارعين في النضال السياسي ولا سيما في تاريخ الحركات الجماهيرية للمزارعين المعادية للاحتكارات في القرن العشرين من قبل المؤرخين الأمريكان إلا قليلاً.

بدأت المبادرة الأولى في دراسة التاريخ المعاصر لحركة المزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية أواسط الثلاثينيات، ولا سيما من قبل المؤرخ ج. شيفر، الذي أصدر عام ١٩٣٦ عملاً، اعتبر فيه أن حركة المزارعين هي عبارة عن مرحلة تحضيرية فريدة لبداية التنظيم النشيط للزراعة في أعوام «النهج الجديد» لـ ف.د. روزفلت. وبعد الحرب العالمية الثانية قام كلٌّ من ت. سالوتوس وج. هيكس بتسليط الأضواء بالتفصيل على حركة المزارعين في الوسط الغربي منذ بداية القرن العشرين وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية. إذ بيَّنا، أن الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية في العشرينيات دخلت في أزمة طويلة الأجل، وأن التدابير المتخذة من قبل الحكومة كان لها نتائج سلبية إلى حد بعيد بالنسبة لفئات واسعة من المزارعين الصغار. وفي كتاب آخر لـ ت. سالتوس تمَّ تحليل تاريخ حركة المزارعين في الجنوب منذ نهاية الحرب الأهلية حتى عام ١٩٣٣، إذ عالج في عمله الخاص هذا وضع المزارعين في أعوام «النهج الجديد». أما غ. فانت فإنه تابع بصورة تفصيلية تشكل البرنامج الزراعي تحت اسم «المساواة الزراعية»، وسير النضال لأجل تحقيقها في النصف الثاني من أعوام العشرينيات. واستطاع ج. شايدلير في بحثه أن يرسم لوحة لحركة المزارعين في أعوام ١٩١٩-١٩٢٣.

في أواسط الستينيات صدرت عدة أعمال سُلطت الأضواء فيها على نشاط منظمات المزارعين، وبعض مراحل تشكل وممارسة السياسة الزراعية، وبعض

الأحداث المهمة في تاريخ حركة المزارعين وغيرها. استخدم فيها المؤلفون وبطريقة التداول العلمي مادة وثائقية ضخمة، تساعد في تبيان الأسس الاقتصادية لحركة المزارعين في القرن العشرين، وتطور السياسة الزراعية للحكومة، ومراحل تطور حركة المزارعين.

وفي هذا السياق، تمتلك الأعمال، الصادرة في أعوام الستينيات أهمية خاصة، عندما حدثت تطورات مشهورة في دراسة قضايا التاريخ المعاصر للمزارعين تحت تأثير المؤرخين الراديكاليين، في ظروف الهزات الاجتماعية العاصفة. وهكذا، تمَّ في دراسة ج. شوفير تسليط الضوء لأول مرة، وبصورة تفصيلية، وموضوعية عموماً على إضرابات المزارعين الجماهيرية عام ١٩٣٢-١٩٣٣. و بيَّن المؤلف العلاقة بين الحركتين العمالية والزراعية، وتأثير الأخيرة على السياسة الزراعية لـ «النهج الجديد».

ومع ذلك، يوجد في معظم الأعمال المتعلقة بالتاريخ المعاصر لحركة المزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية نقاط ضعف واضحة تتجلي في: عدم الاستخدام النقدي للإحصاء الزراعي الرسمي، وغياب التحليل للتمايز الطبقي بين المزارعين، وإهمال قضايا استغلال المزارعين من قبل الاحتكارات.

لم يرَ المؤرخون البرجوازيون الأمريكان، أثناء بحثهم للمسائل الزراعية المحتوى الطبقي، أما النضال السياسي حول التشريع الزراعي فقد جرى تصويره على أنه صدام بين مصالح الغرب الزراعي والشرق الصناعي. متجاهلين بصورة تامة مسألة صراع الطبقات. إن استنتاجات المؤلفين لا تذهب أبعد من الآراء الليبرالية حول تدخل الدولة بصورة أكثر أو أقل في تطور الزراعة الأمريكية.

تركت الأزمة الاقتصادية أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣ أثراً عميقاً في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الوطني. وفي غضون ذلك، فإن الأبحاث أعوام الثلاثينيات والأربعينيات على هذا الموضوع كانت قليلة، وكانت تحمل بصورة أساسية طابع المجادلة الاجتماعية. وفي الخمسينيات وبداية الستينيات لم يُظهر المؤرخون اهتماماً كبيراً بفترة إدارة هوفر. كانوا يفضلون التحدث عن غياب النزاعات الطبقية، وعن التقدم المستمر كما زعموا للمجتمع الأمريكي. ولكن مع مجيء النصف الثاني من أعوام الستينيات تغير الوضع بشكل ملحوظ. إذ بدأ العديد من الباحثين بدراسة الأزمة الاقتصادية، وعواقبها. وبدأت التقييمات لشخصية هوفر وسياسته بالتغيّر: إذ تمَّ تصويره وكأنه من أنصار مذهب تدخل الدولة. وذهب بعض المؤلفين إلى حد القول أن سياسة هوفر هي امتداد لسياسة روزفلت.

وصل الدفاع عن هوفر أوجه في أعوام السبعينيات. وفيما بعد تمَّ نشر دراسات خاصة مع عرض مفصل لنشاطه السياسي والاجتماعي، والحياة الشخصية بعد انتهاء رئاسته. وكردٍّ على هذه النزعة المحافظة ظهرت أعمال عديدة كان الهدف منها الوقوف في وجه المحاولات الرامية لإعادة الاعتبار لهوفر وتعظيمه، ونقد سياسته الداخلية. لقد أظهر أي. روزين الرئيس هوفر كسياسي محدود، وعديم الأهلية، لم يحرص على حل المشاكل، التي ولّدتها الأزمة الاقتصادية، من تخفيف حالة الفقر عند الكادحين بشكل عام، وللملايين العاطلين عن العمل بشكل خاص، وأكد روزين، أن روزفلت كان سياسياً واقعياً، وقف بصورة حازمة على طريق حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية، التي أثارتها الأزمة.

وفي أعمال مؤلفين آخرين تمَّ إظهار كيف عاش الكثير من الأمريكان في أعوام إدارة هوفر في حالة فقر عميق ودون أي دعم.

وهكذا، فإن دراسة الأدب التاريخي حول نشاط إدارة هوفر في أعوام الأزمة تسمح بالإشارة إلى نزعتين: ينشغل المؤرخون ذوو الآراء المحافظة في الدفاع عن هوفر، ويقوم الليبراليون بانتقاده. وبهذا الشكل يتحدد طابع النقاش بصورة أساسية بالوضع السياسي في البلاد، وأحياناً بالصراع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري.

أما بالنسبة لحقبة الرئيس ف. روزفلت، و«النهج الجديد»، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في أعوام الثلاثينيات فقد كتبت أدبيات كثيرة، وتمَّ إصدار أعمال منذ مدة غير طويلة، عن حياة ونشاط ف. روزفلت، ولا تزال المناقشات مستمرة حت الآن حول سياسته، وبصورة خاصة «النهج الجديد». كانت العوامل الاقتصادية والسياسية تمارس تأثيرها على تقديم العديد من المؤلفين، بما في ذلك نضال الحزبين البرجوازيين الرئيسيين. كان الاهتمام الكبير يعار لقضايا منشأ «النهج الجديد». ومن بين الأعمال المهمة التي صدرت، يحتل عمل ا.م. شليزينغير - الأصغر المؤلف من ثلاثة أجزاء مكاناً مرموقاً، إذ يحتوي العمل على نقد لسياسة كل من إدارتي كوليدج وغوفر، وأشار المؤلف إلى أنه وبنتيجة محدوديتها، وضعف رؤيتها، حدثت الأزمة في «النظام القديم». وقد خلص شليزينغير في سياق متابعته للنشاط الإصلاحي لروزفلت وإدارته، إلى أن سياسة «النهج الجديد» كانت تعني القطيعة مع تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في العشرينيات، ولقد حاول ف. فريديل أن يجيب على السؤال المطروح حول ما إذا كان روزفلت كإنسان، وسياسي، مستعد لبرنامج «النهج الجديد»، في سيرة حياة الرئيس المنشورة في النصف الأول من الخمسينيات بثلاثة

أجزاء. كان المؤلف ينقاد أمام روزفلت، ويعطى لأعماله وأفكاره وعقيدته صورة مثالية، في سياق تصويره وكأنه فوق الطبقات كما زعم. ووجدت هذه الأفكار نفسها انعكاساً لها في الجزء الرابع كذلك عام (١٩٧٣).

أما أبحاث ب. بالاتش ود. فوسفيلد فقد كانت مكرسة لمتابعة نشاط روزفلت على أعتاب «النهج الجديد». في حين تناول ليختينبيرغ في عمله بصورة مباشرة تاريخ العمل الإصلاحي للرئيس. لكن كان هناك مؤرخون، وقفوا موقفاً سلبياً تجاه روزفلت.

فحسب رأيهم كان نهوض الحركة الديمقراطية العامة في الثلاثينيات نتيجة الإصلاحات الاجتماعية لإدارة روزفلت. اتخذ هذا الموقف على سبيل المثال أي. روبينسون، الذي اعتبر إصلاحات «النهج الجديد»، كمحاولة لـ «تحميض طبعة ضد أخرى»، ونظرة روزفلت كظاهرة «لآراء غير أمريكية»، وسمى الأهداف السياسية لروزفلت بـ «الاشتراكية»، الأمر الذي يتناقض مع قواعد وتقاليد نمط الحياة الأمريكية والديمقراطية. ويتفق ج. جيرن في هذا الرأي مع روبنسون.

وبمناسبة مجيء الديمقراطيين إلى السلطة في الستينيات نما الاهتمام بـ «النهج الجديد» أيضاً. فخلال فترة قصيرة تم نشر أكثر من ١٠٠ كتاب ومقالة. كان أغلب العلماء يكتبون بابتهاج عن إصلاحات روزفلت. أخذ بعض المؤلفين يؤكدون ارتباط تدابير «النهج الجديد» بالتطور الاقتصادي - الاجتماعي للبلاد في العشرينيات والثلاثينيات، وكان آخرون يبرهنون أن عام ١٩٣٣ شكل مرحلة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. وفي سياق المجادلة تم التعبير عن فكرة أن إصلاحات تيودور روزفلت ووودرو ويلسون، وفرانكلين روزفلت تمثل خطاً متتابعاً في تطور «النزعة التقدمية».

طرح مؤرخو الاتجاه المحافظ الجديد (د. بيورنير، ور. ميري وغيرهما) كذلك موضوعة حول تعاقبية الحياة الحزبية - السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام العشرينيات والثلاثينيات. وكان النضال في الكونغرس حول إصلاحات الرئيس روزفلت ومقاومة الجزء المحافظ من الرأسمال الكبير لـ «النهج الجديد» يشكل مادة خاصة للأبحاث. ولقد تم تبيان النواحي الاجتماعية لـ «النهج الجديد»، وتأثيره على وضع مختلف فئات المجتمع الأمريكي، وعلى المجموعات العرقية - الإثنية، ولا سيَّما السود والهنود، في عدد من الأبحاث.

وبالرغم من عدم وجود موقف واحد تجاه تفسير أسباب «النهج الجديد» والمحتوى الاجتماعي له بالنسبة لأكثرية المؤرخين البرجوازيين، كانت هناك ميزات مشتركة: فالجميع ابتعدوا بدرجة أكبر أو أصغر عن تحليل العوامل الاجتماعية - الاقتصادية لإصلاح روزفلت، وعمدوا إلى تصوير «النهج الجديد» كسياسة فوق الطبقات، وفضَّلوا التحدث بصورة أقل عن الأزمة الاقتصادية العميقة، وعن أمزجة الجماهير الشعبية، ودفعوا إلى الواجهة الخلافات بين الحزبين، وناقشوا بصورة واسعة إعادة تجميع القوى في إطار الحزبين، والتغيرات في تركيب الناخبين... إلخ.

إن تقييم «النهج الجديد» يقتضي بالضرورة الأخذ بالاعتبار، أن روزفلت كان ممثلاً لأوساط البرجوازية الليبرالية، وكانت سياسته موجهة للحفاظ على النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة الأمريكية وتوطيد دعائمه بصورة عامة، عن طريق إجراء إصلاحات واسعة في حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية. وبهذا الشكل يكون روزفلت قد خدم «النهج الجديد»، والتدابير التي اتخذت لزيادة دور الدولة، واستخدام عتلاتها كان الهدف منها التغلب على ظواهر الأزمة وعواقبها.

أعطى المؤرخون الأمريكان اهتماماً كبيراً لتسليط الضوء على دور الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية أيضاً. وفي هذا السياق تم تأليف الكثير من الأدبيات المكرسة لمسائل السياسة الخارجية، والدبلوماسية والتاريخ العسكري. وعلى الرغم من اختلاف الآراء، ووجود تيارات، واتجاهات ومدارس، فإن الإيديولوجية العامة توحدها. وهنا، يمكن تمييز ثلاثة اتجاهات في الأدبيات المتعلقة بمواضيع السياسة الخارجية: الرسمي، والتحريفي والراديكالي.

بدأ قسم كبير من المؤرخين (البعض منهم كان في خدمة الدولة آنذاك) بعد الحرب بكتابة أعمالٍ، سعوا فيها إلى إثبات حجج السياسة الخارجية لإدارة روزفلت وتبريرها، مستندين في ذلك إلى حق استثنائي بالدخول إلى الملفات والوثائق الحكومية السرية، وإلى الأراشيف الخاصة العديدة كذلك، وقد نشر هؤلاء المؤلفين عدد غير قليل من الدراسات[1]، مارست تأثيراً جدياً على تشكل النظرية الرسمية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية. كان هدفهم إعطاء صورة مسالمة للدبلوماسية الأمريكية في أعوام ما قبل الحرب، وإظهار هذه الدبلوماسية، وكأنها العامل الحاسم الذي كان السبب في ردع التوسع الياباني في الشرق الأقصى وعدوان الدول الناشئة في أوروبا. وللتأكيد على

---

(١) Longer W. Gleason S. The Challenge to Isolation, 1937-1940, N.Y., 1952, Idem. The Undeclared War, 1940-1941, N.Y., 1953, Feis H. Churchill, Stalin. Roosevelt. The War they Waged and the peace they throght Princeton, 1957;

وشيرفودر، روزفلت، وهوبكينز: بعين شاهد عيان، موسكو، ١٩٥٨، الجزء ١-٢ و

Ranch B. Roosevelt, from Munich to Pearl Harbor, N.Y., 1967; Jones R. The Roads to Russia. United States. Lend-Lease to the Soviet Union. Norman, 1969; Burns J. Roosevelt: The Soldier of Freedom, N.Y., 1970.

حججهم، استند هؤلاء المؤرخون إلى عدم جاهزية القوى المسلحة لهذه البلدان، والمزاج الانعزالي والمسالم للأمريكيين، بيد أنهم وكقاعدة، التزموا الصمت تجاه السياسة التي كانت تتبعها الولايات المتحدة بالاشتراك مع إنكلترا وفرنسا في تشجيع العدوان الفاشستي، الموجه ضد الاتحاد السوفييتي. محاولين بذلك سحب المسؤولية عن الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه سياسة «الحياد» التي كانت تساعد بصورة موضوعية على اندلاع الحرب سواء في أوروبا أم الشرق الأقصى.

يختصر الكثير من المؤلفين تاريخ العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بالتدابير الدبلوماسية، متجاهلين مسألة دور العوامل الاقتصادية، وتأثير الاحتكارات على السياسة الخارجية لواشنطن. إن الفكرة، حول أن الهدف الرئيسي لسياسة الولايات المتحدة الخارجية كان السعي الدائم للبحث عن السلام كما زعموا، والتي طورها او. لانغير وس. غليسون، أصبحت سائدة فيما بعد في الكتب التدريسية والكثير من المطبوعات العلمية. وهنا تجدر الإشارة على وجه الخصوص، إلى أن المؤلفين الذين ينتمون إلى هذا الاتجاه قاموا في سباق تبريرهم للنهج السياسي الخارجي لإدارة روزفلت، بتحريف سياسة الاتحاد السوفييتي.

لقد قام الاتجاه التحريفي، الذي ظهر في نهاية الأربعينيات - وبداية الخمسينيات، بانتقاد آراء مؤرخي الاتجاه الرسمي، إذ تمَّ في هذه الأعمال عرض النظريات المعادية لنظرية روزفلت حول تاريخ السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. و «برهن» هؤلاء المؤلفون أن روزفلت نفسه كان يحرض اليابان على الهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية. لقد انعكست مثل تلك

الآراء بدقة أكبر في مجموعة المقالات التي اندرجت تحت اسم «الحرب الأبدية من أجل السلم الأبدي». يتهم ممثلو هذا الاتجاه، المستاؤون من نتائج الحرب العالمية الثانية وآثارها الاجتماعية - السياسية، ونمو قوى الاشتراكية والديمقراطية، وزيادة تأثير الاتحاد السوفييتي في العالم، يتهمون روزفلت بأنه انجرف إلى الحرب إلى جانب الاتحاد السوفييتي ضد ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، مما أدى إلى هزيمة تلك البلدان، وإلى إضعاف مواقع الرأسمالية العالمية، وإلى نجاح حركة التحرر الوطني في بلدان آسيا، وإفريقيا.

أما الاتجاه الليبرالي فقد تمثل بأعمال ف. ويليامز، ود. فليمينغ، وغ. كولكو وغيرهم. الذين انتقدوا كُلاً من نظريتي التيارين، الرسمي والتحريفي. إن تقييمهم لسياسة وإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية كان ينطلق من مواقع البرجوازية الليبرالية اليسارية، والتي لم تكن ثابتة إلى حد بعيد. بيد أنهم كانوا يلاحظون بحق، أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب كان مشروطاً بتلك الأسباب، مثل السعي إلى توسيع الأسواق، وامتلاك مصادر الخامات، ومجالات استثمار الرأسمال، وزيادة نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة العالمية، وتحقيق مواقع جديدة على المسرح العالمي، وليس بدوافع سامية. لقد أشار هؤلاء المؤلفون إلى خطورة توسع ألمانيا الفاشية واليابان العسكرية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وكانوا يعترفون بأن «الحرب الباردة» ظهرت بسبب الولايات المتحدة الأمريكية.

تحتل الأعمال المكرسة لتسليط الضوء على المذهب الانعزالي الأمريكي أعوام الثلاثينيات مكاناً مهماً في الأدبيات الواسعة حول بعض قضايا السياسة الخارجية لما قبل الحرب. لقد طرح او. لانغير، وس. غيلسون في أعمالهما المنوه

عنها نظرية تقول بأن سياسة إدارة روزفلت على حد زعمهما كانت مقيدة إلى درجة محددة بالأمزجة الانعزالية للجماهير الشعبية، الأمر الذي كان يعرقل مشاركة أمريكا في الأعمال الجماعية للدول، التي كانت مهددة من قبل حلف «المحور». وهكذا، فإن المسؤولية حول إفشال الأعمال الجماعية الموجهة ضد المعتدين كانت تقع على عاتق أمزجة الجماهير الشعبية المعادية للحرب من حيث الجوهر. إن مثل تلك الآراء وجدت انتشاراً لها في أعمال مؤرخين آخرين أيضاً. وفي أعوام الستينيات، وبمناسبة الأزمة الحادة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، ونهوض الحركة المعادية للحرب التي لا سابقة لها في الأوساط السياسية والعلمية، اندلعت النقاشات حول آفاق العولمة الأمريكية. وكان من الطبيعي أن تتم ملامسة المسألة المتعلقة بطابع المذهب الانعزالي في أعوام ما قبل الحرب. وهكذا، فإن او. كول أشار إلى أن تياراً برجوازياً صغيراً كان يعدّ امتداداً للتيار الانعزالي في أعوام الثلاثينيات، وقف ضد المطامع التوسعية والعسكرية لبعض ممثلي الأوساط الحاكمة، وفي بداية الثمانينيات تمَّ نشر بحث كبير، يهدف لتحليل النضال بين روزفلت والمذهب الانعزالي. وحسب رأي م. جوناس، فإن انعزالية أكثرية الأمريكان كانت ظاهرة آنية ومرتبطة إلى درجة ملموسة بالصعوبات الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينيات. وبمقدار تفاقم الأوضاع في أوروبا، فإن تأثير هذه الظاهرة كان يتضاءل.

يعتبر مؤلفون آخرون، أنه كان بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بأعمال أكثر حزماً تجاه الاستفزازات العالمية من قبل ألمانيا الهتلرية. لقد حمل الجدال القائم بين الانعزاليين وأنصار روزفلت من وجهة نظر المؤرخين الراديكاليين بجوهره طابع الخلافات التكتيكية حول تحقيق الولايات المتحدة

لوضعية سيادية في العالم، وظروف أكثر ملاءمة بالنسبة لتوسعها الاقتصادي والإيديولوجي. ف غ. كولكو على سبيل المثال، أشار إلى أن الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن مرتبطاً بأوساط العمل، وقد أدان بشدة النازية والفاشية، وكذلك سياسة التعاون الإمبريالي مع ألمانيا. أما ر. سميث فقد نظر إلى الحركة المعادية للحرب في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك الجناح الانعزالي، كظاهرة إيجابية، وكعامل يردع، حسب رأيه، المطامع الإمبريالية لبعض ممثلي الإدارة.

وعلى الرغم من وجود محدودية لدى المؤرخين الليبراليين في تفسير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الأوروبية في الثلاثينيات، وابتعادهم عن تحليل محتوى الامبريالية، التي كانت السبب المباشر في نشوب الحرب، فإن انتقاداتهم لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية التوسعية وجهت ضربة ملموسة للنظريات الرسمية. وهنا لا بد لنا من وضع الأعمال المكرسة لدراسة النشاط السياسي للرئيس روزفلت على الصعيد الخارجي في مجموعة مستقلة. فقد تميزت هذه الأبحاث بالتقييم السلبي للتشريعات التي ارتبطت بمسألة الحياد، وتبرير سياسة إدارة روزفلت في أوروبا. إذ بيَّنَ المؤلفون في عدد من الحالات، ومن خلال ملامستهم لتأثير آلية اتخاذ القرارات، أن تلك الإدارة نهجت نهجاً مخالفاً، سواء لأمزجة أوسع الجماهير الشعبية، أم لمصالح السلام والأمن في أوروبا. ولقد اعترف ر. ديفاين على وجه الخصوص، بمسؤولية إدارة روزفلت عن تواطؤ ميونيخ كانت متخفية تماماً. أما ت. فيرينبك فقد اعتبر أنه كان بإمكان الرئيس أن ينظم دعماً أكثر فعالية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا، لكنه فضل الذهاب إلى التسوية مع أعضاء الكونغرس الانعزاليين.

بُرِّرت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية ما بين الحربين. وإذا كانت هناك انتقادات لها فإن هذه الانتقادات تناولت بعض أشكالها وطرائقها فقط. لم يوجه المؤرخون قطّ أية ملاحظات تجاه بعض الدبلوماسيين، أو يقوموا بإدانة بعض أفعال وزارة الخارجية، أو انتقاد «عدم تبصر» الأوساط الرسمية في واشنطن.

لقد لقيت فكرة وحدة بلدان القارة الأمريكية، ووحدة المصالح الاقتصادية للنصف الغربي من الكرة الأرضية، والغرب الجغرافي، وضرورة توحيد الدول الأمريكية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، الكثير من المديح في أغلب الكتب المكرسة للعلاقة ما بين الدول الأمريكية.

وقد تمَّ تكريس الكثير من الأدبيات المهمة لتناول سياسة روزفلت «الجار الطيب» تجاه الدول الأمريكية اللاتينية، والتي يجري الحديث فيها حول فكرة تقول: إنَّ العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية، كانت تتطور في أعوام ١٩٣٣-١٩٤٥ كما يتم الزعم على أساس التعاون المشترك وحسن الجوار. بيد أن أكثرية المؤلفين كانوا يصمتون عن السياسة التوسعية للإمبريالية الأمريكية في هذا الإقليم. إن تغلغل الرأسمال وتوطد المواقع السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية كانا يستمران تحت شعار «الدفاع عن نصف الكرة الأرضية الغربي»، وتحت غطاء «حسن الجوار». لقد أطلق ج. تشايلد في غضون ذلك على العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية اسم الاتحاد غير المتساوي، وكشف عن نظام ومبادئ العلاقات المتبادلة داخل البلدان الأمريكية، أما مسألة العلاقات الأمريكية- الأرجنتينية في أعوام الحرب العالمية الثانية، فقد بُحثت على حِدَةٍ.

كان هناك الكثير من الأبحاث التي تمس سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأدنى في أعوام ما قبل الحرب. فمن جهة، بيّن المؤلفون أن الولايات المتحدة الأمريكية تنازلت لليابان عن مواقعها في الصين، وسارت نحو التسوية، ساعية في ذلك إلى هدف واحد- توجيه العدوان الياباني ضد الاتحاد السوفييتي. لقد راهنت الولايات المتحدة الأمريكية بصورة واعية على الصدام المسلح بين اليابان والاتحاد السوفييتي. ومن جهة ثانية –تمَّ التأكيد في عدد من الكتب، على أن الولايات المتحدة الأمريكية، وبمناسبة عقد اتفاقيات مع الصين، كانت تسترشد في سياستها تجاه هذا البلد بمشاعر التعلق العميق بها، والاهتمام بوحدة أرضها، وصد العدوان الياباني عنها، وتسعى لدعم اقتصادها. اتبعت الولايات المتحدة الأمريكية مبادئ عدم التحيز الصارمة كما تزعم، متجنبة بكل السبل مهما كانت تفاقم العلاقات مع اليابان. كان ف. ويليامز يركز الاهتمام في أعماله المنوه عنها، هو وأنصاره (ل. غاردنير، وغ. كولكو) على دور العامل الاقتصادي في توتر العلاقات اليابانية الأمريكية. وقد تمَّ تكريس عدد كبير من الكتب والمقالات لمسألة من المذنب في الكارثة التي حدثت في بيرل هاربر. وتمَّ إدخال مادة وثائقية ضخمة في التداول العلمي، بيد أنه لم يتم تحليلها بصورة موضوعية.

مارست مختلف المجموعات والقوى السياسية في البلاد، وكذلك تطور العلاقات الدولية والنهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية تأثيرها في هذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ بصورة متساوية. وحسب رأي بعض المؤرخين فإن وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ك. هيل، كان يتمسك بسياسة حذرة تجاه اليابان، دون أن يشارك الرأي غ. سيمسون، وف. نوكس، وغ. مورغينتاو حول ضرورة اتخاذ إجراءات صارمة ضد

الاعتداءات اليابانية. كان روزفلت يفضل ألا يتسرّع، في محاولةٍ منه لتجنب التفاقم في العلاقات الأمريكية اليابانية. وكان عدد من العلماء يضعون المسؤولية لما جرى في بيرل هاربر على عاتق رؤساء القوات المسلحة في المحيط الهادي، وعلى عاتق المارشالات: ستارك، وسيمسون، ونوكس الذين لم يوافقوا على التدابير الجديدة المتعلقة بـ بيرل هاربر. إن وجهة النظر هذه قد تمَّ التعبير عنها في الأعمال المذكورة لـ تش.بيرد، وتش. تينزيلل، وفي مذكرات قائد أسطول المحيط الهادي الأدميرال هـ. كيميل، وقائد أسطول المدمرات الأول التابع لأسطول الولايات المتحدة الأمريكية في الميحط الهادي ر. تيابولد، يمكن ملاحظة سعي صاحبي المذكرات تلك لرفع المسؤولية عنهما فيما يتعلق بالخسارة في بيرل هاربر ووضعها على كاهل الرئيس روزفلت(١).

لقد تم إصدار بحث كبير لـ غ. برينغ (بعد وفاته) منذ فترة غير بعيدة في الولايات المتحدة الأمريكية حول تاريخ هجوم الأسطول الياباني على بيرل هاربر، إذ عمل عليه على مدى سنوات طويلة.

خدم المؤلف في طوكيو في هيئة أركان الجنرال ماك آرثور منذ عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥١، وكان رئيساً للقسم التاريخي. أجرى عدة أحاديث صحفية مع الضباط اليابانيين، الذين شاركوا في الهجوم على بيرل هاربر. ومن خلال متابعته خطوة بخطوة للتحضير للحرب في المحيط الهادي، قام المؤلف باستنتاج أن اليابان بدت وكأنها كانت مضطرة لبدء الحرب بنتيجة استخدام العقوبات الاقتصادية تجاهها من جانب إدارة روزفلت. إذ اتخذ الرئيس حسب رأي برينغ موقفاً قاسياً جداً تجاه اليابان. إن المذنبين فيما يتعلق بخسارة الأسطول الأمريكي في بيرل

---

(١) Thesbold R. The Final Secret of Pearl Harbor. The Washington Contribution to the Japanese Attack, N.Y., 1954; Admiral Kimmel’s Story. Chicago, 1953.

هاربر، كما يؤكد المؤلف، هما بالدرجة الأولى الأدميرال هـ. كيميل، والجنرال أو. شورت[1]. وفي الواقع تاريخ العلاقات الاقتصادية والسياسية، والدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ما بين أعوام الحربين تشهد بمسؤولية كلتا الدولتين في حدوث الحرب في المحيط الهادي، وتؤكد ذلك - الكثير من الوثائق والحقائق. لقد تطوّرت الأزمة السياسية والصدام المسلح بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان خلال سنوات طويلة. وكانت واشنطن تتبع خلال تلك الفترة سياسة «تهدئة» مع العدوان الياباني، بأمل توجيهه ضد الاتحاد السوفييتي. لكن الحسابات لم تصدق. إذ وجه الأسطول الياباني ضربته الأولى إلى القاعدة العسكرية البحرية الأمريكية بيرل هاربر. ولا تكمن المسألة هنا لا بحسابات ولا بأخطاء بعض الشخصيات الحكومية والعسكرية، على الرغم من أن ذلك له مكان ما دون شك، وإنما في النظام الاجتماعي - الإمبريالي، وفي سعي الرأسمالية بحكم فعل قانون التطور الاقتصادي والسياسي غير المتساوي تجاه تقسيم العالم، واحتلال وامتلاك أراض جديدة. كانت الإمبريالية اليابانية أكثر عدوانية، وأول من سار على طريق احتلال واستعباد الدول والشعوب في شرق وجنوب شرق آسيا وفي المحيط الهادي بالطريق المسلح.

إن المنشورات، المكرسة لمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، تحمل طابعاً ميدانياً - إستراتيجياً بصورة أساسية، وتحت قيادة وزارة الحربية تم إعداد عمل أساسي باسم «جيش الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية» (نحو ٨٠ جزءاً)، إذ تم فيه بحث مسائل الإستراتيجية العسكرية، ونشاط القيادة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، والعمليات في المحيط الهادي،

---

(١) Prange G. The Untold Story of Pearl Harbor, N.Y., 1983.

وفي إفريقيا الشمالية وأوروبا الغربية. لقد أصدرت الإدارات التاريخية الحربية للأسطول الحربي البحري ١٥ جزءاً من «تاريخ العمليات الحربية البحرية للولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية».

وصدرت بالإضافة لذلك أعمال اجتماعية حول نشاط الغواصات، وحاملات الطائرات والمدمرات والطيران البحري. وأصدر قسم التاريخ العسكري لفيلق المشاة البحرية دراسة مؤلفة من خمسة أجزاء باسم «تاريخ عمليات فيلق المشاة البحرية للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية» حول العمليات في المحيط الهادي. كما تم تحليل أعمال القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية في عمل مؤلف من سبعة أجزاء باسم «القوات الحربية الجوية للجيش في الحرب العالمية الثانية»، قامت بإعداده إدارة التاريخ الحربي في القوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية.

لقد تم عرض النظريات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية وإستراتيجيتها في الحرب العالمية الثانية. وحسب رأي قيادة الولايات المتحدة الأمريكية يجب على هذه الإصدارات أن تقوم بالترويج للقوات المسلحة الأمريكية، وتمجيدها، والتشديد العالمي على فكرة أن الولايات المتحدة تحملت العبء الأكبر في الانتصار على العدو على مسارح الأعمال العسكرية المعادية في المحيط الهادي، وفي شمال إفريقيا وفي أوروبا. إن هذه الموضوعة تُرصد بوضوح في هذه الكتب، التي تسلط الضوء على مشاركة الاتحاد السوفييتي في الحرب، والمعدة من قبل إدارات التاريخ العسكري، وفيها يجري التقليل بصورة متعمدة من دور الاتحاد السوفييتي في هزيمة ألمانيا الهتلرية، ويتم تسليط الأضواء بصورة متحيزة على الكفاح المسلح في الجبهة السوفييتية - الألمانية، وبالدرجة الأولى على المعارك العظيمة حول موسكو،

وستالينغراد، وكورسك، ولينينغراد، ومعارك برلين[1]. يسعى المؤرخون العسكريون لإخفاء الأهداف السياسية لبلدانهم أو الرفع من شأنها، ويحاولون وضع اللوم على الاتحاد السوفييتي فيما يتعلق بتدهور العلاقات السوفييتية - الأمريكية. وهنا يجب التوقف بصفة خاصة عند تدوين تاريخ فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية. ويعار هذا الحدث الكثير من الاهتمام في مذكرات الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة. وبالرغم من كل الخلافات في آراء مؤلفي هذه الأدبيات، توجد عدة سمات مشتركة. وهكذا يتم التأكيد، وكأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تلح على التدخل السريع من قبل القوات الأمريكية والإنكليزية في أوروبا الغربية، لكن إنكلترا كانت تقف ضد ذلك بصورة دائمة.

إن فكرة الخلافات بين الحلفاء قد تم التعبير عنها في كتاب ر. اينغيرسول[2] في عام ١٩٤٦، ووجدت فيما بعد انتشاراً واسعاً في الإصدارات الرسمية، المكرسة للحرب العالمية الثانية. يفسّر تأجيل فتح الجبهة الثانية كذلك بنقص القوى والوسائط، وكانت مذكرات وزير الحربية ستمسون، وقائد القوات الحليفة الجنرال و. آيزنهاور، وقائد القوات الحربية - الجوية في الولايات المتحدة الأمريكية الجنرال غ. آرنولد، والأدميرال أو. ليغي، والجنرال م. كلارك تؤكد بإلحاح هذه الموضوعة[3].

---

(١) Ziemke E. The German Northern Theatre of Operation, 1940-1945. Wash., 1959; Idem. Stalingrad to Berlin. The German Defeat in the East. Wash., 1968; Idem. The Battle for Berlin, End of the third Reich, N.Y., 1972.

(٢) إينغيرسول ر. بصورة سرية تماماً، موسكو، عام ١٩٤٧.

(٣) Stimson H., Bundy M. on Active Service in Peace and War, N.Y., 1945; Eisenhower D. D. Grusad in Europe, N.Y., 1948. (والترجمة الروسية: ايزنهاور د. الحرب الصليبية في أوروبا: مذكرات عسكرية، موسكو، ١٩٨٠). =

حاولت بعض المذكرات في ظروف «الحرب الباردة» التي نشأت خلق انطباع عند القارئ، وكأن الاتحاد السوفييتي فقط هو الوحيد الذي كانت له مصلحة في فتح الجبهة الثانية السريع، وأما التعاون القتالي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا والاتحاد السوفييتي في سنوات الحرب فقد أطلق عليه هؤلاء المؤلِّفون اسم التحالف «الغريب»[1].

تمَّ تطوير هذه الفكرة بصورة كافية تماماً في كتاب المراقب العسكري هـ. بولدوين «أخطاء الحرب الكبيرة»، إذ أُكِّد فيه أن قادة الولايات المتحدة الأمريكية لم يكونوا ناضجين كفاية وذوي تجربة، ولم يظهروا الاهتمام ببناء العالم بعد الحرب إلا قليلاً. وبالاستناد إلى كلماته لم يكن من المفيد فتح الجبهة الثانية في أوروبا الغربية، وكان يجب توجيه القوات الإنكليزية والأمريكية، كما كان ينصح بذلك تشرشل إلى البلقان، وإلى وادي الدانوب، وإلى بلدان أوروبا الجنوبية والجنوبية الشرقية. لقد لام الإستراتيجيون الأمريكان على بطء الأعمال القتالية، بأنهم لم يستطيعوا أن يمتلكوا المراكز المفتاحية في أوروبا - برلين وبراغ وفيينا.

Arnold G. The Global Mission, N.Y., 1949; Leahy W. I. was there, N.Y., 1950; Clark=
M. Galculated Risk, N.Y., 1950;. انظر بالتفصيل: ماروشكين ب.اي. وياكوفليف ن.ن. مسائل العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في فترة الحرب العالمية الثانية في علم التدوين التاريخ الأمريكي - التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٥٧، رقم ٣؛ مايسكر ل.م. قضية الجبهة الثانية في علم تدوين التاريخ الإنكليزي الأمريكي - مسائل التاريخ ١٩٥٨، رقم ١؛ وكونين ا.، وماروشكين بز اي. خرافة سلمية الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٦٠؛ وكوليش ف.م. تاريخ الجبهة الثانية، موسكو، ١٩١٨.

(١) Deance J. R. Strange Allianc'e, N.Y., 1974

عبَّر الكثير من المؤرخين العسكريين ولا سيما م. ميتللوف، واي. سنيلل، وس. موريسون عن عدم اتفاقهم مع آراء بولدوين، وكانوا يشيرون على سبيل المثال، إلى أن القرارات الإستراتيجية المهمة كانت تتخذ بإلحاح من الجانب الأمريكي. كانت إستراتيجيات الحلفاء الغربيين حسب رأي رئيس قسم التاريخ العسكري في جيش الولايات المتحدة الأمريكية الجنرال كينت ر. غرينفيلد، عبارة عن حل وسط ينتصر فيه أسلوب الرؤية الأمريكية للحرب في نهاية المطاف، وقد تم التعبير عن هذه النظرية بصورة كاملة في مجموعة المقالات باسم «القرارات الأكثر أهمية»، وتم عرضها فيما بعد في تقرير المؤرخ ريتشارد م. ليتون أيضاً أمام جمعية المؤرخين المتحدة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي المدرسة الحربية في واشنطن أواخر عام ١٩٦١. وفي أعوام ٧٠-٨٠ تم إصدار عدة أعمال في الولايات المتحدة الأمريكية، انطلق المؤلفون منها في تأويل تاريخ فتح الجبهة الثانية من منطلق آخر. لقد نظروا إليه من وجهة نظر أولوية «المصالح الوطنية» الخاصة للولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا، فإن م. ستولير أشار إلى أن مسألة الجبهة الثانية كانت تفهم في واشنطن كقضية سياسية مهمة، وكانت هناك دوافع سياسية تكمن في أساس تأجيل موعد تدخل القوات الأمريكية- الإنكليزية في أوروبا الغربية، وإن اختيار اللحظة الإستراتيجية المواتية لفتح الجبهة الثانية من قبل قادة الولايات المتحدة الأمريكية كان يتحدد بالسعي لتحقيق نفوذ أمريكي في أوروبا بأكبر قدر. وقد اعتبر ر. دالليك، أن طرح مسألة فتح الجبهة الثانية بصورة مبكرة هو أمر غير مشروع، لأن ذلك كان سيكلف الأمريكان الكثير من الضحايا، أما الرئيس روزفلت فكان يسعى لتحقيق النصر على ألمانيا واليابان «بسرعة وبكلفة أقل»، من خلال استخدامه لدى ذلك قوات الاتحاد السوفييتي المسلحة.

وهكذا، فإن حل قضية الجبهة الثانية، مرتبط بصورة وثيقة بالهدف السياسي والإستراتيجي الرئيسي: كسب الحرب «بالشروط الأمريكية». يسعى أنصار ذلك المنطلق تجاه هذه القضية ومن وراء هذا الموقف إلى إعفاء الولايات المتحدة الأمريكية من المسؤولية تجاه عدم تنفيذ الالتزامات التحالفية، وتجاه أعمالها المعادية للتحالف.

بالطبع، لا يمكن التغاضي عن الخلافات الجدية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا حول المسائل الإستراتيجية، بما في ذلك أسباب تأجيل مواعيد فتح الجبهة الثانية. لكن المؤرخين الأمريكان يصمتون عن أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسترشد بسياساتها بالسعي للحفاظ على نفوذها في العالم لمصلحة الرأسمال الاحتكاري، وتدعيمه وتوسيعه، وأن ذلك الموقف تجاه الجبهة الثانية كان يتحدد تبعاً لأهداف واشنطن ولندن الإستراتيجية. لقد كان يساعد بصورة موضوعية على تأخير الانتهاء من الحرب، وكان موجهاً ضد الاتحاد السوفييتي وشعوب بلدان أوروبا المحتلة من قبل الفاشيين المغتصبين.

جذبت مسائل العلاقات الإنكليزية - الأمريكية على أعتاب وأثناء الحرب العالمية الثانية اهتمام الباحثين أيضاً. وقد تمحورت اهتماماتهم على تبرير سياسة «المسالمة»، وتسليط الضوء على تاريخ تشكل التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى، وطابع التعاون العسكري والاقتصادي.

كانت هناك قوى كثيرة تؤثر في تشكل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وبالدرجة الأولى مصالح الرأسمال الاحتكاري. إلا أن المؤرخين الأمريكان يفضلون عدم التطرق لهذا الأمر. ف ج. كاستر مثلاً الذي قام بتحليل العوامل الخفية الداخلية لاتخاذ القرارات السياسية الخارجية في واشنطن على امتداد عشرات السنين، لا يتحدث إلا قليلاً عن ذلك. أما ر. دالليك فقد كانت

تفسيراته تقتصر بصورة أساسية على تأثير العوامل السياسية، والاجتماعية، والثقافية على السياسة الخارجية الأمريكية.

لقد أشار ل. غاردنير إلى أن تطور النظريات السياسية الخارجية كان يتم بمقدار نمو الجبروت الاقتصادي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر «مصالحها الوطنية». يجب بهذه المناسبة الإشارة إلى أن عدداً كبيراً من الكتب قد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية، يتم فيها تبرير ما يسمى «إستراتيجية القواعد» التي تمت ممارستها في أعوام الحرب العالمية الثانية. لقد شملت منظومة القواعد الأمريكية مناطق كبيرة جداً من الكرة الأرضية. كان التعليل الجيوسياسي يهدف إلى تبرير توسعية الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت قضية المستعمرات تحتل على الرغم من ذلك مكاناً مهماً في تاريخ العلاقات الأمريكية - الإنكليزية فترة الحرب على وجه الخصوص. ووجد ذلك انعكاساً له في علم تدوين التاريخ في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك في الأدبيات الإنكليزية أيضاً.

وهكذا، فإن علم تدوين التاريخ الأمريكي، الذي يمس تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ما بين الحربين وفي أعوام الحرب قد شخصته التيارات والاتجاهات التي تنطلق في دراسة هذا الموضوع أو ذاك من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ومن مواقع مختلفة، وتُخضع تأملات وتقييمات الكثير من الأحداث لإعادة النظر فيها: كان ذلك كله مشروطاً سواء بالعوامل الاجتماعية السياسية، أو بتطور الفكر التاريخي نفسه. ومع ذلك توجد في علم تدوين التاريخ البرجوازي في الولايات المتحدة الأمريكية سمات عامة محددة متعلقة بالمنهجية: الذاتية في تحليل بعض الظواهر الاجتماعية والعمليات التاريخية بصورة عامة. أي رفض الحقائق التاريخية الموضوعية.

٣- الدراسة الأمريكية السوفييتية

ساهم الباحثون السوفييت مساهمة كبيرة في صياغة مسائل تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة. إن الكثير من الدراسات والمقالات المنشورة حول هذا الموضوع تحتوي على مادة وثائقية وفعلية واسعة، ويمكن استخلاص الكثير من النتائج والتعميمات المهمة منها. إن تعداد جميع مؤلفي هذه الإصدارات هو عملية غير ممكنة، لذلك سنسمي البعض منهم فقط. لقد تم تكريس الكثير من الأعوام في دراسة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة من قبل ا. ف. بريوزكين، ور. ش. غانيلين، ول. غفيشيانب، وف.ب. زولوتوخين، ول. اي. زوبوك، ون.ن. اينوزيمتسيف، وف. س. كوفال، واي. م. كراسنوف، ويو.ل. كوزنتيس، وا. ي. كونين، وف.م. كوليش، وف.اي. لان، وب.ل. مالكوف، وب.اي. ماروشكين، ويو.م. ميلينيكوف، وب.يا. ميخاييلوف، ود.غ. نادجافوف، واي.ل. نيتوبورغ، ول.ف. بوزدييف، وي.اي. بوبوف، واو. ا. رجيشيفسكي، وغ.ن. سيفوستيانوف، ون.ف. سيفاتشيف، ول.يو. سليزكين، وف.ك. فورايف، وغ.ن. تسفيتكوف، وا.ن. شليباكوف، وف.ا. شيشكين، وي.ف. يازكوف، ون.ن. ياكوفليف والكثير غيرهم.

هناك كثير من الأعمال مكرسة لدراسة تطور البلاد الاجتماعية - الاقتصادية والاجتماعية السياسية، والصراع الطبقي، وتاريخ الحركة العمالية والزراعية، وكذلك السياسة الخارجية، والدبلوماسية، والتاريخ العسكري[1].

---

(١) راجع بالتفصيل: سيفاستيانوف غ.ن. حول حالة ومهام دراسة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٧٢، رقم ٤؛ كذلك حول دراسة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - في كتاب علم التاريخ السوفييتي، في أعوام ١٩٧٥-١٩٧٩، موسكو، ١٩٨٠؛ وله كذلك بعض نتائج العمل البحثي للمؤرخين السوفييت - الأمريكان (١٩٧٦-١٩٨٠) – التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٨١، رقم ١.

كانت الأحداث التي جاءت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة في مركز اهتمام الباحثين. وقد حلل المؤلفون نهوض الحركة العمالية، والصراع السياسي الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثير ثورة أكتوبر عليه، وحركة القوى التقدمية ضد التدخل المسلح المعادي للسوفييت في (١٩١٩-١٩٢٠)، وظهور وتشكل الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، ونشاطه، الموجه للدفاع عن مصالح الطبقة العاملة، وضد ملاحقات الحزب[١]. وعلى أساس المادة الوثائقية والإستراتيجية الفتية، تمت دراسة ظروف حياة العمال في أعوام الأزمة (١٩٢٩-١٩٣٣)، وطابع تحركاتهم، وحركة العاطلين عن العمل[٢].

درس العلماء السوفييت المختصون بالشؤون الأمريكية الكثير من المواضيع المتعلقة بتاريخ «النهج الجديد». لم يكن المؤلفون يسعون إلى إظهار الأهداف والمهام فقط، بل إلى كشف المقدمات الاجتماعية، وتسليط الضوء على تاريخها، وتحديد المراحل الأساسية، وتبيان صراع القوى الطبقية والسياسية حول إصلاحات روزفلت، وتأثيرها على الحركة الديمقراطية العامة. ولقد تمت البرهنة

---

(١) زوبوك ل. اي. نهوض الحركة العمالية الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩١٩-١٩٢٠ - التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٥٧، رقم ٤ زولوتوخين ف.ب. ومالكوف ف. ل. ثورة أكتوبر والصراع السياسي الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية أعوام (١٩١٧-١٩٢٠) مسائل التاريخ ١٩٥٧، رقم ١٠؛ وفانسيان س. ا. نهوض الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في أعوام ١٩١٩-١٩٢١، موسكو، ١٩٦١؛ وكراسنوف ب.م. الصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية والحركة ضد التدخل المعادي للسوفييت (١٩١٩-١٩٢٠)، موسكو، ١٩٦١؛ وبتروف ب.س. ظهور الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية ونضاله من أجل الشرعية، موسكو، ١٩٧١.

(٢) مالكوف ف.ل. الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الأزمة الاقتصادية العالمية أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣، موسكو، ١٩٦١.

على أن «النهج الجديد» قد أملته الحالة المتوترة التي تشكلت نتيجة الأزمة، وكان نوعاً من الإصلاح البرجوازي في ظروف تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت هذه السنوات تتميز بنهوض الحركة العمالية والديمقراطية العامة. لذلك كان من المهم بحث الأشكال الأساسية والفريدة لحركات الاحتجاج الاجتماعي، ومنشئها، وتسليط الضوء على قضايا الحركة العمالية[1]. ومن الضروري التنويه بهذه المناسبة بالأعمال المكرسة لأزمة الفدرالية الأمريكية للعمل، ونشوء كونغرس النقابات الإنتاجية[2].

إن السياسة العمالية لإدارة روزفلت في أعوام الحرب العالمية الثانية، ونضال العمال في سبيل تحقيق تشريع عمالي، ومسائل التنظيم الحقوقي لعلاقات

---

(١) ياكوفليف، ن.ن. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، ١٩١٧-١٩٦٠، موسكو، ١٩٦١؛ وسيفاتشيف ن.ف. نضال الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل التشريع الاجتماعي (١٩٣٣-١٩٣٥) – التاريخ الحديث والمعاصر، ١٩٦٢، رقم ٢، ولنفس الكاتب. النضال السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف الثلاثينيات، موسكو، ١٩٦٦؛ وسيفاتشيف ن.ف.، ويازكوف ي.ف. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٨٠؛ وزوبوك ل.ب. وياكوفليف ن.ن. التاريخ المعاصر للولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٧٢، ومالكوف ف.ل. ونادجافوف د.غ. أمريكا في مفترق طرق، ١٩٢٩-١٩٣٨، موسكو، ١٩٦٧؛ ومالكوف ف.ل. «النهج الجديد» في الولايات المتحدة: الحركات الاجتماعية والسياسة الاجتماعية، موسكو، ١٩٧٣؛ وكوركوف ن.ب. نضال عمال المناجم الأمريكان، ١٩٢٩-١٩٣٩، موسكو، ١٩٧١؛ وكريردير ا.ا. البرجوازية الاحتكارية الأمريكية و«النهج الجديد» لـ ف.د. روزفلت (١٩٣٢-١٩٤٠)- في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧٩، موسكو، ١٩٧٩؛ وشكوفدين م.ز. نحو تاريخ السياسة الاجتماعية للدولة الاحتكارية في الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٨٠.

(٢) ميخاييلوف ب. يا. كونغرس النقابات الإنتاجية، ١٩٣٥-١٩٥٥: (من تاريخ الحركة العمالية الأمريكية) موسكو، ١٩٥٩.

العمل، إن كل ذلك قد تم تسليط الضوء عليه في الكتب المكتوبة على أساس دائرة واسعة من المصادر، بما في ذلك المواد الأرشيفية في الولايات المتحدة الأمريكية. إنها تقوم على الرصد واستخلاص الاستنتاجات المهمة[1]. ولقد تم بحث تاريخ المزارعين أيضاً، ففي الأعمال المنشورة جرى تقديم مجموعة من الأبحاث حول القضايا الزراعية، وتبيان النزعات الأساسية في تطور الزراعة، وأسباب الظاهرات المأزومة، وجوهر التشريع الزراعي، ووضع الزارعين وتمايزه، وأشكال وطرق النضال ضد سيطرة الرأسمال الكبير. كذلك تتم في عدد من الأعمال متابعة تطور السياسة الزراعية لواشنطن الرسمية[2].

لقد تم تأليف أدبيات واسعة حول العلاقات السوفييتية - الأمريكية. إذ إن هذا الموضوع يثير اهتماماً دائماً لدى الباحثين السوفييت. ففي أعمالهم يتم إظهار نضال نزعتين في العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. كان الاتحاد السوفييتي يقف من جهته بصورة ثابتة إلى جانب علاقات متبادلة طبيعية بين الدولتين، وكان يسعى لتطوير الروابط الاقتصادية والثقافية والعلمية،

---

(١) سيفاتشيف ن.ف. التنظيم الحقوقي لعلاقات العمل في الولايات المتحدة، موسكو، ١٩٧٢؛ وللكاتب نفسه: السياسة العمالية لحكومة الولايات المتحدة في أعوام الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٧٤؛ وله أيضاً: الدولة والطبقة العاملة، موسكو، ١٩٨٢.

(٢) ياكوفليف ي. ف. حركة المقاطعة الزراعية في الولايات المتحدة ... في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧٢، موسكو، ١٩٧٢؛ ولنفس الكاتب، الحركة الإضرابية للبروليتاريا الزراعية في الولايات المتحدة في أعوام ١٩٢٩-١٩٣٥، موسكو، ١٩٦٢؛ وللكاتب نفسه، حركة المزارعين في الولايات المتحدة (١٩١٨-١٩٢٩)، موسكو، ١٩٧٤؛ وزولوتوخين ف.ب. . المزارعون وواشنطن، موسكو، ١٩٦٨؛ وكولودي ا.ف. «النهج الجديد» والمزارعون الصغار - في كتاب: الحولية الأمريكية، ١٩٧١، موسكو، ١٩٧١؛ وفي الكتاب نفسه النضال السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية حول مسائل السياسة الزراعية (النصف الثاني من الثلاثينيات) -في الكتاب كذلك، ١٩٧٤، موسكو، ١٩٧٤.

ومن جهة ثانية - كانت أوساط محددة في واشنطن تعرقل ذلك. ولقد تم بحث سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الجمهورية السوفييتية الفتية، ومشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل المسلح، وأعمال ومخططات حكومة ويلسون في عدد من الكتب(١).

مارست الولايات المتحدة الأمريكية خلال ١٦ عاماً سياسة عدم الاعتراف بالبلاد السوفييتية، وكانت ترفض إقامة علاقات دبلوماسية معها. وقد تناول العلماء السوفييت في دراساتهم مسألة من كان المذنب في ذلك(٢). إن إدارة روزفلت سارت، بعد أن وصلت إلى السلطة على طريق المفاوضات، الأمر الذي كان مشروطاً بالكثير من العوامل الاقتصادية والسياسية، وفي تشرين الثاني عام ١٩٣٣ تمَّ تحقيق اتفاق حول تطبيع العلاقات بين الدولتين.

---

(١) بيريزكين ا. الولايات المتحدة الأمريكية - المنظمة والمشاركة الفعالة في التدخل العسكري ضد روسيا السوفييتية أعوام (١٩١٨-١٩٢٠)، موسكو، ١٩٤٩؛ وللكاتب نفسه، ثورة أكتوبر والولايات المتحدة الأمريكية، ١٩١٧-١٩٢٢، موسكو، ١٩٦٧، وكونين ا.ي. فشل المخططات الأمريكية في احتلال السيطرة العالمية في أعوام ١٩١٧-١٩٢٠، موسكو، ١٩٥٢؛ وغوليغ ا. وغيرونيموس ا. فشل التدخل المعادي للسوفييتية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٥٢؛ وسيلزنيف غ.ك. ظل الدولار فوق روسيا، موسكو، ولنفس الكاتب، فشل المؤامرة، موسكو، ١٩٦٣؛ وبوياريسكي ف.ا. تدخل امبرياليي الولايات المتحدة الأمريكية في روسيا السوفييتية وفشله، موسكو، ١٩٦٩؛ وغفيشياني ل.ا. روسيا السوفييتية و الولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٧-١٩٢٠) موسكو، ١٩٧٩؛ وغانيلين ر.ش. العلاقات السوفيتية - الأمريكية في نهاية ١٩١٧ - وبداية ١٩١٨ ل. ١٩٧٥، وسفيتوتشيف م. اي. السبب الامبريالي للتدخل في سيبيريا والشرق الأقصى (١٩١٨-١٩٢٢)، نوفوسيبيرسك، ١٩٨٣.

(٢) فوريف ف.ك. العلاقات السوفييتية - الأمريكية، ١٩١٧-١٩٣٩، موسكو، ١٩٦٤؛ وتسفيتكوف غ.ن. ١٦ عاماً على عدم الاعتراف. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الدولة السوفييتية في أعوام ١٩١٧-١٩٣٣، كييف، ١٩٧١.

كان لهذا الأمر أهمية عالمية كبيرة. إذ كانت القوى الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية تقف بنشاط إلى جانب اعترافها بالاتحاد السوفييتي[1].

كان تطور العلاقات السوفييتية - الأمريكية يجري في أعوام الثلاثينيات في وضع معقد ومتوتر، وفي ظروف اتساع العدوان المسلح في أوروبا، وإفريقيا، والشرق الأقصى، واحتدام الصراع بين الدول الرأسمالية من أجل اقتسام العالم وتصاعد الأزمة السياسية[2]. تعطي أعداد كثيرة من الوثائق الموجودة في وزارة الخارجية السوفييتية التصور عن طابع العلاقات السوفييتية - الأمريكية بين الحربين العالميتين (وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي)، في الفترة التي تمتد من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٣٨. إذ تمت فيها صياغة تاريخ الدبلوماسية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بصورة جوهرية. وفي مسائل السياسة الأمريكية الخارجية بعد الحرب العالمية الأولى تم نشر أعمال تتحدث عن دور الولايات المتحدة في إنشاء منظومة فرساي - واشنطن، وعن النهج السياسي الخارجي للرئيس ويلسون، والعلاقة تجاه عصبة الأمم[3].

---

(١) ايفانوف ف. وليونيان ف. لمصالح الشعوب: (حول مسألة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي و الولايات المتحدة عام ١٩٣٣) موسكو، ١٩٥٧؛ وستاشيفسكي د.ن. القوى التقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية في النضال لأجل الاعتراف بالدولة السوفييتية، ١٩١٧ - ١٩٣٣، كييف، ١٩٦٩.

(٢) فالكوف ف.ل. الاتحاد السوفييتي و الولايات المتحدة الأمريكية (علاقاتهما السياسية والاقتصادية)، موسكو، ١٩٦٥؛ وتسفيتكوف غ.ب. سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفييتي على أعتاب الحرب العالمية الثانية، كييف، ١٩٧٣؛ والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية: العلاقات الاقتصادية: قضايا وإمكانيات / المحرر المسؤول ي.س. شيرشنيف، موسكو، ١٩٧٦.

(٣) شتين ب.ي. (المسألة الروسية) في مؤتمر باريس للسلام (١٩١٩-١٩٢٠)، موسكو، ١٩٤٩؛ للكاتب نفسه «المسألة الروسية» في عامي ١٩٢٠-١٩٢١، موسكو، ١٩٥٨؛=

كان العلماء السوفييت يسعون خلال كشفهم لأطماع الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة لإظهار المنابع الاجتماعية والفكرية للمذهب الانعزالي من جهة، وفي الوقت نفسه توصيف جناحه المعادي للإمبريالية وللعسكرية، وكذلك تأثير المذاهب الانعزالية على صياغة النهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية[1]. ولقد تم بحث سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المسألة الألمانية في أعوام ١٩١٨-١٩٢١، ولم يبق دون اهتمام نشاط الدبلوماسية الأمريكية تجاه مؤتمري غاغا وجينوا[2].

تثير مجموعة الوثائق المتعلقة بالعلاقات السوفييتية- الأمريكية أثناء الحرب الوطنية العظمى أعوام ١٩٤١-١٩٤٥ اهتماماً كبيراً[3]، وقد تمت دراسة سياسة «الحياد» التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية، بدقة، والتي ساعدت على توسيع دائرة الاعتداءات المسلحة من قبل ألمانيا، وإيطاليا، واليابان. وبالطبع تم تبيان موقف واشنطن الرسمي تجاه ضم النمسا لألمانيا الفاشية، واحتلال تشيكوسلوفاكيا، وبولونيا، واغتصاب إيطاليا للحبشة، وكذلك تم

=روبنشتاين ن.ل. السياسة الخارجية للدولة السوفييتية في أعوام ١٩٢١-١٩٢٥، موسكو، ١٩٥٣؛ وبوبوف ي.ن. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأقصى (١٩١٨-١٩٢٢)، موسكو، ١٩٦٧؛ وغيرشوف ز.م. مودرو ويلسون، موسكو، ١٩٨٣.

(١) بوبوف ي.ن. الولايات المتحدة الأمريكية: النضال حول مسائل السياسة الخارجية، ١٩١٩-١٩٢٢، موسكو، ١٩٦٦؛ ومانيكين ا.س. المذهب الانعزالي وتشكل النهج السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٣-١٩٢٩، موسكو، ١٩٨٠.

(٢) ابندوكايفا أي.س. من الحرب إلى السلم: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المسألة الألمانية عام ١٩١٨-١٩٢١. تومشك، ١٩٧٧؛ ولوباتين ف.ف. فشل مخططات الولايات المتحدة الأمريكية المعادية للسوفييت: جنوا- غاغا ١٩٢٢، موسكو، ١٩٣٦.

(٣) العلاقات السوفييتية - الأمريكية أثناء الحرب الوطنية العظمى أعوام ١٩٤١-١٩٤٥ في جزأين، موسكو، عام ١٩٨٤.

عكس موقف إدارة روزفلت تجاه نضال الشعب الإسباني ضد الفاشية، وتجاه العدوان الياباني في الصين[1]. سلط المؤلفون الضوء بصورة تفصيلية على انتفاضة الشعب ضد الحرب والفاشية[2].

إن ما قام به المؤرخون السوفييت في مجال دراسة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في بلدان أمريكا اللاتينية يعتبر مادةً مهمة: إذ تم تحليل أشكال وأساليب توسع الولايات المتحدة الأمريكية المتنوعة في هذا الإقليم وفي مختلف مراحل التاريخ. كان الاستياء الواسع للجماهير الشعبية في أمريكا اللاتينية هو أحد أسباب إعلان إدارة روزفلت لسياسة «الجار الطيب». وكانت دوافع وأهداف هذا النهج السياسي الخارجي مجال دراسة متواصلة في الأدبيات السوفييتية مثلها مثل جوهر الوحدة الأمريكية على السواء. وتعدّ العلاقات بين

---

(١) اوفينيكوف ر.س. خلف كواليس سياسة «عدم التدخل»: المسألة الإسبانية في سياسة إمبرياليي إنكلترا، وفرنسا، و الولايات المتحدة الأمريكية على أعتاب الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٥٩؛ وبوجارسكايا س.ب. دبلوماسية مدريد السرية، موسكو، ١٩٧١.

(٢) نادجافوف د.غ. شعب الولايات المتحدة الأمريكية - ضد الحرب والفاشية (١٩٣٣-١٩٣٩)، موسكو، ١٩٦٩،وزوبوك ل.اي. (١٩٣٧) السياسة الامبريالية للولايات المتحدة الأمريكية في بلدان الحوض الكاريبي، ١٩٠٠-١٩٣٩، موسكو، ١٩٤٨؛ سليوزكين ل. يو. سياسة الولايات المتحدة في جنوب إفريقيا (١٩٢٨-١٩٣٣) موسكو، ١٩٥٦؛ البيروفيتش م.، وورودنكو ف. الثورة المكسيكية ١٩١٠-١٩١٧ وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، موسكو، ١٩٥٨؛ وانتياسوف م.ف. الوحدة الأمريكية المعاصرة، موسكو، ١٩٦٠؛ وليتوبورغ اي. ل. سياسة الامبريالية الأمريكية في كوبا ١٩١٨-١٩٣٩، موسكو، ١٩٦٥؛ وشستوف ك. س. جيمتشوجينا انتيل واليانكي. المارآتا، ١٩٦٧؛ ويانتشوك اي. اي. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية (١٩٣٩-١٩٤٩)، موسكو، ١٩٧٥؛ نفس الكاتب، سياسة الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية (١٩١٨-١٩٢٨)، موسكو، ١٩٨٢؛ ولتسكوف ن. د. احتلال هاييتي من قبل الولايات المتحدة ، ١٩١٥-١٩٣٤، موسكو، ١٩٨١.

الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا مادة للدراسة قائمة بحد ذاتها. إذ تم وضع تحليل لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ألمانيا، وأهداف «مخطط داوس»، والروابط بين الاحتكارات الأمريكية والألمانية، وعلاقة الولايات المتحدة بمؤتمر ميونيخ الذي سرّع في قيام الحرب العالمية الثانية[1].

يكشف مؤلفو الأعمال المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأقصى محتوى نهجها تجاه الصين، وسعي الاحتكارات الأمريكية لتوسيع نفوذها الاقتصادي والسياسي في هذا البلد. ولقد تمت دراسة سياسة «المسالمة» التي مارستها الولايات المتحدة خلال فترة طويلة من الزمن تجاه العدوان الياباني[2].

سعى العلماء السوفييت لتحديد النسيج التاريخي لتطور الأحداث، التي أدت بالولايات المتحدة لدخولها في الحرب[3]. وقد تمّ عكس تاريخ مشاركة

---

(١) بوستنيكوف ف.ف. الولايات المتحدة الأمريكية وتدويل ألمانيا، ١٩٢٤-١٩٢٩، موسكو، ١٩٥٧؛ وميلنيكوف يو.م. الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الهتلرية، ١٩٣٣-١٩٣٩، موسكو، ١٩٥٩؛ وباتورين اي. الولايات المتحدة وميونيخ (من تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية ١٩٣٧-١٩٣٨)، موسكو، ١٩٦١.

(٢) كونتوروفيتش ا. يا. أمريكا في النضال من أجل الصين، موسكو، ١٩٥٥؛ سيفاستيانوف غ.ن. الدور النشيط للولايات المتحدة في نشوء بؤرة الحرب في الشرق الأقصى أعوام (١٩٣١-١٩٣٣)، موسكو، ١٩٥٥؛ نفس الكاتب، سياسة الدول العظمى في الشرق الأقصى على أعتاب الحرب العالمية الثانية. موسكو، ١٩٦١؛ بيريوزي ل.ا. سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الصين في مرحلة ثورة ١٩٢٤-١٩٢٧ ل.، ١٩٥٦؛ بيرنياك اي. يا. العدوان الياباني في الصين وموقف الولايات المتحدة (١٩٣٧-١٩٣٩) موسكو، ١٩٥٧.

(٣) رودوف ب. دور الولايات المتحدة واليابان في التحضير للحرب وإشعالها في المحيط الهادي، ١٩٣٨-١٩٤١، موسكو، ١٩٥١؛ كوزنيتس يو. ل. دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٦٢؛ سيفاستيان غ.ن. التحضير للحرب في المحيط الهادي (أيلول ١٩٣٩ - كانون الأول ١٩٤١) موسكو، ١٩٦١؛ ياكوفليف ن.ن. لغز بيرل هاربر،=

الولايات المتحدة في الحرب في العمل الرئيسي «تاريخ الحرب العالمية الثانية» المؤلف من ١٢ جزءاً. والذي يحتوي على مادة وثائقية حقيقية كبيرة، تتعلق بالإستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، ويسلط الضوء على مشاركة جيشها وأسطولها في مختلف مسارح الأعمال العسكرية، ويعير أهمية بالغة لتاريخ الائتلاف المعادي للهتلرية ومكان ودور الولايات المتحدة فيه، ومواقفها في المؤتمرات الدولية[١]. لقد كُرست مجموعة من الدراسات العلمية للتاريخ الدبلوماسي والعسكري للجبهة الثانية في أوروبا الغربية، وفيها يتم الكشف عن الأهداف السياسية الحقيقية لواشنطن ولندن، اللتين رفضتا عبور المانش أكثر من مرة[٢]. كانت هناك أعمال خاصة تكشف العلاقات بين الولايات المتحدة وإنكلترا، وفرنسا، في أعوام الحرب[٣]، والدبلوماسية الأمريكية في إيران[١]،

=موسكو، ١٩٦٣؛ بوزدييفا ل.ف. العلاقات الإنكليزي- الأمريكية في أعوام الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩-١٩٤١، موسكو، ١٩٦٤؛ كوفال ف.س. الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية: بعض قضايا السياسة الخارجية (١٩٣٩-١٩٤١) كييف، ١٩٧٦.

(١) تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥: في ١٢ جزءاً، موسكو، ١٩٧٣-١٩٨٢.

(٢) إيسرائيليان ف.ل. الائتلاف المعادي لهتلر، موسكو، ١٩٦٤؛ اونداسينوف ن.اي. روزفلت وتشرشل والجبهة الثانية، موسكو، ١٩٦٥؛ كوزنيتس يو.ل. من بيرل هاربر إلى بوتسدام، موسكو، ١٩٧٠؛ ياكوفليف ن.ز. أيلول ١٩٤٥، موسكو، ١٩٧١؛ نفس الكاتب فرانكلين روزفلت. السياسي والإنسان. قراءة جديدة، موسكو، ١٩٨١، كوليش ف.م. تاريخ فتح الجبهة الثانية، موسكو، ١٩٧١؛ بيريجكوف ف.م. ولادة الائتلاف، موسكو، ١٩٧٥؛ الكاتب نفسه. الطريق إلى بوتسدام، موسكو ١٩٧٩؛ الكاتب نفسه. صفحات من التاريخ الدبلوماسي، موسكو، ١٩٨٤؛ زيمسكوي اي. ن. التاريخ الدبلوماسي للجبهة الثانية في أوروبا، موسكو، ١٩٨٢؛ بوريسوف ا. يو. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة: حليفان في أعوام الحرب ١٩٤١-١٠٤٥، موسكو.

(٣) ياكوفليف ن.ن. الولايات المتحدة وانكلترا في الحرب العالمية الثانية ١٩٤١-١٩٤٥، موسكو، ١٩٦١؛ بوزدييغا ل.ف. العلاقات الإنكليزية - الأمريكية في أعوام الحرب=

وسياسة الولايات المتحدة في المحيط الهادي[٢]، ومشاركتها في مؤتمرات طهران، ويالطا، وبوتسدام[٣]. لقد أشير هنا إلى الاتجاهات الأساسية في دراسات المؤرخين السوفييت المختصين بالشؤون الأمريكية فقط، الذين درسوا المرحلة، التي كُرس لها هذا الجزء.. يجب التحفظ، على أنه لم تؤخذ بعين الاعتبار في استعراض علم تدوين التاريخ هذا القيمة العلمية الكبيرة للكثير من المقالات المقدمة.

إن المؤرخين الماركسيين في الولايات المتحدة الأمريكية والمختصين السوفييت بالشؤون الأمريكية يقفون بصورة دائمة وثابتة ضد النظريات غير العلمية للمؤلفين البرجوازيين، من خلال كشفهم لبطلانها النظري.



=العالمية الثانية ١٩٤١-١٩٤٥، موسكو، ١٩٦٩؛ سيفوستيانوف غ.ب. وأوتكين ا.ن. الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في أعوام الحرب ١٩٣٩-١٩٤٥ : من تاريخ العلاقات المتبادلة، موسكو، ١٩٧٤.

(١) باشكيروف ا.ف. توسع الامبرياليتين الإنكليزية والأمريكية في ايران، ١٩٤١-١٩٤٥، موسكو، ١٩٥٤؛ بوبوف م.ف. الإمبريالية الأمريكية في ايران أعوام الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٥٦.

(٢) فورونتسوف ا.ف. كوريا في مخططات الولايات المتحدة أعوام الحرب العالمية الثانية، موسكو، ١٩٦٢؛ لنفس الكاتب. ماك آرتور وسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأقصى، موسكو، ١٩٦٨؛ سيفاستيانوف ن. التاريخ الدبلوماسي للحرب في المحيط الهادي من بيرل هاربر حتى القاهرة، موسكو، ١٩٦٩.

(٣) فيسوتسكي ف.ن. تدابير «المحطة». بوتسرام ١٩٤٥، موسكو، ١٩٧٥؛ بيليتسكي ف.ن. لقاء في بوتسرام، موسكو، ١٩٨٠.

الخاتمة

إن الأحداث التي سُلط الضوء عليها في هذا الجزء، تركت أثراً عميقاً في التاريخ الوطني للولايات المتحدة الأمريكية. لقد كانت معقدة، ومتنوعة ومتناقضة من إذ المحتوى، وجرت في ظروف الأزمة العامة للرأسمالية، التي أثرت في كل النزعات الأساسية وسنن حياة المجتمع الأمريكي وأوجهها المختلفة.

لقد حدثت في بنية اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الفترة تغيرات كبيرة. فإلى جانب الصناعات المعدنية وآلات البناء والسيارات، تطورت فروع جديدة مثل: الصناعات التكنوكهربائية، والطيران، والكيميائية والمطاطية وغيرها، وأخذوا يستخدمون طرائق التجميع في الإنتاج، ونظام النواقل المتحركة، والمعايرة على نطاق واسع، وكانت عملية التنظيم العلمي الرأسمالي للإنتاج تسير بصورة مكثفة جداً. وكان كل ذلك موجَّهاً قبل أي شيء لزيادة تكثيف العمل.

كان الأمر المميز للاقتصاد بصورة خاصة هو تباطؤ وتائر نموه نتيجة عدم التطابق بين القدرة الإنتاجية للصناعة واستيعاب السوق الداخلية، وكانت نتيجة ذلك هي تسريع أزمات إعادة الإنتاج. كان اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية يتطور بصورة غير مستقرة، وغير متساوية إلى حد كبير، ولم يكن يعيش حالة الصعود فقط، وإنما الكساد أيضاً بصورة غير قليلة. ولقد بدأت في البلاد مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أزمة اقتصادية، كانت تتعمق وتتفاقم بوجود المنافسة بين الرأسماليين، وحلت بعدها مرحلة من الاستقرار الجزئي والنسبي في النظام الرأسمالي، التي حاولت الصحافة

الأمريكية تصويره كـ «أعجوبة اقتصادية». كان يتم التأكيد، كما لو أن الرأسمالية كشفت سر النمو الخالي من الأزمات، وكانت التصريحات عبر الإذاعات تَعِد بأن مرحلة النمو المستقر في مستوى الحياة و«الرفاهية العامة» قد حلت اعتباراً من هذا التاريخ، بيد أن الحياة في المستقبل القريب القادم قد بعثرت هذه الأكذوبة وما يرتبط بها من أوهام.

إن الأزمة المنفلتة من عقالها في عام ١٩٢٩، لم يكن لها مثيل من إذ العمق والتدمير. لقد حملت للكادحين الكوارث والفقر بصورة غير معقولة. وفقد الجزء الأكبر من السكان الثقة في إمكانية الحفاظ على مستوى الحياة السابقة، التي حصل عليها من خلال نضال طويل وصعب، وفي التخلص من البطالة وغيرها من الكوارث، التي ولدها النظام الاجتماعي. كانت مأساة ملايين الرجال والنساء المحكوم عليهم بالبطالة هي عبارة عن حكم اتهامي قاس على الرأسمالية. وكان الأمر يتطلب تدابير حكومية طارئة موجهة للتغلب على الأزمة وعواقبها، بيد أن أزمة جديدة هزت الاقتصاد الأمريكي في المرحلة الأولى من نهوضه. ومع بداية الحرب العالمية الثانية، ولا سيما بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية فيها، حدث نهوض كبير في جميع فروع الإنتاج، وبالدرجة الأولى في الصناعة العسكرية.

كان استخدام الآلات والأسمدة المعدنية والأساليب الزراعية التقنية الجديدة يتوسع في الزراعة بتأثير التقدم التقني، وكان لإعادة تزويد هذا الفرع بالتقنيات بصورة مكثفة نتائج في تسريع تطور الرأسمالية في العمق، وتغلغل الرأسمال الكبير بأبعاد أكبر في الإنتاج الزراعي، وإخضاعه لمصالح الاحتكارات، الأمر الذي أدى إلى تدهور أوضاع المزارعين الصغار والمتوسطين، وإلى

الإفلاسات الجماعية في صفوفهم، وتناقص عددهم العام. كانت الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية تعيش أوقاتاً صعبة، تتميز بأزمة زراعية مزمنة. كان تشابك الأزمة الزراعية بالصناعية يصعّب من إيجاد حلول للقضايا الاقتصادية المهمة، المنتصبة أمام البلاد، وكانت تلك الأزمات تشهد على عدم استقرار الرأسمالية كنظام.

كانت النزعة المميزة في تطور الاقتصاد هي تركز الإنتاج والرأسمال، وتشكل المجموعات الصناعية - المالية الجبارة، وأصبحت بعض فروع الصناعة في أيدي عدة احتكارات ضخمة، الأمر الذي أدى إلى نمو حاد لدور الاحتكارات في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية. وفي عملية تطور الرأسمالية الاحتكارية كان يتم التحول إلى رأسمالية الدولة الاحتكارية، التي كانت تضم قدرة الاتحادات الاحتكارية لقوى الدولة بهدف تعزيز النظام الاجتماعي، وكان كل ذلك يساعد على إخضاع جهاز الدولة لمصالح «البزنس الكبير» والاتحادات الاحتكارية الضخمة، وإلى زيادة تأثيرهما على كل مجالات حياة المجتمع المادية والروحية. ولقد ظهر ذلك بقوة خاصة أثناء الحرب، إذ توسعت روابط الاحتكارات بصورة ملموسة مع الجهاز الحكومي. كانت هذه العملية تشمل نطاقات واسعة، وتأخذ أشكالاً مختلفة. تجب الإشارة هنا، أن تنظيم الدولة الاحتكاري، الذي كان يستخدم في أعوام الثلاثينيات، وأثناء الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص، لم يخلِّص الاقتصاد الأمريكي من نواقصه العضوية. كان تراكم الثروات في أحد أقطاب المجتمع الأمريكي يترافق مع خراب القطب الآخر وازدياد الفقر عنده، وكانت التناقضات بين العمل والرأسمال تزداد وتتفاقم، ويتعمق التناحر بين أكثرية الأمة والطغمة المالية.

يعود لـ «النهج الجديد» دور خاص في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، إذ أجريت خلاله إصلاحات واسعة في حياة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، وساعدت بدرجة معلومة في استقرار الوضع الاقتصادي في البلاد. وبمساعدة الإصلاحات، كما بينت الأحداث، أصبح الحزب الديمقراطي الذي وسّع ركيزته بين الناخبين العاديين أكثر قدرة على المناورة الاجتماعية وتطوير آلية تنظيم الدولة. ولقد أصبحت سياسة الاستقرار الاقتصادي الكنزية عن طريق تحفيز الطلب الإجمالي ومستوى الاستهلاك العالي بصورة كافية، وكذلك سياسة إعادة توزيع الدخول بصورة جزئية، هي الأساس الاجتماعي والاقتصادي لـ «النهج الجديد» الموجه إلى تلافي تعمق الهزات الاجتماعية الناتجة عن «الكساد العظيم» أعوام ١٩٢٩-١٩٣٣. فهم الرئيس روزفلت ضرورة توسيع نشاط الدولة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، وإجراء الإصلاحات، وزيادة الدور التنظيمي للدولة.

كان «النهج الجديد» يمثل نوعاً من أنواع الإصلاح البرجوازي، الذي يعتمد على إضعاف حدة التناقضات الاجتماعية في المجتمع الأمريكي، وتوطيد الأسس الاجتماعية للدولة البرجوازية. ولقد تم تحقيق هذه الإصلاحات لمصلحة الاحتكارات بالدرجة الأولى.

كانت الرأسمالية الاحتكارية توسع ترسانة طرق وأساليب سيطرتها الطبقية، من خلال محاولتها التكيف مع الظروف المتغيرة، ومن خلال استخدامها لدى ذلك سواء القوة أو المناورات الاجتماعية المرنة أو وسائل التنازلات الجزئية للكادحين. ولقد كان لهذا الأمر انعكاسه سواء أثناء «النهج الجديد» أو في فترة أعوام الحرب من خلال إجراء سياسة «التعاون الطبقي» الدؤوبة، ولعبت وسائل

الإعلام الجماهيرية التي كانت تقف لخدمة البرجوازية الأمريكية، دوراً مهماً في هذا المجال، وكانت تساعد بنشاط على ربط الكادحين بالإيديولوجية التي تُرضي الطبقة المسيطرة.

تعرضت البنية الاجتماعية - الطبقية في الولايات المتحدة الأمريكية لتغيرات جدية. ازداد الاستقطاب في المجتمع الأمريكي وأصبح أكثر وضوحاً، وعززت البرجوازية الضخمة من مواقعها بصورة أكبر، وزادت من تأثيرها في الاقتصاد والسياسة على السواء، وفي الحياة الروحية للبلاد. كانت أعداد الطبقة العاملة تزداد، وكانت بنيتها تتغير، ويظهر ميل البروليتاريا إلى التنظيم والدفاع عن مصالحها بصورة واضحة وحاسمة.

كان التمايز يتعمق في صفوف المزارعين، إذ تحول جزء يسير منهم إلى مزارعين كبار ومتوسطين، أما الجزء الأكبر الذي لم يستطع تحمل منافسة وظلم الاحتكارات والبنوك، فقد تحولوا إلى المستأجرين. لقد اشتدت مقاومة القوى الطبقية في المجتمع الأمريكي، وتعمقت التناقضات، التي تميز نخبة الدولة الاحتكارية عن أكثرية الكادحين الساحقة.

كان الاستياء والاحتجاج يشملان بصورة عميقة مختلف فئات المجتمع. وفي ظروف نمو نشاط الجماهير الكادحة، وميلها إلى التغيير، وجهت البرجوازية الاحتكارية جهودها باتجاه الحفاظ على إشرافها على الأذرع المهمة للإدارة السياسية وتوطيدها. لقد كانت تقوم بوضع فئة من الكادحين بوجه أخرى مستخدمة في ذلك عدم تجانس الطبقة العاملة من إذ تركيبها الاجتماعي والعرقي - القومي، في محاولة منها لتقسيم الحركة العمالية وزيادة نفوذها في صفوف البروليتاريا. ولقد كان يساعدها في ذلك القادة اليمينيون في الحركة النقابية، الذين كانوا يقفون مواقف توفيقية ويدعون لـ «التعاون الطبقي».

كانت هناك أوقات صعود وهبوط في الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الإضرابات هي الشكل الأساسي لنضال البروليتاريا الأمريكية من أجل حقوقها. أما الحركة الإضرابية فقد تطورت في نفس الوقت بصورة غير متساوية، الأمر الذي كان يتم تفسيره بالتذبذبات في حالة الأسواق الاقتصادية، وبالتغيرات التي كانت تحدث بسبب ذلك في وضع الطبقة العاملة. وهكذا، فبعد الحركات الإضرابية الضخمة عام ١٩١٨-١٩١٩، والنهوض الصناعي المرافق لها، حل الانحسار في نشاط الحركة العمالية. لقد ازداد تأثير الأيديولوجيا البرجوازية على العمال في أعوام «الرفاهية»، وكانت أفكار هوبيرس تزداد اتساعاً. لكن أعوام الأزمة الاقتصادية والكساد في الثلاثينيات تميزت بتصاعد نضال العمال، ووجد ذلك تعبيراً واسعاً له في حركة الإضرابات الواسعة، ونمو النضال الإضرابي، والحركات النشيطة للبروليتاريا، من أجل إنشاء النقابات الإنتاجية. كانت سياسة الزعماء المحافظين للفدرالية الأمريكية للعمل تفقد ثقة الجماهير، وبرز اتحاد نقابي جديد، قوي ونافذ هو كونغرس النقابات الإنتاجية. لقد تميزت النزعات الجديدة بالنضال الاقتصادي، والنشاط الاجتماعي- السياسي للنقابات، وبتعارض القوى المحافظة والتقدمية. وكانت الدولة مضطرة للجوء إلى المناورة الاجتماعية وتغيير ما يسمى «السياسة العمالية» للحكومة. التي جمعت بين المناورات الاجتماعية ومختلف وسائل الإعداد الإيديولوجي للطبقة العاملة، ونشر الأيديولوجية والنفسية البرجوازية في صفوفها. لقد أصبحت حركات الأعضاء البسطاء في النقابات ضد سياسة «التعاون الطبقي»، ومن أجل العمل المستقل، عاملاً فعالاً يؤثر في مواقف الزعماء اليمينيين للنقابات.

وفي أعوام الثلاثينيات، وإلى جانب نمو الحركة النقابية والإضرابية، اتخذت أشكال الحركات الأخرى أيضاً نطاقات واسعة، وعلى وجه الخصوص النضال من أجل إنشاء حزب جماهيري ثالث وإضعاف نظام الحزبين، وكذلك تنظيم النقابات الإنتاجية وتحريرها من تأثير القيادة الإصلاحية الفدرالية الأمريكية للعمل، واتسعت في الوقت نفسه جبهة الحركة المعادية للحرب والفاشية.

استطاع الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية أن يحقق اتحاد كل القوى الاجتماعية والديمقراطية للنضال ضد سيطرة الاحتكارات. ولعب دوراً كبيراً في تنظيم حركة العاطلين عن العمل، وإنشاء كونغرس النقابات الإنتاجية. كان الشيوعيون يدعون مختلف فئات السكان إلى إنشاء ائتلاف معاد للاحتكارات، وكانوا في الصفوف الأولى في النضال ضد الفاشية، وضد إشعال الحرب العالمية الثانية من قبل الإمبريالية، وكانوا يدافعون عن مبادئ الأمن الجماعي.

كانت السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية رهن السمات الاجتماعية - الاقتصادية والسياسية الطبقية للرأسمالية. إن نضال النظامين الاجتماعيين - الاقتصاديين، وتغير تناسب القوى على المسرح العالمي، وتوسع العدوان المسلح من جانب التجمع الأكثر إشباعاً بالروح الحربية من الدول الإمبريالية، إن كل ذلك كان يمارس تأثيراً ملموساً على أشكال بروز المحتوى الطبقي للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية الملموسة.

كانت الإمبريالية الأمريكية تمارس نهجها السياسي الخارجي بمختلف الطرق حسب ظرف هذا الإقليم أو ذاك وخصائصه. إن تصدير الرأسمال تحول في عنصر مهم جداً في سياسة رأسمالية الدولة الاحتكارية في مجال العلاقات

الاقتصادية الدولية. لقد نمت الاستثمارات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بصورة ملموسة. وسعت الاحتكارات والطغمة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعزيز وتوسيع السيطرة على المسرح الدولي، وإن الاتحادات الاحتكارية التي ركزت في أيديها موارد مالية، وإنتاجية وتقنية علمية ضخمة، كانت تشدد الصراع على أسواق تصريف البضائع، وفي سبيل استحواذ مصادر الخامات ومجالات استثمار الرساميل. وكان ذلك يخلق التربة للاحتكارات والنزاعات والمنافسات الحادة بين التجمعات الاحتكارية، وكان الصراع بينها يصل أحياناً إلى توتر عال. إن توسع الرأسمال الأمريكي كان يموه في كثير من الأحيان بإعلانات تكهنية واسعة عن مذهبه الانعزالي، وعن رفض واشنطن المشاركة في التحالفات الدولية، والموافقة على أية التزامات سياسية خارجية تخصها.

أما ما يتعلق بالاتحاد السوفييتي، فإن الولايات المتحدة الأمريكية خلال ١٦ عاماً كانت تمارس سياسة عدم الاعتراف. لقد حاولت في البداية مع غيرها من الدول قمع الجمهورية السوفييتية الفتية بالطريق المسلح، وسارت فيما بعد على طريق عزل الاتحاد السوفييتي الاقتصادي، والسياسي، والدبلوماسي، لأجل عرقلة تكون وتطور الدولة السوفييتية. وفي ظروف التحضير للحرب العالمية الثانية وإشعالها من قبل الحلف الإمبريالي العدواني، وقف الاتحاد السوفييتي بصورة نشيطة وثابتة ضد الحرب، إلى جانب الجهود الموحدة لكل الدول ضد المعتدي يهدف الحفاظ على السلم. اتخذت واشنطن موقفاً آخر. اتخذ الكونغرس الأمريكي قانوناً حول الحياد، الذي كان يعني موضوعياً مساعدة المعتدين، الذين ساروا على طريق تقسيم مناطق العالم بقوة السلاح. إن سياسة عدم التدخل، التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع إنكلترا وفرنسا، سرعت باندلاع الحرب العالمية الثانية.

كان لمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية في الائتلاف المعادي لهتلر، التي أملاها تطور الأحداث في العالم أهمية بالغة، ومارست تأثيراً ملموساً على وضع وتناسب القوى في العالم، وفي سير ومصير الحرب. لقد توحدت الموارد المادية والبشرية الجبارة للاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنكلترا وغيرها من الدول لأجل إحراز النصر على الفاشية الألمانية واليابان العسكرية وحلفائهما. إن مساهمة الاتحاد السوفييتي في تحطيم العدو المشترك كان حاسماً، وقد اعترف رسمياً بذلك قادة الولايات المتحدة الأمريكية. كان للشعب الأمريكي أيضاً مساهمته في الانتصار على قوى الطغيان والرجعية، وإن التعاون القتالي لشعوب الائتلاف المعادي للفاشستية المحبة للسلام كان له أيضاً أهمية تاريخية غير زائلة: لقد برهن وأظهر إمكانية تعاون البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المتباينة ونجاحه لمصلحة السلام وتقدم البشرية.

كانت تبرز صعوبات وتناقضات حول قضايا السياسة العالمية بين دول الائتلاف المعادي للهتلرية، لكنها كانت تتغلب عليها بنجاح خلال اللقاءات في طهران، ويالطا، وبوتسرام وغيرها من المؤتمرات الدولية لممثلي الدول المتحالفة. وكانت تناقش أثناء ذلك مسائل ذات طابع عسكري، وسياسي، واقتصادي، وكانت قضايا بناء العالم بعد الحرب تحتل مكاناً مهماً أيضاً.

كان قادة الولايات المتحدة الأمريكية يتبعون هدف تقوية نفوذهم في العالم، واستخدام الوضع الذي تشكل لمصلحة إنشاء ظروف مؤاتية للتوسع الاقتصادي، وتوسيع الإمكانيات أمام وصول الاحتكارات الأمريكية إلى الثروات الطبيعية للدول الأخرى، وتأمين أسواق تصريف البضائع وإقامة الإشراف على مصادر المواد الخام. كان الحديث يجري بالدرجة الأولى، عن نشر مذهب «الأبواب المفتوحة» في كل أنحاء العالم، وكانت الأوساط العسكرية،

والسياسية، والمالية - الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن الوضع الدولي أصبح مؤاتياً لأجل تحقيق هذه المخططات التوسعية الكبيرة. وكانت الكثير من البلدان في الوقت نفسه، إما محطمة، وإمَّا أنها قد ضعفت كثيراً، أما الولايات المتحدة الأمريكية فتحولت إلى دولة جبارة، وليس في المجال الاقتصادي فقط، وإنما، بصورة رئيسية في المجال العسكري أيضاً. ما هو موجود، كان الجيش الأمريكي صاحب الملايين العديدة، والأسطول العسكري - البحري القادر، والطيران القوي. لقد امتلكت الولايات المتحدة الأمريكية على البر والبحر قواعد عسكرية بعيدة عن البلاد - في جميع القارات تقريباً. وبالإضافة لذلك كانت تملك السلاح الذري، وكانت تتظاهر بالسلم من خلال قوتها الهائلة، ومن خلال إلقائها للقنبلة الذرية على هيروشيما وناغازاكي. وما إن هدأت المدافع في ميادين القتال فقط، حتى أخذت الولايات المتحدة الأمريكية بمثابرة تعلن عن طموحها في السيطرة العالمية، وتعبر عن الاستعداد كي تأخذ على عاتقها «القيادة الروحية للعالم». ولقد بدأت بصورة مكشوفة تمارس سياسة موجهة لتحقيق مواقع السيادة في كل بقاع الكرة الأرضية. ومن واشنطن سرعان ما هبت رياح «الحرب الباردة» التي استمرت ربع قرن. كان فصلاً جديداً يبدأ في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، مملوء بالاضطراب، والقلق.

إن لوحة الحياة الروحية للمجتمع الأمريكي مختلطة ومعقدة بصورة استثنائية. كان تطور الفكر والثقافة في الولايات المتحدة الأمريكية يحدث تحت تأثير عوامل في المجال الداخلي والدولي على السواء. الأهم من بينها، «الكساد العظيم» في الولايات المتحدة الأمريكية، والحرب العالمية الثانية، والنضال ضد الفاشية. إن كل ذلك، بالطبع كان يحفز بدرجة أكبر أو أقل على أن يتوجه الكثير

من الشخصيات الثقافية إلى المسائل والقضايا الجديدة بالنسبة لهم، بما في ذلك إلى تصوير حياة الكادحين، والتعارض بين العمل والرأسمال، والحركة العمالية والديمقراطية العامة، وحركات الجماهير المعادية للاحتكارات.

حصلت الواقعية النقدية على انتشار واسع في الأدب. كان ممثلوها أولئك الكتاب الكبار مثل تيودور درايزر، وايبتون سينكلير، وسينكلير لويس، وشيروود آندرسون، وفرانسيس سكوت فيتزجيرالد، وجون دوس. باسوس، ووليام فولكنر، وآرنست همنغواي، وجون شتاينبك، وتوماس وولف، وأرسكين كالدويل، وغيرهم. كانوا مختلفين من إذ الموهبة، ولم تكن مواقفهم العقائدية واحدة كذلك، وإبداعاتهم متنوعة كثيراً من إذ الشكل والمضمون، ومن إذ تعبيرها عن اتساع وعمق الواقع. ولكن، في أعمالهم كان يعاد تكوين أمريكا المتنوعة على خلفية اجتماعية غنية بصورة عامة. إنهم يقدمون للقارئ الحياة الفارهة لأصحاب الملايين، وفي الوقت نفسه الاهتمامات اليومية للأمريكان البسطاء واحتياجاتهم - العمال والمزارعين، والمستخدمين. والمصير القاسي للزنوج، ووضع المجموعات العرقية - الإثنية في هذه المؤلفات الكثير عن عالم الأقوياء، ويتم الكشف فيها عن عدم إمكانية تحقيق «الحلم الأمريكي» بالنسبة للعامل، ونقل يأس وأفكار، وآراء وأمزجة ممثلي مختلف فئات سكان البلاد. إن أفضل أعمال أساتذة الثقافة، التي حددت إلى درجة كبيرة أيضاً الخاصية الوطنية لأدب الولايات المتحدة الأمريكية، تميزت بالغنى الفكري - الفني، وكانت تعبر عن القضايا الاجتماعية والأخلاقية المهمة، وكانت ملأى بالحماسة الاجتماعية - النقدية. لقد أنشأ الكتاب التقدميون نماذج ساطعة، ملأى بالحقيقة الأبدية والقاسية، وطوروا وأغنوا كذلك تجربة من الواقعية النقدية. لقد حدث انعطاف لدى الكثير من ممثلي الثقافة في الثلاثينيات - لدى الكتاب

والفنانين - إلى اليسار، ونمو نشاطهم المدني. إنهم يقومون بالمشاركة في الحركات الديمقراطية والمعادية للفاشستية. لقد اكتسب الأدب الفني الأمريكي اعترافاً عالمياً، وقدم مساهمة إلى خزينة الثقافة العالمية. وتشهد على ذلك الترجمات الكثيرة لأعمال الكتاب الأمريكان إلى عشرات اللغات في العالم.

إن هذه الأعوام قد وضعت علامة في نفس الوقت على تشكل الفن المسرحي الوطني، والمسرح، الذي ارتفع إلى درجة جديدة من حيث النوعية في تطوره الفكري والفنيّ، وبصورة خاصة في تأكيده على مبادئ الواقعية. يعود الدور الكبير في ذلك إلى مجموعة الفنانين المسرحيين برئاسة يوجين أونيل، وينتمي إليهم قبل كل شيء ك. اودتيس، ول. هيلمان، واي. رايس، وم. اندرسون، واو. سارويان، وت. وايدلير.

وفي مجال السينما، والموسيقا، والفن التشكيلي ازدادت قوة بصورة واضحة النزعات الموجهة باتجاه تطور الواقعية النقدية. وكانت تنمو بنفس الوقت نزعات مذهب الحداثة، وكان يلحظ أيضاً انخفاض في القيم الروحية. إن النضال بين التيارين التقدمي والمحافظ كان يحدث في كل مجالات الفن ويظهر في مختلف الأشكال.

تلك هي الآراء العامة، والأرصاد والنتائج حول النزعات الأساسية للتطور الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية والحياة الروحية للمجتمع الأمريكي.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة



يونس صالح

- مترجم سوري.

- يعد هذا الكتاب أهم أعماله المترجمة..

٢٠٢٣ م

الهيئة العامة السورية للكتاب